

التفسير الوحي

علاء كاش

القرآن العظيم

ومنه أسباب النزول وقواعد الترتيل

الأستاذ الدكتور وهبت الزحيلي

دار الفکر
دمشق - سورية

QURAN COLLECTION

Quranpdf.blogspot.in

سورة الفاتحة

«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» أي التّجىء إلى الله مستجيراً به من الشيطان المطرود من رحمة الله والخير، لئلا يضرني في شيء.

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أي أبتدئ تلاوتي مستعيناً باسم الله وذاته، المتصف بالرحمة والإحسان وموصلهما إلى المنعم عليه، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، واسم الله يطلق على الذات والحقيقة والوجود.

٢- الثناء باللسان والقلب على جميل نعم الله، المعبود بحق، مربّي العوالم كلها من الإنس والجن والملائكة والشياطين، ومالكهم ومدير أمرهم، فهو المستحق لجميع المحامد بالقلب واللسان.

٣- واسع الرحمة ودائم الرحمة في الدنيا والآخرة.

٤- مالك الأمر كله في يوم الحساب والجزاء، والمتصرف فيه وحده.

٥- نخصك يا الله بالعبادة، وبالاستعانة، فلا نعبد غيرك، ولا نستعين إلا بك.

٦- وفقنا إلى الطريق القويم الواضح غير المعوج، وهو الإسلام والإيمان.

٧- طريق الذين أنعمت عليهم من الملائكة والنبیین والصديقين والشهداء والصالحين، غير أولئك الذين غضبت عليهم، الحائذين كبيراً عن طريق الحق والاستقامة، البعيدين جهلاً عن جادة الصواب، من أتباع المذاهب والممل الأخرى غير الإسلام، وأهل الفسق والتفارق.

- آمين اللهم استجب لنا.

فضل الفاتحة: أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد بن المعلّى رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟ فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله، إنك قلت: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن، قال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [الفاتحة ٢/١] هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته».

وأخرج ابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ في مسير، فنزل ونزل رجل إلى جانبته، فالتفت النبي ﷺ، فقال: «ألا أخبرك بأفضل القرآن؟» قال: بلى، فتلا: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [الفاتحة ٢/١].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
أفدنا الصراط المستقيم
صراط الذين أنعمت عليهم
غير المغضوب عليهم ولا الضالين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 اللَّهُ ۝ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى
 لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ
 وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ
 ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ
 مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ
 عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝

سورة البقرة

فضل السورة: أخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة». وأخرج مسلم عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أيضاً: أن رسول الله ﷺ قال: «اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة» أي السحرة.

١- الم: هذه الأحرف وأمثالها من أوائل السور جيء بها بياناً لإعجاز القرآن، وإثبات كونه كلام

الله، بتحدى العرب للإتيان بمثله أو بمثل أقصر سورة منه، وبيان عجزهم عن مجاراته، علماً بأنه مركب من الحروف العربية التي ينطقون بها، وينظمون بها كلامهم.

٢- هذا هو القرآن العظيم، الذي لا شك في أنه من عند الله تعالى، وأنه هداية وإرشاد للخير، يرشد الذين اتقوا ربهم بامتنال الأوامر الإلهية واجتناب النواهي وترك المعاصي، فهم المتفعون به، وهي أوصاف ثلاثة للقرآن.

٣- أوصاف المتقين ستة: يصدقون تصديقاً جازماً كاملاً بكل الغيبات، كالملائكة والجن والبعث والنشور والحساب وغير ذلك من أهوال القيامة، ويؤدون الصلاة كاملة بأركانها وشرائطها، والخشوع فيها لله ويدومون عليها في أوقاتها، ويؤتون مما رزقهم الله حلالاً طيباً الزكاة المفروضة، والصدقات المندوبة في سبيل الله، والنفقات الواجبة على الأقارب وغيرهم.

٤- ويوقنون بما أوحى إليك أيها النبي من القرآن، وبما أوحى إلى الرسل من قبلك، من الكتب السابقة، ويصدقون بالدار الآخرة وما فيها من بعث وجنة ونار وحساب وصراف وميزان، ويؤمنون بكل ذلك إيماناً لا شك فيه.

٥- أولئك المتصفون بالصفات المذكورة، وهم المتقون، المؤمنون بالغيب، المؤدون الفرائض، هم أهل الهداية والإرشاد، الفائزون بسعادة الدارين، الناجون من النار.

إِنَّا الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَوْ تَنْذِرُهُمْ لَا يَتُوبُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ اللَّهَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذِ اقْبَلْ لَهُمْ ءَمْنًا مِّنَ النَّاسِ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذْ لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَمْنَا مَعَهُمْ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شُيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ كَمَا تَبِيعَتِ نَجْرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

٦- إن الذين أصروا على كفرهم وجحودهم وحادثية الله وإنكار رسالتك يا محمد، لا يفيدهم شيئاً إنذارك، فسواء أخطرهم وأخفتهم أم لم تخدعهم، لا يصدقون برسالتك، لاتباعهم أهواءهم.

٧- طبع الله على قلوبهم بكفرهم، فلا ينفذ إليها الإيمان، ولا يسمعون الحق، ولا يبصرون الهدى، ولا يعقلون، ولهم عذاب شديد مؤلم. وسبب نزول هاتين الآيتين - كما أخرج الطبري عن ابن عباس والكلبي - أنهما نزلتا في رؤساء اليهود، منهم حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف ونظراؤهما.

٨- بعد أن ذكر الله صفات المؤمنين وصفات الكافرين، ذكر صفات المنافقين: وهم الذين يظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر، فهم غير مؤمنين، في الدرك الأسفل من النار.

٩- يخادعون من لا يُخدع بإظهار غير ما في النفس للتمويه، فهم في الواقع خادعون لأنفسهم، والله يعلم بواطنهم.

١٠- في قلوبهم فساد الاعتقاد، إما شكاً ونفاقاً، أو جحوداً وتكذيباً، فزادهم الله مرضاً آخر هو الحسد والحقد، بسبب إعلاء كلمة الله وتثبيت قواعد الإسلام، ونصر المؤمنين، ولهم عذاب موجه بسبب كذبهم وادعائهم الإيمان في الظاهر.

١١- وإذا قيل لهم: لا تفسدوا في الأرض بالنفاق وموالاته الكفار، وتفريق المؤمنين، ادعوا أنهم مصلحون.

١٢- إنهم هم المفسدون حقاً، لمخالفتهم أوامر الله ولعاصيهم، ولكنهم لا يدركون أنهم مفسدون حقيقة، لتمكن الفساد في قلوبهم.

١٣- وإذا طلب منهم الإيمان، أبوا التشبه بالمؤمنين، ووصفهم بالسفه: وهو الطيش وخفة العقل، وهم السفهاء في الواقع: الجهال السخفاء، من غير أن يعلموا حقيقة أمرهم.

١٤- وإذا قابلوا المؤمنين أظهروا إيمانهم، وإذا خلوا إلى رؤسائهم في الكفر، قالوا: نحن ثابتون على الكفر، مستهزئون بالمسلمين بإظهار الموافقة لهم.

١٥- الله يجازيهم على استهزائهم ويستخف بهم، ويملي لهم ويزيدهم في ضلالهم، ويترددون بين الكفر والإيمان تحيراً وقلقاً.

١٦- أولئك الذين استبدلوا الضلالة بالهدى، واختاروا الكفر وتركوا الهداية، فما ربحوا في تجارتهم باتباعهم الكفر بدل الإيمان، وما كانوا مهتدين إلى الحق والصواب في شرائهم الكفر بالإيمان.

١٧- مثل هؤلاء المنافقين في إصلاحتهم الإسلام، كمن أوقد ناراً ينتفع بها مع رفاقه، فلما أضاءت بهم النار، انطفأت، وأظلم ما حولهم، وأذهب الله نورهم، وتركهم يتخبطون في ظلمات الشك والنفاق، لا يبصرون طريق الحق، ولا يعرفون الخير من الشر.

١٨- إنهم صُمُّ عن الحق، لا يسمعون منادياً، حُرْسٌ لا يتكلمون، غُمِّي عن طريق الهدى لا يرونه، فلا يرجعون عن غيهم وضلالهم.

١٩- ومثل هؤلاء المنافقين في تشبيهه آخر كمثل أصحاب مطر غزير، تخله رعد شديد وبرق خاطف، يتقون الصواعق: وهي الأصوات الشديدة المهلكة بما فيها من نار حارقة، خشية الموت، بما لا يقيهم منه، والله محيط بالكافرين في قبضته، لا يفلتون من قدرته وعقابه. وسبب نزول هذه الآيات - كما ذكر الطبري عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما - أن ناساً دخلوا في الإسلام بعد الهجرة، ثم نافقوا، فكان مثلهم كمثل رجل كان في ظلمة، فأوقد ناراً، ثم انطفأت، وكمثل من تعرض لمطر شديد مصحوب بالرعد والصواعق والبرق فحاول انتقاها من الخوف، ثم تركها وعاد لكفره، فصار لا يعرف الحلال من الحرام، ولا الخير من الشر،

وهكذا مثل المنافق كان في ظلمة الشرك، فأسلم، ثم عاد تائهاً. والمثل الأول لسرعة انكشاف أمرهم، والمثل الثاني لخيرتهم وقلقهم.

٢٠- المنافقون في انتهازيتهم كمثل المعرض للبرق، يمشون في النور، ويقفون في الظلام، فإذا صلحت أحوالهم المادية واستفادوا من النعم، أعلنوا إيمانهم واستقاموا على الإسلام، وإذا أصابهم البلاء، توقفوا عن السير، وسخطوا وارتدوا كفاراً وأظهروا نفاقهم، والله قادر لا يعجزه شيء، فلو شاء لأذهب أسماعهم وأبصارهم.

٢١- أيها الناس جميعاً اعبدوا الله وحده الذي أوجدكم، وأوجد من قبلكم من الأمم السابقة، لتتقوا عقابه، وتفوزوا برضائه.

٢٢- والله هو الذي جعل لكم الأرض وطاء للاستقرار عليها والحياة فيها، وجعل السماء محكمة البناء والنظام كالقبة أو السقف، فلا تقع على الأرض، وأنزل الماء من السحاب، فأخرج به مختلف الثمار وأنواع النبات للتمتع والطعام، فلا تتخذوا شركاء لله تعبدونهم كعبادته، وأنتم تعلمون أن الأنداد (الأمثال) لم يخلقوكم ولم يرزقوكم، وأن الله هو الخالق الرازق.

٢٣- وإن كنتم في شك من إنزال القرآن على محمد ﷺ فأتوا بمثل أي سورة منه مهما صغرت، وأدعوا أناساً يشهدون لكم أنكم على حق، إن كنتم صادقين في ادعائكم، وهذا تحدٍ سافر من الله.

٢٤- فإن لم تستطيعوا، وعجزتم عن الإتيان بسورة من مثله، فاحذروا نار جهنم بالإيمان وأداء الفرائض واجتتاب النواهي، تلك النار التي حطبها الذي توقد به: الناس الكفار، والحجارة الأصنام المعبودة، وهيئت للجاحدين الكفرة.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بُعِدُ عَنْهُمْ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْغَهُمْ فِي أَذَانِهِمْ تُصْرَعُونَ ﴿١٩﴾ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٢٠﴾ يَكَادُ الْهَرَقُ يَخْفُفُ أَبْصَرُ هُمْ كُلًّا أَضَاءَ لَهُمْ سَنَوَاتِهِمْ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنْ أَنَا اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢١﴾ يَسْأَلُهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٤﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٥﴾

٢٥- وبشر أيها النبي المؤمنين الذين عملوا الأعمال الصالحة المفروضة عليهم والتدبيرة بالبساتين الخضراء، التي تجري الأنهار من تحت أشجارها ومسكناتها، كلما رزقوا من ثمراتها اليساعة، قالوا: هذا مثل أرزاق الدنيا في الجودة والحسن، ولقد قدم لهم في وضع يشبه بعضه بعضاً في اللون والحجم والمنظر والطعم والرائحة، فإذا أكلوا وجدوه مخالفاً لطعم سابقه، ولهم في الجنة أزواج مطهرون من سائر الأذناس الحسية، والمعنوية كالقواحش، وهم مقيمون في نعيم دائم لا ينقطع.

٢٦- إن الله لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ونحوها صغيراً وكبيراً لللظة والعبرة، فالؤمنون يعلمون أنه المثل الحق الثابت غير الباطل المنزل من الله، والكافرون يسخرون من هذا المثل ويستخفون بفائدته، والله يريد بهذا المثل إضلال قوم وهداية آخرين، ولكن الإضلال للفاسقين، أي الخارجين عن طاعة الله، إنهم فسقوا فأضلهم الله بفسقهم. نزلت هذه الآية - كما ذكر الطبري - لما طعن الكفار في كون القرآن من كلام الله قائلين: إن الله يستحي أن يضرب المثل بالشيء الحقير كالذباب والنمل والنحل والعنكبوت، فذلك لا يليق بكلام الفصحاء.

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رُزِقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾

﴿٢٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ يَفْضَحُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَكْسِرُونَ ﴿٢٨﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ آمِنًا فَاذْكُرُوا نِعْمَتَكُمْ الَّتِي كُنْتُمْ فِيهَا رَجُوعُونَ ﴿٢٩﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ فَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ كُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٠﴾

٢٧- الفاسقون: هم ناقضو العهد الذين يخالفون ما أمر الله به وعاهدكم عليه من الإيمان به، من بعد توثيق العهد وتأكيد على أسنة الرسل جميعاً، ويقطعون الرحم والقرابة وموالات المؤمنين، ويعملون في الأرض بالمعاصي وإعاققة الناس عن الإيمان برسالة محمد ﷺ، وأولئك هم أهل النار.

٢٨- كيف تمجدون وجود الله وقدرته ونعمه وتعبدون غيره؟ والله هو الذي أحياكم وخلقكم بعد أن كنتم معدومين، ثم يميتكم في الدنيا عند انتهاء آجالكم، ثم يحييكم بالبعث يوم القيامة، ثم تحشرون إلى الموقف بين يدي الله، فيجازيكم بأعمالكم.

٢٩- والله وحده هو الذي خلق لكم جميع ما في الأرض للانتفاع به من حيوان ونبات وجماد وغيرها، ثم استوى استواء يليق به، والاستواء: الارتفاع والعلو على الشيء، فعدّل وأنقن خلق سماءات سبع على أحسن وجه، فلا اعوجاج فيها، والسموات: هي المرتفعات الشاهقات ذات الطبيعة المخالفة لطبيعة الأرض، والسماء: ما يقابل الأرض، والله عالم بجميع أموركم وأحوالكم، وبما خلق في الأرض وفي السماء. والآيات تدرجت من ذكر المبدأ والمتهى، إلى بيان البرهان على البعث، إلى توجيه النفوس نحو الإيمان بسبب تفرد الله بالقدرة على الخلق والإعادة.

٣٠- واذكر أيها النبي لقومك حين قال ربك للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة هو آدم، استخلفته في عمارة الأرض وفي تنفيذ أحكامي، فقال للملائكة في نفوسهم: أتجعل فيها من يفسد فيها بالشرك وفعل المعاصي؟ وقد علموا ذلك بتعليم الله بوجه ما، والمعنى أتجعل فيها من يريق الدماء المحرمة بالقتل والأذى والعدوان، ونحن شاكرون حامدون لك، ونزهك عما لا يليق بك؟ قال: أعلم ما لا تعلمون أنه سيكون من الخليقة أنبياء وصالحون.

٣١- وعلم الله تعالى آدم أسماء المسميات والمخلوقات كلها، ثم سأل الملائكة عن تلك الأسماء التي تعلمها آدم- معبراً عنها بضمير العقلاء- فقال: أخبروني عنها إن كنتم صادقين في ادعائكم أنكم أحق بالخلافة من غيركم، فعجزوا.

٣٢- قالت الملائكة بعد إعلان عجزهم وقصورهم: يارب، تنزيهاً لك، لا يعلم الغيب سواك، ولا علم لنا إلا بتعليمك، إنك أنت العليم بكل شيء، الحكيم بكل صنع.

٣٣- أمر الله آدم بإخبار الملائكة بأسماء المخلوقات التي عجزوا عن معرفة أسمائها، فلما أخبرهم بها، قال الله تعالى للملائكة: ألم أخبركم بأني أعلم ما غاب في السموات والأرض عنكم، وما هو مشاهد لكم أيضاً، وأعلم ما تظهرون من أقوالكم، وما تخفون في نفوسكم.

٣٤- واذكر أيضاً أيها الرسول لقومك حين أمرنا الملائكة بالسجود لآدم سجد تحية وتكريم، لا سجد عبادة وتعظيم، فسجدوا جميعاً إلا إبليس الذي كان من الجن، فرفض السجود وتعاضم في نفسه، وكان في علم الله كافراً، لمخالفته أمر الله تعالى وتكبره عن السجود لآدم.

٣٥- واذكر كذلك أيها الرسول حين قلنا لآدم: اتخذ الجنة مسكناً مع زوجتك حواء، وكُلا منها أكلاً هنيئاً لا عناء فيه، من أي مكان ومن أي ثمرة، ولا تقربا هذه الشجرة: الكرمة أو التين أو الخنطة أو غيرها، فلا تأكلا منها، فتكونا من الظالمين لأنفسكم بالمعصية.

٣٦- فأوقعهما الشيطان في الزلّة وهي الخطيئة، وأبعدهما عن الجنة، وأخرجهما عما كانا فيه من نعيم الجنة، بسبب إغوائه وسوسته وادعائه أنها شجرة الخلد، فقلنا لآدم وحواء وإبليس: انزلوا إلى الأرض، يعادي بعضكم بعضاً من ذرية آدم وإبليس، عداوة إيمان وكفر إلى يوم القيامة، ولكم في الأرض منزل استقرار، ومنفعة ومعاش وتمتع إلى أجل هو الموت في الدنيا.

٣٧- فآلهم الله آدم كلمات قالها، هي «ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين» [الأعراف ٧/ ٢٣] فقبل الله توبتهما، إنه سبحانه كثير القبول للتوبة، الرحيم بعباده التائبين.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً
قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ
تَحْمِيدَكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ
قَالَ أُنَبِّئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا
سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ
﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ
أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبُ السَّخَرْتُ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُدْرُونَ وَمَا كُنْتُمْ
تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا
إِبْلِيسَ أُنِيَ وَأَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ
اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا
وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا
الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَوْنِ
آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

٣٨ - قال تعالى للمخالفين أوامره: اهبطوا من الجنة، فإن أناكم مني هدى: وهو كتاب الله، فمن قبل به وعمل، فلا خوف عليهم من العذاب في الآخرة، ولا هم يحزنون عما فاتهم في الدنيا.

٣٩- وأما الذين كفروا بالله، ووجدوا وحدانيته، وأعرضوا عن هدايته وكتبه المنزل، وكذبوا بالقرآن، فأولئك هم أهل النار، مقيمون فيها، لا يخرجون منها إلى الأبد.

٤٠- يا أولاد يعقوب، اذكروا نعمتي عليكم وعلى
آبائكم بإيقادكم من الغرق ومن ظلم فرعون، وتظليل
الغمام، وإنزال الكتاب، واصطفاء الرسل منكم وغير
ذلك، وأوفوا بعهدي إليكم في التوراة باتباع محمد
ﷺ، أحقق لكم ما ضمنتم لكم من الجزاء الحسن والثواب
الجزيل على الطاعة، وخافوني ولا تخافوا أحدا سواي.

٤١- وصدقوا بالقرآن الذي أنزلته على محمد ﷺ المصدق للتوراة في التوحيد وأصول الاعتقاد والفضائل، ولا تكونوا أول من كفر، ولا تستبدلوا بآياتي الأمرة والنهية آيات أخرى محرقة، ولا تتبعوها بعرض قليل ورياسة زائفة، وثن بخص من حطام الدنيا، وخافوني واحذروا عقابي، ولا تخافوا أحداً غيري.

٤٢- ولا تخطوا الحق من الدين بالباطل من عندكم، والصدق بالكذب، ولا تخفوا حجج الله التي أوجب عليكم تبليغها، ومنها البشارة المدونة في كتابي وسولي، والقرآن كتابي وكلامي.

فَلَمَّا أَهْطَوْا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى مِّن رَّجَعِ
هَٰذِهِ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ يٰٓبَنِي
إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي
أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَآيَاتِي فَارْجِعُونَ ﴿١٢﴾ وَاسْمُوا إِنَّمَا أُنزِلَتْ صَدْرًا
مِّنكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰئِكَ كَافِرِينَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَانًا قَلِيلًا وَآيَاتِي
فَاقْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْظُلْمِ وَتَكْفُمُوا الْحَقَّ وَأُنزِلَتْ
تَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ
﴿١٥﴾ أَنَا مُرُونَ أَنَا سُبَّانٌ وَتَسُونَ أَنفُسَكُمْ وَأَنَا نَزَّ
تَسْلُونَ الْكِتَابَ فَلَا تَقُولُوا ﴿١٦﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ
وَالصَّلَاةِ وَأِنَّمَا الْكِبَرَةُ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ
تَلْقَآؤُهُمْ وَإِنَّمَا إِلَهُ الْيَوْمِ رَحْمَنٌ ﴿١٨﴾ يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا
نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ
﴿١٩﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ
سُحُوبًا شَفَعَةً وَلَا تَأْخُذُ مِنْهَا عَذْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٢٠﴾

٤٢- ولا تخلصوا الحق من الدين بالباطل من عندكم، والصدق بالكذب، ولا تخفوا حجة الله التي أوجب عليكم تبليغها، ومنها البشارة المدونة في كتابكم ببعثة النبي محمد ﷺ وصفاته، وأنتم تعلمون أنه رسولي، والقرآن كتابي وكلامي.

٤٣. وأقيموا الصلاة المفروضة على المسلمين، وأدوا الزكاة الواجبة للمستحقين، واخضعوا لأوامر الله، وصلوا جماعة مع المصلين، وأقوا الركوع معهم؛ لأن اليهود لا ركوع في صلاتهم.

٤٤. يا أحبار اليهود، كيف تأمرون الناس بطاعة الله وكل ما فيه خير؛ وتتركون أنفسكم فلا تأمرونها بالبر والطاعة، وأنتم تقرؤون التوراة التي تحرم القول من غير فعل، أفلا تتركون تناقضكم وسوء فعلكم؟! وسبب النزول: قال السدي: كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله ويتقواه وبالبر، ويخالفون، فغيّرهم الله عز وجل.

٤٥- واستعينوا بالصبر على الطاعات ومنع النفس من الشهوات، وبالصلاة في أوقاتها مع خشوع، لما فيهما من ضبط النفس وتحمل المشاق ونبد الشر وفعل الخير، وإن كانت الصلاة لشاقة ثقيلة إلا على الخاضعين الذين ذلت نفوسهم لعظمة الله وخافت من عذابه.

٤٦- الذين يوقنون أنهم يلقون ربهم، فيجزئهم أجورهم ويزيدهم من فضله، وأنهم عائدون إلى الله للحساب والجزاء.

٤٧- يا بني يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم تذكروا نعمتي عليكم، فقوموا بحقها، وأمنوا برسولي، وتذكروا أنني فضلتكم على العالمين في زمانكم.

٤٨- واتقوا عذاب يوم القيامة، الذي لا تغني فيه نفس عن نفس شيئاً، ولا تقبل فيه شفاعة الشفعاء عند الله لمن مات على كفره، ولا يقبل منها فدية بدل العذاب، ولا يجدون أحداً يعينهم وينع عنهم عذاب الله تعالى.

٤٩- واذكروا وقت أن أنجينا آباءكم- وذلك فضل على الأبناء- من جماعة فرعون: وهو لقب لمن ملك مصر قديماً قبل البطالسة، يذيقونكم أشد العذاب، يقومون ببيع أبنائكم، وترك نسائكم أحياء للخدمة والمهنة، لقول بعض الكهنة لفرعون: إن مولوداً من بني إسرائيل، يكون هلاكك وذهاب ملكك على يده، وفي ذلك المذكور من الشر والعذاب، والإنجاء من آل فرعون اختبار شديد لترجعوا إلى ربكم.

٥٠- واذكروا أيضاً نعمتنا عليكم حين شققنا لكم البحر الأحمر حتى صار يابساً تمشون على أرضه، فأنجيناكم من البحر، وأغرقنا فرعون وقومه، وأنتم تنظرون إليهم وهم يفرقون.

٥١- واذكروا مواعيدتنا لموسى، وهي وعد من الله وقبول من موسى، بأن يأتي إلى الطور بعد أربعين ليلة، ليكلّمه الله ويوحى إليه، ويعطيه التوراة لتعملوا بها، ثم اتخذتم أيها الإسرائيليون العجل إلهاً، صاغه لكم السامري، فعبدتموه في غيبة موسى وذهابه إلى الطور لتلقي التوراة، وأنتم ظالمون لأنفسكم بعبادتكم العجل من دون الله تعالى.

٥٢- ثم محونا ذنوبكم وعفونا عنكم، من بعد عبادتكم العجل، لكي تشكروا فضل ربكم وعفوه عنكم.

٥٣- واذكروا حين آتينا موسى التوراة، وهو الكتاب الفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام، لكي تهتدوا به، وتعملوا بما جاء فيه.

٥٤- واذكروا حين قال موسى لقومه عبدة العجل: إنكم ظلمتم أنفسكم بعبادة العجل، فتوبوا إلى خالقكم، بقتل بعضكم بعضاً، فذلك خير لكم عند خالقكم للنجاة من عذاب الآخرة، فتقاتلوا حتى قتل منهم سبعون ألفاً، ثم أوقف القتال بأمر الله لموسى، وغفر الله لمن قُتل، وتاب على من بقي، إن الله كثير القبول للتوبة، رحيم بعباده التائبين.

٥٥- واذكروا حين قال السبعون الذين اختارهم موسى لمشاهدة الوحي وتلقي التوراة في الطور: لن نصدقك بما جئتنا به، حتى نرى الله عياناً بأبصارنا، فنزلت عليهم نار من السماء فأهلكتهم، وأنتم ترون ذلك معانية. وسبب ذلك: طلبهم ما لم يأذن به الله من رؤيته في الدنيا، أما في الآخرة فإن العباد يرون ربهم، بدليل الأحاديث المتواترة القطعية الدلالة.

٥٦- ثم أحيينكم بعد إماتتكم بالصاعقة، لكي تشكروني على نعمتي عليكم بإحيائكم.

٥٧- وفي مدة التيه في الصحراء بين مصر والشام جعلنا عليكم الغمام (السحاب) كالظلة يقيكم حرّ الشمس، لما امتنعوا من دخول مدينة الجبارين، وأنزلنا عليكم المن: مادة حلوة كالعسل تشكل مع الندى (الطل) على الشجر، والسلوى: هو الطير السمانى، يذبحونه ويأكلونه، كلوا من لذات الطعام في هذه الصحراء المقفرة، وما ظلمونا بعصيانهم أمرنا، وكفرهم نعمنا، ولكن ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب.

وَإِذْ يَخِيبُكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
يَدْعُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ
رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ٥١ وَإِذْ قَرَّبْنَا كَبَدَ الْفِرْعَوْنَ وَأَغْرَقْنَا آلَ
فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ٥٢ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً
نُّعْذِرُكَ بِعِبَادَةِ الْعِجْلِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ٥٣ ثُمَّ عَفَوْنَا
عَنكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٥٤ وَإِذْ آتَيْنَا
مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ٥٥ وَإِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُعْمِدُ إِلَّكَ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمْ
الْعِجْلَ فَوُتُّوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ
لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ٥٦
وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَىٰ أَنْ تَأْمُرْ بِكَ خَلْقَ ٱ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً
فَأَخَذْتُمْ الْأَصِصَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ٥٧ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ
مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٥٨ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ
وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَلِيئِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٥٩

٥٨. واذكروا أيضاً نعمتنا عليكم حين قلنا لا يأتكم بعد خروجهم من التيه: ادخلوا بيت المقدس، واكلوا منها حيث اردتم اكلاً هنيئاً كثيراً واسعاً، وادخلوا باب بيت المقدس منحنين خاشعين تواضعاً لله تعالى، وهو نوع من سجدة الشكر، وقولوا: حطة، أي نطلب منك يا رب إسقاط خطايانا وغفرانها، وستزيد المحسنين منكم بالشكر وطلب المغفرة إحساناً وثواباً وفضلاً.

٥٩. فبذلك الظالمون منهم كلامهم المقول لهم، وقالوا: «حطة» أو «حبة في شعرة» بدل «حطة» [البقرة ٥٨/٢ والأعراف ١٦١/٧] ودخلوا يزحفون على أستاههم، فأنزلنا على الظالمين أنفسهم بما خالفتهم أمرنا عذاباً من السماء بسبب عصيانهم وخروجهم عن الطاعة.

٦٠. واذكروا كذلك حين عطش آبائكم في صحراء التيه، فطلب موسى لهم السقيا، فقلنا له: اضرب الحجر بعصاك، فضربه بها، فأخرج الله الماء من الصخر، آية من الله، ونعمة عليهم، حينما فقدوا الماء، وخرج اثنتا عشرة عيناً من الماء بعدد الأسباط، لكل سبط عين لا يتعدها إلى غيرها، والأسباط: ذرية الاثني عشر من أولاد يعقوب، وقلنا لهم: كلوا المن والسلوى، واشربوا الماء المتفجر من الحجر، ولا تكثروا الفساد في الأرض.

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَفْسُكُمْ لَكُمْ حَطَايِكُمْ وَتَزِيدُ الْيَاسِينَ ٥٨ قَبْلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ٥٩ وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ٦٠ وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَى لَنْ نَضْرِبَ عَلَى طَعَامِكَ وَرِيقِكَ كُتَابًا لَكَ لَنْ نُخْرِجَكَ لَنَا إِنَّمَا تَنْتَبِهُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا قَالَ أَتَسْتَبِدُّونَ عَلَى الَّذِينَ هُوَ أَذَنِي بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْطُوا بِضُرٍّ فَإِنْ لَكُمْ تَعَالَى لَتَمْسَسَنَّ عَلَيْهِمُ الْدَّيْلَةَ وَالْمَسْكَنَةُ وَايَهُ وَغَضِبَ رَبُّ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ ٦١ بَانَ اللَّهُ وَيَقُولُونَ الْفِتْنَى بَعْثَ الْحَيِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ٦٢

٦١. واذكروا أيها اليهود حين قال أسلافكم: يا موسى، لن نستطيع الصبر على طعام واحد من المن والسلوى، لتكررهما كل يوم، فاسأل لنا ربك يخرج لنا بما تنبت الأرض من خضارها ويقولها كالنعناع والكرفس والخيار، وقمحها أو ثومها، وعدسها وبصلها المعروفين، قال: أنظلبون ما هو أحسن وأحقر بدلاً مما هو أحسن وأفضل، وهو المن والسلوى اللذان هما الد والبطيخ، ومن عند الله بغير واسطة أحد، ادخلوا بلاداً زراعياً، ففيها تجدون ما طلبتم من البقل والثوم وغيرهما، وأصبحوا في ذل وفقر وحاجة، وإن كانوا أغنياء، ورجعوا مستحقين غضب الله، وذلك كله بسبب كفرهم بالله، وقتلهم الأنبياء ظلماً وعدواناً بغير حق، كشعيب وزكريا ويحيى، وهم يعلمون أنهم ظالمون يقتلهم، وذلك العقاب بسبب عصيانهم وأمر الله، واعتدائهم على أنبيائه.



٦٢- إِنْ الَّذِينَ صَدَقُوا النَّبِيَّ ﷺ وَصَارُوا مِنْ أَتْبَاعِهِ، وَالَّذِينَ صَارُوا يَهُودًا، وَالنَّصَارَى الَّذِينَ نَصَرُوا الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالصَّابِئِينَ: وَهُمْ الَّذِينَ تَرَكَوا الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ وَعَبَدُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنُّجُومَ، وَمِنْهُمْ جَمَاعَةٌ فِي الْعِرَاقِ، مِنْ أَمْنٍ مِنْ هُزْلَاءِ الطَّوَافِ الْأَرْبَعِ، إِيْمَانًا حَقًّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَعَمَلٍ صَالِحٍ الْأَعْمَالِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا، فَلَهُمْ ثَوَابُ عَمَلِهِمُ الصَّالِحِ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ مِنْ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ فِي الدُّنْيَا. نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَصْحَابِ سُلَيْمَانَ الْفَارِسِيِّ، أَخْرَجَ الْوَاحِدِي عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: لَمَّا قَصَّ سُلَيْمَانُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِصَّةَ أَصْحَابِهِ، قَالَ: هُمْ فِي النَّارِ، قَالَ سُلَيْمَانُ: فَاطْلَمْتُ عَلَى الْأَرْضِ، فَنَزَلَتْ: ﴿إِنْ الَّذِينَ...﴾ قَالَ: فَكُنَّا كَشَفَ عَنِّي جَبَلٌ.

٦٣- وَادْكُرُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ حِينَ أَخَذْنَا عَلَيْكُمْ الْعَهْدَ الْمُؤَكَّدَ بِالْعَمَلِ بِمَا فِي التَّوْرَةِ، وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ جَبَلَ الطُّورِ الَّذِي نَاجَى مُوسَى رَبَّهُ عَلَيْهِ، وَقُلْنَا لَكُمْ: خُذُوا مَا أَمَرْنَاكُمْ بِهِ فِي التَّوْرَةِ، بِجِدِّ وَاهْتِمَامٍ، وَادْرَسُوا مَا جَاءَ فِي التَّوْرَةِ وَاعْمَلُوا بِهِ، لِكَيْ تَتَّقُوا عَذَابِي، وَتَفُوزُوا بِرِضَائِي.

٦٤- ثُمَّ أَعْرَضْتُمْ عَنِ الْمِيثَاقِ الْمَأْخُوذِ عَلَيْكُمْ، وَتَرَكْتُمُ الْعَمَلَ بِمَا أَمَرْتُمْ، مِنْ بَعْدِ قَبُولِ الْمِيثَاقِ وَرَفْعِ الْجَبَلِ فَوْقَ رُؤُوسِكُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ عَلَيْكُمْ، فَلَوْلَا تَدَارِكُكُمْ بِلُطْفِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ بِكُمْ، بِتَوْفِيقِكُمْ لِلتَّوْبَةِ وَإِعْلَانِهَا، لَكُنْتُمْ مِنَ الْهَالِكِينَ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ الْمُهِنِ.

٦٥- وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَيُّهَا الْيَهُودُ شَأْنَ آبَائِكُمْ وَهُمْ يَهُودُ إِيلَاتِ الَّذِينَ خَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ، فَاصْطَادُوا السَّمَكَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَكَانَ مُحَرَّمًا فِيهِ، لِقَصْرِهِ عَلَى الْعِبَادَةِ بِشَرِيعِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، مُحْتَالِينَ عَلَى ذَلِكَ بِإِقَامَةِ الْأَحْوَاضِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، لَتَقَعَ الْأَسْمَاكُ فِيهَا بِعَمَلِيَّةِ الْمَدِّ الْبَحْرِيِّ وَالْجُزْرِ، فَمَسَخُوا قُرْدَةً وَصُيِّرُوا أَذْلَاءَ صَاغِرِينَ مَبْعَدِينَ مَطْرُودِينَ.

٦٦- فَجَعَلْنَا عَقُوبَةَ قَرِيَةِ إِيلَاتِ فِي الْعَقْبَةِ الْمَخَالِفَةِ عِبْرَةً مَانِعَةً مِنْ ارْتِكَابِ مِثْلِهَا، لِلْقُرَى الْمَوْجُودَةِ أَمَامِهَا وَفِي عَصْرِهَا، وَلَمَّا يَأْتِي بَعْدُهَا، وَتَذَكُّرَةً لِلْمُؤْمِنِينَ الْأَتْقِيَاءِ الَّذِينَ يَأْتُونَ بَعْدَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

٦٧- وَادْكُرُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ حِينَ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ بِذَبْحِ بَقَرَةٍ، لِمَعْرِفَةِ قَاتِلِ شَخْصٍ غَنِيٍّ عَقِيمٍ لَيْسَ لَهُ إِلَّا وَارثٌ وَحِيدٌ، وَهُوَ ابْنُ أَخِيهِ، قَتَلَهُ لِيَرْتَهُ، ثُمَّ أَلْقَاهُ عَلَى بَابِ رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ، ثُمَّ أَصْبَحَ يَدْعِيهِ عَلَيْهِمْ، كَمَا رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عَمِيدَةِ السُّلَمَانِيِّ، فَقَالُوا لِمُوسَى: أَنْتَ هَؤُلَاءِ بَنَاءُ، وَتَسْخَرُ مِنَّا؟ فَقَالَ لَهُمْ: أَسْتَجِيرُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ السُّفَهَاءِ أَهْلِ الْجَهْلِ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ، فَكَيْفَ أَنْسِبُ إِلَيْهِ أَمْرًا لَمْ يَأْمُرْ بِهِ؟!

٦٨- قَالُوا: أَسْأَلُ رَبِّكَ أَنْ يَبَيِّنَ لَنَا صِفَةَ هَذِهِ الْبَقَرَةِ، قَالَ: إِنَّهُ يَقُولُ: إِنَّهَا بَقَرَةٌ، لَا مِثْسَةَ وَلَا بُكَرَ صَغِيرَةٍ، مَتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ، فَافْعَلُوا مَا تَوْمَرُونَ لِمَعْرِفَةِ الْقَاتِلِ، وَلَا تَتَشَدَّدُوا.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ
مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا
فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَاءً آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا
مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ عَهْدٍ ذَلِكَ
فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ
﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ
فَقَاتِلًا لَهُمْ كُنُوا قُرَّةَ عَيْنٍ ﴿٦٥﴾ فَعَلْنَاهَا
نَكَلًا لِمَا يَنْ يَدِينَهَا وَمَا خَلَقْنَاهَا وَمَوْعِظَةً لِّلَّتَّابِينَ
﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا
بَقَرَةً قَالُوا أَتَأْخُذُنَا هَذَا قَالِ أَغُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ
مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا أَذْهَبْنَا بِكَ يَكُونُ لَنَا
مَا هِيَ قَالِ إِنَّكَ تَقُولُ إِنَّمَا بَقَرَةٌ لَا فَادِرَ
وَلَا بُكَرَ عَوَانَ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تَوْمَرُونَ ﴿٦٨﴾

٦٩- قالوا لموسى مرة أخرى: اسأل ربك بين لنا ما لونها؟ قال موسى: يقول الله تعالى: إنها بقرة صفراء اللون، شديدة الصفرة، تبهج الناظرين وتعجبهم في حسن منظرها ولونها.

٧٠- قالوا لموسى أخيراً: اسأل ربك بين لنا حالة هذه البقرة، أسائمة أم عاملة؟ لأن جنس البقر تشابه علينا، لكثرة الأبقار الصفرة المتوسطة السن، فلا ندرى أي بقرة يريدنا الله، ونحن مهتدون بمشيئة الله إلى البقرة المطلوبة إذا أخبرتنا.

٧١- قال لهم موسى: إن الله تعالى يقول لكم: إنها بقرة غير مذللة بالعمل، فلا تحرث الأرض، ولا تستخدم في سقي الزرع، كالدواب النواضح الأخرى المستعملة لإخراج المياه من الآبار، بريشة من العيوب، خالصة الصفرة لا يخالطها لمعة أو بقعة من لون آخر، قالوا: الآن نطق بالبيان أو الوصف التام، فوجدوها عند فتى بار بأمه، فشروها بثمن غال جداً، وذبحوها وما كادوا يفعلون، لغلاء ثمنها، ولو ذبحوا أي بقرة كانت قبل هذه الأسئلة، لأجزأتهم، ولكن شددوا، فشدد الله عليهم، كما روى أبو هريرة.

قَالُوا ادْعُ لَكَ رَبِّكَ مَبِينٌ لَّنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَكَ رَبِّكَ مَبِينٌ لَّنَا مَا هِيَ إِنْ الْبَقَرُ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا نِيسَةَ فِيهَا قَالُوا أَتَى النَّاسَ جَنَّتٌ بِالنَّحْيِ ذَبَحُوهَا مَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهَ بِضَرْبِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَخَجَّجُ مِنْهُ الْآتَنُّهُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَسْقَى فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ أَفَتُكْفَرُونَ أَنْ يَبْعَثُوهَا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ لَنَحْزَنُهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا عَقِلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

٧٢- واذكروا حين قتل بعضكم نفساً، فتخاصمتم وتنازعتن فيمن هو القاتل؟ والله مظهر ما كنتم من أمر القتل، لإخفائه على الحاكم.

٧٣- فقلنا: اضربوا القتل بأحد أعضاء البقرة المذبوحة، فضرَبوه، فأحياء الله، فأخبرهم عن القاتل، وهكذا يحيي الله الأموات يوم القيامة كمثل هذا الإحياء، ويريكهم علاماته الدالة على كمال قدرته، لكي تدركوا قدرة الله تعالى، وتندبروا في أمر البعث.

٧٤- ثم صُلِّبَتْ قلوبكم عن قبول الحق، ولم تدعن لآيات الله من بعد رؤية هذه الحادثة، فهي كالحجارة قسوة وصلابة، أو أشد قسوة منها، بل إن من الحجارة لآكين من قلوبكم، فينبع من بعضها ماء الأنهار، وبعضها يتصدع، فتخرج منه العيون الصغيرة، وبعضها يهوي من خوف الله كسقوط الجبل أمام موسى، وقلوبكم لا تلين، والله حافظ لأعمالكم ومجازيك عليها يوم القيامة.

٧٥- أنطمعون أيها المؤمنون أن يصدق اليهود برسالة نبيكم محمد ﷺ؟ وقد كان بعض أحبارهم يقرؤون كلام الله في التوراة، ثم يحرفونه بالزيادة أو النقص أو تبديل شيء بغيره، لتحريم الحلال، وتحليل الحرام بحسب أهوائهم، كتحريقهم صفة رسول الله ﷺ بجعله طويلاً أسمر بدلاً من «متوسط الطول أبيض» وإسقاط الحدود عن أشرفهم، يحرقونه من بعد ما فهموه بعقولهم، وهم يعلمون أنهم مبطلون كاذبون. ونزلت هذه الآية في الذين غيروا آية الرجم وصفة محمد ﷺ، كما ذكر الواحد.



وَإِذْ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَأَنبَاءُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا خُلَافَةُ لَهُمْ إِلَىٰ غَيْرِ
قَالُوا اتَّخَذُوا لَهُمْ سَمْعًا لَّيْسَ لَهُمْ سَمْعٌ إِلَّا بِمَا يَشَاءُونَ ٧٦
فَلَا تَعْلَمُونَ ٧٧
وَمِنْهُمْ أَتَمَنَّا أَنْ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانًا وَإِنْ هُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ٧٨
قَوْلِ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ يَرْثُونَ
هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَئِيْشْرًا بِهِمْ ثُمَّ قَلِيلًا قَوْلُهُمْ عَمَّا كُتِبَ
أَيْدِيهِمْ وَيُؤْتِيهِمْ لَمْ يُكْتَبُ لَهُمْ ٧٩
وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّ النَّارَ
إِلَّا أَنَّمَا تَعْلُدُونَ فَلَا تَحْزَنُوا عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ تُخْلَفَ ٨٠
عَهْدُهُ وَأَمْ تَتَوَلَّوْنَ عَلَىٰ آلَاءِهِ لَا تَعْلَمُونَ ٨١
بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأُخْطِطَ بِهِ حَرِيْقَةً وَأُولَٰئِكَ الْأَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ الْأَصْحَابُ الْجَنَّةِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٨٢
وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنِي إِسْرَءِيلَ أَنْ تَعْبُدُوا
إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَرَأَوْا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَفُوتُوا الْوَعْدَ وَأَنزَلْنَا
رُزْقَهُمْ شُرُفًا ٨٣

٧٦- وإذا لقي منافقو اليهود الذين آمنوا، قالوا: آمنا بأن محمداً رسول الله، وإذا اختلوا مع بعضهم، قالوا لبعضهم الذي أفشى للمسلمين ما في التوراة من صفات رسول الله ﷺ وكل ما يدل على صدقه، وأخبر بما عذب به آبائهم: كيف تحدثون أتباع محمد بما علمكم الله في كتابكم، وبما أنزل الله عليكم في التوراة بدلالات صدقه، فيكون ذلك حجة لهم عليكم؟ أفلا تدركون أن ما تخبرون به هو حجة عليكم؟! قال ابن عباس: كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا أن صاحبكم رسول الله، ولكنه اليكم خاصة.

٧٧- أو لا يعلم هؤلاء اليهود أن الله يعلم ما يخفون من الكفر والتكذيب، وما يظهرون من النفاق، فسواء أعلتكم أم أسرتم، فإن الله سيجازيكم على أعمالكم.

٧٨- ومن اليهود أميون لا يقرؤون ولا يكتبون، لا يعرفون من التوراة إلا أنبياء وأكاذيب تلقوها عن أحبارهم، وما هم في هذه الادعاءات والأكاذيب إلا أصحاب ظنون موهومة، لا حقيقة لها ولا علم لهم بها.

٧٩- هلاك ودمار وعذاب للذين يحرقون التوراة بأيديهم الأثيمة، فهم يعلمون أنه من عند أنفسهم، وهم يزعمون في المحافل أنه من عند الله، ويوهمون أنه من التوراة، ليقبضوا قيمة التحريف شيئاً خسيساً

من الدنيا، فعذاب لهم على التحريف والتزوير، وعذاب لهم على الأموال المكتسبة ثمن التحريف لكلام الله. نزلت الآية كما قال العباس في أحبار اليهود الذين غيروا صفة النبي ﷺ وبدلوا نعته.

٨٠- وقالت اليهود: لن تصيبنا النار إلا أياماً قليلة أربعين يوماً مدة عبادة آبائهم العجل، قل لهم أيها النبي: هل أخذتم من الله وعداً ألا يعذبكم إلا هذه المدة، وحيث لا يخلف الله وعده؟ بل في الواقع تفترون على الله الكذب. روى الطبري عن ابن عباس: أن اليهود قالوا: لن ندخل النار إلا تحلة القسم، الأيام التي عبدنا فيها العجل أربعين ليلة، فإذا انقضت، انقطع عنا العذاب، فنزلت الآية.

٨١- ليس الأمر كما زعمتم أيها اليهود، بل سيدخل النار كل من كفر بالله وكذب رسله، وكل من أشرك وارتكب خطيئة ولم يتب منها، وأحاطت به سيئته ومات على كفره، فهم أهل النار، ما كوث فيها إلى الأبد.

٨٢- والذين آمنوا بالله وصدقوا برسالة رسوله، وعملوا الأعمال الصالحة التي أمر الله بها، هم أهل الجنة، مقيمون فيها على الدوام.

٨٣- واذكر أيها الرسول مضمون الميثاق المأخوذ على بني إسرائيل: وهو إفراد الله بالعبادة، والإحسان إلى الوالدين بالمعاشرة بالمعروف والتواضع لهما وامتثال أمرهما، والإحسان إلى القرابة بصلة الرحم وأداء الحقوق، والإحسان إلى الأيتام الذين فقدوا آباءهم في الصغر قبل البلوغ، وإلى المساكين الذين ليس لديهم ما ينفقون على حوائجهم، والقول الحسن للناس بالكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة، وإقامة الصلاة في أوقاتها، وإيتاء الزكاة للمستحقين، ثم عرضتم أيها اليهود عن هذا الميثاق، فلم تعملوا به إلا العدد القليل منكم كعبد الله بن سلام وأصحابه الذين نفذوا الميثاق، وأنتم معرضون عن تنفيذه كفرًا وعنادًا.

٨٤- واذكروا يا معشر اليهود حين أخذنا العهد المؤكد عليكم في كتابكم التوراة ألا يقتل بعضكم بعضاً، وألا يخرجوه أو يطرده من داره كرهاً أو ظلماً، ثم اعترفتم وقبلتم بالميثاق المأخوذ عليكم، وأنتم تشهدون على أنفسكم بذلك، وتقرون بهذا العهد، وتعلمون أنه عهد الله في التوراة.

٨٥- ثم أنتم هؤلاء المشاهدون الحاضرون في عهد النبي ﷺ تخالفون ما أخذه الله عليكم في التوراة، فيقتل بعضكم بعضاً، وتعينون المشركين على أبناء دينكم، بتعريضهم للقتل وطردهم من منازلهم، بلا سبب يحل به ذلك، وإنما بالمعصية والظلم، وإن أسر الأعداء أحداً منكم، وجاءكم يطلب الفداء لنفسه، أنقذتموه من الأسر بدفع الفدية، إيماناً بما في التوراة، أي لا تنقلون من تعاليم التوراة إلا فداء الأسرى فقط، علماً بأنه محرم عليكم إخراجهم من ديارهم، وهذا توبيخ على تناقضهم؛ لأن الأسر نتيجة الإخراج من الديار، فكيف تفعلون الشيء وتبطلون نتيجته؟! وكيف تصدقون ببعض التوراة الذي يوجب المفاداة، وتكفرون ببعضه الآخر الذي يحرم القتل

وَأَذْهَبْنَا مِيثَاقَكُمْ لَاسْفَكونَ دِمَائِكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تُشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فِرْقًا مِنْكُمْ دِينَارَهُمْ تَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِشْرَاءِ الْعُدُولِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَقُولُوا هُمْ وَهُمْ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَاِجْزَاءَ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ الْآخِرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَحْصِفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرِّسَالِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقْنَا كَذِبُكُمْ وَفَرِقًا تَقُولُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَأْوَاهُمْ سُورَةُ

والإخراج؟! وذلك بسبب تحالف بني قينقاع مع الخزرج، والنضير وقريظة مع الأوس، وإعانة كل فريق حلفاء على إخوانه. فالجزء على هذا التناقض خزي وذل في الدنيا، وأشد العذاب في الآخرة بسبب التلاعب بآيات الله، والله مطلع على أعمالكم ومجازيكم عليها.

٨٦- أولئك اليهود الذين استحبوا قليل الدنيا على كثير الآخرة، وباعوا نعيم الآخرة الدائم بمتاع الدنيا الزائل، فلا يخفف عنهم عذاب القيامة، ولا ينصرهم أحد فيمنع عنهم العذاب.

٨٧- ولقد آتينا موسى التوراة، وأتبعناه ببعثة أنبياء بني إسرائيل من بعده، وآتينا عيسى ابن مريم المعجزات الدالة على صدقه في آية (٤٩) من سورة آل عمران (٣) وهي إحياء الموتى وخلق الطير بإذن الله، وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله، والإخبار بالمغيبات، وإنزال المائدة من السماء، وإنزال الإنجيل عليه، وقويناه بروح القدس أي الطاهر وهو جبريل، أفكلما جاءكم أيها اليهود رسول بغير ما يوافق ويلاتم أنفسكم، استكبرتم عن إجابته، احتقاراً للرسل، فريقاً كذبتم كعيسى ومحمد، وفريقاً قتلتم كزكريا ويحيى؟!

٨٨- وقال اليهود للنبي ﷺ لما دعاهم للإسلام: قلوبنا مغلقة ومغطاة بأغطية تمنعها من الاستجابة لدعوتك، وهذا دليل على أن الكفر عناد ومكابرة، لذا أبعدهم الله من رحمته بسبب كفرهم وعدم مبادرتهم إلى الإيمان، فلا يؤمنون إلا قليلاً، وهو الإيمان ببعض الكتاب، ولا يؤمن منهم إلا قليل.

٨٩- ولما جاء اليهود القرآن، مؤيِّداً لما معهم من التوراة والإنجيل، وكانوا قبل مجيئه يطلبون من الله النصر على أعدائهم بالنبي المبعوث آخر الزمان، الموصوف عندهم في التوراة، فلما جاءهم الرسول الذي عرفوا وصفه، كفروا به حسداً؛ لأنه ليس منهم، فاللعة على الكافرين، أي الطرد من رحمة الله. وسبب النزول: ما أخرج ابن إسحاق وابن أبي حاتم عن ابن عباس: أن يهود كانوا يستفتحون على الأرس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب، كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فنزلت الآية.

٩٠- بش الشيء الذي باعوا به أنفسهم، فأوقوا أنفسهم في نار جهنم، بسبب الكفر بما أنزل الله على رسوله من القرآن حسداً ومنافسة، على أن ينزل الله وحياً على نبي من غير بني إسرائيل؛ لأن محمداً ﷺ كان من العرب، وليس منهم، فرجع اليهود بسخط عليهم من الله لكفرهم برسالة محمد، على سخط سابق لتحريفهم أحكام التوراة وكفرهم بعبسى، ولل كفار عذاب ذو إهانة.

٩١- وإذا قيل لليهود: صدقوا بالقرآن، قالوا: نصدق بالتوراة المنزل علينا، ويكفرون بما سواه من الكتب الأخرى، فوراءه أي غيره، والقرآن حق مؤيد للتوراة؛ لأن كتب الله يؤيد بعضها بعضاً، قل لهم أيها النبي: إن كنتم مؤمنين بما أنزل عليكم، فكيف تقتلون أنبياء الله الذين حرم الله عليكم قتلهم؟ والخطاب وإن كان للحاضرين زمن النبي ﷺ فالمراد به أسلافهم، وصح خطابهم لرصاهم بما فعل أسلافهم، فكانوا مثلهم.

٩٢- ولقد جاءكم موسى بالمعجزات الدالة على صدقه، كَفَرَّقَ البحر وتظليل الغمام، وهي الآيات التسع [الإسراء ١٧/ ١٠١] ثم عبدتم العجل الذي صنعه السامري، واتخذتموه إلهاً من بعد مجيء موسى بالبينات، وأنتم كافرون لعبادتكم ما لا يستحق العبادة.

٩٣- واذكروا أيها اليهود حين أخذنا عليكم العهد المؤكد على العمل بالتوراة، ورفعنا فوقكم جبل الطور (في الآية السابقة ٦٣) وقلنا لكم: اعملوا بالتوراة بجد واجتهاد، وأطيعوا وأقبلوا ما تؤمرون به، فقلتم: سمعنا قولك وعصينا أمرك، أي لا نقبل أمرك، وتمكن في قلوبكم أو امتزج حب عبادة العجل بسبب كفركم، قل لهم أيها الرسول: بشما يأمركم به إيمانكم الذي زعمتم، إن كنتم مؤمنين بما أنزل عليكم، وتكفرون بما وراءه.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِشْمَا أَشْرَوَاهُ بِانْفُسِهِمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَعِثْنَا نَزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءَ وَيَصِيبُ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ امْنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَأْمِنُوا بِمَا نَحْنُ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ؕ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اخْتَلَفْتُمْ إِلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَوْا فِي قُلُوبِهِمْ أَنْ يَجْعَلَ لِكُفْرِهِمْ قُلْ بِشْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ ؕ إِنِّي أَمْرُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

٩٤- قل لهم أيها النبي: إن كانت لكم الجنة، خاصة بكم، من دون جميع الناس كما زعمتم، فتمنوا الموت لتفوزوا بالجنة؛ لأن من كان موقناً أنه من أهل الجنة، كان الموت أحب إليه من الحياة، إن كتتم صادقين في زعمكم. وسبب النزول: ما أخرج الطبري عن أبي العالية قال: قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، فنزلت الآية.

٩٥- ولن يتمنى اليهود الموت، بسبب ما فعلوه من الذنوب والآثام، كالتحريف والتكذيب؛ فهم غير آمنين من العذاب، بل ولا طامعين في دخول الجنة، والله عليم بالكافرين ومجازيهم.

٩٦- ولتجدن اليهود يا محمد أشد الناس حرصاً على حياة الدنيا، وأحرص من الذين أشركوا الذين لا يؤمنون بالبعث ولا بالآخرة والجزاء، يتمنى اليهودي، لو يطول عمره ألف سنة، وما التعمير بمزحزحه أو مبعده من عذاب الله، فهما عاش، فلا بدّ له من الموت، والله بصير بعملهم في الدنيا، وسيجازيهم في الآخرة.

٩٧- قل أيها الرسول لليهود الذين عادوا جبريل لنزوله بالعذاب وإخبارهم بتخريب بيت المقدس على

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ إِلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْسِيهِ مِمَّنْ الْعَذَابِ إِنَّ يُعَمَّرُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ لِمَن كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوْ كَلِمَاتٍ عَهْدًا وَعَهْدًا تَبَدَّلَ فِيهِمْ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلَّ أَكْثَرُهم لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ تَبَدَّلَ فِيهِمْ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ آوَوْا إِلَى الْكِتَابِ كَتَبَ اللَّهُ فِي رَأْيِهِمْ ظُهُورَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

يد بختنصر أو غيره: من كان عدواً لجبريل، فإن جبريل نزل القرآن على قلبك بأمر الله، لا بأمر نفسه، موافقاً للكتب السماوية السابقة كالطوراة والإنجيل، وهدي للناس من الضلال، وبشرى للمؤمنين بحسن العاقبة. قال الطبري: أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم.

٩٨- من كان عدواً لله وملائكته، وجبريل وميكائيل، فقد كفر، والله عدو للكافرين، فمن عادى أولياء الله، فقد عادى الله تعالى، والله يعاديه ويؤاخذه. وخص جبريل وميكائيل بالذكر؛ لأنهما أشرف من بقية الملائكة.

٩٩- ولقد أنزلنا إليك أيها النبي علامات واضحات على نبوتك، ولشدة وضوحها لا يكفر بها إلا الفسقة الخارجون عن أمر الله. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: أن عبد الله بن سوريا قال للنبي ﷺ: يا محمد، ما جفتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بينة، فنزلت هذه الآية.

١٠٠- أو كلما أعطى اليهود عهداً مؤكداً على العمل بالتوراة، طرحه ونقضه فريق (طائفة) منهم، بل أكثر هؤلاء اليهود لا يؤمنون بالله ورسله، فكيف يحترمون عهده؟! وسبب النزول: أن مالك بن الصيف بعد البعثة النبوية قال: والله ما عهد إلينا في محمد، ولا أخذ علينا ميثاقاً، فنزلت الآية.

١٠١- ولما جاء اليهود رسول من عند الله هو محمد ﷺ تتفق أوصافه بما جاء في كتبهم، موافق للتوراة، طرح ورفض فريق منهم وهم أحبار اليهود التوراة، ولم يعملوا بما جاء فيها، كأنهم لا يعلمون شيئاً من التوراة، فعملوا عمل من لا يعلم.

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمٍ وَمَا كَفَرُ
سُلَيْمٍ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ
السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكِ بْنِ بَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ
وَمَا يَعْزِمَانِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَقْتَهُ فَلَا تَحْكُمُ
فِيهِمَا لَهُمَا نَافِلَةٌ فَإِذَا تَخَفَا وَرَوَّحَا
وَمَا هُم بِضَآئِرٍ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ
مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا الْبَنِي إِسْرَءِيلَ
مَا لَمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ
أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا
لَنُثَبِّتَنَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْكَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٧﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْ
نَا وَاسْمِعُوا لِلْكَافِرِينَ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿١٠٨﴾ مَا يُؤَذُّ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ
أَنْ يُتَدَلَّ عَلَيْهِمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ
بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٩﴾

١٠٢- واتبع اليهود ما تروي وتقول شياطين أو
خبشاء الإنس المشعوذون السحرة على عهد ملك
سليمان، ظانين أنه ما سخر الريح والجن إلا بالسحر،
وأنه كان يستجيزه، ولم يكفر سليمان بفعل السحر
وتعلمه ولم يكن ساحراً؛ لأن السحر كفر، ولكن
الشياطين المذكورين هم الذين كفروا بتعليم الناس
السحر وفعله، بقصد إغوائهم وإضلالهم،
ويعلمونهم أيضاً ما أنزل على الملكين: هاروت
وماروت الموجودين ببابل: بلد بالعراق، وكان هذان
الملكان يعلمان الناس السحر ليجتنبوه، وكنا في
الأصل من الملائكة، وأهبطا إلى الأرض بطلبهما. وما
يعلمان أحداً إلا قالاً له: لا تفعلوا كذا ولا تكفروا،
ونحن فتنة، أي ابتلاء واختبار من الله لعباده،
ويتعلم الناس منهما ما يسبب التفريق بين الزوجين
بزرع الكراهية والبغضاء بينهما، وللسحر حقيقة ثابتة
عند الجمهور غير المعتزلة وأبي حنيفة، وله تأثير في
القلوب في هذا المجال، ولكنه لا يفسر إلا بما يأذن الله
به، ويتعلم الناس السحر الذي يضر في الدين، ولا
ينفع في الدنيا، لأنه ضرر محض، ولقد علم اليهود
أن من اختار السحر بدلاً عن كتاب الله، ليس له نصيب
من الجنة، وليبس ما باعوا به أنفسهم بالسحر عوضاً

عن دينهم، وتركهم العمل بما علموا، لو علموا ما ينتظرهم من العذاب.

وسبب النزول: ما أخرجه محمد بن إسحاق والطبري وغيرهما: قال بعض أحبار اليهود: ألا
تعجبون من محمد، يزعم أن سليمان كان نبياً؟ والله ما كان إلا ساحراً، فنزلت الآية.

١٠٣- ولو أن متعلمي السحر آمنوا بالله ورسوله، واتقوا الله، فعملوا بأوامره، واجتنبوا نواهيه، وما وقعوا فيه
من السحر والكفر، لكان لهم ثواب هو خير لهم من السحر ومكاسبه، ولو علموا ذلك لما أخذوا بالسحر، ولا
تركوا الإيمان والتقوى.

١٠٤- أيها المؤمنون، لا تقولوا: ﴿راعنا﴾ من المراجعة والاهتمام؛ لأن هذه كلمة سب قبيح عند اليهود، من
الرعون، وقولوا: ﴿انظرننا﴾ أي انظر إلينا وأقبل علينا لنفهم قولك، واسمعوا سماع قبول وطاعة للشرع
والرسول. وللکفار الذين يؤذون الرسول عذاب مؤلم يوم القيامة. وسبب النزول: ما ذكره ابن عباس: أن
اليهود استعملوا كلمة ﴿راعنا﴾ لسب النبي ﷺ، ففطن لذلك سعد بن معاذ، فهدد القائل بالقتل،
فقالوا: ألسنتم تقولونها؟ فنزلت الآية.

١٠٥- ما يتنى كفار أهل الكتاب من اليهود وعبد الأوثان، لشدة عداوتهم وبغضهم المسلمين أن ينزل أي خير
من الوحي أو غيره على المؤمنين، ومنه القرآن، والله يختص بالنبوة والهداية من يشاء من العباد، والله صاحب
الفضل العظيم الذي لا يتأخر. وسبب النزول: أن المسلمين كانوا إذا قالوا لخلقاتهم من اليهود: آمنوا
بمحمد ﷺ قالوا: هذا الذي تدعوننا إليه، ليس بخير مما نحن عليه، ولوددنا لو كان خيراً، فانزل الله
تعالى تكذيباً لهم.

١٠٦- ما تبدل أو تغير حكم آية، أو منحها من الذاكرة فتناسها حتى لا تُقرأ، إلا أننا بما هو أنفع للناس منها عاجلاً أو آجلاً، أو بمثيل لها في النفع، سواء أكان الناس أخف أم أثقل وهو ذو ثواب أكثر، ألم تعلم أيها النبي أن الله قادر على كل شيء، ومنه نسخ الأحكام تحقيقاً لمصلحة العباد. وسبب النزول: أن المشركين حينما سمعوا بالنسخ، قالوا: ما في هذا القرآن إلا كلام محمد، يقوله من تلقاء نفسه، وهو كلام يناقض بعضه بعضاً، فنزلت الآية وآية النحل ١٦/١٠١.

١٠٧- ألم تعلم أيها النبي أن الله مالك السموات والأرض، والمتصرف فيهما بالإيجاد والإعدام ونفوذ الأمر بمقتضى مصالح العباد، وليس لكم أيها الناس غير الله يتولى أموركم ويتصرمكم على أعدائكم. نزلت هذه الآية في قريش حين قالوا: يا محمد، اجعل لنا الصفا ذهباً، وومع لنا أرض مكة، وفجر الأنهار خلالها تفجيراً، نؤمن بك، فانزل الله تعالى هذه الآية. وقال المفسرون: نزلت رداً على اليهود والمشركين المطالبين بهذه المطالب، وهو الأولي.

١٠٨- بل أتريدون سؤال رسولكم محمد ﷺ أسئلة تعجيزية كالإتيان بالله والملائكة قبلاً، مثلما سئل موسى من قبل أن يريهم الله جهرة؟ فتضلوا كما ضلوا، ومن يفضل الكفر على الإيمان، فقد حاد عن الطريق المستقيم أي طريق طاعة الله. أخرج الطبري عن مجاهد قال: سألت قريش محمد أن يجعل لهم الصفا ذهباً، قال: نعم، وهو لكم كالمائدة لبني إسرائيل، إن كفرتم، فأبوا ورجعوا، فنزلت الآية.

١٠٩- غنى وأحب الكثير من اليهود لو يرجعونكم إلى الكفر، حسداً منهم على توفيق الله لكم وإرشادكم، من بعد تبينهم الحق أن محمداً رسول الله، فتجاوزوا عن سيئاتهم وأصفحوا عما بدر منهم من عداوة، والعفو: ترك المؤاخذه بالذنب، والصفح: محو أثر الذنب، حتى يأذن الله بقتالهم أو إجلائهم أو فرض الجزية عليهم، والله تام القدرة على كل شيء. قال ابن عباس: نزلت في نفر من اليهود قالوا للمسلمين بعد وقعة أحد: ألم تروا إلى ما أصابكم ولو كنتم على الحق، ما هُزمت، فارجعوا إلى ديننا، فهو خير لكم.

١١٠- وأدوا الصلاة كاملة الأركان والشروط، وادفعوا الزكاة المفروضة للمستحقين، وما تقدموا من أعمال الخير والطاعة في الدنيا، تجددوا ثوابه عند الله في الآخرة، والله لا يخفى عليه شيء قليل أو كثير.

١١١- وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا اليهودي، وقالت النصارى: لن يدخلها إلا النصراني، تلك مجرد غمريات وشهوات يتمنونها بغير حق، قل لهم أيها النبي: أحضروا دليلكم وحجتكم على زعمكم، إن صدقتم في مزاعمكم وأمانيتكم ودعاويكم الباطلة.

١١٢- ليس الأمر كما تقولون، بل يدخل الجنة من أسلم ذاته لله، وأخلص دينه وعبادته لربه، وهو محسن عمله، فله ثواب إيمانه وعمله عند ربه يوم القيامة، ولا خوف عليهم من العذاب، ولا يحزنون على ما فاتهم في الدنيا، بل هم في طمأنينة ونعيم.

مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ لَمْ تَكُنْ آيَةً فَتَنَسَّاهَا حَتَّى لَا تُفْرَأَ، إِلَّا أَنَّا بِنَا هُوَ أَنْفَعُ لِلنَّاسِ مِنْهَا عَاجِلًا أَوْ آجِلًا، أَوْ بِمِثْلِهَا فِي النِّفْعِ، سَوَاءٌ أَكَانَ النَّاسُ أَخْفَ أَمْ أَثْقَلَ وَهُوَ ذُو ثَوَابٍ أَكْثَرَ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَيُّهَا النَّبِيُّ أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْهُ نَسَخَ الْأَحْكَامَ تَحْقِيقًا لِمَصْلَحَةِ الْعِبَاد. وَسَبَبُ النِّزُولِ: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ حِينَ سَمِعُوا بِالنِّسْخِ، قَالُوا: مَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ إِلَّا كَلَامُ مُحَمَّدٍ، يَقُولُهُ مِنْ تَلَقُّاءِ نَفْسِهِ، وَهُوَ كَلَامٌ يَنَاقِضُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَنُزِلَتِ الْآيَةُ وَآيَةُ النَّحْلِ ١٦/١٠١.

١٠٧- أَلَمْ تَعْلَمْ أَيُّهَا النَّبِيُّ أَنَّ اللَّهَ مَالِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالتَّصَرُّفُ فِيهِمَا بِالْإِبْدَاعِ وَالْإِعْدَامِ وَنَفْذُ الْأَمْرِ بِمُقْتَضَى مَصَالِحِ الْعِبَادِ، وَلَيْسَ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ غَيْرُ اللَّهِ يَتَوَلَّى أُمُورَكُمْ وَيَتَصَرَّمُكُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمْ. نُزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي قُرَيْشٍ حِينَ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، اجْعَلْ لَنَا الصِّفَا ذَهَبًا، وَوَمِعْ لَنَا أَرْضُ مَكَّةَ، وَفَجِّرِ الْأَنْهَارَ خِلَالِهَا تَفْجِيرًا، نُؤْمِنُ بِكَ، فَانْزِلِ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ. وَقَالَ الْمُفَسِّرُونَ: نُزِلَتْ رَدًّا عَلَى الْيَهُودِ وَالْمُشْرِكِينَ الْمُطَالِبِينَ بِهَذِهِ الْمَطَالِبِ، وَهُوَ الْأَوَّلِيُّ.

١٠٨- بَلْ أَتْرِيدُونَ سُؤَالَ رَسُولِكُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ أَسْئَلَةً تَعْجِيزِيَّةً كَالِإِتْيَانِ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبْلًا، مِثْلَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرِيَهُمُ اللَّهُ جَهْرَةً؟ فَتَضَلُّوا كَمَا ضَلُّوا، وَمَنْ يُفَضِّلُ الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ، فَقَدْ حَادَ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ أَيُّ طَرِيقِ طَاعَةِ اللَّهِ. أَخْرَجَ الطَّبْرِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: سَأَلْتُ قُرَيْشَ مُحَمَّدًا أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصِّفَا ذَهَبًا، قَالَ: نَعَمْ، وَهُوَ لَكُمْ كَالْمَائِدَةِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، إِنْ كَفَرْتُمْ، فَأَبَوْا وَرَجَعُوا، فَنُزِلَتِ الْآيَةُ.

١٠٩- غَنَى وَأَحَبُّ الْكَثِيرِ مِنَ الْيَهُودِ لَوْ يَرْجِعُونَكُمْ إِلَى الْكُفْرِ، حَسَدًا مِنْهُمْ عَلَى تَوْفِيقِ اللَّهِ لَكُمْ وَإِرْشَادِكُمْ، مِنْ بَعْدِ تَبَيُّنِهِمُ الْحَقَّ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَتَجَاوَزُوا عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْفَحُوا عَمَّا بَدَرَ مِنْهُمْ مِنْ عَدَاوَةٍ، وَالْعَفْوُ: تَرْكُ الْمُوَاخَذَةِ بِالذَّنْبِ، وَالصَّفْحُ: مَحْوُ أَثَرِ الذَّنْبِ، حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ بِقِتَالِهِمْ أَوْ إِجْلَائِهِمْ أَوْ فَرْضِ الْجِزْيَةِ عَلَيْهِمْ، وَاللَّهُ تَامُّ الْقُدْرَةِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نُزِلَتْ فِي نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ قَالُوا لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدَ وَقْعَةِ أُحُدٍ: أَلَمْ تَرَوْا إِلَى مَا أَصَابَكُمْ وَلَوْ كُنْتُمْ عَلَى الْحَقِّ، مَا هُزِمْتُمْ، فَارْجِعُوا إِلَى دِينِنَا، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ.

١١٠- وَأَدُّوا الصَّلَاةَ كَامِلَةً الْأَرْكَانَ وَالشَّرُوطَ، وَادْفَعُوا الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ لِلْمُسْتَحْقِّينَ، وَمَا تَقَدَّمُوا مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ وَالطَّاعَةِ فِي الدُّنْيَا، تَجَدَّدُوا ثَوَابَهُ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، وَاللَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ قَلِيلٌ أَوْ كَثِيرٌ.

١١١- وَقَالَتِ الْيَهُودُ: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا الْيَهُودِيُّ، وَقَالَتِ النَّصَارَى: لَنْ يَدْخُلَهَا إِلَّا النَّصْرَانِيُّ، تِلْكَ مَجْرَدُ غَمَرَاتٍ وَشَهَوَاتٍ يَتَمَنُّونَهَا بِغَيْرِ حَقٍّ، قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّ: أَحْضِرُوا دَلِيلَكُمْ وَحُجَّتَكُمْ عَلَى زَعْمِكُمْ، إِنْ صَدَقْتُمْ فِي مَزَاعِمِكُمْ وَأَمَانِيَتِكُمْ وَدَعَاوِيَكُمُ الْبَاطِلَةَ.

١١٢- لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ، بَلْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ أَسْلَمَ ذَاتَهُ لِلَّهِ، وَأَخْلَصَ دِينَهُ وَعِبَادَتَهُ لِرَبِّهِ، وَهُوَ مُحْسِنُ عَمَلِهِ، فَلَهُ ثَوَابُ إِيْمَانِهِ وَعَمَلِهِ عِنْدَ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ فِي الدُّنْيَا، بَلْ هُمْ فِي طَمَآنِينَةٍ وَنَعِيمٍ.

١١٣- اتهمت كل طائفة من اليهود والنصارى الأخرى بأنها ليست على شيء معتبر من الحق، مع أن كلًا يتلو في كتابه أنه مصدق للآخر، وكذلك قال الجاهلاء من المشركين الذين لا علم عندهم ولا كتاب مثل هذا القول، فإنهم قالوا: ليس مدعو الأديان على شيء والله يحكم يوم القيامة بين الناس فيما اختلفوا فيه من أمر الدين، وسيجازيهم بما هو مستحق عليهم. ونزلت الآية في يهود المدينة ونصارى نجران حين تناظروا، فقالت اليهود: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بعمسى والإنجيل، وقالت لهم النصارى: ما أنتم على شيء من الدين، فكفروا بموسى والتوراة، فنزلت الآية.

١١٤- لا أحد أظلم ممن منع عبادة الله في المساجد، وسعى في هدمها، أولئك الآثمون ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا المساجد إلا خائفين من عقاب الله، ولهم في الدنيا ذل وهوان، وفي الآخرة عذاب شديد في النار. قال ابن عباس: نزلت في مشركي أهل مكة الذين منعوا المسلمين من ذكر الله تعالى في المسجد الحرام، ومنعوا النبي ﷺ من الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام.

١١٥- الله ملك المشرق والمغرب وما بينهما، فأبي

جهة تنجهون فيها في صلاتكم، فهناك الجهة أو القبلة التي يرضى بها الله، إن الله واسع الرحمة بعباده، عليم بما يصلحهم. نزلت كما ذكر الطبري قبل الأمر بالتوجه إلى استقبال الكعبة في الصلاة، وفيها إبطال ما كان يعتقد أرباب الملل السابقة من أن العبادة لا تصح إلا في الهياكل والمعابد.

١١٦- وقال الكفار: اتخذ الله ولداً، فقالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، تنزه الله تعالى عن اتخاذ الولد، بل الله جميع ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً، الكل عباد الله، وكلهم خاضعون لسلطانه، فكيف يكون أحدهم ولداً لله؟ نزلت الآية في اليهود حين قالوا: عزيز ابن الله، وفي نصارى نجران حيث قالوا: المسيح ابن الله، وفي مشركي العرب الذين قالوا: الملائكة بنات الله.

١١٧- الله مبدع السموات والأرض، أي خالقهما على غير مثال سبق، وإذا أراد شيئاً خلقاً أو أمراً أو تدبيراً، قال للشيء الذي يريد: كن فيكون، أي فيوجد فوراً، لكمال قدرته.

١١٨- قال مشركو العرب للنبي: هلا يكلمنا الله كما كلم ملائكته ورسله، فيخبرنا بأنك رسوله، أو تأتينا معجزة أو علامة مادية مما اقترحوه في الآيات (٩٠) وما بعدها من سورة الإسراء، تدل على صدق نبوتك، قال مثل ذلك كفار الأم السابقة، اتفقت قلوب وأقوال المشركين مع من سبقهم على الكفر والتمرد والتكذيب، قد بين الله الدلالات على نبوة محمد ﷺ لقوم يعترفون بالحق. قال ابن عباس فيما أخرج الطبري: قال رافع بن خزيمة لرسول الله: إن كنت رسولاً من الله كما تقول، فقل لله: فليكلمنا حتى نسمع كلامه، فنزلت الآية.

١١٩- يؤكد الله أنه أرسل نبيه بالدين الحق مبشراً المؤمنين بالجنة، ومنذراً الكافرين بالنار، ولست مسؤولاً يا محمد عن من مات كافراً ولم يؤمن برسالتك. قال الإمام السيوطي: والذي يقطع به أن الآية في كفار أهل الكتاب كما لايات السابقة عليها والتالية لها، لافي أبيه ﷺ.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ الْنَصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ الْنَصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَلْمُزُونَ أَلَيْسَ لَكَ كِتَابٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَوَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَمْ يَلَمَّْا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَمْ يَشْفَوْا ﴿١١٦﴾ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَ قَوْلُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِآخِئِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

١٢٠- ولن ترضى عنك أيها النبي اليهود والنصارى حتى تتبع عقيدتهم، وتنصرف عن دينك إلى دينهم، وتتبع أهواءهم، قل أيها الرسول: إن الهدى القرائني هو الدين الحق والهدى الحقيقي، لا ما هم عليه من الشريعة المنسوخة، ولئن اتبعت أيها الرسول أهواء اليهود والنصارى والموجودة في كتبهم المحرفة، بعدما جاءك من وحي القرآن، ما لك ولي غير الله يتولى أمرك ويحفظك، ولا ناصر ينصرك ويمنعك من عقابه. وسبب النزول: أن اليهود كانوا يسألون النبي ﷺ الهدنة، ويظلمونه أنهم إذا هادنهم وأمهلهم، اتبعوه ووافقوه، فنزلت هذه الآية.

١٢١- الذين أنزلنا عليهم القرآن يتبعونه حق الاتباع، ويعملون بما فيه، فيحلون حلاله، ويحرمون حرامه، أولئك يصلحون تصديقاً تاماً بالكتاب المنزل، ومن يكفر بالقرآن، فهم الخاسرون لاستبدالهم الكفر بالإيمان.

١٢٢- يا معشر بني إسرائيل، تذكروا النعم التي أنعمت بها عليكم وعلى أسلافكم بشكري وطاعتي، وأني فضلت أصولكم على عالمي زمانهم. أعاد هذا التذكير بالنعم والتحذير من النقم لبيان الهدف الحقيقي من القصة.

١٢٣- وخافوا عذاب يوم لا تتوب فيه نفس عن نفس أخرى في المسؤولية، ولا يقبل منها فدية تنجو بها من النار، ولا تفيد شفاعاً شافع، ولا نصرة ناصر، يمنع عنها العذاب.

١٢٤- واذكر يا محمد حين اختبر الله إبراهيم بأوامر ونواه، فقام بحق التكليف تماماً، وقال الله له: إني مصيرك إماماً (قدوة) في الدين وأعمال الخير، قال إبراهيم: واجعل من ذريتي أيضاً أئمة، فأعلمه الله أن عهده بالإمامة والنبوة لا يشمل الظالمين والعصاة من ذريته، فإنهم لا يصلحون قدوة للناس، لأن الإمام لا بد أن يكون عادلاً عاملاً بالشرع، وإلا كان ظالماً.

١٢٥- واذكر أننا جعلنا البيت الحرام (الكعبة) مرجعاً لعبادة الله وأداء المناسك فيه، والصلاة نحوه بعد التفرق عنه، ومأمناً من الظلم والمخاوف، واتخذوا أيها المسلمون من مقام إبراهيم حول الكعبة (وهو الحجر المعروف) مكاناً للصلاة والعبادة تكملة لإبراهيم، ووصينا وأمرنا إبراهيم وإسماعيل أن يطهرا البيت الحرام من الأوثان والكفار والنجاسات والخبائث، من أجل طواف الطائفين به، والمقيمين في المسجد للعبادة، والمصلين فيه راكعين ساجدين. قال عمر رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: هذا مقام إبراهيم، فقلت: يا رسول الله، أفلا نتخذة مصلى؟ فنزلت هذه الآية.

١٢٦- واذكر حين قال إبراهيم: رب اجعل مكة بلداً آمناً يأمن الناس فيه، وارزق أهله المؤمنين بالله واليوم الآخر من الثمار التي تجبى إليه من كل مكان، قال تعالى: وارزق أيضاً من كفر، لامتعه بالرزق قليلاً في الدنيا، ثم ألجته وأدفعه إلى عذاب النار، فلا يجد عنه مخلصاً، وبش المرجع الذي يصير إليه في جهنم.



١٢٧- واذكر أيها الرسول أيضاً حين كان إبراهيم وإسماعيل يرفعان أسس أو جدران البيت الحرام، قائلين: ربنا تقبل منا هذا العمل الحسن، إنك تسمع دعاءنا وتعلم نياتنا.

١٢٨- ربنا اجعلنا ثابتين على الإسلام، خاضعين لطاعتك، واجعل من ذريتنا: أولادنا وأحفادنا جماعة مخلصه لك بالطاعة، وعرقنا مناسك الحج ومواضع الذبح، وتجاوز عن خطايانا، إنك أنت كثير التوبة على عبادك، رحيم بالتائبين تعفو وتغفر لهم. قال مجاهد: قال إبراهيم: رب أرنا مناسكنا، فأناه جبريل، فأتى به البيت، فقال: ارفع القواعد، ثم دله على مواضع رمي الجمرات في منى، وعلى المشعر الحرام، وعلى عرفات، وأمره أن يؤذن فيه بالحج، فقال: يا أيها الناس أجيئوا بركم، فأجاب العباد: لبّيك اللهم لبّيك، فمن أجاب إبراهيم حيثد فهو حاج.

١٢٩- ربنا وابعث في العرب - وهم ذرية إبراهيم وإسماعيل - رسولا من العرب، وهو محمد ﷺ يقرأ عليهم آياتك المنزلة، ويعلمهم القرآن، وأحكام الشريعة والفقه والفهم في الدين، وأسرار الأشياء، ويظهرهم من الشرك والمعاصي وسوء

وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا
إنك أنت السميع العليم ﴿١٢٧﴾ ربنا واجعلنا مسلمين لك
ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا
إنك أنت التواب الرحيم ﴿١٢٨﴾ ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴿١٢٩﴾ ومن يرغب عن ملة
إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا
وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴿١٣٠﴾ إذ قال له ربه واسم قال
أسلمت لرب العالمين ﴿١٣١﴾ ووصى بها إبراهيم نبيه
يعقوب بنبي إن الله اصطفى لكُم الذين فلا توفون
إلا وأنتم مسلمون ﴿١٣٢﴾ أمركم شهادة إذ حضر يعقوب
النوت إذ قال لبيته ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد
إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلها واحدا
ونحن لم نسلون ﴿١٣٣﴾ تلك أمة قد خلت لهما ما كسبت
ولكم ما كسبت ولا تستلون عما كانوا يعملون ﴿١٣٤﴾

الأخلاق، إنك يا رب القوي الغالب، الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة.

١٣٠- ولا يعدل عن شريعة إبراهيم وعقيدته التوحيدية إلا من جهل أمر نفسه، فلم يفكر فيها، واستخف بها وامتنعها، ولقد اخترناه رسولا في الدنيا، وإنه في الآخرين لمن الفائزين برضوان الله. ونزلت الآية في شأن ابني أخي عبد الله بن سلام حين دعاهما إلى الإيمان، فأمن سلمة وأبى مهاجر.

١٣١- واذكر أيها الرسول حين قال لإبراهيم ربه: تمسك بالإسلام ديناً، فقال: أخلصت العبادة والدين لرب العوالم كلها.

١٣٢- ووصى إبراهيم بوصية الله بالتمسك بالإسلام أبناءه، وأوصى يعقوب (إسرائيل) بنيه بذلك، كما أوصى إبراهيم، قائلاً لهم: يا أبنائي، إن الله اختار لكم الملة التي يجيء بها محمد ﷺ فهي صفوة الأديان، فالزموا الإسلام، ولا يأتاكم الموت إلا وأنتم على الإسلام.

١٣٣- أبطل الله دعاوى اليهود والنصارى أن إبراهيم يهودي أو نصراني، قائلاً: بل أشهدتم أو حضرتم يعقوب؟ وعلمتم وصيته لأبنائه، حين حضره الموت، ماذا تعبدون من بعد وفاتي؟ فقالوا: نعبد الإله الواحد الإله وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، وسمي العرب العم أباً، ونحن له مخلصون العبادة، فأقروا بذلك، وشهد على إسلامهم. نزلت في اليهود حين قالوا للنبي ﷺ: ألسنت تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية.

١٣٤- تلك أمة - وهي إبراهيم ويعقوب وأبناؤهما - جماعة مضت، لها ما عملت من العبادة والخير، ولكم ما عملتم من خير أو شر، ولا تؤاخذون بسينئاتهم، ولا تستفيدون من حسناتهم.

١٣٥- وقالت اليهود والنصارى للمسلمين: كونوا يهوداً أو نصارى، واتركوا الإسلام، تكونوا على الحق والرشاد، قل لهم أيها النبي: لم تكن اليهودية ولا النصرانية طريق الهداية، بل تكون على ملة إبراهيم الحنيفية المائلة عن الأديان الباطلة إلى دين الحق، والحنيفية: هي دين الإسلام، ولم يكن إبراهيم من عبدة الأوثان أو مشركاً بالله، وهذا تعريض بهم، فكيف تدعون أنه كان يهودياً أو نصرانياً؟! أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: قال ابن صوريا للنبي ﷺ: ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تهتد، وقالت النصارى مثل ذلك، فنزلت الآية.

١٣٦- قولوا أيها المسلمون: آمنا بالله وحده لا شريك له وبالقُرآن وبما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط: أولاد يعقوب وهم اثنا عشر ولداً، وبالشَّوْرة المنزلة على موسى، وبالإنجيل المنزل على عيسى، وبكل ما أنزل على الأنبياء من ربهم من الكتب، لا نفرق بين أحد منهم، وإنما نؤمن بهم جميعاً، ونحن لله تعالى متقادون خاضعون.

١٣٧- فإن آمن أهل الكتاب وغيرهم بجميع ما آمن به المسلمون من كتب الله ورسله، وصدقوا مثل تصديقهم، فقد اهتدوا إلى الحق والصواب، وإن أعرضوا عن هذا الإيمان، فهم في مخالفة ومعادة لدعوة الإسلام، ويكفيك الله أيها الرسول شر من عاند وخالف، وينصرك عليهم، والله هو السميع لأقوالهم، العليم بخفايا نفوسهم.

١٣٨- الزموا أيها الناس دين الله الذي فطركم عليه وهو الإسلام، فلا هداية أفضل من هدايته، ونحن مطيعون لله تعالى. قال ابن عباس: إن النصارى كان إذا ولد لأحدهم ولد، فأتى عليه سبعة أيام، صبغوه في ماء لهم، يقال له: المعمود، ليظهره بذلك، ويقولون: هذا طهور، مكان الختان، فإذا فعلوا ذلك، صار نصرانياً حقاً، فأنزل الله هذه الآية.

١٣٩- قل أيها النبي لأهل الكتاب: اتحدولونا في شأن الله، ونحن وأنتم سواء في ربوبيته لنا، وعبوديتنا له، فكيف تدعون أو تريدون ألا يختار رسولاً إلا منكم؟ وسيجازي كل فريق منا بعمله، فلستم بأولي بالله منا، ونحن له مخلصون في طاعتنا وعبادتنا دونكم.

١٤٠- بل اتقولون: إن هؤلاء الأنبياء على دينكم؟ وإنهم مع أولاد يعقوب (الأسباط) كانوا يهوداً أو نصارى، مع أنهم وجدوا قبل موسى وعيسى، وقل لهم أيها النبي: هل أنتم أعلم بدينهم أم الله الذي برأ إبراهيم من اليهودية والنصرانية، ومن أشد ظلماً ممن كتم شهادة عنده من الله بأن هؤلاء الأنبياء ما كانوا يهوداً ولا نصارى، بل كانوا مسلمين، والله لا يترك عقوبة هؤلاء المدعين بسبب ظلمهم وتكذيبهم الرسل وكتمان الشهادة.

١٤١- تلك جماعة مضت، لها ثواب أعمالها ولكم ثواب أعمالكم الطيبة وجزاء أعمالكم السيئة، فلا ينفعكم اتسايكم إليهم إذا لم تفعلوا الخير، وأنتم مسؤولون عن أعمالكم يوم القيامة، لا عن أعمال غيركم من سبقكم أو أتى بعدكم.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنِ آمَنُوا بِمِلَّةِ مَا آمَنَ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَبَّحِكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلِ اتَّخَذْتُنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ إِنَّا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ جُمُوعَةٌ مُضَتْ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَمَّا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبَتْ وَلَا تَسْأَلُونَهُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾



١٤٢- سيقول الجهال ضعفاء العقول من اليهود والمشركون والمنافقين: ما سبب تحولهم وانصرافهم عن قبلة بيت المقدس التي كانوا يستقبلونها في صلاتهم، قل لهم أيها النبي: الله الجهات كلها مشرقها ومغربها، فله أن يأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء، يهدي من يريد من عباده إلى سلوك الطريق القويم في العبادة، فيكون التحول إلى الكعبة هداية. روى البخاري عن البراء قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يتوجه نحو الكعبة، فأنزل الله: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة ١٤٤/٢] فقال السفهاء، وهم اليهود: ﴿ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ فقال الله تعالى: ﴿قل: لله المشرق والمغرب﴾.

١٤٣- وكما هديناكم إلى الإسلام وإلى قبلة إبراهيم عليه السلام، جعلناكم أمة خياراً عدولاً وسطاء، لتشهدوا على الناس يوم القيامة أن أنبياءهم قد بلغوهم رسالة الله، ويكون الرسول محمد ﷺ شاهداً يشهد عليكم بالتبليغ لكم

وبالوسطية، وما جعلنا قبلة بيت المقدس التي كنت تصلي باتجاهها إلا امتحاناً لنعلم علم ظهور وتحقق فعلي المؤمن والمرتد عن دينه والمنافق، وإن كانت حادثة تحويل القبلة صعبة شاقة، يصعب الإيمان بها، إلا على الذين هداهم الله للحق، وما كان الله ليضيع صلاتكم إلى بيت المقدس، بل يتقبلها منكم، إن الله كثير الرأفة (وهي أشد الرحمة) بعباده، كثير الرحمة بهم. وقد نزلت فيمن مات وهو يصلي إلى بيت المقدس، جاء في الصحيحين عن البراء: مات على القبلة قبل أن تحول رجال، فلم ندر ما نقول فيهم، فنزلت: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾.

١٤٤- قد رأينا أيها النبي تطلعك إلى جهة السماء وترديد بصرك ورفع، راجياً نزول الأمر بتحول القبلة نحو الكعبة، فلنوجهك نحو قبلة تحبها وتشوق إليها، فتوجه في صلاتك نحو المسجد الحرام، وأينما كنتم، فتوجهوا إلى الكعبة، وإن أهل الكتاب يعلمون أن توجهكم إلى الكعبة حق بأمر الله فرضه الله على عباده، وأنه موجود في كتبهم أن النبي المبشر به يصلي إلى قبلة أبيه إبراهيم، وما الله بغافل عن أعمالهم بإثارة الشبهات وترويج الفتن، وسيجازيهم على ذلك.

١٤٥- ولئن آتيت أيها النبي أهل الكتاب بكل حجة وبرهان على أن تحويل القبلة حق بأمر الله، ما تبعوا قبلك كفراً وعناداً، ولا تتبع أنت قبلتهم، وكل فريق يتبع قبلته، فاليهود تستقبل بيت المقدس، والنصارى تستقبل مطلع الشمس، ولئن وافقت أهواءهم بالتوجه إلى قبلتهم التي يدعونك إليها، من بعد العلم الذي جاءك من طريق الوحي، تكن من الظالمين لأنفسهم.

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ أَيْمَنَكُمْ إِنْ اللَّهُ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَمَكِّنْ قُرْآنَكُمْ وَجْهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كُلَّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ آتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

١٤٦- يعرف اليهود نبوة محمد ﷺ بأوصافه المذكورة في التوراة، كمعرفة أبنائهم تماماً، وإن فريقاً منهم ممن لم يسلموا، وهم علماءهم الذين عرفوا تلك الصفات، ليخفون الحق الثابت الذي أرسلت به حسداً وعناداً، وهم يعلمون أن الله أوضحه في كتابهم.

١٤٧- الحق الأبدي: ما أخبرك به ربك، لا ما يخبرك به أهل الكتاب، فلا تكن أيها السامع من الشاكين فيه.

١٤٨- لكل جماعة من أتباع الأديان قبلة هو مستقبلها في الصلاة، فتسابقوا في فعل الطاعات وعمل الخيرات واستقبال الكعبة، وأينما تكونوا في أي مكان في الأرض، يجمعكم الله للجزاء يوم القيامة، إن الله تام القدرة على بعثكم وجمعكم.

١٤٩- وأينما اتجهت أيها المسلم في بر أو بحر، وفي أي جهة كنت شرقاً أو غرباً، فتوجه في صلاتك جهة المسجد الحرام، وهذا التوجه هو الحق الثابت من الله الذي لا ريب فيه، وسيكافئك على اتباعه، ولا يخل الله عما عملت من عمل، ولا يترك شيئاً.

١٥٠- وأينما حللت، فتوجه نحو الكعبة،

الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْكِتَابَ يَكْفُرُونَ، كَمَا يَكْفُرُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنْ قَرَّبْنَا مَثَلَهُ لِيَكْفُرُوا لَهُمْ لَيَكْفُرُوا لَهُمْ وَلَوْ كُنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَوْ كُنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ هُوَ مَوْلَاهُمْ فَأَسْتَفِوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِفَاعِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ أَفْسَدُوا مَا كُنْتُمْ عَلَى كَيْفٍ عَمَلِينَ وَإِنَّمَا الْإِنسَانُ لَكَافٍ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ تَبَاتُّبُهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ

وأينما كنتم معشر المسلمين في أي مكان في العالم، فتوجهوا نحو الكعبة المشرفة، وتكرر الأمر بذلك ثلاث مرات لتأكيد الأمر بتحويل القبلة، لئلا يبقى لأحد من الناس محاجة أو مجال في المجادلة والمخاصمة حول التولي إلى غير القبلة، فتبطل حجة اليهود القائلين: ترك محمد ديننا واتبع قبلتنا، وحجة المشركين القائلين: إن محمداً يدعي اتباع إبراهيم ويترك قبلته (الكعبة) فانجهاكم نحو المسجد الحرام ينهي هذه الأقاويل، أما الظالمون أنفسهم منهم بالعناد والمكابرة، وهم مشركو العرب، فلا تخافوا مطاعهم أو جدالهم بالباطل، وخافوا عقابي إن خالفتهم أو أمري، ولكي أتم عليكم نعمتي عرفتكم قبلي، وستفتحون مكة، وتدخلون البيت الحرام آمنين مطمئنين، ولكي تهتدوا إلى الحق والصواب والثبات عليه.

١٥١- وإتمام النعمة كإتمام الرسالة بإرسال محمد ﷺ لتلاوة آيات القرآن الكريم، وتطهير نفوسكم من الشرك والوثنية وسوء الأخلاق، ولتعليم القرآن والكتابة ومحو الأمية، وفهم أحكام الشريعة ومعرفة أسرارها، وتعليمكم أمور الدنيا والآخرة، وما لم تعلموا به من قبل.

١٥٢- فاذكروني أيها الناس بالطاعة، أذكركم بالشواب والمغفرة، واشكروا لي نعمي عليكم، والشكر: معرفة الإحسان والتحدث به، ولا تمجدوا نعمي عليكم فتستروها، والكفر هنا: ستر النعمة، فأسلبها منكم.

١٥٣- يا أيها المؤمنون استعينوا بالصبر على تحمل التكليف المشروعة كالصلاة والصيام والجهاد، وبالصلاة التي توثق الصلة مع الله، وتفرج الكروب، وتزيل الهموم، إن الله يعين الصابرين وينصرهم.

١٥٤- ولا تصفوا شهداء القتال في سبيل الله بأنهم أموات، بل هم في الحقيقة أحياء في البرزخ، ولكن لا تعرفون بهذه الحياة عند مشاهدة أجسادهم وسلب أرواحهم. نزلت في قتلى بدر، وكانوا بضعة عشر رجلاً، ثمانية من الأنصار، وستة من المهاجرين، وكان الناس يقولون للرجل يقتل في سبيل الله: مات فلان، وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها، فأنزل الله هذه الآية.

١٥٥- ولنعاملنكم معاملة المختبر لمعرفة قوي الإيمان وضعفه بتسليط شيء من الخوف (الضرر من عدو أو غيره) أو الجوع (المجاعة والقحط) أو نقص الأموال التي تملكونها كالأنعام، وفقد الأنفس بالموت والقتل في الجهاد والمرض، ونقص الثمار بالأفات والجوائح، ويشرأبها الرسول الصابرين بالفوز بالجنة والمغفرة والرحمة.

١٥٦- والصابرون: هم الذين إذا تعرضوا لنكبة تؤذي الإنسان قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون، أي إنا عبيد لله، وصائرون إليه بعد الموت.

١٥٧- وعلى الصابرين مغفرة وثناء حسن من الله، ورحمة بعد رحمة، وإحسان، وأولئك هم المهتدون إلى الحق والصواب ورضوان الله تعالى.

١٥٨- إن الصفا والمروة اللذان يتكئسان من صحور مرتفعة في بداية المسعى ونهايته، من أعلام مناسك الحج

أو مواضع العبادة التي خصصها الله لأعلاماً للناس كالوقوف والمسعى والمنحر، فمن قصد البيت الحرام حاجاً للفرصة، أو اعتمر بزيارته البيت الحرام، فلا إثم عليه أن يطوف بهما (يطوف) بالسعي بينهما في الحج والعمرة، وهو فرض ونسك، بالرغم من أنه كان عليهما في الجاهلية صنمان: «إساف» على الصفا، و«نائلة» على المروة، ومن أكثر من الطاعة بالعمرة النافلة، فالله شاكر له طاعته. أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه: أنه سئل عن الصفا والمروة، فقال: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية، فلما جاء الإسلام، أمسكنا عنهما، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾.

١٥٩- إن الذين يخفون عن الناس، وهم علماء اليهود ورجال النصارى، ما أنزل الله من الآيات البيّنات الدالة على صدق رسالة محمد ﷺ، ومن بعد بيانه في التوراة، أولئك يطردهم الله من رحمته، ويلعنهم الملائكة والمؤمنون. نزلت في علماء أهل الكتاب وكتبتهم آية الرجم ونعت محمد ﷺ.

١٦٠- لكن يستثنى التائبون من الكتمان، المصلحون لما أفسدوا، الميّنون للناس ما بينه الله في كتبه، فلا يستحقون اللعنة، ويقبل الله توبتهم، فهو كثير القبول لتوبة التائبين، الرحيم بهم.

١٦١- إن الذين ماتوا على كفرهم، عليهم لعنة الله (الطرد من الرحمة) والملائكة وجميع الناس يوم القيامة، أما في الدنيا فلا يلعن كافر معين ولا عاص معين.

١٦٢- وهم خالون (مقيمون على الدوام) في النار أو في اللعنة ولا يُمهلون، ولا أمل في تخفيف العذاب عنهم.

١٦٣- والإله الحق إله واحد لا شريك له، ولا مثيل له في ذاته وصفاته وأفعاله، هو مصدر الرحمة الدائمة، الكثير الرحمة على العباد بالنعيم المستمرة.

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَمْوَاتٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ بَعْضٌ مِنْ أَلْوَفٍ وَلَيُجْعَلَنَّ مِنْ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالْمَرْثَاتِ وَيُشِيرُ أَصْدِيرُ الَّذِينَ إِذَا أَصْلَبْتُمْ مُصِيبَةً قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٥﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٦﴾ إِنَّا الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَارِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوَاعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرٌ فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٧﴾ إِنَّا الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أُنزِلَنَا مِنَ الْكِتَابِ وَأَلْهَدُوا مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَئِكَ أَثَرُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا أَثَرُ الرَّجِيمِ ﴿١٥٩﴾ إِنَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْمَرْنَا وَأَمْرُكَ فَأَرَأَيْتَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦٠﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخْفَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٦١﴾ وَالْهَكَوَالَهُ وَحِيدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٢﴾

١٦٤- إن في إيجاد السموات والأرض وما بينهما من عجائب المخلوقات، واختلاف الليل والنهار بالإضاءة والإظلام، والحرارة والبرودة، والطول والقصر، وتعاقبهما إثر بعضهما بعضاً، والسفن التي تسير في البحر لنفع الناس بالركوب وحمل البضائع ونحوهما، وما أنزل الله من السحاب من مطر ويرد ونحوهما، فأحيا به الأرض بالنبات، بعد جفافها، ونشر وفرق في أنحاء الأرض، من مختلف أنواع الحيوان، وتسيير الرياح في جميع الأنحاء، والسحاب المذلل بأمره تعالى، إن في جميع ذلك لدلالات على وجود الله تعالى ووحدانيته، لقوم يتفكرون، فيستدلون على قدرة الله سبحانه وتوحيده. قال عطاء: نزل على النبي ﷺ بالمدينة: ﴿وإلهمك إله واحد..﴾ فقال كفار قريش بمكة: كيف يسع الناس إله واحد؟ فأنزل الله: ﴿إن في خلق السموات والأرض..﴾ الآية.

١٦٥- أما حال الذين لا يعقلون هذه الأدلة، فهم المشركون الذين يتخذون من غير الله للعبادة أمثالا ونظراء من أصنام وجمادات وأشخاص، يحبون أوثانهم، كحب المؤمنين الله، والمؤمنون أشد حباً لله، من حب المشركين لأوثانهم وأندادهم، ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم بالكفر ومحبة الأنداد حالهم عند رؤية العذاب يوم القيامة، لما أحبوا تلك الأنداد، ولأقروا أن القوة الشاملة لله، ولا قوة لأحد سواه، وأن الله ذو عذاب شديد لهم.

١٦٦- واذكر حين يتبرأ يوم القيامة السادة وقادة الكفر ممن اتبعهم، ورأى الفريقان التابعون المقلدون والمتبعون العذاب المحيط بهم، عند المساءلة في الآخرة، وزالت الروابط والعلاقات التي كانت قائمة بينهم في الدنيا من الرحم وغيره.

١٦٧- وقال الأنبياء: لو أن لنا رجعة وعودة إلى الدنيا حتى نعمل صالحاً، وتبرأ من زعماء الكفر الذين غررونا هناك، كما تبرؤوا منا وتخلوا عنا هنا، مثل ذلك الذي رأوه من العذاب، يريهم الله أعمالهم الفاسدة التي ارتكبوها في الدنيا، فتكون عليهم ندامات، ولن يخرجوا من النار، لخلودهم فيها بسبب الشرك وحب الأنداد.

١٦٨- يا أيها الناس، كلوا مما أوجده الله لكم في الأرض مباحاً مستلذاً لكم، ولا تتبعوا طرق الشيطان وأساليبه في الدعوة إلى المعاصي وفي تحليل الحرام وتحريم الحلال، إن الشيطان لكم ظاهر العداوة. قال الكلبي: نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة، حرّموا على أنفسهم أشياء من الحرث والأنعام، وحرّموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي.

١٦٩- إن الشيطان يأمركم بالقيح وكل معصية تسوء عاقبتها، وبالفحشاء، أقبح أنواع المعاصي كالزنا والقتل وغيرهما من الكبائر، وأن تحللوا الحرام، وتحرموا الحلال من البحيرة والسائبة ونحوهما مما جعلتموه شرعاً لكم.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَاحِ وَالْغَجْرِ فِي الْبَحْرِ مَا يَسْمَعُ النَّاسُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُحْسَرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَتَذَكَّرُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمَنْ النَّاسُ مَنِ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْ يُعَذِّبَ اللَّهُ نَارَ الْقَوَّةِ لَهُ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالشُّوْعِ وَالْفَحْشَاءِ وَلَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾

١٧٠- وَإِذَا قِيلَ لِلْكَافِرِينَ: اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالُوا: لَا تَتَّبِعْ دِينَكُمْ، بَلْ تَتَّبِعْ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا فِي عِبَادَتِهِمْ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ: أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمُ الَّذِينَ يَقْلُدُونَهُمْ لَا يَقُولُونَ شَيْئًا مِنْ حَقَائِقِ الدِّينِ وَأَسْرَارِهِ، وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى مَا فِيهِ السَّدَادُ وَالرَّشَادُ وَالْخَيْرُ وَالسَّعَادَةُ.

١٧١- وصفة تشبيهه واعظ الكافرين المقلدين لأبائهم وداعيتهم إلى الإيمان، وهو النبي ﷺ، مثل الراعي الذي يصيح بالابل أو الغنم، فلا تسمع إلا صياحا على القريب منها لتأتي أو تسير أو تنزجر مثلاً، ونداء على البعيد منها، تنقاد للأصوات فقط، ولا تفهم ما يقول، صُمُّ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ، بُحْمٌ لَا يَنْتَقُونَ بخير، عُمي البصائر لا يميزون الأشياء تمييزاً واضحاً، بل ينقادون لغيرهم كما هو شأن الحيوان، فكيف يعقلون ما يقال لهم، أو يفهمون دعوة الحق والإيمان؟!

١٧٢- يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ كُلُوا مِنَ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ، والخيرات الوفرة، ولا تحرموا شيئاً مما لم يحرمه الله، واحمدوا الله على ما أنعم عليكم من النعم والطيبات، إن كنتم لا تعبدون غيره، وإنما تخصصونه بالعبادة، فكلوا من الطيبات، ولا تحرموا غير الحرام.

١٧٣- إِنَّمَا الْمَأْكُلُ الَّتِي حَرَّمَهَا اللَّهُ فَقَطْ هِيَ الْمَيْتَةُ الَّتِي تَمُوتُ حَتَّى أَنْفَهَا مِنْ غَيْرِ ذَبْحٍ شَرْعِيٍّ، وَهِيَ مَيْتَةُ الْبَرِّ، لَا مَيْتَةَ الْبَحْرِ مِنَ السَّمَكِ وَالْجُرَادِ، وَالدَّمُ الْمُسْفُوحُ، فَيَحِلُّ الدَّمُ الْجَامِدُ وَهُوَ الْكَبِدُ وَالطَّحَالُ، وَجَمِيعُ أَجْزَاءِ الْخَنْزِيرِ، وَمَا ذُبِحَ وَذَكَرَ عَلَيْهِ اسْمُ غَيْرِ اللَّهِ، كَاللَّاتِ وَالْعِزَّى، فَمَنْ اضْطُرَّ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْمَحْرَمَاتِ بِسَبَبِ الْجُوعِ الشَّدِيدِ، وَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا مِنَ الْحَلَالِ، فَأَكَلَ غَيْرَ طَالِبٍ لِلشَّيْءِ الْمَحْرَمِ ذَاتِهِ، وَغَيْرِ مُتَجَاوِزٍ قَدْرَ الضَّرُورَةِ الشَّرْعِيَّةِ، فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فِيمَا أَكَلَ مِنْهَا، إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ لِمَنْ أَكَلَ الْحَرَامَ مُضْطَرًا، رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ حَيْثُ أَحْلَلَ لَهُمُ الْحَرَامَ لِلضَّرُورَةِ.

١٧٤- إِنْ عَلِمَاءُ الْيَهُودِ الَّذِينَ يَخْفُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ مِنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَصُحَّةِ رِسَالَتِهِ، وَكُلِّ مَنْ كَتَمَ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ الرِّشْوَةَ، وَيَسْتَبْدِلُونَ بِمَا كَتَمُوهُ عَوْضًا قَلِيلًا مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا وَهُوَ مَا يَأْخُذُونَهُ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ، وَهُوَ قَلِيلٌ - وَإِنْ كَثُرَ - أَمَامَ عَذَابِ الْآخِرَةِ، أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ إِلَّا مَا يَدْخُلُهُمُ النَّارُ، وَيُوجِبُ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ، وَلَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ كَلَامَ مُعْجَبٍ وَرُضَا وَتَحْقِيقِ التَّمَنِّيَّاتِ، وَلَا يَطْهَرُهُمْ مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ أَوْ الْأَعْمَالِ الْخَبِيثَةِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُؤَلَّمٌ إِذَا مَاتُوا مُصْرِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ. أَخْرَجَ الطَّبْرِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَالتِّي فِي آلِ عِمْرَانَ [٣/ ٧٧]: ﴿إِنْ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ نَزَلَتْ جَمِيعاً فِي يَهُودٍ.

١٧٥- إِنْ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ هُمْ الَّذِينَ يَسْتَبْدِلُونَ الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ فِي الدُّنْيَا، وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فِي الْآخِرَةِ، فَمَا أَجْرُهُمْ عَلَى عَذَابِ النَّارِ بِسَبَبِ كِتْمَانِهِمْ الْحَقَّ وَكُفْرِهِمْ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

١٧٦- ذَلِكَ الْعَذَابُ بِسَبَبِ أَنْ اللَّهَ أَنْزَلَ مَا أَنْزَلَ مِنَ الْكِتَابِ (التَّوْرَةَ) بِالْحَقِّ الثَّابِتِ وَالْحُجَّةِ الْقَاطِعَةِ، فَكَتَمُوهُ وَحَرَفُوهُ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ، فَأَمَّنُوا بِيَعْضِهِ وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِ، أَوْ وَصَفُوهُ بِالسَّحَرِ أَوْ بِالْأَسَاطِيرِ، لَفِيَ خِلَافٌ بَعِيدٌ عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ وَالْهَدَايَةِ.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧١﴾ وَمِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمِثْلِ الَّذِي يَتَّبِعُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دَعَاءَ وَبَدَاءَ ضُلُوكُمْ عَنْهُمْ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧٢﴾ بَيِّنَاتُ الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ آيَاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنْ اللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٤﴾ إِنْ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَزَكِيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ وَالْعَذَابُ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَضْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْطَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٧﴾

فَنَافٍ مِنْ مَوْصِيٍّ جَنَافًا أَوْ إِمَامًا فَاصْلَحْ بَيْنَهُمَا فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُمْ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ كُمُ الْعُسْرَ وَلَتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلِقَائِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

١٨٢ - فمن علم من الموصي ميلاً عن الحق خطأ أو عمداً، فأصلح بين الورثة والموصى له ما وقع من الشقاق والخلاف بسبب الوصية، بإبطال ما فيه ضرر ومخالفة للشرع، وإثبات ما هو حق، فلا ذنب عليه في هذا التعديل، إن الله كثير الغفران والرحمة للمصلحين.

١٨٣ - يا أيها المؤمنون فرض الله عليكم الصيام بالإمساك عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية خالصة، كما فرض على الأمم السابقة، لتتقوا النار وتفوزوا بالرضوان الإلهي، وتركوا النفس من مساوي الأخلاق.

١٨٤ - كتب عليكم أن تصوموا أياماً محدداً بعدد معلوم، وهي أيام رمضان، فمن كان من المكلفين مريضاً: لا يطبق الصوم أو يطيقه مع الضرر والمشقة، أو مسافراً سفر قصر (٨٩ كم) أو أكثر، فله أن يفطر، وعليه صيام الأيام التي أفطرها بعد الشفاء أو السفر، وعلى الذين يتحملون الصيام بمشقة شديدة، ولم يصوموا كالشيخ الكبير الفاني والحامل والمرضع، فعليهم فدية، وقدرها طعام مسكين واحد عن كل يوم، ومقداره نصف صاع من بر أو صاعاً من تمر ونحوهما، فمن أطعم أكثر من مسكين واحد، أو زاد على قدر الفدية،

فهو أفضل وأكثر ثواباً، والصيام خير لهم من الإفطار مع الفدية، إن كنتم تعلمون مدى ثواب الصيام عند الله تعالى. أخرج ابن سعد في الطبقات عن مجاهد قال: هذه الآية نزلت في مولاي قيس بن السائب: ﴿وعلى الذين يطيقونه...﴾ فأفطر، وأطعم لكل يوم مسكيناً.

١٨٥ - تميز شهر رمضان بيده نزول القرآن فيه في ليلة القدر، أو ينزوله جملة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، هادياً للناس من الضلالة، وآيات محكمات واضحات، من الهدى الإلهي القوي البيان الواضح للعقول، وهو واضح الفرق بين الحق والباطل، فمن حضر الشهر مقيماً غير مسافر، بأن رأى الهلال أو بلغه ذلك، فعليه صيامه، ومن كان مريضاً يشق عليه الصيام أو مسافراً بعض الشهر أو كله، فله أن يفطر، ويقضي بدلاً عن الأيام التي أفطرها بعد رمضان، يريد الله التيسير عليكم بالترخيص للمسافر والمريض في الإفطار، ولا يريد التشديد والمشقة، ويكون القضاء لمن أفطر بعد الإتمام عدد الأيام التي أفطرها، ولإكمال الأجر، ولتعظيم الله وشكره على نعمه كلها بالصوم والذكر المعروف، بدءاً من رؤية هلال شوال إلى صلاة العيد.

١٨٦ - وإذا سألك أيها الرسول عبادي عني، فقل لهم: إن الله قريب منكم لا حجاب بينه وبينكم، يجيب دعاء الداعين إذا دعوه، فليجيبوا ما أطلبه منهم مخلصين، وليعملوا بما أمرهم به من الإيمان والعمل الصالح، وليصدقوا بقراب الله منهم وإجابته دعاءهم مع دوام التصديق، لكي يهتدوا لما فيه خير الدنيا والآخرة. وسبب النزول فيما ذكره الطبري عن معاوية بن حيدة قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: أقرئ ربنا، فنأجبه، أم بعيد فنأديه؟ فسكت عنه، فنزلت الآية.

١٨٧- أَيْحَ لَكُمْ فِي لَيَالِي الصَّيَامِ لَا فِي النَّهَارِ مَبَاشِرَةً الزَّوْجَاتِ بِالْجَمَاعِ وَغَيْرِهِ، فَكُلْ مِنَ الزَّوْجِينَ سِتْرًا لِلْآخَرِ مِنَ الْحَرَامِ، بِسَبَبِ مَخَالَطَةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْآخَرِ، كَامْتِزَاجِ الثَّوْبِ وَلَا بَسِهِ، فَهَذَا تَمَّ التَّرْخِيسُ وَالتَّيْسِيرُ، عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ تَخُونُونَ أَنْفُسَكُمْ بِالْمَبَاشِرَةِ فِي لَيَالِي الصُّومِ، حِينَمَا كَانَ الصُّومُ يَبْدَأُ بِمَجْدَرِ نَوْمِ الصَّائِمِ بَعْدَ الْإِفْطَارِ، فَتَابَ عَلَيْكُمْ بَانَ قَبْلَ التَّوْبَةِ مِنْ تِلْكَ الْخِيَانَةِ، وَغُفِرَ لَكُمْ، فَلَا أَنْ بَعْدَ نَسْخِ حُكْمِ تَحْرِيمِ الْمُفْطَرَاتِ بَعْدَ النَّوْمِ، يَجُوزُ لَكُمْ مَبَاشِرَةً نَسَافَتَكُمْ، وَاطْلُبُوا مَا أَبَاحَهُ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ الِاسْتِمْتَاعِ لِلْإِنْجَابِ النَّزْرِيَةِ أَوْ الْوُلْدِ، وَيَسَّاحَ لَكُمْ الْأَكْلُ وَالشَّرْبُ أَثْنَاءَ اللَّيْلِ كُلِّهِ، إِلَى أَنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ الصَّادِقُ، بِيَدِهِ ظُهُورُ ضَوْءِ النَّهَارِ وَانْحِسَارُ ظِلْمَةِ اللَّيْلِ، وَذَلِكَ هُوَ الْمُرَادُ بِالْخَيْطِ الْبَاضِ، أَيْ ضَوْءِ الْفَجْرِ الْمُعْتَرِضِ فِي الْأَفَقِ الَّذِي يَظْهَرُ كَالْخَيْطِ الْمَمْدُودِ بِجَوَارِ سَوَادِ اللَّيْلِ، وَشَبَّهَ الْفَجْرَ وَاللَّيْلَ بِخَيْطَيْنِ: أَبْيَضَ وَأَسْوَدَ لَا مَتَدَادَ لِهَمَا. ثُمَّ أَتَوْا الصَّيَامَ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ. وَلَا تَحُوزُ مَبَاشِرَةُ النِّسَاءِ أَثْنَاءَ الْإِقَامَةِ فِي الْمَسَاجِدِ لِلْعِبَادَةِ (وَهُوَ الْإِعْتِكَافُ) وَتِلْكَ الْأَحْكَامُ الْمَذْكُورَةُ لِلصَّيَامِ وَالْإِعْتِكَافِ حُدُودُ اللَّهِ، أَيْ مُحْظُورَاتُهُ وَمَنْعَوَاتُهُ، فَلَا تَقْرُبُوهَا بِالْمُخَالَفَةِ، وَبِمَثَلِ هَذَا التَّوَضُّيْحِ بَيَّنَّ اللَّهُ أَحْكَامَ دِينِهِ لِلنَّاسِ لِيَتَّقُوا رِيبَهُمْ، وَيَتَّقُوا عَنِ الْمَحْرَمَاتِ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ عَنْ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَأْتُونَ النِّسَاءَ، مَا لَمْ يَنَامُوا، فَإِذَا نَامُوا، امْتَنَعُوا، فَخَالَفَ ذَلِكَ قَيْسُ بْنُ الصَّرْمَةِ وَعَمَرُ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ.

أَحْلَاكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ أَلْقَتْ إِلَى نِسَائِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ مِمَّنْ عَلَّمَ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَخَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَاتَّقُوا نَفْسَكُمْ وَأَتَّبِعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوا مِنْهُ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لِنَاسٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحُجَّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ بِالنَّيِّقِ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقِيلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقُولُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَتَّقُوا اللَّهَ وَآخِرُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ وَالنَّفْسَ الْأَشَدَّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقَاتِلُوا فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوا فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾

١٨٨- وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَ غَيْرِكُمْ بِالْبَاطِلِ: وَهُوَ مَا لَمْ يَبِيعَ الشَّرْعُ أَخْذَهُ مِنْ مَالِكِهِ، كَمَهْرِ الْبَيْتِ، وَحُلُوانِ الْكَاهِنِ، وَثَمَنِ الْخَمْرِ، وَتَخْتَصِمُوا بِشَأْنِهَا (أَيِ الْأَمْوَالِ) إِلَى الْقَضَاءِ، وَتَلْتَمِسُوا الْأَحْكَامَ الْجَائِزَةَ بِالشُّرُوعِ وَغَيْرِهَا، فَحُكْمُ الْحَاكِمِ لَا يَحِلُّ الْحَرَامَ، وَلَا يَحْرُمُ الْحَلَالَ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ ظَالِمُونَ غَيْرَكُمْ بِأَخْذِ تِلْكَ الْأَمْوَالِ. نَزَلَتْ فِي امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ عَابِسَ وَعَبْدَانَ بْنِ أَشْرَعِ الْحَضْرَمِيِّ، اللَّذَيْنِ اخْتَصِمَا فِي أَرْضٍ، وَأَرَادَ الْأَوَّلُ أَنْ يَحْلِفَ، فَفِيهِ نَزَلَتْ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾.

١٨٩- يَسْأَلُونَكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ عَنْ أَحْوَالِ الْأَهْلِ كُلِّ شَهْرٍ بِالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ، فَقُلْ لَهُمْ: إِنَّهَا مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ فِي أَعْمَالِهِمُ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، يَحْدُدُونَ بِهَا أَوْقَاتَ زَرْعِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَشُرُوطِهِمُ الْمُؤَجَّلَةَ، وَأُمُورَ دِينِهِمْ فِي الصُّومِ وَالْفِطْرِ وَعِدَّةِ النِّسَاءِ وَمَنَاسِكَ الْحَجِّ، وَلَيْسَ عَمَلُ الْخَيْرِ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا، حَيْثُ كَانَ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا حَجَّوْا لَا يَدْخُلُونَ مِنْ أَبْوَابِ بَيْتِهِمْ، وَلَكِنْ مِنْ ظُهُورِهَا، وَلَكِنَّ الْخَيْرَ فِي تَقْوَى اللَّهِ بِالتَّزَامِ أَوَامِرِهِ وَتَحَنُّبِ مَحَارِمِهِ، وَيَسَّاحَ لَكُمْ دُخُولُ الْبُيُوتِ مِنْ أَبْوَابِهَا فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ، وَاعْبُدُوا اللَّهَ حَقَّ عِبَادَتِهِ، لِكَيْ تَقْضُوا بِرِضْوَانِهِ. نَزَلَتْ آيَةُ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ فِي مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَثَعْلَبَةَ بْنِ غَنَمِ الْأَنْصَارِيِّينَ اللَّذَيْنِ سَأَلَا عَنْ تَقْلِبَاتِ الْهَلَالِ صَغَرًا وَكَبِيرًا. وَنَزَلَتْ آيَةُ ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ﴾ فِي رَجُلٍ خَالَفَ مَا كَانَ يَفْعَلُ الْأَنْصَارُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بَعْدَ حُجَّتِهِمْ بِالدُّخُولِ إِلَى الْبُيُوتِ مِنْ ظُهُورِهَا، فَكَانَ غَيْرَ بِذَلِكَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

١٩٠- قَاتَلُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ، وَلَا تَعْتَدُوا عَلَى غَيْرِ الْمُحَارِبِينَ، إِنَّ اللَّهَ يَعَاقِبُ الْمُعْتَدِينَ. نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْإِذْنِ بِقَتْلِ قَرِيْشٍ بَعْدَ صَلَاحِ الْحَدِيثِ إِذَا صَلَّوْهُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَقَاتَلُوهُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ.

١٩١- وَقَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ الْمُعْتَدِينَ حَيْثُمَا وَجَدْتُمُوهُمْ، وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ مِثْلًا أَخْرَجَكُمْ مِنْ مَكَّةَ، وَفَتَنَةُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ دِينِهِمُ بِالْتَّعْذِيبِ وَمَحَاوِلَةِ الْإِرْجَاعِ إِلَى الْكُفْرِ أَشَدَّ سَوْءًا مِنَ الْقَتْلِ، وَلَا تَبْتَدِئُوا الْمُشْرِكِينَ بِالْقِتَالِ فِي حَرَمِ مَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا حَتَّى يَقَاتِلُوكُمْ فِيهِ، فَإِنْ يَدُؤُوكُمْ بِالْقِتَالِ فِي الْحَرَمِ، فَقَاتِلُوهُمْ فِيهِ؛ لِأَنَّ سَنَةَ اللَّهِ أَنْ يَجَازِيَ الْكَافِرُونَ مِثْلَ هَذَا الْجَزَاءِ لِبَدْنِهِمْ بِالْعُدْوَانِ.



فَإِنْ أَنتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَتْلُوا
 حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ لِلَّهِ فَإِنْ أَنتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ
 إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ
 وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ مَن آغَتْ دِيَّ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا
 عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا آغَتْ دِيَّ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
 مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَانْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ
 إِلَى التَّهْلُكِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾
 وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ
 مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلُقُوا زُرًّا وَسَكْرًا حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ
 مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ
 مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ
 بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ
 فَصِيَامًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنْ ذَلِكَ عَشْرَةٌ
 كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاصِرًا فِي أَشْهُدِ الْحَرَامِ
 وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

١٩٢- فإن انتهوا عن قتالكم أو أسلموا، فإن الله غفور لما سلف منهم، رحيم بقبول توبتهم، فإن الإسلام يجب ما قبله من الآثام.

١٩٣- وقتلوا المشركين حتى لا يعودوا التعذيب المؤمنين وفتتتهم عن دينهم، ويكون الدين خالصاً لله وحده، فإن انتهوا عن القتال، فلا اعتداء إلا على الظالمين أنفسهم المصيرين على شرهم.

١٩٤- انتهاك حرمة الشهر الحرام تقابل بالمثل، فمن قاتلكم فيه، قاتل جزاءً وفاقاً، والأشهر الحرم أربعة: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، والحرمات (وهي كل ما يجب احترامه وحفظه ويمنع الشرع من انتهاكه) يقابل انتهاكها بمثله، والجزاء من جنس العمل، فمن استباحها بقتل أبيح دمه وماله، وللمعتدي عليه رد العدوان بمثله في مال أو بدن دون ظلم أو ارتكاب حرام، ويكون الجزاء بمثل فعل المعتدي، واعلموا أن الله مع المتقين بالعون والنصر.

ذكر قتادة فيما أخرجه الطبري: أن الآية نزلت للرد على المشركين في الحديبية، حين صدوا النبي ﷺ وأصحابه عن دخول مكة في ذي القعدة، فأقصه الله تعالى منهم في العام المقبل، وأنزل هذه الآية.

١٩٥- وانفقوا في سبيل الله وهو الجهاد، ولا تعرضوا أنفسكم للهلاك بسبب البخل في إنفاق المال، وترك الجهاد، والاكتفاء بإصلاح الأموال، وأحسنوا إنفاق المال في طاعة الله، إن الله يثيب المحسنين ببذل أموالهم في طاعته. قال الشعبي: نزلت في الأنصار، أمسكوا عن النفقة في سبيل الله تعالى، فنزلت هذه الآية.

١٩٦- وأدوا الحج والعمرة، وأتموا مناسكهما، فإن منعتهم من الدخول إلى مكة بمرض أو عدو أو نحوهما، فانحروا للتحلل من الإحرام ما تيسر من الهدي: وهو ما يهدى إلى البيت الحرام من إبل أو بقرة أو غنم ليذبح في مكة تقريباً إلى الله تعالى، ولا تحلقوا رؤوسكم للإحلال من الإحرام حتى يذبح الهدي في المكان الذي شرع فيه ذبحه، إن كان مع المحرم هدي، بأن يصل إلى محل نحره بنية التحلل. فمن كان مريضاً أو برأسه علة تستوجب الحلق، فيجب عليه فدية يخير فيها بين إطعام ستة مساكين، أو إهداء شاة، أو صوم ثلاثة أيام، فإذا أمتتم من خوفكم أو شفيت من مرضكم، فعلى المتمتع بالعمرة (وهو أن يحرم بعمرة في أشهر الحج، ثم يقيم حلالاً بمكة إلى أن يحرم بالحج) المنتظر إلى ميقات الحج ليحرم به من جديد: هدي يذبحه جبراً لنقص الإتمام بالتمتع، واستفادته من المباحات في غير حالة الإحرام، فمن عجز عن الهدي لفقدانه أو لعدم استطاعته شراؤه (أي عدم المال أو عدم الحيوان) صام ثلاثة أيام قبل الوقوف بعرفة في أيام الحج، بدءاً من الإحرام به إلى يوم النحر، وصام سبعة أيام إذا رجع إلى الوطن، فتصبح العدة عشرة أيام، ذلك الحكم من إيجاب الهدي أو الصيام على المتمتع، لغير أهل الحرم المقيمين في مكة، بأن يبعدوا عنها مسافة القصر، واعلموا أن الله يعاقب كل من يتهاك حرمة. نزلت كما أخرج ابن أبي حاتم فيمن أساء عمرته بالطهور والثياب، فقال النبي له: ألق عنك ثيابك، ثم اغتسل واستنشق ما استطعت، ثم ماكنت صانعاً في حجك، فاصنع في عمرتك.

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ
يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزِدُّوا قَاتٍ حَيْثُ الرَّاءُ الْقَوِيُّ
وَأَتَّقُوا يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَنْ تَسْعَوْا فَضْلًا مِنْ رِزْقِكُمْ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ
فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَكُمْ
وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِضُوا
مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ
فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ رِثَاءً إِنَّا
فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَمَنْ مِمَّنْ
مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ
حَسَنَةٌ وَقَدْ آذَاكَ النَّارُ أُولَئِكَ لَهُمْ
نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٠﴾

١٩٧- وقت الحج: أشهر معلومات: وهي شوال، وذو القعدة، وذو الحجة (العشر الأوائل منه) فمن أحرم قبلها أهل بعمرة، ومن أوجب على نفسه الحج في هذه الأشهر، وأحرم به، فلا رث (جماع أو فحش في الكلام) ولا فسوق (ارتكاب معاص أو خروج عن حدود الشرع) ولا جدال (مجادلة تورث الخصومة والمشاجرة) وما تفعلوا في الحج من خير كإطعام وصدقة، يعلمه الله، ثم يثيب عليه، وتزودوا للحج بزاد الطعام والنفقة حتى لا تحتاجوا غيركم، وللآخرة بالعمل الصالح، فإن خير زاد نافع يوم القيامة هو تقوى الله، وخافوا الله يا أصحاب العقول.

١٩٨- ليس عليكم إثم من التجارة وطلب الرزق في الحج، فإذا اندفعتكم إلى المزدلفة من عرفات بعد الوقوف فيها، فاذكروا الله وادعوه وصلوا عند المشعر الحرام بالمزدلفة: وهو جبل مُزَح الذي يقف عليه الإمام في المزدلفة، واذكروه ذكراً حسناً بالتلبية والتهليل والدعاء والحمد والثناء، وإن كنتم من قبل هذا الهدى لمن الجاهلين البعيدين عن الحق في العقيدة والعبادة. روى البخاري عن ابن عباس قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية، فتأثموا أن يتجروا في المواسم،

فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت: ﴿ليس عليكم جناح﴾.

١٩٩- ثم اندفعوا إليها الحاج من المزدلفة صباح يوم العيد، من حيث يفيض الناس من عرفة، واطلبوا المغفرة في موطن الإجابة والقبول، إن الله كثير المغفرة، واسع الرحمة بالتائبين. أخرج الطبري عن ابن عباس قال: كانت العرب تقف بعرفة، وكانت قريش تقف دون ذلك بالمزدلفة، فانزل الله: ﴿ثم أفيضوا...﴾.

٢٠٠- فإذا فرغتم من أعمال الحج يوم النحر، وهي الرمي والذبح والخلق وطواف الإفاضة، فاذكروا الله ذكراً حسناً بالحمد والثناء والتهليل والتكبير، كافتخاركم بأسلافكم ويطولاكم، بل أكثر ذكراً واهتماماً وتضرعاً، فمن الناس من يطلب في الدنيا الرزق والمنصب والنصر، وما له في الآخرة من نصيب. أخرج الطبري عن مجاهد قال: كانوا إذا قضوا مناسكهم، وقفوا عند الجمرة، وذكروا آبائهم في الجاهلية، وفعل آبائهم، فنزلت هذه الآية.

٢٠١- ومنهم من يطلب في الدنيا سعة الرزق والعافية والأمن، والزوجة والولد الصالحين، وفي الآخرة الجنة والرضوان والوقاية من عذاب النار. قال ابن عباس: كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف، فيقولون: اللهم اجعله عام غيث، وعام خصب، وعام ولاء وحسن، لا يذكرون من أمر الآخرة شيئاً، فنزلت الآية (٢٠٠) ويجيء آخرون من المؤمنين فيقولون: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة...﴾.

٢٠٢- أولئك الذين طلبوا خيري الدنيا والآخرة لهم حظ وافر من الثواب والقبول بسبب عملهم، والله سريع الحساب، يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف يوم، لا يشغله شأن عن شأن.

وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي آيَاتِهِ وَمَقْعَدِ وَدَائِهِ مَنْ يَجْعَلْ فِي يَوْمَيْنِ
فَلَائِمٌ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِشَاءَ عَلَيْهِ لِيَأْتِيَ ۚ وَلَقَوْلُ اللَّهِ
وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُ قَوْلُهُ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلْفَافٍ
۝ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ أَرْحَتَهُ
وَالنَّاسُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ
أَخَذَهُ الْعُرْسُ ۚ بِالْإِيمَانِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمُهَادُّ ۝
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ
رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ۝ يَتَأْتُوا الدِّينَ أَغْوَاءً أَذْخَلُوا فِي الشَّرِّ
كَافَّةً وَلَا تَدْعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ
۝ فَإِن زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاغْلُظْوا رَبَّنَا اللَّهُ
غَيْرُ يَحْكُمُ ۝ هَلْ يَظُنُّونَ إِنَّا بِأَنبِيَائِهِمْ فِي ظُلُمٍ لَّنَ الْقَامِرِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا قُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝ سَلِّ
بِحَقِّ إِسْرَائِيلَ كَرَّمَ وَابْنَهُ مِنْ آيَةِ بَنِيهِ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ
اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝

٢٠٣- واذكروا الله أيها المسلمون الحجاج وغيرهم
في أيام منى أيام رمي الجمرات، وهي أيام التشريق الثلاثة
بعد العيد، بالتكبير عقب الصلوات، ووقته لغير الحجاج
من صبح يوم عرفة إلى عصر آخر أيام النحر، فمن
استعجل بالنفرة من منى في اليوم الثاني بعد الرمي، فلا
حرج، ومن تأخر إلى الثالث، فلا حرج عليه أيضاً،
وإباحة ذلك لمن اتقى الله في حجه، وخافوا الله في
جميع أموركم، واعلموا أنكم مجموعون إلى الله في
الآخرة، فيجازيكم على أعمالكم.

٢٠٤- بعض الناس وهم المنافقون يعجبك أيها النبي
قوله في الدنيا: إنه مؤمن بالله ورسوله، ويحلف على
صدق ما في قلبه من محبة الرسول أو الإسلام، وهو
أشد الناس خصومة. روى الطبري عن السدي أن
الآيات (٢٠٤-٢٠٦) نزلت في الأخنس بن
شريق، أتى النبي ﷺ، وأظهر له الإسلام، ثم
خرج، فمر بزرع لقوم من المسلمين وحُمِر، فأحرق
الزرع، وعقر الحُمِر، فأنزل الله هذه الآية.

٢٠٥- وإذا ذهب وانصرف عنك، بذل جهده ليفسد
في الأرض بالتخريب والاحتيايل والقتل والظلم، وبهلك
النبات والحيوان ونسله، والله لا يرضى عن الفساد مطلقاً
في الدين والدنيا، بل يعاقب عليه.

٢٠٦- وإذا طلب منه اتقاء الله في فعله وترك الإفساد، أخذته الحمية والكبرياء عن قبول النصيحة، بسبب غيه
وضلاله، فيكفيه عذاب جهنم عقاباً، ويثنس الموضع الذي يستقر فيه.

٢٠٧- وبعض الناس يبيع نفسه في مرضاة الله، كالجهاد، والله ذو رحمة واسعة بعباده. نزلت بسبب تخلي
صهيب بن سنان الرومي عن ماله بمكة، ليمكثوه من الهجرة إلى المدينة، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «ريح
البيع أبا يحيى صهيب، ريح البيع»، ونزلت الآية.

٢٠٨- يا أيها المؤمنون، ادخلوا في الإسلام بكلية دون تجزئة أو سالموا، واعملوا بجميع أحكامه، فلا تنافقوا،
واحذروا وساوس الشيطان، ولا تطيعوا ما يأمركم به، إنه عدو ظاهر العداوة لكم. أخرج الطبري أن هذه الآية نزلت
في عبد الله بن سلام وأصحابه من اليهود، لما عظموا السبت، وكهروا الإبل بعد قبول الإسلام، فأنكر ذلك
عليهم المسلمون.

٢٠٩- فإن انحرفتم عن طريق الحق، من بعد مجيء الآيات الواضحات الدالة على أن الدخول في الإسلام هو الحق،
فاعلموا أن الله غالب لا يعجزه شيء، قادر على الانتقام منكم، حكيم فيما يفعل بكم.

٢١٠- هل ينتظر التاركون للدخول في الإسلام إلا أن يأتيهم الله للحساب والعذاب، وتأتيهم الملائكة لتنفيذ أمر الله
فيهم، في مظلة من السحاب الأبيض الرقيق، وقرع من أمر إهلاكهم، وإلى الله مرجع الأمور كلها في الدنيا والآخرة.

٢١١- أسأل يا محمد بني إسرائيل سؤال توبيخ عن العدد الكثير من براهن أنبيائهم الدالة على صدقهم وصدقك،
فبدلوها، ومن يغير هداية الله ودينه بالكفر بها والتحريف، فإن الله شديد العقاب والترهيب لمن خالف أوامره وأساء
لشرعه وأنبيائه.

٢١٢- حُسِّنَت الدنيا للكفار والمشركين حتى افتتنوا بهذا التزيين وأعرضوا عن الآخرة، على عكس المسلم، ويستهنون من المؤمنين لفقرهم واهتمامهم بالآخرة، والمؤمنون المتقون ربهم ومنهم الفقراء أعلى رتبة ومقاماً عند ربهم يوم القيامة، لأنهم في الجنة، والكفار في النار، والله يمنح الرزق الواسع للمستحقين بغير حساب، أي بغير تقدير ولا حصر أو تعداد.

٢١٣- كان الناس بين آدم ونوح على دين واحد، فاختلقوا، فبعث الله الأنبياء لهداية البشر، مبشرين من أطاع بالجنة، ومنذرين من عصى بالنار، وأنزل معهم الكتب السماوية بالحق الثابت لبيان شريعة الله، ليكون الكتاب السماوي حكماً بين الناس فيما اختلفوا فيه من أمر الدين، وما اختلف في الكتب السماوية إلا اليهود والنصارى الذين أتوا الكتاب بعد مجيء الأدلة الدالة على صدق الكتاب ونبية، حسداً وحرصاً على الدنيا أو ظلماً، فهدى الله المؤمنين أمة النبي ﷺ إلى الحق فيما اختلف فيه من كان قبلهم بإرادته ومشيتته وأمره، والله يوفق من يشاء من عباده إلى الطريق القويم.

رَبِّ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ نَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَوْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نَصْرٌ أَوْ هَلَكٌ إِلَّا أَنْ نَصُرَ اللَّهُ فَمَنْ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالسَّائِلِينَ وَأَتَيْنَ السَّبِيلَ ﴿٢١٥﴾ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٦﴾

٢١٤- بل أو هل تظنون أيها المؤمنون أنكم تدخلون الجنة بمجرد الإيمان وحده، ولم تتعرضوا لمثل ما تعرض له من كان قبلكم من الشدائد والمحن، أصابهم الخوف والفقر، والمرض والجوع، واضطربت نفوسهم من الخوف والرعب، وأزعجوا بأنواع البلياء، حتى وصل الأمر إلى أن يقول النبي والمؤمنون به عند شدة البلاء: متى يأتي نصر الله الذي وعدنا به؟ ونصر الله قريب من المؤمنين. نزلت هذه الآية يوم الخندق، حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد والشدّة، والحر والبرد، وسوء العيش، وأنواع الأذى، كما قال تعالى: ﴿هَنا لك ابتلي المؤمنون، وزلزلوا زلزلاً شديداً﴾ [الأحزاب ٣٣ / ١١].

٢١٥- يسألونك أيها النبي عن الشيء الذي ينفقونه ما هو؟ فأجيبوا عما هو الأولى بالقصد، وهو بيان المصرف، فما أردتم إنفاقه من الأموال، فادفعوه للوالدين والأقارب واليتامى والمساكين، والمسافر المنقطع في سفره، وما تقدموا من خير لهؤلاء أو غيرهم، فالله عالم به، ومجاز عليه. أخرج الطبري عن ابن جريج قال: سأل المؤمنون رسول الله ﷺ: أين يضعون أموالهم، فنزلت: ﴿يسألونك ماذا ينفقون...﴾.

٢١٦- فرض عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن
تكفرها النفوس، لما فيه من إخراج المال، ومفارقة الأهل
والوطن، والتعرض للموت، وربما كرهتم الجهاد وهو
خير لكم، لما فيه من الغلبة وإعلاء الدين والشواب
الجزيل، وربما أحببتم ترك القتال، وهو شر لكم،
لاستيلاء العدو على بلادكم، والله يعلم ما فيه
صلاحكم، وأنتم لا تعلمون ذلك، فنفذوا ما أمرتم به.
قال ابن عباس: لما فرض الله الجهاد على المسلمين،
شق عليهم وكرهوا، فنزلت هذه الآية.

٢١٧- يسألك الناس أيها النبي عن القتال في الشهر
الحرام: شهر رجب، قل: القتال فيه ذنب كبير، ولكن
منعكم فيه عن الدخول في الإسلام، وعن المسجد
الحرام، وإخراج أهله: النبي والمؤمنين منه أعظم إثماً عند
الله من القتال في الشهر الحرام، وفتنة المستضعفين
المسلمين عن دينهم بالعذيب والإخراج أكبر إثماً من
القتل، ولا يزال الكفار يقاتلونكم أيها المؤمنون، حتى
يدرككم عن دينكم إلى الكفر، إن تمكنوا من ذلك، ومن
يرتد عن دينه الإسلام، ثم يموت كافراً، فأولئك بطلت
أعمالهم الصالحة في الدنيا، فلا يعامل معاملة المسلمين،
وفي الآخرة، فيضيع ثوابه، ويكون من أصحاب النار،
المقيمين فيها على الدوام، وهذا جزاء المرتد، أخرج
الطبري وغيره: أن رسول الله ﷺ بعث رهطاً أو

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن
تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ
لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ
الْحَرَامِ قُلْ فِيهِ قُلٌ قَاتَل فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَكَفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ
أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ
يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرْدُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْطَعُوا وَمَنْ
يَرْدُكُمْ عَنْ دِينِكُمْ فَبِمَتٍّ وَمَوْكَفٍّ أُولَئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا
وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ
قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْعٌ لِّلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا لَأَكْبَرُ مِنْ
نَّفْعِهِمَا أَوْ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ أَمْفُوكَ ذَلِكَ
يَبْتَغِي اللَّهُ لَكُمْ آلَايَتٍ لِّعَلَّكُمْ تَفْقَهُونَ ﴿٢١٩﴾

سرية، فلقوا عمرو بن الحضرمي، مقبلاً من الطائف، في أول ليلة من رجب الحرام، فقتله رجل منهم، وأخذوا
ما كان معه، ولم يشعروا بدخول رجب، فغيرهم المشركون بذلك، فنزلت الآية.

٢١٨- إن الذين صدقوا بالله ورسوله، وهاجروا من دار الكفر إلى دار الإسلام، وجاهدوا لإعلاء كلمة الله، أولئك
لهم رحمة الله كرمًا وفضلًا، والله واسع المغفرة، عظيم الرحمة بعباده. نزلت في سرية عبد الله بن جحش في رجب
قبل بدر حين قتلوا الحضرمي، فإنهم قالوا: يا رسول الله، هل نطمع أن تكون لنا هذه غزوة نعطى فيها أجر
المجاهدين؟ فأخبرهم الله تعالى أنهم على رجاء في الأجر، لإيمانهم وهجرتهم وجهادهم.

٢١٩- يسألونك عن حكم الخمر: (وهو ماء العنب المتخمّر)، وعن القمار (قمار العرب بالأزلام: وهي قطع من
الخشب يتقمارون بها بطريقة معينة على لحم البعير) قل لهم أيها النبي: في تعاطيها ذنب كبير ومفسدة عظيمة بضیاع
العقول وذهاب الأموال، وفيها أيضاً منافع اقتصادية ضئيلة، فنفع الخمر: ربح التجارة فيها، ونفع الميسر: نفع الفقراء،
وإثمهما أكبر من نفعهما؛ لأنه لا خير يساوي فساد العقل بالخمر، وفساد الميسر بالمخاطرة بالمال والعداوة والتعرض
للفقر، ويسألونك عما ينفقون من أموالهم في سبيل الله، قل: أنفقوا العفو: وهو ما زاد عن الحاجة ونفقة العيال، ومثل
هذا البيان بين لكم الآيات لتتأملوا في مصالحكم الدنيوية والأخروية. نزلت آية السؤال عن الخمر والميسر في عمر
ومعاذ ونفر من الأنصار، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: أفتنا في الخمر والميسر، فإنهما مذهبة للعقل، مسلبة
للمال، فنزلت. ونزلت آية السؤال عن النفقة في نفر من الأنصار المؤمنين حين أمروا بالنفقة في سبيل الله،
فسألوا عما ينفقون من أموالهم، فنزلت، وهي في رأي الجمهور في نفقة التطوع.

٢٢٠- أي تفكرون في أمور الدنيا والآخرة، فتفتقون من أموالكم على معاش الدنيا، والباقي في قربات الآخرة، ويسألونك أيها النبي عن مخالطة اليتامى والإشراف على شؤونهم، قل لهم: الإصلاح لهم خير من الترك، وتنمية أموالهم أفضل من تعطيلها، وإن تخلصوا أموالكم بأموالهم، وطعامكم يطعمهم، فهم إخوانكم في الدين، وذلك جائز، والله يعلم الفساد لأموالهم بأكلها من المصلح لها باستثمارها وتشغيلها، ولو أراد الله لأوقعكم في الحرج والمشقة، ولكنه يسر لكم، وأذن لكم بمخالطتهم، إن الله قوري لا يغالِبُ، يضع الأمور في موضعها بمقتضى الحكمة، فلا يكلف فوق الطاقة. قال الضحاك والسدي: سبب نزولها أنهم كانوا في الجاهلية يشحرجون من مخالطة اليتامى في مآكل ومشرب وغيرهما.

٢٢١- ولا تتزوجوا الشركات الوثنيات والكافرات غير أهل الكتاب، حتى يؤمن بالله ورسوله، والتزوج بملوكة مسلمة خير من حرة كافرة، ولو أعجبكم الشركة بسبب جمال أو مال أو شرف، ولا تزوجوا المشركين بالأموات، حتى يؤمنوا بالله ورسوله، وتزويج عبد مملوك مؤمن خير من حرة مشرك، ولو أعجبكم بجماله وماله وحسبه، فالمشركون والشركات يدعونكم إلى الأعمال الموجبة للنار، فكان في مصاهرتهم ضرر ديني، والله يدعوكم للعمل بما يدخل الجنة، ونيل المغفرة الإلهية بإرادة الله وفضله، والزواج

بين المؤمنين والمؤمنات يحق ذلك، ويوضح الله أمره ونواهيه للناس لكي يتعظوا ويعتبروا. قال مقاتل: نزلت هذه الآية في ابن أبي مرقد الغنوي استاذن النبي ﷺ في (عناق) أن يتزوجها وهي مشركة، وكانت ذات حظ من جمال، فنزلت.

٢٢٢- ويسألك عن جماع النساء وقت الحيض، قل لهم: الجماع في الحيض أذى، أي قذر وضرر، فاجتنبوهن في زمن الحيض، والمراد ترك المجامعة، لا ترك المجالسة أو الاستمتاع بما عدا الفرج أو بما دون الإزار، ولا تقربوهن بالجماع حتى يطهرن من الحيض بانقطاعه، فإذا اغتسلن بالماء، فأتوهن في المأثى الذي أباحه الله، وهو القبل موضع الإنجاب، إن الله يرضى عن التائبين من الذنوب، وعن المتطهرين من الجنابة والأحداث والفواحش. قال أنس بن مالك: كان اليهود إذا حاضت المرأة منهم، لم يأكلوها ولم يجامعوها في البيوت، فسأل الأصحاب رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت الآية، فقال: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح».

٢٢٣- ووجاتكم موضع الإنجاب وزرع النطف، فأتوهن على أي كيفية تريدون قائمة قاعدة، جالسة نائمة، باركة مضطجعة، إذا كان ذلك في موضع النسل، وقدموا عملاً صالحاً تجدونه عند الله، وخافوا الله بالوقوع في المحرمات، واعلموا أنكم ملاقو الله يوم القيامة، فيجازيكم بأعمالكم، وبشر المؤمنين بالجنة. قال جابر: كانت اليهود تقول إذا جامعها في القبل من ورائها: إن الولد يكون أحول، فنزلت الآية.

٢٢٤- لا تجعلوا الخلف بالله على قطيعة الرحم أو ترك الصدقة سبباً مانعاً لكم من فعل الخير، بل كفّروا عن أيمانكم واصنعوا الخير، فتحسنوا إلى المحتاج، وتتقوا ما حرم الله، وتصلحوا بين الناس، والله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم، قال ابن جريج: نزلت الآية بسبب أبي بكر الصديق إذ حلف ألا ينفق على مسطح، حين خاض مع المنافقين في حديث الإفك، وتكلم في عائشة رضي الله عنها، وفيه نزل: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ﴾ [النور ٢٤/٢٢].

٢٢٥- لا كفارة بالحنث في يمين اللغو: وهي ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف، ولكن الكفارة على الأيمان المنعقدة، أي التي قصدتموها وعزمت عليها، والله كثير المغفرة حيث لم يؤاخذكم بيمين اللغو، حليم لا يعاجل بالقوية.

٢٢٦- للذين يحلفون ألا يطؤوا نساءهم انتظار أربعة أشهر، فإن رجعوا عن يمين الإيلاء المذكورة، والفيء: الجماع لمن لا عذر له، فإن الله كثير المغفرة للزوج عما حلف بقصد الإضرار، رحيم بالتائبين. روى مسلم: أن النبي ﷺ أتى وطلق، وسبب إيلائه: سؤال نساءه إياءه من النفقة ما ليس عنده. وقال ابن عباس: كان إيلاء أهل الجاهلية السنة والسنتين وأكثر من ذلك، فوقت الله أربعة أشهر.

٢٢٧- وإن قصدوا الطلاق وصمموا عليه، فالله سميع لأقوالهم، عليم بمقاصدهم.

٢٢٨- وعدة المطلقات: انتظار من غير زواج بأخر ثلاث حيضات، أو ثلاثة أطهار، ويحرم عليهن كتمان وجود الحمل أو الحيض في أرحامهن، استعجالاً لإعلان انتهاء العدة، ومنع الزوج من الرجعة، إن كن يصدقن بالله واليوم الآخر، فيه وعيد شديد للكاتبات، وأزواجهن أحق بردهن إلى الزوجية السابقة، في مدة العدة، إن أرادوا إصلاحاً بالمراجعة، وللزوجات على الرجال من الحقوق مثل ما عليهن من الواجبات، بالمعروف شرعاً، من حسن العشرة، وترك الإضرار، من كلا الطرفين، وللرجال على النساء

درجة، أي منزلة زائدة، هي درجة القرواة، بسبب قيامهم بالإنفاق عليهن، وكونهم أشد قوة وتعقلاً، فعليهم عبء الجهاد ومسؤوليات الحياة، والله قوي في ملكه لا يُغلب ولا يعارض، حكيم فيما دبره خلقه. قالت أسماء بنت يزيد: طُلِّقْتُ على عهد رسول الله ﷺ ولم يكن للمطلقة عدة، فأنزل الله العدة للطلاق: ﴿والمطلقات...﴾.

٢٢٩- الطلاق الذي تجوز بعده الرجعة مرتان، أي الطلقة الأولى والثانية، فلا رجعة بعد الثالثة، ويكون مرة بعد مرة، لا دفعة واحدة، وبعد كل مرة إما إمساك أي رجعة بمعروف بحسن العشرة وأداء الحقوق، أو تفريق بإحسان بترك مراجعتها إلى انتهاء عدتها، وذهابها إلى بيت أهلها بطيب القول، وتقديم المتعة: وهي هدية أو مال، ولا يحل لكم أيها الأزواج أخذ شيء مما أعطيتموهن من المهر أو غيره، إذا كان الفراق برغبتكم، ولا دخل لها فيه، فإن خفتم أيها الحكام، أو الوسطاء بين الزوجين، أو الزوجان، ألا يقيما حدود الله في بقائهما في الزوجية بحسن عشرة وطاعة، فلا إثم على الطرفين أن تبذل المرأة شيئاً من المال عوضاً عن فراقها، وهذا هو الخُلْع، تلك هي أحكام الله في الزواج والفراق التي أمرتم بامتثالها، فلا تتجاوزوها بالمخالفة لها، ومن يخالفها فهم الظالمون لأنفسهم. قالت عائشة: نزلت حينما قال رجل لامرأته: والله لا أطلقك فتبينني مني، ولا أويك أبداً، قالت: وكيف ذلك؟ قال: أطلقك، فكلما هُمْتُ عدتك أن تنقضي، وراجعتك، فنزل القرآن: ﴿الطلاق مرتان...﴾.

٢٣٠- فإن طلقها الزوج طلقة ثالثة، فلا تحل له رجعتها، حتى تتزوج زوجاً آخر غيره زوجاً دائماً غير مؤقت، ويجماعها، فإن قصد التحليل للأول، فذلك حرام، فإن طلقها الزوج الثاني، فلا حرج على الزوج الأول أن يتزوجها بعقد جديد بعد انقضاء العدة، إن علما أنهما يتفان حقوق الزوجية الواجبة على الطرفين، وتلك أحكام الله بينهن لقوم يتدبرون. نزلت هذه الآية في عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك، تزوجت بعد البيئونة الكبرى بزواج، ثم طلقها قبل أن يمس، وأرادت الرجوع للأول، فقال لها النبي ﷺ: لا، حتى يمس، ونزل فيها هذا الحكم.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِلَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرِيصٌ أَرْبَعَةٌ أَشْهُرٌ فَإِنْ فَاءَ وَإِنْ اللَّهُ عَمُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكُنَّ بِمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَنَعُولُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَمْ يُزَلَّ لَهُنَّ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ أَلْطَلَقَ مَرَّاتٍ فَاِمْسَاكِ بِمَعْرِفِ أَوْ تَشْرِيحٍ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ سِتْرًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ زَوْجًا غَيْرُهَا فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا أَنْ تَرَجِعَ إِذَا طَلَّقَ أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

٢٣١- وإذا طلقتم النساء طلاقاً رجعيّاً مرة أو مرتين، فقاربن انقضاء عدتهن، فراجعوهن قبل انتهاء العدة، من غير قصد الإضرار وعاملوهن بالحسنى، أو اتركوهن حتى تنقضي عدتهن من غير مراجعة ضرارا، ولا تراجعوهن إضرارا وليداء بتطويل العدة، لتعتدوا عليهن بإلجائتهن إلى الفداء بالمال (الخلع) ومن يفعل ذلك فقد عرض نفسه في الآخرة للعذاب، ولا تتخذوا أحكام الطلاق والرجعة ونحوهما طريقاً للهزء واللعب بمخالفتها، فمن طلق هازلاً لم يزل عيبه، ومن تلاعب عيبه الله، واذكروا نعمة الإسلام وشرائعه بعد أن كنتم في جاهلية، واذكروا ما أنزل الله من القرآن والسنة أو أسرار الشريعة، يذكركم ويعلمكم بما أنزل عليكم لتعملوا به، وخافوا الله في جميع أموركم، واعلموا أن الله عالم بكل أعمالكم ومجازيكم عليها. قال ابن عباس: كان الرجل يطلق امرأته، ثم يراجعها قبل انقضاء عدتها، ثم يطلقها، يفعل ذلك، يضارها ويعضلها، فانزل الله هذه الآية.

٢٣٢- وإذا طلقتم زوجاتكم طلاقاً رجعيّاً، وانتهت عدتهن، فلا تمتعهن أيها الأولياء من

وإذا طلقتم النساء قبل أن أجلهن فأنسكنوهن بمعروف أو سرورهن بمعروف ولا تمسكنوهن ضراً لا ينعذوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آية الله هزواً واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله وأعلموا أن الله بكل شيء عليم ٢٣١ وإذا طلقتم النساء قبل أن أجلهن فلا تصلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر لعلكم تذكرون ٢٣٢ وأولدت يرضعن أولادهم تحولين كاملين من أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لأضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أراد إفصالاً عن راضٍ ينهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن ينسأ ضيقاً أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم إناهم بالمعروف واتقوا الله وأعلموا أن الله بما تعملون بصير ٢٣٣

نكاح أزواجهن الذين طلقوهن أو غيرهم بعد انقضاء العدة، إذا رضي كل منهما بالآخر، بما هو معروف شرعاً، ذلك النهي عن المنع (العضل) يتعظ به المؤمن بالله والآخر، لقبوله إياه وتركه هوئ النفس، وذلك الحكم المقرر بالرجعة بعقد جديد أبرك وأنفع لكم، وأظهر للسمعة من الأنداس والأثام، والله يعلم ما فيه الصلاح والخير، وأنتم لا تعلمون ذلك. نزلت في معقل بن معقل بن يسار حينما أراد زوج أخته أن يراجع زوجته بعد انقضاء العدة، فمنعها، وعلم الله حاجة كل من الطرفين للآخر، فانزل الله ﴿وإذا طلقتم﴾.

٢٣٣- على الوالدات المطلقات أو غير المطلقات إرضاع أولادهن ستين كاملتين لمن أراد إرضاع هذه المدة، ويجوز ما دونها برضا الوالدين، وعلى والد الطفل نفقة المطلقة من طعام وكسوة بقدر طاقته، وغير المطلقة تجب نفقتها ولو من غير إرضاع الأولاد، لا تطالب نفس بنفقة الرضاع إلا بقدر طاقتها أو استطاعتها، ولا يجوز إضرار الوالدة بسبب ولدها، كالنضيق عليها بالنفقة، أو ينزع الولد منها إذا رضيت بإرضاعه أو بإكراهها على إرجاعه إذا امتنعت، وعلى وارث الأب الوصي على المولود مثل الواجب الذي كان على أبيه من نفقة المرضعة وكسوتها، فإن أراد الوالدان فطام الولد عن الرضاع، قبل الحولين، باتفاق بينهما، وتشاور فيما يحقق مصلحة الطفل، فلا إثم عليهما في هذا الاتفاق، وإن أردتم أيها الآباء أن تطلبوا مرضعة من النساء غير الأم، فلا إثم ولا حرج عليكم إذا أدبتم حقوق الأمهات أو المرضعات، من الأجر، دون معاملة أو نقص، وبالقدر المتعارف عليه بين الناس؛ لأن نقص الأجر يبعث على التساهل بأمر الولد، وبشرط ألا تتضرر الأم باسترضاع غيرها، وخافوا الله، واعلموا أن الله خير، بصير بأعمالكم، ومجازيكم عليها.

٢٣٤- والذين يموتون من الأزواج، ويتركون زوجات، فعليهن عدة أربعة أشهر وعشرة أيام بلياليها، فلا يتزوجن ولا يتزين ولا يخطبن أحد، وقدرت هذه المدة؛ لأن الجنين يتحرك في الغالب في نهاية الأربعة أشهر، وتزداد العشرة احتياطاً لاحتمال ضعف الحركة، فإذا انتهت عدتهن، فلا إثم عليكم إن عُدن للتزين والتعرض للخطاب والتزوج إن أردن ذلك، بحسب المتعارف عليه شرعاً ومقتضى العادة الحسنة عند ذوي المروءات، والله مطلع على أموركم، لا يخفى عليه شيء. وهذه هي عدة الوفاة بعد بيان عدة الطلاق، والإحداد واجب على المرأة المتوفى عنها زوجها، والإحداد: ترك الزينة من الطيب ولبس الثياب المزركشة والحلي.

٢٣٥- ولا ذنب عليكم في التعريض دون التصريح بخطبة النساء المعتدات المتوفى عنهن أزواجهن، أو المطلقات طلاقاً باتناً، كان يقول: إنك امرأة صالحة، أو يمدح نفسه أو يشير إشارة لطيفة بقول أو فعل، ولا يجوز ذلك للمطلقة الرجعية، ولا ذنب أيضاً فيما أضمرتم في أنفسكم بالرغبة في زواجهن، علم الله أنكم ستذكروهن بالخطبة في العدة، ولا تصبرون عنهن، فأباح لكم التعريض دون التصريح، ولا تواعدوهن سراً في العدة بالزواج، كالقول: تتزوجيني؟ إلا إذا قلتم قولاً معروفاً شرعاً: وهو ما أبيح من التعريض، مثل: إنك جميلة، أو إنني بحاجة إلى النساء الصالحات، أو إظهار الاهتمام بمصالحها وشؤونها، ولا تعقدوا عقد الزواج حتى تنتهي العدة، وتحريم العقد في العدة مجمع عليه، ولا تحل به المرأة، واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم من الرغبة والعزم وغيره، فاحذروا العقاب إذا عزمتم على الزواج قبل انتهاء العدة، واعلموا أن الله كثير المغفرة لحديث النفس، حليم لا يعاجل بالعقوبة، صفوح عن الأخطاء.

٢٣٦- لا إثم ولا تبعة عليكم ولا مهر مثل إن طلقتم النساء قبل الدخول بهن وقبل تسمية المهر، وإنما يجب كامل المهر المسمى أو مهر المثل بالجماع، والواجب في حال عدم تسمية المهر وقبل الدخول إعطاء المطلقة المتعة: وهي هدية أو كسوة أو مال عوضاً عن المهر، وتقدر المتعة بحسب حال الزوج يساراً وإعساراً، فعلى الغني المورس قدر استطاعته، وعلى الفقير بقدر إمكانه، تمتعاً بالمعروف: وهو ما عُرف في الشرع والعادة الموافقة له، و تمتعاً واجباً على الذين يحسنون معاملة المطلقات، ويخشون الله، ويخافون الظلم. نزلت الآية في رجل من الأنصار تزوج امرأة، ولم يسم لها صداقاً، ثم طلقها قبل أن يمسه، فقال له ﷺ: «أمتعها ولو بقلنسوتك».

٢٣٧- وإن طلقتم النساء قبل الدخول بهن، وقد حددتم لهن مقدار الصداق، فالواجب عليكم نصف المهر المسمى، إلا أن تعفو المطلقة وتتازل عن المهر كله أو بعضه، أو يعفو الزوج، فيعطيه المهر كله، أو لا يسترد منه شيئاً بعد الطلاق، والعفو من الرجال أو النساء أحب إلى الله تعالى، ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض بتسامحه عن بعض حقوقه للأخر، إن الله مطلع على أعمالكم، فيجازيكم عليها.

وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيُتْرَكُونَ أَزْوَاجًا يَرَى بَعْضُ أَنْفُسِهِمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٦﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَيْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلَى اللَّهِ أَنْتُمْ سَتَذَكَّرُونَ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَزِرُ مَوَاعِدُهُ الْكَفَّ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٧﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَكُمْ مَسْئُومٌ أَنْ تَقْرِبُوهُنَّ مِنْ بَيْتٍ فَرِيضَةٍ وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِفِ قَدَرَهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْحُسْنَيْنِ ﴿٢٣٨﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَوَضَعُوا مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَوْبَى لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنْ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٩﴾

٢٣٨- واظبوا على إقامة الصلوات، وعلى صلاة العصر، فهي الوسطى على الراجح لتوسطها بين الصلوات الخمس، وقوموا في صلاتكم خاشعين. قال مجاهد- فيما رواه الطبري:- كانوا يتكلمون في الصلاة، وكان الرجل يأمر أخاه بالحاجة، فأنزل الله: ﴿وقوموا لله قانتين﴾.

٢٣٩- هذه صلاة الخوف، فإن خفت من عدو أو حيوان مفترس مثلاً، فصلوا مشاة، أو راكبين، مستقبلي القبلة أو غير مستقبلين، مع الحركة أو بدونها، فإذا زال الخوف، فصلوا صلاة الأمن، باستقبال القبلة والقيام، وغير عن ذلك بالذكر: وهو التحميد والتسبيح والتشهد والقراءة؛ لأن كل ذلك ركن في الصلاة، واذكروا الله كما علمكم من الشرائع والأركان والشرائط، ما لم تكونوا تعلمون ما يرضيه من أنواع العبادات وكيفياتها المشروعة.

٢٤٠- والذين يموتون ويتركون زوجات، فليوصوا وصية لأزواجهم، بأن يمتنع بعدهم بالفقة والسكنى سنة كاملة، من غير إخراج من بيوتهن- بيوت الأزواج- فإن خرجن باختيارهن قبل انتهاء السنة، فلا إثم على الولي وغيره فيما فعلن بالخروج وترك الحداد على أزواجهن، واتباع المعروف في الشرع، مما يدل على تغيير النساء في سكنى الحول، والله قوي غالب في ملكه، حكيم في صنعه وتدير مصالح خلقه. وهذا الحكم منسوخ بآيات الموارث،

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فِرَاجًا أَوْ زَبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ فَأَلَّا تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُمُوتُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلطَّلَقِ نَبْذٌ مَعْرُوفٌ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَالُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْضِي وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

ويوجب عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرة أيام. نزلت في رجل من أهل الطائف قدم المدينة، فمات فيها، فأعطى النبي ﷺ ميراثه لوالديه وأولاده بالمعروف، وأمرهم بأن ينفقوا على المرأة من تركه زوجها إلى الحول.

٢٤١- وللمطلقات عموماً المدخول بهن وغير المدخول بهن متعة أو مستحبة، وقيل: المراد نفقة العدة، بالقدر المستطاع للأزواج، حقاً مقررراً على الأتقاء. قال ابن زيد: لما نزلت: ﴿ومنعوهن..﴾ [البقرة ٢/ ٢٣٦] قال رجل: إن أحسنت فعلت، وإن لم أرد ذلك لم أفعل، فأنزل الله: ﴿وللمطلقات متاع..﴾.

٢٤٢- مثل ذلك البيان بين الله لكم أحكام شريعته في العبادات والمعاملات لكي تذكروا حكمة التشريع وتعملوا بما أمرتم. ٢٤٣- ألم ينته إلى علمك أيها النبي خبر أولئك القوم، وهم ألوف مؤلفة جنه، فرأوا من عدوهم مع كثرتهم، خوفاً من أسباب الموت، فأماتهم الله، ثم أحياهم، إن الله صاحب الفضل الكبير على الناس جميعاً، حيث أرشدهم إلى طريق العزة والنصر، ولكن أكثر الناس وهم الكفار لا يشكرون الله على نعمه. والهدف: هو تشجيع المسلمين على الجهاد. قال ابن عباس: كانوا أربعة آلاف، خرجوا فراراً من الطاعون، وقالوا: نأني أرضاً ليس بها موت، حتى إذا كانوا بجوزع كذا وكذا، قال لهم الله: موتوا، فماتوا، فمر عليهم نبي من الأنبياء، فدعاهم أن يحييهم حتى يعبدوه، فأحياهم. ورأي بعض المعاصرين: أنه لما انقرض الجيل الجبان، ظهر منهم جيل عزيز، ثار وهزم عدوه.

٢٤٤- وقاتلوا أيها المسلمون في سبيل إعلاء كلمة الله، واعلموا أن الله سميع لدعاكم، عليم بشؤونكم وأحوالكم. ٢٤٥- الجهاد يتطلب الإنفاق، فالذي يتفق نفقة طيبة بها نفسه من مال حلال، ينمي الله ماله في الدنيا، ويمتعه في الآخرة الثواب مراراً كثيرة، والله يقلل الرزق على من يشاء، ويوسعه على من يشاء، وإليه ترجعون يوم القيامة، فيجازيكم بما قلتم من الأعمال. قال ابن عمر: لما نزلت: ﴿مثل الذين ينفقون..﴾ [البقرة ٢/ ٢٦١] قال رسول الله ﷺ: رب، زد أمتي، فنزلت: ﴿من ذا الذي يقرض الله..﴾.



أَرْسَلْنَا إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا
لِنَبِيِّهِمْ أُتِيتْنَا مَلَكًا مَلَكًا نَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
قَالَ مَلَكُكُمْ إِنِّي كُنْتُ عَلَيْكُمْ أَقْتَالًا أَلا تَتَّقُوا
قَالُوا وَمَا نَاكَ أَلا تَقْتُلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا
مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءَنَا فَتَكُنْ عَلَيْهِمْ
أَقْتَالًا تَقُولُوا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالظَّالِمِينَ
﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ
طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ
أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُبْدِ لَهُ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ
اللَّهَ آمُطِفُهُ عَلَيْهِمْ وَزَادَ سَعَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ
وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكًا مِّنْكُمْ مَّشَاءً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ
﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ
الْتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا
تَرَكَ آبَاؤُكُمْ وَمِثْلُ مَا هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ
إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُمُ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

٢٤٦- ألم ينته إلى علمك قصة أشراف الناس
من بني إسرائيل الذين جاؤوا من بعد وفاة موسى،
إذ قالوا للنبي لهم هو صمويل أو صمويل: عين أو
اختر لنا ملكاً أو قائدًا نعمل بآرائه في الحرب، نقاتل
معه الطغاة في سبيل الله، قال لهم نبيهم في ذلك
الزمان: لعلمكم أو أتوقع منكم الجبن والتخاذل إن
فرض عليكم القتال؟ قالوا: وما لنا ألا نقاتل،
وكيف لا نكون شجعاناً، نقاتل في سبيل الله، وقد
طردنا من ديارنا، وحرمتنا من أبنائنا بسبب أخذهم
أسرى أو قتلهم؟ فلما فرض عليهم القتال،
تخلفوا عن الجهاد إلا قليلاً منهم ثبتوا على العهد،
والله عالم بمن نقض العهد، وظلم نفسه فأخلف
الوعد.

٢٤٧- وقال لهم نبيهم صمويل: إن الله أرسل
لكم طالوت ملكاً، فعليكم بطاعته، والقتال معه،
فاعترضوا قائلين: كيف يكون ملكاً علينا، وهو
فقير، ليس من أسرة الملوك، ونحن أصحاب
السلطة والسيادة أحق بالملك منه، وهو فقير لم
يؤت رزقاً واسعاً ومالاً وفيراً يستعين به على إقامة
الملك؟ فقال نبيهم: إن الله اختاره لكم ملكاً، وزاده سعة في العلم، وقوة في الجسم، فكان قوياً في دينه
وتدبيره الأمور، وبدنه ليقاوم الأعداء في الحروب، والله واسع الفضل، عليم بمن هو أهل للملك وأصلح له
والله يهب الملك لمن يختاره هو.

٢٤٨- وقال لهم نبيهم صمويل: إن علامة ملك طالوت أن يأتيكم التابوت: وهو صندوق التوراة، الذي
سلب منكم وأخذه أعداؤكم الفلسطينيون، فيه سكين: وقار وطمأنينة وسكون للنفس، أي سبب سكون
قلوبكم فيما اختلغتم فيه من أمر طالوت، وفيه بقية، أي قطع من ألواح التوراة، ومخلقات وآثار آل موسى
وآل هارون، كعصا موسى، تحمله الملائكة حتى تضعه في بيت طالوت، إن في ذلك علامة على ملكه، إن
كنتم أمتهم بالله حقاً، فاسمعوا لطالوت وأطيعوه. قال ابن عباس: «كانت العماليق قد سبوا التابوت من بني
إسرائيل، فجاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض، وهم ينظرون إليه، حتى وضعته عند
طالوت، فلما رأوا ذلك قالوا: نعم، فسلموا له وملكوه، وكان الأنبياء إذا حضروا قتالاً، قدّموا التابوت بين
أيديهم».

٢٤٩- فلما خرج طالوت عن بلده بيت المقدس مع جنوده إلى قتال العمالقة، قال لهم طالوت: إن الله مختبركم بنهر: هو نهر الأردن، فمن شرب منه، فليس من جنودي أو أصحابي الطيبين، ومن لم يذقه أو لم يشرب منه، فإني من أتباعي وجنودي، إلا من أخذ منه بمقدار ملء الكف بالاعتراف غرفة واحدة، فشربوا منه وعصوا أمر ملكهم إلا عدداً قليلاً منهم بعدد أصحاب بدر، ثلاثمائة وبضعة عشر، كما في صحيح البخاري، فلما اجتاز طالوت النهر هو وجماعته المؤمنون القلة الطائعون، قال ضعفاء الإيمان منهم: لا قدرة لنا على قتال جالوت: أكبر طاغية وثني كان قد احتل مع أتباعه فلسطين، ولا قتال جنوده لكثرتهم وقلة عددنا، قال الذين يتيقنون أنهم ملاقور بهم في الآخرة: قد تغلب الجماعة القليلة الجماعة الكثيرة بإرادة الله ونصره وتأيبه، والله مع الصابرين بالعون، وإن النصر مع الصبر، وليس بكثرة العدد.

٢٥٠- ولما ظهروا لقتال جالوت (أمير العمالقة)

وجنوده، قالوا: ربنا صبرنا كثيراً، وثبتنا وقوتنا على الجهاد وعدم الفرار، وانصرنا على أعدائنا الكفار: جالوت وجنوده، ومُدَّنَا بالعون حتى نتغلب عليهم.

٢٥١- فأجاب الله دعاءهم، وهزموا العمالقة بأمر الله وإرادته، وقتل داود بن إيشا، أحد جنود عسكر طالوت، جالوت الجبار الكافر، وأعطى الله داود النبوة (الحكمة) وجعله ملكاً على بني إسرائيل أثناء حياة طالوت، بعد أن كان راعياً، وعلمه ربه من علومه، كصناعة الدروع، ومعرفة منطق الطير، ولولا مدافعة بعض الناس ببعض الآخر، ومقاومة الأشرار، لتغلب أهل الفساد على الأرض، وقتلوا المؤمنين، وأهلكوا الحرث والنسل والسكان، ولكن الله صاحب فضل على العالمين، يتولى رعايتهم وحفظهم، ودفع بعضهم ببعض.

٢٥٢- هذه آيات الله في هذه القصة، نتلوها عليك أيها النبي، بالحق: الخبر الصحيح من غير زيادة ولا نقصان ولا تحريف، وإنك يا محمد من جملة رسل الله، يأتيك وحى الله تعالى، وتخبر به الناس. وفي هذا تقوية لقلبه وتثبيت شأنه.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَمُوا اللَّهَ كَمَنْ فِتْنَةً قَلِيلًا عَظُمَتْ فِيهِ ذِكْرَةٌ بِأُذُنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَوْا جَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَبَسِّتْ أَقْدَامَنَا وَاصِْرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِأُذُنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ إِلَهِكَ إِلَهُكَ نَتْلُوهُمَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾



تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ
 اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ
 وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَنِي
 إِسْرَءِيلَ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ
 وَصَّيْنَاهُ مِنْ كَفَرٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتُلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ
 ﴿٢٥٣﴾ يَتَّبِعُهُ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفُسُهُمْ تَزَكَّرُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ
 يَوْمُ لَا يَنْفَعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ
 ﴿٢٥٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَلَمْ يَأْتِ الْفِرْعَوْنَ لَا تَسَحُّوهُ سِنَّةً
 وَلَا يَوْمًا لَقَاؤُهُ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ذَا الَّذِي
 يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
 وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ
 كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
 وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ
 تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ
 فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

٢٥٣- أولئك الرسل الذين قص الله عليك أيها
 الرسول أخبارهم في القرآن، فضّل الله بعضهم
 على بعض بخصائص أو مآثر، وميّز بعضهم على
 الآخرين ببعض المناقب، منهم من كلم الله
 مباشرة، وهو موسى ونبينا عليهما السلام، ورفع
 بعضهم درجات كإدريس، وإبراهيم ومحمد عليهم
 الصلاة والسلام، وآتى الله عيسى المعجزات الدالة
 على نبوته، وهي المذكورة في الآية [٤٩] من سورة
 آل عمران [٣]، كإحياء الموتى وإبراء المرضى بإذن
 الله، وأيده الله بروح القدس: جبريل عليه السلام،
 ولو شاء الله ما أقتل الذين جاؤوا من بعد هؤلاء
 الرسل، ومن بعد مجيء الأدلة الواضحة على
 صدق رسلهم، ولكن اختلف أم الأنبياء بعد إقامة
 الحجة عليهم، حتى أقتتلوا، فممنهم من آمن بالله
 ورسله، ومنهم من كفر بالله ورسله، ولو شاء الله
 عدم أقتلهم بعد هذا الاختلاف، ما أقتتلوا، ولكن
 الله يفعل ما يريد، لحكمة اقتضاها، ولا راد
 لحكمه، يفعل ما يشاء.

٢٥٤- يا أيها المؤمنون أنفقوا في سبيل الله، عما
 رزقكم الله، بقدر الاستطاعة، لتنالوا الثواب في
 الآخرة، من قبل مجيء يوم القيامة، الذي لا يبع
 ولا شراء فيه حتى تشتتوا أنفسكم من العذاب، وما فيه النجاة، ولا توجد فيه صداقة ومودة تنفع،
 والكافرون هم الظالمون لأنفسهم بتكذيب الرسل، وعصيان أوامر الله تعالى.

٢٥٥- الله الذي لا معبود بحق سواه، المتفرد بالآلوهية، الحي الباقي الدائم الحياة، القائم بتدبير الخلق
 وحفظهم ورعايتهم، لا يتعرض لنعاس ولا يقبله، ولا ينام، له جميع ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً
 وعبيداً، ليس لأحد أن يشفع عنده إلا بإذنه، يحيط علمه بكل ما في الدنيا والآخرة، أحاط كرسيه بجميع
 السموات والأرض، والكرسي: شيء عظيم لا تدركه عقولنا، وبعضهم أوكه بقوله: أحاط علمه أو شمل
 سلطانه كل شيء، ولا يشغله ولا يشق عليه حفظ السموات والأرض، وهو الرفيع الشأن والمقام، القاهر
 الغالب، وهو ذو العزة والكبرياء والجلال الذي لا شيء أعظم منه. روى مسلم في صحيحه عن أبي بن
 كعب: أن النبي ﷺ قال عن آية الكرسي فيما معناه: إنها أعظم آية من كتاب الله تعالى.

٢٥٦- لا إجبار على الدخول في الإسلام، قد ظهر طريق الرشد (أي الإيمان والهدى) وسبيل الضلال
 والجهل الناشئ عن الاعتقاد الفاسد، فمن يصدق بوجود الله ووحدانيته ورسالة محمد ﷺ، فقد تمسك
 بوسيلة النجاة المحكمة هي الإسلام، لا انحلال لها ولا انقطاع، بل مضمونة النجاة، وقد شبه الدين بالعروة
 القوية الربط التي لا تنفصم، والله سميع لإقرار من آمن وصدق، عليم بصدقه وإخلاصه. قال ابن عباس:
 نزلت في أنصاري هو الحصين أراد إكراه ابنين نصرانيين له على الإسلام، فأبيا إلا النصرانية،
 فأنزل الله الآية.

٢٥٧- الله نصير ومعين المؤمنين، يرعاهم ويوفقهم ويمدهم بتأييده، يخرجهم من ظلمات الكفر والشك والجهل إلى نور الهداية والإيمان والعلم، والكفار: نصراؤهم قادة الضلال وكل ما عبد من دون الله والشياطين، يخرجونهم من نور الإيمان الذي هو فطرة الله إلى ظلمات الكفر والعصيان والجهل، أولئك الكفار هم أصحاب النار الماكثون فيها أبداً. أخرج الطبري عن عبدة بن أبي لبابة في قوله: ﴿اللَّهُ وَلِيٌّ﴾ قال: هم الذين كانوا آمنوا بعميسى، فلما جاء محمد ﷺ آمنوا به، وأنزلت فيهم هذه الآية.

٢٥٨- ألم تعلم بالذي جادل إبراهيم في وجود ربه، وهو غروذ بن كنعان من جبابرة كفار بابل في العراق، بسبب إتياء الله له الملك الذي أورثه الكبر والعتو، فكفر بأنعم الله، حين قال: من ربك يا إبراهيم؟ فقال: ربي هو الذي يحيي الناس ويميتهم، قال غروذ: أنا أيضاً أحيي وأميت، قال ابن عباس: أتى برجلين، فقتل أحدهما وعفاه عن الآخر، وادعى أنه أحيى وأمات. وذلك مغالطة؛

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ أَطْفُلُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمَلَكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىْ لِذِى نَجْتِى وَنَجِيتُ قَالَ أَنَا أُخِيءُ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِى هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِيتُ قَالَ لَبِيتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِيتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَوْ تَسَنَّاهُ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهُمَا لَئِذَا فُتِّتَ لَّهُ قَالَ أَعْلَوْتُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

لأن إبراهيم أراد أن الله هو الذي يخلق الحياة والموت في الأشياء، قال له إبراهيم: إن الله يُطلع الشمس من المشرق، فأطلعها من المغرب، وتلك حجة لا تقبل المغالطة، فتحيّر ودُهِش الكافر، والله لا يوفق الكفار إلى طريق الهداية، لا بتعادهم عنه.

٢٥٩- أو هل رأيت أيها النبي مثل العزيز من بني إسرائيل، حين مرَّ على قرية من أرض بيت المقدس بعد تخريب بُخْتَنَصَّرَ لها، فهي خاوية من السكان، والبيوت قائمة، أو أن السقوف والحيطان سقطت منها، فقال: كيف يحيي الله أهل هذه القرية، أو كيف تعود فيها الحياة البناء والعمارة والسكان؟ فأماته الله بنفسه، مائة سنة، ثم بعثه حياً بعد موته، فقال له: كم مكثت هنا ميتاً؟ قال بحسب ظنه: مكثت يوماً أو بعض يوم، معتقداً أنه نام وأفاق، قال له ربه: بل مكثت ميتاً مائة سنة، فانظر إلى ما كان معك من طعام وشراب لم يتغير مع طول المدة بقدرة الله، وانظر إلى حمارك الذي مات كيف نحياه بعد تفرق أجزائه، ولنجعلك مثلاً على البعث بعد الموت، ودليلاً على قدرتنا، وانظر إلى العظام، كيف نرفع بعضها من الأرض، ونضم أجزاءها، ثم نردها إلى أماكنها، ثم نستريحها باللحم، فلما اتضح له ذلك عياناً، بعد أن أنكر أو استغرب كيفية قدرة الله، قال: أعلم، أي اطمأن قلبي إلى أن الله قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.



وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنْجِي آلَوْفَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ
قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِّيُطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ خُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ
فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْمَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ
أَذْهَبْنِ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾
مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أُتْبِتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَبِيلَةٍ مَائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِفُ
لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ
أَخْرَجَهُمْ عَنْ دُرُوبِهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾
﴿٢٦٣﴾ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَىٰ
وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا
صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءً
النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ
ثَرَاتٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَكَرَّمَتْ صَكَلًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ
فَمِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٥﴾

٢٦٠- واذكر أيها النبي حين قال إبراهيم الخليل: رب أرني رؤية عين لا رؤية قلب، ليطمئن قلبي، كيف تعيد الموتى أحياء؟ قال له الله تعالى: أولم تصدق بقدرتي على الإحياء حتى ترى؟ قال: بلى يا رب علمت وأمنت بقدرتك، ولكن سألت ذلك ليزداد يقيني باجتماع المعاينة إلى الاستدلال على الإيمان، قال: فخذ أربعة طيور، وضمهن واجمعهن إليك، ثم قطعهن، واجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءاً، ثم نادهن، يجتن إليك مسرعات في الطيران، واعلم يا إبراهيم أن الله قوي غالب لا يعجزه شيء، حكيم في صنعه وتديبه.

٢٦١- صفة حال المتفقين أموالهم في سبيل الله في الجهاد وغيره بقصد مرضاته، كصفة زارع حبة أنبت سبع سنابل في ساق واحدة، في كل سنبله مئة حبة، والله يضاعف عطاء لمن يشاء من عباده، والله كثير الفضل والعطاء، عليم بأحوال المنفق: نيته ومقدار نفقته. نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف، حيث جهز الأول

جيش تبوك، وجاء الثاني بأربعة آلاف درهم صدقة، وأبقى أربعة آلاف لعياله، فقال النبي ﷺ: «يا رب، إن عثمان بن عفان رضيته عنه، فارض عنه»، وقال لعبد الرحمن: «بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت».

٢٦٢- الذين ينفقون أموالهم فيما يؤدي لمرضاة الله، ثم لا يتبعون صدقاتهم منّا، أي تحدثاً بما أعطى أو تعداد الإحسان على المحسن إليه، ولا أذى (وهو أعم من المن)، أي سباً وإساءة وتطاولاً، لهم ثوابهم عند ربهم على ما أنفقوا، ولا خوف عليهم في الدارين، ولا يحزنون على شيء في الدنيا.

٢٦٣- كلام حسن ورد جميل على السائل، وستر لسوء حاله وتجاوز وعفو عن إلحاحه في السؤال خير من الصدقة المعلقة له، المصحوبة بالمن عليه بها، وإيذائه بالقول أو بالفعل، والله غني عن مثل هذه الصدقة، حلیم على عباده، فلا يعاجل بالعقوبة، وإنما يؤخرها.

٢٦٤- يا أيها المؤمنون لا تبطلوا ثواب صدقاتكم بالمن والأذى (بمعناها المتقدم) متشبهين بحال المنافق الذي ينفق ماله مرائياً للناس ليحمدوه، ولا يقصد وجه الله وثواب الآخرة، ولا يصدق بالله والآخرة، ومثله كمثل حجر أملس، عليه تراب، فأصابه مطر غزير، فجرف عنه التراب، وبقي أجرد نقياً لا يثبت شيئاً، فكذلك تكون نفقة هذا المرائي لا تنفعه ولا ثواب له، فلا يحصل المنان والمؤذي والمرائي على شيء من الثواب يوم القيامة، على ما عملوا أو أنفقوا في الدنيا، كما لا شيء على الحجر من التراب الذي كان عليه، والله لا يوفق الكافرين لما فيه الخير والرشاد.

٢٦٥- ومثل أو صفة المنفقين أموالهم بقصد إرضاء الله، وتيقناً من ثوابه تعالى وتوطئناً على الطاعة والإيمان، كصفة بستان بأرض مرتفعة ارتفاعاً يسيراً (هضبة) لحسن نباتها، أصابها مطر شديد، فأعطت ثمرها مثلي ما كانت تثمر، بسبب الوابل، فإن لم يصبها وابل، فمطر خفيف يكفيها، لطيب منبتها، والمراد أنها لجودة أرضها يكفيها الطل، والله مطلع على أعمالكم، لا يخفى عليه شيء منها.

٢٦٦. هل يحب أحدهم أن يكون له بستان فيه أشجار النخيل والعنب، تجري من تحت أشجارها الأنهار، وله من كل أنواع الثمار، وأدرسته الشيخوخة أو كبر السن الذي هو مظنة شدة الحاجة، بسبب العجز عن العمل، وله ذرية صغار عاجزون عن الكسب، والجمع بين الكبير وضعف الذرية، لبيان شدة الحاجة، فأصاب بستانه ريح مسموم عاصفة شديدة الحرارة، ثم ترتفع حاملة غباراً أكهية العمود، وهي الزوينة، فاحترق، وهذا تمثيل لشفقة المراتي، تضعيع يوم القيامة، عند شدة الحاجة إليها، مثل ذلك، يبين الله الآيات عن طريق ضرب الأمثال والعبر، لكي تتفكروا في زوال الدنيا

وَمِنَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتُبَيِّنَا
مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاقَتْ
عُكَّهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَوِصِبَهَا وَابِلٌ فَطُلَّ اللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٧﴾ أَيَوِّدُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ
لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ
فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ
ضُعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٨﴾ بَيِّنَاتُهَا
الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا
لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَكْتُمُوا الطَّيِّبَاتِ مِنْهُ تَتَشَفَعُونَ
لَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَّا أَنْ تَقْضُوا فِيهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ حَمِيدٌ ﴿٣٩﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ
بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ
﴿٤٠﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٤١﴾

٢٦٧- يا أيها المؤمنون أدوا زكاة أموالكم، من جيد وأفضل ما كسبتم ومن حلاله، ومن مختلف أنواع الأموال التي تجب فيها الزكاة، وأنفقوا مما أخرج الله لكم من الأرض من زروع وثمار ومعادن، ولا تقصدوا رديء المال، تخرجون منه الزكاة، والحال أنكم لا تأخذونه إذا دفع إليكم في معاملتكم، إلا أن تتساهلوا وتغضوا النظر عنه كراهة وحياء، وترضوا ببعض حقكم، فكيف تؤدون حق الله منه؟ واعلموا أن الله غني عن زكواتكم ونفقاتكم، مستحق للحمد في كل حال على نعمه الكثيرة، محمود الأفعال. قال سهل بن حنيف: كان الناس يتيممون شر ثمارهم، يخرجونها من الصدقة، فنزلت الآية: ﴿وَلَا تَيْمَمُوا الْخَبِيثَ...﴾.

٢٦٨ - الشيطان يخونكم الفقر إذا أنفقتم، بوسوسته أن الإنفاق يذهب المال، ويأمركم بالمعاصي والبخل ومنع الزكاة وكل خير فيه ثواب في الآخرة، والفاحش عند العرب: البخل، والله يعدكم إذا أنفقتم مغفرة لذنوبكم وستراً في الدنيا والآخرة، ورزقاً واسعاً في الدني، وثواباً جزيلاً في الآخرة، والله كثير الفضل، عليهم بالمنق في سبيل الله تعالى.

٢٦٩- يعطي الله العلم ومعرفة أسرار القرآن، وفهم الأمور، وإصابة القول والعمل، ووضع الشيء في محله، من يشاء من عباده، ومن يؤت الحكمة (العلم النافع) فقد فاز بخيري الدنيا والآخرة، وما يتعظ بأحكام القرآن والوحي إلا أصحاب العقول السليمة.



وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِنْ تُبْدُوا
أَصْدَقَاتِ فَنِعْمَ أَهْلُ الْخَفَاةِ وَأَنْتُمْ كَا
الْفُقَرَاءُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ مِنْ
سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ لَيْسَ
عَلَيْكَ هُدُودُهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا
تُفْقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَفْسُكُمْ وَمَا تَفْقُونَ إِلَّا أَتْبَعَاءُ
وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تَفْقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ
لَا تَظْلُمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُخْصِرُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمْ
أَنْجَاهُ أَغْيَاءٌ مِنَ النَّعْفِ تَعْرِفُهُمْ سَبِيلُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ
النَّاسَ الْخَافَ وَمَا تُفْقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ
اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
بِالْئِيلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

٢٧٠- ما من نفقة تنفقونها بقصد مرضاة الله،
فإن الله يعلمها ويجازيكم عليها، ويعلم ما نذرتهم،
والنذر: التزام قرينة لم يلزم الله بها، فيجب على
الناذر الوفاء بالطاعة واجتناب المعصية، وليس
للظالمين الذين لا يؤدون الزكاة والنفقات الواجبة
ولمّا ينفقون أموالهم في المعاصي، أنصار يدفعون
عنهم العذاب، بسبب الإثم ومخالفة الأمر
بالإنفاق ووفاء النذر.

٢٧١- إن تظهروا الصدقات المتطوع بها، فهو
حسن ليقبضد بكم، ونعم ما فعلتم، أي نعم
إظهارها، وإن تخرجوها سرا أو تعطوها الفقراء في
السر، فهو خير لكم من إظهارها، للبعد عن
الرياء، ويحسب الله عنكم من ذنوبكم بقدر ما
أنفقتهم، والله مطلع على ما تعملون من إظهار
الصدقة أو إخفائها. أما الزكاة المفروضة فالأفضل
إظهارها ليقبضد بالزكاة. قال الكلبي: لما نزل
قوله تعالى: ﴿وما أنفقتهم من نفقة﴾ قالوا:
يا رسول الله، صدقة السر أفضل أم صدقة
العلانية؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٢٧٢- ليس عليك أيها الرسول أن تجعل
المشركين مهديين بوسيلة التضيق أو المنع أو
الإكراه، ولكن الله يهدي إلى الإسلام بتوفيقه من يشاء من عباده، ما على الداعية إلا التبليغ، وأمر الهداية
إلى الله وحده، وما تنفقوا من مال، فلا نفسكم ثوابه المدخر يوم القيامة، وما تنفقون إلا طلبا لرضاء الله
وثوابه، لا رياء ونحوه، فتلك هي النفقة المقبولة، وما تنفقوا من مال فتوابه يكون أضعافا مضاعفة لكم،
وأنتم لا تنقصون منه شيئا. قال ابن عباس: كان النبي ﷺ يأمر أن لا يتصدق إلا على أهل الإسلام،
فنزلت: ﴿ليس عليكم هداهم﴾ فأمر بالتصدق على كل من سأل من كل دين.

٢٧٣- ادفعوا الصدقات للفقراء الذين منعوا من الكسب وحبسوا في طاعة الله لجهاد أو تعلم علم،
والذين لا يستطيعون التكسب بتجارة أو زراعة لتفرغهم للجهاد أو طلب العلم، وهم الذين يظنهم الجاهل
بأحوالهم أغنياء موسرين، بما يظهرون من التعفف عن المسألة، وإظهار المسكنة، والقناعة، تعرفهم فقراء
محتاجين بعلاماتهم، وبما يظهر عليهم من الحاجة والفقر، لا يطلبون المعونة كغيرهم بالإلحاح لعفتهم، بل لا
يسألون الناس أصلا، وما تنفقوا من مال، فالله عليم به يجازيكم عليه. نزلت في أهل الصفة (الذين
يعيشون في صفة المسجد) وهم أربع مائة من المهاجرين، أرسدوا لتعلم القرآن، والخروج مع
السرايا.

٢٧٤- الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، كل وقت ليلا أو نهارا، خفية أو جهارا، عند نزول الحاجة
بالناس، من غير إسراف ولا تقتير، لهم ثوابهم عند ربهم، ولا خوف عليهم من عذاب القيامة، ولا يحزنون
على ما فاتهم في الدنيا. نزلت في أصحاب الخيل: وهم الذين يرتبطون الخيل في سبيل الله تعالى، ينفقون

٢٧٥- الذين يأخذون الربا - وهو الزائد عن مقدار القرض أو في البيع الربوي - لا يقومون من قبورهم يوم القيامة، بسبب الذهول من شدة الهول، إلا كما يقوم الذي يصرفه الشيطان من الجنون أي كالمصروع، عقوبة له، ذلك بسبب قولهم: إنما البيع مثل الربا، كلاهما شيء واحد يحقق ربحاً، فرد الله عليهم بالفرق بينهما، وهو أن الله أحل البيع القائم على المعاوضة التجارية بحسب الحاجة، وحرم الربا القائم على أخذ مال الغير بغير عوض، فمن اتعظ بالنهي عن الربا، فلا يؤاخذ بما سلف؛ لأنه فعله قبل التحريم، ولا يسترد منه ما أخذ من الربا، وله ما مضى من الربا قبل التحريم، وأمره إلى الله بالعفو عنه أو خذلاته، ومن عاد إلى التعامل بالربا بعد التحريم، فأولئك أهل النار ماكون فيها على الدوام. كان غالب ما تفعله العرب في الجاهلية أنه إذا حل أجل الدين، قال الدائن للمدين: أتقضي أم تربي؟ فإذا لم يقض زاد في الفائدة، وأخر له الأجل إلى حين آخر، وهذا حرام بالاتفاق.

٢٧٦- يذهب الله بركة الربا وما خالطه من المال في الدنيا، وإن كان كثيراً، ويُسمي الصدقات ويزيد في المال الذي أخرجت صدقته، ويضاعف الثواب للمتصدق، والله يعاقب كل شديد الكفر، كثير الإثم.

٢٧٧- إن المؤمنين بالله، العاملين الأعمال

الصالحة، ومنها ترك الربا، وأدوا الصلاة المفروضة بأركانها وشرائطها، ودفعوا الزكاة الواجبة، لهم ثواب أعمالهم عند ربهم في الآخرة، ولا خوف عليهم من عذاب القيامة، ولا يحزنون على ما تركوا في الدنيا.

٢٧٨- يا أيها المؤمنون اتقوا الله بالتزام أوامره واجتنب نواهيه، واتركوا ما بقي لكم من الربا بما لم يقبض، إن كنتم مؤمنين حقيقة، فالإيمان يدفع إلى احترام شريعة الله. نزلت هذه الآية والتي بعدها في بني عمرو بن عوف بن ثقيف وبني المغيرة من بني مخزوم الذين أرادوا بعد وضع الربا كله عقب فتح مكة مصالحة والي مكة عتاب بن أسيد على أن لهم رباهم عند ثقيف، فكذب عتاب في ذلك إلى رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية والتي بعدها.

٢٧٩- فإن لم تتركوا الربا، صرتم أعداء الله ورسوله، وتعاقبون في الدنيا والآخرة، وإن تبتم من أخذ الربا، فلكم رؤوس أموالكم التي أقرضتموها، من غير زيادة ولا نقصان في رؤوس الأموال. أي أن أكل الربا من الكيثر.

٢٨٠- وإن كان المدين معسراً لا يستطيع وفاء دينه، فعليكم تأخيرها إلى وقت اليسر، وأن تصدقوا برؤوس أموالكم أو ببعضها على غرمائكم المدينين المعسرين بالإبراء خير وأفضل لكم عند ربكم، إن علمتم فضل الصدقة وثوابها على المعسر. نزلت حينما طالب بنو عمرو بن عمير بني المغيرة بالديون وترك الربا، فقال بنو المغيرة: نحن اليوم أهل عسرة، فأخرونا إلى أن تدرك الثمرة، فأبوا أن يؤخروهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وإن كان ذو عسرة...﴾.

٢٨١- وخافوا يوم القيامة الذي ترجعون فيه إلى الله، ثم تجد كل نفس ما عملت من خير أو شر، وهم لا يظلمون بنقص حسنة أو زيادة سيئة. قال ابن جرير: نزلت قبل موت النبي ﷺ بتسع ليال، ثم لم ينزل بعدها شيء. وقال ابن عباس: آخر آية نزلت من القرآن على النبي ﷺ: ﴿واتقوا يوماً...﴾ وكان بين نزولها وبين موت النبي ﷺ واحد وثلاثون يوماً.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَسْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوا وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَأَمَلِهِ اللَّهُ فَمَا يَكْتُبُ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَأَسْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجُلَيْكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُنَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلٍ ذَٰلِكُمْ أَقْضَتْ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا نَبَأْتُمُوهُ وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُقُوبٌ بِكُمْ وَأَنْتُمْوُ اللَّهُ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

٢٨٢- يا أيها المؤمنون إذا أقرض بعضكم بعضاً، ونشأت علاقة مدينية، والدين عند العرب: ما كان غائباً، ويقابله العين: وهي ما كان حاضراً، وكان القرض إلى أجل معين، غير مجهول؛ لأن الجهالة تفسد العقد، فاكتبوا الدين بأجله منعاً للمنازعة والخلاف، وليكتب عقد القرض بين الدائن والمدين كاتب بالعدل أي بالحق من غير زيادة ولا نقصان، ولا يمتنع كاتب من الكتابة، ويكتب كما شرع الله بالعدل والضبط، ويكتب ما يملئ عليه من غير زيادة ولا نقصان، ويملي من عليه الحق على الكاتب، مبيناً جميع الشروط والأجل منعاً من الظلم أو الغبن، وليستق الله ربه في الإملاء، ولا ينقص من الحق شيئاً، والبخس: النقص.

فإن كان الذي عليه الحق وهو المدين سفيهاً، أي سميء التصرف أو محجوراً عليه لتبذير، أو ضعيفاً عن الإملاء لصغر أو كبر أو عجز أو مرض، أو عاجزاً عن الإملاء بأن كان جاهلاً أو أخرس أو عمي اللسان ونحو ذلك، فيملي عنه وليه أو وصيه أو القيم القائم على أمره أمام الكاتب ما عليه من الدين، بالعدل أي بالصدق.

وأشهدوا شاهدين رجلين مسلمين على كتاب

الدين، فلن لم يكن الشاهدان رجلين، فليشهد رجل وامرأتان، وهذا أقل نصاب في الشهادة على المعاملات، ممن ترضون دينهم وعدالتهم من الشهود، خشية أن تخطئ أو تنسى امرأة جزءاً من الشهادة، وتذكر جزءاً، فتذكر الناكرة الناسية، لما يلحقهما من الضعف أو قلة الاهتمام بالأمر، ولا يمتنع الشهاداء (الشهود) عن أداء الشهادة التي تحملوها من قبل، إذا ما دعوا لأداء الشهادة أو تحملها. والشهادة على الدين أو البيع وكتابة الدين مندوبان بقرينة الآية التالية بعدئذ.

ولا تملأوا أن تكتبوا الدين الذي تدانيتم به مهما كان صغيراً (قليلاً) أو كبيراً (كثيراً) إلى الأجل المتفق عليه، وكتابة الدين والإشهاد عليه أعدل، أي أصح وأحفظ، وأعون على إقامة الشهادة على وجهها الحق وأثبت لها، فالكتابة أو الإشهاد توثيق للدين، وأقرب إلى عدم الشك في قدر الدين وأجله، لتدوين العقد في صلح مكتوب، إلا إذا كانت المدينية في تجارة حاضرة بحضور البديلين: الثمن والمبيع، وتديرونها بينكم أي تتبادلون العوضين أو تقبضونهما يداً بيد من غير أجل، والمعنى أن التبايع ناجز، فلا إثم عليكم ألا تكتبوها أي تتركوا الكتابة، لتقباض البديلين في الحال قبل التفرق، وأشهدوا على التبايع مهما كان، حاضراً أو ديناً، منعاً من الاختلاف، ولا يجوز للدائن والمدين إلحاق الضرر بالكاتب والشاهد، بالتحريف والتبديل، والزيادة والنقص في الكتابة، أو الامتناع من الشهادة، وليس لصاحب الحق تكليفهما ما لا يليق من الضرر أو الغبن، أو يشق فعله كالسفر الطويل من أجل الكتابة والشهادة، وإن تفعلوا ما نهيتهم عنه من المضارة، ففعلكم هذا فسوق، أي خروج عن الطاعة إلى العصيان. واتقوا الله في أمره ونهيه، ويعلمكم الله مصالح أموركم في الدين والدنيا، والله عالم بكل أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً فَإِنْ
أَمِنْ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْتُهُ
وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْفُرُوا الشَّهَادَةُ وَمَنْ يَكْفُرْ فَإِنَّهُ
أَشْرُّ قَلْبًا لِلَّهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ اللَّهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْذَرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ
أَوْ تُخْفَوُهَا يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ
يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامِنْ الرَّسُولُ بِمَا
أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامِنُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ
وُرُسُلِهِ لَا تَقْرِئَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِمْ قَالُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا
إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا
مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفُ رِئَاسًا وَاعْفُ رِئَاسًا
أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

٢٨٣- وإن كنتم معشر المتعاملين بالدين مسافرين، ويلحق بالسفر كل عذر مثله، ولم تجدوا كاتباً لعقد المداينة، فليقدم المدين رهناً يقبضه الدائن، والرهان جمع رهن، والقبض شرط لتنام الرهن عند الجمهور غير المالكية الذين يكتفون بالإيجاب والقبول لصحة الرهن، فإن وثق بعضكم ببعض، فلم يأخذ الدائن رهناً بالدين، فليدفع المدين المؤتمن دينه المستحق عليه، ولا يخن الأمانة، ولا يجحد شيئاً من الحق، ولا تكتموا الشهادة أيها الشهود إذا طلب منكم أداؤها، ومن يكتم الشهادة، فإنه فاجر القلب، مرتكب للمعصية، فيعاقب على ذلك لتضييعه حق الدائن، والله لا يخفي عليه شيء من أعمالكم.

٢٨٤- الله ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً وتصرفاً، وإن تظهروا ما في قلوبكم من شرٍّ أو سوء أو تكتموا عن الناس، يحاسبكم به الله ويجازكم عليه، فيغفر لمن يشاء الغفران له، ويعذب من يشاء تعذيبه، والله قادر على كل شيء. والحساب لا يكون على مجرد النية ما لم تقترن بعزم أو كلام أو تنفيذ، إلا على بعض الأمور التي محلها القلب المحض كالشك في الله أو الدين أو النفاق أو التكذيب أو الرياء أو كتمان الشهادة، فهذه يحاسب الإنسان عليها.

٢٨٥- صدق النبي ﷺ بما أنزل إليه من القرآن، وصدق به أيضاً المؤمنون، كل واحد منهم آمن بالله وحده، وبالملائكة والكتب المنزلة والرسل الكرام المبلّغين ما نزل إليهم، يقولون: لا نفرق معشر المؤمنين بين أحد من الرسل وآخر، بل نؤمن بهم جميعاً، وقال النبي والمؤمنون: سمعنا سماع قبول وأطعنا الأمر، فاعف لنا يا ربنا، وإليك المرجع والمآب بالبعث. نزلت بعد آية ﴿لله ما في السموات وما في الأرض...﴾ حين ظن الصحابة أنهم مؤخذون على مجرد النيات، فقال لهم الرسول ﷺ: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتاب: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا... إلخ.

٢٨٦- لا يكلف الله نفساً إلا بقدر استطاعتها، لها ثواب ما كسبت من خير، وعليها وزر ما اكتسبت من شر، ويقول المؤمنون: ربنا لا تعاقبنا على النسيان الحاصل عفواً من غير إرادة، وعلى الخطأ في الفعل من غير قصد، ربنا ولا تحمّلنا التكليف الشاق، والإصر: التكليف الشاق والأمر الصعب، كما حملته على الأم السابقة، ربنا ولا تحمّلنا ما لا قدرة لنا عليه من التكليف، مما فيه مشقة زائدة غير معتادة، واستر علينا ذنوبنا وخطايانا، وارحمنا رحمة واسعة بفضلك وكرمك، أنت ولينا ومتولي أمورنا) وناصرنا، فانصرنا على القوم الجاحدين نعمتك، الذين عبدوا غيرك. جاء في الصحيح عن النبي ﷺ: أن الله تعالى قال عقب كل دعوة من هذه الدعوات: «قد فعلت». وقال جبريل للنبي ﷺ: أبشر بنورين، قد أوتيتهما، لم يؤتتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ حرفاً منهما إلا أوتيته.

سورة آل عمران

فضلها : أخرج مسلم عن النّوّاس بن سَمْعان قال : سمعت النبي ﷺ يقول : «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به، تُقْلَمُهُ سورة البقرة وآل عمران».

١- ﴿الم﴾ : هذه الأحرف المقطعة للتنبيه والتحدي للإتيان بمثل أقصر سورة من القرآن، كما ذكرنا في أول البقرة.

٢- الله لا معبود بحق في الوجود سواه، الدائم الحياة والقائم على كل شيء في السموات والأرض بحفظه ورعايته. نزلت هذه الآية إلى بضع وثمانين آية من صدر آل عمران في وفد نصارى نجران الذين وفدوا على رسول الله ﷺ وخاصموه في عيسى عليه السلام، وقالوا له : من أبوه ؟ ثم وصفوه مرة بأنه إله، ومرة بأنه ابن الله، ومرة بأنه ثالث ثلاثة.

٣، ٤- نزل الله عليك أيها الرسول القرآن، بالصدق وبالحجة البالغة، موافقاً للكتب السماوية السابقة، وأنزل التوراة والإنجيل قبل القرآن على موسى وعيسى عليهما السلام، لأجل هداية البشر، وأنزل الفرقان أي الفارق بين الحق والباطل وهو القرآن وغيره من الكتب والصحف، وهذا من قبيل عطف العام على بعض

أفراده. إن الذين كفروا بآيات الله في القرآن وغيره الدالة على وحدانيته وتنزيهه عما لا يليق، لهم عذاب شديد يوم القيامة والله قوي غالب على أمره، ينتقم من كذب بآياته وخالف رسله الكرام، والانتقام : العقاب بسبب ذنب تقدم.

٥- إن الله لا يخفى عليه شيء صغير أم كبير، ظاهر أم باطن في الأرض والسماء.

٦- هو الذي يخلقكم في الأرحام كما يشاء، ذكراً أو أنثى، حسناً أو قبيحاً وغير ذلك، لا إله غيره، هو القوي في سلطانه، الحكيم في صنعه وتدبيره.

٧- الله هو الذي أنزل عليك يا محمد القرآن، منه آيات واضحات محكمات : لا تحتمل إلا وجهاً واحداً من التفسير، مثل ﴿ولا تقربوا الزنا﴾ [الإسراء ١٧/ ٣٢] هن أصل الكتاب الذي يعتمد عليه. ومنه آيات متشابهات : محتملات أوجه كثيرة من المعاني، مثل ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه ٢٠/ ٥] وآية ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ [الفتح ٤٨/ ١٠] وموعِد قيام الساعة وحقيقة الروح ونحو ذلك. فأما الذين في قلوبهم ميل عن الحق إلى الباطل، فيتملقون بالمشابهة من الكتاب، يفسرونه بما يوقع في الشك، بقصد فتنة الناس عن الدين الحق، وطلباً لتأويله بما يوافق أغراضهم، ولا يعلم تفسير التشابه وحقيقته إلا الله، والعلماء المتضلعون في العلم يقولون : أمنا به جميعاً، كلٌّ من المحكم والمتشابه من عند ربنا، لا يخالف بعضه بعضاً، فتد آيات الصفات إلى آيات التنزيه المطلق، وآيات أوصاف عيسى بالكلمة والروح إلى آيات التوحيد المطلق. وما يعطف بهذه الآيات إلا أصحاب العقول السليمة.

٨- ويدعو الراسخون في العلم بقولهم : ربنا لا نمل قلوبنا عن الحق والإيمان، كما مالت قلوب الذين يتبعون التشابه، بعد أن هديتنا إلى الحق والصواب، وامنحنا رحمة عظيمة كائنة من عندك، إنك كبير العطاء لمن تشاء، تعطي التوفيق والسداد.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ١- اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ٢- نَزَّلَ عَلَيْكَ
 الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ٣- مِنْ قَبْلُ هَٰذَا لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
 لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ٤- إِنْ لَمْ يَكُنْ
 عَلَيْهِ سِتْرٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ٥- هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ
 فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٦- هُوَ الَّذِي
 أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ
 مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ
 ابْتِغَاءَ الْقِيسَةِ وَإِيتَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ
 فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ
 إِلَّا أُولَ الْأَلْبَابِ ٧- رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ لَنَا فِتْنَةً مُتَابِعَةً لِهَٰذِهِتُنَا
 وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْكَوْنُ الْوَهَّابُ ٨

٩- ربنا إنك تحشر وتبعث الناس وتحييهم للجزاء في يوم لا شك فيه، هو يوم القيامة، إن الله لا يخلف وعده للبعث والحساب.

١٠- إن الذين كفروا بالله ورسله ومنهم نبينا محمد ﷺ لن تتفعهم شيئاً أموالهم وأولادهم، من عذاب الله، وهم حطب جهنم توقد به.

١١. حال أو شأن وعادة هؤلاء الكفار، كحال آل فرعون مع موسى ومن قبلهم من الأمم الكافرة كعاد وقوم لوط، لا تفيدهم الأموال والأولاد شيئاً؛ لأنهم كذبوا بآيات الله التي جاءت بها الرسل، فعاقبهم الله بسبب ذنوبهم ومنها تكذيبهم، والله شديد العقاب لكل من كفر وكذب.

١٢- قل أيها النبي للكفار من اليهود ومشركي مكة وغيرهم سَتَغْلِبُونَ فِي الدُّنْيَا، وَتَجْمَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى جَهَنَّمَ، وَبِئْسَ الْفِرَاقُ أَوِ الْمُسْتَقَرُّ الَّذِي يَأْوُونَ إِلَيْهِ. نَزَلَتْ وَمَا بَعْدُهَا فِي الْيَهُودِ بَعْدَ بَدْرٍ حِينَمَا قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، لَا يَغْرُنْكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنْ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ، كَانُوا أَغْمَارًا لَا يَعْرِفُونَ الْقِتَالَ، إِنَّكَ وَاللَّهِ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ، وَأَنْتَ لَمْ تَلَقْ مِثْلَنَا.

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَاجْتَلِثَ
الْعِبَادَ ❶ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا
وَلَدُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمُ وَقُودُ النَّارِ ❷ كَذَّابٌ عَالٍ
وَرِعُونَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاحْذَرُوا اللَّهَ يَذَّكَّرُ بِهِ نَبِيُّهُمْ
وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ❸ قُلِ الَّذِينَ كَفَرُوا سَتَلْبَثُونَ
وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ حِمَّةٍ وَمِنْ الْمَهَادِ ❹ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ
آيَةٌ فِي فَيْتِنِ الْقِتَافَةِ قَتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ
يَرَوْنَهَا مِثْلَ بَعْدِهَا رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصَرِي وَمَنْ يَشَاءُ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ❺ زَيْنُ النَّاسِ حُبُّ
الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْبِ ذَلِكَ
مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَ حُسْنِ الْعِقَابِ ❻ قُلِ
أَوْتُيْتُكُمْ فِتْنَةً ❷ قُلِ الَّذِينَ آمَنُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ
جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ
مُطَهَّرَةٌ وَرُضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ❸

١٣- قد كان لكم أيها اليهود علامة على صدق ما أقول بنصر المؤمنين وهزيمتكم في جماعتين التقتا للقتال يوم بدر، هم المسلمون والمشركون، جماعة تقاتل في سبيل إعلاء كلمة الله، وهم المؤمنون، وجماعة أخرى كافرة بالله ورسوله وهم المشركون، يرى المسلمون الكفار ضعفيهم في العدد، رؤية حقيقية ظاهرة من غير لبس، بالعين المجردة، وكانوا في الواقع ثلاثة أمثالهم، فأراهم الله إياهم مثلي عددهم لتقوى أنفسهم، وهذا مدد معنوي، والله يقوّي ويعزّز من يشاء تقويته، إن في هذه الرؤية ونصر الفئة القليلة على الكثيرة لموعظة لأهل البصائر الواعية والعقول المدركة.

١٤ - حُبُّ للناس المشتبهات المفرحة للقلوب من النساء للمتعة والتناسل، والأولاد الذكور، والأموال الكثيرة المجمعة أو المضاعفة البالغة حداً واسعاً، من الذهب والفضة، والحيل الأصلية المُعلَّمة المميزة ببعض العلامات، والأنعام (الإبل والبقر والغنم) والزرع، ذلك المذكور مما يتمتع به في الدنيا ثم يزول، والله عنده حسن المرجع لأهل التقوى.

١٥- قل أيها النبي: هل أخبركم بما هو خير من تلك المشتبهات: وهو ما أعد الله للمتقين الطائعين القائمين بأوامر الله والمجتنبين نواهيه، من الجنات التي تجري الأنهار من تحت أشجارها ومنازلها، وهم ماكثون فيها أبداً، ولهم زوجات مطهرات من عيوب نساء الدنيا كالحيض والنفاس، ورضا دائم من الله سبحانه لا غضب بعده، والله مطلع على شؤون العباد، ولا يخفى عليه شيء، فيجازي كلًّا بما يستحق.

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اِنْتَنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا قَسَامًا بِأَنفُسِهِمْ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْغَرُورُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَأَسْلَمُوا
وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْفُوا الصِّكْتَ الْإِيمَنَ بَعْدَ مَا جَاءَهُمْ
الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِكَيْدِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعٌ
الْحَسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَحْيِي لِلَّهِ
وَمَنْ آتَيْنَهُ وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْفُوا الصِّكْتَ وَالَّذِينَ أَشْلَعُوا
فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ آمَنُوا وَإِنْ قَوْلُوا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِكَيْدِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَبْعَثُ فِيهِمْ حَتَّى يَقْتُلُوهُ
الَّذِينَ بَايَعُوا بِأَنفُسِهِمْ مِنَ النَّاسِ فَلْيَنْزِلْ
عَذَابُ اللَّهِ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَالُهُمْ مُنْصَرَفٌ

١٦- أوصاف المتقين: هم الذين يصدقون بالله
ورسله، ويطلبون المغفرة عن السيئات، والوقاية
من عذاب النار.

١٧- وخص الله بالمدح الصابرين على طاعة الله
وعن محارمه، والصادقين في إيمانهم وأقوالهم
وأفعالهم وتعاملهم مع الناس، والمداومين على
طاعة الله، الخاشعة قلوبهم، والمتقين أموالهم في
سبيل الله، والمستغفرين بالأسحار، أي الساقطين
المغفرة في أواخر الليل قبل الفجر، وهو ثلث الليل
الأخير؛ لأن الدعاء فيه مجاب.

١٨- أخبر الله خبراً مقروناً بالعلم والبيان وإقامة
الأدلة القاطعة والمعجزات، أنه لا إله معبوداً بحق
في الوجود سواه، وشهدت الملائكة بالإقرار بأنه لا
إله إلا الله، وشهد أولو العلم من الأنبياء والعلماء
والمؤمنين بالإيمان والإقرار اللفظي بوحداية الله،
وشهد الكل بأن الله مقيم للعدل بين خلقه وفي
جميع أموره، لا إله بحق إلا هو، الغالب الذي لا
يقهر، الحكيم في صنعه وتدبيره وأفعاله. نزلت
حينما قال حبران من أحبار أهل الشام للنبي
بعد الهجرة: أخبرنا عن أعظم شهادة في
كتاب الله؟ فأنزل الله تعالى: ﴿شَهِدَ
اللَّهُ...﴾

١٩- إن الدين المقبول عند الله هو الإسلام الذي يشمل الإيمان، وما اختلف اليهود والنصارى إلا بعد أن
جاءهم العلم في التوراة والإنجيل بوجوب توحيد الله وعبادته وطاعته، وكان اختلافهم تعدياً، وتجاوزاً للحق
والإنصاف، وحسداً، أي لمجرد البغي، ومن يكفر بدلائل الله على توحيده، فإن الله سريع الجزاء له على ما
يستحقه.

٢٠- فإن جادلوك بالباطل والقول المحرف والشبه الواهية في التوحيد والدين، فقل لهم أيها النبي:
أخلصت ديني وعبادتي لله، وخضعت له بكليتي، لا أشرك به غيره، وأخلص القصد معي أيضاً أتباعي
المسلمون، وقل لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، والأمين (مشركي العرب): هل قبلتم الإسلام،
وعلمتم بموجبه، أم ما زلتم كفاراً؟ فإن دخلوا في الإسلام، فقد اهتدوا إلى الصواب وتركوا الضلال، وإن
أعرضوا عن الإسلام وبقوا في الكفر، فإنما عليك أن تبلغهم ما أنزل إليك، وليس عليك إلا تبليغ الرسالة،
والله مطلع على أحوال العباد كلها، وسيجازيهم على أعمالهم.

٢١- إن الذين يكفرون بالآيات الدالة على وحداية الله وصدق أنبيائه، ويقتلون الأنبياء ظلماً بغير حق،
وهم اليهود، ويقتلون الأمرين بالعدل، وهم الأمرون بالمعروف، والنهون عن المنكر، فأنزلهم بعذاب مؤلم
موجع. قال المبرد: كان ناس من بني إسرائيل، جاءهم النبيون يدعونهم إلى الله عز وجل، فقام
أناس من بعدهم من المؤمنين، فأمرهم بالإسلام، فقتلوه، ففيهم نزلت هذه الآية.

٢٢- أولئك قتلة الأنبياء وقتلة الأمرين بالعدل بطلت حسناتهم، في الدنيا والآخرة، فلم تقبل منهم،
وليس لهم ناصر ينقذهم من العذاب.

٢٣ - ألم تنظر أيها النبي إلى الذين أوتوا حظاً من التوراة، وهم أحبار اليهود، ويدعون إلى تطبيق التوراة، للحكم بينهم فيما اختلفوا فيه مع خصومهم، وكان ما في التوراة لصالح خصمهم، ثم ينصرف فريق منهم عن الإجابة إلى ما دُعوا إليه، مع علمهم به، وهم معرضون عن سماعه، إنهم أخطؤوا اعتماداً على أن النار لن تمسهم إلا قليلاً. نزلت حينما ادعى اليهود أن إبراهيم كان يهودياً، فقال الرسول ﷺ: **فهللنا إلى التوراة، فهي بيننا وبينكم، فأبى عليه، فأنزل الله: ﴿الم تر ٢٠٠﴾** إلى آخر الآية التالية.

٢٤ - ذلك التولي عن القبول بحكم الله تعالى كان بسبب قولهم افتراء: لن تمسنا النار إلا أياماً قليلاً، وهي أربعون يوماً، مقدار عبادتهم العجل، وخذهم في دينهم ما كانوا يفترون من الأكاذيب، ومنها قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، فلا نعذب إلا يسيراً. ٢٥ - فكيف يصنعون، أو كيف يكون حالهم إذا جمعناهم ليوم الجزاء الذي لا شك في وقوعه، وهو يوم القيامة، وجوزيت كل نفس بما عملت، وهم لا يُظلمون بزيادة العذاب على سيئاتهم، ولا نقص من حسناتهم، وحيث يدركون أنه لن ينفعهم شيء.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ تَوَلَّوْا فِرْقًا مِّنْهُم وَهُوَ مَعْرُضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنُحْكُمَنَّكَ إِنَّا أَكْبَامًا مَّعْلُومَاتٌ وَغَرَضُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْرُقُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تَوَخَّجَ النَّبِيُّ فِي النَّهَارِ وَتَوَخَّجَ النَّهَارُ فِي الْإِيلَافِ وَخَرَجَ الْحَيُّ مِنَ الْمَيِّتِ وَخَرَجَ الْمَيِّتُ مِنَ الْحَيِّ وَتَزَرَّقَ مَن تَشَاءُ بَعْدَ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَا يَتَخَذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُ تُقَاتُوا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تَحْقُقُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُ يَعْلَمُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

٢٦ - قل أيها النبي: يا مالك جنس الملوك في الدنيا والآخرة، أنت تعطي الملوك من تشاء إعطاءه من عبادك، وتسلب الملك من تريد نزع منه، وترفع من تشاء وتخضع من تشاء بيدك الخير لا يبدع غيرك، إنك القادر على كل شيء. قال قتادة: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يجعل ملك فارس والروم في أمته، فأنزل الله: **﴿قل اللهم ٢٠٠﴾**

٢٧ - تدخل بعض الليل في النهار، فيقصّر الليل ويطول النهار، وتدخل بعض النهار في الليل، فيطول الليل ويقصر النهار، ويظل الأمر كذلك بحسب الفصول والمواقع، ضمن مدة كليهما وهي ٢٤ ساعة، وتخرج الحي من الميت كالنبات أو الحيوان من التراب أو الشجرة من التوارة أو العالم من الجاهل أو المؤمن من الكافر، وتخرج الميت من الحي، كالنواة من الشجرة، واللبن من الحيوان، والجاهل من العالم أو الكافر من المؤمن، وترزق من تشاء من العباد بغير تعداد ولا تقدير.

٢٨ - لا يتخذ المؤمنون الكافرين نصراء، يحبونهم ويطلعونهم على أسرار المؤمنين الخاصة، ومن يتخذهم أنصاراً، فليس من دين الله في شيء، أي فهو بعيد عن رحمة الله، إلا في حال خوفكم من ضررهم كالقتل مثلاً، فلكم حيثشذ موالاتهم في الظاهر بقدر دفع الضرر عنكم، ويخوفكم الله من عقابه إن اتخذوهم أولياء ظاهراً وباطناً، وإلى الله مرجعكم، فيجازيكم على أعمالكم. نزلت في عبادة بن الصامت الذي أراد يوم الأحزاب الاستعانة بخمسمائة رجل من اليهود على الأعداء، فأنزل الله تعالى: **﴿ولا يتخذ ٢٠٠﴾**

٢٩ - قل لهم أيها الرسول: إن تخفوا موالاة الأعداء أو تظهروها، يعلمه الله، فيجازيكم به، ولا يخفى عليه شيء في السموات والأرض، والله تام القدرة على عقوبتكم وجميع أحوالكم.



٣٠- يوم تجد كل نفس ما عملت من خير فخصراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد ﴿٣١﴾ قل إن أكثر ما تحبون الله فأطيعوا الله فأتبعوا محبتهم ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴿٣٢﴾ قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴿٣٣﴾ إِنْ أَلَّ اللَّهُ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِصْرَٰنَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٤﴾ ذُرِّيَّتُهُ نَبَضُهَا مِنْ بَعْضِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ إِذْ قَالَتْ أُمُّرَاتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِنَّ الذَّكَرَ لَأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمِيئَةٌ مَرْمُوزًا وَإِنِّي أَعِدُّهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٧﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا كَهَنُ الْحَرَابِ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُا إِنِّي لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنْ أَلَّ اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

٣١- يوم تجد كل نفس ما عملت من خير فخصراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد ﴿٣١﴾ قل إن أكثر ما تحبون الله فأطيعوا الله فأتبعوا محبتهم ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴿٣٢﴾ قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴿٣٣﴾ إِنْ أَلَّ اللَّهُ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِصْرَٰنَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٤﴾ ذُرِّيَّتُهُ نَبَضُهَا مِنْ بَعْضِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ إِذْ قَالَتْ أُمُّرَاتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِنَّ الذَّكَرَ لَأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمِيئَةٌ مَرْمُوزًا وَإِنِّي أَعِدُّهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٧﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا كَهَنُ الْحَرَابِ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُا إِنِّي لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنْ أَلَّ اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

٣٢- قل لهم يا محمد: أطيعوا الله ورسوله في جميع الأوامر والنواهي، فإن تعرضوا عن طاعة الله ورسوله، فالله يسخط عليكم ويغضب على الكفار الجاحدين للحق.

٣٣- إن الله اختار للنسوة آدم أباً للبشر، ونوحاً أول

مرسل برسالة يبلغها، وهو آدم الثاني، واختار وفضل آل إبراهيم ليكون النبي ﷺ منهم، وآل عمران (وهم موسى وهارون وعيسى وأمه) ليكون عيسى عليه السلام منهم، وفضلهم على عالمي زمانهم.

٣٤- والحال أنها ذرية منسجمة متفقة في الصلاح والتدين، يشبه بعضها بعضاً في النسب والخير والعمل الصالح والنية والتوحيد، والله سميع لأقوال عباد، عليم بنياتهم وضمائرهم وأفعالهم.

٣٥- واذكر أيها النبي حين قالت امرأة عمران ابتها مريم، لما أحست بالحمل: رب إنني نذرت أن أجعل ما في بطني لعبادتك غلاماً عتيقاً خالصاً لله، متفرغاً لخدمة بيتك المقدس (المسجد) فتقبل مني نذري، إنك سميع الدعاء، عالم بالمقاصد والنيات.

٣٦- فلما ولدت امرأة عمران ابتها مريم، قالت متحسرة محزونة معتذرة: رب إنني وضعتها أنثى، وهي لا تصلح لخدمة المسجد، وكنت أرجو أن يكون الولد ذكراً لأوفي بذكرك، والله عالم بما وضعت. أورد الله تعالى هذه الجملة لدفع توهم أنها تريد إخباره تعالى. ثم قالت: ليس الذكر الذي نذرته لخدمة المسجد كالأنثى التي وضعتها والتي لا تصلح للخدمة في بيوت العبادة، فاجعلها عابدة قانتة، وإنني سميتها مريم (أي خادمة الرب) وإنني أجبرها وأحفظها بحفظك، هي وذريتها، من الشيطان المطرود من رحمة الله.

٣٧- فرضي الله بمرم لوفاء النذر، ورياًها تربية حسنة تصلح جميع أحوالها، وجعل زكريا (زوج خالتها) كافلاً لها قائماً بمصالحها، وكلما دخل عليها المحراب: أشرف المجالس، والمصلّى، وجد عندها طعاماً وفاكهة من غير فواكه الموسم المعتاد، قال لها: من أين لك هذا يا مريم؟ قالت: هو من عند الله، ساقه الله إليّ، إن الله يرزق من يشاء من عباده بغير إحصاء ولا حدود.

٣٨. في ذلك المكان عند مريم في المحراب، دعا زكريا ربه طالباً أن يمنحه ذرية طيبة أي نسلًا صالحاً، إنك يا الله تسمع دعاء من دعاك، وتلبي من تقصص إليك.

٣٩. فنادته الملائكة والمنادي وحده هو جبريل كما ذكر الطبري عن ابن مسعود، وهو قائم يصلي ويدعو في محرابه: أن الله يشرك بولادة يحيى (وفي الإنجيل يوحنا) مصداقاً بالكلمة وهو عيسى عليه السلام، ويشتر بيعشته، ويعث في زمانه، وكان ابن خالته، وسمي عيسى كلمة الله؛ لأنه وجد بقوله سبحانه: ﴿كن﴾ وسيكون يحيى سيداً يسود قومه بالعلم والحلم والفضل، وحضوراً، أي لا يأتي النساء زهداً، ونبياً صالحاً يؤدي حقوق الله والناس، ومعصوماً من الذنوب.

٤٠. قال زكريا: رب كيف يولد لي ولد؟ وقد صرت شيخاً كبيراً هرمًا، وامرأتي عقيم لا تلد، مستبعداً ذلك بحسب العادة، لا على قدرة الله تعالى، فأجابه الله تعالى: مثل ذلك الخلق غير المعتاد، يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبة، لا يعجزه شيء، فلا تتعجب من ذلك.

٤١. قال زكريا داعياً: رب اجعل لي علامة أعرف بها وجود الحمل لأشكرك، فقال سبحانه:

هَذَاكَ دَعَارُكَ يَا رَبِّ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَادَّأْتَهُ الْمَلَكُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَنَذِيرًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي نَذِيرٌ لِي غَلَمٌ وَقَدْ بَلَغْتُ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا يَكْلَمَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا ذِكْرًا ذَكَرْتَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَتَسْمِعُ الْأَعْصَى وَالْجَبْرُ وَإِذْ قَالَ الْمَلَكُ يَكْرِمُكَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤١﴾ بَرِّيرَ أَقْبَى لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَزْكِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٢﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَكَلَمُهُمْ شَيْءٌ مِمَّا رَفَعُوا وَإِنْ كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٣﴾ إِذْ قَالَ الْمَلَكُ يَكْرِمُكَ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ أَنْتُمُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٤﴾

علامتك أنك تعجز عن خطاب الناس إلا بالإشارة مدة ثلاثة أيام، فتصبح محبوبوس اللسان، وسمى الرمز كلاماً؛ لأنه يحقق المراد من الكلام، واذكر الله ذكراً كثيراً، ونزه الله في الصباح والمساء. والعشي: من الظهور إلى الغروب. والإبكار: من طلوع الفجر إلى الضحى.

٤٢. واذكر أيها الرسول حين قالت الملائكة: يا مريم إن الله اختارك وتقبلك لخدمة بيت المقدس، وطهرتك من العيوب (الأدناس) المعنوية والحسية، وفضلك على جميع نساء العالمين في زمانك، وقيل: إلى يوم القيامة، بولادتك نبياً من غير مساس رجل.

٤٣. يا مريم اخشعي لله، وصلي وأطيعي ربك، وتذلي لله، وصلي الصلاة مع الجماعة، وكل ذلك يراد به التواضع والخشوع في العبادة.

٤٤. ذلك المذكور من هذه القصة، نقصه عليك أيها النبي من أخبار الغيب التي كنت غائبا عنها، وهو ما نوحى إليك في هذا القرآن، وما كنت موجوداً مع المتنازعين في تربية مريم، بل الله أوحى بخبرهم إليك، حين اقترحوا على حضنة مريم وتربيتها، جاعلين أقلامهم التي كتبوا بها التوراة، في الماء الجاري، فمن وقف قلمه فهو الكافل، فوقف قلم زكريا، ولم تكن يا محمد عندهم حين تنافسوا على الكفالة والتربية.

٤٥. واذكر يا محمد حين قالت الملائكة: يا مريم، يشرك الله بولود منك من غير أب هو الكلمة، وسمي عيسى بالكلمة؛ لأنه وجد بكلمة «كن» فيكون من عند الله، اسمه المسيح عيسى ابن مريم، فهو منسوب إليك، ولقب بالمسيح لمسحه بالبركة أو بالدهن الذي مسح به الأنبياء، وهو ذو جاه في الدنيا بالنبوة، وفي الآخرة بالشفاعة وعلو الدرجة، ومن المقربين إلى الله يوم القيامة.

٤٦- ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصّليين ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَتَعْلِمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي خَلَقْتُ لَكُم مِّن لَّطِينٍ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْنِيكُمْ مِّمَّا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَصَدَقْنَا مَن بَدَّيْكَ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُم بَعْضُ الَّذِي خَرَجْنَا عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَنْقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ فَلَمَّا أَحْسَسَ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُ بَنُو نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَآشْهَدُ أَنَّكَ مُّسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

٤٧- قالت مريم مستبعدة الأمر بحكم العادة: كيف يكون لي ولد، ولم يقربني رجل؟ فأجابها الوحي: مثل ذلك يخلق الله ما يشاء من العدم بمقتضى قدرته وحكمته، إذا أراد أمراً أو شيئاً، أوجده بكلمة ﴿كن﴾ فيكون كما أراد.

٤٨- ويعلم الله عيسى الكتابة والخط، والعلم النافع وفهم أسرار الأشياء، والتوراة التي أنزلها على موسى، والإنجيل الكتاب الذي سيوحى به إليه بعد ذلك.

٤٩- ويرسله الله رسولاً إلى بني إسرائيل: أني أتيتكم بعلامة دالة على صدق نبوتي ورسالتي، وهي أنني أصور لكم من الطين شيئاً كههيئة الطير، فأنفخ فيه، فيصير حياً كسائر الطيور، بإرادة الله،

فالخلق الحقيقي من الله، وأشفي الأكمه: الذي ولد أعمى، والأبرص الذي به البرص: وهو بياض يظهر في الجلد، وخص هذان المرضان؛ لاستحالة الشفاء منهما في العادة الغالبة، وأحيي الموتى، وكل ذلك بإرادة الله، وأخبركم بما تأكلون وتدخلون في بيوتكم، وذلك مما لا يطلع عليه الناس عادة، إن في جميع ما ذكر لدليلاً قاطعاً وحجة ظاهرة على صدق رسالتي، إن كنتم مصدقين بالرسالات الإلهية.

٥٠- وجئتكم مصدقاً لما سبقتني من التوراة، عاملاً بها، مخففاً بعض أحكامها، أحل من الطيبات بعض المحرم في التوراة، كلحوم كل ذي ظفر وشحوم الأنعام، وجئتكم بحجة شاهدة على صدقي من الله، فخافوا عذابه، وأطيعوني فيما دعوتكم إليه، وتابعوني في ديني.

٥١- إن الله ربي وربكم، لا إله غيره ولا رب سواه، وأنا عبده، فاعبدوه وحده لا شريك له، هذا هو الطريق القويم الواضح الذي لا اعوجاج فيه.

٥٢- فلما لمس عيسى الكفر والضلال من بني إسرائيل، قال لهم: من أعواني في الدعوة إلى الله، وتبليغ رسالته للناس؟ قال الخواريون- أصحابه وتلاميذه- الاثنا عشر رجلاً: نحن أنصار دين الله ورسله، آمنا بالله، واشهد يا عيسى بأننا مخلصون في إيماننا، متقادون لرسالتك.



٥٣- ربنا إنا صدقنا بما أنزلت من الوحي على نبيك، وامتلنا أوامر رسولك، فاجعلنا من الشاهدين يوم القيامة لك بالوحدانية، ولرسولك بالصدق.

٥٤- ومكر كفار بني إسرائيل، أي دبوا وتدبيراً خفياً لقتل عيسى، وأبطل الله مكرهم، بإلقاء شبه عيسى على أحد الخواريين، ورفع عيسى إلى السماء، والله خير وأنفذ وأقوى المديرين.

٥٥- واذكر يا محمد حين قال الله: يا عيسى، إني مستوفي أجلك في الدنيا، وقابضك، ورافعك إلي بروحك وبدنك بجعلك في منزلة رفيعة كإدريس والصالحين، ومخلصك من خبت الكافرين ومكرهم، ومبعدك عن سوء عملهم، وجاعل أتباعك الذين آمنوا برسالتك فوق الذين كفروا أو جحدوا برسالتك إلى يوم القيامة، وهي فوقية وعلو فضائل وقوة حجة، ومن هؤلاء: المسلمون الذين آمنوا بعيسى رسولاً وبما يستحقه من دون غلو، ثم يكون إلي رجوعكم جميعاً، فأحكم بين المؤمنين الأتباع وبين الكفار به، فيما تختلفون من شأن المسيح وصلبه وأمور الدين كلها.

٥٦- فاما الكفار فلهم عذاب شديد في الدنيا بأنواع العقاب، وفي الآخرة بنار جهنم والغضب الإلهي، وليس لهم أنصار ينصرونهم ويمنعون عنهم العذاب.

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْفِنَا مِنَ الشَّكِّينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَبِيرُ الذَّكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَرَافِعْكَ إِلَى مَوْطِنِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اشْعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِنِّي رَجَعْتُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ تَخْتَلَفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَجِبُ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاكَمَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَمَّالُوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾

٥٧- وأما المؤمنون والذين يعملون الأعمال الصالحة التي أمر الله بها، فيعطيه الله ثواب أعمالهم كاملاً وافرأ، والله يعاقب الظالمين أنفسهم، الذين كفروا بالله ورسله، وعصوا وأمرهم ربهم.

٥٨- ذلك المذكور من أخبار عيسى ومريم نقصه عليك يا نبي الله، من جملة الآيات العلامات الدالة على صدق نبوتك، ومن القرآن المحكم الذي لا خلل فيه. قال الحسن البصري: أتى راهبا مجران، فقال أحدهما: من أبو عيسى؟ وكان رسول الله ﷺ لا يعجل، حتى يؤمر به، فنزل عليه: ﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ ﴾ إلى آخر الآية (٦٠).

٥٩- إن شأن عيسى الغريب كشأن آدم الذي خلقه الله من التراب، ثم أوجده بقوله: كن بشراً، فكان، بل أمر آدم أغرب، فإنه لا أب له ولا أم، لخلقه من التراب. قال وفد مجران للنبي ﷺ: ما لك تشتم صاحبنا؟ قال: وما أقول؟ قالوا: تقول: إنه عبد، قال: أجل، إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب؟ فإن كنت صادقاً فأرنا مثله، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٦٠- هذا الذي أوحى إليك أيها النبي هو الحق الثابت من ربك، فلا تكن من الشاكين فيه، والنهي للرسول لزيادة التثبيت والتأكيد، ومثله كل سامع بمعن النظر.

٦١- فمن جادل في شأن عيسى بغير حق، من بعد ما جاءك من الوحي والخبر بحقيقة الأمر، فقل لهم: هلموا لنجتمع جميعاً مع الأولاد والنساء، ثم ندعو الله خاشعين، ونقول: اللهم العن الكاذب في شأن عيسى.

إِنْ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ الْمُفْسِدِينَ
﴿٦٣﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ
بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا
بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَخْرُجُ فِي
إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَآأَنْتُمْ مَوْلَاؤُ حَاجِجُهُ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ
تَخْرُجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾
مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ
﴿٦٨﴾ وَذَاتَ ظُلُمَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَضُّوكُمْ
وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِبَيِّنَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْهَوْنَ ﴿٧٠﴾

٦٢- إن هذا المذكور من قصة عيسى لهو القصة الواقعية
لولادة عيسى عليه السلام ونشأته ومنهجه في دعوته، ولا
يوجد إله يعبد بحق غير الله تعالى وحده، خالق كل شيء،
وإن الله هو القوي الغالب في هذا الكون، الحكيم في صنعه
وتدبيره.

٦٣- فلان أعرضوا عن هذا الحق المبين واتباع عقيدة
التوحيد التي دعا إليها جميع الأنبياء، فهذا هو الفساد بعينه؛
لأنه شرك وكفر، والله عليم بالمفسدين، وسيعاقبهم على
إفسادهم.

٦٤- قل أيها الرسول: يا أهل الكتاب تعالوا نتفق على
كلام مفيد، وسط عادل موجود فيما أنزل إلينا وإليك،
تساوى في طلبه جميع الكتب الصحيحة، وهي صحف
إبراهيم والتوراة والإنجيل والقرآن، ألا تكون عبادتنا إلا لله
وحده، ولا نجعل غيره شريكاً له في خلق أو ملك أو رزق أو
استحقاق للعبادة، ولا نتخذ أرباباً أخرى من غير الله،
كاعتقاد ربوبية عزيز والمسيح وجعلهم كالرب تعالى في
التحليل والتحریم، ولا نسجد لرب غير الله، فلان أعرضوا
عما دعوا إليه، فقولوا: اشهدوا بأننا مسلمون متقادون لله
ولا أحكامه.

٦٥- يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، لم تجادلون
في ملة إبراهيم، وتصفه اليهود بأنه كان يهودياً، والنصارى
بأنه كان نصرانياً، علماً بأن اليهودية بعد موسى، والنصرانية

بعد عيسى، وكان إبراهيم قبل ذلك بدهر طويل، والتوراة أنزلت على موسى، والإنجيل على عيسى بعد إبراهيم، فكيف يكون
يهودياً أو نصرانياً؟ أفلا تتركون فساد قولكم وبطلانه؟ قال ابن عباس: اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله
ﷺ، فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إلا نصرانياً، فأنزل الله: ﴿يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ لِمَ تَخْرُجُونَ...﴾ إلى آخر الآية [٦٧].

٦٦- أيها اليهود والنصارى، لقد جادلتم فيما لكم به علم من أمر دينكم الموجود في كتابكم التوراة، من الحلال والحرام وأنواع
العبادة، فلم تجادلون فيما ليس لكم به علم؟ وهو الزعم بأن إبراهيم كان على دينكم، والله يعلم الحقائق، وأنتم لا تعلمون ذلك.
٦٧- ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً؛ لأنه كان متقدماً على ديانة الفريقين، وكان مائلاً عن الأديان كلها إلى التوحيد
والحق، مطيعاً لعباده، ولم يكن مشركاً يعبد مع الله إلهاً آخر.

٦٨- إن أحق الناس بالانتماء لإبراهيم هم الذين آمنوا به واتباعوا ملته الحنيفية، وهذا النبي محمد ﷺ لكونه من ذريته، واتفاقه
مع ملته القائمة على التوحيد، والله ناصر المؤمنين. سأل اليهود قائلين: والله يا محمد، لقد علمت أننا أولى بدين إبراهيم منك
ومن غيرك، وإنه - في اعتقادنا - كان يهودياً، وما بك إلا الحسد، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٦٩- تمثت طائفة من الكتابيين لو يردونكم عن دينكم، وما يضلون بدعوتهم هذه إلا أنفسهم، بسبب ثبات المؤمنين على
الإيمان، ومضاعفة العذاب على الكافرين، وما يشعرون بذلك. نزلت هذه الآية في طوائف اليهود في المدينة حين دعوا جماعة
من المسلمين إلى دينهم.

٧٠- يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله المنزلة على نبيه محمد ﷺ والمنزلة في كتبكم الدالة على صدق نبوته، وأنتم تشهدون
أنها حق وصدق، وأن محمداً رسول، والقرآن حق.

٧١- يا أهل الكتاب لم تخلصون الحق بالباطل وتكفون الحق بالباطل وفي الكتب السماوية بالباطل الذي هو التحريف القائم على الهوى، وتكفون الحق الثابت في كتبكم من نعم محمد ﷺ وصدق رسالته، وأنتم توقنون بذلك في قلوبكم.

٧٢- وقال جماعة من اليهود هم الرؤساء لأتباعهم: صدقوا بالقرآن الذي أنزل على المسلمين في بداية النهار، واكفروا به آخر النهار، أي بالردة في وقت قريب، ليرتد المؤمنون عن دينهم بما تلقون عليهم من الشكوك والشبهات. وهي مؤامرة فاشلة لعلمهم بثبات المؤمنين على عقيدتهم. قال نفر من اليهود بعضهم لبعض: تسالوا نؤمن بما أنزل الله على محمد وأصحابه غدوة، ونكفر به عشية، حتى نلبس عليهم دينهم، لعلهم يصنعون كما نصنع، فيرجعوا عن دينهم، فأنزل الله فيهم هذه الآية.

٧٣- وقال رؤساء اليهود أيضاً لأتباعهم: لا تصدقوا إلا لمن تبع دينكم من أهل الملة التي أنتم عليها، قل لهم أيها النبي: الهداية بيد الله. ثم قالوا: ولا تصدقوا أن يعطي الله أحداً من غير اليهود مثلاً أعطيت من الكتاب والنبوة، ولا تصدقوا أن أحداً يقيم عليكم حجة عند ربكم يوم القيامة على أنه محق وأنتم مبطلون. قل أيها النبي: إن الفضل بيد الله، ومن فضله النبوة والإسلام، يؤتيه من يشاء من عباده، والله كثير الفضل، واسع العلم

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُونَ الْحَقَّ
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا
بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَحَاجَّةِ النَّهَارِ وَالْكَهْرَاءِ آخِرُهُ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تَوَيْسُوا إِلَىٰ تَبِيعِ دِينِكُمْ قُلْ
إِنِ الْهُدَىٰ هَدَىٰ اللَّهُ أَن يُؤْفَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيَ أَوْ يَكُنْ جُرْمُ
عِنْدَ رَبِّكَ قُلْ إِنِ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إِنْ آمَنَتْهُ بِقِطَارٍ
يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَن إِنْ آمَنَتْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ
إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي
الْأَمْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾
بَلَىٰ مَن أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ
الَّذِينَ يَشْرُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَأَعْتَنَهُمْ مِّنْ قَلِيلٍ أُولَٰئِكَ
لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكْتُمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

من هو أهل له. وقد شاء الله اختصاص محمد ﷺ وأمة بالقرآن. كانت أخبار اليهود تقول للذين من دونهم: ﴿لَا تَزِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، فأنزل الله: ﴿قُلْ: إِنْ الْهُدَىٰ هَدَىٰ اللَّهُ﴾.

٧٤- يختص الله برحمته، أي بالنبوة من شاء من عباده، ويختص المؤمنين بالفضل بما يريد، والله ذو الفضل الواسع.

٧٥- بعض أهل الكتاب إن تأمته على قنطار أو مال كثير، يرده إليك، وبعضهم إن اتهمته على دينار واحد أو أقل، لا يرده إليك لطعمه، إلا ما دمت ملازماً له بالمطالبة والتقاضى، ذلك جحود الأمانة لأنهم قالوا: لا حرج علينا في ظلم الأميين: العرب وغيرهم من الأمم غير أهل الكتاب، ولا ذنب في أكل أموالهم، لمخالفتهم لنا في الدين، وقد أحل الله لنا أموالهم، ويفترون على الله الكذب بقولهم هذا، فهو مجرد اختلاق، وهم يعلمون يقيناً أن الله لم يجعل لهم ذلك.

٧٦- بلى عليهم سبيل، أي مؤاخذه وذنب، لكذبهم واستحلال أموال العرب وغيرهم، وأكلها بالباطل، ومن وفى بعهده الذي التزمه، وأدى الأمانة التي أوثمن عليها، وخاف الله، فلم يكذب ولم يستحل ما حرم عليه، استحق رضوان الله، والله يرضى عن المتقين الذين يطيعون الأوامر، ويجتنبون النواهي.

٧٧- إن الذين يستبدلون بعهد الله: وهو ما أنزله في كتابه من الإيمان بالنبي وأداء الأمانة، وبإيمانهم الكاذبة، بدلاً حقيراً يأخذونه من الدنيا، أو رشوة، وهو قليل وإن كثر، لعدم البركة فيه، أولئك لا نصيب لهم في نعيم الآخرة، ولا يكلمهم الله كلام مردودة، وإنما يغضب عليهم، ولا ينظر إليهم نظرة رحمة، ولا يطهرهم من الذنوب، ولهم عذاب مؤلم. روى الشيخان وغيرهما أن الأشعث قال: كان بيني وبين رجل من اليهود أرض، فجحدني، فقدمته إلى النبي ﷺ، فقال: ألك بيتة؟ قلت: لا، فقال لليهودي: احلف، فقلت: يا رسول الله، إذن يحلف، فيذهب مالي، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ...﴾.



٧٨- وإن فريقاً من اليهود يميلون ألستهم، ويحرقون التوراة، ويوجهونها إلى ما يريدون، لتظنوا أن الكلام المحرف من التوراة، وما هو في الحقيقة من الكتاب المتك من الله، ويقولون عن هذا الكلام المحرف: هو من عند الله، وليس هو من عنده، وإنما هو كذب وافتراء، ويقولون على الله الكذب، وهم يعلمون أنهم كاذبون، وذلك من أعظم الآثام، قال ابن عباس عن هؤلاء المفتريين: هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الأشرف، غيروا التوراة، وكتبوا كتاباً بدلكوا فيه صفة رسول الله ﷺ ثم أخذت بنو قريظة ما كتبوه، فخلطوه بالكتاب الذي عندهم.

٧٩- لا ينبغي لبشر يتزل الله عليه الكتاب، ويعلمه الحكمة (فقه الشريعة والعلم النافع) ويؤتبه النبوة والرسالة، ثم يأمر الناس بعبادة نفسه من دون الله، ولكن يقول النبي لأتباعه: كونوا علماء فقهاء عاملين بما أمر الله، مطيعين لله طاعة تامة، بسبب تعليمكم كتاب الله للناس، ودراسكم ما جاء في التشريع من الأحكام والمواظ. نزلت

الآية في النصارى، افتروا على عيسى عليه السلام ما لم يصح عنه، ولا ينبغي أن يقوله هو، ولا أحد من إخوانه النبيين.

٨٠- وليس لني أن يأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً آلهة من دون الله، وإنما ينهى عنه، وهل يعقل أن يأمركم النبي بالكفر بعد أن صرتم مسلمين متقادين لله؟!

٨١- واذكروا معشر أهل الكتاب حين أخذ الله العهد المؤكد على الأنبياء، لئن آتيتكم شيئاً من الكتاب والحكمة (فهم أسرار الشريعة) ثم جاءكم رسول مؤيد لما معكم، لتؤمنن به ولتنصرنه نصراً مؤزراً، وأخذتم على ذلكم عهدي المؤكد الذي يحمل صاحبه على الوفاء بما التزمه، وقال الأنبياء: أقررنا، قال الله: فليشهد بعضكم على بعض وبينوه للناس، وأنا شاهد على إقراركم وشهادتكم.

٨٢- فمن أعرض عن الإيمان بعد ذلك الميثاق والعهد المأخوذ على جميع الأمم، فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله وحدوده.

٨٣- أيطلبون ديناً غير دين الله الخالق؟ وله أسلم طوعاً أو كرهاً، اختياراً أو جبراً، جميع من في السموات والأرض، من الملائكة والجن والإنس، وإليه يعودون يوم القيامة، فيجازي كل امرئ بما كسب.

وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفِرْقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِحَسْبِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعْمَلُونَ الْكِتَابَ وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ أَنْتُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ تُجَآءُكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ لَمَّا مَعَكُمْ تَقُولُكُمْ يَوْمَ تَأْتِيكُمُ الْمَلَائِكَةُ مَقُولًا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ عِدَايَ وَأَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ ﴿٨١﴾ أَفَتَعِدُّونَ أَنَّكُمْ مُّغْفِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَلَهُ أَسْلَمَ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

٨٤- قل أيها النبي لجميع الأمم : آمنا بالله وحده لا شريك له ، وما أنزل علينا من القرآن ، وما أنزل على إبراهيم من الصحف ، وما أنزل الله من الآيات البينات على إسماعيل وإسحاق ولدي إبراهيم ، ويعقوب بن إسحاق ، والأسباط : أولاد يعقوب الاثني عشر ، لا نفرق بين أحد من هؤلاء ، كما فرقت اليهود والنصارى ، بل نؤمن بهم جميعاً ، ونحن له تعالى خاضعون ، متقادون ، مخلصون له العبادة .

٨٥- ومن يطلب ديناً غير الإسلام ، فلن يقبل منه ، وهو في عالم الآخرة من الذين خسروا أنفسهم واستحقوا العذاب . نزلت هذه الآية في الحارث بن سويد الأنصاري ، ارتد عن الإسلام ، هو واثنا عشر معه ، ولحقوا بمكة كفاراً ، فنزلت هذه الآية ، ثم أرسل إلى أخيه يطلب التوبة ، وأسلم بعد نزول الآيات .

٨٦- لا يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم ، وهم اليهود والنصارى ، كفروا بمحمد ﷺ بعد إيمانهم بأنه صاحب الأوصاف المذكورة في التوراة ، وشهدوا أن الرسول حق أرسله الله ، وجاءهم الحجج الظاهرات الدالة على صدق النبي ، والله لا يوفق القوم الكافرين الذين آثروا الكفر على الإيمان . نزلت هذه الآية في

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٨٥﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٦﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ تَقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَرَاءُ فَلَن يَقْبَلَ مِنْ أَحَدٍ مِّمَّنْ لَّازِيَهُمْ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَىٰ بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٩٢﴾

أهل الكتاب من اليهود والنصارى رأوا نعت النبي ﷺ في كتابهم ، وأقروا بذلك ، وشهدوا أنه حق ، وكانوا يستفتحون به على المشركين ، فلما بعث من غيرهم ، حسدوا العرب على ذلك ، وأنكروه ، وكفروا به بعد إيمان سابق .

٨٧- أولئك الذين كفروا بعد إيمانهم جزاؤهم الطرد من رحمة الله ، ولعنة الملائكة والناس جميعاً ، وهذا عقاب المرتدين .

٨٨- وهم ماكثون في النار على الدوام ، ولا يخفف عنهم العذاب ، ولا هم يمهلون ويؤخرون لتوبة أو اعتذار ، ثم استثنى التائبين في الآية التالية .

٨٩- إلا الذين تابوا من بعد الارتداد ، وآمنوا ، وأصلحوا العمل ، وصدقوا التوبة ، فالله كثير الغفران لمن تاب وأناب ، رحيم بالتائبين .

٩٠- إن الذين كفروا بمحمد ﷺ بعد إيمانهم بصفاته ، كما أبانت الآيات السابقة ، ثم ازدادوا كفراً بمحاربهته وإيدائه والصد عن دينه والكيد للإسلام وأهله ، لن تقبل توبتهم عن ذنب ماداموا كفراً ، أو ماتوا كفراً ، وأولئك هم الضالون الحائدون عن طريق الإيمان والحق وسبيل النجاة .

٩١- إن الذين ماتوا كفراً أصلياً أو بعد الردة ، لن يقبل من أحدهم فدية ولو كانت ملء الأرض ذهباً ، للنجاة من العذاب في النار ، حتى ولو أمكنه أن يملك في ذلك اليوم ذهباً ، أولئك لهم عذاب مؤلم يوم القيامة ، وليس لهم أنصار ينجونهم من نار الله ، جاء في الحديث الصحيح عند الشيخين : «جاء بالكافر يوم القيامة ، فيقال له : أرايت لو كان لك ملء الأرض ذهباً ، أكنت تفتدي به؟ فيقول : نعم ، فيقال له : قد كنت سئلت ما هو أسير من ذلك» .



لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ
اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٣﴾ كُلُّ الظَّالِمِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ
إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ الْتَّوْرَةُ فَلَمْ
يَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَأَنزَلْنَاهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ فَمَنْ
أَفْرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبَعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٦﴾ إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِكَاءَ مَبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ
إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ
مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ
﴿٩٨﴾ فَلَمَّا هَلَّ الْكَعْبُ لَمْ تَكْفُرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ
شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ فَلَمَّا هَلَّ الْكَعْبُ لَمْ تَصُدُّوا عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَمْرِ تَبَغُّوْا عَوِيًّا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ
عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٠﴾ يٰ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ
الَّذِينَ أَوْفُوا أَلْكُتَبَ يَزُدُّكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٠١﴾

٩٣- لن تصيبوا ثواب البر وهو الجنة، حتى
تتصدقوا عما تحبون من خيار أموالكم، وأفضل النفقة:
ما كان على الأهل والقرابة، وما تتصدقوا بشيء،
فالله عليم به، يجازيكم عليه.

٩٤- كل المطعومات كانت حلالاً لبني إسرائيل،
إلا ما حرم إسرائيل (وهو يعقوب بن إسحاق) على
نفسه، حين مرض، فنذر إن عافاه الله ألا يأكل لحوم
الإبل، ولا يشرب ألبانها، من قبل نزول التوراة على
موسى، قل أيها النبي: فاتوا بالتوراة فافروها إن
كنتم صادقين في ادعائكم تحريم لحوم الإبل وألبانها في
شرعكم.

٩٥- فمن كذب على الله بعد تلاوة التوراة والنظر
فيها، فأولئك هم الظالمون لأنفسهم؛ لأنهم يجادلون
بالباطل.

٩٥- قل أيها النبي: صدق الله فيما أخبر به، فاتبعوا
ما يذكركم إليه خاتم النبيين من اتباع ملة إبراهيم
الحنيفة، فإن إبراهيم كان حنيفاً، أي مائلاً عن الباطل
إلى الحق، وعن عقيدة الشرك إلى التوحيد.

٩٦- إن أول بيت وضع لعبادة الله في الأرض للذي
بناه إبراهيم في بكة (مكة)، وهو الكعبة المشرفة، كثير
الخير والنفعة، لكونه قبلة، ومركز توحيد الله وحده.

٩٧- في البيت الحرام علامات واضحات على تعظيمه واحترامه، منها مقام إبراهيم (الحجر الذي كان يقوم عليه
أثناء بناء البيت) والحجر الأسود، والصفاء والمروة، وزمزم والحطيم، ومن دخله خائفاً صار آمناً على نفسه، وإليه
يحج الناس، ومن كفر بهذه الآيات البينات، وأنكر فريضة الحج، فالله غني عن العالمين وعبادتهم، لا تنفعه طاعة،
ولا تضره معصية، وإنما الناس بحاجة إليه. لما نزلت: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾ [آل عمران ٨٥/٣]
قالت اليهود: فنحن مسلمون، فقال لهم النبي ص: «فرض الله على المسلمين حج البيت، فقالوا: لم
يكتب علينا، وأبوا أن يحجوا، فأنزل الله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾».

٩٨- قل أيها اليهود والنصارى: لم تحجدوا بآيات الله الدالة على إثبات نبوة محمد ﷺ، والله مطلع عليكم
حينما تصرون على الكفر بالقرآن وبدلائل الحق. نزلت حينما حرّض اليهود نفرًا من الأوس والخزرج في
مجلس لهم على الاقتتال فيما بينهم.

٩٩- يا معشر اليهود والنصارى لم تمنعوا الناس عن دين الله، وتلقون الشبهات في سبيل الإيمان بالله، وتكيدون
للمسلمين بلقاء الفتنة بينهم؟ تريدون لسبيل الله اعوجاجاً وميلاً عن الحق والاستقامة، لتنفروا الناس منها، والحال
أنكم تشهدون أنها دين الله الحق، كما في كتبكم، وما الله بغافل عن أعمالكم الكيدية، وسيجازيكم عليها.

١٠٠- يا أيها المؤمنون إن تطيعوا فريقاً من اليهود بالإصغاء لدسائسهم وأقوالهم، يردوكم كفراً بعد إيمانكم.
نزلت كسابقتها حينما حاول اليهود إثارة الفتنة بين الأوس والخزرج.

١٠١- وكيف يتأتى الكفر أو الجحود منكم أيها المؤمنون، وتعودون إلى ضلال الجاهلية، وأنتم تتلى عليكم آيات الله الأمرة بوحدة الصف والتوادة والبعد عن الخلاف، وفيكم رسول الله يرشدكم إلى الحق، ويخلصكم من ضلال الجاهلية وتاراتها وأحقادها؟ فارجعوا إليه. وإلى القرآن بعده، ومن يعتصم ويتمسك بكتاب الله ودينه، فقد هدي إلى طريق قوم واضح هو الإسلام.

١٠٢- يا أيها المؤمنون خافوا الله أشد الخوف بأن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر بنعمته، ويذكر فلا ينسى، واحرصوا على الإسلام قبل مفاجأة الموت. ذكر المفسرون أنه لما نزلت هذه الآية، قالوا: يا رسول الله، من يقوى على هذا؟ وشق عليهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن ١٦/٦٤].

١٠٣- وتمسكوا جميعاً بالقرآن ودين الإسلام، ولا تفرقوا كما كنتم في الجاهلية، يحارب بعضكم بعضاً، ولا تختلفوا في الدين، وتذكروا أيها الأوس والخزرج نعمة الله عليكم بالائتلاف والاجتماع، والجمع على كلمة الإسلام، بعد أن

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ
وَمِنْ يَعْتَصِرِ اللَّهَ فَقَدْ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَحُونُوا إِلَا
وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ
فُلُوكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكَتَبَ عَلَىٰ شِقَاخُفِرَ
مِنَ النَّارِ فَأَقْدَمَ مِنْهَا لَكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى
الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَحْكُمُوا عَلَى الَّذِينَ يَفِرُّوا وَأَخْتَفُوا
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ هُمُ بِالْبَيِّنَاتِ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا
الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ عِلْمِكُمْ
فَذُرُّوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ
اتَّبَعَتْ وُجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾

كنتم أعداء في الجاهلية، يقتل بعضكم بعضاً، وينهب بعضكم بعضاً، فأصبحتم بنعمة الله إخواناً متحابين في الله، مجتمعين على عبادته وطاعته، وكنتم على طرف حفرة من حفر جهنم، يوشك أن تقعوا فيها إذا متم كفاراً، فأنقذكم الله من النار وهذه الحفرة بالإيمان أو الإسلام وبعثة محمد ﷺ، ويمثل ذلك البيان الناصع يوضح الله لكم آياته الدالة على الخير والاتحاد، والتحذير من مكائد اليهود، لتهتدوا إلى طريق الرشاد على الدوام، ولا تعودوا إلى أوضاع الجاهلية من التفرق والوثنية والعداوة.

١٠٤- ولتكن يا جماعة المؤمنين طائفة أو فئة منكم، يقومون بواجب الدعوة بالتعليم والإرشاد إلى عمل الخير: وهو كل ما فيه صلاح الدنيا والآخرة، ويأمرون بالمعروف: وهو ما استحسنته الشرع والعقل السليم، وينهون عن المنكر: وهو كل ما استقبحه الشرع والعقل الصحيح، وتلك الطائفة القائمة بتلك المهمة: هم المختصون بالفوز برضا الله وجنته.

١٠٥- ولا تكونوا يا مسلمون متفرقين عن الحق، كتفرق اليهود والنصارى، ولا تختلفوا كاختلافهم في دينهم، من بعد مجيء الآيات الواضحة المبينة للحق، والموجبة للاتفاق والبعد عن الاختلاف، وأولئك الذين تفرقوا واختلفوا، لهم عذاب شديد كبير يوم القيامة.

١٠٦- لهم عذاب عظيم يوم القيامة حين تكون وجوه المؤمنين مشرقة بالسور، ووجوه الكافرين مسودة بالكآبة والحزن، فأما الذين اسودت وجوههم، فيقال لهم على سبيل التوبيخ: أكفرتم بالرسول محمد بعد إيمانكم به، وعلمكم ببعثته، ولديكم أوصافه والبشارة به؟ فذوقوا العذاب بسبب كفركم في الدنيا.

١٠٧- وأما الذين أشرق وجوههم بالإيمان، ففي الجنة ودار الكرامة (أثر الرحمة) هم فيها ما كانوا أبدأ.

١٠٨- تلك آيات القرآن نقصها عليك أيها النبي متلبسة بالحق وهو العدل، مقررة ما هو حق، ولا يريد الله ظلماً لأحد من العالمين: الإنس والجن، بتعذيبهم من غير ذنب.

١٠٩- والله حق التصرف في ملكه في السموات والأرض كما يشاء، فكل شيء في قبضته، وإلى الله ترجع جميع الأمور، لمجازاة المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

١١٠- أوجدكم الله خير أمة، وكنتم في علم الله على هذه الخيرية، فالأمة الإسلامية خير الأمم على الإطلاق، وخيرتهم بسبب الأمر بالمعروف: وهو ما استحسنته الشرع وأمر به، والنهي عن المنكر: وهو ما استكرهه الشرع من قول أو خلق أو عمل، وبسبب الإيمان بالله وحده لا شريك له، ولو آمن اليهود والنصارى برسالة النبي ﷺ لكان إيمانهم خيراً وأنفع لهم عند ربهم، ولكنهم لم يفعلوا، وكان بعضهم مؤمناً، وأكثرهم خارجون عن طريق الحق وطاعة الله ورسوله. نزلت في يهوديين قالوا لجماعة من المؤمنين: إن ديننا خير مما تدعوننا إليه، ونحن خير وأفضل منكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

١١١- لن يلحق بكم الفاسقون يا جماعة

المؤمنين ضرراً من أي نوع إلا بأذى اللسان من هجاء وطعن في الدين وإلقاء شبهات، وإن قاتلوكم فرؤا منهزمين، ثم لا يتصرفون عليكم ما دمتم مؤمنين حق الإيمان. نزلت حينما عمد رؤوس اليهود إلى مؤمنهم عبد الله بن سلام وأصحابه، فأذوهم لإسلامهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

١١٢- أحاطت بهم الذلة من كل جانب، في أي مكان وجدوا، إلا إذا عصموا بمعاودة ذمة أو أمان أو عقدوا عهداً مع غيرهم على عدم الإضرار، ولزمهم غضب من الله، وأحاطت بهم المهانة والاستكانة من جميع الجوانب، ذلك الغضب وغيره بسبب كفرهم بآيات الله في التوراة والقرآن، وقتلهم الأنبياء ظلماً وعدواناً، وذلك العقاب الذي ينزل بهم بسبب عصيانهم أوامر الله واعتدائهم.

١١٣- ليس أهل الكتاب متساوين في تلك الصفات، بل فيهم جماعة مؤمنة، يقرؤون آيات القرآن في ساعات الليل أثناء الصلاة، وهم يصلون لله تعالى. عبر بالسجود عن مجموع الصلاة، لما فيه من الخضوع والتذلل. نزلت حينما آمن عبد الله بن سلام وصحبه، فقالت أحبار اليهود: ما آمن بمحمد واتبعة إلا شرارنا، ولو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم، وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله في ذلك هذه الآية.

١١٤- يؤمنون بالله وبالأخرة ويأمرون بالمعروف: وهو اتباع أوامر الله، وينهون عن المنكر: وهو ما أنكره الشرع من قول أو عمل، ويبادرون إلى فعل الخيرات، وأولئك مع الصالحين وهم الصحابة.

١١٥- وما تفعل هذه الأمة من خير، فلن يضيع ثوابه، بل يجازون عليه، والله عليم بأهل التقوى، وتلك بشارة لهم بالقبول وحسن الثواب.

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْزِيلُهَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُتِبَ خِرَافَةٌ أُخْرَجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْأَكْثَنِ لَكَانَ خَيْرًا لَّكُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَكَذَرَهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يَقْتُلُوكُمْ يَتُوبُوا لَكُمْ الْأَذَى لَا يُضُرُّكُمْ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثَقِفُوا لِإِجْحَالٍ مِنَ اللَّهِ وَجَبَلَ مِنَ النَّاسِ وَبَاءَ وَبَعْضٌ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكُمْ تَمَاصُوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ فَإِنِ آتَاهُ لَآيِلٌ وَهُمْ يَتَعَدُّونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأُمرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوا بِهِ وَاللَّهُ عَالِمُ الْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾



١١٦- إن الذين كفروا لن تنفي عنهم أموالهم ولا أولادهم، ولن تدفع عنهم شيئاً من عذاب الله الذي يريد إيقاعه بهم، وهم أصحاب النار ما تكون فيها على الدوام.

١١٧- حال ما يتفق هؤلاء الكفار من الصدقات والخيرات في محاربة الرسول، في الدنيا، في ذهابها وبطلان أثرها وزوالها كمثل أو حال ربح باردة أصابت زرع قوم ظلموا أنفسهم بالكفر، فأحرقته أو أهلكته، وما ظلمهم الله بتبديد ثواب أعمالهم، ولكن ظلموا أنفسهم بإضاعة أموالهم في مقاومة دين الله الذي لا يغلب. وهذا تشبيه مركب.

١١٨- يا أيها المؤمنون لا تتخذوا أماناء الأسرار من غير المسلمين، لا يقصرون في خديعتكم وإفساد أمركم والمكر بكم، والخبال: فساد العقل والبدن والفعل، بل يجتهدون في إلحاق الأذى بكم، تمنوا إيقاعكم في المشقة والضمر، ظهرت شدة البغضاء والعداوة لكم في كلامهم وإفشاء أسراركم، لما تضمره قلوبهم من الحسد والحقد، وما تخفي صدورهم من العداوة أشد مما يظهره، قد أوضحنا لكم دلائل شدة عداوتهم لكم، إن عقلتم وميزتم ما أوضحناه، واتعظتم به. قال ابن عباس: كان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من يهود، لما كان

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَآ يَفْقَهُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَمْلَكَتْهُمَا ظِلْمُهُمْ لِلَّهِ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا بِالْأُولَى كِبَالًا وَلَا أَذْوَاعًا مَعِشْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ نَتْنَا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ مَسْأَلَتُهُ أَوْلَاءَ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَفُوكُمْ فَالَوْا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَالِمَكُمْ الْإِيمَانَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْمِنُوا بِعَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَضُرُّوهُمْ وَتَنْفَعُوا لَابِئْسَ كَيْدُ هُمْ سَبِيحًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ عَدُوَّتُ مِنْ أَهْلِكَ نَبِيُّ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية، فأنزل الله فيهم، ينهاهم عن مبايعتهم، بسبب تخوف الفتنة عليهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ...﴾

١١٩- أيها المؤمنون الذين اتخذتم غيركم بطانة لكم، أنتم تودونهم وتحبونهم، وهم لا يودونكم ولا يحبونكم، بل يبطنون لكم العداوة، والحال أنكم تؤمنون بجميع ما أنزل الله من الكتب على أنبيائه، ومنها كتابهم، وهم يكفرون بكتابكم، وإذا قابلوكم قالوا لكم نفاقاً وتقية: صدقنا برسالة نبيكم، وإذا فارقوكم واختلى بعضهم مع بعض، عصوا أطراف الأصابع، كناية عن شدة غيظهم من قوة المؤمنين واتلافهم، وتأسفاً وتحسراً، حيث لم يتمكنوا من الانتقام منكم، قل لهم يا نبي الله، موتوا بغيتكم أي ابقوا عليه إلى الموت، فإن الله مظهر دينه وامت نعمته على المؤمنين، والله عليم بما في القلوب والخواطر القائمة بها، ومنها ما يضرهم من الشر.

١٢٠- إن تصيبكم أيها المؤمنون نعمة كنصر أو غنيمة أو قوة مثلاً، تحزنهم وتضايقهم، وإن تصيبكم نقمة كهزيمة وقحط، يفرحوا بها، لشمتهم وكراهيتهم، وإن تصبروا على أذاهم وعداوتهم، وتتقوا الله وتتركوا مواليتهم، لا يضرهم تدبيرهم الماكر لكم؛ لأنكم في رعاية الله، إن الله مطلع على أعمالهم، قادر على إحباطها.

١٢١- واذكر يا نبي الله حين خرجت في الصباح، من المنزل الذي فيه أهلك، تنزل وترتب المؤمنين في أماكن أو مراكز مناسبة للقتال، في معركة أحد، والله سميع لكل شيء من الأقوال والأصوات، عليم بالأحوال والشؤون. وهذا انتقال لذكريات الحرب في بدر وأحد، ليتعظ اليهود، ويدركوا مصيرهم إذا حاربهم المسلمون. نزلت في قصة المؤمنين يوم أحد، هي وما بعدها بمقدار ستين آية.

١٢٢. اذكر حين همت طافتان كانتا جناحي
العسكر يوم أحد وهما بنو سلمة من الخزرج وبنو
حارثة من الأوس أن ترجعا عن القتال مع النبي ﷺ،
والله حافظهما من التراجع، وإلى الله وحده،
فليفوض المؤمنون أمورهم إليه.

١٢٣. ولقد نصركم الله أيها المؤمنون بيدر: موضع
بين المدينة وجدة، وأنتم قليلون ضعفاء لقلّة عددكم
وعتادكم أمام عدوكم، فآخشوا الله واثبتوا مع
رسوله، لتشكروا الله على نعمة النصر. هذا تذكير
بموقعة بدر للإعلام بأن النصر مع الصبر.

١٢٤. اذكر أيها النبي حين قلت للمؤمنين، وهم
يتضرعون إلى الله لينصرهم على عدوهم: ألا يكفيكم
لتطمئنون أن يدكم الله بثلاثة آلاف من الملائكة متزكين
من السماء لمساعدتكم.

١٢٥. نعم يكفيكم ذلك، إن صبرتم على لقاء
العدو، واتقيتم الله والمعاصي، وأتاكم المشركون
لقتالكم فجأة من ساعتهم، يدكم ربكم بخمسة
آلاف من الملائكة معلمين أنفسهم أو خيلهم
بعلامات، كما يُعلم الشجعان أنفسهم بعصاة
حمراء، ليعرف مكانهم.

١٢٦. وما جعل الله وعده بالإمداد إلا بشري لكم

بالنصر، ولتسكن قلوبكم بذلك، فلا تضطرب، والنصر من عند الله وحده، لا من عند غيره، فهو القوي الغالب
المنتقم من الأعداء، الحكيم في صنعه وتدييره.

١٢٧. وكان النصر بيد ربك ليهلك طائفة من الكفار، وهم الذين قتلوا بيدر، أو يحزنهم بالهزيمة، فيرجعوا غير
ظافرين بمطلبهم.

١٢٨. ليس لك أيها النبي من الأمر شيء، بل أمرهم بيد الله، يصنع بهم ما يشاء من الإهلاك أو الهزيمة، أو
التوبة عليهم بإسلامهم، أو تعذيبهم على كفرهم، فإنهم يستحقون العقاب إن لم يؤمنوا، وفيه تلميح بإيمان قريش.
قال أنس: إن النبي ﷺ يوم أحد كسرت رباعيته، وشج رأسه، حتى سال الدم على وجهه، فقال: كيف
يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم؟ فأنزل الله الآية.

١٢٩. ثم أبان الله سعة ملكه، فذكر أن له ملك جميع ما في السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات، يغفر
لمن يشاء المغفرة له بفضله، ويعذب من يشاء عذابه بعدله، والله كثير الغفران، رحيم بالمستغفرين. وفيه إشارة إلى أن
رحمته سبقت غضبه.

١٣٠. ثم ذكر في قصة أحد أمر الربا ليركوا ذلك، ويبدلوا أموالهم في سبيل الله، فقال الله: لا تتعاملوا بالربا،
ولا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة كما كنتم في الجاهلية، وخافوا عقاب الله بأكل الربا، لتفوزوا في الدنيا والآخرة.
كانوا يبتاعون إلى الأجل، فإذا حل الأجل، زادوا عليهم، وزادوا في الأجل، فنزلت الآية.

١٣١. وخافوا أيها المؤمنون نار جهنم التي هيأها الله للكفار، أي إن أكل الربا شأن الكفار، لا شأن للمؤمنين.

١٣٢. وأطيعوا الله ورسوله فيما جاء به الأمر والنهي الصريحان لكي تكونوا بالطاعة أهلاً لرحمة الله.

إِذْ هَمَّتْ طَافَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ
فَاتَّقُوا اللَّهَ أَعْلَمَكُمْ شُكْرُكُمْ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ
أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
مُتَرَلِّينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ
هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾
وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ
وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْغَرِيبَ الْحَكِيمَ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ
طَرَفًا مِمَّنِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُنَّهُمْ فَيَقْضِلُوا حَاسِبِينَ ﴿١٢٧﴾
لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ
ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَاللَّهُ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ مَنْ
يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٩﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ
لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾



١٣٣- وبادروا إلى أسباب المغفرة من التوبة والطاعة، والقبول من ربكم، وإلى ما يوصل إلى جنة واسعة، عرضها السموات والأرض أوسع مخلوقات الله، وقد أعدت للمتقين: المبتعدين عن المعاصي، ومن أكبرها أكل الربا.

١٣٤- ومن صفات المتقين: الذين ينفقون أموالهم في مرضاة الله، والذين يكتمون غضبيهم بالصبر، مع قدرتهم على إظهاره، فلا يظلمون أحداً، والله يرضى عن المحسنين في أعمالهم.

١٣٥- والذين إذا ارتكبوا فعلة فاحشة: وهي كل معصية كبيرة كالزنا والقتل، أو ظلموا أنفسهم باقتراف الذنب الصغير، استحضروا عظمة الله، وتذكروا وعيد الله وعقابه بالستهم وعقولهم، فطلبوا المغفرة لها من الله، ولا يغفر الذنوب إلا الله، ولم يبقوا على ذنوبهم - والإصرار: العزم على معاودة الذنب والاستمرار عليه - وهم يعلمون خطورة الذنب، وأن الإصرار عليه من الكبائر. نزلت في نهبان الثمار أبي مقبل، أتمه امرأة حسناء، باع منها قمراً، فضمها إلى نفسه وقبلها، ثم ندم على ذلك، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فنزلت هذه الآية.

١٣٦- أولئك المتقون بالأوصاف المذكورة ثوابهم: مغفرة على ذنوبهم من ربهم، والظفر بجنت (بساتين)

تجري من تحت أشجارها ومساكنها الأنهار، وهم مقيمون فيها أبداً، ونعم ثواب المطيعين: وهو الجنة.

١٣٧- قد مضت من قبل وجودكم معشر البشر سنن (طرائق) الله في عقاب الظالمين بإهلاكهم لتكذيبهم أنبياءهم، ونصر المؤمنين، فإن شككتهم فسيروا في الأرض بقصد الاعتبار، فانظروا مصير المكذبين رسولهم، وأثار الأم البائدة.

١٣٨- هذا المذكور في القرآن من التأمل في قصص الظلمة: بيان للمكذبين وغيرهم، وهداية من الضلالة، وإرشاد للخير، وعظة وعبرة للمتقين وحدهم؛ لانتفاعهم بالموعظة دون غيرهم.

١٣٩- ولا تضعفوا عن قتال الكفار، ولا تحزنوا على ما نالكم يوم أحد من القتل والجراح، وأنتم الأعلون منزلة، المنصورون على أعدائكم، إن كنتم مؤمنين حق الإيمان بالله ورسوله. نزلت لمواساة النبي ﷺ والمؤمنين فيما أصابهم يوم أحد.

١٤٠- إن أصابكم أيها المؤمنون جراح وقتل يوم أحد، فقد أصاب الكفار مثله يوم بدر، أي إن نالوا منكم في أحد، فقد نلتم منهم في بدر، وتلك أيام الدنيا من نصر وهزيمة نداولها بين الناس، فيكون النصر يوماً لهؤلاء، ويوماً لأولئك، وليظهر الله علمه في المؤمنين، ويختبر مدى إيمانهم وصبرهم على الشدائد، ويكرم بعضهم بالشهادة في سبيله، وسموا شهداء لشهادتهم على من قتلهم ظلماً وعدواناً، والله يعاقب الظالمين الكافرين. نزلت حينما قالت امرأة لرجلين بعد أحداث أحد: ما فعل رسول الله؟ قالوا: حي، قالت: فلا أبالي، يتخذ الله من عباده الشهداء، ونزل القرآن على ما قالت: ﴿ويتخذ منكم شهداء﴾.

١٤١- وليطهر ويخلص المؤمنين من ذنوبهم، ويهلك ويستأصل الكافرين بسبب عنادهم.

﴿وَسَارِعاً إِلَى الْمَغْفِرَةِ مِنْ رَبِّكَ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ١٣٣ ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُطَيْبِ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ١٣٤ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمِنْ بَغْيِ الذَّنْبِ إِلَّا اللَّهَ وَلَمْ يَصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ١٣٥ ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتُ جُجَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَهُمْ لَا يَجْرُ الْغَيْلُ﴾ ١٣٦ ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ ١٣٧ ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ١٣٨ ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٣٩ ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ١٤٠ ﴿وَلِيُخَصَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَخْلُصَ الْكَافِرِينَ﴾ ١٤١

١٤٢. أظنتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا وصبروا؟ ولما يتبين في حياتكم الذين جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، ويعلم الصابرين الذين يشتون في القتال.

١٤٣. ولقد كنتم أيها المؤمنون تسمنون الشهادة في سبيل الله قبل موقعة أحد، من قبل مشاهدة القتال وأهواله، فقد رأيتم أسباب الموت قريباً منكم، وأنتم تتأملون الحال كيف هي، فلم انهزمتم؟ عن ابن عباس: أن رجالاً من الصحابة كانوا يقولون: ليتنا نقتل كما قتل أصحاب بدر، فاشهدهم الله أحداً، فلم يلبثوا إلا من شاء منهم، فأنزل الله الآية.

١٤٤. وما محمد إلا رسول كسائر الرسل من البشر، قد مضت من قبله الرسل وماتوا عند انتهاء آجالهم، أفإن مات أو قتل كغيره من الناس، رجعتكم كفاراً بعد إيمانكم؟! ومن يرتدد منكم عن دينه، فلن يضرب الله شيئاً، وإنما يضرب نفسه، وسيجزى الله الشاكرين جزاء حسناً لثباتهم على دينهم، نزلت لما هزم المسلمون في أحد، وأشيع أن النبي ﷺ قتل، فقال قاتل: قد

أصيب محمد فاعطوا بأيديكم، فإنما هم إخوانكم، ورأى عمر الناس يتراجعون، فنزلت هذه الآية: ﴿وما محمد إلا رسول﴾.

١٤٥. ليس لنفس أن تموت إلا بقضاء الله وقدره، وكتب الله الموت على كل نفس كتاباً ذا أجل محدود، ومن يرد بعمله ثواب الدنيا كالغنيمة ونحوها، نعطه من ثوابها المقدر له، ومن يرد بعمله ثواب الآخرة، وهو الجنة، نعطه من ثوابها ونضاعف حسنته، وسيجزى جزاء وافر الشاكرين، أي الثابتين على دينهم، المطيعين لأوامر ربهم كالقتال والصبر.

١٤٦. وكثير من الأنبياء قاتلوا أعداء الله، وقاتل معهم العلماء والعباد الربانيون المنسوبون إلى الرب، لشدة تمسكهم بطاعة الله، فما جبنوا عن القتال لما أصابهم من القتل والجراح في سبيل إعلاء كلمة الله، أو لقتل قائدهم، وما ضُفِّعُوا عن ملاقاته عدوهم، وما خضعوا وذلوا له، بل ثبتوا وصبروا، والله يثيب الصابرين في الجهاد وغيره. والفرق بين الألفاظ الثلاثة: أن الوهن في القلب، والضعف في الجسد، والاستكانة: الاستسلام للعدو.

١٤٧. وما كان قول أولئك الربانيين الذين كانوا مع الأنبياء عند لقاء عدوهم، إلا أن قالوا: ربنا اغفر لنا ذنوبنا الصغائر، وخطايانا الكبائر التي تجاوزنا بها حدودك، ورسخ أقدامنا في القتال بتقوية قلوبنا على الجهاد حتى لا نفرأو نهزم، وانصربنا على الكافرين، نصرأ مؤزرأ ينتصر به دينك.

أَوْحَيْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ سَاطِرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ مُتَّعَ إِلَّا بِذَنْ اللَّهِ كَثِيرًا مِمَّا يَسْرِ وَيُزِيدُ الثَّوَابَ أَثَرَهُ مِنْهَا وَمَنْ يُزِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُزِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رَيْثُونٌ كَثِيرٌ فَأَوْفَتْهُمَا أَصَابُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾

١٤٨- فأعطاهم الله بسبب جهادهم وصبرهم ثواب الدنيا من النصر والغنيمة، والثواب الحسن في الآخرة، وهو الجنة ونعيمها، والله يرضى عن المحسنين الذين يخلصون في أعمالهم لله تعالى.

١٤٩- يا أيها المؤمنون إن تطيعوا الذين كفروا في ترك الجهاد والاستسلام للعدو، يرجعوك إلى الكفر بعد الإسلام، فتصبحوا مغبونين أذلاء في الدنيا، معذيين في الآخرة. قال علي رضي الله عنه: نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة في أحد: ارجعوا إلى إخوانكم، وادخلوا في دينهم.

١٥٠- بل الله متولي أموركم وناصركم، لا حاجة لنصرة أحد، فلا ترجعوا إلى المشركين، ولا تتولوهم، واعتصموا بالله، وهو خير من نصر وأقدر من غلب.

١٥١- سنملا قلوب الكفار خوفاً بالرغم من انتصارهم، بسبب إشرافهم بالله شركاً لا برهان ولا حجة عليه، ومسكنهم في الآخرة نار جهنم، وقبح مقام الكفار النار. نزلت لما عزم المشركون بقيادة أبي سفيان بعد أحد على العودة لاستئصال المسلمين، فلما عزموا على ذلك،

ألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب، حتى رجعوا عما هموا به، وأنزل الله تعالى هذه الآية.

١٥٢- ولقد صدقكم الله وعده بالنصر يوم أحد، حين بدأت تقتلونهم وتستأصلونهم بتيسيره تعالى وإرادته، حتى إذا جبتهم وضعفتم عن القتال واختلقت أيها الرماة فوق الجبل في شأن البقاء في أماكنكم، أو اللحاق بالغانم، وعصيت أمر نبيكم بترك مركزكم على الجبل لطلب الغنيمة، من بعد رؤية ما تحبون من النصر على المشركين، وسبب التنازع: أن منكم من يريد الغنيمة، ومنكم من يريد الآخرة بالثبات في مراكزهم فاستشهدوا، ثم ردكم عنهم منهزمين بعد أن استوليت عليهم، ليمتحنكم ويختبر إيمانكم، أي يعاملكم معاملة من يختبركم، ليظهر للناس الصادق والمنافق، ولقد عفا الله عنكم حيث ندمتم على مخالفة أمر النبي ﷺ، والله صاحب الفضل على المؤمنين، بالعرف عنهم، وعدم استئصالهم. نزلت لما قال بعض المسلمين يوم أحد: من أين أصابنا هذا، وقد وعدنا الله النصر؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية. وذلك أنهم انتصروا في الابتداء، ثم انهزموا لما اشتغلوا بالغنيمة، وترك الرماة مراكزهم على الجبل طلباً للغنيمة.

١٥٣- اذكروا إذ تذهبون بعيداً في الوادي فارين من القتال، هارين، ولا يلتفت بعضكم إلى بعض خوفاً وذعراً، والرسول من خلف ظهوركم يناديكم: هلموا إلي عباد الله، يناديكم لترجعوا، فلم تستجيبوا، فجازاكم الله غماً (كرباً شديداً) بهزيمتكم، بسبب غم النبي ﷺ بمخالفة أمره وعصيانكم، لأجل ألا تحزنوا بعد هذا الدرس البليغ على ما فاتكم من النصر والغنيمة، ولا على ما أصابكم من الجراح والقتل والانهازم، والله مطلع على أعمالكم، فيجازيكم جزاءً وفاقاً.



ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نَاعَسًا يَغْثَى طَائِفَةً مِنْكُمْ
وَطَائِفَةً قَدْ أَفْثَمَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ لَاقٍ ظُلْمَ
الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ
كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفِئُ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ
يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي
بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْلِغَ
اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُخَيِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ ١٥٥ إِنْ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا
اسْتَغْنَاهُمُ الشَّيْطَانُ بَعْضُ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ١٥٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا
كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي
الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِدَدًا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا
لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّصُ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١٥٧ وَلَنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ حَرِيمًا يُجْمَعُونَ ١٥٨

١٥٤- ثم أنزل الله عليكم أيها المؤمنون من بعد
الكرب والهم أمناء، فأزال الخوف، وألقى عليكم
النعاس (الفتور قبل النوم) للتنشيط والقوة
والثبات، رحمة بكم، يغطي النعاس فشة منكم،
هم الصادقون الذين خرجوا للقتال بقصد الثواب،
والفئة الأخرى، وهم المنافقون لا هم لهم إلا نجاة
أنفسهم، يظنون ظنا باطلاً أن الله لن ينصر نبيه
محمدًا ﷺ وأصحابه، كظن الجاهليين المشركين،
حين يقول المنافقون للنبي ﷺ: هل لنا من النصر
وقهر العدو شيء من الغنيمة؟! قل لهم أيها
الرسول: إن النصر بيد الله، يكتُمون في أنفسهم
من النفاق والكفر، ما لا يظهرون لك من أقوالهم
ونواياهم، يقولون في أنفسهم: لو كان لنا من أمر
الخروج لقتال المشركين شيء من الحرية والاختيار
ما خرجنا ولا قتل بعضنا هنا، ولكننا أخرجنا كرهاً،
قل لهم أيها النبي: لو كنتم في منازلكم لخرج
المكتوب عليهم القتل من بينكم إلى مصارعهم التي
يموتون فيها ويصرعون؛ لأن قضاء الله لا يرد،
والأجل محتوم، وليختبر الله ما في صدوركم من
الإخلاص ويكشفه أمام الناس، ويميز ما في
قلوبكم من الإيمان أو النفاق، والله عليم بما في
القلوب أي خفايا النفوس، لا يخفى عليه شيء.

نزلت حينما اشتد الخوف على المؤمنين يوم أحد، وناموا، وقال بعض المنافقين: لو كان لنا من
الأمر شيء، ما قتلنا ها هنا، فأنزل الله في ذلك: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ...﴾ إلى آخر
الآية.

١٥٥- إن الذين انهزموا يوم أحد يوم التقاء الجمعين من المؤمنين والمشركين، إنما أوقعهم الشيطان في الزلة
أو الخطيئة وهي الانهزام، بسبب ذنبهم، وهو مخالفة أمر النبي ﷺ، ولقد صفح الله عنهم لتوبتهم
 واعتذارهم، إن الله كثير المغفرة لمن تاب، حلیم لا يعجل بعقوبة أهل الذنب.

١٥٦- يا أيها المؤمنون لا تكونوا كالمنافقين بزعامة عبد الله بن أبي الذين كفروا بالله، وقالوا عن إخوانهم في
الكفر والمودة، إذا سافروا للتجارة مثلاً، أو كانوا غزاة خارجين للقتال، فماتوا في السفر أو قتلوا في الحرب:
لو كانوا باقين في ديارهم ولم يخرجوا: ما ماتوا ولا قتلوا، بسبب عدم إيمانهم بالقضاء والقدر، ليجعل الله
ذلك القول في عاقبة أمرهم تحسراً أو ندامة في قلوبهم، والله هو المحيي والمميت في السفر أو في القتال أو في
غيرهما، فلا تحسروا أيها المؤمنون على من استشهد منكم، واصبروا، فإن الموت بيد الله وقدره، والله مطلع
على أعمالكم ومجازيكم عليها.

١٥٧- ولئن قتلتم أيها المؤمنون في الجهاد أو متم في سفر أو غيره، فإن مغفرة الله لذنوبكم، ورحمته بكم
بدخول الجنة خير مما تجمعون من حطام الدنيا ومنافعها ومتاعها.

١٥٨- ولئن متم أو قتلتم في أي مكان بالسفر أو بالجهاد وغيرهما، لتحشرون أي تجمعون إلى الله وحده في الآخرة للحساب والجزاء، أي أن موت بعض إخوانكم يعقبه لقاء في الآخرة.

١٥٩- أيها الرسول إن الدين (السهولة وسعة الصدر) في معاملة قومك ما كان إلا بسبب رحمة وضمها الله في قلبك، لتأليف القلوب ونشر الدين، ولو كنت فقط (سبي الخلق شرس الطباع) قاسي القلب لا شفقة عنك، لانصرف قومك من حولك وتفرقوا عنك، فتجاوز عما أتوه من زلات، واطلب المغفرة لهم من الله، واستشرهم في أمور الدين والدنيا، مما لم يرد به الشرع أو لم ينزل فيه وحى، فإذا صممت على تنفيذ أمر بعد المشاورة، فامض على ما عزمت عليه مفوضاً أمرك إلى الله وثقاً به، إن الله يرضى عن المتوكلين الذين يفوضون أمورهم إليه. والتوكل: الاعتماد على الله في كل أمر.

١٦٠- إن أيدكم الله بنصره كما في بدر، فلا غالب لكم من أحد، فاتكلوا عليه وثقوا به، وإن يترك إعانتكم أو يخذلكم كما في أحد، فلن تجدوا أحداً ينصركم من بعد الله أبداً، وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي ليفوضوا أمورهم إليه، فهو مصدر النصر بعد اتخاذ الأسباب والإعداد والكفاح اللازم.

وَلَيْنَ مُتَّةٍ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّصُتُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَسَأَوُكُمْ فِي الْأَمْرِ فَاذْكُرُوا أَنَّمَا كُنْتُمْ نَصْرُوكَ فَإِن يَصْرَحُوا بِالنِّفَاقِ أَنتَ بِهَا خَبِيرٌ ﴿١٥٩﴾ وَإِن يَصْرَحُوا بِاللَّهِ فَلَا غَالِبَ لَكُمُ إِن يَخِذْ لَكُمْ فَنَازِلَهُ الَّذِي يُصْرِكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كُنْ بَاءً يَسْحَطْنَ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُدًى رَّجَّتْ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ صَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَبَرَكَاتِهِ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لِي صَلَّائِينَ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمْ أَصْطَلِكُمْ مِصْبِيحًا قَدْ أَصْلَحْتُمْ مَثَلِيهَا فَلَنَبِّئُكُمْ أَنَّ هَذَا قُلُوبُ مَنْ عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ إِنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

١٦١- ما صحح وما تأتى لنبي أن يغل، أي يخون في الغنيمة بأخذ شيء منها قبل قسمتها، ومن يخن، يأت بما أخذه خيانة يوم القيامة للحساب عليه، ثم تجدد تعطى كل نفس جزاء عملها وأفيا تاماً، وهم لا يظلمون شيئاً من نقص ثواب أو زيادة عقاب. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في قطيفة حمراء، افتقدت يوم بدر، فقال بعض الناس: لعل رسول الله ﷺ أخذها، فأنزل الله: ﴿ما كان لنبي أن يغل﴾.

١٦٢- ليس من اتبع رضوان الله في أوامره ونواهيه وعمل بطاعة الله كالأنبياء، كغيرهم ممن غل أو عصى ورجع بسخط (غضب شديد) من الله، ومقره جهنم، ويش المرجع الذي ينتظره.

١٦٣- الناس درجات عند الله في الآخرة بحسب أعمالهم، فدرجات أهل الرضوان ليست كدرجات أهل السخط الإلهي، والله مطلع على أعمالكم، فمجاز عليها من خير أو شر.

١٦٤- لقد أنعم الله وتفضل على المؤمنين، حين أرسل فيهم رسولاً بشراً عربياً من جنسهم، يقرأ عليهم آيات القرآن بعد أن كانوا في جاهلية لا يعرفون الشرائع، ويظهرهم من دنس الكفر والآثام، ويعلمهم القرآن والسنة، وإن كانوا من قبل بعة هذا الرسول لفي انحراف واضح، وجهل ظاهر.

١٦٥- أو حين أصابكم مصيبة يوم أحد، يقتل سبعين منكم، وكنتم قد أصبتم يوم بدر مثلي ذلك، فقتلت سبعين وأسرتم سبعين، قلت: من أين أصابنا هذا الانهزام والقتل؟ ونحن مسلمون، نقاتل في سبيل الله، وفينا رسول الله؟! قل لهم أيها النبي: أصابكم ذلك بسبب من أنفسكم: وهو ترك الطاعة أو مخالفة الأمر، إن الله قادر على كل شيء وحال. نزلت عقاباً للمسلمين بما صنعوا يوم أحد، من ترك الرماة الحبل، ومخالفة أمر القائد النبي ﷺ.

١٦٦- وما أصابكم من قتل وجراح وهزيمة يرم النقاء جمعي المؤمنين والمشركين في أحد، فبقضاء الله وقدره، وليظهر لكم شأن المؤمنين الصادقين الصابرين.

١٦٧- ومن فوائد ذلك المصاب: أن يميز الله المنافقين: عبد الله بن أبي وأصحابه، والذين قيل لهم: تعالوا قاتلوا من أجل إعلاء كلمة الله إن كنتم مؤمنين، أو دافعوا عن أنفسكم وأموالكم ودياركم إن لم تقاتلوا في سبيل الله ولم تؤمنوا بالله واليوم الآخر، قالوا: لو نعلم أنه سيكون قتال، لذهبنا معكم وقاتلنا معكم، ولكننا نعلم أنكم لا تقاتلون لعدم التكافؤ بين الفريقين، إنهم يوم قالوا هذا أقرب للكفر منهم للإيمان، والله أعلم بما يكتمونه من النفاق. قال الزهري وغيره: خرج رسول الله ﷺ إلى أحد في ألف رجل من أصحابه، فلما كانوا بالشوط بين أحد والمدينة، انخزل (مشى في تشاقل) عنهم عبد الله بن أبي ثلث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، والله ما ندري علام تقتل أنفسنا ها هنا؟ فرجع بمن تبعه.

١٦٨- المنافقون الذين لم يخرجوا مع المؤمنين لقتال المشركين في أحد قالوا لإخوانهم في النفاق: لو أطاعنا قتلى أحد في عدم الخروج من المدينة، ما قتلوا يومئذ، قل لهم أيها النبي: فادفعوا عن أنفسكم الموت إذا جاء الأجل، إن صدقتم في أن التحلف أو القعود ينجي من الموت، أي لا ينفع الحذر

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَيَا ذُنَّ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ
 ١٦٦ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْادِعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ١٦٧ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعِدُوا لَوَاطَاعُونَا مَا قَاتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١٦٨ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ١٦٩ فَرِحَ بِنَا أَنَّهُمْ لِلَّهِ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَا يَلْعَنُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١٧٠ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ١٧١ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ١٧٢ الَّذِينَ قَالُوا لَكُمْ لَتَنَسُبُنَا إِلَى النَّاسِ فَادْجَعُوا لَكُمْ كُفْرًا فَخَسِرْتُمْ فَرَادَهُمْ إِنَّهُمْ هُمُ الْخَائِبُونَ ١٧٣

من القدر، فإن القتل يموت بأجله.

١٦٩- ولا تظن أيها النبي وكل سامع أن الذين يستشهدون في أحد وغير ذلك من المعارك هم أموات، بل هم أحياء حياة برزخية خاصة، لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى. جاء في الحديث الثابت: أن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر، وأنهم في الجنة يَرِزَقُونَ ويأكلون، وأخبر النبي بذلك عن شهداء أحد، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا...﴾.

١٧٠- أولئك الشهداء هم عند ربهم مسرورون بما أعطاهم الله من الثواب والتكريم، ويستبشرون خيراً ويفرحون بما سيلاقه إخوانهم المجاهدون الذين تركوهم أحياء بعدهم، بأنهم لا خوف عليهم من مكروهه، ولا يحزنون لفوات محبوب في الدنيا.

١٧١- يسرّون بما أنعم الله عليهم وكرمهم، ويفرحون لإخوانهم المؤمنين للمجاهدين بما وجدوه من الجنة والرضوان، وأن الله لا يضيع أجر مؤمن عمل صالحاً، بل يزيدهم من فضله.

١٧٢- الذين أطاعوا الله ورسوله في خروجهم للقتال، من بعد تعرضهم في أحد لإصابات الجراح، لهؤلاء الذين أحسنوا العمل بالطاعة والجهاد، ثواب جزيل. نزلت حينما نذب النبي ﷺ أصحابه للخروج معه لمطاردة جيش أبي سفيان بعد أحد، ونزلوا في بدر الصغرى وكان عددهم سبعين رجلاً، ساروا في طلب أبي سفيان، حتى بلغوا الصفراء، فأنزل الله: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا...﴾.

١٧٣- الذين قال لهم الناس (أعرابي أرسله أبو سفيان) في غزوة حمراء الأسد بعد غزوة أحد: إن الناس (مشركي مكة) قد حشدوا لكم الجموع الكثيرة لقتالكم، فاحذروهم، فزادهم ذلك القول تصديقاً بالله، وقالوا: كافينا أهل أمرهم، ونعم المفوض إليه الأمر، وخرجوا حتى أتوا سوق بدر، وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه، فلم يأتوا، وكان النبي ﷺ قد قال: والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد.

١٧٤- فرجع هؤلاء الخارجون للقتال بعد معركة أحد خلف جيش قريش بسلامة وعافية من عدوهم، وأجر عظيم تفضل الله به عليهم، لم يتعرضوا لأذى أو مكروه من قتل أو جرح، لترك العدو المواجهة، وسلوكوا في عملهم هذا طريق رضوان الله عنهم أي الرضا الكثير، والله صاحب الفضل العظيم على عباده الطائعين.

١٧٥- إن ذلك المشط لكم أيها المؤمنون القائل: «إن الناس» هو الشيطان الذي يخوف المؤمنين من أنصاره المشركين لشره بوجههم أي يخوفكم من أوليائه، فلا تخافوا الكفار، فهم أولياء الشيطان الذي لا يشير إلا بالباطل، ولكن خافوني بفعل أمري ولا تخالفوه، واركبوا ما أنهاركم عنه، إن كنتم مؤمنين حقاً.

١٧٦- ولا يحزنك ولا يكدرك أيها النبي الذين ارتدوا عن الإسلام بعد أحد، وهم المنافقون، إنهم لن يضروا الله شيئاً بكفرهم، فلا ينقص كفرهم من ملك الله شيئاً، يريد الله ألا يجعل لهم حظاً من الثواب أو الجنة أو الرحمة، ولهم عذاب كبير بسبب مسارعهم في الكفر وردتهم.

فَاتَّقُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّوَيْسْتُمْ سُوءَ وَاتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا لَكُمْ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يَسْتَرْعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنَبْضَرُوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ الْأَلْحِقَ لَكُمْ حُطَّاءَ الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّا الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَكْهَرُ الْأَعْيُنِ لَنَبْضَرُوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا أُلْهِىَ لَهُمْ خَيْرٌ لَّا أَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُلْهِىَ لَهُمْ لِبَئْسَ دُؤَالاً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ لِيُدْرِيَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَشْرَكُوا عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِن تَرْسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَخْلُون بِمَا أَنشَأَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُمْ شَرُّ مِمَّا سَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي يَوْمٍ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفٍ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

١٧٧- إن الذين اختاروا الكفر أو استبدلوه بدل الإيمان، لن يضروا الله شيئاً بردتهم، ولهم عذاب مؤلم في الآخرة.

١٧٨- ولا يظنّ الذين كفروا أنما نلهم (نهل) بطول العمر ورغد العيش، خير لأنفسهم، بل إنما نلهم ونؤخر آجالهم، ليزدادوا عقاباً بكثرة المعاصي، ولهم عذاب ذو ذل وإهانة يوم القيامة.

١٧٩- ما كان الله ليترك المؤمنين على ما هم عليه من الاختلاط بالمنافقين، حتى يميز ويفصل بالحنة يوم أحد الخبيث (المنافق والعاصي) من الطيب (المؤمن الزكي) ولا يطلعكم الله أيها المؤمنون على الغيب، فتعرفوا المنافق بمجرد رؤيته، ولكن الله يختار أحد رسله، فيطلعهم على شيء من غيبه، فيميز بينكم، فأمنوا بالله ورسله بصدق وإخلاص، وإن تؤمنوا حقاً وتتقوا ما يغضب الله من النفاق وغيره، فلکم ثواب عظيم يوم القيامة. نزلت حينما قال المنافقون: يزعم محمد أنه يعلم من يؤمن به ومن يكفر، ونحن معه ولا نعرفنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

١٨٠- ولا يظنّ الذين يخلون بما أعطاهم الله من فضله، فيمتنعون عن الإنفاق في سبيل الله وعن دفع الزكاة، هو خيراً لهم في الآخرة، بل هو شر مستطير، سيكون ما بخلوا به من المال طوقاً من نار في أعناقهم يوم القيامة يعذبون به، والله جميع ما يتوارثه أهل السموات والأرض من مال وغيره، فما بالهم يخلون به؟ والله عالم خبير بما تعملون، ويجازيكم خيراً للمحسن، وشرّاً للمسيء. نزلت في مانعي الزكاة في رأي جمهور المفسرين.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُكَ دُفُقُوا عَذَابَ أَهْرَاقٍ ﴿١٨٣﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٤﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَاهَدُ إِلَيْنَا الْبَيْتَ الْأَلَا تَزْمِنُ لِرُسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَأْتِيَنا بِقُرْآنٍ نَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٥﴾ فَإِنْ كَذَّبْتُمْ فَلَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكُمْ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُجِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٧﴾ لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ نَصَرُوا وَنَفَقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٨﴾

١٨١- لقد سمع الله قول اليهود القائلين: إن الله فقير ونحن أغنياء، سنكتب قولهم هذا في صحف أعمالهم لنجازيهم عليه، ونكتب أيضاً قتلهم الأنبياء ظلماً وعدواناً، والجمع بين الأمرين تنبيه على الشناعة، ونقول لهم وهم في النار: تذوقوا عذاب جهنم المحرق المولم. والحريق: النار الملتهبة، نزلت في يهودي اسمه فنحاص قال لأبي بكر: ما بنا إلى الله من حاجة، وإنه إلينا لفقير، ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا نحن الأغنياء، ولو كان غنياً ما استقرض منا، كما يزعم صاحبكم. وذلك حين نزلت آية: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً، فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾ [البقرة ٢/٢٤٥].

١٨٢- ذلك العذاب الذي تُعَذِّبُونَهُ فِي الْآخِرَةِ بسبب ما اقترعتم من الآثام، - معبراً باليد عن الإنسان - والله ليس بظالم أحداً، وإنما عذابه بما يرتكب الإنسان من الذنب، فهو جزاء على فعل.

١٨٣- إن اليهود هم الذين قالوا: إن الله أمرنا في التوراة ألا نصدق رسولاً حتى يأتينا بقرآن تحرقه النار: وهو ما يتقرب به إلى الله، فتنزل نار من السماء فتحرقه. قل لهم أيها الرسول: قد جاء أسلافكم

رسل من قبلي بالمعجزات والأدلة الدالة على صدق رسالتهم، مثل زكريا ويحيى وأسماء عليهم السلام، وجاؤوكم بما طلبتم من القرابين، فلم تقتلهم، إن كنتم صادقين في ادعائكم؟! ١٨٤-

فإن كذبوك يا محمد، فلك أمثال، لقد كُذِّبَ رسل سابقون، جاؤوا بمثل ما جئت به من الأدلة والمعجزات والكتب السماوية (الزُّبُر) كصحف إبراهيم، والكتاب المنير كالتوراة والإنجيل. والزبور: الكتاب المشتمل على المواعظ، وهو كتاب داود عليه السلام. والمنير: الموضح لطريق الحق.

١٨٥- وهذه آية فيها الوعد والوعيد للمصدق والمكذب، ومضمونها أن كل نفس ستموت، وإنما تعطون أجوركم كاملة يوم القيامة على الأعمال الحيرة والشريرة، فمن أبعد عن النار وأدخل الجنة، فقد نجح من الخوف وفاز بما أراد، وما الحياة الدنيا إلا اغترار بالأماني. والمتاع: ما يتمتع به الإنسان، ويتفجع به، ثم يزول ويفنى، والغرور: الخديعة، أي أنها تخدع المشغول بها، فلا تنبيه للمخاطر.

١٨٦- لتختبرن أيها المؤمنون بالمصائب في الأموال والأنفس، بأن تعاملوا معاملة المختبر، لتظهر حالتكم على حقيقتها، والاختبار في الأموال بالزكاة والنفقات والتكاليف المتعلقة بالأموال، وفي الأنفس بالموت والمرض وفقد الولد والأحبة والقتل في سبيل الله، ولتسمعن أذى كثيراً كالسب والشتم والطعن في العرض والدين، من اليهود والنصارى ومن سائر المشركين غير الكتابيين، وإن تصبروا على الأذى، وتتقوا الله بفعل ما أمر وترك ما نهى عنه، فالصبر والتقوى من عزائم الأمور، أي مما يجب عليكم أن تعزموا عليه. نزلت في فنحاص اليهودي القائل: ﴿إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ [آل عمران ٣/١٨١] وفي كعب بن الأشرف الذي كان يهجو النبي ﷺ بالشعر، ويعرض عليه كفار قريش في شعره.



١٨٧- واذكر أيها النبي حين أخذ الله الميثاق (العهد المؤكد) على اليهود والنصارى من طريق أنبيائهم أن يُظهروا جميع ما في كتابهم من أحكام وأخبار للناس، ولا يخفون شيئاً مما ورد فيه، فطرحوا العهد وراء ظهورهم، واستبدلوا به شيئاً حقيراً يسيراً من متاع الدنيا، فبئس ما اشتروا وبدلوا، وبئس شراؤهم هذا.

١٨٨- لا تظن أيها النبي الذين يفرحون بما فعلوا من تضليل الناس ومحاولة صرفهم عن الإسلام، ويحبون أن يحمدهم الناس بما لم يفعلوا من التمسك بالحق، وهم على ضلال، فلا تظنهم بمنجاة من العذاب في جهنم، ولهم عذاب مؤلم فيها. أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس، مروان قال ليوأيه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس، فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمداً بما لم يفعل معذباً، لنعذبن أجمعون؟ فقال ابن عباس: ما لكم وهذه الآية؟ إنما أنزلت في أهل الكتاب، سألهم النبي ﷺ عن شيء، فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فخرجوا قد أروه أنهم قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمان ما سألهم عنه.

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُونُ بَعْدَهُ ظُهُورَهُمْ وَأَشْرَأُ بِهِ عُتَا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْكُرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبِ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجْحَدُونَ أَن يُجْهَدُوا بِمَا لَمْ يَعْمَلُوا فَلَا تَحْسَبُ بِمِقَارِهِ مَنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّا فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قَلِيلاً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلاً تُشِجُّنَا فَقَسَا عَذَابُ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مِن تَدْخُلِ النَّارَ فَمَادَّا تَخْرِتُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩١﴾ إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنَاءَ امْتِرَاءٍ يَرْيَاكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَنْبِيَاءِ رَبَّنَا إِنَّنَا أَعْدَتْنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٢﴾

١٨٩- والله ملك جميع السموات والأرض، يتصرف فيه حسبما يشاء، والله قادر على كل شيء.
١٩٠- إن في إيجاد وإبداع السموات والأرض، وتعاقب الليل والنهار بدقة، وتفاوتهما طولاً وقصرًا، وحرًا وبردًا وغير ذلك، للدلالات واضحات على وجود الله وقدرته ووحدانيته، لأصحاب العقول السليمة. نزلت هذه الآية لَمَّا طَلَبَتْ قُرَيْشٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَائِلِينَ: ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً، فدعاه ربه، فنزلت هذه الآية: ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ﴾ فليتفكروا فيها.

١٩١- الذين يتذكرون الله دائماً في جميع أحوالهم، قائمين في صلاتهم، وقاعدين في مجالسهم، ومضطجعين على جنوبهم، ويتفكرون في بديع صنع السموات والأرض وإتقانها، يقولون: ربنا ما خلقت هذا عبثاً ولهاً، بل خلقته دليلاً على قدرتك وحكمتك، تنزهك عما لا يليق بك وعن العبث، فاجعل لنا من طاعتك وقاية لنا من النار.

١٩٢- ربنا إنك من تدخله النار من عبادك، فقد أهنته وأذلته، وليس للظالمين أنفسهم أنصار ينصرونهم من عذابك.

١٩٣- ربنا إننا سمعنا منادياً وهو النبي والقرآن ينادي أن تؤمن بك، فأما بك إلهاً واحداً لا شريك لك، ربنا استر معاصينا، وأمتنا مع الأخيار المحسنين أعمالهم، وهم الأنبياء الصالحون. والذنوب: ما ينشأ من التقصير في العبادة، والسيئات: ما يتعلق بحقوقي العباد.

١٩٤- ربنا وأعطنا ما وعدتنا به على السنة رسلك من الرحمة والفضل، ولا تفضحنا بذنوبنا يوم القيامة، فنذل ونهان، إنك لا تخلف الوعد الذي وعدت به عبادك، من المغفرة للمستحقين، واللفظ بالمسيئين.

١٩٥- فَأَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُمْ أَنِّي لَا أُتْرَكُ إِثَابَةَ الْعَامِلِينَ ذُكُوراً وَإِنَّا، الْجِنَانُ مُتَسَاوِينَ لَا تَفَاضِلَ بَيْنَهُمَا فِي ثَوَابِ الطَّاعَةِ وَعِقَابِ الْمَعْصِيَةِ، وَلَا يَتَمَيَّزَانِ إِلَّا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَالَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بِلَادِهِمْ لِنَصْرَةِ دِينِهِمْ، وَأَخْرَجَهُمُ الْكَفَّارُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَوْطَانِهِمْ، وَأَوْذَوْا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بِسَبَبِ إِيمَانِهِمْ بِهِ، لِيَرُدُّوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَقَاتِلُوا الْأَعْدَاءَ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَقَتْلُوا أَوْ اسْتَشْهِدُوا فِي سَبِيلِهِ، لَا مَحْوٍ عَنْهُمْ ذُنُوبِهِمْ وَسَيِّئَاتِهِمْ بِالْمَغْفِرَةِ، وَلَا دُخْلَ لَهُمُ الْجَنَّةِ الَّتِي تَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا وَمَسَاكِنِهَا، جَزَاءَ لَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ عَلَى حَسَنِ أَعْمَالِهِمْ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْجَزَاءِ: وَهُوَ مَا يَرْجِعُ إِلَى الْعَامِلِ مِنْ عَمَلِهِ. قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أَسْمَعُ اللَّهَ ذَكَرَ النِّسَاءَ فِي الْهَجْرَةِ بِشَيْءٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ﴾.

١٩٦، ١٩٧- لَا يَخْدَعُكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ تَنْقُلُ الْكَفَّارَ بِالْأَسْفَارِ لِلتَّجَارَةِ وَالْكَسْبِ، وَمَا لَدَيْهِمْ مِنَ الثَّرَوَاتِ، فَهُوَ شَيْءٌ قَلِيلٌ يَتَمَتَّعُ بِهِ صَاحِبُهُ تَمَتُّعاً يَسِيرَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ مَصِيرُهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ، وَيُسَّ الْمَكَانَ الَّذِي يَأْوُونَ إِلَيْهِ. نَزَلَتْ فِي مُشْرِكِي

مَكَّةَ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا فِي رِخَاءٍ وَلِينٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَكَانُوا يَتَجَرَّوْنَ وَيَتَنَمَعُونَ، فَقَالَ بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ: إِنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ فِيمَا نَرَى مِنَ الْخَيْرِ، وَقَدْ هَلَكْنَا مِنَ الْجُوعِ وَالْجَهْدِ، فَنَزَلَتْ الْآيَةُ.

١٩٨- هَذَا حَالُ الْكَفَّارِ، وَأَمَّا حَالُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ بِالتَّزَامِ الْأَوَامِرِ وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي، فَلَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ بِالْوَصْفِ السَّابِقِ، وَهُمْ مَأْكُونُونَ فِيهَا أَبَداً، تَكْرِيماً وَإِزْالاً طَبِيباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْفَضْلِ وَالرِّضْوَانِ خَيْرٌ لِلْمُحْسِنِينَ الْبَرَّةِ الطَّائِعِينَ، مِمَّا يَوْجَدُ لَدَى الْكَفَّارِ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَرْبَاحٍ وَمَكَاسِبٍ وَثَرَوَاتٍ.

١٩٩- وَإِنْ بَعْضُ أَهْلِ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ إِلَهاً وَاحِداً إِيمَاناً صَادِقاً، وَيُالِقُونَ الْقُرْآنَ، وَيُالِثُونَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَيَخْضَعُونَ لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ، وَلَا يَسْتَبْدِلُونَ بآيَاتِ اللَّهِ شَيْئاً مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، طَمَعاً فِي مَالٍ أَوْ مَنَاصِبٍ أَوْ جَاهٍ، وَإِنَّمَا يَحَافِظُونَ عَلَى الْوَحْيِ كَمَا هُوَ، دُونَ أَنْ يَكْتُمُوا شَيْئاً مِنْهُ كَالْبَشَارَةِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَدُونَ تَحْرِيفٍ وَلَا تَبْدِيلٍ، فَهُوَ لَاحِقٌ لَهُمْ ثَوَابُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ مَرَّتَيْنِ عَلَى عَمَلِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ، يَحَاسِبُ النَّاسَ جَمِيعاً فِي وَقْتٍ قَصِيرٍ. نَزَلَتْ بِمُنَاسَبَةِ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّجَاشِيِّ حِينَ مَاتَ.

٢٠٠- يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ اصْبِرُوا عَلَى الطَّاعَاتِ وَعَنِ الشَّهَوَاتِ، وَصَابِرُوا، أَيُّ غَالِبُوا الْأَعْدَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى شِدَائِدِ الْحَرْبِ، وَكُونُوا أَشَدَّ صَبْراً مِنْهُمْ، وَأَقِيمُوا فِي ثَغُورِ الْبِلَادِ الَّتِي يَتَسَرَّبُ مِنْهَا الْأَعْدَاءُ، رَابِطِينَ خِيَلَكُمْ فِيهَا، مُسْتَعِدِّينَ لِلْجِهَادِ، وَالتَّزَمُوا تَقْوَى اللَّهِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَنِ، لِتَفُوزُوا بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَجَنَّتِهِ. وَمَنْ الرِّبَاطُ: أَنْتَظَارُ الصَّلَاةِ فِي الْمَسَاجِدِ، قَالَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: لَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ ثَغَرٌ يَرِابُطُ فِيهِ، وَلَكِنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَنْتَظَارِ الصَّلَاةِ خَلْفَ الصَّلَاةِ.



سورة النساء

فضلها: روى الحاكم وغيره عن ابن مسعود قال: إن في سورة النساء خمس آيات، ما يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ...﴾ [٤٠] و﴿إِنْ تَحْتَسِبُوا كِبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ...﴾ [٣١] و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ...﴾ [٤٨، ١١٦] و﴿لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ...﴾ [٦٤].

١- يا أيها الناس اتقوا الله بالتزام أوامره واجتناب نواهيه، الذي أوجدكم من نفس واحدة، خلقها أولاً من تراب هي آدم عليه السلام، فكنتم نوعاً واحداً، وخلق حواء زوجها من نوعها، لينسجما وتجمعهما المودة والرحمة، ونشر منهما في الأرض رجالاً كثيرين ونساء كثيرات، وخافوا الله الذي يسأل بعضكم بعضاً به قاتلاً: سألتك بالله أن تفعل كذا، واتقوا الله في الأرحام، فلا تقطعوا، فإن الله أمر بوصلها، والأرحام: جميع القرابات من الرجال والنساء، من جهة الأب أو الأم، إن الله رقيب على أعمالكم.

٢- وأعطوا أيها الأولياء والأوصياء اليتامى أموالهم إذا بلغوا سن الرشد، واليتيم: من فقد أباه دون البلوغ، ولا تأخذوا الطيب من أموال اليتامى، وتضعوا مكانه الخبيث من أموالكم، ولا تأخذوا أموالهم لتضموها إلى أموالكم، إن ذلك الفعل إثم عظيم. نزلت في رجل من غطفان كان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَالَّذِي اللَّهُ الَّذِي سَاءَ لَوْ يَدُّهُ أَلَّا رَحْمَةً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا رَحِيمًا ١ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَدِيثَ بِالطَّبِيعِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ٢ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسُطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِنْكُمْ وَلَكُمْ بِهِ مَرْجِعٌ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَلَكَتٌ أَوْ بَنَاتٌ لَكُمْ مِنْكُمْ ذَلِكَ أَذَى ٣ الْأَتْمُولُوا ٤ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدَقَتَهُنَّ كَمَا فَانَ طَبْعُ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُنَّ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَاءً مَبْرُورًا ٥ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّهْوَةَ أَمْوَالَكُمْ أَلَّا تُجْعَلَ لَكُمْ فِيهَا وَادْرَأُوهُ فِيهَا وَأَكْسُوهُم وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ٦ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ٧ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْعَفْ ٨ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ٩

عنده مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ اليتيم، طلب المال، فمنعه عمه، فترافعا إلى النبي ﷺ فنزلت هذه الآية.

٣- وإن خفتهم ألا تعدلوا في شؤون اليتامى، كالتزوج بهن بمهر قليل، فخافوا أيضاً ظلماً من نوع آخر، هو عدم العدل بين النساء اللاتي تزوجن بهن، ومن أجل دفع الظلم حدد الله أقصى عدد للزوجات، فانكحوا ما حل لكم نكاحهن بفئات مختلفة: الزواج بـ اثنتين، أو ثلاثاً ثلاثاً، أو أربعاً أربعاً فقط، فإن خفتهم ألا تعدلوا بينهن، فتزوجوا واحدة فقط، أو تسروا بالإماء مهما كثر عددهن، من غير شرط القسم (العدل في البيت) في المملوكات، والاعتصار على واحدة من الحرائر أقرب إلى عدم الجور بينهن. نزلت من أجل النهي عن الزواج باليتيمة من غير أن يقسط في صداقها، فلا يعطيها مثلاً يعطى أترابها من الصداق، وأمروا بالاعتصار على أربع زوجات فقط.

٤- وأعطوا النساء مهورهن عطية عن طيب نفس، من غير أن تأخذوا أتم وأولياءهن شيئاً من المهور، فإن طابت نفوسهن بالتنازل عن شيء من المهر، فخذوه حلالاً طيباً. نزلت في الرجل كان إذا زوج ابنته، أخذ صداقها دونها، فنهاهم الله عن ذلك.

٥- ولا تعطوا من لا يحسن التصرف في ماله أموالهم، لصغر أو تبذير أو ضعف في الإدراك العقلي، تلك الأموال التي تكون قوام معاشهم، وقدموها لهم جزءاً من أموالهم رزقاً للإنفاق على أنفسهم، وقولوا لهم كلاماً طيباً، وعدوهم وعداً حسناً بدفعها إليهم عند الرشد.

٦- واختبروا اليتامى في حسن التصرف بأموالهم قبل البلوغ، فإذا بلغوا سن الرشد، ووجدتم فيهم رشداً وهو صلاح المال وحسن التصرف، فسلموا إليهم أموالهم من غير تأخير، ولا تعجلوا بأكلها قبل أن يكبروا، ومن كان من الأوصياء غنياً، فلا يأخذ شيئاً من مال اليتيم، ومن كان محتاجاً فليأكل بالقدر المعروف، فإذا دفعتم إليهم أموالهم بعد الرشد، فأشهدوا عليهم أنهم قد تسلموها منكم، لئلا ينكروا قبضها، وكفى بالله محاسباً ومجازياً لأعمالكم. نزلت في عم ثابت بن رفاعه الذي سأل النبي عما يعمل له من مال يتيم هو ابن أخيه، ومتى يدفع إليه ماله؟

٧- للذكور الأقرباء صغاراً وكباراً حظ أو حصة مما ترك المتوفون، وللنساء صغيرات أو كبيرات حصة مما ترك المتوفون، أياً كان جنسه من الميراث، وبأي مقدار منه قليلاً أو كثيراً، جعله الله حقاً ثابتاً، ونصيباً محدداً. كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الصغار الذكور حتى يدركوا، ويوزعون التركة على الرجال فقط، فنزلت هذه الآية.

٨- وإذا حضر قسمة الميراث الأقارب غير الوارثين، واليتامى والمساكين، فأعطوهم ندياً أيها الكبار مما ترك الميت قبل القسمة، فإن كان هناك صغار فأعطوهم من نصيبكم فقط، وقولوا لهم قولاً جميلاً ليس فيه من ولا أذى، كالدعاء بالرزق، أما القرابة، فيعتذر لهم بسبب الصغار مثلاً، وأما المحتاجون فتراعى عزة نفوسهم.

٩- وليخف الأوصياء من ظلم اليتامى، كما يخافون على صغارهم من الظلم من بعد موتهم، وليعاملوهم بالشفقة والرحمة التي يحبونها لأبنائهم، وليتقوا الله فيهم بالحفاظ على أموالهم وتنميتها، وليقولوا لهم قولاً موافقاً للحق والعدل ولين الخطاب، مثل يا ابني أو يا ولدي، حتى

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ٧ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ أُولُو الْقَرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينُ فَأَزِدُوا لَهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ٨ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ٩ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَكُونُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ١٠ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ ١١ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثُ مَا تَرَكَ ١٢ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِلَّتِي هِيَ الْاِثْنَتَيْنِ ثُلُثُ مَا تَرَكَ ١٣ وَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِلَّتِي هِيَ الشُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ زَيْنًا آتَاوُكُمُ وَأَنْتُمْ أَكْثَرُ لَا تَدْرُونَ ١٤ أُنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ لَكُمْ فِيهَا نَفْعٌ ١٥ فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٦

يؤاسوهم .

١٠- إن الذين ينتفعون بمال اليتامى ظالمين لهم من غير حق، إنما يأخذون شيئاً موداه إلى النار، وسيحرقون بالنار. نزلت في رجل من غطفان يقال له: مرثد بن زيد، ولي مال ابن أخيه، وهو يتيم صغير، فأنزل الله فيه هذه الآية.

١١- يأمركم الله ويفرض عليكم في شأن ميراث أولادكم أن يقسم للذكر ضعف الأنثى، إذا توافر النوعان، فإن كان الأولاد إناثاً فقط فوق ابنتين اثنتين، فلهن ثلثا التركة كالأختين المذكور حكمهما في الآية الأخيرة من السورة، وإن كانت بنتاً واحدة فقط، فلها نصف التركة ولكل واحد من أبوي الميت (الأب أو الأم) السدس إن كان للميت ولد: ذكر أو أنثى، فإن لم يكن للميت ولد، وليس هناك وارث آخر، فللأم الثلث، والباقي للأب المنفرد بالتركة، فإن كان للميت إخوة ذكور أو إناث، فللأم السدس، والباقي للأب تعصيباً إن لم يوجد للميت ولد، لأن الأب يحجب الإخوة، وتوزيع التركة لا يكون إلا بعد سداد الديون الموجودة، وتنفيذ الوصايا التي أوصى بها الميت، ولا يدري أحد أي الأصول أو الفروع أنفع للميت في الدنيا والآخرة بالدعاء والصدقة، وهذه الأحكام مفروضة من الله، والله عليم بخلقه، حكيم فيما وزع وقدر. قال جابر: عادني رسول الله ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل شيئاً، فدعا بماء فتوضأ، ثم رش علي، فأفقت، فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي؟ فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ...﴾ وهذه الآية في ميراث الوالدين والأولاد.

وَالَّذِي يَأْتِيَنَّكَ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا
عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ
فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ
سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَتَاؤُهُمَا
فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا
رَجِمَا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشُّوْهَ
بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ
إِنِّي تُوبْتُ أَفَنُؤْمِنُ بِالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَمَا تُؤْتُونَ
أَعْدَاءَ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَسْأَلُهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا
لَا يُحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْثُوا نِسَاءَ كُرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ
لِيَذْهَبُوا بِبَيْضِ مَاءٍ أَتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّكُمْ
بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ
فَقَسِيئَ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَبَرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

١٥ - واللاتي يرتكبن فاحشة الزنا، فاطلبوا لإثبات
الجريمة أربعة شهود يشهدون على وقوع الفاحشة، فإن
شهدوا، فاحبسوهن في البيوت حتى الموت،
وامنعوهن من مخالطة الناس حتى يتوفاهن ملك
الموت، أو يجعل الله لهن طريقاً إلى الخروج من هذا
الجزء، بأن ينزل في شأنهن حكماً آخر، وقد نسخ
هذا الحكم، وجعل لهن سبيلاً بآية حد الزنا بالجلد
مائة جلدة، قال ابن عباس: كانت المرأة إذا زنت
حبست في البيت حتى تموت، ثم أنزل الله تعالى يعد
ذلك: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا﴾ [النور ٢٤/٢]
فإن كانا محصنين رجماً، فهذا سبيلهما الذي جعل الله
لهما.

١٦ - واللذان يأتيان الفاحشة من الرجال فأذوهما
أيها الحكم بالتوبيخ والتعير والجفاء والضرب، يفعل
الإمام ما يكون فيه زجر لغيرهما، فإن تابا من الزنا قبل
إقامة الحد، وأصلحا أحوالهما، وندما على فعل
الفاحشة، فاتركوهما ولا تؤذوهما، إن الله كان وما
يزال كثير التوبة، رحيماً بالعباد. وذكر الصاوي أن في
الآية دلالة على تحريم اللواط. وهذا العقاب في هذه
الآية وما قبلها منسوخ بآية حد الزنا في سورة النور إن
أريد بها الزنا، وكذا إن أريد بها اللواط عند الشافعي.

١٧ - إنما قبول التوبة من الله تفضلاً وإحساناً من العصاة الذين يعملون المعاصي جاهلين طاشين عند ثورة
الشهوة، ثم يتوبون من عملهم السيئ في وقت قريب، بعد الذنب مباشرة، أو ما قبل الغرغرة، والجهالة: الحمق
والسفاهة، فأولئك يقبل الله توبتهم، وكان الله عليماً بضعف الإنسان أمام الشهوة، ويصدق في التوبة، حكيماً في
صنعه وقبول توبة الضعيف.

١٨ - وليس قبول التوبة من أرباب المعاصي إذا تابوا عند الغرغرة، بحيث يعلم الإنسان أنه ميت حتماً، أو كان
الشخص مصراً على المعصية، فإذا صار في حال الاحتضار، أعلن توبته قائلاً: إني تبت الآن، وهو وقت لا تنفعه
التوبة. وكذلك لا تقبل التوبة ممن ماتوا على الكفر، وأولئك هيأنا أو أعددنا لهم عذاباً مؤلماً موجعاً يوم القيامة.

١٩ - لا يباح لكم أيها الرجال أن تأخذوا بطريق الإرث نساء الأقارب بعد الموت، زاعمين أنكم أحق بهن من
غيركم، فتزوجوهن بلا صداق، أو تزوجهن وتأخذوا صداقهن، ولا يباح لكم أن تعضلوهم، أي تمنعوهن من
الزواج لتأخذوا ميراثهن بعد الموت، أو صداقهن إذا أذنتم لهن بالزواج، أو تمسكوهن في زواجكم مع الإعراض
عنهن، وإظهار الكراهة لهن، لتأخذوا بعض ما أتيتوهن من المهر، إلا إذا ارتكبن الفاحشة بينة ظاهرة واضحة،
فيحل لكم أن تضاروهن، حتى يفتدين منكم بالخلع، وعاشروهن بما هو معروف في هذه الشريعة معاشرة حسنة
كرمية في القول والفعل، فإن كرهتموهن لسبب آخر غير الفاحشة، فاصبروا، وربما كرهتم شيئاً، ويجعل الله فيه
ثواباً جزئياً، أو يرزقكم منهن ولدًا صالحاً. قال ابن عباس: كانوا إذا مات الرجل، كان أولياؤه أحق بامراته،
إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاؤوا زوجوها، فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية.

وَإِنْ أَرَدْتُمْ تَبْدِيلَ الزَّوْجَاتِ بِطَلِيقِ امْرَأَةٍ
وَتَزَوَّجَ أُخْرَى، وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ مَا لَكُمْ كَثِيرًا فِي
الصَّدَاقِ، كَقَنْطَارٍ مِنَ الذَّهَبِ، أَيْ الْمَالِ الْكَثِيرِ فَلَا
يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا دَفَعْتُمْ شَيْئًا، أَوْ تَأْخُذُوهُ
ظُلْمًا وَذَنْبًا ظَاهِرًا، أَيْ بِغَيْرِ حَقٍّ.

٢١- وَكَيْفَ يَجُوزُ لَكُمْ اسْتِرْدَادُ شَيْءٍ مِنَ الْمَهْرِ،
وَقَدْ وَصَلَ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ بِالْجَمَاعِ وَالْخُلْوَةِ
وَالْعَشْرَةِ، وَأَخَذَتِ النِّسَاءُ مِنْكُمْ عَهْدًا مُلْزِمًا فِي
عَقْدِ الزَّوْاجِ عَلَى الْإِمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ التَّسْرِيعِ
بِإِحْسَانٍ، فَيَحْرَمُ اخْتِزَافُ شَيْءٍ مِنَ الْمَهْرِ إِلَّا فِي حَالِ
إِتْيَانِهَا بِفَاحِشَةٍ زَنَى، أَوْ صَارَتْ نَاشِئَةً فِي مَذْهَبِ
الْإِمَامِ مَالِكٍ وَغَيْرِهِ. ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ عَطِيَّةٍ فِي تَفْسِيرِهِ
(٣/ ٥٤٤).

٢٢- وَلَا تَتَزَوَّجُوا أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ زَوْجَاتِ الْأَبَاءِ
(الْأَرَامِلَ) كَمَا كَانَ عَلَيْهِ حَالُ الْجَاهِلِيَّةِ، إِلَّا مَا قَدْ
مَضَى فَعَلُهُ قَبْلَ التَّحْرِيمِ، فَهُوَ مَعْفُوعُهُ، إِنْ هَذَا
الزَّوْاجُ شَدِيدُ الْقُبْحِ، وَسَبَبُ مَقْتٍ (أَشَدُّ الْبَغْضِ)
مِنْ اللَّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَكَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ تَسْمِيَهُ نِكَاحَ
الْمَقْتِ: وَهُوَ أَنْ يَتَزَوَّجَ الرَّجُلُ امْرَأَةً أَبِيهِ إِذَا طَلَّقَهَا
أَوْ مَاتَ عَنْهَا، وَيُشَبِّهُ هَذَا الزَّوْاجَ طَرِيقًا أَوْ عَمَلًا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَحْرَمُونَ مَا يَحْرُمُ إِلَّا امْرَأَةَ الْأَبِ وَالْجَمْعَ بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ، فَانْزَلَ اللَّهُ
هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا...﴾ آيَةٌ ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ الْآيَةُ التَّالِيَةُ.

٢٣- حَرَّمَ عَلَيْكُمْ التَّزَوُّجَ بِالْأُمَمَاتِ وَالْجَدَّاتِ مِنْ جِهَةِ الْأَبِ أَوْ الْأُمِّ وَإِنْ عَلَوْنَ، وَالْبَنَاتِ وَبَنَاتِ الْأَوْلَادِ
وَإِنْ نَزَلْنَ، وَالْأَخَوَاتِ الشَّقِيقَاتِ أَوْ الْأَبِ أَوْ الْأُمِّ، وَالْعَمَّاتِ: أَخَوَاتِ الْأَبَاءِ أَوْ الْأَجْدَادِ، وَالْحَالَاتِ:
أَخَوَاتِ الْأُمَمَاتِ أَوْ الْجَدَّاتِ مِنْ جِهَةِ الْأَبِ أَوْ الْأُمِّ، وَبَنَاتِ الْأَخِ وَبَنَاتِ الْأَخْتِ وَبَنَاتُهُنَّ مَهْمَا نَزَلْنَ،
وَالْأُمَمَاتِ الْمَرْضَعَاتِ فِي سَنِّ الْحَوْلِينَ بِخَمْسِ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ، وَأَخَوَاتِ الرِّضَاعَةِ: وَهِيَ الَّتِي رَضَعَتْ
أَنْتَ وَإِيَّاهَا مِنْ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، وَأُمَمَاتِ الزَّوْجَاتِ وَكُلِّ جَدَّاتِهَا، وَالرِّبَائِبِ اللَّاتِي تَرْبِيْنُ فِي رِعَايَتِكُمْ، وَدَخَلْتُمْ
بِأُمَمَاتِهِنَّ، وَالرِّبِيَّةَ: بِنْتَ الزَّوْجَةِ مِنْ زَوْجٍ سَابِقٍ، وَإِنْ كَانَتْ تَعِيشُ فِي بَيْتٍ آخَرَ غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِ أُمِّهَا الْجَدِيدِ،
وَلَا إِثْمَ فِي الزَّوْاجِ بِالرِّبَائِبِ إِذَا فُسِّخَ الزَّوْاجُ قَبْلَ الدَّخُولِ، أَمَّا سَائِرُ الْمُحَرَّمَاتِ بِالْبَصَرِ: وَهِيَ زَوْجَةُ الْأَبِ
وَزَوْجَةُ الْإِبْنِ وَأُمُّ الزَّوْجَةِ، فَيَحْرَمُ مِنْ مَجْرَدِ الْعَقْدِ عَلَى الزَّوْجَةِ. وَتَحْرَمُ زَوْجَاتُ الْأَبْنَاءِ بِمَجْرَدِ الْعَقْدِ وَلَوْ لَمْ
يَكُنْ دَخُولٌ، إِذَا كَانَ الْأَبْنَاءُ صُلُبِيِّينَ، أَمَّا أَوْلَادُ التَّبْنِيِّ فَيَحِلُّ التَّزَوُّجُ بِزَوْجَاتِهِنَّ خِلَافًا لِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ
الْجَاهِلِيَّةِ، وَلَا يَبَاحُ الْجَمْعُ فِي الزَّوْاجِ بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ وَلَوْ مِنْ رَضَاعٍ، وَمِثْلُهُمَا سَائِرُ الْمُحَرَّمَاتِ كَالْعَمَةِ وَالْحَالَةِ، إِلَّا مَا
مَضَى قَبْلَ نَزُولِ التَّحْرِيمِ، فَلَا مَوْأَخِذَةَ فِيهِ، إِنَّ اللَّهَ كَثِيرُ الْغَفْرِ لِمَا سَلَفَ مِنْ آثَارِ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ، رَحِيمٌ بِتَشْرِيعِ
أَحْكَامِ الزَّوْاجِ الَّتِي فِيهَا الْخَيْرُ وَالْمَصْلَحَةُ لَكُمْ.



وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ
 اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا
 بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ
 بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهَا
 تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
 حَكِيمًا ٢٤ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ
 الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْنَةٍ
 الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ
 فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
 بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مَخْذَلَاتٍ أَخَذْنَا
 فَإِذَا أَحْصَيْنَ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَلْحَةٍ فَعَلَيْنَّ نِصْفَ مَا عَلَى
 الْمُحْصَنَاتِ مِنْ أَعْدَابِ ذَلِكَ لِمَنْ حَسَنِيَ الْعَمَلُ مِنْكُمْ
 وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٢٥
 يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّيسَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
 وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٢٦

٢٤- وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ النِّسَاءَ الْمُتَزَوِّجَاتِ،
 المسلمات وغير المسلمات إلا بعد انقضاء العدة من
 موت أو طلاق، إلا السبايا في حرب مشروعة بعد
 الاستبراء بحيضة، وأبيح لكم الزواج من غير
 هؤلاء المحرّمات، بأن تطلبوا الزواج بالمهور من
 النساء اللاتي أحلّهن الله لكم، متعفين عن الحرام
 بالزواج الشرعي، غير زانين، فما تمتعت به من
 النساء بالنكاح الشرعي، فآتوهن مهورهن التي
 تراضيتن عليها، والمهور مفروضة للزوجات من الله
 تعالى، ولا إثم عليكم في الزيادة أو نقصان المهر أو
 التنازل عن المهر كله أو بعضه، إن الله عليم بما
 يصلح خلقه، حكيم في صنعه وتدبيره وتشريعه
 هذه الأحكام. نزلت في سبايا أوطاس اللاتي
 لهن أزواج، حين سأل الصحابة النبي ﷺ
 عنهن، فنزلت: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا
 مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾. وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا
 جُنَاحَ عَلَيْكُمْ...﴾ الآية، فنزلت بسبب رجال
 كانوا يفرضون المهر، ثم قد تدرك أحدهم
 العسرة..

٢٥- ومن لم يجد منكم غنى وسعة في ماله للزوج بحرة مسلمة مؤمنة، فيحل له أن يتزوج أمة مؤمنة غير
 مشركة ولا كتابية، والله أعلم بحقيقة إيمانكم، فلا تأبوا الزواج بالإماء عند الضرورة؛ لأنكم جميعاً
 مخلوقون من نفس واحدة هي آدم عليه السلام، وأنكم سواء في الدين، وتزوجوا الإماء بإذن أوليائهن،
 وأدوا إليهن مهورهن بالمعروف شرعاً وعادة بحسب التراضي، حال كونهن عفيفات، غير زانيات علناً، ولا
 متخذات أصحاب يزنون بهن سرّاً، وذات الخدن: التي تزني بواحد سرّاً، وكانت العرب تعيب الإعلان
 بالزنا دون السر، وإذا صارت الإماء محصنات بالزواج، فعليهن بالزنى نصف عقوبة الحرّ، أي خمسين
 جلدة فقط؛ لأن حد الحرّة مائة جلدة، أما الزانية غير المحصنة من الإماء، فلا تحد، وإنما تضرب تأديباً
 (تعزيراً). ذلك الترخيص بالزواج من الإماء لمن خاف منكم الوقوع في الزنا- والعنت: المشقة والضرر
 وخشية الوقوع في الإثم- وأن تصبروا عن نكاح الإماء خير لكم، حرصاً على حرية النسل، والله غفور
 لذنوب عباده التائبين، رحيم بهم حين يسرّ لهم ذلك. لكن يلاحظ أن الدول الحديثة تعاهدت فيما بينها من
 عام ١٩٥٢ على إنهاء الرق في العالم، والإسلام يقرّ ذلك.

٢٦- يريد الله أن يبين لكم ما خفي عليكم من أفضل الأعمال، ويرشدكم إلى طرق الأنبياء السابقين لتقتدوا
 بهم، ويتوب عما سلف منكم، والله عليم بشؤونكم فرخص لكم، حكيم فيما سنّه أو شرعه لكم.

٢٧- والله يريد أن يتوب عليكم بإرجاعكم إلى طاعته عن معصيته، ويريد متبعو شهوات أنفسهم أن تميلوا عن طريق الحق، ميلاً عظيماً بارتكاب الحرام دون تقييد بشرع، ولا نظر في العواقب والحلال والحرام. والشهوات هنا: ما حرمه الشرع دون ما أحله.

٢٨- يريد الله التخفيف عنكم بإباحة الزواج بالإماء، وخلق الإنسان عاجزاً عن مقاومة الشهوات الجامحة، أو عن مقاومة نفسه وهواه.

٢٩- يا أيها المؤمنون لا تأخذوا أموال غيركم بالحرام في الشرع، كالربا والقمار والغصب والغش، لكن يجوز لكم أخذ الأموال بالتجارة الصادرة عن تراض أو طيب نفس بين الطرفين، وضمن قيود الشرع، والتجارة: التكسب بالبيع والشراء، والتراضي: الاتفاق المتبادل بين المتبايعين دون غش ولا كتمان عيب ولا مقامرة ولا مراباة. ولا يقتل بعضكم بعضاً ظلماً وعدواناً بغير حق أثبتته الشرع، ولا يقتل الإنسان نفسه حقيقة، إن الله رحيم بكم في تحريم تلك الأمور أو منعه لكم من ذلك.

٣٠- ومن يأخذ أموال الناس متعمداً اعتداء بغير حق وظلماً لهم، كالنهب والغصب، أو يقتل أحداً عمداً وعدواناً في غير قصاص ولا حد ولا ردة، فسوف ندخله ناراً عظيمة في الآخرة، وكان ذلك العقاب هيئاً على الله، فلا يعجزه شيء. والعدوان: التعدي على غيره مع القصد، والظلم: تجاوز الحق بالفعل.

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ تَتُوبَ عَلَيْهِمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ غَيِّبُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَدُوًّا ظَلَمًا فُسُوفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِنْ تَجَادَلْتُمْ عَنْ شَيْءٍ مَّا تَشْتَهُونَ عَنْهُ فَكُفِّرْ عَنْكُمْ سِتْرَانِمْكُمْ وَتَدْخُلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَسْتَمْتُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

٣١- إن تركوا أيها المؤمنون كباثر الذنوب المنهي عنها: وهي التي ورد عليها وعيد أوحد في الشرع، كالشرك بالله والقتل والزنى والسرقة، تتجاوز عن ذنوبكم الصغائر، وتدخلكم الجنة مدخلاً حسناً مرضياً.

٣٢- ولا تمنوا أخذ ما لدى الآخرين، وارضوا بما قسم الله لكم، والتمني: طلب حصول الشيء المرغوب المستبعد تحقيقه، ويجوز تمني مثل ما لدى صاحبه، من دون تمني زواله عن غيره، للرجال حظ مما اكتسبوا بسبب مشروع كالجهاد والعمل والتجارة، وللنساء حظ مما اكتسبن من طاعة أزواجهن وحفظ فروجهن، والكل متساوون في الجزاء في الآخرة، واطلبوا من الله الإحسان والخير، والتوفيق على ما يرضيه، والرزق الحلال، بدل الاشتغال بالتمني، إن الله عالم بما يصلح عباده وبما قسم لهم من الأرزاق. قالت أم سلمة: يغزو الرجال ولا تغزو النساء، وإنما لها نصف الميراث، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَمْنُوا...﴾ وأنزل فيها: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٣٥].

٣٣- ولكل واحد من الرجال والنساء جعلنا ورثة من أقاربه يرثونه، والذين تحالفتم معهم في الجاهلية على النصرة والإرث، وهم موالى الموالاة، حيث كان الرجل يعاهد الرجل، فيقول له: ترثني وأرثك، فآتوهم نصيبهم من الميراث، وهو السدس، ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ [الأفانال ٨/ ٧٥] وبقي للحليف الوصية المعروف، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أُولِيائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٦] إن الله شاهد على أفعالكم ومجازيكم عليها. نزلت في أبي بكر وابنه حين أبى الإسلام، فحلف أبو بكر ألا يورثه، فلما أسلم، أمر أن يؤتبه نصيبه.

٣٤- الرجال يقومون بأمر النساء ويحافظون عليهن (لسبيين: ١) خصائص الرجولة ومقوماتها الجسدية، وزيادة الخبرة. (٢) الإنفاق على الأسرة كلها ودفع الصداق، فالصالحات من النساء مطيعات لله ولأزواجهن، ويحفظن غيبة أزواجهن في نفوسهن وأولادهن، وأموال الزوج من غير تبذير، يحفظ الله لهن ومعونته، ويأمر الله بالحفظ، وبإداء الأزواج حقوقهن كالعدل والإحسان إليهن. واللاتي تخافون نشوزهن: وهو عصيان أوامر الزوج، ومنع نفسها بلا عنبر، والخروج من بيتها بغير إذنه، فذكروهن بما أوجب الله عليهن من الطاعة وحسن العشرة، ورجعوهن بشواب الله، ورجعوهن عقاب الله في الآخرة، واهجروهن في المضاجع بالنوم في فراش آخر، إن لم يتعظن بالكلام، واضربوهن ضرباً خفيفاً للتأديب والإصلاح إن لم يصلحن بالهجر، فإن أظعنكم في أي أمر من هذه الأمور، فلا تتعدوا عليهن بقول أو فعل؛ لأن الظلم حرام، ولا تكلفوهن الحب لكم، فذلك غير مستطاع ولا يدخل في اختيارهن، إن الله علي قاهر، كبير قادر. نزلت حينما جاءت امرأة إلى النبي ﷺ تستعدي على زوجها أنه لطمها، فأمر الرسول بالقصاص، فأنزل الله: ﴿الرجال قوامون...﴾ فرجعت بغير قصاص.

الرجال قوامون على النساء بما فصل الله بعصمة على بعض وما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن وأهجروهن في المضاجع وأضربروهن فإن أظعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً ﴿٣٥﴾ وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً ﴿٣٦﴾ وأعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمسنكين والجار ذي القربى والتجار الحبيب والصاحب بالجنب وآتين السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا ينجب من كان تحت لأفكركم ﴿٣٧﴾ الذين يخلون ويأمرون الناس بالخل ويكفون ما نهى الله من فضله واعتدنا للكافرين عذاباً مبيناً ﴿٣٨﴾ والذين يتفقون أموالهم رباء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً ﴿٣٩﴾

٣٥- وإن خفتن استمرار الخلاف بين الزوجين، فابعثوا إليهما حكماً من أهله وحكماً من أهلها، ممن يصلح لذلك عقلاً ودينياً، إن يرد الحكمان أو الزوجان إصلاحاً، يوفق الله الحكمين والزوجين، حتى يعودا إلى الألفة وحسن العشرة أو الرفاق، وإلا فالفرق، وإذا اختلف الحكمان لم ينفذ حكمهما، إن الله واسع العلم بكل شيء، خبير بأمر عباده. ٣٦- واعبدوا الله حق العبادة، ولا تجعلوا معه شريكاً آخر، وعليكم بطاعة الوالدين والإحسان إليهما، وإلى ذوي القرابة، واليتامى الذين فقدوا آباءهم في الصغر، والمحتاجين، والجار القريب الدار أو النسب، ولو كان غير مسلم، والجار البعيد أو الغريب غير القريب، والرفيق الملازم في العمل أو السفر، والمسافر المنقطع في أثناء سفره- والسبيل: الطريق. والأرقاء من العبيد والإماء، إن الله يجازي المتكبر على الناس، المتعالي عليهم. ٣٧- أولئك المتكبرون الذين يضنون بأموالهم عن أداء الواجبات والحقوق، ويطلبون من الناس عدم الإنفاق في سبيل الله، ويكتمون نعم الله عليهم من العلم والمال، ويتظاهرون بالمسكنة، لئلا يطعم بهم أحد، وأعدنا للكفار عذاباً فيه ذل وإهانة. قال سعيد بن جبير: كان علماء بني إسرائيل يخلون بما عندهم من العلم، فأنزل الله: ﴿الذين يخلون...﴾ وقال أكثر المفسرين: نزلت في اليهود كتموا صفة محمد ﷺ ولم يبينوها للناس، وهم يجدونها مكتوبة عندهم في كتبهم.

٣٨- والذين أيضاً يتفقون أموالهم رياء وسمعة، ولا يؤمنون بالله وحده، ولا بالآخرة، كالمنافقين وأهل مكة؛ لأنهم أعوان الشيطان، ومن يكن الشيطان له صاحباً، فبئس هذا صاحب قريناً له في النار؛ لأنه يورده المهالك، كالقفر والبخل والرياء.

وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يَضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَدْعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَىٰ عَابِرِ سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمْ يَمْسَسْهُ النِّسَاءُ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْرُونَ الصَّلَاةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾

٣٩- أي ضرر عليهم في الإيمان والإنفاق مما رزقهم الله ابتغاء مرضاته، وكان الله وما يزال عالماً بما هم عليه في الإنفاق وغيره، وسيجازيهم عليه.

٤٠- إن الله لا يظلم أحداً ولا ينقص ثواب عمله وزن ذرة: وهي الواحدة من أجزاء الهباء المتناثر في الجو، ولا يزيد في عقابه مقدار ذرة أيضاً فما فوقها، وإن تكن هذه الذرة حسنة يضاعفها أضعافاً كثيرة، ولا يضاعف السيئة، ويعطى من فضله على العمل الصالح ثواباً غير محدود.

٤١- كيف يكون حال هؤلاء الكفار إذا جئنا من كل أمة يوم القيامة بشاهد يشهد على قومه بما حصل عند تبليغهم الرسالة من رسولهم، هل آمنوا أم كفروا، والشاهد هو نبيهم، ثم جئنا بك أيها الرسول شاهداً على أمتك!؟

٤٢- في يوم القيامة يتمنى الكفار، لو سواهم الله بالأرض، فصاروا تراباً، أو ساخوا في الأرض ثم طمرهم التراب، أي يتمنون أن يكونوا تراباً، ولا يتمكنون من إخفاء شيء من أعمالهم عن الله تعالى، فأسأروهم وأحاديثهم كلها معلومة لديه، وجوارحهم تشهد عليهم.

٤٣- يا أيها المؤمنون، لا تُصلُّوا حال السكر، حتى تدرِكوا معاني ما تقولون في صلاتكم، وهذه

إحدى مراحل تحريم الخمر، ولا تدخلوا المساجد وأنتم في حال الجنابة: وهي أثر كل جماع أو إنزال باحتلام وغيره، إلا أن تكونوا مجتازين فيها من جانب إلى آخر، حتى تغتسلوا من الجنابة، وإن كنتم في حال مرض بحيث يلحقكم الضرر باستعمال الماء، أو كنتم مسافرين ولم تجدوا ماء، أو قضيت حاجتكم ببول أو غائط (وهو الحدث الأصغر) أو جامعتم النساء (وهو الحدث الأكبر) ولم تتمكنوا من استعمال الماء لفقده أو لحاق ضرر باستعماله، أو لم تجدوا في أثناء السفر ما يسخن به الماء، فاقصدوا وجه الأرض من تراب أو حجر، طاهراً، فامسحوا من ذلك الصعيد وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، في الحدث الأصغر أو الأكبر، إن الله كان كثير العفو بالترخيص والتوسع عليكم، كثير المغفرة عن التقصير أو الخطأ. نزل مطلع الآية في أناس من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يشربون الخمر ويحضرون الصلاة، وهم نشاوى (سكارى) فلا يدرون كم يصلون، ولا ما يقولون في صلاتهم. وأنزل الله على رسوله قصة التطهر بالصعيد الطيب، حينما استيقظ النبي في بعض أسفاره ومعه عائشة، والمسلمون، وليس معهم ماء، فأنزل الله تعالى آية التيمم، فتييمموا.

٤٤- ألم تنظر أيها النبي إلى هؤلاء اليهود الذين أعطوا حظاً من التوراة يستبدلون الضلالة بالهدى، بالبقاء على اليهودية، بعد قيام الأدلة على صحة نبوة محمد ﷺ، ويريدون إضلال المؤمنين بترك دينهم الحق وصيروتهم مثلهم.

٤٥- والله أعلم بأعدائكم أيها المؤمنون وما يريدونه منكم من الإضلال، ويحذركم الله منهم، وكفى بالله متولياً أموركم، وناصركم في الحروب، فاكفوا بولايته ونصره دون غيره.

٤٦- بعض اليهود يحرفون كلام التوراة بتأويله على غير وجهه الذي نزل ويفسرونه بغير المقصود منه، ويقولون للني: سمعنا قولك، أي يتظاهرون بتصديقه، وعصينا أمرك، أي يقولون ذلك همساً فيما بينهم، واسمع قولنا لا سمعت خيراً، أي أصبت بالصمم وهم يوهمون: لا سمعت مكرهاً، وراعنا (من الرعونة) يوهمون أنهم يقولون: ارقبنا وانتظرنا، لاوين ألستهم عن الحق إلى معنى خيث وإلى ما في قلوبهم، وطعناً في النبوة والدين بالاستهزاء ويقولهم: لو كان نبياً لعلم أنا نسبه، فأطلعهم الله على خباثت مقاصدهم. ولو أنهم قالوا للني: سمعنا قولك وأطعنا أمرك، واسمع ما نقول، وانتظرنا نظرة إشفاق ورحمة لفهم ما تتلوهم علينا، بدل قولهم: «راعنا» لكان خيراً لهم عما قالوه، وأصوب واليق، ولكنهم لم يفعلوا، فطردهم الله من رحمته ولعنهم بسبب كفرهم بالنبي والقرآن، فلا يؤمنون إلا بإيماناً قليلاً، أي جزئياً: وهو الإيمان ببعض الكتب والرسل دون بعض.

٤٧- يا أيها الكاثييون معشر اليهود: آمنوا بما أنزلنا من القرآن، مصداقاً (مؤيداً) لما معكم من التوراة- وهذا إنذار إلهي بالغضب منه عليهم- من قبل طمس الوجوه (إزالة معالمها ومحوها) وردها على أدبارها بجعلها كالقفا، وهذا هو الرد الحسي، والمقصود هنا هو الرد المعنوي: وهو إبطال المقاصد من الكيد للإسلام، فقتلكم الحسرة، أو نظردكم من كان أمر الله نافلاً أولاً محالة.

٤٨- إن الله لا يغفر لمن مات مشركاً، لم يتب من شركه، ويغفر ما عدا ذلك من سائر الذنوب، لمن يشاء من عباده المغفرة له، كعصاة المؤمنين، ومن يشرك بالله إلهاً آخر، فقد ارتكب إثماً عظيماً، وكذب كذباً خطيراً يستحق به العذاب.

٤٩- ألم تنظر إلى الذين يمدحون أنفسهم بالباطل، بادعاء فضائل ليست لهم، كقول اليهود والنصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه، وقول بعض الناس: لا ذنوب لنا ونحن كالأطفال، قل لهم أيها النبي: لا تمدحوا أنفسكم، بل الله العالم بمن يستحق التزكية (الطهارة من الذنوب) ولا يظلمون بالزيادة على ما يستحقون ولو بقدر القتل (الحيط الذي في نواة التمر) ولا يقصرون من الثواب شيئاً. نزلت في رجال من اليهود أتوا رسول الله ﷺ بأطفالهم، وحلفوا بأنهم مثلهم، تكفر عنهم ذنوبهم.

٥٠- انظر أيها الرسول كيف يختلقون الكذب يزعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، أو أنهم أبرياء من الذنب، وكفى بهذا الكذب ذنباً واضحاً.

٥١- ألم تنظر إلى هؤلاء علماء اليهود الذين أوتوا حظاً من العلم بالتوراة يصدّقون بالجلبت (كل ما خضع له الناس من دون الله من شيطان أو ساحر أو كاهن) والطاغوت (كل معبود من دون الله وهو راض) ويقولون لشركي قريش: إنهم أهدى سبيلاً من المؤمنين بمحمد. نزلت في حبي بن أخطب وكعب بن الأشرف اللذين قالاً لأهل مكة الذين ذكروا فضائلهم من الضيافة وسقاية الحجاج وفك الأسرى: بل أنتم خير منه - من محمد - وأهدى سبيلاً.

٥٢- أولئك القائلون هذا القول: طردهم الله من رحمته وأذلهم، ومن يلعن الله فلا ناصر له يدفع عنه عذاب الله وسخطه. نزلت في اليهوديين المذكورين في الآية السابقة اللذين حملهما على ذلك القول حسد محمد وأصحابه، فلما أنزل الله هذه الآية قالوا: والله ما حملنا على ذلك إلا بغضه وحسده.

٥٣- أم هنا: بمعنى «بل» مع ألف الاستفهام الإنكاري، أي ألهم ملك؟ والمعنى ليس لهم نصيب من الملك، ولو كان لهم شيء من الملك لا يعطون الناس نقيراً (وهو النقرة في ظهر نواة التمر) لشدة بخلهم وحسدكم.

٥٤- أم هنا على بابها؛ إذ لم يتقدمها استفهام كالتي قبلها، والمعنى أم يحسد اليهود النبي ﷺ وأصحابه على النبوة والنصر، فقد أعطينا آل إبراهيم كداود وسليمان عليهما السلام التوراة، ومعرفة أسرار الشرائع، والنبوة، وأتيناهم الملك العظيم كملك يوسف في مصر، وداود وسليمان في الشام، والمعنى: لم يخصون النبي بالحسد، ولا يحسدون آل إبراهيم، أي داود وسليمان في أنهما أعطيا النبوة والكتاب والملك العظيم؟! نزلت حينما قالت اليهود لكفار العرب: انظروا إلى هذا الذي يقول: إنه بعث بالتواضع، وإنه لا يملأ بطنه طعاماً، ليس همه إلا في النساء، ونحو هذا، فنزلت الآية.

٥٥- فمن اليهود من آمن بالنبي ﷺ ومنهم من أعرض عنه، فلم يؤمن به، وكفى بنار جهنم سعيراً لمن كفر بالله تعالى.

٥٦- إن الذين كفروا بالقرآن، سوف ندخلهم ناراً يصلونها، كلما احترقت واستوت جلودهم، بدلناهم جلوداً أخرى بدلاً عنها، فذلك أبلغ في العذاب، ليدوقوا العذاب المستمر، بتجدد الجلد، إن الله قوي غالب في ملكه، حكيم في صناعته.

٥٧- والذين صدقوا بالله ورسوله، وعملوا صالح الأعمال، سندخلهم جنات الخلد الممتعة، ماكثين فيها على الدوام، لهم فيها أزواج مطهرة من العيوب التي تكون في أزواج الدنيا، وندخلهم ظلاً دائماً لا حرقه ولا سموم، أي جواً لا شمس فيه ولا برد.

أَلَمْ تَصِيبْ مِنَ الْمَلِكِ إِذَا لَأُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾
أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَاهُمُ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مَّا كَانُوا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكُنِيَ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَكُنْ فِيهَا زَوْجٌ مَقْطُوعٌ وَزُنُجْلُهُمْ ظِلٌّ أُنْزِلَ فِيهَا ﴿٥٧﴾
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ أَنْ تَؤْذُوا الْأَمْثَلِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

٥٨- إن الله يأمركم يا جميع الناس أن تردوا الأمانات إلى أهلها (وهي كل ما يؤتمن الإنسان عليه من حقوق الآخرين، سواء أكانت لله أم للعباد) وإذا حكمتكم بين الناس أيها الحكام أو الولاة، فعليكم أن تحكموا بالعدل (وهو الأيمل الوالي أو القاضي إلى أحد الخصمين، وإنما عليه القضاء بالحق المبين في القرآن والسنة) نعم الشيء الذي يعظكم (يأمركم) الله به، وهو أداء الأمانة، والحكم بالعدل، إن الله سميع لأقوالكم، بصير بأعمالكم. نزلت يوم فتح مكة في عثمان بن طلحة الحبشي من بني عبد الدار، حينما أخذ علي مفتاح الكعبة منه قهراً وفتح الباب، فأراد العباس أن يأخذه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأمر رسول الله ﷺ علياً أن يرد المفتاح إلى عثمان ويعتذر إليه، ثم أسلم عثمان، لَمَّا علم أن الله أنزل في حقه هذه الآية.

٥٩- يا أيها المؤمنون أطيعوا الله فيما أنزل في القرآن، وأطيعوا الرسول فيما ثبت في السنة صراحة، وأطيعوا العلماء الذين يأمرون بالحق، والرؤساء والخبراء فيما يأمرون به من طاعة الله وما فيه من المصالح العامة في مجال الدنيا، فإن اختلفتم في شيء من أمور الدين والدنيا، فردوه إلى الكتاب العزيز والسنة المطهرة، إن أتمتم بالله واليوم الآخر، أي إن ذلك من شأن أهل الإيمان، ذلك الرجوع عند التنازع إلى القرآن والسنة، خير لكم عند ربكم، وأحسن مرجعاً من رجوعكم لأهوائكم. نزلت في عبد الله بن حذافة، بعثه رسول الله ﷺ في سرية.

٥٨- إن الله يأمركم يا جميع الناس أن تردوا الأمانات إلى أهلها (وهي كل ما يؤتمن الإنسان عليه من حقوق الآخرين، سواء أكانت لله أم للعباد) وإذا حكمتكم بين الناس أيها الحكام أو الولاة، فعليكم أن تحكموا بالعدل (وهو الأيمل الوالي أو القاضي إلى أحد الخصمين، وإنما عليه القضاء بالحق المبين في القرآن والسنة) نعم الشيء الذي يعظكم (يأمركم) الله به، وهو أداء الأمانة، والحكم بالعدل، إن الله سميع لأقوالكم، بصير بأعمالكم. نزلت يوم فتح مكة في عثمان بن طلحة الحبشي من بني عبد الدار، حينما أخذ علي مفتاح الكعبة منه قهراً وفتح الباب، فأراد العباس أن يأخذه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأمر رسول الله ﷺ علياً أن يرد المفتاح إلى عثمان ويعتذر إليه، ثم أسلم عثمان، لَمَّا علم أن الله أنزل في حقه هذه الآية.

٥٩- يا أيها المؤمنون أطيعوا الله فيما أنزل في القرآن، وأطيعوا الرسول فيما ثبت في السنة صراحة، وأطيعوا العلماء الذين يأمرون بالحق، والرؤساء والخبراء فيما يأمرون به من طاعة الله وما فيه من المصالح العامة في مجال الدنيا، فإن اختلفتم في شيء من أمور الدين والدنيا، فردوه إلى الكتاب العزيز والسنة المطهرة، إن أتمتم بالله واليوم الآخر، أي إن ذلك من شأن أهل الإيمان، ذلك الرجوع عند التنازع إلى القرآن والسنة، خير لكم عند ربكم، وأحسن مرجعاً من رجوعكم لأهوائكم. نزلت في عبد الله بن حذافة، بعثه رسول الله ﷺ في سرية.



أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ
وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى
الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ
أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٥﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى
مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ
عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ
يَقَالَتْ أَمْ يَدَّبَحُوا مُتَّجِئِينَ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا
إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي
قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي
أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ
إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ
لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٩﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّى يَحْكُمَوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي
أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْأَلُوا تَسْلِيمًا ﴿٧٠﴾

٦٥- ألم تر أيها النبي إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بالقرآن وبالكتب السماوية السابقة، كبعض اليهود والمنافقين يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت: الكهان وكل من يحكم بغير ما أنزل الله، فكيف يصح منهم ذلك؟ وقد أمروا أن يكفروا بكل من لم يحكم بأمر الله، ويريد الشيطان أن يوقعهم في الضلال البعيد عن الحق. نزلت في خصومة بين منافق ويهودي، فأراد اليهودي الاحتكام إلى النبي ﷺ لأنه لا يقبل الرشوة، وأراد المنافق الاحتكام إلى زعماء اليهود لأنهم يأخذون الرشوة في أحكامهم، فلما اختلفا اتفقا على أن يحكما كاهنا في جهينة، فأنزل الله هذه الآية.

٦٦- وإذا قيل لهؤلاء اليهود الذين نافقوا: تعالوا إلى حكم الله في كتابه، وإلى حكم رسوله، رأيت المنافقين يعرضون عنك إعراضاً، نفروا من التحاكم إلى القرآن والنبي ﷺ.

٦٧- فكيف صنعهم إذا تعرضوا لعقوبة من الله على ذنوبهم، أو فضيحة تكشف نفاقهم بسبب ارتكابهم المعاصي، ومنها التحاكم إلى الطاغوت، ثم جاؤوك يحلفون كذباً: ما أردنا بتحاكمنا إلى

غيرك إلا الإحسان (الصلح) والتوفيق بين الخصمين، لا مخالفة حكمك.

٦٨- كذبهم الله بقوله: أولئك يعلم الله نفاقهم وعداوتهم للحق، فأعرض عن قبول اعتذارهم، وخوفهم من النفاق، وعظهم، والوعظ: الكلام الرقيق المؤثر في النفوس، وقول لهم في حق أنفسهم قولاً مؤثراً فيهم، بأن توعدهم بسفك دماهم وسلب أموالهم.

٦٩- لم ترسل رسولاً إلا ليطاع أمره ونهيه، بأمر الله بطاعته، فلا يعصى، ويعلمه سبحانه، ولو أنهم حين ظلموا أنفسهم بترك طاعتك واحتكامهم إلى غيرك، جاؤوك معتردين، فاستغفروا الله لذنوبهم، وتضرعوا إليه فاستغفرت لهم أيها الرسول، لوجدوا الله كثير القبول للتوبة الصادقة، واسع الرحمة بالتائبين المصلحين أعمالهم.

٧٠- قسماً بربك ليسوا كما يزعمون أنهم مؤمنون حقاً، حتى يحكموك في جميع أمورهم، ولا يحكموا أحداً غيرك، فيما نشأ بينهم من منازعات أو خصومات، ويقبلوا بحكمك من صميم القلب واطمئنان النفس، ويدعوا إذهاباً كاملاً، ويريضوا بحكمك رضا تاماً بما حكمت بينهم، دون ضيق أو شك، أو رد أو مخالفة. نزلت في الزبير بن العوام وخصمه وهو رجل من الأنصار من أهل بدر، اختصما في شراج الحرة (مسيل ماء) فقال النبي ﷺ للزبير: «اسق»، ثم أرسل إلى جارك، فغضب الأنصاري، وقال: يا رسول الله، أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه الرسول، ثم قال للزبير: «اسق»، ثم أحسب الماء حتى يرجع إلى الجذر، (الحواجز التي تحبس الماء) قال الزبير: والله ما أحسب هذه الآية أنزلت إلا في ذلك: ﴿فلا وربك﴾.

٦٦- ولو فرضنا على بعض الناس الذين يريدون التوبة كما فرضنا على بني إسرائيل: أن اقتلوا أنفسهم، بأن يقتل الرجل نفسه، أو يقتل الناس بعضهم بعضاً، أو أمرناهم بترك مساكنهم وديارهم، ما نفذ هذا الأمر إلا قليل منهم، ولو أنهم فعلوا ما يطلب منهم واتعظوا وأتابوا، لكان ذلك خيراً لهم في الدنيا والآخرة، وأشدّ يقيناً وتصديقاً، وأشدّ تثبيتاً لأقدامهم على الحق والإيمان، أي يشتمهم الله تعالى، والطاعات تثبت الإيمان. نزلت هذه الآية معلمة حال أولئك المنافقين، وأنه لو كتب ذلك على الأمة لم يفعلوه، وما كان يفعله إلا قليل مؤمنون محققون، كثابت بن قيس وعمار وابن مسعود.

٦٧- وإذا نفذوا الأمر، لأعطيناهم من عندنا ثواباً عظيماً في الآخرة.

٦٨- ولأرشدناهم طريقاً مستقيماً، يحققون به مصالح الدنيا والآخرة.

٦٩- ومن يطع أوامر الله والرسول، فأولئك يكونون مع النعم عليهم بدخول الجنة والوصول إلى رضوان الله والدرجات العلا، من النبيين الذين يوحى الله إليهم بشرع، والمبالغين في التصديق بدين الله وكتبه ورسله، وأهل الأعمال الصالحة، ونعم هؤلاء رفقاء في الجنة. نزلت في ثوبان مولى رسول الله

ﷺ، ولو أننا كنّا عليهم أن يقتلوا أنفسهم أو أخرجوا من ديارهم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعدون به لكان خيراً لهم وأشدّ تثبيتاً ٦٦ وإذا لا يلبث من لدنا أجرٌ عظيمًا ٦٧ ولقد يبتغون فضلاً منا مستقيماً ٦٨ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا ٦٩ ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً ٧٠ تسأئلهم الذين آمنوا أخذوا بالعهود أن يفروا ثباتاً أو أنفروا جميعاً ٧١ وإن منكم من ليبطّل ٧٢ فإن أصبناكم مصيبة قال قد أوعى الله على إذ لو أكرهنا معهم شهيداً ٧٣ ولئن أصبناكم فضل من الله ليقولن كان لو أن ينكرن بينهن مودةً يلبثن كن معهن فأفروا عظيمًا ٧٤ فليقل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقتل في سبيل الله فيقتل أو يعذب سوف نؤتيه أجراً عظيماً ٧٥

ﷺ، وكان شديد الحب له، قليل الصبر عنه، وتذكر الآخرة، وخاف إن دخل الجنة ألا يرى فيها رسول الله؛ لأنه مع النبيين، وإن لم يدخل الجنة، فذلك أحرى ألا يراه أبداً، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٧٠- ذلك النعيم في الجنة من الله المتفضل على عباده، وكفى بالله علماً بمن يستحق إتياءه هذا الفضل.

٧١- يا أيها المؤمنون احذروا مباغطة الأعداء، أعداء الدين، فأعدوا لهم العدة الملائمة، وانهبوا لقتال العدو جماعات متميزة متفرقة جماعة بعد جماعة بمقتضى نظام الحرب، أو مجتمعين جيشاً واحداً، إذا دخل العدو دياركم، فالجهاد يكون بحسب الحاجة أو المصلحة، لقمع شر العدو، وأمن مكره وعدوانه.

٧٢- وإن بعضكم وهم المنافقون الذين قعدوا عن القتال ليتشاكل ويتأخر عن الجهاد، ويشطّ غيره عنه، فإن أصابكم مصيبة من قتل أو هزيمة أو فقد مال، قال هذا المنافق التخلف: قد أنعم الله علي حيث لم أكن حاضراً معهم، فيصيني ما أصابهم.

٧٣- ولئن أصابكم خير من نصر أو غنيمة، قال هذا المنافق نادماً، كأنه بعيد عنكم، لا مودة بينه وبينكم، ولا محبة ولا عون، لم لا تشاركونني في الغنيمة؟ يا ليتني كنت مع المجاهدين في هذه المعركة، فأفوز بحظ وافر من الغنيمة.

٧٤- إن لم يقاتل هؤلاء المنافقون البطون المبطون، فليقاتل المؤمنون المخلصون الذين يذلون أو يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة، أي من أجل الحصول على نعيم الآخرة، ومن يقاتل من أجل إعلاء دين الله ونصر شريعته، فيقتل شهيداً، أو يغلب عدوه ويظفر، فله الثواب الوافر (أي الجنة) في كلا الحالين، مع مجد الدنيا والغنيمة.



٧٥. وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وسبيل
المستضعفين، لتخلصوهم من أسر الكفار،
والمستضعفون في عصر النبوة: هم من كان بمكة من
المؤمنين، وقد حبسهم المشركون عن الهجرة إلى
المدينة، وأخوهم في أنفسهم وأموالهم، وكان النبي
ﷺ يدعو لهم فيقول: اللهم أنج الوليد بن الوليد،
وسلمة بن هشام، وعياش بن ربيعة، والمستضعفين
من المؤمنين. وهم كانوا يقولون: ربنا أخرجنا من هذه
القرية (أي مكة) الظالم أهلها، فإنهم ظلمونا وأضروا
بنا، واجعل لنا من عندك ولياً يتولى أمرنا، وناصراً
ينصرنا عليهم.

٧٦. المؤمنون يقاتلون من أجل إعلاء كلمة الله:
كلمة الحق والعدل والتوحيد ونصرة الدين والشرعة،
والكفار يقاتلون في سبيل الشيطان وأتباعه لطلب
الفخر والغلبة بالباطل، فقاتلوا أيها المؤمنون أنصار
الشيطان، إن مكر الشيطان بالمؤمنين ضعيف هزيل،
فيبدده عزم المؤمنين وحزمهم. وفي هذا تقوية لقلوب
المؤمنين.

٧٧. ألم تر يا نبي الله إلى بعض الصحابة المؤمنين
الذين قيل لهم في مكة: كفوا أيديكم عن قتال
المشركين، وأدوا الصلاة المفروضة، وأعطوا الزكاة
لمستحقيها، فلما فرض عليهم في المدينة الجهاد الذي

طلبوه، خاف بعضهم من قتال المشركين خوفاً من عذاب الله، أو أشد خوفاً من عذابه، من غير شك في الدين،
بل خوفاً من الموت وأهوال القتال، وقالوا: لم فرضت علينا القتال؟ هلا أمهلتنا لنتمتع بحياتنا مدة أخرى؟! قل لهم
أيها النبي: متاع الدنيا كله سريع الزوال، وثواب الآخرة خير لكم من المتاع القليل في الدنيا، لمن اتقى الله منكم
ورغب في الخلود والثواب الدائم، ولا تظلمون (لا تنقصون) شيئاً حقيراً بمقدار القليل: وهو الخيط الذي في شق
النواة. نزلت في نفر من الصحابة، كانوا يلقبون من المشركين أذى كثيراً، ويقولون: يا رسول الله، ائذن
لنا في قتال هؤلاء؟ فيقول لهم: «كفوا أيديكم عنهم، فإنني لم أؤمر بقتالهم»، فلما أمر الله بعد الهجرة
بقتال المشركين كرهه بعضهم وشق عليهم، فأنزل الله هذه الآية.

٧٨. أنتم صائرون إلى الموت لا محالة، ويصيبكم الموت في أي مكان، ولو كنتم في حصون متينة، وإن تصب
المنافقين نعمة كخصب أو غنمة، نسبوها إلى الله تعالى لما علم فيهم من الخير، وإن تصبهم نقمة كجذب ومرض،
نسبوها إلى الرسول ﷺ وأنها حصلت بسببه، فكذبهم الله بقوله: قل لهم أيها النبي: كل من الحسنة والسيئة من عند
الله، وليس كما تزعمون، فما شأن هؤلاء القوم لا يكادون يفهمون قولاً، ولا يدركون أن كل شيء بقضاء الله
وقدره. قال ابن عباس: لما استشهد من المسلمين من استشهد يوم أحد، قال المنافقون الذين تخلفوا عن
الجهاد: لو كان إخواننا الذين قتلوا عندنا، ما ماتوا وما قتلوا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٧٩. ما أصابك أيها الإنسان من حسنة (خير أو نعمة) فمن فضل الله وإحسانه الذي يسر لك أسبابها، وما أصابك
من سيئة (شر أو نقمة) فبسبب ذنب من نفسك أنته فعوقبت عليه، وما أنت أيها النبي إلا مبلغ رسالة ربك، وليس
بيدك مقادير الخلائق، حتى يكون منك الضرر والنفع، وكفى بالله شاهداً على ذلك.

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ
أَظْلَمُ لِرَآءِهَا وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ
نَصِيرًا ٧٥ الَّذِينَ آمَنُوا يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ
الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦ أَوْتَرِكُ إِلَى الَّذِينَ قَبْلَ لَهُمْ كَفَرُوا
أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كَبُ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ
إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا
رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَى
الَّذِينَ قَاتِلُوا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكَ وَلَا تَظْلَمُونَ قَوْلًا ٧٧ أَمَّا
تَكُونُوا تَذَكَّرُكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشْتَدَّةٍ وَلِنْ تُصِيبُكُمْ
حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ نَصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا
هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَا يَكَادُونَ
يَفْقَهُونَ حَقِيقَتًا ٧٨ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ
مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ سَعِيدًا ٧٩

٨٠- من يطع رسول الله فقد أطاع الله ومن تولَّى فما أَرْسَلْنَاكَ رَسُولَهُ، ومن أَعْرَضَ عَنْ طَاعَتِهِ وَعَصَاهُ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَلَسْتَ بِأَيُّهَا الرَّسُولَ حَافِظًا لِأَعْمَالِهِمْ أَوْ مَهِيْمًا وَمُسَيِّطَرًا عَلَيْهِمْ، تَجْبِرُهُمْ عَلَى الْخَيْرِ وَالْإِيمَانِ، وَتَحَاسِبُهُمْ عَلَيْهِ، إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ.

٨١- ويقول المنافقون إذا كانوا عندك وأمرتهم بشيء: أَمَرَكَ طَاعَةَ، أي مطاع، فإذا خرجوا من عندك، زَوَّرت أو غيرت أو دبرت طائفة منهم في الظلام غير ما تقول لهم وتأمرهم به، والله يُثَبِّت في صحائف أعمالهم ما يدبرون ويزورون، ليُجَازِيَهُمْ عَلَيْهِ، فَأَعْرَضَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ، وَفَوَّضَ أَمْرَكَ إِلَى اللَّهِ، وَحَسِبَكَ اللَّهُ مَعِينًا وَنَاصِرًا.

٨٢- أفلا يتفهمون القرآن ويتأملون معانيه وأحكامه وعظاته؟! لو تدبروه لوجدوه منسجماً مع بعضه، ولو كان من كلام البشر، لوجدوا تفاوتاً وتناقضاً كثيراً.

٨٣- وإذا جاء بعض ضعاف المسلمين أمراً، فسمعوا شيئاً فيه الأمن كالإلتصاف، أو الخوف كالهزيمة والقتل، أذاعوه للناس، وروجوا الإشاعات الباطلة وقد يضر ذلك بالجيش، ولو

مَنْ طُيعَ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةَ فَإِنَّا بَكْرُؤًا مِنْ عِنْدِكَ بِتِّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ عَنِ الَّذِي يَقُولُ اللَّهُ وَكَانَ كُنُفٌ مَائِيَتُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرِيقَ الَّذِي كَانُوا مِنْ عِنْدِ عِزِّ اللَّهِ لَوْجِدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُمْ لَاحِقُونَ الَّذِينَ يَسْتَنَاطُونَ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَرَحْمَتُهُ لَتَبِعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ الْإِنْفُسُكَ وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اللَّهِ أَن يَكُفُّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنَكُّلًا ﴿٨٤﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ بِصِيبٍ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِزْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْبِلًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رَدُّوْهَا إِذَا اللَّهُ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

ردوا ذلك الخبر إلى الرسول، وإلى أهل العلم والعقل من القادة والرؤساء، لعلم حقيقة الخبر الذين يستخرجون خفاياه بتدبيرهم واتزان عقولهم من ولاية الأمر، فيتحققون من صحته، وما ينبغي أن يعلن أو يكتُم، أي لو تركوا إذاعة الأخبار للرسول أو لأولي الأمر، لفعلوا ما يحقق المصلحة من الإعلان أو الكتمان. ولولا توفيق الله وفضله وإنعامه عليكم بالإيمان، لاتبعتم طريق الشيطان، كما اتبعه المنافقون، وقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناء من الإذاعة أو الاستنباط، والظاهر أنه من الاتباع، أي لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً منكم كالراشدين الذين ثبتوا على الحق، لما وهبهم الله من عقل صاف، وإرادة قوية لا تخضع للشيطان.

٨٤- فقاتل أيها النبي في سبيل الله، ولو كنت وحيداً، لست مسؤولاً إلا عن نفسك، ولا تسأل عن أصحابك، وحض المؤمنين على القتال، لعل الله يدفع بجهادكم بطش الكفار وشدتهم، علماً بأن البأس في الأصل الحرب، والله أشد عذاباً، وأعظم قوة وسلطاناً، وأشد تعذيباً.

٨٥- من يشفع شفاعة حسنة، يكن له حظ من ثوابها، والشفاعة الحسنة: هي التي تكون في حق مسلم، أو دفع شر أو ضرر عنه، ومن يشفع شفاعة سيئة: وهي التي تجلب ضرراً أو أذى أو تمنع حقاً لآخر، يكن له نصيب من وزرها، وكان الله على كل شيء مهيمناً ورقياً، وحافظاً للأعمال، فيجازيكم عليها.

٨٦- وإذا حييتم أيها المؤمنون بتمحية، أي سلام، فحيوا بأحسن منها، أي بأن تردوا بأفضل منها، أو تردوا بمثلها على الأقل، إن الله محاسب على كل شيء، ومجاز عليه.

٨٧- الله الإله الواحد القادر هو الذي يحشركم إلى الحساب والجزاء، ويعتكم من القبور يوم القيامة الذي لا شك في وجوده عند المدركين حجج الله وبيئاته، ولا أحد أصدق من الله في قوله وخبره، لقد رته وغناه.

٨٨- لا يصح الاختلاف في الحكم على المنافقين، ولا بد من معاداتهم والاتفاق على كفرهم، فما لكم أيها المؤمنون تختلفتم في شأن المنافقين وانقسمتم فرقتين: فرقة توأبهم لجهلها بحالهم، وفرقة تعادبهم، وهو ما أيد الله، فالله ردهم. وهو ردهم معنوي - إلى الكفر ونكسهم بسبب كسبهم وهو لحوقهم بركب الكفر وعودتهم إلى الغدر، أتريدون هداية من أضله الله بكفره؟ وهذا للتقريع، ومن أضله الله لا تنفع فيه هداية أحد، ولن يجد طريقاً للإيمان. نزلت في قوم خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى أحد، فرجعوا، فاختلف فيهم المسلمون، فقالت فرقة: نقلهم، وقالت فرقة: لا نقلهم، فنزلت هذه الآية.

٨٩- غنى هؤلاء المنافقون إمعاناً في الكفر والضلال أن يكفر المؤمنون كما كفروا، فتكونون متساوين معهم في الكفر، فلا توالوهم ولا تتخذوا منهم أنصاراً وأحباء، حتى يهاجروا إلى المدينة مع المؤمنين، فإن أعرضوا عن الهجرة والإيمان الصادق، فخذوهم إذا قدرتم عليه، أي اتسروهم، واقتلوهم في أي مكان وجدتموهم فيه، ولا تتخذوا منهم صديقاً توالونه، ولا معيناً ينصركم. وهذا في قوم ادعوا الإسلام، ثم لحقوا بدار الحرب في مكة، وليس ذلك في منافقي المدينة.

٩٠- لكن لا تقتلوا الذين يتصلون بقوم بينكم وبينهم ميثاق، بالجوار والخلف، فإن العهد يشملهم، كما لا تقتلوا الذين جاؤكم، وقد ضاقت صدورهم عن القتال، ووقفوا على الحياد، فلم يقتلواكم ولم يقتلوا معكم، ولو شاء الله لسلطهم عليكم اختيأاً منه لكم، وقتلواكم مع الأعداء المشركين، ولكن الله كف أذاهم عنكم بفضلهم ورحمته. فإن اعتزلوكم ولم يتعرضوا لقتالكم، ورجعوا في مسالتكم، فلا يحل لكم قتلهم ولا أسرهم ولا أخذ أموالهم. نزلت كسابقتها في قوم جاؤوا إلى المدينة زاعمين أنهم مهاجرون، ثم ارتدوا بعد ذلك، وعادوا إلى مكة ببضائع لهم يتجرون فيها، ونزلوا عند هلال بن عويمر الأسلمي حليف النبي ﷺ، وهو الذي حصر صدره أن يقاتل المؤمنين، فرفع عنهم القتل بهذه الآية: ﴿إلا الذين يصلون﴾.

٩١- استجدون فريقاً آخر من المنافقين، يظهرون لكم الإسلام، ويظهرون لقومهم الكفر، كلما دعاهم قومهم إلى الشرك وقتال المسلمين، انقلبوا فيه ورجعوا إلى قومهم، ووقعوا في فتنة الكفر أبشع ووقوع، فإن لم يتركوا قتالكم، ولم يسالوكم، ولم يمنعوا أيديهم عن قتالكم، فخذوهم أيها المؤمنون، واقتلوهم حيث لقيتموهم أو وجدتموهم، وأولئك المنافقون جعلنا لكم حجة بينة واضحة في قتلهم والتسلط عليهم، وإباحة قتالهم.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَرْبِبُ فِيهِ
وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴿٨٨﴾ قَالَ لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ
فِتْنَةٌ وَاللَّهُ أَزْكَاهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ
اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٩﴾ وَذُوا لَوْ كُفُّوا
كَمَا كَفَرُوا فَكُفُّوا سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ
حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوا بِهِمْ وَاقْتُلُوهُمْ
حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٩٠﴾
إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَأَجَاءَ وَكَرَّ
حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَكْتُلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمَّ يَكْتُلُوكُمْ
وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَٰةَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩١﴾
سَيَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَأُتْمَا قَوْمَهُمْ كُلِّ مَا
رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ تَغَيَّرَ لَوْكُمْ وَلَقُوا إِلَيْكُمْ
السَّلَٰةَ وَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوا بِهِمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ
تَقَعْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكَ جَعَلْنَاكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩٢﴾

٩٢- ما كان ينبغي لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ من غير قصد، ومن قتل مؤمناً خطأ كان يرمي صيداً أو شيئاً فيصيب إنساناً، فعليه تحرير رقبة مؤمنة من الرقيق، بأن يعتقها كفاً له عن خطئه، وعليه دفع دية تسلم إلى أهله (ورثته) يقتسمونها كالإيراث، والدية: مال يعطى عوضاً عن دم المقتول إلى ورثته، إلا أن يتصدق (يعفو) أهل المقتول على أهل القاتل بالدية أو ببعضها. فإن كان القاتل من الأعداء أي الكفار الحربيين، وهو مؤمن، بأن يكون قد أسلم ولم يهاجر، فلا دية له على قاتله، ويجب على القاتل فقط عتق رقبة مؤمنة؛ لأن حرمة قليلة ولثلاث يتقوى الكفار بالدية علينا. وإن كان المقتول من قوم كفار بينكم وبينهم عهد على المسالمة، وهو مؤمن، فتجب له دية تدفع إلى ورثته، ويجب أيضاً على القاتل تحرير (عتق) رقبة مؤمنة، فمن لم يجد رقبة يعتقها، أو مالا يتسع لشراؤها، فعليه صيام شهرين متتابعين دون انقطاع بدلاً عن العتق، فلو أفطر لغير عذر استأنف، والعذر كالحيض ونحوه، شرع ذلك تيسيراً وتسهيلاً وقبولاً لتوبة القاتل خطأ، وكان الله عليماً بمصالح خلقه، حكماً في صنعه وتدبيره وتشريعه. قال أبو زيد: نزلت في رجل قتله

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَخَرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقَ فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُمْ مُؤْمِنُونَ فَمَا يَكْفُرُ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٣﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ مِثْلِهِ خَلْدًا فِيهَا وَغَضَبُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنُهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَيَّنُّوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَبَيَّنُّوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٥﴾

أبو الدرداء، كان يرمى غنماً، وهو يتشهد، فقتله وساق غنمه إلى رسول الله ﷺ، وقال القاسم: نزلت حينما قتل عياش بن أبي ربيعة الخزومي الحارث بن زيد الذي كان شديداً على النبي ﷺ، فجاء وهو يريد الإسلام، وعياش لا يشعر، فقتله.

٩٣- ومن يقتل مؤمناً متعمداً، أي قاصداً قتله، فجزاؤه الخلود في جهنم إلا أن يتوب، وغضب الله عليه، وطرده من رحمته، وهياً له عذاباً عظيماً في النار. نزلت في مقيس بن ضبابة الكناني الذي قتل رجلاً من بني فهد، بالرغم من أخذه مئة من الإبل دية أخيه هشام بن ضبابة، من بني النجار، ورجع بها إلى مكة كافراً.

٩٤- يا أيها المؤمنون، إذا سافرتُم للجهاد أو القتال في سبيل الله، فثبثوا ولا تتسرعوا أثناء الضرب حتى لا تقتلوا مسلماً، ولا تقولوا لمن أعلن إسلامه بالنطق بالشهادتين والتحية بتحية الإسلام: لست مؤمناً، ثم تورطوا بقتله، تريدون متاع الدنيا، أي طالين الغنيمة، وهي حطام الدنيا الزائل، فعند الله مغنم وخيرات كثيرة خير مما رغبتُم فيه، وهي حلال لكم دون ارتكاب محظور، أي فلا تتهافتوا، وهذه عدة بما يأتي به الله على وجهه، ولقد كنتم مثل هؤلاء كفاراً، فهذاكم الله للإيمان، وحُفَّتْ دماؤكم بكلمة الإسلام أو الشهادة، فثبثوا ولا تتعجلوا بالقتل، إن الله مطلع على أعمالكم. قال ابن عباس: لحق المسلمون رجلاً في غنيمة له، فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمة، فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى...﴾



لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْخَسَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَتٌ مِنْهُ وَمَغْفِرَةٌ وَرَحْمَةٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْكَ مَا أَوْنُهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالَ يُدْرِكُهُ الْأَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَجْتَ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا أَعْدَاؤُكُمْ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ

٩٥ - لا يستوي في الدرجة والثواب المتخلفون عن الجهاد، من المؤمنين، غير أهل الأعذار، من مرض أو عجز أو عجز، والمقاتلون في سبيل إعلاء كلمة الله، المجاهدون بالأموال والأنفس، فضل الله المجاهدين على القاعدين المتخلفين بدرجة، حيث جعل لهم سمعة عالية، ومرتبة زائدة في الآخرة، وكلام من الفريقين: المجاهدين والقاعدين، وعده الله الحسن، أي المنزلة الحسن أو المثوبة وهي الجنة، بسبب وجود الإيمان والنيات الطيبة عند القاعدين، وفضل الله المجاهدين على المتخلفين عن الجهاد بغير عذر بشواب عظيم. وهذا مبالغة وتأکید، ومثله الآية التالية. قال زيد بن ثابت: كنت عند النبي ﷺ حين نزلت عليه ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ والمجاهدون في سبيل الله ﴿وَلَمْ يَذْكُرْ﴾ أولي الضرر ﴿فَقَالَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ: كَيْفَ وَأَنَا أَعْمَى لَا أَبْصِرُ؟ فَنَزَلَ ﴿غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ﴾.﴾

٩٦ - أعد الله للمجاهدين درجات رفيعة في الجنة بحسب مراتب أعمالهم، ومغفرة لذنوبهم، ورحمة منتزلة عليهم، وكان الله غفوراً لذنوب عباده، رحيماً بالتائبين منهم.

٩٧ - إن الذين تسوفاهم الملائكة بإذن الله، ظالمي

أنفسهم؛ لأنهم لم يهاجروا من ديار الكفر، مثلما كان في صدر الإسلام من مكة إلى المدينة، وبقوا بين الكفار يخفون إسلامهم، قالت الملائكة لهم توبيخاً: في أي الفريقين كنتم، أكنتم مع المسلمين أم مع المشركين؟ قالوا معتلرين: كنا عاجزين لا نقدر على إظهار ديننا، فتقول الملائكة لهم مكذبين وموبخين: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها من بلاد الكفر إلى ديار الإيمان؟ فأولئك المستضعفون الذين رضوا البقاء في دار الكفر مأواهم جهنم، وينت النار مرجعاً لهم. نزلت هذه الآية في ناس من أهل مكة، تكلموا بالإسلام ولم يهاجروا، وأظهروا الإيمان وأسروا النفاق، فلما كان يوم بدر، خرجوا مع المشركين إلى حرب المسلمين، فقتلوا، فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم، وقالوا لهم ما ذكر الله سبحانه.

٩٨ - إلا المستضعفين العاجزين حقيقة، كالشيوخ والعجزة والزمنى الذين لا يجدون وسيلة للتخلص.

٩٩ - فأولئك المعذورون المذكورون لعل الله يعفو عنهم بفضلهم وإحسانه، وكان الله كثير العفو والغفران.

١٠٠ - ومن يهاجر في سبيل الله بقصد حسن لا يبتغي إلا رضوان الله، يجد في الأرض أمكنة كثيرة وخيراً وفيراً على رغم أنف عدوه، ويجد سعة في الرزق والبلاد، ومن هاجر قاصداً وجه الله، ثم مات في الطريق، فقد ثبت ثوابه عند الله، وكان الله كثير المغفرة للمستغفرين، رحيماً بالتائبين. نزلت في حبيب بن ضمرة الليثي، الذي كان شيخاً كبيراً، وهاجر إلى المدينة، فمات في التنعيم حميداً، فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية.

١٠١ - وإذا سافرت في الأرض، فلا حرج ولا إثم عليكم أن تقصروا الصلاة الرباعية في السفر ركعتين فقط، إن خفتكم أذى الكفار وفتنتهم بمكره من قتل أو جرح، وكذلك يجوز القصير حال الأمن، إن الكفار ظاهروا العدواة لكم.

١٠٢- وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من وراءكم ولتأت طائفة أخرى ليرضوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم وذ الذين كفروا لوقفون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيقولون عليكم منلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم فرسًا أن تضعوا أسلحتكم وحذوا وحذرنا إن الله أَعَدَّ للكافرين عذاباً مؤيماً ﴿١٠٣﴾ فإذا قضيتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّقُورًا ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْمُرُونَ كَمَا تَأْمُرُونَ وَيَرْجُونَ مِثْلَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٥﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَسَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٦﴾

١٠٢- وإذا كنت أيها الرسول فيهم، ومثلك إمام الجيش، فأقمت الصلاة بالجند من أصحابك، فاجعلهم طائفتين: إحداهما تصلي معك، وأخرى تراقب العدو، ولتأخذ الطائفة التي تصلي معك أسلحتهم في الصلاة، للاستعداد في كل لحظة، فإذا سجد المصلون معك، فلتحرسهم الطائفة الأخرى في مقابلة العدو التي لم تصل، حتى تنتهي الطائفة الأولى من نصف الصلاة معك، ثم تكمل وحدها، ثم يسلموا وينصرفوا لحراسة العدو، وتأتي الطائفة الثانية، فتصلي معك نصف الصلاة، ثم تسلم وتكمل وحدها بقية الصلاة، فتصلي كل طائفة صلاة الجماعة، ولتأخذ هذه الطائفة الأخرى حذرهم وأسلحتهم أثناء الصلاة، غنى الكفار لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم، فيهجمون عليكم هجمة واحدة، للاستيلاء عليكم. ولا إثم عليكم حال التأذي بمطر أو مرض أن تضعوا أسلحتكم للضرورة، فلا تحملوها، وخذوا حذرهم من العدو في أي حالة، لا سيما حينما يتعدون عن أسلحتكم حتى لا يأخذكم العدو على غرة، إن الله أَعَدَّ للكافرين عذاباً مقترناً بالذل والإهانة. نزلت هذه الآية حينما صلى المؤمنون مع رسول الله ﷺ الظهر، فقال المشركون: قد كانوا على حال لو كنا أصبنا

منهم غرة، قالوا: تأتي عليهم صلاة هي أحب إليهم من آبائهم، وهي العصر، فنزل جبريل بهذه الآية بين الظهر والعصر، وهم بعصفان، وعلى المشركين خالد بن الوليد، وهم بينهم وبين القبلة.

١٠٣- فإذا فرغتم من الصلاة، فداوموا على ذكر الله في جميع الأحوال حتى في القتال، فإذا أمتم فأتوا الصلاة على الصفة المشروعة الكاملة، إن الصلاة كانت على المؤمنين مفروضة عليهم في أوقات محدودة معينة، لكل منها بدء ونهاية، لا يصح تقديمها ولا تأخيرها.

١٠٤- ولا تضعوا في طلب أعدائكم الكفار وقتالهم، إن تألمتم من القتال والجراح، فإنهم يتألمون منه مثلكم، وهم لا يجبنون عن قتالكم، فأنتم أولى بالصبر منهم، وترجون أيها المؤمنون من الله النصر والثواب ما لا يرجون بسبب كفرهم وجحودهم، فأنتم أحق بالصبر منهم، وكان الله عليماً بأعمالكم، حكيماً في أمركم ونهيكم.

١٠٥- إنا أنزلنا إليك القرآن إنزالاً مقروناً بالحق، لتحكم بين الناس بما أوحى إليك من الأحكام، وبما عرّفك الله من الأسرار، ولا تكن للخائنين مدافعاً ومخاصماً عنهم، مجادلاً للمحقين بسببهم. نزلت هذه الآية وما بعدها إلى الآية [١١٦] في رجل من المنافقين هو طُعْمَةُ بْنُ أَبِيرق، سرق درعاً من جارية له هو قتادة بن النعمان، في جراب دقيق، ثم خباها عند رجل من اليهود هو زيد بن السمين، فلما أتبعوا أثر الدقيق إلى منزل اليهودي، وجدوها عنده، فقال: دفعها إلي طُعْمَةُ، فحاول قومه بنو ظَفَر أن يجادل النبي عن صاحبهم، فهم الرسول أن يفعل، وأن يعاقب اليهودي، فأنزل الله تعالى: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق...﴾ الآيات.

١٠٦- واطلب أيها النبي المغفرة مما عزمت عليه،
إن الله غفور لمن استغفره، رحيم بمن تاب وأناب.

١٠٧- ولا تمحاج أو تدافع عن الذين يخونون
أنفسهم بالسرقة أو غيرها من المظالم، أو يبالغون
في خيانتها بالمعاصي الضارة، إن الله لا يحب أي
يعاقب الكثير الخيانة، الكثير الإثم أو الذنب
وارتكاب المعاصي.

١٠٨- يستتر المنافقون من الناس حذراً من
الفضيحة، ولا يستترون عند فعل المعصية من الله؛
لأن الله عالم بكل شيء، فإن فعلوا شيئاً لم يخف
عليه تعالى، والله عالم بهم وبجميع أعمالهم
السرية والجهرية، حين يدبرون بليل، ويخططون
لما لا يرضاه الله من الرأي الذي اتفقوا عليه، وكان
الله مطلعاً على أعمالهم ومجازيهم عليها.

١٠٩- أيها القوم الذين جادلوا بالباطل عن
صاحبهم السارق وهو طعمة ومن ساعده، دافعت
عن الخائنين في الدنيا، فمن يحتاج الله، ويدافع
عنهم عند تعذيبهم بذنوبهم، لإنقاذهم من العذاب
يوم القيامة، أم من يكون عليهم وكيلاً بالخصومة

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تَجِدَلْ
عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
خَوَّانًا أَنِيًّا ﴿١٠٧﴾ يَخْفَوْنَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَخْفَوْنَ
مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُ إِذْ يَلْبِسُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ
وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَكْمُلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰذَا نَتْرُهُمْ لَأَجْدَلُهُ
عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يَجِدَلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَمْ مَن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ
سُوءًا أَوْ يَطْلَمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا
﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبْهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ
بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ أَخْلَعَ بَيْنَهُمَا وَإِنَّمَا تَأْمِنُ بِهِ ﴿١١٢﴾ وَلَوْ لَا فَضْلُ
اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ هَمَّتْ تَطَافُئُ مِنْهُمُ أَنْ يُضِلُّوكَ
وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ مِن شَيْءٍ
وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

(محامياً) عنهم؟

١١٠- ومن يعمل فعلاً قبيحاً يسوء غيره، أو يظلم نفسه بمعصية شخصية كشرب خمر، ثم يطلب من الله
ستر الذنب ومحوه عنه، بقوله: أستغفر الله، يجد الله غفوراً ساتراً للذنوبه، رحيماً به بقبول توبته.

١١١- ومن يفعل معصية متمعداً، فلنما يتحمل جزاءه بنفسه، وكان الله عليماً بخلقه، حكيماً في صنعه،
لا يعاقب غير العاصي.

١١٢- ومن يرتكب معصية مطلقاً، أو معصية عمدية، والخطيئة: تكون عن عمد وعن خطأ، والإثم لا
يكون إلا عن عمد، ثم يتهم به بريئاً، فقد ارتكب ذنباً كبيراً افتراءً- والبهتان: الكذب على البريء بما لم يصدر
منه ويحيره- وجُرمًا واضحاً عظيماً.

١١٣- ولولا فضل الله عليك أيها النبي ورحمته بك بتحذيرك وتنبيهك على الحق في قصة طعمة، لهمت
جماعة هم بنو أبيرق أن يضلوك أو يبعذك عن الحق بالشهادة الباطلة، وما يُضِلُّونَ بفعلهم هذا إلا
أنفسهم؛ لأن ويا له عليهم، وما يضرونك بشيء، لأنك قضيت بما تسمع من الشهادة الظاهرة، وأنزل الله
عليك القرآن، والعلم النافع وفهم أسرار الشريعة والقدرة على تحري الحق والصواب، وعلمك ما كنت
جاهله من أمور الدين وأحكام الشرع، وكان الفضل الإلهي عليك عظيماً بإرسالك للناس كافة، ولا فضل
أعظم من النبوة ونزول الوحي.

١١٤- لا خير ولا نفع في كثير من التجوى: السريين الاثنين أو الجماعة إذا تحدثوا به، إلا في أمور ثلاثة: الأمر بأداء الصدقة، أو عمل المعروف: وهو يشمل جميع أنواع البر كإنقاذ ملهوف، ونهي عن منكر، أو الإصلاح بين الناس في الدماء والأعراض والأموال ومختلف الخصومات، ومن يفعل هذه الأمور بقصد إرضاء الله، لا لغرض دنيوي، فسوف نعطيه ثواباً عظيماً واسعاً.

١١٥- ومن يخالف الرسول ويعارضه، من بعد ظهور الحق له، وأنه رسول الله بالبراهين الدالة على ذلك، ويتبع غير طريق المؤمنين: وهو ما هم عليه من الإسلام والتزام أحكامه، بأن يناصر أهل الكفر والضلال، تتركه وما اختاره لنفسه من الضلالة، ويدخله جهنم، ويشن ذلك مرجعاً وما لا.

١١٦- إن الله لا يغفر أبداً الشرك بأن يُعبد معه إله آخر، ومثله الكفر بالرسول أو باليوم الآخر، وقد يغفر كل الذنوب لمن شاء من عباده، ومن يشرك بربه، فقد ابتعد عن الحق ابتعاداً شديداً.

١١٧- ما يعبد المشركون من غير الله من الأصنام إلا معبودات ضعيفة، كالإناث أو بأسماء مؤنثة مثل اللات والعزى ومناة ونحوها، والعرب تصف الضعيف بالأنثى، وما يعبدون إلا شيطاناً هو إبليس، متمرداً على طاعة الله عاتياً، أي شديد التمرد والعنوة.

١١٨- لعنه الله وأبعده عن رحمته، وقال حين اللعنة: لأجعلن مقداراً معلوماً من عبادك غواة كفر، أخرجهم من طاعة الله إلى الكفر والعصيان.

١١٩- ولأصرفهم عن الهداية، وأزرع في نفوسهم الأمانى الباطلة كطول العمر وتحقيق الأمل، والمضي في المعصية، ولأمرهم فليقطعن آذان الأنعام (الإبل والبق والغنم)، كشق آذان البحائر والسواحب، وتحريم الانتفاع بها، ولأمرهم بتغيير الفطرة التي فطروا عليها، تغييراً مادياً كخضاء الأدميين، أو معنوياً كالانغماس في الشر، ومن يتخذ الشيطان معلماً يتولى أمره من دون الله، باتباع أمره وإطاعته، فقد خسر خسراناً واضحاً في الدنيا والآخرة.

١٢٠- يعدد الشيطان أولياءه بإيجاز وعوده لهم إن اتبعوه، ويمتئهم الأمانى الكاذبة بالتفوق والجاه والمال في الدنيا، والنجاة في الآخرة فلا بحث ولا جزاء، وما يعدهم من الوعود الباطلة بالسواوس الفارغة إلا باطلاً يغرهم به ويظهر لهم فيه النفع، وهو شر محض.

١٢١- أولئك المستحسنون لما وعدهم الشيطان، مصيرهم جهنم يوم القيامة، ولا يجدون عنها مهرباً يفرون إليه.

لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ أَصْلَحَ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ١١٥ وَمَنْ يَتَّبِعْ مَا تَابِعْنَاهُ أَلْهَدْ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولَاهُمَا تُولَى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ١١٦ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ١١٧ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا آتِنَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ١١٨ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ١١٩ وَلَا أَضِلُّهُمْ وَلَا أَتَّبِعُهُمْ فَلَيَعْبُرَنَّ حَقُّ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ١٢٠ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ١٢١ أُولَئِكَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ لَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحَصًا ١٢٢

١٢٢- والذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال الصالحة من فرائض وتطوعات، سندخلهم في الآخرة جنات تجري من تحت أشجارها ومسكنها الأنهار، ماكثين فيها إلى الأبد، وعدهم الله ذلك وعداً صادقاً، ولا أحد أصدق قولاً أو خبراً من الله تعالى.

١٢٣- ليس الدين بالتحلي ولا بالتعني، وليست الجنة والقرب من الله بمجرد التعني، لا أنتم أيها المشركون ولا أهل الكتاب الذين قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، ولن نمسنا النار إلا أياماً معدودة، بل من يقترب سيئة صغيرة أو كبيرة، يجازيه الله بفعله في الدنيا والآخرة، ولا يجده من غير الله من يتولى حفظه، أو يدفع عنه العذاب. نزلت للرد على أتباع الديانات الثلاث: اليهود والنصارى الذين زعموا النجاة، والمسلمين الذين ردوا عليهم قائلين: لن يدخلها إلا نحن، فلفظ الآية عام، والكافر والمؤمن مجازي بالسوء بعمله، فجزاء الكافر النار دائماً، وجزاء المؤمن نكبات الدنيا ومصائبها، كالحزن والمرض والأواء (الشدة والمحنة) والنار مؤقتاً. قال أبو صالح: جلس أهل الكتاب (أهل التوراة وأهل الإنجيل) وأهل الأديان، كل صنف يقول لصاحبه: نحن خير منكم، فنزلت هذه الآية.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ أَمَانَتَكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبْرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ كُلَّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفَيِّدُكُمْ فِيهِنَّ ۖ وَمَا يُسْأَلُ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي بَيْنِ النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ۚ وَالْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الْوُلَدِ ۚ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

١٢٤- ومن يعمل الأعمال الصالحة، ذكر أو أنثى، وهو مؤمن حق الإيمان، فأولئك يدخلون الجنة، ولا ينقصون شيئاً من الثواب ولو شيئاً حقيراً مقدار النقيير: وهو النقرة التي في ظهر نواة التمر.

١٢٥- ولا أحد أصح ديناً عن أخلص مقصده وتوجهه لله، وأحسن في أعماله، واتبع دين إبراهيم الخليل عليه السلام، حال كونه مثالا عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق، وهو الإسلام، واتخذ الله إبراهيم صفوة له، لإخلاصه في عبادته واجتهاده فيما يرضى الله به.

١٢٦- والله ما في السموات والأرض خلقاً وملكاً وتصرفاً، وهذا إشارة إلى أنه اتخذ إبراهيم خليلاً لطاعته، لا للتكثير به، وكان الله محيطاً علمه بكل شيء.

١٢٧- ويطلبون منك أيها النبي الفتيا في أمور النساء: واجباتهن وحقوقهن، قل: الله يبين لكم حكم بعض أحوالهن، وهو الآيات الثلاث التالية، والذي نزل من القرآن، وهو أول سورة النساء: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسُطُوا...﴾ [الآية ٣] في يتامى النساء اللاتي لا تطونهن ما فرض لهن من الميراث والمهر وغيرهما، وترغبون في نكاحهن لجمالهن، وتعزلوهن أن يتزوجن طمعاً في الميراث، فلا تفعلوا ذلك إلا أن تطوهن صدقاتهن كاملاً ولا تمنعهن من الزواج، ويفتيكم في المستضعفين (الصغار اليتامى) من الولدان بأن تورثوهن، وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء والأولاد الصغار، وإنما يورثون الكبار، ويأمركم الله برعاية اليتامى في القوام أو الوصاية عليهم، بأن تعاملوهم بالعدل في الميراث والمهر وتنمية الأموال، وما تفعلوا من خير في هؤلاء من الإكرام والإحسان، فالله عليم به، يحصيه ويجازي عليه. روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها بيان الاستفتاء وجوابه، كما أوضحت في تفسير الآية هنا.

١٢٨- وإن خافت امرأة من زوجها نشوزاً (أي تباعداً عنها) أو إعراضاً عن مكانتها، فلا إثم عليهما من إجراء الصلح بينهما صلحاً يمنع من الفراق أو سوء العشرة، كإسقاط النوبة أو بعض النفقة أو بعض المهر، وترضى المرأة بالبقاء عند زوجها على هذه الحال، وكل صلح يحقق التفاهم والتوادة خير من الفرقة أو الخصومة، وجبت النفوس على الشح (وهو البخل الشديد مع الحرص) فيشع الرجل في إحسان العشرة والنفقة، وتشح المرأة في أداء حقوق الزوج، وإن تحسنا عشرة النساء، وتتقوا الله فيما لا يجوز من الجور عليهن، والنشوز والإعراض، فالله مطلع على نياتكم وأعمالكم ويجازيكم عليها. قالت عائشة في هذه الآية: نزلت في المرأة تكون عند الرجل، فلا يستكثر منها، ويريد فراقها، ولعلها أن تكون لها صحبة، ويكون لها ولد، فيكره فراقها، وتقول له: لا تطلقني، وأمسكني وأنت في حل من شائي، فأنزلت هذه الآية.

١٢٩- لن تتمكنوا من العدل التام على الإطلاق بين النساء في المحبة والمتعة، ولو حرصتم عليه، لما جُبلت عليه النفوس البشرية من ميل النفس لواحدة أكثر من الأخرى، فلا تميلوا كل الميل لواحدة وتتركوا الأخرى، فتجعلوها كالمعلقة، التي لا هي زوجة ولا هي مطلقة،

وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يَصْلِحَا بَيْنَهُمَا صلحاً أو صلح خير وأخضرَّتْ الْأَنْفُسُ الشَّعْخُوعُ وَإِنْ تَحْسَبُوا أَنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدُوا بَيْنَ النَّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا كَالْمَعْلُوقَةِ وَإِنْ تَصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِنَّا كُودٌ أَنْ نَتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَعَكُمْ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِغَيْرِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

فتتضرر بذلك ضرراً كبيراً، أي لا تميزوا زوجة على غيرها بما هو مقدور لكم التسوية فيه، وهو العدل المادي في النفقة ونحوها، أما الميل القلبي فلا قدرة لكم عليه ولا مواخذة فيه، وإن أصلحتكم ما أفسدتم ما لبيل لواحدة في العشرة والعدل، دون الأخرى، واتقيتم الله في حسن المعاملة وترك ما يكره، فالله غفور رحيم لما سبق، لا يؤاخذكم فيما فرطتم فيه، وتبتم عنه. نزلت إما في النبي ﷺ وسودة بنت زمعة التي تنازلت عن قسمتها لكبر سنهما، أو في رافع بن خديج وخولة بنت محمد بن مسلمة لكبرها، أو في أبي السنابل بن بعكك وامراته.

١٣٠- وإن يتفرق الزوجان بعد تعذر الصلح، يغن الله كلا منهما عن الآخر، ويرزقهما من فضله رزقاً يستغني به عن الحاجة، وكان الله واسع الفضل، حكيماً في تدييره وتشريعه الأحكام.

١٣١- ثم نبه الله على موضع الرجاء لهذين المقتربين، وهو أن الله جميع ما في السموات والأرض، وهو القادر والرازق، ولقد أمرنا أهل الكتاب، وأمرناكم أيضاً بالتقوى بالتزام الأوامر واجتناب النواهي، وإن تكفروا بما شرع الله لكم، فالله مالك السموات والأرض، لا يضره كفركم، كرر ذلك للتأكيد وتبنيه العباد على سعة ملك الله وحقه أن يطاع فلا يعصى، وكان الله غنياً عن خلقه، محموداً على كل حال، وفي جميع أفعاله، وقادراً عليهم.

١٣٢- والله ملك السموات والأرض وما بينهما، تأكيد بعد تأكيد على استغناء الخالق، واحتياج المخلوقات له، وكفى بالله وكيلاً يتكل عليه الخلق، ويفوضون أمورهم إليه.

١٣٣- إن يشأ الله يُمَتِّكُم أَيُّهَا النَّاسُ جميعاً، ويأت بأخرين غيركم يقومون مقامكم، وكان الله قادراً على كل شيء.

١٣٤- من كان يريد بعمله شيئاً من ثواب الدنيا كالغنيمة، دون الأجر، فعند الله ثواب الدنيا والآخرة، فلم يطلب أدنى الأمرين، ويترك ما عند الله من حسنة الدنيا وأجر الآخرة، فيعطيه الثوابين، وكان الله سميعاً لأقوالكم، بصيراً بأعمالكم.

١٣٥- يا أيها المؤمنون كونوا مداومين على القيام بالعدل بين الناس في جميع أموركم في الأسرة والقضاء والإمارة والمجتمع ، شهداء بالحق لوجه الله تعالى ، بإقامة الشهادة على وجهها ، ولو كانت الشهادة على أنفسكم بالإقرار بالحق ، أو على الوالدين بالشهادة عليهما بحق للغير - وذكر أنهما أحب الناس للولد - أو على الأقربين مثل ذلك ؛ لأنهم مظنة المودة والمجاملة ، فاصدقوا في الشهادة ، ولا تمتنعوا عن أدائها ، وإن يكن المشهود عليه غنياً أو فقيراً ، فالله أولى بكل واحد منهما ، فلا يراعى الغني لغناه ، والفقير لفقره ، فترك الشهادة عليهما ، فلا تميلوا مع الهوى لجلب الشفع لهم أو دفع الضرر عنهم ، كراهة أن تصدقوا ، أي لا يكن اتباع الأهواء سبباً في الجور بالشهادة ، وإن تلووا السنتكم في الشهادة ، بأن تأتوا بها على غير وجهها أو بتحريفها ، أو تمتنعوا عن أداء الشهادة ، فإن الله مطلع على أعمالكم ومجازيكم عليها . قال السدي : نزلت في النبي ﷺ ، اختصم إليه غني وفقير ، وكان ضلعه (ميله) مع الفقير ، رأى أن الفقير لا يظلم الغني ، فأبى الله تعالى إلا أن يقوم بالقسط في الغني والفقير ، فقال : يا أيها الذين آمنوا كونوا ۞ .

يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءٰمَنُوْا كُوْنُوْا قَوَّٰمِيْنَۙ بِالْأَنفُسِۙ شُهَدَآءَ ۗلَهُۥ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنْفُسِكُمْۖ أَوَّلَ الدِّیْنِ وَالْآخِرِ ۚ إِنَّ كُنَّ غَنِيًّاۙ أَوْ فَقِيْرًا ۗ فَآلَهُۥٓ أَوَّلُیْهِمَا ۚ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوٰیۙ أَنْ تَعْدُوْا وَاثِقُوْا أَوْ تَخْشَوْا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرًا ﴿١٧٥﴾ يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءٰمَنُوْا ءٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَالْكِتٰبَ الَّذِیْ نَزَلَ عَلٰی رُسُوْلِهِۦ وَالْكِتٰبَ الَّذِیْ اُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلَٰئِكَتِهٖ وَكُتُبِهٖ وَرُسُلِهٖ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ فَقَدْ ضَلَّ صَلٰاۙ عَبِيْدًا ﴿١٧٦﴾ اِنَّ الَّذِيْنَ ءٰمَنُوْا ثُمَّ كَفَرُوْا ثُمَّ ءٰمَنُوْا ثُمَّ كَفَرُوْا ثُمَّ اَزَادُوْا كُفْرًاۙ لِّمَكِيۤ لَّهِ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيَهُمْ سَبِيْلًا ﴿١٧٧﴾ بَشِّرِ الْمُتَّقِيْنَۙ اَنَّ لَهُمْ عِزًّاۙ اَبَدًا ﴿١٧٨﴾ الَّذِيْنَ يَتَّخِذُوْنَ الْكَافِرِيْنَ اَوْلِيَآءَ مِنْ دُوْنِ الْمُؤْمِنِيْنَۙ اَيُّتُغْوٰوْنَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُۙ فَاِنَّ الْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِیْعًا ﴿١٧٩﴾ وَقَدْ نَزَلَ عَلٰیكُمْ فِي الْكِتٰبِ اَنْ اِذَا سَمِعْتُمْ ءَايٰتَ اللّٰهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْدُوْا وَاَمْعَهُمْ حَتّٰی يَخْرُجُوْا فِي حَدِيْثِ عِزْمَةٍ اِلَيْكُمْۚ اِذَا مَتَّاهُمْ اِنَّ اللّٰهَ جَامِعُ الْمُنٰفِقِيْنَ وَالْكَافِرِيْنَ فِي جَهَنَّمَ جَمِیْعًا ﴿١٨٠﴾

١٣٦- يا أيها المؤمنون اثبتوا على الإيمان بالله ورسوله، وهذا مثل قوله: ﴿يا أيها النبي اتق الله﴾ [الأحزاب ١/٣٣] وعلى القرآن المنزل على الرسول محمد ﷺ، وعلى الكتب المنزلة على الرسل السابقين، ومن يكفر، أي يجدد بشيء من عناصر الإيمان بذلك وبالملائكة وباليوم الآخر، فقد انحرف عن الهداية والحق والصواب انحرفاً شديداً، فليرجع إلى طريق الهداية. نزلت في جماعة من مؤمني أهل الكتاب، قالوا: يا رسول الله، إنا نؤمن بك وبكتابك، وبموسى والتوراة وعزير، ونكفر بما سواه من الكتب والرسل، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

١٣٧- إن بعض المنافقين الذين ترددوا بين الكفر والإيمان، ثم ازدادوا كفراً بمحاربة الرسول، وماتوا على الكفر، لن يغفر الله ذنوبهم، ولن يهديهم الطريق إلى الجنة، لإمعانهم في الكفر.

١٣٨- بشر على سبيل التهكم والتفريع ، بمعنى أُنذر المنافقين بأن لهم في الآخرة عذاباً مؤلماً في نار جهنم .

١٣٩- الذين يتخذون الكفار أخلاء وأصفياء وأنصاراً، ولا يتخذون المؤمنين أولياء، هل يطلبون عند الكفار قوة وغلبة؟ هذا خطأ، فإن العزة كلها لله في الدنيا والآخرة، فهو الذي يمنح العزة بفضه وفضله لمن يشاء من عباده.

١٤٠- وقد نزل الله عليكم أيها الذين أظهرتم الإيمان في القرآن: أن إذا سمعتم الكفر بآيات الله والاستهزاء بها، فلا تقعدوا مع الكافرين والمستهزئين ما داموا على ذلك، حتى يدخلوا أو يشعروا في حديث آخر غير حديث الكفر والاستهزاء بالآيات، إنكم إن فعلتم ذلك بالعودة معهم، فأنتم مثلهم في الكفر والإثم، والله جامع الكافرين والمنافقين جميعاً في نار جهنم. والذي أنزل في القرآن آية الأنعام [٦/٦٨]: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾.

١٤١- الذين ينتظرون بكم ما يحدث لكم من خير أو شر، أو يحل بكم من العذاب، فإن كان لكم فتح من الله كنصر أو غنيمة، قالوا لكم: ألم نكن أنصاراً لكم في الإسلام، فأعطونا من الغنيمة، وإن كان للكفار حظ من النصر والغلبة، كما حدث في معركة أحد، قالوا لأعدائكم الكفار: ألم نستول عليكم ونحافظ عليكم، ولكننا لم نفعل إخلاصاً لكم، وكانت مهمتنا تثبيط المؤمنين عنكم، ومنعهم عنكم وتخذيْلهم حتى ضعفوا عن مقاومتكم، والمراد أنهم يميلون دائماً مع الغالب المنتصر، والله يحكم بالحق والعدل يوم القيامة بين المؤمنين والمنافقين، فتكشف الحقائق، ولن يجعل الله للكافرين طريقاً للتغلب على المؤمنين، ما داموا صادقي الإيمان، عاملين بالحق والشرع، غير راضين بالباطل، فترفع درجة المؤمنين على درجات الكفار والمنافقين.

١٤٢- إن المنافقين يخادعون الله يظهرون الإيمان وإبطان الكفر، وهو خادعهم، أي يجازيهم على خداعهم، مؤخراً عقوبتهم إلى الآخرة، وإن كان يجعلهم كالمسلمين في الدنيا، بعصمة دماءهم وأموالهم، وإذا صلوا أدوا الصلاة متكاسلين متشاقلين، يراؤون الناس، أي يظهرون الشيء الحسن ليراه الناس، لا يقصد اتباع الدين، ليظنوه مؤمنين، ولا يذكرون الله في الصلاة وغيرها إلا ذكراً قليلاً، حين الاضطرار لذلك.

الَّذِينَ يَرَبُّونَكُمْ وَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْنَةٌ مِنْ اللَّهِ فَالْوَالِمُ لَكُمْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ فَأَلَوْا أَلَمْ تَسْخَوْا عَلَيْهِمْ وَتَمْنَعُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَأْتِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَلَنْ يَهْدِيَهُ إِلَّا شَاءَ إِنَّهَا لِلَّذِينَ أَتَوْا لَا تَخَذُلُوا الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٣﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي اللَّهِ لِرِيسٍ أَلَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ نَصِيرًا ﴿١٤٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٥﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٦﴾

١٤٣- إنهم يترددون بين الكفر والإيمان، لا هم مع الكفار فيصرحوا بكفرهم، ولا مع المؤمنين، فيخلصوا إيمانهم، ومن لم يوفقه الله، فلا طريق له إلى الحق والهدى.

١٤٤- يا أيها المؤمنون، لا تتخذوا الكفار بطانة وأصدقاء وأنصاراً تصدقونهم المودة، بدلاً من المؤمنين، كما فعل المنافقون، أتريدون أن تجعلوا الله عليكم حجة واضحة على ضعف إيمانكم، واستحقاق العذاب بسبب موالاته الكفار؟!

١٤٥- إن المنافقين يوم القيامة في الطبقة السفلى من النار، وهي الهاوية، لشدة الكفر وكثرة أضراره، ولن تجد لهم ناصرًا يخلصهم من العذاب في ذلك الدرك الأسفل.

١٤٦- لكن الذين تابوا من النفاق، وأصلحوا ما فسد من أحوالهم، وتمسكوا بشرع الله ووثقوا بوعده، وأخلصوا العمل بترك الرياء والنفاق وطاعة غير الله، فهم مع المؤمنين في أحكام الدنيا والآخرة، وللمؤمنين في الآخرة ثواب عظيم، يكون مثله للثابتين من النفاق.

١٤٧- أي منفعة لله بعذابكم؟ إن شكرتم نعمته، وأمتتم بما أنزل على رسوله، وكان الله شاكراً طاعة عباده، يقبل القليل، ويعطي الكثير من الأجر، عليمًا بأفعالهم ومجازيهم عليها.



١٤٨- لا يحب الله الجهر بسوء القول كالسب والشتم، وإنما يعاقب عليه، لكن من ظلم فله أن يقول في الادعاء أمام المحاكم ونحوها لدى أصحاب السلطة: ظلمني فلان، ليمكن من دفع الظلم أو الضرر واستيفاء حقه، وكان الله سميعاً لشكوى المظلوم، عليمًا بظلم الظالم، ومعاقباً عليه. قال مجاهد: إن ضيفاً تضيف قوماً، فأسأوا قراه، فاشتكاهم، فنزلت هذه الآية رخصة في أن يشكو.

١٤٩- إن تظهروا أيها المؤمنون عملاً خيراً، أو تعملوه سراً، أو تصفحوا عن الإساءة إليكم، فالله كثير العفو عن عباده المذنبين، تام القدرة على الانتقام منهم بما كسبت أيديهم، فاقتدوا بالله بالعفو عند المقدرة.

١٥٠- إن الذين يكفرون بالله ورسله، ويؤمنون بالله ويكفرون ببعض رسله أو بكلهم، وهذا تفريق بين الله ورسله، ويقولون: نؤمن ببعض الرسل، ونكفر ببعض، وهم اليهود الذين آمنوا بموسى، وكفروا بعبسى ومحمد، والنصارى الذين آمنوا بعبسى وكفروا بمحمد، ويريدون أن يتخذوا بين الإيمان والكفر طريقاً أو ديناً وسطاً بينهما.

١٥١- أولئك هم الكفار الكاملون في الكفر، والكفر ثابت فيهم لا شك فيه، فهو كفر حقيقي، وأعدنا

وهيأتنا للكافرين عذاباً فيه ذل وخزي وإهانة.

١٥٢- والذين صدقوا بالله ورسله جميعاً، ولم يفرقوا بين واحد وآخر، بل آمنوا بهم جميعاً، فهم الذين يعطيهم الله ثواب أعمالهم الكامل، وكان الله كثير المغفرة لذنوبهم، رحيماً بهم.

١٥٣- يسألك يا رسول الله أحبار اليهود، سؤال تعنت وعناد أن تنزل عليهم كتاباً جملة، خاصاً بهم، من السماء، لإثبات ادعائك النبوة، ولقد طلب أسلافهم من موسى عليه السلام أعظم من ذلك، فقالوا له: أرنا الله عياناً، فأخذتهم الصاعقة: نار نزلت عليهم من السماء، فأهلكهم، بسبب ظلمهم، أي تعنتهم في السؤال برؤية الله عياناً في الدنيا، ثم اتخذوا العجل إلهاً، وعبدوه من دون الله، والعطف بـ «ثم» للتطاول في الجريئة، لا للترتيب الزمني؛ لأن اتخاذ العجل كان من قبل طلب الرؤية، وكان كل ذلك من بعد مجيء المعجزات والأدلة الواضحة على وحدانية الله ونبوة موسى كاليد والعصا وقلق البحر، فعفونا عما بدر منهم من طلب الرؤية وعبادة العجل، وقبلنا توبتهم، وأعطينا موسى حجة بيّنة، وسلطة ظاهرة قوية، فأخضعناهم له مع شدة تمردهم، وسميت الحجة سلطاناً؛ لأن من جاء بها قهر خصمه. نزلت في اليهود، قالوا للنبي ﷺ: إن كنت نبياً، فأتنا بكتاب جملة من السماء، كما أتى به موسى، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

١٥٤- ولما امتنع اليهود من شريعة موسى، رفع الله فوق رؤوسهم جبل الطور مثل المظلة، وأمرناهم بدخول باب مدينة بيت المقدس ساجدين خاشعين، حين أذن الله لهم بافتتاحها بعد موسى عليه السلام، وقلنا لهم: لا تعتدوا على حرمة العبادة يوم السبت، بالصيد أو بأخذ ما أمرتم بتركه من الأسماك، وأخذنا منهم عهداً مؤكداً على العمل بالتوراة.

لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ خَفَعُوا أَوْ عَفَوْا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهَلْ أُولَا أَرَأَيْتَ اللَّهُ حَمْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أَنبَاءُ النَّبِيِّ فَقَفَّوْا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْآبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

١٥٥ - فسبب نقضهم العهد مع الله للعمل بما في التوراة لعناهم، وكذا بسبب كفرهم بآيات الله المنزل، وقتلهم الأنبياء ظلماً وعدواناً كيحصى وزكريا وغيرهما، وقولهم للأنبياء: قلوبنا مغطاة بالغلاف، أي بالأغشية والأغطية، فلا تفقه ما تقول، والواقع ليس الأمر أو عدم قبولهم للحق كما يقولون: إن قلوبهم مغلقة، بل بسبب ختم الله على قلوبهم، فأصبحت محجوبة عن قبول الإيمان عقاباً لهم، فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً بسبب عدم استجابتهم لأمر الله، وإصرارهم على الكفر.

١٥٦ - وبسبب كفر اليهود بعبسى عليه السلام، واتهامهم السيدة مريم بالزنا مع يوسف النجار زوراً وبهتاناً، أي كذباً يبهت العقول أي يحيرها.

١٥٧ - وبسبب قولهم كذباً: إنا قتلنا المسيح رسول الله، افتخاراً بقتله، وذكروا وصف الرسالة استهزاء، والواقع أنهم لم يقتلوه ولم يصلبوه، كما زعموا، ولكن ألقي شبهه على رجل آخر، فظنوا أنهم قتلوه. وإن الذين اختلفوا في شأن قتله في تردد وشك من قتله، فقال بعضهم: هو، ونفى غيرهم ذلك، ليس لهم علم متيقن أنه هو أم غيره، لكنهم يتبعون الظن فهم مترددون، وما قتلوه بيقين، أي أن القتل متف يقيناً.

فَمَا نَقِضَهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَرِهُوا بَيِّنَاتِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا بَيِّنَاتٌ بَعْدَ حَقٍّ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَكَرِهُوا وَقُولِهِمْ عَلَى تَرْجَمِهِمْ سُبْحَانَ عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقُولِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظُّلُمِ ﴿١٥٧﴾ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٨﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٩﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٦٠﴾ فَيُظْلَمُونَ الَّذِينَ هَادُوا وَأَحْرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أَحَلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦١﴾ وَأَخَذَهُمُ الزُّلْزَلُ وَقَدْ نَهَوْا عَنْهُ وَأَكَلَهُمْ آمُورُ النَّاسِ الْبَاطِلُ ﴿١٦٢﴾ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦٣﴾ لَكِنَّ الرَّاكِبِينَ فِي الْأَعْلَامِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٤﴾

١٥٨ - بل أكرمه الله وتوفاه، ورفع منزلته إلى السماء كما فعل بإدريس، وكان الله قوياً في ملكه، حكيماً في صناعه وتدبيره.

١٥٩ - وما (أي ليس) من أحد من أهل الكتاب يهودي أو نصراني إلا ليؤمنن بعبسى على الوجه الصحيح، وهو أنه رسول بشر لا إله، قبل الإشراف على الموت، ويوم القيامة يكون عيسى شاهداً على من صدقه ومن كذبه، يشهد على اليهود بالكذب له، وعلى النصارى بالمغالاة فيه، حتى قالوا: إنه إله أو ابن الله.

١٦٠ - بسبب ظلم عظيم وكفر بالله وبموسى من اليهود، وارتكاب الذنوب المذكورة في الآيات السابقة، حرّمنا عليهم طيبات أحلت لهم، ذكرت في سورة الأنعام [١٤٦/٦]: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ...﴾ ومنعهم عن الإيمان برسالة محمد ﷺ كثيراً من الناس، ونحرّفهم وقتلهم الأنبياء.

١٦١ - وأخذهم الربا في معاملاتهم، وقد حرمه الله عليهم في التوراة، وأكلهم بالباطل (بغير حق مشروع) أموال الناس، كالرشوة ونهب أموال المصريين، وأعدنا وهبنا للكفار منهم عذاباً مؤلماً في نار جهنم.

١٦٢ - لكن المتضلعون الثابتون في العلم بالكتاب منهم (أي من اليهود) والمؤمنون من أهل الكتاب أو من المسلمين، يؤمنون بما أنزل إليك من القرآن، وما أنزل سابقاً من الكتب السماوية، والمقيم الصلاة في أوقاتها، والدافع الزكاة لمستحقيها، والمؤمنون بالله إلهاً واحداً وبلاخرة (وهم مؤمنو أهل الكتاب والمسلمون الأولون) أولئك سنعطهم ثواباً عظيماً وهو الجنة، على إيمانهم وطاعتهم لله تعالى.



إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ
وَعِيسَى وَإِيُوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ
زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا
لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا
مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ
بَعْدَ أَرْسَالِنَا كَانَ اللَّهُ غَرِيبًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَكِنْ اللَّهُ يَشْهَدُ
بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ أَنْزَلْنَاهُ لِيُعْلَمَ مِنَ الْمَلَأَةِ يَشْهَدُونَ
وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا
لَنَكُونَنَّ لِلَّهِ لِيُعْذِرَهُمْ وَلَا يَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا
طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا
﴿١٦٩﴾ بَنَيْنَا الْبَنِيَّانَ فَدَعَاكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَنِيفِ مِنْ دِينِكُمْ
فَقَامُوا آخِرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾

١٦٣- إنا أوحينا إليك القرآن أيها الرسول، كما
أوحينا إلى نوح، لكونه أول رسول صاحب تشريع،
والأنبياء بعده، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل
 وإسحاق ويعقوب (إسرائيل) والأسباط (ذرية أو
 أولاد يعقوب الاثني عشر) الأنبياء، وعيسى وأيوب
 ويونس وهارون وسليمان، وآتيناه داه داود الزبور:
 وهو كتاب الهي يشتمل على مواظ وحكم.

١٦٤- وأرسلنا رسلًا آخرين، قصصنا أخبارهم
 عليك أيها الرسول؛ من قبل نزول هذه الآيات،
 ورسلًا لم نخبرك عنهم، وكلم الله موسى تكليمًا
 خاصًا به، بلا وساطة ملك الوحي: وهو جبريل عليه
 السلام. والأنبياء كما روى أبو ذر: مئة ألف وأربعة
 وعشرون ألفًا، والرسل: ثلاث مئة وثلاثة عشر،
 كلمهم الله تعالى عن طريق جبريل.

١٦٥- وأرسلنا رسلًا مبشرين بالشواب لمن أطاع،
 ومنذرين بالعقاب لمن عصى، لئلا يحتج الناس على
 ترك الإيمان والطاعة بعدم إرسال الرسل، وكان الله
 قويًا قاهرًا منتقمًا من كفره، حكيمًا في إرسال
 الرسل. قال ابن مسعود في حديث: «... ولا أحد
 أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث الله النبيين
 مبشرين ومنذرين».

١٦٦- لكن الله يشهد بما أنزل إليك من القرآن،
 أنزله يعلم منه لا يعلمه غيره، من كونك أهلاً للنبوّة والقرآن، والملائكة يشهدون بأنك رسول الله، وكفى بالله شاهدًا
 على ذلك، فشهادته وحده تكفي. نزلت حينما قال المشركون: نحن لا نشهد لك بالوحي إليك، وقال
 بعض اليهود: ما نعلم يا محمد أن الله أرسل إليك، ولا أنزل عليك شيئًا. وحكى القرآن قول اليهود:
 ﴿ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ [الأنعام ٩١/٦]. قال الكلبي: إن رؤساء أهل مكة أتوا رسول الله
 ﷺ فقالوا: سألنا عنك اليهود، فزعموا أنهم لا يعرفونك، فأتينا بمن يشهد لك أن الله بعثك إلينا رسولاً،
 فنزلت هذه الآية: ﴿لكن الله يشهد﴾.

١٦٧- إن الذين كفروا بالله ورسوله، وصدوا عن الدخول في الإسلام، قد انحرفوا بشدة عن طريق الحق
 والهدى؛ لأنهم مع كفرهم منعوا غيرهم عن الحق.

١٦٨- إن الذين كفروا بالله، وظلموا أنفسهم بكفرهم وغيرهم بصددهم عن السبيل، لا يغفر الله ذنوبهم ما داموا
 كفاراً، ولا يهديهم طريقاً رشيداً ينجيهم من العذاب، أي لا يوصلهم إلا إلى جهنم.

١٦٩- إلا طريق جهنم لسوء اختيارهم، خالدين فيها مخلوذاً دائماً لا نهاية له، وكان تخليدهم وعذابهم يسيراً
 حيناً على الله تعالى.

١٧٠- يا أيها الناس قاطبة قد جاءكم الرسول محمد ﷺ بالدين الحق المنزل إليهم من ربكم، فآمنوا برسالاته، يكن
 الإيمان خيراً لكم من الكفر، وإن تبقوا على الكفر بالله ورسوله، فله جميع ما في السموات والأرض ملكاً
 وخلقاً، لا يضره كفركم، وهو قادر على جزائكم بسوء أفعالكم، وكان الله عليماً بخلقهم، حكيماً في صنعه
 وتدبيره.

١٧١- يا أهل الكتاب لا تتجاوزوا الحدود في التدين فيطعن بعضكم ببعضى، ويؤلمه آخرون، ولا تقولوا على الله إلا القول الحق، فلا تقولوا: عزيز ابن الله، والمسيح ابن الله، إنما المسيح هو كلمة الله، أي وجد وكون بكلمة ﴿كن﴾ وجهها إلى مريم بواسطة جبريل، وروح منه أي سر من الله، كسائر الأرواح التي خلقها الله، وإنما أضافه إلى نفسه للتفضيل والتكريم، فآمنوا بأن الله إله واحد لا شريك له، وبأن رسله صادقون، فلا تكذبوهم ولا تتغالوا فيهم، ولا تقولوا: الآلهة ثلاثة، يقول النصارى: ثلاثة أقانيم: أي أقنوم الوجود، وأقنوم الحياة، وأقنوم العلم، ويعبر عن الأقانيم بالأب والابن وروح القدس، انتهوا عن هذا القول بالتثليث، يكن انتهاؤكم خيراً لكم من بقائكم على الكفر، إنما الله إله واحد لا شريك له، هو منزلة تنزيهاً عن أن يكون له ولد، له جميع السموات والأرض، وما جعلتموه ولداً أو شريكاً هو من مملوكات الله، والمملوك لا يرقى أن يكون شريكاً أو ولداً، وكفى بالله وكيلاً قائماً بجميع أمور خلقه. نزلت في طوائف من النصارى حين

قالوا: عيسى ابن الله، فأنزل الله تعالى: ﴿لا تغلوا في دينكم..﴾

١٧٢- لن يأنف المسيح عن عبوديته لله، ولن يرى ذلك عيباً، ولن يستكبر الملائكة المقربون كمجبريل وميكائيل عن أن يكونوا عباداً لله، ومن يترفع عن عبادة الله، ويأنف تكبراً من الخضوع لله، فالحق سيحشر الجميع إليه في الآخرة، ويجازيهم على أعمالهم.

١٧٣- فأما الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا صالح الأعمال، فيوفيه الله ثواب أعمالهم، ويزيدهم من فضله وعطائه الذي لا حدود له، وأما الذين استنكفوا وتكبروا عن عبادته، فيعذبهم ربه عذاباً مؤلماً جزاء تكبرهم، ولا يجدون لهم أحداً من غير الله، يدفع عنهم العذاب، ولا ناصراً ينجيهم من العقاب.

١٧٤- يا أيها الناس جميعاً قد أتاكم برهان، أي معجزات وأدلة توحيد، من الله ربكم، بما أنزله عليكم من الكتب وبما أرسله إليكم من الرسل، وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً هو القرآن، يهتدي به الناس في ظلمات الضلال.

١٧٥- فأما الذين آمنوا بالله، واعتصموا بالله، وتمسكوا بالقرآن، فسيدخلهم الله تعالى في جنته، ويزيدهم من إحسانه على الأجر والثواب، ويوفقه لسلوك الطريق المستقيم الذي لا عوج فيه، وهو دين الإسلام.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ
إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا
إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا
ثَلَاثَةٌ أَنهَآ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ
لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾
لَنْ يَسْتَنْكِهَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ
أَلْمَفَرُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِهْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ
فَسَيَحْشُرْهُمُ إِلَهُ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَبِزَيْدِهِمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا
الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا
وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾
يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ
وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا
بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَتِهِ
وَفَضْلِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧٥﴾

١٧٦ - يطلبون منك أيها الرسول الفتيا فيمن مات ولا والد له ولا ولد، قل الله يفتيكم في الكلالة: الورثة الحواشي غير الأصول والفروع، إن أمرو مات ليس له ولد: ذكر أو أنثى، وليس له أيضاً والد، وهذا مفهوم ظاهر، وله أخت شقيقة أو لأب - أما الأخت لأم فإن فرضها السدس كما تقدم - فلها نصف الميراث - والأخوات مع البنات عصبية - وأخوها يرثها في جميع التركة، إذا لم يكن لها ولد، فإن كان لها ولد ذكر فلا شيء للأخ، وإن كان ولدها بنتاً فلها النصف، والباقي للأخ تعصيباً. فإن كانت الأخوات اثنتين فأكثر، فلهما ثلثا تركة الأخ، وإن كان الورثة إخوة وأخوات، ذكوراً وإناثاً، فللذكر منهم ضعف الأنثى فيما يأخذونه تعصيباً، يبين الله لكم حكم الكلالة لئلا تضلوا عن الحق، والله عليم بكل شيء فيه الخير لعباده. قال جابر: نزلت آية الكلالة في، حينما مرضت، وعندي سبع أخوات، فأنزل الله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ فقال لي النبي ﷺ: «يا جابر، إني لا أراك تموت في وجعك هذا، إن الله قد أنزل، فبين الذي لأخواتك: الثلثين».

سورة المائدة

فضلها: روى أحمد وغيره عن عائشة قالت عن

المائدة: «إنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم من حرام فحرّموه». ومنها ما نزل في حجة الوداع وهي آية ﴿اليوم أكملت لكم دينكم...﴾ [٣]. ومنها ما نزل عام فتح مكة وهو قوله تعالى: ﴿ولا يجزئكم شأن قوم...﴾ [٢].

١ - يا أيها المؤمنون أوفوا بالعقود المؤكدة التي أخذها الله على عباده، أو أخذها العباد بعضهم على بعض في عقود المعاملات الجائزة شرعاً. أحلت لكم الأنعام (وهي الإبل والبقر والغنم المذبوحة شرعاً) إلا ما نص الله على تحريمه في الآية التالية من الميتة ونحوها، وغير مبيحي الصيد البري، وأنتم محرمون بحج أو عمرة، أو صيد حرم مكة مطلقاً في الإحرام وغيره، إن الله يحكم ما يريد من الأحكام، لا يعترض عليه.

٢ - يا أيها المؤمنون لا تبسحوا جميع مناسك الحج كالصفا والمروة وغيرهما، بالإخلال بشيء منها، وهو كل ما أشعر، أي جعل علامة على الحج أو العمرة من إحرام وطواف وسعي، ولا تحلوا القتال بالشهر الحرام، والأشهر الحرم أربعة: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب، ولا تستحلوا الهدي: وهو ما يهدى إلى بيت الله تقريباً إليه من ناقة أو بقرة أو شاة، بأن تأخذوه أو تمتعوه من الوصول إلى البيت الحرام، ولا الأنعام المقلدة بالقلائد عند إهدائها لفقراء البيت، بأن تقتصبوها، وتقليدها بالقلادة لتعرف فلا يتعرض لها، ولا تمتعوا قاصدي البيت الحرام، يتتغون الفضل (الرزق) والربح في التجارة، ورضوان الله بالعبادة، وإذا حللتم من إحرامكم أبيح لكم الصيد من غير الحرم، ولا يحملنكم بغض قوم وعداوتهم، من أجل منعكم عن الحرم، عام الحديبية أن تعتدوا عليهم، وتعاونوا على فعل الخيرات وترك المنكرات، ولا تعاونوا على معصية الله وظلم الناس، وخافوا عذاب الله، إن الله شديد العقاب لمن كفر وعصى ولم يتب. نزلت حينما حاول بعض الصحابة عام الحديبية أن يصدوا بعض المشركين عن العمرة، وقالوا: نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمَرُوا هَٰكَذَا لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ مِنْهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ أَنْثَىٰ فَلَهَا النِّصْفَانِ بِمَا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حِظِّ الْأُنثَىٰ بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أَحَلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُبَيِّتُ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقُلُودَ وَلَا آتِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمُكُمْ شَيْئًا قَوْمًا أَنْ صَدَّوْكُمْ عَنِ الشَّيْءِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَنَعَاوُوا عَلَى الْبَرِّ وَالْبَقَرِ وَالْقَوَىٰ وَالنَّعَاوَىٰ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْعُدُودِ وَأَقْبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾



٣- حُرِّمَ عَلَيْكُمْ تَنَاوُلَ لَحْمِ الْمَيْتَةِ (وهي كل حيوان مات حتف أنفه من غير ذبح شرعي) والدَّمِ الْمَسْفُوحِ ولحم الخنزير بجميع أجزائه، وما ذكر عليه اسم غير الله تعالى، والميتة خنقاً بنفسها أو بفعل غيرها، والميتة ضرباً بشيء ثقيل كعصا أو حجر، والساقطة من مكان عال إلى أسفل فماتت، والتي نطحها أخرى فماتت، وما افترس بعضه حيوان مفترس كذئب وغر وضبع، إلا ما ذبحتم من هذه الأشياء وهو حي لم يمِتْ بأن تحرك بعد ذبحه، وما ذبح على الحجارة التي نصبها المشركون حول الكعبة، تعظيماً لأصنامهم، وحرم عليكم الاستقسام بالأزلام، أي طلب القسمة والنصيب، بالسهام التي توضع في جراب، ثم يقتصر بها بإخراج واحد منها، والأزلام كانت ثلاثة عند العرب: كتب على أحدها: افعل، وعلى الآخر: لا تفعل، والثالث: مهمل لا شيء عليه، فيطلب معرفة الحظ في زواج أو سفر مثلاً، ويسحب سهم منها يعمل بما فيه، فإن خرج الثالث، أعيد الضرب حتى يخرج واحد من الأولين، وتحرم ذلك للدعاء بمعرفة الغيب كالكهانة. ذلكم المذكور من المحرمات فسق، أي خروج عن طاعة الله، وهو أشد الكفر، اليوم ينس الكفار من إبطال دينكم، فلا تخافوهم وخافوني ولا تخالفوا أمري، ونهي، اليوم أكملت لكم أحكام دينكم من الحلال والحرام وأتممت عليكم نعمتي

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْسِنَتُهُ وَالدَّمَ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَمِلَ عَلَيْهِ اللَّهُ بِرِوٍ وَالْمُخْتَفَةِ وَالْمَوْفُودَةِ وَالْمَقْرَبَةِ وَالطَّيْجَةِ وَمَا أَكَلَ السَّحَابُ إِلَّا مَا ذَكَّبْتُمْ وَمَا دَجَّ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَتَنٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَنْ دِينَكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِيمَانِهِ فَمَا لَئِي اللَّهِ غُفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٠﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ أَجَلٌ لَكُمْ الطَّيْبُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ يَعْلَمُونَهَا فَمَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَاكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٠١﴾ الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيْبَ وَطَعَامَ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكَيْبَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَكُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكَيْبَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَىٰ أَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ مِنْ حُسْنِ عَقْرِ مُسْلِمِينَ وَلَا تَجِدُوا أَعْدَابًا وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِسْلَامِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٠٢﴾

بالنصر وقهر الكفار، واخترت لكم الإسلام ديناً، فمن أوجأته الضرورة لتناول شيء من هذه للحرمات، في مجاعة، غير مائل للذنب، ولا قاصد لمعصية، فالله كثير المغفرة له، رحيم به، لا يؤاخذ. نزلت آية ﴿اليوم أكملت...﴾ يوم الجمعة، وكان يوم عرفة، بعد العصر، في حجة الوداع، سنة عشر، والنبي ﷺ بعرفات على ناقته العضباء (أي اسم ناقته). قال يهودي: لو نزلت هذه علينا في يوم لاتخذناه عيداً، فقال ابن عباس: فإنها نزلت في عيدين اتفقا في يوم واحد: يوم الجمعة، وافق ذلك يوم عرفة.

٤- يسألونك أيها النبي: ماذا أحل لهم من المأكول؟ قل: أحل لكم كل ما تستطيعه النفس ولم يحرمه الشرع، وصيد ما علمتم من جوارح الطير، كالصقر والعقاب، والسباع، كالكلاب والفهود، معلّمي الكلاب وسائر الجوارح كيفية الاصطياد بأن تمسك الصيد أو تجرحه دون أن تأكل منه ثلاث مرات، تدرّبونهم على ما علمكم الله من آداب الصيد وحيله، فكلوا مما أمسكت عليكم من الصيد، بأن لم تأكل منه شيئاً، فإن أكلت منه، فلما أمسكته على نفسها، فلا يحل، واذكروا اسم الله على الجراح عند إرساله للصيد، واتقوا الله بالتزام ما أمر به، واجتنب ما نهى عنه، إن الله سريع الحساب، أي سريع إتيانه، إذ يوم القيامة قريب. قال أبو رافع: أمرني رسول الله ﷺ بقتل الكلاب، فقال الناس: يا رسول الله، ما أحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٥- اليوم أحل لكم أيها المؤمنون كل ما تستطيعه النفس ولا يحرمه الشرع من المأكول، وذبائح اليهود والنصارى إذا لم نسمعهم يذكرون اسم غير الله، وطعام المسلمين حلال لأهل الكتاب، ومن الحلال: النساء الحرائر العفاف المومنات والكتابات، قاصدين إحصان أنفسكم بالزواج منهن، غير مجاهرين بالزنى، ولا متخذي صديقات للزنى بهن سراً، ومن يكفر بالله ويرسله نبيه محمد، فقد بطل عمله الصالح، وكان من الخاسرين في الآخرة إذا مات كافراً.

٦- يا أيها المؤمنون إذا أردتم القيام للصلاة فتوضؤوا حال الحدث، فاغسلوا وجوهكم بالماء، والوجه: من أعلى منابت الشعر إلى أسفل الذقن طولاً، وما بين الأذنين عرضاً، واغسلوا أيديكم إلى المرافق، والمرق: المفصل الذي بين الساعد والعضد، وامسحوا رؤوسكم أو بعضها بالماء، واغسلوا أقدامكم مع الكعبين: وهما العظمان الناثان في أسفل عظم الساق، وإن كنتم جنباً بسبب الجماع أو إنزال المنى، فاغتسلوا بالماء، وإن كنتم مرضى بمرض يمنع من استعمال الماء، أو مسافرين، أو قضيت حاجتكم بالبول أو الغائط، أو جامعت النساء، أو لمستم النساء عند الشافعية، فلم تجدوا ماء، فاقصدوا ما على وجه الأرض من تراب وغيره، حال كونه طاهراً غير نجس، فامسحوا بالتراب الوجه واليدين بضربتين: إحداهما للوجه والأخرى للذراعين، أو للكفين عند المالكية والحنابلة، ما يريد الله بطهارة الماء أو التراب إيقاعكم في المشقة، ولكن يريد تطهيركم من الذنوب، وإتمام نعمته عليكم بتشريع أحكام الإسلام، ومنها رخصة التيمم عند فقد الماء، لكي

يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُنِيعَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٠ وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيقَاتِ الَّذِي أَنْفَقْتُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ بَدَأَ الصُّدُورَ ١١ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ هَذِهِ أَلْفَيْسُطٌ وَلَا تَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقُوصٍ عَلَى الْإِلَاحِ تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٢ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ١٣

تشكروا نعمة الله عليكم، ويشيكم على الشكر.

٧- واذكروا نعمة الله عليكم بالهداية للإسلام، وتذكروا عهده الذي عاهدكم عليه، أي أمركم به، بوساطة رسوله ﷺ حين قلتم للنبي في البيعة على الإسلام: سمعنا قولك وأطعنا أمرك، واتقوا الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، إن الله عليم بخفيات الصدور كالنيات والأحقاد.

٨- يا أيها المؤمنون كونوا قائمين أتم قيام بكل ما عاهدتم عليه، معظمين الله ومخلصين له في ذلك، وكونوا شهوداً بالعدل من غير محاباة لأحد، ولا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم، وكنتم الشهاداة التي تنفعهم، اعدلوا مع جميع الناس، فالعدل أقرب لأن تتقوا الله، أو لأن تتقوا النار، واتقوا الله بالتزام شرائعه، إن الله مطلع على جميع أعمالكم ومجازيكم عليها.

٩- وعد الله وعداً جازماً حسناً المؤمنين الذين عملوا صالح الأعمال بالتزام الفرائض والطاعات، بستر ذنوبهم، وبالثواب العظيم وهو الجنة. ثم عقب تعالى في الآية بعدها بذكر حال الكفار لبيان الفرق.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ يَبْسُطُونَ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ
وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ
لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي
وَعَزَّيْتُمْ مَوْلَاهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ
عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ
ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ
لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلَسِيَةً يُخَرِّفُونَ الْكَلِمَ
عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ
تَطَّلُعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ
عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّا اللَّهُ نَحِبُ الْحَسَنِينَ ﴿١٣﴾

١٠- والذين جحدوا وجود الله ووجدانيته، وكذبوا بالآيات المنزلة على الرسل الكرام، أولئك لا غيرهم أصحاب النار خالدين فيها.

١١- يا أيها المؤمنون تذكروا نعمة الله عليكم حين عزم قوم: هم كفار قريش ويهود بني النضير على قتل النبي ﷺ ومن معه من أصحابه، غدرا، فأحبط مكيدتهم ودفع أذاهم عنكم، وخافوا الله بامثال تشريعاته، وليفوض المؤمنون أمورهم إلى الله، فهو حافظهم من سوء. قال ابن عباس: إن بني النضير هموا أن يطرحوا حجرا على النبي ﷺ ومن معه، فجاء جبريل، فأخبره بما هموا به، فقام ومن معه، فنزلت هذه الآية. وهذا رأي الجمهور. وقال جماعة فيما رواه جابر: سبب الآية فعل الأعرابي (غورث بن الحارث) في غزوة ذات الرقاع لبني محارب، وذلك أن النبي ﷺ نزل منزلا، فتفرق الناس في العشاء (الشجر البري) يستظلون تحتها، فعلق النبي ﷺ سلاحه بشجرة، فجاء أعرابي إلى سيفه، فأخذه فسله، ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال: من يمنعك مني؟ قال: الله،

وقال الأعرابي قوله مرتين أو ثلاثا، والنبي يقول: الله، فشام (أغمد) الأعرابي السيف، فدعا النبي ﷺ أصحابه، فأخبرهم بصنيع الأعرابي، وهو جالس إلى جنبه لم يعاقبه.

١٢- لقد أخذ الله العهد المؤكد على بني إسرائيل بالوفاء فيما أمرهم به في هذه الآية، وأرسلنا منهم اثني عشر نقيباً ليعلموهم الوفاء بالعهد، وهم زعماء أسباطهم أو قاداتهم، وقال الله لهم: إني معكم بالنصر والتأييد، لئن أدبتم الصلاة على الوجه الأكمل، وآتيتم الزكاة المفروضة عليكم، وصدقتم برسلي جميعاً، ونصرتهم وحميتهم من عدوهم، وأنفقتهم في سبيل الله ووجوه الخير ابتغاء رضوانه، لأمحون عنكم ذنوبكم، ولأدخلنكم في الآخرة جنات الخلد، فمن كفر بعد ذلك منكم بعد هذا الميثاق، فقد أخطأ، وخرج عن الطريق الموصل إلى رضوان الله والنجاة. وهكذا فعل النبي ﷺ مع الأوس والخزرج في بيعة العقبة قبل الهجرة إلى المدينة، عاهدهم بمثل ذلك وجعل عليهم اثني عشر نقيباً، والنقيب: كبير القوم.

١٣- فبسبب نقضهم ميثاقهم، طردناهم من رحمتنا، وجعلنا قلوبهم صلبة لا تلين لموعظة، ولا تعي خيراً، يتأولون ويبدلون التوراة على غير ما أنزلت، وتركوا نصيباً أو بعضاً مما ذكروا به من الميثاق والأوامر الدينية، ولا تزال أيها الرسول تتعرف على خيانتهم وكذبهم، إلا نفراً قليلاً منهم ممن آمنوا برسالتك، فتجاوز عن سيئاتهم، واصفح عن أخطائهم وأترك قتالهم، إن الله يحب، أي ييبس من أحسن وعفا وغفر. ثم نسخ ذلك بآية التوبة [٢٩/٩]: ﴿قاتلوا الذين...﴾.



١٤- وأخذنا أيضاً العهد المؤكد على النصارى بطاعة الله واتباع رسله، كميثاق بني إسرائيل، فتركوا أو أهملوا نصيباً أو جزءاً وافرأ من الميثاق المأخوذ عليهم، والأحكام الشرعية، فهي جنتنا وأوقعنا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى، أو بين النصارى خاصة، فصاروا أفرقاً وطوائف متناحرة، ومذاهب متنافرة، وكفر بعضهم بعضاً، ولا يزالون منقسمين متعادين إلى يوم القيامة، وسوف يخبرهم الله بسوء صنيعهم، وسيلقون جزاء نقض الميثاق.

١٥- يا أيها اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ يوضح لكم كثيراً مما تخفون من الكتاب المنزل عليكم، وهو التوراة والإنجيل، ويعفو عن كثير مما كنتمونه، كآية الرجم، ومسوخ أصحاب السبت قردة، قد جاءكم من الله نور هو القرآن أو الإسلام أو محمد ﷺ ينير لكم طريق الحق والهداية، وقرآن مبين (عطف تفسير).

١٦- يهدي الله بهذا القرآن، من اتبع في عمله ما يرضي الله، طرق السلامة والنجاة من مخاوف الدنيا والآخرة، ويخرجهم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، بإرادته وتوفيقه، ويؤشدهم إلى طريق قويم، هو الإسلام. ذكر ذلك ثانياً لبيان أن طريق السلام أو الإسلام مستقيم.

١٧- لقد صاروا كفاراً الذين قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم، قل لهم أيها الرسول: فمن يقدر أن يرد من أمر الله شيئاً، إن أراد إهلاك المسيح وأمه وجميع من في الأرض، ولو كان المسيح إلهاً، كما يزعم النصارى، لقد ر على أن يدفع عن نفسه الهلاك أو الموت عند نزوله به أو بأمه، فإذا عجز عن ذلك، فهو أعجز عن أن يدفع عنكم شيئاً من أمر الله، والله ملك جميع السموات والأرض وما بينهما، يخلق (يبدع) ما يشاء، والله قادر على كل شيء، لا يعجزه أمر من الأمور.

١٨- وقالت اليهود والنصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه، كما قالت اليهود عن عزيز: إنه ابن الله، والنصارى عن المسيح: إنه ابن الله، فلا يعذبنا، وتلك دعاوى باطلة، قل لهم أيها الرسول: إن صدقتم في ادعائكم: فلم يعذبكم في الدنيا بذنوبكم بالقتل والمسخ، وبالنار في الآخرة، كما تعترفون بذلك؟! فإن الحبيب لا يعذب محبوبه، وأنتم تعذبون، بل أنتم بشر من جنس خلقه كسائر عباده، يغفر لمن يشاء ذنبه بفضله، ويعذب من يشاء تعذيبه بعدله، والله ملك السموات والأرض وما بينهما، يتصرف في ملكه كيفما يشاء، وإليه المرجع والمآب يوم القيامة، يجازي كل واحد بحسب عمله.

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِنْهُمُ مَقَسَاتٍ مَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ مِن فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّونَهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّثْلُ النَّاسِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

١٩- يا أيها اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ يوضح لكم الدين الحق على انقطاع وجود أحد من الرسل، وكانت المدة الزمنية بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ٦١١ سنة حيث بعث محمد، كيلا تقولوا يوم الحساب معتذرين عن تفریطكم: ما جاءنا مبشر بالجنة ومنذر من النار، فلا تعتذروا، فقد جاءكم بشير ونذير، وهو محمد ﷺ الذي ولد سنة ٥٧١ م عام الفيل، والله قادر على كل شيء وعلى بعثة رسول وقت الحاجة إليه، فهو المتقذ، لا رب غيره.

٢٠- واذكر أيها النبي حين قال موسى لقومه: تذكروا واشكروا نعمة الله عليكم، حين بعث فيكم أنبياء كثيرين، وجعلكم كالمملوك مستقلين عن الغير في الحرية، بعد أن كنتم مملوكين مستعبدين لفرعون، أو جعل منكم ملوكاً، أي لكم بيوت وزوجات وخدم، وأعطاكم ما لم يعط غيركم من النعم الكثيرة كالمال والسلوى وتظليل الغمام وانفجار الماء من الحجر، وكثرة الأنبياء.

٢١- وقال موسى أيضاً: يا قوم ادخلوا فلسطين الأرض المطهرة من الوثنية، لكثرة ما بعث فيها من الأنبياء، التي قدر الله لكم دخولها في سابق علمه، ما دتمت صالحين بالإيمان والطاعة، فإذا فسدتم طردتم منها، ولا ترجعوا -مدبرين منهزمين- عن أمري وطاعتي بقتال الجبارين، فتعودوا خاسرين لخير الدنيا وثواب الآخرة.

٢٢- قال الإسرائيليون: يا موسى، إن في هذه الأرض المقدسة قوماً أشداء البطش والقوة، وهم الكنعانيون أو العماليق، والجبار: العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد، ولن ندخلها حتى يخرجوا منها، ويسلموها لنا صلحاً من غير قتال، فإن خرجوا منها فإننا داخلون إليها.

٢٣- قال لهم رجلان يخافان الله تعالى، هما يوشع وكالب بن يوفنا من النقباء الاثني عشر، أنعم الله عليهما بالإيمان والثقة بوعده الله لهم بالنصر: ادخلوا عليهم باب المدينة (بلد الجبارين) وأرهبوه، فإذا دخلتموه بغتة (أو على حين غرة) فأنتم منتصرون بإذن الله، قالوا ذلك ثقة بوعده الله تعالى.

٢٤- قال الإسرائيليون: يا موسى، إننا لن ندخل مدينة الجبارين أبداً، ما داموا مقيمين فيها، وكان هذا القول منهم فشلاً وجبناً، فاذهب أنت وربك وحدكما، فقاتلا الأعداء، إننا هنا قاعدون، لا نبرح المكان. وكان هذا القول جهلاً بالله وبصفاته، وكفراً به وبرسوله.

٢٥- قال موسى حيثئذ: رب لا أملك إلا نفسي وأخي هارون، لتصرة دينك، فاحكم بيننا وبين الفسقة، أي الخارجين عن طاعتك.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قُرَّةِ عَيْنٍ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ رَبِّكُمْ يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُومُوا ذُكُّرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَنْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ ۝ يَقُومُوا ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۝ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنُودُكَ خَلْقًا حَتَّى تَخْرُجُوا مِنْهَا قَالَتْ يَخْرُجُوا مِنْهَا وَإِنَّا فَاتٌ دَاخِلُونَ ۝ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفَاؤُنِ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِذْكُوا عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا ۝ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَنُودُكَ خَلْقًا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَازْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۝



٢٦- قال الله تعالى: فإن الأرض المقدسة محرمة على هؤلاء الإسرائيليين العصاة، بسبب امتناعهم من قتال الجبارين، أن يدخلوها مدة أربعين سنة، يتيهون في صحراء التيه: أرض سيناء، يتحiron ولا يهتدون إلى طريق الخروج منها، وكان معهما موسى وهارون اللذان ماتا في التيه، ولما مضت الأربعون سنة نهض بهم يوشع بن نون، ودخل بالجيل الجديد فلسطين، فلا تحزن يا موسى على تعذيب القوم الخارجين عن طاعة الله تعالى.

٢٧- واقتصر أيها النبي على قومك خير قايل وهابيل، كما حصل حقيقة، حين قرب كل منهما قرباناً: وهو ما يتقرب إلى الله تعالى من ذبائح وصدقات وغيرها، فتقبل الله قربان هابيل، وكان كبشاً لأنه كان راعي غنم، واختارها من أجود غنمه، ولم يتقبل الله قربان قايل، وكان حزمة سنبل؛ لأنه كان مزارعاً، واختارها من أردأ زرع، فغضب على أخيه، وقال له غيره وحسداً: لاقتلنك، لأنه تقبل الله قربانه، قال هابيل: إنما يتقبل الله من أهل التقوى الذين يخشون الله ويلتزمون بأوامره، كأنه قال: بسبب عدم تقواك.

٢٨- لئن قصدت قتلي ظلماً وعدواناً، فلن أقصد قتلك، وهذا إشار وتضحية بالنفس منعاً من ظلم الآخرين، إني أخاف عقاب الله بالاعتداء عليك.

وهذا في شريعة آدم، أما في شرعنا فيجوز الدفاع عن النفس، بل أوجبه بعضهم؛ لأنه نهى عن المنكر. والأولى في حال الفتنة والشبهة ترك الدفع.

٢٩- إني أريد أن ترجع إلى ربك، حاملاً إثم (ذنب) قتلي وذنبك الأصلي الذي هو السبب في عدم قبول قربانك.

٣٠- فزيت أو سهكت له نفسه قتل أخيه هابيل، فقتله ظلماً وحسداً، فأصبح قايل من الخاسرين في الآخرة، لقتله أخاه، فيعذب بشطر عذاب أهل النار، وبالشطر الآخر لتحمله جزءاً من جرائم القتل الواقعة على الناس؛ لأنه أول من سن القتل.

٣١- حار قايل فيما يفعل بجثة أخيه، وكيف يواريه، لكونه أول ميت مات من بني آدم، فأرسل الله غرايين فاقتتلا، وقتل أحدهما الآخر، فحفر له ثم حثا عليه التراب، ليعلمه الله كيف يستر جثة أخيه التي يسوؤه أن يراها بارزة، فقال قايل: يا وليتي، وهي كلمة تحسر عند وقوع ما يؤلم، أعجزت عن أن أكون مثل هذا الغراب، فأواري جثة أخي، فواراه بدفته في التراب، وأصبح نادماً على قتله.

٣٢- من أجل وقوع هذه الجريمة العدوانية، حكمنا على بني إسرائيل أي والناس كافة: أنه من قتل نفساً عمداً عدواناً، بغير قتل نفس يوجب قصاصاً، أو قتلها بغير فساد في الأرض، كالردة وقطع الطريق وسفك الدماء ظلماً، فكأنما قتل جميع الناس، فاستحق جهنم وغضب الله ولعنته، ومن أنقذها من غرق أو حرق أو هدم أو عفا عمن وجب قتله، فكأنما أحيا جميع الناس وأنقذهم من الهلاك، فاستحق شكرهم، ولقد جاءتهم رسلنا ببينات الشرائع والأحكام، ثم إن كثيراً من بين إسرائيل يعد ذلك لمسرفون في الأرض، بارتكاب المعاصي ومخالفة أوامر الله، وقتل الأنبياء.

قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَأَنَّا نَأْسُ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ وَأَتَىٰ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْخُبَرِ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيْ يَدِكَ لِيُتَقَاتِلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبَأَ يَأْتِي وَإِثْمُكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَفَتَنَّهُ فَاصْبِرْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابَيْنِ بِتِجْوَةٍ فِي الْأَرْضِ لِيُزَيِّنَ بَيْنَ يَوْرِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يَوْلِيكَ أَعْمَزْتَ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغَرَابِ فَأَوْرِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ اللَّتْدِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنْ قَتَلُوا نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ نُوحُنَا بِآيَاتِنَا ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾

٣٣- إنما جزاء الذين يحاربون أولياء الله ورسوله، أي عباد الله، ويفسدون في الأرض بقطع الطريق وإثارة الفتن والإخلال بالأمن والاعتداء على الأنفس والأموال: أن يقتلوا إن قتلوا، أو يصلبوا إن قتلوا وأخذوا المال، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، بقطع اليد اليمنى من الرسغ والرجل اليسرى من الكعب فقط، إن أخذوا المال ولم يقتلوا، أو ينقوا من الأرض، أي يبعدوا إلى بلد آخر إن أخافوا الناس، ولم يقتلوا ولم يأخذوا مالاً، ذلك الجزاء لهم ذل في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب شديد في النار. قال ابن عباس والضحاك: إنها نزلت بسبب قوم من أهل الكتاب نقضوا العهد مع الرسول ﷺ وقطعوا الطريق، وأفسدوا في الأرض. وقال الجمهور: نزلت في قوم من عكّل وعرينة (وهما قبيلتان) قتلوا رعاء إبل المسلمين واستاقوا الإبل، فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم، فأتى بهم، وأمر أن يفعل بهم مثلما فعلوا بالرعاة، معاملة بالمثل. والآية هي في الحارب المؤمن.

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٤ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَوْا أُولَٰئِكَ عَنْ اللَّهِ عُفُورٌ رَجِيمٌ ٣٥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجِدْهُدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٣٦ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَالًا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَشْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٣٧ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ٣٨ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٣٩

٣٤- إلا الذين تابوا عن المحاربة قبل القدرة عليهم، فلا يعاقبون بشيء من العقوبات المذكورة، والله يقبل التوبة عن عباده التائبين فيما يتعلق بحقوق الله، ويجب رد حقوق العباد كالأموال إلى أصحابها.

٣٥- يا أيها المؤمنون اتقوا الله بالتزام شرائعه وأحكامه، واطلبوا ما يتوصل به إلى رضاه تعالى، وهو العمل الصالح، والوسيلة: القربة، وجاهدوا لإعلاء كلمة الدين، لتفوزوا بالنجاة والجنة.

٣٦- لو يفتدي الكفار بجميع ممتلكات الدنيا، وضعفها، من العذاب الأخروي، لم يقبل منهم الفداء، ولهم عذاب مؤلم موجه.

٣٧- يريد الكفار الخروج من النار بمختلف الوسائل، فلا يخرجون منها أبداً، ولهم عذاب دائم. وهذا لا يشمل عصاة المؤمنين.

٣٨- وحكم أي سارق: وهو أخذ أموال الآخرين خفية من حرز المثل بمقدار النصاب الشرعي وهو ربع دينار: قطع اليد من الرسغ، ردعاً له بما ارتكب من جريمة السرقة، وعقوبة له من الله، وتعذيب شديد يكون به عبرة لغيره، والله قوي لا يغالب، حكيم في صنعه وتدبيره. قال الكلبي: نزلت في طعمة بن أبيرق سارق الدرع، كما تقدم في قصته في سورة النساء [١٠٥].



٣٩. فمن تاب من السرقة، وندم على ما مضى، من بعد ارتكابها، وقبل رفعها إلى الحاكم، وأصلح عمله برد الشيء المسروق إلى صاحبه، وأصلح سائر أعماله، فإن الله يقبل توبته، إن الله كثير المغفرة لمن استغفر، رحيم بمن تاب وأناب.

٤٠. ثم نبه الله تعالى إلى علة أحكام المحاربين والصوص بقوله: ألم تعلم أيها الرسول أن الله مالك السموات والأرض والمتصرف فيها بحكمته وعدله، يعذب من يشاء تعذيبه، ويغفر لمن يشاء المغفرة له، والله قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء في الدنيا والآخرة.

٤١. يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الوقوع في أسباب الكفر وفي الكفر عندما تسنح لهم الفرصة، من المنافقين الذين أظهروا الإيمان بالستهم، ولم تؤمن قلوبهم، فأخفوا كفرهم، ومن اليهود قوم سماعون لكذب أخبارهم المحرفين للتوراة، ويستمعون لأقوال أقوام آخرين لم يحضروا مجلسك تكبراً وعمداً، أو ينقلون

الكلام لهم، فهم جواسيس، والسماعون: كثيرو التسمع للكذب والافتراء، يدلون كلام التوراة أو يتأولونه على وجه غير صحيح أو يخفونه، وما بدلوه: رجم الزناة، جعلوا بدل تسويد الوجه، يقولون: إن أوتيت من جهة محمد هذا الحكم المخالف للتوراة، وهو الجلد والتحميم مكان الرجم، فاقبلوه منه، وإن لم تؤتوه بل جاءكم بغيره، وهو الرجم، فاحذروا من قبوله والعمل به، ومن يرد الله ضلالتة بسبب انحرافه وكفره، لا تستطيع إنقاذه من الضلال، أولئك الضالون، لم يرد الله تطهير قلوبهم من الكفر والنفاق، كما طهر قلوب المؤمنين، لهم في الدنيا ذل وهوان بظهور نفاقهم وتحريفهم وكتهم لما أنزل الله في التوراة، ولهم في الآخرة عذاب شديد في النار. نزلت في رجل وامرأة يهوديين زنيا، وكانت اليهود جعلت تسويد الوجه بدلاً عن الرجم، فأتوا النبي ﷺ ليحكم لهم بما كانوا يحكمون، ليحتجوا بذلك عند الله، فأمر برجمهما.

٤٢. سماعون لكذب أخبارهم سماع قبول، أكلون للمال الحرام كالرشوة والربا وأجر الزنا، فإن احتكموا إليك أيها الرسول، فلك الخيار بين الحكم فيهم أو الإعراض عنهم، ثم نسخ التخيير بقوله تعالى: ﴿وَأَن احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة ٤٩/٥] وإن تعرض عن الحكم بينهم، فلا سبيل لهم عليك، ولن يقدروا على الإضرار بك، وإن حكمت بينهم فاحكم بالعدل، إن الله يحب العادلين في الحكم ويرضى عنهم.

فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ
إِنَّ اللَّهَ عَفُودٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ
وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ
أَلَّذِينَ يَسْتَعْجِلُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا
بِأَفْرَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ
لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَوْ أَن تَوَكَّلْتُمْ عَلَى الْكَافِرِ
مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ
وَإِنْ لَمْ تَأْتَوْهُ فَأَحْذَرُوا وَمَن يَرِدِ اللَّهُ فِتْنَتُهُ فَلَن تَمْلِكَ
لَوْ مَنَّ اللَّهُ سَيِّئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَوْ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُظْهِرَهُ
قُلُوبُهُمْ لَمَن فِي الذَّنْبِ آخِزِي وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ
فَإِن جَاءَ وَلَدٌ فَأَحْكُم بَيْنَهُمُ ارْأَوْعَرْضْ عَنْهُمُ وَإِن
تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَصُرُوا لَكَ شَيْئًا وَإِن حَكَمْتَ
فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾

٤٣- وكيف يحكمونك أيها الرسول، وعندهم حكم الله الواضح في التوراة كالرجم ونحوه، ولكنهم يطمعون بفعلهم هذا موافقة أهوائهم وتحريفاتهم، فإذا لم يوافق الحكم هواهم، أعرضوا عن حكمك بعد التحكيم، وهم في الواقع ليسوا بالمؤمنين برسالتك ولا بكتابهم.

٤٤- إنا أنزلنا التوراة على موسى فيها هدى ونور ببيان الشرائع، والإرشاد إلى سعادة الآخرة والدنيا، يحكم بالتوراة لليهود الأنبياء من بني إسرائيل كموسى ومن بعده، الذين اتقادوا لأوامر الله تعالى، ويحكم بها العلماء الربانيون: أهل الورع والحكمة، والأخبار: علماء اليهود، بما جعلهم الله حفظه عليه من التوراة والعمل بها، وكانوا رقباء على التوراة يحمونها من التغيير والتبديل، فلا تخشوا الناس يا علماء اليهود، وخافوا مني، ولا تتركوا العمل بآياتي في التوراة لتأخذوا بدل ذلك عوضاً حقيراً أثلاً من متاع الدنيا مقابل كتمانها، ومن لم يحكم بما أنزل الله وحكم

وَكَيْفَ يُحْكَمُ لَكُمْ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَقُولُونَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّاتُونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ وَلَا تَتَرَوْا بَيَاتِي غُثًّا قَلِيلًا وَمَنْ لَوْ يَخْتَكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ نَأْتِيَ نَفْسًا بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ مَنْ نَصَّدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَنْ لَوْ يَخْتَكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآيَاتِهِ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾

بحكم آخر، فهم الكافرون، وهذا موجه لكل من ولي الحكم. نزلت في قصة رجل من اليهود وامرأة زنيا، وذهب إلى النبي ﷺ بقصد التخفيف، فسألهم عن حكم الزنى في التوراة فقالوا: التحميم (التسويد) والجلد، والتجبيه، أي التطواف بالزاني والزانية على حمار بجلدة مقلوبة، ثم أقرؤا بالرجم، فحكم به، وأمر بهما فرجما.

٤٥- وفرضنا على اليهود في التوراة القصاص بقتل النفس بالنفس، وفقر العين بالعين، وجذع الأنف بالأنف، وقطع الأذن بالأذن، وقلع السن بالسن، والقصاص في الجروح بأن يقتص من الجاني بمثل فعله، عند إمكان المماثلة، وإلا حكم بالتعويض، فمن عفا عن حق القصاص من الجاني، كان العفو كفارة له، يكتفر الله عنه به ذنوبه، ومن لم يحكم بما أنزل الله في القصاص وغيره، فهم الظالمون ظلماً عظيماً لأنفسهم، فيعاقبون في الآخرة.

٤٦- ثم بعثنا عيسى رسولاً، متبعاً آثار أنبياء بني إسرائيل، مصدقاً لما سبقه من التوراة، وأنزلنا عليه الإنجيل مشتملاً على الهدى من الضلال، والنور من عمى الجهالة، ومصدقاً لما سبقه من التوراة وأحكامها، وهداية وموعظة للمتقين الذين يخافون الله وعذابه، وخص المتقون بالذكر؛ لأنهم المقصودون في علم الله، وإن كان الجميع يُدعى ويُوعظ. والهدى: الإرشاد لتوحيد الله وأحكامه، والنور: ما فيه مما يستضاء به.

وَلِحُكْمِ أَهْلِ الْإِنْجِيلِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ يُؤْمَرْ بِمَا أَنْزَلَ
 اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ
 بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم
 بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ
 لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ
 أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَأَسْبِقُوا
 الْفِرَارَ إِلَى اللَّهِ مَرَجَعُكُمْ جَمِيعًا فَتُبَيِّنَ اللَّهُ لَكُمْ فِي تَحَلُّوْنَ
 ﴿٤٨﴾ وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ
 وَاتَّخِذْ زُمَرًا مِّنْ بَنِيكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ
 تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ
 وَإِنْ كَثُرُوا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ لَقَدْ كُنتُمْ أَجْهَلِيَّةَ
 يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقُونَ
 ﴿٥٠﴾ بَنَاتُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْذَرُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى
 أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ مِّنْ بَعْضٍ مِّنْكُمْ
 فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾



٤٧- وليحكم أهل الإنجيل النصارى بما أنزل الله فيه
 من الأحكام، فإنه قبل البعثة النبوية حق، وأما بعدها
 فعليهم العمل بالقرآن؛ لأنه ناسخ لجميع الكتب المنزلة
 السابقة في فروعها، ومن لم يحكم بما أنزل الله فهم
 الخارجون عن طاعة الله تعالى.

٤٨- وأنزلنا إليك أيها النبي القرآن متضمناً حقائق
 الأمور وأنه حق في نفسه لإصلاح العباد، ومصداقاً
 لما تقدمه من الكتب الإلهية، ورقياً مؤمناً عليها، يقر
 الحق ويظهر خطأ ما حرفوه، فاحكم أيها النبي بين أهل
 الكتاب إذا ترفعوا إليك بما أنزل الله في القرآن، ولا
 تتبع في حكمك أهواء أهل الملل السابقة، فتتحرف
 عما جاءك من الحق الذي أنزل الله عليك؛ لأن كل ملة
 تهوى ما هم عليه وإن كان محرّفاً، كما حدث في
 الرجم ونحوه مما حرفوه من التوراة، لكل أمة جعلنا
 شريعة تتبعها، ومنهاجاً: طريقاً واضحاً في الدين
 تسلكه، وهذا قبل نسخ الشرائع السابقة بالقرآن،
 وأما بعده فلا شرع إلا ما جاء في القرآن، فيجب على
 أهل الكتاب وغيرهم العمل بشريعة القرآن، ولو شاء
 الله لجعلكم أيها الناس أمة واحدة متفقة على شريعة
 واحدة، ولكن لم يشأ الله ذلك، بل أراد تنويع
 الشرائع في العصور والأزمان، ليختبركم باختلاف

الشرائع، وهذه هي العلة، لا اختلاف المصالح باختلاف الأزمان، فسارعوا إلى أعمال الخير والصلاح، لتفوزوا
 برضوان الله، إلى الله مرجعكم جميعاً أيها البشر، فيخبركم باختلافاتكم في أمور الدين، ويحاسبكم على ذلك.

٤٩- ثم كرر الأمر تحذيراً من التضليل، فقال تعالى: وأن احكم أيها النبي بين أهل الكتاب وغيرهم بما أنزل الله،
 ولا تتبع أهواءهم وتحريفاتهم إحقاقاً للحق وإبطالاً للباطل، واحذرهم أن يضلوك عن بعض ما أنزل الله إليك،
 فترك العمل به، فإن أعرضوا عن قبول حكمك بما أنزل الله عليك، فذلك لمجازاتهم ببعض ذنوبهم، وهو الإعراض
 عما جئت به، وإن كثيراً من الناس لخارجون عن طاعة الله تعالى. قال ابن عباس: جاء بعض علماء اليهود
 فقالوا: يا محمد نحن أحبار اليهود، ولو اتبعناك لاتبعت اليهود كلهم، وإن بيننا وبين أناس من قومنا
 خصومة، ونريد أن نتحاكم إليك، فإن قضيت لنا، أعلننا صدقك، فأبى ذلك رسول الله ﷺ، فأنزل الله
 تعالى فيهم: ﴿واحذرهم﴾.

٥٠- أيتفقون حكم الجاهلية القائم على الجور والتسلط والشهوات، ولا يقبلون بحكم الله، ولا أحسن من
 حكم الله لقوم يوقنون بصدق التنزيل المحكم في القرآن، وأما غيره فهو حكم أهل الجهل والأهواء.

٥١- يا أيها المؤمنون لا تتخذوا اليهود والنصارى أصدقاء تطلعونهم على أسراركم، فإنهم أعداء لكم، بعضهم
 أنصار بعض، تخوفاً من قوتكم واتحادكم، ومن يتخذهم أنصاراً، فقد صار منهم، لرضاء بموالاة أعداء الله، إن الله
 لا يوفق الظالمين لأنفسهم بموالاة أعداءه. نزلت في عبد الله بن أبي حينما قال: إني رجل أخاف الدوائر،
 ولا أبرأ من ولاية اليهود، وأما عبادة بن الصامت فقد تبرأ من ولاية اليهود، وأوى إلى الله ورسوله،
 فنزلت فيهما الآية.

٥٢- فترى الذين في قلوبهم مرض يسرعون فيه يقولون تحشى الدين، يسارعون في مودة اليهود والنصارى يقولون: نخشى أن تصيبنا مصيبة، بأن تظهر الكفار بمحمد ﷺ فتكون الدولة لهم، ولا تنتصر دعوته، فنخسر ولاهم ويصيبنا مكروه، فرد الله عليهم بأنه ربما يجيء النصر من الله لرسوله والمؤمنين على أعدائهم، أو يأتي أمر من الله بقتل أعداء الإسلام وقضيحة المنافقين وكسر شوكة اليهود، فيصبح المنافقون على ما أسروا من النفاق الباعث على الموالاة نادمين على ذلك.

٥٣- ويقول المؤمنون لليهود مشيرين إلى المنافقين بعد فضيحتهم: أهؤلاء الذين أكدوا أيمانهم تأكيداً شديداً، إنهم لمعكم بالمناصرة في القتال، بطلت أعمالهم الصالحة بنفاقهم، فأصبحوا خاسرين في الدنيا بالفضيحة والآخر بالعباب الأليم.

٥٤- ثم شرع الله تعالى في بيان أحكام المرتدين بعد بيان حكم موالاة الكفار، فبايها المؤمنون من يرجع منكم عن دينه الإسلام إلى الكفر، فسوف يأتي الله بقوم آخرين هم خير منكم يرضى عنهم، ويخلصون الله العمل ويعطيهم في كل أمر ونهي، متواضعين لإخوانهم المؤمنين، أشداء على الكفار، يقاتلون لإعلاء كلمة الله، ولا يخافون لومة لائم في نصرة دينهم، بل هم في غاية

الصلابة، ذلك فضل الله يعطيه من يشاء من عباده، والله واسع الفضل، عليم بمن يستحق الإنعام.

٥٥- لا ناصر لكم أيها المؤمنون إلا الله ورسوله وأهل الإيمان الذين يؤدون الصلاة كاملة الأوصاف في أوقاتها، ويؤتون الزكاة المفروضة لمستحقها، وهم خاضعون لأمر ربهم، فلا يترفعون على فقير. والولي: من تجب موالاته، والركوع هنا: الخشوع والخضوع. نزلت هذه الآيات فيمن ارتد من القبائل في عهد النبي ﷺ وهم بنو مدلج وبنو حنيفة وبنو أسد. وقال جابر: نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه الذين شكوا إلى النبي هجر بني قريظة والنضير لهم، وأقسموا ألا يجالسوهم، فقال ابن سلام: رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء.

٥٦- ومن يستنصر بالله ورسوله والمؤمنين الصادقين القائمين بنصر شرع الله، فإن أنصار دين الله هم الغالبون، لتأييد الله لهم بنصره. وسبب النزول: ما تقدم من تمسك عبد الله بن أبي بحلفه مع بني قينقاع، وتبرؤ عبادة من حلفهم.

٥٧- يا أيها المؤمنون لا تولوا المتخذين للدين هزواً ولعباً، من المشركين والكتابين، فلا تتخذوهم أنصاراً تؤدونهم، وإن أظهروا لكم الود والمحبة، وخافوا عذاب الله بموالاتهم، إن كنتم مؤمنين، فالؤمن يخاف الله، ولا يوالي أعداء الله. نزلت في رجال من المسلمين كانوا يوادون رجلين أظهرهما الإسلام، ثم نافقا.

٥٨- وإذا أذن مؤذنكم للصلاة، سخطوا واستهزؤا من دعوتكم، بسبب أنهم قوم جاهلون طائشون، لا يعقلون حقيقة العبادة. كان بعض اليهود إذا سمع الأذان سخطوا به، وقالوا: لعن الله الكاذب، فإذا صلى المسلمون ضحكوا منهم وسخروا بهم، وقالوا: قوموا صلوا، اركعوا على طريق الاستهزاء والضحك، فنزلت هذه الآية.

فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ لَدِينٍ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَعْيُنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُجَاهِدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُعْمِلُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنْ حَزَبَ اللَّهُ شَيْئًا فَهُوَ أَعْلَبُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِثْلَ آبَائِكُمْ أَوْ أَبْنَاءِكُمْ أَوْ إِخْوَانِكُمْ أَوْ عَمَلِكُمْ وَالْكَافِرُ الْأُولَىٰ وَالْكُفْرُ الْآخِرَةُ وَالْعُتَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٧﴾ ثُمَّ شَرَعَ اللَّهُ تَعَالَى فِي بَيَانِ أَحْكَامِ الْمُرْتَدِّينَ بَعْدَ بَيَانِ حُكْمِ مَوَالَاةِ الْكَافِرِ، فَبَايَ أَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ مَنْ يَرْجِعُ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ الْإِسْلَامَ إِلَى الْكُفْرِ، فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ آخَرِينَ هُمْ خَيْرٌ مِنْكُمْ يَرْضَى عَنْهُمْ، وَيُخَلِّصُونَ اللَّهَ الْعَمَلَ وَيُعْطِيهِمْ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَنَهْيٍ، مُتَوَاضِعِينَ لِإِخْوَانِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ، أَشْدَاءَ عَلَى الْكَافِرِ، يُقَاتِلُونَ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ فِي نَصْرَةِ دِينِهِمْ، بَلْ هُمْ فِي غَايَةِ

٥٩- قل أيها النبي: يا معشر اليهود والنصارى، هل تكفرون منا وتعييرون علينا إلا إيماننا بالله وبالقرآن والكتب المنزلة على جميع الأنبياء، وأن أكثركم خارجون عن طاعة الله، بترك الإيمان وامتنال أوامر الله تعالى؟

٦٠- قل أيها الرسول: هل أخبركم بما هو أولى من العيب الذي عبتونا به بالإيمان، وهو ما أنتم عليه من الكفر الموجب للعنة الله وغضبه، جزاء ثابتاً عند الله، إنه عمل من طرده الله من رحمته، وغضب عليه، فأخزاه في الدنيا وهم اليهود قتل الأنبياء وعبد العجل، ومسخ بعضهم قرده، وبعضهم خنازير، وهم اليهود أصحاب السبت، ومسخ من النصارى خنازير كفار مائدة عيسى، وعبد الطاغوت: الشيطان أو الكهنة، والمراد: الخضوع لكل طاغية جبار، أولئك الموصوفون بما ذكر شر منزلة يوم القيامة من غيرهم، وأبعد عن طريق الرشاد. نزلت في نفر من اليهود سألوا النبي ﷺ عن من يؤمن به من الرسل، فأجاب بالمدكور في الآية [١٣٦] من البقرة، ولما ذكر عيسى جحدوا نبوته، وقالوا: والله ما نعلم أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم، ولا ديناً شراً من دينكم، فنزلت الآية.

٦١- وإذا جاءكم منافقوا اليهود أظهروا الإيمان

بدينكم كذباً، ودخلوا عليكم كفاراً وخرجوا كفاراً كما دخلوا، لم يؤثر فيهم ما سمعوا من النبي ولم يفارقهم الكفر لحظة، والله أعلم بما يضمرونه عندك من الكفر.

٦٢- وترى أيها الرسول كثيراً من هؤلاء اليهود يسارعون في الوقوع في الإثم: وهو الكذب، والاعتداء على أموال الناس، والظلم، وأكلهم المال الحرام كالربا والرشوة، لبش ما يعملون من القبائح.

٦٣- هلا ينهاهم الربانيون (أهل الورع من اليهود) والأخبار (علماء اليهود) عن قول الكذب، وأكل المال الحرام، لبش ما يصنعون من السكوت عن إنكار المنكر، وترك الأمر بالمعروف.

٦٤- وقالت اليهود إذا حصل جذب وطلب منهم الإنفاق في الخير: يد الله مغلولة عن الإمداد بالرزق، أي أن الله بخيل، قيّدت أيديهم بالأغلال عن فعل الخير، وهو دعاء عليهم بالبخل، وطردها من رحمة الله بسبب قولهم هذا: يد الله مغلولة، بل يد الله مبسوطان: كتابة عن العطاء الواسع الكثير، فهو في غاية الجود، يتفق كيف يشاء بحسب علمه وحكمته، وليزيد المنزل إليك من القرآن عن أحوالهم وأخبارهم وشرع الله كثيراً من اليهود والنصارى طغياناً وكفراً (أي تغالي في التكذيب وإمعاناً في الجحود) على كفرهم وغلوهم، بسبب الحسد والكفر بالقرآن، وألقينا بين اليهود والنصارى العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، كلما أشعلوا نار الحرب والفتنة والكيد على النبي والمؤمنين، ردهم الله خائبين، فلم يحققوا فائدة، ويجتهدون في الإفساد، وإثارة الفتنة والكيد للمسلمين، والله يجازي الفاسدين في الأرض. قال ابن عباس: قال رجل من اليهود يقال له: النباش بن قيس، إن ربك بخيل لا يتفق، فأنزل الله: ﴿وقالت اليهود: يد الله مغلولة...﴾

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُونَ مَا لَكُمْ آمَنَّا بِهِ اللَّهُ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِشِرِّ مَنْ ذَلِكَ سُوءٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَعْتَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ لَطُفُوتٍ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءَكُمْ فَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسِرُّونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ الشَّيْءَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا نَهْنُهُمُ الرِّبَايُونَ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ الشَّيْءَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدُهُ مَبْسُوطَتَانِ يُبْذَرُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَنُيَسِّدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارَ الْحَرِّ أَظْفَافَهَا اللَّهُ وَبَسَّعُونَ فِي الْأَرْضِ فساداً وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِدِينَ ﴿٦٤﴾

٦٥- ولو أن الكفايين: اليهود والنصارى آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ كما أمرت كتبهم المنزل عليهم، واتقوا المعاصي كالشرك بالله وجحود رسالة رسول الله، لكفّرنا ذنوبهم التي اقترفوها، ولأدخلناهم الجنان مع المسلمين.

٦٦- ولو أنهم عملوا بأحكام التوراة والإنجيل التي منها الإيمان برسالة محمد ﷺ، واتبعوا المنزل إليهم من ربهم في سائر كتب الله، لتمتعوا بالرزق الواسع والعيش الهنيئ من كل جانب، منهم جماعة معتدلة في الدين، وهم المؤمنون الذين دخلوا في الإسلام، وكثير منهم قبحت أعمالهم وهم المصرون على الكفر، المنكرون لرسالة محمد ﷺ.

٦٧- يا أيها الرسول بلغ جميع ما أنزل إليك من القرآن، لا تكتم منه شيئاً، ولا تخشى مكروهاً، وإن لم تبلغ وكتمت بعض ذلك، فما بلغت رسالة ربك، وقد بلغ الرسول فعلاً لأمته ما أنزل إليهم، والله يحفظك ويحميك من أذى الناس وإساءاتهم، فلا يوجد أي مانع يمنعك من تبليغ جميع ما أوحى الله به إليك، إن الله لا يوفق الكفار للخير والصلاح. قال رسول الله ﷺ فيما ذكر الحسن البصري: إن الله بعثني برسالة، فضقت بها ذرعاً، وعرفت أن

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَآ ذُنُوبُهُمْ حَتَّىٰ تُنْفِرَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْمَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ فَأَنَّهُمْ مُّقْصِدَةٌ ۝ وَكَبِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ۝ يٰٓأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَوْ تَفَعَّلَ فَمَا تَلَعْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ ٱلْكَافِرِينَ ۝ قُلِ يٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُبَيِّنُوا ٱلَّتَّوْرَةَ وَٱلْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَٰيْزِدَنكُمْ كِتَابَ ٱلَّذِينَ قَدْ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلصَّابِقُونَ وَٱلنَّصَارَىٰ مِنْ أَمَمٍ ۚ ٱللَّهُ وَٱلْيَوْمُ ٱلْآخِرُ وَحَسْبُ ٱلصَّالِحِينَ ۝ عَلَيْهِمُ وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلصَّابِقُونَ وَٱلنَّصَارَىٰ مِنْ أَمَمٍ ۚ ٱللَّهُ وَٱلْيَوْمُ ٱلْآخِرُ وَحَسْبُ ٱلصَّالِحِينَ ۝ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَرَأْسُنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كَلَّمَآ جَاءَهُمْ رُسُلٌ بِمَا لَآ يَهْتَوُونَ أَنفُسَهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ۝

الناس مكذبي، فوعدني لأبلغن أو ليعذبن، فنزلت: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك...﴾. وقال النبي ذات ليلة: ألا رجل صالح يحرسنا الليلة، فأرسل الله سعداً وحذيفة لحراسته، ثم نام فنزلت هذه الآية: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ فقال: «انصرفوا أيها الناس، فقد عصمني الله».

٦٨- قل أيها الرسول: يا معشر الكفايين، لستم على شيء من الدين الحقيقي يعتد به، حتى تعملوا بجميع ما في التوراة والإنجيل ومنه اتباع محمد ﷺ، وبما أنزل إليكم من ربكم وهو القرآن، وليزيدن كثيراً من أهل الكتاب ما أنزل إليكم من ربك في القرآن غلوأ في التكذيب، وإمعاناً في الكفر، إلى كفرهم وطغيانهم، فلا تحزن على عدم إيمان القوم الكافرين برسالتك، ففي المؤمنين بك كفاية. نزلت في جماعة من اليهود قالوا للنبي ﷺ: فإننا نأخذ بما في أيدينا، فإننا على الحق والهدى، ولا نؤمن بك، ولا نتبعك، فأنزل الله: ﴿قل: يا أهل الكتاب...﴾.

٦٩- إن الذين صدقوا بالله ورسوله، وهم المسلمون، واليهود، والنصارى، والصابئون عبدة الكواكب والنجوم، من آمن منهم بالله واليوم الآخر إيماناً حقاً، وعمل صالح الأعمال كما أمر الله، فلا خوف عليهم أبداً من عذاب يوم القيامة، ولا يحزنون على لذات الدنيا ونعيمها.

٧٠- لقد أخذنا العهد المؤكد على بني إسرائيل بأن يعملوا بالتوراة، وأرسلنا إليهم رسلاً ليعرفوهم بالشرائع والأحكام وينذروهم، لكن كلما جاءهم رسول بما يعارض أهواءهم، كذبوا بعض الرسل كعيسى وأمثاله، وقتلوا البعض الآخر كزكريا ويحيى عليهم السلام.



٧١- وظن اليهود ألا يتعرضوا للبلاء والاختبار والعذاب العظيم بقتل الأنبياء وتكذيب الرسل اعتماداً على زعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، فعموا عن إصهار الهدى، وصموا أذانهم عن استماع الحق من أنبيائهم، فخالفوا أحكام التوراة وقتلوا أشعياء، ثم تاب الله عليهم حين تابوا، فكشف عنهم القحط ونجاههم من إذلال البابليين، ثم عمي كثير منهم وصموا بعد تبين الحق بنبوة محمد ﷺ وقبل ذلك بقتل زكريا ومحاولة قتل عيسى، والله مطلع على أعمالهم ومجازيهم في الآخرة، وقليل منهم مقصد.

٧٢- لقد كفر القائلون: إن الله هو المسيح، وهم اليعقوبية أو الملكانية، قالوا: إن الله حل في ذات عيسى، فرد الله عليهم بأن المسيح قال لبني إسرائيل: اعبدوا الله ربي وربكم، خالقي وخالقكم، فكيف يكون العبد العابد إلهاً؟! إنه من يتخذ شريكاً لله، فقد منعه الله الجنة أبداً، ومسكنه النار أبداً، وليس لظالمي أنفسهم عبادة غير الله أعوان ينقلونهم من العذاب الأخروي.

٧٣- لقد كفر القائلون: إن الله ثالث ثلاثة:

الأب والابن وروح القدس، وهم الطائفة الثانية غير المذكورة في الآية السابقة القائلون هم ثلاثة وهم واحد، والثالثة هي المذكورة في الآية الآية [١١٦] ولا إله بحق في الوجود إلا الله سبحانه، فهو المستحق للعبادة، وإن لم يكفوا عما يقولون من هذه الأباطيل وترك الكفر، ليتعرض الكفار منهم إلى عذاب مؤلم في النار.

٧٤- هلا يتوبون إلى الله عما قالوا، ويطلبون المغفرة عما اقترفوا من أعظم جريمة وهي الشرك، والله كثير المغفرة للذنوب التائبين، رحيم بهم.

٧٥- ما المسيح إلا رسول بشر كسائر الرسل الذين مضوا من قبله، ومعجزاته مثل بقية الرسل لا توجب كونه إلهاً، مثل خلق آدم من غير أب، وعصا موسى، وأم عيسى مبالغة في الصدق فيما تقوله، وهي وابنها عيسى بشران يأكلان الطعام كسائر البشر، ومن احتاج إلى الطعام لا يكون رباً أو إلهاً، لأنه لو ترك الأكل هلك، والرب لا يموت، انظر أيها الرسول كيف نوضح لهم الأدلة الدالة على وحدانيتنا، وانظر كيف يصر فهم الشيطان عن التأمل في البراهين وعن الحق إلى الباطل بعد هذا البيان.

٧٦- قل أيها الرسول لهم: أتعبدون من غير الله من لا يضر ولا ينفع - والمراد هنا المسيح وأمه - وتتركون عبادة الله القادر على كل شيء؟! والله هو السميع للأقوال، العليم بكل شيء خفي أو علني، ومن كان كذلك فهو الإله الحق.

وَحَسِبُوا أَن لَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُوا وَكَفَرُوا تَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَآلَهُ بَصِيرًا يَأْمُرُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنبَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُوا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَمَّ يُصَدِّقَهُ كَمَا بَأْكَلَانِ الطُّعَامِ أَنْظِرْ كَيْفَ تُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَكُمْ لَعَلِكُمْ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

٧٧. قل أيها الرسول: يا معشر النصارى، لا تتجاوزوا حد المعقول، ولا تتغالوا في المسيح بادعاء الوهيته أو بنوته لله، فتركوا الحق إلى الباطل، ولا تتبعوا أهواء أسلافكم من اليهود والنصارى قبل البعثة المحمدية، فإنهم انحرفوا عن الحق، وأضلوا كثيراً من الناس بنشر الكفر والضلال قديماً، وضلوا بعد البعثة عن السير في الطريق القويم.

٧٨. طرد من رحمة الله كفار بني إسرائيل في الزبور على لسان داود، وفي الإنجيل على لسان عيسى بسبب العصيان والاعتداء، مثل كفرهم بعيسى، واعتدائهم في السبت وقتل الأنبياء، وما ذكر فيما يأتي.

٧٩. كانوا لا ينهي بعضهم بعضاً عن معصية تفعل، أو يهيا لفعلها، بل يرضون بها، لبس ما فعلوا من معاصير، وتركوا من إنكار المنكر.

٨٠. ترى كثيراً من اليهود يصادقون المشركين ويوالونهم، ويتحالفون معهم لمحاربة النبي ﷺ والمسلمين، لبس ما قدموا لأنفسهم في الآخرة، غضب الله عليهم، وهم خالدون في نار جهنم، يكثر فيها أبداً.

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَبَّهُونَ عَنْ مَنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَقُولُونَ الذِّينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ يَخِطَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الْعَذَابِ هُوَ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مَا آخَذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ۖ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِبَ سَبِينَ وَرَهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

٨١. ولو كان اليهود يؤمنون حقاً بالله وبالنبي موسى وبما أنزل عليه في التوراة، ما اتخذوا المشركين أولياء وأنصاراً لهم من دون المؤمنين، ولكن كثيراً منهم خارجون عن ولاية الله وطاعته.

٨٢. لتجدن أيها الرسول وكل من يصلح للخطاب أشد جميع الناس معاداة للمؤمنين برسالتك: اليهود والمشركين في مكة، ولتجدن النصارى أتباع عيسى أقرب الناس مودة للمؤمنين؛ لأن في النصارى قسماً (علماء) في التوراة والإنجيل ورهباناً (زهاداً عباداً) في الصوامع يعلمون الناس التواضع لله ونفع الناس والتماس الحق، ولا يستكبرون عن قول الحق واتباعه، خلافاً لليهود. نزلت في وفد النجاشي - وكانوا ثلاثة وثلاثين رجلاً - الذين قدموا من الحبشة على الرسول ﷺ وآمنوا به، وبكوا لما قرأ عليهم سورة يس، وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام. وقال آخرون: نزلت في وفد الرسول ﷺ من المهاجرين الذين حملوا كتاباً من النبي للنجاشي، فلما قرؤوا عليهم سورة مريم، آمنوا بالقرآن، وفاضت أعينهم من الدمع.

٨٢. لتجدن أيها الرسول وكل من يصلح للخطاب أشد جميع الناس معاداة للمؤمنين برسالتك: اليهود والمشركين في مكة، ولتجدن النصارى أتباع عيسى أقرب الناس مودة للمؤمنين؛ لأن في النصارى قسماً (علماء) في التوراة والإنجيل ورهباناً (زهاداً عباداً) في الصوامع يعلمون الناس التواضع لله ونفع الناس والتماس الحق، ولا يستكبرون عن قول الحق واتباعه، خلافاً لليهود. نزلت في وفد النجاشي - وكانوا ثلاثة وثلاثين رجلاً - الذين قدموا من الحبشة على الرسول ﷺ وآمنوا به، وبكوا لما قرأ عليهم سورة يس، وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام. وقال آخرون: نزلت في وفد الرسول ﷺ من المهاجرين الذين حملوا كتاباً من النبي للنجاشي، فلما قرؤوا عليهم سورة مريم، آمنوا بالقرآن، وفاضت أعينهم من الدمع.



٨٣- وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفْقِضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأُنْهِمُهُمُ اللَّهُ بِكَافٍ أَوْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِإِطْعَامِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا نَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْتُمْهُمْ أَوْ تَحْرِيرِ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَرَةُ الْإِيمَانِ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

٨٤- وقالوا ردأ على اليهود: وما لنا لا نؤمن بالله وحده وبما جاءنا من الحق على لسان رسوله ﷺ، ونرجوا أن يدخلنا ربنا في جنته مع القوم الصالحين من الأنبياء وأتباعهم الأوفياء المؤمنين.

٨٥- فأنابهم (جازاهم) الله بسبب هذا القول المقول بصدق وإخلاص، وأعلنوا به عن اعتقادهم، جنات تجري الأنهار من تحت أشجارها ومسكنها، ماكثين فيها إلى الأبد، وذلك الثواب جزاء للحسنين الذين أحسنوا في اتباعهم الحق، وأحسنوا القول والعمل.

٨٦- والذين جحدوا الدين الحق، وكذبوا بآيات القرآن، أولئك أصحاب الجحيم: سكان جهنم.

٨٧- يا أيها المؤمنون لا تحرموا الطيبات (المستلذات) التي أحلها الله لكم، بقصد الزهد، أو

التقرب إلى الله، ولا تتجاوزوا حدود الحلال والحرام، فتحلوا ما حرم الله عليكم، إن الله يعاقب أو يجازي الذين تخطوا حدود الله وشريعته.

٨٨- وأبيح لكم أيها المؤمنون أن تأكلوا من رزق الله الذي رزقكم إياه، حلالاً: غير محرم، طيباً: غير مستقذر، من المطاعم والمشارب، وخافوا الله بالتزام شريعته، الذي تؤمنون به، فإن الإيمان الحق بالله خير باعث على التقوى والعمل الصالح. نزلت فيمن حرم اللحم على نفسه، وفي جماعة لازموا الصلاة ليلاً، والصوم نهاراً، وتركوا النساء، وكانوا عشرة.

٨٩- لا يؤاخذكم الله في أيمان اللغو، ولا تجب فيها الكفارة، وهي ما يجري على اللسان من غير قصد الحلف، مثل قول الشخص: لا والله، وبلى والله، في كلامه غير معتقد لليمين، ولكن يؤاخذكم بأيمانكم المعقودة (الموثقة) بالقصد والنية، إذا حثتم فيها، وكفارة اليمين المعقودة عند الحنث: إطعام عشرة مساكين، من المتوسط الذي تطعمون منه أهليكم، وهو ما جرت العادة أن تأكلوه، من غير إسراف ولا تقتير، غداء وعشاء، بمقدار نصف صاع من بُرٍّ أو تمر (والصاع ٢٧٥١ غم) أو قيمة ذلك، أو كسوة كل مسكين ثوباً واحداً يستر البدن، أو إعتاق مملوك من الرقيق، والحالف الموسر الحانث مخير بين هذه الخصال الثلاث، فمن لم يجد هذه الخصال بأن كان فقيراً معسراً، فيكفيه صيام ثلاثة أيام متتابعات أو متفرقات، واحفظوا أيمانكم، فلا تحلفوا بدون سبب قوي، وبروا بها ولا تحثوا إذا كانت في طاعة غير معصية، ومثل ذلك البيان، يبين الله لكم أحكام شريعته، لتشكروا ما أنعم الله به عليكم من بيان الشرائع والأحكام. نزلت في القوم الذين كانوا حرموا النساء واللحم على أنفسهم، بأيمان حلفوا بها، لبيان كيفية ما يصنعون بأيمانهم الخلوقة.

٩٠- يا أيها المؤمنون إنما الشراب المسكر، وأنواع القمار، والأصنام المنصوبة للعبادة، والأزلام (قِداح الميسر) شيء نجس مستقذر، والرجس والرجز يشمل المستقذر حساً كالهيئة، والخمر هنا، والمستقذر معنى كالميسر وما ذكر هنا بعده، فاتركوه وابتعدوا عنه أشد البعد، وهذا يدل على التحريم وزيادة وهي التنفير منه، مثل الأمر القرآني باجتناب الشرك والوثنية وشهادة الزور، لتفوزوا في الدنيا بالسعادة والطمأنينة، وفي الآخرة بالجنة ونعيمها. نزلت بسبب سعد بن أبي وقاص الذي شرب خمرًا قبل تحريم الخمر، وخاصم رجلاً على شراب لهما، أو لقوله: المهاجرون خير من الأنصار، فضربه صاحبه بكفي رأس جمل، فجذع أنفه أو جرحه، فنزلت فيهما.

٩١- إنما يريد الشيطان بوسوسته لارتكاب هذه المنكرات أن يقع بينكم العداوة والبغضاء بشرب الخمر، ولعب الميسر؛ لأنهما مصدر الشرور في الدنيا، وفيهما مفساد دينية وهي الصد عن ذكر الله وعن الصلاة المفروضة لإضاعة دينكم ودنياكم، فهل أنتم تاركون لها نهائياً؟ فقال عمر وبقية الصحابة: انتهينا يا رب انتهينا، وأراقوا ما لديهم من الخمر.

٩٢- وأطيعوا الله ورسوله في الأمر باجتناب الخمر والميسر وبقية المحرمات، واحذروا مخالفة الله ورسوله، فإن أعرضتم عن الطاعة، فإن مهمة النبي تنتهي بالتبليغ الواضح.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا إِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُؤْخَذَ مِنْكُمْ بَيْعَتٌ مِّنَ اللَّهِ يَشَاءُ وَمَن أَصْدَقُ بِمَا عَهِدَ اللَّهُ مِنْ فَتَاهُ يَلْقَاهُ فِي الْغَيْبِ فَحِينَئِذٍ يَمُدُّكَ فَهُوَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْسُوا الصَّيْدَ وَالْأَرْحَامَ وَمَن قَسَىٰ فَإِنَّهُ يَمُوتُ مَوْتًا قَاتِلًا مِّمَّنْ أَقْسَىٰ عَلَىٰ النَّفْسِ أَلَّا يَتَّقُوا وَاللَّهُ يَتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٥﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ نَارًا كَبِيرًا وَلَئِن سَأَلْتُمُ النَّاسَ مَاذَا لَكُمْ يَقُولُونَّ سَأَلْتُمُ النَّاسَ مَا لَمْ يَأْتِكُمْ مِّنَ اللَّهِ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَكُمُ الْبَيِّنَاتُ أَوْ الْفُتُورُ أَوْ يَكُونَ لَكُم مِّنَ اللَّهِ حُكْمٌ أَوْ قَوْلٌ مِّنَ اللَّهِ فَتَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾

٩٣- ليس على المؤمنين الذين عملوا الصالحات كالجهاد في سبيل الله ثم فيما تناولوا من المطاعم التي يشتهونها، فأكفوا أو شربوا، أو شربوا الخمر قبل التحريم، إذا اتقوا الشرك والمحرمات بعد التحريم كالخمر وغيرها، وآمنوا بالله ورسوله وقرآنه، وعملوا صالح الأعمال التي ترضي الله، ثم اتقوا ما حرم بعد التحريم واستمعوا على التقوى، وصدقوا بالتحريم وازدادوا إيماناً بالله، ثم اتقوا المحرمات من الصغائر وغيرها، وأحسنوا العمل وأتقنوه، والله يرضى عن المحسنين أعمالهم ويثيبهم ثواباً كريماً. قال البراء بن عازب: مات بعض الصحابة، وهم يشربون الخمر، فلما حرمت قال أناس: كيف لأصحابنا، ماتوا وهم يشربونها؟ فنزلت هذه الآية: ﴿ليس على الذين آمنوا...﴾.

٩٤- يا أيها المؤمنون ليخبرنكم الله بتحريم الصيد البري في حرم مكة أو أنتم محرمون بحج أو عمرة، تتمكنون من الصيد بالأيدي والرماح من غير مشقة، ليظهر ما يعلمه الله من أحوال الخائفين منه سراً، كما يخافونه جهراً، فمن اعتدى بعد النهي بالصيد في حال الإحرام، فله عذاب مؤلم في نار جهنم. وهذا مثل ابتلاء بني إسرائيل بعدم الاعتداء في السبت.

٩٥- يا أيها المؤمنون لا تقتلوا الصيد في حال الإحرام بحج أو عمرة أو في حرم مكة، ومن قتله متعمداً غير مخطئ فعليهِ جزاء مماثل لما قتله من الأنعام (الإبل والبقر والغنم) يحكم بالجزاء المثل رجلان عدلان مسلمان، ويفعل بالجزاء مثلاً يفعل بالهدي، فيُرسل إلى حرم مكة ويذبح هنالك، ويوزع لحمه على مساكين الحرم، أو يدفع طعاماً للمساكين وهو مدغم أو ير لكل مسكين مماثل لقيمة الجزاء، أو يصوم يوماً عن طعام كل مسكين، وهذا تخيير بين الأصناف المذكورة، ليذوق عقوبة فعله، عفا الله عما سلف من قتل الصيد قبل التحريم والكفارة، ومن عاد إلى قتل الصيد عمداً وهو محرم، فيعذبه الله في الآخرة بذنبه، والله قوي لا يغلب، منتقم من العصاة المخالفين.



أَجَلْ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلْغَنَاءِ وَحُرْمَةٌ
عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿١١﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا
لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَدَ ذَلِكَ لَتَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴿١٣﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ
وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿١٤﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِي فِي الْآلِبِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿١٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ شَيْءٍ إِنْ بُدِّ
لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ سَأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ أَنْ تُبَدَّ
لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٦﴾ قَدْ سَأَلَهَا
قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٧﴾ مَا جَعَلَ
اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَذَلِكَ يَعْقِلُونَ ﴿١٨﴾

٩٦- أَيْحَ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَالنَّهْرِ وَلَوْ أَتَيْنَا الْإِحْرَامَ،
وَمَا أَقْنَاهُ الْبَحْرُ أَوْ طِفَا عَلَيْهِ تَتَّبِعًا وَمَنْعَةً لِلْمَقِيمِينَ
وَلِلْمُسَافِرِينَ، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ مُحْرَمِينَ
أَوْ صَادَهُمْ لِأَجْلِكُمْ غَيْرَ مُحْرَمِينَ، وَخَافُوا عَذَابَ اللَّهِ الَّذِي
تُجْمَعُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

٩٧- جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ وَمَا حَوْلَهَا وَهِيَ الْبَيْتُ الْحَرَامُ
مَقَرًّا لِقِيَامِ النَّاسِ بِأَمْرِ دِينِهِم بِالْحَجِّ، وَدُنْيَاهُمْ بِالْأَمْنِ فِيهِ
وَنَصْرِ الضَّعِيفِ وَرِيحِ التَّجَارَةِ فِيهِ، وَكَذَلِكَ الْأَشْهُرُ الْحَرَمُ
(وَهِيَ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبٌ) مَأْمَنًا مِنْ
الْقِتَالِ وَطَلَبِ حَقِّ الدَّمِ مِنَ الْقَاتِلِ، وَكَذَلِكَ الْهَدْيِ (مَا
يَهْدَى لِلْحَرَمِ مِنَ الْأَنْعَامِ) وَذُو الْقَلَادَةِ مِنَ الْهَدْيِ، فَإِذَا
أَعْلَمَهُ صَاحِبُهُ بِقِلَادَتِهِ وَنَحْوِهَا، فَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُ أَحَدٌ،
لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَالِمُ كُلِّ مَا فِيهِ الصَّلَاحُ وَالْخَيْرُ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا
فِي السَّمَاءِ.

٩٨- وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ لِمَنْ يَخَالَفُ
أَمْرَهُ، وَأَنَّهُ غَفُورٌ لِمَنْ تَابَ، رَحِيمٌ بِهِ.

٩٩- لَيْسَ عَلَى الرَّسُولِ هِدَايَةُ النَّاسِ، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ قَطْ
تَبْلِيغُهُمُ الْوَحْيَ الْإِلَهِي، فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِلدَّعْوَةِ، لَمْ
يُضْرَوْا إِلَّا أَنْفُسُهُمْ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَظْهَرُونَ مِنَ الْأَقْوَالِ
وَالْأَفْعَالِ، وَمَا تَخْفُونَ مِنَ النِّيَّاتِ وَالْمَقَاصِدِ.

١٠٠- قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ: لَا يَتَسَاوَى الْحَرَامُ وَالْحَلَالُ،

وَالْكَافِرُ وَالْمُؤْمِنُ، وَالْعَاصِي وَالطَّائِعُ، وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْمُفْسِدِينَ، فَاتَّقُوا اللَّهَ بِاجْتِنَابِ الْحَرَامِ وَالتَّزَامِ الْحَلَالِ، لَتَفُوزُوا فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ جَمَعَ مِنْ بَيْعِ الْخَمْرِ قَبْلَ تَحْرِيمِهَا مَا لَا، وَيُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ فِيهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ، فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنَّهُ لَا
ثَوَابَ لَهُ فِي إِتْفَاقِهِ فِي حَجٍّ أَوْ جِهَادٍ أَوْ صَدَقَةٍ، إِنْ لَمْ يَتَّقِ إِلَّا الطَّيِّبَ، فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَصْدِيقًا لَهُ هَذِهِ الْآيَةَ.

١٠١- يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَا تَسْأَلُوا فِي فِتْرَةِ نَزُولِ الْوَحْيِ عَنْ أَشْيَاءٍ لَا تَعْنِيكُمْ فِي أَمْرِ دِينِكُمْ، إِنْ ظَهَرَتْ سَاءَتُكُمْ، لِأَنَّ
السُّؤَالَ فِي ذَلِكَ قَدْ يَكُونُ سَبَبًا لِلإِجَابِ، وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ نَزُولِ الْوَحْيِ تَظْهَرُ لَكُمْ، عَفَا اللَّهُ عَنْ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي
سَكَتَ عَنْهَا الْقُرْآنُ، وَاللَّهُ غَفُورٌ لِمَنْ اسْتَغْفَرَ، حَلِيمٌ لَا يَعْجَلُ بِالْعُقُوبَةِ. نَزَلَتْ فِي سُؤَالِ قَوْمٍ أَسْأَلُوا اسْتِزْهَاءً، مِثْلَ أَيْنَ نَاقَتُهُ
الضَّالَّةُ، وَمَنْ أَبَوُهُ، وَفِي الْأَفْرَعِ بْنِ حَابِسٍ حِينَ سَأَلَ عَنْ الْحَجِّ كُلِّ عَامٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ، لَوُجِبَتْ، وَلَمَّا
اسْتَطَعْتُمْ.

١٠٢- قَدْ سَأَلَ قَوْمٌ مِنَ السَّابِقِينَ عَنْ مِثْلِهَا مَا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا أَجِيبُوا عَنْ أَحْكَامِهَا، لَمْ يَعْمَلُوا بِهَا لِمَشْقَتِهَا، ثُمَّ
صَارُوا بِهَا كُفْرًا لَتَرْكِهِمُ الْعَمَلَ بِهَا. وَالْقَوْمُ: مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلُوا إِمَّا بِلِسَانِ الْمَقَالِ، أَوْ بِلِسَانِ الْحَالِ مِثْلَ الرِّهَابِيَّةِ الَّتِي
لَمْ يَصْرَحُوا بِطَلِبِهَا وَإِنَّمَا فَعَلُواهَا.

١٠٣- مَا شَرَعَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْرِيمَ الْبَحِيرَةِ (وَهِيَ النَّاقَةُ الَّتِي تَشَقُّ أُذُنُهَا وَيَجْعَلُ دَرَاهِمًا لِلطَّوَاغِيتِ أَيْ الْأَصْنَامِ،
لَوْلَا دَهْنُهَا خَمْسَةُ أَبْطُنٍ إِنَاثٌ آخَرُهَا ذَكَرٌ) وَالسَّائِبَةِ (الَّتِي تَسَيَّبَ لِأَهْلَتِهِمْ يَنْذِرُ إِنْ شَفِيَ أَحَدُهُمْ مِنْ مَرَضٍ أَوْ بَلَغَ مَنْزِلَهُ)
وَالْوَصِيلَةَ (وَهِيَ الشَّاةُ الَّتِي تَلِدُ ذَكَرًا وَأُنْثَى، فَيَقَالُ: وَصَلَتْ أَخَاهَا) وَالْحَامَ (الْفَعْلُ مِنَ الْإِبِلِ الَّذِي خَرَجَ مِنْ صِلْبِهِ عَشْرَةٌ
أَبْطُنٍ، فَيُحْمَى ظَهْرُهُ مِنَ الرُّكُوبِ وَالْحَمْلِ) وَلَكِنَّ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْعَرَبِ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ بِتَحْرِيمِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ
وَأَكْثَرَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ أَنَّ ذَلِكَ اقْتِرَاءٌ عَلَى اللَّهِ وَتَعْطِيلٌ لِلْعَقْلِ وَالْفِكْرِ.

١٠٤- وإذا قيل للمشركين: تعالوا إلى تطبيق ما أنزل الله من أحكام القرآن، وإلى الرسول المبلغ لها، قالوا: لن نؤمن بالقرآن ولا بالرسول، وكافينا دين آبائنا، فرد الله عليهم: هل ييقنون على دين آبائهم ولو كانوا جهلة ضالين، لا يعلمون حقيقة الحلال والحرام، ولا يهتدون إلى طريق الحق؟!

١٠٥- يا أيها المؤمنون الزموا إصلاح أنفسكم بمراقبة الله تعالى، وإرشاد الجاهل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن فعلتم ذلك لا يضركم من ضل إذا هتدوتم، إلى الله مرجعكم جميعاً يوم القيامة، فيخيركم بأعمالكم ويجازيكم عليها. نزلت حينما قبل النبي ﷺ الجزية من أهل الكتاب والجوس، فقال منافقو العرب، عجباً من محمد، يزعم أن الله بعثه ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا، ولا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب، فلا نراه إلا قبل من مشركي أهل هجر ما رد على مشركي العرب، فنزلت.

١٠٦- يا أيها المؤمنون إذا حضرت علامات الموت يكون الإشهاد على الوصية شهادة اثنين عدلين عارفين مسلمين على الموصي به، أو شهادة اثنين آخرين من غير المسلمين في السفر على الوصايا، تحجزونهما

وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون ﴿١٠٤﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَبِئْسَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَاصْنُكُم مَّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسَبُوهُمَا مِّنْ بَعْدِ أَصْلَابِهِمَا فَبِئْسَ مَا يَفْعَلُ الْإِنسَانُ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عَجَزَ عَنِ الثَّانِي مَنَافِقُ الْعَرَبِ عَجِبُوا مِنْ مُحَمَّدٍ أَنْ يَقُولَ اللَّهُ بِعَثَةِ لَيْقَاتِلِ النَّاسِ كُلَّهُ حَتَّى يُسَلِّمُوا وَلَا يَقْبَلِ الْجَزْيَةَ إِلَّا مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلَا نَرَاهُ إِلَّا قَبْلَ مَنْ مَّشَرَكِي أَهْلِ هَجَرَ مَا رَدَّ عَلَى مَّشَرَكِي الْعَرَبِ فَنَزَلَتْ.

لأداء اليمين بعد صلاة العصر، إن كانا مسلمين ولا فبعد صلاتهما في دينهما، وهو الوقت الذي يخاف فيه من الكذب، فإن شككتم في صدقهما، فيحلفان بالله، لا ينبع حظنا من الله تعالى بعوض حقير من الدنيا، أي لا نستبدل بصدق القسم عرضاً دنيوياً، فلا نكذب لأجل المال المدعى به، ولو كان المشهود له قريباً، ولا تكتم شهادة الله الحق المأمور بها، فإنا إن فعلنا ذلك، فتحزن إذن من العاصين. نزلت في رجلين نصرانيين كانا يترددان بالتجارة إلى مكة، فصحبهما قرشي من بني سهم، فمات في الطريق، وأوصاهما بتركته، فدفعاهما إلى أهله، وكنما جاماً (كاساً) فضيا منقوشاً بالذهب، ثم وجد عند قوم من أهل مكة، مع أنهما حلفا أمام النبي ﷺ: ما كنما ولا اطلعا، فأخذه أقارب السهمي، وحلف رجلان منهم بالله: إن هذا الحمام جام صاحبنا، وشهادتنا أحق من شهادتهما، وما اعتدنا، فنزلت.

١٠٧- فإن أطلع بعد التحليف على أن الشاهدين فعلا ما يوجب الإثم من خيانة أو كذب في الشهادة أو اليمين، فيشهد أو يحلف على ما هو الحق اثنتان آخران يقومان مقام الأولين، من الورثة الذين استحق عليهم الوصية، ويكون الشاهدان من أقرب الناس للميت، فيحلفان بالله ليميننا أصدق من يمينهما، وما تجاوزنا الحق في اليمين، فإنا إن اعتدنا بنسبتهما إلى الخيانة أو الكذب، أي كذبتنا، نكن من الظالمين لأنفسهم.

١٠٨- ذلك الحكم وهو رد اليمين على الورثة أقرب إلى أن يأتي الشهود على الوصية بالشهادة على وجهها الصحيح من غير خيانة ولا تحريف، أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم على الورثة المدعين، فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم، فيفتضح أمرهم، واتقوا الله بترك الخيانة والكذب، واسمعوا المأمور به سماع قبول، والله لا يوفق القوم الخارجين عن طاعته، ولا يهديهم إلى سبيل الخير.



١٠٩ - اذكر أيها الرسول يوم يجمع الله الرسل وهو يوم القيامة، فيقول الله: ماذا أجابتمكم به أقوامكم الذين بعثكم الله إليهم؟ قالوا إظهاراً للعجز والتفويض إلى الله: لا علم لنا أمام علمك المحيط بكل شيء، إنك تعلم جوابهم، وتعلم ما غاب عن الناس وما خفي منهم وما ظهر.

١١٠ - اذكر أيها الرسول حين قال الله: يا عيسى اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك التي اصطفتها بقصد تعريف الأم بما لهما من ميزة وكرامة، وتوبيخ من اتخذهما إلهين، حين قويتك بروح القدس: جبريل عليه السلام، تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي عَهْدِ الطُّفُولَةِ، وَالْكَهُولَةِ بَعْدَ بُلُوغِ الثَّلَاثِينَ لِتَبْلِيغِ رِسَالَةِ رَبِّكَ، وَحِينَ عَلَّمْتِكَ الْكِتَابَ أَوْ الْخَطَّ الَّذِي يَكْتُبُ بِهِ، وَالْعِلْمَ النَّافِعَ وَفَهْمَ الْمَعَانِي، وَعَلَّمْتِكَ التَّوْرَةَ الْمُنَزَّلَةَ عَلَى مُوسَى، وَالْإِنْجِيلَ الْمُنَزَّلَ عَلَيْكَ، وَإِذْ تَوَجَّدَ وَتَصَوَّرَ مِنَ الطِّينِ شَيْئاً كَهَيْئَةِ أَوْ كصورة الطير بإرادتي، فتنفخ في تلك الهيئة المصورة، فتكون طيراً حياً متحركاً بأمرى، وتبرئ الأكمة

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ ۖ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالدِّيكِ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ أَخْرَجُ الْمُوتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنِ إِذْجَنَّهُمْ بِالْبَيْتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ تُبْرِئُ ۖ وَإِذْ أُوحِيَ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۖ إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هَلْ سَيَطْمِئُرُ رُبُّكَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ تَتَّقُونَ اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَ وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ۖ

(الذي ولد أعمى) والأبرص (المصاب بالبرص): وهو يياض في الجسد يورث الحكمة الشديدة) بإذني وأمرى، وإذ تخرج الموتى من قبورهم أحياء بأمرى، فالفعل الحقيقي لله، وعيسى مجرد وسيلة، واذكر نعمتي عليك حين صرفت ومنعت عنك بني إسرائيل حين هموا بقتلك، بعد أن جثتهم بالبراهين والمعجزات الواضحة الدالة على نبوتك، فقال الكافرون منهم: ما هذا الذي أتيتنا به إلا سحر واضح.

١١١ - وحين ألهمت الخواريين (وهم خلصاء عيسى وصحبه الأصفياء) أن يؤمنوا بي إلهاً واحداً، وبرسالة رسولي، فقالوا: آمنا بالله وبرسوله إيماناً حقاً، واشهد يا رب بأننا صادقون مخلصون في إيماننا.

١١٢ - واذكر حين قال الخواريون (تلاميذ عيسى) على سبيل طلب الطمأنينة مثلما طلب إبراهيم عليه السلام إحياء الموتى: هل يعطيك ربك ويوجب طلبك أن ينزل علينا مائدة من السماء (وهي الخوان الذي يوضع عليه الطعام، وهو شيء مرتفع عن الأرض) والمراد هنا الطعام نفسه، قال لهم عيسى: خافوا الله، ودعواكم من هذا السؤال ونحوه، إن كنتم صادقين في إيمانكم.

١١٣ - قال الخواريون: نريد أن نأكل من هذه المائدة، وتطمئن قلوبنا بكمال قدرة الله، ونعلم علماً يقينياً بأنك صدقتنا في نبوتك، ونكون على هذه الآية من الشاهدين على بني إسرائيل الذين لم يحضروها.

١١٤- قال عيسى داعياً، لما رأى إصرار الخواريين وقصدهم بإنزال المائدة: اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء يكون لنا يوم نزولها يوم عيد وسرور لمن عاصرنا ولمن يأتي بعدنا، وتكون دليلاً واضحاً علي قدرتك وصحة رسالة رسولك، وارزقنا رزقاً نستعين به على شكرك وعبادتك، وأنت أفضّل الرازقين، وخير من أعطى، بل لا رازق في الحقيقة غيرك.

١١٥- قال الله تعالى مجيباً سؤال عيسى عليه السلام: إني منزل عليكم هذه المائدة، فمن يكفر منكم بعد نزولها، فإني أعذبه تعذيباً لا أعذب مثله أحداً من العالمين: عالمي زمانهم؛ لأنه كفر بعد مشاهدة دليل حسي طلبه، قال ابن عباس: نزلت المائدة على عيسى ابن مريم والحواريين: خوان عليه سمك وخبز، يأكلون منه أينما تولوا إذا شاؤوا.

١١٦- اذكر يا محمد يوم القيامة الذي يقول الله سبحانه فيه لعيسى: أنت قلت للناس: اتخذوني مع أمي إلهين من دون الله؟ قال عيسى: أنزهك تنزيهاً، ما ينبغي لي أن أقول ما لا يحق لي قوله، إن كنت قلت هذا القول، فقد علمته سابقاً قبل

قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا واية منك ورزقاً وأنت خير الرازقين ﴿١١٤﴾ قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحد من العالمين ﴿١١٥﴾ وإذا قال الله لعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأخي إلهين من دون الله قال سبحك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت أعلم بالغيوب ﴿١١٦﴾ ما قلت لهم إلا ما أمرني به أن أعبدوا الله ربي وربكم وكنتم عليه شهوداً فاتدبرت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴿١١٧﴾ إن تعدبهم فأنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴿١١٨﴾ قال الله هذا يوم نرفع الصديقين صدقهم لهم جنت تجري من تحتهما الأنهار خلدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ﴿١١٩﴾ لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير ﴿١٢٠﴾

السؤال، تعلم ما أكتمه في صدري من أسرار، ولا أعلم ما تخفيه من علومك الذاتية في نفسك، إنك أنت وحلك العليم المحيط بالغيبات: وهو كل ما غاب عن الحواس والإدراكات البشرية.

١١٧- ما أمرتهم في العقيدة والعبادة إلا ما أمرتني، وكنت المراقب الشاهد على أعمالهم وأحوالهم أمنهم عن مخالفة أمرك، فلما قبضتني إليك، ورفعتني إلى السماء، كنت أنت المراقب الشاهد عليهم، وأنت شاهد على كل شيء، لا تخفى عليك خافية، وتشهد لي حين كنت فيهم. والوفاة هنا عند الأغلب: وفاة الرفع إلى السماء، وليس الموت.

١١٨- إن تعذب هؤلاء على ضلالهم، فإنهم عبادك تملك أن تفعل فيهم ما تشاء، وذلك عدل، وإن تغفر لهم، فأنت القوي القادر على ذلك، الحكيم في أفعاله. والمقصود من قول عيسى الاستعطاف وتقويض الأمور كلها إلى الله؛ لأن عيسى يعلم أن الله لا يغفر الشرك.

١١٩- قال الله: هذا يوم القيامة الذي ينفع فيه صدق الصادقين في إيمانهم في الدنيا، ولهؤلاء الصادقين جنت تجري من تحت غرفها وأشجارها الأنهار، ماكثين فيها أبداً، رضي الله عنهم بما عملوا من الطاعات الخالصة له، ورضوا عنه بهذا الثواب الذي جازاهم به، ذلك هو الظفر المطلوب على أتم الأحوال.

١٢٠- الله تعالى مالك السموات والأرض وما فيهن من الخلائق كلهم، دون عيسى وسائر المخلوقات، فلا والده ولا ولد، والله قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء، ولا يحتاج إلى نصير ينصره.

سورة الأنعام

فضلها: وهي مكية إلا ست آيات منها، نزلت جملة واحدة، قال ابن عباس: نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة واحدة، حولها سبعون ألف ملك يجارون بالتسبيح. أولهم زجل بالتسبيح والتحميد.

١- الشناء والشكر بالجسميل على فعل الله الحسن، وبدأ به؛ لأن الحمد كله لله، وللرد على الجاعلين معه إلهاً آخر، فهو موجد السموات والأرض عن تقدير وحكمة، لا على مثال سابق، وهو جاعل ظلمة الليل ونور النهار، وبالرغم من هذا الخلق والإبداع، ترى الكفار يجعلون له شريكاً في العبادة. والجعل: إيجاد شيء له تعلق بشيء آخر.

٢- الله الذي خلق أصلكم آدم من طين، ثم قدر أجلاً محدداً لكل مخلوق وهو الموت، وعنده أجل مسمى معين وهو القيامة، ثم أيها المشركون تشكون في البعث وقدرة الله عليه.

٣- وهو الله المعبود بحق، المتصرف في السموات والأرض، يعلم سركم: وهو ما تخفونه في صدوركم، وجهركم: وهو ما تعلنونه من أقوالكم وأفعالكم، ويعلم ما تعملون من خير أو شر، ويجازيكم عليه.

٤- وما يأتي المشركين من معجزات الأنبياء الدالة على قدرة الله ووحدانيته إلا أعرضوا عنها.

٥- وكذبوا بأعظم من تلك الآيات (المعجزات) وهو القرآن الحق لما جاءهم من عند الله، فسوف يأتيهم أخبار ما كانوا به يستهزون، أي سيجدون العقاب المناسب لهم في الدنيا والآخرة عند إرساله إليهم.

٦- ألم يعلم هؤلاء المكذبون بالقرآن كم أهلكنا من قبلهم من الأمم السابقة، والقرن: أهل كل عصر، والمتوسط نحو مئة عام، وأعطيتهم من القوة وطول العمر، ما لم نعطكم يا أهل مكة، وأهلكناهم جميعاً، فأنتم أهون، وأرسلنا عليهم المطر مدراراً: غزيراً مستتابعاً، وجعلنا الأنهار تجري من تحت مساكنهم وأشجارهم، فأهلكناهم بذنوبهم، وأوجدنا من بعدهم جماعة آخرين.

٧- ولو نزلنا عليك أيها النبي كتاباً سماوياً في صحيفة مكتوبة، فلمسوه بأيديهم بعد أن رأوه بأعينهم، لقال الكافرون منهم عناداً: ما هذا الذي نزل عليك إلا سحر واضح، وإذا كان هذا حالهم في المرئي المحسوس، فكيف فيما هو مجرد وحي وإخبار إلى الرسول؟! نزلت لما طلب المشركون من النبي ﷺ إنزال كتاب من عند الله، ومعه أربعة ملائكة يشهدون بذلك.

٨- وقال مشركو مكة: هلا أنزل على محمد مَلَكٌ نراه يشهد بأنه نبي مرسل، حتى نؤمن به ونتبعه؟ ولو أنزلنا ملكاً، لقضي الأمر بإهلاكهم، ثم لا يجهلون ليؤمنوا.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ
 ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ
 قَضَىٰ أَجَلَآً وَأَجَلٌ مُّشْتَرِكٌ عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْزَلْنَاهُ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي
 السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَنَجْوَاهُمْ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾
 وَإِنَّا لَنَبْلُهُمْ مِنْ أَزْوَاجِنَا بِمَا يَكُونُ مِنْهُمْ خَفِيًّا ﴿٤﴾ هَذَا
 كَذَّبُوا بِالحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمُ الْبُزْؤُا كَمَا كُفُوا بِسَنَةِ رَبِّهِمْ وَنُ
 ﴿٥﴾ أَمْ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ إِذَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمًا مِمَّنْ هُمْ أَتَمُّ
 مَعْنًى لَّهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ
 ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْآنٍ فَلَسَوْفَ يَأْتِيَهُمْ لَفَسَّالٌ
 الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّشْتَبِهٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ
 مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكَا لَقُضِيَ الْأَمْرُ لَمْ لَا تُبْطِرُونَ ﴿٨﴾

٩- ولو جعلنا الرسول ملكاً كما طلبوا، لجعلناه رجلاً ليستطيعوا رؤيته؛ لأنهم لا يتمكنون من رؤية الملك على صورته الأصلية ويخافون منه، وخلقنا الأمر عليهم إذا تجسم بصورة إنسان ليقدرُوا على رؤيته، كما يخلطون على أنفسهم، فيقولون: هذا إنسان وليس بملك.

١٠- ولقد استهزأ الناس بالرسول السابقين، كما استهزأ قومك بك أيها الرسول، فتزل بالساحرين ما كانوا به يستهزئون من العذاب.

١١- قل أيها الرسول للمستهزئين: سافروا في الأرض، وانظروا آثار الأمم السابقة لتعرفوا ما حل بهم من العقوبات، وانظروا كيف كان مصير الكاذبين لرسلهم، فأنتم هالكون إن كذبتم مثلهم.

١٢- أسألهم: من الذي له ملك السموات والأرض، وله حق التصرف فيهما؟ وقل: هي لله، سواء اعترفوا أو أقيمت عليهم الحجة، فالحق قادر على عقابهم، ولكنه سبحانه أوجب على نفسه الرحمة، فلا يتعجل بالعقوبة، بل يتقبل منهم التوبة، ثم أقسم الله بأنه ليجمع الناس أو يحشرهم من القبور إلى يوم القيامة لا شك في أنه آت، والذين كفروا بالله ولم يؤمنوا برسوله هم الذين خسروا وجودهم.

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِ مَآيِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى بَرُوسًا مِّن قَبْلِكَ فَخَافَ بِاللَّيْلِ سَحَرًا مِّنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُلْ لَّن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلُوبٌ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَ كُفْرًا إِلَى يَوْمِ الْآخِرَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن مَّا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغْيَاثُ اللَّهِ أَخَذُوا لِيَا فَاظِرَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ طَعْمُهُمْ وَلَا يَطْعَمُهُمْ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْنَاهُ وَذَلِكَ الْقُورُ الْبَئِينَ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بَخِيرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

١٣- وملك الله شامل لكل ساكن ومتحرك، فالحق تعالى في الآية السابقة أبان أنه مالك لكل ما في الأمكنة من سموات وأرض، وهنا أوضح أنه مالك لكل ما في الأزمنة، والساكن يشمل الجمادات، والحيوانات التي تسكن في الليل أو في النهار، والله هو السميع لجميع الأقوال، العليم بكل ما تخفيه النفوس. نزلت حينما عرض كفار مكة على النبي ﷺ نصيباً من أموالهم، حتى يصير أغناهم رجلاً، ويرجع عما هو عليه من الدعوة.

١٤- قل أيها الرسول لأهل مكة الذين دعوك إلى عبادة الأصنام: كيف أتخذ غير الله ناصراً ومعبوداً، وهو مبدع السموات والأرض، وهو يرزق الناس ما يحتاجون، ولا يرزق من أحد، فهو غني عن الناس والطعام وغيره، قل: إني أمرت أن أكون أول من خضع لربه بالعبادة، وقيل لي: إياك أن تكون من المشركين الذين اتخذوا لله شريكاً من خلقه.

١٥- قل لهم: إني أخاف إن عصيت ربي بعبادة غيره عذاب يوم شديد هو يوم القيامة.

١٦- من يصرف عنه العذاب يوم القيامة، فقد رحمه الله ونجاه من النار، وذلك هو الفوز الواضح الباهر.

١٧- وإن تعرض أيها الإنسان لضر من فقر أو مرض، فلا قادر على رفع الضرر الواقع أحد غير الله، وإن يصبك خير من رخاء أو عافية، فالحق قادر على كل شيء من إيصال الخير والشر وغيرهما.

١٨- والله هو الغالب المستعلي فوق عباده استعلاء قهر وغلبة، وهو الحكيم في أفعاله، الخبير بما يصلح عباده.



١٩- قل أيها الرسول لمن يطلب شهادة على نبوتك وصدقك: أي شاهد أعظم شهادة وأولى بالتصديق؟ قل: الله شاهد لي، وهو أعظم شاهد لرسوله تجاه خلقه، وأوحى الله إلي هذا القرآن لأنذر بالعذاب من عصى ولم يؤمن، وأنذر به من بلغ إليه من الناس جميعاً إلى يوم القيامة، أئتكم معشر المشركين لتشهدون من غير حجة أن مع الله إلهاً آخر؟ قل لهم: أنا لا أشهد بوجود آلهة أخرى مع الله، فذلك أبطل الشهادات، وإنني بريء مما تقولون وتشركون من الأصنام. قال رؤساء مكة: يا محمد، ما نرى أحداً يصدقك بما تقول من أمر الرسالة، فأرنا من يشهد لك أنك رسول كما تزعم، فأُنزل الله تعالى هذه الآية.

٢٠- إن أهل التوراة والإنجيل يعرفون النبي ﷺ وأنه صادق في رسالته بنعته في كتابهم معرفة حقة ، كما يعرفون أبناءهم ، الذين خسروا أنفسهم بعنادهم وغرورهم وتعريضها للعذاب في الآخرة : هم الذين لا يؤمنون بما بعث الله به نبيه محمداً ﷺ .

٢١- لا أحد أظلم ممن اختلق على الله الكذب، فزعم أن له الولد أو الشريك، أو كذب بآيات القرآن، إنه لا يفلح الكافرون الظالمون لأنفسهم بالتكذيب

قُلْ أَى شَيْءٍ أَكْثَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَى هَذَا الْقُرْآنِ أَنْ لَا تَذْكُرْ بِهِ مِنْ بَلِّغَ إِلَيْكُمْ لِلشَّهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَهُ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُي وَحْدَهُ وَإِنِّي بِمَا تَشْكُرُونَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ قُتِلَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْعِلُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ لَقَوْلُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّا يَشْكُرُواكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمُ الْآيَةُ قَالَُوا لَوْلَا اللَّهُ رَبَّنَا مَا أَكَلْنَا شُرْكِيكَ إِلَّا أَفْطَرَكِمْ كَذِبًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا آيَةً لَا يُؤْمِنُوهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُكَ يَجِدُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ وَهُمْ يَهْتَوُونَ عَنْهُ وَيَنْوَنُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلَكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٧﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَقُولُ عَلَى الثَّرَاثُلِ أَوْ لَا تِلْكَ آيَاتُ رَبِّي وَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَقُولُ عَلَى الثَّرَاثُلِ أَوْ لَا تِلْكَ آيَاتُ رَبِّي وَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَقُولُ عَلَى الثَّرَاثُلِ أَوْ لَا تِلْكَ آيَاتُ رَبِّي وَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٠﴾

والكفر.

٢٢- واذكر لهم خبر يوم القيامة يوم يجمع الله العابدين والعبودين، ثم نقول للمشركين: أين شركاؤكم من الأصنام التي عبدتموها من دون الله، والتي تزعمونها شركاء وشفعاء لكم عند الله؟

٢٣- ثم لم تكن عاقبة كفرهم وجرأتهم على الكذب وجوابهم لما رأوا العذاب إلا التبري من الشرك.

٢٤- انظر وتأمل في كذبهم الصريح بإنكار الشرك، وكيف تلاشى افتراؤهم، وتبدد زعمهم أن الشركاء يقربونهم إلى الله.

٢٥- ومن المشركين من يستمع إلى تلاوتك القرآن، لا للاهتمام وإنما للجدل، وجعلنا على قلوبهم أغطية كراهة أن يفقهوا (أو يفهموا) القرآن، وجعلنا في أذانهم صمماً كلاً يدر كوه، بسبب عنادهم، وإن يروا كل آية تدل على وحدانية الله لا يؤمنوا بها، حتى إذا جاؤوك يجادلونك، قال الكفار: ما هذا القرآن إلا خرافات الماضين. نزلت في النضر بن الحارث حينما سئل عما يقول محمد، فقال: والذي جعلها بينه، ما أدري ما يقول، إلا أنني أراه يحرك شفتيه يتكلم بشيء، وما يقول إلا أساطير الأولين، مثلما كنت أحدثكم عن القرون الماضية.

٢٦- والمشركون يهون الناس عن سماع القرآن، ويتعدلون هم بأنفسهم عنه، وما يهلكون بابتعادهم عن الدين الحق إلا أنفسهم بتعريضها للعذاب، وما يشعرون بضرر كفرهم على أنفسهم. نزلت في عمومة النبي ﷺ وكانوا عشرة، كانوا أشد الناس معه في العلانية، وأشد الناس عليه في السر.

٢٧. ولوترى حال المشركين حين حبسوا قرب النار معانين لها، لرأيت حالاً عجيبة هائلة، فقالوا: ليتنا نرد إلى الدنيا لتوب فيها، ولا نكذب بآيات ربنا، ونصدق بالله ورسوله، وكل ذلك كذب ومراوغة.

٢٨ - بل ظهر للمشركين ما كانوا يخفونه من الكفر وسوء الأعمال في الدنيا، ولوردوا إلى الدنيا كما تمنوا، لعادوا إلى قبح الاعتقاد من الشرك والمعصية، وغلبهم طبعهم، وإنهم لكاذبون في وعدهم أو قولهم، أي أن تمنيتهم العودة ليس نابعا من رغبة صادقة في الإيمان.

٢٩ - وقال هؤلاء المشركون منكرو البعث: ما هذه الحياة إلا حياتنا الدنيا التي نحيهاها، وما نحن بمبعوثين بعد الموت، ولا آخرة.

٣٠ - ولو ترى حال هؤلاء المنكرين للبعث حين حُسبوا لانتظار أمر ربهم وعرضوا للحساب، لشاهدت العجب، قال الله تعالى لهم: أليس هذا البعث الذي أنكرتموه في الدنيا حقاً أي كائناً موجوداً؟ قالوا: بلى والله إنه لحق، قال الله: فدوقوا عذاب جهنم بسبب كفركم به.

٣١ - قد خسر في الآخرة الذين أنكروا البعث والجزاء، حتى إذا جاءتهم القيامة فجأة، قالوا: يا ندامتنا الشديدة على تفریطنا في الإعداد لها من التصديق والعمل الصالح، وهم يحملون ذنوبهم على ظهورهم، أي فتلزمهم أثامهم، وتثاقلوا بها

وأحسوا بوطأتها، ألا تبس ما يحملون، وما يلقون من سوء العذاب.

٣٢ - رد الله على قول الكفار: ما هي إلا حياتنا الدنيا، بأن هذه الحياة مجرد لعب لا يحقق نفعاً ولا يدفع ضرراً، وكهو يشغل عما يعني ويهم، فهي سراب خادع، والدار الآخرة والإعداد لها خير للذين يتقون الله والشرك والعصيان، أفلا تعقلون ذلك يا من أنكرتم الآخرة؟

٣٣ - نعلم بالتأكيد أنه ليحزنك أيها الرسول ما يقوله المشركون من التكذيب لك، فلا تحزن، فإنهم لا يكذبونك في السر والحققة، لعلمهم أنك صادق، ولكن الظالمين لأنفسهم إنما يكذبون في الحقيقة آيات الله ويكفرون بها. قال أبو جهل للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب ما جئت به، فنزلت هذه الآية.

٣٤ - ولقد كذبت الرسل السابقون كما كذبك قومك، فصبروا على التكذيب والإيذاء، فاصبر مثلهم، حتى يأتيك نصرنا كما أتاهم بالإهلاك، ولا مبدل لوعده الله بنصره رسله، ووعده أعداءهم بالخذلان، ولقد أتاك بعض أخبار الرسل المرسلين من إنجائهم وتدمير أعدائهم.

٣٥ - وإن كان عظم وشق عليك إغراض المشركين عن رسالتك، فهذا كائن في علم الله السابق، وإن استطعت أن تتخذ سرباً في الأرض، أو سلماً تصعد عليه إلى السماء، فتأتيهم بأية خارقة تضطربهم إلى الإيمان، فافعل، ولكنهم مع ذلك لا يؤمنون، ولو شاء الله هدايتهم لهداهم جميعاً، ولكنه لم يشأ ذلك، فلا تكونن من الجاهلين بذلك وبحكمة الله في الأمر.

بَلْ يَدَاهُم مَّا كَانُوا يَحْجُونَ مِنْ قَوْلٍ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا أَلْهِيَانَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَعُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ السِّرُّ هَذَا الْحَقُّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَدُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَخْسِرُنَا عَلَى مَا فُتِنُوا فِيهَا وَمِمَّا يَحْمِلُونَ أَوْزَانَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلْسَاءً مَا يَرَوْنَ ﴿٣١﴾ وَمَا نُحْيِي الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٍ وَلَهُمْ وَلَذَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ عَلِمَ إِلَهُ نَحْرُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِبَيِّنَاتٍ مِنَ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبْرًا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرًا وَلَا مَبْدَلَ لَكُلِّتِ اللَّهُ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كِبَرُ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَنْتَقِي نَقْعًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بَيِّنَاتٌ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾



إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ
يَرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنْ أَلَّهِ
قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُزِيلَ آيَةَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمِمَّنْ
ذَاتَبَتْ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِحَاجَتِهِ إِلَّا أُمٌّ أُمَّتًا لَكُمْ
مَا قُطِنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مِنْ شَيْءٍ اللَّهُ يَضِلُّهُ
وَمَنْ يَشَاءُ يُعِمْلهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ
إِنْ أَنْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةَ أَغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ
إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ
مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْأَسْوَءِ وَالْأَضْرَءِ وَاعْلَمْتُمْ بِتَضَرُّعَاتِ
﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ
قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا
مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا
فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

٣٦- إنما يجيب دعوتك أيها النبي إلى الإيمان الذي
يسمعون سماع تفهم وتدبر، وموتى القلوب وهم
الكفار يبعثهم الله في الآخرة، ويردون إلى الله،
فيجازيهم بأعمالهم.

٣٧- وقال مشركو مكة: هلا أنزلت عليه من ربه
معجزة مما اقترحنه، تشهد على صدقه، مثل تنق
الجيل ونزول الملائكة عياناً، قل لهم أيها الرسول: إن
الله قادر على أنزال آية تلجئ إلى الإيمان، لكن لو أنزل
الله آية كما طلبوا، عوجلوا بالعقوبة إذا لم يؤمنوا،
وأكثرهم لا يعلمون ما يحل بهم من العذاب إذا لم
يؤمنوا. نزلت هذه الآية بعد وقعة حمراء الأسد
بعد وقعة أحد.

٣٨- ما من دابة تدب على الأرض أو طائر يطير في
الهواء إلا أصناف وجماعات أمثالكم أيها الناس،
خلقها الله، ورزقها، وأحاط علمه بها، ما تركنا في
الروح المحفوظ شيئاً من شؤونها لم نكتبه، ثم تحشر
تلك الأصناف إلى ربها يوم القيامة، كما يحشر بنو
آدم، ثم يقتص لبعضها من بعض، ثم تصير تراباً بامر
الله تعالى.

٣٩- والذين كذبوا بآياتنا القرآنية لا يسمعون ما
ينفعهم سماع تفهم وتدبر، ولا ينطقون بالحق،
غارقون في ظلمات الكفر والجهل، لا يهتدون لشيء
فيه خيرهم وصلاحهم، من يشأ الله إضلاله يضلله، ومن يشأ هدايته يجعله على طريق مستقيم، وهو دين
الإسلام، والإضلال والهداية بحسب علم الله أزلاً بال مخلوقات، فمن أضله فلا عراضه عن دعوة الله الحق، ومن
هداه فلا نه نظر وتامل واستقل بفكره دون تأثر بالتقليد الأعمى.

٤٠- قل أيها الرسول لأهل مكة: أخبروني عن حالكم إن جاءكم عذاب الله في الدنيا، أو جاءكم القيامة
بأهلها، أنذعون أحداً غير الله لكشف الضر عنكم، أم تَدْعُونَ الله؟ إن كنتم صادقين في ادعائكم أن الأصنام تضرر
وتنفع، وأنها تقربكم إلى الله تعالى.

٤١- بل إنكم تَدْعُونَ الله، لا غيره عند الشدائد، فيرفع عنكم ما نزل بكم إن شاء، وتتركون ما تشركون به من
الأصنام ونحوها قبل نزول العذاب.

٤٢- ولقد أرسلنا رسلاً إلى أم سابقة من قبلك أيها النبي، فكلَّبهم، فعاقبتهم بالمصائب في الأموال،
والأمراض في الأجسام، لعلهم يتذللون ويخشعون لربهم بالتوبة.

٤٣- فهلا إذا جاءهم عذابنا تضرعوا بالتوبة، ولكن اشتدت وصلبت قلوبهم فلم تبادر إلى الإيمان، وحسن لهم
الشيطان سوء أعمالهم، وأغواهم بالبقاء على الكفر، أي كان ينبغي لهم أن يتضرعوا، ولكنهم لم يفعلوا.

٤٤- فلما تركوا الاتعاظ بالشدائد، والعمل بما أمرهم به رسلهم، فتحتنا عليهم أبواب النعم والخيرات، استدراجاً
لهم، حتى إذا فرحوا بما أوتوا فرح بطر وأشر، عاقبتهم بالعذاب فجأة، فإذا هم آيسون من النجاة، حزينون على ما
نزل بهم من الكوارث.

٤٥ - استوصل جميع القوم الظلمة الكفرة حتى آخرهم، فلم يبق منهم أحد، والحمد لله على إهلاكهم؛ لأن في ذلك تخليصاً للبشر من مفسدهم. وهذا تنبيه للعباد على حمده تعالى على نصر المصلحين، وإهلاك المفسدين.

٤٦ - قل أيها النبي لمن كذب برسالتك: أخبروني إن أصمكم الله وأعماكم، وحجب عنكم العقل والفكر والإدراك، من إله غير الله يأتيكم بما أخذه منكم، انظر أيها النبي كيف نبين وننوع الحجج الدالة على الخير والرشاد، من ترغيب وترهيب، ثم هم يعرضون عنها، فلا يؤمنون.

٤٧ - قل لهم أيها النبي: أخبروني عما تفعلون إن أناكم عذاب الله فجأة من غير مقدمات أو أمارات تنذره، كما حصل لقوم لوط، أو أناكم ظاهراً علانية بعد تقديم مقدمات دالة عليه، كما حصل لقوم نوح وفرعون، ما يهلك ويُعذب إلا القوم الظالمون لأنفسهم وهم الكفار المصرون على الكفر.

٤٨ - وما نرسل الرسل إلا مبشرين لمن أطاعهم بالجنة، ومنذرين لمن عصاهم بالنار، فمن آمن بالله ورسله وكتبه، وأصلح عمله، فلا خوف عليهم

من عذاب الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم في الدنيا.

٤٩ - والذين كذبوا بآيات الله التي أرسل بها الرسل، يصيبهم العذاب في الآخرة بسبب كفرهم وخروجهم عن طاعة الله تعالى.

٥٠ - قل أيها النبي: لا أقول لكم أيها الجاحدون الكافرون عندي خزائن قدرة الله ورزقه، فأعطيكم منها وآتيكم بما تقترون من الآيات، ولا أقول لكم: إني ملك يأتي بالآفعال الخارقة، ما أتبع إلا ما يوحى إلي من الله، فأبلغكم إياه.

٥١ - وخوف أيها الرسول بهذا القرآن المؤمنين الذين يخافون من الحشر وأحواله يوم القيامة، ويعتقدون بأنه ليس لهم من غير الله ولي ناصر يواليهم وينصرهم، ولا شفيع يشفع لهم عند الله لينجيهم من عذابه، أنذرهم ليتقوا الله في الدنيا، فيأتمروا بالأوامر، ويتهوا عن الكفر والمعاصي.

٥٢ - ولا تطرد الفقراء أو الضعفاء من مجلسك أيها الرسول، الذين يذكرون الله، ويصلون له صباحاً ومساءً، وهم مخلصون في عبادتهم، لا يريدون بذلك إلا وجه الله تعالى، ويتبعون مرضاته، حسابهم مستقل بهم، لا تحاسبهم على شيء، ولا يحاسبونك على شيء، فكل إنسان مسؤول عن عمله، لا تطردهم من مجلسك إرضاء لمن ليس مثلهم في الدين والفضل، فتكون من الظالمين إن طردتهم. نزلت في سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود وأربعة، قالوا لرسول الله ﷺ: اطردهم، فإننا نستحي أن نكون تبعاً لك كهؤلاء. هذه رواية ابن حبان والحاكم جعلت ابن مسعود مع أئمة قریش، والصحيح رواية مسلم التي جعلت هؤلاء الستة من المطلوب طردهم.

فَقَطِّعْ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَاتَّخِذْ لِلْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَسَعَهُ عَلَى قُلُوبِكُمْ
مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ
يَصْدُقُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْةً
أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ
الرُّسُلَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ أَمِنَ وَأَصْلَحَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
يَمْسُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ
عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ
إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ
أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُجْشَرُوا إِلَىٰ
رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَفْئِ
يُرِيدُونَ وَجْهَ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمِنْ
حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَطَرَدَهُمْ فَكَوْنُوا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾

٥٣- إن مقال المشركين في الضعفاء اختبار، وهكذا ابتلى الله بعض الناس ببعض، ليعلم هل يشكر الأولون فيعطفون على الآخرين، وهل يرضى الآخرون ولا يسخطون؟ وليقول التكبرون منهم ساخرين: أهولاء الضعفاء الذين من الله عليهم بالهداية، وأكرمهم بإصابة الحق من دوننا؟ فرد الله عليهم: اليس الله بأعلم بالذين يشكرونه ويعبدونه بإخلاص، فيمن عليهم بالهداية والتوفيق؟!

٥٤- وإذا جاعك أيها الرسول المؤمنون بآيات الله المنزلة في القرآن، وهم المستضعفون من المؤمنين الذين نهيت عن طردهم، فقل لهم تطبيقاً لحواطهم: سلام عليكم، أوجب ريكهم على نفسه الرحمة إيجاب تفضل وإحسان، أنه من ارتكب ذنباً بسبب جهالة، لا يعتمد وإصرار، ثم تاب إلى الله من بعد عمله، وأصلح عمله وما أفسده بالمعصية، فرجع إلى الصواب، فإن الله غفور للمستغفرين رحيم بالتائبين. قال عكرمة: نزلت في الذين نهى الله تعالى نبيه عن طردهم، فكان إذا رآهم النبي ﷺ بدأهم بالسلام.

٥٥- ومثل ذلك التفصيل، نبين الحجج والأدلة، لتظهر طريقة الكفار، ويتضح سبيل ضلالهم.

٥٦- قل أيها النبي للمشركين: إن الله نهاني أن أعبد الأصنام التي تعبدون من غير الله، وأمرني ألا أتبع أهواءكم الفاسدة التي توقع في الضلال، من عبادة معبوداتكم، وطرد فريق من المؤمنين، فإن اتبعت أهواءكم فانا ضال.

٥٧- قل لهم: إني فيما أخالفكم فيه على بصيرة من شريعة الله، والحال أنكم كذبتم بالحق والقرآن الذي جاءني من عند الله، فجعلتم الله شركاء، ليس عندي ما تعجلون به من العذاب استهزاء، ما الحكم في تأخير العذاب أو تعجيله وفي كل شيء إلا الله وحده، يقضي القضاء الحق، ويقص على رسوله القصص الحق في وعده ووعيده، وهو سبحانه خير الحاكمين الذين يفصلون بين الحق والباطل في قضايا العباد. قال الكلبي: نزلت في النظر بن الحارث ورؤساء قريش: كانوا يقولون: يا محمد، اثنتا بالعذاب الذي تعدنا به استهزاء منهم، فنزلت هذه الآية.

٥٨- قل لهم: لو أن عندي القدرة على إنزال ما تطلبون تعجيله، لأنزلته بكم، ويقضي الله بيني وبينكم، والله أعلم بالظالمين أنفسهم بما هم عليه من الشرك.

٥٩- وعنده تعالى خزائن الغيب، لا يعلم بها أحد سواه سبحانه، وبهذا يطل ادعاء الكهان والمنجمين وغيرهم، ويعلم ما يحدث في البر والبحر، ويعلم ما يسقط من أوراق الشجر، ويعلم بكل حبة كائنة في باطن الأرض وأعماقها، ويعلم بكل رطب ويابس من نبات وجماد وجميع الموجودات، كل ذلك في اللوح المحفوظ، في علم الله تعالى.

وَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِثْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ قَوْلُ نَبِيِّ اللَّهِ بِالْحَقِّ لَأَشْكِرَنَّ ٥٣ وَإِذَا جَاءَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا قُلْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ كَذَّبَ رِجْكَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ اللَّهُ مِنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ سُوءًا يَجْهَلُ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥٤ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلَيْسَتَيْنِ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ٥٥ قُلْ إِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَهْدِينَ ٥٦ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بَيِّنَاتٍ مِمَّا اسْتَحِيلُونَ بِهَ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَفْضُلُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاضِلِينَ ٥٧ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا اسْتَحِيلُونَ بِهِ لَفَقْتُ الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ٥٨ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ رِزْقٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا خَبْرَ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ٥٩



٦٠- وهو الله تعالى الذي يلقي النوم عليكم بالليل، فيمتنع التمييز والتصرف الاختياري، وتتوقف الحواس عن أعمالها، وهذا هو المراد بالتوفي هنا، ويعلم ما كسبتم بجوارحكم (أعضائكم) بالنهار، من الخير والشر، ثم يوقظكم في النهار من نومكم، لينفذ الأجل المعين للحياة، ثم ترجعون إلى الله بالبعث بعد الممات، ثم يخبركم بأعمالكم في الدنيا، ويجازيكم عليها، بالخير والشر.

٦١- وهو سبحانه الغالب الذي قهر كل شيء، وخضع لجلاله وعظمته كل شيء، ويرسل عليكم ملائكة حافظة تحفظكم من الآفات، وتحفظ أعمالكم، حتى إذا حان أجل الوفاة توفته الملائكة الموكلون بقبض الأرواح أعوان ملك الموت، وهم لا يقصرون فيما أمروا به من الإكرام أو الإهانة.

٦٢- ثم تردُّ الخلائق التي توفتها الرسل، إلى الله المالك الوالي الذي يحكم بالحق، ألا الله وحده لا لغيره القضاء الحق، وهو المحاسب لجميع الخلائق في أسرع وقت، لا يحتاج إلى تأمل وتفكير.

٦٣- قل أيها النبي لهؤلاء المشركين: من ينقذكم من شدائد البر والبحر إذا تعرضتم لها؟ تدعونه جهراً وسراً متضرعين: متذللين خاضعين، قائلين: لئن

أججيتنا من هذه الشدة التي نزلت بنا ، ل نكون من الشاكرين لك على نعمتك علينا .

٦٤- قل لهم أيها النبي: الله وحده هو الذي ينجيكم من هذه الأهوال (الظلمات) ومن كل هم وغم، ثم أنتم بعد ذلك تشركون بالله في العبادة آلهة أخرى، بعد أن أحسن إليكم، مع أن تلك الآلهة المزعومة لا تقدر ولا تنفع.

٦٥- قل لهم أيضاً: إن الله هو القادر على إزال العذاب بكم من كل جانب، من السماء بالمطر والصواعق، ومن تحتكم بالخسف والفرق والزلازل مثلاً، أو يجعلكم فرقاً مختلفة الأواء مختلطة الآراء، يقاتل بعضكم بعضاً، ويذيق بعضكم بأس (شدة) بعض، من قتل وجرح وتشريد ونهب، انظر كيف نبين لهم الدلالات على قدرتنا، ليدركوا ويفهموا الحقائق، ويرجعوا عما هم عليه من الباطل. ومن المعلوم أن النبي ﷺ سأل ربه ثلاثاً، فأعطى اثنتين وهما ألا يهلك الله أمته بالفرق، والسنة، ومنع الثالثة وهي ألا يجعل بأسهم بينهم.

٦٦- وكذب بالقرآن قومك قريش، والحال أن القرآن حق لا شك فيه، قل لهم أيها النبي: لست بحفيظ ولا رقيب على أعمالكم، فأجازيكم عليها، إنما أنا منذر.

٦٧- لكل خبر في القرآن وقت معين يقع فيه ويستقر، وسوف تعلمون ما يقع وما أخبركم به.

٦٨- وإذا رأيت أيها النبي الذين يخوضون في آياتنا بالكذب والاستهزاء، فاتركهم ولا تجالسهم، حتى يتحدثوا في حديث آخر، وإن أنسك الشيطان أن تقوم عنهم، فلا تقعد بعد التذكرة مع القوم الظالمين لأنفسهم، وقم في الحال، عن ابن عباس: أن الآية في مجالسة الذين يتجادلون في آيات الله، ويتخاصمون فيها، وهم أهل الأهواء والبدع. وعن السدي: أنها في المشركين المستهزئين بالقرآن والنبي.

٦٩- ليس على المتقين ربهم حساب الخائفين في آيات الله، وليس عليهم أي شيء من الإثم إذا أعرضوا عنهم، أو جالسوهم وهم يخوضون في حديث آخر، ولكن اجتنابهم أو القيام عنهم تذكير بعظمة الإثم الذي وقعوا فيه بسبب هذا الخوض، لعلهم يتركونه، ويتقوا الله، فيمسكوا عن الكلام الباطل.

٧٠- وارك الذين اتخذوا الدين الحق مجالاً للعبث، والاستهزاء أو التسلية، وخذعتهم الحياة الدنيا بزيتتها، فأنكروا البعث ونسوا الآخرة، وعظ بالقرآن، لئلا تهلك نفس أو تحبس في جهنم، بسبب ما عملت من المعاصي في الدنيا، والمراد: ذكر بالقرآن لتنجو النفس من العذاب قبل الإحاطة به، وليس لثلك النفس ناصر يتصرها وينجيها من عذاب الله، ولا شفيع يشفع لها، حتى وإن بذلت النفس التي أسلمت للهلاك كل فدية، ولو ملء الأرض ذهباً، فلا يقبل منها، أولئك الذين أسلموا للعذاب الإلهي بسبب عملهم السيء، لهم في جهنم شراب من ماء شديد الحرارة، وعذاب شديد مؤلم بسبب كفرهم واستهزائهم بآيات الله تعالى.

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَرُوا لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَضَهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَنْ تَنْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ أَوْ رُدُّوا عَلَى أَعْقَابِكُمْ أَعْدَادٌ هَذَا نَسِ اللَّهُ كَأَلَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيزَانِ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُوهُ إِلَى الْهُدَى أَيْتَنَّا قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمَّا لَنَا لِلْإِسْلَامِ رَبٌّ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلَهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْعَالَمِينَ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

٧١- قل أيها النبي للمشركين: أنعبد من دون الله أصناماً لا تنفع ولا تضر، وترك عبادة الله الذي بيده النفع والضرر، ونرجع إلى الضلالة والشرك، بعد أن هدانا الله إلى الإسلام، كالذي أضلته مردة الجن وحملته على اتباع هوى نفسه، وجعلته تائهاً متحيراً في الأرض، لا يهتدي لجهة، له أصحاب (رفقة) يدعونه إلى طريق الهداية ويحاولون إنقاذه من الضلالة، قائلين له: اسلك طريقنا ووافقنا على الدين الحق، فلا يجيبهم فيهلك، قل أيها النبي: إن دين الله الذي ارتضاه لعباده وهو الإسلام هو الهدى وغيره باطل، وأمرنا جميعاً كي نخلص العبادة لله رب الإنس والجن. قال السدي: قال المشركون للمسلمين: اتبعوا سبيلنا واركعوا دين محمد، فأنزل الله: ﴿قُلْ: أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾.

٧٢- وأمرنا أيضاً بأن نقيم الصلاة تامة في أوقاتها، وبأن نتقي الله ونتجنب معصيته ونخشى عذابه، فهذا هو الهدى، والله هو الذي تُجمع إليه وحده في الآخرة للحساب، وله الحكم وحده يوم القيامة، ولا ينفعكم فيه إلا العلم الصالح من تقوى وصلاة ونحوهما.

٧٣- والله هو الذي خلق السموات والأرض خلقاً متلبساً بالحق، لا عبثاً ولا باطلاً، ويوم يقول لشيء أراد إيجاده: كن فيكون موجوداً، قوله الصدق الواقع لا محالة، وله المُلْكُ والسلطان التام الذي لا ينازعه فيه شيء، يوم ينفخ في قرن النفخة الأولى للفناء، والثانية للحياة، وهو العالم بما غاب وما حضر من كل شيء، وهو الحكيم في جميع أفعاله وما يصدر عنه، الخبير بكل شيء ظاهر أو باطن.



٧٤- وَاذْكُرْ أَيُّهَا النَّبِيُّ حِينَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَيُّهُ أَرَرْتُ أَنْتَخِذُ أَصْنَامًا ۖ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ ۚ
 ٧٥- وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ۚ
 فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكِبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِثُّ بِالْأَفَلِينَ ۚ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ لِي بِهِ هِدْيٌ ۖ إِنِّي لَا كُونُ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۚ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ يَقُومُ إِنِّي بُرِيءٌ ۚ ثُمَّ شَرِكُوهُ ۚ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۚ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۚ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجُونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۚ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۚ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۚ إِنَّ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۚ

٧٤- واذكر أيها النبي حين قال إبراهيم لأبيه أزر أو تاريخ: أنتخذ أصناماً لك تعبدونها من دون الله، وهي لا تضر ولا تنفع، إني أراك وقومك المواقين لك في عبادة الأصنام في حال عدول واضح عن الحق.

٧٥- وكما أرينا إبراهيم ضلال أبيه وقومه في عبادة الأصنام، أريناه أيضاً ملكوت (الملك العظيم) السموات والأرض وعجائبهما وما فيهما من الإبداع، ليستدل بها على وحدانيتنا وقدرتنا، ليكون نبياً عالمًا بيقين، من غير أي شك في عظمة الله وقدرته.

٧٦- فلما أظلم عليه الليل وستره بظلمته، رأى نجماً مضيقاً هو المشتري أو الزهرة، فقال لقومه: هذا ربي، فهو بنوره وارتفاعه أجدر من الأصنام أن يكون إلهاً، مريداً بذلك إقامة الحجة على قومه، على طريق الافتراض، ثم نقضه بالحس والعقل، فلما غرب، قال إبراهيم: لا أحب الألهة التي تغرب، فهي تتغير ظهوراً وخفاءً.

٧٧- فلما رأى القمر طالعاً، قال لقومه: هذا ربي، فلما غاب قال لقومه: لئن لم يهديني ربي إلى الحق، لأكونن من القوم التائهين الذين لا يهتدون إلى الحق.

٧٨- فلما رأى الشمس طالعة مشرقة، قال: هذا ربي، هذا أكبر من غيره من الكواكب والقمر، فلما غابت، قال إبراهيم: يا قوم، إني بريء من الأشياء التي تجعلونها شركاء لله وتعبدونها. أثبت إبراهيم الوهية الله بأفول هذه الكواكب، وأنها لا تضر ولا تنفع.

٧٩- إني وجهت كل ذاتي وعبادتي وقلبي وعقلي لله الذي أبدع خلق السموات والأرض، من غير مثال سبق، مثلاً إلى الدين الحق، ولست من الذين أشركوا في العبادة مع الله إلهاً آخر.

٨٠- وجادله قومه في التوحيد، وخوفوه من غضب آلهتهم، قال لهم: أتجادلونني في وحدانية الله وقدرته، وقد هداني للإيمان به (وجوده وتوحيده) فلا أكون مثلكم في الضلالة، ولا أخاف مما تخوفوني به من آلهتكم، فهي مخلوقات لله لا تضر ولا تنفع، إلا بمشيئة ربي أن يصيبني بمكرهه بسبب ذنب فعلته، فالأمر إليه، أحاط علمه بكل شيء، أفلا تتذكرون هذا وما بيئته لكم فتؤمنوا؟

٨١- وكيف أهرب آلهتكم التي عبدتموها من دون الله، وهي لا تضر ولا تنفع؟ ولا ترهبون أنتم ما جعلتم الله من شركاء، ما لم ينزل بعبادته عليكم حجة قاطعة وبرهاناً، فأَي الفريقين (فريق المؤمنين بالله وفريق الكافرين بالله) أجدر بالأمن من العذاب، إن كنتم تعرفون الحقائق والبراهين الصحيحة وموازن التمييز بين الحق والباطل.

٨٢- الذين يستحقون الأمن هم المؤمنون الذين لم يخلطوا بإيمانهم بشرك، أولئك لا غيرهم لهم الأمن من العذاب في الآخرة، وهم مهتدون إلى الحق والرشاد. نزلت في رجل من الأعداء قتل اثنين من المسلمين، ثم قال: أينفعني الإسلام؟ فقال النبي ﷺ: نعم، ثم قتل ثلاثة من الأعداء من أصحابه، ثم قتل، فنزلت فيه.

٨٣- وتلك حجتنا التي وردت على لسان إبراهيم آتيناه إبراہيم، أي ألهمناه إياها، ليحتج بها على قومه ويغلبهم ليقنعوا عن شركهم، نرفع من شتنا من عبادنا درجات في الدنيا في النبوة والعلم والحكمة، والهداية ومعرفة الحق، إن ربك حكيم في صنعه، عليم بخلقهم.

٨٤- ووهبنا لإبراهيم إسحاق، ووهبنا له يعقوب بن إسحاق، كل واحد منهما هديناه أي وفقناه إلى الحق وجعلنا كلا منهما نبياً، وهدينا نوحاً من قبل ذلك، فجعلناه أول رسول إلى الناس، ومن ذرية نوح جعلنا أنبياء، وهدينا داود وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى وهارون، وتلك نعم عدها الله على إبراهيم؛ لأن شرف الأبناء متصل بالآباء، وكما جزينا هؤلاء الأنبياء الذين أحسنوا أعمالهم بالجهاد

والدعوة، كذلك نجزي كل محسن بالجمع بين هداية الدين وإرشاد الناس.

٨٥- وهدينا أيضاً زكريا ويحيى وعيسى وإلياس، والصحيح أنه ليس إدريس الذي كان قبل نوح، وإلياس من ذرية نوح كما تدل هذه الآيات، وكل هؤلاء من الصالحين الذين امتازوا بالزهد في الدنيا.

٨٦- وهدينا أيضاً إسماعيل واليسع، قيل: هو صاحب إلياس، ويونس ولوطاً وهما ليسا من ذرية إبراهيم، وإنما من ذرية نوح؛ لأن لوطاً هو ابن أخي إبراهيم، وكل واحد من هؤلاء الأنبياء فضلكناه بالنبوة على غيره من الناس، مما يدل على أن الأنبياء أفضل الناس.

٨٧- وهدينا بعض آبائهم وذرياتهم وإخوانهم، واصطفيناهم لرسالتنا، وهديناهم إلى طريق قوم هو الإيمان والدين الحق.

٨٨- ذلك الهدى والتفضيل والاجتباء (الاختيار) يهدي به الله من يشاء هدايته من عباده، وهم الموفقون للخير واتباع الحق، ولو أشرك هؤلاء المذكورون، لبطل كل ما عملوه من أعمال الخير والصالح، وذهبت حسناتهم.

٨٩- أولئك الأنبياء الثمانية عشر واتباعهم الذين آتيناهم جنس الكتاب، أي الكتب السماوية، والعلم، والرسالة، فإن يكفر بالرسالة كفار قريش المشركون، فقد وكلنا برعايها وبالإيمان قوما ليسوا بكفار، وهم المهاجرون والأنصار، وفقناهم لحمل رسالة الإيمان، كأنهم وكلاء بها.

٩٠- أولئك الذين هداهم الله، فاقتد أيها الرسول بهديهم، واتبع سبيلهم في الدعوة إلى توحيد الله والأخلاق السامية، قل أيها الرسول لقومك: لا أطلب منكم أجراً على القرآن وتبليغ الرسالة، ما هذا القرآن إلا موعظة لجميع المخلوقات من الإنس والجن.

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْحَسَنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيمَا نُهُم فَقَدْ عَلِمُوا أَن لَّيْسَ لَهُمْ جُزْءٌ مِّنْ أَجْرِ إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

٩١ - ثم رد الله على من ينكر أن يرسل الله بشراً بأن هؤلاء الناس ما عرفوا الله تمام المعرفة، حيث أنكروا إرساله للرسل، وإنزاله للكتب، وقالوا للنبي ﷺ: ما أنزل الله على بشر شيئاً من الآيات والكتب، قل أيها النبي لهم: من الذي أنزل التوراة على موسى ضياءً وبيانا للحق من الباطل؟ فمعجلون أيها اليهود التوراة صحفاً متفرقة تظهرون بعضها، وتخفون كثيراً منها، أي إنهم جعلوا كل قرطاس (صحيفة) وحده، ليظهروا ما شاؤوا بحسب مصلحتهم، ويكتموا ما أرادوا، وعلمتم ما لم تعلموا بالروحي من أمور الدين والدنيا، قل: الله هو الذي أنزل التوراة والقرآن، ثم دعهم في باطلهم يعبثون. نزلت للرّد على يهودي اسمه مالك بن الصيف أو فنحاص، قال للنبي ﷺ: لم ينزل الله كتاباً من السماء.

٩٢. وهذا القرآن كتاب كثير البركة والنفع، أنزلناه عليك أيها الرسول، موافق لما أنزل قبلة من الكتب على الأنبياء كالثورة والإنجيل، ولتنزله أهل مكة أعظم القرى شأنًا وعاصمة لها، فيها الكعبة المشرفة أول بيت وضع للناس، وهي قبلة الأمة، وتنزل من حولها من الناس جميعاً، والذين يصدقون بالدار الآخرة يصدقون بهذا القرآن، لأن

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ
قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى
لِّلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا طِبْسُ ثُبُودِهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَيْكُمْ
مَا لَوْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ وَلَآءَ آبَاؤُكُمْ قَالِيَ اللَّهُ ثُمَّ ذَرُّهُ فِي حَوْصِهِمْ
يَلْعَبُونَ ﴿١١﴾ وَمَذَا كَيْسًا لَّنْزَلُهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ
يَدَيْهِ وَلِنُنْذِرَ أُوْلَ الْفَرَى وَمَنْ حَوَّلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ
أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ
وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ
فِي عَمْرَاتِ النَّوْتِ وَاللَّيْلَةِ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَهُمْ
الْيَوْمَ يُخْرَجُونَ عَذَابُ الْهَوْنِ بِمَا كُفُّوا يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ
وَكُفْتُمْ عَنِ الْيَمِينِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُوهُ فَرَادَى
كَأَحْلَافِكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْتُمْ وَرَأَىٰ ظُهُورُكُمْ
وَمَا تَرَىٰ مَعَكُمْ سُقْعَاءُ الَّذِينَ رَعَيْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ
لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُفُّوا تَرْغَبُونَ ﴿١٤﴾

من صدق بالآخرة، قبل ما يؤدي لخيرها ويدفع ضررها، وهم على صلاتهم يداومون خوفاً من عقاب الآخرة. ٩٣- لا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً، فادعى النبوة أو كذب على الله في شيء، أو قال: أنزل الله علي وحياً، وهو كاذب في ادعائه، أو ادعى أنه قادر على إنزال مثل القرآن، ولو ترى حين يكون هؤلاء الظالمون (الكافرون) في شدائد النزع وسكرات الموت، والملائكة باسطو أيديهم لانتزاع أرواحهم، قائلين لهم: أخرجوا أنفسكم من أيدينا، وخلصوها من العذاب إن استطعتم، وهذا دليل العنف في إزهاق الروح، اليوم تلقون العذاب الممين المذل جداً، حتى وكأنه هو الذل نفسه، بسبب افترائكم على الله الباطل غير الحق، كادعاء شريك لله، أو ادعاء الوحي والنبوة، وكنتم تكذبون عن التصديق بآيات الله والعمل بها. ذكر عكرمة أن آية ﴿ومن أظلم..﴾ نزلت في مسيلمة، وآية ﴿سأنزل مثل..﴾ نزلت في عبد الله بن أبي سرح الذي كان يكتب الوحي، فيبدل فيه، ثم ارتد عن الإسلام ولحق بقريش، ثم أسلم يوم الفتح.

٩٤- ويقال لهؤلاء في الآخرة: ولقد جئتمونا للحساب منفردين عن الأهل والمال والولد، كما خلقناكم في المرة الأولى عند ولادتكم حفاة عراة، وتركتم خلفكم ما أعطيناكم من الأموال وغيرها في الدنيا، ولا نجد معكم شفعاءكم الأصنام الذين زعمتم أنهم في استحقاق عبادتكم شركاء لله، لقد تشبثت جمعكم، وتقطع الوصل وما كان من الروابط بينكم، أنتم وشركاؤكم، وغاب وذهب عنكم ما كنتم تزعمون من الشرك والشركاء.



﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْثِ وَالنَّوْمِ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ ٩٥ ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٩٦ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْيَوْمِ قَدْ فُصِّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ٩٧ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَوْعِدٌ مَّنْ قَدْ فُصِّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ ٩٨ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نَّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّيْحَانُ مُمَشِّجًا﴾ ٩٩ ﴿وَنُفِثَ فِيهِمْ أَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ مَرْجِعًا إِذَا مَرَّ وَنَبِّهْهُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ﴾ ١٠٠ ﴿لَا يَتَّبِعُ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ١٠١ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُمُ بَيْنِينَ وَبَيْنَكَ وَمِيقَاتُ سَجْدَتِهِمْ وَعَلَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ ١٠٢ ﴿يَدْعُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ يَكُونَا لَهُمُ وُلَدًا وَلَكِنَّ لَهُمْ فِيهِ حَصْبَةً وَخَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ١٠٣

٩٥- إن الله فالق (شاق) الحب فيخرج منه النبات، وفالق النوى فيخرج منه الشجر، يخرج النبات الحي من الحب اليابس، والحيوان من البيضة، ويخرج الحب اليابس من النبات الحي والبيضة من الحيوان، ويخرج أيضاً المؤمن من الكافر بالولادة، ويخرج الكافر من المؤمن أيضاً، ذلكم الصانع لهذا الصنع العجيب هو الله وحده، فكيف تصرفون عن الحق بعبادة الله خالق كل شيء، وتعبدون ما لا يضر ولا ينفع؟! ٩٦- الله أيضاً شاق ظلمة الإصباح وهي الغيش بضياء النهار، وجعل الليل سكناً للراحة، يسكن فيه الناس عن الحركة والتعب، وجعل الشمس والقمر محل (أو وسيلة) حساب للأوقات، تتعلق به مصالح العباد، ذلك النظام المذكور هو تقدير القوي في ملكه، العليم بخلقه، فيفعل هذا التدبير المحكم.

٩٧- وهو الذي جعل أو خلق لكم النجوم، للاهتمام بها في أسفاركم في ظلمات الليل، وفي عبور البحر، عند اشتباه طرقهما، قد بينا الآيات الدالة على تمام قدرتنا، لقوم يعلمون سر عظمته، ويدركون حقيقتها، ويستدلون بها على وجود الله وتوحيده وعلمه وقدرته.

٩٨- تلك آيات الأرض والسماء، وأما آيات النفس فالله خلقكم في الأصل من نفس واحدة هي آدم عليه السلام، ثم تكاثرت، فلكم مستقر على ظهر الأرض، ومستودع لكم بعد الموت في باطن الأرض، قد بينا الآيات الدالة على كمال قدرتنا وإرادتنا، لقوم يفهمون ما يتلى عليهم، فيؤمنون به.

٩٩- والله هو الذي أنزل من السحاب مطراً، فأخرج به من الأرض أصناف النبات المختلفة، وأخرج من النبات زرعاً أخضر طرياً، يخرج من بعضه حباً مركباً بعضه على بعض كالسنابل، ويخرج من طلع النخل (أول ما يخرج منه) عناقيد قريبة للتناول والقاعد، وينشئ بساتين من العنب والزيتون والرمان، متشابهة في الحجم واللون، وغير متشابهة في الطعم والمذاق، انظروا نظرة تأمل واعتبار إلى ثمره إذا أثمر، ونضجه وإدراكه حين ينضج، حيث يكون ملائماً للأبدان، إن فيما تقدم ذكره لدلالات على كمال قدرة الخالق، لقوم يصدقون بوجود الله وقدرته، فهؤلاء هم المتشفعون بالإرشاد.

١٠٠- وجعل بعض المشركين الجن شركاء الله، فعبدوهم وعظموهم، والله هو الذي خلقهم، وهم يعلمون ذلك، فكيف يكون المخلوق شريكاً لله الخالق؟ واختلقوا كذباً واخترعوا له بين كعزير وعيسى، وبنات كالملائكة حين زعموا أنهم بنات الله، جهلاً خالصةً منهم بالله وعظمته، تنزيهاً له وتقديساً، وتباعداً عما يصفه به هؤلاء من الإفك والباطل.

١٠١- الله مبدع ومنشئ السموات والأرض من العدم على غير مثال سابق، فكيف يكون لهذا الخالق المبدع ولد، وكيف يتخذ ما يخلقه ولداً؟ وليس له زوجة حتى يأتي منها الولد؟ وخلق كل شيء ومنهم الملائكة والمسيح وعزير، فيكون غنياً عن كل شيء، وهو عليم بكل شيء، لا تخفى عليه خافية.

١٠٢- إن المتصف بالأوصاف السابقة هو الله ربكم المتفرد بالألوهية والوحدانية، لا رب لكم غيره، هو خالق كل شيء، فهو المستحق وحده للعبادة فاعبدوه، وهو رقيب على كل شيء.

١٠٣- لا تراه الأبصار في الدنيا، ولا يحيطون به في الآخرة، والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة لقوله تعالى: ﴿وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة ٢٢/٧٥-٢٣] وأكدت الرؤية الأحاديث المتواترة، والله وحده يحيط بالأبصار وغيرها، وهو الرقيب بعباده، الخبير بشؤون خلقه.

١٠٤- قد جاءكم أيها الناس مبشرات وبراہین واضحة من ربكم، دالة على ألوهيته ووحدانيته، وذلك في القرآن، من عقلها عرف الحق، فمن أبصر الحق وتعقل الحجة وآمن، فقد قدم الخير لنفسه، ومن تعامى عن الحجة ولم يتعقلها، فقد ألحق الضرر بنفسه، وما أنا الرسول برقيب أحصي عليكم أعمالكم، وإنما أنا نذير.

١٠٥- كما بينا ما ذكر، نين الآيات على وجوه مختلفة بما يناسب المقام من الوعد والوعيد، ليعتبروا، وليقول الكفار في عاقبة الأمر: إنك يا محمد درست علوم أهل الكتاب وتعلمت منهم،

فجئت بهذا القرآن، ولنين القرآن لقوم يعلمون الحق، فيتبعونه.

١٠٦- اتبع أيها النبي ما أوحى الله إليك، واشهد بأنه لا إله إلا هو، وأعرض عن جدال المشركين ومقاومتهم.

١٠٧- إن الله قادر أن يجعل الناس كلهم مؤمنين غير مشركين، فلو شاء الله هداية المشركين ما أشركوا بعبادة غيره أحداً، وما جعلناك أيها النبي رقيباً عليهم، فتجاذبهم بأعمالهم، وما أنت بموكل مفوض في أمرهم، فتجعلهم مؤمنين.

١٠٨- ولا تسبوا أيها المؤمنون آلهة (أصنام) المشركين لثلاث أسباب: الله عدواناً وظلماً، وجهلاً منهم بالله، وبما يجب له من التعظيم والتقدیس، وكما زينا لهؤلاء المشركين ما هم عليه من الوثنية وعبادة الأصنام، زينا لكل أمة عملهم من الخير والشر، فأتوه، ثم يكون مرجعهم جميعاً إلى الله في الآخرة، فيخبرهم بما كانوا يعملون في الدنيا، ويجازيهم به.

١٠٩- وأقسم كفار مكة أشد الأيمان وأوكدها عندهم، لئن جاءتهم معجزة بما اقترحوا في سورة [النحل ٩٠/١٦] وما بعدها، ليصدقن بها، وبأنك رسول الله، قل لهم أيها النبي: إنما مرجع هذه الآيات إلى الله، وهو القادر عليها، إن شاء جاءكم بها، وإن شاء ألا ينزلها، وما يدريكم أيها المؤمنون بأنهم يؤمنون إذا جاءتهم، إنهم لن يؤمنوا في الواقع.

١١٠- وما يشعركم أن الآيات إذا جاءت أيضاً تقلب قلوبهم بالخواطر الباطلة، وتقلب أبصارهم في توهم التخيلات، فلا يؤمنون بها، كما لم يؤمنوا بالقرآن حين دعاهم الرسول للإيمان به، وتركهم في ضلالهم

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَفَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿٢﴾ قَدْ جَاءَكُمْ نَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَإِنَّ أَيْسَرَ لَهُ مِنَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لِّيَفْقَهُوا دُرُوسًا وَلِيُنذِرَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٥﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَلَا تَسْأَلُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فليَسْأَلِ اللَّهُ عَذَابًا يُعْزِلُهُمْ كَذَلِكَ نَسْأَلُ أُمَّةَ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنْشِئُهُمْ مَا كَانَوْا يُعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَهَارٌ مُّؤْمِنٌ بَهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشِيرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨﴾ وَنَقَلِبْ أَقْسِمَهُمْ وَابْصُرْهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٩﴾



١١١- ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة، فرأوهم عياناً وشهدوا بصدق رسالتك، وأحيينا لهم الموتى وجمعنا وعرضنا عليهم مواجهة ومعاناة، كل شيء مما اقترحوا من المعجزات المادية، لم يؤمنوا إلا بمشيئة الله إيماناً اختيارياً لا جبرياً، فلا تهتم لعدم إيمانهم، ولكن أكثر هؤلاء المشركين يجهلون أن الإيمان والكفر باختيارهم وإرادتهم. ذكر ابن عباس أن جماعة من كفار مكة وزعمائها قالوا للنبي ﷺ: أرنا الملائكة يشهدون بأنك رسول الله، أو ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم، أحق ما تقول أم باطل، أو اثنا بالله والملائكة قبيلاً؟ فنزلت الآية.

١١٢- وكما جعلنا لك أيها النبي أعداء يعارضونك، جعلنا لكل نبي من قبلك أعداء من شياطين الإنس كالكهان والسحرة وزعماء الكفر، وشياطين الجن أولاد إبليس يُضِلُّونَ الجن والإنس، ويوسوس بعضهم لبعض القول المخرف ظاهراً، الفاسد باطناً، لتزيين الباطل، وتغريبهم وخداعهم ومحاولة صرفهم عن جادة الحق، ولو شاء ربك ما فعلوا هذا التغريب

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَسَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ وَقِيلَ مَا كَانُوا لِلْيُؤْمِنِ إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ١١١ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَاطِئِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ سَأَلَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْعَلُونَ﴾ ١١٢ ﴿وَلَوْ صَعِيَ إِلَيْهِ أَفِيدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرِضُوهُ وَلِيَقْرَأُوا مَا هُم مُّقْرَفُونَ﴾ ١١٣ ﴿أَفَقَدْ آتَيْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ١١٤ ﴿وَقَدْ كَلَّمْتُ رَبِّكَ صَدَقَ وَعْدًا لَأَبْدِلَ لِكَاتِبِيهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ١١٥ ﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ بِيُضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَسْمَعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ١١٦ ﴿إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ١١٧ ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِيهِ مُؤْمِنِينَ﴾ ١١٨

والوسواس، فاتركهم أيها النبي وما يكذبون ويزورون.

١١٣- يوحى (يوسوس) هؤلاء الشياطين إلى بعضهم زخرف القول، ليغروا المؤمنين، ولتميل إلى الباطل والزخرفة قلوب الكفار المتعلقين بالدنيا وحدها، الذين لا يؤمنون بالآخرة، وليرضوه لأنفسهم، وليكتسبوا ما هم مكتسبون من المعاصي والآثام.

١١٤- يا معشر المشركين، أطلب قاضياً حكماً بيني وبينكم أعدل من الله؟ والله هو الذي أنزل إليكم القرآن مبيناً واضحاً، ظهر فيه الحق والباطل، وإن علماء أهل الكتاب يعلمون يقيناً أن القرآن منزّل من عند الله، بالحق الذي لا شك فيه، من طريق كتبهم المنزّلة كالنوراة والإنجيل، فلا تكونن من الشاكين.

١١٥- وتم كلام الله وهو القرآن، واكتمل شرعه، وتم الكلام الذي وعده الله فيه نبيه بالنصر، صدقاً في الإخبار، وعدلاً في الأوامر والأحكام، لا تغيير لما حكم به الله، وهو السميع لأقوال عباده، العليم بشؤونهم، يجازي كل عامل بما عمل.

١١٦- وإن تطع أيها النبي الكفار (أكثر الناس)، يضلوك أو يبعدوك عن الدين الحق، ما يتبعون في دينهم ومجادلتهم إلا الظن الذي لا أصل له، وما هم إلا يخيّمون ويقدرّون من غير بينة وعلم.

١١٧- إن ربك أيها النبي عالم بمن يسير في طريق الضلال، وعالم بمن هو على طريق الاستقامة.

١١٨- كلوا أيها المؤمنون من المذبح الذي ذكر اسم الله عليه، ولا تحرموا منه شيئاً، فكل مذبوح غير محرم الأكل حلال إن كنتم مصدقين بأحكام الله تعالى. نزلت حينما قال ناس: يا رسول الله، أناكل ما نقتل ولا نأكل ما يقتل الله؟ فأنزل الله: ﴿فكلوا مما ذكر...﴾

١١٩- ما المانع أن تأكلوا مما أذن الله لكم فيه، وذكر اسم الله عليه؟ وقد بين الله لكم ما حرم عليكم أكله بياناً مفصلاً في الآية الثالثة من سورة المائدة، إلا في حال الضرورة لتناول شيء مما حرم عليكم، فإِنَّ الضرورات تبيح المحظورات، وإن كثيراً من الناس وهم الكفار ليضللون غيرهم بأهوائهم، فيحللون الحرام، ويحرمون الحلال، بغير حجة ولا دليل، إن ريك أيها الرسول عالم بمن تجاوزوا الحدود، فأحلوا ما حرم الله، وحرّموا ما أحل الله، كاهل الجاهلية الذين أحلوا أكل الميتة، واتخذوا البحائر والسوائب.

١٢٠- ثم أمر الله تعالى بترك جميع الآثام والمعاصي، ظاهرة كالضرب والسب والسرقة والزنا، أو باطنة كالخسد والحقد والبغضاء، إن الذين يرتكبون الذنب في الدنيا، سيُجازون في الآخرة بقدر ما ارتكبوا من الذنوب.

١٢١- ولا تأكلوا من الذبائح ما ذبح على اسم غير الله، لأنه خروج عن طاعة الله، أمّا متروك التسمية عمداً من المسلم، فيحرم أكله عند الجمهور، ويباح أكله عند الشافعي، وإن الشياطين

ليوسوسون إلى أعوانهم من المشركين ليجادلوكم

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ عَلَيْكُمْ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرُّنَا بِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَؤِخُونَ إِلَى أُولِيَ الْأَهْوَائِ لِيُحَدِّثُوا أَلْسِنَهُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَنْ كَانَ مِتًّا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ جُرْمِيهَا لَنُكَرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِحَقِّ نُورٍ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَهُمْ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

في أكل الميتة، كما ذكر في سبب نزول الآية السابقة [١١٨] وإن أطعتموهم في إباحة الميتة، كنتم مشركين أمثالهم. قال المشركون: تزعم يا محمد أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتل الكلب والصقر حلال، وما قتله الله حرام، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

١٢٢- ثم ضرب الله مثلاً للمؤمن والكافر، وهو: أفمن كان ميتاً بالكفر والجهل، فأحييناه بالإيمان، وجعلنا له نوراً وهو الهداية، يضيء له طريقه بين الناس، كمن هو واقع في ظلمات الكفر، وهو غارق فيها لا يتخلص منها؟ وكما زين الله الإيمان للمؤمنين، زين للكافرين ما يعملونه من المنكرات. نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل بن هشام، كانا ميتين في الضلالة، فأحيا الله عمر بالإسلام، وأبقى أبا جهل في ضلالته. وقال ابن عباس: يراد بهذه الآية حمزة بن عبد المطلب وأبو جهل.

١٢٣- كما جعلنا فساق مكة أكابرها (رؤساءها) المحاربين لدعوتك، كذلك جعلنا في كل قرية أي مدينة أكابر مجرميها، ليمكروا فيها بالصد عن الإيمان، ويحتالوا في العصيان ومخالفة الاستقامة، وما يدبرون تدبيراً خفياً للسوء إلا على أنفسهم، وما يشعرون بالعاقبة لفرط جهلهم واتباعهم أهواءهم.

١٢٤- وإذا جاءت أهل مكة ونحوهم من أكابر المجرمين حجة دالة على صدقه ﷺ، قالوا: لن نُصَدِّقَ برسالتك حتى نكون مثلك أنبياء، فرد الله عليهم: الله أعلم بمن هو أهل للرسالة، سيصيب المجرمين بقولهم ذلك ذل وهوان عند الله، وعذاب شديد يوم القيامة هو عذاب النار. نزلت هذه الآية في الوليد بن المغيرة قال: لو كانت النبوة حقاً، لكنت أولى بها من محمد، لأنني أكبر منه سناً، وأكثر منه مالاً وولداً.



فَنُيِّرِدُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَهُ يُشْرِخَ صَدْرُهُ لِلْإِسْلَامِ
وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّا
بَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا
الْآيَةَ لِقَوْمٍ يَعْرِفُونَ ﴿١٢٦﴾ هَلْ هُوَ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ
جَمِيعًا يَمْعَسِرُ الْجِنُّ قَدِ اسْتَكْبَرُوا مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ
أُولَئِكَ أَهْمُ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْمَعْ بَعْضًا بِبَعْضٍ وَبَلِّغْنَا
أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ إِنَّا رَمَوْنَكُمْ خَلْدِينَ
فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ
قَوْلِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾
يَمْعَسِرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ أَلْزِيَاتُكُمْ رُسُلٌ تَنْصُرُكُمْ
يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ أَمْرًا وَيُنْذِرُكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا
سَهْدًا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ نَفْسَهُ الدُّنْيَا
وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾

١٢٥- فمن يرد الله هدايته يوسع صدره للإسلام، وينور قلبه حتى يقبله، ومن يرد إضلاله يضيق صدره أشد الضيق، كأنما يتكلف الصعود في السماء فلا يستطيع، ويمتنع نفوذ الإيمان لقلبه، كذلك يسلط الله العذاب على غير المؤمنين بسبب عنادهم وإصرارهم على الكفر.

١٢٦- وهذا الطريق الذي عليه النبي ﷺ والمؤمنون: هو الدين القويم الذي لا اعوجاج فيه، قد بينا الآيات القرآنية ووضحناها لقوم يتذكرون ويتفكرون ويتدبرون، فيستفهمون.

١٢٧- لهؤلاء المتذكرين المتدبرين الجنة دار السلامة من كل مكروه، يوم القيامة والله متولي أمورهم وناصرهم ومعينهم بسبب أعمالهم الطيبة.

١٢٨- واذكر أيها النبي ما يحدث يوم القيامة يوم يجمع الله الإنس والجن جميعاً، ثم يقول الله: يا جماعة الجن، قد استكثرتم من إغواء الإنس وإضلالهم، حتى صاروا في حكم الأتباع لكم، فحشروناهم معكم، وقال أنصارهم من الإنس:

ربنا انتفع كل منا بالآخر، انتفع الجن بالإنس حيث اتبعوهم وأطاعوهم، وانتفع الإنس بالشياطين حيث دلّوهم على الشهوات وزيتوا لهم المحرمات، واستفاد الكهان من معلومات الجن، وبلغنا الأجل الذي حددته لنا وهو الموت وما يتبعه وهو يوم القيامة، ووصلنا إلى ما وعدتنا به، مما كذبنا به في الدنيا، قال الله: النار موضع مقامكم (إقامتكم) خالدين فيها إلى الأبد، إلا ما شاء الله من الخروج خارج النار، تسقون شراب الحميم الذي يقطع الأمعاء، إن ربك حكيم في صنعه وجزائه، عليم بما يستحقه كل فريق. قال ابن عباس: في هذه الآية، لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه، لا يزلهم جنة ولا ناراً.

١٢٩- كما متعنا عصاة الإنس والجن بعضهم ببعض، نسلط ظلمة الجن على ظلمة الإنس، ونسلط بعض الظلمة على بعض، فيهلكهم، جزاء لهم، بسبب كسبهم للذنوب وكفرهم وعصيانهم.

١٣٠- في يوم الحشر يقول الله: يا معشر الجن والإنس، ألم يأتكم رسل من جملةكم أو مجموعكم يدعونكم إلى الإيمان، لأن جميع الرسل من بني آدم، يتلون عليكم آياتي المنزل عليكم، ويخوفونكم عذاب يوم القيامة، قالوا: أقررنا بأن الرسل قد بلغونا رسالاتك، وأنذرنا لقاءك، وإن هذا اليوم كائن لا محالة، ولكن خدعتهم الحياة الدنيا بزيتها وشهواتها، فصرفتهم عن الإيمان بالرسول، وأنستهم الحساب والجزاء، وأقروا أيضاً على أنفسهم أنهم كانوا كافرين في الدنيا بالله ورسوله وكتبه وآياته.

ذَلِكَ أَنْ لَوْ يَكُنْ ذَرَّةٌ مِثْلُ نَفْثَتِ الْفَسَّادِ يُظْلِمُ وَأَهْلُهَا
 غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ عَمَلُهُمْ وَبِمَا عَمِلُوا وَبِمَا رَزَقَهُ
 يَفْعَلُونَ عَمَلًا يُؤْمِنُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ
 إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا
 أَتَىٰكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنْ مَا تَوَعَّدُونَ
 لَا تَأْتِيهِمْ إِلَّا نَجْمٌ مُبِينٌ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ
 مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ
 لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ
 مِمَّا ذَرَأَ مِنْ النَّحْلِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ
 بِرِغْمِهِ وَهَذَا لِلشُّرَكَائِ مَا كَانَ لِلشُّرَكَائِ بِهِمْ فَكَانَ
 يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ
 سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ
 مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءَهُمْ
 لِيُردُّوهُمْ وَلَيْسَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ
 اللَّهُ مَا فَعَلُوا قَدْ زَهُمَ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

١٣١ - ذلك الإرسال للرسول وإنزال الكتب بسبب أن الله لا يهلك أهل القرى والمدن بظلم منه، وأهلها غافلون، أي لم يرسل إليهم الرسول الذي يبين لهم، فتزول الغفلة بإرسال الأنبياء.

١٣٢ - ولكل من الجن والإنس المكلفين، سواء العامل في الطاعة أو العصية: درجات متفاوتة في الآخرة، في الجنة والنار، بحسب أعمالهم، والله مطلع على كل الأعمال، لا تخفى عليه خافية، ليجازيهم عليها في يوم المعاد.

١٣٣ - وربك أيها النبي هو المستغني عن جميع خلقه، وعن عبادتهم وأعمالهم، لا ينفعه إيمانهم، ولا يضره كفرهم، ومع غناه عنهم هو ذو رحمة واسعة بهم، وذلك غاية الكرم والفضل، إن يشأ يهلككم ويستأصلكم بالعذاب معشر العصاة، ويستخلف من بعد إهلاككم ما يشاء من خلقه، ممن هو أفضل منكم وأطوع، كما قدر على إنشائكم من ذرية قوم آخرين، كآهل سفينة نوح، أي إنه قادر على الإهلاك والإنشاء معاً.

١٣٤ - إن ما توعدون به من البعث والجزاء كائن لا محالة، ولن تغفلوا من العذاب؛ لأن وعد الله منجز، ولا يعجزه شيء.

١٣٥ - قل أيها النبي: يا قوم ابقوا واستمروا على ما أنتم عليه من الطريقة والكفر، وعلى أقصى ما يمكنكم، فليست بمبال بكم، وإني عامل بطريقتي ودعوتي وإسلامي، فسوف تعلمون من تكون له العاقبة المحمودة في الآخرة، والعاقبة الحسنى في الدنيا من النصر ووراثه الأرض وبقاء الآثار الطيبة في العالم، إنه لا يفوز الظالمون أنفسهم بسبب كفرهم بالله تعالى وبنعمه، واتخاذ الشركاء آلهة.

١٣٦ - وجعل كفار مكة في الجاهلية نصيباً لله، يصرف إلى الضيوف والمساكين، مما خلق وبث من الزروع والثمار ونتاج الأنعام (الابل والبقر والغنم) فقالوا: هذا لله بزعمهم (تقوكمهم) يتقربون به إليه، وهذا نصيب آخر لشركاء الله من الأصنام والأوثان يصرف للسدنة والخدم، فما كان لشركائهم الأصنام، فلا يصل منه شيء ولا يصرف للوجوه التي شرعها الله، كصلة الرحم وقرى الضيف والصدقة على المحتاجين، بل جعلوه للسدنة وذبح القرابين، وما جعلوه لله يجعلونه لآلهتهم، لا للمحتاجين، قائلين: إن الله غني عنه، قبح أو بشس الحكم الذي يحكمون بإيثار آلهتهم العاجزة، على الله الخالق القادر على كل شيء.

١٣٧ - ومثل ذلك التزيين أو التحسين بقسمة الزروع والأنعام بين الله والأوثان، زين أو حسن الشياطين أو خدمة الأوثان أو شركاء المشركين في الكفر لأهل الجاهلية قتل الأولاد مخافة الفقر أو العار، ليهلكوهم وليخطوا عليهم أمر دينهم الذي يدعونه، وهو دين إسماعيل وإبراهيم، فلا يعلموا المشروع من غيره، ولو شاء الله ما فعلوا هذا أبداً، وإنما تم بإرادة الله الكونية لحكمة يعلمها، فاتركهم وتقولهم على الله بالكذب، فذلك لا يضرهم، وما عليك إلا التبليغ.



وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَرَحَتُ حِجْرٍ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ
بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَمَ حَرَمْتُ ظُهُورَهَا وَأَنْعَمَ لَا يَذْكُرُونَ
أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا أَفْتِرَاءٌ عَلَيْهِمْ سَجَزَ بِهِمُ بَكَائُوا
يَفْتُرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ
خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً
فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَجَزَ بِهِمُ وَصَفُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ
عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَالُوا أَوْلَدَهُمْ سَفَهًا
بَغِيرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ
قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ
جَنَّتَ مَعْرُوسَتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوسَتٍ وَالنَّخْلَ
وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّيَّانَ مُتَشَابِهًا
وَعَمَرُ مُتَشَابِهٍ كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ
يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾
وَمَنْ لَا أَنْعَمَ حِمْلَهُ وَفَرَسًا كُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ
وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾

١٣٨- وقال المشركون: هذه الأشياء التي جعلناها للآلهة من الأنعام والزرع محجور، أي ممنوع الانتفاع بها لأحد، ومخصصة للمعبودات والأوثان، لا يأكل منها إلا من نشاء وهم خدام الأوثان، والرجال دون النساء، بزعمهم، أي زعمنا منهم أن الله أذن لهم به، وهذه مواش محرمة الظهور، أي لا تتركب ولا يحمل عليها، وهي السوايب والبحائر والحوامي، ومواش لا يذكر اسم الله عليها عند الذبح، وإنما تذكر أسماء الأصنام عند ذبحها، وذلك مجرد كذب واختلاق على الله، حيث قالوا: إن الله أذن لهم بهذا، سيجزبهم الله الجزاء المستحق بسبب افتراءهم وكذبهم على الله تعالى.

١٣٩- وقال المشركون أيضاً: إن أجنة وألبان هذه البحائر والسوايب المسيية للآلهة حلال فقط لرجالنا دون النساء، فهي محرمة على النساء من بنات وأخوات ونحوهن، وإن يكن الموجود في بطون الأنعام ميتة، فيشترك في الأكل منه الذكور والإناث، سيجازيهم الله بما يستحقون، بقولهم هذا الكذب الظاهر والافتراء بتحريم ما لم يحرمه الله، إن الله حكيم في صنعه وتشريع، عليم

بأحوال خلقه. قال ابن عباس: كانت الشاة إذا ولدت ذكراً ذبحوه، فكان للرجال دون النساء، وإن كانت أنثى تركوها فلم تذبح، وإن كانت ميتة كانوا فيها شركاء.

١٤٠- قد خسر الذين قتلوا أولادهم خسراناً ميبيناً، خوفاً من العار أو الفقر، وجهلاً أي خفة وطيشاً، من غير حجة مقبولة، وحرّموا ما رزقهم الله من الأنعام ومن الطيبات، كذباً على الله، فإن الله لم يحرم شيئاً من هذا، قد ضلّوا عن طريق الحق والمصلحة، وما كانوا مهتدين إلى الصواب والشرع الحكيم، أي لم يحصل منهم اهتداء قط.

١٤١- الله الذي خلق بساتين وكروماً مشجرة مرفوعة على الأعمدة كهيئة العريشة، وغير مرفوعة وإنما تترك على الأرض من غير تعريش، وأوجد النخل والزرع مختلفاً أكله، أي ثمره في الطعم والرائحة، وخلق الزيتون والرمّان، متشابهاً في المظهر، وغير متشابه في الطعم والأكل، مع أن التربة واحدة ويسقى بماء واحد، كلوا من ثمره إذا أثمر ولو لم ينضج، وأخرجوا زكاته المفروضة فيه يوم حصاده (قطعه وجمعه) ولا تسرفوا في الأكل أو الإنفاق، إن الله يؤاخذ المسرفين المتجاوزين حدود الشرع.

١٤٢- وخلق الله لكم من الأنعام (وهي الأصناف الثمانية الآتية) حمولة يحمل عليها الناس والمتاع وهي الإبل، وقرشاً، أي يتخذ الإنسان من الوبر والصوف والشعر فراشاً يفتريه، كلوا مما رزقكم الله وأحلّه من لحومها وألبانها، ولا تتبعوا طرائق الشيطان بالتحليل والتحريم، إنه لكم عدو بين العداوة.

١٤٣ - وخلق الله لكم من الأنعام ثمانية أصناف مزدوجة: ذكر وأنثى، من الضأن (الغنم) اثنين: ذكر وأنثى، ومن المعز اثنين، قل أيها النبي لمن حرم ذكور الأنعام تارة وإنائها أخرى، زاعمين ذلك من الله: أحرم الله الذكـرين (الكبش والتيس) من الضأن والمعز، أم حرم الأنثيين (النعجة والعز) منهما؟ أم حرم ما اشتملت عليه البطون وهي الأجنة؟ أخبروني بدليل علمي موثوق به عن مصدر التحريم، إن كنتم صادقين في دعاؤكم، فمن أين جاء التحريم؟ فإن كان من قبل الذكورة، فجميع الذكور حرام، وإن كان من قبل الأنوثة، فجميع الإناث حرام، وإن كان مما اشتملت عليه الأرحام فهي تشتمل على الصنفين: الذكر والأنثى، فمن أين جاء التخصيص؟

١٤٤ - وخلق لكم من الإبل اثنين: الجمل والناقة، ومن البقر والجوامس اثنين: الثور والبقرة، قل أيها النبي: هل حرم الله الذكركين من الإبل والبقر، أم حرم الأنثيين منهما؟ وإذا لم يكن لكم مستند على التحريم والتحليل، هل كنتم شهوداً حاضرين حين أمركم الله أو وصاكم بهذا التحريم؟ فمن أشد ظملاً ممن اختلق الكذب على

مُتَّبِعَةً أَزْوَاجَ مِنَ الصَّانِ أَتَيْنَ وَمِنَ الْمَعْرِ أَتَيْنَ
 قُلْ أَلَا لِلذَّكَرَيْنِ حَرَمٌ أَمِ الْأُنثَيْنِ أَمَّا أَشْتَكَلَتْ عَلَيْهِ
 أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ يَتَوَنَّى بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢٧﴾
 وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ أَلَا لِلذَّكَرَيْنِ حَرَمٌ
 أَمِ الْأُنثَيْنِ أَمَّا أَشْتَكَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ
 شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّلَكُمُ اللَّهُ هَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى
 اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ أَلَّ اللَّهُ لَا يَهْدِي
 الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٢٨﴾ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا
 عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا
 أَوْ لَحْمَ خنزير فَإِنَّهُ رِجْسٌ وَفِسْقٌ أَمَّا أَهْلُ الْغَيْبِ اللَّهُ
 بِهِ مِنْ أَصْطَرٍّ غَيْبٍ رَاجِعٌ وَلَا عَادٍ فَإِنْ رَبَّنَا عَفُوٌّ
 رَحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلِّ ذِي
 ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَ حَرَمًا عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا
 إِلَّا مَا حَلَلْتَ طَهُورُهُمَا وَالْحَوَائِصَ أَوْ مَا اخْتَلَطَ
 بَعْضُهُ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِغَيْرِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٣٠﴾

الله، فنسب إليه ما لم يحكم به افتراء عليه، كما فعل كبراء المشركين، لإضلال الناس عن الدين الحق بغير دليل موثوق، وإثماً عن جهل تام، إن الله لا يوفق للرشاد الظالمين أنفسهم، ولا يهديهم إلى الحق والعدل والصواب.

١٤٥. قل أيها النبي: لا أجد طعاماً محرماً على أحد يأكله فيما أوحى إلي في القرآن إلا تناول الميتة (غير المذكاة) والدم السائل، ولحم الخنزير فإنه نجس، أو المذبوح على الأصنام، على غير اسم الله وسمي فسقاً، أي سبب فسق أي خروج عن الطاعة بذبحه لغير الله، فمن اضطر إلى تناول شيء مما ذكر لجوع شديد أو عطش شديد، غير قاصد أو متعمد الحرام، ولا متجاوز قدر الضرورة، فإن ربك كثير الغفران له ما أكل، رحيم به، لا يؤاخذ به على ما فعل؛ لأنه مضطر. ولا تعارض بين هذه الآية وآية المائدة الثالثة؛ لأن كل الأشياء من المتخنة والموقودة والتردية والنطيحة وما افترس السبع من أنواع الميتة. قال طائوس: إن أهل الجاهلية كانوا يحرّمون أشياء، ويستحلّون أشياء، فنزلت: ﴿قل: لا أجد..﴾.

١٤٦- ليس لأهل الجاهلية تحريم ما حرّموا، وليس ذلك في التوراة ولا في القرآن، فلقد حرّمنا على اليهود في التوراة ذوات الأظفار التي لم تنفجر أو لم تتفرق أصابعها كالإبل والنعام، والبط والإوز، ويباح لهم ما انفرجت أصابعه كالدجاج والعصافير، وحرّمنا عليهم أيضاً ما يكون من الشحم الرقيق (الدهن) على الكرش والغلي، ولم نحرم من الشحوم ما علق بالظهر، والحوايا (المصارين) والمختلط بالعظم وهو شحم الألية، ذلك التحريم جزاء ظلمهم وعدوانهم، وإنا لصادقون في الوعد والوعيد.

١٤٧. فإن كذبك أيها النبي اليهود والمشركون فيما أوحينا إليك، فقل لهم: ربكم ذو رحمة واسعة حيث لم يعاجلكم بالعقاب ويحلم عليكم، وفيه لطف بدعوتهم إلى الإيمان وترغيبهم به، ولا يرد عذابه إذا جاء عن القوم المجرمين.

١٤٨. سيقول مشركو قريش وغيرهم: إن إشراكنا وتحرينا أشياء على أنفسنا بمشيئة الله، فهو راض به، محتجين بالقدر، زاعمين أن ما فعلوه حق، وهذا منهم كذب وتضليل، وكما كذب هؤلاء المشركون، كذب الكفار السابقون رسلهم، حتى ذاقوا عذابنا الذي أنزلناه بهم، قل لهم أيها النبي: هل عندكم من دليل يدل على أن الله راض بما أشركتم وبما حللتم وحرمتهم، فتظهروه لنا؟ أي لا علم ولا دليل عندكم، ومجرد وقوع الفساد منكم لا يدل على رضا الله عنكم، ما تتبعون في قولكم هذا إلا الظن القائم على الخطأ والجهل، وما أنتم إلا تحزرون وتخمنون وتتوهمون.

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شَهِدَاءَ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ يَرْبِهِمْ يَعْبُدُونَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ نَعَالُوا أُنَافِلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَلَكُمْ بِهِ لَعْنَكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

١٤٩. قل: فله الحجة البالغة، أي الدليل التام الذي يبين الحق، بإرسال الرسل لهداية الناس، وتصحيح الاعتقاد، وتشريع الأحكام، فلو شاء الله هدايتكم لهداكم أجمعين، فلا يكون لكم اختيار وإرادة، ويكون وضع مخالفيتكم أيضاً بمشيئة الله تعالى.

١٥٠. قل لهم: هاتوا واحضروا شهودكم على أن الله حرم تلك الأشياء، كالبحيرة والسائبة وغيرهما، فإن قدموا شهوداً، فلا تصدقهم أيها النبي ولا تقبل لهم شهادة، فإنها شهادة زور، ولا تتبع أهواء المكذبين بآياتنا وبالأخرة، وهم يجعلون لربهم عديلاً (أي شريكاً مائلاً) أو نِدّاً من مخلوقاته، كالأوثان، فيعبدونها ويشركونها مع الله تعالى.

١٥١. قل أيها النبي لهؤلاء المشركين وأمثالهم: أقبلوا أقرأ وأقص عليكم الآيات التي تبين ما حرم ربكم عليكم حقاً: ألا تشركوا بالله شيئاً في العبادة، وأوصاكم بالإحسان إلى الوالدين، ببرهما وإطاعتهما، وألا تقتلوا أولادكم خوفاً من الفقر بقتل الذكور، وخوفاً من العار بواد البنات، كما كان يفعل بعض عرب الجاهلية، ولا تقربوا الفواحش: كبائر الذنوب والمعاصي، كالزنا، في العلن والسر، ولا تقتلوا عمداً النفس التي حرم الله قتلها إلا بحق، كالقتل قصاصاً، ورجم الزاني المحصن، وقتل المرتد، ذلکم المذكور أمرکم الله به وأوجبه عليكم، لتعقلوا وتفهموا عن الله وأمره ونواهيه الدالة على الخير، والمنفرة من الشر.



وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ
وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْيَزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكِلْ فَنَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ
أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِحَبْلِ لَكُمْ تَذْكُرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنْ
هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ
بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِحَبْلِ لَكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ
ءَايَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَىٰ الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ
شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَالَمٍ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾
وَهَٰذَا كِتَابُنَا أَنزَلْنَاهُ مَبَارَكًا فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا
وَإِنْ كُنَّا عَن دَرَسَتِهِمْ لَلْغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا
لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ
فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن
كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَجِرَى الَّذِينَ
يَصْدُرُونَ عَنِ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدُرُونَ ﴿١٥٧﴾

١٥٢- ولا تقربوا شيئاً من أموال اليتامى بالأخذ أو الإتلاف ونحوهما، إلا بما فيه المصلحة والنفع باستثمار المال وتنميته والإنفاق منه لصالح اليتيم بحسب الحاجة، والنهي عن الاقتراب من الشيء أبلغ من النهي عن الشيء نفسه، ويستمر الإشراف على مال اليتيم حتى يبلغ رشده، وهو التمكن من التصرف السليم بالمال، وأوفوا الكيل والميزان بالعدل في الأخذ والإعطاء، من غير نقص ولا زيادة، لا يكلف الله نفساً إلا قدر طاقتها واحتمالها في سائر التكاليف، وإذا قلتم أو حكمتم فاعدلوا في الشهادة والحكم، ولو كان المقول له أو المحكوم عليه صاحب قرابة لكم، وإذا عاهدتم الله أو الناس، فأوفوا بمقتضى العهد، ذلكم المذكور في هذه الآية، أمركم الله به أمراً مؤكداً، لكي تذكروا وتتعظوا وتتسوها عما كنتم فيه قبل هذا، وتعملوا بأوامر الله تعالى، وتحذروا عذابه.

١٥٣- وأن هذا المذكور من الوصايا العشر: هو دين الله القويم الذي ارتضاه لعباده، لا اعوجاج فيه، فاتبعوه ولا تتبعوا الطرق المخالفة له والأديان المباينة له، فتميل بكم عن سبيل الله المستقيم ودينه الذي ارتضاه لكم، ذلكم أمركم به ربكم، لتتقوا الله، فتلتزموا بأوامره وتجتنبوا نواهيه، وتحذروا عقابه.

١٥٤- ثم قل: أعطينا موسى عليه السلام التوراة قبل أنزل القرآن على محمد ﷺ، تاماً على أحسن الأمور، وإتماماً للنعمة على الذي أحسن في اتباعه والاهتداء به، وهو موسى وكل من أحسن عمله، وتبيناً لأحكام كل شيء في زمانهم، فيصبح مجموع التوراة والقرآن حجة دامغة على المشركين الذين قالوا: ما أنزل الله من شيء.

١٥٥- وهذا القرآن كثير البركة والنفع، عظيم الشأن، لاشتماله على منافع الدين والدنيا، فاعملوا بما جاء فيه، واحذروا مخالفته وتكذيبه، لترحموا برحمة الله ورضوانه وجنته.

١٥٦- ولثلاثاً تقولوا يا أهل مكة: إنما أنزل التوراة والإنجيل على من قبلنا من اليهود والنصارى، ولم ينزل علينا كتاب، وقد كنا عن دراسة كتبهم والتأمل فيها وفهمها غافلين، أي لا ندري ما فيها، لجهلنا بلغتهم.

١٥٧- أو تقولوا أيضاً: لو أنزل علينا الكتاب السماوي بلغتنا، كما أنزل على من قبلنا من اليهود والنصارى، لكننا أهدى منهم إلى الحق؛ لأننا أكثر ذكاء وفهماً، فرد الله عليهم بأنه قد جاءكم حجة واضحة، وهو القرآن المنزل على نبيكم من عروبيتكم، وهداية من الضلالة، ورحمة لمن اتبعوه، فلا أحد أشد ظلماً ممن كذب بآيات الله في قرآنه، وأعرض عنها، سنجزى المعرضين عن آياتنا أشد العذاب بسبب إعراضهم عنها وتكذيبهم بها.

١٥٨- ما ينتظر المكذبون إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم، أو يأتي أمر ربك بعذابهم، أو تأتي أمارات الساعة، يوم تأتي بعض علامات القيامة، كطلوع الشمس من مغربها والدجال، لا ينفع النفس إيمانها في ذلك اليوم، لأنه إيمان اضطراري، ولا ارتفاع التكليف، إذ لم تكن آمنت من قبل مجيء بعض الآيات، في دار التكليف وهي دار الدنيا، أو كانت مؤمنة، ولكن لم تعمل خيراً، من الأعمال الصالحة المطلوبة منها، أو كسبت خيراً ولم تؤمن، فإن إيمانها وتوبتها وعملها حيثذ غير نافع في منع العذاب، قل أيها النبي: انتظروا عذاب ربكم إنا منتظرون ثواب ربنا وفضله ونصره على الأعداء.

١٥٩- إن الذين جعلوا دينهم أجزاء متفرقة، فأخذوا بعضه وتركوا بعضه، وهم اليهود والنصارى والمشركون والمبتدعة، وصاروا فرقاً وأحزاباً، لا تعرض لهم، وأنت بريء من تفرقهم، وإنما أمر حسابهم جزائهم إلى الله، ثم ينبئهم (يخبرهم) يوم القيامة بما فعلوا في الدنيا، فيجازيهم على أفعالهم.

١٦٠- القانون العام للمؤمنين: أن من عمل خصلة حسنة، فله عشر أمثالها، وقد يزيد إلى سبعمائة ضعف، وقد يجازى الفاعل بغير حساب، ومن

ارتكب فعلة سيئة فلا يجزى إلا سيئة واحدة مثلاً، من غير زيادة عليها، ولا يظلم المحسن بنقص ثواب؛ ولا المسيء بزيادة عقاب.

١٦١- قل أيها النبي: لقد أرشدني ربي إلى الطريق المستقيم، وهو ملة (شريعة) إبراهيم عليه السلام، ديناً مستقيماً لا عوج فيه، وكان إبراهيم مائلاً عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق، وهو دين الإسلام، ولم يكن من المشركين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر.

١٦٢- قل أيها الرسول: إن صلاتي بأنواعها، وعبادتي وقرباتي، وما أعمله في حياتي من الطاعة والخير، وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح، كله خالصاً لله رب العالمين من إنس وجن.

١٦٣- لا شريك لله في عبادتي وعملي، وقد أمرني ربي بذلك فأطعت، وأنا أول المسلمين المتقادين لله من أممي.

١٦٤- قل أيها النبي رداً على المشركين الداعين إلى عبادة الأصنام: أغير الله أطلب رباً؟ كيف أعبد غير الله وأترك عبادة الله؟ والله خالق ومدير كل شيء ومالكة، ولا تكسب كل نفس نفس ذنباً إلا كان عليها إثم وعقابه، ولا تتحمل نفس بريئة ذنب نفس أخرى، فلا يؤخذ أحد بجريرة غيره، ثم إلى ربكم مصيركم يوم القيامة، فيخبركم بما اختلافتم فيه في العقيدة والعمل، ويجازيكم على أعمالكم.

١٦٥- وهو الذي جعلكم خلفاء في عمران الأرض، يخلف بعضكم بعضاً فيها، ورفع بعضكم فوق بعض درجات في العلم والمال والجاه وغير ذلك، ليختبركم فيما آتاكم من هذه الأمور، إن ربك سريع العقاب لمن عصاه، وإنه لغفور لذنوب المؤمنين بالله ورسله وكتبه، رحيم بهم.

هَلْ يُنظَرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَلَكُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَوَ كُنَّ آتَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّا الَّذِينَ قَرَأُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شُرَكَاءَ لَنَسْتُنْهَمُ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مِنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يَجْزِيهِ إِيمَانُهَا وَهُوَ لَا يَظْلُمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا فِيهِ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهِ وَيَذَلِكْ أَمْرٌ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَنْبِيَائِي رُبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِدُ وَارِدُهُ وَزُدًا خَرَجْتُ مِنْ رَبِّكُمْ مَرْجِعَكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ حُلُوفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَسْأَلُوكُمْ فِي مَاءِ أَنْتُمْ إِنْ رَبُّكُمْ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

سورة الأعراف

هي مكية إلا ثمان آيات، وهي قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ إلى ما قبل قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ [١٦٣-١٧٠].

١- ﴿المص﴾: تقرأ هكذا: ألف، لام، ميم، صاد، وهي كأول البقرة وآل عمران لتحدي العرب بالآيتين بمثل القرآن، مادام مركباً من حروف لغتهم العربية، وهم فرسان البلاغة والفصاحة.

٢- هذا القرآن كتاب أنزل إليك أيها النبي، فلا يكن في صدرك ضيق من إيلاعه إلى الناس، حتى ولو كذبوك وأذكوك، فإن الله عاصمكم وناصركم وحافظكم، أنزلناه إليك لتخوف به من عقاب الله من عصاه، وتذكيراً بفضلِهِ سبحانه على المؤمنين.

٣- اتبعوا أيها الناس المنزل إليكم من ربكم في القرآن العظيم والسنة النبوية التي تبينه وتفسره، ولا تتبعوا من دون كتاب الله أنصاراً كأنفسكم أو الشياطين، تقلدوهم في الدين، ولكنكم تذكرون الحق في شأن الإيمان تذكراً قليلاً جداً، وتتسبون الواجب عليكم نحو ربكم.

٤- وكثير من القرى المكذبة بالحق وأهلها أردنا

إهلاكهم، فأتاهم عذابنا ليلاً وهم نائمون، أو مستريحون وقت القيلولة: هي نوم نصف النهار.

٥- فما كان دعاؤهم واستغاثتهم حين أتاهم عذابنا إلا اعترافهم بظلم أنفسهم بالإشراك بالله وتكذيب رسله.

٦- وأؤكد لكم أنه لنسألن الأمم السالفة عن مدى إجابتهم الرسل، ولنسألن الأنبياء المرسلين عما أجاب به أقوامهم، وعمن أطاع منهم وعصى.

٧- ولنخبرن الرسل والمرسلين عن علم تام ويقين بما وقع بينهم عند الدعوة إلى الإيمان، وما كنا غائبين عنهم حتى يخفى علينا شيء مما حدث بينهم.

٨- ووزن الأعمال يوم القيامة هو الوزن الحق الدقيق العدل الذي لا ظلم فيه، فمن رجحت حسناته على سيئاته، فهم الفائزون بالرضوان والجنة.

٩- ومن رجحت سيئاته على حسناته، فهم الخاسرون أنفسهم بتصويرها إلى النار أو تعرضها للعذاب، بسبب جمودهم آيات الله تعالى.

١٠- يا بني آدم لقد جعلنا لكم في الأرض مكامناً وقراراً، وهيأنا لكم أسباب المعاش، من السكنى والطعام والشراب والملبس، تشكرون قليلاً جداً تلك النعم.

١١- ولقد أوجدنا أصلكم أو أباكم آدم من تراب، ثم صورناكم بشراً، وأمرنا الملائكة بالسجود لآدم تكريماً، فامتلأوا وسجدوا سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة، إلا إبليس لم يسجد تكبراً.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَص ١ كَتَبْنَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حِجٌّ مِنْهُ لِتُذَرِّبَهُ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ٢ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣ وَمِن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا نَارًا تَوَدَّ أَنْ تَقُولَ ٤ فَاكُنْ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِنْ أَنْ قَالُوا إِنَّا كَاظِمِينَ ٥ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ٦ فَلَنَقْضَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ ٧ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٨ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُظْلِمُونَ ٩ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَئِسُوا مِنَّا أَنْ يَرْجِعُوا ١٠ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا قَلِيلًا ١١ مَّا تَشْكُرُونَ ١٢ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ١٣



١٢- قال الله تعالى له لإقامة الحجة والتوبيخ ؛ لأن الله عالم بذلك : ما الذي منعك من السجود لأدم حين أمرتك بالسجود؟ قال إبليس : أنا أفضل من آدم ، خلقتني من نار ، وخلقته من طين ، وعنصر النار بما فيها من الارتفاع والنور خير من الطين الذي فيه الخمود والركود .

١٣- قال الله له : فاهبط من الجنة التي خلقت فيها ، فما ينبغي ولا يصح لك أن تتكبر فيها وتعصي أمري ، فأخرج منها ، إنك من الأذلاء المحتقرين المهانين ، جزاء استكبارك .

١٤- قال إبليس : رب أمهلني ولا تعجل بموتي إلى يوم البعث الذي يبعث فيه آدم وذريته ، من قبورهم عند النفخة الثانية .

١٥- قال الله تعالى : إنك من المهملين المؤجلين إلى وقت الصعق والفناء بالنفخة الأولى ، وهي نفخة الفزع ، لا إلى يوم البعث ، والحكمة من ذلك ابتلاء العباد ليعرف الطائع من العاصي .

١٦- قال إبليس : فبسبب إغوائك وإضلالك إياي ، أقسم لأجهدن أن أصدبني آدم عن طريق الإيمان والحق والهداية ، ولاغوينهم حتى يفسدوا بسبي ، ولا يعبدوك ولا يوحدوك .

قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا سَبْدًا إِذَا أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ١٢ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ١٣ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ١٥ قَالَ فَاغْوِينِي لَمْ تَجِدْ صِرْطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ١٦ تَوَلَّى لَيْسَ لَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا حِجَابَ لَهُمْ سُرُورٌ ١٧ قَالَ أَلَمْ نَخْرُجْ مِنْهَا مَذَّةً وَمَاءً حَسْبًا لِمَنْ يَبْعَثُ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ١٨ وَبَدَأُكُمْ أَتُكِنُّ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ١٩ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مِنْ سَوْءِئِهِمَا وَقَالَ مَا مَنَعُكَ رَبُّكَ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ٢٠ وَفَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ٢١ فَدَلَّهُمَا بِعُرْوَةٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الشَّجَرَةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ٢٢

١٧- ثم لآتينهم من كل جهة من الجهات الأربع لإغوائهم وتشكيكهم في الآخرة ، ولا تجد أكثر الناس شاكرين لك نعمتك ، ولا مطيعين أوامر . وهذا ظن منه وتوهم .

١٨- قال الله سبحانه لإبليس مؤكداً اللعنة والطرده من الملأ الأعلى : أخرج من الجنة مذموماً عمقوتاً ، مطروداً من رحمتي ، وأقسم لمن ترك طاعتي واتبعت ، لأملأن جهنم منك ومن ذريتك ومن أتباعك أجمعين .

١٩- وقتلنا بعد إخراج إبليس من الجنة : يا آدم اسكن أنت وزوجك حواء الجنة ، فكلا من ثمارها من أي نوع كان أردتما ، ولا تقربا هذه الشجرة الواحدة بالأكل منها ، فهي محرمة عليكم ، فتكونا من الظالمين أنفسهم بخالفة أمر الله تعالى . ولم يصح تعيين الشجرة ، وقيل : إنها الخنطة .

٢٠- فحسدتهما الشيطان ، وحدثهما بصوت خفي من الأرض إلى السماء ، وزين لهما الأكل من تلك الشجرة ، ليكشف لهما ويسيء إليهما بإظهار ما ستر وعطى من عوراتهما ، فلا يريانها ولا يراها أحد ، وقال إبليس لهما : ما نهاكما ربكما عن الأكل من هذه الشجرة ، إلا لأجل ألا تكونا ملكين مقربين أو تكونا من الخالدين الذين لا يموتون أبداً .

٢١- وحلف لهما : إني ناصح لكما فيما أقول ، وأعلم بهذا المكان .

٢٢- وما زال يخدعهما ويغريهما بالحلف والترغيب في الأكل من الشجرة وتزيين الباطل ، حتى أوقعهما في المعصية ، فلما أكلا من ثمر الشجرة ، ظهرت لهما عوراتهما ، وشرعا يقطعان ورق الجنة ، ويستران به عورتهم ، وناداهما ربهما معاتباً لهما وموبخاً : ألم أنهكما عن الأكل من ثمر تلك الشجرة ، وأقل لكما : إن الشيطان لكما عدو ظاهر العداوة . والتدلية والإدلاء : إنزال الشيء إلى أسفل شيئاً فشيئاً ، والمعنى أبطعهما من رتبة الطاعة والكرامة ، وهي الرتبة العالية ، إلى رتبة دنيا وهي المعصية .

٢٣- قَالَا : رَبَّنَا إِنَّا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا بِالْمُخَالَفَةِ وَطَاعَةِ الشَّيْطَانِ ، وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، وَتَسْمَلَنَا بِرَحْمَتِكَ ، لَنَكُونَنَّ مِنَ الْهَالِكِينَ .

٢٤- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِأَدَمَ وَحَوَاءَ وَإِبْلِيسَ : انْزِلُوا جَمِيعًا مِنْ هَذِهِ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ ، بَعْضُكُمْ عَدُوٌّ بَعْضٍ ، وَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الْعُقُوبَةِ ، وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مَكَانٌ اسْتِقْرَارٌ ، وَتَمَتُّعٌ وَانْتِفَاعٌ بِخَيْرَاتِ الْأَرْضِ إِلَى وَقْتِ مَوْتِكُمْ ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَجَالَ مَعْلُومَةٌ وَمَقْدَرَةٌ أَزَلًا .

٢٥- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : فِي الْأَرْضِ نَحْيُونَ ، وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَتُدْفَنُونَ ، وَمِنْهَا تَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ إِلَى دَارِ الْآخِرَةِ .

٢٦- يَا بَنِي آدَمَ قَدْ خَلَقْنَا لَكُمْ لِبَاسًا يَسْتُرُ عَوْرَاتِكُمْ ، وَرِيشًا لِلتَّجَمُّلِ ، وَهُوَ لِبَاسُ الزَّيْنَةِ ، وَلِبَاسُ التَّقْوَى الْمَعْنَوِي : وَهُوَ لِبَاسُ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ خَيْرُ لِبَاسٍ وَأَفْضَلُ مِنَ اللَّبَاسِ الْمَادِيِّ ، ذَلِكَ اللَّبَاسُ بِنُوعِيهِ (الْمَادِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ) مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِهِ وَفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ ، لِيَتَذَكَّرُوا ذَلِكَ ، فَيَشْكُرُوا نِعْمَتَهُ وَيُؤْمِنُوا بِهِ سُبْحَانَهُ .

٢٧- يَا بَنِي آدَمَ لَا يَضِلُّكُمْ الشَّيْطَانُ ، فَيَصْرِفَكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ وَطَاعَةِ اللَّهِ ، كَمَا فَعَلَ أَبُوبَكْرٍ أَدَمَ وَحَوَاءَ ، وَأَخْرَجَهُمَا مِنَ الْجَنَّةِ بِخُدَاعِهِ وَوَسْوَستِهِ ، وَتَسَبَّبَ فِي نَزْعِ لِبَاسِهِمَا وَإِظْهَارِ عَوْرَتِهِمَا ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَرَاكُمْ هُوَ وَجَنُودُهُ وَأَعْوَانُهُ ، مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ، فَاحْفَظُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ رُؤْيَتِهِ إِيَّاكُمْ فِي حَالِ الْعَرِيِّ ، إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا لِلْغَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ .

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَرَحْمَةً لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَا هَاطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالُوا فَمَا تَحْيَوْنَ فِيهَا تَعْمَلُونَ وَمِنْهَا تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ بَعْضُكُمْ لِلْآخَرِينَ وَلِبَاسٌ لِلتَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبُوبَكْرٍ مِنَ الْجَنَّةِ يَدْعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاءَ لِبَاسُهُمَا إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا قَعَلُوا الْحِسَّةَ قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهِمْ آيَةً نَا وَاللَّهُ أَعْرَبُ بِهَا قُلْ إِنْ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَعَزَّ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُنْتَدَرُونَ ﴿٣٠﴾

٢٨- وَإِذَا فَعَلَ الْمُشْرِكُونَ مَعْصِيَةً كَبِيرَةً ، كَالطَّوَافِ حَوْلَ الْكَعْبَةِ عَرَاةً ، وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ، اقْتِدَاءً بِآبَائِهِمْ ، قَالُوا : وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَةً ، وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِتِلْكَ الْفَاحِشَةِ ، قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّ : إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ وَمَكَارِمِهَا ، وَلَمْ يَأْمُرْ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ صَحَّتْهُ وَلَا تَبْتَ بَدِيلٌ مَقْبُولٌ ؟! نَزَلَتْ فِي طَوَافِ الْمُشْرِكِينَ بِالْبَيْتِ عَرَاةً .

٢٩- قُلْ أَيُّهَا النَّبِيُّ : أَمَرَ رَبِّي بِالْعَدْلِ وَالِاسْتِقَامَةِ ، لَا بِالْفَحْشَاءِ كَمَا زَعَمُوا ، وَاتَّجَهُوا إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ فِي صَلَاتِكُمْ إِلَى الْقِبْلَةِ ، وَاعْبُدُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدُّعَاءَ وَالْعِبَادَةَ وَالطَّاعَةَ ، كَمَا أَنْشَأَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ مِنَ الْعَدَمِ ، يَعِيدُكُمْ أَحْيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ .

٣٠- وَتَعُودُونَ حِينَ الْبَعْثِ فَرِيقَيْنِ : فَرِيقٌ سَعْدَاءُ وَفَقِهَمُ اللَّهُ لِلْإِيمَانِ وَالْعِبَادَةِ ، وَهُمْ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ، وَفَرِيقٌ أَشْقِيَاءُ وَجِبَتْ عَلَيْهِمْ بِسُوءِ اخْتِيَارِهِمُ الضَّلَالَةَ ، وَهُمْ الْكَافِرُونَ ، إِنَّ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَأَطَاعُوهُمْ فِي الْمَعَاصِي وَقَبِلُوا مَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ ، وَيُظَنُّونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ .



٣١- يا بني آدم تزينوا واستروا العورة عند كل صلاة وطواف، ويباح لكم الأكل والشرب من غير إسراف: وهو تجاوز الحد في كل شيء، إن الله يؤاخذ المفسرين، ويرضى عمن يحل الحلال، ويحرم الحرام.

٣٢- قل أيها النبي للناس قاطبة: من الذي حرم الزينة؟ وهي ما يتزين به الإنسان من ثياب وغيرها من المباحات كالمعادن والجواهر ونحوها، تلك الزينة المودعة في الأرض من نبات ومعادن وحيوان، ومن الذي حرم طيبات الرزق: وهي المستلذات من المأكول والمشرب غير المحرمة شرعاً؟ فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، كما جاء في الحديث الصحيح، إن تلك الزينة والطيبات للمؤمنين أمسالة ولغيرهم تبعاً، ما داموا في الحياة الدنيا، وهي خاصة بالمؤمنين في الآخرة، ومثل هذا التفصيل أو البيان التام لحكم الزينة والطيبات، نبين الآيات الدالة على كمال الشرع والدين وأحكام الحلال والحرام لقوم يعلمون متطلبات الحياة ونهضتها، فيتدبرون ويتعظون، لا لقوم يجهلون علوم المدنية والحضارة. قال ابن عباس: كانت المرأة تطوف بالبيت في الجاهلية، وهي عريانة، وعلى فرجها خرقة، فنزلت

يٰٓبَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ۖ وَالْإِثْمَ وَالنَّجَىٰ بِعَظِيمٍ ۚ وَالَّذِينَ يَذَّبُوا سُلُطَانًا ۖ وَأَن يَقُولُوا عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا يَخْلُقُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يٰٓبَنِي آدَمَ إِنَّا جَاءْنَاكَ رَسُولٌ نُّبَلِّغُكَ عَنْ رَبِّكَ مَنَاقِبَ ۖ أَتَقْبَلُ وَأَصْلَحَ ۖ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ مَن أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۖ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْعَذَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ نُهُوا رُسُلًا يَقُولُونَ قَالُوا إِنَّمَا كُنْتُمْ تَدْعُونَنَا إِلَىٰ دُونِ اللَّهِ قَالُوا صَلُّوا عَلَيْنَا وَشُهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

الآيتان: ﴿خذوا زينتكم...﴾ و ﴿قل: من حرم...﴾.

٣٣- قل أيها النبي للمشركون وغيرهم: إنما حرم ربي الفواحش الظاهرة والباطنة، الجهرية والسرية: المعاصي الكبيرة الشنيعة، وما يوجب الوقوع في الإثم والذنب: وهي المعاصي الصغيرة، وظلم الناس والاعتداء الذي يجاوز الحد، وأن تجعلوا الله شركاء من غير حجة عقلية ولا برهان علمي، وأن تقولوا على الله جهلاً بغير علم ولا حجة، كافتراء الكذب في تحليل الحرام وتحريم الحلال.

٣٤- ولكل أمة وإنسان وقت محدد في الحياة، فإذا حان أجلهم الذي يموتون فيه لا يتأخرون ساعة أو لحظة عنه ولا يتقدمون ساعة عليه، ويقع المقدر عليهم حتماً.

٣٥- يا بني آدم إن أناكم رسل من جنسكم يخبرونكم بما شرعته لكم من الأحكام، فأطيعوهم وصدقوهم، فمن اتقى المعاصي وأصلح عمله وحاله باتباع الرسل، فلا خوف عليهم من عذاب الآخرة، ولا هم يحزنون على ما أصابهم أو فاتهم في الدنيا.

٣٦- والذين كتبوا بآياتنا المنزلة على الرسل، المتضمنة الأحكام والشرائع، وتكبروا عن قبولها والإيمان بها، فأولئك أهل النار خالدون فيها على الدوام.

٣٧- لا أحد أظلم ممن افترى على الله الكذب، بأن شرع ما لم يشرع الله، أو نسب لله ولداً أو شريكاً، أو كذب بآيات الله فأنكر القرآن أو جحد برسالة النبي محمد ﷺ، أولئك ينالهم نصيب مما قُدر لهم من خير أو شر، ورزق وعمر، حتى إذا أتتهم رسل الموت يتوفونهم قالوا لهم: أين الشركاء الذين كنتم تدعونهم من دون الله وتعبدونهم؟ قالوا: ذهبوا عنا وغابوا، فلا ندري مكانهم، ولا نرجو منهم النفع ودفع الضرر، وأقروا على أنفسهم بالكفر والضلال.

٣٨- قال الله تعالى أو عن طريق الملائكة للمشركين في الآخرة: ادخلوا النار في جملة الأمم الكافرة الماضية من قبلكم، سواء من الجن والإنس، كلما دخلت جماعة منهم النار لعنت الأخرى في الملة التي ضلت بالاعتداء بها، والتي سبقتها إلى النار، حتى إذا تداركوا (أدرك بعضهم بعضاً) وتناهبوا وتلاحقوا في النار، قالت أحرهم دخولاً أو منزلة، وهم الأتباع والسفلة لأولاهم دخولاً أو منزلة وهم الرؤساء والكبار أو القادة: ربنا هؤلاء أضلونا عن سبيل الحق وصرفونا عنه، فاتهم عذاباً مضاعفاً مثلين أو أكثر، من النار، قال الله: لكل منكم عذاب مضاعف، طائفة الأتباع بسبب التقليد وزيادة ضلال الرؤساء، وطائفة القادة بسبب الإضلال، ولكن لا تعلمون مقدار ونوع هذا العذاب.

٣٩- وقال أولاهم لأحرهم: المتبوعون للأتباع: ليس لكم فضل أو مزية علينا، تقتضي تخفيف العذاب، فقد ضللتكم كما ضللنا، فدقوا العذاب جميعاً بسبب ما اكتسبتم وتسببتم من العصيان والكفر والضلال.

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمِّ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا فُكِّرُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِينَهُمْ لَأْوَلَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفَيْنِ لَئِنَّا لَمُ كَاذِبُونَ ٣٨ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لَأُخْرِينَهُمْ فَإِذَا كَانُوا لَكُمْ عِلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ قَدُّوهُمَا الْعَذَابَ بِمَا كُفَرْتُمْ تَنْكِسُونَ ٣٩ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَتَكَبَّرُوا عَنْهَا لَا تَتِمُّ لَهُمُ ابْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ٤٠ لَمْ يَنْجَسْهُمْ مَادَّةٌ مِنْ فَوْقِهِمْ غَوَّاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ٤١ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا يَكُفُّ عَنْهُمْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٤٢ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ فَخَيَّرْنَا مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَغَدَّ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تَبْلُغُوا إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ رُشِمُوها بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٤٣

٤٠- إن الذين كذبوا بآياتنا الدالة على أصول الدين وأحكام الشرع في العقيدة والعبادة والمعاملة، المنزلة على رسلنا، وتكبروا عنها فلم يؤمنوا بها، لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا، ولا يصعد لهم عمل صالح ولا دعاء، لحبث أعمالهم، ويستحيل عليهم دخول الجنة، كاستحالة أن يدخل الجمل (البعير) في ثقب الإبرة، وكذلك الجزاء، نجزي المجرمين بالكفر. والسبب: الثقب، والخياط: الإبرة، وذكر ذلك لكونه غاية في الضيق.

٤١- لهم من جهنم فُرش من نار، ومن فوقهم لحف أو غطية من نار، أي تغشاهم النار من فوقهم كالأغطية، ومثل هذا الجزاء نجزي الظالمين أنفسهم وغيرهم من الناس، وهم الكافرون.

٤٢- والذين آمنوا بالله ورسله جميعاً، وعملوا صالح الأعمال قدر استطاعتهم، بامتنال الأوامر واجتناب النواهي، لا تكلف نفساً عبادة أو طاعة إلا بقدر طاقتها، أولئك أهل الجنة وحدهم دون سواهم، ماكنون فيها أبداً.

٤٣- وأخرجنا ما في صدور أهل الجنة من حقد كامن في الدنيا، حتى تصفو النفوس، ويزول تنغيص نعيم الجنة، نجزي من تحتهم أنهار الجنة، وقالوا: الشكر والحمد التام لله الذي هدانا في الدنيا لما يوجب هذا الجزاء العظيم من الإيمان والعمل الصالح، وما كنا لنهتدي إليه بأنفسنا، لولا هداية الله وإرشاده وتوفيقه لنا، لقد جاءت رسل الله بالحق، فاتبعناهم، ونادتهم الملائكة قائلين: تلکم الجنة أوردکم الله إياها بعملکم الصالح.



٤٤- ونادى أصحاب الجنة أهل النار بعد استقرار كل من الفريقين في منزله: أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا على السنة الرسل من النعيم والتكريم حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم من الخزي والعذاب الأليم؟ قالوا: نعم وجدنا ذلك حقاً، فنادى مناد بين الفريقين: لعنة الله استقرت على الظالمين الكافرين وهم:

٤٥- الذين يمينعون الناس عن اتباع سبيل الله وشرعه والدخول في الإسلام، ويطلبون أن تكون السبيل معوجة غير مستقيمة، زاعمين أنها خطأ وباطل، وأنهم على الحق والصواب، وهم بلقاء الله في الدار الآخرة جاحدون مكذبون.

٤٦- وبين أهل الجنة وأهل النار حاجز أو سور مانع من وصول أهل النار، وعلى الأعراف: أعالي السور رجال تساوت حسناتهم وسيئاتهم، يعرفون كلا من أهل الجنة وأهل النار بعلاماتهم، من بياض وجوه المؤمنين، وسواد وجوه الكافرين، ونادى أهل الأعراف أصحاب الجنة حين رأوهم قائلين لهم: سلام عليكم أي تحية لكم وتكريم، ولكنهم يطمعون في دخول الجنة، لما يرون من فضل الله ورحمته، وأن رحمته تغلب غضبه.

٤٧- وإذا حوَّلت أبصار أهل الأعراف نحو أو جهة أهل النار، ورأوا ما هم فيه من العذاب، قالوا متضرعين: ربنا لا تجمعنا مع هؤلاء القوم الظالمين أنفسهم.

٤٨- ونادى أصحاب الأعراف رجالاً من أهل النار يعرفونهم بعلامتهم المميزة لهم عن غيرهم، قالوا لهم: ما أغنى عنكم من النار ما جمعتم من الأموال، ولا اجتماعكم للصعد عن سبيل الله، ولا استكباركم عن الإيمان.

٤٩- قالوا للكفار كآبي جهل والوليد بن المغيرة: هؤلاء المؤمنون المستضعفون المضطهدون كبلال وعمار بن ياسر الذين حلقتهم في الدنيا: ألا ينالهم الله برحمة لفقركم وضعفهم وقلة أتباعهم؟ وقال أهل الأعراف للمسلمين: ادخلوا الجنة، لا خوف عليكم من العذاب، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم أو أصابكم في الدنيا.

٥٠- وطلب أصحاب النار من أهل الجنة أن يوافوهم بشيء من الماء أو الطعام أو النعمة أو مما رزقهم الله من الطيبات، فقال لهم أهل الجنة: إن الله منعهما، أي الماء وما رزقهم الله عن الكافرين، فلا نواسيكم ولا نعطيك شيئاً منعه الله عنكم.

٥١- والكافرون: هم الذين اتخذوا دينهم ملهاً وعبثاً، وسخرية وهزأً، وخدعتهم الحياة الدنيا بزيتها وشهواتها، فيوم القيامة تتركهم في النار والعذاب، كما تركوا العمل للآخرة، وبسبب ما كانوا يتكبرون آيات الله وما جاءت به الرسل.

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَهْلَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمْ أَجْرَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَعَلُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّبَتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَانْهَوْهُمْ فِي سُبُلِهَا وَقَالَ اللَّهُ لَمْ يَسْمَعْهُمْ وَهُمْ مُخْمَرُونَ ﴿٥١﴾

٥٢. ولقد جئنا أهل مكة وغيرهم بقرآن بيناه أتم بيان، عالمين بما نيين فيه، هادياً الناس إلى الحق، منقاداً من الضلالة، ورحمة لمن يؤمن به ويتبع أحكامه.

٥٣. هل ينتظرون، أي هؤلاء المكذوبون إلا ما وعدوا به في الكتاب من العذاب الذي يؤول الأمر إليه، يوم يتحقق العقاب وهو يوم القيامة ويظهر صدق ما أخبر به، يقول الذين تركوا العمل بما جاء فيه، من قبل في الدنيا: قد جاءت رسلنا بما هو الحق، ونصدق بما قالوا، فهل لنا من شفعاء يخلصوننا من العذاب، أو يشفعون لنا لتعود مرة ثانية إلى الدنيا؟ فنعمل عملاً صالحاً غير الذي كنا نعمل من المعاصي، قد غبنوا أنفسهم وضيعوها بدخولهم النار وخلودهم فيها، وذهب عنهم ما كانوا يكدبون في الدنيا قائلين: إن الأصنام ونحوها تشفع لنا عند الله تعالى.

٥٤. إن المربي والمدير هو الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما، في ستة أيام ثم استوى: اعتلى واستقر على العرش والعرش مخلوق عظيم. استواء يليق بجلاله وعظمته، لا

نعرف حقيقته، يجعل الليل كالغشاء للنهار، أي يأتي بالظلمة بعد النور، حال كون الليل طالباً النهار، طلباً سريعاً بانتظام لا يتأخر عنه دون وجود فاصل، والشمس والقمر والنجوم جعلها مذلات مسيرات بأمره وقدرته، ألا له تعالى وحده الخلق كله، والأمر والتصرف كله، وله كل مخلوق، وله شأن المخلوقات وأحوالها، تعاضم الله رب العالمين من إنس وجن، واتسع فضله وعز سلطانه، وتزايدت خيراته وبركاته.

٥٥. ادعوا ربكم أيها المؤمنون بضراعة وتذلل وخضوع، وفي السر والإخفاء، لبعده عن الرياء، إنه سبحانه يكره المتجاوزين الحدود في الدعاء وغيره، برفع الصوت والصراخ، أو الدعاء بما لا يجوز أو ما لا ينبغي.

٥٦. ولا تفسدوا في الأرض بالشرك والمعاصي، بعد إصلاحها ببعثة الرسل، وإنزال الكتب، وتقرير الشرائع، وادعوه تعالى خوفاً من عقابه، وطمعاً في رحمته وفضله، إن رحمة الله وعفوه وإجابته الدعاء أمر قريب من المحسنين أعمالهم، الذين يتبعون أوامره، ويتركون زواجره.

٥٧. والله تعالى الذي يرسل الرياح العاصفة المبشرة بالخير وهطول الأمطار، حتى إذا حملت الرياح سحباً مثقلاً بالماء، سقنا السحاب لإحياء أرض مجدبة لانيات فيها، فأنزلنا الماء بالبلد، فأخرجنا به جميع أنواع الثمار، ومثل إخراج الثمرات والنباتات، نخرج الموتى أحياء من القبور يوم البعث والنشور، لتذكروا، فتعلموا قدرة الله على البعث وكل شيء، وتؤمنوا بالله وحده لا شريك له.

وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَضَّلْنَاهُ عَلَىٰ كُلِّ هُدًى وَرَحْمَةٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ وَلَهُ يَوْمَ يَأْتِ تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِنَّا بَأْسُهُمْ قَهْلُ لَنَا مِن شَفْعَاءَ فَنَسْتَعْمِلُنَا أَوَنَسِدُ قَتْلُهُمْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حِينُ الدُّجَى وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسْتَخَرَاتُ أَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ رَبُّكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تَسُدُّوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْحَسِينَاتِ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا لِّبَنِي يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نُّعَالًا تُبْقِنُهُ لِبَلَدٍ مَّيْتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

٥٨- البلد الطيب التربة، الوفير النماء والخصوبة، يخرج نباته حسناً تاماً نضراً، والذي خُبث ترابه كالأرض السبخة أو المالحلة لا يخرج نباته إلا عسراً بمشقة، لا خير فيه، وهذا مثل حسي للذي يستجيب لنداء الإيمان، والكافر المعرض عن الإيمان، مثل ذلك البيان والإيضاح، نبين الآيات الدالة على القدرة الباهرة والتشريع الأمثل، لقوم يشكرون الله ويعترفون بنعمته.

٥٩- لقد أرسلنا نوحاً عليه السلام أول الرسل في الأرض لهداية قومه، فقال: يا قوم اعبدوا الله وحده دون سواه، لا إله لكم غيره، إني أخاف عليكم بسبب الشرك عذاب يوم عظيم شديد، يوم القيامة أو يوم الطوفان.

٦٠- قال أشرف القوم وسادتهم: إنا نجلدك يا نوح في خطأ واضح وعدول عن الحق.

٦١- قال: يا قوم: ليس بي انحراف عن جادة الحق والصواب، ولكني رسول إليكم من رب العالمين: الإنس والجن، لهدايتكم وإرشادكم، وجلب الخير إليكم، ودفع الشر عنكم.

٦٢- أبلغكم ما أرسلني به ربي من الدعوة إلى التوحيد الخالص، ونبذ الشرك، وأريد صلاح

أموركم، والدلالة على ما فيه خيركم ونجاتكم، وأعلم من جلال الله وقدرته وعقابه الشديد لمن عصى أوامره ما لا تعلمون، بالإخبار الموحى به حقاً وصدقاً.

٦٣- أكذبتم وأنكرتم وعجبتم أن أتاكم وحي وعظة من ربكم على يد رجل منكم تعرفونه، ومن جنسكم تأمنون به، ليخوفكم العذاب إن عصيتم، ولتتقوا ربكم بامثال أوامره واجتناب نواهيه، ولتظفروا برحمته ورضوانه إن أطعتم وسمعتم.

٦٤- فتمادوا في تكذيبه ومعارضته، فأنجيناه والمؤمنين القلائل الذين اتبعوه، في السفينة التي أمرناه ببنائها، وأغرقنا بالطوفان والدمار الشامل الذين كفروا وتمادوا في ضلالهم واستمروا في تكذيبهم، إنهم كانوا قوماً غمي البصائر والقلوب عن إدراك الحقائق، لا تنفع فيهم الموعظة والتذكير.

٦٥- وأرسلنا إلى قبيلة عاد الأولى (الذين كانوا في الأحقاف بحضرموت اليمن) واحداً من قبيلتهم أو جنسهم، هو هود عليه السلام، قال: يا قوم اعبدوا بحق الله وحده، لا إله لكم غيره، أفلا تخافون عذاب الله؟

٦٦- قال له الرؤساء والأشراف الكفرة من قومه: إنا لنراك يا هود في خفة عقل وحمق، وإنا نعتقد أنك من الكاذبين في ادعاء النبوة والرسالة.

٦٧- قال هود لهم: يا قوم ليس بي سفاهة كما تتصورون، ولكني رسول مبعوث إليكم من رب العالمين لهدايتكم وإرشادكم لما فيه سعادتكم.

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَاحِجُّهُ
إِلَّا نَكِيدُكَ لَكَ صَحْرًا ۖ آيَاتِ لِقَوْمٍ يُشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتُومِرُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ
مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ
الْمَلَأْنِي قَوْمِي ۖ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَقَوْمِ
لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أَبَلْغَمَكُمُ
رِسَالَتِي ربي وَأَضْحَكُمُ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾
أَوْعَيْبُهُمْ أَن جَاءَكُم ذِكْرُن مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ
يَبْدِيكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ
وَالَّذِينَ بَعَثْنَا فِي الْأَنْفَالِكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ
كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ
يَتُومِرُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ
الْمَلَأْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ ۖ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ
وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ
بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾



٦٨- أبلغكم ما أرسلت به من التكليف الإلهية (الأوامر والمواعظ والنواهي) وأنا لكم ناصح فيما أدعوكم إليه، أمين مخلص فيما أبلغكم إياه، فلا أكذب على الله تعالى.

٦٩- أكذبتكم واستبعدتكم وتعجبتم أن جاءكم وحى ومسوعة من ربكم، على يد رجل منكم تعرفونه، ليخوفكم عذاب الله إن عصيتم، وتذكروا نعمة الله عليكم حين جعلكم خلفاء أو سكان الأرض بعد هلاك قوم نوح، وزادكم على غيركم طولاً في القامة، وضخامة وقوة في الأجسام، فاذكروا نعم الله الكثيرة عليكم، لتفوزوا برضوان الله وجنته.

٧٠- قالوا له: أجبنا لأجل أن نعبد الله وحده، ونترك ما كان عليه آبائنا من عبادة الأصنام، فأتانا بالعذاب الذي أوعدنا به، إن كنت صادقاً في تهديلك ووعيك.

٧١- قال هود عليه السلام: قد حق ووجب عليكم عذاب وسخط، اتحاجوني في أصنام

أُبلغكم رسالت ربي وأنا لكم ناصح أمين ﴿٦٨﴾ أوعجتكم أن جاءكم من ربكم من ربيكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بضطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تقولون ﴿٦٩﴾ قالوا أجبنا البعد الله وحده ونذر ما كان يبعثه آبائنا فأتينا بما نعدنا إن كنت من الصادقين ﴿٧٠﴾ قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وعصيت الأنجاء لوحي في أممكم سميتهموها أنتم وآبائكم فأنزل الله بها من سلطان فأنظروا إلى معكم من المنتظرين ﴿٧١﴾ فأنجيناهم والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين ﴿٧٢﴾ وإلى هود أخاهم صلماً قال ي قوم أعبدوا الله مالم لكم من الإله غيره وقد جاءكم نبيهم من ربكم هذبه نافر الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فإحدكم عذاب أليم ﴿٧٣﴾

سميتهموها آلهة، أنتم وآبائكم، ما نزل الله بها من حجة ولا برهان على عبادتها، فانتظروا نزول العذاب الشديد، إني معكم أحد المنتظرين له، وهو واقع بكم لا محالة. وجعلها أسماء: كناية عن أنها لا حقيقة لها.

٧٢- فأنجينا هوداً وأتباعه المؤمنين من العذاب برحمة منا بأهل الإيمان، وأهلكنا واستأصلنا القوم الذين كتبوا بآياتنا المنزلة على الرسل، فلم نبق منهم أحداً، بسبب عدم إيمانهم وتكذيبهم رسولهم.

٧٣- وأرسلنا صالحاً عليه السلام إلى قبيلة ثمود (التي كانت تسكن الحِجْر شمال المدينة قرب تبوك) يدعوهم إلى الإيمان، قال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، ليس لكم إله يستحق العبادة سواه، قد جاءكم معجزة ظاهرة من الله تدل على صدق رسالتي، وهي الناقة العظيمة من عند الله تعالى، فاتركوها تأكل في أرض الله، وليس عليكم إطعامها، ولا تتعرضوا لها بشيء من الأذى، فياخذكم عذاب مؤلم بالاعتداء عليها.

٧٤- وتذكروا نعمة الله وفضله حين استخلفكم في الأرض من بعد قوم عاد، وأنزلكم المساكن في الأرض، تتخذون من سهولها قصوراً شامخة عالية، وتنتحون الجبال فتتخذون منها بيوتاً وكهوفاً، فتذكروا هذه النعم الكثيرة العظيمة، ولا تكثروا الفساد في الأرض، بما يدل على إمعان الفساد والمداومة عليه.

٧٥- قال الزعماء المتكبرون عن الإيمان من قوم صالح للمستضعفين المؤمنين، على طريق الهزء والسخرية: أتعلمون أن صالحاً رسول مرسل من ربه؟ قال المستضعفون: إننا مصدقون برسالته ونتبع أوامره، فضلاً عن أننا نعلم صدقه يقيناً.

٧٦- قال الرؤساء المتكبرون عن الإيمان برسالة صالح عليه السلام: إننا جاحدون منكرون لما أمتم به.

٧٧- فقتلوا الناقة بنحراها أو بقطع عرقوبها، ونسب القتل للجميع لرضاهم بما فعل أحدهم،

ومردوا عن اتباع رسالة صالح وتكبروا، وقالوا متحدين مستهزئين: يا صالح اثنا بما تعدنا من العذاب، إن كنت حقاً نبياً مرسلًا.

٧٨- فأخذتهم الزلزلة الشديدة، فأصبحوا في بلادهم ومساكنهم صرعى ميتين دون حراك.

٧٩- فأعرض صالح عنهم وترك ديارهم بعد عقرهم الناقة، وقال لهم: يا قوم لقد بلغتكم رسالة ربي، وجهدت في نصحتكم وإرشادكم، ولكن لا تحببون الناصحين المخلصين، وأبيتم نصحي، فحق عليكم العذاب.

٨٠- وأرسلنا لوطاً، وهو ابن أخي إبراهيم، واذكر أيها النبي حين قال لوط لقومه موبخاً: أتفعلون الفعلة الفاحشة الشديدة الشناعة، وهي اللواط، لم يفعلها أحد قبلكم في أي زمان، بل هي مبتدعة منكم، ولم تركبها أمة من الأمم.

٨١- إنكم تأتون الرجال لمجرد قضاء الشهوة، لا بمقتضى عقل وفطرة سليمة، وتتركون النساء اللاتي هن محل الشهوة بحسب الفطرة، بل أنتم قوم متجاوزون الحدود في العصيان، وخارجون عن حد الاعتدال.

وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَحْذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَقْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ آسَاسُوا مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ آسَضُوا مِنَ الْأَمْنِ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ إِلَهُكُمُ الْمُنُونِ ﴿٧٥﴾ قَالُوا الَّذِينَ آسَاسُوا إِنَّمَا الَّذِينَ آسَضُوا بِكُمْ كُفْرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَصَوْا وَالْفَاقَةَ وَاعْتَرَأْ مِنْ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ آتِنَا إِنَّمَا قَعَدْنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَمِيعِينَ ﴿٧٨﴾ فَنُودِيَ عَنْهُمْ وَقَالَ يَ قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْنِسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

٨٢- وما كان جواب قومه حين توبيخه لهم عن هذا الإنكار الشديد إلا أن قال بعضهم لبعض: أخرجوا لوطاً وأتباعه المؤمنين به من بلدكم: سدوم عاصمة قرى قوم لوط، في شرق الأردن في الغور، إنهم أناس يتزهون عن عملنا هذا، فلا بقاء لهم معنا، قالوا ذلك استهزاء وسخرية منهم.

٨٣- فأجبتنا لوطاً وأهله والمؤمنين معه إلا امرأته الكافرة، كانت من جماعة الهالكين الباقين مع قومها في مكان العذاب.

٨٤- وأمطرنا عليهم مطراً كثيراً عجيبياً وهو الحجارة المحماة بالنار، فانظر كيف كان مصير المجرمين الذين كذبوا لوطاً عليه السلام، وانغمسوا في الفاحشة.

٨٥- وأرسلنا إلى قبيلة مدين من ولد إبراهيم (وكانت أرضهم ما بين طور سينا والفرات) رسولا من جنسهم ونسبهم هو شعيب عليه السلام، قال لهم: يا قوم اعبدوا الله ليس لكم إله غيره، فهو

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطِئُونَ ﴿٨٢﴾ فَأُجِيبَتْهُ وَأَهْلُهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ وَكَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ عَلَيْهِمْ مَطَرُ فَظَنُّوا كَيْفَ كَانَ عَذَابُهُ الْخَبِيرِ ﴿٨٤﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَوُا عِبَادَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ الْإِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَاتٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْذِرُوا إِنْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَفَرْتُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَذَابُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَخْرُجَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

المعبود بحق، وهذا جوهر دعوة الرسل، قد جاءكم حجة واضحة من ربكم تدل على صدق رسالتي، فأتقوا الكيل والميزان إذا بعتم، ولا تنقصوا البائع والمشتري وغيرهما من الناس حقوقهم، بتعييب السلعة، أو التزهد فيها، أو الاحتيال على صاحبها، فكل ذلك أكل لأموال الناس بالباطل، ولا تفسدوا في الأرض بالكفر والمعاصي بعد إصلاح أهلها من طريق الأنبياء والرسل، هذا الذي أمرتكم به أحسن وأفضل عند الله لكم مما أنتم عليه من الكفر والظلم، إن كنتم مصدقين برسالتي وبوحدانية الله وشرعه؛ لأن الإيمان يقتضي الامتثال.

٨٦- ولا تقطعوا الطرق، تتوعدون وتهددون بالعذاب الناس الذين يريدون المجيء إليكم، وتمنعون الناس عن الإيمان بدين الله، والوصول إلى شعيب عليه السلام، وتطلبون لشريعة الله أن تكون معوجة غير مستقيمة، واذكروا حين كنتم قليلي العدد، فكثرت جمعكم بالنسل، وأمدكم بالقوة والغنى، وتأملوا كيف كان مصير المفسدين البغاة من الأمم الماضية، حيث أهلكهم الله بكفرهم وذنوبهم.

٨٧- وإن كان آمن جماعة منكم بما أرسلت به من عند الله، وجماعة أخرى لم يؤمنوا برسالتي، فاصبروا حتى يقضي الله بالحق والعدل بيننا وبينكم، ويتحقق نصرنا عليكم، والله خير الحاكمين؛ لأن حكمه حق وعدل، لا مجال فيه للظلم أو المحاباة.



﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَمَّا جَاءَكَ يَشْعِبُ
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَوْمِنَا أَتُؤْمِنُونَ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ
كُنَّا كَاهِنِينَ ﴿٥٨﴾ قَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ
إِذْ خَلَقْنَا اللَّهَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا
أَفْرِجْ بَيْنَنَا وَمِيقَاتِنَا فَمَنْ بَيْنَنَا وَمَنْ بَيْنَهُمْ وَتَوَكَّلْنَا رَبَّنَا
وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَمَّا انْتَفَعْتُمْ شُعَيْبًا
إِيَّاكُمْ إِذَا لَخِيسْرُونَ ﴿٥٩﴾ فَأَخَذْتُهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي
دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٦٠﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا يَفْعَلُونَ فِيهَا
الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٦١﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ
وَقَالَ يَقُومُوا لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَاصْصَبْ لَكُمْ فَكَيْفَ
ءَأْسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٦٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا
أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسَاءَةِ وَالنَّسَاءِ لَعْنَهُمْ بَصُرْعُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ
بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ
ءَابَاءُنَا الضَّرُّاءُ وَالسَّيِّئَةُ فَأَخَذْتَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٤﴾

٨٨- قال الأشراف المتكبرون عن الإيمان بالله
ورسوله: لنطردك يا شعيب والمؤمنين معك من
بلدنا، أو لترجعن أيها الأتباع إلى ديننا كما كنتم،
أي لا خيار لكم إلا أحد أمرين: الطرد أو العود
للملة السابقة، قال لهم شعيب: أتعيدوننا في
ملتكم، ولو كنا كاهنين تلك العودة أو الإخراج؟!
٨٩- وأضاف شعيب قائلاً: قد اختلقنا على الله
كذباً إن عدنا في ملتكم التي هي الشرك والظلم،
بعد إذ نجحنا (خلصنا) الله منها؛ لأن العود أعظم
ذنبا، ومن ارتد عن الإيمان أعظم كفراً، وما ينبغي
لنا ولا يصح أن نعود في ملتكم أبداً، إلا أن يشاء
الله ربنا ذلك، أحاط علم الله بكل شيء من
الموجودات، فوضنا أمرنا إلى الله واعتمدنا عليه في
التشبيث على الإيمان وإتمام النعمة والعصمة من
الكفر والنقمة، احكم ياربنا بيننا وبين قومنا
بالحكم العادل، بما يستحقه كل منا من نصر أو
هزيمة، وأنت أعدل وخير الحاكمين.

٩٠- وقال أشراف القوم الكافرون لجماعة

منهم: لئن أمتتم بشعيب واتبعتموه، إنكم إذا

لخاسرون في تجارتكم بترك التطفيف للكيل والميزان، وهالكون في النهاية.

٩١- فأبيدوا وأهلكوا بالزلزلة الشديدة بسبب عصيانهم وإصرارهم على الكفر، فأصبحوا صرعى هامدين

موتى.

٩٢- الذين كذبوا برسالة شعيب، أصبحوا كأن لم يقيموا في دارهم زمناً طويلاً، لاستئصالهم بالعذاب،

الذين كذبوا شعيباً كانوا خاسرين لأنفسهم وأملأهم، فالخسران لهم لا للمؤمنين، في الدنيا والآخرة.

٩٣- فأعرض عنهم شعيب حينما شاهد وقوع العذاب بهم، وقال لهم: يا قوم لقد أديت ما علي، وبلغتكم

ما أرسلت به من الأوامر والنواهي، فكيف أنأسف أو أحن على قوم مصرئين على الكفر؟!

٩٤- وما أرسلنا في بلد من البلاد من نبي من الأنبياء، فكذب أهلها إلا أخذناهم بالبؤس والفقر، والضر

والمرض، ليتضرعوا ويتذلّلوا، فيؤمنوا ويتوبوا.

٩٥- ثم أعطيناهم مكان الابتلاء والشدة: الغنى والسعة والقوة والصحة، حتى كثروا وغنوا، وكفروا ولم

يشكروا النعم، وقالوا: هذه عادة الدهر، وليس ذلك عقاباً من الله، قد أصيب آبأؤنا بالبؤس ثم الرخاء،

فلنكن على ما كانوا عليه، ولم يدركوا أن ذلك ابتلاء أو اختبار من الله وغفلوا عنه، فأخذناهم بالعذاب فجأة

دون تراخ، وهم لا يشعرون بوقت مجيئه.

٩٦- ولو أن أهل القرى أرسلنا إليها الرسل آمنوا بالله وبرسله، واتقوا الكفر والقبائح وابتعدوا عنها، لو سعتنا عليهم الخير من السماء بالمطر، والأرض، بالنبات والثروات المعدنية، ولكن كذبوا بالآيات الدالة على الإيمان وبالرسل، ولم يؤمنوا، فأخذناهم بالعذاب وعاقبناهم، بسبب كفرهم وذنوبهم.

٩٧- أفأمن أهل القرى الذين كذبوا رسلهم أن يأتيهم عذابنا في الليل، وهم نائمون.

٩٨- أو أمن أهل القرى المذكورة أن يأتيهم عذابنا في ضحوة النهار، وهم يلعبون، أي يعملون بما لا فائدة فيه.

٩٩- أفأمنوا ما يبدى الله لهم من العقوبة، واستدرأجه لهم بالنعمة والصحة من غير أن يشعروا، فلا يأمن تدبير الله وبأسه إلا القوم الذين خسروا أنفسهم.

١٠٠- أولم يتبين لورثة الأرض ومكانها بعد هلاك أهلها السابقين، أن الله لو شاء أهلكتهم وعاقبهم بذنوبهم، كما عاقبنا من قبلهم، ونختم على قلوبهم، فلا ينفذ إليها شيء من الموعظة، ولا يسمعون المواعظ سماع تدبر وتفهم، حتى يموتوا.

١٠١- تلك القرى المذكورة التي أهلكتها وهي قرى الأقوام الخمسة: وهم قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، نذكر لك شيئاً من أخبارها كيف أهلكت، ولقد جاءتهم رسلهم بالمعجزات والبراهين الواضحة الدالة على صدق رسالتهم، فما كانوا يؤمنوا عند مجيء الرسل بهذه المعجزات، بسبب تكذيبهم بها قبل مجيئهم، بل استمروا على الكفر، ومثل ذلك الطبع على قلوب كفار الأمم الخالية، يطبع الله على قلوب الكافرين من قومك وغيرهم، فلا ينفع فيهم وعظ ولا تذكير.

١٠٢- وما وجدنا لأكثر الناس من وفاء بعهدهم أو وصية بالإيمان والفضائل، وما وجدنا أكثرهم إلا خارجين عن الطاعة خروجاً شديداً.

١٠٣- ثم بعثنا من بعد الرسل المتقدمين كنوح وهود وصالح ولوط وشعيب: موسى بالمعجزات الدالة على صدق نبوته، إلى فرعون الطاغية وأشرف قومه، فكفروا بالمعجزات، وكذبوا بها وظلموا أنفسهم، والتكذيب ظلم عظيم، فتأمل أيها النبي كيف كان مصير المكذبين الكافرين.

١٠٤- وقال موسى عند تبليغ رسالته: يا فرعون إني رسول إليك من الله رب الإنس والجن، فهو حقيق بالإيمان به وحده.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ يَقْمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَإِنِ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يُؤْمِنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْنُسَاءَ أَصْلُهُمْ بَذُوبُهُمْ وَطُغِ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبِيَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَّٰلِكَ يَطِغُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْهُمُ مُوسَىٰ بَيِّنَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

١٠٥- جدير بي على ألا أقول على الله إلا القول الحق الذي أمرني أن أخبركم به كما هو، قد جئتكم بحجة واضحة من ربكم تبين صدقي، فأرسل معي بني إسرائيل وأطلقهم من أسرك واستعبادك، ليرجعوا معي إلى الأرض المقدسة؛ فإنهم كانوا ممنوعين من الرجوع إلى موطن آبائهم.

١٠٦- قال له فرعون: إن كنت مؤيداً بمعجزة من عند الله دالة على صدق رسالتك، فأظهرها لنراها، إن كنت صادقاً في ادعائك.

١٠٧- فألقى موسى عصاه من يده، فإذا هي حية عظيمة ظاهرة الحياة، وكانت من ذكور الحيات.

١٠٨- وأخرج يده من جيب قميصه، فإذا هي بيضاء تتلألأ نورا، من غير برص ولا مرض، تظهر للناظرين المبصرين إليها من غير لبس.

١٠٩- قال أشرف القوم الزعماء من قوم فرعون لما شاهدوا ذلك: إن موسى لساحر كبير، عليم خبير بأنواع السحر وفنونه.

١١٠- يريد أن يخرجكم من أرض مصر، وقال فرعون لهم: فماذا تشيرون به علي؟!

حَقِّقْ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ فَنَجِّنْكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِحَقٍّ فَأْتِ بِآيَةٍ مِنْ الصَّدَاقِينَ ۖ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ۚ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِ ۚ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَيُّ الْفَرِغَيْنِ فَاذًا تَأْمُرُونَ ۚ فَأَلْجَا أَرْجَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۚ يَا تَوَكُّ عَلَىٰ سِحْرِ عَلِيِّ ۚ وَسَاءَ النَّصِيحَةُ فِرْعَوْنَ ۚ فَأَلْجَا إِنْ لَنَا الْفَرْجُ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۚ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُفْرِجِينَ ۚ فَأَلْجَا يَلْمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ خُسْرًا ۚ أَلَمْفَقِينَ ۚ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءَ بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۚ فَرَفَعَ الْحَصَىٰ وَيُظِلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۚ فَتَلَاو هَٰذَاكَ وَأَتْلَاو صَغِيرِينَ ۚ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ بَنِي



١١١- قال الملأ لفرعون: آخره وأمهلهم وأخاه هارون إلى وقت آخر، واطلب من حكام الأقاليم ومدائن المملكة في مصر أن يجمعوا لك السحرة، ويرسلوهم إليك. وقوله: ﴿حاشرين﴾ أي رجالاً يجمعون السحرة.

١١٢- يأتوك بكل ساحر ماهر بفنون السحر.

١١٣- وجاء السحرة إلى فرعون، فقالوا: هل لنا أجر أو نجعل على عملنا، إن غلبنا موسى بسحرنا؟!

١١٤- فأجابهم فرعون: نعم لكم ذلك الأجر، وإنكم أيضاً من المقربين لدينا.

١١٥- خبير السحرة موسى بين الابتداء باللقاء ما يريد، أو ابتدائهم هم بذلك.

١١٦- قال لهم موسى: ألقوا أنتم أولاً، فلما ألقوا حبالهم وعصيهم، سحروا أعين الناس، وصرفوها عن إدراك حقيقة ما فعلوا من التمجيد والخذاع، وأوقعوا الرهبة والخوف الشديد في نفوسهم، وجاء السحرة بسحر متفوق، عظيم في أعين الناظرين، وإن كان لا حقيقة له في الواقع.

١١٧- ثم أوحينا إلى موسى وأمرناه باللقاء عصاه، فإذا هي تبشع بسرعة حبالهم وعصيهم التي يوهون بها كذباً، وسميت إلكاً؛ لأنه لا حقيقة للسحر في الواقع.

١١٨- فثبت وتبين الحق، وهو صدق موسى، وبطل ما عملوا من السحر.

١١٩- فغلب السحرة في المكان الذي اجتمعوا فيه، ورجعوا من ذلك الموقف أذلاء مهزورين.

١٢٠- وخر السحرة ساجدين لله، أي أن معرفتهم للحق أخضعتهم له في الحال.

١٢١، ١٢٢ - قالوا: آمنا بالله وحده لا شريك له، رب الإنس والجن، ورب موسى وهارون، حتى لا يتوهم أحد أن السجود لفرعون.

١٢٣ - قال فرعون للسحرة: كيف أمتم بموسى ورسالته، قبل أن أذن لكم في الإيمان، إن هذا الفعل لتدبير خفي وحيلة احتلتموها في مدينة مصر قبل المبارزة، لتخرجوا منها أهلها، فسوف تعلمون ما ينالكم مني على هذه المؤامرة.

١٢٤ - لأقطعن اليد اليمنى والرجل اليسرى من كل إنسان منكم وبالعكس، ثم لأصلبنكم في جذوع النخل بعد التقطيع حتى الموت.

١٢٥ - قال السحرة جواباً لتهديد فرعون: إنا إلى ربنا راجعون جميعاً في الآخرة، ويجازيك على ما تصنع بنا، ويغفر لنا خطايانا.

١٢٦ - وما تعيب منا وتكر علينا إلا بسبب إيماننا بآيات ربنا التي جاءتنا على يد موسى، وهذا شرف عظيم، ربنا أقض علينا صبراً يغمرنا عند التعذيب، أي ألهمنا صبراً كثيراً، لئلا نرجع كفاراً، وتوفنا ثابتين على الإسلام، خاضعين لجنابك، غير محرقين ولا مبدلين.

١٢٧ - وقال زعماء قوم فرعون له: أمترك

موسى وقومه أحياء: ليفسدوا في أرض مصر بالدعوة إلى معارضتك، وإدخال الناس في دينهم، ويترك ويترك عبادة ألتهك: وهي الأصنام التي جعلها فرعون لقومه يعبدونها تقرباً بها إليه، وهو أعلى معبودات الأرض، وإله العالم السفلي، والكواكب آلهة العالم العلوي، قال فرعون: سنقتل أولادهم الذكور، ونستبقي الإناث أحياء لخدمتنا، وإنا فوقهم قادرين، متسلطون ومسيطرون عليهم بالقهر والغلبة، وهم تحت قهرنا.

١٢٨ - قال موسى لقومه حين سمع تهديد فرعون وخوف بني إسرائيل: استعينوا بالله على فرعون وقومه، واصبروا على البلاء والمحنة، إن الأرض لله يعطيها من يشاء من عباده، وهو وعد من موسى بالنصر على فرعون وقومه، والخاتمة المحموده أو النهاية في الدنيا والآخرة للمتقين الله من عباده، وهم موسى ومن معه، في ذلك الزمان.

١٢٩ - قال بنو إسرائيل لموسى: لقد أوذينا إيذاء شديداً بقتل أبنائنا وإذلالنا من قبل أن تأتينا رسولاً، ومن بعد ما جئتنا رسولاً، يقتل الأبناء ونشر الرعب، قال موسى: لعل ربكم أن يهلك عدوكم فرعون وقومه، ويجعلكم خلفاء الأرض بعدهم، ويكون الأمر والمملك لكم، فينظر كيف تعملون بعدئذ، في حال طاعة أو عصيان؟

١٣٠ - ولقد عاقبنا آل فرعون بالقحط والجذب والجوائح المتتالية، ونقص الثمار بالعاهات وإتلاف الغلات بالآفات، بسبب عدم نزول المطر، لعلهم يتعظون، ويرجعون عن كفرهم.

فَأَنذَرْنَا أُمَّتَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ أَنَسْتَعِينُ بِهِ قَبْلَ أَنْ أَذْنُ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَكُرْ مَكْرَمَوْهُ ﴿١٢٣﴾ فِي الْمَدِينَةِ لَخُجُوجُ أَهْلِهَا فَسَوْفَ نَعْمَلُوكَ ﴿١٢٤﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلْفٍ ثُمَّ لَأُسْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٥﴾ فَأَلْهَمْنَا إِيَّاهُ إِلَهًا وَمَا نَفَعْنَا لَهُ عَيْنًا ﴿١٢٦﴾ وَتَلَا نَجْعَ كِفَّارًا ﴿١٢٧﴾ وَتَوَفَّاهُ لِقَوْمِهِ ﴿١٢٨﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُنَا أَفَرَأَى عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّاهُ مُسْلِمِينَ ﴿١٢٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُنَا أَفَرَأَى عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّاهُ مُسْلِمِينَ ﴿١٣٠﴾

فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحُسْنَىٰ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ
 ظَنُّوا يَمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا ظَنُّوا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ
 أَكْذَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا إِنَّمَا تَأْتِيَنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ
 لِّتُحْزِنَآ بِهَا فَمَا نَخْلُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ
 الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالذَّلَّةَ آيَةً
 مُّصَلِّتَةً فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ
 عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا لِمُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ
 لِيَنْزِلَ عَلَيْنَا مَاءً طَيِّبًا إِنَّكَ لَمِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٣٤﴾ وَلَمَّا
 كُشِفَتْ عَنْ الرِّجْزِ الْمُؤْمِنِينَ لَكَ وَلَمْ يَسْلُكْ مَعَكَ بَنِي
 إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٥﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ
 هُمْ يَلْعَنُونَ إِذْ أَهْرَبَ يَهْرَبُونَ ﴿١٣٦﴾ فَاتَّقِنَا مِنْهُمُ فَاعْرِضْهُمْ
 فِي لَبِّ يَأْتَهُمْ كَذِبًا يَتَابِعُونَا وَكَانُوا غَافِلِينَ ﴿١٣٧﴾
 وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ
 الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
 الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا
 يَصْنَعُونَ فَرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿١٣٨﴾

١٣١- فإذا جاءتهم مواسم الخير الحسنة بالخصب
 ووفرة الثمار والرخاء، قالوا: لنا هذه نستحقها، وإن
 يتعرضوا لمواسم سيئة من الجذب والقحط والبلايا
 والأمراض، يتشاءموا بموسى والمؤمنين معه، إلا إن
 شؤمهم يأتيهم من عند الله على عملهم، لا من عند
 موسى ومن معه، فجميع ما ينالهم من خير أو شر هو
 من عند الله، وهذا على غلط ما يعتقدونه، لذا عبر
 بالطائر عن الخير والشر، لا إثبات التطير، ولكن
 أكثرهم لا يعلمون بهذا، بل ينسبون الخير والشر إلى
 غير الله خطأ وجهلاً.

١٣٢- وقال أتباع فرعون لموسى: مهما تأتينا من
 معجزة، لتصرفنا بلطف وحيلة عما نحن عليه من
 ديننا، كما يفعل السحرة بسحرم، ردناها، ولا
 تؤمن بك ولا تصدق برسالتك. قاصدين بذلك إعلان
 اليأس من إيمانهم.

١٣٣- فأرسلنا عليهم الطوفان (الأمطار الكثيرة
 المتلفة للزروع) والجراد الذي يأكل الزروع، والقمل
 حشرات صغيرة تلتف الزرع والنبات، غير القمل
 المعروف، والضفادع المعروفة التي تكاثرت، فملاّت
 البيوت، والدم أي الرعاف من الأنوف أو تحول المياه
 إلى دم، آيات مبيّنة دالة على قدرة الله تعالى وصدق

موسى، فتكبروا عن الإيمان بالله، وكانوا قوماً عصاة مجرمين. هذه آيات خمس، يضاف لها آيتان من الآية السابقة
 [١٣٠] وهي القحط ونقص الثمار، وآيتان من سورة يونس [٨٨] وهما الطمس على الأموال أي هلاكها ومحققها،
 وتشديد الوطأة على القلوب، أي الطبع عليها، فتصير الآيات تسعاً.

١٣٤- ولما وقع عليهم العذاب بهذه الأمور، قالوا: يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا البلاء، متوسلاً بما
 اختصك به وأكرمك من الرسالة والنبوة وهو العهد، لئن كشفت عنا العذاب لنصدقن بنبوتك وبما تخبر به عن ربك،
 ولنرسلن معك بني إسرائيل، بإعطائهم حرية الانتقال والمغادرة من البلاد بعد منع السفر.

١٣٥- فلما رفعنا عنهم العذاب المتقدم من القحط وغيره، إلى أجل محدد من الزمان لإهلاكهم بالغرق، هم
 بالغوه حتماً، إذا هم ينقضون العهد الذي عقده على أنفسهم.

١٣٦- فانتقمنا منهم لما نقضوا العهد، فأغرقناهم في البحر، بسبب تكذيبهم بآياتنا وإعراضهم عنها، حتى صاروا
 كالغافلين عنها.

١٣٧- وأورثنا قوم بني إسرائيل الذين كانوا مستنلين بالخدمة لقوم فرعون، أرض مصر والشام، التي باركنا فيها
 بإخراج الزروع والثمار الوفيرة، وتم إنجاز وعد الله لبني إسرائيل بإهلاك فرعون وقومه، بسبب صبرهم على أذى
 فرعون وملئه، وتحملهم الشدائد، وأهلكنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من العمائر والمزارع، وما كانوا
 يعرثون من عرائش الكروم والأشجار. وليس ميراث الأراضي المذكورة على الدوام، وإنما كان ذلك لفترة زمنية في
 وقتهم ما داموا مستقيمين على أمر الله، ثم سلبهم الله ذلك بظلمهم، فلم يبق لهم أصل تاريخي بما يسمونه أرض
 الميعاد.

١٣٨- ومكنّاهم من عبور بحر السويس بسلام وأمان، فمروا على قوم يلازمون عبادة الأصنام، ويقيمون عليها، فقالوا: يا موسى، اجعل لنا إلهاً، أي صنماً نعبد، كما لهؤلاء القوم آلهة من الأصنام، قال موسى: إنكم قوم تجهلون حقيقة الألوهية وعظمة الله، واستحقاقه وحده العبادة دون سواه، وقد شاهدتم من آيات الله ما يزرع عن عبادة غير الله تعالى.

١٣٩- إن عبدة الأصنام هؤلاء مدمر ومهلك ما هم فيه من عبادة الأصنام وزائل وذاهب جميع ما كانوا يعملون من الأعمال والعبادة للأصنام.

١٤٠- قال موسى لقومه: كيف أطلب لكم إلهاً غير الله تعبدونه؟ وقد أقام لكم الأدلة القاطعة على وحدانيته، وفصلكم على عالمي زمانكم، بإهلاك عدوكم، وتحريركم، وتكسينكم في الأرض واستخلافكم فيها.

١٤١- وتذكروا معشر الإسرائيليين لشكروا الله

وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَمْكُفُونَ عَلَى
أَصْنَامِهِمْ قَالُوا يُسْأَلُ أَعْمَلُ الْبِغَاةِ كَالْحَمْدِ لِلَّهِ
قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا فِيهِ
شَكٌّ لَّا يَمْلِكُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغْبَا اللَّهُ أُنْصِبَكُمْ إِلَهًا
وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَخْبَرْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ
فِرْعَوْنَ يَسُومُكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ
نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ لَرِيبٌ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ وَوَعَدْنَا
مُوسَى الْكَافَّةَ إِنِّي أَنَا اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿١٤٢﴾ وَبَقِيَ
رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ
اخْلُقْ لِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٣﴾
وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِهِ وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ
أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَنِي وَلَٰكِن أَنْظُرْ إِلَى
الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ
لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ
قَالَ سُبْحَانَكَ ثَبَّتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٤﴾

عليه حين خلصناكم من آل فرعون يذيقونكم أشد العذاب، يقتلون أطفالكم الذكور، ويقنون نساءكم أحياء للخدمة، وفي ذلكم الإنجاء من الأضرار امتحان واختبار عظيم من ربكم، لشكروا نعمه وأفضاله.

١٤٢- ووعدنا موسى بتكليمه ومناجاتنا بعد انتهاء ثلاثين ليلة، قائماً الليل، صائماً النهار، ثم زدناه عشراً بعد مجيئه إلى الميقات (الوقت المحدد لعمل من الأعمال)، فتم وقت المناجاة أربعين ليلة، وقال موسى لأخيه هارون حين اتجه للمناجاة: كن خليفتي فيهم، وأصلح أمر بني إسرائيل بالرفق بهم وتفقد أحوالهم، ولا تسلك سبيل العاصين بموافقتهم على المعاصي وإعانة الظالمين.

١٤٣- ولما حضر موسى في الوقت المحدد لكلام الله، وكلمه ربه مباشرة من وراء حجاب ولا واسطة، قال موسى: رب أرني أنظر إليك شوقاً وشرفاً، فأجابه الله تعالى: ليس لبشر أن يراني في الدنيا، ولكن انظر إلى الجبل، فإن ثبت مكانه، فسوف تراني، أي لا تثبت لرؤيتي، ما دام الأعظم منك صلابة وقوة وهو الجبل لم يثبت حين تجلّى الرب عليه، فلما ظهر نور الله على الجبل، جعله مدكوكاً تراباً مفتتاً، وسقط موسى مغشياً عليه، فلما أفاق من غشيته، قال: أنزهك يا رب تنزيهاً، تبت إليك من سؤالي رؤيتك، وأنا أول المؤمنين بك من قومي.



١٤٤- قال الله تعالى: يا موسى إني اخترتك على الناس أهل زمانك، وفضلتك وخصصتك بالرسالة والنبوة وتبليغ أوامري، وبالتكليم من غير واسطة، فخذ ما أعطيتك من الفضل، وكن شاكراً لأنعمي وعطائي الجليل.

١٤٥- وكتبنا لموسى في ألواح التوراة (وهي ما يكتب فيها) من كل ما يحتاج إليه الإسرائيليون من أمور الدين والدنيا، لمن يتعظ بها، وتبياناً لكل شيء من الأحكام، فخذها بجد وعزيمة قوية واعمل بها، واطلب من قومك أن يأخذوا بأحسن وأفضل مما فيها وأكثرها أجراً، كالعقوبد للقصاص، والصبر على الغير، وإبراء المعسر، وفعل المأمور به، وترك المنهي عنه، سأريكم دار الفاسقين: فرعون وأتباعه، وهي مصر، لتعتبروا بها، وقيل: هي منازل الكفار من الجبابة والعمالقة، وثمود وأصحاب الأيكة.

١٤٦- سامع عن فهم آياتي (دلالي على الإيمان) وكتابي وشريعتي الذين يتكبرون على الناس بغير حق كفرعون وقومه، وإن يروا كل آية

دالة على قدرة الله وعظمته لا يصدقوا بها، وإن يروا سبيل (طريق) الهدى الذي جاء من عند الله والصلاح والاستقامة، لا يتخذوه منهجاً أو طريقاً، وإن يروا سبيل الغواية والضلالة يتخذوه طريقاً ومنهاجاً، ذلك الصرف بسبب التكذيب بالآيات المنزلة من عندنا المشتملة على الهدى وتركية النفوس، وبسبب تغافلهم عنها وإعراضهم عناداً، لا سهواً.

١٤٧- والذين كذبوا بآياتنا التي جاءت بها رسلنا، وبالبعث والحساب، بطلت أعمالهم الحسنة التي عملوها في الدنيا كصلة رحم وصدقة، فلا ثواب لها في الآخرة، لعدم الإيمان، ما يجوزون إلا جزاء عملهم من التكذيب والمعاصي.

١٤٨- واتخذ قوم موسى من بعد خروجه إلى جبل الطور للمناجاة، مما معهم من حلي القبط الذي استعاروه لعرس، فبقي عندهم، اتخذوا عجلاً إلهاً مجسماً، أي تمثالاً لعجل لا روح فيه، له خوار (صوت البقر) صنعه السامري بطريقة تجعل مرور الريح فيه محدثاً صوتاً، ألم يروا أن هذا التمثال أخرس لا يكلمهم، ولا يقدر على هدايتهم للحق والصواب وطريق الخير، اتخذوه إلهاً، وكانوا ظالمين لأنفسهم في اتخاذه.

١٤٩- ولما ندموا وتحيروا، وأدركوا أنهم قد أخطؤوا وضلوا عن الإيمان باتخاذهم العجل إلهاً، لجؤوا إلى التوبة والاستغاثة، وقالوا: إذا لم يرحمنا ربنا بقبول توبتنا وغفران ذنوبنا، لنكونن من الخاسرين أنفسهم أو الهالكين.

قَالَ يٰمُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّقَظَّةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْ مَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِ مَا سَأَوْكُمْ بِهِ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَسْرِوْا كُلُّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَسْرِوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِفَسَادِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خَوَارُ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّهُ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

١٥٠- ولما رجع موسى إلى قومه غضبين أسيفا قال يسفا قال يسفا حلفتموني من بعدى أن أعجلتكم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن آدم إن القوم استضعفون وكادوا يقتلونني فلا تثبت بي الأعداء ولا تجعلن مع القوم الظالمين ﴿١٥١﴾ قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين ﴿١٥٢﴾ إن الذين اتخذوا العجل آلجلاً سينالونهم غضب من ربهم وذلة في أنفوسهم الدنيا وكذلك تجزي المفترين ﴿١٥٣﴾ والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعد ما واهوا أمروا أن ربك من بعد ما لغفور رحيم ﴿١٥٤﴾ ولما سكنت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي شخبها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ﴿١٥٥﴾ واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما أخذهم الرجعة قال رب لو شئت أفلكهم من قبل وأنت أهدى إلى السبيل ﴿١٥٦﴾ السفهاء ميتان من لا فائدة لهم من نساء وتهدى من نساء أنت ولينا فأغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴿١٥٧﴾

١٥١- قال موسى: رب اغفر لي هذا الفعل بأخي، واغفر لأخي هارون إن كان فرط أو قصر في نهيهم عن فعلهم، وأدخلنا في جنتك ورحمتك الواسعة، وأنت أرحم الرحماء في الدنيا والآخرة.

١٥٢- إن الذين اتخذوا العجل إلهاً ولم يتوبوا، سينالهم عذاب من ربهم في الآخرة، وعقاب في الدنيا بقتل بعضهم بعضاً، وذل ومهانة واحتقار الناس لهم، وكما جزيناهم بنجزي المفترين على الله بالإشراك وغيره، ومنهم عبدة العجل.

١٥٣- والذين ارتكبوا السيئات أو المعاصي، ثم تابوا من بعد ما عملوها، وآمنوا بالله ورسله، إن ربك من بعد هذه التوبة، لغفور لهم، رحيم بهم، أي كثير المغفرة والرحمة.

١٥٤- ولما ذهب الغضب عن موسى، وسكن وهذا، أخذ الألواح التوراتية التي ألقاها عند غضبه، وفيما نسخ أو كتب فيها إرشاد للضالين وهداية للأحكام، ورحمة واسعة، للذين يخافون من ربهم.

١٥٥- واختار موسى من قومه سبعين رجلاً ليكونوا معه في الوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه، وليكون سماعهم مناجاة موسى ربه دليلاً على صدقه، وفي رأي آخر: اختارهم للاعتذار عن عبادة العجل، فطلبوا رؤية الله جهراً، فأخذتهم الزلزلة الشديدة وصعقوا، قال موسى تحسراً: رب لو شئت إهلكنا لأهلكتنا بذنوبنا، قبل أن تأتي إليك في الميقات، أنهلكنا يا رب بما فعل الطاشون منا، ما هي إلا فتنتك، أي اختبارك وابتلاؤك، تُضِلُّ بها من تشاء من عبادك، وتهدي من تشاء هدايته، أنت ناصرنا ومتولي أمورنا، فاغفر لنا ذنوبنا، وارحمنا برحمتك الواسعة، وأنت خير الغافرين للذنوب، تغفر لمحض الفضل والجلود، لا لمصلحة.



١٥٦- وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا مُعَذَّبُونَ قَالَ عَلَيَّ أَصِيبُ بِهِمْ مِنْ أَسَاءَةٍ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَأَكْتُبُ لَهَا لَّذِينَ يُتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٧﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوزًا عِنْدَهُمْ فِي الْوَرْدَةِ وَالْأَنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُخِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٩﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٦٠﴾

١٥٧- الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ مُحَمَّدًا ﷺ النَّبِيَّ الَّذِي لَا يَقْرَأ وَلَا يَكْتُبُ، وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِي يَجِدُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اسْمَهُ وَنَعْتَهُ وَصِفَتَهُ مَدُونًا عَنْدهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، يَأْمُرُ بِمَا يَقْرَهُ الشَّرْعَ وَالْعُقُولُ السَّالِمَةُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَيَنْهَى عَنِ الْكُفْرِ وَالشَّرِكِ وَمَا يَنْكَرُهُ الشَّرْعَ وَالْعُقُولُ الصَّحِيحُ مِنْ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ،

ويحل لهم المستلذات التي تستطيعها النفوس والطباع السليمة من الأطعمة، ويحرم عليهم ما تستخبثه الطباع السليمة وتنفّر منه، كالميتة والدم المسفوح والختير والمذبح لغير الله، ويضع عنهم الثقل الذي يضايق الإنسان، وما يشق حسيّاً على النفس، والتكاليف الشاقة الثقيلة، كقتل النفس في التوبة، وقطع موضع النجاسة من الثوب، فالذين آمنوا بحمد ﷺ وعظموه ووقروه، ومنعوه من عدوه، ونصروه على من يعاديه، واتبعوا القرآن الذي أنزل معه، أولئك هم الفائزون في الدنيا والآخرة، بالهداية والاستقامة، والجنة والرضوان.

١٥٨- قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ جَمِيعاً، فرسالي للناس عامة، رسول من الله الذي يتصرف في السموات والأرض كيف يشاء، ويملكهما ملكاً تاماً، لا إله غيره ولا رب سواه، يحيي الخلق ويفنيهم، فهو المستحق للرؤية ونفي الشركاء عنه، فأمنوا بالله وما تضمنته كتبه من التوراة والإنجيل والقرآن من أحكام وإرشادات، واتبعوا ما جاء به، لتهتدوا وترشدوا.

١٥٩- وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى وَهُمْ بَعْضُ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَمَاعَةٌ عَظِيمَةٌ، يدعون الناس إلى الرشاد والهدى متلبسين بالحق ويلتزمون الحق الذي جاء به نبيهم، وبالحق يعدلون في أحكامهم.

١٦٠- مَيَّزْنَا وَفَرَقْنَا قَوْمَ مُوسَى بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ، حَتَّى صَارُوا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قَبِيلَةً، كُلُّ سَبْطٍ (قَبِيلَةٍ) مَعْرُوفٍ عَلَى حِدَةٍ، وَالْأَسْبَاطُ: أَوْلَادُ الْأَوْلَادِ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ كَالْقَبِيلَةِ فِي وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَمًا، أَي كُلُّ سَبْطٍ قَبِيلَةٌ مِنْ أَبٍ وَاحِدٍ مِنْ أَوْلَادِ يَعْقُوبَ. وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى حِينَ طَلَبَ قَوْمَهُ السَّقْيَا، لَمَّا أَصَابَهُمُ الْعَطَشُ فِي صَحْرَاءِ التِّيهِ: أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ، فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا بَعْدَ الْأَسْبَاطِ، قَدْ عَلِمَ كُلُّ سَبْطٍ مِنْهُمْ مَكَانَ شَرِبِهِمْ، وَجَعَلْنَا السَّحَابَ يَظْلِمُهُمْ فِي التِّيهِ، يَقِيهِمْ حَرَّ الشَّمْسِ، وَأَنْزَلْنَا عَلَى رِيقِ الشَّجَرِ وَغَيْرِهِ الْمُنَّ (مَادَّةٌ بَيَضَاءُ حُلْوَةٌ) وَالسَّلْوَى (وَهُوَ طَيْرٌ يَشْبَهُ السُّمَّانِي) وَقَلْنَا لَهُمْ: كُلُوا مِنْ مَسْتَلَذَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ، وَمَا ظَلَمُونَا بِكَفَرَانِهِمْ هَذِهِ النِّعَمَ، وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، حَيْثُ عَرَضُوهَا لِلْعِقَابِ.

١٦١- وَاذْكُرْ أَيُّهَا النَّبِيُّ حِينَ قَبِلَ لَأَبَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ الْخُرُوجِ مِنَ التِّيهِ: اسْكُنُوا أَرْضَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَقُولُوا: حِطَّةٌ، أَي أَمَرْنَا حِطَّةً،

وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذَا اسْتَسْقَيْتَهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْجَبَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَقْعِرْ لَكُمْ خُبْرًا مِنْ سَيِّدِكُمُ السَّيِّدِ الْخَمِينِ ﴿١٦١﴾ فَكَذَلَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلَ غَيْرِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجَالًا مِنْ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَرَسُولُهُ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَكَاؤَهُمْ يَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِّنْهُمْ لَوْ تَعْطُونَ قَوْمَنَا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُم وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾

وَالْمَعْنَى: حِطَّةً عَنَّا خَطَايَانَا، وَادْخُلُوا بَابَ الْقَرْيَةِ (بَيْتَ الْمَقْدِسِ) سَاجِدِينَ لِلَّهِ شُكْرًا عَلَى نِعَمِهِ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنْ سَجْدَةِ الشُّكْرِ، نَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، مَتَى دَخَلْتُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ بَيْتَ الْمَقْدِسِ مُتَتَّبِعِينَ، سَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ أَعْمَالَهُمْ إِحْسَانًا وَثَوَابًا وَإِدْرَارَ نِعَمٍ.

١٦٢- فَبَدَّلَ الظَّالِمُونَ مِنْهُمْ أَقْوَالَهُمْ، فَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ عَذَابًا مِنَ السَّمَاءِ، بِسَبَبِ ظَلَمِهِمْ.

١٦٣- وَاسْأَلْ أَيُّهَا النَّبِيُّ عَمَّا وَقَعَ لِأَهْلِ الْقَرْيَةِ (أَيْلَاتٍ) بِجَوَارِ الْعَقَبَةِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ، الَّتِي كَانَتْ قَرْيَةً مُجَاوِرَةً لِلْبَحْرِ الْأَحْمَرِ، حِينَ يَعْتَدُونَ وَيَتَجَاوَزُونَ حُدُودَ اللَّهِ بِالصَّيْدِ يَوْمَ السَّبْتِ، وَقَدْ نَهَوْا عَنْهُ، حِينَ تَأْتِيهِمْ أَسْمَاكُهُمْ يَوْمَ السَّبْتِ الَّذِي حُرِّمَ الْعَمَلُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، ظَاهِرَةٌ عَلَى الْمَاءِ، وَفِي غَيْرِ يَوْمِ السَّبْتِ لَا تَأْتِيهِمُ الْحِيتَانُ (الْأَسْمَاكُ)، مِثْلَ ذَلِكَ الْبَلَاءِ الشَّدِيدِ، نَبْلُوهُمْ بِسَبَبِ فَسْقِهِمْ وَظُهُورِهِ فِيهِمْ، وَفِي ذَلِكَ امْتِحَانٌ لِمَعْرِفَةِ مَدَى قُدْرَتِهِمْ عَلَى الصَّبْرِ عَنِ الْمَحَارِمِ.

١٦٤- وَاذْكُرْ أَيُّهَا النَّبِيُّ حِينَ قَالَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ، لَمْ تَصِدْ وَلَمْ تَنْهَ عَنْ الصَّيْدِ لِلصَّالِحِينَ الْوَاعِظِينَ: لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا، اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ فِي الدُّنْيَا، أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الْآخِرَةِ؟ قَالَ الْوَاعِظُونَ: مَوْعِظَتُنَا مَعَذِرَةٌ نَعْتَذِرُ بِهَا إِلَى اللَّهِ، لَثَلَا نَنْسِبُ إِلَى التَّقْصِيرِ فِي تَرْكِ النَّهْيِ، أَيِ لِنَعْتَذِرَ عِنْدَ اللَّهِ بِأَدَاءِ وَاجِبِنَا، وَلَكِي يَتَّقُوا اللَّهَ، فَيَقْلَعُوا عَنِ الْمَعْصِيَةِ الَّتِي لَازَمُوهَا، وَيَتْرَكُوا الصَّيْدَ.

١٦٥- فلما ترك عصاة أهل القرية العمل بما وعظوا به، فلم يرجعوا عن المخالفة، أنجينا الذين يتهنون عن المعصية أو العمل الذي تسوء عاقبته؛ وهما الطائفتان الأخريان: التي نهت ثم يثست، والتي استمرت على النهي، أهلكتنا الظالمين العصاة المعتدين في يوم السبت بعذاب شديد بسبب عصيانهم وخروجهم عن طاعة الله تعالى.

١٦٦- فلما تجبروا وتجاوزوا الحد في معصية الله تكبراً، وأبوا ترك ما نهوا عنه، مسخناهم قردة، أذلاء مطرودين مبعدين عن كل خير، أي تحولوا فعلاً قردة، أو صاروا كالقردة في الاحتقار.

١٦٧- واذكر أيها النبي حين أعلم ربك إعلماً ظاهراً، ليسلطن على اليهود إلى يوم القيامة من يذيقهم أسوأ أنواع العذاب بسبب ظلمهم، إن ربك لسريع العقاب لمن عصاه، وإنه لغفور لأهل طاعته، رحيم بهم.

١٦٨- وفرقناهم في الأرض جماعات وفرقاً،

فلا يوجد قطر إلا وفيه منهم طائفة، منهم الصالحون: وهم الذين آمنوا واستقاموا، ومنهم أناس دون من قبلهم في الاستقامة، وهم الكفار والفساق، واختبرناهم بالخير والشر، بالنعم والأمن والرخاء تارة، وبالنقم والخوف والضيق تارة، ليرجعوا عما هم فيه من العصيان والضلال والكفر.

١٦٩- فجاء من بعدهم أولاد وذرية، وهم خلف السوء، ورثوا التوراة من أسلافهم، يأخذون الرشوة ويأكلون السحت مقابل تحريفهم آيات الله، وتهوينهم العمل بأحكام التوراة، ويزعمون أنه سيغفر لهم، متمنين الأماني الباطلة، وإن يأتيهم مال آخر غير مشروع يأخذوه، ويزعمون المغفرة أيضاً، والعرض: المتاع الزائل. ألم يؤخذ عليهم ميثاق التوراة ألا يقولوا على الله إلا الحق الثابت، وقد درسوا وقرؤوا ما في التوراة وفهموا وعلموا، فكان ترك العمل منهم عن علم، لا عن جهل، وكيف يزعمون المغفرة مع المخالفة؟! والأخرة خير من الدنيا وما فيها من عرض أو متاع، للذين يتقون الله ويحذرون عقابه، أفلا تعقلون ذلك وتدركونه؟

١٧٠- والذين يتمسكون ويعملون بما جاء في التوراة، وداوموا على الصلاة في أوقاتها، فلا نضيع أجر المصلحين أعمالهم، ونجازيهم على طاعتهم.

فَلَمَّا سَأَوْا مَا دُرُّوا بِهِ أَنْجَبْنَا الَّذِينَ يَتَهَنُونَ عَنِ الشُّعْوَ
وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا
يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا
قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ لَبِيعْنَا
عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَمَةِ مِنْ يُسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾
وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَسْمَاءً أَتَيْنَاهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ
دُونُ ذَلِكَ وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا
الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ
لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُ الَّذِي أَخَذُوهُ يُزَوِّجُوهُ
عَلَيْهِمْ مِثْلَ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ
وَدَّرُسُوا مَا فِيهِ وَاللَّذَارِ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يَتَمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

١٧١- واذكر أيها الرسول حين رفعنا جبل الطور من جذوره، كأنه مظلة سحاب فوقهم، وأيقنوا أنه ساقط عليهم، بإنذار الله لهم بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة، وقلنا لهم: خذوا ما آتيناكم في التوراة بجد وعزيمة، واذكروا ما فيه من الأحكام بالعمل به، لتتقوا الله وتأمّنوا عذابه.

١٧٢- واذكر أيضاً حين أخرج ربك من أصلاب بني آدم ذريتهم، وهم في عالم النذر، وأخذ عليهم العهد بالإقرار بوجود الله ووحدانيته، والمراد أن الله تعالى خلق الإنسان مستعداً بفطرته وبالأدلة الكونية للتوصل إلى الحق والاعتراف بخالقي الكون، وأشهد كل واحد منهم على نفسه قاتلاً لهم قول إرادة وتكوين لا بالوحي: ألسنت بربكم؟ قالوا بلسان الحال: بلى شهدنا على أنفسنا بأنك أنت ربنا المستحق للعبادة، منعاً لهم من أن يقولوا يوم القيامة أو لشلا يقولوا: لم ينبهنا أحد إلى التوحيد، ولا علم لنا بأنك أنت ربنا وحلك لا شريك لك.

١٧٣- أو تقولوا: إنما أشرك آبائنا من قبلنا، وكنا ورثتهم فاعتدنا بهم، واستمر العمل بما عليه آبائنا، ولم نهتد إلى الحق والصواب، فاعتدنا بما فعل المبطلون من آباءنا بتأسيس الشرك، ولا ذنب لنا لجهلنا وعجزنا عن النظر؟

١٧٤- مثل ذلك البيان للميثاق، نبين الآيات ليتدبروها، وليرجعوا عن الشرك، ويعودوا إلى الحق، ويؤمنوا بالله وحده، ويتركوا ما عليه الأسلاف.

١٧٥- وائل أو اقرأ أيها النبي على قومك خبر الشخص الذي مكنه من علم آياتنا المنزلة على رسولنا، وهو بلعم بن باعوراء من علماء بني إسرائيل، فانخلع منها، أي أهملها وتبرأ منها، فلحقه الشيطان فصار قرينه، فكان من الراسخين في الغواية والضلالة، أي من الكفار الفاسدين المفسدين.

١٧٦- ولو شئنا له المنزلة العالية، لأكرمناه ورفعنا قدره إلى منازل الأبرار بتلك الآيات، ولكنه مال إلى المنزلة الدنية، ورغب فيها، وأثر الدنيا على الآخرة، واتباع أهواءه النفسية، فمثل أو صفة هذا الرجل كمثل الكلب، إن تطارده وتزجره يلهث وإن تركه يلهث، والمراد أنه مكروب دائماً، يركض وراء الدنيا، ذلك المثل الخسيس مثل القوم المكذبين بآياتنا من اليهود والمشركين وغيرهم، بعد أن علموا بها، فاقصص أيها النبي القصص الحق على هؤلاء المكذبين، ليتفكروا بها ويتعظوا.

١٧٧- بش وصف القوم الذين كذبوا بآياتنا المنزلة على رسلنا بقبح أفعالهم، وإنهم يظلمون أنفسهم بالتكذيب.

١٧٨- من يوفق الله للإيمان والخير واتباع القرآن، فهو المهتدي حقاً، ومن يخذله ولا يوفقه للخير، فأولئك هم الخاسرون خسارة كاملة.

وَإِذْ نُنَاقِشُ الْجِبِلَّ فَوقَهُمْ كَأَنَّهُمْ طُلُوعٌ وَظُهُورُهُمْ أُمُوتٌ فَأَنبَأَهُم بِرَبِّهِمْ
خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن نَقُولُوا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ
آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُنكِحُونَا مِمَّا
فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نَفْصِلُ الَّذِينَ لَا يَلْمِزُونَ
رَبَّهُمْ ﴿١٧٤﴾ وَأَتْلَوْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ آيَاتِنَا
فَاسْتَفْسَحَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ
شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْآرِضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ
فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرُكْهُ
يَلْهَثَ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ
الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ﴿١٧٧﴾ مِّن يَّهْدِي اللَّهُ
فَهُوَ لَمْهُدًى وَمَن يَضِلَّ فَلَا يُنصِّرُهُ قَوْمُكَ هُمْ أَخْسَرُونَ ﴿١٧٨﴾

١٧٩- ولقد خلقنا جهنم كثيراً من الجن والإنس، ونحن نعلم مصيرهم سابقاً؛ لأنهم يعمل أهل النار يعملون، لهم قلوب لا يفهمون بها الحق، ولهم أعين لا يبصرون بها أدلة قدرة الله ووحدانيته، ولهم أذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ، أولئك الموصوفون بما ذكر كالبهائم في تعطيل الطاقات المدركة والحواس، بل هم أضل من البهائم؛ لأنها تعرف ما ينفعها وما يضرها، فتقدم أو تتحجم، والكفار لا يميزون بين النافع والضار كما كلهم به الله، أولئك هم الغافلون.

١٨٠- والله الأسماء الحسنى الدالة على أكمل الصفات وأشرفها، كالغفور الرحيم العليم القدير، فاذكروه ونادوه بها قائلين: يا رحمن يا رحيم يا حليم يا غفور... إلخ فإنه إذا دعي بها، كان ذلك أقرب للإجابة، واتركوا المشركين الذين يميلون عن الحق بتحريف هذه الألفاظ، كالنطق بلفظ الجلالة «أه» أو تحريف معانيها بالتشبيه بال مخلوقات، أو منافاة الكمال المطلق كتفسير علم الله تعالى وسمعه وبصره بصفات المخلوقين، أو بالتغيير واشتقاق أسماء منها لألهم، كما فعل المشركون، حيث اشتقوا اسم اللات من «الله» والعزى من العزيز، ومناة من المنان، أو بالزيادة عليها أو

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّغْنَا أَمْرًا وَلَٰئِكَ هُمُ الْمُتَعِلُّونَ ﴿١٧٩﴾
وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُجَادُونَ فِي أَسْمَائِهِ سِجْرُونَ مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا إِلَّا هُوَ يُنْقَلِبُ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَاضِرٌ عِنَهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّا نُكَذِّرُ النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

النقصان منها. نزلت في رجل من المسلمين، قال في صلاته: يا رحمن، يا رحيم، فقال المشركون: محمد وأصحابه يزعمون أنهم يعبدون رباً واحداً، فما بال هذا يدعو اثنين؟ فنزلت الآية.

١٨١- ومن خلقنا جماعة يرشدون الناس بالحق وإلى الحق والخير، وبالحق يحكمون في أحكامهم.

١٨٢- والذين كذبوا بآياتنا أي القرآن، من أهل مكة وغيرهم، سنأخذهم قليلاً قليلاً إلى الهلاك، من حيث لا يعلمون مصيرهم. والاستدراج: الأخذ بالتدرج بعد درجة إلى مهاوي الهلاك، بإمداد النعم وإهمال الشكر عليها.

١٨٣، ١٨٤- وأمهلهم وأوخر عنهم العقوبة، إن تدبيري الخفي شديد محكم، قوي لا يطاق. أو لم يتفكروا بعين العقل أو يتأملوا في شأن رسول الله ﷺ صاحبهم أن ليس فيه شيء مما يدعونه من الجنون، ما هو إلا منذر عقاب الله.

١٨٥- إن هؤلاء لم يتفكروا في الملك العظيم للسموات والأرض وما خلق فيهما من كواكب ونبات وحيوان وغيرها، حتى يهتدوا بذلك إلى الإيمان بالله، وأنه ربما اقترب أجلهم، فيموتوا على الكفر قريباً، فبأي كلام غير القرآن يؤمنون إن لم يؤمنوا به؟!

١٨٦- من لم يوفقه الله إلى الإيمان، فلا هادي له أبداً، ويتركهم في ضلالهم وكفرهم يترددون تائهين.

١٨٧- يسألك اليهود أو قريش عن القيامة متى وقوعها ورشوها (تثبيتها)؟ قل: إنما علمها عند الله لا يعلمها غيره، لا يظهرها لوقتها إلا هو سبحانه وحده، نقل علمها على أهل السموات والأرض، فلا يتوصلون إليه، لا تأتكم إلا فجأة، يسألونك أيها النبي كأنك مبالغ في السؤال عنها حتى تعلمها، قل لهم مؤكداً: إنما علمها خاص بالله تعالى، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله هو المختص بالعلم بها. نزلت حينما قال اليهود للنبي ﷺ: إن كنت نبياً فأخبرنا عن الساعة متى تقوم؟

١٨٨- قل لهم أيها النبي مؤكداً عدم العلم بالقيامة: لا أملك لنفسي نفعاً، ولا أقدر منع الضرر عني إلا بمشيئة الله وإلهامه وتوفيقه إياي، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من جلب الخير لنفسي، وتوقيت السوء، وما أصابني شيء من الشر، ما أنا إلا منذر من عصاني بالنار، ومبشر من أطاعني بالجنة، وهم المؤمنون بالله وحده، فليس من مهامي الإعلام بالغيب. قال أهل مكة: ألا يخبرك ربك بالرخص والغلاء حتى نشترى فنربح، وبالأرض التي تجذب للنرحل إلى الأرض الخصبة، فنزلت هذه الآية.

١٨٩- الله الذي خلقكم من نفس واحدة: آدم عليه السلام، ثم خلق حواء زوجه من جنسه وشكله، ليأنس إليها ويطمئن بها، فلما جامعها، حملت منه حملاً خفيفاً هو النطفة، فاستمرت بذلك الحمل دون مشقة أو ثقل، فلما صارت ثقيلة الحمل لكبر الجنين في بطنها، دعا آدم وحواء ربهما، لئن آتيتنا ولداً سليماً صالحاً للحياة من غير نقص، لنكونن من الشاكرين نعمتك.

١٩٠- فلما رزقهما الله ولداً صالحاً سليماً، جعل الزوجان من جنس بني آدم - وليس آدم وحواء

له شركاء، فيما أعطاهما، فتعاضم الله وتنزه عما يشركون به، بنسبة الولد أو الشريك له.

١٩١- أيشركون بالله الأصنام في العبادة؟ علماً بأنها لا تخلق شيئاً من المخلوقات، حتى تستحق العبادة، وهؤلاء الذين جعلوا شركاء من الأصنام أو الشياطين مخلوقون.

١٩٢- ولا تملك هذه الأصنام لعبادتها نصراً إن طلبوه منهم، ويعجزون عن نصر أنفسهم بدفع المكروه والأذى.

١٩٣- وإن تطلبوا من الأصنام الهداية والرشاد لأنفسهم أو لكم، لا يجيبوا طلبكم، وإذا لم تصلح الأصنام تبعاً، فلا تصلح بالأولى أن تكون متبوعة، وحالهم واحدة، سواء في عدم الإفادة عند نذائكم أو سكوتكم؛ لأنهم مجرد أحجار جامدة.

١٩٤- إن هذه الأصنام التي تعبدونها من غير الله، وتجعلونها آلهة: مخلوقات أمثالكم، خاضعون لقدرة الله، ومملوكون لله، فادعوه لرفع أو دفع ضرر، فليردوا عليكم الجواب إن كانوا أحياء، إن كنتم صادقين في جعلهم آلهة، وما تدعون لهم من قدرة على النفع والضرر.

١٩٥- ألهؤلاء الأصنام المعبودة شيء مما لكم من الآلات والأعضاء؟ هل لهم أرجل للمشي، أو أيدي للبطش والعمل بها، أو أعين للبصر بها أو أذان للسمع بها، لا، ليس لهم شيء من الحواس المدركة التي لكم، فكيف تعبدونهم وأنتم أنتم خلقاً منهم؟ قل لهم أيها النبي: ادعوا شركاءكم أي الأصنام واستعينوا بهم، ثم افعلوا ما شئتم من وجوه الكيد (التدبير الخفي) علي، فلا تمهلوني ولا تتأخروا في إضراري وكيدي إن استطعتم. وهذا تحدٍ لإظهار عجز آلهتهم عن كل شيء.

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ
أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَا سْتَكْثُرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَخِيَ السُّوءُ
إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ
مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا ذَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا
فَلَاحَ نَفْسُهُمَا خَلَّتْ حِمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَ دَعَا اللَّهَ
رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا
آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَفَعِلَ اللَّهُ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَتَشْرِكُونَ مَا لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١٩١﴾
وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾
وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءَ عَلَيْكُمْ
أَدْعُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ عِبَادُ أَثْنَالِكُمْ فَاذْعُوهُمْ فَلْيَسْجُدُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ لَمَّا دُعُوا لِيَدْعُوهُمُ
بِهَا أَمْ لَمْ أَغْنِ بِصُرُونِهَا أَعْمَاهُمْ أَمْ يُنْسِفُونَ
بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾



١٩٦- إن ناصري ومتولي أموري الله الذي نزل القرآن، وهو يحفظ الصالحين وينصرهم، فكيف أخاف هذه الأصنام؟

١٩٧- والذين تعبدون من غير الله عاجزون عن نصركم ونصر أنفسهم.

١٩٨- وإن دعوتهم الأصنام إلى الهداية والرشاد، لا يسمعون دعاءكم، وترى الأصنام أيها النبي يقابلونك كالناظر إليك، وهم لا يبصرون في أعينهم، لفقد الحياة فيها، فكيف يرجي منهم النصر والعون والخير؟

١٩٩- خذ أيها النبي اليسر من أخلاق الناس، ولا تكلفهم ما يشق عليهم، وأمر بالمعروف: وهو المستحسن عقلاً وشرعاً من الأقوال والأفعال، وأعرض عن أفعال الجاهلين: السفهاء الحمقى، فلا تعاملهم بمثل عملهم من السفاهة والجدال بالباطل.

٢٠٠- وإما يصيبك إصابة من الشيطان، أي يوسوس لك بشيء من الفساد وتخريب الأخلاق، فاستجر بالله والجا إليه من وسأوسه، لدفعها عنك، إنه سميع للدعاء، عليم بالحال.

٢٠١- إن الذين اتقوا ربهم وخافوا عقابه

وأطاعوا أوامره وتركوا ما زجر عنه إذا أصابهم شيء ألم بهم، أي وسوسة ما، تذكروا عقاب الله وثوابه، فإذا هم مبصرون الحق من غيره، ومدركون ببصائرهم الأخطاء ومكاييد الشيطان، فيرجعون عن الفساد.

٢٠٢- وإخوان الشياطين من الكفار والمشركين يعاونونهم في الضلال، ثم لا يكفون عن إغوائهم ولا يتباطون. ويقصرون بمعنى يقصرون.

٢٠٣- وإذا لم تأت أيها النبي المشركين المكين بمعجزة مما اقترحوا، أو بآية من القرآن قالوا: هلا اخترعتها من تلقاء نفسك؟ قل لهم: إنما أنا متبع الوحي من ربي، ولست بمخترق للآيات من عندي، هذا القرآن مبصّر للقلوب وبرهان من ربكم يغني عن غيره من المعجزات، فيه يعرف الحق والصواب، وهو حجج وبيّنات، وهو هداية للناس إلى الإيمان، ونعمة من الله لقوم يؤمنون به ويعملون بأحكامه.

٢٠٤- وإذا قرئ القرآن في الصلاة وغيرها، فاستمعوا له بقصد ونية لتفهموا معانيه، واسكتوا عن الشواغل والكلام للاستماع عند تلاوته، لتظفروا برحمة الله عند امتثال أوامره، وسماع آيات كتابه. نزلت في رفع الأصوات في الصلاة خلف النبي ﷺ.

٢٠٥- واتجه إلى ربك بالذكر والدعاء، تذللًا وخوفًا، تسمع نفسك، وتتوسط في الذكر، دون الجهر، فلا ترفع صوتك كثيراً، ولا تسر به بمجرد تحريك اللسان، بالصباح والمساء، ولا تكن غافلاً عن ذكر الله. والغدو: وقت الغدوة أي الصباح، والأصال: ما بين العصر والغروب.

٢٠٦- إن الملازمة الأبرار عند ربك لا يتكبرون عن عبادة الله، ويتزهونه عما لا يليق به، وله يُصَلُّون ويخصونه بالعبادة والخضوع، فتشبهوا بهم.

إِنَّ وَلِيَ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾
وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْمَعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا
أَنْفُسَهُمْ يَبْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا
وَرَبُّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ
وَأْمُرَ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِنَّمَا يَرْجِيكَ
مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾
إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا
هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ
لَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَا آخِذِيهَا
قُلْ إِنَّمَا آتَيْتُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَإٌ مِّنْ رَبِّكُمْ
وَهَدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا رُجِّعَ الْقُرْآنُ
فَأَسْمِعُوا لَهُمْ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَأَذْكُرْ بِكَ
فِي نَفْسِكَ نَصْرَ مَا وَخِيفَهُ وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ
وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ
لَا يَتَكَبَّرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾



سورة الأنفال

وهي مدنية تحدث عن أحكام الجهاد والغنائم، نزلت عقب غزوة بدر.

١- يسألونك أيها النبي عن كيفية قسمة الغنائم الحربية، قل: حكمها مختص بالله والرسول، يقسمها الرسول ﷺ بأمر الله تعالى على وفق المصلحة العامة، فاتقوا الله بامتنثال أوامره، واجتنب نواهيه، وأصلحوا الحالة الناشئة عن تفرقكم، وأطيعوا الله ورسوله فيما يأمركم به وينهاكم عنه، إن كنتم مؤمنين حقاً بالله ورسوله، فإن الإيمان لا يتم إلا بالتقوى وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله. نزلت في غنائم بدر وفي قسمتها، كيف تقسم، ولن الحكم فيها، أهي للمهاجرين أم للأَنْصَار أم لهما جميعاً.

٢- إنما كاملو الإيمان الذين تخاف قلوبهم عند ذكر الله تهيأاً لجلاله وعظمته، وإذا تليت عليهم آيات القرآن، زادتهم تصديقاً، ويفوضون الأمور لربهم، ويثقون به، لا بغيره.

٣- الذين يؤدون الصلاة كاملة بأوقاتها وحقوقها، وينفقون في طاعة الله مما أعطيتهم من الرزق والمال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَ رَسُولِهِ إِنَّكُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَّتْ عَلَيْهِمْ آيَةُ اللَّهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَّبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ الصَّلَاةَ وَيُمَارِزُوهَا رِزْقَهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَرْغَبُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَدْعُوكُمُ اللَّهُ إِحْدَىٰ لَطَائِفَتَيْنِ أَنَّهُمَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّكُوكِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَيِّطَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُخَيِّطَ الْحَقَّ وَيُسَيِّطَ الْبَطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾

٤- أولئك الموصوفون بما ذكر: هم المؤمنون حقاً وصدقاً بلا شك، لهم عند ربهم منازل عالية رفيعة في الجنة، ومغفرة لذنوبهم، ورزق حسن لا كدر فيه في الجنة.

٥- إن كره الصحابة في كيفية قسمة غنائم بدر مثل كرههم الخروج لموقعة بدر، كانت المصلحة في الحالين على غير ما يتوقعون، كان إخراجك لغزوة بدر من بيتك أي من المدينة المنورة إخراجاً بالحق، متلبساً بالحكمة والصواب، وكان فريق من المؤمنين كارهين الخروج للقتال لقلة عددهم وسلاحهم.

٦- يجادلك أيها النبي المؤمنون في الحق والرأي السديد وهو القتال، بعدما ظهر لهم أنهم ينصرون، كأنما يساقون إلى الموت المحقق، وهو مشاهد أسبابه، ناظر إليها، وكان الموت واقع بهم، لشدة خوفهم وكرهاتهم للقتال.

٧- واذكروا أيها المؤمنون حين يعدكم الله إحدى الطائفتين: العير (قافلة قريش من الشام) أو النفير (جيش قريش) أنها ملك لكم، وتتمنون أن طائفة العير غير ذات السلاح تكون لكم، ويريد الله لكم بوعده المؤمنين بالنصر غير هذا وهو نصر الإسلام والمؤمنين لتأييد آياته المنزلة على رسوله، في محاربة المشركين ذوي الشوكة، وأن يستأصل المشركين جميعاً. و﴿دابر الكافرين﴾ أي آخرهم الذي يأتي من ورائهم، وهو كناية عن استئصالهم بالهلاك.

٨- ليُعْزَزَ الإسلام ويثبتته ويعليه؛ لأنه الحق، ويمحق الكفر والشرك ويزيله من الوجود، ولو كره ذلك المشركون من قريش وغيرهم من سائر الكفار.

٩- واذكروا كما علمتم أنه لا بد من قتال النفيير (جيش قريش) حين تطلبون من ريكهم الإغاثة والنصر على عدوكم، فأجاب دعاءكم واستغاثكم بأني معيبتكم بألف من الملائكة يقاتلون المشركين متتابعين يتبع بعضهم بعضاً، ومتقدمين على صفوف الجيش. نزلت حينما دعا النبي ﷺ ربه قائلاً: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة (الجماعة) من أهل الإسلام، لا تعبد في الأرض.

١٠- وما جعل الله الإمداد بالملائكة إلا بشارة لكم بالنصر، ولتسكن بالإمداد قلوبكم من الاضطراب والخوف الذي عرض لكم، وما النصر في النهاية والحقيقة إلا من عند الله، لا من عند غيره، فلا بد من إرادة الله مع الأخذ بالأسباب، إن الله قوي غالب على أمره، حكيم في كل أفعاله، يضع الشيء في موضعه.

١١- واذكروا حين يلقي الله النعاس عليكم، في الليلة السابقة ليوم القتال، أنما منه تعالى ليذهب عنكم الاضطراب والخوف، وينزل عليكم السحاب مطراً ليطهركم بالماء من الحدث والجنابة،

فقد أنزل الله على جيش المسلمين مطراً حتى سال الوادي، ومن أجل إذهاب وسوسة الشيطان عنكم بالخوف، ولتقوية قلوبكم بجعلها صابرة قوية، وتثبيت الأقدام في مواطن الحرب بالمطر الذي اشتد به رخو الأرض.

١٢- واذكر أيها النبي حين ربك لكتائب إمدادات الملائكة أني معكم بالنصر والعون، فثبتوا المؤمنين في القتال وبشروهم بالنصر، سألقي الرعب في قلوب الكفار، حتى ينهزموا، فاضربوا الرؤوس، واضربوا أطراف الأصابع من اليدين والرجلين، فإنه إذا ضربت البنان، تعطلت اليد عن القتال.

١٣- ذلك القتل للمشركين بسبب معاداة دين الله ومحاربتهم، بإخراج المؤمنين من ديارهم واضطهادهم، ومن يعادي الله ورسوله بمخالفة أمرهما، فالله شديد العذاب.

١٤- ذلك العقاب العاجل في الدنيا للمشركين، فتذوقوه وتحملوا آلامه مغشراً الكفار، وللكافرين عذاب النار في الآخرة.

١٥- يا أيها المؤمنون إذا قابلتم الكفار زاحفين كثيرين مجتمعين، فلا تنهزموا أمامهم، ولا تعطوهم ظهوركم أي لا تفروا ولا تهربوا.

١٦- ومن ينهزم أمامهم يوم الزحف أو القتال إلا إذا كان قاصداً للانحراف إلى جانب آخر، أي متحايلاً ليغلب عدوه بمكيده، أو منضماً إلى جماعة أخرى من إخوانه ليقاتل العدو معها، فقد رجع بغضب من الله، والملمج الذي يأوي إليه أو مسكنه في الآخرة هو جهنم، وبش الرجوع هي، وما آل إليه من عذاب النار.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ
تَنِ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ① وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى
وَلِتُطمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا الْنَصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ② إِذْ يَبْعَثُكُمْ النَّعَاسُ أَمَةً مِنْهُ
وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَ بِهِ وَبُذُوبَ عَنْكُمْ
رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ③
إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا
سَأَلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ
الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ④ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
سَأَفَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَكَانَ يَنصَافِي اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ⑤ ذَلِكَ فَذُوقُوا وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابُ النَّارِ ⑥ بَأْسَآئِهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُهُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَعَمًا فَلَا تَوْلَاهُمْ الْآذَانَ ⑦ وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤْخِذْ
ذُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّيًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ
بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ⑧

١٧- فلم تقتلوهم بيد بقوتكم، ولكن الله قتلهم بتأييده وتهيته أسباب النصر، وما رميت أيها النبي في الحقيقة وجوه المشركين، حين رميت بالخصى، ولكن الله رمى وجوههم فأثرت الرمية فيهم وأوصلها إليهم، وليختبر المؤمنين بالنصر اختباراً حسناً بالنعمة العظيمة، لا بالنقم، ليذكروهم، إن الله سميع لأقوالهم ودعائهم، عليم بأحوالهم. نزلت في رمي النبي ﷺ يوم بدر قبضة من حصباء الوادي، حين قال للمشركين: شاهدت الوجوه، ورماهم بتلك القبضة، فلم يبق عين مشرك إلا دخلها منه شيء.

١٨- ذلكم الحادث في بدر لاختبار المؤمنين وإضعاف تدابير الكافرين ومؤامراتهم.

١٩- إن تستفتحوا أيها الكفار بأن تطلبوا الفتح والنصر في الحرب، فإنهم حين خرجوا من مكة سألوا الله أن ينصر أحق الطائفتين بالنصر، فقد جاءكم حكم الله بنصر الحق، ودحر الباطل، وهلاك المبطلين، وإن تنتهوا عن الكفر وحرب الرسول، فهو خير لكم في الدنيا والآخرة، وإن تعودوا لحرب المسلمين وقتالهم، نعد لنصرتهم عليكم وتأييدهم، ولن تدفع عنكم جماعتكم شيئاً من الهزيمة، مهما كثرت، وأن الله مع المؤمنين بالنصر والتأييد، ومن كان الله معه فهو المنتصر. نزلت

حينما قال أبو جهل: اللهم انصر أعز الفئتين، وأكرم الفرقتين. وقال المشركون مثل ذلك.

٢٠- يا أيها المؤمنون أطيعوا الله ورسوله فيما يأمركم به وينهاكم عنه، ولا تعرضوا عنه إذا ناداكم بخالفة أمره، وأنتم تسمعون القرآن والمواظ.

٢١- ولا تكونوا كالمنافقين والمشركين واليهود الذين تظاهروا بالسمع، وسمعوا بأذانهم من غير فهم ولا عمل، وهم في الواقع لا يسمعون أبداً سماع تدبر وفهم.

٢٢- إن شر ما دب على الأرض في حكم الله: الصم عن سماع الحق، الخرس عن النطق بالحق، الذين لا يعقلون ولا يدركون ما فيه النفع والضرر.

٢٣- ولو علم الله في نفوس هؤلاء المعرضين ميلاً إلى الخير، واستعداداً للإيمان والامتداء بنور الإسلام، لأسمعهم سماع تفهم وانتفاع. ولو أسمعهم ذلك - على سبيل الافتراض - لأعرضوا عنه، وهم معرضون عن قبول الإيمان عناداً وجحوداً.

٢٤- يا أيها المؤمنون أطيعوا الله والرسول بالطاعة والانقياد وتنفيذ الأوامر، إذا دعاكم لما فيه حياتكم وصلاحكم وعزتكم، من علوم الشريعة أو الدين، واعلموا يقيناً أن الله يحول بين المرء وبين ما يتمناه قلبه من طول الحياة، بأن يمته فجأة، فلا يستطيع الإيمان والعمل، أي لا تتأخروا عن فعل الخير، فقد يعاجلكم الموت، ثم تجمعون إلى الله وترجعون إليه، يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم.

٢٥- واحذروا أيها المؤمنون الوقوع في محنة وبلاء، وصراع على متاع الدنيا، فيصيب الضرر الجميع، ولا يقتصر على الظالمين فقط، واعلموا أن الله شديد العذاب لمن خالفه وعصاه. والمراد التحذير من الفتن ومقاومة المعتدين.

فَلَا تَقْسُوْهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَناً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكَ كَمَا أَنَّ اللَّهَ مُوْهِنُ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ جَاءَكُمْ بِالْفَتْحِ قَالُوا نَحْنُ نَحْنُ فَهُمْ خَيْرٌ لَكَ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدًا وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَذَّبْتُمْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنْ شَرَّاءَ لَدَوَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْيَعْكُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهِ تَخْشَوْنَ ﴿٢٤﴾ وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾



٢٦- واذكروا أيها المهاجرون حين كنتم قلة مستضعفين في أرض مكة، تخشون أن يأخذكم بسرعة كفار مكة، أو غيرهم، فيقتلوكم أو يعذبوكم، فجعل لكم مأوى تحصنون به في المدينة، وأعانكم بالنصر في المعارك التي منها يوم بدر، وأزركم بالأنصار، ووزقكم من مستلذات الدنيا، ومنها الغنائم، لتشكروا الله على هذه النعم التي أنعم بها عليكم. روى الطبري عن قتادة ما يدل على أن الآية نزلت في العرب حين كانوا أذلاء، يتحكم فيهم الفرس والروم، ثم أعزهم الله بالإسلام وتوسع البلاد، مما يوجب الشكر على نعم الله تعالى.

٢٧- يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا عهد الله والرسول بتعطيل الفرائض وتعدي الحدود والمحارم، وإفشاء الأسرار للمشركين، ولا تخونوا أماناتكم: كل ما ائتمتم عليه من الديون والحقوق، وأنتم تعلمون كون ذلك الفعل خيانة، أي عن عمد لا عن نسيان، وتعلمون عقوبة الخيانة. نزلت الآية في أبي لبياة: مروان ابن عبد المنذر حين أخبر حلفاء بني قريظة بما عزم عليه النبي ﷺ من قتلهم بعد حصارهم إحدى وعشرين ليلة.

٢٨- واعلموا أنما أموالكم وأولادكم سبب فتنة

واختبار، لمعرفة تغليب جانب الله وشرعه أو التقصير فيه بالحرص على المال ومحابة الأولاد، والله عنده ثواب عظيم، فعضاؤه خير لكم من الأموال والبنين، فلا تضيعوا حق الله بمراعاة مصالح الأموال والأولاد.

٢٩- يا أيها المؤمنون إن تتقوا الله بطاعته وتجنب معصيته، يجعل لكم نورا تفرقون به بين الحق والباطل، وعلماً نافعا، ونصراً على الأعداء، ويمحو عنكم ذنوبكم، والله صاحب الفضل العظيم، يعطي الثواب الجزيل.

٣٠- واذكر أيها النبي حين يتأمر عليك المشركون في دار الندوة بمكة ليحبسوك، أو يقتلوك أو يخرجوك من مكة مقهوراً، ويتأمر عليك في الخفاء، والله يرد كيدهم ويطل مكرهم، والله خير المجازين على المكر. نزلت في تأمر المشركين في مكة في دار الندوة على قتل النبي ﷺ بمشركة القبائل.

٣١- وإذا تتلى على المشركين آياتنا في القرآن، قالوا: قد سمعنا ما تتلو علينا، لو أردنا أن نقول مثل هذا لفعلنا، ما هذا القرآن إلا أكاذيب السابقين وأخبارهم غير الموثوقة.

٣٢- واذكر أيها النبي حين قال المشركون: اللهم إن كان الذي يقرؤه محمد، هو الحق المنزل من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء تهلكنا بها كما فعلت بقوم لوط، أو اتنا بنوع آخر من العذاب الشديد. نزلت في النصير ابن الحارث لما قال: إن هذا إلا أساطير الأولين، ثم دعا بما ذكر، عناداً وجحوداً واستهزاء.

٣٣- وما كان الله ليعذب قومك عذاب استصالح كما سألو، وأنت موجود فيهم، إكراماً لك، وما كان الله معذبهم بمكة، وهم يستغفرون الله، قائلين في طوافهم حول الكعبة: غفرانك، أو فيهم مسلمون مستضعفون يستغفرون الله. نزلت حين قال أبو جهل بن هشام: ﴿اللهم إن كان...﴾. وآخر الآية نزلت حين كان المشركون يطوفون بالبيت ويقولون: غفرانك غفرانك.

وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخْطَبَكُمْ النَّاسُ فَتَأْتِيَكُمْ وَاتِدَّكُمْ بِبَصَرِهِ وَدَرَفَكُمْ مِنْ الظِّلْمِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا خَوْفُ اللَّهِ وَالرَّسُولِ وَتَخَوُّوا أَمَنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُخْرِجَكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَاذْكُرْكَ الْذِّبْرَ كَرُّوا لِئَسْئُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يَخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُوا بِكَ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِبِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا آيَاتُنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

٣٤. وَلَمْ لَا يَعَذِّبَهُمُ اللَّهُ دُونَ عَذَابِ الْاِسْتِصْالِ
أَوْ الْهَلَاكِ الْعَامِ، بِقَتْلِ بَعْضِهِمْ أَوْ أَسْرِهِ، لِمَا فَعَلُوا
مِنَ الْقَبَائِحِ، فَهُمْ يَمْنَعُونَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ دُخُولِ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَأَدَاءِ الْمَنَاسِكِ، وَمَا صَحَّ أَنْ يَكُونُوا
أَصْحَابَ الْوَلَايَةِ عَلَى الْحَرَمِ مَعَ إِشْرَاكَهُمْ
وَعِدَاوَتِهِمُ الرُّسُولِ، مَا أَوْلِيَاهُ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ الْأَتْقِيَاءُ
الَّذِينَ يَتَّقُونَ الشَّرْكَ وَالْمَعَاصِيَ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ
الْمُشْرِكِينَ لَا يَعْلَمُونَ الْوَلَايَةَ لَهُمْ عَلَيْهِ.

٣٥. وما كان أداء صلاتهم عند الكعبة إلا
تصغيراً وتصفيقاً، وليس عبادة صحيحة فيها تعظيم
الله على النحو المشروع، فذوقوا أيها المشركون
عذاب الدنيا كما حدث لكم يوم بدر، وعذاب
الآخرة بسبب كفركم بالله وتكذيبكم رسوله. قال
ابن عمر: كانوا يطوفون بالبيت ويصفقون
ويصفقون، فنزلت هذه الآية.

٣٦- إن الكفار المشركين ينفقون أموالهم لنزع الناس عن الدخول في الإسلام، إنهم ينفقون أموالهم، ثم تصير العاقبة أن يكون إنفاقهم ندامة وآلماً، ثم يُغلبون في الدنيا، ويساق الكفار الذين ماتوا على الكفر إلى نار جهنم، ليجازوا بعملهم. المال لحرب النبي ﷺ والثار منه.

وَمَا لَكُمْ أَلَا يَمِزُّهُمْ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِمْ إِلَّا الْمُتَفَنُّونَ
لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ
عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءٌ وَتَضَعِيَةٌ فَذُوقُوا الْعَذَابَ
بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَّبِعُونَ
أُمُومًا لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَفْجَعُوهُمْ أَصْفًا
تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
إِلَى جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ ﴿٢٩﴾ لِيَبْزِيَ اللَّهُ أَتْحَابَ مِنْ
الْأُطْبَاقِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكَبُهُ جَمِيعًا
فَيُجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا
فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَقَلِيلٌ مِمَّا هُمْ حَتَّى
لَا يَكُونُ فِتْنَةٌ وَيَكُونُوا الَّذِينَ كَلَّهُ لِلَّهِ فَإِنْ أُنْتَهَوْا
فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٢﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ مُوَلِّدُكُمْ نِعَمَ أَمْوَالِكُمْ وَنِعَمَ الْعَسِيرِ ﴿٣٣﴾

ماتوا على الكفر إلى نار جهنم، ليجازوا بعملهم. نزلت حينما بدأ كفار قريش بعد موقعة بدر يجمع المال لحرب النبي ﷺ والثأر منه.

٣٧. فعل الله سبحانه ذلك ليفصل الفريق الكافر عن الفريق المؤمن، ويجمع الفريق الكافر بعضهم إلى بعض متراكماً أو متراكباً بعضه على بعض، ثم يلقيه في جهنم، أولئك الكافرون هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

٣٨. قل أيها النبي لكفار أهل مكة: إن يتسوها عن شركهم ومعاداتهم المؤمنين وقتالهم بالدخول في الإسلام، يغفر لهم ما قد مضى من العداوة والكفر والمعاصي، ترغيباً في الإسلام، وإن يعودوا إلى قتالكم، فقد تقرر سنة (طريقة) الله في عقاب الما ضين بالتدمير والهلاك، فليتبوعوا مثله.

٣٩. وقتلوا أيها المؤمنون المشركين حتى لا يبقى شرك وتعذيب للمسلمين بمكة وغيرها، ويكون الدين كله لله وحده، ولا يعبد غيره، فإن انتهوا عن الكفر، فإن الله بصير بأعمالهم، فيجازيهم على إسلامهم وترك كفرهم.

٤٠. وإن أعرضوا عن الإيمان، وبقوا على الكفر، فاعلموا معشر المؤمنين أن الله متولي أموركم وناصركم عليهم، نعم المتولي المعين، ونعم الناصر، فلا يتخلى عن نصره.



وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُسْبَهُ وَالرَّسُولُ
وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآثِنِ السَّبِيلِ
إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ
يَوْمَ الْفَتْحِ نَجْعًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١١ إِذْ أَنْفَرُوا
بِالْعُدُوِّ الذِّنْبَاءِ وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصُوفِ وَالرَّكْبُ
أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافَتُمْ فِي الْمَبْعَدِ
وَلَكِنْ لِيَقْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ
هَلَكَ عَنْ بَيْتِهِ وَيُخَيِّبَ مَنْ خَبَّ عَنْ بَيْتِهِ وَإِنْ أَرَبَ اللَّهُ
لَسَمِعَ عَلَيْهِ ١٢ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَازِلِكُمْ قَلِيلًا
وَلَوْ أَرَبَكُمْ كَثِيرًا تَلْسَأُوهُ وَلَتُنْزِعَنَّ فِي الْأَفْئِرِ
وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ١٣ وَإِذْ
يُرِيكُمُوهُمْ إِذَا تَفَقَّشُوا فِي أَغْنِيكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ
فِي أَغْنِيهِمْ لِيَقْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ
تَرْجِعُ الْأُمُورُ ١٤ بَيِّنَاتُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً
فَاتَّبَعُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ١٥

٤١ - واعلموا أيها المسلمون أن الغنيمة: وهي مال الكفار إذا ظفر به المسلمون عنوة على وجه الغلبة والقهر تخمس، فأربعة أخماسها للغنائم المقاتلين، والخمس يقسم خمسة أسهم، سهم الله والرسول يصرف في مصالح المؤمنين العامة، وسهم لقربة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب، وسهم للأطفال الأيتام الذين مات آباؤهم قبل البلوغ، وهم فقراء، وسهم للمساكين المحتاجين، وسهم للمسافرين المنقطع في سفره عن بلده، من المسلمين، إن كنتم مصدقين بالله وبالقرآن المنزل على نبيه محمد ﷺ يوم بدر، يوم الفرقان الذي فرق الله فيه بين الحق والباطل، وأهل كل منهما، يوم التقى جمعا المسلمين والمشركون، والله قادر على كل شيء، ومنه نصركم مع قتلتم وكثرة أعدائكم.

٤٢ - واذكروا يوم الفرقان حين كنتم معسكرين بالجانب الأدنى من الوادي القريبة من المدينة، وأعداؤكم معسكرون في الطرف المقابل بناحية الوادي البعيدة عن المدينة، وقافلة أبي سفيان (العمير) في مكان أسفل مما أنتم فيه، وهو ساحل البحر، ولو تواعدتم أنتم وجيش قريش (النفير)

على اللقاء والقتال في هذا الموضع، لاختلفتم ولما اجتمعتم في ترتيب هذا الموعد على هذا النحو، ولكن جمع الله بينكم بغير ميعاد، ليحقق الله أمرا كان مقدرا له في علمه أن يتم، وهو نصر المؤمنين وخذلان الكافرين. فعل الله ذلك ليخبر من كفر بعد حجة ظاهرة قامت عليه، ويؤمن من يؤمن بعد حجة واضحة لا شبهة فيها، وإن الله لسميع لأقوالكم، عليم بأحوالكم. ويلاحظ أن المراد بالهلاك في الآية: الكفر لأنه سببه، والمراد بالحياة: الإيمان؛ لأنه سببها، فالإيمان حياة، والكفر موت.

٤٣ - واذكر أيها النبي حين أراك الله في المنام المشركون قبل المعركة أنهم عدد قليل، فأخبرت أصحابك، فتحمسوا وثبتوا، ولو أراك إياهم عددا كثيرا لجيتهم أيها المؤمنون، ولاختلفتم في أمر القتال، والواقع أن جيش قريش كان فوق الألف، وجيش المسلمين ٣١٤ فقط، ولكن الله سلم وعصم من الجبن (أو الفشل) والتنازع، فقللهم في عين النبي ﷺ، إنه سبحانه عليم بما في القلوب.

٤٤ - واذكروا أيها المؤمنون حين يريكم الله أعداءكم قليلا نحو سبعين أو مئة كيلا تهابوهم، ويجعلكم قليلا أقل من ٣٠٠ في أعين المشركون، كيلا يستعدوا كثيرا لقتالكم، ويتجرأ كل فريق على القتال، ليحقق ويفذ الله قضاءه في التمهيد للحرب، ونصر المؤمنين، وإذلال الكافرين، وإلى الله تصير أمور المخلوقات، فيجازي كل واحد بما صنع. وهذا كله قبل بدء المعركة، أما بعد بدئها، فإن الله أرى المسلمين لأعدائهم مثلي عددهم لتنهار قواهم، كما في آل عمران [١٣/٣].

٤٥ - يا أيها الذين آمنوا إذا حاربتهم جماعة كافرة مقاتلة، فاثبتوا لقتالهم ولا تنهزموا، وادعوا الله كثيرا بالعون والنصر، لتفوزوا بالخير في الدنيا والآخرة.

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَسْزِعُوا فَتَنَسَلُوا وَتَذْهَبَ
رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا
كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِطَرَفِ النَّاسِ وَصُدُّوا
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَّ
لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ
مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَ اتَّخَذَتِ الْفِتْنَانِ نَكْصَ
عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا
تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ
الْمُتَكَفِّرُونَ وَلِذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَمُزِّجْ حِكْمَهُ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَى
إِذْ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا الْيَوْمَ لَا يَنْصُرُنَا اللَّهُ وَهُوَ لَعِزُّ
وَأَذِنٌ لَّهُمْ وَهُوَ آذَانٌ لَّهُمْ بِمَا قَدْ مَكَثَ ذَلِكَ بِمَا قَدْ مَكَثَ
أَيُّكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلِيمٍ لِّقَبِيدٍ ﴿٥٠﴾ كَذَابٍ
أَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُ
اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥١﴾

٤٦- وأطيعوا الله ورسوله في الأمر والنهي على
السواء، ولا تختلفوا فيما بينكم، فتجبنوا وتذهب
قوتكم وبأسكم ويفوت النصر، واصبروا على
الشدائد ومكاره الحرب، إن الله مع الصابرين
بالنصر والعون.

٤٧- ولا تكونوا أيها المسلمون كالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ
خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ يَوْمَ بَدْرَ بِزَعَامَةِ أَبِي جَهْلٍ،
مُتَفَاخِرِينَ بِقُوَّتِهِمْ وَمَنْعَتِهِمْ، وَمِرَاةٍ لِلنَّاسِ
لِيَمْدَحُوهُمْ بِأَنَّهُمْ أَقْوِيَاءُ وَيَمْنَعُونَ النَّاسَ عَنِ الْهَدَايَةِ
وَالدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَاللَّهُ مُحِيطٌ عِلْمُهُ بِمَا
يَعْمَلُونَ، فَلَا تَخْضَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

٤٨- واذكروا حين حَسَّنَ الشَّيْطَانُ لِلْمُشْرِكِينَ
الخُرُوجَ لِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَوْهَمَهُمْ أَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ
فِي هَذَا الْقِتَالِ، وَأَلْقَى فِي قُلُوبِهِمْ بُوسُوسَةً أَنَّهُ لَنْ
يَغْلِبَكُمْ أَحَدٌ لِقَوَّتِكُمْ وَكثْرَتِكُمْ وَوَفْرَةَ سِلَاحِكُمْ،
وَإِنِّي مُجِيرٌ لَكُمْ مِنْ كُلِّ عَدُوٍّ، وَنَاصِرٌ لَكُمْ، فَلَمَّا
التَقَتِ الْجَمَاعَةُ الْمُؤْمِنَةُ وَالْكَافِرَةُ فِي سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ
وَرَأَتْ كُلُّ مَنَهُمَا الْأُخْرَى، تَرَاجَعُ هَارِبًا، أَيْ رَجَعَ
الْقَهْقَرَى، وَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ جُورِكُمْ، إِنِّي
أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ جَاءُوا لِلنَّصْرَةِ
الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ أَنْ يَهْلِكَنِي، وَاللَّهُ شَدِيدُ

العقاب لمن عصاه وتمرد على أوامره. لقد جاء الشيطان لقريش في صورة سراقه بن مالك، من بني بكر بن
كنانة، وكانت قريش تخاف من بني بكر أن يأتوهم من ورائهم.

٤٩- واذكروا حين يقول المنافقون (الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر) والذين في قلوبهم ضعف إيمان
(وهم الشاككون من غير نفاق، لحداثة عهدهم بالإسلام): اغتر هؤلاء المسلمون بدِينِهِمْ، وتوهموا أَنَّهُمْ
سَيُتَصَرَّوْنَ مِنْ أَجْلِ دِينِهِمْ، وَلَوْ كَانُوا قَلَّةً ضِعَافًا، قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا الرَّسُولُ: وَمَنْ يَفُوضُ أُمُورَهُ إِلَى اللَّهِ وَيَعْتَمِدُ
عَلَيْهِ وَيَتَّقِ بِهِ، يَغْلِبْ عَدُوَّهُ، لِأَنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ لَا يُغْلَبُ، حَكِيمٌ فِي صُنْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ، فَسَيُهْزَمُ الْأَعْدَاءُ.

٥٠- ولو ترى أيها الرسول حال الكفار، حين تتوفاهم الملائكة، لرأيت أمرًا عظيمًا مخيفًا، فهم يفسريون
وجوههم وظهورهم بمقامع من حديد، ويتزعجون أرواحهم بشدة وعنف، ويقولون لهم: تدوَّقُوا عَذَابَ النَّارِ
الشَّدِيدَ الْإِحْرَاقِ.

٥١- ذلك التعذيب لمُشْرِكِي قُورَيْشٍ فِي بَدْرٍ وَاقِعٍ بِسَبَبِ مَا كَسَبْتُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَظَلَمِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَعَاصِي،
وَيَسَبِّبُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْعِبَادَ إِطْلَاقًا، فَقَدْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرِّسْلَ لِهَدَايَتِهِمْ، فَأَعْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ.

٥٢- العادة في عذاب هؤلاء المُشْرِكِينَ، كَالْعَادَةِ الدَّائِمَةِ الْمَاضِيَةِ لِلَّهِ فِي تَعْلِيلِ قَوْمِ فِرْعَوْنَ وَمَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ
طَوَائِفِ الْكُفْرِ، إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ الْمُتَزَلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ وَتَفَرُّدِهِ بِالْعِبَادَةِ، وَكَذَبُوا الرِّسْلَ،
فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِسَبَبِ مَعَاصِيهِمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ بِأَسْهِ، شَدِيدُ عِقَابِهِ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ وَعَصَاهُ.

٥٣- ذلك التعذيب للكفرة بسبب أن سنة الله هي ألا يدلل نعمة بنعمة، أو يسلب نعمة أنعمها على قوم، حتى يدللوا نعمتهم كفرًا، فيكفروا بنعم الله، ويهملوا أوامرهم ونواهيهم، وأن الله سميع للأقوال، عليم بالأفعال والنيات.

٥٤- حال كفار قريش بما تسببوا به لعذاب الله بالكفر والظلم وتكذيب آيات الله ورسله، كحال وعادة قوم فرعون ومن سبقهم من الأمم الكافرة، كذبوا بآيات ربهم الذي رباهم بنعمه وأفضاله، فأهلكناهم بمعاصيهم، وأغرقنا قوم فرعون معه، وكل من الأمم المكذبة كانوا ظالمين أنفسهم بالجوحد والتكذيب. وكررت الجملة للإشارة إلى أن الآية الأولى في كفر العقيدة والوحدانية، والثانية في كفر النعمة والتربية، لذا عبر هنا بلفظ «الرب» لأنه المربي والمنعم، وفي الأولى بلفظ «الله».

٥٥، ٥٦- إن شر ما يدب على الأرض من المخلوقات عند الله في حكمه وعلمه: الذين كفروا، فهم لا يؤمنون بوحدانية الله وكمال قدرته. الذين عاهدتهم ألا يعينوا المشركين، وهم يهود بني قريظة، ثم ينتقضون عهدهم المؤكد مرارًا، وهم لا يتقون الله في غدرهم، ولا يخافون عاقبة نقض

العهود. نزلت في بني قريظة نقضوا عهد رسول الله ﷺ وأعانوا عليه بالسلاح في بدر، ثم قالوا: نسينا وأخطانا، فعاهدتهم الثانية، فنقضوا العهد يوم الخندق.

٥٧- فإن تصادفتهم في الحرب، فخوف بهم ونكل بهم تنكيلاً شديداً، وأرهب من وراءهم من الكفار المشركين، حتى يهابوا جانبك، ولا يجترأوا على محاربتك، لكي يتعظوا بهم، فلا ينتقضوا العهود.

٥٨- وإن ظننت أو علمت بظهور أمارات الخيانة، فاطرح إليهم عهدهم وحاربهم، حتى تصير أنت وهم متساوين في العلم بنقض العهد، لئلا يتهموك بالغدر، إن الله يعذب الغادرين ويكرهمهم.

٥٩- ولا يظن الذين نجوا يوم بدر من القتل أنهم فاتوا وخلصوا أو أفلتوا من الظفر بهم وتعذيبهم، إنهم لا يحجزون الله في إدراكهم، ولا يقاتلون من العذاب، بل سيجازيهم الله على كفرهم في الوقت المناسب. نزلت في يهود المدينة، وكان زعيمهم الطاغوت كعب بن الأشرف، وهو فيهم كأبي جهل في مشركي مكة.

٦٠- وأعدوا وهبوا أيها المسلمون لأعدائكم كل ما استطعتم من أسباب القوة المادية والمعنوية، التي تحقق النصر، ومن الخيل المعدة للجهاد في سبيل الله، تخوفون بهذا الإعداد كل أعداء الله والمسلمين في كل عصر، وغيرهم من المنافقين واليهود وكل من لا تعرف عداوته، وما تنفقوا من مال قليل أو كثير في الجهاد، تعطوا جزاءه وعوضه في الدنيا والآخرة، ولا تنقصون منه شيئاً.

٦١- وإن مالوا للصالح والمسالمة، فملى ذلك، وثق بالله وفوض أمرك إليه فيما تعاهدتهم به، إن الله سميع للأقوال، عليم بالأفعال والنيات.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَوْ كَفَرَ لَوَجَّهَ فُجْرًا نَعِمَةً أَنْعَمَ عَلَىٰ قَوْمٍ حَقًّا
يَعْتَرُونَ أَمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَسْبُغُوا اللَّهَ سَبْغًا ۖ كَذَٰبٌ
عَالِ فرعونُ ۖ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
فَأَلَّكَ لَهُمْ يَدْخُلُوهُمْ وَآغْرَقْنَا ۖ أَلْ فرعونُ ۖ وَكُلُّ كَانُوا
ظَالِمِينَ ۖ إِنَّ سَرَ الْأَوَّابِ عِنْدَ اللَّهِ ۖ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ۖ الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْتَضُونَ عَهْدَهُمْ
فِي كُلِّ مَرْوَةٍ وَمَنْ لَا يُؤْمِنُ ۖ فَإِنَّا نَسْتَفْتِيهِمْ فِي أَرْحَابٍ مُّشْتَرِدٍّ
بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمُ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۖ وَإِنَّا نَحْنُ قَوِّمُ
حِيَابِهِمْ فَانْصَبْ ۖ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۖ إِنْ أَلَّكَ لَاحِبٌ أَخَابِيرُكَ
ۖ وَلَا يُجِيبُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ اسْبُغُوا أَنْفُسَهُمْ لَاحِبُونَ ۖ
وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ
بِهِمْ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ
اللَّهُ يَسْمَعُ هَمُومَهُمْ وَمَا يَنْفِقُونَ مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ
إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ ۖ وَإِنْ جَحَّوْا لِلْسَّلَامِ فَأَنْجِ
لَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۖ



٦٢- وإن يريدوا بالعهد أو الصلح أن يخدعوك بإضممار الغدر والمكر والاستعداد للحرب، فإن الله كافيك ما تخافه من شرهم بالغدر، هو الذي قوأك عليهم بالنصر، وقوأك بالمؤمنين الصادقين.

٦٣- وألف الله بين قلوب العرب المتنافرة بالإيمان والإسلام، كما كان الحال بين الأوس والخزرج من الأنصار، من العصية والافتتال، لو أنفقت أيها النبي ما في الأرض جميعاً من الأموال، ما ألفت بين قلوبهم بسبب العداوة والعصية المستحكمة، ولكن الله ألف وجمع بينهم على الهدى، إنه سبحانه قوي لا يغلب، حكيم في صنعه، يفعل ما فيه الخير والمصلحة.

٦٤- يا أيها النبي كافيك شرهم الله وأتباع المؤمنين في المحن والأزمات، وناصرك عليهم. قال الكلبي: هذه الآية نزلت بالبسداء في غزوة بدر قبل القتال.

٦٥- يا أيها النبي حث المؤمنين حثاً شديداً وحضهم على قتال الأعداء من المشركين وغيرهم، إن يكن منكم معشر المؤمنين عشرون صابرون في المعركة، يغلبوا مئتين، وإن يكن منكم مئة صابرة مقاتلة، يغلبوا ألفاً من الكفار، ذلك بسبب أنهم

أي الكفار قوم لا يدركون حكمة الحرب، ويقاثلون على غير بصيرة.

٦٦- ولما شق ذلك عليهم، رخص الله لهم وخفف عنهم، لما علم من وجود ضعف عن قتال الواحد عشرة أمثاله، وصار الواجب الصمود أمام اثنين فقط، فإن يكن منكم أيها المؤمنون مئة صابرة، يغلبوا مئتين، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين من الكفار الأعداء بإرادة الله ومشيته، والله يعين الصابرين. قال ابن عباس: لما افترض الله عليهم أن يقاتل الواحد عشرة، ثقل ذلك عليهم وشق، فوضع الله ذلك عنهم إلى أن يقاتل الواحد رجلين، فأنزل الله هاتين الآيتين.

٦٧- ما كان يصح وينبغي لربي أن يكون له أسرى يقبل منهم الفداء، حتى يبالغ في القتل في الحرب، ويستقر له الأمر ويعلو سلطانه، تريدون أيها المؤمنون حطام الدنيا ونفعها بأخذ الفداء من الأسرى، والله يريد لكم ثواب الآخرة في الإثخان بالقتل، والله قوي لا يُقهر ولا يُغلب، حكيم في صنعه وتدبيره. نزلت حينما أخذ النبي ﷺ برأي أبي بكر في العفو عن أسرى بدر وقبول الفداء منهم، ولم يأخذ برأي عمر في قتلهم.

٦٨- لولا حكم من الله سبق إثباته في اللوح المحفوظ: ألا يعذب المخطئ في اجتهاده، لأصابكم فيما أخذتم من الفداء عن أسرى بدر عذاب كبير شديد. وفسر الكتاب أيضاً بالأا تعذب أمة محمد عذاب إفتاء، أو بمغفرة الله لأهل بدر.

٦٩- فكلوا من الفداء الذي أخذتموه فهو من جملة الغنائم، جعله الله حلالاً طيباً لكم، لا حرمة فيه، واتقوا الله بامثال أمره، إن الله كثير المغفرة لذنوب عباده المؤمنين، رحيم بهم.

وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أتدك بصبره والمؤمنين ٦٢. وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنهم عزير حكيم ٦٣. يأتيا النبي الذي حسبك الله ومن أتبعك من المؤمنين ٦٤. يأتيا النبي الذي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ٦٥. ألن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين ٦٦. ما كان لربي أن يكون له أسرى حتى ينجس في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ٦٧. لولا كتب من الله سبق لستكم فيما أخذتم عذاب عظيم ٦٨. فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله عفور رحيم ٦٩.

٧٠- يا أيها النبي قل لأسرى بدر الذين هم في أيديكم وأخذتم منهم الفداء، إن يعلم الله في قلوبكم استعداداً للإيمان، وإخلاصاً ونية طيبة، يعوضكم رزقاً أفضل مما أخذ منكم من الفداء، وثواباً جزيلاً في الآخرة، ويغفر لكم ذنوبكم، والله كثير المغفرة للذنوبكم، رحيم بالتائبين.

٧١- وإن يرد الأسرى بعد فدايتهم خيانتك بما أظهرها من القول، فقد خانوا عهد الله من قبل بدر بالكفر والمكر، فمكتنكم منهم بيد قتل وأسر، ونصركم عليهم، والله عليم بخلقه، حكيم في صنعته.

٧٢- إن الذين آمنوا بالله ورسوله، وهاجروا من بلادهم لنصرة الإسلام، وجاهدوا بالمال والنفس، وهم المهاجرون، والذين آووا المهاجرين في المدينة المنورة، وهم الأنصار، أولئك بعضهم أولياء (أعوان) بعض في النصر والارث، والذين آمنوا ويقوا في ديار الكفر ولم يهاجروا منها، ليس عليكم نصرتهم وإعانتهم ولا توارث بينهم وبينهم، ولا نصيب لهم في الغنيمة، حتى يهاجروا إلى دار الإسلام، وإن طلبوا نصرتكم لدفع أذى الكفار والمحافظة على دينهم ومنع اضطهادهم،

فواجب عليكم النصر، إلا إذا استنصروكم على قوم معاهدين؛ لأن الميثاق لا بد من احترامه ورعايته، فلا تنصروهم على المعاهدين، والله مطلع على أعمالكم، خبير بكل شيء. والتوارث بالهجرة كان في بادئ الأمر، ثم نسخ وصار التوارث بقرابة الرحم.

٧٣- والذين كفروا بعضهم أنصار بعض، فلا ينصروهم مؤمن، إن لم تفعلوا ما أمرتكم به، تحدث فتنة عظيمة بقوة الكفر وضعف الإسلام، ومفسدة كبيرة في الدين والدنيا. قال رجل: نورث أرحامنا المشركين؟ فنزلت هذه الآية.

٧٤- والذين آمنوا بالله ورسوله، وهاجروا من بلادهم للنجاة بدينهم، وجاهدوا لإعلاء كلمة الله والدين، والذين آووا المهاجرين في المدينة، ونصروا الإسلام والمسلمين، وهم الأنصار، أولئك هم الكاملون في الإيمان، لهم عند الله مغفرة للذنوبهم، ورزق كريم طيب خالص من الكدر في الجنة.

٧٥- والذين آمنوا بالله ورسوله، وهاجروا من ديار الكفر بعد صلح الحديبية سنة ست، وجاهدوا مع المسلمين في سبيل الله، فأولئك من جملة المؤمنين في الموالاة والمنصرة، وذوو القربى من المؤمنين، بعضهم أولى ببعض في الإرث من التوارث بسبب الهجرة، في حكم الله وشرعه، إن الله عليم بكل شيء، ومنه الانتقال بالتوارث بالهجرة إلى التوارث بالرحم، إلى التوارث بشدة القرابة في سورة النساء. كان الرجل يعاقد الرجل: ترثني وأرثك - أي بالحلف - فنزلت: ﴿وأولوا الأرحام﴾. وقد نسخت هذه الآية التوارث بالهجرة والمؤاخاة.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَشْرَئِثِ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ٧٠ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٧١ إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يهاجِرُوا مَا لَكُم مِّنَ لَّيْنِهِمْ شَيْءٌ حَتَّى يهاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُم فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ الْأَعْلَى قَوْمِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّثْقٌ وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا تَعْمَلُونَ ٧٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ٧٣ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٧٤ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٧٥

سورة التوبة

نزلت في المدينة بعد فتح مكة بعام، في السنة التاسعة من الهجرة، في سنة غزوة تبوك، ولم تبدأ بالبسملة، لافتتاحها ببراءة الله ورسوله من المشركين، والأمر بقتالهم، وإخراجهم من جزيرة العرب.

١- تبرؤ من الله ورسوله من عهد المشركين، وإسقاط لشروط المعاهدة بين المسلمين والمشركين، بسبب نقض الكفار عهدهم.

٢- قولوا للمشركين: أنتم أحرار وسيروا في أنحاء الأرض أربعة أشهر، تبدأ يوم الحج الأكبر في العشر (١٠) من ذي الحجة سنة تسع، يوم إبلاغ هذه السورة، إلى عشر من ربيع الآخر سنة عشر، واعلموا أنكم لا تعجزون الله أو تفوتونه بالهرب منه إذا أراد عقابكم على شرككم، وأن الله مذل الكافرين، ومعذبهم في الدنيا والآخرة.

٣- وإعلام عام من الله ورسوله إلى الناس كافة، يوم الأضحى (الحج الأكبر الذي فيه تمام أعمال الحج) بالبراءة من عهود المشركين الناقضين للعهد،

فهو هدنة لمدة أربعة أشهر، يباح قتال المشركين بعدئذ حيث وجدوا، فإن تبتم من الكفر، فهو خير لكم من البقاء على الشرك والكفر، وإن أعرضتم عن الإيمان والتوبة وبقيتم على الكفر، فاعلموا أنكم لن تفلتوا من عذاب الله، بل هو لاحق بكم، وأخبر أيها النبي الذين كفروا فلم يؤمنوا برسالتك، بعذاب مؤلم في الآخرة.

٤- ويستثنى من مدة التأجيل بأربعة أشهر المعاهدون المشركون الذين لم ينقصوا المسلمين شيئاً من شروط العهد، ولم يعاونوا عليكم أحداً من الأعداء، كبنى ضمرة وبنو كنانة، فأكملوا مدة عهدهم التي عاهدتموهم إليها، إن الله يرضى عن المتقين الموفين بالعهد.

٥- فإذا انقضت الأربعة الأشهر التي أمهلهم الله إليها، وهي التي سميت حرماً لتحریم التعرض لدماء المشركين، فقاتلوا المشركين الناقضين للعهد حتى تقتلوهم، حيث وجدتموهم في أي مكان، في الحل أو الحرم، وأسروهم، وامنعوهم من التنقل في بلاد الإسلام إلا بإذن، وراقبوا تحركاتهم حتى لا يفلتوا، وترصدوهم في كل مكان حتى تقبضوا عليهم، فإن تابوا من الكفر، وأقاموا الصلاة المفروضة، وأدوا الزكاة الواجبة، فاتركوهم وشأنهم ولا تؤذوهم، فإنهم صاروا مسلمين، إن الله غفور لمن تاب، رحيم بمن أناب.

٦- وإن طلب الجوار أو الأمان أحد من المشركين، فأمنه، حتى يسمع القرآن ويتفهمه، ثم أبلغه المكان الذي يأمن فيه بين أهله، ذلك الأمان المذكور بسبب أنهم قوم لا يعلمون الإسلام أو دين الله وحقيقته، ولا يميزون بين الخير والشر.



بَرَاءةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١
فَاصْبِرُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ
مُعْزِي الْكَافِرِينَ ٢ وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ
الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتِغُوا
خَيْرَكُمْ وَأَنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ
لَمْ يَنْقُصُواكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُطِغُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا لَبِئِهِمْ عَهْدَهُمْ
إِنَّ مَذْهَبَنَا أَنْ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ٤ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ
الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوا مِنْهُمْ وَاجْزَأُكُمْ
وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا
الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥
وَأِنْ أَحَدُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ
اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ٦



٧- كيف يكون: أي لا يكون للمشركين الغادرين عهد عند الله ورسوله، وهم نقضوا العهود، إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام يوم الحديبية، وهم كما تقدم بنو ضمرة وبنو كنانة، فما داموا مقيمين على العهد ولم ينقضوه، فاستقيموا لهم على الوفاء بالعهد، إن الله يرضى عن المتقين المحافظين على أحكام الله، الموفين بالعهد.

٨- كيف يكون للمشركين عهد محترم واجب الوفاء به، وإن يغلِبوك ويتمكنوا منكم، لا يراعوا فيكم حلفاً أو قرابة، ولا عهداً، يرضونكم بالسستهم بكلام معسول، وتأبى قلوبهم الوفاء بالعهد، وتضمّر السوء والأذى، وأكثرهم خارجون عن الحق ناقضون للعهد والميثاق.

٩- استبدلوا بآيات القرآن عوضاً حقيراً من أعراس الدنيا، فمنعوا الناس عن الإسلام وسبيل الحق، بش هذا العمل الذي عملوه.

١٠- لا يراعون ولا يحافظون على حقوق

المؤمنين، ولا يحترمون حلفاً أو قرابة، ولا عهداً، وأولئك هم المجاوزون الحدود، المبتدئون بالعهد. وهذه الآية ليست تكراراً، لأن الآية السابقة لجميع المشركين، وهذه لليهود خاصة.

١١- فإن تابوا عن الشرك، وأدوا الصلاة المفروضة، والزكاة الواجبة، فهم إخوانكم في الدين، مسلمون أمثالكم، لا يحل لكم قتالهم، ونبين الآيات لقوم يدركون الحقائق، ويتفهمون مراد الشرع، ويعلمون أنه تشريع من عند الله تعالى.

١٢- وإن نقضوا عهودهم المؤكدة، من بعد ما عاهدوكم على الوفاء بالعهد، وعابوا دينكم، فقاتلوا زعماء أو صناديد الكفر، إنهم لا عهود لهم، ليتهموا عن الكفر، وعن مقاتلة المسلمين. وهاتان الآيتان تخيير للمشركين بين أمرين: التوبة أو القتال.

١٣- حض الله تعالى على قتال كفار مكة الذين نقضوا العهد لأسباب ثلاثة وهي: ١- فهلا تقاتلون هؤلاء الناكثين عهودهم، والطاعين في دينكم، ٢- الذين عزموا على إخراج الرسول من مكة، ٣- وهم بدؤوكم بالقتال في المرة الأولى يوم بدر وأحد والخندق وغيرها، أتخافونهم معشر المسلمين؟ فالله وحده أجدر وأولى بالخوف من عقابه، إن كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مَا اسْتَقْبَلُوا لَكُمْ فَمَا اسْتَقْبِلُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ٧ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وِلَايَةَ رِضْوَانِكُمْ أَفَوَاهُمْ وَأَبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ٨ أَشَرُّ أَوْيَاتٍ أَنَّهُ تُنَادِي الْقِبْلَةَ لَأَقْصِيكُمُ عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٩ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَايَةَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْعَصَدُونَ ١٠ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَتَقْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ١١ وَابْتَغُوا الْيَمِينَ مِنْ بَدْعِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتِلُوا آيَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَمِنْ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ ١٢ أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَحُوا آبَاءَهُمْ وَمَاؤُا بِإِخْرَاجِ الرُّسُولِ وَهُمْ بَدَّءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتُخْشَوْنَهُمْ قَالَ أَوْحَىٰ أَنْ تَخْشَوْا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١٣

١٤- قاتلوا معشر المؤمنين أعداءكم بعبئهم الله بأيديكم بالقتل، ويذلهم بالأسر والانهازم والهوان، وينصرم عنكم عليهم نصر أميين، ويشفي بالقتال صدور قوم مؤمنين لم يشهدوا القتال. قال قتادة: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في خزاعة حين جعلوا يقتلون بني بكر بمكة.

١٥- في الآية السابقة أربعة فوائد لقتال الأعداء، وهنا فائدة خامسة: هي إذهاب كرب أو غم قلوب المؤمنين الذين تأثروا بنقص المشركين العهد، ويتوب الله على من يشاء من عباده الذين أسلموا وحسن إسلامهم بمكة يوم الفتح، والله عليم بما يصلح عباده ويسر أئمرهم، حكيم في صنعه وأفعاله.

١٦- أم حسبتم أيها المؤمنون أن تتركوا، فلا تمتحنوا بالجهاد، لتمييز المؤمن من المنافق، ولم يعلم علم ظهور لا وجود، أي لم يظهر للجاهلون للمخلصون منكم في الجهاد من غير المخلصين، والذين لم يتخذوا بطانة من المشركين يفشون إليهم أسرارهم، حال كون البطانة من غير الله ورسوله والمؤمنين، والله عالم بكل شيء، مطلع على كل شيء من أعمالهم.

١٧- ما صح وما ينبغي للمشركين أن يعمرُوا

فَلَوْلَوْهُ يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ بِنُصْرَتِهِمْ عَلَيْهِمْ وَيَكْشِفُ سُدُورَهُمْ فَيُتَوَمِّنُونَ ١٤ وَيَذْهَبُ عُيُوبُهُمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَيُخَيِّدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَبَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٦ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حِطُّ أَغْمَلُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ١٧ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا إِلَى اللَّهِ فَمَضَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَهْدِينَ ١٨ أَجْعَلُهُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ١٩ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمَ نَرَّةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ٢٠

مساجد الله معنواً بالعبادة والملازمة والزيارة، ومادياً بالبناء والترميم وأداء الخدمات، شاهدين بلسان حالهم على أنفسهم بالكفر، حيث عبدوا الأصنام، وأظهروا ثُصْب الأوثان، أولئك الذين ماتوا على الشرك، بطلت أعمالهم الخيرية التي عملوها وافتخروا بها، وهم ماكثون في النار على الدوام. قال العباس حين أسر يوم بدر: إن كنتم سبقتهم بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنا نعمر المسجد الحرام، ونسقي الحجاج، ونفك العاني - الأسير - فنزلت هذه الآية. يعني أن ذلك كان في الشرك وهو غير مقبول.

١٨- إنما يعمر مساجد الله بالعبادة والخدمة من آمن بالله واليوم الآخر، وأقام الصلاة المفروضة في أوقاتها، وأدى الزكاة للمستحقين، ولم يخف أحداً إلا الله، فهؤلاء هم الجديرون بعمارة المساجد، ويرجى أن يكون أولئك فقط لا الكفار من المهتدين إلى الحق والصواب، والخير، ومرضاة الله تعالى.

١٩- أجعلتم أيها المشركون سقاية الحجيج وعمارة البيت الحرام بالخدمة مساوياً لإيمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله؟ لا تساوي عند الله بين الفتيين: الكافرة والمؤمنة، فكيف تدعون أيها المشركون أنكم أفضل عملاً ومكانة من المؤمنين؟! فلا فضل لعمل من غير إيمان، والله لا يوفق الكافرين للخير، ولا تتفعهم شيئاً عمارة المسجد الحرام. نزلت للرد على المشركين الذين كانوا يفتخرون بالسقاية والحجاجة (خدمة البيت الحرام) ويعدون ذلك أفضل مماثر قریش، ويفضلونهما على عمل المسلمين. وكان العباس قبل إسلامه يرى ذلك.

٢٠- إن الفريق المفضل: الذين آمنوا بالله ورسوله، وهاجروا من دار الكفر إلى دار الإسلام، وجاهدوا في سبيل الله بالأموال والأنفس، أولئك أعظم رتبة عند الله، وأولئك هم الظافرون بالخير والرضوان وحسن الثواب.



يُشْرِكُوا بِهِمْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ وَجَّعْتَ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمًا
مُقِيمًا ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ
﴿٢٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ
أَوْلِيَاءَ إِنْ أَسْتَحْبَبْتُمْ الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَبِمَا
كَفَرُوا قُلُوبُهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ
وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبُيُوتٌ تَبْنَوْنَ كَادَهَا وَمَسَاكِنُ
تَرْضَوْنَ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرُسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي
سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ
كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كُنُوزُكُمْ فَلَمْ
تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ
بِمَا كُنْتُمْ تَكْبَرُونَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا
وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

٢١- يشر الله رب هؤلاء بالرحمة السابعة منه،
وبالرضوان: وهو الرضا التام الكامل من كل
وجه، فهو فوق نعيم الجنة كله، وبيجات لهم فيها
نعيم خالد دائم لا يفارق صاحبه.

٢٢- خالدين في تلك الجنات أبداً من غير
انقطاع ولا زوال، إن عند الله ثواباً عظيماً لأهل
طاعته، كل ما دونه فهو حقير.

٢٣- يا أيها المؤمنون لا تتخذوا آباءكم
وإخوانكم أعراناً توالونهم وتطلعونهم على
أسراركم، إن فضلوا الكفر على الإيمان بالله
ورسوله، ومن يتولهم منكم يجعلهم أمناء سر،
ويرضى بهم دون المؤمنين، فأولئك هم الظالمون
لأنفسهم؛ لأنهم أضروا بأنفسهم، ورضوا بأهل
الشرك. نزلت فيمن يؤثر زوجته وعياله
وولده، ويجلس معهم، ويدع الهجرة من مكة
إلى المدينة، وذلك عتاباً لهم.

٢٤- قل أيها النبي لمن ترك الهجرة وأثر البقاء مع

أهله: إن كان أباًؤكم وأبنائكم وأزواجكم وأقرباؤكم الأعدون (ذوو القرابة القريبة) وأموال اكتسبتموها،
وتجارة تخافون كسادها (عدم رواجها) ومسكن تعجبكم وتميل إليها أنفسكم، أحب إليكم من الهجرة لإعلاء
دين الله، وطاعة الله ورسوله، وجهاد من أجل إعلاء كلمة الله، فانتظروا حتى يأتي الله بعقوبته، والله لا يوفق
الخارجين عن طاعته. نزلت مع الآية السابقة فيمن ترك الهجرة إلى المدينة لأجل أهله وتجارته.

٢٥- لقد نصركم الله معشر المؤمنين في مواطن عديدة بالرغم من ضعفكم وقوة عدوكم، واذكروا يوم وقعة
حنين: وهو وادي بين الطائف ومكة، حين أعجبتكم كثرتكم، فكتم اثني عشر ألفاً، وعدوكم أربعة آلاف،
وقلتم: لن نغلب اليوم من قلة، وضائق عليكم الأرض مع سعتها، ثم تركتم الرسول مع قلة مؤمنة، هارين
منهزمين. قال رجل يوم حنين: لن نغلب من قلة، وكانوا اثني عشر ألفاً، فشق ذلك على النبي
ﷺ، فأنزل الله هذه الآية.

٢٦- ثم أنزل الله طمأنينة على رسوله وعلى المؤمنين، فثبَّت القلوب وعادوا إلى القتال، لما ناداهم العباس،
وأنزل جنوداً لم تروها، وهم الملائكة، لتقوية أرواح المؤمنين، وعذب الكفار بالقتل والأسر وأخذ المال،
وذلك جزاء الذين كفروا بالله ورسوله.

٢٧- ثم بعد هذا التعذيب للكفار في الحرب، يتوب الله على من يشاء من عباده الذين تابوا، وأسلموا، والله كثير المغفرة للذنوب التائبين، رحيم بهم.

٢٨- يا أيها المؤمنون إنما المشركون نجاس الاعتقاد، شريرون خبيثاء، بسبب الشرك والظلم وقبح الأخلاق، لا أنجاس الذوات المادية، فلا يدخلوا الحرم المكي والبيت الحرام، ولو بحج أو عمرة، بعد العام التاسع الهجري، الذي حج فيه أبو بكر قائداً للموسم، أي لا تمكنوهم من الدخول، وإن خفتهم فقرأ بانقطاع تجارتهم عنكم، فالله يعوضكم من عطائه وتفضله بالإحسان، إن شاء لكم الغنى، وقد أغناهم بالفتوح بالقيء، والحزبية، والأمطار والنباتات والمعادن، إن الله عليم بما يصلح الحال، حكيم فيما يصنع ويدبر. قال ابن عباس: كان المشركون يجيئون إلى البيت، ويجيئون معهم بالطعام يتجرون فيه، فلما منعوا عن أن يأتوا البيت، قال المسلمون: من أين لنا الطعام؟ فأنزل الله: ﴿وإن خفتهم عيلة...﴾.

٢٩- قاتلوا أيها المؤمنون الذين لا يصدقون بالله،

ولا بالأخرة وما فيها من الحساب والجزاء والحياة المادية، وليست روحية فقط كما كانوا يقولون، ولا يحرمون الحرم الذي حرمه الله ورسوله كالخمر والربا، ولا يعتقدون بالإسلام الذي هو الدين الحق، من اليهود والنصارى، حتى يلتزموا أداء الجزية: وهي ضريبة مفروضة على الأشخاص القادرين الذين يقيمون في دار الإسلام، وهم عن سعة وقدرة وطاعة من غير امتناع، وهم خاضعون للحكم الإسلامي، ملتزمون أحكام الإسلام وسيادة الدولة الإسلامية. نزلت في أهل الكتاب، فكان أول من أعطى الجزية أهل نجران قبل وفاته ﷺ.

٣٠- قالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: المسيح عيسى ابن الله، وهو مجرد قول لا برهان لهم عليه، يشابهون بقولهم هذا في الكفر والشناعة قول الكفار من قبلهم كعبدة الأوثان الذين قالوا: اللات والعزى ومناة بنات الله، والملائكة بنات الله، لعنهم الله وأهلكهم كيف يُصرفون عن الحق إلى غيره مع قيام الدليل على وحدانية الله؟ نزلت في نفر من اليهود قالوا للنبي ﷺ: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا؟ وأنت لا تزعم أن عزيزاً ابن الله، فنزلت الآية.

٣١- اتخذ اليهود أحيارهم علماءهم، والنصارى رهبانهم: عبادهم المنقطعين للعبادة، اتخذوهم أرباباً من دون الله؛ إذ يطيعونهم فيما أحلوا لهم أو حرموا عليهم، واتخذ النصارى المسيح ابناً لله ورباً معبوداً، ولم يؤمروا في التوراة والإنجيل إلا بعبادة الإله الواحد الذي لا إله غيره، تنزيهاً لله عما يشركون باتخاذ شركاء لله في الطاعة والعبادة.

سُئِلَ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَفُودٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا إِتِمَامَ الشِّرْكِ وَنَجَسُ النَّجَسِ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَعِدَ عَلَيْهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ أَوْفَاهِمُ يَضِلُّونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًُا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُجِّنْ عَنَّا يَشِرْكُونَ ﴿٣١﴾



يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَسَاءِ لِلَّذِينَ إِلَّا
أَنْ يَسْأَلُوا نَوْمَهُمْ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ
الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ
عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾
يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ كَثِيرًا مِنْ الْأَخْبَارِ
وَالرَّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ
وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ
وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُجْعَلُ عَلَيْهَا نَارُ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا
جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ
فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عَذَابَ الشُّهُورِ عِنْدَ
اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خُلِقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضُ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَدِيمُ فَلَا تَظْلِمُوا
فِيهِ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا
يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

٣٢- يقصد أهل الكتاب بأقوالهم الباطلة ومجادلاتهم الزائفة وافتراءاتهم أن يطفئوا القرآن وهدايته، والإسلام وشرعه، بأقوالهم، وبأبى الله إلا أن يظهر ويعلي دينه القويم، ويتصر رسوله، ولو كره الكافرون ذلك.

٣٣- الله الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى الشامل القائم على البرهان والأحكام الصائبة، ودين الإسلام الحق الذي هو الاعتقاد الصواب والتوحيد الخالص، ليعليه ويغلبه على جميع الأديان المخالفة له بالحجة والبرهان ومسانة التشريع، ولو كره المشركون ذلك.

٣٤- يا أيها المؤمنون إن كثيراً من علماء اليهود، وعلماء النصراني، ليأكلون أموال الناس بالباطل كالرشاوى وأثمان الأحكام الباطلة، ويمنعون الناس عن الدخول في الإسلام، والذين يدخرون الذهب والفضة ويتخذون ذلك كنزاً، أي مجموعاً بعضه إلى بعض من غير أداء زكاته، ولا ينفقون الكنوز في مرضاة الله، فبشرهم على سبيل التهكم، وأخبرهم وأنذرهم بعذاب شديد الألم. نزلت

مقدمة الآية في العلماء والقراء من أهل الكتاب، كانوا يأخذون الرشا من سفلتهم، وهي الماكل الذي كانوا يصيبونه من عوامهم. ونزلت مؤخرة الآية في أهل الكتاب والمسلمين الكانزين أموالهم.

٣٥- يوم يوقد على الأموال التي جمعوها في نار جهنم الشديدة الحر، فتحرق بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، ويقال لهم تهكمأ وتوبيخاً: هذا ما كنتم لتستفعلوا به، فذوقوا عذاب ووبال ما كنتم تكتزون من الأموال التي لم تؤدوا زكاتها، فكل مال أدبت زكاته ليس بكنز.

٣٦- إن عدد شهور السنة القمرية في حكم الله وقضائه اثنا عشر شهراً محددة فيما أثبتته الله في كتابه: اللوح المحفوظ وثبت علمه بها في أول ما خلق الله العالم، من هذه الشهور أربعة محرمة معظمة كان يحرم القتال فيها، ثم نسخ التحريم، وهي ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب، ثلاثة سر، وواحد فرد، ذلك التقسيم للأشهر وتحريم الأربعة منها هو الدين المستقيم، والحساب الصحيح، فلا تظلموا أنفسكم في هذه الأشهر الحرم بيده القتال فيها، وتتهكوا حرمتها بالمعاصي، فإن الله عظمها، وقاتلوا المشركين جميعاً في المعارك المشروعة، كما يقاتلونكم جميعاً، واعلموا أن الله ينصر الثقلين ويعينهم، ومن كان الله معه بالنصر والتأييد، فهو الفائز. وظاهر آية «وقاتلوا المشركين...» إياحة قتالهم في جميع الأشهر، حتى الأشهر الحرم. وآيات تحريم القتال في الأشهر الحرم في سورة البقرة [١٩٤، ٢١٧] وآية المائدة [٢] منسوخة بآيات التوبة، لنزولها بعد سورة البقرة بستانين.

٣٧- إنما تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر زيادة لكفرهم بحكم الله فيه بعد كفرهم بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر، وإضلال لهم من سن لهم ذلك، يحلون النسيء أو الشهر عاماً من الأعوام ويحرمونه عاماً آخر، ليوافقوا بهذا التبديل عدد ما حرم الله من الأشهر الأربعة، فيحلوا ما حرم الله من الأشهر الحرم التي بدلوها بغيرها، فيبقى التحريم لأربعة أشهر في العام، زين لهم الشيطان أعمالهم السيئة، فعدوها حسنة، والله لا يوفق المصيرين على كفرهم. قال أبو مالك: كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهراً، فيجعلون الحرم صفر، فيستحلون فيه الحرمات، فأنزل الله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ...﴾.

٣٨- يا أيها المؤمنون ما لكم إذا طلب منكم النفي: الخروج للقتال، ثاقلم: تاباطم عن الجهاد في سبيل الله، وآثرتم البقاء في دياركم؟ أرضيتم بنعيم الدنيا بدلاً من الآخرة ونعيمها الدائم، فما التمتع به من لثاذه الدنيا في جنب متاع الآخرة، إلا حقير تافه. قال مجاهد: هذا حين أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وحين، في الصيف حين طابت الثمار، واشتهوا الظلال، وشق عليهم الخروج، فأنزل الله هذه الآية.

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُوهُ عَامًا وَيُحْرِمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لِمَا سَوَّاهُ لَكُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالَّذِينَ كَفَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِيهِمُ إِلَى الْأَرْضِ رَضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعْتُ الْآخِرَةَ إِلَّا لَآخِرَةً إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِنَّا نَنفِرُوا بِعَذَابِكُمْ غَدَابًا أَلِيمًا وَنَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَنْصُرُهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

٣٩- إن لم تنفروا وتخرجوا للجهاد يعذبكم الله عذاباً مؤلماً في الدنيا بالإذلال، ويأت بقوم آخرين بدلكم يطيعون الله وينصرون دينه ودولته، ولا تضروا الله ولا نبيه شيئاً بترك الامتثال والنصرة، والله مقتدر على كل شيء، ومنه نصر دينه ونبيه. قال ابن عباس: استنفر رسول الله ﷺ أحياء من العرب، فثاقلوا عنه، فأنزل الله: ﴿إِنَّا نَنفِرُوا بِعَذَابِكُمْ غَدَابًا أَلِيمًا﴾ فأمسك عليهم المطر، فكان عذابهم.

٤٠- إن لم تنصروا نبي الله، فالله ناصره ومتكفل به، كما فعل حين أخرجه الكفار من مكة، أي تسبوا في إخراجهم وهو أحد اثنين: الرسول وأبو بكر، حين كانا في الغار: أي فجوة في جبل ثور قرب مكة مسافة ساعة، حين يقول الرسول لصاحبه أبي بكر: لا تستسلم للحزن وجاهد نفسك، إن الله معنا بنصره وتأييده، فأنزل الله الطمأنينة والأمان على نفس رسوله، وأعمى أعين المشركين عنه، وأيده بجنود من الملائكة لم تروها كما حدث في بدر، وجعل دعوة الكفار إلى الشرك والكفر وقتل النبي هي المغلوبة المهزومة، وكلمة التوحيد ودعوة الإسلام هي الغالبة، والله غالب قوي في ملكه، حكيم في صنعه، لا يفعل إلا ما فيه حكمة وصواب.

٤١- اخرجوا معشر المؤمنين جميعاً للجهاد في سبيل الله، نشاطاً وغير نشاط، فرساناً ورجالاً، مشاة وركبانا، وجاهدوا حق الجهاد بالمال والنفس من أجل نصره دين الله، ذلكم الأمر بالنفير العام والجهاد خير عظيم لكم في حد ذاته في الدنيا والآخرة، إن علمتم أنه خير، وأن في الجهاد عز الدنيا وسعادة الآخرة. نزلت الآية في الذين اعتذروا بالضيعة والشغل، فأبى الله أن يعذرهم، دون أن ينفروا على ما كان منهم.

٤٢- لو كان الأمر الذي تدعو إليه أيها الرسول متاعاً دنيوياً سهل التناول، وسفراً سهلاً متوسطاً معتدلاً، لمشوا معكم، أي هؤلاء المتخلفون، ولكنهم استبعدوا السفر إلى غزوة تبوك، وشق عليهم الخروج في زمن الحر، وسيحلفون بالله إذا رجعت إليهم، قائلين: لو أمكننا الخروج إلى لقاء العدو، لخرجنا معكم، يهلكون أنفسهم بالخلف الكاذب، والله يعلم أنهم لكاذبون في أيمانهم.

٤٣- عفا الله عنك أيها الرسول، لم أذنت لهم في التخلف عن الجهاد في غزوة تبوك، وكان عليك التريث لتعلم الصادقين في اعتذارهم والكاذبين منهم الذين لا عذر لهم. نزلت هذه الآية في الإذن للمنافقين من غير وحي سابق، وكان ذلك تركاً للأولى، فقدم الله العفو على العتاب.

٤٤- لا يستأذنك عادة المؤمنون في الجهاد، وإنما يبادرون إليه امتثالاً للأمر المتقدم، والله مطلع على أحوال المتقين الذين يخافون الله، فيطيعون أوامره، وهم الذين لم يستأذنوا في التخلف.

٤٥- إنما يستأذنك في التخلف عن الجهاد الذين لا يؤمنون بالله وآخرفته، وهم المنافقون، والإيمان خير باعث على الجهاد، وإنما هؤلاء شكك قلوبهم في الدين، فهم في شكهم يتحيدون، ويترددون بين الكفر والإيمان.

٤٦- ولو أرادوا بحق وصدق الخروج معك للجهاد، لأعدوا له العدة المناسبة، من السلاح والعتاد والزاد والراحلة، ولكن كره الله خروجهم معك وتوجههم بنشاط، فحبسهم وعوقبهم عن الخروج بالجين والكسل، وقيل لهم: أقعدوا في منازلكم مع أصحاب الأعداء وأولي الضرر، من العميان والعجزة والمرضى والنساء والصبيان، وفي هذا غاية الذم والازدراء بهم.

٤٧- لو خرج هؤلاء المنافقون للجهاد معكم، ما زادوكم إلا فساداً وشرّاً وفتنة ونجاسة وإضراراً، ولا سراعوا بالمشي أو الدخول فيما بينكم بالنجاسة، يريدون أن يفتنوكم بزرع الخلافات وإلقاء الرعب في صفوفكم وذات بينكم، وفيكم قوم ضعاف يستمع إلى كذبيهم وأراجيفهم، والله عليم بالظالمين أنفسهم وبأحوالهم الظاهرة والباطنة، فالحكمة ألا يخرجوا.

أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ أَلُفَّةٌ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَذِيبَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَعَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٣﴾ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَلَيْهِمُ الْمَنَعَاتُ ﴿٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِئَكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا آخِلًا وَلَا وَمَعُوا إِخْلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِئَكُمْ سَمْعُونُ لَمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾



٤٨ - لقد أراد المنافقون التخويف من العدو، وطلبوا الفساد، وإيقاع الخلافات بين المؤمنين من قبل غزوة تبوك، وفكروا في تدبير المكائد والحيل لك أيها النبي، وقلوبوا آراءهم ليختاروا ما يضرركم، ونظروا في إبطال دعوتك ودينك، حتى أتى النصر والتأييد الإلهي لك، وعلا دين الله وشرعه بالرغم منهم، وهم كارهون انتصار هذا الدين، على رغم منهم.

٤٩ - ومن المنافقين من يقول لك أيها الرسول: ائذن لي في التخلف عن الجهاد، ولا توقعني في الفتنة: وهي الإثم، بأن لا تأذن لي، لأنني إن تخلفت بغير إذنك وقعت في الإثم، ألا إنهم وقعوا في الفتنة بالتخلف عن الجهاد والنفاق والاعتذار الكاذب، وإن جهنم محيطه بجميع الكافرين، فلا مفر لهم عنها. قال ابن عباس: لما أراد النبي ﷺ أن يخرج إلى غزوة تبوك قال لجد بن قيس: يا جد، ما تقول في مجاهدة بني الأصفر، أي الروم؟ فقال: يا رسول الله، إني امرؤ صاحب نساء، ومتى أرى نساء بني الأصفر أفتن، فأذن لي، ولا تفتني، فنزلت هذه الآية.

لَقَدْ أَتَوْا النَّبِيَّ مِنَ قَبْلِ وَقَلْبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحُجُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُم كَارِهُونَ ٥٠
وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذَا دُنِيَ لِي وَلَا تَفْتِنِي إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنْ جَهَنَّمَ لَحِيطَةً بِالْكَافِرِينَ ٥١
إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ٥٢
يُصِيبُنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ٥٣
قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا أَلَا إِنْ أَخَذَ الْحَسَنَيْنِ وَخُنَّ نَرْتَبِعُكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ يَأْتِيَنَّافَتْرَبُّوْا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ٥٤
قُلْ أَنْصَبُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يَقْبَلَ مِنْكُمْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ٥٥
وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالَى وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ٥٦

٥٠ - إن تصيبك أيها النبي حسنة من نصر وغنيمة، تُحزن المنافقين، وإن تصيبك مصيبة من نكبة أو شدة، قالوا: احتطنا لأنفسنا وابتعدنا عن الخطر وأخذنا بالحرزم، من قبل ذلك، ويُعرضوا وهم فرحون بسلامتهم وبما أصابك مع المؤمنين من هزيمة. وسبب النزول: أن المنافقين الذين تخلفوا في المدينة جعلوا يخبرون عن النبي ﷺ أخبار السوء، زاعمين أنه هلك مع أصحابه، فلما بلغهم سلامة النبي وصحبه، ساءهم ذلك.

٥١ - قل لهم أيها النبي: لن يصيبنا شيء إلا ما قدره الله علينا، فنرضى به، هو ناصرنا ومتولي أمورنا، وليفوض المؤمنون أمورهم إلى الله لا إلى غيره.

٥٢ - قل أيها النبي للمنافقين: هل تنتظرون أن يقع بنا إلا إحدى العاقبتين: النصر أو الشهادة، ونحن ننتظر أحد أمرين بكم: أن يعذبكم الله بقارعة من السماء، أو يعذبكم بأيدينا بقتالكم وأسركم، فانتظروا بنا عاقبتنا، ونحن ننتظر عاقبتكم.

٥٣ - قل أيها النبي للمنافقين: مهما أنفقتم في سبيل الله طائعين أو مكرهين، لن تقبل نفقاتكم عند الله ولا ثواب لكم، إنكم كنتم قوماً خارجين عن الطاعة، عتاة متمردين. نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك، وقال لرسول الله ﷺ: هذا ما لي أعينك به، فتركني.

٥٤ - لا مانع من قبول نفقاتهم إلا لأمور ثلاثة: الكفر بالله ورسوله حقيقة، ولا يصلون إلا وهم كسالى متشاقلون؛ لأنهم لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً، فهم يصلون رياء، ولا ينفقون شيئاً من أموالهم في الجهاد وغيره إلا وهم كارهون غير طائعين؛ لأنهم يعدون النفقة مغرماً.

٥٥. فلا تستحسن ما تجده عند المنافقين من أموال وأولاد، فلإنما هي سبب المحنة، وسبب التعذيب في الدنيا بالهم والقلق والحزن ومكابدة المشاق، لتركهم الشكر عليها، وترك ما يجب على الأموال من زكاة وصدقات، وتكون نهايتهم زهوق أرواحهم أو موتهم بآلم حال كفرهم، فيعذبون في الآخرة، ويخسرون الدنيا والآخرة. وهذا استدراج لهم.

٥٦. ويحلفون بالله كذباً إنهم لمن المؤمنين، وما هم في الحقيقة من المؤمنين، فإسلامهم ظاهري، ولا إيمان في قلوبهم، وهم قوم يخافون خوفاً شديداً أن يعاملوا كالمشركين، فيحلفون تقية وتسترأ.

٥٧. لو يجدون حصناً يلتجئون إليه للاعتصام به، أو كهوفاً وسرايب للاستتار فيها عنكم، لتلا تخرجوهم إلى القتال، أو موضعاً يدخلون فيه، لانصرفوا إليه، وهم يسرعون في دخوله باضطراب إسراعاً لا يقاوم كالفرس الجامحة.

٥٨. وبعض المنافقين يعيبك أيها النبي في قسمة الصدقات وتوزيعها، فإن أعطيتهم منها بقدر ما يرغبون، رضا عنك في القسمة، وإن لم يُعطوا منها ما يريدون، غضبوا وعابوا وطعنوا في عدلك وقسمتك. نزلت في ذي الحويصرة التميمي حين قال: اعدل يا رسول الله، فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم اعدل؟

٥٩. ولو أن هؤلاء المنافقين رضا بما أعطاهم رسول الله ﷺ من الغنمة، وقالوا: الله كافينا، سيعطينا الله من فضله شيئاً كثيراً، وسيعطينا رسوله أكثر مما أعطانا سابقاً، إننا راغبون في أن يعطينا الله من فضله، لكان ذلك خيراً لهم.

٦٠. إنما تصرف الزكوات المفروضة لثمانية أصناف: الفقراء الذين لا يملكون شيئاً، والمساكين: الذين لهم مال لا يكفيهم، والجابة المخصصين لجباية الزكاة وتحصيلها، والكفار الذين يتألفهم الإمام ليسلموا، أو الذين أسلموا وهم ضعفاء في الإسلام، أولشراء المماليك واعتاقهم أو لفك عبودية المكاتبين وتحريرهم، والمديونين الذين استدانوا لأنفسهم، وعجزوا عن وفاء ديونهم، والمجاهدين والمرابطين في سبيل الله، والمنقطع في سفره عن بلده، وإن كان غنياً في وطنه، فرض الله هذه القسمة فريضة وحكماً لازماً، والله عليم بمصالح خلقه، حكيم في تدبير شؤونهم.

٦١. وبعض هؤلاء المنافقين يعيبون النبي ﷺ أنه يسمع مقال كل أحد ويصدقه، قل: نعم يستمع لكل واحد، ولكنه يسمع الخير لا الشر، ويصدق بالله ويصدق المؤمنين فيما أخبروه به، وهو رحمة لمن آمن منكم، والذين يؤذون رسول الله بالقول أو الفعل، لهم عذاب مؤلم موجع في نار جهنم. نزلت في نبتل بن الحارث الذي كان يجلس إلى رسول الله ﷺ فيسمع منه، وينقل حديثه إلى المنافقين.

فَلَا تُحِبُّكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمَعْلَمٌ وَمَا هُمْ بِمَعْلَمٍ قَوْمٌ يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ لِيُحْذِرُونَ مَخْلَبًا أَوْ مَعْرَاضًا أَوْ مُنْخَلًا لَوْ لَوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَرْزُقْ فِي الْقَصْدِ فَإِنْ أَغْلَقُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَفْخِمُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَاةِ قُلُوبُهُمْ فِي الرِّقَابِ وَالْفَرِيدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنَاءَ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾



يُحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُلِّ رِضْوَانٍ أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَحَقُّ
 أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَيْسَ لِلَّهِ
 مَنْ يُجَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنْ تُرْجَى رَحْمَتُ خَلِيدٍ فِيهَا
 ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يُحَذِّرُ الْمُتَنَفِقُونَ أَنْ تُتْرَكَ
 عَلَيْهِمْ سُورَةُ تَبَيَّنَتْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَهِزْ وَأَنْ
 إِنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ
 لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِمْ
 وَرُسُلِهِمْ كُنْتُمْ تُسْتَهْزَءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَقْتُزُوا
 قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ
 نَعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا يُجْرِمُونَ ﴿٦٦﴾ الْمُتَنَفِقُونَ
 وَالْمُفْسِقَتِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ
 عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ سَأَلَ اللَّهُ فَتَسِيءُ
 إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ هُمُ الْمُفْسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُتَنَفِقِينَ
 وَالْمُفْسِقَتِ وَالْكَافَرَاتِ رَجَمَةً خَالِدِينَ فِيهَا
 مِنْ حَسْبِهِمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٦٨﴾

٦٢- إذا بلغ المؤمنون طعن المنافقين بالنبي ﷺ
 جاؤوا إليهم يحلفون بالله لكم معشر المؤمنين أنهم
 ما قالوا ما نقل إليكم؛ لإرضائكم بظاهر أيمانهم،
 والله ورسوله أحق بالإرضاء إن كانوا مؤمنين حقاً.
 نزلت في شأن ناس من المنافقين امتدحوا
 المتخلفين في غزوة تبوك، وقالوا: لئن كان ما
 يقوله محمد حقاً على إخواننا الذين هم
 سادتنا وخيارنا لنحن أشد من الحمير، فلما
 سألهم النبي ﷺ أنكروا، فنزلت فيهم.
 ٦٣- ألم يعلم المنافقون أنه من يعادي الله
 والرسول، فله نار جهنم خالداً فيها على الدوام،
 ذلك العذاب هو الذل العظيم والهوان الشديد.
 ٦٤- يخشى المنافقون ويتحززون أن ينزل الله
 فيهم سورة تخبر المؤمنين بما في قلوبهم من النفاق،
 وتطلعهم على ما في نفوسهم، قل أيها الرسول
 لهم على سبيل التهديد: استهزئوا بما تريدون، إن
 الله مظهر ما تخافون إظهاره من النفاق. قال
 السدي: قال بعض المنافقين: والله لو ددت أني
 قدُمت فجلدت مئة، ولا ينزل فينا شيء
 يفضحنا، فأنزل الله هذه الآية. وهذا دليل على
 إيمانهم بأن الرسول حق يتلقى عن الله الوحي.

٦٥- ولئن سألت أيها الرسول المنافقين عن استهزائهم بالدين والقرآن وبك، في طريقهم إلى تبوك، لقالوا
 معتذرين: إنما كنا نخوض في الحديث للتسلية، ونمزح لنقطع به الطريق، قل لهم: أنستهزئوا بالله وآياته
 ورسوله؟ أليس لكم مجال آخر للحديث غير ذلك؟ وهذا تكذيب لإنكارهم، وانتزاع الاعتراف بوقوع ذلك
 منهم. نزلت في ناس من المنافقين في غزوة تبوك إذ قالوا: يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام
 وحصونها؟ هيئات له ذلك، فأطلع الله نبيه على ذلك، فسألهم، فقالوا: يا رسول الله، إنما كنا
 نخوض ونلعب، فنزلت.

٦٦- لا تعتذروا أيها المنافقون، فعذرهم غير مقبول، قد كفرتم بالاستهزاء المذكور بعد إظهار الإيمان، إن
 نَعَفَ عن جماعة منكم تابوا وتركوا النفاق. وهذا ترغيب في التوبة. نَعَذِّبُ جماعة آخرين بسبب إجرامهم
 وإصرارهم على النفاق ولم يتوبوا.

٦٧- المنافقون والمنافقات متشابهون في صفة النفاق والبعد عن الإيمان، ويمسكون بأيديهم عن الإنفاق في
 سبيل الله كالجهد وصله الرحم والصدقة، تركوا طاعة الله، فأهملهم من رحمته وثوابه، إن المنافقين هم
 المتمردون الخارجون عن الطاعة.

٦٨- أوعد الله أهل النفاق والكفر نار جهنم، مخلدين فيها، هي كفايتهم عقاباً وجزاء، وطردهم الله من
 رحمته، ولهم عذاب دائم ثابت لا يتقطع.

٦٩- إن فعلكم أيها المنافقون كفعل من كان قبلكم من الكفار الذين كانوا أقوى منكم، وأكثر أموالاً وأولاداً، فتمتعوا تمتعاً زائداً بنصيبهم من ملاذ الدنيا، فتمتعتم بنصيبكم المقدّر لكم من الملاذ والشهوات وحظوظ الدنيا، كما تمتع الذين من قبلكم بنصيبهم بمتع الدنيا وشهواتها، ودخلتم في الباطل والطعن بالنبي ﷺ كخوضهم في متع الدنيا وملاهيها وألعابها وتكذيب آيات الله، أولئك بطلت أعمالهم في الدنيا والآخرة ولا ثواب عليها، وأولئك الذين خسروا الدنيا والآخرة، فصار عزهم ذلاً في الدنيا، وعذبوا بعذاب النار في الآخرة.

٧٠- ألم يصل إلى المنافقين خبر الذين كانوا من قبلهم، مثل قوم نوح الذين أغرقوا بالطوفان، وعاد قوم هود الذين أهلكوا بالريح الصرصر العاتية، وثمود قوم صالح الذين أهلكوا بالرجفة أو الصيحة، وقوم إبراهيم وملكهم غمرود الذين أهلكوا بالعوض وسلب النعمة، وأصحاب مدين قوم شعيب الذين أهلكوا بعذاب يوم الظلة أو الرجفة، والمؤتفكات: قرى قوم لوط الذين انتفكت أي انقلبت بهم مداثهم وخسفت، حتى صار عاليها سافلها، جاءتهم رسل هؤلاء الطوائف الست بالمعجزات والأدلة الدالة على وحدانية الله، فكذبوهم، فما كان الله ليعذبهم من غير ذنب، ولكنهم ظلموا أنفسهم بارتكاب الذنب والكفر بالله وتكذيب الرسل.

٧١- والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أنصار بعض، يتعاضدون بسبب اتحاد الدين والاشتراك في الإيمان بالله، يأمرّون بالمعروف: وهو كل ما أمر به الشرع من صالح الأعمال، كالتوحيد والعبادة، وينهون عن المنكر: وهو كل ما نهى عنه الشرع من قول أو فعل، كالظلم والفواحش، ويؤدون الصلاة المفروضة في أوقاتها، ويدفعون الزكاة الواجبة، ويطيعون الله ورسوله في الأوامر والنواهي، أولئك الموصوفون بما ذكر، سيرحّمهم الله بإحجاز وعده بنعيم الجنان، إن الله قوي لا يعجزه شيء، حكيم في صنعه وتدبيره، لا يضع شيئاً إلا في محله.

٧٢- وعد الله المؤمنين والمؤمنات بدخول الجنات التي تجري الأنهار من تحت أشجارها وغرفها، وبالمساكن حسنة البناء طيبة القرار والعيش، في جنات الخلد والإقامة الدائمة غير المنقطعة، وبرضوان الله الذي هو أكبر وأعظم من ذلك كله؛ لأنه سبب كل فوز وسعادة، ذلك الموعود به من الجنات والمساكن والرضوان هو الفوز العظيم وحده الذي لا يعادله فوز آخر.

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ قُوَّةٌ وَأُكْذِرُ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضِمْتُمْ كَالَّذِينَ خَاصُوا أُولَٰئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

٧٣- يا أيها النبي جاهد الكفار بمختلف وسائل الجهاد من المال والنفس واللسان، أي بالقتال أو الحوار، وجاهد المنافقين بالحوار والإقناع وإقامة الحجة وحدود الله، واغلظ عليهم بالقول والفعل، على نحو شديد وخشن، ومسكنهم جهنم، ويشس المرجع الذي يصيرون إليه.

٧٤- يحلف المنافقون بالله كذباً ما قالوا: وهو ما بلغك عنهم من السب والطعن، ولقد نطقوا بكلمة الكفر: وهي سب النبي ﷺ والطعن في الدين، وأظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام، وعزموا على ما لم يصلوا إليه وهو قتل النبي ﷺ ليلة العقبة، عند عودته من تبوك، وهم بضعة عشر رجلاً، وهموا بطرد المؤمنين من المدينة، وما عابوا وكرهوا وأنكروا إلا ما يستوجب الشكر والثناء، وهو إغناء الله لهم من فضله بالغنائم، بعد أن كانوا في ضيق من العيش، فإن يتوبوا ويؤمنوا يكن الإيمان خيراً لهم، وإن يعرضوا عن الإيمان والتوبة، يعذبهم الله عذاباً مؤلماً في الدنيا بالقتل والأسر، وفي الآخرة بعذاب النار، وما لهم في الأرض من ولي يوليهم ويحفظهم، ولا نصير يتصرهم ويمنعهم من العذاب. نزلت في المنافقين أثناء سيرهم إلى تبوك، حينما سبوا رسول الله ﷺ وأصحابه،

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَأَوْهِنْهُمُ حَيْثُ وَشِسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ شَاءَ لَوْلَا رَحْمَتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَلَّا أَنْغَضَهُ اللَّهُ بِهِمْ فَيَذَرُوهُمْ فَيَقُولُوا إِنَّ خَيْرَ لَنَا مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتُوبُوا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَضْلُهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٦﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٨﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨١﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٢﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٦﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٧﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٨﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٢﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٣﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٦﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٠﴾

وطعنوا في الدين، فأبلغ حذيفة ما قالوا رسول الله، فقال لهم: يا أهل النفاق، ما هذا الذي بلغني عنكم؟ فحلفوا ما قالوا شيئاً من ذلك، فنزلت الآية إكذاباً لهم.

٧٥- ومن المنافقين من عاهد الله لئن أعطانا الله من فضله وكرمه، لنخرجن زكاة المال، ولنعملن عمل الصالحين بإخراج كل مال يجب إخراج مطلقاً. نزلت في رجال من المنافقين: نبتل بن الحارث، وجد بن قيس، ومعتب بن قشير.

٧٦- فلما أعطاهم الله من فضله مالاً، بخلوا به فلم ينفقوا منه شيئاً كما حلفوا، وتولوا عن طاعة الله، وهم مدبرون معرضون عما قالوا وعاهدوا، ولم يوفوا بعهدهم.

٧٧- فأورثهم البخل نفاقاً ثابتاً متمكناً في قلوبهم إلى أن يموتوا بسبب إخلاف ما وعدوا الله من التصديق والصلاح، أو زادهم نفاقاً إلى يوم القيامة يوم يلقون ربهم، بسبب إخلاف الوعد وكذبهم: وهو نقض العهد وترك الوفاء بالتزامهم ذلك.

٧٨- ألم يعلم المنافقون أن الله يعلم ما تنطوي عليه صدورهم من الكفر والنيات السيئة، وبما يتحدثون به سرّاً فيما بينهم من الطعن في الإسلام والنبي ﷺ والمؤمنين، وأن الله لا يخفى عليه شيء.

٧٩- الذين يعيبون المتطوعين المؤمنين في دفع الصدقات، فإن تطوعوا بشيء يسير، قالوا: ما أغنى الله عن هذا! وإن تصدقوا بشيء كثير قالوا: ما فعلوا هذا إلا رياء، ويعيبون الذين لا يجدون إلا شيئاً قليلاً يتصدقون به هو مقدار طاقتهم، فيسخرون منهم قائلين: إن الله غني عن صدقاتهم، جازاهم الله على سخريتهم وعذبهم وأهانهم، ولهم عذاب مؤلم في الآخرة.



٨٠- استغفر لهم أيها الرسول أو لا تستغفر لهم، فهم ليسوا أهلاً للاستغفار ولا للمغفرة من الله، إن تستغفر لهم سبعين مرة أو أكثر، فإن الله لن يغفر لهم، بل سيعاقبهم، ذلك أي عدم قبول الاستغفار والدعاء لهم، بسبب كفرهم بالله ورسوله، وموتهم على الكفر، والله لا يوفق للخير والهداية القوم المتمردين في الكفر، الخارجين عن الطاعة.

٨١- طرب المتخلفون عن غزوة تبوك بقعودهم بعد رسول الله ﷺ عن الجهاد، وكرهوا الجهاد بالأموال والأنفس في سبيل إعلاء كلمة الله، وقال المنافقون لإخوانهم: لا تخرجوا للجهاد في وقت الحر صيفاً، قل لهم أيها الرسول: نار جهنم أشد حرّاً من حرّ تبوك، فإن فررتم من هذا الحر اليسير، فنار جهنم التي تدخلونها أشد حرارة مما فررتم منه من الحر، لو كانوا يدركون ويفهمون أسرار أوامر الله تعالى.

٨٢- وعاقبة أمر هؤلاء المنافقين أنهم سيضحكون ويفرحون قليلاً في الدنيا بتخلفهم عن الجهاد، ويكون كثير أفي الآخرة، لتلاعيبهم

أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلَيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلَيَكُونُوا كَثِيرًا حَرًّا بَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تُخْرَجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَعْرَاسِهِمْ مَا تُأْتُوا وَلَا تَقْعُدُوا عَلَى قَرْبَةٍ مِنْهُمْ أَنْ يَكُفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَا تَأْتُوا وَهُمْ قُيُوتٌ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَجِبْ أَنْ تُولَدَهُمْ وَأُولَدُهُمْ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزَكِّيَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾

واستهزأهم بدين الله، جزاء بما اقترفوا من الآثام والمعاصي.

٨٣- فإن ردك الله أيها النبي من تبوك إلى جماعة من المنافقين وهم الذين لم يتوبوا من نفاقهم، وتخلفوا بالمدينة عن الجهاد، فاستأذنوك للخروج معك في غزوة أخرى، فقل لهم: لن تخرجوا معي أبداً للجهاد، ولن تقاتلوا معي أبداً عدواً بأي وضع كان، عقوبة لهم وتحزناً من مفاسدهم، إنكم رضيتم بالقعود في المرة الأولى في غزوة تبوك، فاقعدوا مع المتخلفين عن الخروج من الضعفاء والنساء والأولاد.

٨٤- ولا تصل أيها النبي على أحد من المنافقين مات أبداً، وهي صلاة الجنائزة، ولا تقف على قبره للدعاء له، إنهم كفروا بالله ورسوله، وكانوا خارجين عن جادة العدالة والاستقامة، وماتوا على تلك الحال. نزلت بسبب صلاة النبي ﷺ على زعيم المنافقين عبد الله بن أبي، فترك الصلاة على المنافقين بعدئذ.

٨٥- لا تستحسن ما أنعمنا به عليهم من الأموال والأولاد، إنما يريد الله أن تكون سبباً لتعذيبهم في الدنيا بالمصائب والقلق والمتاعب، وتخرج أرواحهم، ويموتوا على الكفر دون التأمل في عواقب الأمور، فيُلْقَوْنَ في جهنم، وهؤلاء نوع آخر من المنافقين.

٨٦- وإذا أنزلت سورة من القرآن أو بعض سورة تأمرهم بالإيمان بالله والجهاد مع رسول الله، استأذنتك ذؤ الفضل والسعة والمقدرة على الجهاد بالنفس والمال في التخلف عن الجهاد، وقالوا: دعنا نكن مع العاجزين عن القتال المعذورين، كالضعفاء والأولاد والنساء. وهذا دليل على الجبن والذل والهوان.

٨٧- رضوا بأن يبقوا مع النساء اللاتي تخلفن في البيوت، وختم الله على قلوبهم بالكفر، فلم تعد قابلة لتنفيذ الخير إليها، فهم لا يعقلون ولا يعلمون ما في الجهاد من الفضائل، وما في التخلف من النقص والمعايب.

٨٨- لكن الرسول والمؤمنون برسالته جاهدوا بأموالهم وأنفسهم، فاستحقوا الثناء والثواب العظيم، وأولئك لهم الخيرات والمنافع الجسام في الدنيا والآخرة، بالنصر والغنيمة، وجنات الفردوس الأعلى.

٨٩- أعد الله للمؤمنين المجاهدين جنات تجري الأنهار من تحت بساتينها وغرفها، ذلك هو الفوز العظيم الذي لا فوز بعده، وهو الدرجة العالية.

٩٠- وجاء المعتذرون أي بعذر صحيح من الأعراب إلى النبي ﷺ ليأذن لهم في التخلف عن غزوة تبوك، وقعد منافقوا الأعراب عن القتال من غير اعتذار، وهم الذين لم يؤمنوا ولم يصدقوا بالله ورسوله، وإنما كانوا كاذبين في ادعاء الإيمان، سيصيب الذين كفروا من الأعراب الذين اعتزلوا بالأعداء الباطلة والذين لم يعتزلوا عذاب مؤلم في الدنيا والآخرة. قال مجاهد: هم نفر من غفار أو من غطفان اعتزلوا، فلم يعذرهم الله تعالى.

رَضُوا أَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمَعَذِرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ مَا عَلَى الْحَسِبِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْتُمْ تَجِفُّصُ مِنَ الدَّمَاعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ وَهُمْ أَغْنِيَاكُمْ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٩٣﴾

٩١- ليس هناك إثم بترك الجهاد على الضعفاء (وهم الشيوخ والعجزة والنساء والصبيان) ولا على المرضى كالزمنى والعمى، ولا على الفقراء الذين لا يجدون نفقة على أنفسهم، إذا أخلصوا لله في إيمانهم به وأقروا بوحدانيته، وبالرسول نبيا فصدقوا بنبوته، وأطاعوهما في الأمر والنهي، ولم يكونوا منافقين، ليس على هؤلاء المحسنين في النصيحة لله ولرسوله، وهم المعذورون، من إثم ولا مؤاخذه ولا عتاب في التخلف عن الجهاد، والله غفور لهم، رحيم بهم في التوسعة عليهم وعدم تكليفهم ما لا يطيقون. نزلت الآية في أعمى جاء يسأل الرسول ﷺ عن حكم القتال في حقه، فنزلت: ﴿ليس على الضعفاء﴾.

٩٢- ولا إثم على جماعة من الأنصار طلبوا من النبي ص ما يركبونه من الدواب للمشاركة في الجهاد، فلما قلت لهم: لا أجد ما أحملكم عليه من الإبل أو غيرها، انصرفوا ليكون حزنًا، لأنهم لم يجدوا ما ينفقون على أنفسهم في الجهاد لفقركم، لا عندهم ولا عند غيرهم. نزلت في جماعة البكائين سبعة من الأنصار، قالوا للرسول: أحملنا، فقال: والله ما أجد ما أحملكم عليه، فتولوا ولهم بكاء، وعز عليهم أن يحبسوا عن الجهاد، ولا يجدوا نفقة ولا محملاً، فأنزل الله عذرهم.

٩٣- إنما طريق العقوبة والمؤاخذه على الذين يستأذنونك في التخلف عن الجهاد، وهم يملكون المال والقدرة على القتال، رضوا بأن يكونوا مع المتخلفين لعذر كالنساء، وأعيد هذا لزيادة توبيخهم، ووصفهم بأنهم كالنساء، وفي هذا مهانة شديدة عند العرب، وختم الله على قلوبهم فلم يبصروا الحق، وهم لا يعلمون فضائل الجهاد ومخازي التخلف عن لقاء العدو، ولا يدركون المنافع لتقدم على الخسائر.



٩٤ - هؤلاء المنافقون المتخلفون سوف يعتذرون إلى المؤمنين في التخلف بعد عودتهم من غزوة تبوك، قل لهم أيها النبي: لا تعتذروا بأي عذر، فلن نصدقكم؛ لأنه قد أعلمنا الله بالوحي حقيقة أمركم وحالكم، وسيرى الله ورسوله فيما بعد عملكم، أتوبون من النفاق أم تبقون عليه؟! وهذه فرصة للتوبة، ثم ترجعون بعد الموت والبعث إلى الله عالم الغيبيات والحسيات، فيخبركم بأعمالكم، ويجازيكم عليها بالتوبيخ والعقاب. نزلت في ثمانين رجلاً من المنافقين، أمر النبي ﷺ المؤمنين لما رجعوا إلى المدينة بالآلا يعالسونهم ولا يكلموهم.

٩٥ - سيحلفون بالله لكم لتأكيد أعارهم الباطلة إذا رجعت إليهم ووصلتم من تبوك، لتتركوهم وتصفحوا عنهم، ولا توبخوهم ولتظهروا الرضا عنهم، فاتركوهم واهجروهم من غير توبيخ، ولا تجالسوهم، إنهم خبيثاء قذرون، وأعمالهم نجسة قبيحة، ومصيرهم ومكان أبواهم النار، جزاء بما اقترفوا من الآثام والخطايا.

٩٦ - يحلف هؤلاء المنافقون لكم أيها المؤمنون أيماناً كاذبة لاسترضائكم واستدامة معاملتهم، فإن رضيتهم وعذرتموهم، فإن الله ساخط على القوم المتمردين الخارجين عن طاعته، ولا ينفعهم رضاكم.

٩٧ - أهل البادية أو البدو العرب أشد كفراً ونفاقاً من كفرو ونفاق غيرهم، لقسوة قلوبهم، وغلظ طبائعهم، وجهلهم وبعدهم عن العلم والمدينة، فمن استوطن القرى العربية فهو عربي، ومن سكن البادية فهو أعرابي، وهم أولى أو أخرى بالآلا يعرفوا حدود الله من الشرائع والأحكام، لغربتهم عن تعاليم ومواطن الأنبياء، والله عليم بأحوالهم، حكيم في تدبير أمور خلقه. نزلت في أعاريب من أسد وغطفان، وفي أعاريب حاضري المدينة.

٩٨ - وبعض الأعراب المنافقين يعدُّ إنفاقه في سبيل الله غرامة وخسراناً؛ لأنه لا يعتقد بالثواب عليه، وإنما يدفعه رياء وتقية، ويتنظر بكم ما يدور به الزمان من المصائب، فيتخلص من الإنفاق، عليهم مصائب الدهر من الهزيمة والبلاء وما يسوء الإنسان، وهو دعاء مماثل لما ترقبوه بالمسلمين، والله سميع لأقوالهم، عليم بأفعالهم ونواياهم الخبيثة.

٩٩ - وهناك نوع ثان من الأعراب مثل جهينة ومزينة، يصدقون بالله وبآخرفته، ويجعل ما ينفقه من ماله في سبيل الله قُرْبَاتٍ يتقرب بها إلى الله تعالى، وللوصول إلى استغفار الرسول ودعائه بالخير له، ألا إن نفقاتهم ودعوات الرسول قرابة لهم مقبولة عند الله تعالى، سيدخلهم الله فسيح جناته، إن الله غفور للظالمين، رحيم بهم. نزلت في بني مقرر الذين نزلت فيهم: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾ [التوبة

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنُ كَمَا قَدْ نَبَأَ اللَّهُ مِنْ أَجَابِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ يَوْمَ تَرْدُونَ إِلَى عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٥﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَنُصْرُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَهَدُكُمْ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَنُصْرُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٧﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ الْأَيْمَانُ حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ الدَّوَابِّ عَلَيْهِمْ ذَا يَرُهُ الْسُّوءَ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَواتُ الرِّسَالِ إِلَّا أَنَّهُمْ قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٠﴾

١٠٠- والسابقون الأولون إلى الإيمان والهجرة والنصرة والإنفاق من الصحابة المهاجرين والأنصار والتابعون لهم الذين اتبعوا السابقين الأولين في الإيمان ونصرة الدين والطاعة، قبل الله طاعتهم وارتضى أعمالهم ولم يسخط عليهم، ورضوا عن الله بما أفاض عليهم من نعمه وفضله، وأعد لهم جنات تجري من تحت بساتينها وغرفها الأنهار، ماكين فيها على الدوام، ذلك الرضا هو الفوز العظيم الذي لا يعادله فوز آخر. وهذه شهادة من الله للصحابة والتابعين ويشري لهم بالجنة.

١٠١- وبعض الأعراب حول أهل المدينة منافقون: أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، وكذلك بعض أهل المدينة قوم مروا على النفاق، حتى خفي أمرهم على النبي ﷺ، لا تعلمهم أنت أيها النبي لمهارتهم في النفاق، نحن نعلمهم وسنعرفك بهم، سنعذبهم عذاباً مضاعفاً مرتين: بالفضيحة وكشف نفاقهم وتراكم المصائب، وتعذيبهم عند الموت وفي القبر، ثم يردون في الآخرة إلى عذاب شديد هو عذاب النار في الدرك الأسفل. نزلت في عبد الله بن أبي، وجند بن قيس، ومعتب بن قشير، والجلال بن سويد، وأبي عامر الراهب، من قبائل جهينة ومزينة وأشجع وأسلم وغفار من أهل المدينة وما حولها.

وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا يَعْلَمُونَ خُنَّ عَنْهُمْ سَعْدُ بْنُ مَرْثَدٍ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَسَاتًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ مَوْلَاهُ صَدَقَةً تَطْهِرُ فَرْعَهُمْ وَيَرْكِبُهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنْ صَلَّوْا نَكَ سَكَنَ لَهُمُ اللَّهُ وَآلَهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِمْ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا قِسْرِي اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَيُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْزَلُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَآخَرُونَ مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

١٠٢- وجماعة آخرون من أهل المدينة تخلفوا عن الجهاد لغير عذر، وأقروا بمعاصيهم، وخلطوا عملاً صالحاً لهم: وهو التزام شرائع الإسلام، بعمل سيء: وهو التخلف عن غزوة تبوك، ثم تابوا من هذا الفعل، لعل الله أن يقبل توبتهم، فهم تحت عفو الله، إن الله غفور لمن تاب، رحيم بمن أحسن وأتاب. نزلت في أبي لبابة وخمسة معه، أوفقوا أنفسهم بسواري المسجد، حتى يطلقهم رسول الله ويعذرهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فاطلقهم النبي ﷺ وعذرهم، فقالوا: يا رسول الله، هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا، فقال: «ما أمرت أن أأخذ من أموالكم شيئاً» فأنزل الله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ الآية التالية.

١٠٣- خذ أيها النبي من أموال المسلمين صدقة الفرض، تكون سبباً في تطهيرهم من أثر الذنوب، وتُنمِّي في نفوسهم فعل الخير، وادع لهم واستغفر، إن دعاك واستغفارك سبب لتسكين نفوسهم، والله سميع لاعترافيهم ودعاكهم لهم. والآية وإن كانت لسبب خاص، فهي عامة لجميع الأموال والناس، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

١٠٤- ألم يعلم هؤلاء التابعون وجميع المؤمنين أن الله يقبل التوبة الصادقة لعباده التائبين، لاستغفائه عن الطاعة وعدم مبالاته بالمعصية، ويتقبل الله الصدقات منهم ويضاعف ثوابها، وأن الله هو كثير القبول للتوبة، كثير الرحمة بالتائبين.

١٠٥- وقل أيها الرسول للتائبين وغيرهم: اعملوا الخير وأخلصوا العمل لله، فسيرى الله عملكم خيراً أو شراً، وسيرى ذلك أيضاً الرسول والمؤمنون، وسترجعون بعد الموت لعالم كل ما غاب وما حضر، فيخبركم بأعمالكم ويجازيكم عليها.

١٠٦- وجماعة آخرون من المتخلفين مؤجلون لحكم الله فيهم، وهم ثلاثة أرجؤا توبتهم، إما أن يعذبهم الله إن بقوا على ما هم عليه، وإما أن يتوب عليهم إن تابوا وأصلحوا وأخلصوا، والله عليم بما في قلوبهم، حكيم في قضائه عليهم. نزلت في كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومُرارة بن الربيع، من الأنصار، تخلفوا عن غزوة تبوك كسلاً لا نفاقاً.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفَرِّقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ
وَارْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلُقَنَّ
إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْطَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾
لَا تَقْعُدُوا فِيهِ أَبَدًا لَتَسْجِدُنَّ أَسَسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ
يَوْمٍ أُنْشِئَ أَنْ تَقْعُدَ فِيهِ رِجَالٌ يُحْجِبُونَ أَنْ يَطْهَرُوا
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَنْ أَسَسَ بَيْنَهُ عَلَى تَقْوَىٰ
مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَسَ بَيْنَهُ عَلَى شَفَا حَرْفٍ
مَارٍ فَأَنَّهُارٍ فِي بَارِجَتَيْنِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بَيْنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيَّةً فِي قُلُوبِهِمْ
إِلَّا أَنْ تَقْطَعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ إِنْ اللَّهُ
أَشَاءَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ بِأَنْ
لَهُمُ الْجَنَّةُ يَنْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَفْقَهُونَ
وَيُقْسِلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ
وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ
الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

١٠٧- ومن منافقي أهل المدينة وهم اثنا عشر بنوا
مسجد الضرار أي الإضرار بمسجد قباء، في ضواحي
المدينة، لكيد المؤمنين والتأمر عليهم، ولإيجاد الفُرقة
والاختلاف بين المؤمنين، وانتظاراً لقدم من حارب
الله ورسوله من قبل بناء هذا المسجد، وهو أبو عامر
الراهب الذي طلب من قيصر الروم مساعدته لقتال
المسلمين، وأمر ببناء هذا المسجد، وليحلّقن هؤلاء
المنافقون أنهم ما أرادوا ببناء المسجد إلا فعل الخير
وتسهيل أداء الصلاة على الضعفاء والعجزة ومن
يمنعهم المطر والحَر، والله يشهد على كذبهم فيما
حلّفوا. نزلت في بني غنم بن عوف من الخزرج
الذين بنوا مسجد الضرار بأمر أبي عامر
الراهب، حسداً لما فعله بنو عمرو بن عوف من
الأوس من بناء مسجد قباء، وطلبوا من الرسول
ﷺ أَنْ يصلي فيه كما صلى في مسجد قباء،
فاعترض حتى يعود من تبوك، فنزل عليه القرآن
بخبر مسجد الضرار، فأمر بهدمه وإحراقه.

١٠٨- لا تصل أبداً أيها الرسول في مسجد
المنافقين، إن مسجد قباء الذي أسس على التقوى من
أول يوم دخل فيه النبي المدينة مهاجراً، أولى بأن تقوم
فيه مصلياً من مسجد الضرار، فيه رجال من الأنصار
يحبون أن يتطهروا بالطهارة الحسية (بالوضوء

ونحوه) والمعنوية بإزالة آثار الذنوب، والله يرضى عن المتطهرين المبالغين في الطهارة ويثيبهم. نزلت هذه الآية في
أهل قباء: ﴿فيه رجال﴾ كانوا يستنجون بالماء، رجلاً ونساء.

١٠٩- لا يستوي من أسس بنيانه على قاعدة متينة، وهي تقوى الله ورضوانه، ومن بنى مسجداً ضراراً وكفراً،
معرضاً للانقياد، على جانب الوادي الذي ينحفر بالماء، المشرف على السقوط، فإذا انهار أو سقط فإمّا ينهار بيانه
في قعر جهنم، والله لا يوفق الكافرين المفسدين إلى طريق الحق والسعادة.

١١٠- لا يزال بناء المنافقين مسجد الضرار وهدمه سبباً للشك والخيرة وتزايد النفاق، فإن البناء يجسد طبيعة
النفاق والكفر، والهدم يؤدي للتصميم على الكفر ومقت الإسلام وحسرة صدورهم على الدوام، إلى أن يموتوا أو
يقتلوا غماً وحزناً، والله عليهم بأفعال عباده، حكيم في تدبير خلقه وجزائهم على أعمالهم خيراً أو شراً.

١١١- بعد بيان فضائح المنافقين، أبان الله فضيلة الجهاد، فهو مبادلة على النفوس والأموال بالجنة، فإن الله جعل
ثواب المجاهدين هو الجنة، فهم يقاتلون من أجل إعلاء كلمة الله ودينه، فيقتلون الكفار في الحرب أو يستشهدون،
وعدهم الله بالجنة وعداً حقاً ثابتاً في كتبه المنزلة: التوراة، والإنجيل، والقرآن، ولا أحد أوفى بالعهود وإنجاز الوعد
الصادق من الله الذي لا يخلف الميعاد، فأظهروا السرور أيها المجاهدون بهذا البيع أو المبادلة، فإنه صفقة رابحة،
وذلك الفوز بالجنة هو الفوز العظيم الذي لا فوز أعظم منه. نزلت لما بايع سبعون رجلاً من الأنصار رسول الله
ص في بيعة العقبة الثانية الكبرى على عبادة الله وحده وترك الشرك به، والدفاع عنه كما يدافعون عن
أنفسهم وأموالهم، وكان الثمن هو الجنة، فقالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل، أي لا ننقض العهد ولا
نطلب التراجع عنه.



١١٢- هؤلاء المؤمنون المجاهدون الموحدون بالجنة هم الثابتون من المعاصي، المخلصون العبادة لله تعالى، الحامدون الله على كل حال في السراء والضراء، المجاهدون أو الصائمون والمفكرون في آيات الله، والراكون الساجدون، الأمور بما أمر به الشرع من الإيمان والطاعة والخلق الكريم، التاهون عما أنكره الشرع من الكفر والعصيان والفواحش، القائمون بحفظ الشرائع والتزام الأحكام، وبشر أيها النبي المؤمنين بالجنة، قال ابن عباس: من مات على هذه التسع فهو في سبيل الله تعالى.

١١٣- ما كان ينبغي للنبي والمؤمنين أن يطلبوا المغفرة للمشركون ولو كانوا أقباء لهم، من بعد ما ظهر لهم أنهم أصحاب النار بموتهم على الكفر. نزلت في رجل يستغفر لأبويه، وهما مشركان. وهي تتضمن تحريم الاستغفار للكفار والدعاء لهم بالنجاة والرحمة.

١١٤- لم يكن استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه الكافر إلا بناء على وعد سابق وعد به أباه قبل أن يتبين أنه من أهل النار ومن أعداء الله، في قوله تعالى: ﴿لَا اسْتَغْفِرُكَ﴾ [الممتحنة ٤/٦٠] فلما ظهر لإبراهيم أن أباه عدو لله بإصراره على الكفر، تبرأ منه وترك الاستغفار له، إن إبراهيم كثير التآوه والتضرع والخضوع لله، صفوح عن الذنوب، صبور على الأذى.

التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُتَّخِذُونَ الرَّحْمَةَ
السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ
﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا
لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّه
أَصْحَابُ الْحُجُومِ﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ
إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ
تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْفُسْرَةِ
مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ
ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿

١١٥- وما كان في حكم الله ليعامل قوماً معاملة الضالين ويؤاخذهم ويعاقبهم، بعد أن هداهم للإيمان، حتى يبين لهم ما يجب عليهم اتقاؤه من المحرمات، إن الله عليم بكل شيء مما يحدث من استقامة وعصيان، ومغفرة وعقاب، فإذا لم يتق الناس ربهم، حكم عليهم بالضلال، واستحقوا الإضلال، ولا إثم ولا مؤاخذة عليهم قبل البيان.

١١٦- إن لله ملك السموات والأرض وما بينهما، وله السلطان المطلق عليهما، وليس لكم أيها البشر من غير الله أحد يحفظكم ويتولى أموركم، وينصركم في وقت المحنة، ويمنع عنكم الضرر.

١١٧- لقد تاب الله على النبي في الإذن لبعض المنافقين بالتخلف عن الجهاد، وفي الاستغفار لبعض المشركين، وتاب أيضاً على المهاجرين والأنصار الذين جاهدوا مع النبي ولم يتخلفوا عنه في وقت الشدة في غزوة تبوك، فيما وقعوا فيه من أخطاء وذنوب، من بعد ما كاد يزيغ قلوب بعضهم، إذ هموا بالتخلف عن الجهاد في وقت الحر الشديد وقلة الزاد والماء، حتى تقاسم الرجال الثمرة، وتعاقب الرجال العشرة على بعير واحد، ثم تاب الله عليهم إذ تبتهم على الإيمان الحق، بعد توبتهم الصادقة، إن الله رؤوف رحيم بالتائبين.

١١٨- وتاب الله على الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كسلاً، لا نفاقاً، وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومُرارة بن الربيع، ولم تكن قد قبلت توبتهم في الحال كما قبلت توبة المتخلفين المعذورين، حتى إذا ضاقت عليهم الأرض مع سعتها ورحابتها، وضاقت صدورهم من شدة الهم والغم والجفوة، وعلموا أن لا نجاة ولا ملجأ لهم من عذاب الله إلا بالتوبة والاستغفار، ثم وفقهم للتوبة ليكونوا في عداد التائبين المستقيمين، وليداوموا على التوبة، إن الله كثير القبول للتوبة كثير الرحمة بالتائبين. نزلت في شأن هؤلاء الثلاثة، وفيها عبرة وعظة للمؤمنين حيث صدقوا العهد مع الله، وترجعوا عن خطئهم، وأقروا بأن تخلفهم من غير عذر.

١١٩- يا أيها المؤمنون، خافوا الله باتباع أوامره واجتنب نواهيه، والزموا الصدق في الإيمان قولاً وعملاً.

١٢٠- ما جاز ولا صح لأهل المدينة ومن

حولهم من المجاورين من أعراب البادية، كمزينة وجهينة وأشجع أن يتخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك وغيرها، ولا يؤثروا أنفسهم ويحبوا لها الدعة والراحة والمحافظة عليها، ويقدموها على حفظ نفس النبي ﷺ، ذلك النهي عن التخلف بسبب أنهم لا يتعرضون لشيء من العطش والتعب والجوع من أجل رضوان الله وإعلاء دينه وجهاد أعدائه، ولا يدوسون بأقدامهم أو خيولهم مكاناً من أمكنة الكفار التي تغضبهم، ولا ينالون من عدو شيئاً من المال أو القتل أو الأسر، إلا دون لهم في صحائف أعمالهم عملاً حسناً مقبولاً ذا ثواب جزيل، إن الله يحفظ ولا يضيع ثواب المحسنين أعمالهم.

١٢١- ولا ينفقون في سبيل الله نفقة قليلة أو كثيرة، ولا يجتازون وادياً بين جبلين إلا كتب لهم ثوابه الحسن، ليجزيهم الله به أحسن الجزاء.

١٢٢- لا ينبغي للمؤمنين أن ينفروا جميعاً للقتال (وقيل: أن ينفروا لطلب العلم)، ويتركوا المدينة خالية، بل تنفر جماعة من كل قبيلة، وتبقى جماعة أخرى للتشفع في الدين وتعلم علوم الشريعة، وإنذار قومهم إذا عادوا إليهم بتعليمهم ما تعلموه من أحكام الحلال والحرام، ليحذروا عقاب الله، بامتثال أمره ونهيه. نزلت حين كان المؤمنون، لحرصهم على الجهاد، إذا بعث رسول الله ﷺ سرية، خرجوا فيها، وتركوا النبي ﷺ بالمدينة في عدد قليل من الناس.

وَعَلَى الثَلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَخْلِفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيلاً إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ سَلَّى أَنْ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْحَسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يَنْفَقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِحَرْبِهِمْ اللَّهُ أَحْسَنُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾



١٢٣- يا أيها المؤمنون إذا توافرت شروط القتال ومقتضياته، فابدؤوا بقتال الأقرب فالأقرب إلى ديار الإسلام، من الكفار، وليجدوا في قتالهم شدة وخشونة، وجراحة وصبراً على القتال، واعلموا أن الله مع المتقين بالنصر والحراسة والإعانة.

١٢٤- وإذا أنزلت عليك أيها الرسول سورة قرآنية، فمن المنافقين من يقول لصاحبه استهزاء: أيكم زادته هذه السورة إيماناً بالله؟ فأما المؤمنون فزادتهم السورة تصديقاً بالله وبكتابه، وهم يفرحون بتزولها وما اشتملت عليه من المنافع.

١٢٥- وأما المنافقون، فزادتهم السورة المنزلة شكاً وكفراً ونفاقاً إلى نفاقهم، وخبثاً إلى خبثهم، وماتوا على الكفر.

١٢٦- أو لا يرى المنافقون أن الله يختبرهم بالجهاد مع النبي ﷺ كل عام مرة أو مرتين؟ ثم لا يتوبون من نفاقهم، ولا يتعظون من افتضاح أمرهم، ومعاينة انتصار الرسول ﷺ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَهُمْ مَن يَقُولُ أَيْكُوزَادَتْهُ هَذِهِ آيَةً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّهُمْ بَيِّنَاتٌ وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَإِنَّهُمْ رَجَسٌ إِلَىٰ رَجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَوْا مِنْ آيَةٍ لَّا يَفْقَهُونَ أَصْرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾



١٢٧- وإذا أنزلت سورة تبين مخازي المنافقين وعيوبهم، نظر بعضهم إلى بعض للتأمر على الهروب من مجلسه ﷺ، قائلين: هل يراكم أحد المؤمنين إن هربتم أو تسللتم؟ ثم انصرفوا من المجلس متسللين إلى منازلهم خوف الفضيحة، صرف الله قلوبهم عن الخير والرشد والهداية والإيمان، بسبب أنهم قوم لا يفهمون القرآن فهماً واعياً ومقبولاً، ولا يدركون الحق لعدم تدبرهم.

١٢٨- لقد جاءكم أيها العرب رسول من جنسكم ومنكم، شديد وشاق على نفسه عنتكم، أي تعبكم ومشقتكم بعذاب الدنيا أو بعذاب الآخرة، حريص على إيمانكم وإبعادكم من النار، كثير الرأفة والرحمة بالمؤمنين، والرأفة أخص من الرحمة، فهي تكون مع الضعف والرقه، تزيل سبب البلاء، والرحمة فيها إحسان وعطاء.

١٢٩- فإن أعرضوا عن الإيمان برسالتك، فقل أيها الرسول: يكفيني الله ناصرًا ومعينًا، فهو المتفرد بالألوهية، فوّضت أموري إليه، وهو رب الكرسي الذي هو أعظم المخلوقات، فالعرش مخلوق لا يدري عظمته وحقيقته سوى الله تعالى، نؤمن به على ما جاء في القرآن من غير تشبيه بشيء معروف. وتأوله بعضهم بأنه صاحب الملك والسلطان الذي يُحكم به على كل شيء، ويُدبّر به كل أمر.

سورة يونس

١- ﴿الر﴾: تنطق ساكنة الآخر كما تنطق سائر الحروف الأبجدية، ألف، لام، را، وهي للتحدي والتنبيه على إعجاز القرآن الكريم ما دام مكون الألفاظ من أحرف اللغة التي ينطق بها العرب ويكتبون. تلك الآيات الموحى بها آيات القرآن المحكم فيما تضمنه من حلال وحرام وحدود وأحكام.

٢- أكان إيحائنا إليك القرآن مدعاة لعجب مشركي العرب خاصة؟ وليس في ذلك عجب، فهو إحياء إلى رجل من جنسهم من البشر، وكأنهم يريدون رسولا من غير جنسهم، ولو كان من الملائكة أو الجن لما تحقق المقصود من الإرسال، لأنهم لا يأنسون إليه، وقلنا لهذا الرجل الذي يعرفون صدقه: أن أنذر الناس العصاة بالنار، ويشر المؤمنين بهذا القرآن بأن لهم منزلة رفيعة عند ربهم، ولما سمع الكفار بعض آيات القرآن، قالوا: إن هذا الرجل - أي محمد ﷺ - ساحر واضح ظاهر، قال ابن عباس: لما بعث الله تعالى محمدا ﷺ رسولا، أنكرت العرب ذلك، أو من أنكروا منهم، فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا...﴾.

٣- أخبرهم أيها النبي بأن ربكم هو الله، الذي أوجد السموات والأرض في أيام ستة، ثم استوى على العرش استواء يليق بعظمته وجلاله، والعرش: مخلوق عظيم يليق به تعالى، لا ندري حقيقته، يدبر أمر الخلاق وحده، ليس لأحد يوم القيامة أن يشفع لأخر إلا بشرطين: إذنه تعالى للشافع، ولا يأذن إلا لمن رضى به، بمقتضى حكمته، وهذا دليل على استقلال الله بالأمر كلها، ذلكم الله وحده ربكم، الذي لا يشاركه أحد في الألوهية والربوبية والتدبير، فاعبدوه وحده، أفلا تفكرون في أن هذا الخالق المدبر هو الذي يعبد وحده؟!

٤- إلى الله تعالى مصيركم جميعاً أيها الناس يوم القيامة، وإرجاعكم بالبعث والحساب: وَعَدَمُهُ تعالى، صادق لن يخلفه، إنه سبحانه يبدأ الخلق (المخلوقات) من التراب، ثم يعيده إلى الحياة بعد الموت للجزاء يوم القيامة، فيثيب المؤمنين الذين عملوا صالح الأعمال بالعدل الذي لا جور فيه، ويكون للكافرين في جهنم شراب شديد الحرارة، وعذاب شديد الألم.

٥- الله جعل الشمس مضببة، والقمر منورا، والفضاء: ما كان من ذات الشيء، والنور: ما كان حادثاً من غير الذات، ونور القمر مستفاد من ضوء الشمس، وقدّر مسير القمر في منازل هي ثمان وعشرون منزلة، والمنزلة: المسافة التي يقطعها بحركته في يوم وليلة، لتعلموا بذلك حساب الأوقات، فبالشمس تعرف الأيام، وبالقمر تعرف الشهور والأعوام، ما خلق الله السماء والأرض وما بينهما إلا خلقاً ملبساً بالحق، لحكمة، لا عبثاً، يبين الآيات الدالة على وحدانيته وقدرته لقوم يتأملون ويتدبرون.

٦- إن في تبدل الليل والنهار طولاً وقصراً، وتعاقبهما بدقة، وما خلق الله في السموات والأرض من مخلوقات لعلامات دالة على وجود الله وقدرته وحدانيته، لقوم يتقون مخالفة سنن الله التكوينية والتشريعية.

يَسْمِعُ اللَّهُ أَرْحَمَ الرَّحِمِ
الرَّبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ الْكِتَابَ الْحَكِيمَ ١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا
أَنْ لَهُمْ قَدْ مَدَدَ فِي عِنْدِ رَبِّهِمْ قَالِ الْكَافِرُونَ إِنْ هَذَا
لَسَعْرُ مُبِينٍ ٢ إِنْ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ
مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَمِنْ بَعْدَ ذَلِكَ ذِكْرُ اللَّهِ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣ إِلَيْهِمْ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ
حَقًّا أَنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ
مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ٤ هُوَ الَّذِي
جَعَلَ الْقَمَرَ ذِيَاءً وَالْقُرْآنُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا
عَدَدَ النِّسْيَانِ وَالْحِسَابِ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا لِيُحْجِزَ
الْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يُسَلِّمُونَ ٥ إِنْ فِي خَلْقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٦

٧- إن الذين لا يتوقعون لقاءنا خوفاً أو طمعاً لإنكارهم البعث، ورضوا بالمقام في الحياة الدنيا عن الآخرة، وسكنت أنفسهم إليها، وإلى لذائذها، والذين هم تاركوا النظر في آياتنا الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا، لا يتفكرون فيها.

٨- أولئك مقر إقامتهم النار بسبب ما اكتسبوا من الكفر والمعاصي والتكذيب بالآخرة.

٩- إن الذين صدقوا بالله، وعملوا صالح الأعمال يرشداهم ربهم بسبب إيمانهم إلى الجنة، تجري الأنهار من تحت بساتينهم وغرفهم، في جنات النعيم المطلق والخلود. وهذا مثل التمتع والسعادة في ذلك المقام.

١٠- دعاؤهم في مناجاة ربهم في الجنة: هو تسبيح الله (أي تنزيهه عما لا يليق بعظمته) وتقديسه، وتحييتهم في الجنة من ربهم وملائكته: سلام، وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح قولهم: الحمد لله رب العالمين الذي أنعم علينا بهذه الخاتمة الحميدة من الرضوان والجنة.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ آوَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلَتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِلَهِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأُخِرْ دَعْوَاهُمْ أَنْ آمَنُوا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ يَحِثُّ اللَّهُ لِلنَّاسِ لَسَرَّا سِتْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفَصَحَّ إِلَهُهُمْ أَجَلُهُمْ فَذَرِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ آوَرَضُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَنَّ الْإِسْلَامُ فَزَعَأْنَا الْجَنَّةَ آوَقَاعَ عَادِ الْأَوَّلِينَ فَلَنَّا كَشَفْنَا عَنْهُ صُرُوفَهُمْ كَأَن لَوِ زِدْنَاهُمْ عَلَىٰ صُرُوفِهِ كَذَلِكَ زُرِينَا لِلْمُتَسَرِّفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ هَمَمْنَا الْفُرُوزَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا تَطَلَّوْا وَجَاءَ نَهْرٌ مِنْ آلَتِنَا وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ تَجْرِي أُنْقُومُ الْجَرِيمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

١١- ولو يجعل الله للناس الشر أو العقوبة كما يطلبون، كاستعجالهم بالخير والثواب، لهلكوا وماتوا، فترك الذين لا يتوقعون لقاءنا وكفروا بالبعث والحساب يتحIRON ويترددون في تمردهم وكفرهم وتكبرهم ورفضهم الحق، ولا يهتدون إلى صواب.

١٢- وإذا أصاب الكافر الشدة من مرض أو فقر أو خطر، دعانا لإزالة الضر عنه في كل حال من أحواله، مضطجعا لجنبه، أو قاعداً في بيته، أو قائماً على قدمه. وهذا يدل على شدة حيرته وقلقه. فلما أزلنا عنه الضر والجهد الذي نزل به، مضى على طريقته التي كان عليها من الكفر، ونسي حالة الجهد والبلاء، وكأنه لم يدعنا لكشف الضر الذي أصابه، وكما زُيِّن له الإعراض عند الرخاء، زُيِّن للمشركين والكفار المتجاوزين الحد الإعراض عن الدعاء، والانشغال بأعمال المعاصي والشهوات.

١٣- ولقد أهلكتنا الأمم الماضية من قبلكم يا أهل مكة حينما ظلموا أنفسهم بتكذيب الرسل والانغماس في المعاصي، وجاءتهم رسلهم المرسلون إليهم بالمعجزات والآيات الواضحات الدالة على صدقهم، وما كانوا يؤمنون حقاً برسلهم، مثل ذلك الجزاء وهو إهلاكهم بسبب الكفر وتكذيب الرسل، نجزي القوم الكافرين. وهذا وعيد شديد لكفار مكة وأمثالهم.

١٤- ثم جعلناكم معشر الناس خلفاء من هلكوا لإفسادهم، لنتنظر كيف تعملون حيثئذ من خير أو شر، فنجازيكم على أعمالكم.



١٥- وإذا تلى على المشركين آيات القرآن المشبهة للتوحيد والمبثلة للمشرك، قال الذين لا يتوقعون لقاءنا المنكرون للمعاد: ائت بغير هذا القرآن جميعه الذي يعيب آلهتنا ويذم الأوثان، أو بدله بنفسك بحيث يتلاءم مع أهدافنا ولا يعيب آلهتنا، قل لهم أيها الرسول: ما يصح وما يحل لي أن أبدله من تلقاء نفسي ويبرادتي؛ لأنه كلام الله ووحيه المنزل، فالله هو الذي يأمر بتبديله، وليس لي إلا تبليغ الوحي به، إني أخاف إن بدلت أمري أو بدلت وحيه عذاب يوم القيامة. وهذا هو الرد الأول على طلب تعديل القرآن أو تبديله، مبتدئاً بأقرب المذكور، ولقصر الرد. قال مجاهد: نزلت في مشركي مكة. وقال الكلبي: نزلت في المستهزئين، قالوا: يا محمد، ائت بقرآن غير هذا، فيه ما نسألك.

١٦- والرد الثاني على طلب الإتيان بغيره، قل لهم أيها الرسول: لو أراد الله ألا أتلهو عليكم ولا أبغض لكم، لفعلت، ولو شاء الله ما أعلمكم بالقرآن عن طريقي، فقد مكثت فيكم زمناً طويلاً من قبل نزوله، وهو أربعون سنة، لم تجربوا علي كذباً، ولم تكن عندي قدرة على كلام كهذا، لعدم قراءتي الكتب المنزلة على الرسل، ثم أوحى الله علي هذا الكتاب

الذي عجزتم عن معارضته والإتيان بسورة منه، وأنتم أهل الفصاحة والبلاغة، مما يدل على أنه كلام الله، أفلا تدركون بقولكم أن هذا القرآن من عند الله، لا من عندي؟! ١٧- لا أحد أشد ظلماً ممن افترى (اختلق) كذباً على الله، وادعى ما لم يقله الله، أو كذب بآياته المنزلة على رسله، إنه لا يفوز المجرمون المفترون على الله بشيء.

١٨- ويعبد المشركون من غير الله الأصنام والأوثان، مما لا يضرهم إن لم يعبدوها، ولا ينفعهم إن عبدوها؛ لأنها جمادات لا تفكر ولا تنفع، والحق والعقل يقضيان أن يكون المعبود ذا قدرة على النفع والضرر، ولا فائدة لعبادته إن كان عاجزاً، ويزعمون أن هذه الأصنام والأوثان تشفع لهم عند الله في الآخرة، قل لهم أيها الرسول: أتخبرون الله بما لا يعلم في السماء والأرض؟ لا يعلم الله لنفسه شريكاً ولا شفيعاً، تنزه الله وتعاضم عن أن يكون له شريك في ملكه.

١٩- لم يكن الناس بحسب الفطرة إلا أمة واحدة موحدة الله، مؤمنة به، كلهم على الدين الحق، فاختلفوا، فصار بعضهم مؤمناً وبعضهم كافراً، ولولا وعد سابق من الله بتأخير العذاب ليوم القيامة، لقضي بينهم في الدنيا، فيما اختلفوا فيه، وأهلك المبطون وتُجبي المؤمنين.

٢٠- ويقول أهل مكة المشركون الذين كأنهم لم يقتنعوا بالآيات المنزلة على رسوله: هلا أنزل على محمد معجزة مادية محسوسة غير القرآن كإحياء الموتى وجعل الجبال ذهباً، وناقة صالح، وعصا موسى ويده، ومائدة عيسى؟ فقل لهم أيها الرسول: إن نزول الآية غيب، ولا يعلم الغيب إلا الله، فانتظروا نزول ما اقترحتموه، أو العذاب إن لم تؤمنوا، وإظهار الحق على الباطل، إني منتظر معكم القضاء الفصل.

وَأَن تَسْأَلَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا نَبَيُّكَ قَالِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَيْتَ بَعْضَ إِنْ غَيْرِ هَذَا أَوْ يَدَّبُّهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَن أُبْدِلَهُ مِنْ تَلْقَائِي أَنفُسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا كَلَفْتُمُوعَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ أَظَلَمَ مَنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْضِحُ أَسْرِيكُمْ ﴿١٧﴾ وَيَعِدُّونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنُتِيقُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِّي بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْظُرُوا إِلَىٰ مَا مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٢٠﴾

٢١- وإذا غمرنا الناس وهم الكفار برحمة، أي مطر وخصب وسعة، من بعد قحط وجوع إذا لهم تدبير خفي وهو الطعن بآياتنا المنزلة للهداية، ولم يشكروا النعمة، قل لهم أيها الرسول: الله أعجل عقوبة، يجازيكم قبل أن تكيّدوا لكتابه، إن الحفظة الملائكة الكاتبين الموكلين بكم يدوّنون في صحفكم ما تدبرونه في الخفاء، وتجاوزون عليه.

٢٢- الله الذي يهسي لكم ويمكنكم من الانتقال في وسائل السفر في البر والبحر، حتى إذا كنتم في السفن وجرت بمن فيها بريح ليثة غير عاصفة توافق اتجاه السير، وفرحوا بتلك الريح، جاءتها ريح شديدة العصف أو الهبوب والتدمير، وأتاهم الموج من كل مكان، وغلب على ظنهم الهلاك وأحاط بهم، توجهوا إلى الله بالدعاء للإجاثهم، مخلصين المناجاة لله وحده. وهذا دليل على التوجه الفطري إلى الله، وأن دعاء المضطر ولو كان كافراً مجاب. وقالوا في دعائهم: لنن أنجيئنا من هذه الشدائد والأخطار والمحنة، لنكونن شاكرين نعمتك بالإيمان والتوحيد والطاعة.

٢٣- فلما أنجاهم الله من محتهم، إذا هم يسارعون إلى الكفر والفساد والمعصية، وينسون ما عاهدوا الله عليه، بغير حق، أي مبطلين فيه وتمردين، يا أيها الناس الذين لم يوفوا بالعهد، إنما وبال بغيكم وفسادكم على أنفسكم، تتمتعون بالبغي زمن الحياة الدنيا فقط، ثم ترجعون بعد الموت ومتاع الدنيا إلى الله يوم القيامة، فنخبركم بعملكم في الدنيا ونجازيكم عليه. قال مكحول: ثلاث من كنّ فيه كنّ عليه: المكر والبغي والنكث.

٢٤- إنما حال الدنيا في سرعة انقضائها وذهاب نعيمها وزوالها مثل ما على الأرض من أنواع النبات، حيث ينزل المطر من السماء، فيختلط النبات بعضها ببعض بسبب الماء، من الحبوب والثمار التي تأكلها الناس، والكلأ والأعشاب التي تأكلها الأنعام، فإذا أخذت الأرض لونها الحسن ونضارتها، وتزيّنت بالأزهار الجميلة المتنوعة، وظن أصحابها أنهم قادرون على حصادها وجني ثمارها والتمتع بها، أتاها أمرنا بالهلاك في الليل أو النهار، فجعلنا زرعها كالبحر أو المقطوع بالمنجل، كأن لم تكن قائمة بالأس فيها، مثل ذلك التفصيل والبيان، نبين وتنوع الآيات الدالة على التوحيد والقدرة وغيرهما، لقوم يتفكرون في تلك الآيات، فيستفهمون بها.

٢٥- وبعد بيان سرعة زوال الدنيا، رغب الله في الآخرة، حيث ذكر أن الله يدعو إلى الإيمان الموصل إلى الجنة، فهي دار السلامة من الآفات، ويوفق من يريد إلى سلوك طريق مستقيم، هو الإقرار بوجود الله وتوحيده وطاعة أحكامه وتنفيذ أوامره.

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسَّهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ
ءَايَاتِنَا أَهْلَ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنْ رُسُلُنَا يَكْفُرُونَ ﴿٢١﴾
هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ
وَمُرَّيْنِ بِهِمْ رِيحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْ نَهَارٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ
الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُمُ الْدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾
فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَأْتِيهِمُ النَّاسُ
إِنَّمَا بَعْثَكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ لِيَأْتِيَنَّكُمْ جَعَلَكُمْ
فِتْنَةً كَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ
أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ
وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ
وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَىٰ اللَّهِ أَنهَازَ الْأَرْضَ أَنْبَاءً
أَوْ نَهَارًا فَعَجَلْنَا هَٰذَا كَأَن لَّمْ يَنْفَعِ بِالْأَمْرِ كَذَلِكَ
نُقْضِلُ الْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى
دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾



٢٦. للذين أحسنوا بالإيمان والعبادة والأعمال المشوية الحسنى وهي الجنة، وزيادة عليها من النعيم الروحي وهو النظر إلى وجه الله الكريم، ولا يفشى وجوههم غيرة فيها سواد، ولا مذلة، مما يتعرض له أهل النار، أولئك هم أصحاب الجنة، هم فيها مقيمون على الدوام.

٢٧. والذين اقترفوا المعاصي وكفروا بالله، لهم جزاء السيئة بمثله فقط، فتجازى السيئة الواحدة بسيئة واحدة، لا زيادة عليها، وتغشاهم المذلة والخزي والهوان، ليس لهم مانع يعصمهم من مسخط الله وعذابه، كأنما ألبيست وجوههم جزءاً مظلماً من الليل، أولئك الكفار هم أصحاب النار، هم فيها مخلدون أبداً لا يخرجون منها.

٢٨. ويوم نجمع جميع المخلوقين للحسنين والمسيئين، ثم نقول للمشركين تقريراً وتوبيخاً: الزموا مكانكم أتم ومعبوداتكم الآلهة، ففرقنا بين المشركين وشركائهم، المعبودين والعابدين، فتخاصموا، وقال المعبودون الشركاء للعابدين المشركين: كم تكونوا عابدين لنا حقيقة، وإنما عبدتم أهواءكم وشياطينكم الأمرة بالإشراك، وهذا يتضمن إنكار أمرهم لهم بالعبادة.

٢٩. فكفى الله شاهداً بيننا وبينكم: أننا ما أمرناكم بالعبادة، ولا رضينا بها منكم، إنما كنا غير عالمين بعبادتكم، ولم نشعر بها، ولا طلبناها منكم.

٣٠. هنالك في ذلك الموقف الأخروي في مكان الحشر تختبر كل نفس ما قدمت، أي تجد نتيجة عملها من خير أو شر، وأرجع المشركون إلى جزاء ربهم، دون المعبودات الباطلة، وهو المتولي أمورهم حقيقة، والثابت الدائم الصادق الربوبية، وغاب واختفى وبطل ما كانوا يدعون ويفترون عليه من الآلهة المزيفة، فلا تنفع ولا تشفع.

٣١. قل أيها النبي للمشركين: من يرزقكم من السماء بالمطر، ومن الأرض بالنبات والثمر والمعادن؟ ومن الذي أوجد لكم السمع والأبصار وغيرهما من الحواس، فيملك خلقها وتسويتها على نحو يحصنها ويحفظها من الأفات؟ ومن الذي يخرج الحي من الميت كالنبات من الأرض، والطير من البيضة، والإنسان من النطفة، ويخرج الميت من الحي، كعكس ما ذكر، فيجعل الحي رماداً ميتاً؟ ومن يلي تدبير أمر السماء والأرض بتقديره وقضائه؟ فيقولون لك: الله هو الفاعل لهذه الأمور، فقل لهم أيها الرسول: أفلا تتقون الله وتخشون فاعل هذه الأفعال، فتؤمنوا به وحده وتخصوه بالعبادة. ويلاحظ أنه أفرد السمع وجمع الأبصار؛ لأن السمع أداة تحصيل العلم من كل جهة للسامع، بخلاف البصر فإن المعلومات لا تحصل إلا بتعدد جهة النظر.

٣٢. فذلكم الفاعل لهذه الأشياء هو الله الرب الحقيقي، الثابت الربوبية، لا ما أشركتم معه، فليس بعد عبادة الله التي هي الحق إلا الضلال والانحراف، والكفر والشرك، فكيف تصرفون عن الحق الظاهر وهو الإيمان إلى الضلال مع قيام البرهان؟! مع قيام البرهان؟! مع قيام البرهان؟!

٣٣. كما صرف هؤلاء عن الإيمان بضلالهم، ثبت حكم الله وقضاؤه على الذين خرجوا عن الحق والإيمان إلى الباطل والكفر: أنهم لا يؤمنون أبداً، لإصرارهم على الإعراض عن التأمل في الأدلة والبراهين والمخلوقات.

٣٤- قل أيها الرسول للمشركين: هل من معبوداتكم الأصنام والأوثان وغيرها من يقدر على خلق العالم، ثم يعيده مرة أخرى بالبعث بعد الموت، قل جواباً لا غيره: الله هو المبدئ والمعيد، لا الشركاء، فكيف تصرفون عن الحق إلى الباطل وعن عبادة الله إلى غيره مع قيام الدليل؟

٣٥- قل أيضاً: هل من شركائكم المعبودة والآلهة المزعومة من يرشد إلى الحق والإسلام؟ وإذا لم يجيبوا فقل: الله وحده هو الذي يهدي للحق بما أنزله من الآيات، وإرساله الرسل، وإنزاله الكتب، وخلق الموجودات، أفمن يرشد إلى الحق، وهو الله تعالى أحق أن يقتدي به أم الأحق بالاتباع من لا يهتدي بنفسه إلا أن يهديه غيره؟ فما لكم كيف تحكمون باتخاذ الأصنام ونحوها شركاء لله؟ وأصل «يهدي» يهتدي، فادغمت التاء في الدال وفتحت الهاء بحركة التاء، أو كسرت لالتقاء الساكنين لاتباع ما بعدها.

٣٦- وما يتبع أكثر المشركين في عبادة الأصنام إلا ظناً مجرد خيال، ووهماً فاسداً، وهو تقليد الآباء، إن هذا الظن الفاسد لا يفيد شيئاً في طلب العلم، ولا يغني عن الحق الأبلغ والاعتقاد الصائب، إن الله عليم بأفعالهم، فيجازيهم عليها.

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتُمْ تُؤْكُونَ ٣٤ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الْيَاسِينَ ٣٥ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَمْنَنُ الْيَمِينَ ٣٦ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَمْنَنُ الْيَمِينَ ٣٧ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَمْنَنُ الْيَمِينَ ٣٨ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَمْنَنُ الْيَمِينَ ٣٩ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَمْنَنُ الْيَمِينَ ٤٠ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَمْنَنُ الْيَمِينَ ٤١ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَمْنَنُ الْيَمِينَ ٤٢

٣٧- وما كان من شأن هذا القرآن وما صح لعاقل أن يكون مكذوباً، وليس من عند الله، ولكن هذا القرآن مصدق لكل ما تقدمه من رسالات الرسل كدعوة إبراهيم وصحفه، والكتب الإلهية كالتوراة والإنجيل والزبور، ومبين ما جاء فيه من الأحكام وغيرها، لا شك فيه أنه من رب العالمين. والمراد بالكتاب: جنسه.

٣٨- بل يقولون: اختلقه محمد، قل أيها النبي: إن كان من فعلي، فأتوا بسورة مماثلة له في البلاغة والفصاحة، فأنتم عرب مثلي، واطلبوا المساعدة على الإتيان بمثله من أي شخص كان أو من ألهتكم شركاء الله، إن كنتم صادقين في ادعائكم أن هذا القرآن مفترى مني.

٣٩- بل إنهم كذبوا بالقرآن قبل أن يفهموا معانيه ويعلموا ما فيه، ولم يطلعوا على تأويله، ولم تتحقق عاقبة ما فيه من الوعيد، كذلك التكذيب بالقرآن، كذب من قبلهم من الأمم رسلهم، فانظر أيها المتأمل كيف كان مصير المكذابين رسلهم، كيف أهلكوا يكفرهم؟

٤٠- ومن أهل مكة المكذبين من يصدق بالقرآن، ومنهم من لا يصدق به في نفسه لفرط غيبائه، أو في المستقبل بموته على الكفر، وربك أعلم بالمعاندن المصيرين على الكفر.

٤١- وإن أصرروا على تكذيبك، فقل لهم: لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم، لا تؤاخذوني بعملي، ولا تؤاخذكم بعملكم، فلا يؤاخذ أحد بذنوب غيره.

٤٢- ومن هؤلاء المشركين أو الكفار أناس يستمعون إليك أيها النبي إذا قرأت القرآن، وعلمت الشرائع، ولكنهم لا يقبلون كالأصم الذي لا يسمع أصلاً، أستطيع إسماع الصم ولو كانوا لا يعقلون شيئاً؟ كلا.

٤٣- ومن المشركين من يشاهد فيك دلائل النبوة، ولكن لا يصدقونك، فهل تستطيع أن تهدي العُمي، ولو انضم إلى عدم البصر فقد البصيرة؟ والآية كالتعليل بالتبري والإعراض عنهم، لعدم وجود الاستعداد للفهم والهداية.

٤٤- إن الله لا يعاقب أحداً من غير جُرم، ولكن الناس يظلمون أنفسهم بتعطيل وسائل المعرفة، والتعصب وكرهية الحق.

٤٥- واذكر أيها الرسول يوم يجمع الله الخلاق في موقف واحد يوم القيامة، كأنهم من شدة الهول لم يكتنوا في الدنيا إلا لحظة بمقدار التعارف فيما بينهم، قد خسر الذين كذبوا بالبعث، وما كانوا مهتدين إلى طريق الرشاد والنجاة من العذاب.

٤٦- وإن نبصرتك أيها النبي بعض ما نعدهم به من العذاب في حياتك بالقتل والأسر، أو نميتك قبل تعذيبهم، فزيك عذابهم في الآخرة، وإلينا مصيرهم يوم القيامة، ثم الله مطلع على أفعالهم من الكفر والعناد والتكذيب، ويجازيهم عليها. والمراد: إخبارهم بأنه لا فائدة لهم من موت النبي ﷺ، ولا يأمنون من كل شر يموت كما يظنون.

٤٧- ولكل أمة من الأمم الماضية رسول بين لهم

أحكام العقيدة والشرعية، ويشهد عليهم، فإذا حضر رسولهم إلى الموقف ليشهد عليهم، قضي بين الأمة ورسولها بالعدل، وهم لا يظلمون في مجازاتهم على أعمالهم.

٤٨- ويقول المشركون للنبي والمؤمنين: متى هذا الوعد بالعذاب الذي تنوعدنا به إن كنتم صادقين في الشوعد؟ يريدون بذلك استبعاد العذاب والاستهزاء به.

٤٩- قل لهم أيها النبي: لا أملك لنفسي تحقيق نفع أو دفع ضرر، فكيف أملك ذلك لغيري؟ ولكن ما شاء الله من ذلك كان، فهو بمشيئته يمكنني من أمر، فكيف أملك لكم إيقاع العذاب؟ لكل أمة وقت محدد للهلاك، فإذا جاء وقت انقضاء آجالهم، فلا يتأخرون عن ذلك الأجل المعين ساعة، ولا يتقدمون عليه ساعة.

٥٠- قل لهم: أخبروني، إن أتاكم عذاب الله الذي تستعجلون به ليلاً أو نهاراً بقتة، فأى فائدة في استعجاله، وما المقتضي للاستعجال، وما نوع العذاب الذي يستعجلونه؟ وهو واقع بهم حتماً، وكله شديد الأكم، لا يلائم الاستعجال.

٥١- هل تستعجلون بالعذاب، ثم إذا وقع أمتم به؟ أفي هذا الوقت تؤمنون حين لا ينفعكم الإيمان، وقد كنتم قبل نزوله تعجلون العذاب تكديماً منكم واستهزاء؟!

٥٢- ثم يقال للذين ظلموا أنفسهم بالتكذيب: ذوقوا العذاب، لا تجزؤون إلا ما كنتم تعملون في الدنيا من المعاصي والكفر.

٥٣- ويطلبون منك حقيقة النبأ وهو الخبر أو يستخبرونك: أحق ما تعدنا به من العذاب؟ قل لهم: نعم والله ربي إنه لحق ثابت كائن، ولستم بمعجزتي الله إذا أراد تعذيبكم.

وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَهَآأَتٌ تَهْدِي أَلْعُمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ
٥٣ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ
يَظْلِمُونَ ٥٤ وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ كَأَن لُّزِمُوا إِلَى السَّاعَةِ مِنَ النَّهَارِ
يَعَارِفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِقَوْلِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا
مُهْتَدِينَ ٥٥ وَإِنَّمَا يُرِيدُ بَصَرُ الَّذِي تَعِدُّهُمْ أَوْ تَوَفِّيكَ
فَإِنَّمَا مَرْجِعُهُمْ إِلَى اللَّهِ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ٥٦ وَلِكُلِّ
أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ٥٧ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ
٥٨ قُلْ لَا أَتْلُكَ لِنَفْسِي صَرَاحٌ لَّعَمَّا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ
أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ٥٩
قُلْ أَتَدْرُونَ أَنَّهُمْ عَلَيْهِمْ بَيِّنَاتٌ أَوْ هَآأَةٌ مَاذَا يَسْتَعْجِلُونَ مِنَ الْخُرُوجِ
٦٠ أَمْ إِذَا مَا وَقَعَ أَمْتُمْ بِهِ أَتَكُنَّ وَقَدْ كُتِبَ بِهِ سَعْيُهُمْ
٦١ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ
إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ٦٢ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ أَحَقُّ
هُوَ قُلْ إِي وَدِدْتُ إِنَّمَا لِحَقِّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ٦٣



٥٤. ولو أن لكل نفس ظلمة بالكفر والضلال، يوم القيامة، جميع ما في الأرض من ثروات وخزائن وأموال، لجعلته فدية من العذاب، ما تُقبل منها، وأخفوا الندامة لما شاهده من ألوان العذاب الرهيبة المحيطة بهم من كل جانب، وحكم بين المؤمنين والكافرين بالعدل، وهم لا ينقصون شيئاً من أعمالهم.

٥٥. وتقريراً لقدرته تعالى على الثواب والعقاب، أبان أن له جميع ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً وعبداً، فلا يملك أحد شيئاً يوم القيامة ليفتدي من العذاب، إلا إن وعد الله بالبعث والجزاء حق كائن لا محالة، ولكن أكثر الناس وهم الكفار لا يعلمون ما فيه صلاحهم وفسادهم حقيقة، وما ينتظرونهم في الآخرة.

٥٦. الله وحده هو الذي يحيي ويميت؛ وإليه تعودون في الآخرة، فيجازيكم على أعمالكم، خيراً أو شراً.

٥٧. يا أيها الناس في مكة وغيرها قد جاءكم موعظة بليغة مؤثرة: وهي ما تضمنه القرآن من الوصية بالحق والخير، واجتناب الشر والباطل، بأسلوب ترغيسي وترهيسي، ودواء ناجع لما في

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ يَنَهُمُ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْإِنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيُمِيتُ وَيُحْيِي ۚ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَسَمِعُوا لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ فِذَٰلِكَ فَخْرُهَا ۖ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْنَاهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ۗ إِنَّ اللَّهَ ذُو الْكُرْءِ ۚ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفَرُّونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَتَعَرَّوْنَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَهُ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْلَمُونَ مَنِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ عَلَيْهِمْ شُهُودًا إِذْ يَقُولُونَ بِهِ وَمَا يَرُوبُّ عَنْ رَبِّكَ مَن يَشْفَعُ لَدُنِّي إِلَّا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

الصدور من العقائد الفاسدة والشكوك، وبيان الحق من الضلال، وإرشاد لما يوصل إلى الجنة، ورحمة من الله تقتضي الإحسان والعطف على المؤمنين، وهي ما في القرآن من أمور ترحم العباد، كالتذكير الدائم بالطاعة، والتحذير من عقاب الآخرة، والترغيب في النعيم الأبدي في الجنة.

٥٨. قل أيها النبي: ليفرح المؤمنون بفضل الله وهو الإسلام وإنزال القرآن، وبرحمته بأن جعلهم من أهل القرآن وأتباع النبي ﷺ، فبذلك الفضل والرحمة يُسرُّوا، وهو خير مما يجمعون من حطام الدنيا.

٥٩. قل يا رسول الله للمشركين: أخبروني عما خلق الله لكم وأوجد من رزق، فجعلتم بعضه حراماً كالبحيرة والسائبة والوصيلة، وبعضه الآخر حلالاً كما ذكر في سورة الأنعام [١٣٨/٦، ١٣٩، ١٤٤] قل: الله أذن لكم بالتحريم والتحليل بوحي من عنده، أم أنكم تكذبون على الله؟

٦٠. وأي شيء ظن الذين يتعمدون الكذب على الله أن يصنع بهم في يوم القيامة، أيحسبون أنه لا يعاقبهم على أعمالهم؟ بل سيجازون بما يفترون، والمراد تهديدهم. والله صاحب الفضل الكبير على الناس حيث أمهلهم في العقاب، ولكن أكثر الناس لا يشكرون هذه النعمة.

٦١. وما تكون يا محمد في شأن من الشؤون كالعبادة أو الدعوة ونحوهما، وما تلو من قرآن أنزله الله عليك، وتخصيصه بالذكر بعد التعميم تفخيم له، ولا تعملون أيها الناس من عمل خير أو شر إلا كنا عليكم رقباء، نراكم ونسمعكم ونحصى عليكم، حين تندفعون وتشرعون فيه من قول أو عمل، وما يغيب عن علم ربك وزن ذرة كنملة أو هباء، مهما كانت صغيرة، سواء كانت في الأرض أو السماء، حتى ولو كانت أصغر من تلك الذرة أو أكبر منها، إلا وقد دوّن في اللوح المحفوظ، فهو الكتاب البين.

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَشْعُرُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَسْمَعُونَ إِلَّا أَظْنَٰنَ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْمُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآيَاتِ لِتَتَّقَوْا بِهِ وَأَنَّهُمْ بُصِيرٌ إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَنْبَغُ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ أَفَعَىٰ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلَحُونَ ﴿٦٩﴾ مَنَعُ فِي الدُّنْيَا نَمًا إِنْ تَأْمُرْهُمْ ثُمَّ نُذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

٦٢- ألا إن أوصياء الله والمقربين إليه وهم خالصاء المؤمنين الذين يلتزمون طاعة الله ويجتنبون معصيته، فوالله الله بالمعونة والكرامة والتوفيق، لا خوف عليهم من عذاب الآخرة، ولا يحزنون على ما فاتهم من الدنيا.

٦٣- وهم المؤمنون حقاً بالله واليوم الآخر، ويتقون الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه.

٦٤- ولهؤلاء الأولياء البشرى من الله في الدنيا بالسعادة والنصر والتمكن في الأرض ما داموا على شرع الله ودينه، وكذلك الرؤيا الصالحة التي يرونها، وفي الآخرة بالجنة والثواب وتلقي الملائكة لهم مبشرين بالفوز بالنعيم والتكريم، لا تغيير لأقوال الله ووعوده، فإنها تتحقق لا محالة، ذلك هو الفوز العظيم بالجنة والرضوان.

٦٥- ولا يحزنك أيها الرسول إشراك المشركين وتكذيبهم وطعنهم في الدين وبك، كقولهم: ساحر أو مجنون أو كاهن كاذب؛ لأن الغلبة والقوة والقهر لله جميعاً، فهو ناصرهم عليهم، وخاذلهم، وهو سبحانه السميع لأقوالهم، العليم بنواياهم وأفعالهم ومؤامراتهم.

٦٦- ألا إن الله وحده جميع من في السموات

والأرض من الملائكة والجن والإنس، ملكاً وخلقاً وعبيداً، فكيف يعبد المشركون المملوك ويتركون المالك؟ وما يتبع الذين يعبدون من غير الله أصناماً وغيرها شركاء له على الحقيقة، فهم ليسوا بالشركاء فعلاً، والله مالكمهم، ما يتبعون يقيناً، وإنما ظناً فاسداً أنهم شركاء لله، وما هم إلا يكذبون فيما ينسبون إلى الله تعالى، ويخمنون باطلاً.

٦٧- الله هو الذي جعل لكم الليل محل سكن واطمئنان ليستريح الناس فيه من عناء التعب والكد، والنهار مضيقاً، تظهر فيه الأشياء والمصالح بوضوح، إن في ذلك لآيات دالة على قدرة الله ووحدانيته، لقوم يسمعون سماع تدبر واعتاظ، وتفهم وقبول.

٦٨- قال المشركون الذين زعموا أن الملائكة بنات الله، واليهود والنصارى: تبنى الله ولداً، تنزه وتقدس عن التبني وعما يقولون، هو الغني عن ذلك كله؛ لأن الولد للحاجة، والغني المطلق لا حاجة له حتى يتخذ ولداً، وله كل ما في السموات والأرض، فلا يصح أن يكون له ولد، لأنه لا يجتمع الملك والبنوة والأبوة، ولأن الكل محتاج إليه، ليس عندكم من حجة أو دليل على ادعائكم، أتقولون على الله قولاً لا حقيقة له، ولا يصح عقلاً وواقعاً نسبته إليه؟

٦٩- قل أيها النبي: إن الذين يختلفون على الله الكذب بنسبة الولد والشريك إليه، لا يفوزون بالجنة، ولا ينجون من النار.

٧٠- لهم تمتع قليل في الدنيا فقط مدة حياتهم، ثم يرجعون إلى الله بالموت، ثم نذيقهم العذاب الشديد المؤبد بسبب كفرهم وكذبهم على الله تعالى.

٧١- وأتل عليه نبأ نوح إذا قال لقومه يفتوي إن كان كذباً عليكم
نوح حين قال لقومه: يا قوم إن كان عظم وشق عليكم
وجودي فيكم ألف عام إلا خمسين، وقيامي بوعظكم
بآيات الله التكوينية والتزييلية، وعزمتي على إيدائي،
فقد فوّضت أمري إلى الله وثقت به، فاعزموا عزمي
مؤكداً متفقين مع شركائكم الذين تعبدونهم من دون
الله على أمر تفعلونه بي، ثم لا يكن أمركم مستوراً
خفياً فيه حيرة وتردد، بل ظاهراً منكشفاً، ثم نقلوا
ذلك الأمر الشرابي، ولا تمهلوني ولا تؤخروني، فإنني
لست بمبالي بكم؛ لأن الله يحميني ويحفظني. وهذا
الكلام من نوح لثقتة بنصر ربه.

٧٢- فإن أعرضتم عن دعوتي وتذكيري، فما
طلبت منكم أجراً على تبليغ الرسالة، يوجب ثقله
عليكم وإعراضكم، ما ثوابي وأجري إلا على الله،
سواء أنتم أو توليتهم، وأمرت أن أكون من المنقادين
لحكم الله، لا أخالف أمره، ولا أرجو غيره.

٧٣- فأصروا على تكذيبه بعد أن ألزمهم الحجة،
فاستحقوا العذاب، فنجيناه من الغرق، ومن آمن
وركب معه في السفينة التي صنعها بأمر الله، وعددهم
ثمانون، وجعلنا هؤلاء الناجين من الغرق خلفاء في
عمارة الأرض وسكنائها بعد المهلكين بالطوفان،

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَّبِعُونَ إِنِ كَانُوا كَذِبًا عَلَيْكُمْ
مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمَعُوا
أَمْرَهُمْ شِرْكَاءَ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غَمًّا ثُمَّ انْصَبُوا إِلَيْكَ
وَلَا تَنْظُرْ وَنُوحٌ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَسْأَلُكُمْ مِنْ أَمْرِي إِنَّ أَمْرِي
إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَخَبَّطَهُ مِنْ تَحْتِهِ فِي الْغُلَاكِ وَجَعَلْنَاهُ خَلِيفَةً وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَذَابُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَشَأْنَا
مِنْ عِبَادِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَكَاوُوا
يُؤْمِنُونَ بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُتَكِبِينَ
﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَشَأْنَا مِنْ عِبَادِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا فَجُورِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ
الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى
اتَّقُوا اللَّهَ لَئِنْ لَمْ تَآتِنَا بِآيَاتٍ كَمَا آتَيْنَاهُ هَذَا وَلَا تَبْلُغْ السَّحَابَ
﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْنَاكَ بِآيَاتِنَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آيَاتَهُ نَاوَيْتُكَ لَكُمَا
الْكِبْرِيَاءَ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِعُومِينَ ﴿٧٨﴾

وأعرقنا الكفار المعاندين لنوح المكذبين بآياتنا بالطوفان، فانظر أيها النبي كيف كان مصير المنذرين من نوح المكذبين
له، من إهلاكهم، فكَذَلِكَ نَفْعَلُ بِمَنْ كَذَّبَ. وهذا تطمين وتسرية عن نفس الرسول ﷺ وتهديد للمشركين.

٧٤- ثم أرسلنا من بعد نوح رسلاً كهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب إلى أقوامهم، فجاءوهم بالمعجزات
الدالة على صدقهم في دعواهم، وبالشرائع، فلم يصدقوا بالرسالة، واستمروا على الكفر، ولم يوفقوا للإيمان
بسبب تصميمهم السابق على تكذيب الرسل، وكما ختمنا على قلوب أولئك، نختم على قلوب المتجاوزين الحد
في الكفر والتكذيب.

٧٥- ثم أرسلنا من بعد الرسل المذكورين موسى وهارون إلى فرعون وقومه، بأدلتنا الدالة على صدقهما أو
بالمعجزات وهي الآيات التسع المذكورة في القرآن الكريم، فاستكبروا بها ولم يقبلوها، وكانوا قوماً أثمين
مجرمين يرفضهم دعوة موسى وهارون.

٧٦- فلما جاء فرعون ووجهاء قومه الحق الذي جاء به موسى من عند الله، قالوا: هذا سحر واضح، مكابرة
منهم.

٧٧- قال موسى لهم: أنقولون للحق الذي أتاكم: هذا سحر؟ والسحر باطل، ولا يظفر السحرة بخير، ولا
ينجون من مكروه.

٧٨- قال فرعون وقومه: أتريد أن تصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا وهو عبادة الأصنام، وتتفرد مع أخيك بالرياسة
بعد طرد رؤسائنا، ويكون الملك والسلطان في أرض مصر لكما، وما نحن بمصدقين برسالتكما، فهم رفضوا
الرسالة لأمرين: التمسك بتقليد الآباء، والحرص على الرياسة.

٧٩- وقال فرعون لحاشيته لما رأى آيات موسى من اليد البيضاء والعصا التي تتحول ثعباناً: أحضروا لي كل ساحر حاذق في السحر، لاعتقاده أن ما جاء به موسى من السحر.

٨٠- فلما حضر السحرة قال لهم موسى في ساحة المبارزة: ألقوا ما أنتم ملقون من وسائل السحر وأدواته.

٨١- فلما ألقوا حبالهم وعصبيهم، قال لهم موسى: الذي جئتم به هو السحر بذاته، لا ما سماه فرعون سحراً وهو المعجزات، إن الله سيظهر بطلانه، وينصبرني، إن الله لا يثبت ولا يقوي عمل المفسدين، وإنما يبدده. وهذا دليل على أن السحر إفساد وتغويه وتخيل.

٨٢- ويظهر الله الحق على الباطل ويثبتته، ويمكن له بأوامره الكونية وقضاياه وكلماته في كتبه المنزلة على أنبيائه المشتملة على البراهين، ولو كره المجرمون ذلك.

٨٣- فما آمن برسالة موسى إلا عدد قليل من قومه أولاد بني إسرائيل، مع خوف من فرعون وأشراف قومه، لثلا يتلهم بالتعذيب ليصرفهم عن دينهم، وإن فرعون لمستعل متكبر جبار متسلط

على أرض مصر وأهلها، وإنه لمن المكثرين من الشر والفساد والمتجاوزين الحد في الكفر والضلال وادعاء الربوبية.

٨٤- وقال موسى: يا قوم إن أمنتكم بالله حقاً، فثقوا به واعتمدوا عليه إن كنتم متقادين له، مخلصين له، مدعين لأمره.

٨٥- فقالوا: اعتمدنا على الله وفوضنا أمرنا إليه، ربنا لا نجعلنا موضع فتنة، ولا تسلط علينا القوم الظالمين، فيعذبونا ليردونا عن ديننا.

٨٦- وخلصنا برحمتك من كيد القوم الكافرين: فرعون وقومه.

٨٧- وأوحينا لموسى وأخيه أن اتخذا لقومكما بني إسرائيل بمصر بيوتاً للعبادة، واجعلوا أيها المؤمنون بيوتكم مساجد تصلون فيها سرّاً لتأمنوا من الخوف، وأقيموا الصلاة وأتموها فيها، حتى لا يؤذيكُم الكفرة الأعداء، ويشر المؤمن الصادقين بالنصر في الدنيا، والجنة في الآخرة.

٨٨- وقال موسى: ربنا أعطيت فرعون وجماعته ما يتزين به من ملبوس ومركوب وحلية وأثاث وسلاح وصحة وغير ذلك، وأموالاً كثيرة في الدنيا، ربنا أعطيتهم ذلك لتصير عاقبة أمرهم أن يضلوا عن دينك، ويصرفوا الناس عن الحق، ربنا أهلك أموالهم وامحقها، واجعل قلوبهم قاسية مطبوعة مختومة لا تقبل الحق، ولا يدخلها الإيمان، حتى يزدادوا طغياناً فيزداد عذابهم، ولا يؤمنوا إلا بعد معاينة العذاب الشديد الأليم، فلا ينفعهم الإيمان حينئذ. قال موسى هذا القول لما يش من إيمانهم الاختياري. كما طلب نوح عليه السلام ذلك.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَنْتَوُونَ عَلَى سِحْرِ عِمْلَيْم ۖ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ۚ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ
مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلُحُ
عَلَى الْفَاسِدِينَ ۚ وَيُحْيِي اللَّهُ الْخَبْثَ بَلْئِنَّهُمْ وَرُكُودُهُمْ
ۚ فَأَمَّا آمِنُ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ
وَمَا لِإِنْسَانٍ أَنْ يَبْتِهِمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ
لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ۚ وَقَالَ مُوسَى يَقُومُ إِنْ كُنْتُمْ آمِنْتُمْ بِاللَّهِ
فَمَا لَكُمْ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ۚ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ
تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۚ وَنَجِّنَا
بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى
وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوُّوا الْقَوْمَ كَمَا يُبْصِرُ يُوْسُفُ مَا أَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ
فِتْنَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَشَرُّ الْمُؤْمِنِينَ ۚ وَقَالَ مُوسَى
رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ
عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَصْرُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۚ

٨٩- قال الله لموسى وهارون: قد أجيبت دعوتكما، فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة وإلزام الحجة، والتمسك بالدين وأحكامه، إلى وقت مجيء العذاب، ولا تتبعان طريق الجهلة في الاستعجال وعدم الثقة بوعد الله تعالى.

٩٠- وجعلنا بني إسرائيل يتجاوزون البحر بقدرتنا، حتى وصلوا إلى البر سالمين، فلحقهم فرعون ظمأ واعتداء، حتى إذا وصله الغرق، قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، وأنا من المستسلمين لله بالعبودية والتوحيد والطاعة. ولكن لم ينفعه هذا الإيمان عند اليأس.

٩١- فرد الله تعالى عليه: آلآن تؤمن؟ أي أتؤمن الآن حين مشاهدة الموت، ومن غير اختيار؟ وقد عصيت الله قبل ذلك مدة عمرك، فلم تقر له بالعبودية والطاعة، وكنت من الضالين المضلين عن الإيمان.

٩٢- فاليوم نخرجك بجسدك من البحر ليرك بنو إسرائيل وغيرهم، فقفذه البحر ميتاً، حتى شاهده، وتكون لمن يأتي بعدك عبرة يتعظ بها الناس، حتى يحذروا من التكبر وادعاء الربوبية، والتمرد على الله سبحانه، ويعرفوا عبوديتك، وإن كثيراً من الناس عن آياتنا ذات العظة والعبرة لغافلون لا يتأملون ولا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها.

٩٣- ولقد أنزلنا وأسكننا بني إسرائيل بعد هلاك فرعون وجنوده منزل كرامة ومكاناً صالحاً مريضاً في أرض مصر والشام، ورزقناهم من طيبات الرزق وحلاله، فما اختلفوا في أمر دينهم، بأن آمن بعضهم وكفر بعض، إلا من بعد قراءة التوراة ومعرفة أحكامها، إن ربك يحكم بينهم بحكمه العادل يوم القيامة، فيما اختلفوا فيه، فيميز المحق بالنجاة، من المبطل بالهلاك.

٩٤- فإن كنت أيها النبي - والمراد به قومه - في شك من حقيقة ما أخبرناك به من القصص - وهذا على سبيل الافتراض - فاسأل الذين يقرؤون الكتاب الإلهي كالشريعة والإنجيل، الذين أسلموا وآمنوا بالقرآن، كعبد الله بن سلام، فإنهم سيخبرونك بأن القرآن كتاب الله حقاً وأنتك رسوله، لقد جاءك الحق الساطع واضحاً لا مرية فيه، من ربك الذي أنزل عليك الوحي، والآيات القاطعة، فلا تكونن من الشاكين المترددين فيه، في صحة ما أنزلنا إليك. قال قتادة: ذكر لنا أنه عليه السلام قال: «لا أشك ولا أسأل».

٩٥- ولا تكونن من المكذبين بآيات الله التكوينية والتنزيلية، فتصير من الخاسرين الدنيا والآخرة. وهذا من باب التهيج والتثيت، وتنبية الأمة مبتدأ بفائدها وأسوتها.

٩٦- إن الذين وجبت وثبتت عليهم كلمة ربك باستحقاق العذاب، أي قضى عليهم بالعقاب، لإصرارهم على الكفر وموتهم عليه، لا يقع منهم مطلقاً الإيمان بالله إلهاً واحداً.

٩٧- لا يؤمنون، ولو جاءتهم كل معجزة ودليل قاطع على وحدانية الله، من أدلة الخلق والإبداع والتنزيل، حتى يعانوا العذاب، كما فعل فرعون، وحيث لا ينفعهم الإيمان.

قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَوْرَ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُمْ قَاتَبَهُمْ فَفَرَعُونَ وَجُنُودَهُمْ بَيْنًا وَعَدُوَّهُمْ وَإِنَّا أَذْرَكُ الْفَرَقَ قَالَهُ آمَنْتُ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ وَأَلْقَيْنَا عَصَاكَ قَبْلَ وَكْتٍ مِنَ الْقَيْسِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نَخْتِفُكَ بِبَدَنِكَ لَنُكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِن كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبَازِئِدَ وَرَدَّ قَهُم مِّنَ الْغَلِيلِ قَالُوا أَتُخَلِّفُونَ فِيهَا أَهْلَهُمُ الْمَلَأْنَا مِنْ ذِكِّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيهَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاصْطَلِ الَّذِينَ يَشْكُرُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَكُتِبَ لَهُمُ الْقِسْطُ مِنَ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٦﴾



قَالُوا كَانَتْ قُوَّةٌ أَمَرْتُمْ فَنَفَعَهُمَا رَبُّهُمَا إِلَّا قَوْمُ يُونُسَ لَمَّا
 آمَنُوا كَسَفْنَا عَنْهُمْ غَابَ الْخَبْرَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 وَنَجَّيْنَاهُم إِلَى الْبَحْرِ ۖ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ فِي الْأَرْضِ
 كُلَّ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝
 وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوَمِّنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَبِجَعَلِ الرَّحْمَنُ
 عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذِيرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ فَهَلْ
 يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ ظُنُورِهِمُ الَّذِينَ هَلَكُوا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا
 إِلَى مَعَكُم مِّنَ الْمُتَظَرِّينَ ۝ ثُمَّ نَحْنُ رُسُلُنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا
 كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ
 إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَنْ أَمُومِحَمَلُ لِلَّذِينَ حَبِيبًا وَلَا يَكُونَنَّ
 مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ
 وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ۝

٩٨. فهلا آمنت قرية من هذه القرى التي
 أهلكناها، وصدق أهلها قبل معاناة مقدمات العذاب،
 ولم يؤخروا الإيمان كما أخر فرعون، ففزعهم الإيمان
 بأن تقبله الله منهم وكشف العذاب عنهم، لكن قوم
 يونس الوحيدون الذي نفعهم الإيمان، لما آمنوا بحق
 وإخلاص، في حال الاختيار، عند رؤية أمارة
 العذاب، ولم يؤخروه إلى وقت حلوله، كشفنا عنهم
 عذاب الذل والهوان الذي كان يونس قد وعدهم به،
 ومتعتهم بخيرات الدنيا ومنافعها إلى وقت انقضاء
 أجالهم الطبيعية. وهذا تنبيه وتحذير لأهل مكة
 وأمثالهم ليختاروا الإيمان، ويقنعوا عن الكفر.

٩٩. ولو شاء ربك أيها الرسول، لخلق الإيمان،
 وصدق برسالتك الناس كلهم مجتمعين في وقت
 واحد، ولكنه سبحانه لم يفعل، ليكون الإيمان عن
 اختيار، وبمشيئة الله تعالى، فلا بد لكل إيمان وعمل
 من مشيئة الله، أفأنت تحجب الناس على الإيمان بما لم
 يشاء الله منهم، حتى يكونوا مؤمنين مصدقين
 برسالتك، فليس ذلك بمقدورك، وما عليك إلا
 البلاغ.

١٠٠. وما صح وما تم لنفس أن تؤمن إلا بإرادة الله
 وتوفيقه، فلا يقع شيء في الوجود بغير مشيئة الله،

ولا تمجد نفسك في هداها، فإنه إلى الله تعالى، ويجعل الله العذاب على الذين لا يتفكرون في آيات الله.

١٠١. قل أيها الرسول للكفار: تفكروا بما في السموات والأرض من عجائب المصنوعات الدالة على وجوده
 وحدانيته وقدرته، ولا تنفع الآيات والبراهين، والرسالة المنذرة، في دفع العذاب عن قوم أصروا على الكفر، ولا
 يتوقع إيمانهم، في علم الله تعالى.

١٠٢. فهل يتظر هؤلاء المشركون والكفار المعاصرون للنبي ﷺ إلا مثل ما وقع من الوان العذاب للأمم الكافرة
 السابقة التي كذبت رسالتها، وصمموا على الكفر، فانتظروا وعد ربكم، إني معكم من المتظرين وعدربي وقضائه
 النافذ.

١٠٣. ثم نجينا رسلنا والمؤمنين معهم من العذاب، وأهلكنا الأم الظالمة، وكما أجبنا رسلنا والذين آمنوا بهم،
 كذلك تنجي حقاً علينا المؤمنين بالنبي محمد ﷺ من عذابنا للكفار.

١٠٤. قل أيها الرسول: يا أيها الناس، إن كنتم في شك من صحة ديني وهو عبادة الله وحده لا شريك له،
 فاعلموا أنني بريء من أديانكم، فلا أعبد ما تعبدون من الأصنام، ولكن أعبد الذي بيده ممالككم وحياتكم، وأمرت
 أن أكون من المصدقين بكل ما جاء من عند الله.

١٠٥. وأمرت أن أستقيم في الدين وأثبت عليه وأخصه بالعبادة والدعاء، مائلاً عن الأديان الأخرى إلى دين
 الإسلام، وألا أكون من المشركين بالله إلهاً آخر، فأهلك.

١٠٦. ونهيت أن أعبد غير الله ما لا ينفع شيئاً إن عبدته، ولا يضر بشيء إن تركته، فإن خالفت ذلك على سبيل
 الفرض، فإني من الظالمين أنفسهم؛ لأن الشرك أعظم الظلم.

وَأَن يَسْأَلَ اللَّهَ فَيُضِرَّ فَلَا تَشْفَعُ لَهُ ۚ إِنَّا هُوَ أَلَمٌّ لِّلَّذِينَ لَا رَأْيَ
لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِعَمْرِ بَشَرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ۖ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْهُدَىٰ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْدِي نَفْسَهُ
وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ
مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُصَّكَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْخَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾



يَسِّرْ لَكَ الرِّكْبَ أَحْكَمَ ۚ إِنَّهُ ثُمَّ قُضِيَكَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١١٠﴾ أَلَا
تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿١١١﴾ وَإِن تَسْتَغْفِرُوا
رَبَّكُمْ ثُمَّ تُؤْبَإِلَيْهِ يَتَّبِعْكُمْ مِّنَّا حَسَنًا ۖ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ وَتُؤْتِ كُلَّ
ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۚ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ
﴿١١٢﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَمُنُّونَ
صُدُّوهُمْ لِيَسْتَخَفُّوا مِنْهُ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ يَسْتَفْتُونَ نَبِيَّاهُمْ بِعِلْمٍ
مَا يُبَيِّرُونَ وَمَا يُجْلِلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلَيْهِ يَدَاتُ الصُّدُورِ ﴿١١٤﴾

١٠٧- وإن يسألك الله بضرك أي سوء، من مرض أو فقر، فلا رافع له إلا الله الذي أنزله، وإن يردك بخير، أي نعمة وسعادة، فلا دافع لفضله، يصيب بخيره من يريد من عباده، وهو كثير المغفرة وواسع الرحمة بعباده التائبين، فتعرضوا لها بالطاعة، واحذروا المعصية.

١٠٨- قل أيها الرسول: يا أيها الناس من أهل مكة وغيرهم قد جاءكم القرآن والرسول من ربكم، ولم يبق لكم عذر، فمن اهتدى إلى نفسه، ومن ضل وانحرف بالكفر بالقرآن والرسول، فإنما وبال ضلاله على نفسه، ولا قدرة لي على جعلكم مؤمنين، ومنعكم من الكفر، وإنما أنا بشير ونذير.

١٠٩- واتبع أيها النبي ما يوحى إليك من ربك بالامثال والتبليغ، واصبر على دعوتهم وأذاهم، حتى يحكم الله فيهم في الدنيا بالنصر أو القتال، وفي الآخرة بالعذاب، وهو أعدل الحاكمين، فلا يخطئ في حكمه.

سورة هود

فضلها: أخرج الترمذي والحاكم عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسول الله، قد شئت، قال: شيتني هود، والواقعة، والمرسلات، و﴿عم يتساءلون﴾ [النبا ١/٧٨]، و﴿إذا الشمس كورت﴾ [التكوير ١/٨١] وهو حديث حسن كما قال الترمذي،

صحيح عند الحاكم. وسئل النبي ﷺ عما شئت من سورة هود، فقال: قوله تعالى: ﴿فاستقم كما أمرت﴾ [١١٢].

١- الر: للتنبيه والتعدي وإثبات إعجاز القرآن، وكونه من عند الله، القرآن كتاب صارت آياته محكمة متقنة لا نقص فيها ولا نقض لها، كالبناء المحكم، ففي اللفظ بفواصل الآيات، وفي المعنى ببيان القصص والمواظ والأحكام، وفي الزمن بتزولها على فترات بحسب الحاجة والمصلحة. والتفصيل من عند حكيم الصنع والتدبير في أقواله وأفعاله وأحكامه، ومن عند العليم بأحوال الناس ومصالحهم.

٢- ومضمون تفصيل الآيات وإحكامها الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة غيره، إنني مرسل إليكم من الله، منذر بالعذاب والنار لمن كفر، مبشر بالثواب والجنة لمن أطاع.

٣- وأمركم أن تطلبوا المغفرة من الله لذنوبكم وكفركم، وأن تتوبوا إلى الله وترجعوا إليه بالطاعة، فإن فعلتم ذلك، يمتنعكم في الدنيا بطيب عيش وسعة رزق، إلى وقت مقدر عند الله وهو الموت ونهاية العمر، ويعطي كل محسن ذي عمل صالح جزاء فضله وثوابه في الدنيا والآخرة، وإن تعرضوا عن الهداية، فإني أخاف عليكم عذاب يوم القيامة، العذاب الشديد.

٤- إلى الله رجوعكم في يوم البعث، وهو القادر على كل شيء، ومنه الثواب والعذاب.

٥- ألا إن بعض الكفار والمنافقين يطوون صدورهم على ما فيها من حقد وحسد وعداوة النبي ﷺ، ليتواروا عن الرسول، ألا إنهم حين يجعلون ثيابهم غطاءً لوجوههم كراهة النظر إليه ﷺ، يعلم الله سرهم وعلاانيتهم، إنه سبحانه عليم بالأسرار والضمائر التي توجد في الصدور. نزلت في الكفار، كانوا إذا لقيهم رسول الله ﷺ ثنوا صدورهم (طووها وستروها) وردوا إليه ظهورهم، وغشوا وجوههم بشياهم تباعداً منه وكراهة للقائه. وهم يظنون أن ذلك يخفى عليه وعلى الله عز وجل.



وَمِنْ آيَاتِهِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ يَرْجِعُ الْمُسْتَقَرَّهَا
وَسُودَ عَمَّا كُلِّ فِي كَيْبٍ مُبِينٍ ٦ وَمَا الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ
يَبْلُغُونَ أَنتُمْ أَحْسَنُ عِلًّا وَلَيْنَ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ
مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُبِينٌ ٧ وَلَيْنَ أَخْرَجْنَاهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ
لَيَقُولَنَّ مَا يَجِئُهُ إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ صُرُوفًا عَنْهُمْ
وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ٨ وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ
مِتَارِحَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهُمْ مِنْهُ إِنَّهُ لَيُؤَسُّ كَفُودٌ ٩ وَلَيْنَ
أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسْتَه لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ
السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَنَدْرِحُ قُحُورٌ ١٠ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا
الْصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ١١
فَلَمَّا كُنَّا تَارِكًا بَعْضُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ
أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتْرٌ أَوْ جَاءَ مِنْهُ
مَلَكٌ إِنَّكَ أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٢

٦- كل ما يدب على الأرض زحفاً أو مشياً، إنساناً أو حيواناً، تكفل الله برزقه تفضلاً ورحمة وإحساناً، ويعلم الله ماواه ومدفنه، أي أماكن الحياة والممات، كل ذلك مثبت ومدون في اللوح المحفوظ.

٧- الله الذي أبدع وأوجد السموات والأرض في مدة ستة أيام، وكان عرشه قبل خلقهما على الماء، والعرش مخلوق عظيم يليق به تعالى، لا نعرف حقيقته، نؤمن به كما ورد من غير تشبيه، ليختبركم أيكم أحسن وأطوع عملاً فيما أمر الله به ونهى عنه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، ولئن قلت يا محمد: إنكم أيها البشر مبعوثون بعد الموت للحساب والجزاء، قال الكفار: هذا سحر ظاهر باطل، أي كالسحر في الخديعة أو البطلان.

٨- ولئن أخرنا عن المشركين العذاب إلى أجل معلوم (جماعة من الأزمان أو مدة من الزمان) والمعدودة: إشارة للقلّة، ليقولن لك المكذبون المنافقون استهزاء وإنكاراً: أي شيء يمنع من

التزول؟ فرد الله تعالى بقوله: ألا حين يأتيهم العذاب ليس مدفوعاً عنهم، ونزل أو أحاط بهم العذاب الذي كانوا يستعجلون به استهزاء.

٩- ولئن أذقنا الإنسان المؤمن والكافر منة من صحة وأمن أو سعة رزق، ثم سليناها منه، إنه لشديد اليأس من الرحمة، عظيم الكفر بربه ونعمه.

١٠- ولئن أذقناه نعمة من صحة وسلامة وغنى، بعد ضرٍّ من مرض أو خوف أو فقر أصابه، قال: ذهب الشر عني ولن يعود، وثم ترك شكر النعمة، إنه شديد الفرح بطراً بالنعمة واغتراراً بها، شديد الفخر والتكبر على الناس بسبب النعم.

١١- إلا الذين صبروا عند الشدة رضاً بقضاء الله، وعملوا صالح الأعمال في الشدة والرخاء، أولئك المتصفون بالصبر، العاملون بالعمل الصالح، لهم مغفرة لذنوبهم، وثواب عظيم على أعمالهم الحسنة.

١٢- لا تترك أيها الرسول تبليغ بعض ما أنزل الله عليك مما يثير غضب المشركين، وضائق بتبليغه صدرك، مخافة ردهم أو تكذيبهم، واستهزائهم، ومخافة أن يقولوا: هلا أنزل عليه كثر، أو صاحبه ملك يصدقه ويؤيد نبوته، ليس عليك إلا الإنذار بالوحي به، لا الإتيان بما اقترحوه، والله رقيب حافظ لكل أمر، فتوكل عليه وثق به، ويجازي جميع الناس على أعمالهم.

أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُزِّلَ لَهُ قُلُوبًا فَأَنزَلُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلَهُ مُعْزَّيَاتٍ
وَأَدْعُوا مَنْ أَسْطَفَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾
فَلَمْ يَسْجُدُوا لَكَ فَأَعْلَنُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِهِمْ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَبُهِتَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْإِلَهَ الْأَوَّلُ
وَالْآخِرَةُ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ
مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ أَفَمَنْ كَانَ
عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَسْلُوهُ شَاهِدِيْنَهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ
مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ
مِنَ الْأَخْرَابِ قَالَ لِقَائِهِمْ وَمَا بَعْدُ فَلَا تُكَذِّبُوا عَلَى مَرْيَمَ
إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ
عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ أَلْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى رَبِّهِمْ
أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٨﴾

١٣- بل أيقول المشركون: اختلق محمد القرآن؟
قل لهم أيها النبي: فأنزوا بعشر سور من مثل هذا
القرآن في البلاغة والحسن، مختلقات، فأنتم
فصحاء العرب وعباقرة البيان، وادعوا من قدرتم على
الاستعانة به من البشر من غير الله، ممن تتخذونه
شريكاً لله، إن صدقتم في ادعائكم أنه من افترائي
وإدعائي له.

١٤- فإن لم يجيبوا إلى ما دعوتهم إليه من المساعدة
والإتيان بمثله، فاعلموا علم اليقين أيها الناس قاطبة
من المشركين والمؤمنين أن القرآن أنزله الله على
رسوله، مصحوباً بعلم الله وإذنه، فلا يعلمه إلا الله،
ولا يقدر عليه سواه، لإعجازه، وليس افتراء عليه،
واعلموا أيضاً أن لا إله موجود ومعبود بحق إلا الله
تعالى، فهل أنتم بعد هذه الحجة القاطعة على أن
القرآن من عند الله مؤمنون بالله وبالقرآن إن كنتم غير
مسلمين؟

١٥- من اقتصر على محبة الدنيا وزينتها من متاع
وأثاث ولباس وطيبات، نعطيهم ما يريدونه من الدنيا
وأفيا، وهم في الدنيا لا ينقصون شيئاً من أجورهم
وثمرات أعمالهم. قال مجاهد: هي في الكفرة

وأهل الرياء من المؤمنين. والظاهر أن المراد بها الكفرة، لقوله تعالى بعدها: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ...﴾.

١٦- أولئك الذين قصرُوا عملهم على الدنيا ولم يعملوا شيئاً للآخرة، ليس لهم في الدار الآخرة إلا النار، وبطل
ثواب ما صنعوا في الدنيا من خير، وذهب نفعه، وتبدد أثر ما عملوه؛ لأنهم لم يعملوا لوجه الله تعالى.

١٧- أفمن كان في أعماله على هدى وبصيرة وبرهان من الله في اتباع النبي ﷺ والإيمان بالله، كمن يريد الحياة
الدنيا وزينتها؟ ويتبعه ويقوي بيته شاهد له يصدق، وهو القرآن، من الله، ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو
التوراة شاهد آخر بشر محمد ﷺ وبأنه رسول الله، وهذا الكتاب المذكور كتاب مؤتم به، متبع في الدين، ونعمة
عظيمة على من أنزله الله عليه وعلى قومه، أولئك المؤيدون بالشاهدين المذكورين يصدقون بالقرآن وبالنبي ﷺ،
ومن يكفر بالقرآن من أهل مكة وغيرهم وأتباع الأديان كلها المتحيزين على مقاومة الإسلام، فالنار مصيره لا محالة،
فلا تك في شك من هذا القرآن، إنه الحق الثابت المنزل من ربك، ولكن أكثر الناس لا يصدقون به، مع توافر الأدلة
القاطعة على تنزيله.

١٨- لا أحد أشد ظلماً ممن اختلق على الله كذباً بنسبة الشريك والولد إليه، من الأصنام والملائكة والبشر، أولئك
المفترون يعرضون على ربهم في الآخرة للحساب على أعمالهم، ويقول الأشهاد وهم الملائكة والأنبياء والعلماء:
هؤلاء المعروضون على الحساب: الذين كذبوا على ربهم في الدنيا، ألا إن لعنة الله على الظالمين أنفسهم بالافتراء.

١٩- وهؤلاء الظالمون هم الذين يمتنعون من دين الله والإيمان به، ويريدون الاعوجاج (الانحراف) لدعوة
الإسلام عن جادة الاستقامة، ويصفونها بذلك تنفيراً عنها، وهم منكرون مكذبون للبعث والحساب في الآخرة.



٢٠- أولئك الكافرون بالآخرة الصادون عن دين الله، ليسوا معجزين الله في الأرض عن عقابهم حتى يفلتوا منه، في الدنيا والآخرة، وليس لهم من غير الله أنصار ينعون عنهم العذاب، وعذابهم مضاعف يوم القيامة لافتراءهم وصدھم عن سبيل الله ووصف الإسلام بالاغوجاج، وأفرطوا في إعراضهم عن الحق، حتى صاروا كأنهم لا يستطيعون السمع والإبصار.

٢١- أولئك الكافرون المذكورون خسروا أنفسهم وضيعوها بالكفر والضلال بدلاً عن الهدى والإيمان، وغاب عنهم ما كانوا يفترون من ادعاء الشركاء الآلهة، وأنها تشفع لهم في الآخرة.

٢٢- حقاً ثابتاً أو لا محالة أنهم في الآخرة هم أكثر الناس خسارة وأشدھم عذاباً.

٢٣- إن الذين صدقوا بالله ورسوله، وعملوا بطاعة الله ومرضاته، وخشعوا وسكنوا الخشية الله، واطمأنوا لعدله، وأنابوا إليه بالعبادة والإخلاص، أولئك أصحاب الجنة هم فيها ماكثون على الدوام الأبدى.

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُجْرِبِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُصَفِّ لَهُمُ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ٢٠ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ٢١ لَا جَزَاءَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ٢٢ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٢٣ مِثْلَ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٤ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٢٥ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ إِلَهِ الْغَيْبِ ٢٦ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَىٰ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَىٰكَ أَتَيْكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَبْدُؤُا لَكَ أَرْيَا وَمَا تَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ٢٧ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَنِينَ مِنْ رَبِّي وَآلَتْنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِي فَقُيِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُنُسُ لِمُكْمُوهُمْ وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ ٢٨

٢٤- صفة الفريقين: الكفار والمؤمنين، كصفة الأعمى والأصم، لتعامي الكفار عن آيات الله وعدم استماعهم كلام الله، وكصفة البصير والسميع، لتبصر المؤمنين بالقرآن وسماعهم له سماع تدبر وإمعان، لا يستويان حالاً وصفة عند الله، أفلا تعظون؟

٢٥- ولقد بعثنا في الماضي نوحاً رسولاً إلى قومه، قائلاً لهم: إني لكم منظر مخوف من الله بالنار إن كفرتم، وأبين لكم طريق النجاة وموجبات العذاب.

٢٦- بالآتعبدوا غير الله وحده لا شريك له، إني أخاف عليكم عذاب يوم مؤلم في الآخرة، أو في الدنيا بالطوفان.

٢٧- فقال الزعماء الأشراف الكفرة من قومه: لست نبياً لأمر ثلاثة: ١- ما نراك إلا بشراً ماثلاً لنا، فليس لك مزية تستحق النبوة دوننا، ٢- ولم يتبعك إلا أراذل القوم وهم الفقراء الأخصاء وأتباع الحرف الدنية، فلا مزية لك علينا، اتبعوك في الرأي ظاهراً من غير بحث ولا تحقق في صحته، ٣- وليس لك ولا أتباعك الأراذل فضل تميزون به وتستحقون ما تدعونوه، بل نعتقد أنكم كاذبون فيما تقولون.

٢٨- قال نوح لهم: يا قوم أخبروني إن كنت على برهان من ربي في النبوة يدل على صحتها وصدقها، وليست المساواة في البشرية تمنع النبوة، وخصني ربي بالنبوة والرسالة، فضلاً منه وكرماً، فخفيت عليكم، أنجبركم على قبولها والإيمان بالله، وأنتم كارهون لا تختارونها ولا تتأملون فيها؟ فذلك لا يقدر عليه إلا الله، ولا تقدر على ما نريد.

٢٩- ويأقوم لا أطلب على تبليغ رسالتي أجراً تؤدونه إلي، فإن ثوابي المأمول على الله وحده، ولست بمبعد المؤمنين الفقراء أو الضعفاء من مجلس كما تطلبون، إنهم سيلقون ربهم بالبعث، فيجازيهم على إيمانهم، ويعاقب من طردهم، ولكنني أراكم قوماً تجهلون عاقبة أمركم، ومن جهلهم: احتقارهم الفقراء، وطلب طردهم، ترفعاً عليهم.

٣٠- ويأقوم، من يخلصني من عقاب الله إن طردتهم احتقاراً لهم، فهم أحق بالتكريم لإيمانهم بالله، أفلا تتعظون؟

٣١- ولا أقول لكم: عندي خزائن رزق الله أنفق منها كما أريد، ولا أقول لكم: أنا أعلم الغيب لأخبركم وأتيكم بما تريدون حتى تكذبوني، وإنما أنا نذير مبين، ولا أقول لكم: إني ملك، بل أنا بشر مثلكم، ولا أقول للذين تحتقروهم لفقرهم: لن يؤتيهم الله خيراً، بل قد أتاهم الخير وهو الإيمان، ويجازيهم في الآخرة خيراً مما أتاكم في الدنيا، الله أعلم بما في قلوبهم من الإيمان والإخلاص، فيحاسبهم عليه، إني إن قلت ذلك فأننا من الظالمين أنفسهم.

وَيَقُولُوا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَىٰ ذُنُوبَكُمْ جَهْلُونَ ٢٩ وَيَقُولُونَ مَنْ يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنْ إِيَّاكُمْ الظَّالِمِينَ ٣١ قَالُوا يَلْبُوعُ قَدْ جَدَدْنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٣٢ قَالُوا إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنُوعُ مَعْجَزِينَ ٣٣ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَصْحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ يُؤْتِكُمْ وَالْإِنِّ تَرْجُونَ ٣٤ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَائِي وَأَنَا بِرَبِّي يَوْمَئِذٍ شَهِيدٌ ٣٥ وَإِلَىٰ نُوحٍ آتَيْنَاهُ الْيُوسُفَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مِنْ قَدْحَةٍ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٣٦ وَأَصْنَعُ الْفُلَ ٣٧ وَاعْبُدْنِي وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُخِطِّتِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ ٣٨

٣٢- قال القوم: يا نوح قد حاججتنا، فأكرت وأتيت بمختلف أنواعه، فأتنا بما تعدنا به من العذاب الذي نخوفنا به، إن كنت صادقاً في ادعاء النبوة.

٣٣- قال نوح لهم: إنما يأتيكم بالعذاب الله، إن شاء تعجيله لكم أو تأجيله، وما أنتم بمعجزتي الله بالإفلات من عقابه.

٣٤- ولا ينفعكم نصحي بتجنب أسباب عقاب الله، إن أردت نصحكم، لأنكم ترفضون النصيحة، إن كان الله يريد إضلالكم عن سبيل الرشاد، والمراد نتيجة الضلال، وهو أن يعذبكم ويهلككم، هو الله ربكم الخالق والمتصرف فيكم بإرادته، هداية أو إغواء، وإليه المصير في الآخرة، ليجازيكم على أعمالكم.

٣٥- بل يقول كفار مكة: اختلق محمد القرآن ومنه قصة نوح، قل: إن اختلقته من عندي، فعلي عقوبة ذنبي العظيم وجزاء كسبي، وأنا بريء من إجرامكم بنسبة الافتراء إلي.

٣٦- وأوحى الله سبحانه إلى نوح بعد دعائه على قومه بالهلاك والدمار: أنه لن يؤمن أحد من قومك بعد الآن إلا من سبق إيمانه من قبل، فلا تحزن حزناً باستكانة بما فعلوا، من تكذيب وإيذاء. والآية تبيِّن له من إيمانهم، لثرتاح نفسه.

٣٧- واعمل السفينة برأى منا، وحفظ لك، ووحى بكيفية الصنع كما أرشدنا داود لصنع الدروع، ولا تطلب مني العفو في الذين كفروا، إنهم مغرورون جميعاً بالطوفان.



وَصْنَعَ الْفُلَ وَلَمَّا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ
 إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ
 نَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ
 مُثْقِلٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ
 فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ آثَنٍ وَاهْلَاكَ الْإِلَٰهَ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ
 الْقَوْلُ مِنْهُمْ أَمِنْ دُونِهِ أَمِنْ وَمَنْ أَمِنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ
 أَرْكَبُوا فِيهَا بِإِذْنِ اللَّهِ حُمْرَ النَّجْلِ وَاللَّهُ يَخْلُصُ الْأَمْرَ إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ
 الْعَظِيمِ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَكَانَ دُخَانُ أَبْنَةِ وَكَانَ
 فِي مَعْرِيلٍ بَيْنَهُمْ آوِجٌ وَيَحْمِلُ عَلَيْهِمْ طُوفَانٌ مِنْ رَبِّهِمْ لِيُظْهِرَهُمْ
 صِغَارَ الذُّلُولِ وَمَنْ يُجَادِلِ الْكَافِرِينَ فِي شَيْءٍ مِنْهُمْ فَسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤٢﴾

٣٨- وقام يصنع نوح السفينة، وكلما مرَّ عليه جماعة من وجهاء قومه، سخروا منه، وهزئوا به؛ لأنه كان يعملها في بركة بعيدة عن الماء، ويقولون له: صرت نجاراً بعدما كنت نبياً، قال نوح: إن تهزؤوا بنا الآن، فلإننا نهزأ بكم في المستقبل عند الفرق، كما تهزؤون منا اليوم.

٣٩- فسوف تعلمون من منا الذي يأتيه عذاب يذلُّه ويفضحه، وينزل عليه في الآخرة عذاب دائم، وهو عذاب النار.

٤٠- حتى إذا جاء أمرنا بالإهلاك، وفار الماء من تنور الخبز الذي جعل علامة بدء الطوفان، قلنا لنوح: احمل في السفينة من كل صنف من الحيوانات الأرضية زوجين اثنين: ذكراً وأنثى، واحمل أهلك وهم امرأتهم وبنوه ونساؤهم، إلا من تقدم عليه الحكم منهم بالإهلاك والإغراق، واحمل من آمن معك من قومك، وما آمن معه إلا عدد قليل، هم ثمانون إنساناً، منهم ثلاثة من بنيه، وهم سام وحام ويافت وزوجاتهم.

٤١- وقال نوح لمن حملهم معه: اركبوا في السفينة باسم الله جرياتها ورسوها بعده، إن ربي لغفور للذنوب، رحيم بالتائبين.

٤٢- والسفينة تجري بنوح والمؤمنين وسط أمواج كالجبال، ونادى نوح ابنه (كنعان) الذي لم يؤمن، وكان في مكان منزول عن أبيه وقربائه: يا بني اركب معنا في السفينة، ولا تكن مع الكافرين خارج السفينة، فإنهم هالكون.

٤٣- قال الابن لأبيه: سألجأ إلى جبل عال يحفظني ويمنعني من الماء، قال الوالد: لا مانع اليوم من قضاء الله وعذابه، إلا من رحم الله فهو يعصمه، وهم الراكبون في السفينة، وحجب الموج بين نوح وابنه، فتعذر خلاصه، فكان من جملة المفرقين.

٤٤- وقال الله للأرض بعد هلاك قوم نوح: يا أرض ابلعي ماءك فوراً، ويا سماء أمسكي عن المطر، وجفَّ الماء، وتم أمر هلاك قوم نوح الكفار، وإنجاء المؤمنين، واستوت السفينة على جبل الجودي بالجزيرة قرب الموصل، وقيل: هلاكاً للقوم الظالمين أنفسهم، وهذه آية في إيجازها وبيان مشاهد المأساة في غاية البلاغة والفصاحة، مما لا يستطيع أحد من علماء البيان واللغة الإتيان بمثلاً، مما يدل على أنها كلام الله تعالى.

٤٥- ودعا نوح ربه مستعظفاً قائلاً: إن ابني من أهلي، وقد وعدتني بنجاتهم، ووعدك الثابت لا يخلف، وأنت أعلم الحاكمين وأعدلهم.

٤٦- قال الله له: يا نوح إن ابنك كنعان ليس من أهلِكَ الناجين؛ لأنه لم يؤمن بك، إنه صاحب عمل سيء لكفره وتكذيبه، فهو لشدة فجوره جعل كأنه العمل السيء، كما يقال للشير: إنه الشر نفسه، أي صاحب الشر، فلا تطلب ما لا علم لك به، إذ لو كان في علمي أنه مؤمن لأنجيته، إني أحذرك أن تكون أحد الجاهلين، بسؤالك ما لا تعلم.

٤٧- أجاب نوح بقوله، حينما علم أن سؤاله ناشئ عن وهم، لم يتفق مع مرضاة الله: إني أستجير بك أن أطلب منك ما لا علم لي بصحته أو جوازه، وإن لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال، وترحمني بالتوبة والإحسان، أكن من الخاسرين في أعمالي.

٤٨- قيل لنوح: يا نوح انزل من السفينة إلى الأرض بسلامة من المكاره وأمن، ونعم وخيرات عليك، وعلى جماعات من ذرية من معك في السفينة، وسيكون أم من نسلهم، تمتعهم في الدنيا بزخارفها إلى يوم القيامة، ثم يصيبهم منا في الآخرة عذاب شديد الألم، والمراد بهم الكفار من ذرية من معه.

قَالَ يَنُوحُ إِنِّي لَئِيسٌ مِنْ أَهْلِكَ إِنِّي عَمِلْتُ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ٤٦
قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٤٧
أَمِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَرَكَعْ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأَمْسِكْ سِكِّينَهُمْ ثُمَّ مَسَّهُمْ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ آلِيمٌ ٤٨
أَلَيْسَ لَوْ جَاءَ إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْصَّادِقِينَ ٤٩
أَخَاهُ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ٥٠
إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ٥١
يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَخْبَرْتُمُ إِلَّا لَعَلَّ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٥٢
وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ٥٣
قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ ٥٤

٤٩- تلك قصة نوح من أخبار الغيب نقصها عليك بالوحي، ما كنت تعلمها أنت، ولا يعلمها قومك على هذا النحو من البيان الدقيق، فاصبر أيها الرسول على التبليغ وأذى قومك، كما صبر نوح، إن العاقبة المحمودة في الدنيا بالنصر، وفي الآخرة بالفوز، للذين يتقون الله، ويخشونه، ويؤمنون بالرسول، ويتقون الشرك والمعاصي.

٥٠- وأرسلنا إلى قبيلة عاد في الأحقاف باليمن أخاهم في القبيلة والنسب هوداً عليه السلام، واحداً منهم، قال: يا قوم، اعبدوا الله وحده، ليس لكم إله غيره، ما أنتم في عبادة الأوثان إلا قوم كاذبون على الله باتخاذكم شركاء لله، وشفعاء عنده.

٥١- يا قوم، لا أطلب منكم على تبليغ الرسالة الإلهية عوضاً مالياً، ما ثوابي إلا على الذي خلقتني على الفطرة السليمة- فطرة التوحيد لله، أي إنه مخلص لهم في النصيحة، أفلا تفكرون تفكيراً صحيحاً لمعرفة الحق الذي جئت به.

٥٢- ويا قوم، استغفروا ربكم من الشرك والذنوب، ثم أخلصوا التوبة من الشرك، وأخلصوا العبادة لله، يرسل المطر عليكم كثيراً غزيراً، ويزدكم قوة مع قوتكم بالمال والولد، ولا تعرضوا عن دعوتي، حال كونكم مشركين.

٥٣- قال القوم: يا هود ما آتيتنا بحجة واضحة أو معجزة لنقرّ لك بالنبوة، ولنسنا بتاركي عبادة آلهتنا، من أجل قولك، ولنسنا نحن بمصدقين بنبوتك.

إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ
وَأَشْهِدُ أَيُّنَا بُرَىٰ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَيَكِيدُونِي
جَمِيعًا ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ
دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي
قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٥٧﴾
وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الَّتِي
رَزَقْنَاهُ وَعِصْوًا رُسُلَهُ وَاتَّبِعُوا أَمْرًا كُلَّ جِبَارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَاتَّبِعُوا
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِقَوْلِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ الْإِنِّ عَادًا كَفَرُوا بِهِمْ أَلَا
بَعْدَ أَعْيَادِهِمْ هُودٌ ﴿٦٠﴾ وَلَئِنْ تَوَلَّوْا أَهْلًا هُمْ صَالِحٌ قَالَ يَقُومُوا
أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ
فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ إِنْ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا
يَصْلِحْ فَذَكِّرْ فَمَا رَجَعُوا قُلْ هَذَا أَشْهَدُ أَنَّا نَعْبُدُ مَا يَعْبُدُ
آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٦٢﴾

٥٤- ما نقول في شأنك إلا أنه أصابك بعض آلهتنا
بجنون، لسببك إياها وصلك عنها، فأنت تهذي
وتخرق، قال هود: أشهد الله على نفسي وأشهدوا
أنتم أي بريء مما تشركون مما اتخذقوه شركاء لله
تعالى.

٥٥- إني بريء من جميع الأصنام والأنداد مما
تشركون به من غير الله، فدبروا لي كل ما تستطيعون
من أنواع الكيد، أنتم وآلهتكم التي تزعمون أنها ضارة
بي، ثم لا تمهلوني طرفة عين، بل عاجلوني
بالإضرار. وهذا التحدي من هود بمحاولة إيقاع
الأذى والإهلاك أعظم معجزة له، فهو شخص
واحد، وهم جمع كبير طغاة.

٥٦- إني فوضت أمري إلى الله ربي وربكم، فهو
يعصمني من كيدكم، مهما بذلتم من محاولات
الإضرار، ما من دابة تدب على الأرض إلا وهو مالك
لها وقاهرها ويخضعها لما يريد لها، فلا نفع ولا ضرر
إلا بإذنه، إن ربي على منهج الحق والعدل فلا
يسلطكم علي، ولا يمكنكم من ظلمي، ولن
يضيعني.

٥٧- فإن تعرضوا وتولوا عن دعوتي وتصمموا
على الكفر، فإني أبلغتكم رسالة ربي، وقامت عليكم

الحجة، وحق عليكم العذاب، ويهلككم ويأتي يقوم سواكم في دياركم هم أطوع منكم يوحدونه ويعبدونه، ولا
تضره بشيء إطلاقاً يعارضكم، إن ربي رقيب على كل شيء عالم بكل ما تعملون، فهو يحفظني من أي سوء.

٥٨- ولما جاء أمرنا، أي عذابنا يهلك عاد، نجينا هوداً ومن آمن معه، برحمة كائنة منا، ونجيناهم من عذاب
شديد مُتَنَاهٍ في الشدة.

٥٩- وتلك عاد الذين أهلكناهم، فانظروا آثارهم في الأرض، إنهم كفروا بآيات الله الدالة على وحدانيته،
وأنكروا المعجزات، وخالفوا الرسول هوداً عبر بالرسول عن واحد؛ لأن تكذيب رسول واحد تكذيب لجميع الرسل
- وأطاع القوم أمر كل متكبر، طاع لا يقبل الحق ولا يذعن له.

٦٠- وجعل الله اللعنة (الطرد من الرحمة) ملازمة لهم لا تفارقهم في الدنيا، وتلحقهم أيضاً يوم القيامة حتى
توقعهم في العذاب، ألا إن عاداً كفروا بربهم، وجحدوا نعمته، ألا هلاكاً لهم وإبعاداً من رحمة الله تعالى.

٦١- وأرسلنا إلى ثمود في الحجر بين المدينة والشام أخاهم في القبيلة والنسب صالحاً، قال: يا قوم اعبدوا الله
وحده، ليس لكم إله غيره، هو ابتداء خلقكم وتكوينكم من الأرض، بخلق أبيكم آدم من تراب، وجعلكم عمار
الأرض ببناء المساكن وغرس الشجر، فاستغفروه من ذنوبكم ومن الشرك، ثم ارجعوا إلى عبادته واهجروا
الذنوب، إن ربي قريب الرحمة من خلقه الطائعين، قريب من إجابة الدعاء.

٦٢- قالوا: يا صالح قد كنت مرجوئاً لك السيادة علينا، نتفع برأيك قبل ادعائك النبوة، أنتهانا عن عبدة الأوثان
التي كان يعبدوها الآباء، ونحن في شك من التوحيد والتبري من الأوثان، شك موقع في الريبة أي سوء الظن
والقلق النفسي!؟



٦٣- قال صالح: يا قوم فكروا وأخبروني إن كنت على يقين وبصيرة وبرهان صحيح من ربي أني على الحق، وأتاني النبوة، فمن يمنعني من عذاب الله إن خالفت أمره، وعصيته في تبليغ رسالته ومنع الإشراك به؟ فما تطلبون مني باتباعكم غير تضليل وإيقاع في الخسران.

٦٤- يا قوم، هذه ناقة الله، جعلها لكم حجة على صدقي، ومعجزة ظاهرة، فاتركوها في الأرض تأكل من المراعي، ولا تتعرضوا لها بسوء من قتل أو أذى، فياخذكم عذاب عاجل قريب الوقوع إن عقرتموها، وهو ثلاثة أيام.

٦٥- فقتلوا بسيف أو نحوه، فقال لهم صالح: عيشوا في منازلكم ثلاثة أيام، ثم تهلكون، ذلك وعد صادق غير مكذوب فيه.

٦٦- فلما جاء أمرنا بإهلاك قبيلة ثمود، نجينا صالحاً ومن آمن معه من الهلاك، برحمة سابغة، ونجيناهم من ذل وهوان يوم القيامة، إن ربك يا صالح هو القوي القادر على كل شيء، الغالب على كل شيء، قاهر الأعداء.

٦٧- وأخذ الظالمين أنفسهم بالكفر صيحة شديدة من السماء، أو صاعقة أحدث رجفة في القلوب، وصعق بها الكافرون، فأصبحوا في ديارهم ساقطين على وجوههم هالكين موتى.

٦٨- كأنهم لم يقيموا ولم يوجدوا في ديارهم قبل ذلك، ألا إن ثمود كفروا ربهم، ألا هلاكاً وطرذاً من رحمة الله لثمود.

٦٩- ولقد جاءت الملائكة إبراهيم يبشرونه بإسحاق ولداً، قالوا: سلاماً عليك، قال: سلام عليكم، فما غاب طويلاً أو أبطأ إبراهيم حتى جاء بعجل مشوي على الحجارة المحماة بالنار، وهو أطيب الشواء.

٧٠- فلما شاهد أيديهم لا تمتد إلى العجل أو الطعام الذي قدمه لهم، ولا يأكلون منه، استنكر ذلك منهم، وظن أنهم يريدون شراً، كما هي العادة، وأحس في نفسه خوفاً وفرعاً، قالوا له: لا تخف منا، فنحن ملائكة أرسلنا لتعذيب قوم لوط.

٧١- وكانت امرأته سارة قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم وتخدم الملائكة، فضحكت الضحك المعروف، بزوال الخوف، فبشرناها على لسان الملائكة بولادة إسحاق، ووبئناها من بعد إسحاق حفيداً وهو يعقوب.

قَالَ يَقَوْمُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِثْلُ رَحْمَةٍ مِمَّنْ يُضْرَبُونَ مِنْ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُمْ فَأَتَزِيدُ وَخِي غَيْرَ تَحْسِيرٍ ۖ وَيَقَوْمُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءِ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ۖ فَفَقَرُّوْهَا قَالَتْ نَتَمَتُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ۖ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَتِنَا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۖ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْحَبُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمِينَ ۖ كَانُوا يَفْعَلُونَ ۖ فَهَا الْآلُ أَنْ تَمُوتُوا كَفَرُوا زُرْتُمُوهَا أَلَا يَمُوتُ الْفُؤَادُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا سَلَامًا قَالُوا سَلَامٌ قَالُوا فَالَيْتُ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۖ فَلَمَّا زَاغُوا أَزْوَاجُهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَمْنَحُوا الْخِيفَةَ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ۖ وَأَرْسَلْنَاهُمْ قَائِمَةً فَفَضَحَكُوا فَبَشَّرْنَا أَبْلَاحِقُومَ وَنَادَاهُ نَحْنُ بِعَقُوبٍ ۖ

قَالَ يُولَيَاءُ الدُّوَانَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا
لَنُفْيٌ عَجِيبٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ
عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَبِيبٌ حَسْبُكُمْ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ
إِبْرَاهِيمَ الرُّوحُ وَجَاءَهُ الْمَلَكُ الْبَشَرِيُّ جَعَلَ لَنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٨﴾ إِنَّ
إِبْرَاهِيمَ لَمَلِكٌ أَوْفَى مُنِيبٌ ﴿٧٩﴾ يَأْتِيهِمْ أَغْرَضٌ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ
جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَابْتِهَاءٌ عَذَابٍ غَيْرَ مُرْدِدٍ ﴿٨٠﴾ وَلَمَّا
جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا
يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٨١﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا
يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَتَقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا
اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْقِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٨٢﴾ قَالُوا
لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا بِبَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٨٣﴾ قَالَ
لَوْ أَنِّي بِيَدِي قُوَّةٌ أَوْ إِيَّاكُمْ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٤﴾ قَالُوا
يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنَاصِلُوكَ إِلَىٰ الْيَتِيمِ فَاصْبِرْ أَمْ لَكَ
بِقِطْعِ نَارِ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا أَنْتَ مُصِيبٌ
مَا أَصَابَهُمْ إِنْ مَوْعِدُهُمْ أَصْبَحَ أَلَيْسَ أَصْبَحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨٥﴾

٧٦. قالت امرأته: يا عجبا أو دهشة، كيف الد وانا عجزوز فوق التسعين عاما، وهذا زوجي حال كونه شيخا كبيرا بلغ مئة عام، إن هذا الخبر المبشر به لشيء عجيب أن يأتي الولد من شخصين هرمين، وذلك كله بحسب العادة الشائعة، لا بالنظر للقدرة الإلهية.

٧٧. قالت الملائكة: لا تتعجبي من قدرة الله وقضائه وحكمته، فانت من بيت النبوة، لا يخفى عليك أن هذا من مقدورات الله تعالى، فإن رحمة الله الواسعة ونعمه الكثيرة عليكم يا أهل بيت النبوة. بيت إبراهيم، إن الله محمود الأفعال، كثير الخير والإحسان، ذو المجد والرفعة.

٧٨. فلما ذهب الخوف عن إبراهيم حين علم بأنهم ملائكة، وأتته البشري بإسحاق، أخذ يجادل رسلنا في شأن قوم لوط، طالبا تأخير العذاب عنهم، لعلهم يؤمنون.

٧٩. إن إبراهيم كثير الحلم، لا يتعجل في طلب العقاب، كثير التأوه والتضرع إلى الله، والخوف من الله وعلى الناس، الراجع إلى ربه في كل أموره.

٧٦. قالت الملائكة: يا إبراهيم، أعرض عن هذا الجدال في أمر حسم فيه القضاء، إنه قد أتى أمر ربك بعذابهم، وهو أعلم بحالهم، ويأتيهم عذاب غير

مصروف ولا مدفوع عنهم بجدال أو دعاء أو غير ذلك.

٧٧. ولما جاءت الملائكة لوطا في صورة شبان حسان، بعد أن خرجوا من عند إبراهيم، وكان بين إبراهيم وقرى لوط فراسخ، ساءه مجيئهم وحزن بسببهم، وضاق صدره غما برؤيتهم في تلك الصورة، خوفا عليهم من قومه الفسقة الشذاذ بارتكاب فاحشة اللواط، وقال في نفسه: هذا يوم شديد الأذى والمكاره والمتاعب.

٧٨. وجاءه قومه يسرعون إليه إسراعاً مع رعدة، لتعاطي الفاحشة مع الأضياف، وكانت عادتهم من قبل إتيان الرجال، قال لهم لوط: هؤلاء بناتي من نساء الأمة فتزوجوهن؛ لأن نبي القوم أب للمؤمنين به، هن أحل وأنزه، فاتقوا الله بترك الفاحشة وخوف عقابه، ولا تفضحوني في أضيافي، أليس منكم رجل ذو رشد وعقل يهتدي إلى الحق ويمتنع من القبيح، وينهى عن المنكر؟!

٧٩. قالوا: لقد علمت يا لوط ما لنا في البنات من شهوة ولا حاجة، وإنك لتعلم ما نريد من إتيان الرجال، وترك النساء.

٨٠. قال لوط لهم: لو كان عندي قوة وقدرة لدفعتمكم، أو لو وجدت معينا وناصرأ أو ألجأ إلى عشيرة قوية تمنعني منكم، لقامو منكم فيما تريدون من الأضياف.

٨١. قالت الملائكة الرسل: يا لوط إنا ملائكة أرسلنا الله لإهلاك القوم، لن يمسوك بسوء، فاخرج مع أهلك بساعة مظلمة أو بجزة من الليل، ولا يلتفت منكم أحد وراه، إلا امرأتك لا تخرج معك، إنه مصيبها ما أصاب القوم من العذاب، إن موعد هلاكهم الصبح حيث تسكن النفوس فيه ويجتمعون، أليس وقت الصبح ساعة العذاب قريبا؟!

٨٢. فلما جاء أمرنا بوقوع العذاب، جعلنا قري قوم لوط عاليها سافلها، إذ خسفنا بهم الأرض، وأنزلنا عليهم حجارة كثيرة من الطين المتحجر، المتتابع والمتراكم بعضه فوق بعض.

٨٣. وهذه الحجارة لها علامة خاصة للعذاب، معلومة عند ربك في خزائنه، خاصة بهم لا تصيب غيرهم، وليست هذه الحجارة أو قري قوم لوط من الكافرين أهل مكة وأمثالهم ببيعة، يمرون عليها في طريقهم إلى الشام، وهذا وعيد لكل ظالم.

٨٤. وأرسلنا إلى أهل مدين (مدينة قرب معان في الأردن) أخاهم في النسب شعيباً عليه السلام الذي كان يسمى خطيب الأنبياء لقوة حجته وبيانه وحسن إقناعه قومه، قال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له، ليس لكم إله معبود بحق غيره، ولا تنقصوا المكيال والميزان في البيع والقرض ونحوهما، إني أراكم بشروء وسعة في الرزق، تغنيكم عن النقص، فإيفاء الكيل عدل، وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط بالناس جميعاً لما فيه من الأهوال، لا يفلت منه أحد.

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرًا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ تَنصُرُ ٨٢ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٌ ٨٣ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرْكَمُ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ٨٤ وَيَقُومُوا أَوْفُوا الْمِكَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَجْهَرُوا لِلنَّاسِ أَسْيَاءَهُمْ وَلَا تَقْنُتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ٨٥ بَقِيَ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ٨٦ قَالُوا يٰشُعَيْبُ أَصْلَافُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفَعَلْنَا فِي أَمْوَالِنَا مَا شِئْنَا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ٨٧ قَالَ يٰقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ لَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْتُمْ كُفَّ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ٨٨

٨٥. ولا يكفي الامتناع عن النقص، بل يلزمهم السعي في الإيفاء، ولو بزيادة لا بد منها، فأتموا الكيل والوزن بالعدل والتسوية، دون زيادة في الأخذ، ونقص في العطاء، ولا تنقصوا الناس من حقوقهم شيئاً، غشاً أو خديعة أو غصباً، ولا تفسدوا في الأرض، أو تكثر الفساد، أو تداوموا على الفساد.

٨٦. ما ييقية الله لكم من الرزق الحلال الباقي بعد إيفاء الحقوق بالعدل، أفضل وأبرك لكم من الكسب الحرام، إن كنتم مصدقين بالله وبالحساب؛ لأن المؤمن هو الذي ينتفع بالذكر.

٨٧. قال القوم ساخرين مستهزئين: أصلائك تأمرك بترك ما كان يعبد آباؤنا من الأصنام والأوثان، أو بترك ما كنا نفعل بأموالنا حسبما نشاء بحسب المصلحة، بالزيادة والنقص، تنصرف فيها بما نرضاه، إنك أنت المعروف بسعة الحلم، العاقل المتأني، شديد الرشد، أي الهداية، الراسخ فيها؟ وهذا على سبيل الاستهزاء.

٨٨. قال: يا قوم، أخبروني إن كنت على بصيرة وبرهان قاطع من ربي فيما أدعوكم إليه، ورزقني الرزق الكثير الطيب، فهل يعقل أن أخالف أمر الله ونهيه؟ وليس من المعقول ولا من شأني أن أنهاركم عن شيء ثم أرتكبه أو أفعل خلافه، ما أريد إلا الإصلاح بالعدل قدر استطاعتي، وما توفيقي لإصابة الحق والصواب إلا بعون الله تعالى، عليه اعتمدت في جميع أموري، وإليه أرجع في كل أمر.

٨٩- ويا قوم، لا يحملنكم عداوتي وخصلافي الشديد على تكذبي، فيصيبكم عذاب مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق، أو قوم هود من الريح الصرصر الباردة، أو قوم صالح من الرجفة وخسف الأرض بهم، وليس هلاك قوم لوط منكم يبعيد خبرهم ومكانهم وزمانهم عنكم، أفلا تتعظون؟

٩٠- واستغفروا ربكم من ذنوبكم، ثم توبوا إليه عن معاصيكم السابقة، إن ربي واسع الرحمة بالتائبين، كثير المحبة لهم، فاعل بهم اللطف والإحسان، كما يفعل الصديق الودود بمن يوده.

٩١- قال القوم: يا شعيب، ما نفهم كثيراً مما تقول لنا من الغيبات، كما نفهم الأمور المشاهدة، وإننا لترك ضعيفاً لا قوة لك على مقاومتنا والدفاع عن نفسك، ولولا عشيرتك القرية التي تتقوى بها لرجمناك أي قتلناك بالحجارة، وما أنت علينا بكرم عن الرجم.

٩٢- قال شعيب لهم: يا قوم أعشيري أعز عليكم من الله؟ لأن الاستهانة بنبي الله استهانة بالله

عز وجل، وجعلتم أمر الله وأمر نبيه مهماً كالملقى خلف الظهر، إن ربي عليم بأحوالكم وأعمالكم، فيجازيكم عليها.

٩٣- ويا قوم، اعملوا غاية إمكانكم وما في وسعكم من الكفر والتكذيب، إني عامل بما أمرني به ربي وعلى حسب إمكاني، سوف تعلمون عاقبة الشرك وإضرار الناس، ومن يأتيه عذاب يهينه ويذله، ومن هو كاذب مني ومنكم، وانتظروا وعيد ربكم بالعذاب، إني منتظر وعد ربي بالرحمة.

٩٤- ولما جاء أمرنا بهلاكهم، نجينا شعيباً والمؤمنين معه من العذاب، بسبب رحمتنا، وأخذت الذين ظلموا أنفسهم بالشرك الصبيحة أو الرجفة المهلكة، فأصبحوا في ديارهم ميتين.

٩٥- كان لم يقيموا فيها، ألا هلاكاً للمدين، كما هلكت ثمود من قبلهم، وكان هلاك القومين بالصبيحة، غير أن صبيحة ثمود كانت من تحتهم، وصبيحة مدين كانت من فوقهم.

٩٦- ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وهي التوراة أو الآيات التسع كما ذكر في سورة الإسراء (١٧/ ١٠١) المينة في سورة الأعراف (٧/ ١٣٣)، وبالمعجزات الظاهرة، أو البراهين القوية الواضحة.

٩٧- أرسلناه إلى فرعون وزعماء قومه، فاتبعوا أمر فرعون بالكفر وأعرضوا عن موسى، وما شأن فرعون بذئ رشد وهدي، فليس فيه رشد قط، بل هو في ضلال محض.

وَيَقُولُ لَا يُحْرَمُ مَعَكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ٨٩
وَأَسْتَغْفِرُكُمْ وَأُغْفَرُ لَكُمْ ثُمَّ تَوَلَّى إِلَيْهِ إِنْ رَبِّي رَحِيمٌ ٩٠
وَدُودٌ ٩١ قَالُوا يَشْعِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا عَمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُكَ فِتْنًا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْمُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَكَأَنْتَ عَلَيْنَا يَحْرُسٌ ٩٢ قَالَ يَقُولُونَ حُطِّي عَنْكَ يَا إِبْرَاهِيمُ ٩٣ قَالَ يَقُولُونَ حُطِّي عَنْكَ يَا إِبْرَاهِيمُ ٩٤
مِنْ اللَّهِ وَأَتَّخِذْهُ وَدَّاءَ كَمْ ظَهَرَ بَيِّنَاتٍ إِنْ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ٩٥
وَيَقُولُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنْ عَمِلْتُمْ سَوْفَ تَعْمَلُونَ مِنْ بَآئِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ ٩٦ وَأَرْسَلْنَا إِلَىٰ مَعَكُمْ رُحَيْبًا ٩٧ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَآلَيْهِ نَاسُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جثثٍ ٩٨ كَانُوا يَفْسِقُونَ ٩٩
فِيهَا الْأَبْعَدُ الْمَدِينِ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ١٠٠ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ١٠١ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ١٠٢

٩٨. يتقدم فرعون قومه إلى عذاب النار يوم القيامة، فأدخلهم نار جهنم، بشن المورد الذي وردوه ودخلوه؛ لأن المورد المائي يرده الناس عادة لإطفاء حر العطش، والنار عكس ذلك.

٩٩. وأتبع الله فرعون وكبار قومه بعد هلاكهم بالبحر طرداً وبعداً عن الرحمة في الدنيا، وأتبعهم طرداً ولعنة أخرى يوم القيامة من أهل المحشر، بشن العطاء المعطى أو العون المعان، وسميت اللعنة عطاء تهكماً، كما سمي الزقوم نزلاً في الصافات [٦٢].

١٠٠. ذلك الذي قصه الله عليك أيها النبي في هذه السورة من أخبار الأمم السابقة التي أهلكنا أهلها بسبب الكفر والتكذيب، من تلك القرى ما يزال قائماً باقياً أثره، ومنها خراب هالك لا أثر له، كالزراع القائم على ساقه، والذي حصد.

١٠١. وما ظلمناهم بإهلاكهم من غير ذنب، ولكن ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي، فما نفعتهم ألهمهم أي أوثانهم التي يعبدونها من غير الله، من شيء من العذاب، فلم تدفعه عنهم، بل ضررتهم، لما جاء أمر ربك بعذابهم، وما زادتهم أصنامهم التي يعبدونها غير الهلاك والخسران.

١٠٢. ومثل ذلك الأخذ بالعذاب عقوبة ربك إذا

يَتَقَدَّمُ قَوْمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْدَدَهُمُ النَّارُ وَبُنِيَ لَهُمُ الْمُرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بُنِيَ الرِّقْدُ الْمُرُودُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا غَيْرَ نَتِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ تَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُوحِيهِ إِلَّا لِأَنْجِلْ مَعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِذِمَّتِ فِتْنَةٍ شَقِيٍّ وَسَعِيدٍ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَمْ يَكُنْ فِيهَا زَكِيٌّ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْدُودٍ ﴿١٠٨﴾

عاقب أهل القرى وهم ظالمون بالذنوب، إن عقابه للكافرين موجب مؤلم بشدة فائقة لا يرجى الخلاص منه.

١٠٣. إن في ذلك المذكور من القصص المتعلقة بأخبار السابقين وإهلاكهم لعبرة وعظة لمن خاف عذاب الآخرة الشديد، ذلك يوم القيامة، يُجمع له الناس للحساب والجزاء، وذلك يوم يشهده جميع الخلائق.

١٠٤. وما نؤخر مجيء يوم القيامة إلا لئلا يمتنع عن الله، معلوم بالعدد.

١٠٥. يوم يجيء ذلك اليوم والجزاء لا تتكلم نفس بحجة إلا بإذن ربها، فمن الناس شقي بكفره وهم أصحاب النار، ومنهم سعيد بإيمانه وهم أصحاب الجنة.

١٠٦. فأما الذين شقوا بكفرهم وعصيانهم في علم الله تعالى، فهم في النار مستقرون، لهم فيها صوت شديد أثناء الزفير (إخراج النفس) والشهيق (أخذ النفس) من شدة ألم صدورهم، وضيق نفوسهم.

١٠٧. وهم ماكثون إلى الأبد في النار مدة دوام السموات والأرض في الدنيا، وهذا التعبير يراد به التأبيد في كلام العرب على سبيل التمثيل، فهو كناية عن تأبيد الخلود، ويتم ذلك بمشيئة الله التي لا سلطان لأحد عليها، فهو سبحانه الفعال لما يريد، ومن مشيئته ألا يخلد عصاة المؤمنين في النار، إن الله يفعل في الدنيا والآخرة ما يشاء، فلا اعتراض لأحد.

١٠٨. وأما الذين سعدوا بإيمانهم وعملهم الصالح في علم الله وتوفيقه، فهم مقيمون في الجنة أبداً، ما بقيت السموات والأرض، وهو تعبير يفيد التأبيد في استعمالات كلام العرب، ويتم ذلك بمشيئة الله التي لا سلطان لمخلوق عليها، ومن مشيئته إكرامهم بما هو أكبر من ذلك، يعطيهم ربه عطاء غير مقطوع، وإنما هو ممتد إلى الأبد، وكل ذلك لا يمنع تفاوت الناس في درجات النار ودرجات الجنان، فيجازي الله كل عامل بما يعمل.



١٠٩- فلا تكن أيها النبي في شك في بطلان ما يعبد هؤلاء المشركون، فلا تنفع في أصنامهم، ومصيرهم كمن سبقهم من الكفار إلى النار، وهم في عبادتهم للأصنام مقلدون لأبائهم المتقدمين، وإن الله تعالى لمعطيهم حظهم المستحق من العذاب كاملاً تاماً غير منقوص منه شيء.

١١٠- ولقد أعطينا موسى كتاب التوراة، فاختلف فيه قومه بين مصدق ومكذب، فأمن به قوم، وكفر به قوم، كما فعل مشركو مكة، ولولا قضاء الله السابق بتأخير العذاب إلى يوم القيامة، لقضي أي حكم بين قومك أو بين قوم موسى في الدنيا فيما اختلفوا فيه، فعجل لهم العقاب، وأهلك الطغاة في الدنيا، وإن كفار مكة أو المكذبين بالتوراة، لفي شك في كتابهم المنزل، موقع في الرية والحيرة.

١١١- وإن كل فريق من المختلفين: المصدقين والمكذبين إلا ليلتقي يوم الحساب جزاء عمله تاماً وافياً، من خير أو شر، إن الله عالم بأعمال العباد ظاهرها وباطنها، لا يخفى عليه شيء.

١١٢- فاستقم أيها النبي على العمل بأمر ربك والدعوة إليه، وداوم على الاستقامة كما أمرك الله به ونهاك عنه، وليستقم أيضاً معك من تاب من الشرك

فَلَا تَكُ فِي مَرِيضَةٍ تَمَّ بَعْدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ نَصِيحُهُمْ غَيْرُ مَنْقُوصٍ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ۝ وَإِنْ كَلَّمْنَا لَوْلِيُوهُمْ رَبِّكَ أَعْمَالُهُمْ إِنَّهَا بِمَا يَعْمَلُونَ خَيْرٌ ۝ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَكُ مِنَ النَّارِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝ وَأَوِ الصَّلَاةَ طَرَفَ النَّهَارِ وَذُلْ لِمَنْ آتَى لَيْلَ إِنْ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكْرَيْنِ ۝ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَعْمَارُ الْحَسَنِينَ ۝ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةً يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا نَجَّيْنَا مِنْهُمْ وَأَتَّبَعْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا اتَّبَعُوا فِيهِ وَكَانُوا مُحْجَرِينَ ۝ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ۝

وآمن برسالتك، والتزم هديك، ولا تتجاوزوا حد الاعتدال في الأوامر والنواهي، أي لا ترتكبوا المعاصي، إنه سبحانه بصير بأعمالكم، فمجازيكم عليها.

١١٣- ولا تميلوا أدنى ميل أيها المؤمنون إلى الظالمين الكافرين بأن ترضوا بما هم عليه، أو تشاركوهم في أعمالهم، فتصيبكم النار بسبب الميل إليهم، وليس لكم من غير الله من أعوان وأنصار لإنقاذكم من النار، ثم لا تجددون من ينصركم عند الله تعالى لمنع العذاب عنكم.

١١٤- وأقم الصلاة في الغداة والعشي، صباحاً ومساءً، والمراد صلاة الصبح والعصر ومعها الظهر، وفي مدة من الليل مطلقاً، وذلك يشمل المغرب والعشاء، إن فعل الحسنات ومنها الصلوات الخمس يذهبن، أي يكفرن صفائر الذنوب، وأما الكبائر فلا بد لها من التوبة، ورأى بعضهم أن السيئات على العموم تكفرها الحسنات، ذلك الحكم عظة للمتعظين.

١١٥- واصبر على الصلاة والاستقامة وترك الطغيان والركون إلى الظالمين، فإن الله يوفي المحسنين أجورهم. والآية تشمل الصبر على جميع الطاعات، وترك جميع المعاصي.

١١٦- فهلا كان من الأمم التي أهلكتها أصحاب رأي وعقل ودين ينهون عن الفساد في الأرض من الشرور والمنكرات، لكن قليلاً ممن أنجينا منهم من العذاب، وهم المؤمنون برسالات الأنبياء كانوا يؤدون هذه المهمة، فأنجيناهم، واتباع الذين ظلموا أنفسهم ما أنعموا فيه من الشهوات والملاذ، وآثروها على أعمال الآخرة، وكانوا باتباع شهواتهم مجرمين.

١١٧- وما كان ربك ليهلك أهل القرى بظلم منه لهم، وهم مصلحون أعمالهم الدينية والدنيوية من الإيمان والمعاملات الاجتماعية.

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا
 مَن رَّحِمْتَ رَبُّكَ وَلَئِنَّكَ لَآتَمِّمُ جَهَنَّمَ نَارًا لَّأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ
 وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١١٩ وَلَا تَقْصُصْ عَلَيْنَا مَثَلَهُ الْفُتُلِ الْغَابِغَةِ
 بِقُدْرَةِ رَبِّكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝١٢٠
 وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ عَمَلِكُمْ إِنَّا سَنَظُنُّهُمْ ۝١٢١ إِنَّا سَنَظُنُّهُمْ
 أَنَّهُمْ لَا يَفْعَلُونَ ۝١٢٢ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ
 كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِفَعْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٢٣



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الرِّسَالَةِ أَيُّكَ الْكَاتِبِ آمَنِينَ ۝١ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا
 عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ
 بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ
 لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۝٣ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ
 أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۝٤

١١٨- ولو شاء ربك أيها النبي لجعل الناس كلهم على دين واحد، ولكنه أراد أن يكونوا مختارين لتحقيق مبدأ العدل في الثواب والعقاب، ولا يزالون بعد ترك الاختيار لهم مختلفين في الحق بسبب اتباع الأهواء.

١١٩- ولا يزالون مختلفين إلا من رحم الله، فهداهم بقضله إلى الدين الحق، ولتحقق هذه الإرادة غير الجبرية خلقهم مختارين، وكذلك خلقهم لرحمته، وثبت قضاء الله وأمره أنه يملأ جهنم بسبب الكفر والمعصية من الجن والإنس منهما أجمعين لا من أحدهما.

١٢٠- وكل نبأ نقص عليك أيها النبي من أنباء الرسل، من أجل تثبيت قلبك على أداء الرسالة وعلى تحمل الأذى، وجامك في هذه السورة المتضمنة بعض قصص الأنبياء وأدلة الإيمان ما هو حق ثابت من ربك، وعظة وتذكير للمؤمنين أهل الحق بحسن العاقبة.

١٢١- وقل أيها النبي للذين لا يؤمنون بهذا الحق ورسالة الإنقاذ: اعملوا ما يمكنكم عمله من الشر في حقي بحسب منهجكم، إنا عاملون بمنهجنا ودعوتنا إلى الخير.

١٢٢- وانتظروا عاقبة أمركم ومصير كفركم وتكذيبكم، إنا منتظرون تحقيق هذا المصير.

١٢٣- والله وحده علم جميع ما غاب عن الناس في السموات والأرض، وإليه مرجع جميع الأمور يوم القيامة، فيجازي كل واحد بعمله، فاعبد ربك وحده ومن معك من المؤمنين، وفوض أمرك إلى الله في جميع أمورك، فإنه كافيك، وليس يخفى على الله كل ما تعملون من خير أو شر، بل هو عالم به، ومجازي عليه.

سورة يوسف

سمى الله تعالى هذه السورة أحسن القصص، وآيات للسائلين، وعبرة لأولي الألباب، وتصديق الكتب السماوية السابقة. سبب نزولها: أن كفار مكة لقي بعضهم اليهود، وتباحثوا في شأن محمد ﷺ، فقال لهم اليهود: سلوه، لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر، وعن قصة يوسف، فنزلت.

١- ﴿الر﴾ ألف لام راء: إشارة لإعجاز القرآن وتحدي العرب بمعارضته ما دام مكوناً من حروف اللغة العربية التي لهم فيها آفانين البيان وسحر الفصاحة والبلاغة، تلك الآيات في هذه السورة هي من آيات القرآن الظاهر في أنه من عند الله.

٢- إنا أنزلنا هذا القرآن بلفظ العرب، لكي تعلموا معانيه، وتفهموا ما فيه، لبناء شخصية الفرد والجماعة.

٣- نحن نقص عليك أيها النبي أحسن القصص (الأخبار) عن الأمم الماضية، بإيحائنا إليك هذا القرآن المحكم، وإن كنت من قبل الوحي لا تعلم شيئاً عن هذه القصة وغيرها من قصص القرآن، وسميت هذه السورة أحسن القصص، لما فيها من العبر والعظات، وسيرة الأنبياء والصالحين والملائكة والملوك والمماليك والتجار والرجال والنساء، ولأن كل من ذكر فيها كان من السعداء، قال ابن عباس: قالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا؟ فنزلت: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص...﴾ [٣].

٤- اذكر حين قال يوسف لأبيه يعقوب عليهما السلام: يا أبت (يا بئدا يا المتكلم تاه في نداء الأب أو الأم) إني رأيت في المنام أحد عشر كوكباً (أي إخوته) والشمس والقمر (أي أباه وأمه) رأيتهم ساجدين لي، وصفوا بصفة العقلاء، بسبب السجود الذي هو سجود تحية لا سجود عبادة.



قَالَ يَبْنِي لَا تَقْصُصْ رُءُوكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا
إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ
رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ
وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ
وَأَسْحَىٰ إِنْ رَأَيْتَ بِكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ
وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلنَّاسِ بَالِغِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالَ لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ
أَحْبِبْ إِلَيَّ آيِسًا مَنَاوِعُنْ عَصَبَةً إِنْ أَبَانَا لِيُضِلَّنِي ﴿٨﴾
أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ طَارِعُوهُ أَرْضًا يَجْعَلْ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ
وَيَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا
يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ الْحَبِّ لَنَقُطَّهُ بَعْضَ السَّيَّارَةِ
إِنْ كُنْتُمْ قَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْتِنَا عَلَىٰ يُوسُفَ
وَأَنَّا لَهُ لِلْخِصُونِ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَا غَدًا يَسْرِعَ وَيَكْتُمُ
وَأَنَّا لَهُ لَلْخِطُوطُ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنْ يَجْزِي أَنْ تَذْمُوهَا بِهِ
وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ وَأَنْزِعُنْهُ عَنْكُمُ ﴿١٣﴾ قَالُوا
لَنْ نَأْكُلَهُ الذَّنْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿١٤﴾

٥- قال يعقوب بن إسحاق: يا بني، لا تخبر
إخوتك بالرؤيا لئلا يحسدوك، ويدبروا لك تدبيراً
خفياً قد يضرك، فإن الشيطان للإنسان عدو ظاهر
العداوة، ومهمته إيقاع الفتنة بين الناس.

٦- ومثل ذلك الاختيار والاصطفاء يشارك
ربك ويصطفيك على سائر العباد، لمهمة عظيمة،
ويعلمك تعبير الرؤيا: وهو الإخبار بما يزول إليه
الشيء في الوجود، ويتم نعمته عليك بالنبوة
والملك، وفي ذلك خير الدنيا والآخرة، ويتمها
على ذرية يعقوب، كما أتمها بالنبوة على جدك:
إبراهيم، إذ نجاه الله من النار، واتخذته خليلاً،
وجعله نبياً رسولاً، وإسحاق الذي جعله أيضاً نبياً
رسولاً، إن ربك عليم بمن كان أهلاً للاصطفاء،
حكيم في صنعه وتدبيره، يضع الشيء في موضعه
الصحيح. وكلمة ﴿آل﴾ لا تستعمل إلا في أتباع
العظيم والعظماء.

٧- لقد كان في قصة أو خبر يوسف وإخوته عبر
وعظات للسائلين عن قصصهم، وبراهين
وعلامات دالة على صدق نبوة محمد ﷺ للسائلين
(المفسرين) له من اليهود عن قصة يوسف، كما
تقدم بيانه، ودلائل أيضاً على قدرة الله تعالى
وحكمته ولطفه بعباده الذين يختارهم للنبوة.

٨- إنها لعبرة حين قال إخوة يوسف (وهم أحد عشر) لأبيهم: قسماً كيوسف وأخوه بنيامين شقيقه من أمه
أحب إلى أبينا منا كلنا، ونحن جماعة قوية تقدر على خدمته، إن أبانا لفي خطأ واضح في الرأي بإيثار يوسف
وأخيه بالمحبة دوننا.

٩- قال أكثر الإخوة: اقتلوا يوسف أو القوه في أرض بعيدة عن أبيه وعن العمران، يَصْفُ ويخلص لكم
توجه أبيكم ومحبته، وتكونوا من بعد هذا الفعل بالقتل أو الإبعاد قوماً صالحين مع أبيكم وفي أمور دينكم
ودنياكم، بالبعد عن القلق النفسي والغيرة والحسد، والتفات الأب إليكم وحدكم.

١٠- قال أحد الإخوة وهو يهوذا: لا تقتلوا يوسف، والقوه في قعر البئر الذي يغرب عن رؤية البصر، إن
كتمت فاعلين به شيئاً بقصد الإبعاد عن أبيه، فهم إذن غير أنبياء.

١١- قال الإخوة بعد اتفاقهم على الإبعاد: يا أبانا ما لك لا تأتينا على يوسف وتخاف عليه منا، وإننا له
لناصحون: نشفق عليه ونريد له الخير.

١٢- أرسله معنا غداً إلى البرية أثناء خروجنا للمرعى، ينشط ويأكل من الفاكهة والزرع، ويلعب بالسهم
والمسابقة المباحة، وإننا لحافظون عليه من أن يناله مكروه، والبعد عن إضراره.

١٣- قال يعقوب لهم: إنني أحزن لغيبه يوسف بذهابه معكم وفراقه إلي، وأخاف أن يفترسه الذئب
الكاسر، وأنتم عنه لاهون مشغولون باللعب ونحوه.

١٤- قالوا لأبيهم: والله لئن أكله الذئب، ونحن جماعة قوية، إننا لعاجزون ضعفاء مستحقون لوصف
الحسارة.

٢٣- وراودته زليخا امرأة العزيز التي هو في بيتها عن نفسه، والمرادة: المطالبة برفق ولين وخداع، وطلبت منه أن يواقعها، وأحكمت إغلاق الأبواب، وقالت له: هلم وأقبل، تهيأت لك، قال لها: أعوذ بالله وأتحصن من الجهل والفسق، مما دعوتني إليه، كيف أفعل ذلك، والحال إن زوجك سيدي (قطفير) أحسن مقامي وأكرمني، وجعلني مؤتمناً على أموره، فلا أخونه، إنه لا يفلح الظالمون الذين يقابلون الإحسان بالإساءة. وقيل: إن الضمير لله تعالى، فإنه أحسن إقامتي في بلد الغربة.

٢٤- ولقد مال كل واحد منهما إلى الآخر بمقتضى الطبيعة البشرية، لكنها كانت مصرة تريد الوقوع، وهو لا يريد الإيقاع، لولا وجود النبوة وتذكره عهد الله ومراقبته بالطاعة لخالطها، مثل ذلك التثيت وروية برهان الله للتذكر، لنصرف عنه خيانة العزيز في أهله، ونصرف عنه فاحشة الزنى، إنه من عبادنا الذين استخلصهم واجتباهم لرسالته وطاعته، أي طهرهم من النقائص.

٢٥- وتسابقا إلى الباب، يوسف يريد الفرار والخروج، وامرأة العزيز تريد أن تمنعه، وشقت

قميصه من خلف أثناء هربه منها، ووجدوا زوجها عند الباب، قالت محتالة مستترة على نفسها مخافة الاتهام بالفجور: ما جزاء من أراد بزوجتك فاحشة، إلا السجن أو التعذيب الشديد الألم بالجلد انتقاماً منه؟

٢٦- قال يوسف دفاعاً عن نفسه: هي طلبت مني ذلك ولم أرد بها سوءاً، وشهد طفل في المهد من أنوارها، أنطقه الله، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ في ذكر من تكلم بالمهد، ومنهم شاهد يوسف، فقال: إن كان قميصه شقاً أو قطع من أمام، فصدقت في قولها، وهو من الكاذبين في قوله، وعند طائفة كبيرة من المفسرين أن الشاهد لم يكن طفلاً وإنما رجل كبير هو ابن عمها.

٢٧- وإن كان قميصه شقاً من خلف، فكذبت في ادعائها عليه، وهو من الصادقين في دعواه عليها.

٢٨- فلما رأى العزيز زوجته أن ثوب يوسف شق من خلف، برآه، وقال لزوجته: إن هذا الأمر المختلف فيه من تدبير النساء ومكرهن، إن مكركن أيها النساء عظيم، أي أشد دهاء وتأثيراً في النفس. والكيد: المكر والحيلة.

٢٩- وتابع العزيز قوله: يوسف أعرض عن هذا الأمر واكتمه ولا تتحدث به، واستغفري أيتها المرأة لذنبك الذي وقع منك، إنك كنت بسببه من الأكثمين.

٣٠- وقال جماعة من نسوة مدينة مصر لما شاع الخبر: امرأة العزيز تراود غلامها المملوك عن نفسه، طالبة منه الموافقة، وهو متمتع عنها، قد دخل حبه شغاف قلبها، أي غلافه، إنا لنراها بهذا الفعل في خطأ واضح. واسم المرأة: زليخا، والعزيز: لقب وزير ملك مصر.

وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَىٰ بَرَاهُنَّ رَيْبَهُ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّؤْنَ وَالْفِتْنَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْخَاصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جِئْتُكَ مِنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءَ إِلَّا أَنْ يَجُنَّ أَوْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ سَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ أَنْ كِيدُكُمْ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفَرَ لِذَنْبِكِ إِنَّكَ كُنتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾



٣١- فلما سمعت امرأة العزيز باغتيالهن وتديرهن الخفي أو نقدهن - وسمي مكرأ؛ لأنهن لم يقصدن الغيرة على الفضيلة، وإنما قصدن إخراجها حتى تطرده، ويستأثرن به - دعتهن إلى وليمة ليعذرنها وتوقعهن فيما وقعت به، وهيات لهن وسائل في مجالس يتكثن عليها، وقال ابن عباس: التكاؤ: هو فاكهة الأرنج، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً لتقطع طعام، وقالت ليوسف: اخرج عليهن، فلما رأيته أعظمته، وراعهن حسنه، حتى اضطربن، وجرحن أيديهن بالسكاكين، وقلن بقصد التعجب من جماله: تنزيهاً لله عن العجز، وتعجباً من قدرته على خلق مثله، ما هذا الفتى بشراً؛ لأن جماله الفائق لم يعهد في البشر، ما هذا إلا ملك كريم، لما في الطبع أن الملائكة راعوا الحسن بارعو الجمال.

٣٢- قالت امرأة العزيز حيثئذ: فهذا هو الفتى الذي عيرتني في حبي له، ولقد راودته عن نفسه، فامتنع امتناعاً شديداً، ولئن لم يفعل ما أمره به، ليحبسن في السجن، وليصيرن من الأذلاء المهانين بسلب النعمة والتعرض للإهانة.

٣٣- قال يوسف مناجياً ربه تعالى: يارب

دخول السجن الذي هددتني به هذه المرأة، أرغب إلي بما يدعونني إليه من المعصية، وإن لم تصرف عني مكرهن واحتيالهن، أمل إليهن وأوافقهن على مرادهن، وأكن حيثن من فئة الجهال السفهاء الذين يتورطون بالمنكرات عن طيش. وهذا لجوء إلى الله تعالى عند اشتداد البلاء وتعظم الفتنة.

٣٤- فأجاب الله دعاءه ولطف به، وعصمه من المعصية، وأذهب عنه مكرهن، إنه سبحانه سميع الدعاء، عليم بحال المنتجي إليه.

٣٥- ثم ظهر لعزیز مصر وجماعته المستشارين، من بعد رؤية العلامات الدالة على براءة يوسف، ليحبسن يوسف في السجن إلى مدة غير معلومة، لينقطع كلام الناس.

٣٦- ودخل مع يوسف السجن غلامان آخران للملك: الساقى والخباز، فرأياه يفسر الرؤيا، فحاولا اختباره، فقال أحدهما وهو الساقى: إني رأيت في المنام أني أعصر عنباً لصنع خمر منه، وقال الآخر وهو الخباز إني رأيت في المنام أني أحمل خبزاً تتناول الطير منه، أخبرنا بتأويل رؤيانا، إنا نراك يا يوسف من الذين يحسنون تعبير الرؤيا، ويحسنون معاملة الناس.

٣٧- قال يوسف: تعلمان أنه لا يأتيكما طعام إلى السجن من جهة الملك إلا أخبركما بما هيته ونوعه قبل مجيئه، ذلكما التأويل والإخبار بالغيبات، مما علمني ربي بالوحي والإلهام، لا بالكهانة والتنجيم، إني تركت دين قوم كفروا بالله واليوم الآخر، وهو ملة ملك مصر وغيره.

فلما سمعت مكرهن أنزلت إليهن وأعدت لهن مكرهاً وءاتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت أخرج عليهن فلما رأيته رأته قطعن أيديهن وقلن حسبه ما هذا بشراً إنا نلذنا إلاملك كبيراً ٣١ قالت فذلك الذي كنتنني فيه ولقد راودتني عن نفسي فاستصمم ولئن لم يفعل ما أمرتني ليجعلن وليكوا من الصغرين ٣٢ قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ولا أنصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الخالدين ٣٣ فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن والله هو السميع العليم ٣٤ ثم دعا لهم من بعد ما رآوا الآية ليجعلنه حتى يحين ٣٥ ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خبزا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تاكل الطير منه ننشأ بتأويله إنا نراك من المحسنين ٣٦ قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نأتياكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما علمني ربّي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخره هم كفروا ٣٧

٣٨- واتبعت دين آبائي، أي أجدادي: إبراهيم وإسحاق ويعقوب. سماهم آباء لترغيب صاحبيه في الإيمان بالله. ما صح لنا أن نشرك بالله شريكاً في عبادته، أي شيء كان الشريك صنماً أو ملكاً، ذلك التوحيد والإيمان من أفضال الله ومكارمه علينا، وعلى الناس كافة، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على أفضاله ونعمه.

٣٩- يا صاحبي في السجن، هل الأرباب المتعددون في ذواتهم وصفاتهم خير للعبادة، وهم لا يضررون ولا ينفعون، أم الله الواحد المتفرد بالالوهية المعبود بحق الغالب لكل شيء، النافذ القدرة؟!

٤٠- ما تعبدون من غير الله من الأصنام والأوثان إلا مجرد أسماء لا حقيقة لها، سميتوها آلهة أنتم وأباؤكم من تلقاء أنفسكم، لكونها جمادات لا تسمع ولا تبصر، ولا تضر ولا تنفع، ما أنزل الله ولا أوحى لعبادتها من حجة وبرهان، ما الحكم النافذ في كل شيء إلا الله وحده، ذلك هو الدين المستقيم الثابت، ولكن أكثر الناس وهم

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْحَبِي آلِ يَحْيَىٰ أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ لَكُمْ إِلَّا اللَّهُ أَمْرًا لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِسْمُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْحَبِي آلِ يَحْيَىٰ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ مَا كُلُّ الطَّيْرِ مِنْ رَأْسِهِ فَخُصِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفِينَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ أُنُوفٍ فِي رِيءِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرَّءْيِ يَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَصَعْتُكَ أَحَلِّمْ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

الكفار لا يعلمون ذلك كله.

٤١- يا صاحبي في السجن، هذا تأويل رؤياكما: أما أحكما وهو الساقى فسيعود إلى ما كان عليه، ويخرج من السجن، ويسقي سيده الملك خمرًا، وأما الآخر وهو الخباز فيصلب، ويبقى مصلوباً، حتى تأكل الطير من رأسه، فقالا: كذبنا وما رأينا شيئاً، فقال يوسف: فرغ من الأمر الذي سألتما عنه، صدقتما ما كذبتما.

٤٢- وقال يوسف للذي توقع نجاته وهو الساقى: اذكر صفاتي التي شاهدتها عند سيلك الملك، وذكّر به متى رجعت إليه، لينصفني ويطلق سراحى، فأنساه الشيطان تذكير الملك بيوسف، فبقي يوسف في السجن بضع سنين: من الثلاث إلى التسع.

٤٣- وقال ملك مصر الأكبر الذي كان العزيز وزيراً له: إني رأيت في المنام سبع بقرات يتلعهن سبع بقرات ضعاف مهازيل، وسبع سنابل خضر معقودة الحب، الثوت عليها حتى غلبتها سبع آخر يابسات، يا أيها الأشراف من الحكماء والعلماء: أخبروني بتعبير ومعنى هذه الرؤيا، إن كنتم تعرفون تعبيرها وتفسيرها.

٤٤- قال الملأ: هذه الرؤيا أخلاط أحلام أي خواطر وخيالات كاذبة، ولسنا بتأويل المنامات الباطلة بعالمين، فلا تأويل لها عندنا.

٤٥- وقال الذي نجا من الغلامين من العقوبة وهو الساقى، وتذكر يوسف بعد مدة من الزمان: أنا أخبركم بتأويل هذا المنام بسؤال عالم بالتأويل، فأرسلوني إلى يوسف في السجن، لأقص عليه الرؤيا، فيخبرني بتأويلها.

٤٦- يا يوسف الكثير الصدق: أخبرنا عن رؤيا من رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع ضعاف، وسبع سنبلات خضر تتلوي عليها سبع آخر يابسات، رآها الملك في منامه، لعلي أرجع إلى الناس: الملك وأصحابه، لعلهم يعلمون تأويل هذه الرؤيا، ويعلمون فضلك ومنزلتك في العلم، فتخرج من السجن.

٤٧- قال يوسف: ازرعوا الأراضي سبع سنين متوالية متتابعة على عادتكم المستمرة، وهي تأويل السبع البقرات السمان، والسبع السنبلات الخضر، فما حصدم في كل عام، فاتركوا المحصول في سنبله أي عيدانه، ثلثا يأكله السوس، لإقلال ما يخص للأكمل في تلك السنين، فادرسوه.

٤٨- ثم يأتي من بعد تلك السنين الخصبة سبع سنين مجدبة صعبة، وهي تأويل السبع الضعاف الضعاف، يأكل أهلها ما ادخرتم لأجلهن- وأسند

الأكمل للسنين للمبالغة- لإقلال ما تحرزون وتدخرون للبذار للزرع القادم.

٤٩- ثم يأتي من بعد هذه السنين المجدبة عام فيه يغاث الناس بالمطر، ويأتي الفرج الإلهي بفيضان النيل لاعتماد زراعتهم عليه، لا على المطر، وفيه يعصرون ما يقبل العصر كالعنب والزيتون والسمسم، وكل ذلك من تعليم الله تعالى.

٥٠- وقال الملك لمن حوله بعدما جاءه الرسول بتعبير الرؤيا وسمع عن أفضال يوسف: اثنتوني يوسف لأستمع منه، فلما جاء رسول الملك يدعو يوسف إلى مقابلة الملك، قال يوسف قاصداً إظهار برائه: أرجع إلى سيدك، فاطلب منه أن يسأل: ما حقيقة حال النسوة اللاتي قطعن أيديهن وما سبب ذلك؟ إن ربي تعالى عالم بما صنعن وبما أضمرن ومكرن؟

٥١- قال الملك للنسوة اللاتي اجتمعن مع امرأة العزيز: ما شأنكن وما قضيتكن حين راودتن يوسف عن نفسه، هل وجدتن منه ميلاً إليكن؟ قلن: معاذ الله أن يكون يوسف متهماً، وهذا تعجب من شدة عفته، ما علمنا عليه من ذنب، قالت امرأة العزيز: الآن ظهر الحق جلياً، أنا التي راودت يوسف عن نفسه، وإنه لصادق في تبرة نفسه.

٥٢- قال يوسف: فعلت ذلك وطلبت التحقق في الأمر والبراءة قبل مغادرة السجن، ليعلم العزيز أنني لم أخنه في أهله وهو غائب عني، وأن الله لا يسدد ولا ينفذ ولا يوفق الخائنين في تديبرهم الخفي، هذا تفسير الزمخشري. ورأى أبو حيان أن هذا القول من المرأة، لتظهر أنها لم تسع لسمعة يوسف وعفته في غيبته.

وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتَكَبُ
بِنَاوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي
سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ
خُضْرٍ وَأُخْرًا يُبَسِّتُ لَعَلِّي أَدْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ
﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ
فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ سَبْعُ سِنٍ شَدِيدًا يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ
﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يَغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ
يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ اثْنُونِي بِهِ فَلَمَّا بَلَغَ أَهْلُ الرَّسُولِ
قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَتَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ
أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ
إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلَّمْنَا عَلَيْهِ
مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ إِنَّنِ حَصَصَ الْحَقُّ أَنَا
رَاوِدُكُمْ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي
لَا أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾

٥٣- وتابع يوسف كلامه (على التفسير الأول): وما أبرئ نفسي من الخطأ والزلل، إن شأن النفس كثيرة الأمر باتباع الهوى والشهوة، إلا ما رحم ربي من النفوس فعصمها من الوقوع في المعصية، إن ربي كثير المغفرة للمستغفرين، واسع الرحمة بالتائبين الصالحين. وعلى التفسير الثاني لأبي حيان: إن هذا من تنمة كلام امرأة العزيز، متصل بما قبله: ﴿الآن حصحص الحق﴾ [٥١].

٥٤- وقال ملك مصر: اتوني بيوسف من السجن أجعله خالصاً لنفسي، من خاصتي وأهل مشورتني، فلما كلم الملك يوسف وشاهد منه الرشيد والفضيلة والذكاء والبراءة، قال له: إنك اليوم ذو مكانة ومنزلة، مؤتمن على كل شيء.

٥٥- قال يوسف للملك: اجعلني والياً على خزانة أموال أرض مصر، إني أحسن الحفاظ على مصالحها وضابط لها، وذو علم بأمرها.

٥٦- وكإنعامنا على يوسف بالخلاص من السجن، جعلنا له مكانة في أرض مصر، بالتصرف في شؤونها، كما يتصرف الرجل في منزله، وهذا يدل على جواز تولي الأعمال للسلطان الجائر أو الكافر إذا تمكن من القيام بالحق، نرحم من نشاء في الدنيا

﴿وَمَا أَزِيْرُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾^{٥٣} **إِذْ رَفَعَ عَنَّا رَحِمَهُ** ^{٥٤} وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ لَأَسْخَلُصَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ^{٥٥} قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ^{٥٦} وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ^{٥٧} وَلَا جَبْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ^{٥٨} وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ^{٥٩} وَلَمَّا جُمِعَ إِخْوَاهُ زَمِرُوا قَالِ اتُّؤْتِنِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ الْآخِرُونَ أَيْ أَوْفِي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ^{٦٠} فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَّكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونَنِي ^{٦١} قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ^{٦٢} وَقَالَ لِيُوسُفَ اجْعَلُوا بِصَنَئِهِمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ^{٦٣} فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَيْهِمْ قَالُوا إِنَّا أَنَا مَعَ نَاسٍ لَّا كَيْلَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَّحْمِلْ وَاتِّبَاعًا لَّهٖ لِيُحْفَظُونَ ^{٦٤}

والآخرة، ولا نضيع ثواب المحسنين، بل نوفيهم أجورهم كاملة غير منقوصة.

٥٧- ولثواب الآخرة أفضل وأعظم من ثواب الدنيا بسبب دوامه، للمؤمنين بالله ورسوله، وخافوا الله، وتجنبوا الشرك والفواحش، وحذروا العقاب، فأتاعوا ربهم.

٥٨- وجاء إخوة يوسف وهم أحد عشر إلاً بنيامين، من أرض كنعان. فلسطين إلى مصر ليمتاروا ويشتروا الطعام (الحبوب) بعد إصابتهم بالقمح، فدخلوا على يوسف، فعرفهم أنهم إخوته، وهم جاهلون به؛ لأنهم فارقوه صبياً مراهقاً.

٥٩- ولما أعطاهم ما طلبوا من الميرة وأوفى لهم الكيل من القمح، قال لهم: اتوني بأخ لكم وهو بنيامين أخو يوسف الشقيق في المرة القادمة لأعلم صدقكم فيما قلتم، ألا ترون أنني أتم الكيل، وأنا خير المضيفين في هذه البلاد.

٦٠- فإن لم تأتوني به، فلا ميرة لكم عندي ولا أبيعكم الطعام، ولا تقربوا بلادي.

٦١- قالوا: سنجتهد في طلبه من أبيه، وإنا لفاعلون ذلك لا نتوانى.

٦٢- وقال يوسف لعلمانه الكياليين: اجعلوا ثمن ما أتوا به من الطعام، في أوعيتهم، لكي يعرفوها ويعرفوا حق رفقها، فيطمعوا في العودة، إذا رجعوا إلى أهلهم فوجدوها فيها، لعلهم يرجعون إلينا، فتكون معرفتهم ذلك داعية لهم للرجوع.

٦٣- فلما عادوا من سفرهم إلى أبيهم، قالوا: يا أبانا حُكِمَ بمنع كيل الطعام منا في المستقبل إن لم ترسل معنا أخانا بنيامين، نتمكن به من اكتيال ما نحتاج إليه، فأرسله معنا، لنحصل على الطعام، وإنا حافظون له من أن يناله مكروه.

٦٤- قال يعقوب لأبنائه: هل ائتمنكم على أخيكم بنيامين إلا كما ائتمنتمكم على أخيه يوسف في الماضي حين ذهبتم به إلى البرية ولم تعودوا به؟ وهذا تصرّيح منه بالخوف من خيانتهم في الحالتين، فالله خير حافظ له أثق به واتوكل عليه، وهو سبحانه أرحم الرحماء بي، يرحم كبري وتعلقني بولدي، وأرجو أن يردّه علي، ويجمع الشمل.

٦٥- ولما فتحوا أوعية طعامهم، وجدوا فيها ثمن الطعام قد رد إليهم، قالوا: يا أبانا، ما الذي نطلبه أكثر من هذا الإكرام، من إعطاء الغلال وإعادة الثمن؟ هذه نقودنا ردت إلينا بفضل الله، ونجلب الميرة (الطعام) ونحفظ أحناءنا في الذهب والإياب، ونزاد مكيل بعير بوجود أخينا بنيامين معنا، ذلك المكيل الزائد من الحبوب سهل الحصول عليه، والعطاء على الملك، لسخائه وتوافر الغلال لديه.

٦٦- قال يعقوب لأولاده: لن أرسل بنيامين معكم، حتى تعطوني عهداً مؤكداً بالحلف بالله عليه لتردنه إلي، إلا أن يغلب عليكم عدو،

وتعرضوا للهلاك، فتهلكوا دونه، فتعذرون عندي، فلما أعطوه عهدهم بما طلب وتنفذ ما أمر باليمين، قال يعقوب: الله على ما نقول من طلب الميثاق والإتيان بالأخ شهيد رقيب مطلع، يعاقب من نقض العهد وحنث في اليمين.

٦٧- وقال يعقوب يوصي أبنائه: يا أولادي لا تدخلوا مصر من باب واحد، خوفاً من الضرر أو الحسد أو إصابة العين، وادخلوا من أبواب متفرقة، كيلا تلفتوا الأنظار إليكم، وما أدفع عنكم بوصيتي هذه أو تديري شيئاً من قضاء الله وقدره عليكم، ما الحكم إلا لله وحده، عليه اعتمدت، وبه وثقت، لردكم إلي جميعاً بسلام، وعليه فليعتمد المؤمنون المفوضون إليه في جميع أمورهم.

٦٨- ولما دخل أبناء يعقوب من الأبواب المتفرقة، ما كان يفيد عنهم ذلك الدخول من قضاء الله عليهم شيئاً، فإنه سبحانه قدر أخذ يوسف أخاه بنيامين زيادة في المصائب، ولكن حاجة في نفسه: وهي شفقتهم وحرصه على سلامتهم، أظهرها لهم ووصاهم بها، وقد نفذوا الوصية، وقضاء الله فوق كل تدبير، وإن يعقوب عالم بما علمناه نحن الإله إياه، ومن تعاليمه: أن الحذر لا يمنع القدر، وأن العين لا تضر إلا بإذن الله، ولكن أكثر الناس، وهم الكفار لا يعلمون سر القدر، وأن التوكل والاعتماد على الله لا يمنع الأخذ بالأسباب وأخذ الحذر والتعقل.

٦٩- ولما دخلوا على يوسف، ضم إليه أخاه في غفلة منهم، وقال له سراً: أنا أخوك يوسف، فلا تحزن بما كانوا يعملون معنا في الماضي، من الحسد، وأمره ألا يخبرهم بهذا.

قَالَ هَلْ ائْتَمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ائْتَمَنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ
فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مِصْرَهُمْ
وَجَدُوا بِصُفْعَتِهِمْ رُءُوسَ إِلَهِهِمْ فَعَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي
هَٰذِهِ بِصُفْعَتِكَ رُءُوسَ إِلَٰتِنَا وَمِنْ قَبْلِكَ نَحْفَظُ أَخْنَاءَنَا وَنَزِدُكَ
كَيْلَ بَيْسٍ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَنَا تُنْفِي بِهِ
إِلَّا أَنْ يَخَاطَبَكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ
وَكَيْلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ
أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِنَ شَيْءٍ إِنْ أَتَيْتُمْكُمْ إِلَّا
لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ
اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ
لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلِمَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي
أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْشِيرُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

٧٠- فلما زودهم بالطعام، جعل خُفْيَةً وعاء السقاية والكيل الذي هو الصِوَاع أو المكيال في وعاء طعام أخيه بنيامين الذي اشتراه من مصر، ثم نادى مناد قبل المغادرة: يا أصحاب القافلة (العيير المحملة المركوبة) إنكم لصوص سارقون.

٧١- قال إخوة يوسف، وهم مقبلون على المنادي من أتباع الملك: ماذا تفقدون من الأشياء؟

٧٢- قالوا لهم في الجواب: نفتقد صاع الملك الذي يباع به وهو السقاية، ولمن جاء بالصاع بنفسه حمل بعير، وأنا به كفيل، أي بحمل البعير (الجمال). ويعاد الضمير للصِوَاع مذكراً ومؤنثاً.

٧٣- قال أبناء يعقوب: بالله إنكم معشر يوسف وأصحابه تعلمون يقيناً من خلال مرتي المجيء السابقين أننا ما أتينا بلادكم لنعصي الله في أرضكم، ونحن أبرياء لسنا بسارقين.

٧٤- قال المنادي وأصحابه: فما جزاء السارق عندكم في شرعكم إن كنتم كاذبين في ادعاء البراءة من السرقة؟

٧٥- قال أبناء يعقوب: جزاء السارق للصِوَاع:

أخذ الرجل الذي يوجد الصِوَاع في رحله عبداً رقيقاً للمسروق منه، فهو جزاؤه العادل، بمثل ذلك الجزاء نجزي السارقين في شريعتنا- شريعة يعقوب.

٧٦- فبدأ المفتش يوسف بتفتيش أوعية الإخوة العشرة قبل وعاء أخيه بنيامين دفعاً للتهمة، وحبكاً للحيلة المدبرة، ثم استخرج الصِوَاع من وعاء بنيامين أخيه، مثل ذلك ألهمنا يوسف هذا التدبير الخفي لياخذ أخاه، فلولا ذلك ما كان ليستبقي أخاه في شريعة الملك التي كان عليها، والتي تكفي بضرب السارق وتغريمه ضعف قيمة المسروق، إلا في حال مشيئة الله وإذنه ووجيه، نرفع بالعلم والحكمة منازل من نشاء من عبادنا، وفوق كل عالم أعلم منه وأرفع منزلة، حتى ينتهي العلم المطلق إلى الله تعالى.

٧٧- قال إخوة يوسف بدافع الحقد والكراهة في أنفسهم: إن يسرق بنيامين أخونا من أبنائنا الصِوَاع، فقد سرق أخ شقيق له من قبل، وهو يوسف، قيل في الروايات المنحولة: إنه في صغره أخذ صنماً من ذهب لجدّه أبي أمه، فكسره وألقاه في الطريق، تغييراً للمنكر، فأخفى يوسف هذه التهمة في نفسه، ولم يُظهر لهم تأثيره منها، وقال في نفسه: أنتم شر موضعاً عند الله ممن اتهمتموه بالسرقة، وهو بريء، لخياتكم أخاكم وظلمكم له، والله أعلم بحقيقة ما تقولون وتكذبون، وما تزعمون من نسبة السرقة إلى يوسف.

٧٨- قال إخوة يوسف مسترحمين: يا أيها العزيز، إن له أباً شيخاً كبيراً في السن هرمأ، يحبه حباً شديداً، ويتسلى به عن ولده الهالك، ويحزنه فراقه، فخذ أحدنا عبداً غيره مكانه، إنا نراك من المحسنين في أفعالك إلينا وإلى الناس كافة، فأتمم إحسانك بهذا المطلب. والخطاب بصفة العزيز دليل على أن يوسف بمرتبة وزير.

فَلَمَّا تَخَرَّجَهُمْ بَيْعًا زَوَّجَهُمْ بِنْتَيْهِمَا وَفِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ
أَدْنَىٰ مَوْزَنَ أَيُّهَا الْعَبْرِيُّ لَكُمْ لَسِّرِقُونَ ﴿٧٠﴾ فَأَلَوْا وَأَقْبَلُوا
عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧١﴾ فَأَلَوْا تَفْقَدُ صِوَاعَ الْمَلِكِ
وَلَمِنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ فَأَلَوْا تَأَلَّاهُ
لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُم بِالنَّفْسِ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ
﴿٧٣﴾ فَأَلَوْا مَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ فَأَلَوْا
حِمْلُ بَعِيرٍ وَمِنْ وَجْدٍ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ
﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ
أَخِيهِ كَذَلِكَ كَذَّبَ الْيُوسُفُ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ فَأَلَوْا إِنْ يَسْرِقُ
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لِّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ
وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ
﴿٧٧﴾ فَأَلَوْا يَأْتِيهِمَا الْغَزِيرُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
فَخَذَ أَحَدًا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾



٧٩- قال يوسف : نلجأ إلى الله من أن نأخذ أحداً إلا الذي وجدنا متاعنا (الصواع) عنده ، وهو بنيامين ، طبقاً لشريعتكم ، إنا لظالمون إن أخذنا غيره مكانه .

٨٠- فلما يتسوا ياساً شديداً من يوسف وإجابته إليهم ، انفردوا مستاجين سرأفيماً بينهم ، قال كبيرهم سنأ : روبيل أو يهوذا ، أو كبيرهم في الرأي : وهو شمعون ، ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم عهداً موثقاً من الله بحفظ أخيك ، وقد سبق لكم من قبل هذا تفريطكم في يوسف ، وحشتم بوعدكم ، فلن أفارق أرض مصر وأرجع إلى أرض كنعان ، حتى يأذن لي أبي بالعودة إليه ، أو يتصرف الله في أمري ، ويخلص أخي ، وهو سبحانه أعدل الحاكمين ؛ لأنه لا يحكم إلا بالحق والعدل .

٨١- ارجعوا إلى أبيكم وحدكم ، قولوا له : إن ابنك سرق صواع الملك ، فاستعبد بحسب شريعتنا ، وما شهدنا عليه بالسرقه إلا بما شاهدناه

من استخراج الصواع من رحله ، وما كنا عالين بما غاب عنا ، فلم ندر أنه سرق .

٨٢- واسأل أهل القرية - أهل مصر ، وأصحاب الإبل (الفاقلة) التي رجعنا معها إلى بلادنا وهم قوم من كنعان ، وإنا لصادقون في قولنا الذي أخبرناك به عن بنيامين .

٨٣- قال يعقوب لهم : لم أصدقكم ، وزيت لكم أنفسكم أمراً معيناً فعلتموه ، كما حدث في سابقة يوسف ، فصبري صبر جميل : وهو الذي لا جزع ولا شكوى فيه لأحد إلا الله تعالى ، لعل الله أن يأتيني بيوسف وأخويه جميعاً ، إنه عليم بحالي وحزني ، حكيم في صنعته .

٨٤- وأعرض يعقوب عن أولاده تاركاً خطابهم ، وقال : يا حزني على يوسف ، وغطت عينيه غشاوة بيضاء حتى كاد لا يبصر ، لشدة بكائه وحزنه على غياب أولاده الثلاثة ، فهو مملوء غيظاً وحزناً ، مغموم مكروب .

٨٥- قال أولاد يعقوب لأبيهم : والله لا تزال تذكر يوسف تفجعاً عليه وتأسفاً لفراقه ، حتى تكون مريضاً مشرفاً على الهلاك ، أو تكون من الموتى ، أي إما قريباً من الهلاك أو تهلك فعلاً .

٨٦- قال لهم يعقوب : إنما أشكو أعظم غمي وأصعبه وحزني إلى الله ، لا إلى غيره ، فهو الذي تنفع الشكوى إليه ، فاتركوني وشكائتي ومعاناتي ، وأعلم من فضل الله وصنعه ، ولطفه ورحمته ما لا تعلمون ، فإنه لا يخيب من دعاه . والبث : الغم الكثير ، والحزن : ألم في النفس من شدة الغم .

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عَنْهُ إِذَا أَظْلَمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطُوهُ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَنْبَرْحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذُنَ لِي أَبِي أَوْ حَكَمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ أَرْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْعَيْبِ حَفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَمِثْلَ الْقُرَى الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَقَوْلَى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضْتُ بَعْدَهُ مِنْ الْحُزَنِ فَهُوَ كَاطِبٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُنَا ذِكْرُ يُونُسَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَشْكُوا بَثْنًا وَحُزْنَ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

٨٧- تابع يعقوب قائلاً: يا أولادي، اذهبوا إلى مصر، فابحثوا واطلبوا خبر يوسف وأخيه، ولا تقنطوا من رحمة الله بتفريج كربنا وهمتنا، إنه لا يقبض من رحمة الله إلا القوم الجاحدون لفضله وقدرته ولطفه. والروح: كل ما يهتز الإنسان بوجوده ويستمتع به.

٨٨- فلما دخل أولاد يعقوب على يوسف، قالوا: يا أيها العزيز أصابنا وأهلنا الضر، أي شدة الجوع والحاجة والمرض من القحط، وجئنا بديارهم رديئة، فاتم لنا الكيل، وتفضل علينا بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا (نقودنا) إن الله يثيب المتفضلين أحسن الجزاء.

٨٩- قال يوسف لهم توبيحاً بعدما رأى جهدهم وضيقهم: هل تذكرون ما فعلتم بيوسف من الضرب والبيع والاحتقار وغير ذلك، وما فعلتم بأخيه بما الحقتم به من الذل والإهانة، وفرقتم بينه وبين أخيه، حين كنتم جاهلين بقب ذلك وعاقبته.

٩٠- قالوا متذكرين نبرات صوته، متنبئين لما

قال في الآية السابقة، على طريق التعجب: أأنك أنت يوسف حقاً؟ قال: أنا يوسف، وهذا أخي الشقيق بنيامين، قد تفضل الله علينا وأنعم بالاجتماع والسلامة والكرامة، إنه من يخف الله، ويصبر على البلاء والمحن، فإن الله لا يضيع ثواب المحسنين الذين جمعوا بين التقوى والصبر، بل يجزيهم خير الجزاء.

٩١- قالوا له: والله لقد اختارك الله وفضلك علينا، والحال أننا كنا مذبذبين بما فعلنا معك، آثمين بما ارتكبنا والخطأ: الآثم الذي يتعمد الخطيئة، والمخطئ: الذي يريد الصواب فيخطئه.

٩٢- قال يوسف: لا تعبير ولا لوم أو تأنيب عليكم اليوم، فقد سامحتكم وعفوت عنكم، بالاعتراف بالذنب، يغفر الله لكم ذنوبكم، وهو سبحانه أرحم الراحمين بمن تاب وأناب، يغفر الصغائر والكبائر.

٩٣- اذهبوا بقميصي هذا الذي كان علي، فألقوه على أخي يعقوب، فمتى يشم رائحتي، يرجع إليه بصره، وعودوا إلي بأهلكم أجمعين، من غير استثناء أحد.

٩٤- ولما انطلقت القافلة وفارقت أرض مصر متجهة إلى الشام، قال يعقوب أبوهم لمن حوله: إني لأشم أو أحس برائحة يوسف، لولا أن تسبونني إلى القند: وهو فساد الرأي وضعف العقل، وتهموني بالخرف: ذهاب العقل من الشيخ الهرم.

٩٥- قالوا له: والله إنك لفي خطئك القديم الذي كنت عليه، بإفراطك في حبه، وتوقع لقائه.

يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسُّوْا مِنْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ أَنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْكَنًا وَأَهْلُنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِضَاعَتِنَا وَجَدْنَا قُورَافَةً لَنَا الْكَيْلَ وَصَدَقَ عَلَيْكَ أَنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ الْمُصْذِقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُمْ مِنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَأَلَّاهُ لَقَدْ أَتَرَكْنَا اللَّهَ عَلَيْهِ وَأِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَرْتِبِ عَلَيْهِمُ الْيَوْمَ بَقِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَوْتِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ وَلَمَّا فَصَلَ الْعَزِيزُ قَالَ أَيُّهُمْ أَشَدُّ بِغَاظِي لِيُحْدِثَ لِيُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٩٣﴾ قَالُوا تَأَلَّاهُ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٤﴾

٩٦- وحينما جاء البشير من مصر وهو يهوذا حاملاً قميص يوسف، ومبشراً بسلامته مع أخيه، القى القميص على وجه يعقوب، فعاد مبصراً من شدة الفرح، وقال يعقوب لأولاده عندئذ: ألم أقل لكم: إني لأجد ريح يوسف، وإني أعلم من الله ما لا تعلمون: وهو ما قلته سابقاً: ﴿لَئِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ، وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٨٦] وهو أن الله سيرد علي يوسف وأخاه ويجمع الشمل.

٩٧- قال أولاد يعقوب: يا أبانا، اطلب من الله أن يغفر لنا سيئاتنا التي ارتكبتها، إنا كنا ملذنين.

٩٨- قال يعقوب: سوف أدعو الله لكم بالمغفرة في وقت مناسب، وهو وقت السحر، حيث يستجاب الدعاء، ولم يبادر بالدعاء للتنبيه إلى سوء فعلهم، والتحقق من إجابة دعائه شفقة على أولاده.

٩٩- فرحل يعقوب عليه السلام بأهله أجمعين، وساروا حتى أتوا مصر، ودخلوا على يوسف عليه السلام، فضم إلى مسكنه أبويه (أباه وأمه أو خالته) وعانقهما وقال: ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله بما تكرهون.

١٠٠- وأجلس أبويه معه على سرير الملك، تكريماً لهما واحتراماً، وسجده لهما الأبوان والإخوة الأحـ

لثاء. فلما أن جاء الشَّيْءُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَانْجَدَّ بَصِيرًا ۚ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا بَلَىٰ أَبَا ۖ أَنَا نَسْتَفْتِيكَ لَأَنذُرَنَّا إِنَّا كَاخِطِينَ ﴿٩٧﴾ أَسْتَغْفِرُكُمْ رَبِّ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ أَوَّحَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَاهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَفَعَ أَبَوَاهُ عَلَىٰ الْكَرْسِ وَخَرُّوا لَهُ مُجْتَعَيْنَ ۚ وَقَالَ يَتَىٰ ۖ هَٰذَا تَوَلَّىٰ زُرَّ ۚ بَيْنَ قُلٍّ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْأَنْدَلُسِ ۖ مِن بَعْدِ أَنْ سَخَّرَ لَنِي ۖ إِنَّهُ مُبْدِي بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مَا كُنْتُ لَا أَعْلَمُ ۚ فَاطْرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنْتَ وَلِيِّ الْغَيْبِ ۖ وَالْآخِرَةُ تَوْفَىٰ مُسْلِمًا ۖ وَالْحَقْنِي بِالصَّلَاحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ ۖ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

عشر سجود انحناء وتحية وتكرمة له، لا سجد عباد، ولا وضع جبهة على الأرض، فإن ذلك كان تحيتهم في زمانهم، وجائزاً في شريعتهم، وقال يوسف: يا أبت، هذا تأويل رؤياي السابقة، أي ماله وأقاربها، قد جعلها ربي حقيقة واقعة، وقد أفاض علي اللطف والإحسان حين أخرجني من السجن وأظهر براءتي، ولم يقل: من الجب (البئر) تكرمًا، لئلا يخلج إخوته في وقت الجمع والصفاء، وجاء بكم من البادية، وهي أرض كنعان بالشام، من بعد أن وسوس الشيطان بالبشر، وأفسد بيني وبين أخوتي، إن ربي رفيق بعباده، لطيف التدبير بدقة، وإيصال الخير يسر وسهولة لما يشاء ويريد، وإنه تعالى هو العليم بخلقه وما يحقق المصالح، الحكيم في صنعه وتدبيره.

١٠٢- ثم دعا يوسف ربه، مقررًا بفضل، شاكرًا أنعمه عليه، بقوله: رب قد آتيتني بعض الملك، وهو ملك مصر، وهو مما يوجب الحمد والشكر، وعلمتني من تعبيري وتفسير أخبار الرؤيا، يا خالق ومبدع السموات والأرض، أنت ناصر ومولي أمري في الدنيا والآخرة، اجعلني في حياتي كلها مسلمًا منقادًا لك، حتى أموت على الإسلام، وألحقني بالصالحين من الأنبياء من آبائي وغيرهم، لأظهر بثوابهم ودرجاتهم عنك.

١٠٣- ذلك المذكور من قصة يوسف من أخبار الغيب، نوحيه إليك أيها النبي، لتخبر به قومك، وما كنت حاضرًا مع إخوة يوسف حين عزموا على إلقاءه في البئر، وهم يكرهون به ويتآمرون عليه، وذلك من تعليم الله لك. وهذا دليل على صدق الإخبار بالغيبيات.

١٠٤- وليس أكثر الناس. ولو حرصت أيها الرسول على هدايتهم. بمصدقين دعوتك، إلا من رحم الله، لتصميمهم على الكفر.



١٠٤- وما تطلب أيها النبي على تبليغ القرآن وتلاوته أجرأ تأخذه، ما القرآن إلا تذكير وعظة للعالمين من إنس وجن .

١٠٥- وكم من آية، أي كثير من الآيات الدالة على وجود الله وتوحيده وكمال قدرته في أنحاء السموات والأرض، يشاهدونها غير متأملين بها، ولا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها .

١٠٦- لا يصدق أكثر الناس بالله، إلا وهم مشركون بالله، يعبدون معه غيره، أي حيث يقرون بوجوده وخالقيته، لكنهم يشبثون له شركاء معه في الخضوع والعبادة، والنذر له، والتقرب إليه بالذبايح .

١٠٧- أفأمن أولئك المشركون أن تعمهم داهية من العذاب الإلهي-والفأشية: ما يغمرهم من العذاب- أو تأتيهم القيامة فجأة، وهم لا يشعرون بوقت إتيانها .

١٠٨- قل أيها النبي: هذه الدعوة والطريقة هي

طريقتي وستي، أَدْعُو إليها على حجة واضحة ويقين، أنا ومن آمن برسالتني واهتدى بهديي، ولست من المشركين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر .

١٠٩- وما أرسلنا من قبلك أيها الرسول إلا رجالاً لا ملائكة، نوحى إليهم بالرسالة لهداية الناس مثلك، من أهل المدن لا بدواً رُحَلَاءَ، أفلم يسافر المشركون في أرض الله، فينظروا مصائر ومصارع الأمم المكذبة الماضية، فيعتبروا بهم، والآخرة بما فيها من خلود ونعيم مطلق خير من الدنيا الفانية، للذين يتقون الله بالطاعة واجتتاب المعصية، أفلا تتفكرون في الأسباب والنتائج فتؤمنوا؟!

١١٠- حتى إذا ينس الرسل من إيمان قومهم، وأيقنوا أن قومهم ظنوا أن الرسل قد أخلفوا ما وعدوا به من النصر، أتاهاهم نصرنا فجأة، فنجى الله من العذاب من شاء من عباده وهم النبي والمؤمنون، ولا يرد عذابنا عن القوم المشركين الذين كذبوا الرسل .

١١١- لقد كان في قصص الرسل عبرة وعظة لذوي العقول السليمة، ما كان هذا القرآن كلاماً يختلق، ولكنه جاء مصداقاً لما قبله من الكتب، وتبيين كل شيء، من أحكام العقيدة والدين والشرعية، وهدى من الضلالة وإلى كل خير، ورحمة يُنال بها خير الدارين، لقوم يصدقون به؛ وخصوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم .

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّهُ هُوَ الَّذِي ذَكَرَ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾
وَكَايِن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَتَوَّأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْثَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُجُنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرًا مِّنْ فَتْحٍ مِّنْ شَاءَ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

سورة الرعد



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْمُرْثَلَاءُ عَلَى إِعْجَازِ الْقُرْآنِ لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَأَنَّهُ
 حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، مِنْ طَرِيقِ تَحْدِيدِ الْعَرَبِ بِمَجَارَاتِهِ
 وَمَعَارَضَتِهِ، مَا دَامَ مَكُونًا مِنْ حُرُوفِ لُغَتِهِمْ
 الْعَرَبِيَّةِ، آيَاتُ هَذِهِ السُّورَةِ وَغَيْرِهَا آيَاتُ الْقُرْآنِ،
 وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ مِنْ رَبِّكَ بِالْوَحْيِ هُوَ
 الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا
 يَصْدُقُونَ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لَعَدَمِ تَأَمُّلِهِمْ وَإِمَاعَانِ
 نَظَرِهِمْ.
 ٢- اللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ قَائِمَاتٍ
 مِنْ غَيْرِ أَعْمَدَةٍ تَسْتَدُّ إِلَيْهَا، ثُمَّ اعْتَلَى عَلَى الْعَرْشِ
 الَّذِي هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْمَخْلُوقَاتِ اعْتِلَاءً يَلِيقُ بِهِ، لَا
 نَدْرِي كَيْفِيَّتَهُ، وَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُ حَقٌّ، بَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا
 تَشْبِيهِ، وَلَا تَأْوِيلَ وَلَا تَعْطِيلَ، وَذَلِكَ الشَّمْسُ
 وَالْقَمَرُ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ وَمَصَالِحِهِمْ، كُلٌّ مِنَ الشَّمْسِ
 وَالْقَمَرِ يَجْرِي فِي فَلَكَهِ إِلَى وَقْتٍ مَعْلُومٍ: وَهُوَ فَنَاءُ
 الدُّنْيَا، وَقِيَامُ الْقِيَامَةِ، يَصْرِفُ الْأَمْرَ عَلَى وَجْهِ
 الْحُكْمَةِ، يَبَيِّنُ الْآيَاتِ الدَّلَالَةَ عَلَى قُدْرَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ، لِنُفُوتِهَا يَا أَهْلَ مَكَّةَ وَأَمَّا لَكُمْ وَتَحَقُّقُ أَكْمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى
 الْبُعْثِ وَالْحِسَابِ.
 ٣- وَاللَّهُ الَّذِي بَسَطَ الْأَرْضَ طَوْلًا وَعَرْضًا لِيَسِيرَ الْعَيْشُ عَلَيْهَا وَالِاتِّفَاعُ بِمَنَافِعِهَا، وَلَا يَنَافِي ذَلِكَ كُرُوبَتُهَا
 بِذَاتِهَا لِتَبَاعُدِ أَطْرَافِهَا، وَخَلَقَ فِيهَا جِبَالًا ثَوَابِتَ، وَأَنْهَارًا تَتَدَفَّقُ بِالْمَاءِ، وَخَلَقَ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَارِ زَوْجَيْنِ: ذَكَرًا
 وَأُنْثَى لِلتَّلَاقِحِ، وَصَنَفَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ كَالْحَلْوِ وَالْحَامِضِ، وَالْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، يَغْطِي اللَّيْلُ
 بِظُلْمَتِهِ ضَوْءَ النَّهَارِ فَيُطْمِسُهُ، إِنْ فِي ذَلِكَ الْمَذْكُورِ لِدَلَالَاتٍ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، لِقَوْمٍ يَتَأَمَّلُونَ، فَيَدْرِكُونَ
 وَجُودَ اللَّهِ وَتَوْحِيدَهُ.
 ٤- وَفِي الْأَرْضِ بَقَاعٌ وَأَجْزَاءٌ مُتَلَاصِقَاتٌ، وَلَكِنَّهَا مُخْتَلِفَةٌ فِي النَّبَاتَاتِ وَالزَّرْعِ وَالْخُصْبَةِ وَنَوْعِيَةِ التُّرْبَةِ،
 وَيَسَاتِيْنُ عَنَبٍ وَزُرْعٍ، وَنَخْلَاتٍ يَجْمَعُهَا أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَتَشْتَعِبُ فُرُوعُهَا، أَوْ أَصْنَافٌ مُتَمَثِّلَاتٌ وَغَيْرُ
 مُتَمَثِّلَاتٍ، وَكُلٌّ مِنَ الزَّرْعِ وَالْأَشْجَارِ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ، وَتَتَفَاضِلُ فِيْمَا يُوْكَلُ مِنْ ثَمَرِهَا شَكْلًا وَطَعْمًا، وَلَوْ أَنَّ
 وَرَاحَتَهُ، وَقَدَرًا وَزَمَنًا، إِنْ فِي ذَلِكَ الْمَذْكُورِ لِدَلَالَاتٍ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فِي عَظَمَةِ الْخَالِقِ،
 فَيُؤْمِنُونَ بِهِ.
 ٥- وَإِنْ تَتَعَجَّبُ أَيُّهَا النَّبِيُّ مِنْ تَكْذِيبِ الْكَفَّارِ لَكَ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، فَالْأَعْجَبُ مِنْهُ تَكْذِيبُهُمْ بِالْبُعْثِ
 وَإِنْكَارُهُمْ لَهُ، وَقَوْلُهُمْ: أَيْمَنُ بَعَثْنَا مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ أَنْ صَرْنَا تَرَابًا مُفْتَتًا؟ أَوَلَيْسَ الْمُنْكَرُونَ لِلْبُعْثِ هُمُ الَّذِينَ
 جَحَدُوا بِقُدْرَةِ رَبِّهِمْ، وَأَوَلَيْسَ الَّذِينَ يُقْبِلُونَ بِالْقِيُودِ فِي أَعْنَاقِهِمْ، وَأَوَلَيْسَ أَهْلُ النَّارِ الْمَاكُثُونَ فِيهَا عَلَى
 الدَّوَامِ.

١- المرثلاء، ألف، لام، ميم، راء: حروف
 للدلالة على إعجاز القرآن للإنس والجن، وأنه
 حق من عند الله، من طريق تحدي العرب بمجاراته
 ومعارضته، ما دام مكوناً من حروف لغتهم
 العربية، آيات هذه السورة وغيرها آيات القرآن،
 والذي أنزل إليك أيها الرسول من ربك بالوحي هو
 الحق الذي لا شك فيه، ولكن أكثر الناس لا
 يصدقون بأنه من عند الله، لعدم تأملهم وإمعان
 نظرهم.

٢- الله وحده هو الذي رفع السموات قائمات
 من غير أعمدة تستند إليها، ثم اعتلى على العرش
 الذي هو من أعظم المخلوقات اعتلاء يليق به، لا
 ندري كيفيته، ونؤمن بأنه حق، بلا تكييف ولا
 تشبيه، ولا تأويل ولا تعطيل، وذلك الشمس
 والقمر لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ وَمَصَالِحِهِمْ، كُلٌّ مِنَ الشَّمْسِ
 وَالْقَمَرِ يَجْرِي فِي فَلَكَهِ إِلَى وَقْتٍ مَعْلُومٍ: وَهُوَ فَنَاءُ
 الدنيا، وقِيَامُ الْقِيَامَةِ، يَصْرِفُ الْأَمْرَ عَلَى وَجْهِ

الحكمة، يبين الآيات الدالة على قدرته وتوحيده، لنفوتها يا أهل مكة وأمّا لكم وتحققوا كمال قدرة الله على
 البعث والحساب.

٣- والله الذي بسط الأرض طولاً وعرضاً لتيسير العيش عليها والانتفاع بمنافعها، ولا ينافي ذلك كرويتها
 بذاتها لتباعد أطرافها، وخلق فيها جبالاً ثوابت، وأنهاراً تتدفق بالماء، وخلق فيها من كل الثمار زوجين: ذكراً
 وأنثى للتلاقح، وصنفين متقابلين كالحلو والحامض، والأسود والأبيض، والصغير والكبير، يغطي الليل
 بظلمته ضوء النهار فيطمسه، إن في ذلك المذكور لدلالات على وحدانية الله تعالى، لقوم يتأملون، فيدركون
 وجود الله وتوحيده.

٤- وفي الأرض بقاع وأجزاء متلاصقات، ولكنها مختلفة النباتات والزروع والخصوبة ونوعية التربة،
 ويساتين عنب وزروع، ونخلات يجمعها أصل واحد، وتشعب فروعها، أو أصناف متمثلات وغير
 متمثلات، وكل من الزروع والأشجار يسقى بماء واحد، وتتفاضل فيما يوكل من ثمرها شكلاً وطعماً، ولو أن
 ورائحة، وقدرًا وزمنًا، إن في ذلك المذكور لدلالات على قدرة الله تعالى لقوم يتفكرون في عظمة الخالق،
 فيؤمنون به.

٥- وإن تتعجب أيها النبي من تكذيب الكفار لك وعبادة الأوثان، فالأعجب منه تكذيبهم بالبعث
 وإنكارهم له، وقولهم: أيمكن بعثنا مرة أخرى بعد أن صرنا تراباً مفتتاً؟ أولئك المنكرون للبعث هم الذين
 جحدوا بقوة ربهم، وأولئك الذين يقبلون بالقيود في أعناقهم، وأولئك أهل النار الماكثون فيها على
 الدوام.



٦- ويستعجلك المشركون المكذبون بالعقوبة قبل وقوعها بإزالة العقوبة المهلكة، وقد مضت من قبلهم عقوبات أمثالهم من المكذبين، فما لهم لا يعتبرون بهم؟ وإن ربك أيها النبي لنوستر عظيم للذنوب، وإن ربك يعاقب الكفار المتمردين عقاباً شديداً. والمثلاث: العقوبات التي تماثل الذنب.

٧- ويقول الكفار العتاة: هلا أنزل على محمد من ربه معجزة حسية أخرى تدل على صدقه ونبوته، فردّ الله عليهم: إنما أنت أيها الرسول مخوف بالنار من عصي الله، وليس عليك إتيان الآيات، ولكل قوم نبي أو رسول يهديهم ويرشدهم إلى طريق النجاة.

٨- الله يعلم ما تحمل كل أنثى في رحمها من أنواع الأجنة وصفاتها وأحوالها وأعمارها، وغير ذلك، وما تنقص الأرحام بخروج الأولاد ومدة الحمل ونقص الأعضاء وظهور الحيض، وما تمر به الأجنة من أطوار النمو يوماً فيوماً، وكل شيء عند الله بقدر محدد ونسبة ثابتة معلومة. ومعرفة البشر نوع الجنين ذكر أو أنثى بالتحليل الكيميائي أو بالأشعة مثلاً، لا يخل باختصاص الله تعالى بمعرفة شؤون أخرى للحمل. وتغيض وتزداد أي تنقص وتزيده الأرحام للجنين.

٩- الله تعالى هو العالم بالحسيات الحاضرة

والغيبات غير المرئية، والعظيم الشأن، المستعلي على كل شيء بقدرته وقهره.

١٠- يستوي في علم الله تعالى من أخفى القول في نفسه ومن جهر به، من خير أو شر، ومن هو مستتر في ظلمة الليل، وظاهر بارز بالنهار، يسير في سربه، أي طريقه.

١١- لكل إنسان ملائكة تتعاقب في حفظه ورعايته، وهم الملائكة الحفظة، يحفظونه بأمر الله وإعانتة، لا أن يردوا أمر الله، فإذا جاء القدر تخلوا عنه، ويحصون عليه أعماله من خير وشر، إن الله لا يغير ما يقوم من نعمة أو عافية، حتى يغيروا ما بأنفسهم من الطاعة والخير إلى المعصية والشر، وإذا أراد الله بقوم عذاباً أو هلاكاً، فلا رد له، وليس لهم من غير الله من ناصر يلي أمرهم، فيجلب لهم الخير، ويدفع عنهم الشر.

١٢- الله الذي يريكم البرق (الشرارة الضوئية في السماء بسبب تصادم الأجرام السماوية) للتخويف من الصواعق، والطمع في المطر، وينشئ السحب الكثيفة المثقلة بالماء.

١٣- وينزه الله تعالى الرعد (الصوت المسموع خلال السحاب بسبب احتكاك الأجرام السماوية) بحمد الله سبحانه، أي أن صوت الرعد يدل على خضوع السحاب وكل شيء لله وتنزيه الله عما لا يليق به، والملائكة يستحون (ينزهون) من هبة الله وجلاله، ويرسل الله الصواعق المحرقة (الشهب المنقضة من الأجرام السماوية) فيهلك الله بها من يشاء، وكفار مكة ونحوهم يجادلون في قدرة الله على البعث وفي الوحدانية، والله شديد القوة وأخذ الأعداء بالعقوبة. نزلت في شأن رجل من قراعة العرب أرسل النبي ﷺ إليه رجلاً يدعو إلى رسول الله ثلاث مرات، فأبى وقال: وما الله؟ فأرسل الله عليه في المرة الثالثة صاعقة ذهبت بحمف رأسه.

وَيَسْأَلُوكَ بِالْحَسَنَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ لِّلسَّائِسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ١ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ٢ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا يَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ٣ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ٤ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِآيِلٍ وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ ٥ لَمْ يُعْطِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرَ أَمْرًا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ ٦ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَاقَكُمْ وَأَوْطَعَا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ٧ وَيَسْجِجُ الرُّعْدُ بِحَمْدِهِ وَاللَّيْكَةُ مِنْ جِثْنِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِمَالِ ٨

١٤ - لله تعالى الدعاء الصحيح ؛ لأنه وحده القادر على إجابة الداعي ، والذين يعبدون الأصنام والأوثان من غير الله ويدعونها لا يستجيبون لهم بشيء مما يطلبونه منهم ، إلا استجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه إليه من بعيد ، يطلب منه أن يأتيه ، ليصل فاه ، وما الماء ببالغ أصل إلى فم الداعي أبداً ، وليس دعاء الكفار وعبادتهم ألهمهم إلا في ضياع وخسران .

١٥- والله يخضع جميع من في السموات والأرض، طائعين وهم المؤمنون وقت الرخاء وغيره، وكارهين وهم الكفار وقت الشدة والضيق، وتخضع أيضاً أخيلتهم تبعاً لخضوع أصحابها في أول النهار، وما بعد العصر إلى الغروب، وخصّ هذان الوقتان بالذكر لزيادة ظهور الظلال فيهما.

١٦- قل أيها النبي للمشركين من قومك : من خالق السموات والأرض ومتولي أمرهما؟ فإن لم يجيبوا، فلا جواب إلا أن تقول : الله الخالق، قل لهم : فكيف اتخذتم من غيره أصناماً تعبدونها، لا تقدر على جلب النفع لكم أو دفع الضر عنكم، وتركتم مالكم السموات والأرض؟ قل لهم : هل يتساوى الكافر الجاهل والمؤمن المبصر العالم، وهل تتساوى ظلمات الكفر والإيمان؟ لا، بل أجعل المشركون شركاء لله

لَمْ دَعُوهُ الْحَقُّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْمَعُونَ لَهُمْ شَيْئًا وَلَا
يَكْسِبُ كَتِبُهُ إِلَى الْمَاءِ يَبْلُغُهُ وَمَا هُوَ بِلَاحِيَةٍ وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ
إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٧﴾ وَلِلَّهِ يَجُودُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طُلُوعًا
وَكُرْهُمَا وَظِلَالُهُمُ الْغَدُّ وَالْأَصَالُ ﴿١٨﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَتَأْتِدُّونَ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ
لِأَنفُسِهِمْ شَيْئًا وَلَا ضَرًّا قُلْ مَنْ يَسْتَوْي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ
يَسْتَوْي الظُّلُمُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا فِيهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَلْفَةَ
فَتَشَبَّهَ الطَّلُقَ عَلَيْهِ قُلْ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْقَهْدُ
﴿١٩﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَخَلَّتِ السَّيْلُ
وَبَارَ الْأَشْيَاءَ فَمَا يَبُودُ مِنْ عَلَيْهِ فِي النَّارِ اتِّعَاءَ حُلِيَةٍ أَوْ مَنَاجِزَ وَبَدَّ
مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَرَجَافٌ
جَمَاعًا وَأَمَّا مَا يَبْتَغِ النَّاسُ فَيَمُوتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ
اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ أَتَمَّ الْحَقُّ وَالَّذِينَ لَا يَسْمَعُونَ
لَهُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَاءً وَإِلَيْكَ
لُحُوقُهُمْ الْحِسَابُ وَمَا وَهَبُوهُمْ جَنَّةً وَلَيْسَ بِالْمُهَادِ ﴿٢١﴾

خلقوا كما خلق الله، فاستحقوا العبادة كما استحقها؟ فلم يتمكنوا من تمييز المخلّفين، قل لهم: الله وحده خالق كل شيء، وهو المتوحد بالالوهية، الغالب على كل شيء.

١٧- أنزل الله من السحاب مطراً فسال (جرى) ماء الأودية بقدر حجم الوادي واتساعه قلة وكثرة، فرفع واحتمل بقوة السيل فيما جرف معه غثاء ورغو طافية عالية فوق الماء، وبعض المعادن التي يوقدون عليها ليصهروها في النار من فلزات الحديد والذهب والفضة وغيرها، بقصد طلب الزينة واتخاذها حلية وهي الذهب والفضة، أو من أجل اتخاذها أمتعة وهي الحديد والنحاس ونحوهما، يتفع بها كالأواني إذا أقيمت وآلات الحرب والزراعة والمصانع، لها زبد مثل زبد السيل، أي للمعادن زبد أيضاً، وهو خبث هذه الفلزات المعدنية، مثل ذلك المذكور مثل الحق والباطل وأهل كل منهما، فأما الزبد الطافي فيزول باطلاً مرمياً به، وأما ما ينفع الناس منها من الماء والمعادن فيبقى في الأرض زماناً، ويتفع به أهلها، ومثل ذلك المذكور بين الله الأمثال لإيضاح الشبهات. والمراد: أن الله تعالى بعد بيان خطأ الكفار في الآية المتقدمة (١٤) وما بعدها في اتخاذ آلهة لا تضر ولا تنفع، ضرب مثلين لثبات الحق وهو الإيمان بالقرآن، وزوال الباطل وهو الكفر، والباطل كالزبد فوق الماء يذهب ويتبدد، والحق يبقى كالماء والمعدن الصافي اللذين يبقيان في الأرض، فيستفع بهما الناس. والمثلان أحدهما ريفي وهو الماء والزرع، والآخر مدني وهو صناعة المعادن. وقوله ﴿وَمَا﴾ خبر ابتداء، والمبتدأ ﴿زبد﴾ ومثله: نعت لزبد.

١٨ - المثوبة الحسنة وهي الجنة للذين استجابوا لربهم بالإيمان والطاعة، والذين لم يطيعوا الله ورسوله لا ينفعهم في الآخرة الفداء بجميع ما في الدنيا، وَضِعَفَ ما فيها، أولئك الذين لم يطيعوا الله وماتوا وهم كفار لهم سوء العذاب في الآخرة، ومسكنهم جهنم، وبئس المستقر الذي يستقرون فيه.



﴿أَفَنِعْمًا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْخُبْرُ الَّذِي يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
 ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدَ وَلَا يَتَّقُونَ﴾
 ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾
 ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْنَاءَهُمْ وَسُوءَ مَا نَفَعُوا إِيَّاهُمْ وَلَا عِيَالَهُمْ وَيَذَرُونَ الْمُسْتَسِينَ أُولَئِكَ لَمْ يَغْفِقْ الْدَّارُ﴾
 ﴿جَنَّتْ عَذْبِي بِدُخُلِهَا وَمِنْ صَلَاحٍ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾
 ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَعِمَّ غَفَى الدَّارِ﴾
 ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَمْ يَغْفِقْ الْدَّارُ﴾
 ﴿وَاللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا لَمْعٌ﴾
 ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَرَادَ﴾
 ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

١٩- هل من يعلم فيؤمن ويستجيب كالحزمة، يعلم أن ما أنزله الله إلى رسوله هو الحق الثابت الصحيح، كمن لا يعلم كأي جهل وهو أعمى القلب والبصيرة ولا يؤمن؟ لا يستويك ولا يتشابهان، إنما يتعظ أصحاب العقول الراجحة.

٢٠- وأولو العقول هم الذين يوفون بعهد الله ويعهد العباد، فيقومون بما فرضه الله عليهم، ويتفدون معاهداتهم مع الآخرين، ولا ينقضون بنود الموائيق والعهود التي التزموها. والميثاق: العهد المؤكد.

٢١- وهم أيضاً الذين يصلون ما أمر الله بوصله وهو صلة الأرحام وغيرها، ويخافون وعيد ربهم فلا يعصونه، ويخشون خطر الحساب، فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا.

٢٢- وهم كذلك الذين صبروا على طاعة الله، وعلى أقدار الله، وترك المعاصي، بقصد طلب رضا ربهم، لا لأغراض دنيوية أخرى من فخر أو سمعة وغيرها، وأدوا الصلاة في أوقاتها، وأنفقوا في طاعة الله مما رزقهم الله، فادوا الزكاة وغيرها، سرا وجهراً، ويدفعون الإساءة بالإحسان، أولئك المتصفون بالصفات المذكورة لهم العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، وهي الجنات.

٢٣- تلك العاقبة الحميدة هي جنات إقامة وخلود، ومعهم من كان ممن صلح من الآباء والأمهات والأزواج والذرية الأولاد، وإن لم يكونوا في درجاتهم في التقوى والصلاح، تكريماً لهم وإيناساً ببقاء أحببتهم وإقرار أعينهم وسرورهم، وتدخل الملائكة من جميع أبواب الجنة ومنازل السكنى للتهنئة والتحية، قائلين لهم ما يأتي:

٢٤- يقولون لهم: سلام عليكم، سلمتم من الآفات ودامت سلامتكم، بسبب صبركم على الطاعة والتقوى، وعن المعاصي، فنعمت الجنة عقابكم وداراً لكم أيها الأبرار.

٢٥- والذين ينقضون بنود عهد الله بعد إيمانه ومعاهدته على الطاعة، ويقطعون ما أمر الله بوصله كصلة الأرحام، ويفسدون في الأرض بالكفر والظلم والمعاصي وإثارة الفتن، أولئك لهم الطرد والإبعاد من رحمة الله، ولهم عذاب النار، والعاقبة السيئة في الآخرة.

٢٦- الله يوسع الرزق لمن يشاء، ويضيق الرزق على من يشاء من خلقه، والبسط لا يدل على الكرامة، والقبض لا يدل على الإهانة، وفرح أهل مكة فرح بطل بما بسط لهم في الدنيا، وجهلوا ما عند الله، وما الحياة الدنيا في جنب الآخرة إلا متعة قليلة لا تدوم.

٢٧- ويقول كفار مكة: هلا أنزل على محمد معجزة حسية كعصا موسى ويده وناقص صالح، قل لهم أيها النبي: إن الله يضل من يشاء إضلاله، لأنه عاند وتمرد، فلا تفيده الآيات شيئاً، ويرشد إلى دينه وإلى الحق من تاب، وأقلع عما كان عليه، وترك العناد.

٢٨- والذين أنابوا هم الذين آمنوا بالله وبما أنزل، وتسكن وتستأنس بذكر الله بتوحيده وتذكر وعده، ألا بتوحيده الله ووعدته والتأمل في مخلوقاته وصنعه، وتذكر قدرته تسكن قلوب المؤمنين.

٢٩- الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم الحياة الطيبة والسرور، وحسن المرجع في الآخرة.

٣٠- مثل إرسال الرسل السابقين، أرسلناك في جماعة من الناس، مضت من قبلها جماعات، لتقرأ عليهم القرآن الذي أوحينا به إليك، وهم يجحدون باسم الرحمن، فينكرون وجود هذا الاسم لله تعالى، ولا يشكرون نعمه، قل لهم أيها النبي: الرحمن هوري، أي خالقي ومدبر أمري، لا إله في الوجود غيره، ولا مستحق للعبادة سواه، عليه اعتمدت في جميع أموري ومناصري، وإليه وحده مرجعي في الآخرة وتوبتي.

٣١- القرآن نفسه هو المعجزة أو الآية لو تعقلوا، فلو فرض أن هناك قرآناً أو كلاماً تُسِير به الجبال عن أماكن استقرارها بإزالته وتلاوته، أو قطعت وشققت به الأرض، فكانت سهولاً وعيوناً وانهاراً، أو صار به الموتى أحياء بقراءته عليهم، لكان هذا القرآن، ولما آمن به أهل مكة عندما شاهدوا منه ما ذكر، بل لله الأمر جميعاً، فهو القادر وحده على إنزال الآيات، ولو شاء أن يؤمنوا لآمنوا، سواء أنزل ما اقترحوا أم لم ينزل،

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِنَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَآبٍ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا سَأَرَتْ بِهِ الْجِبَالَ أَوْ قَطَعَتْ بِهِ الْأَرْضَ أَوْ كَذَّبَتْ بِالْمَوْتِ بَلَّ اللَّهُ الْأُمَمَ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِ الْبَشَرُ إِلَّا نَذِيرٌ أَن لَّوِشَاءَ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلِ تَبَعِكَ فَأَمَلْنَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَخِذَتْهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ أَقْسَمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَأْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظَاهِرُونَ الْقَوْلَ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَضُدُّوهُمُ السَّبِيلَ وَمَنْ يَضِلْ فَلَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٣٤﴾

أفلم يعلم المؤمنون ويتحققوا أن لو يشاء الله، لهدى الناس جميعاً إلى الإيمان، ولو من غير مشاهدة آيات ومعجزات، ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا من الكفر وتكذيب الرسول داهية تفرق قلوبهم، من قتل وأسروا وقحط، أو تحل القارعة قرب ديارهم، فيملوهم الخوف والفرع منها، حتى يحق مصداق وعد الله الذي وعده به وهو النصر عليهم وفتح مكة أو قيام القيامة، إن الله لا يخلف الميعاد على الإطلاق، لا تمتناع الكذب في كلامه.

٣٢- وكما استهزئ بك أيها الرسول من المشركين، استهزئ برسل سابقين من أقوامهم، حين دعوهم إلى الإيمان، فاصبر على أذاهم، فأمهلت الكافرين مدة للتوبة، ثم أخذتهم بالعذاب الشديد، فكيف كان عقابي لهم على الكفر والاستهزاء؟!

٣٣- هل يتساوى من هو رقيب على كل نفس، وعالم بما كسبت من خير أو شر، ومن ليس كذلك من الأصنام والأوثان التي لا تقصر ولا تنفع؟ وقد جعلوا لله شركاء في العبادة، قل لهم أيها النبي: سموهم له من هم، والمراد أنهم لا حقيقة لهم، بل أتخبرون الله بشركاء لا يعلمهم في الأرض ولا في السماء، بل أتصفونهم بالشركاء بقول ظاهري فقط، باطل لا أصل ولا حقيقة له فهو كالتخيل؟ بل زَيْن للكفار كفرهم وكذبهم وافتراؤهم على الله، وصرفوا عن الهداية والإيمان، ومن يجعله الله ضالاً عن الحق والهدى بسبب علمه السابق بضلالة وكفره، فليس له أحد يهديه.

٣٤- لهؤلاء الكفرة عذاب في الدنيا بالقتل والأسر، ولعذاب الآخر أشد وأنكى منه، وما لهم من عذاب الله من مانع ولا دافع ولا عاصم.



٣٥- صفة الجنة العجيبة الشأن التي وعد بها المتقون: أنها تجري من تحت بساطتها الأنهار، ثمارها دائمة لا تنقطع، وظلها دائم كذلك لا يزول، تلك الجنة عاقبة الذين اتقوا الله، بالتزام أوامره، واجتناب نواهيه، وعاقبة الكافرين بالله النار، لا غير.

٣٦- والمسلمون من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه من مؤمني اليهود، وهم ثمانون رجلاً يفرحون بما أنزل إليك أيها النبي من القرآن، وأهل الكتاب الذين تحزبوا على النبي ﷺ من اليهود وساعدوا المشركين، مثل كعب بن الأشرف اليهودي وأصحابه، من ينكر بعض القرآن، مثل نسخه لشرائعهم وكل ما يخالف ما افتروه كادعاء نبوة المسيح لله، قل لهم أيها النبي: إنما أمرت أن أعبد الله وحده، ولا أشرك به أحداً غيره في عبادته، إلى الله أدعو الناس لا إلى غيره، وإلى وحده مصيري ومرجمي.

٣٧- ومثل هذا الإنزال المشتغل على أصول الدين، أنزلنا القرآن على أصول الشريعة وفروعها، للحكم بين الناس في الوقائع والقضايا بالحكمة والعدل، حكماً قاطعاً لا يبدل، فاصلاً بين الحق والباطل، بلسان العرب ليسهل فهمه وحفظه، كما أنزلنا الكتب على الرسل بلغات أقوامهم، ولئن اتبعت

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلُّهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ٣٥
وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنْ الْأَخْرَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَتَابِ ٣٦
وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَ هُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ٣٧
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ٣٨
يَتَخَوَّاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِ وَيُنَبِّئُ عَنْهُ ۚ أُمُّ الْكِتَابِ ٣٩
وَأِنْ مَا نَرِيكَ بِبَعْضِ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفِّيْنَاكَ فَأَمَّا عَلَيْكَ الْأَبْلَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ٤٠
أَوْ لَوْ تَرَوْهُوَ أَنَا أَنَا فِي الْأَرْضِ نَقُصُّهُمْ مِنْ أَظْفَارِهَا وَاللَّهُ يَجْعَلُ لِمَنْ يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ٤١
وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعِلْمُهُ الْكُفْرَ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ٤٢

فرضاً أهواء قومك الكفار فيما يدعونك إليه من ملتهم، كالصلاة إلى قبلتهم، بعدما جاعك من تعليم الله إياك، ليس لك من الله من صديق ناصر يصورك، ولا مانع يقيك من عذابه أو يمنع العقاب عنك.

٣٨- ولقد أرسلنا رسلاً بشراً من قبلك مثلك أيها النبي، وجعلنا لهم أزواجاً من النساء، وذرية توالدوا (أولاداً) كما هي لك، وما صح لرسول أن يأتي بمعجزة حسية من نفسه إلا بأمر الله وإرادته ومشئته، لكل حادث كتاب معين، ولكل أمر مقضي أجل محدد. والمراد بالكتاب هنا: الشيء المكتوب، أي معجزة تناسب زمن الرسول المرسل.

٣٩- ينسخ الله أحياناً ما يشاء من الأحكام، ويبقي ما يشاء من الأحكام بمقتضى الحكمة والمصلحة وملائمات الزمان، وعنده تعالى أصل الكتب، وهو اللوح المحفوظ الذي لا تبدل فيه ولا تغيير.

٤٠- وإن أريناك بعض ما نعدهم به من العذاب في حياتك، أو توفيك قبل تعذيبهم، فما عليك إلا تبليغ الأحكام، وعلينا محاسبتهم على أعمالهم ومجازاتهم إذا صاروا إلينا.

٤١- أو لم ير أو يعلم أهل مكة وغيرهم أننا نتقص من جوانب الأرض التي يعيشون فيها بتخريبها وإهلاك أصحابها، أو بفتح بعضها على المسلمين، والله يحكم بما يشاء، لا متابع ولا ناقض مبطل لحكمه، والله يحاسب الناس عما قريب في الآخرة، على وجه السرعة.

٤٢- وقد مكر الكفار الذين من قبلهم من الأمم بأنبيائهم، والمكر: التدبير الخفي، فله التدبير المطلق، لا يؤبه بتدبير دون تدبيره، ولا يخيب تدبيره أبداً، وأما مكر غير الله فلا يضر إلا صاحبه، يعلم الله جميع ما تكسب كل نفس، فيعجزها، وسيعلم كل كافر لمن العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، لهم أم للمؤمنين!!

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنتَ مُرْسَلًا كَفَىٰ بِاللهِ
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُمُ الْكِتَابُ ﴿١٧﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكِبُ ﴿١﴾ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٢﴾ اللَّهُ
الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَيُؤْتِي الْمَكْفُوفِينَ
مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يَسْحَبُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى
الْأَعْرَافِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ
فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِبَلْسَانٍ
قَوْمِهِ لِيُنْذِرَ لِقَوْمِهِمْ فَضِلَّ اللَّهُ مِنْ يَسَاءٍ وَهَدَىٰ مِنْ يَسَاءٍ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا
أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا
أَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ لَكُمْ صَبْرًا شُكُورًا ﴿٦﴾

٤٣- ويقول الكفار: لست يا محمد رسولا
مرسلا من الله إلى الناس، قل لهم: كفى بالله
شاهداً على صدقي بيني وبينكم، فهو يعلم صحة
رسالتي، وكذلك المطلع على علم أهل الكتاب من
مؤمني اليهود والنصارى يشهد أيضاً بصدق دعوتي
ورسالتي، لما علموا صدقه من كتبهم.

سورة إبراهيم

١- ﴿الر﴾: ألف، لام، را، للتنبيه والتحدي
وإثبات إعجاز القرآن، كما تقدم في أمثاله، هذا
كتاب وهو القرآن أنزلناه إليك أيها النبي، لتخرج
الناس به من ظلمات الكفر والجهل والضلالة إلى
نور الإيمان والعلم والهداية، بأمر ربهم وتوفيقه
وتيسيره، إلى طريق القوي، الغالب في ملكه،
القاهر لعباده، المحمود على كل حال، المستحق
للحمد لكثرة نعمه، وقوله: ﴿إلى صراط﴾ بيان
للنور المتقدم ذكره.

٢- الإله الذي له جميع ما في السموات
والأرض ملكاً وخلقاً وتصريفاً وتديراً وتعبداً،
وهلاك وعذاب للمنكرين وجود الله أو الذين عبدوا غيره، من عذاب شديد صاروا إليه يوم القيامة، أي
يولولون من شدة العذاب.

٣- العذاب للكفار الذين يختارون أو يؤثرن الحياة الدنيا على حياة الآخرة الدائمة، ويمنعون الناس عن
الإيمان والدخول في الإسلام، ويطلبون لملة الإسلام اعوجاجاً وزيفاً وانحرافاً عن الحق، لموافقة أهوائهم،
أولئك الكفار المذكورون في خطأ بعيد عن الحق والصواب.

٤- ما أرسلنا رسولا من الأمم السابقة إلا متكلماً بلغة قومه الذين بعث فيهم، ليفهموا عنه شرع الله تعالى،
وليبين لهم ما أتى به من الشريعة، ويكون المفضل والهادي بعد هذا البيان هو الله عز وجل، وهو سبحانه القوي
في ملكه، الحكيم في صنعه، فلا يهدي ولا يضل إلا لحكمة. وليس الإضلال والهداية أمراً جبرياً، وإنما
الإضلال يكون بسبب التمادي في الكفر والعناد، والهداية بالتوفيق والرعاية.

٥- ولقد أرسلنا موسى مصحوباً بالمعجزات والآيات التسع إلى فرعون وملئه، وقتلناه في مضمون
الرسالة: أخرج بني إسرائيل في ملك فرعون من ظلمات الكفر والجهل، إلى نور الإيمان والعلم، وذكرهم
بالوقائع الجسام التي مرت على أم الأنبياء السابقين، وكيف نجح المؤمنون وهلك الكافرون؟ إن في ذلك التذكير
بأيام الله لدلالات واضحات على التوحيد وكمال القدرة، وعبرة وعظة، لكل كثير الصبر على المحن والبلاء
والطاعة، كثير الشكر للنعم.



وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُمْ
مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدُبُّونَ
أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ١٠ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن سَكَرْتُم
لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ١١ وَقَالَ
مُوسَى إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِی الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ
لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ١٢ أَلَرَأَيْتُمْ كُفْرَ الْبَنَاتِ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ
قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ
جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالنَّبِيِّ فَسَرُّوهُ أَيْدِيَهُمْ فِي
أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا
لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ١٣ قَالَتْ
رُسُلُهُمْ أَفِی اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِيعُوا أَمْرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُخْرِجَكُم مِّنْ أَجْلِ
مُسْمًى قَالُوا إِنَّا أَنشَأَ الْإِنشِرْقَ لَنَا تَرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا
عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَنُوتَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ١٤

٦- واذكر أيها الرسول حين قال موسى لقومه:
تذكروا نعمة الله عليكم حين أنجاكم من آل فرعون
بإغراق فرعون وجنوده، يذيقونكم العذاب السيء
الشديد، وهو استعبادكم واشتغالكم بالأعمال
الشاقة، ويدبُّون أبناءكم المولودين، ويتركون
البنات أحياء للخدمة والإذلال مع أمن شرهن
وسرعة فناء نسلكم، وفي ذلكم المذكور من
أفعالهم ابتلاء عظيم وامتحان وفئة من ربكم.

٧- واذكروا يا بني إسرائيل حين أعلن ربكم
إعلاناً عاماً مؤكداً وأخبركم فقال: لئن شكرتم
نعمتي بالتوحيد والطاعة لأزيدنكم نعمة أخرى
تفضلاً مني، ولئن جحدتم ذلك وعصيتم أمري
لأعذبنكم، إن عذابي شديد لمن كفر وعصى.

٨- وقال موسى: إن تمجدوا نعمة الله تعالى
أنتم وجميع البشرية، فإن الله لغني عن خلقه وعن
شكركم لا يحتاج إليه، مستحق للحمد في ذاته
لكثرة إنعامه على الناس، محمود على كل حال في
صنعه بهم.

٩- وأضاف موسى قائلاً: ألم يصلحكم خبر الذين مضوا من الأمم المكذبة، من قوم نوح وعاد
وثمود، والذين جاؤوا من بعدهم من الأقسام، لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، فعصُّوا أيديهم غيظاً مما
جاءت به الرسل من العقائد والشرائع، أي سمعوا الحديث عنها ولم يقبلوها، وقالوا: لقد كفرنا بما أُرسلتم
به في زعمكم، ونحن في شك من موقع في الريبة والقلق والخيرة، مما تدعوننا إليه من الإيمان بالله وحده وترك ما
سواه، فهو أمر غير متيقن.

١٠- قالت لهم رسلهم: أفي وحدانية الله تعالى شك؟ أي لا شك في توحيده لظهور ذلك ووضوحه، وهو
سبحانه خالق السموات والأرض ومبدعهما على أكمل نظام، ولا على مثال سابق، يدعوكم إلى عبادته
وطاعته والإيمان به وتوحيده ليغفر لكم بعض ذنوبكم وهي حقوق الله لا حقوق العباد، فلا تغفروا إلا بمسامحة
أصحابها، ويؤخركم بلا عذاب كلي إلى انتهاء أجالكم العادية، قالوا لهم: ما أنتم إلا بشر مثلنا، ولستم
ملائكة، فلا فضل لكم علينا، تريدون أن تصرفونا عما كان يعبد آبائنا من الأصنام، فإن كنتم صادقين، فأتونا
بحجة واضحة قوية على صدقكم وصحة ادعائكم النبوة. وهذا تعنت فإنهم جاؤوهم بمعجزات واضحة
كثيرة.

١١- قالت لهم رسلهم: ما نحن إلا بشر مثلكم في الخلقة والطبع كما قلتم، ولكن الله يتفضل على من يشاء منهم بالنبوة، وما ينبغي لنا وليس في استطاعتنا أن نأتيكم بحجة أو معجزة إلا بمشيئة الله وقدرته وأمره، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون، وليثقوا به في جميع أمورهم.

١٢- ولا عذر لنا في ألا نتوكل على الله، ولا مانع لنا من ذلك، والحال أنه قد أرشدنا إلى طريق رحمته والنجاة من عذابه، ولسوف نصبر على أذاكم وتكذيبكم، وسينصرنا الله عليكم، وعلى الله وحده فليثبت المتوكلون ثباتاً ناشئاً من إيمانهم، ويفوضوا أمورهم إليه.

١٣- وقال بعض الكفار المتمردين العتاة لرسولهم: لنخرجنكم من ديارنا، أو لنصيرن وتعودن في ملتنا الموروثة، والملة: الدين والشرعية، فاختاروا أحد الأمرين، فأوحى الله إلى الرسل في تلك الحال: لنهلكن الكافرين الطغاة.

١٤- ولنسكننكم ديار هؤلاء الكفار الذين توعدوكم، من بعد إهلاكهم، ذلك الموحى به، وهو إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين لمن خاف موقفه يوم الحساب، وخاف وعيدي بالعذاب لمن يخالف أمري. والمقام هنا كناية عن الذات الأقدس على سبيل التعظيم، كما في قوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمن ٥٥/٤٦].

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ بَشَرٍ مِمَّنْ بَدَّهْ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدانا سُبُلًا وَلَنْصِرَنَّ عَلَى مَاءٍ أَذِينَا وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ فليَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنَسُكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَأَسْتَفْتُوا وَخَافَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ تَجَرَّعُوهُ وَلَا يَكَادُ لِيُسِفَّهُ وَيَأْتِيَهُ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُمْ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ أَصْلُ الْبُعِيدِ ﴿١٨﴾

١٥- واستنصر الرسل بالله على أعدائهم، وخسر وهلك كل متعاضم متكبر عن طاعة الله، معاند للحق مخالف له.

١٦- وجهنم أمامه وفي انتظاره ليصلاها ويدخلها يوم القيامة، بعد إهلاكه في الدنيا، ويسقى فيها من الصديد الذي يسيل من أجساد أهل النار، مختلطاً بالقيح والدم.

١٧- يتكلف شربه مرة بعد مرة بالشدة والقهر، لإطفاء عطشه، ولا يكاد يبتلعه، بل يغص به، وتأنيه أسباب الموت من كل جهة، ولكنه لا يموت، فيستريح من الشدائد والآلام، وبعد ذلك العذاب عذاب قوي متصل وشديد غير منقطع.

١٨- الصفة العجيبة لأعمال الكفار الصالحة كصلة الرحم والصدقة وفعل الخير في عدم الانتفاع بها في الآخرة كرماد (أثر نار) عصفت به الريح ونسفت، في يوم شديد العواصف، لا يقدر الكفار على شيء مما كسبوا (عملوا في الدنيا) من تلك الأعمال في الدنيا، ولا يرون لها أثراً في الآخرة، ذلك الضلال مع توهمهم أنهم محسنون: هو الضلال البعيد عن النفع، والحق، والخسران والهلاك الذي لا يعوض.

١٩- ألم تعلم أيها المخاطب أن الله خلق السموات والأرض للاستدلال بهما على كمال قدرته، بالحكمة والوجه الصحيح الذي يحق أن يخلقهما عليه، إن يشأ يعدمكم، ويأتي بمخلوقات جديدة مكانكم أطوع وخيراً منكم.

٢٠- وليس ذلك بممتنع أو متعسر على الله، فإنه تعالى قادر لذاته على كل شيء، بكلمة ﴿كن فيكون﴾ [البقرة ١١٧/٢ ومواضع أخرى من السور].

٢١- وظهرت الخلائق جميعاً من قبورهم يوم القيامة في أرض متسعة، وهي المحشر، فقال الأتباع ضعفاء الرأي والفكر للقادة المستكبرين الأقوياء: إنا كنا أتباعاً لكم في الدنيا في شأن الكفر والتكذيب للرسل، فهل أنتم دافعون عنا بعض الشيء أو كله من عذاب الله؟ قال المستكبرون: لو هدانا الله للإيمان، لهديتناكم إليه، يستوي علينا الجزع أو التبرم والصبر، ليس لنا من متجى ومهرب من العذاب.

أَوَلَمْ نَرَأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ
إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ
عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرِّدُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ
الضَّعِيفُونَ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ نُبُعًا
فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْقُذُونَ عَنْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ
قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءَ عَلَيْنَا
أَجَزَعْنَا أَمْ صَلَّيْنَا مَا لَنَا مِنْ نَجْصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ
السَّيِّطُونَ لَكَ أَقْضَى الْأَمْرِ إِنْ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ
وَوَعَدْتُمْ فَأَخْلَقْتُمْكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ
مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا
تُؤْمِنُونِي وَلَوْ مَوَّاهُ أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا
بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمْ مِنْ قَبْلِ إِبْرَ
أَظْلَمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُذِلَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحِبُّهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾

٢٢- وقال الشيطان (إبليس) لأتباعه في الآخرة، لما أحكم الأمر وتُفد وفرغ منه، ودخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار: إن الله وعدكم وعداً حقاً أنجزه بالبعث والحساب ومجازاة المحسن والمسيء، ووعدتكم وعداً باطلاً: وهو ألا بعث ولا حساب، فأخلفتكم وعدي، ولم يكن لي تسلط وقدرة عليكم، لكن دعوتكم إلى الكفر والعصيان، فأسرعتهم إجابتي وطاعتي، فلا تلوُموني على إغرائي وتوريطي، وخلف وعدي، ولوموا أنفسكم على إجابتي وإطاعتي، ولم تطيعوا ربيكم لما دعاكم إليه من الحق، ما أنا اليوم بمغيثكم مما وقمت فيه من العذاب، وما أنتم تتمكنون من إغاثتي وإنقاذي، إني كفرت اليوم بإشراككم إياي مع الله، من قبل في الدنيا، إن الكافرين المشركين لهم عذاب مؤلم.

٢٣- وأدخل الله المؤمنين بالله، الذين عملوا الأعمال الصالحة التي أمر الله بها، جنات تجري من تحت بساكنها الأنهار، خالدين فيها خلوداً دائماً، بأمر ربهم ومشيتهم، تحييتهم فيها على الدوام من الله وملائكته: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار.

٢٤- ألم تعلم أيها المخاطب كيف ضرب الله مثلاً أي وضعه الموضع اللائق به، شبه فيه الكلمة الطيبة وهي كلمة الإسلام: لا إله إلا الله، وكل ما يدل على الحق والخير والفضيلة، بالشجرة الطيبة، أصلها راسخ في الأرض، وأصلها مرتفع في السماء، وهكذا كلمة التوحيد والدعوة إلى القرآن راسخة في قلب المؤمن.

٢٥- تعطي ثمرها كل وقت بإرادة خالقها ومشيتها، وبين الله الأمثال للناس ليتعظوا ويتفهموا، فيؤمنوا ويعملوا. وهذا مظهر من مظاهر تصوير المعاني في القرآن الكريم بصور المحسوسات.

٢٦- والكلمة الخبيثة وهي كلمة الكفر وكل ما يدعو إلى الشر والضر، كالشجرة الخبيثة وهي شجرة الخنظل التي استوصلت واقتلعت من أصلها فوق الأرض بسبب قرب جذورها من سطح الأرض، ليس لها استقرار، ولم يبق منها شيء. وكذلك كلمة الكفر والشر نهايتها إلى الفناء.

٢٧- ثبت الله المؤمنين بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم، وهو الكلمة الطيبة المتقدمة: كلمة الشهادة وكل كلمة حق، يثبتهم في الدنيا وقت سؤال القبر، وفي يوم القيامة، فلا يتلثمون إذا سئلوا عن معتقدهم في موقف الحساب وعند رؤيتهم أهوال الحشر، ويضل الله الكفار عن حجتهم، فلا يهتدون إلى الحق والجواب الصحيح، بل يقولون: لا ندري، ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض الناس، وإضلال آخرين، من غير اعتراض عليه.

٢٨- ألم تنظر إلى من بدكوا شكر نعمته كفرأ، وهم قادة الكفار والمشركين، بتكذيبهم برسالة محمد ﷺ وشريعته، وأنزلوا قومهم الذين شايعوا في الكفر دار الهلاك، وهي جهنم، بأن أعدوا لهم أسباب دخول النار، فدخلوها جميعاً. وهذا تعجب من حالهم.

٢٩- يدخلون جهنم ويقاسون حرها، ونس المقر جهنم.

٣٠- وجعلوا لله شركاء ونظراء في الربوبية واستحقاق العبادة، ليوقعوا قومهم في الضلال عن التوحيد ودين الإسلام، قل لهم أيها المشركون: تمتعوا بشهواتكم وإضلال غيركم، فمردكم ومرجعكم إلى النار ليس لكم سواها.

٣١- قل أيها النبي لعبادي الذين آمنوا بالله واليوم الآخر: أقيموا الصلاة المفروضة، على وجهها الأكمل، وأنفقوا وقت السر ووقت العلانية بالصدقات والزكوات، من قبل مجيء يوم القيامة الذي لا فداء فيه، ولا مصادقة خليل تنفع.

٣٢- وأدلة قدرة الله ووجوده ووحدانيته كثيرة، منها: أن الله أوجد السموات والأرض، وأنزل من السحاب مطراً، فأخرج بذلك الماء من الثمرات والغلال رزقاً تعيشون به أيها الناس، وذلك وأعد لكم السفن لتجري في البحر بكم للارتفاع والركوب والتصرف، بإذن الله ومشيته، وذلك لكم الأنهار للمتعة والزراعة والركوب وتوليد الكهرياء وغير ذلك من المنافع.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَجُزْءٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۚ تُؤْتِي أَكْثَرًا كُلِّ حَبٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ۚ تَبَيَّنَ اللَّهُ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْإِيمَانِ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنَةِ ۚ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الْبَاطِلِينَ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۚ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَنَسُوا الْقُرْآنَ ۚ وَجَعَلُوا اللَّهَ عَدُوًّا لِنُصْلُوا عَنْ سَبِيلِهِ ۚ فَلْيَقْنَعُوا فَإِنَّ مَصِيرَهُمْ إِلَى النَّارِ ۚ فَلْيَعْبَادُوا الَّذِينَ آمَنُوا يَفْعَلُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ۚ ۝ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۝

يتلثمون إذا سئلوا عن معتقدهم في موقف الحساب وعند رؤيتهم أهوال الحشر، ويضل الله الكفار عن حجتهم، فلا يهتدون إلى الحق والجواب الصحيح، بل يقولون: لا ندري، ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض الناس، وإضلال آخرين، من غير اعتراض عليه.

٢٨- ألم تنظر إلى من بدكوا شكر نعمته كفرأ، وهم قادة الكفار والمشركين، بتكذيبهم برسالة محمد ﷺ وشريعته، وأنزلوا قومهم الذين شايعوا في الكفر دار الهلاك، وهي جهنم، بأن أعدوا لهم أسباب دخول النار، فدخلوها جميعاً. وهذا تعجب من حالهم.

٢٩- يدخلون جهنم ويقاسون حرها، ونس المقر جهنم.

٣٠- وجعلوا لله شركاء ونظراء في الربوبية واستحقاق العبادة، ليوقعوا قومهم في الضلال عن التوحيد ودين الإسلام، قل لهم أيها المشركون: تمتعوا بشهواتكم وإضلال غيركم، فمردكم ومرجعكم إلى النار ليس لكم سواها.

٣١- قل أيها النبي لعبادي الذين آمنوا بالله واليوم الآخر: أقيموا الصلاة المفروضة، على وجهها الأكمل، وأنفقوا وقت السر ووقت العلانية بالصدقات والزكوات، من قبل مجيء يوم القيامة الذي لا فداء فيه، ولا مصادقة خليل تنفع.

٣٢- وأدلة قدرة الله ووجوده ووحدانيته كثيرة، منها: أن الله أوجد السموات والأرض، وأنزل من السحاب مطراً، فأخرج بذلك الماء من الثمرات والغلال رزقاً تعيشون به أيها الناس، وذلك وأعد لكم السفن لتجري في البحر بكم للارتفاع والركوب والتصرف، بإذن الله ومشيته، وذلك لكم الأنهار للمتعة والزراعة والركوب وتوليد الكهرياء وغير ذلك من المنافع.

٣٣- وأوجد لكم الشمس والقمر دائمين
للاستفاح والاستضاءة بضوءهما، متعاقبين عليكم
ليلاً نهاراً، لما يحقق مصالحكم، ولمعرفة السنين
والحساب، وأوجد لكم أيضاً الليل للراحة،
والنهار للعمل وابتناء فضل الله بالتجارة والزراعة
والصناعة وغير ذلك.

٣٤- وأعطاكم الله من كل ما طلبتموه بلسان
الحال أو المقال، وعالم تطلبوه، وإن تعددوا نعم
الله التي أنعم بها عليكم، لا تستطيعوا إحصاء
عددتها، ولا شكرها على النحو المطلوب، إن
الإنسان ظالم لنفسه بترك شكر النعمة، شديد
الكفران والجحود لنعم الله، لا يؤدي واجب
الشكر عليها.

٣٥- واذكر أيها النبي حين قول إبراهيم ودعائه:
رب اجعل بلد مكة آمناً دائماً لمن فيها من البشر
والشجر والصيد، وأبعدني وأبنائي عن عبادة
الأصنام التي لا تقصر ولا تنفع.

٣٦- يارب، إن الأصنام تسببت، مع كونها
جمادات، لضلال كثير من الناس، فمن تبني في

الإسلام والتوحيد وترك عبادة الأوثان، فإنه من أهل ديني، ومن خالفني ولم يدخل في ديني، فلأنك كثير
المغفرة لمن تاب، رحيم بمن أناب وأصلح. وهذا الدعاء شفاعة في العصاة غير المشركين والكفار، وفتح باب
الأمل والتوبة لمن يريد تدارك تقصيره.

٣٧- ربنا إني أسكنت إسماعيل وأمه هاجر بوادٍ لا زرع فيه، هو وادي مكة، عند بيتك وهو الكعبة الذي
حرمت التهاون به وانتهاك حرمة ومقامه، أسكتهم به ودعوتك ليقوموا الصلاة فيه، فاجعل قلوب بعض
الناس قميل إليهم، وتسرع إليهم شوقاً وحباً، وارزقهم من مختلف الثمرات بالإنبات أو الجلب، ليشكروا
نعمتك التي أنعمت بها عليهم.

٣٨- ربنا إنك تعلم ما نسر وما نعلن أو ما نكتم ونظهر، ولا يخفى على الله شيء في الأرض والسماء،
فكل شيء تطلع عليه.

٣٩- الشكر والحمد لله الذي رزقني حال الكبر ولدين هما إسماعيل وإسحاق، إن ربي كثير السماع للدعاء
الصادر عن صدق وإخلاص وإيمان.

٤٠- رب اجعلني مواظباً على الصلاة، واجعل من ذريتي من يؤدي الصلاة على الوجه الأكمل، ربنا
واقبل دعائي وتضرعي.

٤١- ربنا اغفر لي كل ما قصرت فيه نحوك، واغفر لوالدي - وهذا قبل أن يعلم بعداوتهما لله تعالى - يوم
يوجد الحساب ويتحقق.

وَنَحْنُ لَكُمْ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَيْنِ وَنَحْنُ لَكُمْ أَثِيرٌ
وَالنَّهَارُ ٣٣ وَوَلَكُمْ مِنْ كُلِّ مَآسَاءٍ لُكُوفٌ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ
آلِهِهِمْ لَا تُحْصَوْنَ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ٣٤ وَإِذْ قَالَ
إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ
الْأَصْنَامَ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّوا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ
يَعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣٦
رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ
عِنْدَ بَيْتِكَ الْحَرَامِ رَبَّنَا لِيَقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً
مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ
يَشْكُرُونَ ٣٧ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَجْحَدُ
عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ٣٨
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ٣٩ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ
وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي ٤٠ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي
وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ٤١

٤٢- ولا تظنن أيها الرسول أن الله غافل عن استحقاق الظالمين الكافرين من أهل مكة وغيرهم للعذاب، بسبب مقاومة دعوتك وإيذائك والصد عن دينك، إنما يؤخر جزاءهم وعذابهم ليوم ترتفع فيه أبصارهم، فلا تقر في أماكنها، لهول ما ترى في ذلك اليوم.

٤٣- وتراهم مسرعين إلى الداعي في ذل وانكسار، رافعي رؤوسهم إلى السماء، ناظرين نظرة فزع وذل، غير ملتفتين إلى شيء، لا ترجع إليهم أبصارهم، بل تبقى عيونهم شاخصة دائماً في هذا الوقت، وتتوقف أجفانهم عن الحركة، بسبب الأهوال، وقلوبهم خالية من العقل والفهم، لشدة فزعهم ودمشتهم، كالهواء، أي الخلاء الذي لا شيء فيه.

٤٤- وخوف أيها النبي الكفار وحذرهم يوم يأتيهم العذاب يوم القيامة، فيقول الذين ظلموا أنفسهم بالكفر: ربنا أمهلنا وأخر العذاب عنا إلى وقت معلوم غير بعيد، وردنا إلى الدنيا تتدارك تقصيرنا، ونحب دعوتك بالتوحيد، وتتبع الرسل الذين أرسلتهم فيما بلغوا من الشرائع، فيقال لهم توبخاً: أو لم تكونوا حلقتهم من قبل في الدنيا أنكم مخلدون فيها، غير مفارقين لها، وأنه لا بعث ولا حساب.

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ٤٢ مَطْعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ٤٣ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آخِرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْنُ دَعَوْنَاكَ وَنَتَّبِعُ الرَّسُولَ أُولَٰئِكَ نَكُونُ أَقْسَمَةً مِنْ قَبْلُ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ٤٤ وَسَكَتَ فِي مَسْكِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَبَيَّنَّ لَكُمُوكَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ٤٥ وَقَدْ مَكَرُوا وَمَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ٤٦ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِطَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ٤٧ يَوْمَ يُبَدِّلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ٤٨ وَرَىٰ الْجَحِيمَ مِنْ يُومِذْ مُقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ ٤٩ سَرَّابُهُمْ مِنْ فُطْرَانٍ وَنَعْسَىٰ وَجُوهُهُمُ النَّارُ ٥٠ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ٥١ هَذَا بَالِغُ النَّاسِ وَلِيُنْذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ الْوَاحِدُ وَلِيُنْكَرُوا وَلِيُولَٰئِ الْأَلْبَابِ ٥٢

٤٥- وسكتتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود، وعلمتم كيف عذبناهم وأهلكناهم بذنوبهم، فلم تتزجروا، وبيّنا لكم الأمثال والعبر في القرآن، فلم تعتبروا ولم تعظوا بذلك كله، ولم تدركو أنكم مثلهم في الكفر والعذاب.

٤٦- وقد دبر كفار مكة تدبيرهم لإبطال الحق، وإثبات الباطل، وعند الله العلم بمكرهم وجزاؤه، فهو قادر على إبطاله، وإن كان مكرهم من العظم والشدة والحيث يكاد يزيل الجبال عن أماكنها.

٤٧- فلا تظنن أيها الرسول أن الله مخلف وعده الذي وعد به الرسل بالنصر والتأييد، إن الله غالب قاهر لا يعجزه شيء، قادر على الانتقام لأوليائه من أعدائه.

٤٨- ويكون الانتقام يوم تتبدل الأرض غير هذه الأرض، وتتبدل السموات غير السموات، وخرجوا وظهروا من القبور، خاشعين لله الواحد الذي قهر كل شيء بقدرته.

٤٩- وتبصر الكافرين حينئذ يوم القيامة مشدودين مع بعض أو مقيدين بالقيود والأغلال، ومربوطاً كل واحد مع شيطانه الذي أغواه، والأصفاة: قيود الحديد التي توضع في الأيدي والأرجل.

٥٠- قمصانهم من قطران (أسود متنز) تطلى به جلودهم، وتعلو النار وجوههم وتحرق أجسادهم.

٥١- برزوا من قبورهم ليجزي الله كل نفس ما كسبت في الدنيا من خير أو شر، إن الله سريع الحساب، يحاسب جميع الخلق، في قدر نصف يوم.

٥٢- هذا القرآن أنزله الله لتبليغ جميع الناس أحكام الشريعة والعقيدة، ولتخويفهم وعظمتهم، وإعلامهم أن الله إله واحد لا شريك له، ولا معبود سواه، وليتعض أصحاب العقول السليمة التي تعقل وتدرک.

سورة الحجر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّيْلَكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ وَفَوْهُ إِن مِّنْ دُونَِ الَّذِيْنَ
كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿١﴾ ذَرَهُمْ أَكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ
الْأَعْمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ وَمَا أَهْلَكَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا
كِتَابٌ مُّعْلُومٌ ﴿٣﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أَمْرِ أَجْهًا وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ ﴿٤﴾
وَقَالُوا يَأْتِيَانَا بِالْمَلَكِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴿٥﴾ مَا نَزَّلَ الْمَلَكُ
إِلَّا الْحَقَّ وَمَا كَانُوا إِذْ أَنْظَرِينَ ﴿٦﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لَحٰفِظُونَ ﴿٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾
وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٩﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُ
فِي قُلُوبِ الْخٰمِرِينَ ﴿١٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١١﴾
وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَهْرَجُونَ ﴿١٢﴾
لَقَالُوا إِنَّمَا سَكْرَاتُ بَصَرٍ نَّابِلٍ نَحْنُ قَوْمٌ مُّسْحُورُونَ ﴿١٣﴾

١- ﴿الر﴾: ألف، لام، واو، تقدم بيان المراد منها، تلك آيات هذه السورة آيات الكتاب الكامل في كل شيء، والقرآن الواضح التام البيان. جمع بين الاسمين، وعطف كلمة ﴿قرآن﴾ على ﴿الكتاب﴾ من قبيل عطف الصفة على الموصوف. وتكرير كلمة ﴿قرآن﴾ للتفخيم.

٢- وكثيراً ما يتمنى الكفار في الآخرة حينما ينكشف لهم الأمر أن لو كانوا في الدنيا مسلمين خاضعين متقادين لله، مؤمنين بالقرآن. وربما: استعملت هنا في الكثير، والغالب استعمالها في القليل.

٣- اتركهم أيها النبي على ما هم عليه من الاشتغال بالأكل والتمتع بدنيهم، وإلهاء الأمل بطول العمر وغيره عن الإيمان واتباعك، فسوف يعلمون عاقبة أمرهم، وسوء صنيعهم إذا عاينوا الجزاء الأخروي. وهذا تهديد لهم.

٤- وما أهلكنا أهل قرية (بلد) من القرى، إلا ولها أجل محدود لإهلاكها، أجل مقدر، وأمر مكتوب في اللوح المحفوظ لا بد من حصوله.

٥- لا يتقدم هلاك أمة قبل مجيء أجلها ولا يتأخر عنه، فلا يغتروا بالإمهال. وتذكير فعل ﴿يستأخرون﴾ العائد على ﴿أمة﴾ للحمل على المعنى.

٦- وقال المشركون استهزاء وسخرية وتهكماً: يا أيها الذي نزل عليه القرآن، إنك لمنجون في ادعائك.

٧- هلا تأتينا بالملائكة ليشهدوا على صدقك وأنتك رسول الله حقاً، إن كنت صادقاً في دعواك أو قولك: إنك نبي، وإن هذا القرآن من عند الله تعالى.

٨- رد الله عليهم بقوله: ما ننزل الملائكة للعذاب والإهلاك وغير ذلك إلا بمقتضى الحكمة الإلهية، فهو تنزيل مقترن بالحق، وما كانوا حين نزول الملائكة بالعذاب مؤخرين لحظة واحدة، أي لو نزلنا الملائكة لعوجلوا بالعقاب.

٩- إنني أنا الله الذي نزلت القرآن، وإنني له لحافظ من التحريف والتبديل، والزيادة والنقص. وهذا رد لإنكارهم واستهزائهم.

١٠- ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك في الأم الماضية والجماعات السالفة وسائر الفرق.

١١- وما يأتي رسول شيعته للدعوة إلى توحيد الله وطاعته إلا كانوا به يستهزئون. وهذا للتسرية عن ههنا وأحزان النبي.

١٢- مثل إدخالنا التكذيب والكفر والاستهزاء في قلوب أولئك الأولين، ندخله في قلوب المشركين من قومك، لقساوتهم.

١٣- لا يؤمنون أو لا يصدقون بالقرآن ولا بالنبي، وقد مضت سنة الله فيهم من الإذلال والإهلاك بتكذيب أنبيائهم. وهؤلاء مثلهم، والكلام تحذير لكفار مكة.

١٤- ولو فتحنا على هؤلاء المشركين باباً من السماء، ومكناهم من الصعود إليه، فصاروا يصعدون إلى السماء.

١٥- لقال هؤلاء الكفار لفرط عنادهم: إنما منعت أبصارنا عن الإبصار، بل نحن قوم مسحنا محمد بذلك. والمراد التأكيد منهم على أن ما يرونه لا حقيقة له، بل هو باطل خيل إليهم بنوع من السحر.

١٦- ولقد جعلنا في السماء منازل للنجوم والكواكب، ومنازل الكواكب السيارة اثنا عشر المشهورة، وزينا السماء بالكواكب للناظرين.

١٧- وحفظنا السماء من كل شيطان مرجوم بالحجارة، مطرود مبعد، من أن تسمع شيئاً من الوحي وغيره.

١٨- حفظناها بالشهب، لكن من استمع مستخفياً، فإن الشهب النارية الظاهرة لكل مبصر تتبعه وتحرقه. والشهاب: شعلة من نار.

١٩- والأرض بسطناها لتمكين الحياة المستقرة فيها، وجعلنا فيها جبالاً ثابتة لئلا تتحرك بأهلها، وأنبتنا في الأرض من كل شيء من النباتات، مقدر معلوم.

٢٠- وجعلنا لكم في الأرض كل ما يعاش به من غذاء وشراب ولباس ومسكن، وجعلنا معاش أيضاً لمن لا ترزقونهم من العيال والخدم والدواب، وإنما الله هو الرازق للجميع.

٢١- وما من شيء من الأرزاق والمنافع إلا عندنا خزائن رزقه، ونحن قادرون على إيجاده من العدم، وما نسمح بإنزاله إلا بمقدار معلوم، بحسب حاجة العباد إليه، ويمقتضى الحكمة.

٢٢- وأرسلنا الرياح فتملؤه ببخار الماء فيصير ماء، ولواقح للأشجار والأزهار، فجعلنا المطر سقياً لكم ولزراعكم ومواشيكم وغسل الأرض وتنظيف الجو والبيئة، ولستم خازنين لخزائنه في الآبار والعيون والغدران.

٢٣- وبيدنا الإحياء والإماتة، ونحن نرث الأرض ومن عليها، فالبقاء لنا بعد فناء الخلق، نرث جميع الخلق والكون.

٢٤- ونحن نعلم بكل من تقدم ولادة وموتاً، ومن تأخر فيهما، نعلم من مات من ولادة آدم ومن سيوجد من الأجيال.

٢٥- وإن ربك أيها النبي هو وحده المتولي لحشرهم وجمعهم يوم القيامة، ثم لحسابهم جزائهم، إنه حكيم في صنعه، عليم بخلقهم.

٢٦- ولقد خلقنا آدم الإنسان الأول من طين يابس يصلصل، أي يظهر صوتاً إذا نُفِرَ عليه أو حرك، ومن طين أسود.

٢٧- وخلق أبا الجن إبليس من قبل خلق آدم من لهب النار الشديدة الحر، التي تنفذ في المسام، الخالية من الدخان.

٢٨- واذكر أيها النبي حين قال ربك للملائكة: إني سأخلق بشراً من طين يابس أسود متغير.

٢٩- فإذا أتممت خلقته وكملت أجزائه، ونفخت فيه من روحي، فصار حياً، فاسجدوا له. والروح: شيء نوراني عجيب من خلق الله تعالى. أضاف تعالى الروح إلى نفسه إضافة خلق إلى خالق، وهو تشریف لآدم.

٣٠- فسجد لآدم كل الملائكة مجتمعين.

٣١- لكن إبليس امتنع من السجود، تعالياً بأنه خير من آدم، وتكبراً بسبب خلقه من نار، وآدم من طين.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَاسِيًا لِلنَّظِيرِينَ ۝ وَحِفْظًا
مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّجِيمٍ ۝ إِنَّا أَسْرَفْنَا السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ
مُّبِينٌ ۝ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَأْسِي وَابْنَيْنَا فِيهَا
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَنُورُونِ ۝ وَجَعَلْنَا لَكُمُ فِيهَا مَعَاشٍ وَمِن
لَّسَدٍ لَّهُ بَازِغِينَ ۝ وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا
نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ قَانِرينَا
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْشَرْنَاهُ إِلَّا بِحُزْنٍ ۝
وَأَنَّا لَخُنُّ نُنْجِي وَنُخْسِتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْنَا
الْمُتَّقِدِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَعِيرِينَ ۝ وَإِن رَّبَّكَ
هُوَ يُخْشِرُهُ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝ وَأَنجَانٍ خُلِقَ مِنْ قَبْلُ مِنْ
تَارِ السَّمُومِ ۝ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ
صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن
رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ۝

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَوْ
أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ
﴿٣٣﴾ قَالَ فَخَرَّجْنَاهَا مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ
إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾
قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَلُوفِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾
قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا
صِرَاطُ عَلِيِّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ
إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ آدَخُلُوهَا بِسَلَامٍ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى
سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٦﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا مِنْ حَرٍّ أَوْ شَرٍّ مِنْهَا
بِمُخْرِجِينَ ﴿٤٧﴾ تَحْتَ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٨﴾
وَلَنْ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٤٩﴾ وَنَسِيتُمْ عَنْ صِيفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥٠﴾

٣٢- قال الله تعالى: يا إبليس، ما منعك أن تكون
من الساجدين لأدم؟
٣٣- قال إبليس: لا ينبغي لي أن أسجد لبشر خلقته
من طين يابس، وأسود متغير الرائحة، مريداً بذلك أن
التراب أخس العناصر، وهو مخلوق من نار أشرف
العناصر، والأرقى لا يسجد للأدنى.
٣٤- قال الله تعالى: فأخرج من الجنة، فإنك ملعون
مطرود من رحمتي، لعصيانك أمري.
٣٥- عليك الطرد والإبعاد من رحمة الله بنحو دائم
مستمر إلى يوم القيامة والحساب.
٣٦- قال إبليس: رب، فأخزني ولا تمنني إلى اليوم
الذي يبعث فيه الناس من القبور.
٣٧- قال الله تعالى: فإنك من المؤخرين هلاكهم.
٣٨- إلى يوم الوقت المعلوم وقوعه عند الله، والمؤكد
حدوثه في علم الناس، وهو يوم القيامة.
٣٩- قال إبليس: بسبب إغوائك وإضلالك لي،
أقسم بعزتك لأزينن لبي آدم المعاصي في الدنيا،
ولأضلنهم أجمعين.
٤٠- إلا عبادك المؤمنين المطهرين من النقائص، الذين
استخلصتهم لطاعتك.
٤١- قال الله تعالى: إن حفظ العباد المخلصين من

الإغواء حق علي أن أراعيه، ولا سلطان لك عليهم.
٤٢- إن عبادي المخلصين ليس لك تسلط عليهم بالسوسة، أما القهر والإكراه على العصيان فليس في قدرتك، لكن
من اتبعك من العصاة والكافرين الواقفين في الضلال، فإنهم يتأثرون بإغوائك.
٤٣- وإن جهنم لموعده المتبعين لك، الغواية أجمعين.
٤٤- لجهنم سبعة أبواب، يدخل أهلها منها، وكانت سبعة لكثرة أهلها، لكل باب من أتباع إبليس الغواية قدر معلوم
مخصص له.

٤٥- إن الذين اتقوا ربهم وتجنبوا الكفر والفواحش في بساتين خضراء، وأنهار جارية. نزلت في سلمان الفارسي
الذي تقطع قلبه، وفر هارباً ثلاثة أيام من الخوف، لا يعقل، حينما سمع آية ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾
[٤٣].

٤٦- يقال للمتقين: ادخلوا الجنة سالمين من المخاوف والآفات، آمنين من كل فزع ومكروه.
٤٧- وأخرجنا ما في صدور أهل الجنة من حقد وعداوة وحسد، حال كونهم إخواناً متحابين، يتقابلون على أسرة:
مجالس رفيعة. نزلت في أبي بكر وعمر، لنزع غل الجاهلية الذي كان بين بني هاشم وبني عدي وبني تميم.
٤٨- لا يصيب التعب أهل الجنة، ولا يخرجون منها أبداً، بل هم خالدون فيها.
٤٩- أخبر أيها النبي عبادي المخطئين أنني أنا الكثير المغفرة للذنوبهم، الكثير الرحمة بهم إذا تابوا.
٥٠- وأن عذابي لمن خالف أمري وتجراً على معصيتي هو العذاب المؤلم، فليخافوا عقابي.
٥١- وأخبر أيها النبي عبادي بقصة ضيوف إبراهيم الخليل، وهم الملائكة الاثنا عشر، منهم جبريل، حيث اجتمع له في
أمرهم الرجاء والخوف، ليعتبروا بذلك.

٥٢- حين دخلوا على إبراهيم، فسلموا عليه، فقال لهم بعد تقديم الضيافة: إننا فزعون خائفون منكم، بسبب الدخول علينا من غير استئذان.

٥٣- قالوا له: لا تخف، إننا نبشرك بولادة غلام كثير العلم، وهو إسحاق.

٥٤- قال إبراهيم: أتبشرونني بالولد حال الهرم والشيخوخة، فبأي شيء تبشرونني؟ وهو استفهام تعجب بمقتضى العادة المألوفة، لا بالنظر لقدرة الله تعالى.

٥٥- قالت الملائكة: بشرك بالامر المحقق المتيقن الذي لا شك فيه، فلا تكن من اليائسين من رحمة الله بوجود الولد حال الكبر.

٥٦- قال إبراهيم: لا يياس من رحمة الله إلا القوم الضالون عن طريق الحق والصواب، الكافرون الذين لا يعرفون كمال قدرة الله وسعة رحمته، فلم يكن تعجبي بسبب القنوط، وإنما بسبب الكبر عادة.

٥٧- قال إبراهيم: فما أمركم الخطير أو شأنكم وحالكم أيها المرسلون غير هذه البشارة؟

٥٨- قالوا له: إننا أرسلنا من الله إلى قوم كافرين، هم قوم لوط لإهلاكهم.

٥٩- إلا آل لوط الذين آمنوا برسالته، إننا لننجوهم ومنقذوهم أجمعين من الهلاك لإيمانهم.

٦٠- إلا امرأة لوط قضينا وحكمنا بأنها من الباقيين في العذاب لكفرها.

٦١- فلما أنت الملائكة المرسلون قوم لوط.

٦٢- قال لوط: إنكم قوم لا أعرفكم، فلستم بمعرفين لنا.

٦٣- قالت الملائكة: لا تخف، بل جئتكم بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه.

٦٤- وأتيناك بالامر والخبر المحقق الثابت، وإننا لصادقون في قولنا.

٦٥- فأخرج مع أهلك وأتباعك بجزء من الليل، وامش خلفهم لحثهم على الإسراع، ولئلا يتخلف منهم أحد، ولا يلتفت منكم أحد ورائه، فيرى فداحة العذاب، وسيروا إلى المكان الذي أمركم الله بالاتجاه إليه، وهو الشام.

٦٦- وأوحينا إلى لوط ذلك الأمر المقضي فيه وهو إهلاك قومه، وآخر من يبقى منهم يهلك وقت الصبح، أي أنهم هالكون جميعاً.

٦٧- وجاء قوم لوط أهل مدينة سدوم، مستبشرين بأضياف لوط الحسان، بقصد ارتكاب الفاحشة بهم.

٦٨- فقال لهم لوط: إن هؤلاء أضيافي الذين يحتاجون إلى التكرم، فلا توقعوني في العار والخزي بالإساءة لهم.

٦٩- وخافوا الله وتجنبوا ارتكاب الفاحشة، ولا تلحقوا بي الذل والهوان بقصدكم إياهم.

٧٠- قال قومه: أو لم تنهك يا لوط عن التكلم في شأن أحد من الناس إذا قصدناه شهوة؟ فإنهم يتعرضون لكل غريب، وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعته.

٧١- قال لهم لوط: هؤلاء بناتي تزوجوهن حلالاً إن كنتم تريدون قضاء الشهوة، ولا تسبوا لأضيافي.

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشِّرُونِي عَلَى أَنْ تَسْنَى الْكِبَرُ فِيمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشْرُكَ بِالْحَيِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَاطِئِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْطَعُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الْأَصَّالُونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَأَخْطَبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ الْآءَالُ لُوطُ إِنَّا لَنَجْزِيهِمْ أَجْعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرًا لَكَ وَقَدْ نَأْتِيهِمُ الْعَلَمِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلُ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَآكِلِنَا فَأَنْتُمْ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ وَتَسْبَعُ أَذْبَرُهُمْ وَلَا يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَآمَسُوا حَيْثُ تَوَمَّرُونَ ﴿٦٣﴾ وَفَضِينًا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرُ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُفْصِحِينَ ﴿٦٤﴾ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَرَفِي فَلَا تَقْصُصُوا ﴿٦٦﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزَوْا ﴿٦٧﴾ قَالُوا أَوْ لَرْتَنَهُكَ عَنِ الْعَلَمِينَ ﴿٦٨﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ قَعْلِينَ ﴿٦٩﴾

٧٢- قسماً بحياتك، أي حياتك يا لوط أويا محمد، إنهم في غوايتهم يترددون.

٧٣- فأخذتهم صيحة الملك عند خسف ديارهم- والصيحة: الصوت الشديد المزعج- وقت الشروق.

٧٤- خسفنا بهم الأرض، بأن جعلنا عاليها سافلها، وقلبتا مدينتهم بمن فيها، وأنزلنا عليها حجارة من طين متحجر.

٧٥- إن في ذلك العذاب النازل بقوم لوط لدلالات على قدرة الله وتوحيده، وعبراً وعظات، للناظرين المتفكرين.

٧٦- وإن قرى قوم لوط على طريق قومك قريش إلى الشام، يراها المسافرون بنحو ثابت.

٧٧- إن في ذلك العذاب لعبرة للمؤمنين بالله.

٧٨- وقد كان أصحاب الأيكة (الغيضة: وهي مجتمع الشجر الكثير الملتف على بعضه، بين ساحل البحر الأحمر ومدين) وهم قوم شعيب قومًا ظالمين بتكذيبهم شعيباً وكفرهم بالله وحده.

٧٩- فأهلكناهم بعذاب يوم الظلة، وإن ديار قوم لوط، ومساكن قوم شعيب لبطريق واضح.

٨٠- ولقد كذب الرسل أصحاب الحجر وهم

ثمود، والحجر: وادي بين المدينة والشام، والتكذيب

لَمُرْكُ إِيَّاهُمْ لَمَّا سَكَّرْتَهُمْ بِمَهُوْنٍ ۖ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ۚ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ۚ وَإِنَّهَا لَسَبِيلٌ مُقِيمٌ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ۚ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ۚ فَاتَّقِنَا مِنْهُمُ وَإِنَّهُمَا لَبِئَامٌ مُنِيْنٌ ۚ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ۚ وَءَاتَيْنَاهُمُ الْيَتَامَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۚ وَكَانُوا يَحْنُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا أَمِينًا ۚ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُضِيِّينَ ۚ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۚ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْصَبْ ۚ وَالصَّغْبُ الْجَبِيلُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۚ وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ۚ لَا تَغْدُنَ عَلَيْهِمْ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ۚ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُنِينُ ۚ كَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِبِينَ ۚ

لصالح عليه السلام، والتعبير بالرسول عن الرسول؛ لأن تكذيب رسول تكذيب لباقي الرسل.

٨١- وآتيناهم ثمود آياتنا الدالة على صدق رسولنا، المنزلة على صالح؛ ومنها الناقة، فكانوا معرضين عنها.

٨٢- أي وكانوا يقبضون الجبال، وينون فيها منازل يحسبون أنها تحميهم من العذاب.

٨٣- فأخذتهم صيحة العذاب الشديد وقت الصباح.

٨٤- فما دفع عنهم العذاب ما كانوا يكسبون من الأموال وما ينتحون من بناء البيوت والحصون في الجبال.

٨٥- وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات والجماادات إلا بما يتفق مع الحق الثابت الدائم، وإن القيامة لكائنة حتماً لا محالة، فاعف أيها النبي عن قومك عفواً حسناً، لا عتاب معه، ولا جزع فيه.

٨٦- إن ربك أيها النبي هو خالق كل شيء، والعليم بكل شيء من أفعال خلقه.

٨٧- ولقد آتيناك أيها الرسول سبع آيات تنبئ وتكرر في كل ركعة، وهي الفاتحة، والقرآن العظيم فيما اشتمل عليه، وهو عطف عام على خاص، والكل على الجزء.

٨٨- لا تنظر نظرة راغب متمن إلى ما متعنا به أصنافاً من الكفار والمشركين بمتع الدنيا وزخارفها، ولا تحزن عليهم إذا لم يؤمنوا، وتواضع برفق ولين للمؤمنين.

٨٩- قل: إني أنا المخوف من عذاب الله كل من عصى الله ورسوله، الموضح كل ما يتعرضون له من عذاب.

٩٠- أنزلنا عليك القرآن كما أنزلنا كتاباً على اليهود والنصارى الذين قسموا القرآن إلى حق وباطل، فأمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض أو أنزلناكم ما أنزلنا على المقتسمين من العذاب يوم بدر وهم الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم لينفروا الناس عن الإيمان بالرسول ﷺ، والظاهر لي هذا الرأي.

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ قَوْلِكَ لَسْتَ لَهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ فَأَصْدَعْ بِأُتُومٍ وَأَعْرِضْ عَنِ
الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْتَكَ الْمُسْتَهِزِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ
يُحْمَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرُ سَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ عَلِمَ
أَنَّكَ ضَيِّقُ صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ
مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَنَّىٰ أُمِرَ اللَّهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿٩١﴾ يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ وَعَلَىٰ مِنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ
أَن أُنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٩٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ الْخَوَّيْنِ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ
مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٩٤﴾ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا
لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٩٥﴾

٩١- الذين جعلوا القرآن أجزاء متفرقة، بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل، وبعضه باطل مخالف لهما، أو قسمه المشركون أجزاء بعضه شعر، وبعضه سحر، وبعضه كهانة ونحو ذلك، والراجح الرأي الثاني.

٩٢، ٩٣- قسماً بربك أيها النبي لنسألن هؤلاء الكفرة يوم القيامة عما فعلوا من المعاصي، وعملوا في الدنيا من أعمال يؤاخذون عنها، من كفر وتكذيب. وهو سؤال توبيخ وتقرع.

٩٤- فاجهر أيها النبي بدعوتك إلى التوحيد، وبلغ ما أنزل إليك من ربك، ولا تبال بالمشركين. لم يزل النبي ﷺ مستخفياً بالدعوة، حتى نزلت هذه الآية، فخرج هو وأصحابه معلناً.

٩٥- إنا كفيتك شر المستهزين من المشركين المكين وهم خمسة من رؤساء مكة: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن الطلائع، كفاهم الله بالإهلاك جميعاً في يوم واحد.

٩٦- المستهزين الذين يشركون مع الله إلهاً آخر، فسوف يعلمون عاقبة أمرهم في الدارين. نزلت في أولئك المستهزين بالنبي ﷺ الذين غمزوا به. وهذا وعيد لهم بالمجازاة على استهزائهم وشركهم في الآخرة.

٩٧- وتالله لقد تعلم أنك أيها النبي تتضايق بما يرميك به المشركون من السحر والجنون والكهانة والكذب.

٩٨- فنزه ربك عما لا يليق به تنزيهاً مقروناً بالتحميد، وكن من المصلين، فإن الصلاة تفرج الكرب وتذهب الهموم.

٩٩- وداوم على عبادة ربك حتى يأتيك الموت، وسمي باليقين لأنه أمر حتمي.

سورة النحل

١- قرب ودنا الأمر الموعود به وهو نصر النبي ص وتغليب الكافرين، فلا تتعجلوه فإنه آت حتماً، تنزه الله وتعظيمه وتقديره عن نسبة الشريك له من الأوثان والأصنام. كان المشركون يستعجلون قيام الساعة، أو الإهلاك، ويقولون: إن صح ما يقول، فالأصنام تشفع لنا، وتخلصنا منه، فنزلت.

٢- ينزل الله جبريل من الملائكة بالوحي من قرآن وغيره، وهذا الوحي من أمر وإرادة الله وحده، على من يشاء من عباده، بأن أنذروا بالعذاب، وبلغوا أنه لا إله يعبد بحق إلا الله وحده، فخافوا عذابي إن عبدتم غيره وخالفتم أمري.

٣- خلق الله السموات والأرض بقدرته، خلقاً ملازماً للحق، لا باطلاً وعبثاً، تعظم الله عن الشريك في ملكه.

٤- خلق الله الإنسان من نطفة هي ماء الرجل، فإذا هو شديد الخصومة والجدل وظاهر الخصام والإنكار للبعث والجزاء.

٥- وخلق الأنعام (الإبل والبقر والغنم) لكم، فيها ما تستدفئون به لدفع البرد والحر من الكساء والرداء بأشعارها وأصوافها وأوبارها، ومنافع كثيرة من النسل والدر والركوب، وتأكلون من لحومها وشحموها.

٦- ولكم في الأنعام تحمل وتزين في أعين الناس، حين الروح بالعشي والمساء من المرعى، وحين الإخراج صباحاً للمرعى.

٧- وتحمل أحمالكم الثقيلة إلى بلد بعيد، لا تصلون إليه إلا بمشقة وإرهاق نفس، إن ربكم لكثير الرأفة والرحمة بكم حيث خلقها لكم.

٨- وخلق لكم الخيل والبغال والحمير لتركبوا عليها وتحملوا أمتعتكم عليها، وجعلها لتزينوا بها زينة في وقت الرخاء، ويخلق لكم ما لا تعلمون من الأشياء العجيبة الغريبة، مثل وسائل النقل ووسائل الفضاء الحديثة، من السيارات والطائرات والقطارات وسفن الفضاء والصواريخ الجبارة.

٩- وعلى الله بيان الطريق المستقيم إلى الخير ببسر وسهولة، ومن الطرق طريق حائد عن الاستقامة لا يوصل إلى الهداية، ولو شاء الله لهداكم أجمعين إلى الطريق الصحيح، ولكن اقتضت حكمته ترك حرية الاختيار لكم، ليظهر دور الإنسان وجهده وجهاده.

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ يُرِيحُونَ وَحِينَ يُسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّا تَكُونُوا بِلِفَيْهِ إِلَّا بِإِذْنِ الْأُنْفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَعَدَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۝ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝ يُبَيِّتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالْخَيْلَ وَالْأَنْعَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ وَنَحَرًا لَّكُمْ الْبَلَدَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجْمُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي يَخْرِجُ النُّجُومَ لَنَّا كَوْنًا مِنْهُ لَمَّا طَرَبْنَا وَنَسَخَّرُهَا مِنْهُ حَلِيةً نَلْبَسُوهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَهِهً وَلِلْبَنَاتِ مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝

١٠- الله الذي أنزل من السحاب مطراً، لكم منه شراب عذب تشربونه أنتم ومواشيكم، ولكم منه شجر: وهو كل مال له ساق حتى المراعي، فيه ترعون مواشيكم.

١١- ينبت لكم بالماء الزرع والزيتون والنخيل والعنب ومن جميع أصناف ثمار الفاكهة وبقية الثمار النافعة، إن في ذلك الإنزال والإنبات آية عظيمة دالة على وحدانية الله وقدرته، لقوم يتفكرون في صنعه.

١٢- وصير لكم الليل والنهار نافعين، وهما لمنافعكم، والشمس والقمر والنجوم مذللات بإرادته، إن في ذلك التسخير لآيات وعلامات دالة على القدرة الإلهية والوحدانية، لقوم يتأملون بعقولهم في هذه العلامات.

١٣- وخلق وسخر لكم جميع المخلوقات الأرضية على اختلاف ألوانها وأنواعها من حيوان ونبات وجماد، إن في ذلك الاختلاف آية واضحة لقوم يذكرون نعم الله، فيعتبرون ويشكرون.

١٤- وهو سبحانه الذي ذلل البحر للركوب والاصطياد والغوص فيه، ولتأكلوا منه اللحم الطري وهو السمك، وتستخرجوا منه حلية للباس والزينة، وهي اللؤلؤ والمرجان، وترى السفن جوارى في البحر، تمخر الماء، أي تشقه بجريها فيه، مقبلة مدبرة، ولتطلبوا الرزق بالاتجار وغيره من فضل الله، ولتشكروا الله على هذه النعم، وتعترفوا حقها.

١٥- وألقى الله في الأرض جبلاً ثوابت لثلاً تضطرب بكم، وفجر فيها أنهاراً، وأوجد فيها طرقاً مختلفة مذللة لعبورها في الأسفار، والاهتداء بها إلى المقاصد والبلدان.

١٦- وجعل في الأرض أمارات ومعالم في النهار تدل السائر على الطرق كالجبال والسهول والوديان، وجعل النجوم والكواكب أمارات للاهتداء بها في الليل، إلى الطرق والقبلة مثلاً.

١٧- أفمن يخلق هذه المخلوقات العظيمة المختلفة كمن لا يخلق كالأصنام، أفلا تتذكرون قدرة الله وتعظون، وتذكرون وجوده ووحدانيته فتؤمنون؟ أي لا تسووا بين القادر على الخلق وهو الله، والعاجز عن خلق أي شيء مهما صغر.

١٨- وإن تعدوا نعم الله الكثيرة عليكم لا تضبطوها، فضلاً عن أداء حق شكرها، إن الله واسع المغفرة للذنوب والتقصير عن شكر النعمة، رحيم بالعباد حيث أوجد النعم لهم، وإن لم يشكروه عليها.

١٩- والله يعلم كل ما تخفون وما تظهرون من عقائد ونيات وضمائر وأعمال، وهو وعيد على الشرك وخبائث الأفعال.

٢٠- والأصنام الألهة التي يعبدونها المشركون غير الله

وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَيْنَا أَنْ نَحْكُمَ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ ذِكِيرٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُلَئِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُدْعَوْنَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٢١﴾ أَمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُدْعَوْنَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٢٢﴾ أَمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُدْعَوْنَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُدْعَوْنَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٢٤﴾ أَمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُدْعَوْنَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٢٥﴾ أَمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُدْعَوْنَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٢٦﴾ أَمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُدْعَوْنَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٢٧﴾ أَمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُدْعَوْنَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٢٨﴾ أَمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُدْعَوْنَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٢٩﴾ أَمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُدْعَوْنَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾

لا يتمكنون من خلق شيء من المخلوقات، وهم مخلوقون مصنوعون بأيدي الكفار من أحجار وأخشاب وغيرها. وهذه موازنة تؤكد مضمون الآية السابقة [١٧]. وصفهم بصفة العقلاء في زعم العابدين.

٢١- إنهم جمادات ميتة لا روح فيها، وما تشعر هذه الجمادات متى يبعث عبدتهم من الكفار؟

٢٢- إلهكم المعبود بحق معشر الناس إله واحد لا شريك له، فالذين لا يصدقون بالآخرة قلوبهم جاحدة للوحدانية، أعماها العناد والأهواء، وهم مستعلون عن قبول الحق والإيمان.

٢٣- حقاً، إن الله يعلم ما يخفون من ضمائر ونوايا، وما يعلنون من أقوال وأفعال، فيجازيهم بذلك، إنه تعالى يعاقب التكبرين عن توحيد الله وغيرهم.

٢٤- وإذا قيل للمشركين: ماذا أنزل ربكم على رسوله محمد ﷺ؟ قالوا: أكاذيب وأباطيل الغابرين القدماء، يتحدث بها الناس عمن مضى.

٢٥- وتكون عاقبة تكذيبهم بالقرآن وإدعائهم أنه مجرد أساطير أن يتحملوا ذنوبهم بسبب هذا القول وغيره، لم يكفر منها شيء، لعدم إسلامهم، ويتحملوا أيضاً بعض ذنوب الذين أضلهم؛ لأنهم دعواهم إلى الضلال، فاتبعوهم، وهم يضلون الناس جاهلين الآثام المترتبة على فعلهم، ألا بس ما يحملون من أوزار وآثام.

٢٦- قد دبر في الخفاء الذين كانوا من قبل كفار مكة تدبيراً خائباً، وهو غرؤ بن كنعان الذي بنى برجاً عظيماً ببابل، ليصعد إلى السماء، فيقاتل أهلها، فأهلكه الله وأفناه، وهدمه بالريح والزلزلة من الأساس، فسقط عليه وعلى قومه البناء، وجاءهم العذاب (الهلاك) من حيث لا يشعرون به ولا يتوقعون. وهذا وعيد للكفار المعاصرين للنبي ﷺ ولأمثالهم بأن مكروهم سيعود عليهم وباله.



٢٧. ثم يوم القيامة يذللهم ويعذبهم بالنار، ويقول لهم توبوا: أين شركائي من الآلهة المزعومة الذين كنتم تخاصمون وتنازعون الأنبياء والمؤمنين فيهم؟ قال الذين أوتوا العلم من الأنبياء والمؤمنين: إن الذل والفضيحة يوم القيامة، والعذاب واقع على الكافرين وحدهم لا محالة.

٢٨. الذين تقبض الملائكة أرواحهم، حالة كونهم ظالمين أنفسهم بالكفر، فانقادوا واستسلموا عند الموت، وأقروا بربوبية الله، وقالوا كذباً: ما كنا نعمل شيئاً من كفر أو شرك وعدوان، فتجيهم الملائكة: بلى، إن الله عليم بما كنتم تعملون السوء، ولا ينفعكم هذا الكذب، والله يجازيكم على عملكم.

٢٩. ثم يقال لهم عند الموت: ليدخل كل فريق بابَه المعدَّ له إلى جهنم، خالدين فيها إلى الأبد، فبئس مكان إقامة المتكبرين عن الإيمان والطاعة: جهنم.

٣٠. وقيل للمؤمنين الذين اتقوا ربهم وتجنبوا الشرك: ماذا أنزل ربكم على رسوله؟ قالوا: أنزل

الله عليه خير أعمى في الدنيا والآخرة، وهو القرآن العظيم، للمحسنين الذين أحسنوا بالإيمان والعمل الصالح حياة طيبة في الدنيا ومثوبة حسنة، ومثوبة الآخرة بالجنة والرضوان خير وأفضل مما أوتوه في الدنيا، ونعم دار الآخرة دارهم. وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ هو من جملة قولهم الذي أنزله الله، أو من كلام الله تعالى، وهو وعد للمؤمنين جزاء قولهم وإيمانهم. والقاتل: وفود بعض القبائل المحيطة بمكة.

٣١. ودار المتقين: هي جنات إقامة دائمة يدخلونها، تجري الأنهار من تحت بساطينها وغرفها، لهم فيها صفوا كل ما يشاؤون من أنواع المشتبهات، مثل هذا الجزاء يجزي الله الذين التزموا الأوامر واجتنبوا النواهي.

٣٢. الذين تقبض الملائكة أرواحهم طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي، يقول الملائكة لهم تطمينا عند الموت: سلام (أمان) عليكم، ادخلوا الجنة بعملكم الصالح، أي وبرحمته تعالى، كما جاء في الحديث الصحيح. والعمل عدل، والرحمة فضل.

٣٣. ما ينتظر هؤلاء الكفار إلا إتيان ملائكة الموت لقبض أرواحهم، أو إتيان أمر الله بالعذاب الدنيوي الذي يستأصلهم أو يوم القيامة المشتمل على العذاب، مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب، فعل الذين من قبلهم من الأمم، وما ظلمهم الله بالتعذيب، ولكنهم ظلموا أنفسهم بالكفر والعصيان.

٣٤. فأصابهم جزاء أعمالهم السيئة، ونزل وأحاط بهم العذاب الذي استهزؤوا به، وأنكروا وقوعه.

٣٥- وقال المشركون من أهل مكة استهزاء وتعتاً وإبطالاً لبعثة النبي والتكليف: لو شاء الله ألا نعبد غيره من الأصنام والأوثان؛ ما عبدنا ذلك، نحن وأباؤنا السابقون، ولا حرماناً من غيره شيئاً من الأنعام كالسواحب والبهائم، فأشركنا وتجرعنا بمشيئة الله، فهو راض به، فأجابهم الله: مثل ذلك، فعل السابقون بالإشراك وتكذيب الرسل، فمأ على الرسل إلا الإيلاج البين الواضح لرسلالة الله، وليس عليهم تحقيق الهداية.

٣٦- ولقد أرسلنا في كل أمة من الأمم السابقة رسولاً يقول لهم: اعبدوا الله وحده، واتركوا كل معبود دون الله كالشيطان والكاهن والصنم والداعي إلى الضلال، فمن الناس من وفقهم الله للإيمان والعمل الصالح، ومنهم من وجبت عليه الضلالة في علم الله، فلم يؤمن باختياره دون أن يمنعه مانع، وأصر على الكفر والعناد، فامشوا في الأرض متأملين، وانظروا مصير المكذبين السابقين عند مشاهدة آثارهم كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين.

وَقَالُوا الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَكَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَاهُ الْمُبِينِ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ تَحَرَّضْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعِثُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لَيْسَ لَهُمْ الَّذِي يُجْلِفُونَ فِيهِ وَلَيْعَلَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنْوِيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآخِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

٣٧- إن تحرص أيها النبي على هداية قومك المشركين، فإن الله لا يوفق ولا يرشد من كان ضالاً في علم الله، وهو من حقت عليه الضلالة، وليس لهم أنصار ينقذونهم من العذاب.

٣٨- وأقسم المشركون بالله أيماناً مغلفة هي متهى اجتهدهم في تأكيد البمين أنه لا يبعث الله الموتى، بلى يبعثهم، وعد الله ذلك وعداً حقاً، ولكن أكثر الناس وهم الكفار ومنهم أهل مكة لا يعلمون أنهم مبعوثون.

٣٩- يبعثهم ليوضح لهم الأمر المختلف فيه بينهم وبين المؤمنين من أمر الدين كالبعث والثواب والعقاب والجنة والنار، وليعرف الكافرون المنكرون البعث أنهم كانوا كاذبين في إنكار البعث.

٤٠- إنما قولنا في الخلق لشيء إذا أردنا إيجاده: أن نقول له: ﴿كن فيكون﴾ [البقرة ١١٧/٢] ومواقع أخرى، سواء البدء والإعادة.

٤١- والذين تركوا الديار والأموال من أجل رضوان الله، ونصر دين الله، من بعد ما عذبوا وأوذوا من المشركين، لننزلهم في الدنيا مساكن حسنة. والمراد هنا المدينة المنورة. وثواب الآخرة على أعمالهم الحسنة وهو الجنة أعظم، لو علم الظلمة الكفار بذلك. وفي هذا ترغيب في الهجرة من مكة إلى المدينة حينما كانت فرضاً في صدر الإسلام؛ لأنه بالهجرة قوي الإسلام.

٤٢- أولئك المهاجرون الذين صبروا على أذى المشركين، واعتمدوا على ربهم في أمورهم كلها.

٤٣- وما أرسلنا رسلاً من قبلك أيها الرسول إلا رجالاً لا ملاقاة، فاسألوا أيها المشركون المعترضون على بشرية الرسل العلماء بكتب الله السابقة كالطوراة والإنجيل، إن كنتم لا تعلمون ذلك أن جميع الرسل بشر.

٤٤- أرسلناهم بالمعجزات الدالة على صدق نبوتهم وبالكتب الإلهية المشتملة على الشرائع والتكاليف، وأنزلنا إليك أيها الرسول القرآن لتبين للناس ما أنزل الله من أسرار التشريع وأحكامه والوعد والوعيد، ويتفكروا ويتأملوا فيما جاء فيه، فيعرفوا الحقائق ويعتبروا.

٤٥- أفأمن الذين دبروا التدابير الخفية التي تسوء عاقبتها كإيذاء الرسول ﷺ وأصحابه ومحاولة إبطال الإسلام والصد عن دعوة الله: أن يخسف الله بهم الأرض كما خسف بقارون، أو يجيئهم العذاب فجأة، من حيث لا يتوقعون، من جهة لا تخطر ببالهم، كما فعل بقوم لوط، وكما أهلك المشركين في بدر.

٤٦- أو يأخذهم بالعذاب في سفرهم للتجارة ونحوها، فما هم بفاتنين الله بالهرب، ولا مفلتين من عقابه، ولا ممتنعين.

٤٧- أو يأخذهم مع خوف وحذر من الهلاك، وتقص أموالهم شيئاً فشيئاً، فإن ريكهم لرؤوف رحيم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة.

٤٨- أو لم ينظر الكفار نظرة تأمل إلى ما خلق الله من شيء ذي ظل كجبل وشجر ونحوهما، تميل ظلاله من جانب إلى جانب أو ترجع وتتقل من اليمين والشمال، منقادة لحكم الله وتسخيره، وهم أي الظلال خاضعون منقادون لما يراد منهم.

٤٩- والله يخضع وينقاد جميع ما في السموات والأرض، من الدواب التي تدب على الأرض، والملائكة الساجدون العابدون، وهم لا يتكبرون عن طاعته وعبادته والسجود له.

٥٠- يخاف الملائكة من ربهم الذي هو عال عليهم بالقهر والغلبة، ويطيعون الله في كل ما يأمرهم به.

٥١- وقال الله ناهياً عن الشرك: لا تتخلوا إلهين، كالثنوية الذين يقولون بإله النور وإله الظلمة، إنما إله واحد لا شريك له، فخافوني وحدي دون غيري، واحذروا عذابي.

٥٢- والله سبحانه جميع ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً وتصرفاً، وله الطاعة والإخلاص دائماً لازماً، أنخافون غير الله الذي لا يضر ولا ينفع!

٥٣- وليس بكم من نعمة دينية أو دنيوية إلا من الله وحده، ثم إذا أصابكم الضر من مرض وفقر وحاجة فإليه تنضرعون في كشفه.

٥٤- ثم إذا رفع الله الضر (الشدة والبلاء) عنكم، إذا فارق منكم وهم الكفار، يشركون مع ربهم إلهاً آخر في العبادة، حيث يقابلون النعمة بالنعمة، والشكر بالشرك بالله، وينسون المنعم المنقذ.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَهُمْ لَوَا أَهْلَ
الْذِكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالنِّبْتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ الذِّكْرَ الْبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ
الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾
أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَهُمْ يَمْجِرُونَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى
تَخَوُّفٍ فَإِنْ رَكِبُوا لُزُوفَ رَجِيمٍ ﴿٤٧﴾ أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خُلِقَ
اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَّبِعُونَ ظُلُمًا عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ
ذَخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ سَجْدٌ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ
وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُشْكَرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ
وَيَعْمَلُونَ مَا يَأْمُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا
إِلَهِينَ أَشْياءَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارَهُبُونَ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الَّذِينَ وَاصِبًا أَقْبَرُ اللَّهُ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾
وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَرِحْتُمْ بِهَا وَإِذَا مَسَّكُمُ الضَّرَبُ الْيَهُ جَعَلْتُمْ كُفْرًا
إِذَا كُفِيَ الضَّرَبُ عَنْكُمْ إِذَا فَرِقَ بَيْنَكُمْ بَرِيَّهُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٣﴾



٥٥- وتكون عاقبة هؤلاء الذين تضرعوا ثم أشركوا الكفر بما آتاهم من النعمة، فاستمتعوا بعبادة الأصنام، فسوف تعلمون عاقبة أمركم وما يحل بكم من العذاب، وهذا على سبيل التهديد والوعيد.

٥٦- ويجعل المشركون لألهتهم التي لا علم لها؛ لأنها جمادات أو شياطين، جزءاً مما رزقناهم من الزروع والأنعام، والله لتسألن سؤال توبيخ عما كنتم تكذبون على الله من أنه أمركم بذلكم.

٥٧- ويجعل بعض المشركين لله البنات، وهم خزاعة وكنانة القائلون: الملائكة بنات الله، تنزه الله عما ينسبه إليه هؤلاء من الولد والشريك، ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون من البنين.

٥٨- وإذا بشر أحد المشركين بولادة أنثى، صار وجهه متغيراً بالغم والكآبة وهو ممتلى غيظاً وحقدًا.

٥٩- يختفي حياء وخجلًا من وجه قومه، من سوء البشارة أو الخبر الذي بلغه، أتركه محبوساً بلا قتل، بهوان وذل، أم يخفيه في التراب ويثده،

ألا قبح ما يفعلون، وبئس الحكم حكمهم هذا، بنسبة البنات إلى الله تعالى.

٦٠- للكفار صفة السوء القبيحة، والسوء: كل ما يسوء، وهي وأد البنات والمغالة في حب البنين الذكور لحاجتهم إليهم في الحروب وشؤون الحياة، والله وحده الصفة العليا، وهي الكمال المطلق والاستغناء عن كل ما عده، وهو القوي في ملكه، القاهر، الكامل القدرة، المتصف بكمال الحكمة في صنعه وخلقه وتدييره.

٦١- ولو يعاقب الله فوراً الناس الكفار أو جميع العصاة بالشرك والمعاصي، ما ترك على الأرض كل شيء يذب، ياهلاك الظالمين، ولكن اقتضت حكمة الله إمهالهم وتأخير عقابهم إلى وقت محدد هو وقت عذابهم، فإذا حق عليهم العذاب أو انتهى أجل حياتهم لا يتأخرون ساعة عنه ولا يتقدمون.

٦٢- وينسبون إلى الله ما يكرهون لأنفسهم من البنات، ويكذبون مدعين أن لهم الخصلة الحسنى، وهي الجنة، حقاً أن لهم النار، وأنهم متروكون في النار أو مقدمون قبل غيرهم، معجلون إليها.

٦٣- والله لقد أرسلنا رسلاً إلى أم قبلك، فحسن لهم الشيطان أعمالهم القبيحة السيئة، فهو متولي أمورهم وناصرهم ومساعدهم، في الدنيا، ولهم عذاب مؤلم جداً.

٦٤- وما أنزلنا عليك أيها النبي القرآن إلا لتبين للناس ما اختلفوا فيه من أمر الدين، كالتوحيد والقدر وأحوال المعاد، وأمر الأحكام من حلال وحرام، وهدايا إلى النور، ورحمة لقوم يصدقون بالله ويكتبه ويرسله، ويعملون بأمره.

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَفْعَلُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُدْرِكُهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَتُسْأَلُنَّ عَنْهُمَا لَمَّا كُنْتُمْ تَقْتُلُونَ ۝ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ۝ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ ۚ أَيَسْكُمُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْمِ ۚ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَلَوْ لَوَّغْنَا اللَّهُ الْنَّاسَ لَيُظْلِمَهُمْ تَارِكًا عَلَيْهِمَ مِن دَابَّةٍ ۚ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسمىٰ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَرْجِعُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَصِفُوا لَهُمْ السَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَحْسِنُونَ ۚ لَأَجْرُ الْآنَ وَالْآخِرِ ۚ وَمَنْ مَّقْرُظُونَ ۝ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرِيقٌ لَّهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَبُوءُوا بِهِمْ ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝

٦٥- والله أنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون ﴿١٥﴾ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونهم من بين فَرْثٍ وَدُمٍ لَبِئْسَ خَالِصًا سَابِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿١٦﴾ وَبِمَرْثِ النَّحْلِ وَالْأَعْنَبِ يَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لقوم يعقلون ﴿١٧﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا لَيُخْرِجَنَّ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لقوم يَفْكَرُونَ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلٍ أَعْمَرَ لَكُنَّ لَابِعًا بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْيِ رَبِّهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْدِيهِمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَتَّخِذُونَ ﴿٢١﴾

٦٦- وإن لكم في أنواع الأنعام (الإبل والبقر والغنم) اعتباراً وعظة، نسقيكم مما في بطون هذه الأنعام- وذكر الضمير العائد عليها باعتبار إرادة الجنس، كذكير كلمة ﴿هذا﴾ [في الأنعام ٦/ ٧٨] العائدة إلى ﴿الشمس﴾ مراد بها الكوكب- نسقيكم حليباً صافياً من بين الدم والقلر، لذيقاً للشارب، سهل البلع والهضم لا يغص به شارب.

٦٧- وتتخذون من ثمار النحل والعنب خمراً مسكراً- وهذا تعريض بتحريم الخمر قبل التحريم القاطع- ورزقاً حلالاً بأكله طازجاً أو يابساً كالزبيب والتمر، أو غير متخمّر كاللبس والحل، إن في ذلك المذكور لدليلاً على قدرة الله تعالى لقوم يتدبرون وينظرون في آيات الكون.

٦٨- وألهمهم وعلمهم ربك النحل اتخاذ البيوت

والمساكن في كهوف وكوى الجبال، وتخويف الشجر، وعرائش المباني التي يبينها الناس تحت شجر الكرم أو لسقف البيت، وهي الخلايا المبنية من الطين أو الخشب أو غيرها.

٦٩- وألهم النحل أن تأكل من الأزهار والأثمار، سالكة داخلية مسالك في الذهاب والإياب إلى الخلايا مذلة بتيسير الله، لا متصاص الزهر والثمر، وتخويل الرحيق بقدرة الله عسلاً طيباً، ويخرج العسل من بطون النحل مختلف الألوان: أبيض أو أصفر أو أحمر بحسب نوع الزهر، فيه شفاء للناس من المرض بإذن الله، كأمراض الهضم البلغمية، إن في ذلك المذكور من أمر النحل وصنعه العسل والبيوت الخلايا لدليلاً واضحاً على قدرة الله لقوم يتأملون في عجائب مخلوقات الله تعالى.

٧٠- ومن دلائل قدرة الله تعالى: إيجادكم من العدم، ثم إماتتكم عند انتهاء آجالكم، ومنكم من يتعرض لأخص العمر وأردته بالخرف وضعف العقل والحواس في حال الهرم، حتى يصير فاقد الذاكرة، لا يعلم شيئاً من العلوم، إن الله عليم بخلقه، قدير على ما يشاء.

٧١- والله أوجد تفاضلاً في الرزق بين الناس، فمنهم الغني والفقير والمالك والمملوك، لحكمة بالغة يعلمها الله بحسب ما يحقق مصلحة الإنسان، فلا يرضى الأغنياء الملاك أن يعطوا رزقهم أو أموالهم للفقراء والماليك، فيصير الجميع من الأسياد والأتباع متساوين مشتركين في هذا الرزق، فكيف يجعلون بعض ممالك الله أو عبيده شركاء لله وهم لا يرضون ذلك لأنفسهم؟ وكيف يكفرون بنعمة الله حيث يجعلون لله شركاء؟ لأن من أثبت لله شريكاً، فقد نسب إليه بعض النعم والخيرات.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَكُنْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ نِسْرًا
وَسَعِدَ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَإِ الْبَاطِلُ يُؤْمِنُونَ وَيَعْبُدُ اللَّهَ
مُرْكَزُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ
رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا
تَضُرُّهُمُ اللَّهُ الْأَمْثَالُ إِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ
رَزَقْنَاهُ مِنْ أَرْزَاقٍ حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ
يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ
مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكُرُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى
مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ
يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَنَفْثِ الْمُنْصَرِّ
أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ
مِنْ بَطْنِ أُمَيْيَّةٍ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ
الْأَسْمَاءَ وَالْأَنْبَاءَ وَالْأَقْبَادَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾

٧٢- والله تعالى جعل لكم زوجات من جنسكم، وجعل لكم من زوجاتكم أولاداً، وأولاد أولادهم الحفدة، ورزقكم من طيبات الرزق التي تلذذون بها، أنصدقون بالباطل وهو أن الأصنام تضر وتنفع، وأنها تشفع عند الله؟ وتحجودون نعمة الله الجليلة، فتنسبونها إلى الصنم أو الوثن؟

٧٣- ويعبد هؤلاء المشركون معبودات من غير الله وهم الأصنام والأوثان، ما لا يجلب لهم رزقاً من السموات والأرض، وإن كان شيئاً قليلاً، ولا يقدر في المستقبل على التصرف بشيء. وكلمة «شيئاً» بدل من «رزقاً». والمعنى: أي رزق مهما كان قليلاً.

٧٤- فلا تجعلوا الله أمثالاً من الأنداد والشركاء، إن الله يعلم الحقائق وأنه الإله الواحد وأنتم لا تعلمون ذلك بسبب جهلكم.

٧٥- مثلكم أيها المشركون في إشراككم الأوثان والأصنام في العبادة مع الله، كمثل من سوى بين عبد مملوك لسيده، عاجز عن التصرف، وبين مالك حر التصرف في ملكه وماله، ينفق منه كيف يشاء، ويتصرف فيه كيف يريد، سرراً وعلانية، الأول مثل الصنم العاجز، والثاني مثل الإله القادر، فكيف

يتساوى العاجز مع القادر؟ فلا يستوي الرب الخالق الرازق، وجمادات الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، الحمد لله على ظهور الحق، بل أكثر المشركين لا يعلمون الفرق، ويجب أن تعلموا أنه لا يستحق الشكر والثناء إلا الله وحده.

٧٦- ولكم مثل آخر أوضح مما قبله أيها المشركون، يوضح الفرق بين الله، والوثن المعبود من دون الله، وهو مثل رجلين: أحدهما أحرس لا ينطق بخير، ولا يقدر على شيء متعلق بنفسه أو بغيره، لعجزه عن الوعي والإدراك، وهو ثقيل على وليه وقريبه، حيثما يرسله، لا يرجع بفائدة؛ لأنه عاجز عن التصرف، هل يستوي هذا بهذه الأوصاف، مع رجل آخر كامل المواهب والخواص، ينفع نفسه و غيره، يأمر بالعدل بين الناس، وهو في ذاته على طريق واضح؟ والمقصود بيان انعدام المساواة بين الله سبحانه القادر على كل شيء، وبين الأصنام العاجزة عن كل شيء. نزلت الآية [٧٥] في رجل من قريش وعبدته، ونزلت الآية [٧٦] في عثمان ومولى له كافر كان يكره الإسلام ويأباه.

٧٧- والله علم ما غاب في السموات والأرض، يختص بذلك دون مشاركة أحد، وما أمر القيامة من الغيبات في سرعة وقوعها إلا مثل لمح البصر في السرعة والسهولة وأقرب من ذلك، فالله قادر على الإتيان بها بكلمة «كن فيكون» [البقرة ٢/١١٧ ومواقع في سور أخرى] إن الله تام القدرة على كل شيء، ومنها القيامة. والآية جمعت بين كمال العلم الله وكمال القدرة.

٧٨- ومن مقدوراته تعالى: أنه سبحانه أخرجكم من الأرحام في بطون الأمهات أطفالاً لا علم لكم بشيء، وأوجد فيكم وسائل العلم والإدراك وهي السمع والبصر والقلوب، لتؤمنوا بالخالق عن يقين وعلم تام، وتشكروا الله على نعمه باستعمال كل عضو من أعضائكم فيما خلق له من الخير.



٧٩- ألم ينظر هؤلاء المنكرون لوجود الله إلى الطيور مذللات للطيران في الجو أو الفضاء بين السماء والأرض بواسطة الأجنحة والذيل، ما يسكنهن في الجو إلا الله بقدرته العجيبة، إن في ذلك التسخير لدلالات على وحدانية الله وقدرته، لقوم يصدقون بالله وكتبه ورسله، لأنهم المتفعمون بها.

٨٠- والله جعل لكم من بيوتكم (منازل لكم) مسكناً تسكنون فيها، وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً هي الخيام وبيوت الأعراب في البداية، يخف عليكم حملها في الأسفار، أو تجدونها خفيفة للحمل والنقل في الرحلات، يوم سفركم أو انتقالكم من موضع إلى موضع طلباً للمرعى والماء، ومن أصوافها من الغنم وأوبارها من الإبل، وأشعارها من المعز: قرش البيت الذي يفرش في المنازل، ومتاع اللبس والتجارة الذي يتمتع ويتفجع به، إلى مدة من الزمان تبلى بعدها، فهي لصلابتها تبقى مدة مديدة.

٨١- والله جعل لكم مما خلق من البيوت والشجر والغمام مظلات تستظلون بها من حر الشمس، وجعل لكم من الجبال ما يستكن فيه من كهف أو غار أو سرب أو نفق، تسترون فيه من الحر والبرد والمطر، وجعل لكم قمصاناً وثياباً من الصوف والقطن والكتان وغيرها، تدفع عنكم ضرر الحر والبرد، ودروعاً تقيكم الشدة من الطعن والضرب والرمي في الحرب، وكلتكم هذه النعم المتقدمة هنا، يتم الله نعمته عليكم في الدنيا بخلق ما تحتاجون إليه، لتخلصوا لله العبادة والطاعة، وتوحدوه، وتؤمنوا به.

٨٢- فإن أعرضوا عن الدخول في الإسلام، فلأنما عليك التبليغ الواضح لما يوحى إليك، وليس عليك غيره.

٨٣- يعرف الكفار والمشركون نعمة الله وهي بعثة الرسول محمد ﷺ ثم ينكرون نبوته جهلاً وعناداً، قولاً وفعلاً، حيث يزعمون الشفاعة لها ويعبدونها، وأكثرهم الجاحلون المعاندون. نزلت هذه الآية في أعرابي أتى النبي ﷺ فقرأ عليه الآيات السابقة [٨٠ - ٨١] فقال: نعم، ثم ولى وأدبر ولم يسلم.

٨٤- واذكر أيها الرسول حين نبعث من كل جماعة شاهداً عليهم هو نبيهم، يشهد لمن آمن بالإيمان، وعلى من كفر بالكفر والجحود والتكذيب، ثم لا يسمح للكفار في الاعتذار ليعتدروا، ولا يطلب منهم العتبي، أي إزالة أسباب العتب، والرجوع إلى ما يرضي الله، بالعودة إلى الدنيا.

٨٥- وإذا رأى الذين كفروا العذاب يوم القيامة، فلا يخفف عنهم ذلك العذاب بالاعتذار، ولا هم يهملون ويؤخرون إذا رأوه.

٨٦- وإذا رأى المشركون شركاءهم أو معبوداتهم من الأصنام والأوثان والشياطين وغيرهم، يوم القيامة، قالوا: هؤلاء شركاؤنا الذين كنا نعبدهم من دونك، ومرادهم: إحالة الذنب عليهم، والادعاء بأنهم هم الذين طلبوا منهم ذلك، فقالت الآلهة المزعومة لهم: إنكم كاذبون في اتهامنا، بل الذنب ذنبكم، ولم نطلب منكم عبادتنا.

أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارُهَا وَأَشْعَارُهَا أَثْنًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ الْكَتَّانَ وَجَعَلَ لَكُم سُرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسُرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْبَأْسَ كَذَلِكَ يَمُنُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْلُمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَمْزُقُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَمُكِّرُونَهَا وَآكُرْهُمْ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَبَوَّءُ نَبْعٌ مِّنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا لِّأُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يَخَفُّ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ اسْتَرَكَّاهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾

٨٧- واستسلم المشركون لله وحكمه يوم القيامة، وخضعوا لعزته، وغاب وذعب عنهم ما كانوا يفترون من أن آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم ويدفعون عنهم العذاب.

٨٨- الذين كفروا بالإسلام، ومنعوا الناس عن الدخول في الدين الحق، زادهم الله عذاباً يوم القيامة من أجل صدهم، فوق العذاب المستحق بكفرهم، بسبب إفسادهم في الأرض وهو منعهم الناس عن الإيمان.

٨٩- واذكر أيها النبي حين نبعت من كل أمة شاهداً عليهم من جنسهم، وهو نبيهم، وجئنا بك أيها الرسول شاهداً على قومك وبقية الأمم، بأنك بلغت الرسالة، وأعيد ذلك هنا لتهديد كفار قريش بأن الشهادة تكون عليهم، وليس لهم، ولتوبيخهم على تكذيبهم رسول الله، ونزلنا عليك القرآن بيانا مفصلاً لكل شيء يحتاج إليه الناس من أحكام الدين والشريعة، وهدى من الضلالة، وسبب رحمة ونجاة لمن آمن، وبشرى بالجنة للمسلمين المتقادين لشريعة الله تعالى.

وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْشُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زَادَنَّهُمْ عَذَابَ أُولَئِكَ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِذْ أَنذَرَنَاهُ أَنْ يَأْتِيَ الْعَدْلَ وَالْإِحْسَانَ وَإِنَّا بِذِي الْقُرْبَىٰ وَسِعْنَاهُ مِنَ الْغَنَاءِ وَالْمَنكَرِ وَأَلْبَنَىٰ نِعْظَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غُرُهُمْ عَنْهُ إِذْ أَخَذَ مِنْكُمْ يَمِينًا وَوَدَّ عَيْنُهُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُخْلِصُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلُوا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ لَعَلَّكُمْ يَوْمَ الْآخِرَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَحْلِفُونَ ﴿٩٢﴾

٩٠- إن الله يأمر الناس جميعاً بالإنصاف والاعتدال في الأمور كلها، ومقابلة الخير بأحسن منه، والشر بالعمو والصفح، وإعطاء القرابة حقهم من الصلة والبر بهم، وينهى عن كل شيء قبيح قولاً أو فعلاً كالغيبة والنميمة، والزنى والبخل، وعن كل ما ينكره الشرع بالنهي عنه، ويستقبحه العقل السليم: وهو جميع المعاصي، وعن الظلم والاعتداء، يذكركم الله بأحكامه لتتعتظوا فتعملوا بما أمر، وتجتنبوا ما نهى عنه. وهي أجمع آية في كتاب الله للخير والشر.

٩١- ووفوا بالعهود التي التزمتوها مع الله ومع الناس من الوعود والعقود والبيعة وغيرها، ولا تنقضوا الأيمان بعد توثيقها، وقد جعلتم الله عليكم شاهداً وربيّاً بالوفاء، إن الله يعلم ما تفعلون من وفاء ونقض، فيجازيكم به. نزلت في مبايعة من عاهد النبي ﷺ على الإسلام.

٩٢- ولا تكونوا معشر المؤمنين في نقض العهود مثل المرأة الحمقاء المجنونة التي نقضت ما غزلته من بعد أحكام غزلها وإبرامه، فجعلته منقوضاً محلولاً كما كان قبل الغزل، حال كونكم متخذين أيمانكم على الوفاء بالعهد مكرراً وخديعة لغيركم وتغريراً بهم، تتظاهرون باحترام العهد، وتضمرون النقض والميل لغيرهم لأنهم أقوى وأغنى، إنما يختبركم الله بالوفاء بالعهد، وليوضحن الله لكم يوم القيامة ما كنتم تختلفون فيه في الدنيا، من حق وباطل، وموازنة القوى، والتأثر بالمصالح المادية الموقوتة. نزلت لضرب المثل بامرأة حمقاء من أهل مكة هي سعيدة الأسدية، كانت تجمع الشعر والليف، فتغزله ثم تنقضه.



وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلِنُشَارَ عَنْكُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٧﴾
وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَالًا بَيْنَكُمْ فَزَلَّ الْقَوْمُ بَعْدَ
ثُبُونِهِمْ وَأَفْزَقُوا الْأَشْيَاءَ بِمَصَادِدْهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكَ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٨﴾ وَلَا تَنْشُرُوا عَيْدَ اللَّهِ فَتُفْلِلَا إِنَّمَا
عِنْدَ اللَّهِ هَوَاجِرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ مَا عِنْدَكُمْ
يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٠﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَثْنَى
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهَ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ
فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٤٢﴾ إِنَّهُ لَيْسَ
لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٣﴾
إِنَّمَا سُلْطَانُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِمُشْرِكُونَ
﴿٤٤﴾ وَإِذَا بَدُلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُبْدِلُ
قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٥﴾

٩٣- ولو شاء الله لجعلكم على دين واحد، ولكن ترككم تختارون الطريق، فمنكم المؤمن ومنكم الكافر، وجعل الله بحسب مسته العامة ناساً للشقاوة والضلال والفساد، وهم الذين لم يأخذوا بأسباب الهدى، وجعل ناساً آخرين للسعادة والهداية للحق، وهم من اعتدوا بآيات الله، وعلى هذا النحو خلق الله الضلال والهدى، وسيقع السؤال عن أعمالكم التي اكتسبتموها في الدنيا.

٩٤- ولا تتخذوا أيمانكم المحلوفة وهي إيمان البيعة أسلواً للخديعة والتفجير، ثم تلجؤوا إلى الغدر والنقض، وتعرضوا للعذاب في الدنيا، بصدودكم عن الوفاء بالعهد واقتداء غيركم بكم في هذا النقض، ولكم عذاب عظيم وهو عذاب الآخرة. ويلاحظ أن النهي عن النقض في آية سابقة [٩١] لبيان الباعث على النقض، وهذه الآية لبيان النتيجة وهي زلة القدم واستحقاق العذاب.

٩٥- ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسوله على العمل بشرعه عوضاً يسيراً، بأن تنقضوه لأجله، فمتاع الدنيا قليل مهما كثر، إن ما عند الله من جزاء الوفاء بالعهد وهو النصر والغنيمة في الدنيا، والنعم في الجنة هو خير لكم وأفضل من عطاء الدنيا، إن كنتم من أهل العلم والتمييز، فلا تنقضوا العهد.

٩٦- ما عندكم من خير الدنيا ومتاعها يزول ويفنى مهما كثر، وما عند الله من نعيم الآخرة فهو باق دائم لا يفنى، ولنجزين الذين صبروا على الوفاء بالعهد ثوابهم بجزاء أحسن من أعمالهم، بسبب صبرهم على تنفيذ مقتضى عهدهم مع النبي.

٩٧- من عمل عملاً صالحاً في دنياه، سواء أكان ذكراً أم أنثى، وهو مؤمن إيماناً صحيحاً، فلنجعلنه يعيش حياة طيبة في الدنيا بالرزق الحلال والرضا والاطمئنان، ولنجزينهم ثوابهم في الآخرة بأحسن مما عملوا من طاعات في الدنيا.

٩٨- فإذا أردت قراءة القرآن، فاجأ إلى الله لحمايتك من وساوس الشيطان في القراءة، الشيطان المطرود من رحمة الله، بأن تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

٩٩- إنه ليس للشيطان تسلط وقهر بالإغواء على المؤمنين الذين يفوضون أمورهم إلى الله في كل شيء.

١٠٠- إنما تسلط الشيطان بالإغواء على الذين يتولونه بطاعته في وساوسه، والذين هم بسبب وسوسته مشركون بالله.

١٠١- وإذا جعلنا آية محل آية أخرى بنسخها، كنسخ آية التوراة في استقبال بيت المقدس بآية استقبال الكعبة، على وفق الحكمة الإلهية والمصلحة الدينية أو الدنيوية، والله أعلم بما ينزك من الآيات، قال المشركون للنبي ﷺ: إنما أنت كذاب، تقول ذلك من عندك، ولم يقله الله، بل أكثرهم لا يعلمون حكمة النسخ والتبديل. فنزلت حين قال المشركون: إن محمداً مسح أصحابه، يأمرهم اليوم بأمر، وينهاهم عنه غداً، أو يأتيهم بما هو أهون عليهم، وما هو إلا مفتري، يقول من تلقاء نفسه، فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي بعدها.

١٠٢- قل أيها النبي: نزّل جبريل المطهر من الأنداس عليه السلام القرآن العظيم تنزيلاً من عند الله، ملازماً للحق الذي لا خطأ فيه، وبالحكمة المقتضية له، ليثبت المؤمنين على الإيمان، وهادياً للناس من الضلال، ويشرى للمسلمين بالجنة والرضوان الإلهي. والقدس: الطهر، والمراد هنا الطاهر.

١٠٣- ونعلم علماً تاماً أن المشركين يقولون: إنما يعلم محمداً القرآن بشر من بني آدم، وهو غلام الفاكه بن المغيرة، واسمه جبر، وكان نصرانياً رومياً من صقلية، يصنع السيوف، فأسلم، فردّ الله عليهم: لغة الذين يميلون وينسبون أو يشارون إليه أعجمية، وهذا القرآن بلغة عربية ذات بيان وفصاحة، فكيف تزعمون أن عربياً يعلمه أعجمي غير عربي؟

١٠٤- إن الذين لا يصدقون بآيات الله القرآنية لا يوفقه الله للإيمان، ولهم عذاب مؤلم في الآخرة.

١٠٥- إنما يخلق الكذب على الله ورسوله الذين لا يصدقون بآيات الله، وأولئك هم الكاذبون فعلاً في اتهامهم غيرهم بالكذب، فكيف يتهمون الرسول بالكذب، وهو رأس المؤمنين؟

١٠٦- من ارتد عن الإسلام من بعد إيمانه به باستثناء

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَزُ وَهُدًى لِّسَانُ عَزِيزٍ مُّبِينٍ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَغْتَبِى الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٠٥﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقُلُوبُهُ مَطْمَئِنَّةٌ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ أَنَّهُمْ اسْتَحْبُوا الْخَيْزَةَ الدَّنِيئَةَ عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِيَ الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَغَى اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَمَّوهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَأَجْرُكُمْ أَنْتُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ نَارَ رَبِّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُضِيَ لَهُمْ جَهَنَّمُ وَأَصْدَرُوا أَن رَّبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا الْغُفُورُ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾

المكره الذي نطق بالكفر، وقلبه مطمئن بالإيمان بالله ورسوله، وانشرح صدره بالكفر فرضي به واطمأن إليه، فعليه غضب الله، وله العذاب العظيم في نار جهنم. والإكراه على الكفر يكون بسبب التهديد بالقتل أو الأذى والضرب، سواء كان الأمر المكره عليه قولاً، أو فعلاً كالسجود لغير الله. وحصر الشافعي وجماعة الرخصة في القول فقط. نزلت في شأن عمار بن ياسر الذي عذبه المشركون وأجبروه على سب النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير، ثم أقر أمام النبي بأنه مطمئن بالإيمان.

١٠٧- ذلك الكفر بعد الإيمان، والعذاب العظيم بسبب إيثارهم الدنيا على الآخرة، وحجبهم الحياة الدنيوية حباً شديداً أعماهم عن حب ما ينجي من عذاب الآخرة، ولأن الله لا يوفق للإيمان القوم الكافرين.

١٠٨- أولئك الذين كفروا بعد الإيمان هم الذين ختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، فلا ينفذ الإيمان إلى قلوبهم، ولا يسمعون سماع تفهم وتدبر، ولا يبصرون آيات الحق وطريق النجاة، وأولئك هم الغافلون عن عذاب الله الشديد.

١٠٩- حقاً إنهم في الآخرة هم أشد الناس خسارة.

١١٠- ثم إن ربك أيها النبي لكثير المغفرة والرحمة لأولئك الذين هاجروا من ديارهم إلى دار الإسلام ابتغاء مرضاة الله، من بعد تعرضهم لمحاولات فتنه الكفار إياهم عن دينهم، وتعليبهم لهم، ثم إنهم جاهلوا في سبيل الله، وصبروا على الجهاد وتكاليف الشرع، إن هؤلاء مغفور لهم لا يؤاخذون على ما أكرهوا عليه. نزلت في جماعة من المستضعفين، وهم عمار، وصهيب، وأبو فكيهة، وبلال، وعامر بن فهيرة وقوم من المسلمين، عذبهم أهل مكة، حتى صاروا لا يلدرون ما يقولون.



١١١- واذكر أيها الرسول حين يأتي كل إنسان يجادل عن نفسه لينجو من العذاب، يوم القيامة، لا يهمه شأن غيره، ويعطى كل امرئ جزاء ما عمل، ولا يُظلم أحد، ولا ينقصون أجورهم شيئاً.

١١٢- جعل الله مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم، فأبطرهم النعمة، فكفروا، وهم غير أهل مكة- في رأي الرازي- كانت بلدتهم آمنة من الاعتداءات، مطمئنة مستقرة، لا يخاف أهلها ولا يضايقهم شيء، يأتيها رزقها واسعاً كثيراً، من كل جهة، فكفر أهلها بنعم الله التي أنعم بها عليهم، فوقعوا جميعاً في الجوع والحرمان، والفزع والهلع، واشتد ألمهم، بسبب كفرهم وجحودهم النعم، حيث لم يشكروا ربهم، ونسوا فضله، ولجؤوا لغيره. وهذا المثل عبرة لكل قرية.

١١٣- ولقد جاء أهل مكة رسول من جنسهم يعرفونه حق المعرفة، فكذبوه فيما أتى به، فأحق بهم العذاب من الله: وهو الجوع والخوف، وهم ظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب الدائم.

١١٤- فكلوا أيها المؤمنون من رزق الله الذي جعله لكم حلالاً طيباً، وامتنعوا عن الخبائث كالميتة والدم، واشكروا نعمة الله عليكم بطاعته، إن كنتم تعبدونه وحده، وتخلصون العبادة لله سبحانه.

١١٥- إنما حرم الله عليكم أكل الميتة التي تموت من غير ذبح شرعي إلا السمك والجراد، والدم المسفوح السائل غير الكبد والطحال، ولحم الخنزير وشحمه، وما ذبح لغير الله، فمن اضطر لتناول شيء من هذه المحرمات بسبب الجوع الشديد أو العطش أو الغصة، غير متعمد تناوله، ولا متجاوز حد الضرورة، فإن الله غفور لمن أكل مضطراً، رحيم به، فلا يؤاخذ على ما فعل.

١١٦- لا تحرموا أيها الناس ولا تحملوا بمجرد قول باللسان من غير دليل، فتقولوا: هذا حلال وهذا حرام لما لم يحله الله ولم يحرمه، لتنسبوا إلى الله الكذب، إن الذين يختلقون الكذب على الله لا يفوزون بالملوب.

١١٧- لهم تمتع قليل زائل في الدنيا، ولهم عذاب مؤلم شديد في الآخرة.

١١٨- ولقد حرّمنا على اليهود خاصة دون غيرهم ما قصصنا عليك من قبل في سورة الأنعام [١٤٦/٦] من الأطعمة التي حرمها الله في التوراة، وما ظلمناهم بتحريم ذلك، ولكن كانوا ظالمين لأنفسهم بارتكابهم المعاصي الموجبة للتحريم، فكان التحريم عقوبة لهم.

يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجَدُلٍ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهِيَ لَا يَظْلُمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُتُوبَكُمْ إِيَّاهُ تُعَدُّونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ مِنْكُمْ فِي شَيْءٍ فَلْيَاضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا كُنْتُمْ أَنْتُمْ كَاذِبِينَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْعَلُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

١١٩- ثم إن ربك أيها النبي غفار للذين ارتكبوا الشرك والمعصية، مع جهلهم العاقبة، ثم تابوا من بعد عملهم السيئ، وأصلحوا أعمالهم الفاسدة ونياتهم الخبيثة، إن ربك لكثير المغفرة للتائبين من الذنوب والخطايا، رحيم بهم، فلا يؤاخذهم على ما قبل التوبة.

١٢٠- إن إبراهيم كان رجلاً جامعاً للخير، عالماً بالشرائع، كالأمة والجماعة، لاتصافه بأوصاف كثيرة، وكان مطيعاً لله قائماً بأمره، ممتثلًا بخوف الله، وكان مائلاً عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق، مؤمناً بالله وحده، ولم يكن من المشركين.

١٢١- وكان إبراهيم عليه السلام شاكراً لنعم الله القليلة والكثيرة، اختاره ربه للنبوة، وهذه إلى طريق قوم هو التوحيد والإسلام.

١٢٢- وأتينا إبراهيم في الدنيا حسنة: هي محبة جميع أهل الأديان له، والثناء الحسن عليه، وإنه في الآخرة من الذين لهم الدرجات العليا في الجنة.

١٢٣- ثم أوحينا إليك أيها النبي: أن اتبع ملة إبراهيم في التوحيد والدعوة إليه برفق، مائلاً عن كل دين آخر إلى الدين الحق وعبادة الله وحده، ولم يكن من المشركين بل كان قدوة الموحدين، خلافاً لما يدعي مشركو قريش أنهم على ملته.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَنِيفًا وَلَوْ يَكُنِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ آتِنَاهُ الْهَدْيَ وَهَدَّاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَهَ الْيَتِيمَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ خَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جَعَلْنَا السَّبْتَ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَخَمِيدٌ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْهُمْ يَوْمَ آتَىٰ هَٰئِلٌ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْذَبِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ الصَّبْرِ رِيًّا ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلٰٓئِلٍ مِّمَّا يَكْفُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

١٢٤- إنما جعل أو فرض تعظيم يوم السبت واحترامه وترك العمل فيه والتفرغ للعبادة على الذين اختلغوا في إبراهيم أنه يهودي أو نصراني: وهم اليهود والنصارى، أو اختلغوا في السبت، وهم اليهود الذين زعموا أنه من شرائع إبراهيم، فرد الله عليهم بأنه ليس من ملة إبراهيم، وإن ربك أيها النبي ليحكم بين المختلفين فيه يوم القيامة فيما اختلفوا فيه، فيجازي كل واحد بما يستحق ثواباً وعقاباً.

١٢٥- ادع الناس أيها النبي إلى دين الله الحق وهو الإسلام بالمقالة المحكمة المبينة للحق، أي بالدليل الواضح المزيل للشبهة، وبالموعظة النافعة، والقول المستحسن الرقيق غير المنفر، وجادلهم أي حاورهم بأحسن طرق المجادلة من الرفق واللين، والمنطق السليم، إن ربك هو أعلم بمن انحرف عن سبيل الإيمان، وهو أعلم بمن اهتدى وأبصر الحق، وأجاب دعوتك ورسالتك.

١٢٦- وإن أردتم العقاب معشر المسلمين، فعاقبوا بمثل الفعل والجنابة، ولئن صبرتم وتركتم العقاب، فالصبر خير كله من الانتقام. نزلت حينما استشهد الحمزة في أحد ومثل به، فقال النبي ﷺ: «لأمثلن بسبعين منهم مكانك، فكفر النبي عن يمينه، ولم ينتقم. وقوله: ﴿عوقبتم به﴾ أي اعتدي عليكم به، من قبيل تسمية السبب باسم مسببه ونتيجته، مثل: أمطرت السماء زرعاً، أي ماء تسبب في إنبات الزرع.

١٢٧- واصبر أيها النبي على الأذى في سبيل دعوتك، وما صبرك إلا بتوفيق الله وتشييته، ولا تحزن على إعراض الكفار عن دعوتك، ولا يضق صدرك من مكرهم لك، فإن الله ناصرك عليهم.

١٢٨- إن الله مع المتقين المعاصي والمحرمات بالعون والتأييد، ومع المحسنين في أداء الطاعات.

سورة الإسراء

فضلها: أخرج أحمد والترمذي والنسائي وغيرهم عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزُّمَر». وتسمى أيضاً سورة بني إسرائيل، وهي من المتقدمات في النزول في مكة.

١- تنزه الله عما لا يليق به من صفات العجز والنقص، الذي سار بعبد محمد ﷺ بالجسد والروح في جزء من الليل، قبل الهجرة بسنة، من دار أم هانئ بجوار المسجد الحرام - والمسجد الحرام يطلق على مكة، أو الحرم المكي - إلى مسجد بيت المقدس، الذي باركنا حوله بالثمار والزروع والأنهار، وجعله مهبط الملائكة، ومقر الأنبياء، لزيه من أدلة قدرتنا الباهرة وعجائب الخلق، إنه السميع لأقوال عباده، البصير بأفعالهم. ووصف الله نبيه هنا وفي مقام الوحي بالعبودية تشريفاً له وتكريماً وإشارة، حيث اجتمع بالأنبياء، وعرج إلى السماء. وقد ذكر رسول الله ﷺ لقريش الإسراء به وتكذيبهم له، فأنزل الله ذلك تصديقاً له.

٢- وآتينا موسى التوراة، وجعلنا ذلك الكتاب

هادياً لبني إسرائيل من الظلمات إلى النور، ولئلا تتخذوا رياءً غيري تفوضون إليه أموركم.

٣- لا تتخذوا من دوني وكيلاً يا ذرية من حملنا في السفينة مع نوح لإنجائهم من الغرق، إن نوحاً كان عبداً كثير الشكر، وحمد الله تعالى في جميع أحواله.

٤- وأعلمنا وأخبرنا بني إسرائيل في التوراة أنكم تفسدون في أرض فلسطين - الأرض المقدسة التي بها المسجد الأقصى مرتين من الإفساد: أولاهما - مخالفة أحكام التوراة وقتل أشعياء، وثانيتهما - قتل زكريا ويحيى والعزم على قتل عيسى، ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى استكباراً عظيماً، وتستعلنن على الناس بالسلط والظلم.

٥- فإذا جاء وعد أولى مرتي الفساد ووعد العقاب عليها، بعثنا عليكم عباداً لنا أصحاب قوة في الحرب والبطش، وهم وثنيون من بابل بالعراق وهم: بُحْتَنَصْر وجنوده، دخلوا وترددوا وسط دياركم لطلبكم وقتلكم وسيبكم، واستباحوا حرماتكم، وكان وعد عقابكم نافذاً واقعاً لا بد منه.

٦- ثم عند توبتكم أعدنا لكم الدولة والغلبة، وأمددناكم بأموال وبينين بعد النهب والسبي، وجعلناكم أكثر عدداً منهم.

٧- إن أحسنتم أفعالكم وأقوالكم بطاعة ربكم، أحسنتم لأنفسكم، لأن ثواب ذلك لكم، وإن أسأتم بالفساد والعصيان، فعلى أنفسكم وبال الإساءة، فإذا جاء وقت المرة الآخرة من مرتي الإفساد في الأرض، بعثناهم ليجعلوا آثار الإساءة والذل والكآبة ظاهرة فيكم، أي ليلحقوا بكم الذل والأذى والشر، وليدخلوا مسجد بيت المقدس ويخربوه، كما دخلوه في المرة الأولى، وليدمروا ويهلكوا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميراً شديداً.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سُجِّنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ يَمْلِكُنَ الْمُسْجِدَ الْحَرَامَ إِلَى
الْمُسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْآيَاتِ إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ بِأَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ۝ ذُرِّيَّةَ
مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝ وَقَضَيْنَا إِلَى
بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ
عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ فَاذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَشَّعْنَا عَلَيْهِمْ
عِبَادًا لَنَا أُولَى بِأْسِ شَدِيدٍ فَأَسْوَا خِلَ الْدِيَارِ وَكَانَ
وَعْدًا مَفْعُولًا ۝ فَرَدَدْنَا لَكُمْ الْكُرْةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ
وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَجِيرًا ۝ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ
أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا
الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝



٨- وقلنا في الكتاب: عسى ربكم أن يرحمكم إن تبتم وأطعتم بعد انتقامه منكم في المرة الثانية، وإن عدتم مرة أخرى للفساد، عُذنا إلى العقوبة، وجعلنا جهنم للكفار محبساً وسجنًا، لا يقدرُونَ على الخروج منها أبدًا. والحصير: مكان الحبس والتضييق.

٩- إن هذا القرآن يرشد لأقوم الطرق والحالات: وهي توحيد الله والإيمان والإسلام، ويشتر المؤمن برسالة التوحيد، الذين يعملون صالح الأعمال التي أمر الله بها أن لهم ثواباً عظيماً، يشترهم بيسارتين: ثوابهم، وعقاب أعدائهم، وهو ما يأتي في الآية التالية.

١٠- وأن الذين لا يؤمنون بالقيامة وما فيها من حساب، أعددنا لهم عذاباً شديداً الأليم، وهو عذاب النار.

١١- ويدعو الإنسان على نفسه وأهله بالشر أو الضر عند الضجر أو الغضب كدعائه بالخير لنفسه ولأهله، كطلب الجاه والمال والعافية، وكان الإنسان متعجلاً في الأمور.

١٢- وجعلنا الليل والنهار علامتين دالتين على

كمال القدرة والحكمة والوحدانية، فجعلنا آية الليل محوطة مظلمة لا نور فيها للراحة والسكن، وجعلنا آية النهار مضيئة لإبصار الأشياء فيها، لتطلبوا في النهار رزقاً ومعاشاً من فضل الله، ولتعلموا بتعاقبهما عدد السنوات، وحساب الشهور والأيام، وكل شيء من أمر الدنيا والدين بيناه تبييناً واضحاً.

١٣- وكل إنسان ألزمناه عمله من خير أو شر لزوم الطوق في العنق، أي أعماله ملازمة له، ونخرج له يوم القيامة صحيفة عمله، مفتوحة أمامه غير مطوية، تشتمل على أعماله الصالحة والسيئة.

١٤- ويقال له ولو كان أمياً: اقرأ كتابك (صحيفتك) الذي فيه جميع أعمالك مدونة، كفى بنفسك اليوم محاسباً وشاهداً على أعمالك.

١٥- من اهتدى إلى الحق والإيمان، فثواب اهتدائه له، ومن انحرف عن طريق الحق والإسلام فإثمته على نفسه، ولا يحمل إنسان ذنب إنسان آخر، وإنما يتحمل ذنب نفسه فقط، ولم تكن بمقتضى عدل الله معذنين أحداً على الغيبيات والتعدييات، حتى نرسل لقومه رسولاً يبين لهم ما يجب عليهم، وما لهم من حقوق. نزلت الإشارة في الهدى إلى أبي سلمة بن عبد الأسد، وفي الضلال إلى الوليد بن المغيرة.

١٦- وإذا أردنا إهلاك أهل قرية أشد إجرامهم، أمرنا بالطاعة والخير المنعمين فيهم وهم القادة والمتسلطون وأصحاب الثروة، فخرجوا عن أمرنا، فوجب عليهم العذاب، فأهلكناهم إهلاكاً شديداً وخربنا ديارهم.

١٧- وكثيراً من الأم الكافرة السابقة كعاد وثمود من بعد نوح أهلكناهم لكفرهم وتكذيبهم الرسل، وحسبك أيها النبي أن الله عالم بذنوب عباده، مطلع عليها، مبصر بها لا يخفى عليه شيء.

عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدُّدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ١٨- إن هذا القرآن أن يهدي إلى صراط مستقيم ١٩- المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ٢٠- وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعداءنا لهم عذاباً أليماً ٢١- ويدع الإنسان بالشر دعاءً بالخير وكان الإنسان عجولاً ٢٢- وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلاً ٢٣- وكل إنسان ألزمناه طائفة في عقيقه ونخرج له يوم القيمة كتاباً يلقه منسوحاً ٢٤- اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ٢٥- من هتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معدين حتى يبعث رسولاً ٢٦- وإذا أردنا أن نهلك قرية أمراً متراً فيها فنفسوا فيها الحق عليها القول فذرناها متميرة ٢٧- وكذا هلكا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً ٢٨



١٨- من كان يريد بعمله الدنيا وحدها ومتاعها السابق على الآخرة، عجلنا له في الدنيا ما نشاء نحن لمن نريد التسجيل له منهم، لا ما يشاؤه المرید، ثم جعلنا له في الآخرة بسبب تركه العمل لها جهنم يدخلها ملوماً عقوباً، مطروداً من رحمة الله تعالى.

١٩- ومن أراد بعمله الآخرة، وعمل لها العمل المطلوب من الطاعات، وهو مؤمن إيماناً صحيحاً لا شرك فيه ولا تكذيب، فأولئك الجامعون للشروط الثلاثة، كان عملهم مشكوراً عند الله تعالى، أي مقبولاً عنده ومثاباً عليه.

٢٠- كلاً من الفريقين نعطي ونيسر مرة بعد أخرى، من رزق ربك بمحض الفضل، وما كان رزق ربك وفضله ممنوعاً عن أحد يستحقه.

٢١- انظر أيها الإنسان بعين الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق والقوة والصحة والجاه والحكمة بالغة لا تتركها العقول العادية، ودرجات التفاضل في الآخرة أعظم، وأكثر وأعلى تفضيلاً من تفاضل الدنيا، فيلزم الاعتناء بالآخرة أكثر.

٢٢- لا نجعل أيها الإنسان في عبادتك مع الله إلهاً آخر مشاركاً له، فتصير مذموماً من الله وملائكته وصالحى عباده، مغلوباً خائباً لا ناصر لك، يخذلك

مَنْ كَانَ يُرِيدُ لِعَاجِلِ عَمَلِهِ مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لِبُجْهِمْ بَصَالَةً مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا يُذْهِبُ هَوَاءٌ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ أَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَئِن جَعَلْنَا مَعَ إِلَٰهِنَا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿٢٢﴾ وَفَضَّلْنَا رُبَّكَ لَا تَقْبُدُوا إِلَّا إِلَٰهَهُ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا بُنِيَ عَنْدَكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَوْفٍ وَلَا نَهْتَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْضِفْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ رَحْمَهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَاحِبِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَإِنَّا ذَا الْقُرْفَىٰ حَفَهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا يَذِّبُ رَبُّنَا إِلَّا ذِي الْمَبْدِئِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٦﴾ وَإِنَّمَا تَرَفُّصٌ عَنْهُمْ بَيْعَاءٌ رَّجَعُوهَا إِلَى رَبِّكَ فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٧﴾

الله تعالى.

٢٣- وأمر ربك أمراً قطعياً وحكم بالآ تعبدوا أيها الناس إلا الله وحده، وبأن تحسنوا للوالدين إحساناً شاملاً، إن بلغ في رعايتك وكفالتك أحد الوالدين أو كلاهما، فلا تؤذيهما بأدنى أذى كقول كلمة «أف» التي تدل على التضرع والثقل، ولا تزجرهما بغلظة، وقل لهما قولاً جميلاً ليأ.

٢٤- وأظهر لهما التذلل والتواضع، لقرط رحمتك بهما، وقل: يا رب ارحمهما واعطف عليهما كما رحمني ورياني حال الصغر.

٢٥- ربكم أعلم بما في ضمائرهم من الإخلاص وغيره في الطاعة، إن تكونوا طائعين لله قاصدين للصلاح، ووقع منكم مفة في حقهما مثلاً، ثم تبت، فإن الله كثير المغفرة للذنوب الرجوعين إلى طاعته.

٢٦- وأعط ذا القرابة حقه من البر والصلة، وأعط المحتاج حقه من الزكاة، والمنقطع في سفره، وتصدق عليهم عند الحاجة من صدقة النفل، ولا تنفق المال في غير موضعه المطلوب شرعاً، وهو مجاوزة الحد المستحسن شرعاً في الإنفاق من الحلال، والإنفاق في غير الحق. نزلت في الوصية بهؤلاء.

٢٧- إن المبشرين قرناء الشياطين، لأن الإسراف من إغراء الشيطان، وكان الشيطان شديد الكفر لنعم ربه.

٢٨- وإن أعرضت لضرورة عن هؤلاء المذكورين من ذوي القرابة والمسكين وابن السبيل، حياءً من الرد، لطلب رزق تنظره، فتعطيه من، فقل لهم قولاً سهلاً ليأ، بأن تعدهم بالمعطاء في المستقبل. نزلت في كل من كان يسأل النبي ﷺ من المساكين.

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ
 مَلُومًا مَّحْضُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ
 كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً
 إِمَّا يَكُنْ رِزْقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا
 تَقْرُبُوا الرِّزْقَ إِنْفِرَ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا
 النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا
 لَوْلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنْفَرَ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا
 تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
 بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمُ
 وَزَنُوا بِالْقِسْطِ أَسْنِفَقِيرَ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾
 وَلَا تَنفُخْ مَالِكُكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ
 كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا عَشْ فِي الْأَرْضِ مَرَجًا أَتَىٰكَ لَٰنٌ خَرَفَ
 الْأَرْضَ وَلَن يَبْلُغَ أَجْحَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سِيئَةً عِنْدَ رَبِّكَ
 مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ
 مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾

٢٩- لا تمسك يدك عن الإنفاق كمن ربطت يده إلى عنقه، أي لا تكن بخيلاً، ولا تتوسع في الإنفاق إلى حد الإسراف، فتصير ملوماً عند الله وعند الناس، نادماً مغموماً. قال النبي ﷺ لعائشة: أنفق ما على ظهر كفي، قالت: إذن لا يبقى شيء، فأنزل الله ﴿ولا تجعل يدك...﴾.

٣٠- إن ربك يوسع الرزق لمن يشاء، ويضيقه على من يشاء، لحكمة ترجع إلى صالح العباد، إنه سبحانه كان وما زال عالماً بكل شيء، فيرزق عباده على حسب مصالحهم.

٣١- ولا تقتلوا أولادكم خوف الفقر، كما كان يفعل بعض الجاهليين، نحن نرزق الأولاد ونرزقكم، ولستم أنتم الرازقين، وقدم هنا رزق الأبناء؛ لأن القتل خشية الفقر بسببهم، وفي الأنعام قدم رزق الآباء؛ لأن القتل بسبب فقر الآباء، إن قتلهم كان إثماً كبيراً عظيماً.

٣٢- ولا تقربوا الرزق ومقدماته؛ إنه كان فعله قبيحة بالغة القبح، وبشس طريقاً هو؛ لأنه يؤدي إلى النار، وإلى اختلاط الأنساب، والوقوع في الأمراض الخطيرة، والاعتداء على الأعراض.

٣٣- ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الاعتداء عليها بسبب عصمة الدين أو العهد إلا قتلاً بحق، كالردة، وزنى المحصن، والقصاص من القاتل عمداً عدواناً،

ومن قتل عدواناً من غير سبب شرعي، فقد جعلنا لأقرب ورثته سلطة على القاتل: إن شاء قتل بإشراف الحاكم وقضائه، وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية، فلا يتجاوز الحد المشروع بقتل غير القاتل أو قتل أكثر من واحد أو التمثيل بالقاتل وتعذيبه، إنه أي الولي كان مؤيداً معاناً من الله، ومن الحاكم يتمكن من القصاص العادل.

٣٤- ولا تقربوا مال اليتيم بالإتلاف أو الإفساد إلا بالطريقة الحسنى من حفظ وتمية وإنفاق منه على اليتيم، مستمرين على هذا النحو حتى يبلغ اليتيم رشده: وهو تمام العقل وحسن التصرف، وأوفوا بالعهود: تكاليف الله، والمعاهدات مع الناس إلا بمسوغ النقص، فإن صاحب العهد مسؤول عن احترامه وتنفيذه.

٣٥- وأموا الكيل إذا كلتم، وزنوا بالميزان المعتدل الذي لا جور فيه، وإيفاء الكيل والوزن خير لكم وأفضل في الدنيا بتوفير حسن السمعة وترغيب العاملة، وأحسن عاقبة ومآلاً في الآخرة.

٣٦- ولا تنبغ ما لا علم لك به، ولا تدخل فيما لا يعنك، إنك مسؤول عند الله يوم القيامة عما تستعمل به أدوات السمع والبصر والقلب، في الخير أو في الشر، فهذه الأعضاء أمانة عنك.

٣٧- ولا تمس في الأرض مشية تكبر وتفاخر، إنك لن تثقب الأرض حتى تبلغ آخرها بكبرك، ولن تصل إلى الجبال بتطاوذك. وفي هذا تهكم بالخيال، وحذله عن التعالي.

٣٨- كل المذكور من النواهي، كان المنهي عنه من الصفات مكروهاً عند الله، غير راض به، ويعاقب عليه.

٣٩- تلك التكاليف وهي خمسة وعشرون من الأوامر والنواهي من جملة ما أوحى الله إليك أيها النبي من الأحكام للحكمة والخير والموعظة، ولا تجعل مع الله إلهاً آخر في العبادة، فيكون شريكاً مرفوضاً، فتلقى في جهنم موبخاً مطروداً من رحمة الله. والحكمة في الأصل: معرفة الحق لذاته، والمراد هنا أن هذه الأحكام: من الآيات المرشدة للحكمة.

أَفَأَسْمِعُكُمْ رَجْمَ الْبَاسِ وَأَتَّخِذُ مِنَ الْمَلَأَةِ إِنْتِزَاعًا
لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ۝ وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ
لِتَذْكُرُوا وَمَا يُزِيدُهُمُ الْإِنْفُورَ ۝ فَلَوْ كَانَ مَعَهُ دَهْلُ اللَّهِ كَمَا
يَقُولُونَ إِذَا لَا تَنْفَعُوا إِلَّا ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ۝ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى
عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ سَمِعَ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ
وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْمَعُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ
لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُ إِنَّا كُنَّا جَلِيمًا غَفُورًا ۝ وَإِذَا قَرَأْتَ
الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا
مَسْتُورًا ۝ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي
أَذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِرْتَ بِكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ أَعْلَى
أَذْكُرِهِمْ تُفُورًا ۝ مَنْ أَعْلَمَ مَا يَسْمَعُونَ بِهِ إِذْ يَسْمَعُونَ
إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَسْمِعُونَ
الْأَرْجُلَ مَشُورًا ۝ أَنْظِرْ كَيْفَ صَرُّوا لَكَ
الْأَمْنَالِ فَصَلُّوا فَلَا يَسْطِيعُونَ سَبِيلًا ۝ وَقَالُوا أَوَإِذَا
كُنَّا عِظْمًا وَرَقًا أَوْ تَابِيعُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝

٤٠- هل خصمكم رجم أيها المشركون بالذكور، واختار لنفسه الإناث من الملائكة؟ إنكم بهذا الافتراء لتقولون قولاً عظيم الإنكار بإضافة الأولاد إليه تعالى، وذلك يوجب عقاباً شديداً.

٤١- ولقد بينا في هذا القرآن أنواع البيان من الأمثال والوعد والوعيد ليتعظوا ويتذكروا، وما يزيدهم ذلك إلا نفوراً وبعداً عن الحق.

٤٢- قل أيها النبي للمشركين: لو كان مع الله آلهة كما يزعمون، إذن لطلبوا طريقاً إلى الله رب العرش صاحب الملك المطلق للمغالبة ومحاولة الإسهام بنصيب من الملك، كما يفعل الملوك عادة في اقتسام السلطة والملك.

٤٣- تنزه الله تعالى عن أي شريك، وتعظيم وتباعد عن هذه المزاعم والأقوال الباطلة، تعالياً كبيراً لا يحده عن اتخاذ الشركاء.

٤٤- تنزه الله عما لا يليق به، وتقديسه السموات السبع والأرض ومن فيهن من المخلوقات (الملائكة والإنس والجن وغيرهم مما لا يعقل) تنزيهاً على حقيقته، أو بلسان الحال؛ إذ تدل بوجودها وإتقانها على وجود خالقها الواحد الأحد، وما من شيء من الحيوان والنبات والجماد إلا يتزه الله، ولكن لا

تفهمون أيها البشر تسيحهم؛ لأنه بخلاف لغاتكم، إنه سبحانه كان وما يزال حليماً بعباده العصاة لا يعاجلهم بالعقاب، كثير الغفران لمن تاب وأناب.

٤٥- وإذا قرأت أيها النبي القرآن، جعلنا بينك وبين الذين لا يصدقون بالآخرة حاجباً مانعاً، ستراً لك عنهم، فلا يرونك، والمراد جعلنا حواجز تمنعهم من الانتفاع وفهم مدارك القرآن بسبب إعراضهم عن القرآن وتغافلهم عنك.

٤٦- وجعلنا أيضاً على قلوبهم أغطية لئلا يفهموا القرآن، وفي آذانهم ثقلاً وصمماً يمنعهم عن استماعه استماع تامل وتدبر، وإذا ذكرت أيها النبي ربك وحده من غير ذكر آلهتهم، رجعوا على أعقابهم هرباً لئلا يسمعوا. نزلت حينما قال النبي ﷺ في بيت أبي طالب: يا معشر قريش قولوا: لا إله إلا الله، تملكون بها العرب، وتدين لكم العجم، فولوا، فنزلت هذه الآية.

٤٧- نحن أعلم بالحال التي يستمعون بها القرآن، وهم مستهزون بك وبالقرآن، حين يستمع المشركون إليك في تلاوة القرآن، وحين يتناجون سراً بتكذيب القرآن والاستهزاء به، وحين يقول المشركون: ما تتبعون إلا رجلاً مسحوراً، فصار معيول العقل مجنوناً.

٤٨- انظر أيها النبي كيف جعلوا لك أمثالاً مختلفة لعنادهم وإغراقهم في كفرهم، فقالوا عنك: ساحر، وكاهن، وشاعر، ومجنون، فأخطؤوا طريق الهدى والحق، فلا يجدون طريقاً إليه.

٤٩- وقال المشركون منكرو البعث: أئذا كنا عظاماً بالية، وبقايا مفتتة متكسرة، أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً يتمتع بالحياة بعد الممات؟

٥٩. وما منعنا من الإتيان بالمعجزات المادية للحسوسة التي طلبها كفار مكة إلا علمنا بأنهم سيكذبون بها كما كذب بها السابقون، فاستحقوا الإهلاك العام بمقتضى سنتنا، ونحن لا نريد إفناءهم؛ لأنه قد يؤمن بعضهم، وأتينا قبيلة ثمود قوم صالح الناقة آية بينة واضحة على قدرتنا وصدق صالح عليه السلام، فظلموا أنفسهم بالكفر بها، وعقروها، فأهلكناهم، وما نرسل المعجزات مع الرسل إلا تخويفاً للمكذبين، لتعلم يتعظون فيؤمنون. قال ابن عباس: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحى عنهم الجبال، فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت نؤتهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا، كما أهلك من قبلهم، قال: بل أستاذني بهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٦٠. واذكر أيها النبي حين قلنا لك: إن ربك أحاط بالناس علماً وقدره، فهم في قبضته وتحت قدرته، فبلغهم الرسالة، وما جعلنا الرؤيا التي أريناك عيناً ليلة الإسراء، وهي مشاهدة آيات الله وعجائبه كما في صدر السورة: ﴿لنريه من آياتنا﴾ [١]. وما جعلنا شجرة الزقوم الملعون أكلها التي تنبت في أصل الجحيم دون احتراق إلا اختباراً لأهل مكة وامتحاناً لهم، ونخوفهم بها

وَمَا مَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ
وَهُدًى نُسُودًا لِّلنَّاقَةِ مُّصِرَةً فظَلَمُوا بِهَا وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ
إِلَّا تَخْوِيفًا ٥٩ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا
جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
فِي الْقُرْءَانِ وَنَخُوفُهُمْ قَمَازِيذُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ٦٠
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
قَالَ أَتُجَدِّدُنَّ خَلْقَ طَيْبٍ ٦١ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي
كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُخِّرْتُ إِلَيَّ يَوْمَ الْفِتْنَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ
إِلَّا قَلِيلًا ٦٢ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَاءُ وَكُفْرَاءُ مُّوَفَّرًا ٦٣ وَأَسْتَغْفِرُ مَنْ أَسْطَغَفْتَ
مِنْهُمْ بِصُورِكَ وَأَطِيعَ عَلَيْهِمْ بِخَلْقِكَ وَرَحْمَتِكَ وَسَارَكُهُمْ
فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ السُّطْرُ إِلَّا
عُرُودًا ٦٤ إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى
بِرَبِّكَ وَكِيلًا ٦٥ رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْسِلُ لَكُمْ الْفَلَاحَ
فِي الْبَحْرِ لِيَنْبَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٦٦

وبالآيات، فما يزيدهم تخويفنا وإرسال الآيات إلا زيادة وتغرداً في الكفر. أصبح الرسول ﷺ يوماً مهموماً، فقيل له: ما لك يا رسول الله؟ لا تهتم، فإنها رؤيا تنالهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا﴾. وقال أبو جهل وغيره: زعم صاحبكم أن نار جهنم تحرق الحجر، ثم يقول: ينبت فيها الشجر. وزعم أن شجرة الزقوم: هي طعام الشريد باللين، فنزلت ﴿والشجرة...﴾.

٦١. واذكر حين قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم بالانحناء، فسجدوا جميعاً إلا إبليس أبى وقال: أسجد للمخلوق من طين؟! و﴿خلقت طيناً﴾ معناه خلقته من طين.

٦٢. قال إبليس: أخبرني يا رب عن هذا الذي فضلكه علي، لم فضلكه، وأنا أكرم منه؟ أي لا أعرف سبباً لهذا التكريم، لكن أمهلني إلى يوم القيامة لأستولين عليهم بالإغواء والإضلال، إلا قليلاً منهم ممن عصمتهم، فلا سلطة لي عليهم.

٦٣. قال الله: امض لشأنك، فمن أطاعك منهم، فإن جهنم جزاؤك وجزاؤهم جزاء وافر أكلاً.

٦٤. واستخف بصوتك وإغرائك وسوستك من استطعت من ذرية آدم داعياً لهم إلى المعاصي، وصح عليهم بشدة، مستعيناً بجندوك الفرسان والمشاة الراجلين، وشاركهم في الأموال بإنفاقها في الحرام، والأولاد بتحصيلهم بالزنى، وتشجيعهم على وأد البنات، وعذبهم بالأبعث ولا جزاء وغير ذلك من الوعود الباطلة والأمانى الكاذبة كشفاة الأصنام، وما يعدهم الشيطان إلا وعداً باطلاً خادعاً.

٦٥. ليس لك على عبادي الصلحاء المخلصين يا إبليس سلطة وقدره على إغوائهم، كفى بربك حافظاً لهم منك.

٦٦. ربكم الله وحده الذي يجري، ويسير لكم السفن في البحر، لتطلبوا الرزق من فضله تعالى بالتجارة والسعي، إنه كان بكم كثير الرحمة بالإنعام عليكم، والامتداء لمصالح دنياكم.

٦٧- وإذا تعرضتم لشدة أو لحوف الغرق في البحر، غاب عن خاطركم وذهب عنكم من تعبيلون من الآلهة، فلا تدعونه، وإنما تدعون الله وحده؛ لأنكم تعلمون أنكم في شدة لا يكشفها إلا الله، ولا تنفعكم الأصنام ونحوها، فلما نجاكم من الغرق، ووصلتم إلى البر، أعرضتم عن الإيمان بوحداية الله، وعدمكم إلى دعاء أصنامكم، وكان الإنسان الكافر جحوداً للنعم.

٦٨- انجوت من الغرق فامتنم الخسف الأرضي في البر: بأن تنهار الأرض من تحتكم، أو يرسل عليكم ريحاً شديدة مهلكة حاصية، ترمي بالحصباء، أي الحصى والحجارة الصغيرة، ثم لا تجدوا لكم حافظاً وناصرًا يمنع العذاب عنكم.

٦٩- أم امتنم أن يعيدكم في البحر مرة أخرى لأغراض مماثلة أو طارئة، فيرسل عليكم ريحاً شديدة تقصف السفن، أي تحطمها وتكسرها، فيغرقكم بسبب كفركم، ثم لا تجدوا لكم علينا تابعاً يطالبنا بالثأر.

٧٠- ولقد فضلنا بني آدم بحسن الخلقة وميزناهم بالعقل والتمييز والعلم والفهم، وحملناهم في البر على الدواب وغيرها من المراكب، وفي البحر على السفن، وورقناهم من لذائذ المأكول والمشارب،

وفضلناهم على كثير من المخلوقات أي غير الملائكة تفضيلاً كبيراً، والمراد تفضيل الجنس.

٧١- واذكر يوم ندعو يوم القيامة كل أمة بمن اتصوا به من نبي أو كتاب منزل عليهم، ونعطي كل إنسان كتاب أعماله، فمن أعطي كتابه من المدعوين يمينه، وهم السعداء، فأولئك يقرؤون كتابهم الذي أعطوه فرحين، ولا ينقصون شيئاً من الثواب على أعمالهم. والقيل: الخيط المستطيل في شق النواة، يضرب به المثل للقللة والتفاحة.

٧٢- ومن كان في هذه الدنيا أعمى البصيرة أو القلب، فهو في الآخرة أعمى البصر، لا يهتدي إلى طريق النجاة، وأبعد طريقاً عنه.

٧٣- وإن قاربوا أن يوقعوك في الفتنة: وهي المحنة الشديدة، ويخدعوك بظنهم، بمجاملتهم في دينهم، ولكنه عليه السلام معصوم محفوظ عن الفتنة، ليصرفوك عن الذي أوحينا إليكم من أحكام الأوامر والنواهي والوعود والوعيد، لو فعلت ذلك واتبعت أهواءهم لاتخذوك صديقاً مخلصاً. نزلت في جماعة من قريش كآبي جهل وأمية ابن خلف، قالوا يا محمد، تعال تمسح بآلهتنا، وندخل معك في دينك، وكان يحب إسلام قومه، فأنزل الله هذه الآية.

٧٤- ولولا أن ثبتناك على الحق بالعصمة، لقد قاربت أن تميل إليهم ميلاً قليلاً، لشدة احتياهم وإلحاحهم، ولكن أدركك عصمتنا، فامتنعت من أدنى ميل إليهم.

٧٥- لو قاربت مجاراتهم في أهوائهم، لأذقناك ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة، أي مثلي ما يعذب به غيرك في الدنيا والآخرة، ثم لا تجد لك ناصرًا يمنع العذاب عنك.

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُكُمْ فَلَمَّا تَجَدَّوْا إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمْسَمْتُمْ أَنْ يَخْصِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يَرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمْسَمْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيَرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا مِنْ آخَرٍ فَيَغْرِقَكُمْ فِيْمَا كُنْتُمْ تُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْكُمْ بَلِيًّا ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْجَبْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ فَمَنْ أُوْفِيَ كُتُبُهُ بيمينه فَأُولَئِكَ يَفْرَحُونَ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ لَا يُطْلَمُونَ قَلِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرًا وَإِذَا لَا تَجِدُكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَرْتِكُنَ الْيَهُودَ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَا ذِقْنَاكَ ضَعُفَ الْحَيَوةُ وَضَعُفَ الْمَنَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا صَبِيرًا ﴿٧٥﴾



وَأَن كَادُوا لَيَسْفَنُوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ
خَلْقَكَ الْأَعْيَالُ ﴿٧٦﴾ سَنَةٌ مِّن قَدْرٍ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا
تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَوِ الصَّلَاةَ إِذْ لَوْكَ الشَّمْسُ إِلَى عَسَاقِ
الْعِلِّيلِ وَفَرَّانَ الْفَجْرِ إِنَّ الْفَجْرَ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ
فَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّجِيدًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ
رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ
أَمْرِكَ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَعْمُ الْبَاطِلِ إِنَّ الْبَاطِلَ
كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَتَبَيَّنَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
وَلَا يَرِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا الْخَسَارَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أُنْمِيتَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ
وَنَاسِيَ مَا كَانَ وَوَدَّ أَن يُسَاسَىٰ ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ
فَوَكُم مَّا أَعْمَىٰ مِمَّنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ
الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن سَأَلْتُمَا
لَنُخْبِرَنَّكُمَا بِأَلْوَنٍ وَهِيَ آتِيَةٌ بِكُم فَتُكْفَرُ بِهِ عَلَيْكُمَا وَكَلَامٌ ﴿٨٦﴾ وَالْآخِرَةُ
مِنَ ذِكْرِكُمَا أَنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكُمَا كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ
أَن يَأْتُوا بِعِثْرٍ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِعِثْرِهِ وَلَوْ أَنَّ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾

٧٦- وإن قاربوا أن يزعموك أيها النبي، لإخراجك من أرض مكة، ولكن منعهم الله من ذلك، ولو أخرجوك، لا يمكنون بعدك إلا زمناً قليلاً، ثم يهلكون. قال اليهود للنبي ﷺ: إن كنت نبياً فالحق بالشام أرض الحشر، وأرض الأنبياء، فغزا غزوة تبوك- يريد الشام- فلما بلغ تبوك، أنزل الله هذه الآية، وأمره بالرجوع إلى المدينة.

٧٧- سُئِلْنَا المقررة: إهلاك الأمم السابقة الذين أخرجوا رسلهم من ديارهم، وهي سُئِلْنَا بك كمن قبلك، ولا تهمد تغييراً أو تبديلاً لستنا.

٧٨- أقم الصلاة- صلاة الظهر- لزوال الشمس عن كبد السماء، وميلها عن وسط السماء إلى جهة الغرب، ثم أقم صلاتي المغرب والعشاء عند مجيء ظلمة الليل، ثم أقم صلاة الفجر (الصبح) إن صلاة الفجر وما فيها من قرآن تشهدا ملائكة الليل وملائكة النهار.

٧٩- وفي جزء من الليل وهو الثلث الأخير منه، صل أيها النبي صلاة التهجد بعد النوم، فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة، لعل الله يبعثك يوم القيامة في المقام المحمود الذي يحملك عليه الناس جميعاً وهو مقام الشفاعة العظمى في فصل القضاء.

٨٠- قل أيها النبي: رب أدخلني المدينة أو في كل أمر ديني وديني وإدخالاً مرضياً، وأخرجني من مكة أو من الدنيا إخراجاً مرضياً، وهب لي من عندك قوة تنصرتني بها على أعدائك. والسلطان: الحجة البينة، والنصير: الناصر المعين.

قال ابن عباس: كان النبي ﷺ بمكة، ثم أمر بالهجرة، فنزلت عليه: ﴿وقل: رب أدخلني...﴾.

٨١- وقل أيها الرسول عند دخول مكة: ظهر الحق وهو الإسلام، واضمحل الباطل: وهو الشرك والكفر، إن الباطل كان وما زال مضمحلاً.

٨٢- ونترك عليك أيها الرسول من القرآن ما هو شفاء للقلوب من الشك والشرك أو الضلالة، ورحمة سايبة للمؤمنين، ولا يزيد الكافرين إلا هلاكاً وانحرافاً، لتكذيبهم وكفرهم به.

٨٣- وإذا أئتمنا على أي إنسان بالصحة والسعادة، أعرض عن شكر نعمة ربه، وإذا أصابه مرض أو فقر كان قنوطاً من رحمة الله.

٨٤- قل: كل إنسان يعمل على مذهبه وطريقته في الهدى والضلال، فريكم أعلم بمن هو أسد طريقاً وأقوم منهجاً.

٨٥- ويسألونك أيها النبي عن حقيقة الروح وهي ما يحيا به الإنسان، قل لهم: الروح من إبداعات ربي، وما علمكم إلا شيء قليل من علم الله. قالت قریش لليهود: علمونا شيئاً نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسأله، فأنزل الله هذه الآية.

٨٦- لو شئنا لمحوها حفظ هذا القرآن من القلوب والكتب، ثم لا نجد من يتوكل ويتمهد لك برد شيء منه.

٨٧- لكن لا نشاء ذلك، وأبقيناه محفوظاً في صدرك رحمة من ربك، إن فضله عليك أيها النبي كبير حيث جعلك رسولاً.

٨٨- قل أيها الرسول: لئن اجتمعت الإنس والجن معاً على الإتيان بمثل هذا القرآن في كمال البلاغة والفصاحة وجزالة اللفظ لم يتمكنوا من ذلك، ولو كان بعضهم معيماً وناصباً للبعض الآخر. قال بعض اليهود للنبي ﷺ: ليس هذا القرآن متناسقاً، كتناسق التوراة، فأنزل علينا كتاباً نعرفه، ولا جنتك بمثل ما تأتي به، فنزلت هذه الآية.

٨٩- ولقد بينا للناس في هذا القرآن مختلف أنواع البيان للاستدلال على الحق وكرّرنا المعاني على وجوه مختلفة ليؤمنوا ويستقيموا، وأتينا بأوجه الترهيب والترغيب وقصص الأولين ليقدّم الناس على العمل ويحذروا التقصير، فأبى أكثر الناس من أهل مكة وغيرهم إلا جحوداً للحق وإنكاراً لأنزال القرآن من عند الله. وقوله: ﴿من كل مثل﴾ أي من كل معنى هو كالمثل في غرابته وتأثيره في النفس.

٩٠- وقال زعماء الشرك في مكة: لن نصدقك حتى تفجر لنا ينابيع الماء وعيونه، وتجريها دون أن تنضب.

٩١- أو يكون لك بمكة بستان تظله الأشجار، فنجري الأنهار وسطها تفجيراً غزيراً قوياً.

٩٢- أو تطلب إسقاط قطع من السماء كما زعمت أو ادعيت بوعيد الله لنا، أو تأتي بالله لنراه عياناً، وبالملائكة لنشاهدكم مقابلة جماعة بعد جماعة، يشهدون لك بصحة رسالتك.

٩٣- أو يكون لك بيت من ذهب، أو تصعد أماناً في معارج السماء، ولن نصدق بصعودك حتى تنزل علينا كتاباً يصدقك ويأمرنا باتباعك، قل

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَجِئَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ بِبُيُوتٍ أَوْ يُكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ وَعَبْ فَتَقِرَّ الْأَنْهَارُ خِلْفَهَا تَقِيرًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَازِجَةً عَلَيْنَا أَوْ تُأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَكِ قَبِيلًا ﴿٩١﴾ أَوْ يُكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زَهْرٍ أَوْ يُرْفَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ بِرُفْقِكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا تُفَرِّقُ فِيهِ قُلُوبَنَا رَبِّ هَلْ كُنْتَ إِلَّا بُشْرًا رَسُولًا ﴿٩٢﴾ وَمَا نَعَى النَّاسُ أَبْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَسْمَعُونَ مَطْمَئِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ كُنْ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٥﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَمُتْدُ وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ يُجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُبَابًا وَبُكَامًا وَفُجَاءًا وَلَهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٦﴾

لهم أيها الرسول: تنزيهاً وتقديساً لربي أن يفعل ما أريد وأن يتدخل أحد في سلطانه؛ لأنه الفعال لما يريد، لست أنا إلا واحداً من البشر، مرسلًا كسائر الرسل، أبلغكم رسالة ربي، لا يستطيع أحد من الرسل أن يأتي بآية إلا بإذن الله تعالى. نزلت هذه الآيات في رؤساء قريش الذين طالبوا النبي ﷺ بهذه المطالب تعجيزاً ومعاذلة وإحراجاً.

٩٤- وما منع الناس في الماضي وفي عصرك أيها النبي عن الإيمان بالله وبما أنزل حين مجيء وحي الهداية إلا أن أنكروا أن يكون الرسول من جنس البشر.

٩٥- قل لهم أيها الرسول: إن كل رسول من جنس المرسل إليهم، فلو كان في الأرض ملائكة يسرون فيها على الأقدام، مستقرين فيها، لأرسلنا إليهم ملكاً رسولاً من جنسهم، ليتفاهم معهم.

٩٦- قل لهم أيضاً: يكفيني الله شاهداً على صدق رسالتي، إنه تعالى كان وما يزال عليمًا بأحوال عباده، مطلعاً على جميع أعمالهم ظاهراً وباطناً.

٩٧- ثم يخبر الله تعالى عن إطلاق تصرفه في خلقه ونفاذ حكمه، فهو وحده القادر على الهداية، فمن يهده الله للإيمان ببيان سبيل الهداية، فهو المهتدي الموفق، ومن يضلل الله من الناس بخذلانه عن الحق ويتعريف طرق الضلال وإعراضهم عن هداية ربه، فلا تجد لهم نصراً يتولون أمرهم ويدافعون عنهم، من غير الله، ونجمهم بسرعة يوم القيامة مسحوبين على وجوههم، تجرهم الزبانية عُمية لا يبصرون ما يسر، ويكُفُّ ما ينطقون بما يقبل، وصماً لا يسمعون ما يلد، أي إنهم في متاهة حيارى لزيادة إيلاهم، مسكنهم جهنم، كلما خمدت نارها وسكن لهما، تزداد بهم توقداً وتسعرا بشدة.



ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا
وَرُفَاتًا أَوَلَمْ نُمَبِّعُوهُمْ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا أَرَبَّ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُّوا ﴿٥١﴾
فَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا حَزِينِينَ رَحِمَ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكَنَّ خَشْيَةَ
الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَنُورًا ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ شُعْبَةً
مِّنَ الْكِتَابِ فَقَسَلْنَا بِهِ إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَضَّلَ لَهُ
فِرْعَوْنُ إِلَىٰ لَأُظْلَمَ يَمُوسَىٰ مُسَبِّحًا ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُ
مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبِّي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ وَابٍ
لَّاظُنُّكَ يَفْتَرِعونَ مَبْشُورًا ﴿٥٤﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْفِرَهُمْ
مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمِن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿٥٥﴾ وَقُلْنَا مَن بَعْدِهِ
لَبَنِي إِسْرَءِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَهُ وَعْدُ الْآخِرَةِ
جِئْنَاكُمْ لَغِيغًا ﴿٥٦﴾ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْنَاهُ
أَرْسَلْنَاكَ الْآمِينَاتِ وَبِذِيكَ رَوْقُهُ أَنَا فَارَقْنَاهُ
لِنُفْرِمَ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مَكَّةٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿٥٧﴾

٩٨- ذلك العذاب في جهنم هو جزاؤهم، بسبب
جحودهم بآيات الله التكوينية والتزليية، وعدم
تفكرهم بها، وإنكارهم بعثة الرسل، وتكذيبهم
بالبعث والحساب قائلين: أننا صرنا عظاماً بالية،
وأجزاء متفتتة كالتراب، سنبعث خلقاً جديداً بعدئذ؟
٩٩- فرد الله عليهم: أولم يعلموا- فهي رؤية قلبية-
أن الله الذي أبدع السموات والأرض قادر على إيجاد
أمثالهم، وهم بعض المخلوقات؟ وجعل لهم وقتاً
محددًا للموت والبعث، لا شك في وقوعه حتماً،
فأبى المشركون إلا جحوداً وإنكاراً.

١٠٠- قل لهم أيها النبي لبيان سبب رفض
مطالبهم: وهو الشح، لو أنكم ملكتم خزائن
الأرزاق، لبقيتم على الشح والبخل مخافة الفقر،
وكان الإنسان الكافر بخيلاً منوعاً.

١٠١- ولقد آتينا موسى تصديقاً لنبوته تسع
علامات دالة على صدق رسالته، مساوية لمطالب أهل
مكة، فلم يؤمن بها فرعون وقومه، مع وضوحها
وكونها معجزات حسية، والآيات التسع: الطوفان،
والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والعصا،
واليد البيضاء، والسنين المجذبة، ونقص الثمرات،
والأصح غير المشهور جعل الطمس على الأموال،

والطبع على القلوب كما تقدم بدلاً من العصا واليد، فاسأل أيها الرسول مؤمني بني إسرائيل في عصرك عن هذه
الآيات، فإنهم لا يكذبون بها، فتقوم الحجة على قومك، فقال فرعون لموسى: إني لأعتقد أنك يا موسى مسحور،
أي سحر فاختلط عقله، فصار مخبول العقل. وجاءهم، أي جاء موسى إلى بني إسرائيل وفرعون بالرسالة.

١٠٢- قال موسى لفرعون: لقد علمت يا فرعون، ما أنزل تلك الآيات إلا رب السموات والأرض دلالات
بينات على قدرته ووحدانيته وصدق رسالتي، وإني لأعتقد أنك يا فرعون هالك خاسر. والظن في الآيتين بمعنى
اليقين.

١٠٣- فأراد فرعون أن يخرج موسى وقومه بني إسرائيل من أرض مصر، ويبيدهم عنها، فأغرقناه ومن معه من
جنوده جميعاً.

١٠٤- وقلنا من بعد إهلاك فرعون لبني إسرائيل: أقيموا في الأرض التي أراد فرعون أن يبيدهم منها أو الأرض
المقدسة، فإذا وقع يوم القيامة، جئناكم جميعاً من قبوركم، أنتم وهم، اختلط المؤمن بالكافر.

١٠٥- ما أنزلنا القرآن من عندنا إلا بالحق الذي لا شك فيه، وما نزل إلا بشيء حق مقترن بالشرائع والعقائد
الحقة التي لا باطل فيها، والحق الأول صفة الإنزال من الله، والثاني صفة ما في القرآن من عقائد وأحكام. وما
أرسلناك يا محمد إلا مبشراً المطيعين بالجنة، ومنذراً مخوفاً بالعصاة بالنار.

١٠٦- وأنزلنا القرآن مفرقاً منجماً على مدى ثلاث وعشرين سنة، لا جملة واحدة، لتقرأه على الناس على مهل
وتؤدة، ليكون أقرب إلى الفهم وأسهل للحفظ، ونزلناه تنزيلاً، أي شيئاً بعد شيء، بحسب الحاجة أو المصلحة،
ومقتضى الحكمة.

١٠٧- قل أيها النبي لمركي مكة على سبيل التهديد: آمنوا بالقرآن، فإن الإيمان يرفعكم أنتم، أو لا تؤمنوا، فإن ترك الإيمان يضرركم أنتم وحدكم، إن علماء أهل الكتاب المؤمنين من قبل نزول القرآن الذين عرفوا حقيقة الوحي كورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو ابن نفيل، وعبد الله بن سلام إذا يتلى عليهم هذا القرآن يسقطون على وجوههم، مسارعين للسجود خاشعين، تعظيماً لأمر الله، وشكراً على إنجاز وعده ببعثك أيها النبي.

١٠٨- ويقولون وهم ساجدون: تنزه ربنا عن تخلف الوعد، إن وعد ربنا بإزالة القرآن وبعثه النبي ونصر المؤمنين ومجيء البعث والحساب أت فعلاً.

١٠٩- ويسجدون على وجوههم باكين من خشية الله، ويزيدهم سماع القرآن تواضعاً لله. وكرر ذلك للتأكيد على تأثير القرآن في المؤمنين.

١١٠- قل أيها النبي للمشركين المنكرين اسم الرحمن: ادعوا الله ونادوه قائلين: يا الله أو يا رحمن، فله تعالى كلا الاسمين، وبأي اسم تدعونه أو تتادونه به، فهو حسن، فله الأسماء الحسنى أي المستقلة بصفات الجلال والإكرام، ولا تجهر أيها النبي في القراءة بصلاتك، حتى لا يوذوك، ولا تخفض صوتك بها إلى حد لا يسمعك أحد، وتوسط بين الجهر والإسرار. سمع المشركون النبي من يقول في دعائه: يا الله، يا رحمن، فقالوا: انظروا إلى هذا الصابئ، ينهات أن تدعو الهين وهو يدعو الهين، فنزل مطلع الآية، ونزل آخرها حينما سب المشركون القرآن ومن أنزله.

قُلْ إِيَّاكُمْ أَوْ لَا تَتُومِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذَانِ سُجَّدًا ۖ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۖ وَيَخِرُّونَ لِلْآذَانِ يَكُونُ بِيَدِهِمْ خُشُوعًا ۖ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِهَا وَلَا تُسَمِّرُونَهَا وَانْتِبِغَ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۖ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَوْ يُخَذُّ لَهَا وَلَمْ يُكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۖ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِجَابًا ۖ يَجْعَلُ الْيَقِينَ رَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۖ مَلَائِكِينَ فِيهِ أَبَادًا ۖ وَسَيُجَنَّبُ الَّذِينَ قَالَوا لَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَدًا ۖ مَا لَهُمْ بِهِمْ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۖ

١١١- وقل أيها النبي: الشكر والثناء الكامل لله الذي لا ولد له، رداً على اليهود والنصارى، والمشركين القائلين بأن الملائكة بنات الله، ولا شريك له في الملك والسلطان رداً على المشركين الوثنيين والثنية القائلين بتعدد الآلهة، ولم يحتج لموالاة أحد لذل يلحقه، فلا يحتاج لمعين ولا نصير، وعظم ربك تعظيماً تاماً متزماً عن الولد والشريك. نزلت حينما قال اليهود والنصارى: اتخذ الله ولداً، وقالت العرب: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، وقال الصابئون والجهوس: لولا أولياء الله لذل.

سورة الكهف

فضلها: وردت أحاديث صحاح في فضل هذه السورة منها: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من الدجال» ومنها: «من قرأ المشر الأواخر من سورة الكهف، عصم من فتنة الدجال».

١- الثناء الجميل على الله الذي أنزل القرآن على عبده محمد ﷺ ولم يجعل له ميلاً عن الحق والصواب، ولا اختلافاً في اللفظ أو المعنى، أو اختلافاً فيه.

٢- مستقيماً معتدلاً، لا إفراط فيه ولا تفريط في التكالييف والأحكام، ليخوف بالمعذاب الناس، ويبشّر المؤمنين المصدقين بما فيه الذين يعملون الأعمال الصالحة بالجنة والثواب الحسن.

٣- مقيمين في نعيم الجنة إلى الأبد.

٤- ويخوف بالمعذاب الذين نسبوا الولد أو الشريك لله.

٥- ليس لهم بهذا القول ولا بآياتهم دليل علمي صحيح، وإنما عن تقليد أو كذب، عظمت كلمة تخرج من أفواههم، فهي كلمة الكفر، وما يقولون إلا مجرد كذب وزور.

فَلَعَلَّكَ بَئِيعَ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ
 أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّمَن يَنْبُؤُهُمْ أَنَّهَا
 أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا خَبِثًا
 ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيِّمَ كُنُوا مِنَّا إِنَّا
 عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا
 مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى
 آذَانِهِم فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَدَأْنَاهُم نَعْلَمَ أَيَّ
 آلِ غَرٍّ لِّحْصَىٰ لِّمَا يَأْتُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ فَخَنَقْنَا عَنْكَ بَنَاهُمُ
 بِالْحَقِّ أَنَّهُم فَتْنَةٌ أَمَّوْنَا بِهِمُ وَلَدُنْهُمُ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا
 عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن
 نَدْعُو مِن دُونِهِ ۚ إِلَٰهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا
 اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ
 مِّنْ أَظْلَمَ مِمَّنْ فَتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذْ أَعْرَضُوا عَنْهُمْ
 وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْذَىٰ إِلَى الْكَهْفِ بِنُشْرِكٍ
 رَبُّكُمْ مِّنْ رَّحْمَتِهِ وَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرٍ كَرِهَ قَوْمًا ﴿١٦﴾

٦- فلعلك أيها النبي مهلك نفسك، من بعد
 توليهم عن الإيمان، إن لم يؤمنوا بهذا القرآن تأسفاً
 وحزننا منك على موقفهم هذا، فلا يحزنك ذلك؛
 لأن مهمتك تبليغ رسالة الله، ولست مكلفاً إدخال
 الإيمان في قلوبهم.

٧- إنا جعلنا ما على الأرض من حيوان ونبات
 وجماد وشجر زينة لها، لنختبرهم ونظهر أيهم
 أصلح عملاً، فموقف المشركين محل اختبار
 وامتحان.

٨- وإنا لجاعلون يوم القيامة ما على الأرض من
 زينة تراباً ظاهراً، يابساً لا نبات فيه ولا زينة.

٩- بل أظننت أيها النبي أن أصحاب الكهف أي
 الغار في الجبل، واللوح الحجري الذي كتبت عليه
 أسماؤهم، كانوا وحدهم فقط عجباً من آياتنا؟ لا
 تظن ذلك، فإن آياتنا كلها عجب. نزلت هذه
 الآية وقصة أصحاب الكهف عند سؤال
 قريش النبي ﷺ عن ثلاثة أمور، منها هذه،
 بتوجيه اليهود.

١٠- حين لجأ أصحاب الكهف الشباب إلى
 غارهم فراراً بدينهم من الفتنة، قالوا: ربنا آتانا من

عندك رحمة خاصة: وهي المغفرة في الآخرة، والأمن من الأعداء، والرزق في الدنيا، ويسر لنا الهداية إلى
 المطلوب الذي نحبه وترضاه، بمفارقة الكفار.

١١- فأمنناهم نوماً عميقاً لا يشعرون فيه بالأصوات سنين كثيرة معلومة العدد.

١٢- ثم أيقظناهم من نومهم، لنعلم أي الفريقين المختلفين منهم في مدة نومهم أضبط لمدة بقائهم نياماً.

١٣- نحن نخبرك تفصيلاً بخبرهم على وجه الدقة والصواب والصدق: إنهم شبيبة آمنوا بالله إيماناً خالصاً
 من الشرك، وزدناهم ثباتاً على الإيمان وتوفيقاً إليه.

١٤- وقوينا قلوبهم وعزائهم بالصبر على الشدائد، حين قاموا بين يدي ملكهم الجبار دقلديانوس، وقد
 أمرهم بالسجود للأصنام، فرفضوا وقالوا: ربنا رب السموات والأرض، لن ندعو من غيره إلهاً معبوداً، فإن
 دعونا غيره، قلنا قولاً مجاوزاً الحد في البعد عن الحق والصواب.

١٥- هؤلاء جماعتنا في هذا البلد اتخذوا من غير الله آلهة يعبدونها، هلا يأتون على ألوهيتهم وعبادتهم
 بحجة واضحة، فلا أحد أشد ظلماً ممن اختلق الكذب على الله، فزعم، أن له شريكاً في العبادة.

١٦- ولأجل أنكم يا معشر الفتية تحببتم قومكم وما يعبدون من الآلهة سوى الله، فاجئوا إلى الكهف
 واجعلوه مأواكم، ييسط الله عليكم شيئاً من رحمته، فينقذكم من شر قومكم وملكهم، ويسر لكم من
 أمركم ما ترفقون به وتتفنون بحصوله من مرافق الحياة الضرورية.

١٧- وتَنْظُرُ الشَّمْسُ حِينَ تَطْلُعُ قَبِيلَ وَتَنْحَرِفُ عَنْ كَهْفِهِمْ نَاحِيَةَ الْيَمِينِ مِنْ بَابِ الْغَارِ، وَإِذَا غَرَبَتْ تَرَكَّهُمْ وَتَتَجَاوَزُ عَنْهُمْ شِمَالَ الْكَهْفِ، فَلَا تَدْخُلُ الْكَهْفَ، وَهِيَ فِي وَسْطِ الْكَهْفِ وَتَمْتَسِئُهُ، ذَلِكَ الْحَاصِلُ لَهُؤَلَاءِ الْفَتْيَةِ مِنْ تَحْوِيلِ الشَّمْسِ عَنْهُمْ وَحِفْظِ أَبْدَانِهِمْ فِي حَالِ الْحَيَاةِ، مِنْ دَلَالَتِ قُدْرَةِ اللَّهِ، مَنْ يُوَفِّقُ اللَّهَ لِلْهُدَايَةِ وَالْحَقِّ وَالْخَيْرِ فَهُوَ الْمُهْتَدِي، وَمَنْ يَخْذُلُ اللَّهَ وَيَبْعِدُهُ عَنْ رَحْمَتِهِ، فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَاصِراً يَلِيهِ وَيُرْشِدُهُ.

١٨- وتَنْظُرُهُمْ أَيْقَاضاً مُنْتَبِهِينَ، لِأَنْ أَعْيَنَهُمْ مُنْفَتِحَةً قَلِيلاً، وَهِيَ فِي الْوَاقِعِ نِيَامٌ، وَنَقْلُهُمْ جِهَةَ الْيَمِينِ وَجِهَةَ الشَّمَالِ، لِثَلَاثِ أَكْلِ الْأَرْضِ أَجْسَادِهِمْ، وَكَلْبِهِمْ (قَطْمِير) بِأَسْطِ يَدَيْهِ فِي فَنَاءِ الْكَهْفِ مِنْ جِهَةِ الْبَابِ، لَوْ نَظَرْتَ إِلَيْهِمْ لَأَبْرَتْ هَرَباً مِنْ مَنَظَرِهِمْ، وَلَمَلَّتْ مِنْهُمْ خَوْفاً وَفَزَعاً يَمَلَأُ الصَّدْرَ.

١٩- وَكَمَا فَعَلْنَا بِهِمْ مَا ذَكَرْنَا مِنَ النَّوْمِ وَالْحِفْظِ، أَيْقَنَّا لَهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ عَنْ مَدَّةِ لَبْسِهِمْ فِي

وَنَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَوَارِدُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَخْمٍ وَمِنْهُ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْسِداً ١٧ وَنَحْنُ بِهِمْ أَيْقَاضاً وَمُرْزُوقُونَ وَنَقْلُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ لَبِيطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمَلَّتْ مِنْهُمْ رُعْباً ١٨ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا لَا نَحْمَدُكُمْ أَكَلْنَا لَبَنَ رَبِّنَا فَأَبْعَثْنَا أَحَدَكُمْ يَتَفَقَّهُمْ فَهَؤُلَاءِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أُنْثَاهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْكُلْكُمْ يَرْزُقُ مِنْهُ وَلَسْنَا طَافٌ وَلَا يَشْعُرْ بِكُمْ أَحَدًا ١٩ إِنْ نَظَرْتُمْ عَلَيْهِمْ بِرُحُورِكُمْ أَبْصَرْتُمْ وَكُنْتُمْ فِي مَلْتَمِهِمْ وَلَنْ تَقْلَحُوا إِذَا أَبَدًا ٢٠ وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا اتَّبِعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَا رُبُّهُمْ أَغْلَبَهُمْ فَالَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ سَبِيحًا ٢١

الكَهْفِ، قَالَ أَحَدُهُمْ: كَمْ لَبِئْتُمْ فِي النَّوْمِ، قَالَ بَعْضُهُمْ جَوَاباً لِلسَّائِلِ: لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ لَدُخُولِهِمْ الْكَهْفِ أَوَّلَ النَّهَارِ، وَيَقِظْتُهُمْ آخِرَ النَّهَارِ، ثُمَّ قَالُوا لِبَعْضِهِمْ: رَيْكُم هُوَ الْأَعْلَمُ بِمَدَّةِ لَبْسِكُمْ، ثُمَّ اتَّجَهُوا لِمَا هُوَ الْأَهَمُّ بِسَبَبِ إِحْسَاسِهِمْ بِالْجُوعِ، وَقَالُوا: أَرْسَلُوا أَحَدَكُمْ بِهَذِهِ الْعَمَلَةِ الْفُضْيَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهِيَ إِفْسُوسُ وَيُقَالُ لَهَا الْيَوْمُ: طَرْسُوسٌ، فَلْيَنْظُرْ أَيُّ الْمَأْكَلِ أَطْيَبُ وَأَحْلَ طَعَامًا، فَلْيَأْكُلْكُمْ بِطَعَامٍ مِنْهُ تَأْكُلُونَهُ، وَلِيَكُنْ مُتَلَطِّفًا فِي الْمَعَامَلَةِ حَتَّى لَا يَغِيْبَ وَلَا يَكْشِفَ أَمْرَهُ، وَلَا يَعْلَمَ بِكُمْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ.

٢٠- إِنْ أَوْلَيْتُكَ الْوَثْنَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، إِنْ أَطْلَعُوا عَلَيْكُمْ وَعَلِمُوا بِمَكَانِكُمْ، قَتَلُوكُمْ رَمِيًّا بِالْحِجَارَةِ، أَوْ صَبَرُوكُمْ كَرَاهًا فِي مَلْتَمِهِمُ الْوَثْنِيَّةِ، وَلَنْ تَقْلَحُوا حَيْثُ أَبَدًا إِنْ عَدِمَتْ فِي مَلْتَمِهِمْ.

٢١- وَكَمَا بَعَثْنَاهُمْ مِنْ نَوْمِهِمْ، أَطْلَعْنَا قَوْمَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ أَحْيَاءُ، لِيَعْلَمَ الْقَوْمُ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ بِالْبَعْثِ حَقٌّ ثَابِتٌ، وَأَنَّ الْقِيَامَةَ آتِيَةٌ لَا شَكَّ فِيهَا، فَلَمَّا شَاهَدُوهُمْ آمَنُوا بِالْبَعْثِ، ثُمَّ أَمَاتَهُمُ اللَّهُ، أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ حِينَ تَنَازَعُ الْقَوْمُ فِي شَأْنِهِمْ بَعْدَ وَفَاتِهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ بَعْدَ إِمَاتَتِهِمْ: ابْنُوا حَوْلَهُمْ بَنِيَانًا يَسْتَرْهِمُ- وَاللَّهُ رَيْكُم أَعْلَمُ بِشَأْنِهِمْ مِنَ الْمُتَنَازِعِينَ فِيهِمْ- قَالَ أَصْحَابُ النُّفُوزِ مِنَ الْقَوْمِ: لَنَبْنِيَنَّ عَلَيْهِمْ مَكَانًا لِلْعِبَادَةِ، وَكَانَ هَذَا جَائِزًا فِي شَرْعِهِمْ، ثُمَّ نَهَى الْإِسْلَامُ عَنْ اتِّخَاذِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ.

٢٢- سيقول المختطفون في قصتهم وعددهم من أهل الكتاب والعرب أقوالاً كثيرة، فمنهم من يقول: هم ثلاثة رابعهم كلبهم، وبعضهم يقول: هم خمسة سادسهم كلبهم، قولاً ظناً في أمر غيبي من غير يقين، ويقول آخرون: هم سبعة وثامنهم كلبهم، ولعل هذا أقرب للصواب للسكوت عنه وعدم إدخاله في الرجم بالغيب، قل لهم أيها النبي: ربي أعلم بعددهم الحقيقي منكم أيها المختطفون، لا يعلم عددهم إلا قليل من الناس، فلا تجادل فيهم اليهود والمشركون إلا جدلاً ظاهراً: وهو بمقدار ما أوحينا إليك به، من غير تعمق في التفاصيل، ولا تسأل في قصتهم أحداً من أهل الكتاب، ففي هذا الرحي كفاية.

٢٣، ٢٤- ولا تقولن لشيء تعزم عليه: إني فاعل ذلك غداً أو في المستقبل، إلا بقرنه بمشيئة الله بقولك: إن شاء الله؛ لأن وجود كل شيء بمشيئة الله تعالى، واذكر ربك بالتسبيح والتكبير والاستغفار إذا نسيت تعليق الأمر بمشيئة الله، ولو بعد القول، وقل إذا سئلت عن شيء لا تعلمه:

لعل الله يوفقني إلى أمر آخر أقرب من هذه القصة إلى الخير والمنفعة. قال ابن عباس: حلف النبي ﷺ على يمين، فمضى له أربعون ليلة، فأنزل الله هذه الآية.

٢٥- وبقي الفتية نائمين في كهفهم ثلاث مئة سنين وتسع سنين هلالية، وهي ثلاث مئة سنة شمسية.

٢٦- قل أيها النبي: الله أعلم بمدة لبثهم في الكهف عن اختلافوا فيها، هو المختص بعلم الغيب في السموات والأرض، ما أحد أبصر ولا أسمع من الله!! ليس للمخلوقات من غير الله من ولي يتولى أمورهم، وليس لأحد الاشتراك فيما يرمه الله من أحكام ويدير من قضاء.

٢٧- اقرأ أيها النبي ما أوحى الله إليك في القرآن، واعمل بما فيه، لا مغير لشيء مما أخبر الله به، أو حكم به من الأحكام التي جاءت في كلماته، ولن تجد من دون الله ملجأً وحصناً.

٢٨- التزم الصبر والثبات والمعايشة أيها النبي مع أولئك الضعفاء الذين يدعون ويعبدون ربهم في جميع الأوقات، في الصباح والمساء، يريدون بعبادتهم رضا الله وطاعته، ولا تصرف عينك النظر عنهم إلى غيرهم ممن غرّبهم الدنيا، تقصد بتركهم مجالسة العظماء والأغنياء الذين تتزين بهم الدنيا، ولا تطع من جعلنا قلبه غافلاً عن القرآن وذكر الله، وأثر هواه على الحق، فاختر الشريك على التوحيد، وتجاوز حد الاعتدال. والفرط: الأمر الضائع الذي لا منفعة فيه. نزلت في جماعة من أشرف قريش طلبوا من النبي ﷺ تنحية الفقراء من أصحابه من مجلسه، حتى يتبعوه، أو يخصصهم بمجلس دونهم.

سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِ الْآمِرَاءُ الظَّاهِرُ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمُ مِنْهُمْ أَحَدًا ۖ وَلَا تَقُولَنَّ لِسَائِحِي إِيَّايَ فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۖ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادُّكِرْ لَكَ إِذَا نَسِيتَ ۖ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ۖ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا شَعْرًا ۖ قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَمْ يَغَيَّبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بُصُرَهُمْ وَأَسْمِعَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِمْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۖ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۖ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَالْعَمَى يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعَمَنْ أَغْفًا لَنَا قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَأَسْمِعْ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۖ

٢٩- وقل أيها النبي للمشركين الذين طلبوا طرد الفقراء من مجلسك: الحق المقرر ومنه القرآن ما يكون من جهة الله تعالى، لا من طريق الهوى وغير الله من البشر، حتى يجري فيه التبديل والتغيير، فمن شاء منكم فليؤمن بالإسلام والقرآن، فهو الحق والخير، ومن شاء منكم الكفر بهذا الدين فليكفر، وهذا تهديد لهم ووعد، إنا أعدنا وهياناً للظالمين: الكافرين ناراً عظيمة، أحاطت بهم من كل جانب، كإحاطة الخيمة (أو الفسطاط) بمن تحتها، وإن يستغيثوا من شدة العطش، يغاثوا بماء كعكر الزيت، أو الشيء المذاب من المعادن كالنحاس والرصاص، يشوي الوجوه من شدة حرارته، يشرب الشراب المهل هو، وساءت النار مقراً ونزلاً.

٣٠- إن الذين صدقوا بالله ورسوله، وعملوا صالح الأعمال، لا ننزع أجرهم على ما أحسنوا من أعمال.

٣١- أولئك المؤمنون العاملون لهم جنات إقامة دائمة، تجري من تحت غرفهم ومساكنهم الأنهار، يلبسون فيها أساور الذهب، ويلبسون الثياب

وقُلْ الْحَيُّ مِنْ دُونِ شَاءِ فَلْيَمُوتْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُحْيِ كُنْزُ
إِنَّا أَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ
يَسْتَعِينُوا يَفُوقُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ
وَسَاءَتْ مُرْتَقًى ٢٩ إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ٣٠ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ
وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ
فِيهَا عَلَى الْأَرْدَائِكِ يَتْرَاوُ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَقًى ٣١
وَأَضْرِبْ لَمْثَلًا لِلَّذِينَ جَعَلْنَا لَأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ
وَجَعَلْنَاهُمَا بَنَاجِلَ وَجَعَلْنَاهُمَا زَرْعًا ٣٢ لَكُنَّا الْجَنَّتَيْنِ تَانَتَيْنِ
أَكَلَهُمَا وَتَنَزَّلُ مِنْهُمَا فَاغْلُظْ عَلَيْهِمَا نَحْنُ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ٣٣
فَمَرَّ هَذَا لَصَنِيعِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا
وَأَعَزُّ نَفْسًا ٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتُهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ
مَا أَظُنُّ أَنْ يُبْعِدَ هَذِهِ أَبَدًا ٣٥ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً
وَلَنْ رُدُّدَتْ إِلَى رَبِّي لَأُجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ٣٦

الخضراء من رقيق الحرير وثخينه، يجلسون في الجنة على الأسرة والوسائد، نعم الثواب: الجنة ونعيمها، وحسنت أرائك الجنة متكأ.

٣٢- واضرب أيها الرسول للمشركين مثلاً يعتبرون به، أي مثل لهم حال المؤمن والكافر بحال رجلين: أحدهما غني كافر، والثاني فقير مؤمن، جعلنا للكافر بستانين من كروم العنب، وأحطناهما بنخل، وجعلنا بين النخيل والعنب زرعاً. يقال: إنهما كانا أخوين من بني إسرائيل، ورثا أربعة آلاف دينار، فصنع أحدهما بماله ما ذكر وأثرى، وأنفق الآخر ماله في طاعة الله حتى افتقر، والتقى، ففخر الغني وبخ المؤمن، فجرت بينهما هذه المحاوره.

٣٣- كل واحدة من الجنتين (البستانين) أعطت ثمارها، ولم تنقص من ثمرها شيئاً، وشققنا وسط كل منهما نهراً يسقيهما دائماً.

٣٤- وكان لصاحب الجنتين ثمر آخر غير العنب والنخيل، أي أموال أخرى، فقال لصاحبه المؤمن الفقير، وهو يتحدث معه: أنا أكثر منك مالاً، أي أغنى، وأعز جانباً بالأولاد والعشيرة.

٣٥- ودخل الكافر الغني بستانه مع صاحبه يطوف به فيه، وهو ظالم لنفسه بكفره وتكبره، قال بسبب غفلته: ما أعتقد أن تتلف هذه الجنة أبداً، لافتتانه بالدنيا.

٣٦- وما أعتقد أن القيامة كائنة، ولئن رجعت إلى ربي بالبعث في الآخرة، كما زعمت، لأجدن في الآخرة خيراً مما وجدت في الدنيا مرجعاً وعاقبة، لتوافر أهليتي لذلك.



٣٧- قال له صاحبه المؤمن، وهو يحدثه:

أكفرت بالله الذي خلق أصلك من تراب، وهو آدم عليه السلام، ثم من نقطة المني، ثم صيرك إنساناً كاملاً في الخلقة والعقل والرجولة. وقد جعل كفره بالبعث كفراً بالله تعالى، والقدرة على الخلق دليل على القدرة على البعث.

٣٨- لكنني أنا أقول: هو الله ربي، ولا أشرك بربي أحداً في العبادة، أي كما فعلت أنت.

٣٩- وهلا قلت عند دخول بستانك وإعجابك به: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، للاعتراف بأن جنتك وخيراتنا بمشيئة الله بقاء وفناء، إن كنت تراني أنا أقل منك مالاً وولداً. قال النبي ﷺ لأبي موسى: «ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة: لا حول ولا قوة إلا بالله».

٤٠- فلعل ربي أن يعطيني خيراً من بستانك في الدنيا أو في الآخرة، ويرسل على بستانك محسوبا مقدراً، أي صواق مقدرة، جزاء كفرك، فتصبح أرضاً لا نبات فيها، تنزل عليها القدم، أي تصبح ملحاً مشبعاً بالماء وهي الأرض السبخة التي لا

قال له صاحبه وهو يحاوره: أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَكِنِّي أَهْوَى إِلَهًا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَكْرِينَ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَلَوْلَا ﴿٣٩﴾ فَسَوِّ رُبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَبِيبًا زَلْفًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلْعًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيط بِمَكْرِهِ فَاصْبِرْ لِقَوْلِكَ كَفَىٰ عَلَىٰ مَا أَنْفَقْنَا فِيهَا وَمِىَ حَاوِيَةً عَلَىٰ عُرْوَشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِتْنَةً يَبْصُرُ مِنْهُ مَنْ ذُوبَ اللَّهُ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ﴿٤٣﴾ هَٰذَا لَكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتَ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ أَمْ أَلْبَسُوا لِلَّهِ وَلِيَّةً وَلِلَّهِ الْوَلَايَةُ الْغَلِيْبَةُ وَاللَّذِينَ أَتَّبَعْتُمْ أَصْلَحْتُ خَيْرًا عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرًا أَمَلًا ﴿٤٦﴾

تصلح للزرع مطلقاً.

٤١- أو يصبح ماؤها غائراً في الأرض، فلن تقدر الوصول إليه أو رده بأي حيلة.

٤٢- وأهلك الله ثمار ذلك الكافر بأفة سماوية، فأصبح يقلب كفيه ظهراً لبطن، تحسراً وندماً، على ما أنفق على عمارتها وإصلاحها من مال، وأضحت تلك الجنة خربة، ساقطة على دعائمها المنصوبة للكروم، ويقول: يا ليتني لم أشرك بالله أحداً.

٤٣- ولم تكن لهذا الكافر جماعة ينصرونه أو ينقذونه من العذاب من غير الله، ولم يكن متمتعاً بقوته عن الهلاك والانتقام الإلهي.

٤٤- هنالك في مقام الشدة والمحنة النصرة لله وحده، هو سببانه خير للمؤمن بالشواب الحسن في الدنيا والآخرة، وخير عاقبة طيبة له.

٤٥- واذكر لأولئك المستكبرين ما تشبهه الحياة الدنيا في جمالها وسرعة زوالها، إنها مثل نبات رواء المطر، فصار أخضر بهيجاً، ثم جف النبات وبيس، وصار في أسرع وقت متفتتاً تطيره لخته وتفرقه الرياح، فلا تترك له أثراً، وكان الله على كل شيء قانداً، بالإحياء والإفناء.

٤٦- المال والبنون مما يتزين به في الدنيا، لا في الآخرة، وأعمال الخير الباقية الثمرة أفضل ثواباً وأجدى عائداً لأهلها، وخير ما يرجوه الإنسان العاقل عند الله تعالى ليحيا سعيداً.

٤٧- واذكر يوم نُزِّلَ الجبال عن أماكنها ونُسِّبَها كالسحاب، وهو يوم القيامة، وترى الأرض ظاهرة ليس عليها شيء من جبل وشجر وبناء، وجمعنا الخلائق إلى الموقف من كل مكان، فلم نترك منهم أحداً إلا حشرناه هناك.

٤٨- وعُرض الناس مصفوفين، كل أمة صف، لا يحجب أحد أحداً، وقلنا لهم: لقد جئتمونا فرادى، كما خلقناكم في المرة الأولى في الدنيا حفاة عراة، لا شيء معكم من المال والولد، بل زعمتم أيها المنكرون للبعث أن لن نجعل لكم موعداً للبعث والنشور والحساب.

٤٩- وجُعِلَ كتاب (صحيفة أعمال) كل إنسان في يده حين الحساب، السعيد في يمينه، والشقي في شماله، فترى المجرمين خائفين مما فيه من الأعمال السيئة، ويقولون: يا هلاكنا، ما شأن هذا الكتاب، لا يترك سيئة صغيرة ولا كبيرة إلا عدّها وأثبتها، ووجدوا ما عملوا في الدنيا من المعاصي

وَيَوْمَ نُسَبِّحُ لِلْجِبَالِ وَنَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۖ وَعَرَضُوا عَلَيْنَا رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ۖ وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُحْرِمِينَ مُشْفَعِينَ بِنَافِهِ وَيَقُولُونَ بُولَيْنَا بِمَا لَمْ نَحْشَرْ أَحَدًا إِلَّا أَصْحَابَهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ۖ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْغَافِلِينَ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ أَمْرِنَا فَأُخْرِجْنَاهُ مِنْ ذَرِّيَّتِهِ وَأُولَآئِهِ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ الظَّالِمِينَ بَدَلًا ۖ مَا أَشْهَدْتُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُبْصِرِينَ فَضَلَّ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ أَفْتَحْذَرُونَ وَأَتْبَاعَهُمْ مَجَازًا- أَنْصَارًا لَكُمْ مِنْ دُونِي، بَعْدَ الْإِبْيَاءِ وَالْفَسْقِ، تَطِيعُونَهُمْ، وَهُمْ لَكُمْ أَعْدَاءُ، بَنَسَ إِبْلِيسُ وَأَتْبَاعَهُ فِي إِطَاعَتِهِمْ بَدَلَ إِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ بَنَسَ مَوَالَاةَ الشَّيْطَانِ بَدَلًا عَنْ مَوَالَاةِ اللَّهِ تَعَالَى.

مكتوباً مثبتاً في كتاب كل واحد منهم، ولا يعاقب ربك أحداً من غير ذنب، ولا يتجاوز ما حده من الثواب والعقاب.

٥٠- واذكر حين قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود انحاء، للتحية والإكرام، فسجدوا كلهم، إلا إبليس كان مخلوقاً من الجن، فعصى الأمر، وخرج عن طاعة ربه، أفتخذون إبليس وأتباعه- وسماهم ذرية مجازاً- أنصاراً لكم من دوني، بعد الإباء والفسق، تطيعونهم، وهم لكم أعداء، بنس إبليس وأتباعه في إطاعتهم بدل إطاعة الله تعالى، أو بنس موالاة الشيطان بدلاً عن موالاة الله تعالى.

٥١- ما أشهدت إبليس وأتباعه خلق السموات والأرض ولا أشهدت بعضهم خلق البعض الآخر، أي ما كانوا شركاء لي في تدبير العالم، وما كنت متخذ المضلين من الشياطين أعواناً.

٥٢- واذكر أيها النبي حين يقول الله: نادوا شركائي الذين زعمتم أنهم شركاء لي من الأوثان وغيرهم ليشفعوا لكم، فنادوهم فلم يجيبوهم، وجعلنا بين الكفار وألئهم وادياً عميقاً من أودية جهنم، للتفريق بينهم. والموبق: المهلك.

٥٣- ورأى الكفار المجرمون النار، فأيقنوا أنهم واقعون داخلون فيها، ولم يجدوا معدلاً عنها، ولا مكاناً ينصرفون إليه بعيداً عنها.



٥٤- ولقد بينا في القرآن مع الترداد والتكرار الأمثال الكثيرة لأجل مصلحة الناس، ليتعظوا، وكان الإنسان أكثر المخلوقات جدالاً بالباطل.

٥٥- وما منع المشركين في مكة وغيرها أن يؤمنوا بالله ورسوله، حين مجيء القرآن والرسول، وأن يستغفروا ربهم عن سيئاتهم إلا تحقيق سنة الله مع المكذبين السابقين وهي إهلاكهم، أو وقوع العذاب مقابلة وعياناً، كالقتل يوم بدر، والمراد أنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون إلا عند وقوع الهلاك المستأصل، أو حدوث ألوان العذاب في الدنيا.

٥٦- وما نرسل الرسل إلى الأمم إلا مبشرين المؤمنين بالجنة، ومخوفين الكافرين بالعذاب، ويجادل الكفار بالباطل بقولهم: الرسول مجرد بشر، لا يبطال الحق وإزالته، واتخذوا آياتي المنزلة وهي القرآن، وما أنذروا به من الوعيد والعقاب استهزاء وسخرية.

٥٧- لا أحد أشد ظلماً ممن ذكر بآيات ربه، فلم يتدبرها ولم يتعظ بها، ونسي ما ارتكب من الكفر والمعاصي، فلم يتب عنها، إننا جعلنا على قلوب الكفار المعاندين أغشية لئلا يفهموا القرآن، وهو الختم على القلوب، وجعلنا في آذانهم ثقلاً في السمع، يمتنعهم من استماعه سماع تفهم وتأمل، وإن تدعهم أيها الرسول إلى الهدى: الإيمان والطاعة، فلن يهتدوا أبداً لشدة عنادهم.

٥٨- وربك كثير المغفرة، واسع الرحمة، لو يؤخذ المجرمين بما كسبوا من الكفر والمعاصي والجدال والإعراض، لعاجلهم بالعذاب في الدنيا بمقتضى الحق والعدل، ولكن يمهلهم ويؤخرهم رحمة منه، ولهم وقت محدد للعذاب الآخروي، لن يجدوا من غيره ملجأً وحصناً يحميهم منه.

٥٩- وتلك قرى عاد وثمود ونحوها أهلكناهم لما ظلموا أنفسهم بالكفر وتكذيب الرسل، وجعلنا لهلاكهم وقتاً معيناً.

٦٠- واذكر أيها النبي حين قال موسى بن عمران لخادمه وتلميذه يوشع بن نون من نسل يوسف: لا أزال سائراً، حتى أصل إلى ملتقى البحرين، قيل: بحر الأردن والبحر الأحمر، أي ملتقى خليج السويس بخليج العقبة، وقيل: ملتقى البحر الأبيض والمحيط الأطلسي عند طنجة، أو أسير زماناً طويلاً.

٦١- فلما بلغ موسى وفتاه مجمع البحرين، نسيا زادهما وهو نوع من السمك: حوت مملح في زنبيل، وكان ذلك أمانة على تحقيق المطلوب، فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلماً، مثل السرب: وهو الشق الطويل المسدود، فدخل فيه واختبأ.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شُحًّا حَدَّثْنَا ۖ وَمَا نَعْنِ النَّاسُ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۖ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمُجَدِّلِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِنَا هُزُوًا ۖ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بَيِّنَاتٍ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِلَّا أَلْفًا ۖ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبُوا لَاجَلَ الْعَذَابِ بَلْ لَكُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ۖ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ۖ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقًّا ۖ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۖ

٦٢- فلما تركا مجمع البحرين، وسارا في اليوم الثاني إلى وقت الغداء، قال موسى لفته: أتنا غداءنا: وهو الخوت، لقد لقينا في سفرنا هذا تعباً ولإعياء.

٦٣- قال له فته: تنبه وأخبرني عما شغلني حين لجأنا إلى الصخرة للاستراحة، بذلك المكان عند مجمع البحرين موعد الملاقاة، فلاني فقدت الخوت وتركته هناك نسياناً، وما أنساني إلا الشيطان بوسوسته أن أذكر لك حادثة فرار الخوت مني إلى البحر بعد عودة الحياة إليه، واتخذ الخوت طريقاً مثار عجب يتعجب منه موسى وفته.

٦٤- قال موسى: ذلك وهو فقد الخوت هو الذي كنا نطلبه، فإن موضع فقدته هو علامة لنا على وجود الرجل الذي نريده، فرجعا على طريقهما الذي قدما منه، يتبعان آثارهما تتبعاً، لئلا يخطئا طريق العودة إلى مكان الصخرة.

٦٥- فلما وصلا المكان وجدا عند الصخرة عبداً صالحاً: هو الخضر في رأي جمهور المفسرين، واسمه بكيا بن ملكان، آتيته ولاية ونعمة وقيل: نبوة، من عندنا، وعلمناه من قبلنا بعض المعلومات الغيبية التي خصصناه بها، والتي رحل موسى للقاءه من أجل تعلمها.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنِّي نَافِلُكَ لِقَاءَ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ۖ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخَرَةِ فَإِنِّي سَبِثُ الْخُوتَ وَمَا أَسْنِيهِ إِلَّا السَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْيَمْرِ عَجَبًا ۖ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَانْزِلْ عَلَيْنَا نَارَهِمَا فَصَصَا ۖ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ۖ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَىٰ أَنْ يُعْلِمَ إِنَّمَا عَلَّمْتُ رُشْدًا ۖ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِط بِهِ خَبْرًا ۖ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن سَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۖ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۖ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْنَاهَا تَغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ قَالَ لَا نَأْتِيكَ بِمَأْكَلٍ وَلَا مُنْعَقٍ ۖ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَاقِيَا غُلَامًا فَتَمَتَّهُ قَالَ أَقْنَتِ نَفْسَا زَكِيًّا ۖ قَالَ بَعْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۖ

٦٦- قال موسى للخضر: أأناذني أن أكون تابعاً لك على أن تعلمني عما علمك الله، علماً فيه الإرشاد إلي، أي علماً ذا رشد: يدل على الخير؟ وقد يأخذ الفاضل عن الفضول، ويتواضع العالم للأعلم منه.

٦٧- قال الخضر: إنك لا تطيق الصبر على ما تراه من علمي وأعمالي أثناء المرافقة.

٦٨- وكيف تصبر يا موسى على شيء لم تعرف حقيقته؟

٦٩- قال له موسى: ستجدني بمشيئة الله صابراً على ما أرى، وأطيعك فلا أعصي لك أمراً لا يصادم أوامره الله ونواهيه.

٧٠- قال الخضر: فإن اتبعتني، فلا تسألني عن شيء من أفعالي التي تراها مخالفة، حتى أبتذكك بالبيان وأخبرك عن سببه وماله.

٧١- فانطلق موسى والخضر يمسيان على ساحل البحر، فمرت سفينة، فطلبا الركوب فيها، فلما ركبا في السفينة وصارت في وسط البحر، ثقبها الخضر ليعيها، بأن قلع لوحاً ليس من جهة الماء لئلا تغرق، فقال موسى له: أخرقتها لتغرق ركابها، لقد فعلت أمراً غريباً منكراً؟!

٧٢- قال الخضر: ألم أقل يا موسى، لن تطيق الصبر على أفعالي؟

٧٣- قال موسى: لا تؤاخذني بنسياني وصيتك، وعاملني بالعفو واليسر، ولا تكلفني عسراً ومشقة في صحبتي إياك بالمواخاة على النسيان، فذلك أمر عسير.

٧٤- فانطلقا في سيرهما بعد الخروج من السفينة، حتى إذا وجدا غلاماً حدثاً غير بالغ، فقتله الخضر باقتلاع رأسه، فقال موسى له مستنكراً: كيف قتلت نفساً بريئة من الجرائم، بغير قتل نفس موجب للقصاص، لقد فعلت فعلاً منكراً في الدين؟!



﴿قَالَ لَوْ أَقْبَلْتُكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ٧٥ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَلِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿قَالَ طَلَقًا حَتَّى إِذَا أَتَى أَهْلَ مَرْيَةَ اسْتَظَعَهَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُصَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدَانِ أَنْ يَقْطَعَا فَقَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَكُونَتْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أُولَى مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُ مُرْئِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَفَتِنَا أَنْ يَرِيَهُمَا عَلَيْنَا وَكَفَرَا ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيُخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقُرَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿

٧٥- قال الخضر مكرراً عتابه: ألم أقل لك: لن تطيق معي الصبر على أفعالي. وأضاف هنا لفظ ﴿لك﴾ لتأكيد العتاب وتكرار المخالفة.

٧٦- قال موسى: إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة، ففارقني ولا تجعلني صاحباً، قد أعذرت في فراقك لي، أو وجدت عذراً لك، حيث أخالفك ثلاث مرات.

٧٧- فانطلقا يمشيان معاً، حتى إذا وصلا إلى أهل قرية، قيل: هي أبله أو أنطاكية، طلبا إطعامهما، فأبوا ضيافتهما، فوجدوا في القرية جداراً أبيضاً للسقوط. وقد استعار الإرادة للمشاركة على السقوط، والعرب تستعمل الإرادة لغير العاقل في معنى القرب. فأعاد الخضر عمارته، أو أنه رده مستقيماً كما كان، جاء في الحديث الصحيح: أنه مسحه بيده، فإذا هو قد استقام، قال له موسى: لو شئت لطلبت أجراً على إصلاحه، نشترى به الطعام.

٧٨- قال له الخضر: هذا وقت الفراق بيني وبينك بعد مخالفة الاتفاق ثلاث مرات، وسأخبرك قبل فراقك لك بتفسير أفعالي، وبيان وجه كل فعل، مما لم تطق الصبر عليه.

٧٩- أما السفينة التي خرقتها، فكانت لمساكين ضعفاء ليس لهم مورد رزق غيرها، وهم عاجزون عن مقاومة من يظلمهم، يعملون في البحر بطريق الكراء وأخذ الأجرة، وكان أمامهم في طريقهم ملك ظالم يغتصب من أصحابها كل سفينة صالحة غير معيبة.

٨٠- وأما الغلام الذي قتلته فكان كافراً، وأبواه مؤمنان، فخفنا أن يحملهما على تجاوز الحد المشروع، والفضال، والكفر بربهما، لشدة محبتهم له، وتأثرهما بميوله.

٨١- فأردنا أن يرزقهما الله ولداً آخر خيراً منه صلاحاً ودينياً وتطهراً من المعاصي، وأقرب منه رحمة لوالديه وبراً بهما وعطفاً عليهما.

٨٢- وأما الجدار الذي أصلحته، فكان لغلامين يتيمين في البلدة المذكورة سابقاً، وكان تحته كنز مدفون من ذهب، وكان أبوهما رجلاً صالحاً تقياً، وأدى صلاحه لحفظ مال ولديه، فأراد ربك أن يبلغ الغلامان الرشد: إحسان التصرف، ويستخرجوا الكنز من تحت الجدار، وكان هذا التدبير رحمة من الله لهما، بسبب صلاح أبيهما، وما فعلت جميع أفعالي عن رأي المحض، وإنما بإلهام من الله، ذلك المذكور لك هو تفسير ما لم تقدر عليه صبراً، ولم تتحمل السكوت عليه.

٨٣- ويسألونك أيها النبي للاختبار عن قصة الملك الذي ملك الدنيا بأسرها وهو ذو القرنين، والسائل هم اليهود، والملك: هو كما حقق وزير معارف الهند سابقاً أبو الكلام آزاد: الملك الفارسي الصالح قورش، قل: سأتلو عليكم من بعض أخباره قرآناً منزلاً من الله تعالى. ولُقِّبَ بذي القرنين لبلوغه قرني الشمس في مطلعها ومغربها.

٨٤- إنا جعلنا له في الأرض سلطاناً وقدره على التصرف فيها، وأعطيناه من كل شيء يحتاج إليه في ملكته طريقاً يوصله إلى مطلوبه من علم أو معرفة أو صنعة أو غير ذلك.

٨٥- فسلك طريقاً باتجاه الغرب.

٨٦- حتى إذا بلغ موضع غروب الشمس وأقصى بلاد المغرب، وجد الشمس تغرب في عين ذات طين أسود، وذلك بحسب رأي العين الناضرة من بعيد، ووجد عند مغربها قوماً كضراً، فآلهما بين أن يعذبهم بالقتل أو يحسن إليهم بدعوتهم إلى الحق والإيمان وتعلم الشرائع واتخاذ طريقة حسنى في معاملتهم.

٨٧- قال ذو القرنين مختاراً الدعوة الحسنة: أما من ظلم نفسه بالإصرار على الكفر، فسوف نعذبه بالقتل في الدنيا، ثم يرد إلى ربه في الآخرة، فيعذبه فيها عذاباً منكرًا شديداً في النار، لم يعرف مثله.

٨٨- وأما من آمن بوحداية الله، وعمل عملاً صالحاً، فله المشوبة الحسنى وهي الجنة، وسنأمره بما يسهل عليه من التكليف التي لا مشقة فيها.

٨٩- ثم سلك طريقاً آخر عكس الأول نحو

المشرق.

إِنَّا مَكَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَأَنبَأَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيحًا ٨٤ فَاتَّبَعَ سَبِيحًا ٨٥ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَرْجُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَأْتِيكُمُ الْقُرْآنُ إِنَّمَا أَنْتَ مُعَذِّبٌ وَإِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ فِيهِ مَكِيدًا ٨٦ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا ٨٧ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَىٰ وَسَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ أَسْرَارٌ ٨٨ فَاتَّبَعَ سَبِيحًا ٨٩ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لِنَفْسِهِ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا ٩٠ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ٩١ فَاتَّبَعَ سَبِيحًا ٩٢ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ٩٣ قَالُوا يَا كَذَّابُ الْقُرْآنُ إِنَّا أَخْرَجُوا مَجْرَجَ مَقْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَلِمَ تَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ٩٤ قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ٩٥ ءَأَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَأَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ٩٦

٩٠- حتى إذا وصل موضع طلوع الشمس وبلاد الشرق الأقصى وكانت النهاية عند (بلح)، وجد الشمس تطلع على قوم بدائيين عراة يعيشون في الكهوف، لا يجدون شيئاً يستترون به من البسة ومبانٍ من دون الشمس.

٩١- أمر ذي القرنين مثلما وصفنا لك أيها النبي، وقد أحطنا علماً بما لديه من آلات وجنود وقنوجات وغيرها.

٩٢- ثم سلك طريقاً ثالثاً معترضاً بين الشرق والغرب، من الجنوب إلى الشمال.

٩٣- حتى إذا وصل بين جبلين عظيمين، وهما بين أرمينية وأذربيجان، أو بين بحر قزوين والبحر الأسود- والظاهر هذا- بين المغول والتتر في الشمال، وبين سكان آسيا في الجنوب، فلما وصل إلى ذلك المكان، وجد من ورائهما من جهة الجنوب، قوماً لا يفهمون كلام غيرهم.

٩٤- قالوا: يا ذا القرنين- وكان يفهم لغتهم أو من طريق ترجمان- إن قبيلتي التتر والمغول اللتين تسكنان الجزء الشمالي من قارة آسيا مفسدون في الأرض بالإغارة والقتل وإتلاف الزروع ونهب الأموال، فهل نجعل لك جُعللاً من المال نخرجه لك على أن تجعل بيننا وبينهم حاجزاً منيعاً.

٩٥- قال لهم: ما جعلني فيه ربي متمكناً من السلطان والملك خير من خرجكم، فأعينوني بالآلات والعمال البتائين، أجعل بينكم وبينهم حاجزاً حصيناً، أكبر من السد وأحكم، وهو السد المبني بالحجارة.

٩٦- أتوني قطع الحديد، حتى إذا ردم ما بين جانبي الجبلين على نحو مساوٍ لهما في العلو، قال للعمال: انفضخوا على قطع الحديد بالكبران، حتى إذا جعل الحديد المنصهر كالنار المحمرة، صب عليه النحاس المذاب، فالتصق المعدنان ببعضهما، وصار السد جبلاً صلباً أملس.



فَاسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَمْ يَقْبَأُوا ۖ قَالَ هَذَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّي فَإِن جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۝ وَرَكَابُهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّجُوجٌ فِي بَعْضٍ وَنُحْجٌ فِي آخَرٍ وَفَجَعَلَهُمْ جُمُوعًا ۝ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا ۝ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَظَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۝ أَفَسِبَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ۝ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَبُطِئَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَلَا تَلْزَمُ ۝ ذَلِكَ جَزَاءُ كَفَرٍ هُمْ بِمَا كَفَرُوا وَأُتُوا بِالنُّزُولِ وَاسْتُلِيَ مِنْهُمْ ۝ إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَمُوتُونَ عَنْهَا حَوْلًا ۝ قُلْ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ مِثْلَ مَا كُتِبَ رَبِّي لَفُتِدَ الْخَمْرُ قَبْلَ أَنْ نَعْدَّ كَلِمَتَ رَبِّي وَلَوْ جُنَّا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ۝

٩٧- فما استطاع المفسدون من يأجوج ومأجوج اعتلاء السد وتسلقه لارتفاعه وملاسته، ولم يستطيعوا خرقه لصلابته وسُمكه.

٩٨- قال ذو القرنين بعد الفراغ من بناء السد: بناؤه من آثار رحمة الله علي إذ وفقني إليه، وأنعم به عليكم أيها القوم لمنع إفساد يأجوج ومأجوج، فإذا حان وقت تدمير السد من قبل ربي، جعله مذكوكاً مسوياً بالأرض، وكان وعد ربي ثابتاً كائناً لا يتخلف.

٩٩- وتركنا بعض الناس يوم خروج يأجوج ومأجوج مما وراء السد والذي هو من علامات الساعة، يضطربون يوم القيامة، لكثرتهم وتراحمهم، ونفخ في القرن لقيام الساعة النفخة الثانية. نفخة البعث، فجمعنا الخلاق في مكان واحد للحساب والجزاء، بعد إحيائهم من القبور.

١٠٠- وأظهرنا جهنم يوم الحشر للكافرين ليشاهدوها، إظهاراً جلياً.

١٠١- الكفار الذين كانت أعينهم في غشاء عن ذكر الله: وهو القرآن والآيات الكونية المؤدية إلى التوحيد والتمجيد، وكانوا يكرهون سماع القرآن ومجالسة النبي خشية أن يؤمنوا، وليس المراد عجزهم عن السمع.

١٠٢- أظن الكفار أن يتخذوا عبادي كالملائكة والمسيح وعزير والشياطين وغيرهم أرباباً معبودين ولا أعاقبهم؟ إنا هيأنا جهنم للكافرين نُزُلًا ينزلون به، والنُزُل: مكان الضيافة، وعبر به تهكماً بهم.

١٠٣- قل أيها النبي للناس: هل نخبركم بأشد الناس خسارة لأعمالهم؟

١٠٤- هم الذين ضاع عملهم عبثاً في الحياة الدنيا بسبب كفرهم، وهم يظنون خطأ بعبادتهم غير الله أنهم يحسنون عملاً يجازون عليه.

١٠٥- وهم الذين جحدوا بدلائل توحيد الله من الآيات الكونية والتشريفية، وكفروا بالبعث وكذبوا بقاء الله في الآخرة، فبطلت أعمالهم الحسنة لكفرهم بالله، فلا نقيم وزنًا لهم ولا لأعمالهم، وإنما هم محقرين.

١٠٦- ذلك الأمر المذكور، وهو ترك إقامة الوزن هو «جزاؤهم» وهو «جهنم» بسبب كفرهم وهزتهم بآيات الله ودعوة رسله. ذلك: إشارة إلى ترك إقامة الوزن، و«جزاؤهم»: خبر المبتدأ، و«جهنم»: بدل منه.

١٠٧- إن الذين صدقوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال الصالحة التي أمرهم الله بها، لهم جنات الفرديس: وهي أعلى درجات الجنة منزلاً ينزلون فيها.

١٠٨- وهم خالدون فيها على الدوام، لا يطلبون تحولاً عنها إلى غيرها.

١٠٩- قل أيها النبي: لو كان ماء البحر حبراً لكتابة كلمات علم الله ومعلوماته غير المحدودة، لنفد البحر في كتابتها قبل أن تنتهي، ولو جئنا بمثل البحر بحوراً أخرى تمدها، والمدد: الزيادة والمعونة، أي أن المعاني القائمة بنفس الله، وهي المعلومات لا تنهاى، والبحر مثناه ضرورة. قالت اليهود: أوتينا علماً كثيراً، أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة، فقد أوتي خيراً كثيراً، فنزلت الآية.

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُ الْوَاحِدُ ۖ قَدْ كَانَ يُرِجُوا
لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١٩﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَهَمَصَ ﴿١﴾ ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدٌ زَكِيًّا ﴿٢﴾ إِذَا نَادَىٰ
رَبَّهُ يَدْعُوًا خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ
الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَوْ أَنَّكَ تُدْعَاكَ رَبِّ سَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ
الْمَوْتَ مِن وَرَاءِی وَكَأَنِّي مُرَرْتُ عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ
وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِن آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾
يَٰ زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾
قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَأَنِّي مُرَرْتُ عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ
مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْئٍ
وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ سَمِيًّا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ
لِي آيَةً قَالَ آيَةُ ابْنِكَ أَنَّ نَجْمَكَ النَّاسُ تَلْكَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾

١١٠- قل أيها النبي: إنما أنا مجرد بشر آدمي مثلكم، ولكن خصني الله بالوحي والرسل، ومن هذا الوحي الأمور به أن الإله المعبود إله واحد لا شريك له في ألوهيته، فمن كان يأمل ويطمح ببقاء الله بالبعث والجزاء، وهو شأن المؤمنين، فليعمل عملاً صالحاً في الدنيا: وهو كل ما دلّ الشرع على أنه خير يناب عليه فاعله، ولا يشرك أحداً من الخلق بعبادة الله ربه، والرياء: داخل في الشرك، وهو الشرك الخفي.

سورة مريم

فضلها: قال ابن مسعود في قصة الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة من مكة: إن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قرأ صدر هذه السورة على النجاشي وأصحابه.

١- كاف، ها، يا، عين، صاد: حروف للتنبيه، وتحدي العرب بالإتيان بمثل القرآن المكون من مثل هذه الحروف العربية التي هي مادة الخطابة والكتابة والشعر، وهي لغتهم.

٢- هذا الذي نثله هنا قصة رحمة الله عبده زكريا من أنبياء بني إسرائيل، زوج خالة عيسى عليهما السلام، وكان نجاراً. أضاف الرحمة إلى فاعلها وهو الله، وعبدته مفعولها، وزكريا: بيان للعبد.

٣- حين نادى ربه سرراً في جوف الليل؛ لأنه أسرع للإجابة، وأبعد عن الرياء.

٤- قال: يا رب، إنه ضعف العظم في بدني بسبب الكبر، وانتشر الشيب في رأسي، وهو كناية عن الهرم، ولم أكن محروماً خائباً من إجابتك، بل كنت تحجب دعائي، فلا تخيبني في هذه المرة.

٥- وإني خفت الأقارب والعصبات من بني العم ونحوهم من بعد موتي أن يرثوني، فيضيعوا الدين؛ لأنهم كانوا مهملين أمر الدين، وامرأتي عاقرة: لا تلد من أصل الخلقة، فامتحنني من عندك ولداً صالحاً من صلي.

٦- يرثني ويرث من آل يعقوب العلم والنبوة، ويعقوب: هونى الله إسرائيل، وزوجة زكريا هي أخت مريم بنت عمران، من ولد سليمان بن داود بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وليس المراد وراثته المال؛ لأن الأنبياء لا يورثون، واجعله يا رب مرضياً، في أخلاقه وأفعاله.

٧- فأجاب الله دعاءه، فنادته الملائكة عن الله بقوله: ﴿يا زكريا﴾: نحن نبشرك بغلام اسمه يحيى، لم نسم أحداً قبله بهذا الاسم، ولا شبهه في الصلاح والورع.

٨- قال زكريا: كيف وما الطريقة التي سيكون بها، كيف يوجد الغلام وزوجتي عقيم لا تلد من غير كبر، وقد بلغت منتهى الكبر والشيوخوخة؟ والسؤال بحسب الأحوال المعتادة، لا استبعاداً لقدرة الله تعالى.

٩- قال الله بالوحي: لا تمجب، فالأمر منجز على هذه الحال، قال ربك: هو أمر سهل ميسور علي، فهو مثل خلقك من ابتداء، خلقتك من العدم قبل ذلك، ولم تكن شيئاً موجوداً، وإيجاد الولد بالتوالد المعتاد أهون من ذلك وأيسر.

١٠- قال زكريا: رب اجعل لي علامة على وقوع وتحقيق البشارة، قال الله: علامتك ألا تقدر على الكلام ثلاث ليال مع إيمانهم، وأنت سوي الخلق والحواس بلا علة من غرس ولا بكم ولا مرض يمنحك من النطق.

١١- فخرج زكريا على قومه من المصلى الذي يصلي فيه، فأشار إليهم إشارة بيده: أن صلوا صباحاً ومساءً، شكرًا لله على فضله.

١٢- ولما ولد يحيى وبلغ مبلغ الخطاب نودي وقلنا له: يا يحيى خذ التوراة بجد واجتهاد، وأعطيناه القدرة على فهم أسرار التوراة صبيًا قبل بلوغ سن الرجال.

١٣- وجعلناه ذا حنان وشفقة وعطف على الناس من عندنا، وذات طهارة نفس من الآثام، وكان من أهل الطاعة وإخلاص العبادة.

١٤- وكان كثير البر بوالديه والطف والإحسان إليهما، ولم يكن متكبراً، ولا عاصياً لربه.

١٥- وأمان عليه من الله يوم ولادته وموته وبعثه حياً يوم القيامة، والإنسان أحوج إلى الأمان في هذه المواطن الثلاثة.

١٦- واذكر أيها النبي في القرآن خبر مريم بنت عمران عليها السلام، حين اعتزلت عن أهلها مكاناً نحو الشرق من دارها أو من بيت المقدس، لتخلو للعبادة، بسبب صلاحها وتقواها.

١٧- فاتخذت مستراً يستترها عن الناس، حتى لا يشغلها شاغل، فأرسلنا إليها جبريل عليه السلام، فتمثل لها بصورة بشر تام الخلق.

١٨- وفوجئت برؤيته وخافت، وقالت: إني أستجير بالرحمن منك، إن كنت ممن يخاف الله، فتنتهي عني وتتعد بتعودي بالله تعالى.

١٩- قال جبريل مطمئناً لها ومهدئاً من روعها: يا مريم أنا رسول ربك الذي استعذت به، أرسلني إليك، ولست من فعلة السوء، وإنما لأتسبب في أن يمنحك الله غلاماً طاهراً من الذنوب، وذلك بالنفخ في القميص.

٢٠- قالت مريم متعجبة مستغربة: كيف يكون لي غلام، ولم يقربني زوج، ولم أكن زانية؟!

٢١- قال جبريل: لا تعجيبي، فالأمر هكذا على هذه الحال، من خلق ولد من غير أب، قال ربك: هو علي سهل يسير، لأنه القادر على كل شيء، ولنجعل هذا الغلام وخلق من غير أب آية للناس على قدرتنا التامة، ورحمة لهم لما يرشدهم إليه من الهداية والخير الكثير، وكان خلقه أمراً مقدراً مقضياً به في الأزل وفي علم الله تعالى.

٢٢- فنفخ جبريل في جيب قميصها، فوصلت النفخة إلى بطنها، فحملته، فاعتزلت به مكاناً بعيداً من أهلها وعن الناس، حتى لا يراها أحد.

٢٣- فألجأها واضطرها المخاض: حالة الولادة، إلى ساق النخلة لتستند إليه وتتعلق به، كما تتعلق كل حامل بشيء لشدة وجع الطلق، قالت: يا ليتني مت قبل هذا الأمر والكرب، استحياء من الناس ومخافة من لومهم، وكنت شيئاً مهملاً لا يعرف ولا يذكر.

٢٤- فنادها ملك من مكان منخفض، تحت الأكمة التي فيها النخلة: لا تحزني، قد جعل ربك تحتك نهراً صغيراً

يجري ماؤه.

٢٥- وهزتي نحوك جذع النخلة، تسقط عليك رطباً (تمرأ طازجاً) طرياً ناضجاً.



٢٦- فكلني من الرطب، واشربي من النهر، ولتسكن عينك أي لتطب نفسك وابتعدي عن الحزن، فإن رأيت إنساناً، فأشيري له: إني نذرت للرحمن الصمت عن الكلام، فلن أكلم أحداً من الناس بعد ذلك، أي بعد هذا النذر.

٢٧- فأنت بعيسى ولدها قومها حاملة إياه من المكان القصي، فلما رأوا الولد، قالوا لها مستكرين: لقد فعلت شيئاً غريباً منكراً.

٢٨- يا شبيهة هارون في العفة والعبادة، وهو رجل صالح من بني إسرائيل في ذلك الوقت، أو هو النبي أخو موسى عليهما السلام المشهور بالهدوء والصلاح، لم يكن أبوك أهل فحش، ولم تكن أمك زانية، فمن أين لك هذا الولد؟

٢٩- فأشارت إلى طفلها عيسى ليحجب عن التساؤل، قالوا: كيف تكلم مولوداً ما يزال في المهد: وهو فراش الصبي الرضيع الموطأ؟

٣٠- قال عيسى: إني عبد الله- وهو أول اعتراف بالعبودية لله تعالى- قلر وقضى لي في الأزل بإعطائي الإنجيل (البشارة) وجعلني نبياً مرسلًا لهداية الناس به.

٣١- وجعلني نفاعاً للعباد معلماً للخير، وأمرني بالصلاة وزكاة المال، ما دمت حياً في الدنيا.

٣٢- وجعلني باراً بوالدتي كثير الإحسان إليها، ولم يجعلني متكبراً متعظماً، عاصياً لربي.

٣٣- والأمان والسلامة من الله علي يوم الولادة، ويوم الموت، ويوم البعث حياً.

٣٤- ذلك الموصوف بهذه الصفات هو عيسى ابن مريم، لا ما يصفه النصارى، وهو قول الحق الذي لا ريب فيه في حقيقة عيسى، الذي يشكّون ويختلفون فيه، وهم اليهود والنصارى.

٣٥- ما ينبغي ولا يصح لله تعالى أن يتخذ ولداً، تنزه الله وتقدس عما يقولون، إذا أراد أمراً، قال له: كن فيكون. والقادر على الخلق القوري قادر على خلق عيسى من غير أب.

٣٦- وإن الله هو ربي وربكم، فاعبدوه وحده ولا تشركوا به أحداً، هذا هو الطريق القويم الذي لا اعوجاج فيه، الموصل إلى الجنة.

٣٧- فاختلف أهل الكتاب من اليهود والنصارى فيما بينهم في أمر عيسى، فقال اليهود: إنه ساحر، وابن زني، ابن يوسف النجار، وقالت النصارى: هو ابن الله، أو هو الله، أو ثالث ثلاثة، فهلاك للذين كفروا بالله الذين زعموا أن له شريكاً، من شهود يوم عظيم الهول، وهو يوم القيامة.

٣٨- ما أشد سمعهم وما أقوى بصرهم يوم يأتوننا للحساب والجزاء في الآخرة، أي أن سمعهم وبصرهم يكونان تامين، فيدركون حقيقة الأمر، خلافاً لما كانوا عليه في الدنيا، لكن الكافرون الظالمون أنفسهم في الدنيا في خطأ واضح.

فَكُلْ وَاشْرَبْ وَفَرِّحْ عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ السَّرِّ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَهُ الْيَوْمَ إِنِّي نَذَرْتُ قَوْمَهَا تَحْلِيلَهُ قَالُوا لَيَمُرَّ بِكُمْ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ٢٦ بَنَّا خَتَ هَدَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْماً وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ نَبِيًّا ٢٧ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ يَكُونُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ٢٨ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَالَنِّي لَكُمَّ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ٢٩ وَجَعَلَنِي مَبَارَكًا ٣٠ أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٣١ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا سَفِيًّا ٣٢ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ٣٣ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٣٥ وَإِنَّ لِلَّهِ رِئْيًا وَرَبِّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٣٦ فَاخْلَعُوا الْأَخْرَابَ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٣٧ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنَ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٣٨

٣٩- وخوف أيها النبي المشركين من يوم القيامة، يوم الحسرة والندامة، فيه يتحسر المسيء على إساءته، والمحسن على قلة إحسانه، حين فرغ من الحساب وميق الفرقان إلى الجنة والنار، وهم الآن في الدنيا في غفلة عنه، وهم لا يؤمنون به، أي بيوم القيامة.

٤٠- إننا نحن الذين نرث الأرض كلها ومن كان عليها من أهلها بآهلاكهم، وإلينا يردون يوم القيامة للجزاء.

٤١- واذكر للناس أيها النبي في القرآن الموحي إليك به خير إبراهيم، إنه كان كثير الصدق والتصديق بالحق، لم يكذب قط، نبياً مسلماً من عند الله. والمطالبة بذكر قصته؛ لأنه أبو العرب، ولا عترفهم بملته.

٤٢- حين قال إبراهيم لأبيه آزر: يا أبي، لماذا تعبد الأصنام التي لا تسمع دعائك، ولا تبصر عبادتك، ولا تكفيك شيئاً من جلب نفع أو دفع ضرر.

٤٣- يا أبي، قد أتاني بطريق الوحي الإلهي نصيب من العلم، ما لم يأتك شيء منه، وهو علم يرشد إلى الحق، ويهدي الضال، فاتبعني أرشدك إلى دين قوم فيه النجاة من المكروه والسعادة في الدارين.

٤٤- يا أبي، لا تطع الشيطان في عبادة الأصنام، فإن عبادتها في الحقيقة عبادة له؛ لأنه الأمر بها، فحين تطيعه

وَأَذْكُرْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْهَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤١﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلًا ﴿٤٤﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ أَتَاكَ نَفْعٌ مِنَ اللَّهِ أَمْ لَا يَأْتِيكَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلِي فَأَظْهَرَ بَشَرٌ مِثْلِي فَأَلَسَّامُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَسْبٍ يَا أَبَتِ لَكَ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٥﴾ فَلَمَّا أَظْهَرْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُمُوهْبًا لَمْ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِمْ لَئِنْ رَجَعْنَا بِنِيَّا ﴿٤٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمُوهْبًا لَمْ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِمْ لَئِنْ رَجَعْنَا بِنِيَّا ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٤٨﴾

في عبادة الأصنام، تكون عابداً له، إن الشيطان كثير العصيان للرحمن، وشديد المخالفة له.

٤٥- يا أبي، إني أخاف عليك بهذه العبادة للأصنام أن يصيبك عذاب من الرحمن يوم القيامة، فتكون قريباً للشيطان في اللعن وعذاب النار.

٤٦- قال الأب آزر مهدداً: أمُعرض أنت يا إبراهيم عن تلك الأصنام أللهتي، ومنصرف إلى غيرها؟ لكن لم تنته عن التعرض لها ومقالك فيها لأرجمك بالحجارة أو لأشتمك، فاحذرنى، وفارقني واتركني دهرأ طويلاً.

٤٧- قال إبراهيم لأبيه متلطفاً: سلام عليك مني، سلام توديع ومتاركة لن أتعرض لك بسوء، ولكن سأستغفر لك ربي طالباً منه الهداية والمغفرة، إنه كان مبالغاً في إكرامي واللفظ بي، فيجيب دعائي. وقد وفي بوعده قائلاً: ﴿واغفر لأبي﴾ [الشعراء ٢٦/٨٦] وكان هذا الوعد بالدعاء قبل أن يعلم أنه يموت على الكفر.

٤٨- وأترككم وما تعبدون من غير الله، وأعبد ربي وحده، أرجو ألا أكون بعبادة ربي خائباً شقياً، مثل خيبتكم وشقاوتكم في عبادة أللهتكم.

٤٩- فلما تركهم هم وأصنامهم، وهاجر في سبيل الله من بلده إلى أرض بيت المقدس، وهبنا له إسحاق ابنه، ويعقوب حفيده، إيتاساً له في غربته، وبدلاً من الأهل الذين فارقه، وكل واحد من الابن والحفيد جعلناه نبياً.

٥٠- وأعطينا الثلاثة عدا النبوة كثيراً من خيرى الدنيا والآخرة من المال والولد والصحف، ورزقناهم ثناء حسناً رفيعاً على الألسن إلى قيام الساعة. استعمل اللسان فيما يصدر عنه وهو الثناء، كاستعمال اليد في العطاء.

٥١- واذكر أيها الرسول ما أنزل عليك في القرآن من قصة موسى، إنه كان مختاراً للطهر من النقائص وتكليم الله، وكان رسولاً مسلماً من الله لعباده، ونبياً ينبتهم عن الله بشرائعه.

٥٢. وكلمناه من الجانب الأيمن: جانب الطور على يمين موسى وهو متجه إلى مصر، وقربناه تقريب تشريف وتكريم للمناجاة ربه وتكليم الله بلا واسطة، بأن أسمعه الله كلامه.

٥٣. ومنحنا لموسى من رحمتنا به وإنعامنا عليه أخاه هارون نبياً لمؤازرته، حين دعا قاتلاً: ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي، هارون أخي﴾ [طه ٢٩/٣٠].

٥٤. واذكر أيها الرسول فيما أنزل عليك في القرآن قصة إسماعيل، إنه كان مشهوراً بصدق الوعد، مبالغاً فيه، وكان رسولاً من ربه إلى قبيلة جرهم، على شريعة إبراهيم، نبياً يخبر بما شرعه الله تعالى.

٥٥. وكان يأمر أهله بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة لمن يستحقها، وكان مرضياً عند ربه، لاستقامة أقواله وأفعاله، والمرضي عند الله: الفائز في كل طاعاته بأعلى الدرجات.

٥٦. واذكر أيها الرسول فيما أوحى إليك في القرآن خبر إدريس، وهو سبط شيث، وجد نوح لأبيه، وأول من خط بالقلم، إنه كان كثير الصدق والتصديق بالحق، نبياً من الأنبياء الكرام.

٥٧. وجعلنا له منزلة عالية في الدنيا والآخرة

وَنَدَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِياً ۖ وَوَعَدْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً ۖ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ۖ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً ۖ وَكَانَ بِأَمْرِ أَهْلِهِ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً ۖ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً ۖ وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً ۖ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِنْ حَمَلَتِ امْرَأَتُ نُوحَ ۖ وَ مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ ۖ وَمِنْ هَدْيَانَا ۖ وَاجْتَنَبْنَا إِذَا سَأَلْتَنِي عَلَيْهِمْ ۖ آيَاتِ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجُوداً وَبَكِيّاً ۖ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَاباً ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ ۖ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً ۖ جَنَّتٌ عَدْنٌ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْقَبْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً ۖ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلَاماً ۖ وَلَهُمْ فِيهَا زُفُفٌ مَكَّةٌ وَعَشِيّاً ۖ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيّاً ۖ وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا يَنْزِلُ ۖ وَإِنَّا لَنَافِعُونَ ۖ وَمَا خَلَقْنَا وَمَا يَنْزِلُ ۖ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً ۖ

يشرف النبوة والزلفى عند الله، رفعه الله إلى السماء الرابعة، كما جاء في الحديث الصحيح عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ.

٥٨. أولئك المذكورون من الأنبياء في هذه السورة من زكريا إلى إدريس: الذين أنعم الله عليهم من الأنبياء، من ذرية آدم كإدريس، ومن ذرية من حملنا في السفينة مع نوح كإبراهيم بن سام بن نوح، ومن ذرية إبراهيم كإسماعيل وإسحاق ويعقوب، ومن ذرية إسرائيل: وهو نبي الله يعقوب، وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى، ومن جملة من هدينا إلى الإسلام، واختارناهم أنبياء كراماً، إذا تتلى عليهم آيات الرحمن بكوا من غير صوت وسجدوا من خشية الله تعالى.

٥٩. فخلف من بعد أولئك الأنبياء خلف سوء تركوا الصلاة، وارتكبوا المحرمات كشرب الخمر والزنى، فسوف يلقون شرّاً، أي جزاء ذلك.

٦٠. إلا من تاب من ذنوبه، وأطاع الله في أمره ونهيه، فأولئك يدخلون الجنة، ولا ينقصون شيئاً من الثواب. ٦١. هي جنات إقامة دائمة التي وعد الرحمن عباده وهي غائبة عنهم لم يروها، إن مواعده آت لا محالة. ٦٢. لا يسمعون في الجنة فضولاً هئلاً من الكلام لا يفيد، لكن يسمعون سلاماً (تحية) من الملائكة ومن بعضهم، يأتيهم ما يشتهون من الطعام والشراب في الجنة، على الدوام، صباحاً ومساءً وكل وقت يريدون. ٦٣. تلك الجنة بهذه الأوصاف وغيرها التي لجعلها لأهل التقوى خاصة.

٦٤. وقال جبريل للرسول ﷺ حين سأله عن سبب قلة نزول الوحي عليه، أي قل: يا جبريل: وما ننتزل إلا إذا كنا مأمورين بالنزول، لا نتنقل إلا بإذنه ومشيئته، لله كل ما يحيط بنا من الزمان والمكان والجهة، والزمان يشمل الماضي والحاضر والمستقبل، ولا ينسى الله شيئاً وإن تأخر. والمراد: ما كان عدم نزول الوحي إلا لعدم الأمر به.



٦٥- الله خالق السموات والأرض ومالكهما وما بينهما ومدير شؤونهما، فاعبده وحده، وأثبت على عبادته واصبر على مشاقها، ليس الله مثيل ولا نظير ولا شبيه، فلا بُد من التسليم لأمره.

٦٦- ويقول الإنسان الكافر الذي ينكر البعث متعجباً: هل إذا مات سأخرج من القبر أو أبعث حياً بعد الموت؟ نزلت في أبي بن خلف حين أخذ عظماً بالية، وفتحها بيده، وقال: زعم لكم محمد أنا نبئت بعدما نموت. وفي قول آخر: نزلت في الوليد بن المغيرة وأصحابه.

٦٧- ألا يتذكر هذا الجاحد أننا خلقناه في أول خلقه، ولم يكن شيئاً مذكوراً، فيستدل بالابتداء على الإعادة، وهي أهون.

٦٨- قسماً بربك أيها الرسول، لنجمعن الكفار المنكرين للبعث مع الشياطين في المحشر يوم القيامة، ثم لنحضرنهم حول جهنم من خارجها ياركبن على الركب، لا يتمكنون من الوقوف، لما يصيبهم من هول الموقف وشدة الحساب.

٦٩- ثم ننتزع ونخرج من كل فرقة ضالة أشدهم كفراً وعمداً وتكبيراً، لنقدمه للعذاب أولاً، ثم الأنباغ ثانياً.

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَنُؤْفَكُ أُنْزَجِرَ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْضَرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ حَيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنُطْعِمَنَّهُمُ الْإِنْسَانَ وَالَّذِينَ فِيهَا حَيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَنجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَاً ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهَا ءَايَاتُنَا يَتَّبِعُ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَآخِرُ نَدْيًا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَوْمٍ مَّرُّوا بِأَمْثَلِ مَا مَرُّوْا بِهِ وَأَمَّا يَوْمُ الْعَذَابِ فَلَنُنَزِّلُ الْوَحْشَ مَدًّا حَتَّىٰ يَازُوا مَا يُوعَدُونَ إِنَّمَا الْعَذَابُ وَآمَّا السَّاعَةِ فَيَسْأَلُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٤﴾ وَبِزَيْدِ اللَّهِ الَّذِينَ أَهْتَدُوا هُدًى وَالتَّائِبِينَ آصَلَّتْ حَبْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّكَرًا ﴿٧٥﴾

٧٠- ثم إننا نعلم من هو أحق بجهنم ودخولها ومقاساة حرها.

٧١- وما منكم من أحد إلا مار بجهنم وهي خامدة على الصراط الممدود عليها، كان مروركم بها أمراً محتملاً واجباً، قضى الله بوقوعه، فلا ينقض وعده مطلقاً.

٧٢- ثم ننجي من العذاب الذين اتقوا الكفر والمعاصي، ونترك الكافرين فيها جاثين على الركب، أي هامدين لا يتمكنون من الخروج.

٧٣- وإذا تلى على الناس آيات القرآن المنزل وأصوات المنزلة، قال الكفار للمؤمنين: هل فريقنا خير مكاناً ومترلاً، وأحسن مجلساً ومجتمعاً وأكثر أنصاراً أو فريقكم؟

٧٤- وكثيراً ما أهلكنا من الأمم الماضية. والقرن: الأمة والجماعة. من هم أكثر مالاً ومتاعاً في البيت من فرش وأثاث، وأجمل منظراً وهيئة، أي نضارة وحسناً.

٧٥- قل أيها النبي لهؤلاء المشركين: من كان غارقاً في الكفر والأهواء، فجزاؤه أن يتركه في ضلالتة وطغيانه، ويمده فيهما ويستدرجه، حتى إذا شاهد هؤلاء المشركون المتفاحرون ما يوعدون به: إما العذاب في الدنيا بالقتل والأسر كما حدث يوم بدر، وإما العذاب الحاصل يوم القيامة، فسيعلمون حينئذ من هو شر وأسوأ مكاناً ومترلاً، لا خير مكاناً من الفريق الآخر، وأقل أعواناً، لا أكثر مجتمعاً ومجلساً.

٧٦- ويزيد الله المهتدين هداية إلى الخير، وثباتاً على الإيمان، لأن الخير يدعو إلى الخير، والأعمال والطاعات خير عند الله جزاءً، وخير مرجعاً وعاقبة.

أَفَؤْتِ الَّذِي كَفَرْنَا إِلَيْنَا وَقَالَ لَاؤْتِيَنِي مَا لَاؤُلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطْلَعُ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ سَكَتُ مَا يَقُولُ وَعَدُّ لَهُ مِنْ لَعَابٍ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِيهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ نَرَأَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُرُهُمْ أُنُفًا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَجْعَلُ عَلَيْهِمْ يُمَامَةً لَهُمْ فِي يَوْمِ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا ﴿٨٤﴾ وَنَسُوقُ الْجَهْرَمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثَتِهَا لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٦﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٧﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٨٨﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٨٩﴾ وَمَا يَلْبِغِي الرَّحْمَنُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٠﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي الرَّحْمَنِ عِبْدًا ﴿٩١﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُ وَعَدَّهُ عَدًّا ﴿٩٢﴾ وَكَأَنَّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿٩٣﴾

٧٧. أخير بقصة هذا الكافر بآياتنا وهو العاص ابن وائل الذي كان ينكر البعث، ويقول استهزاء: لئن بعثت كما يقول محمد: ليكونن لي مال كثير وأولاد، فلا يهمني شيء. نزلت في العاص بن وائل الذي جاءه خباب بن الأرت يتقاضاه ديناً، فرفض وقال: إني إذا مت ثم بعثت جثتي، ولي ثم مال وولد، فأعطيك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٧٨. أعلم الغيب وأن يؤتى ما قاله، أم اتخذ عند الرحمن عهداً أن يؤتى ما قاله ويدخل الجنة؟

٧٩. كلا ليس كما قال، إنه مخطئ فيما تصوره لنفسه، لا يؤتى ذلك، بل سندون ونحفظ عليه قوله، ونزيده عذاباً فوق عذابه على الكفر والافتراء والاستهزاء بأحكام الله تعالى.

٨٠. ونرت منه المال والولد الذي يقول بأنه يؤتاه، أي نسلبه منه بموته، ويأتينا يوم القيامة وحيداً لا مال له ولا ولد.

٨١. واتخذ المشركون من غير الله آلهة يعبدونها من الأصنام والأوثان، ليكونوا لهم في الآخرة منعة وقوة، أي أعواناً وشفعاء، وسبب عزهم.

٨٢. كلا، ليس الأمر كما زعموا، بل ستجحد الأصنام عبادتهم ويتبرؤون منهم، ويكونون عليهم شراً وأعداء، لا عزاً وأنصاراً.

٨٣. ألم تعلم أيها النبي أنا سلطنا الشياطين على الكافرين تغويهم إغواء، وتغريهم على المعاصي؟

٨٤. فلا تطلب أيها النبي العجلة بهلاكهم أو تعذيبهم، فلما نعد أيام آجالهم عدداً، أي فلم يبق لهم إلا أيام محدودة، ويقاؤون أحياء ليزدادوا إثمًا.

٨٥. يوم نحشر (نجمع) المتقين ربهم بإيمانهم وافدين معززين إلى دار كرامة الرحمن وهي الجنة.

٨٦. ونسوق الكافرين بكفرهم سوقاً عنيفاً إلى جهنم عطاشاً مهانين.

٨٧. لا يملك أحد من الناس جميعاً الشفاعة، إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً بالإيمان الصحيح بالله (التوحيد) وتصديق الرسل، والعمل المرضي.

٨٨. وقال المشركون القائلون: الملائكة بنات الله، واليهود والنصارى الذين ألوهوا العزير وعيسى: اتخذ الرحمن ولداً من الملائكة أو البشر.

٨٩. لقد فعلتم منكراً عظيماً، وقتلتم قولاً شنيعاً. والإد: الداعية والأمر المنكر جداً.

٩٠. تكاد السموات تتشق من هذا القول، وتتصدع الأرض، وتهتد الجبال هدأً، أي تهتدم وتتفتت، لهول هذه الكلمة.

٩١. لأجل ادعاء ولد للرحمن.

٩٢. وما يصح ولا يستقيم أن يتخذ الرحمن ولداً، لأن هذا نقص، والله قادر على كل شيء، لا يحتاج لمعين.

٩٣. ما كل واحد في السموات والأرض إلا آتي الرحمن يوم القيامة خاضعاً له، مقرباً بعبوديته. والإتيان هنا معنوي ومادي، بمعنى الخشوع لسلطان الله وقضائه.

٩٤. لقد حصرهم الله وعلم عددهم، وعد أشخاصهم عدداً دقيقاً، فلا يخفى أحد عليه.

٩٥. وكل فرد يأتي يوم القيامة وحيداً، بلا مال ولا نصير.

٩٦- إن الذين صدقوا بالله ورسله، وعملوا بطاعة الله واجتنبوا نواهيه، سيجعل لهم الرحمن في القلوب مودة، يحبهم الناس، ويرضى الله عنهم.

٩٧- فلما يسرنا هذا القرآن وأنزلناه بلغتك العربية أيها الرسول، لتبشر به المتقين بالجنة، لإيمانهم وعملهم الصالح، وتخوف به قوماً شديدي الخصومة بالباطل، وهم كفار مكة وأمثالهم.

٩٨- وكثيراً ما أهلكنا أماً ماضية لتكذيبهم الرسل، هل تحمد منهم أحداً، أو تسمع لهم صوتاً خفياً؟ لا تحمد ولا تسمع، والمراد: كما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء.

سورة طه

فضلها: سيأتي في سورة الأنبياء بيان فضلها.

١- ط، ها: حرفان للتبويه والتحدّي بإعجاز القرآن، ما دام مركباً من الحروف التي تتكون منها لغة العرب.

٢- ما أنزلنا عليك أيها النبي القرآن لإضناء نفسك بتعب زائد في العبادة، أو بتحسر وحزن شديد على كفر قومك وترك الإيمان برسالتك، فخفف عن نفسك. قال مقاتل: قال أبو جهل والنضر بن الحارث للنبي ﷺ: إنك لتشقى بترك ديننا، وذلك لما رأياه من

طول عبادته واجتهاده، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ما أنزلنا...﴾ [٢].

٣- ما أنزلناه إلا للتذكير والعظة لمن يخاف الله.

٤- نزلناه تنزيلاً من عند خالق الأرض والسموات العالية، ومعناه الإخبار عن عظمة منزل القرآن.

٥- الرحمن استوى (أي اعتلى وارتفع) على عرش ملكه، وهو استواء يليق به، من غير تشبيه ولا تمثيل.

٦- والرحمن مالك كل شيء ومدبره في السموات والأرض وما بينهما من الموجودات، وما في باطن الأرض من معادن ومخلوقات.

٧- وإن ترفع صوتك بذكر أو دعاء، فاعلم أن الله غني عن ذلك، فإنه يعلم السر الذي تخفيه، وما هو أخفى من السر كالحواطر والهواجس وأحاديث النفس دون النطق بها.

٨- الله واحد، لا إله معبود في الوجود إلا هو، له أحسن الأسماء الدالة على الكمال، وهي تسعة وتسعون، ورد بها الحديث الصحيح.

٩- وهل بلغك خبر موسى وقصته مع فرعون وملكه؟

١٠- حين رأى ناراً أثناء سيره من مدين إلى مصر، وبعد خطته في الطريق، فقال لأهله: أقيموا مكانكم، إني أبصرت ناراً، لعلي أتosكم بشعلة من النار، أو أجد عند النار هادياً يدلني على الطريق.

١١- فلما أتى النار، نودي بصوت علي: يا موسى.

١٢- إني أنا الله ربك، فانزع نعليك من قدميك، للتواضع والتأدب، إنك بالوادي المطهر المحترم، المسمى: طوى، الموجود بجانب الطور.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۖ
فَأَنبَشِرْ بِهِ بِلِسَانِكَ لِلنَّاسِ الْمُنْفِقِينَ وَيُنذِرْ بِهِ قَوْمًا لَّدُنَّا ۖ وَكَرَّمَا أَهْلَكَآ أَبَاهُمْ مِن قُرْبِ هَلْ تَحْسَبُ مِنْهُمْ قَدْرًا ۚ وَتَسْمَعُ لَهُمْ رَكْرَكًا ۚ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
طه ۝ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِلشَّقَى ۝ إِلَّا نَذْرًا لِّمَن يَخْشَى ۝ تَزِيلُ أَمِّنْ خَلْقَ الْأَرْضِ وَأَنزَلْنَا عَلَى الْأَرْضِ مَا فِيهَا ۝ لَعْمَا فِي السَّمَوَاتِ أَعْلَى ۝ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ۝ وَإِن يُجْهَرُوا بِأَلْقَابِ فَإِنَّهُمْ لَيَعْلَمُونَ السِّرَ وَأَخْفَى ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ۝ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۝ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا أَعْلَى ۚ إِنِّي كُنتُ مِنَ الْقَائِلِينَ ۚ وَاجْعِدْ عَلَى النَّارِ هُدًى ۝ فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ بِمُوسَى ۝ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ۖ فَخَلَعَ نَعْلَيْكَ ۚ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمَقْدِسِ طَوًى ۝



وَأَنَا أَخَذْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ١٣ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ١٤ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ
أَكَادُ أَخْضِهَا لِلْعَرَبِيِّ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ١٥ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا
مَنْ لَأَوْثَمُنْ بِهَا وَاتَّبِعْ هَوَاهُ فَتَرْدَى ١٦ وَمَا لَكَ بِمِثْنِكَ
يَمُوسَى ١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَوُكَّوْا عَلَيْهَا وَاهْمُسْ
بِهَا عَلَى عَيْنِي وَلِي فِيهَا مَثَارِبٌ أُخْرَى ١٨ قَالَ أَلْقِهَا
يَمُوسَى ١٩ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ٢٠ قَالَ خُذْهَا
وَلَا تَحْفَ سَعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ٢١ وَاضْمُمْ يَدَكَ
إِلَى جَنَاحِكَ خَرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ أَبَةً أُخْرَى ٢٢
لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ٢٣ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ أَنَّهُ طَغَى
٢٤ قَالَ رَبِّ اسْرْخْ لِي صَدْرِي ٢٥ وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ٢٦
وَأَجْعَلْ لِي ذُرِّيًّا ذَكَرًا ٢٧ وَبَقِّعُوا لِي أَعْيُنَ عَمِي ٢٨
وَجْعَلْ لِي زَوْجًا مِمَّنْ لَمْ يَلِدْ ٢٩ وَجْعَلْ لِي مَخْرَجًا ٣٠ وَاجْعَلْ لِي
مِنْ أَمْرِي قُدْرًا ٣١ وَاجْعَلْ لِي مَخْرَجًا ٣٢ وَاجْعَلْ لِي مَخْرَجًا ٣٣
وَجْعَلْ لِي مَخْرَجًا ٣٤ وَاجْعَلْ لِي مَخْرَجًا ٣٥ وَاجْعَلْ لِي مَخْرَجًا ٣٦

١٣- وأنا اخترتك للنسبة والرسالة، فاستمع للوحي بإصغاء وقبول.

١٤- إني الذي أناديك، أنا الله، فاعبدني ولا تعبد معي آخر، وأقم الصلاة لتذكركني فيها، وخص الصلاة لكونها أشرف الطاعات وأفضلها.

١٥- إن القيامة قائمة حتماً، أقرب مبالغاً في إخفائها ولا أظهرها لأحد، وقيل: أكاد أظهرها وأزيل خفاءها وإنهاء عالم الدنيا، لتجازي كل نفس بما عملت من خير أو شر.

١٦- فلا يصرفك يا موسى عن الإيمان بالساعة من لا يصدق بها، واتبع هواه في إنكارها، فتهلك إن صدقت عنها.

١٧- وما الذي تحمله في يدك اليمنى يا موسى؟ وهو العصا للتنبيه على أن المعجزة تقع بها. وتكرار ﴿يا موسى﴾ لزيادة الاستئناس والتنبيه.

١٨- أجاب موسى قائلاً: هي عصاي، أعتمد عليها عند الإعياء في المشي، وأضرب بها ورق الشجر ليسقط على غنمي، فتأكله، ولي فيها منافع وحاجات آخر، كحمل الزاد والسقاء وطرد الهوام. استمتع موسى عليه السلام بلذة الخطاب الإلهي، فأجاب بما يزيد على السؤال، وأجمل الكلام في آخره، ليسأله ربه عن تلك المآرب.

١٩- قال الله تعالى: ألق عصاك من يدك يا موسى.

٢٠- فألقاها من يده على الأرض، فإذا هي حية تمشي بسرعة وخفة، بقلب أو صافها، فخاف موسى وهرب منها.

٢١- قال الله تعالى له: خذ الحية يمينك ولا تخف منها، مستعيدها إلى حالتها الأولى، وهي كونها عصا.

٢٢- وأدخل كفك اليمنى إلى جنبك الأيسر تحت العضد، ثم أخرجها، تخرج خلاف ما كانت عليه من السمرة مشعة مشرقة كشعاع الشمس، من غير مرض، كالبرص مثلاً، معجزة أخرى غير العصا، لإثبات صدقك في رسالتك.

٢٣- لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا العظمى الدالة على قدرتنا وعلى رسالتك.

٢٤- اذهب يا موسى رسولاً إلى فرعون، إنه تجاوز الحد في كفره وعتوه وتجبره، حتى ادعى الألوهية، فادعه إلى توحيد الله وطاعته.

٢٥- قال موسى: يا رب وسع لي صدري لتحمل أعباء الرسالة والصبر على مشاقها وأذى الناس.

٢٦- وسهل لي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة.

٢٧- وأطلق عقدة لساني، أي حبسته لتيسير النطق وإفهام الناس، ولئلا ينفر مني الناس.

٢٨- ليفهموا كلامي عند تبليغ الرسالة.

٢٩، ٣٠، ٣١- واجعل لي معيلاً من أهلي: هارون أخي، أحكم به قوتي، والأزر: الظهر، أو القوة.

٣٢- واجعله شريكاً لي في أمر الرسالة، شفع له وطلب أن يكون نبياً مثله.

٣٣، ٣٤- كي تنزهك تنزيهاً كثيراً، أو نصلي لك معاً، ونذكرك ذكراً كثيراً.

٣٥- إنك كنت وما زلت عالماً بأحوالنا، ونريد رضاك.

٣٦- قال الله مجيباً له: قد أعطيتك كل ما سألته يا موسى. والسؤل: المسؤول أو المطلوب.

٣٧- ولقد أنعمنا عليك يا موسى بنعم كثيرة أخرى.
والمن: الإحسان والفضل.

٣٨- حين الهمنا أمك إلهاماً للحفاظ عليك. وقد يستعمل الوحي بمعنى الإلهام كإلهام النحل اتخاذ البيوت، وقد يكون يتمثل ملك في صورة بشر كما حصل لرم في الفخ في قميصها.

٣٩- الهمناها: أن ألقيه في الصندوق الخشبي، ثم ألقى الصندوق في نهر النيل، ثم أمرنا النهر أن يلقيه بالشاطئ، فيأخذ الصندوق عدو لله وعدو لموسى وهو فرعون، وألقيت عليك يا موسى محبة كائنه مني في قلوب الناس، فلا يراك أحد إلا أحبك، ولتربي برعايتي وحفظي.

٤٠- حين تمشي أختك على الشاطئ، تسابع الصندوق نظرها لتري موضع استقراره، فأخذك فرعون وزوجته، فعرفت أنهما يطلبان لك مرضعة، فلم تقبل بشدي امرأة غير أمك، فقالت لهما: هل أدلكم على مرضعة تتكفل إرضاعه وتربيته، فرددناك إلى أمك كي تُسرّ وتسعد بروجوع ولداها إليها، ولا تحزن أبداً على فراقك. وكنت قتلت خطأ قبطياً بمصر حين استغاث بك الإسرائيلي، فأمنك من الخوف، ونجيناك من غم القتل، وخلصناك من المحن والشدائد مرة بعد أخرى قبل النبوة كالسفر ماشياً من مصر إلى مدين، وترك الوطن والأصحاب في مصر، وفقد الزاد، ورعي الغنم عند شعيب، فبقيت عشر سنين مع أهل مدين: وهي على ثمانين مراحل من مصر، في جنوب فلسطين في الجنوب الشرقي للطور عند خليج العقبة، ثم جئت إلى جبل الطور في وقت مقدر في قضائي وقدري الأزلي لأكلمك وأجعلك نبياً يا موسى، والمراد: جئت على وفق الوقت الذي قدرته للرسالة، وكرر «يا موسى» للتشبيه على غاية القصة، وهي التكليم.

٤١- وجعلتك مختاراً لتحمل رسالتي وتبليغها للناس.

٤٢- اذهب أنت وأخوك هارون بجميعاتي: وهي الآيات التسع كالجراد والطفوف والضفادع، ولا تقصراً في ذكر الله وتسيحه وعبادته، وتبليغ الرسالة.

٤٣- اذهب يا موسى مع أخيك هارون إلى فرعون، إنه جاوز الحد في الكفر والتمرّد بادعائه الربوبية.

٤٤- فقولاً له قولاً لا خشونة فيه، بدعوته إلى الإيمان برفق لا عنف فيه، لعله يتعظ ويتأمل فيؤمن، أو يخاف عذاب الله، فكيف عن طغيانه.

٤٥- قالاً: ربنا إننا نخاف أن يجعل علينا بالعقوبة والقتل، أو يجاوز الحد في الإساءة إلينا ويزداد تكبراً.

٤٦- قال الله تعالى لهما: لا تخافا إنني معكما بالنصر والعون والحفظ، أسمع وأرى ما يجري بينكما وبين فرعون.

٤٧- فاذهبا إليه فقولاً له: إننا أرسلنا من ربك إليك لتبليغك الرسالة والإقرار بتوحيد الله، فأطلق سراح بني إسرائيل من الأسر، ولا تعذبهم بذبح أبنائهم وتسخير نسايتهم للخدمة وتكليفهم بمشاق الأعمال، قد جئناك بأية من ربك تشهد لنا بالنبوة، وهي العصا واليد، والسلامة من العذاب في الدارين لمن صدق بآيات الله تعالى.

٤٨- لقد أوحى الله إلينا أن الهلاك في الدنيا، والخلود في النار بسبب التكذيب بآيات الله ورسله، والإعراض عن الإيمان بها، والإقرار بوحداية الله تعالى. ويلاحظ أنه تعالى قدم البشارة بالسلام للترغيب، ثم صرح بالعقاب للتهديد.

٤٩- قال فرعون: فمن ربكما يا موسى؟ خاطب الاثنين ثم خص موسى لأنه الأصل، وهارون وزيره.

٥٠- قال موسى: ربنا الذي منح كل نوع من المخلوقات تركيبه وصورته التي اختارها له، ثم أرشده لأداء وظيفته.

وَلَقَدْ مَسْنَا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ۖ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوْحَىٰ
۝٣٨ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَأَلْقِيهِ إِلَىٰ
السَّاحِلِ فَأَخْذَهُ عَدُوِّي وَعَدُوْلَهُمَا لَقِيتُ عَلَيْكَ حَجَّةً مِنِّي
وَلَنَصِّنَّ عَلَىٰ عَيْنِي ۝٣٩ إِذْ نَفْسِي أَخَذَكَ فَقَوْلُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ
مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْنَا
نَفْسًا مِن جَنَّتِكَ مِمَّا أَلَمْتَ وَقَتَلْنَا قَوْمًا فَطَيَّبْنَا سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ
ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَّىٰ ۝٤٠ وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنَفْسِي ۝٤١
أَذْهَبْنَاكَ وَأَخْرَجْنَا نَبِيًّا وَلَا تَلْبِاسَ فِي ذِكْرِي ۝٤٢ أَذْهَبْنَا إِلَىٰ
وَعُونَ أَهْلَهُ طُغْيٰ ۝٤٣ فَقَوْلًا لَهُمْ قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَمَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَىٰ
۝٤٤ فَلَا زَيْنًا لَّنَا خَافَ أَن يَفْطِنَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝٤٥ قَالَ
لَاخُفَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦ فَأَنبَأَهُمَا فَقَوْلًا أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ
فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْدُ بِهِمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَةٍ
مِّن رَّبِّكَ وَالتَّسْلِيمَ عَلَيْنَا مِّنْ أَمْرٍ ۝٤٧ إِنَّا فَدَاوِجِي
إِلَيْنَا أَن الْعَذَابَ عَلَيْنَا مِّنْ كَذَبٍ وَقَوْلًا ۝٤٨ قَالَ فَمَنْ رَبُّكَ
يَمْوَسَّىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠

٥١- قال فرعون: فما حال الأمم الماضية التي لم تقر الله بالوحدانية، وهو الرب الذي تدعو إليه يا موسى؟ بل عبدت الأوثان ونحروها.

٥٢- قال موسى: علم أحوال الأمم الماضية وأعمالهم محفوظة عند ربّي، في اللوح الحفوظ، لا يخطئ ربّي في علم شيء، ولا ينسى ما علمه منها، والمراد بذلك إثبات كمال علم الله تعالى.

٥٣- الذي خلق لكم الأرض عمدة كالفرش، للعيش عليها يسر، وسهل لكم فيها طرقاً تسلكونها من أرض إلى أرض لتبلغوا منافعها، وأنزل من السماء (السحاب) مطراً، فأنتبنا به أصنافاً من النباتات المختلفة الألوان والطعوم والروائح.

٥٤- كلوا من تلك النباتات، وارعوا أنعامكم فيها، إن في ذلك المذكور هنا لدلالات على وحدانية الله وقدرته.

٥٥- من الأرض خلقناكم في الأصل، فإن التراب أصل خلقه آدم، وفي الأرض نعيدكم بعد الموت بالدفن فيها، ومن الأرض نبعثكم مرة أخرى للحساب والجزاء.

٥٦- ولقد بصّرنا فرعون كل الآيات التسع الدالة على نبوة موسى، فكذب فرعون بها، وأبى الإيمان وطاعة الله لعنته وعناده.

٥٧- قال فرعون: أجبنا يا موسى بقلب العصا حية واليد البيضاء، وهو نوع من السحر، لتغلب على أرضنا مصر وتخرجنا منها، ويصبح الملك لك فيها.

٥٨- فلنأتينك بمثل السحر الذي جئت به، لمعارضتك، فاجعل بيننا وبينك يوماً ومكاناً معلومين، وهو زمان الاجتماع، لا تخلف ذلك الوعد نحن ولا أنت، في مكان وسط بين الفريقين، أو في مكان مستور، يشاهده جميع الحاضرين.

٥٩- قال موسى: موعدكم يوم العيد المشهور الذي تتزينون فيه، وحده موسى لفراخ الناس واجتماعهم فيه جميعاً، وأن يجمع الناس في الضحى، أي بعد شروق الشمس وارتفاعها عالياً، لتكون الرؤية واضحة، فلا يشكوا في المعجزة.

٦٠- فانصرف فرعون عن المجلس، فجمع ما يكيد به من السحرة وأدواتهم، ثم أتى الموعد بهم.

٦١- قال موسى للسحرة: هلاك لكم، أي أهلككم الله، لا تختلقوا كذباً على الله، بادعائكم أن المعجزات على يد الرسول سحر، فيستأصلكم بعداب، وقد خسروا هلك من اختلق أي كذب على الله تعالى.

٦٢- فتشاور السحرة وتناظروا فيما بينهم واختلفوا في أمر موسى حين سمعوا كلامه، وتناجوا فيما بينهم سرّاً في خفاء تام فيما يعملون مع موسى.

٦٣- قالوا لأنفسهم: ما هذان إلا ساحران أي موسى وهارون، يريدان أن يخرجاكم من أرض مصر بسحرهما، أو يذهبا مجذبيكم الأفضل في السحر؛ لأن السحرة كانوا معظمين.

٦٤- أحكموا تدبيركم الخفي واعزموا عزمًا مؤكداً على خطة واحدة، ثم تقدموا صفاً واحداً لتبهروا الأبصار، وقد فاز اليوم من غلب. وهذا قول السحرة مع بعضهم.

٦٥- قال السحرة عند بدء المباراة: يا موسى، أنت بالخيار بين أن تلقي أولاً على الأرض عصاك، أو بين أن نلقي نحن أولاً عصيتنا، وفي ذلك أدب عال.

قَالَ قَائِلٌ مِنَ الْأُولَى ۖ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدِي ۚ فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۚ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَامًا لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۖ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ ﴿٥٣﴾ مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۝ ﴿٥٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ۝ ﴿٥٥﴾ قَالَ أَجِئْنَا بِسَحَابٍ مِّنْ أُصْبَاتٍ يُبْسِرُ الْخَلْقَ وَاجْعَل لِّسَانَا وَبَيْنَكَ مَوْجِدًا لَا تُخَفِّفُهُ ۚ وَنَحْنُ لَا نَذَرُهُ لَكُمُ الْوَيْدَانِ ۖ أَنَّ يُخْرِجَاكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسَحَابٍ مِّثْلِ الْبَرَدِ ۖ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنَاسْتَعْلَىٰ ۝ ﴿٥٦﴾ قَالُوا لَيُوسَىٰٓ إِمَّا أَن نَّمُوتَ وَإِنَّمَا أَن نَّمُوتَ ۖ وَإِنَّمَا نَكُونُ أَكْأَلُ مِنَ النَّفْسِ

٥٨- فلنأتينك بمثل السحر الذي جئت به، لمعارضتك، فاجعل بيننا وبينك يوماً ومكاناً معلومين، وهو زمان الاجتماع، لا تخلف ذلك الوعد نحن ولا أنت، في مكان وسط بين الفريقين، أو في مكان مستور، يشاهده جميع الحاضرين.

٥٩- قال موسى: موعدكم يوم العيد المشهور الذي تتزينون فيه، وحده موسى لفراخ الناس واجتماعهم فيه جميعاً، وأن يجمع الناس في الضحى، أي بعد شروق الشمس وارتفاعها عالياً، لتكون الرؤية واضحة، فلا يشكوا في المعجزة.

٦٠- فانصرف فرعون عن المجلس، فجمع ما يكيد به من السحرة وأدواتهم، ثم أتى الموعد بهم.

٦١- قال موسى للسحرة: هلاك لكم، أي أهلككم الله، لا تختلقوا كذباً على الله، بادعائكم أن المعجزات على يد الرسول سحر، فيستأصلكم بعداب، وقد خسروا هلك من اختلق أي كذب على الله تعالى.

٦٢- فتشاور السحرة وتناظروا فيما بينهم واختلفوا في أمر موسى حين سمعوا كلامه، وتناجوا فيما بينهم سرّاً في خفاء تام فيما يعملون مع موسى.

٦٣- قالوا لأنفسهم: ما هذان إلا ساحران أي موسى وهارون، يريدان أن يخرجاكم من أرض مصر بسحرهما، أو يذهبا مجذبيكم الأفضل في السحر؛ لأن السحرة كانوا معظمين.

٦٤- أحكموا تدبيركم الخفي واعزموا عزمًا مؤكداً على خطة واحدة، ثم تقدموا صفاً واحداً لتبهروا الأبصار، وقد فاز اليوم من غلب. وهذا قول السحرة مع بعضهم.

٦٥- قال السحرة عند بدء المباراة: يا موسى، أنت بالخيار بين أن تلقي أولاً على الأرض عصاك، أو بين أن نلقي نحن أولاً عصيتنا، وفي ذلك أدب عال.



قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَأَجَابُهُمْ وَعَصِيهِمْ فُحِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أُنْهَى
تَسْعَى ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَى ﴿٦٧﴾ فَلَمَّا لَاحَظَ
أَنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ فَلَفَّتْ مَا صَنَعُوا إِنَّهُمْ
صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ
سِحْرَهُمْ فَأَلْهَوْا أَمْتَابَ بَنِي هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ قَالَ أَمْسُوْا لَكُمْ قَبْلَ
أَنْ أَدْنِيَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءَ الَّتِي عَلَّمَكُمْ الْبَشَرُ فَلَا تُفْلِحُونَ أَيْدِيكُمْ
وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَبْرَ لَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ
أَيُّكُمْ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَلْقَى ﴿٧١﴾ فَأَلْوَانُ ثَوْبِكَ عَلَى مَا جَاءَكَ
مِنْ الْبَيْتِ وَالَّذِي قَطَعْنَا فَاصًّا مَا أَنْتَ فَاصٌّ إِنَّمَا نَقْضِي
هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا أَمْتَابُ بَنِي إِسْرَءِيلَ نَاسًا خَطِيئِينَ
وَمَا أَكْرَمْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ النَّصْرِ وَآلَهُ خَيْرٌ وَأَنْبَى ﴿٧٣﴾
إِنَّهُمْ مِنْ بَنَاتٍ رَبِّهِمْ مَجْرُومَاتٍ فَإِنْ لَهُمْ حِجَابٌ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى
﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ
فَأُولَئِكَ لَهُمْ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾

٦٦- قال لهم موسى مقابلاً للأدب بمثله ولتكون معجزته أظهر: بل ألقوا ما معكم من أدوات السحر، ففُحِّلُ إليه وتوهم أن حبالهم وعصيتهم تتحرك بسرعة كالأفاعي.

٦٧- فأحس موسى بالخوف من أن يغلب، وأن يلتبس أمره على الناس، فلا يؤمنوا به؛ لأن سحرهم من جنس معجزته.

٦٨- قلنا لموسى حينئذ: لا تخف، إنك أنت الغالب لهم

٦٩- وألق العصا التي في يمينك، تبطل بقوة وسرعة جميع ما صنعوه من الحبال والعصي، فلما الذي صنعوه مجرد حيلة مدبرة، وكيد سحري لا حقيقة له، ولا يفلح الساحر أينما كان وأينما أقبل.

٧٠- فعلم السحرة أن فعل موسى ليس بسحر، بل هو من الله، فخرخوا ساجدين خاضعين لله، ثم قالوا: أمتاب رب هارون وموسى، والمراد: أن معرفتهم الحق، أخضعتهم له بقوة، فسجدوا لله، وآمنوا بموسى.

٧١- قال فرعون للسحرة: كيف أمتتم لموسى واتبعتموه على دينه، قبل أن أسمع لكم، إن موسى معلمكم الكبير الذي علمكم السحر، وقد تواطأتم على ما فعلتم، مريداً بذلك إدخال الشبهة على الناس حتى لا يؤمنوا، لأقطعن أيديكم وأرجلكم من جهتين مختلفتين، يد يميني ورجل يسرى مثلاً، ولأصليكن على جذوع النخل، وقد اختارها لخشونتها وأذاها، ولتعلمن هل أنا أشد وأدوم عذاباً أم رب موسى؟

٧٢- قال السحرة لفرعون: لن نختارك على ما جاءنا به موسى من المعجزات الواضحات الدالة على صدقه، ولن نختارك على الله الذي خلقنا، فاصنع ما أنت صانع، بما تهددنا به، إنما سلطانك وقضاؤك محصور في هذه الحياة الدنيا.

٧٣- إنا صدقنا برينا الخالق ليغفر لنا ذنوبنا السابقة من الكفر وغيره، ويغفر ما أكرهتنا عليه من عمل السحر. وهذا يدل على أنهم يعلمون أن السحر تضليل وخداع. والله خير منك ثواباً إذا أطيع، وأدوم منك عذاباً إذا عصي.

٧٤- إنه من يلق ربه ميتاً على الكفر والعصيان، فله جهنم لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيى حياة سعيدة فتنتفعه.

٧٥- ومن يلق الله ميتاً على الإيمان لا يشرك بالله أحداً، قد عمل ما أمر الله به، من الفرائض والنوافل، فأولئك لهم المنازل العالية عند الله تعالى.

٧٦- تلك المنازل في جنات إقامة دائمة، تجري الأنهار من تحت غرفها، ماكثين فيها على الدوام، وذلك جزاء من تطهر من الذنوب والكفر.

٧٧- ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعادي بني إسرائيل من مصر ليلاً، فاجعل لهم بعصاك التي تضربها في البحر طريقاً يَسَماً، وهو بحر السويس، آمناً من متابعة أحد، لا تخاف إدراكاً ولخوفاً من العدو فرعون، ولا تخاف غرقاً في البحر أو من فرعون.

٧٨- فأتبعهم فرعون بنفسه مع جنوده، فغمرهم وعلاهم من ماء البحر ما غمرهم، وتكرر غشيمهم أي غطاهم للمبالغة والتهويل. أي أطبق عليهم الماء، وغرقوا جميعاً.

٧٩- وأضل فرعون قومه عن الرشيد في الدين، وما هداهم إلى خير، بدعوتهم إلى تاليه وعبادته.

٨٠- وناسب ذلك تعداد النعم على الإسرائيليين، يا بني إسرائيل، قد أنجيناكم من عدوكم: فرعون وقومه بإغراقهم، ووجدنا رسولكم موسى لتلقي التوراة، بجانب جبل الطور في سيناء في الناحية اليمنى على يمين موسى وهو قادم إلى مصر من مدين، ونزلنا عليكم في التيه المن: وهو نوع من الحلوى تتجمع على أوراق الشجر، والسلوى: وهو طائر طيب اللحم هو السَّماني.

٨١- كلوا أيها الإسرائيليون من مستلذات الأطعمة الحلال التي أنعمنا بها عليكم، ولا تتجاوزوا المباح إلى

ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يساً لا تخف دركاً ولا تخشى ٧٧ فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيمهم من التيم ما غشيمهم ٧٨ وأضل فرعون قومه وما هدى ٧٩ يلقى أسريه قد أنجيناكم من عدوكم ووعدكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى ٨٠ كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيل عليكم غصبي ومن يحل عليه غصبي فقد هوى ٨١ وإني لعنار لمن تاب ٨٢ ومن عمل صالحاً ثم اهتدى ٨٣ وما أملاك عن قومك يسوعى ٨٤ قال هم أولاء على أنرى وعجلت إليك رب لترضى ٨٥ قال فإنا قد فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامري ٨٦ ورجع موسى إلى قومه غضبين أسفاً قال يقوم ألتعبدكم ربيكم وعداً حسناً أطال عليكم العهد أم أردتم أن ينجي عليكم غضب من ربيكم فأخلفنا موعدى ٨٧ قالوا ما أخلقنا موعدك بما كنا منكم جملنا أو ذلنا من ربة القوم فقد قتها فذلك ألقى السامري ٨٨

الحرام بالبطر والسرف ومنع الحق، وكفر النعمة وترك شكرها، فينزل عليكم غضبي وعقوبي، ومن ينزل عليه غضبي فقد سقط وهلك في الهاوية وهي قعر النار.

٨٢- وإني لكثير المغفرة وسر الذنوب لمن تاب من الشرك، وأمن بالله وحده وبما يجب الإيمان به من الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر، وعمل العمل الصالح الذي أمر به الشرع، ثم استقام على ذلك حتى مات.

٨٣- ثم أخبر سبحانه عما حدث أثناء الميقات، مبتدئاً بعتاب موسى: وما الذي دفعك إلى العجلة في السير، حتى تركت قومك وسبقهم، يا موسى؟

٨٤- قال موسى: هم لاحقون بي عن قريب، وعجلت إليك ربي لترداد رضا عني بذلك.

٨٥- قال الله تعالى: فإنا قد اخترنا قومك بعبادة العجل بعد فراقك، وأضلهم موسى السامري الذي كان منافقاً بصناعة العجل والدعوة إلى عبادته.

٨٦- فعاد موسى إلى قومه غضبان شديد الأسف والحزن على ما صنع قومه، قال: يا قوم، ألم يعدكم ربيكم وعداً حسناً بإعطاء التوراة التي فيها هدى ونور، هل طال عليكم زمان المفارقة وهو شهر وأيام، فنسيتم الوعد بالثبات على الإيمان، أم أردتم أن ينزل عليكم عقاب ونقمة من ربيكم؟ فأخلفتم وعدي الذي واعدتوني به بالثبات على الإيمان وطاعة الله تعالى إلى أن أرجع من الطور.

٨٧- قالوا له: ما أخلقنا وعدك باختيارنا، وإنما اضطررنا، فإنا حملنا أثاماً من حلي قوم فرعون بمصر، حين أخذتها نساؤنا منهم إعاره، لما أردنا الخروج من مصر، لاستعمالها كذباً بمناسبة عيد أو وليمة، فطرحناها في النار بأمر السامري للخلاص من إثمها، وكما ألقينا الحلي، ألقى السامري ما معه من الحلي في النار، ثم ألقى عليه قبضة من أثر الرسول جبريل.



فَأُخْرِجَ لَهُمْ عِجْلًا جَدًّا لَهُ خَوَارِقًا لَوْ أَنَّ إِلَهُكُمُ وَاللَّهُ مُوسَى
 قَتَلَنِي ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ إِلَهُهُمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ
 ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا
 فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي
 ﴿٩٠﴾ فَأَلْوَانٌ تَبَخَّرَ عَلَيْهِ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى
 ﴿٩١﴾ قَالَ يَهُودُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَأَلَسْتَبِينَ
 أَفَصَبْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُهُ لَا تَأْخُذْ بِهِيَ وَلَا يَرَأْسِي
 إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
 قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ
 بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ
 فَنَسِيتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّاتُ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَادْهَبْ
 فَإِنَّكَ فِي الْخُجُوعِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا
 لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا
 لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ
 اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

٨٨- فصاع من تلك الحلي المذابة عجلًا مجرد
 جثة لا روح فيها، له خوار: صوت كصوت البقر،
 فقال السامري وموافقوه: هذا إلهكم وإله موسى،
 فنسي موسى ربه هنا، وذهب يطلبه عند الطور.
 وصناعة العجل: هو ما تعلمه بنو إسرائيل من
 المصريين.

٨٩- أفلا يتأملون في أن هذا العجل لا يرد عليهم
 جواباً إذا سألوه، ولا يقدر على أن يدفع عنهم ضرراً أو
 يجلب لهم نفعاً، فكيف يكون إلهاً؟

٩٠- ولقد قال لهم هارون قبل عودة موسى من
 الطور: إنما ابتليتكم واختيرتم في إيمانكم بهذا العجل،
 فإياكم أن تعبدوه، وإن الله الرحمن ربكم فاتبعوني في
 عبادته والشبات على الحق، ولا تتبعوا السامري،
 وأطيعوا أمري في تلك العبادة، لا أمره.

٩١- قالوا الهارون: سنستمر أولن نزال مقيمين
 على عبادة العجل، حتى يرجع إلينا موسى، فينظر هل
 يقرنا على عبادة أم ينهانا عنها؟ فاعتزلهم هارون.

٩٢، ٩٣- قال موسى بعد رجوعه: يا هارون ما
 منعك من مقاومة الباطل والكفر بالله، وألا تبغني في
 الصلابة في الحق والغضب لله، حين رأيتمهم ضلوا
 بعبادة العجل، أفصبت أمري فيما عهدت إليك من

إقامة الدين، والدفاع عنه، ثم أقمت بين قوم لا يعبدون الله تعالى؟

٩٤- قال هارون: يا أخي ابن أمي- وخصّ الآم استعطافاً لقلبه- لا تأخذ بشعر لحيتي ولا بشعر رأسي عقاباً
 وغضباً علي، فإني لم أعص أمرك، وعذري أنني خفت لو اتبعتك في صلاتك ومقاومتهم أن تقول لي: فرقت
 جماعتهم وجعلتهم فريقين بين مؤيد ومعارض، ولم تعمل بوصيتي لك فيهم بالبقاء معهم وحفظهم، كما في قوله
 تعالى: ﴿اخلفني في قومي وأصلح﴾ [الأعراف ١٤٢/٧].

٩٥- ثم قال موسى منكراً: ما الذي حملك على هذا الأمر الخطير؟

٩٦- قال السامري: علمت ما لم يعلموه، فأخذت قبضة من التراب من أثر فرس جبريل، حين جاء لإهلاك
 فرعون، فطرحتها في الحلي المذابة المسبوكة على صورة العجل، ومثل ذلك زيتٌ وحسنتُ لي نفسي. وهذا تفسير
 يحتاج لإثبات وتأمل. وقال أبو مسلم الأصفهاني: علمت من صنع التماثيل ما لم يعلموه، فاستعنت ببعض تعاليم
 الرسول، أي أنت يا موسى، واستخدمتها في هذا العمل الذي زيتته نفسي في أن يكون هذا العجل إله بني
 إسرائيل.

٩٧- قال موسى له: فاذهب من بيننا، فإن لك طوال حياتك أن تقول لمن رأيت عاقبة على فعلك: لا تقربني ولا
 تخالطني، والمراد أن يعيش طريداً وحيداً مكروهاً منبوذاً، وإن لك موعداً في الآخرة لحسابك وعذابك، ليس فيه
 تخلف وسيأتي به الله حتماً، وانظر إلى إلهك العجل الذي واطبت على عبادته لنحرقة بالنار، ثم لنذرينه في البحر
 بشدة، حتى لا يبقى منه أثر.

٩٨- ثم قال موسى لقومه: إنما إلهكم المستحق للعبادة هو الله الذي لا إله معبود بحق إلا هو، أحاط علمه بكل

شيء.

٩٩- مثلما قصصنا عليك أيها النبي قصة موسى والسامري هذه، نقص عليك من أخبار الأمم الماضية تسرية عنك، وإثباتاً لصدقك، وقد أنزلنا عليك من عندنا قرآناً مبيناً.

١٠٠- من أعرض عن هذا القرآن، فلم يؤمن به، فإنه يحمل يوم القيامة عقوبة الذنب. والوزر في الأصل: الحمل الثقيل، ويطلق على الذنب، والمراد به هنا العقاب.

١٠١ - خالدين في الجزاء بالنار، وبشس الحمل لهم يوم القيامة .

١٠٢- يوم ينفخ إسرافيل في الصور (القرن)
النفخة الثانية وهي نفخة البعث للحشر والحساب،
ونحشر الكافرين والمشركين يوم القيامة، زُرُق الأبدان
والعيون من شدة الهول، والغبط والندامة.

١٠٣ - يتهايمسون ويتساررون بينهم لشدة الرعب والهول قائلين: ما لبثتم في الدنيا إلا عشر ليال. يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها السريع.

١٠٤ - الله أعلم بأقوالهم في مدة لبثهم، حين يقول
أعدلهم رأياً وأصحهم قولاً: ما لبثتم إلا يوماً واحداً.

١٠٥- ويسألك الناس من المشركين وغيرهم عن حال الجبال يوم القيامة، فقل لهم: يقلعها ربي من

أصولها قلعاً، ويفجرها تفجيراً حتى تتفتت ذراتها وتصبح كالرمل السائل، ثم يطيرها كالريح والغبار في يوم عاصف. قالت قریش: یا محمد، کیف یفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة؟ فنزلت هذه الآية.

١٠٦، ١٠٧- فيتركها مع الأرض مستوية ملساء، لا نبات فيها ولا بناء، لا ترى فيها انخفاضاً ولا ارتفاعاً.

١٠٨- يوم القيامة وبعد نسف الجبال والقيام من القبور يتبع الناس داعي الله إلى المحشر، لا انحراف لهم عنه، بل يسرعون إليه، وسكنت وذلت أصوات الخلائق رهبة وهيبة وخشوعاً لله، فلا تسمع أحداً يتكلم إلا بصوت خفي.

١٠٩- يوم القيامة لا تنفع الشفاعة من أحد إلا شفاعة من أذن له الرحمن أن يشفع، ورضي قوله في الشفاعة.

١١٠ - يعلم الله سبحانه كل ما قدمه العالم وما أخروه من أمور الدنيا والآخرة، ولا يحيط علمهم بمعلوماته، ولا بذاته وصفاته.

١١١- وخضعت وذلت وجوه المخلوقات للحى القائم بتدبير عباده ومجازاتهم، والقائم بشؤون ملكه، وقد خسر من حمل شيئاً من الظلم كالشرك وغيره.

١١٢- ومن يعمل الأعمال الصالحة المأمور بها شرعاً، وهو مؤمن بالله وحده، فلا يخاف يوم القيامة ظملاً بأن يعاقب من غير ذنب، ولا يخاف نقصاً من حسناته.

١١٣- ومثل أنزال ما ذكر من القصص أنزلنا هذا القرآن بلغة العرب ليفهموه، ونوعنا فيه ألوان الوعيد تخويفاً وتهديداً، كي يخافوا الله، فيجتنبوا الشرك والمعاصي، ويحذروا العقاب، أو يحدث لهم القرآن عظة وعبرة حين يسمعون آياته.

١١٤- فتعظم الله الملك الحق في ذاته وصفاته عن ماثلة المخلوقين، وعما يقوله المشركون، ولا تستعجل أيها النبي في ترداد القرآن حالة إنزاله، حتى يتم وحيه وحتى يفرغ جبريل من إبلاغه لك، وقل: يا رب زدني علماً إلى علمي، بدل الاستعجال. قال السدي: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالقرآن، أتعب نفسه في حفظه، حتى يشق على نفسه، فيخاف أن يصعد جبريل، ولم يحفظه، فنزلت الآية.

١١٥- ولقد أمرنا آدم ووصيناه بعدم الأكل من الشجرة، فنسي العهد وترك الامتنال، ولم يجد له صبراً على الاستمرار في ترك المنهي عنه، ولا تصميماً على الذنب، وإنما فتر عزمه وأدركه ضعف البشر، فأخطأ ولم يتعمد.

١١٦- واذكر أيها النبي حين قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود تحية، لا سجود عبادة، فسجدوا جميعاً إلا إبليس رفض أن يسجد حسداً وتكبراً.

١١٧- فقلنا: يا آدم، إن إبليس هذا عدو لك ولزوجك حواء، فلا يكون سبباً لإخراجكما من الجنة بوسوسته، فتعبد بمتاع الدنيا الكثيرة.

فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَجِدُ بِالْقُرْآنِ أَنْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ۝ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ نَافِثٍ وَلَوْ جَدُّهُ عَزَمًا ۝ وَذَقْنَا لِلْمَلِكَةِ أَتَعْدُوا لَأَدِمَ فَيْحُهُ إِلَّا الْإِبْلِسَ إِنَّهُ قُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا تَخْرُجْ جَنَّاتٍ مِنْ الْجَنَّةِ فَتَنَقَّى ۝ إِنْ لَكَ الْاِتِّجَاعُ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَرُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ۝ فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَكَادُمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ تَأْكُلُ مِنْهَا لَأَكِيلًا ۝ فَكَلَا مِنْهَا قَبَّذَتْ لَهْمًا سَوِيًّا هُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۝ ثُمَّ أَجْبَاهُ رَبُّهُ فَقَاتَبَ عَلَيْهِ وَهَدَى ۝ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِنَّمَا يَتَّبِعُكَ تَتَّبِعُ هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدًى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ دَعْوِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ نَصِيرًا ۝

١١٨- إن لك في الجنة أن تتمتع بأنواع المعاش، فلا تجوع فيها، ولا تعرى من الثياب.

١١٩- وألا تعطش فيها ولا تصيبك الشمس اللافتحة الحر.

١٢٠- فحذثه الشيطان خفية في نفسه، قال له: يا آدم، هل أدلك على شجرة الخلود، من أكل منها لم يمت أصلاً، وأدلك على ملك لا يزول ولا يفنى. وكان ذلك كذباً من إبليس.

١٢١- فأكل آدم وحواء من تلك الشجرة التي نُهيها عنها، فظهرت لهما عوراتهما، وشرعا يلصقان على عوراتهما من ورق شجر الجنة ليستترا به، وعصى آدم ربه بالأكل من الشجرة، فضل عن الرشد وأخطأ وجه الصواب، حيث اغتر بقول عدوه.

١٢٢- ثم اصطفاه ربه وقرَّبه إليه، بعد أن تاب واستغفر، فقبل توبته، ووقفه للثبات على الطاعة والأخذ بأسباب العصمة في الدنيا، وكان ما سبق منه في الجنة درساً بليغاً وعظة.

١٢٣- قال الله لآدم وحواء: اهبطا من الجنة جميعاً إلى الأرض، بعضكم أيها البشر عدو لبعض، بالتنافس في أمر المعاش، فإن يأتكم مني هداية بكتاب ورسول، فمن اتبع هداي بالعمل بأوامري، فلا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة.

١٢٤- ومن أعرض عن كل ما يذكّر بالله من قرآن وغيره، فله في الدنيا معيشة شاقة ضيقة، شديدة القلق، أما المؤمن فهو مستريح النفس، ونحشره يوم القيامة أعمى البصر، متجبراً تائهاً.

١٢٥- قال: ربي لِمَ حشرتني أعمى؟ وقد كنت بصيراً في الدنيا وعند البعث من القبر.

١٢٦- قال الله: مثل ذلك فعلت أنت، وهو أنك أتت آياتنا واضحة، فأعرضت عنها، وتركتها، ولم تؤمن بها، وكذلك اليوم ترك في العذاب.

١٢٧- ومثل جزائنا من أعرض عن ذكر القرآن، نجزي ونعاقب كل من انهمك في الشهوات، ونجاوز الحد في الكفر والمعاصي، ولم يصدق بآيات ربه، بل كذب بها، وللعذاب الآخرة أشد قسوة وليلاً من عذاب الدنيا، وأدوم.

١٢٨- أفلم يتبين في القرآن لكفار مكة وأمثالهم أنه كثيراً ما أهلكنا قبلهم من الأمم الماضية، وهم يسرون في ديارهم، لتكذيب الرسل، إن في ذلك لعبراً لذوي العقول.

١٢٩- ولولا وعد سابق من الله بتأخير عذاب الإفناء عن هذه الأمة، وتأجيل العذاب إلى الآخرة، لكان الإهلاك وعقاب ذنوبهم لازماً لهم في الدنيا، لا يتأخر عنهم، ولولا الوقت المحدد أو المقدر لأعمارهم أو لعذابهم وهو يوم القيامة، لكان العقاب العاجل.

١٣٠- فاصبر أيها النبي على ما يقول المشركون من أنك ساحر كذاب ونحو ذلك، ودوام على التسبيح مع التحميد والصلاة في كل الأوقات قبل طلوع الشمس، أي في صلاة الفجر، وقبل غروبها، أي في صلاة العصر، ومن أجزاء الليل صل المغرب والعشاء، وصل في وسط النهار- بين طرفي أو نصفي النهار- عند زوال الشمس إلى جهة الغرب وهي صلاة الظهر،

قَالَ كَذَلِكَ أَنتُكَ إِنَّا فَتَنَّا بِهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَبُ
وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ سَرَفَ وَلَوْ تَوَّابٌ إِنَّا بآيَاتِنَا رَهِيبٌ وَاعْدَابٌ لَّخِيفٌ
أَشَدُّ وَأَبْقَى ١٢٧ أَفَلَا يَهْدِي لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ
يَسْتَوْنَ فِي مَسْئَلِهِمْ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ١٢٨ وَلَوْ لَا
كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ١٢٩ فَاصْبِرْ
عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ
غُرُوبِهَا وَمِنْ أَنَا فِي الْبَلَدِ مُبْسِجٍ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ١٣٠
وَلَا تَعْدَنَّ عَيْنُكَ إِلَى مَا مَتَاعُنَا يَمْزِيهِمْ زُهُورُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
لِنُفْنِيَهُمْ فِيهِ وَنَرِزُّكَ رَبِّكَ خَبَرٌ وَأَبْقَى ١٣١ وَأَمَّا أَهْلُكَ
بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ
وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ١٣٢ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِيَانَا بَأَيُّ مِّن رَّبِّهِ أَوْ لَمْ
يَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ١٣٣ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ
بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا قَدْ جِئَ
بِآيَاتِنَا مِن قَبْلُ أَنْ نَذَلَ وَنَحْزِي ١٣٤ قُلْ كُلُّ مَن رَّعَىٰ فَرِيقًا
فَسَتَعْلَمُونَ مَنِ الْمُصِيبُ الْصَّارِطُ السَّوِيُّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ١٣٥

لنتال ما عند الله ما به ترضى نفسك.

١٣١- ولا تطل نظر عينك تمنيًا ورغبة إلى ما في أيدي الآخرين من متع الحياة الدنيا مما هو من زيتها وبهجتها كالمال والمباني والأثاث والمراكب، لتختبرهم فيه، واجعل همك فيما عند الله، فما ادخره الله لك ووعدك به في الآخرة خير مما منحهم في الدنيا، وأدوم لا ينقطع.

١٣٢- وأمر أهل بيتك بالصلاة، واصبر وداوم على الصلاة، لا تكلفك أن ترزق نفسك وأهلك، نحن نرزقك ونعطيك، والعاقبة المحمودة في الآخرة وهي الجنة لأهل التقوى.

١٣٣- وقال المشركون: هلا يأتياننا بآية معجزة حسية من ربه دالة على صدقه في رسالته، كآيات الأنبياء السابقين، مثل ناقة صالح، وعصا موسى، وإبراء عيسى الأكمه والأبرص، فرد الله عليهم بقوله: أو لم تصلهم أخبار الصحف الأولى كصحف إبراهيم وموسى والتوراة والإنجيل الذي فيها التصريح بنبوته، وبيان أحوال الأمم التي أهلكت بتكذيب الرسل، وهم معترفون بصحتها؟

١٣٤- ولو أننا أهلكنا هؤلاء المشركين بعذاب من قبل بعثة محمد ﷺ فيهم، لقالوا يوم القيامة: ربنا هلا أرسلت إلينا رسولاً في الدنيا، فتبجع آياتك المرسل بها من أوامر ونواه، من قبل أن نذل بعذاب الدنيا، بالقتل والأسر، ونفتضح بدخول النار في الآخرة.

١٣٥- قل لهم أيها النبي: كل واحد منا ومنكم منتظر ما يؤول إليه الأمر في الدنيا، فانتظروا، فستعلمون من هم أصحاب الطريق القويم باتباع الإسلام، ومن اهتدى من الضلالة.

سورة الأنبياء



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 اقْرَبِ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ
 مِنْ ذِكْرِنَا بِهِ مِنْهُمْ مُعَذِّبٌ إِلَّا أَصْنَمُوهُ وَهُمْ يَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً
 قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ الْيَتَوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ
 أَفَتَأْتُونَ الْبَصِيرَ وَاللَّهُ يَبْصُرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ يَعْلَمُ الْقَوْلُ
 فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ فَسَاوُوا
 أَصْنَعْتَ أَهْلَكُمْ بَلْ أَفْتَرْتَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا
 أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَا أَنتَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَرِينٍ أَهْلَكْتُمُوهُمْ
 يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَجُلًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ
 فَتَلَوْنَا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ
 جَسَدًا لَا يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُ
 بِالْوَعْدِ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُشْرِكِينَ ﴿٩﴾
 لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

فضلها: روى البخاري عن ابن مسعود قال: «بنو إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: هن من العتاق الأول، وهن من تلادي» أي من قديم ما حفظ من القرآن.

١- قُرْبُ للناس زمان حسابهم وهو وقت يوم القيامة، وهم مشغولون بالدنيا، غافلون عن الآخرة، معروضون عن التأهب للحساب فيها، والغفلة في الأصل: عدم تذكر الشيء، والمراد هنا: الترك إهمالاً وإعراضاً.

٢- ما يأتي الكفار من قرآن جديد إنزاله إلا استمعوا تلاوته، وهم يستهزئون ويعبون.

٣- ساهية متشاعلة قلوبهم عن التأمل في القرآن وتفهم معناه، وأخفى المشركون الظالمون إخفاء شديداً ما تناجوا به فيما بينهم سرا، قائلين: هل هذا- أي محمد- أي ما هذا إلا بشر مثل الناس، لا منزلة له عنكم، يأكل ويشرب، فكيف يكون نبياً؟! أتعبون السحر وهو القرآن وأنتم تشاهدون وتعلمون أنه سحر؟

٤- قال النبي ﷺ فيما حكاه القرآن عنه: ربي يعلم القول في أي مكان قيل فيه، في السماء والأرض، وهو شديد السمع لكل مسموع، واسع العلم بكل معلوم.

٥- بل قال بعضهم: إن ما أتى به القرآن أباطيل وأكاذيب، وتخاليط أحلام رآها في النوم، والأضغاث: ما لم يكن له تأويل، وقال آخرون: بل اختلق القرآن من عند نفسه، وليس من عند الله، وقال جماعة: بل إن القرآن هو شعر شاعر عذب الكلام، قوي البيان، أي فهو كلام مزخرف باطل، فإن كان صادفاً فليأتنا بمعجزة حسية كما أرسل الرسل السابقون بها، كعصا موسى، وناقص صالح، ومعجزات عيسى مثل إبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى.

٦- ما آمن قبل مشركي مكة أهل قرية أهلكناها بتكذيب ما أتاهم من الآيات التي اقترحوها، أفهم يؤمنون لو جنتهم بها؟ والمراد: لم تؤمن أمة أهلكنا عند تلبية ما اقترحوا، فكيف يؤمن هؤلاء لو أعطوا ما اقترحوا؟ نزلت حينما طلب أهل مكة من النبي ﷺ أن يحول لهم الصفا ذهباً.

٧- رد الله عليهم بقوله: ما أرسلنا قبلك أيها النبي إلا رسلاً رجلاً نوحى إليهم بآياتنا، فإن جهلتم ذلك، فاسألوا أهل العلم بالكتب السماوية السابقة، إن كنتم لا تعلمون أن جميع الأنبياء والرسل كانوا من البشر.

٨- وما جعلناهم مجرد جسد مغاير لطباع البشر، يعيشون كالملائكة بلا طعام ولا شراب، ولم يكونوا مخلّدين في الدنيا، بل يموتون كغيرهم من البشر.

٩- ثم أنجزنا لهم الوعد وصدقناهم في الوعد، فأنجيناهم مع المؤمنين بهم من العذاب، وأهلكنا المكذّبين المجاوزين الحد في الكفر والمعاصي، وهم المشركون.

١٠- لقد أنزلنا إليكم يا معشر قريش قرآناً فيه تخليد ذكركم وسمعتكم، أفلا تفكرون بما فيه من المواعظ والعبر؟

١١- وكم أهلكتنا من أهل قرية كانت كافرة، وأوجدنا بعد إهلاك أهلها قوماً آخرين مكانهم.

١٢- فلما أدركوا وشعروا بعذابنا إذا هم من قريتهم يهربون مسرعين.

١٣- لا تهربوا وارجعوا إلى ما نعمتم فيه من متع الدنيا، وإلى مساكنكم التي كنتم تفخرون بها، لتسألوا عما حدث لكم، وهذا على سبيل التهكم والاستهزاء والتوبيخ.

١٤- قالوا: يا هلاكتنا، إنا كنا ظالمين لأنفسنا بالكفر. وهذا اعتراف صريح منهم بالظلم في يوم القيامة.

١٥- فما زالت تلك دعوتهم التي يردونها بتكرار تلك الكلمة، حتى جعلناهم محصودين بالعذاب كالزروع المحصود، هالكين، ميتين، كخمود النار إذا طفت.

١٦- وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما من المخلوقات عابثين لاهين، بل دالين على قدرتنا، مرشدين عبادنا.

١٧- لو أردنا أن نتخذ ما يتهلى به كالزوجة والولد لاتخذناه من عندنا كالخور العين والملائكة، إن كنا فاعلين ذلك أي ما كنا، ولكن نحن أجل من أن نلهو، وكل أفعالنا حق لا عيب فيه. والفرق بين اللهو واللعب: أن الأول يقصد به الترويح عن النفس، والثاني لا يقصد به هدف صحيح.

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
آخَرِينَ ١١ فَلَمَّا أَدْرَكُوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ١٢
لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكَنُكُمْ هُمْ ١٣
تُسْأَلُونَ ١٤ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ١٥ فَآزَلَتْ
ذَلِكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خِلِيفَتَيْنِ ١٦ وَمَا خَلَقْنَا
السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعِيبِينَ ١٧ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ
لَهُمْ آلَافِينَ ١٨ لَآتَخَذْنَاهُ مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُفْعِلِينَ ١٩
عَلَى الْبَاطِلِ قِيدَمَةٌ ٢٠ وَإِذَا هُمْ مِنَ الْوَيْلِ ٢١ لَمَّا تَصِفُونَ
وَلَهُمْ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَمِنْ عِنْدِهِ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ٢٢
عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ٢٣ يُسْحَرُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
لَا يَفْقَهُونَ ٢٤ أَوْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِئُونَ
٢٥ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ عَنِ
مَا يُصِفُونَ ٢٦ لَاسْتَلَّ عَمَّا يُفَعِّلُونَ ٢٧ أَوْ اتَّخَذُوا
مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ رَبِّي وَذِكْرُ مَنْ
قَبْلِي ٢٨ لَأَكْذِبُنَّ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ٢٩ فَهُمْ مَعْرُضُونَ ٣٠

١٨- بل نرمي بقوة بالحق وهو الإيمان على الباطل وهو الكفر، وكل ما قالوه كذب وباطل، فيقهره ويفليه، فإذا هو زائل ذاهب، ولكم يا كفار مكة العذاب الشديد في الآخرة، بسبب ما تصفون الله به من الزوجة أو الولد، وكل ما لا يليق به.

١٩- والله جميع من في السموات والأرض ملكاً وعبيداً، والملائكة الذين عنده لا يتعاضمون ولا يأنفون من عبادته، ولا يتعبون ولا يكلون.

٢٠- يترهبون الله ويعظمونه ويذكرونه دائماً في الليل والنهار، لا يسأمون ولا يتوانون، ولا يضعفون.

٢١- بل هل اتخذوا، أي المشركون آلهة كائنة من الأرض كحجر ومعدن، هم يحيون الموتى من قبورهم؟

٢٢- لو كان في السموات والأرض آلهة غير الله لخرتبا واختل نظام الكون لاستبداد كل إله بتصرف معين، فيقع التنازع والاختلاف، فتتزعزع العرش عما يفترى هؤلاء المشركون.

٢٣- لا يسأل الله عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه، وإطلاق تصرفه، والعباد يسألون عما يفعلون؛ لأنهم عبيد مملوكون لله تعالى.

٢٤- بل اتخذ المشركون من دون الله آلهة يزعمون أنها تنفع وتضر، قل لهم أيها النبي: هاتوا برهانكم على صحة ادعائكم أنها آلهة، هذا الدليل هو الكتب المنزلة، الأول القرآن الذي هو كتاب أمتي، ثم التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله التي تذكر أهل الأديان السابقة، ليس في واحد منها أن مع الله إلهاً، كما زعموا، وإنما كلها تؤكد توحيد الله، بل أكثرهم لا يعلمون توحيد الله وتمييز الحق من الباطل، فهم معرضون عن الحق والتوحيد واتباع الرسول جهلاً منهم به.



وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَ مَا لَكُمْ بِهِ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَسْتَعِينُونَ إِلَّا أَلَمَ أَنْتَ كُلُّ شَيْءٍ وَهُمْ مِنْ خَسْفِهِ مُسْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَقَدْ لَكَ بِنِجْمِهِ جَهَنَّمُ كَذَلِكَ يَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ يَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْقَ أَقَانِينَ ﴿٣٤﴾ فَهُمْ أَتَسْلَدُونَ ﴿٣٥﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنًا وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾

٢٥- وما أرسلنا من قبلك أيها الرسول من رسول سابق إلا أوحينا إليه أنه لا إله معبود بحق إلا أنا الله، فاعبدوني وحدي دون غيري، وهذا تقرير التوحيد.

٢٦- وقال بعض المشركين العرب وهم خزاعة: اتخذ الرحمن ولداً، فإنهم قالوا: الملائكة بنات الله، تنزيهاً له عن ذلك، بل هم عباد مخلوقون، مقربون لديه، والعبودية تنافي الولادة.

٢٧- لا يتكلمون حتى يأمرهم ربهم، وهم ينفذون أوامره، ولا يعملون شيئاً بغير أمره.

٢٨- يعلم ما عملوا وما هم عاملون في المستقبل، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى أن يشفع له، مهابة منه، وهم من عظمته ومهابته تعالى خائفون مرتعدون. والخشية: الخوف مع التعظيم، والإشفاق: الخوف مع التوقع والحذر الشديد.

٢٩- ومن يقل من الملائكة أو من الخلائق على سبيل الفرض: إني إله من غير الله، كإبليس الذي دعا إلى عبادة نفسه، فذلك نعاقيه بجهم، ومثل ذلك الجزاء نجزي المشركين وكل من ادعى الربوبية.

٣٠- أولم يعلم الكفار بالله والمشركون الذي أشركوا مع الله إلهاً آخر أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين شيئاً واحداً، ففصلناهما وميزناهما عن بعضهما بكتلة الهواء، وخلقنا من الماء كل شيء، من حيوان ونبات وغيرهما، أفلا يصدقون بقدرتي وتوحيدي؟!

٣١- وجعلنا في الأرض جبالاً ثوابت، لئلا تتحرك وتضطرب بهم، وجعلنا في الجبال مسالك وطرقاً نافذة ليهتدوا بها إلى مصالحهم في الأسفار.

٣٢- وجعلنا السماء فوق الأرض مثل السقف، محفوفاً من الوقوع بقدرته، وهم عن آيات أو أدلة السماء الدالة على توحيد الله وقدرته وحكمته كالشمس والقمر وغيرهما معرضون لا يتدبرون فيها ولا يتفكرون في خلقها.

٣٣- وبيان تلك الآيات: أن الله هو الذي خلق الليل والنهار، والشمس والقمر، كل منهما يجري في مدار خاص به، يتحركون في هدوء كالسايح في الماء. وقد جمع الفعل الأخير باعتبار جنس الطوالع المتكاثرة كل يوم وليلة.

٣٤- وما جعلنا لبشر من قبلك أيها الرسول دوام البقاء في الدنيا، أفان مت أيها الرسول كما يتوقعون، فهم المخلدون بعدك؟! نزلت هذه الآية لما قال الكفار: إن محمداً سيموت.

٣٥- وإذا انتفى الخلود لغير الله، فكل نفس ستموت في الدنيا، ونعامله معاملة المختبر بالبلايا والنعم، أو الشدة والرخاء، اختباراً وإبلاءً لننظر أنصبرون عند الشدة، وتشكرون عند النعمة؟ وإلينا تعودون جميعاً للحساب والجزاء.

٣٦- وإذا رآك أيها النبي الذين كفروا وهم جماعة المستهزئين المشركين، لا يتخذونك إلا سخرية مهزوءاً به، يقولون: أهذا الذي يعيب آلهتكم؟ والحال أنهم إذا ذكر الله الرحمن الواحد هم كافرون به، فهم أحق بالسخرية والعيب، لأنك محق وهم مبطلون. و﴿هم كافرون﴾ للمبالغة في حصر الكفر بهم. نزلت هذه الآية لما استهزأ أبو جهل بالنبي ﷺ، وقال لأبي سفيان: هذا نبي بني عبد مناف.

٣٧- خلق الإنسان مطبوعاً على شدة العجلة والتسرع، ساركم أيها الكافرون أدلة صدق وعدي بحلول النقم بكم، فلا تستعجلون في الإتيان به قبل أوانه.

٣٨- ويقولون: متى وقت إتيان العذاب، إن كنتم أيها المسلمون صادقين في وعدكم فيما تملونه في القرآن؟ وهو ما وعدهم به الرسول وصحبه من عذاب الدنيا والآخرة.

٣٩- لو يعلم هؤلاء الكفار المستعجلون البلاء الذي ينتظرهم حين يعرضون للنار، فلا يستطيعون ردّها، ولا يجدون ناصراً ينصرهم وينقلهم من العذاب، لما بقوا على كفرهم بربهم، ولما استعجلوا هذا العذاب.

وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذوك إلأهزواً وهذا الذي يذكره الله تعالى في سورة النجم ﴿يَذْكُرُ الْهَيْكَلُ﴾ وهو يذكر الرحمن مذكفرون ﴿حُلُقُ الْإِنْسَانِ مِنْ حَجَلٍ سَائِدِيكُمْ﴾ أي تأتي فلا تستعجلون ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ لو يعلم الذين كفروا حين لا يكونون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ رَدّها ولا هم ينظرون ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَخَافَ الْإِنْسَانُ مِنْهُمْ فَأَنشَأُوا بِيَمِينِهِمْ قُرْآنًا يَكْلُمُونَ بِالْأَنبِيَاءِ وَالنَّبِيِّينَ مِنْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أم لهم الهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم ينصرون ﴿بَلْ مَتَعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا أَنَا فِي الْأَرْضِ نَنْفَعُهَا مَنْ أَظْلَمُ مِنْهُمْ أَفَلَا يَعْلَمُونَ﴾ قل إنما أنذركم بالتوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما يندرون ﴿وَلَيْنِ مَسْتَهْزِئَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَوْمَلْنَا أَنَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾

٤٠- بل تأتئهم النار أو الساعة فجأة فتدهشهم وتخبرهم، فلا يستطيعون صرفها عن أنفسهم، ولا هم يؤخرون لتوبة واعتذار.

٤١- ولقد استهزأ الكفار الماضون برسلكك أيها النبي، فتزل وأحاط بالذين سخروا واستهزؤوا من رسلهم العذاب الذي أنذرتهم به الرسل جزاء استهزائهم.

٤٢- قل أيها الرسول لهم: من يحفظكم ويحرسكم بالليل والنهار من العذاب أو العقاب الذي ينزله الرحمن بكم في الدنيا والآخرة إن أراد بكم؟ بل هم عن القرآن معرضون لا يتفكرون فيه.

٤٣- بل ألهم آلهة من دوننا تمنعهم من عذابنا؟ إن تلك الآلهة عاجزة عن نصر نفسها، فكيف تنصر غيرها؟ ولا هم يجارون من عذابنا، فلا يستطيع أحد منع عذابنا عنهم.

٤٤- بل متعنا هؤلاء مشركي العرب في عهد النبوة وآباءهم بما أنعمنا عليهم في الدنيا، حتى طال عليهم العمر في النعمة فاغترؤا بها، وظنوا أنهم أهل لها، أفلا ينظرون أننا نأتي الأرض ننقصها بتخريبها وإهلاك أهلها؟ أفهم الغالبون لنا؟ لا، بل هم المغلوبون.

٤٥- قل أيها الرسول: إنما أخوكم بالقرآن الذي أوحاه الله إلي يحلّل الغضب الإلهي عند عصيان الله، ومن أصمّ الله سمعه لترك العمل بما سمع، لا يسمع الدعوة إلى الحق إذا ما أنذر.

٤٦- ولئن أصابهم قدر ضئيل من عذاب ربك، ليقولن: يا هلاكنا، إنا كنا ظالمين لأنفسنا بالكفر وتكذيب الرسل ومنهم محمد ﷺ.



وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ
شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا
وَكُنَّا بِبَنَاتِ حَبِيبٍ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ
الْقُرْآنَ رِضَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُخْفًوُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا
ذِكْرُ مِمَّا رَكَّ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ
آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾
إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا
عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا تَمَلُّوا عِلْدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ
لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَلْ
أُخِّنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ
رَبُّكُمُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي ظَهَرُنَا وَآعَلَى ذَاكُمُ
مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَكَأَنَّهُ لَأَكْبَدُ أَنْ أَصْلَحَكُمْ
بَعْدَ أَنْ قُلْتُمْ لَمْ نَدَّبِرْكُمْ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ جُذًا
إِلَّا كَبِيرًا اللَّهُمَّ اعْلَمْهُ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾

٤٧- ونضع الموازين العادلة لوزن أعمال العباد يوم القيامة، فلا تظلم نفس شيئاً بنقص حسنة أو زيادة سيئة، وإن كان العمل في الخفة والصغر كحبة الخردل، وبمقدار وزنها، جثنا بها أينما كانت للمجازاة عليها، وكفى بنا مُحْصِينَ كل شيء من أعمال العباد.

٤٨- ولقد أعطينا موسى وهارون التوراة الفارقة بين الحق والباطل، والحلال والحرام، والتي فيها الهداية التي تنير الطريق، والموعظة التي يتعظ بها المتقون ربهم.

٤٩- الذين يخافون عذاب ربهم في خلواتهم، وهو غائب عنهم، أي إنهم مخلصون لا يراؤون الناس، وهم خائفون من أهوال القيامة.

٥٠- وهذا القرآن تذكرة وموعظة، كثير الخير والنفع، أنزلناه على النبي محمد ﷺ أفأنتم أي كيف يا أهل مكة تنكرون إنزاله من الله، وهو في غاية الوضوح؟ وهذا الاستفهام للتوبيخ.

٥١- ولقد أعطينا إبراهيم الرشد، أي الاهتداء

لوجوه الخير والصواب وصلاح الدين والدنيا، من قبل إتياء موسى وهارون التوراة، وكنا عالمين بأنه أهل لإتياء الرشد والاتصاف بمكارم الخصال.

٥٢- حين قال لأبيه آزر وقومه جماعة النمرود: ما هذه الأصنام التي أنتم مقيمون على عبادتها؟

٥٣- قالوا له: وجدنا آباءنا من قبل عابدين لها، فاقنديننا بهم.

٥٤- قال إبراهيم: لقد كنتم وآبائكم بعبادتها في خطأ بين، وزيغ عن طريق الحق.

٥٥- قالوا له: هل أنت جاد في قولك، وإن قولك هو الشيء الثابت في الواقع، أم أنت من الهازلين المازحين؟!

٥٦- قال إبراهيم: بل ربكم المعبود وحده المستحق للعبادة هو مالك السموات والأرض، الذي أبدعهم وخلقهم على غير مثال سابق، وأنا على ذلكم من العالمين به، المتحققين صحته، والمبرهنين عليه. والشاهد: من تحقق من الشيء وأقام عليه الحجة.

٥٧- ووالله لأحطمن أصنامكم بعد أن تنصرفوا عنها وترجعوا عن عبادتها.

٥٨- فجعلهم قطعاً متناثرة بتحطيمها بعد ذهابهم إلى يوم عيد لهم إلا كبير الأصنام لم يكسره، ليرجعوا لهذا الكبير، فيسألونه عن الكاسر، فإن لم يجيبهم علموا أن الأصنام لا تضر ولا تنفع.

فَالْوَاهِنُونَ بَعْدَ رُؤْيَيْهِمْ تَكْسِيرُ الْأَصْنَامِ
 حِينَمَا عَادُوا مِنْ يَوْمِ الْعِيدِ: مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتَا
 بِتَحْطِيمِهَا، إِنَّهُ لَمِنَ الْمُعْتَدِينَ الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ
 الْعِقَابَ.
 ٦٠. قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَمِعْنَا فَتَى يَعِيبُهُمْ
 وَيَسِبُهُمْ، اسْمُهُ إِبْرَاهِيمُ.
 ٦١. قَالُوا فَيَمْنًا بَيْنَهُمْ: فَأَحْضَرُوهُ عَلَى مَرَأَى
 وَمَشْهَدٍ جَمِيعِ النَّاسِ، لِيَشْهَدُوا عَلَيْهِ بِمَا فَعَلَ
 وَيَحْضُرُوا عِقَابَهُ.
 ٦٢. قَالُوا لَهُ بَعْدَ إِحْضَارِهِ: أَنْتَ الَّذِي حَطَّمْتَ
 الْهَيْتَا يَا إِبْرَاهِيمُ؟
 ٦٣. قَالَ إِبْرَاهِيمُ مُتَهَكِّمًا: بَلِ الَّذِي كَسَرَهُمْ هُوَ
 كَبِيرُهُمْ هَذَا، وَهُوَ الصَّنَمُ الَّذِي لَمْ يَكْسِرْهُ،
 فَاسْأَلُوهُمْ لِمَاذَا فَعَلَ بِهِمْ ذَلِكَ، إِنْ كَانُوا قَادِرِينَ
 عَلَى النُّطْقِ؟ وَالْقَصْدُ تَنْبِيهِهُمْ إِلَى عَدَمِ الْجَدْوَى مِنْ
 عِبَادَةِ الْعَاجِزِينَ عَنِ الْكَلَامِ. أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ
 وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثًا صَحِيحًا: «لَمْ
 يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ، كُلُّهُنَّ
 فِي اللَّهِ: قَوْلُهُ: إِنِّي سَقِيمٌ، وَلَمْ يَكُنْ سَقِيمًا،
 وَقَوْلُهُ لِسَارَةَ: أُخْتِي، وَقَوْلُهُ: بَلِ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ
 هَذَا» وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْلُوبِ الْمُبَاحِ مِنَ
 التَّعَارِيضِ.

٦٤. فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ بِاللُّومِ وَرَاجِعُوا عَقُولَهُمْ، فَقَالُوا: إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ لِأَنْفُسِكُمْ بِعِبَادَةِ هَذِهِ
 الْجُمَادَاتِ الَّتِي لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَيْسَ الظَّالِمُ هُوَ مَكْسِرُ الْأَصْنَامِ.
 ٦٥. ثُمَّ عَادُوا إِلَى كُفْرِهِمْ وَجَهْلِهِمْ وَمَكَايِرَتِهِمْ، فَقَالُوا لِإِبْرَاهِيمَ: لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ، فَكَيْفَ
 تَأْمُرُنَا بِسُؤَالِهِمْ؟
 ٦٦. قَالَ إِبْرَاهِيمُ لَهُمْ: أَفْتَعْبُدُونَ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا إِنْ عْبَدْتُمُوهُ، وَلَا يَضُرُّكُمْ إِنْ تَرَكْتُمْ عِبَادَتَهُ؟!
 ٦٧. قَبِيحًا لَكُمْ وَلِلْهَيْتِكُمْ وَلِعِبَادَتِكُمْ هَذِهِ الْمَعْبُودَاتِ الْأَلْهَةِ الْمَزْعُومَةِ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ، أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ وَتَعْقِلُونَ
 قَبِيحَ صَنَعِكُمْ وَأَنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ لَا تَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ؟! وَاللَّامُ فِي «لَكُمْ» لِيَانِ الْمُتَضَجِّرِ لِأَجَلِهِ.
 ٦٨. قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: احْرَقُوا إِبْرَاهِيمَ بِالنَّارِ حَرْقًا شَدِيدًا، وَانْصُرُوا الْهَيْتَكُمْ بِالْإِنْتِقَامِ مِنْهُ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ
 شَيْئًا مِنْ أَجْلِهَا.
 ٦٩. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ أَنْ أَلْقَى إِبْرَاهِيمَ فِي نَارِ عَقِيمَةٍ بِوَسْطَةِ مُنَجِّيقٍ: يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى
 إِبْرَاهِيمَ، فَانْقَلَبَتِ الْحَرَارَةُ بَرْدًا، دُونَ أَنْ تَضُرَّهُ، وَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ مِنْهَا سَالِمًا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى.
 ٧٠. وَأَرَادُوا بِإِبْرَاهِيمَ تَحْرِيقًا وَمَكْرًا فِي إِضْرَارِهِ، فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَشَدَّ خُسَارَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
 ٧١. وَنَجَّيْنَا إِبْرَاهِيمَ وَلُوطًا ابْنَ أَخِيهِ مِنْ بَابِلَ بِالْعِرَاقِ إِلَى أَرْضِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ الَّتِي بَارَكْنَا لَهَا لِلنَّاسِ بِكَثْرَةِ
 الْأَنْهَارِ وَالْأَشْجَارِ، وَجَعَلْنَاهَا مَهبطَ الْأَنْبِيَاءِ.
 ٧٢. وَوَهَبْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مِنْ زَوْجَتِهِ سَارَةَ إِسْحَاقَ وَلَدًا، وَيَعْقُوبَ حَفِيدًا زِيَادَةً عَلَى مَا دَعَا إِبْرَاهِيمَ، وَكُلَّ
 وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ، وَلُوطَ الرَّابِعِ، جَعَلْنَاهُ نَبِيًّا صَالِحًا.

٧٣- وجعلناهم رؤساء يقتدى بهم في الخير والطاعة، يهدون الناس إلى الدين والإيمان، بإذن الله تعالى، وأوحينا إليهم أن يفعلوا الطاعات، وقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، وكانوا موحدين مخلصين في العبادة.

٧٤- وأتينا لوطاً نبوة وعلماً بأحكام الدين، ونجينا من قرية سدوم بشرق الأردن التي كان أهلها يعملون الخبائث (المنكرات) كاللواط، والضرط في المجالس، والرمي بالبندق، واللعب بالطيور، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله تعالى، بالإساءة لكل من خالطهم.

٧٥- وجعلناه من أهل رحمتنا بأن أنجيناه من قومه، إنه من القوم الصالحين في أعمالهم الذين سبقت لهم منا الحسنى (الجنة).

٧٦- واذكر نوحاً من قبل هؤلاء الأنبياء، حين دعا ربه بإهلاك الظالمين من قومه، فأجبنا دعاءه، فنجيناه وأهله المؤمنين به في السفينة، من الطوفان

وجعلناه أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكاة وكانوا عبيد لنا ولوطاً أتيناهم حكماً وعلماً ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبيث إنهم كانوا قوم سوء فسقين وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين ٧٣
ونوحاً إذ نادى من قبل فأستجبنا له ونجيناه وأهله من الكرب العظيم ٧٤ ونصرته من القوم الذين كانوا يكذبون ٧٥
إنهم كانوا قوم سوء فأغرقهم أنجهم ٧٦ وداود وسليمان إذ يمتحنان في النحر إذ ننسنت فيهم عثم القوم وكنا لحكمهم شهودين ٧٧
فهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين ٧٨ وعلمناه صنعاً لبوس لكم لم تحصيكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ٧٩
ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمرنا إلى الأرض التي بركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ٨٠

والفرق.

٧٧- وجعلناه متصرفاً على القوم الذين كذبوا بآياتنا الدالة على صدق رسالته، إنهم كانوا قوم كفر وعصيان، فأغرقناهم جميعاً لإصرارهم على الكفر.

٧٨- واذكر أيضاً داود وسليمان، إذ يحكم كل منهما في الزرع حين رعته ليلاً غم القوم، ولم يكن معها راع، وكنا لحكم كل منهما حاضرين، لا يخفى علينا شيء.

٧٩- ففهمنا الحكم سليمان وكلاً من داود وسليمان أعطينا نبوة وعلماً نافعا في أمور الدين، وسخرنا (ذللنا) مع داود الجبال والطير للتسبيح معه، فكان إذا سبح سبحت معه بأمره، وكنا فاعلين لأمثاله من إفهام الحكم وتسخير التسبيح معه، فليس يبدع منا.

٨٠- وعلمنا داود صناعة الدروع بإلانة الحديد له، لتحميكم وتمنعكم من حربكم مع عدوكم، فهل أنتم أيها الناس ومنهم أهل مكة شاكرون نعمتي، بتصديق الرسول؟

٨١- وسخرنا لسليمان الريح قوية شديدة الهبوب ولكنها لينة، تسير بأمره إلى أرض الشام التي باركنا فيها، وكنا عالمين بكل شيء، لا تخفى علينا خافية.

٨٢- وسخرنا لسليمان الشياطين يغيصون له في البحار لاستخراج اللؤلؤ، ويعملون أعمالاً أخرى سوى ذلك كبناء المحارِب والمدن والقصور والمساجد، وصناعة التماثيل والصناعات الغريبة، وكنا حافظين لأعمالهم، وحافظين لهم من الهرب أو الامتناع من العمل.

٨٣- واذكر أيها النبي قصة أيوب حين نادى ربه لما اشتد به المرض وطال: رب اني مسني الضر من المرض والهزال في بدني، والجهد في أهلي ومالي، وأنت أرحم الرحماء لإجابة الدعاء والضر: ما يس الإنسان في نفسه كالمرض والهزال، والضر: الضرر في كل شيء.

٨٤- فأجبت دعاء أيوب، فكشفنا ضره الذي نزل به امتحاناً، وأعطيناه مثل أهله عدداً، مع زيادة مثل آخر بالتوالد، وآتيناه ذلك رحمة منا، وتذكراً للعابدين، ليصبروا مثل صبره، فيثابوا كتابه.

٨٥- واذكر أيها الرسول أيضاً قصة إسماعيل، وإدريس، وذو الكفل وهو ابن أيوب، من أنبياء

بني إسرائيل، كل واحد من الصابرين على تحمل التكليف والشدائد طمعاً في مرضاتنا.

٨٦- وشملتهم رحمتنا في الدنيا بالنبوة، وفي الآخرة بالجنة، إنهم من زمرة عبادنا الأنبياء الصالحين الطائعين.

٨٧- واذكر كذلك أيها النبي قصة ذي النون وهو يونس بن متى صاحب الحوت، أرسله الله إلى أهل نينوى من أرض الموصل، حين ذهب غضبان من قومه لعدم إيمانهم، فظن أن لن نصيق عليه الأمر، بل نبيح له تركهم، فنادى في ظلمات ثلاث: ظلمة الليل، وظلمة النهر، وظلمة بطن الحوت، قائلاً: لا إله إلا أنت، تنزهت عما لا يليق، إني كنت من الظالمين لنفسي، بالهجرة من غير إذن، وترك قومي.

٨٨- فأجبت له دعاءه بتلك الكلمات، وأخرجناه من بطن الحوت، إذ قذفه إلى الساحل، وكما أنجينا من غمه وكرهه، ننجي المؤمنين من كربهم إذا استغاثوا بنا.

٨٩- واذكر أيضاً قصة زكريا حين دعا ربه بقوله: رب لا تتركني وحيداً بلا ولد يرثني، وأنت حسبي إن لم تزقني ولداً.

٩٠- فأجبت له دعاءه، ومنحته ولداً هو يحيى، وجعلنا زوجته ولوداً بعد أن كانت عاقراً، إن زكريا وزوجه وابنتهما يحيى وهؤلاء الأنبياء المذكورين كانوا يبادرون إلى فعل الطاعات، ويتضرعون إلينا رغباً في رحمتنا وخيرنا، ورهباً من عذابنا ومن الشر، في حالي الشدة والرخاء، وكانوا لنا متواضعين في عبادتهم.

وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَغْوِصُونَ لَمْ يَعْمَلُوا عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَذْكُرْ هَمِّي زَيْنًا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذُهِبَ مُغْضَبًا فَظَنَّ أَنْ لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أُنِ لَّيْلَهِ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّبُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَذِكْرًا إِذْ نَادَى دَاوُدَ رَبِّ لَآتِنِّي قُرْآنًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَعَيْنَا لَهُ نُحُيًّا وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ وَآتَيْنَاهُ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾

٩١- واذكر أيها النبي أيضاً قصة مريم بنت عمران التي حفظت فرجها من الحلال والحرام، فكانت عفيفة، فوضعتها سرّاً من أسرارنا في بطنها أو جلدنا به عيسى وأحييناه، وجعلناها وابنتها آية لعالمي الإنس والجن والملائكة، حيث ولدته من غير رجل، ودليلاً لهم على تمام قدرتنا.

٩٢- إن هذا دينكم دين واحد لا خلاف فيه في شأن التوحيد، وهو ملة الإسلام، وأنا ربكم الله لا إله غيري، فوحدوني وابدوني بإخلاص لا غير.

٩٣- وتفرّق الناس في أمر الدين فرقاً مختلفة، مع أن الدين في أصله واحد، فمنهم من آمن ووحد، ومنهم من كفر وأشرك، ومنهم من تأول فوق في الشرك كاليهود والنصارى، كل فرقة من هذه الفرق راجعون إلينا يوم القيامة، للجزاء.

٩٤- فمن يعمل صالح الأعمال التي أمر الله بها، وهو مؤمن بالله ورسله واليوم الآخر، فلا جحود ولا إنكار لعمله وثوابه وحسن جزائه، وإنا لسعيه حافظون مثبتون في صحيفة عمله.

٩٥- ومنتع على أهل قرية أهلكتهم بذنوبهم أن يرجعوا إلى الدنيا أو التوبة بعد الهلاك.

وَالَّتِي أَحْصَيْتُ فَجْرَهَا فَقَدْ نَفَيْتُهَا مِنْ رُوحِنَا
وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ
أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا
أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهٍ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَمْعَلُ
مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٩٣﴾ فَلَا تَكْفُرْ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا
لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَى قَوْمِهِ أَهْلَ كَنَانِهَا
أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا بِأُجُوجٍ وَمَاجُوجٍ وَهُمْ
مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ
فَإِنَّا هِيَ شِخْصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَوهَا
قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾
إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا
وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ إِلَٰهًا مَا وَرَدُوهَا
وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ
وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ
لَهُمُ الْخَيْرَاتُ الْحَسَنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

٩٦- ويستمر عدم رجوعهم إلى قيام الساعة وظهور أماراتها من فتح سد ياجوج وماجوج وهما قبائل همجية، وهم من كل مرتفع من الأرض يخرجون مسرعين.

٩٧- واقترب بخروجهم الموعود به الحق وهو يوم القيامة، فذلك من أمارات الساعة، فإذا هي مرتفعة الأجفان لما دهمهم، وهو شخوص أبصار الكفار، لا تكاد تنظر من شدة الهول، أي تتوقف أبصارهم عن الحركة، يا هلاكنا، قد كنا في الدنيا غافلين عن هذا اليوم، لم نستعد له، بل كنا ظالمين أنفسنا بتكذيب الرسل، وإنكار البعث والحساب، وعدم الطاعة.

٩٨- إنكم أيها الكفار والمشركون وما تعبدون من غير الله من الأصنام والشياطين وقوّة جهنم وحطها، أنتم داخلون فيها.

٩٩- لو كان هؤلاء المعبودون الأوثان ونحوها آلهة كما تزعمون ما دخلوا جهنم؛ لأن المواخذ الملعّب لا يكون إلهاً، وكل من العابدين والمعبودين مخلصون دائمون في جهنم، فليسوا إذن آلهة. وسبب إدخال المعبودين من الأوثان والشياطين في النار: أن يزداد العابدون بهم غمّاً وحسرة. ويستثنى أو لا يشمل ذلك عزيزاً والمسيح والملائكة لقوله تعالى فيما يأتي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمُ الْحَسَنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء ٢١/١٠١] ولأن كلمة ﴿مَا﴾ لا تتناول العقلاء.

١٠٠- لعابدين الأوثان في جهنم أين وتنفس شديد من أقصى الجوف، وهم فيها لا يسمعون شيئاً لشدة غليانها وأهوالها.

١٠١- إن الذين سبقت لهم منا المنزلة الحسنى وهي الجنة لعملهم بعمل أهل الجنة، أولئك مبعدون عن جهنم، فهم السعداء بسبب إيمانهم الحق وإحسان طاعتهم. قال ابن عباس: لما نزلت آية ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ...﴾ [٩٨] قال ابن الزبير: عبد الشمس والقمر والملائكة وعزير، فكل هؤلاء في النار مع آلهتنا، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ...﴾.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَفِي مَا اسْتَشْتَيْتَ أَنَسُومَهُمْ خَلَدُونَ ﴿١٠٢﴾
لَا يُخْزِيهِمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَلْقَاهُمُ الْمَلَكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ
الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ
لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾
وَلَقَدْ كُتِبَ فِي الزُّبُرِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ رِثْمًا
عِبَادِي الصَّالِحِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَالِمِينَ ﴿١٠٦﴾
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ
إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أُذِرْتُمْ
أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنِّي بَعُلْتُ الْبَشَرَ
مِنَ الْقَوْلِ وَبَعُلْتُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أُذِرْ
لَعَلَّ فِتْنَةً لَّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ أَعْمُرْ
بِالْحَقِّ وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾



١٠٢- لا يسمعون صوت النار ولهيبها، وهم مقيمون على الدوام فيما اشتته أنفسهم من النعيم الدائم في الجنة.

١٠٣- لا يحزنهم الفرع الأعظم الذي يحصل بعد النفخة الثانية وهو أهوال القيامة، وتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة مهتين، قائلين لهم: هذا يومكم الذي وعدتم به في الدنيا لنيل الجزاء الأحسن.

١٠٤- واذكر أيها النبي يوم نطوي السماء كطي الصحيفة على ما يكتب فيها، كما بدأنا أول خلقهم من العدم في الدنيا، كذلك نعيدهم يوم القيامة، أي إن هذا الطي كائن لا محالة يوم إعادة الخلاق بالبعث خلقاً جديداً، وعدناهم بذلك وعداً، علينا إنجازه والوفاء به، وهو الإعادة، إنا كنا فاعلين ما وعدناكم به حتماً، وقادرين على ما نشاء.

١٠٥- ولقد كتبنا في كتاب داود وهو كتاب الزمائر، من بعد التوراة أو اللوح المحفوظ: أن أرض الجنة وأرض الدنيا يرثها العباد الصالحون، وصلاح الآخرة بالتقوى، وصلاح الدنيا بعمارة الأرض.

١٠٦- إن في هذا القرآن وما ذكرناه في هذه السورة من الأخبار وقصص الأنبياء والمواعظ لبلاغاً كافياً في الاعتبار لقوم خاشعين لله، مشغولين بالعبادة.

١٠٧- وما أرسلناك أيها النبي بالشرائع والأحكام إلا رحمة مهداة للإنس والجن، لأن ما بعثت به سبب للسعادة والصلاح في المعاش والمعاد.

١٠٨- قل لهم أيها النبي: إن جوهر الموحى به إلي من ربي أن إلهكم الذي تعبدونه هو إله واحد، لا إله غيره، فهل أنتم متقادون خاضعون لما يوحى إليكم من العبادة وتوحيد الله؟ أي أسلموا تدخلوا الجنة، وتفوزوا بالرضوان.

١٠٩- فإن أعرضوا عن الإسلام، فقل لهم: أعلمتكم ما أمرت به، حال كونكم جميعاً مستوين في الإعلام، ولا أدري أقرب أم بعيد ما توعدون به من القيامة والعذاب، فعلم ذلك إلى الله سبحانه.

١١٠- إنه تعالى يعلم ما تجهرون به من قول أو فعل، وما تكتُمونه من ذلك وتخفونه، يعلم كل ذلك على السواء في الوضوح، لا تخفى عليه خافية.

١١١- وما أدري لعل تأخير العذاب عنكم اختبار وامتحان لكم، ليرى كيف صنعكم وترجعوا عما أنتم عليه، وتمتع بزخارف الدنيا إلى وقت مقدّر تقتضيه مشيئة الله وحكمته، وهو انتهاء آجالكم.

١١٢- قال النبي ﷺ بعد تبليغ رسالته إلى قومه وتكذيبهم: يا رب احكم بيني وبين هؤلاء المكذبين كأهل مكة، بما هو الحق والعدل عنك، وربنا الرحمن بعباده، المستعان به على ما تقولون من التكذيب والافتراء.

سورة الحج

فضلها: قال العزيزي: وهي من أعاجيب السور، نزلت ليلاً ونهاراً، سفرأ وحضرأ، مكياً ومدنياً، سلميأ وحربيأ، محكمأ ومتشابهأ.

١- يا أيها الناس جميعاً، خافوا واحذروا عقاب ربكم، بأن تطيعوه، إن زلزلة الأرض يوم القيامة شيء مخيف هائل مزعج للناس.

٢- يوم ترون الزلزلة تغفل الأم المرضعة وتنسى رضيعها لشدة الهول، وتضع الحامل جنينها، وترى الناس كأنهم سكارى من شدة الخوف، وليسوا بسكارى حقيقة، ولكن عذاب الله شديد، يرهق هوله، ويذهب العقل والتمييز. نزلت هاتان الآيتان ليلاً في غزوة بني المصطلق، فقرأهما رسول الله ﷺ على الناس، فلم ير باكياً أكثر من تلك الليلة، وأصبح الناس بين بكاء وجالس حزين مفكر.

٣- وبعض الناس يجادل في وجود الله وصفاته من الوحدانية والقدرة على البعث وغير ذلك، بغير دليل ولا علم يعلمه، ويتبع في جداله بالباطل وساوس كل شيطان متمرّد على الله عات. نزلت في النظر بن الحارث.

٤- قضى على الشيطان أنه من اتبعه وصدق قوله، فإنه يضلّه عن طريق الحق، ويرشده أو يبدله إلى ما يؤدي به إلى عذاب السعير في نار جهنم. والسعير: النار المتوهجة.

٥- يا أيها الناس، إن كنتم في شك من إمكان البعث وكونه مقدوراً لله، فإننا خلقنا أصلكم آدم من تراب، وخلقنا ذريته من مني مشتمل على الحيوان المنوي، وهو الماء الدافق، الذي يستقر في الرحم، ويتعلق ببويضة المرأة، ويحدث الجنين، ثم من دم جامد بعد تلاقح نطفة الرجل مع بويضة الأنثى، ثم من قطعة لحم صغيرة تامة الخلقة تصويراً وشكلاً، وغير تامة الخلقة، ثم نخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً - وطفلاً: حال أجريت على تأويل كل واحد منكم طفلاً - ثم نرعاكم لتبلغوا كمال العقل والقوة: وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين، ومنكم من يتوفى قبل بلوغ الأشد، ومنكم من يعود إلى مرحلة الهرم والخرف حتى لا يعقل، وكذا يعلم شيئاً وينسى ما كان يعلمه، وترى الأرض أيها الإنسان يابسة ميتة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها ماء المطر، تحركت بالنبات، وارتفعت وزادت، وأنبتت من كل صنف نباتي حسن نظير.

٦- ذلك المذكور من خلق الإنسان ومروره بأطوار، وإحياء الأرض، بسبب أن الله هو الثابت الموجود في نفسه، الدائم الوجود، وأنه يحيي الموتى بعد فنائهم، وأن الله قادر على كل شيء؛ لأن قدرته لذاته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ إِن زلزلة الساعة شيء عظيم
يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكرى وما هم بسكرى
ولكن عذاب الله شديد
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم وبسعي كل شيطان مبذول
كذب عليه أنه من قولاؤه فإنه يضلّه ويهديه إلى عذاب السعير
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كنتم في ريب مما البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة
نسبنا لكم نطفة في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج
ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير

٧- وأن القيامة واقعة لا شك فيها، وأن الله يعثب الناس الذين في القبور وفي غيرها من أجواف الطير والسماك ونحوهما، بمقتضى وعده السابق الذي لا يقبل الخلف.

٨- ومن الناس من يجادل في قدرة الله ووحدانيته متكراً ذلك جهلاً بغير دليل علمي واضح، ولا هداية فطرية أو عقلية معتمدة على النظر الصحيح، ولا كتاب إلهي موضح للحق. نزلت في الأخنس بن شريق، وروي عن ابن عباس في أبي جهل، وعلى ماذهب إليه جمع في النضر بن الحارث، كالأية السابقة، فإذا اتحد المجادل في الآيتين، فالتكرار مبالغته في الذم، أو لانفراد كل آية بزيادة ليست في الأخرى.

٩- لاوي عنقه تكبراً وخيلاء، وإعراضاً مترفعاً، للإضلال عن دين الله، له في الدنيا ذل وهوان بما يناله من العقوبة المادية بعذاب معجل، أو المعنوية بسوء السمعة، ونذيقه يوم القيامة عذاب النار المحرقة.

١٠- ذلك الخزي (الذل) والتعذيب بسبب ما قدمته نفسك من الكفر والمعاصي، وأن الله لا يظلم أحداً، فيعذب بغير ذنب، وإنما هو مجازيهم على أعمالهم.

١١- ومن الناس من يعبد الله على شك وتردد في

وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ٧ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ ٨ ثَانِ عَطَفَهُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَمَّا رَأَى أَنَّهُ أَخْزَىٰ وَنَذِيْقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْخَرْقِ ٩ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْغَاطِلِينَ ١٠ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ١١ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَمَا لَا يَضُرُّهُمْ ١٢ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ١٣ يَدْعُوا لِمَنْ صَرُّهُ أَوْ قُرْبٌ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ لِلنَّاسِ الْوَلَايَةُ وَلَيْسَ الْعَسِيرُ ١٤ إِنْ اللَّهُ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ١٥ مَنْ كَانَ يَظُنْ أَن لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِطُّ ١٦

دينه، أما المؤمن فيعبد على ثقة وبصيرة، فإن أصابه خير دنيوي في نفسه وماله من صحة وعافية، ورخاء، ثبت على دينه، وإن أصابته محنة وشدة أو مكروه في نفسه أو أهله أو ماله، رجع إلى الكفر وارتد، خسر الدنيا وضيعها؛ لأنه لم يحقق فيها مجداً وثناء حسناً، وخسر الآخرة؛ لتعذبه فيها، ذلك هو الخسران المزدوج الواضح؛ إذ لا خسران مثله. وحرف الشيء: طرفه، أي مذنب مضطرب في دينه. نزلت فيمن يدخل الإسلام، فإن أصابه خير من ولد ذكر، ونتاج خيل، قال هذا دين صالح، وإن أصابه شر بولادة أنثى أو لم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء.

١٢- هذا الذي رجع إلى الكفر يعبد من غير الله الأصنام، وهي لا تنصره إن ترك عبادتها، ولا تنفعه إن عبدها، ذلك هو الانحراف البعيد عن الحق والرشد.

١٣- يعبد من غير الله ما يكون ضرره أقرب من نفعه إن نفع بتوهمه، بل ضررها بحث ولا نفع فيها بحال، لبس الناصر والمعين هو له، ولبس الصاحب المعاصر هو.

١٤- إن الله يدخل المؤمنين بالله ورسله، الذين يعملون الصالحات المأمور بها جنت تجري الأنهار من تحت غرفها، إن الله يفعل ما يريد من إكرام الطائع، وإهانة العاصي.

١٥- من كان يعتقد أن الله لن ينصر نبيه محمداً ﷺ وغازاه انتصاره خلافاً لما يتوقع، فليمدد حبلاً إلى سماء بيته أي سقفه، ثم ليقطع عنقه بالشنق، فلينظر هل يذهبن فعله وتدبيره أو حيلته ما يغضبه ويضايقه من نصر الله نبيه، والمراد: إذا أراد إراحة نفسه، فليعجل بإهلاكها هدراً من غير جدوى؛ لأن كيده لا يذهب غيظه. والسماء: كل ما ارتفع فوق رأس الإنسان، والمراد به هنا سقف البيت.



١٦ - ومثل إنزالنا الآية السابقة أنزلنا عليك أيها الرسول آيات واضحة الدلالة على مدلولاتها، وأن الله يهدي ابتداء من يريد هدايته، ويوفق للهداية ويثبت على الهدى من أراد له ذلك.

١٧ - إن الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ واليهود والنصارى، والمجوس: عبدة النار الذين يقولون: إن للعالم أصليين: النور والظلمة، والمشركين: عبدة الأوثان أو غيرها من دون الله، إن الله يفصل بينهم يوم القيامة فيما اختلفوا فيه، إن الله شاهد على كل شيء من أعمال خلقه، لا يخفى عليه شيء منها.

١٨ - ألم تعلم أيها الإنسان المخاطب أن الله يسجد ويخضع له أهل السموات وهم الملائكة، وأهل الأرض من — مؤمني الإنس والجن، وسجودها بهيئة معروفة، والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وغيرها من المخلوقات، وسجودها بالانقياد التام، ويسجد له كثير من الناس الذين آمنوا وتبها سجد طاعة واختيار، راجين رحمته، وكثير وجب عليه العذاب لإيائه السجود لله وإهماله النظر في

ملكوت الله، ومن يهن الله يجعله كافراً شقيماً، لما علم الله من اكتسابه الشقاوة، فما له من مكرم يكرمه، ويدفع الهوان عنه، إن الله يفعل ما يشاء في خلقه.

١٩ - هذان فريقان مخصصان متنازعان، وهما المؤمنون والكافرون، اختلفوا في شأن ربهم، أي في دينه، ما هو الحق وما هو الباطل منه، وفيما يتعلق به من تنزيهه عن الصاحبة والولد، ونسبة الولد له واتخاذ الوسطاء الشفعاء عنده، فالذين كفروا بالله أو لم يؤمنوا برسول الله، فُصِّلت لهم ثياب من نار لبوساً لهم، يصب من فوق رؤوسهم الماء الحار المغلي بنار جهنم. نزلت في فريقي المبارزة يوم بدر: حمزة وعبيدة وعلي، وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة.

٢٠، ٢١ - يذاب به ما في بطونهم من أمعاء وأحشاء، وتُشوى به جلودهم، ولهم مضارب (أدوات القمع) من حديد، يُضربون بها.

٢٢ - كلما أرادوا الخروج من النار، لأجل غم وحزن شديد، رُدُّوا إليها بالمقامع، ويقال لهم: ذوقوا عذاب النار المحرق بشدة.

٢٣ - إن الله يدخل المؤمنين بالله ورسوله، الذين يعملون صالح الأعمال التي أمر الله بها، جنات تجري من تحت غرفها الأنهار، يُزَيَّنون فيها بحلي في غاية الجمال في الصدور وغيرها، بأساور الذهب، واللؤلؤ (الذي يستخرج من البحر من جوف الصدف) ولباسهم في الجنة الحرير الذي كان ممنوعاً على رجالهم في الدنيا.

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ
 ١٦ إِنَّ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ اسْمَاءَ الَّذِينَ هَادُوا وَأَصْنَابِينَ وَالنَّصَارَى
 وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١٧
 أَنَّ اللَّهَ يَجْزِلُهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ
 وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ
 وَكَيَرَحْنِ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يَهِنْ اللَّهُ فَمَالُهُ مِنْ ثَمَرٍ إِنَّ اللَّهَ
 يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ١٨ هَذَانِ خَصِمَانِ ائْتَصِمُوا
 فِي دِينِهِمَا الَّذِينَ كَفَرُوا فَطَعَنَ لَهُمْ رِيَابٌ مِنْ نَارٍ
 يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْخَمِيرُ ١٩ يَصْهَرُ بِهِ مَا فِي
 بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ٢٠ وَلَهُمْ قَلْعُ مِثْقَالٍ مِنْ حديدٍ ٢١ كُلَّمَا أَرَادُوا
 أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ
 ٢٢ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ اسْمَاءَ الَّذِينَ هَادُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجْرُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ
 مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ٢٣

٢٤- وأرشدوا من الله تعالى في الجنة إلى القول الطيب الذي فيه تمجيد الله والإقرار بفضلته، والبعد عن اللغو والتأنيث، وإلى تبادل السلام فيما بينهم، وأرشدوا إلى الطريق المحمود في آداب المعاشرة والاجتماع، فلا تحاسد ولا تبغض ولا كيد ولا تنافر أو تخاصم، بل أمثل ما يكون عليه الإخوة الأحبة.

٢٥- إن الذين كفروا بالله ورسوله، ويمتنعون عن دين الله وطاعته، وعن دخول المسجد الحرام نفسه، أو الحرم كله، الذي جعلناه منسكاً ومتعبداً للناس جميعاً، مستوياً فيه المقيم فيه، الملازم له، والواصل الزائر من البادية غير المقيم فيه، الطارئ عليه، ومن يرد فيه الميل عن جادة الحق والصواب، والاستقامة ظلماً بغير وجه مشروع، نذقه بعض العذاب المؤلم. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في أبي سفيان بن حرب وأصحابه، حين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عام الحديبية عن المسجد الحرام، وقد كره عليه الصلاة والسلام أن يقاتلهم، وكان محرماً بعمره، ثم صالحوه على أن يعود في العام المقبل.

٢٦- واذكر أيها الرسول حين بينا وعينا لإبراهيم مكان الكعبة لبنائها، ليكون مركزاً لتوحيد العبادة الخالصة لله، وأوصيناه ألا يشرك بعبادتي شيئاً، وطهرت بيته من الأوثان والأصنام للطائفين حول هذا البيت، والقائمين

فيه للصلاة والدعاء، والراكعين الساجدين. والركوع والسجود كناية عن الصلاة كلها؛ لأنهما أهم أركانها.

٢٧- وناد في الناس بالحج بالدعوة إليه، قائلاً: يا أيها الناس، كُتِبَ عليكم الحج إلى البيت، فأجيبوا ربكم، لبيك اللهم لبيك، يأتوك مشاة وراكبين على كل بعير مضمر خفيف اللحم من كثرة السير، تأتي هذه الإبل الضواهر بالركبان من كل طريق بعيد. قال مجاهد: كانوا لا يركبون، فأنزل الله: ﴿يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر﴾ فامرهم بالزاد، ورخص لهم في الركوب والمتجر.

٢٨- ليحضرُوا ويحققوا منافع لهم في الدين والدنيا بممارسة التجارة وغيرها، ويذكروا اسم الله عند ذبح الهدايا والضحايا في أيام معلومات هي أيام التحرير يوم العيد وأيام التشريق الثلاثة التي بعده، يذكرون اسم الله عند ذبح ما رزقهم الله من الإبل والبقر والغنم، فكلوا من لحومها، فيستحب أكل شيء قليل من المتطوع به دون الواجب، وأطعموا الذي أصابه شدة الجوع وشدة الفقر، والأمر بالإطعام للوجوب.

٢٩- ثم ليزيلوا أسوأهم بسبب طول الشعر والظفر، وليوفوا ندورهم التي ينذرونها في الحج وغيره، وليطوفوا طواف الإفاضة والوداع لإتمام التحلل، بالبيت الذي هو أقدم بيت بني للعبادة، وأعتقه الله من تسلط أي جبار عليه.

٣٠- ذلك المذكور من أعمال الحج من حرمت الله: وهي ما يجب القيام به، ويحرم التفريط به، ومن يعظم حُرُمات الله، أي شعائره وتكائيفه وأحكام دينه، فالتعظيم خير له عند ربه في الآخرة، وأحلت لكم الأنعام (وهي الإبل والبقر والغنم) إلا ما يحرم تناول شيء منها كالميتة وغيرها، فاجتنبوا النجس معنوياً من الأصنام، واجتنبوا قول الباطل من الكذب والبهتان والشرك بالله وشهادة الزور.

وهذوا إلى الطيب من القول، وهذوا إلى صراط آل حبيد ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يُلْطَمُ نَذْقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ وإذ بؤنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهرت بي للظائفين والظائمين والركع السجود ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَنْبَاءِ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرًا لَقِينًا ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ذَاكَ وَمَنْ يُعْظِمْ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُسَلِّ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿



حُفَاءَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ
السَّمَاءِ فَطُفِقَهُ أَطِيرٌ أَوْ يَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ بَحِينٍ ﴿٣١﴾
ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرُ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ نَقَوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ
فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ جُعِلَتْهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَنِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ
أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَسْجِدًا لِّذِكْرِهِمْ وَأَسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقْنَاهُمْ
مِنْ بَرَكَةٍ الْأَنْعَمُ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ
الْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ
وَالصَّادِقِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقْبِلِي الصَّلَاةِ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ
يُفْقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَا لَكُمْ مِنْ شَعِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ
فَاذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجِيتُ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا
وَأَطِيعُوا أَمْرَ النَّاقِ وَالْمَعْرُودَ ذَلِكَ سَخَرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لَهَا خَوْفًا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنْ يَبَالَ اللَّهُ
الْتَقَوَى مِنْكُمْ ذَلِكَ سَخَرَهَا لَكُمْ لَذِكْرِهِمْ وَاللَّهُ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ
وَبَشِّرِ الْحَسَنِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا
إِنَّ اللَّهَ لَا يُبَيِّتُ كُلَّ حَوَانٍ كَقَوْلِهِ ﴿٣٨﴾

٣١- مخلصين الدين لله، بعيدين عن الباطل، غير
مشركين بعبادة الله شيئاً - وهو تأكيد لما قبله - ومن يشرك
بالله، فكأنما سقط من السماء، فمات، فتخطف الطير
لحمه بسرعة، أو ترمي به الريح في مكان بعيد.

٣٢- ذلك المذكور، ومن يعظم أعلام دين الله
وأحكامه، ومنها الهدى ومناسك الحج والمساجد
والعبادات، فإن تعظيم شعائر الله من خشية الله وأفعال
المتقين.

٣٣- لكم منافع في الشعائر: وهي ما جعل الله
تعظيمها علامة على رضاه، وهي الهدايا من الأنعام،
والانتفاع بها بالركوب والدّر والنسل والصوف وغير
ذلك إلى وقت نحرها، ثم مكان ذبحها الذي يحل فيه
النحر عند البيت العتيق: وهو هنا جميع الحرم.

٣٤- ولكل أهل دين سابق أو جماعة متدينة،
خصصنا متعبداً ومكاناً تدبح فيه القرابين أو الذبائح
تقرباً إلى الله تعالى، ليذكروا اسم الله وحده على ما
رزقهم من الإبل والبقر والغنم، فالهكم المعبود هو إله
واحد، فله انقادوا وأخلصوا العبادة والطاعة، وبشّر
المطيعين الخاشعين للمخلصين.

٣٥- وهؤلاء المطيعون المتواضعون: هم الذين إذا
ذكر الله خافت وخشعت قلوبهم، وحذرت مخالفته،
والصابرون على ما أصابهم من البلياء والمحن، والمؤدون الصلاة بأركانها في أوقاتها، ويتصدقون بما رزقناهم في
وجوه الخير. وقوله ﴿والصابرين﴾ أي وأخلص.

٣٦- وجعلنا من شعائر الله (أعلام دينه) الإبل ونحوها من البقر وغيرها المهداة إلى البيت الحرام، لكم فيها نفع
في الدنيا والآخرة، فاذكروا اسم الله عليها عند نحرها أو ذبحها، بأن تقولوا: الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر،
الله منك واليك، قائمة قد صُفّت قوائمها؛ لأنها تنحر قائمة معقولة إحدى يديها بأن ترفع بالعقل، فإذا سقطت على
الأرض بعد نحرها وكشط جلدها، فكلوا منها إن شئتم، وأطعموا الفقير الذي يرضى بما عنده ولا يسأل الناس،
والسائل المتعرض. مثل ما وصفنا من نحرها قياماً، سخرناها وذللناها لكم مع عظمتها وقوتها، لتشكروا هذه النعمة
التي أنعم الله بها عليكم.

٣٧- لن ترفع ولن تصل إلى الله لحومها ودمائها، ولكن يصل إليه التقوى، ويقبل ويجازي على تقواكم،
وخوفكم من الله وعملكم الصالح مع الإيمان، وهكذا سخرها الله لكم، لتعظموا الله وتشكروه على ما أُرشدكم إليه
لدينه وشرعه، وتعليمكم كيفية التقرب بهذه الذبائح، وبشّر أيها النبي بالجنة الذين أحسنوا طاعة ربهم، وصدر
عنهم الخير لوجه الله تعالى.

٣٨- إن الله يدافع عن المؤمنين غوائل المشركين، إن الله لا يرضى عن كل كثير الخيانة لأمانته، كثير الكفر لنعمته،
أي إنه يعاقبهم على خيانتهم وكفرهم. نزلت بسبب المؤمنين لما كثروا بمكة، وأذاهم الكفار، وهاجر من
هاجر إلى أرض الحبشة، وأراد بعض مؤمني مكة أن يقتل من أمكنه من الكفار، ويغتال ويغدر ويحتال.

وَسَتَجْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ تُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا
عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مَّا تَعُدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قُرْبَةٍ
أَمَلَيْتُمْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ شَاءَ أَخَذْنَاهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٥٨﴾
قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا كُفْرٌ بَذَرْتُ فِيَّ فَأَلَذِّنْ
ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٩﴾
وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ
﴿٦٠﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا
تَمَنَّيَ الْوَالِي الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ
ثُمَّ يُخَيِّرُ اللَّهُ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦١﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي
الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ
وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٦٢﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا
آيَاتِنَا أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخَفَّيْ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ
وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٣﴾
وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِئَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ
السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيبٍ ﴿٦٤﴾

٤٧- ويستعجلك أيها النبي مشركو مكة بما
توعدتهم به من العذاب، على سبيل الاستهزاء
والسخرية، وإن يوماً عند ربك من أيام الآخرة
بسبب العذاب، يقلل بألف سنة مما تعدون أو
تحسبون في الدنيا، واليوم والألف سواء بالنسبة
لقدره الله تعالى.

٤٨- وكم من قرية أهلك أهلها وهم ظالمون
أنفسهم بالكفر، مثلكم أيها الكفار، ثم أخذتهم
بالعذاب، وإلى حكمي المرجع بعد الهلاك.

٤٩- قل أيها النبي: يا أيها الناس في مكة
وغيرها، إنما أنا لكم منذر واضح ومخوف من
عذاب الله إن بقيتم على الكفر.

٥٠- فالذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا صالح
الأعمال التي أمر الله بها، لهم مغفرة للذنوبهم،
ورزق كريم في الآخرة وهو الجنة.

٥١- والذين اجتهدوا في محاربة القرآن وإبطال
تعاليمه، ظانين أنهم يعجزوننا ويغلبوننا ويفوتونا
بإنكار البعث والقيامة، أولئك هم سكان النار
الموقدة.

٥٢- وما أرسلنا من قبلك أيها الرسول من
رسول بشريعة جديدة يدعو الناس إليها، أو نبي

مبعوث لتقرير شرع سابق، كأنبياء بني إسرائيل بين موسى وعيسى عليهم السلام إلا إذا قرأ آيات الله، ألقى
الشیطان في قراءته ما ليس في قراءته الموحى بها، مما يرضاه المرسل إليهم، فيبطل الله ما يلقى الشيطان من
الوساوس، ثم يثبت الله آياته ويحفظها من التبديل، والله واسع العلم بما يوحى إلى أنبيائه وبأحوال الناس،
وما يلقى الشيطان، حكيم في تدبير أمور خلقه وفيما يفعله بهم. نزلت في بعض الروايات المرسل غير
المسندة حينما قرأ النبي ﷺ في سورة [النجم ٥٣/ ١٩- ٢٠]: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ
الثَّالِثَةَ الْآخَرَى﴾ ألقى الشيطان كلمتين مقلداً صوت النبي: (تلك الغرائق العلل)، وإن شفاعتهم
لترجى، والغرائيق: الأصنام، أو الملائكة، هم الشفعاء. قال ابن خزيمة: إن هذه القصة من وضع
الزنادقة.

٥٣- ليجعل الله ما يلقى الشيطان من الوسوس محنة وابتلاء للذين في قلوبهم شك ونفاق، وللکفار
والمشركين قساة القلوب عن قبول الحق، وإن الظالمين لأنفسهم بالنفاق أو الشرك في خلاف شديد مع الحق
والرسل وبتعد كبير عنهما، حتى صار كل فريق في شق لا يجتمعان.

٥٤- وليعرف أهل العلم المجردون عن التعصب والعناد أن القرآن هو الحق النازل من عند الله، لا تبديل فيه
ولا تغيير، فيؤمنوا بالقرآن وبالله، أو يثبتوا على إيمانهم، فتخشع له قلوبهم وتتقاد، وإن الله لوفى ومرشد
المؤمنين إلى طريق قويم، لا عوج فيه.

٥٥- ولا يزال الكفار في شك من هذا القرآن، حتى تأتيهم القيامة فجأة، أو يأتيهم عذاب يوم لا خير فيه
لهم، متفردين عن سائر الأيام لشدة، وهو يوم القيامة، ووصف بأنه عقيم؛ لأنه لا يوم بعده.

٥٦- السلطان القاهر والتصرف التام لله وحده يوم القيامة، يقضي بين الناس جميعاً، فالذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا صالح الأعمال التي أمر الله بها، لهم جنات النعيم مستقرون فيها على الدوام.

٥٧- والذين كفروا بالله ورسله، وكذبوا بآيات الله في كتبه ومنها القرآن، لهم يوم القيامة عذاب مذل بالغ الإهانة.

٥٨- والذين هاجروا وتركوا أوطانهم من مكة إلى المدينة من أجل طاعة الله ورضوانه، ثم قتلوا في معركة في الجهاد، أو ماتوا في دار الهجرة، ليرزقهم الله رزقاً حسناً في الآخرة وهو الجنة، وإن الله هو خير الرازقين أو المعطين؛ فإنه يرزق بغير حساب.

٥٩- ليدخلهم ربهم إدخالاً مرضياً أو موضعاً يرضونه وهو الجنة، وإن الله واسع العلم بنياتهم وأحوالهم ودرجاتهم، كثير الحلم لا يعاجلهم بالعقوبة ولا يؤاخذهم بما فرط منهم.

٦٠- الأمر هو ذلك، ومن جازى الظالم بمثل ظلمه، ثم عاد إلى إلحاق الظلم بالظالم الأول، لينصرن الله المظلوم في هذه المرة على الباغي، إن الله كثير العفو عن المؤمنين، واسع المغفرة لهم. نزلت في شأن فئسة من المشركين قاتلوا سرية من المسلمين في الشهر الحرام، بالرغم من مناشدة الصحابة ألا يقاتلهم المشركون، فأبوا ذلك، فقاتلهم المسلمون، وانتصروا عليهم.

الْمَلِكُ يُوعِظُكَ اللَّهُ بِحُكْمِ رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ٥٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٥٧ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لِرِزْقِهِمْ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ٥٨ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ٥٩ لِيَدْخُلَنَّهُمْ مِذْخَلَ الْجَنَّةِ يُرِزْقُونَ ٦٠ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ٦١ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ مُنْجًى عَلَيْهِ لِيَنْصِرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ ٦٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ الْأَيُّلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَيِّسُ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ٦٣ بَصِيرٌ ٦٤ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَيُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ٦٥ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ٦٦ لَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ ٦٧

٦١- ذلك النصر بسبب أن الله قادر على كل شيء، فهو الذي يدخل كلاً من الليل والنهار في الآخر، بأن يزيد به وينقص الآخر، ويغلب بعض الأمور على بعض، وأن الله دقيق السمع مديد البصر، يسمع كل قول، ويبصر كل فعل.

٦٢- ذلك الاتصاف بالقدرة الكاملة والعلم التام لله تعالى، لأجل أن الله هو الحق، أي الوجود الثابت الواجب لذاته، وأن ما يعبدون من دونه من الآلهة كالأصنام هو الباطل المعدوم الزائل؛ لأنه لا يملك ضرراً ولا نفعاً، وأن الله هو المتعالي على كل شيء بقدرته وعظمته، الكبير العظيم عن أن يكون له شريك.

٦٣- ألم تعلم أن الله أنزل من السحاب مطراً. والسماء: كل ما علا من الأجرام والكواكب. فتصبح الأرض مخضرة بالنبات، إن الله لطيف بعباده، يصل علمه إلى كل دقيق وجليل، خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة، والنوايا والأحوال.

٦٤- ألم تعلم أن الله أنزل من السحاب مطراً. والسماء: كل ما علا من الأجرام والكواكب. فتصبح الأرض مخضرة بالنبات، إن الله لطيف بعباده، يصل علمه إلى كل دقيق وجليل، خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة، والنوايا والأحوال.

٦٥- له جميع ما في السموات والأرض خلقاً وملكاً، وإن الله هو الغني في ذاته عن كل شيء، فلا يحتاج لأحد، المستحق للحمد في كل حال.



٦٥- ألم تعلم أن الله ذلّل لكم جميع ما في الأرض من جماد ونبات وحيوان لمنفعتكم، وذلّل لكم السفن في حال جريها في البحر، بإذنه ومشيته، ويحفظ السماء من وقوعها على الأرض إلا بأمره وقدرته، إن الله بالناس لشديد الرأفة بعباده، واسع الرحمة بهم.

٦٦- والله هو الذي أحياكم بالإنشاء بعد أن كنتم جماداً: عناصر ونطفاً، ثم يميتكم عند انتهاء أجالكم، ثم يحييكم في الآخرة عند البعث، إن الإنسان لجحود للنعم حين ترك توحيد الله تعالى.

٦٧- لكل أمة جعلنا شريعة وعبادة يكلفون بها، هم عاملون بها، فلا يصح أن ينزعوك- أي المشركون- في أمر الدين، ومنه الذبائح، وادع إلى توحيد ربك وعبادته، إنك لعلي دين قوم. نزلت حين قال مشركو خزاعة: ما لكم تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتله الله؟!

٦٨- وإن جادلوك المشركون بعد ظهور الحجة

عليهم في أمر الدين، فقل أيها النبي: الله أعلم بما تعملون، أي فوكل أمرهم إلى الله، وهذا وعيد لهم.

٦٩- الله يفصل بين المؤمنين والكافرين فيما اختلفوا فيه من أمر الدين، ليعلم الحق من المبطّل.

٧٠- أما قد علمت أيها النبي أن الله يعلم كل شيء في السماء والأرض، ومنه الخلافات القائمة، إن ذلك العلم المحيط بما ذكر من معلومات الله مدوّن في كتاب هو اللوح المحفوظ، وإحاطة علمه بجميع الأشياء أمر يسير عليه، لا صعوبة فيه، فسبحانك يا رب هذا دليل ألوهيتك، فنحن لا نعلم شيئاً ما وراء جدار مجاور لنا مثلاً!!

٧١- ويعبد المشركون أصناماً من دون الله، لا حجة فيها ولا برهان من الله، ولم يقم عليها دليل علمي ولا عقلي، وليس للكافرين من ناصر ينصرهم، يقرر مذهبهم أو يدفع عنهم العذاب.

٧٢- وإذا تتلى على المشركين آيات القرآن وأصحاح الدلالة على توحيد الله، تظهر على وجوه الكفار علامات الإنكار والغضب والكره الدالة على إرادة الفتك بالغير، يكادون يبطشون بالنبي وبالْمؤمنين الذين يتلون عليهم آياتنا من شدة الغيظ، قل لهم أيها الرسول: أفأخبركم بشر من غيظكم على تالي آيات الله؟ هو النار التي وعدها الله الكافرين بأن مصيرهم إليها، جزاء كفرهم، وبئس المصير هي النار.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَآئِكُ تَحْرِي
فِي الْخَرِبِ بِأَمْرِهِ وَيُسَبِّحُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ
إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي
أَنبَأَكُمْ أَنَّكُمْ تُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ لَكَنُفُورٌ ﴿٦٦﴾
لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُبْزَعُ عَنْكَ
فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٧﴾
وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي
كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لَمْ يَكُنْ لِيُنْزِلْ
مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تَنَادَى الْمُتَنَبِّهَةُ ابْنَتَا نَعْرِفُ
فِي وَجْهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالْمُنْكَرُ بَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ
يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ تُبْزَعُونَ مِنْ ذَلِكَ كُمْ
النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

٧٣- يا أيها الناس من أهل مكة وغيرهم بين وأبرز لكم مثال رائع وكلام بديع، فاستمعوا لهذا المثل سماع تدبر وتفكر، إن الذين تعبدون من دون الله وهي الأصنام، لن يقدرُوا على خلق ذباب مع صفه، ولو اجتمع جميع المعبودات لهذه المهمة، وإن يأخذ من هذه المعبودات الذباب شيئاً كالطيب والزعران لا يقدرُون على استرداده منه لعجزهم، ضَعُف الصنم الطالب خَلَقَ الذباب، أوردَ المسلوب، والمطلوب وهو الذباب السالب، أو عابد الصنم والصنم المعبود.

٧٤- ما عظم المشركون الله حق عظمت، ولا عرفوه حق المعرفة، حيث أشركوا به هذه الأصنام العاجزة، إن الله لقادر تام القدرة، غالب لا يقهره أحد.

٧٥- الله يختار من الملائكة رسلاً مبهمات معينة مثل جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، ويختار من الناس أناساً وهم الأنبياء لهداية الناس، إن الله سميع لقلاتهم، مدرك للأشياء كلها، بصير بالأفعال ويعين يتخذ رسولاً.

يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذَّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْكُرُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْحِرُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَثَلًا لِبَعْضِ الْأَهْلِ الْأَيْمِ هُوَ يَمُوتُ مِنْكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لَبِئْسَ لِرَسُولِ اللَّهِ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾



٧٦- يعلم الله كل ما قدموا وما آخروا، وعملوا ويعملون من أعمال، وإلى الله مرجع الأمور كلها

٧٧- يا أيها المؤمنون صلوا الله الصلاة التي شرعها الله لكم، ووحّدوا ربكم وخصوه بالعبادة، وافعلوا ما هو خير من أداء الفرائض والنوافل ونفع الناس ومكارم الأخلاق، لتفعلوا وتفوزوا في الدنيا والآخرة.

٧٨- وجاهدوا في سبيل الله بمداغمة الأعداء جهاداً حقاً خالصاً لوجهه، هو اختاركم لدينه ولنصرة شرعه، وما جعل عليكم فيما شرعه لكم من الدين من ضيق ومشقة وشدة، بتكليفكم ما يشق عليكم، وإنما جعله سمحاً سهلاً، ورخص لكم الرخصة الشرعية الكثيرة كالقصر وجمع الصلاتين، والفطر في رمضان للمسافر والمريض، والتيمم، وأكل الميتة وغيرها من المحرمات للضرورة، وإن تلك الشريعة الميسرة هي شريعة أبيكم إبراهيم - وإنما جعل أياً للمسلمين؛ لأنه أبو رسول الله ﷺ أي جده، والرسول كالآب في الشفقة على الأمة - فاتبعوها والزموها، الله سماكم المسلمين على لسان إبراهيم حين دعا ربه قائلاً: . . . ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴿البقرة ١٢٨/٢﴾ من قبل القرآن في الكتب المتقدمة، وفي القرآن سماكم أيضاً المسلمين، وسماكم ليكون الرسول محمد ﷺ شاهداً عليكم يوم القيامة بتبليغه الرسالة إليكم، وتكونوا شهداء على الناس أن رسلكم قد بلغتهم رسالات ربهم، فواظبوا على الصلاة وإيتاء الزكاة وغيرهما من الطاعات، وثقوا بالله والتجشوا إليه وتوكلوا عليه، هو ناصركم ومتولي أموركم، فنعم الناصر والنصير للمؤمنين؛ إذ لا مثل له في الولاية والنصرة.

سورة المؤمنون

فضلها: روى الإمام أحمد وغيره: أن النبي ﷺ قال: «لقد أنزل علي عشر آيات، من أقامهن - أي لم يخالف ما فيهن - دخل الجنة، ثم قرأ ﴿قد أفلق المؤمنون﴾ [١] حتى ختم العشر».

١- قد فاز المؤمنون بالنعيم الدائم. روى النسائي أن السيلة عائشة رضي الله عنها سئلت عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: كان خلقه القرآن، ثم قرأت ﴿قد أفلق المؤمنون﴾ حتى وصلت إلى قوله تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ [٥] قالت: هكذا كان خلق رسول الله ﷺ.

٢- الذين هم في صلاتهم خاضعون متواضعون متذللون لله مع خوف وسكون.

٣- والذين هم متصرفون عن اللغو: وهو كل باطل وما لا خير فيه ولا فائدة من الكلام.

٤- والذين هم لأجل تنمية الخير وتركية النفوس فاعلون كل ما يحقق ذلك: وهو ما أمرهم الله تعالى به، وليس المراد بالزكاة هنا المال؛ لأنه لا يقال: فعل فلان المال، وإنما يقال: فعل الإحسان، وفعل الشر.

٥- والذين هم يحافظون على فروجهم من الحرام، بالتعفف عنه وكف النفس عن اقتراحه. والفرج: سواء الرجل والمرأة.

٦- إلا على زواجهم بعقد زواج مشروع، أو ما ملكت أيماهم من الإمام أو السراي حينما كان الرق شائعاً في الماضي، ومصدره الحرب واسترقاق الإمام للنساء معاملة بالمثل، فهم غير ملومين في الاستمتاع بهن، ففي الزواج يملك الزوج المتعة بالعقد، والإمام يملك الرقية والمتعة والمتعة.

٧- فمن طلب غير ذلك من الزوجات والسراي، فهم المعتدون المجاوزون حدود الله تعالى.

٨- والذين يراعون الأمانة والعهد ويحفظون ذلك، والأمانة: كل ما يوئى الإنسان عليه من التكليف الشرعية أو الودائع المالية، والعهد: كل ما يلتزم الإنسان الوفاء به، من جهة الله كالصلاة، أو من جهة عباده كالمعامات.

٩- والذين هم يحافظون على صلواتهم بإتمام أركانها وأدائها في أوقاتها.

١٠- أولئك الجامعون لهذه الصفات هم وارثو الجنان.

١١- الذين يربون الفردوس: أعلى الجنة، هم مقيمون فيها على الدوام، لا يخرجون منها.

١٢- ولقد خلقنا جنس الإنسان من خلاصة ماء، مستلة من التراب في الأصل.

١٣- ثم جعلنا نسل الإنسان من طريق نقطة (مني) ملقاة في رحم المرأة لتستقر فيه.

١٤- ثم خلقنا النطفة وصيرناها قطعة دم جامد، ثم صيرناها قطعة لحم صغيرة، ثم صيرناها قطعة اللحم عظاماً، ثم كسونا العظام لحماً بأن أنبأنا على كل عظم لحماً بمقدار يناسبه، ثم أنشأناه بعد صيرورته جنيناً متكامل الخلق خلقاً آخر ينفخ الروح فيه وولاده حياً، فتعاطف وتقدس الله في قدرته وحكمته أحسن المقدرين الصائمين. والخلق يطلق على الإيجاد والتقدير، والمراد هنا الثاني.

١٥- ثم إنكم أيها البشر بعد مراحل النشأة والحياة ليموتون عند انقضاء الأجل.

١٦- ثم إنكم تبعثون يوم القيامة للحساب والجزاء.

١٧- ولقد خلقنا فوقكم سبع سموات، طُورق بعضها فوق بعض، وما كنا غافلين عن حفظ هذه السموات من السقوط.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَائِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعَصِّمُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْبَارُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرارٍ مُكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عِلْفَةً خَلَقْنَا الْعِلْفَةَ مُمِصَةً خَلَقْنَا الْمُصْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْيَظْلَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكْنَا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَنَسُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ فَوَكَّمْ سَبْعَ طَرَائِقٍ وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

١٨- وأنزلنا من السماء ماءً بقدرٍ فأسكنه في الأرض وإن على ذهابٍ به لقرودون ﴿١٨﴾ فأنشأنا لكم به جث من نخيل وأعنب لكم فيها فواكه كثيرةً ومنها تأكلون ﴿١٩﴾ ونجرةً تخرج من طور سيناء تنبت بالذهن وصنع للأكليين ﴿٢٠﴾ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرةً ومنها تأكلون ﴿٢١﴾ وعليها وعلى الفلك نجحون ﴿٢٢﴾ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يقرءو عبادي الله ما لكم كبراً في هذه الغنات فواكه كثيرةً مختلفة الألوان والأنواع، ومن ثمارها تنتفعون أكلاً وشراباً، وطباً وياساً، صيفاً وشتاء، فالمراد من الأكل هنا: الانتفاع والارتقاء.

١٩- فأوجدنا لكم بالماء بساتين من نخيل وأعناب، وهما أكثر فواكه العرب، لكم في هذه الجنات فواكه كثيرةً مختلفة الألوان والأنواع، ومن ثمارها تنتفعون أكلاً وشراباً، وطباً وياساً، صيفاً وشتاء، فالمراد من الأكل هنا: الانتفاع والارتقاء.

٢٠- وأنشأنا بهذا الماء شجراً مباركاً، وهو شجر الزيتون الذي يخرج في طور سيناء (طور سينين) عند مناجاة موسى ربه، يخرج منه زيت الاستصباح، وزيت الأكل ليدهن به، وينتفع به إداماً للأكليين.

٢١- وإن لكم في الإبل والبقر والغنم لعظة تعتبرون بها وتستدلون بها على القدرة الإلهية، نسقيكم مما في بطونها لبناً طيباً، ولكم فيها منافع كثيرة في ظهورها وأصوافها وأوبارها وأشعارها وغير ذلك، ومنها تأكلون اللحوم والأسمان.

٢٢- وعليها وعلى السفن يحملون في الأسفار والتنقلات إكمالاً للنعمة، والركوب عادة يكون على الإبل دون باقي الأنعام من البقر والغنم، ولا مانع من عود الضمير على بعض مشتملات الكلام السابق.

٢٣- ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه الوثنيين، لدعوتهم إلى توحيد الله وعبادته، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، ليس لكم إله يستحق العبادة غيره، أفلا تخافون عذابه؟

٢٤- فقال أشراف قومه الكفار لأتباعهم: ليس نوح إلا مثلكم من البشر العادين، يريد بما يدعي من النبوة أن يكون له التفضل والسيادة عليكم حتى تكونوا أتباعاً له، ولو شاء الله إرسال رسول لهداية البشر لأرسل ملائكة، ما سمعنا بهذا الذي دعا إليه نوح من التوحيد، وكونه من البشر، في الأمم الماضية.

٢٥- ما نوح إلا رجل به جنون مضطرب العقل والكلام، فانتظروه إلى زمن لعله يفيق من جنونه أو يموت.

٢٦- قال نوح: يا رب انصرنني على قومي بسبب تكذيبهم إياي، بأن تهلكهم.

٢٧- فأوحينا إلى نوح: أن اصنع السفينة بحفظنا ورعايتنا، وإرشادنا وتعليمنا إياك، فإذا جاء أمرنا بنزل العذاب بهم وإهلاكهم، وفار نبع الماء من مكان خبز الخباز: وهو بيت النار الذي ينضج به الخبز، فادخل في السفينة من كل نوع من أنواع الحيوان صنفين: ذكر وأنثى، ليستمر توالد الحيوان وتبقى الحياة في الأرض، وادخل أيضاً أهل بيتك ومن آمن معك إلا من تقرر إهلاكه لكفره، أي سبق القضاء بهلاكه، ولا تشفع في الذين كفروا بترك إهلاكهم، إنهم مغرورون حتماً، لظلمهم بالإشراك والمعاصي.

٢٨- فإذا اعتدلت بركوبك في السفينة وصعدت إليها أنت ومن معك، فقل: الحمد لله الذي خلصنا من شر القوم الكافرين.

٢٩- وقل عند نزولك من السفينة: رب أنزلني إنزالاً مباركاً أو مكاناً فيه خير والبركة، وأنت خير المتزئين المكرمين عبادك.

٣٠- إن في قصة نوح عليه السلام المذكورة لدلالات على كمال قدرة الله تعالى، وعبراً وعظات وإن كنا لمختبرين عبادنا ومنهم قوم نوح بالآيات وإرسال الرسل، أي نعاملهم معاملة المختبرين ليظهر المطيع من العاصي.

٣١- ثم أوجدنا من بعد إهلاكهم قوماً آخرين، هم عاد قوم هود.

٣٢- فأرسلنا فيهم رسلاً من جنسهم، هو هود عليه السلام، قائلاً لهم: اعبدوا الله وحده، ما لكم من إله مستحق العبادة غيره، أفلا تخافون عقاب الله، فتركوا عبادة غيره، والإشراك به، أفلا تتقون عقابه، فتؤمنوا.

٣٣- وقال أشرف قومه ورؤسائهم الذين كفروا بالله ورسوله، وكذبوا بالمصير إلى الآخرة وما فيها من ثواب وعقاب، ونعمناهم ووسعنا عليهم وجعلناهم في ترف وسعة من الرزق وكثرة الأولاد في الحياة الدنيا، حتى بطروا: ما هود هذا الذي يدعي النبوة إلا من جنسكم من البشر، يأكل من أكلكم، ويشرب من شربكم، ولو أرسل الله رسلاً لجعل له ملكاً.

٣٤- والله لئن أطعتم بشراً مثلكم فيما يأمركم به وينهاكم عنه، وتركتم عبادة أللهتكم، إنكم إذا أطعتموه لمعبونون في آرائكم، حيث أذلتكم أنفسكم لأمثالكم.

٣٥- أيعدكم هود أنكم إذا متم وأصبحتم تراباً وعظاماً نخرة لا لحم فيها أنكم مبعوثون من قبوركم أحياء؟!

٣٦- بعداً بعداً- أي بعد البعث بعد الموت- لما توعدون من الإخراج من القبور والبعث والحساب، والمراد إنكار البعث وأذى النفس فيما بعد مئات السنين. ولأم ﴿لما﴾ هي لام البيان، تبين مرجع الضمير وهو البعث.

٣٧- لا حياة إلا حياة الدنيا التي نعيشها، يموت بعضنا ويولد بعض آخر، ولسنا نحن مبعوثين بعد الموت.

٣٨- ما هو إلا رجل اختلق على الله كذباً، ولسنا بمصدقين له في رسالته وأدعائه البعث بعد الموت.

٣٩- قال هود: رب انصرنني عليهم بسبب تكذيبهم إياي.

٤٠- قال الله: بعد زمان قليل ليصيرن نادمين على كفرهم وتكذيبهم عندما يرون العذاب.

٤١- فأخذتهم صيحة العذاب وهي صوت شديد مهلك، باستحقاقهم العقاب بكفرهم، وبالوجه الثابت عدلاً، فصيرناهم هلكى كغشاء السيل: وهو ما يحمله من الورق والعيدان اليابسة، فبعداً من الرحمة وهلاكاً للقوم الكافرين المكذبين.

٤٢- ثم أوجدنا من بعد إهلاكهم أقواماً آخرين، وهم قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم.

فَإِذَا أُنْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكَ فَقُلْ أُحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَّصَنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُزْلاً مُبَارَكاً
وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا
لَمُتْلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا
فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَأَقْلَا
تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنَ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
الْآخِرَةِ وَأُتِرْ قَوْمُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ
مِمَّا كَلُونا مِنْهُ وَيَشْرِبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا
مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا خَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَتَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُمْ وَكُنْتُمْ
تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ تُحْيَوْنَ ﴿٣٥﴾ هَٰهُنَا مِهَاتٌ لِمَا
تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ
بِمُبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ
﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كُنْتُ بَشَرًا ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصِيبُ
نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَعَلَّاهُمْ غَاشًّا فَبَعَدَا
لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾



٤٣- ما تتقدم كل أمة الأجل المقرر لهلاكها، ولا تتأخر عنه.

٤٤- ثم أرسلنا رسلنا، يتبع بعضهم بعضاً، كلما جاء رسول إلى أمته كذبه ولم يصدقوه برسالاته، فأتبعنا بعضهم بعضاً في الإهلاك، وجعلناهم أحاديث للعبرة: وهي ما يتحدث الناس به لغرابته، فيبعدوا عن رحمة الله وهلاكاً لقوم لا يصدقون برسالات الرسل.

٤٥- ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بالمعجزات التسع المذكورة في [الأعراف ١٣٣/٧] وهي الجراد، والدم، والسنون، ونقص الثمرات، والطوفان، والقمل (حشرة تتلف الزرع) والصفادع، والطمس على الأموال، والطبع على القلوب، وأرسلناه أيضاً بحجة واضحة ملزمة للخصم على وحدانية الله، والسultan: صفة للآيات.

٤٦- أرسلناهما إلى فرعون وكبار قومه، فاستكبروا عن الإيمان، وكانوا قوماً مستعدين على الناس بالبغي والظلم.

٤٧- فقال فرعون وقومه: أنسلّم لبشرين مثلنا ما يقولان، وقومهما لنا مطيعون متقادون انقياد العبيد؟!

٤٨- فكذبوا موسى وهارون، فكانوا بسبب تكذيبهم من المهلكين بالفرق في البحر.

٤٩- ولقد آتينا موسى التوراة لعل بني إسرائيل يهتدون بها إلى الحق والشرائع والأحكام، ويعملون بها.

٥٠- وجعلنا عيسى ابن مريم وأمه دليلاً على كمال قدرتنا، وأنزلناهما في بقعة مرتفعة من الأرض، فيها أسباب الاستقرار من الزرع والثمار، وفيها ماء جارٍ ظاهر للعين.

٥١- وقلنا: يا أيها الرسل، كلوا مما يستطاب ويستلذ من المباحات، واعملوا عملاً صالحاً موافقاً للشرعية من فرض ونقل، إني عليم بأعمالكم، لا يخفى علي منها شيء.

٥٢- وإن هذه ملة الإسلام ملتكم ودينكم وشريعتكم، وهي دين واحد أيها المخاطبون، وهي شريعة توحيد الله، فاتقوا الله وحده وخافوا عقابه، بأن تشركوا به غيره.

٥٣- فقطع الأتباع دينهم قطعاً، وتفرقوا فرقا مختلفة، وأصبحوا طوائف، كل جماعة معجبون، مسرورون بما لديهم من الدين.

٥٤- فآثرهم في جهلهم وغفلتهم إلى وقت موتهم وعذابهم في النار.

٥٥- أيقنون أن ما نعطيهم في هذه الدنيا من الأموال والأولاد؟

٥٦- نمجّل لهم به تكريماً وتحقيقاً لخيرهم؟ لا نفعل ذلك، بل إنما نستلجهم ليزدادوا إثماً، وهم لا يشعرون. والمعنى: أيقنون أن الذي نمدّهم به نسارع لهم به فيما فيه خيرهم وإكرامهم؟ الأمر عكس ذلك، فنحن لا نسارع لهم في خير، بل هم لا يشعرون بأننا نستلجهم ليزيدوا في غيهم، فيزيد عذابهم.

٥٧- إن الذين هم من خشية عذاب ربهم شديدو الخذر، فلا يفعلون ما يغيضه تعالى.

٥٨- والذين هم يصدقون بآيات ربهم المنزلة في القرآن المجيد، وبآيات الكونية في الأنفس والسموات والأرض.

مَا نَسِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَهْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ١ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا
نُزِّلًا كُلَّ لَهْجَةٍ أُمَّةً وَرَسُولًا لَكُلِّ يَوْمٍ فَأَتَيْنَا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ
وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ٢ ثُمَّ أَرْسَلْنَا
مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ٣ إِلَى فِرْعَوْنَ
وَمَلَائِكِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ٤ فَقَالُوا أَتُؤْمَرُ
بِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ ٥ فَكَذَّبُواهُمَا فَكَانُوا
مِنَ الْمُهْلَكِينَ ٦ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ٧
وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَآلَهُ إِهْدَى وَأَوْرَثْنَاهُمَا إِلَى رُبُوعٍ ذَاتِ
قَرَارٍ وَمَعِينٍ ٨ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا
صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ٩ وَإِنْ هَذِهِ أُمَّةٌ وَجَدْتُمْ
وَأَنَا ذِكْرُكُمْ فَاتَّقُونِ ١٠ فَفَقَطَّوْا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ
حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ١١ فَذَرْنِي فِي عَذَابِهِمْ حَتَّى أَجِيءَ
أَبْحُسُونَ ١٢ إِنَّمَا يُدْرِكُ مِنْ مَمَلِكٍ وَبَيْنِي ١٣ نَسَارِعَ لَهُمْ
فِي الْخَفَرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ١٤ إِنْ الَّذِينَ هُمْ مِنْ حُسْبِيَّةٍ رَبِّهِمْ
مُشْفِقُونَ ١٥ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ١٦

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ رَبِّهِمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُوْتُونَ مَاءً آتَاوْا
وَقُلُوبُهُمْ وَجْهَةً أَنْهَهُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ
فِي الْقُرْبَاتِ وَهُمْ لَا سَافِهُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تَكُلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا
وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَبْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ
فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَٰذَا وَلَمْ أَعْمَلْ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ
﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٤﴾
لَا جُنْدَ لَنَا الْيَوْمَ بِكُمْ إِنَّا لَنُصْرُونَ ﴿٦٥﴾ فَذَكَرْنَا عَائِلَتِي
نُنْزِلُ عَلَيْكُمْ فَنَكُتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُكْصِبُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ
بِهِ سَمِيرًا يَجْعَرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَذَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ
آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يُنَبِّهُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ يَمْلِكُوا
﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ الْبَلَاءُ وَأَكْثَرُهُمُ الْبَلِيُّ
كِرْهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ أُنْزِلَ الْحَقُّ أَهْوَاءَ هُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَنْتَهُمُ بِنُكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ
ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خُجْرًا رُجُوكَ خَيْرٌ
وَهُوَ خَيْرٌ لِّلرَّافِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾

٥٩- والذين هم بربهم لا يشكرون، والذين هم بربهم لا يشكرون معه شريكاً آخر، شركاً جليلاً ولا خفياً، نص على ذلك بعد التصريح بالإيمان؛ لأن الشرك قد يجتمع مع الإيمان بالله تعالى.
٦٠- والذين يعطون ما أعطوا من الصدقات والزكوات، وقلوبهم خائفة ألا تقبل منهم؛ لأنهم راجعون إلى الله تعالى يوم القيامة، فيجازيهم على ما عملوا.

٦١- أولئك الموصوفون بما ذكر يبادرون إلى الخيرات، ويرغبون في الطاعات أشد الرغبة، وهم يسبقون غيرهم إلى فعلها، ولأجلها يسبقون إلى الجنة.
٦٢- ولا نكلف نفساً شيئاً من الطاعات إلا بمقدار طاقتها دون مشقة ولا حرج، فتجوز مثلاً الصلاة للمريض قاعداً أو إيماء، وللمسافر والمريض الفطر في رمضان، ولدينا صحيفة أعمال الخلق، يظهر فيها الحق الواقع، والعمل يوم القيامة، وهم لا يظلمون بنقص ثواب أو بزيادة عقاب.

٦٣- بل قلوب الكفار في غفلة عن هذا الكتاب الذي ينطق بالحق: وهو صحيفة الأعمال أو القرآن، ولهم أعمال سيئة سوى ما هم عليه من الكفر، هم عاملون بها، معتادون فعلها، فيُعذبون عليها.

٦٤- حتى إذا أخذنا بعذاب الآخرة المتنعمين منهم، وهم الأغنياء والرؤساء، إذا هم يصرخون ويضجّون مستغيثين.

٦٥- فيقال لهم: لا تصرخوا ولا تستغيثوا يوم نزول العذاب، إنكم من عذابتنا لا تنفدون ولا تمنعون منا.
٦٦- قد كانت آياتي من القرآن تقرأ عليكم، لتأملوا فيها وتؤمنوا بها، فكنتم تعرضون عن سماعها إعراضاً شديداً شنيعاً. والأعقاب جمع عقب: وهو مؤخر قدم الرجل، والنكوص: الرجوع بالظهر إلى الخلف.

٦٧- مستكبرين بالبيت الحرام على المؤمنين، وهم كفار قريش الذين كانوا يفتخرون بأنهم أهل الحرم وخدامه، سامرين، أي حال كونكم تفعلون هذه الأمور. والهُجْر: الهذيان والفضحش. قال سعيد بن جبير: كانت قريش تسمر حول البيت، ولا تطوف به، ويفتخرون به، فأنزل الله هذه الآية.

٦٨- أفلم يتدبروا القرآن الدال على صدق النبي ﷺ ويفكروا فيه ليعلموا أنه الحق من ربهم، أم (للاتنقال من توبيخ إلى توبيخ آخر) جاءهم ما لا عهد به لأبائهم الأقدمين، من الرسول والكتاب؟

٦٩- أم لم يعرفوا رسولهم بالأمانة والصدق وحسن الخلق، فهم منكرون له، مكذبون بدعواه.
٧٠- أم يقولون: به جنون، مع أنهم علموا أنه أرجح الناس عقلاً، بل (لإبطال ما قبله وإثبات ما بعده) جاءهم بالدين القويم والقرآن العظيم، وأكثرهم للحق كارهون؛ لأنه يخالف أهواءهم وشهواتهم.

٧١- ولو وافق الحق أهواءهم، وأيد القرآن رغباتهم، لفسدت السموات والأرض ومن فيهن، وبخروجها عن نظامها المشاهد، بل أتيناكم بالقرآن الذي فيه مجدهم وشر فهم، فهم عن هذا الشرف والمفخرة معرضون عنه، مهملون له.

٧٢- أم تطلب منهم أجراً على أداء الرسالة، فزرقت ربك في الدنيا وثوابه في الآخرة خير وأبقى، والله أفضل من أعطى وأثاب.

٧٣- وإنك أيها النبي لتدعو المشركين إلى دين قويم ومنهج سليم وهو دين الإسلام.

٧٤- وإن الذين لا يصلحون بالآخرة لعاطلون منحرفون عن طريق الرشاد إلى طريق الضلال.

٧٥- ولو رحمتنا هؤلاء المشركين المنحرفين، وكشفنا ما حل بهم من قحط وجذب وجوع، لتمادوا في ضلالتهم وكفرهم، يترددون ويتخطون.

٧٦- ولقد عذبناهم بالجوع الذي أصابهم في سنوات القحط أو بالقتل في بدر، فما خضعوا ولا تذللوا ربهم ولا أطاعوه، بل تمردوا، ولا يرغبون إلى الله بالدعاء ولا يخشعون له في الشدائد. قال ابن عباس: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، أنشدك بالله والرحم، قد أكلنا العلف، يعني الوبر والدم، فأنزل الله هذه الآية.

٧٧- حتى إذا جاءهم نوع من العذاب الشديد في الدنيا أو يوم القيامة، إذا هم متحирون لا يدرون ما يصنعون، يائسون من كل خير.

٧٨- والله الذي أوجد لكم السمع لتسمعوا المواعظ، والأبصار لتشاهدوا ما يدل على وحدانية الله من الآيات الكونية وتعتبروا، والقلوب والعقول لتتفكروا بها، ولكن لا تشكرون الله البتة على هذه النعم.

٧٩- والله هو الذي خلقكم ووزعكم في الأرض، وإليه تجمعون يوم القيامة بعد التفرق.

٨٠- والله هو الذي يتفرد بالإحياء والإماتة، ويستقل بتعاقب الليل والنهار، واختلافهما في الظلمة والإضاءة، وفي الزيادة والنقص، أفلا تدركون صنع الله وتفكرون في قدرته؟!

٨١- بل قال المشركون في مكة مثلاً قال آبؤهم ومن تبعهم من قبل لمن سبقك من الرسل.

٨٢- قالوا: أئذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً بآلية، أننا لمبعوثون يوم القيامة من القبور أحياء؟!

٨٣- لقد وعدنا هذا البعث نحن وآبؤنا، من قبل وعد محمد به، ما هذا إلا أكاذيب وخرافات المتقدمين التي تداولوها.

٨٤- قل أيها النبي لأهل مكة وأمثالهم: لمن الأرض ومن فيها من المخلوقات، إن كنتم على شيء من العلم، فأخبروني عنه؟

٨٥- سيقولون حتماً: هي الله، قل: أفلا تتذكرون وتتعظون؟ فتعلموا أن القادر على خلق الكون قادر على البعث.

٨٦- قل لهم أيضاً: من رب السموات السبع، ورب العرش العظيم، أي الكرسي الذي هو أعظم من ذلك؟

٨٧- سيقولون حتماً: السموات كلها لله وهو ربها، قل لهم: أفلا تحذرون عقاب الله على شرككم؟

٨٨- قل لهم كذلك: من يبيد ملك كل شيء، وهو يغيب غيره إذا شاء، ولا يغاث ولا يمنع أحد من عذاب الله ولا يستطيع أحد نصره؟ إن كنتم على شيء من العلم فأخبروني به.

٨٩- سيقولون: كل ذلك لله وحده، قل لهم: فكيف تُخدعون عن الحق كأنكم مسحورون، فتصرفون عن الرشd وطاعة الله وتوحيده؟!

وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَوِّنَنَّ لَهُمْ سِمَةً وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلِجَافِ طَغِيهِمْ يَمُوهُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكْبَرُوا لَهُمْ وَمَا يَصْرَعُونَ ﴿٧٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُجِّعَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بِأَعْدَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٦﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٩﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨٠﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨١﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٢﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٣﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نَذْكُرُ ﴿٨٤﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٥﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٦﴾ قُلْ مَنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَلَكُوتٌ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٧﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُشْرِكُونَ ﴿٨٨﴾

٩٠- بل جئنا هؤلاء المشركين بالقول الحق الثابت الذي لا شك ولا باطل فيه، للدلالة على وحدانيتنا، وإنهم لكاذبون فيما ينسبونه إلى الله من الشريك.

٩١- لم يتخذ الله ولدًا ولا شريكًا لتزهره وتقدهه عن ذلك، ولم يكن معه إله يشاركه في الألوهية والملك، ولو كان مع الله آلهة، لانفرد كل إله بما خلق واستقل به، وغلب القوي الضعيف وقهره ليوسع ملكه، كما يفعل ملوك الدنيا، تنزه الله عما يصفونه به ويكذبون من الولد والشريك، لقيام الدليل السابق على فساده.

٩٢- الله تعالى عالم كامل العلم بكل ما غاب عن الخلق وما يشاهدونه، فتعظيم الله عن أن يكون له شريك معه من أي مخلوق جماد أو غيره.

٩٣- قل أيها النبي: إن كان لا بد من أن تريني ما يوعدون به من العذاب في الدنيا والآخرة، والجواب في الآية التالية.

٩٤- رب، فلا تجعلني هالكًا مع القوم الظالمين، وأبعدني عنهم.

٩٥- وإننا لقادرون على أن نريك أيها النبي ما نعدهم به من العذاب، فلا تضجر لتكذيبهم.

٩٦- ادفع بالخصلة المفضلة الحسنة وهي الصفح

والعفو سيئتهم وأذاهم إياك، وصدّهم عن دينك، نحن أعلم منك أيها الرسول بما يصفونك به من الأوصاف الكاذبة، وسنجازيهم عليه.

٩٧- وقل أيها النبي عند المحنة أو الشدة: رب اعتصم واستجير بك من نزعات الشياطين ووساوسهم الشريرة.

٩٨- واستجير بك والجا إليك يارب من حضورهم في أموري؛ لأنهم لا يحضرون إلا للوسواس والإغراء بالشّر، والإبعاد عن الخير.

٩٩- حتى إذا جاء أحد المشركين الموت قال: يا رب رُدوني إلى الدنيا؛ لما يرى من المخاوف وسكرات الموت. وجمع ضمير (ارجعوني) فلم يقل: (ارجعني) إشارة لتكرار هذه الكلمة من شدة الفزع، أو لتعظيم الله تعالى.

١٠٠- لعلني أعمل صالحًا بتوحيد الله والقيام بالأعمال الصالحة فيما ضيعت، لارجوع، إن قوله: رب ارجعون لا فائدة فيه، ولو رُدّ لعاد لما نهي عنه، ومن أمام كل ميت حاجز مانع من الرجعة إلى الدنيا إلى يوم القيامة.

١٠١- فإذا نفخ في الصور (القرن أو البوق الذي ينفخ فيه) النفخة الثانية لقيام الساعة، فلا تفيدهم الأنساب شيئًا لاهتمام كل أحد بنفسه، ولا يسأل بعضهم بعضًا لانشغاله بنفسه ولشدة الفزع.

١٠٢- فمن ثقلت موزوناته بالחסنات من عقائد وأعمال، فأولئك هم الفائزون بالجنة والنجاة.

١٠٣- ومن خفت موزوناته بالسيئات، فأولئك الذين ضيعوا أنفسهم ولم ينفعوها، وهم ماكنون في جهنم أبدًا.

١٠٤- تحرق وجوههم النار، وهم فيها عابسون مشوهو الوجوه، كشرت شفاههم عن الأسنان.

١٠٥- ألم تكن آياتي من القرآن تقرأ عليكم في الدنيا، فكنتم تكذبون بها، وهو تأنيب شديد.

بَلْ إِلَهُهُمْ أَحَدٌ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ
وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ
عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فَعَلَلِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ إِنَّمَا سَمِعْتُ مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾
رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَى أَنْ تُرِيكَ
مَا يُعَدُّهُمُ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ أَذْفَعُ بِالَّذِي هُوَ أَحْسَنُ السَّنَنِ نَحْنُ أَعْلَمُ
بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ
﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ
الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا
إِنَّمَا كَلِمَةٌ مَوْقَافًا لَهَا مِنْ وَرَائِهِمْ بَرْحٌ وَإِلَى يَوْمٍ يَنْبَعُثُونَ ﴿١٠٠﴾
فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا تَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾
فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِقُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ
مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ
خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ نَلْفَخُ وجُوهَهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالْحِجْنِ ﴿١٠٤﴾
أَلَمْ تَكُنْ أَتِنَّا عَلَىٰ عِبَادِكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾

١٠٦- قال الأشقياء: ربنا غلبت علينا شقاوتنا، أي سوء العاقبة، وهي ضد السعادة، والمراد: غلبت علينا لذاتنا وأهواؤنا، وكنا قوماً تائبين عن الحق والهدى.

١٠٧- ربنا أخرجنا من النار، فلن عُنَّا إلى الكفر، فإننا ظالمون لأنفسنا.

١٠٨- قال الله تعالى: ابتعدوا تباعد سخط وذلة وهوان، ولا تتكلمون في رفع العذاب عنكم.

١٠٩- إنه كان جماعة من عبادي، وهم المؤمنون يقولون: ربنا أمانا بك وبرسلك، فاغفر لنا ذنوبنا، وارحمنا فلا تعذبنا، وأنت أرحم الرحماء.

١١٠- فاتخذتموهم مهزوءاً بهم أو موضع هزء وسخرية، حتى نسيتم ذكر الله، لانشغالكم بالاستهزاء، وكنتم تضحكون استهزاء بهم في الدنيا، وهم بلال وصهيب وعمار وسلمان.

١١١- إني جازيتهم اليوم على صبرهم على أذاكم، بالفوز في الدرجات العليا في الجنة.

١١٢- قال الله للكفار: كم لبستم أحياء في الدنيا وأمواتاً في القبور، وكم كانت مدة إقامتكم في دنياكم؟

١١٣- قالوا في الجواب: مكثنا يوماً أو بعض يوم، فاسأل الملائكة الذين يعدون ويحصون أعمار الناس، أو اسأل المتمكنين من تذكر العدد، ينبؤك بصدق ما قلنا.

١١٤- قال الله تعالى: ما لبستم في الأرض إلا لبثاً قليلاً، لو أنكم علمتم مدة مكثكم بالنسبة إلى مكثكم في النار.

١١٥- أظننتم أننا خلقناكم لعباً من غير فائدة ولا حكمة: وهي امتحان الناس وجزاؤهم يوم القيامة، وأنكم لا ترجعون إلينا بالبعث ثم بالحساب والجزاء.

١١٦- فتنزه الله تعالى عن العبث وغيره مما لا يليق به من الولد والشريك، صاحب الملك المطلق، الثابت الذي لا يزول، لا إله إلا هو رب العرش الكريم، أي الكرسي الحسن المشرف.

١١٧- ومن يعبد مع الله إلهاً آخر، لا حجة واضحة ولا دليل واضح له عليه، فلنما جزاؤه عند ربه يوم القيامة، إنه لا يظفر الكافرون بشيء من السعادة.

١١٨- وقل أيها النبي: رب اغفر لي وللمؤمنين، وارحم عبداك المؤمنين رحمة واسعة، تشمل المحسنين والمسيئين، وأنت أرحم وأفضل الرحماء.

قَالُوا رَبَّنَا عَلَّمْتَنَا شِقْوَتَنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالُوا خُشُوا فِيهَا وَلَا تَكُونُوا ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا فَرِيقَيْنِ مَنِ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذُوهُمْ سَخِرَ بَا حَتَّىٰ أُنْسُوا بِذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾ قُلْ لِمَ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا الْبَيْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ فَمَنُ الْقَادِرِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَتُوكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَلَمْ نَسْخَرِمْ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ عِبَادًا وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ لَا تَتُحْصُونَ ﴿١١٥﴾ فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْلَاحِقُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿١١٨﴾



سورة النور

فضلها: ذكر مجاهد أن رسول الله ﷺ قال: «علموا رجالكم سورة المائدة، وعلموا نساءكم سورة النور» وكتب عمر رضي الله عنه لبعض ولاته: أن تعلموا سورة النساء والأحزاب والنور.

١- هذه سورة (طائفة من آيات القرآن لها مبدأ ومختتم) أعطيناها الرسول، وأنزلنا فيها آيات واضحة - وتكرير ﴿أنزلنا﴾ لمزيد العناية بإزالة هذه السورة، لعلكم تتعظون، فتعملوا بما فيها.

٢- الزانية والزاني البيحان غير المتزوجين، اضربوا بالسوط أيها الحكام كل واحد منهما مئة جلدة عقاباً على معصيتهما، وثبت في السنة أيضاً زيادة على الجلد تخريب عام، وأما المحسن الحر فعقوبته الرجم بالسنة الصحيحة المواترة، ولا تأخذكم بالزانية والزاني أدنى رحمة ورقة، في حكم الله، إن كنتم تصدقون بالله وحده وبالبعث الذي فيه الجزاء، وليحضر إقامة الحد جماعة من المؤمنين، وأقلهم هنا ثلاثة؛ لأن التشهير يحقق الزجر والردع والعظة. وهذا حد الزنى.

٣- والشأن الغالب أن الزناة لا تقبلهم العفيفات أزواجاً، وإنما القبول من الزانيات، فكل أمثاله، وهذا للزجر والتفجير من فاحشة الزنى، فالزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك. وعطف المشركة والمشرک لمزيد التفجير - وحرم نكاح الزواني والمشركات على

المؤمنين المتقين؛ لما فيه من التشبه بالفساق، والمراد بالتحريم: التزهد والتعفف بمبالغة في التفجير. نزلت الآية في شأن مرقلة الغنوي حينما أراد أن يتزوج صديقة له في مكة يقال لها: عناق. وحكم الحرمة مخصوص بسبب الآية، أو منسوخ بقوله تعالى: ﴿وانكحوا الأيامى منكم﴾ [النور ٢٤/٣٢].

٤- والذين يقدفون بالزنا النساء العفيفات، المؤمنات، وخصن بالذكر؛ لأن قدفهن أشنع، ثم لم يثبتوا جرعة الزنى بأربعة شهود، فأجلدوهم ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ما لم يتوبوا. في رأي الجمهور، وعند أبي حنيفة: إلى آخر العمر - وأولئك هم الخارجون عن طاعة الله.

٥- إلا الذين تابوا من بعد القذف، وأصلحوا أعمالهم بالتدارك، فإن الله غفور لذنوبهم، رحيم بهم. وهذا حد القذف.

٦- والذين يقدفون زوجاتهم بتهمة الزنى، وليس لهم شهود على التهمة إلا أنفسهم، فشهادة أحدهم لرفع حد القذف عنه: أن يشهد (يحلف بالله) أربع مرات من الإيمان، إنه لمن الصادقين فيما رى به زوجته من الزنى. نزلت حينما قذف هلال بن أمية امرأته بشريك بن سحماء. وفي رواية: نزلت بشأن عويمر العجلاني حينما قذف امرأته برجل وجده معها، وهذا هو الصحيح. وهذا حكم اللعان.

٧- ثم يشهد في الشهادة الخامسة: أن لعنة الله تحمل عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنى.

٨- ويدفع عذاب حد الزنى عن الزوجة وهو الرجم: أن تحلف أربع مرات بالله: إن الزوج لمن الكاذبين فيما رماها به من الزنى.

٩- والشهادة الخامسة: أن غضب الله يحل عليها إن كان زوجها من الصادقين فيما رماها به من الزنى. ثم يفرق الحاكم بينهما، وتكون الفرقة أبدية. وتخصيص الغضب بالمرأة للتغليظ عليها، لكون الإغراء بالزنى هو الغالب من جهتها، ولأن النساء يكثرن اللعن في العادة.

١٠- ولولا فضل الله موجود عليكم أيها الناس، ورحمته بالستر عليكم، لما جلكم بالعقوبة، ولأنه أيضاً كثير القبول لتوبة عباده، حكيم فيما يشرع لعباده من اللعان بين الزوجين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ النُّورِ وَأَنْزَلْنَاهَا فَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ لِّتَعْلَمَ لَكُمْ تِلْكَ آيَاتُ الزَّانِيَةِ وَالزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْهُمَا بِهِمَا آُفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْسَ لَهُمَا عَذَابٌ غَاطِظٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ١ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْهُمَا بِهِمَا آُفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْسَ لَهُمَا عَذَابٌ غَاطِظٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ٢ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَا يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةٌ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٣ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٤ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَوْ كَانَ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ٥ وَالْخَمْسَةَ أَثْنَىٰ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٦ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ٧ وَالْخَمْسَةَ أَثْنَىٰ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٨ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ٩

إِنَّا الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ نَسِيكَ لَنَحْشُوهُ سَرًّا لَكُم بَلْ
مُخَوِّرٌ لَكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ وَهُمْ مِمَّا كَسَبُوا مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى
كِبْرَهُ يَتَوَلَّى عَذَابٌ عَظِيمٌ ١١ وَلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأْسَهُنَّ خَبِيرًا وَقَالُوا هَذَا أَفْكٌ شَيْنٌ ١٢ لَوْلَا جَاءَهُ
عَلَيْهِ بَأْرَةٌ شُهَدَاءُ فَإِذْ لَوْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَلَوْلِكَ عَذَابُ اللَّهِ
هُوَ أَكْثَرُ ١٣ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٤ إِذْ تَلَقَّوهُ
بِالسِّنِّكُمْ وَقُولُوا نَأْفُوا هُكُمًا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ
هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ١٥ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ
مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَكُفِّرَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ
١٦ يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١٧
وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٨ إِنَّا الَّذِينَ جُحِّتُونَ
أَنْ تُشِيعَ الْفِتْنَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَعَذَابُ الْيَمِّ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ١٩ وَلَوْلَا فَضْلُ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ٢٠

١١- وهذه قصة الإفك [في ١٨ آية]، إن الذين جاؤوا بالإفك: أبلغ الكذب المتعمد وأسوأ الافتراء على السيدة عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين بقذفها: هم جماعة منكم، وهم عبد الله بن أبي، وزيد بن رفاعه، وحسان ابن ثابت، ومسطح بن أثانة، وحمنة بنت جحش، ومن ساعدتهم، لا تظنوه شرًّا لكم أيها المؤمنون، بل هو خير لكم، لكل امرئ منهم جزاء ما اكتسب من السوء، والذي تولى معظمه منهم وهو ابن أبي زعيم المنافق له عذاب عظيم في الآخرة. نزلت في اتهام عائشة بالفاحشة في غزوة بني المصطلق، حين أضاعت عقدها، فرجعت تبحث عنه، وتأخرت عن الجيش الذي رحل، دون علم بتخلفها عن الركب.

١٢- هلا حين سمعتموه، ظن المؤمنون والمؤمنات ببعضهم خيراً، وقالوا: هذا كذب ظاهر.

١٣- هلا جاء الخائفون بالإفك بأربعة شهود يشهدون على ما قالوا، فإذا لم يأتوا بالشهود فأولئك في حكم الله هم الكاذبون.

١٤- ولولا فضل الله موجود عليكم في الدنيا بعدم تعجيل العقاب، ورحمته بكم في الآخرة بالعفو، لمسكم أيها العصابة فيما خضتم فيه باتهام أم المؤمنين عذاب عظيم.

١٥- حين تلتقفون خبر الإفك، وترددونه بالستكم بين الناس ليتشر، وتقولون بأفواهكم قولاً ليس لكم به دليل علمي، وتظنونه قولاً هيناً لا إثم فيه، وهو في حكم الله تعالى ذنب عظيم، وإثم مبین، بسبب هذه الأمور الثلاثة: وهي تلقي الإفك، والتحدث به من غير تحقق، واستصغار شأنه.

١٦- وهلا حين سمعتموه قلتم: ما ينبغي لنا ولا يصح، ولا يمكن أن نتكلم بهذا الحديث، تنزيهاً لله وتعجباً ممن يقول ذلك، أي نستبعد هذا القول، وهذا عتاب لجميع الخائفين، هذا القول كذب مختلق يهت بهت السامع، لعدم علمه به. والبهتان: أن يقال في الإنسان ما ليس فيه. وكلمة (سبحان الله) تأتي بها العرب عند التعجب من شيء غريب، بعيد عن العقول.

١٧- يأمركم الله بالامتنال، وينهاكم بشدة أن تعودوا لمثل هذا القول، ما دمت أحياء مكلفين، إن كنتم حقاً من أهل الإيمان.

١٨- ويوضح الله تعالى لكم الآيات التشريعية والآداب العالية لتعملوا بها، والله عليم بأحوالكم، حكيم في تدبيره.

١٩- إن العصابة الذين يريدون إشاعة الفاحشة (الزنا) وانتشارها، وترويج الأخبار الكاذبة، بين المؤمنين أهل العفة، لهم عذاب أليم في الدنيا بإقامة الحد عليهم، وفي الآخرة بعذاب النار، والله يعلم ما في الضمائر والظواهر، وأنتم أيها العصابة لا تعلمون بها.

٢٠- ولولا فضل الله موجود عليكم في الدنيا ورحمته بكم في الآخرة، وأن الله رؤوف بخلقه، لما جلكم العقوبة. كثر ذلك لبيان المنة بترك تعجيل العقاب. والرؤوف: المزيل لأسباب البلاء، والرحيم: الذي يجزل الإحسان.



يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالنَّكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا ذُكِرْتُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنِ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢١ وَلَا يَأْكُلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٢٢ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاحِشَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٢٣ يَوْمَ تُنْفَخُ عَنْهُمْ أَسْتَنَامُهُمْ وَآيَاتُهُمْ وَارْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٢٤ يُؤْمِدُ يُؤَقِّمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ٢٥ الْحَيْثُ الْحَيْثِينَ وَالْحَيْثُونَ الْحَيْثُ وَالطَّيِّبُ الطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ الطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُّؤَدَّبُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٢٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٢٧

٢١- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا طَرِيقَ الشَّيْطَانِ الَّتِي يُوَسَّسُ بِهَا عَمَلُهَا، كَمَا شَاعَ الْفَاحِشَةُ، وَمَنْ يَتَّبِعْ طَرِيقَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانِ يَأْمُرُ بِمَا عَظُمَ قُبْحُهُ مِنَ الذُّنُوبِ (الْفَحْشَاءِ) وَبِمَا يَنْكَرُهُ الشَّرْعُ (النَّكَرُ) وَمَتَّبِعْهُ طَرِيقَ لِهْ مُقْتَدِيهِ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ مَوْجُودٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ بِكُمْ، بِالتَّوْفِيقِ إِلَى التَّوْبَةِ الْمَاحِيَةِ لِلذُّنُوبِ، مَا طَهَّرَ مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ أَحَدًا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَطْهَرُ مِنَ الذَّنْبِ مَنْ يَشَاءُ بِقَبُولِ تَوْبَتِهِ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِمَقَالَتِهِمْ، عَلِيمٌ بِنِيَّاتِهِمْ وَبِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ.

٢٢- وَلَا يَحِلُّ فِى أُولَى الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَالْغِنَى وَالشَّرَاءِ عَلَى الْآلِ يُؤْتُوا الْمَالَ ذَوِي الْقَرَابَةِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ إِرْضَاءِ اللَّهِ، وَلِيَعْفُوا بِجَوْرِ الذَّنْبِ، وَلِيَصْفَحُوا عَنْ إِسَاءَتِهِمْ بِالْأَغْضَاءِ عَنْهَا، أَلَا تَرِيدُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَى الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ عَنِ الْمُسِيئِينَ، وَاللَّهُ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ لِلذُّنُوبِ الطَّائِفِينَ، شَامِلِ الرَّحْمَةِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، مَعَ كَمَالِ قُدْرَتِهِ، فَتَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِهِ.

٢٣- إِنَّ الَّذِينَ يَقْذِفُونَ بِالزَّنَى الْعَفِيفَاتِ، الْبَعِيدَاتِ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْفَوَاحِشِ، السَّلِيمَاتِ الصُّدُورِ، الْمُؤْمِنَاتِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، طَرَدُوا مِنْ رَحْمَةِ

اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ، وَعُذِّبُوا فِي الدُّنْيَا بِحَدِّ الْقَذْفِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا. وَهَذَا هُوَ الْجِزَاءُ الْآخِرُ لِلْقَافِظِينَ، وَهَذِهِ صِفَاتُ السَّيِّئَةِ عَاشَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ خَاصَّةً.

٢٤- يَوْمَ تُشْهَدُ عَلَيْهِمُ السُّتْمَةُ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ خَطَايَا وَذُنُوبٍ، بِأَنْ يَنْطِقَ اللَّهُ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ بِالشَّهَادَةِ عَلَيْهِمْ، بِخَلْقِ آلَةٍ نَطَقَ فِيهَا.

٢٥- يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْطِيهِمُ اللَّهُ جِزَاءَهُمُ الثَّابِتَ الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ، وَعِنْدَهَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ الثَّابِتُ بِذَاتِهِ، الظَّاهِرُ الْإِلَهِيَّةِ، لَا يَشَارِكُهُ فِي ذَلِكَ غَيْرُهُ.

٢٦- النِّسَاءُ الْخَبِيثَاتُ لِلرِّجَالِ الْخَبِيثِينَ، وَالرِّجَالُ الْخَبِيثُونَ لِلنِّسَاءِ الْخَبِيثَاتِ، لَا يَصْلَحُ كُلُّ مَنْهُمُ لِغَيْرِ ذَلِكَ وَيَخْتَصُّ بِأَمْثَالِهِ، وَالطَّيِّبَاتُ الطَّاهِرَاتُ مِنَ النِّسَاءِ لِلطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالطَّيِّبُونَ مِنَ الرِّجَالِ لِلطَّيِّبَاتِ مِنَ النِّسَاءِ، فَكُلُّ جَنْسٍ يَلِيقُ بِجَنْسِهِ، وَالرَّسُولُ ﷺ أَطِيبُ النَّاسِ، وَنِسَاؤُهُ أَطِيبُ النِّسَاءِ، وَأُولَئِكَ الطَّيِّبُونَ وَالطَّيِّبَاتُ مَبْرُؤُونَ مِمَّا يَقُولُ أَهْلُ الْخُبْتِ وَالْإِفْكَ فِي حَقِّهِمْ مِنَ الْإِفْتِرَاءِ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ (سُتْرٌ) مِنْ رَبِّهِمْ لِلذُّنُوبِ، وَرِزْقٌ الْجَنَّةِ.

٢٧- يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِينَ غَيْرِ مَسَاكِنِكُمْ، حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا بِالدَّخُولِ، وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا بِأَنْ يَقُولَ الْوَاحِدُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَدْخَلَ؟ ذَلِكُمُ الْاسْتِثْنَاءُ أَفْضَلُ لَكُمْ مِنَ الدَّخُولِ بِغَيْرِ إِذْنٍ، لَعَلَّكُمْ تَعْتَظُونَ، فَتَعْمَلُوا بِمَا أَمَرْتُ بِهِ. نَزَلَتْ فِي امْرَأَةِ أَنْصَارِيَّةٍ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَكُونُ فِي بَيْتِي عَلَى حَالٍ لَا أَحِبُّ أَنْ يَرَانِي عَلَيْهَا أَحَدٌ، وَإِنَّهُ لَا يَزَالُ يَدْخُلُ عَلَيَّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي، وَأَنَا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَكَيْفَ أَصْنَعُ؟ فَنَزَلَتْ الْآيَةُ.

٢٨. فإن لم تجدوا في البيوت أحداً يأذن لكم بالدخول، فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم بدخولها، وإن قيل لكم من أهل البيت: ارجعوا، فارجعوا، ولا تكررُوا الاستئذان، والرجوع هو خير وأطهر لكم للبعد عن الرية، والله عليم بأعمالكم، وستجازون عليها.

٢٩- ليس عليكم إثم أن تدخلوا بيوتاً ليست مسكونة كالفنادق والمساجد والخوانيت، فيها حق تمتع وانتفاع كرقية سلعة وجلس لمعاملة، والله يعلم ما تظهرون وما تخفون في صدوركم، من قصد صلاح أو سوء. وفيه وعيد لمن أخل بهذه الآداب. لما نزلت آية الاستئذان في البيوت، قال أبو بكر: يا رسول الله، فكيف بتجار قريش الذين يختلفون بين مكة والمدينة والشام، ولهم بيوت معلومة على الطريق، فكيف يستأذنون ويسلمون، وليس فيها سكان؟ فنزلت الآية.

٣٠- قل أيها النبي للمؤمنين: مُحَفِّضُوا أَبْصَارَكُمْ عَمَّا لَا يَحِلُّ النَّظَرُ إِلَيْهِ، وَغَضُّوا الْبَصَرَ: أَنْ يَخْفُضَ بَعْضُ بَصَرِهِ بِحَيْثُ تَمْتَنِعُ الرَّؤْيَا، مِنْ أَجْلِ سَدِّ الذَّرَائِعِ إِلَى الزَّنى، وَاحْفَظُوا أَفْروُجَكُمْ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكُمْ، ذَلِكَ الْغَضُّ وَالْحَفِظُ أَطْهَرَ لِلنَّفْسِ مِنَ التَّوَرُّطِ فِي الْحَرَامِ، إِنْ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ مِنَ الْغَضِّ وَالْحَفِظِ، وَهَذَا وَعِيدٌ لِمَنْ خَالَفَ

فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يَبُذْنَ إِلَيْكُمْ وَإِنْ
قِيلَ لَكُمْ آذِنُوا فَأَرْجُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَلِيبٌ ﴿٣٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ
فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٣٩﴾ قُلْ
لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ آبَائِهِمْ وَبِحَضْرَتِهِمْ وَبِأَزْوَاجِهِمْ
ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ إِنْ اللَّهُ جَدُّ مَا يَصْنَعُونَ ﴿٤٠﴾ قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ
بَعْضُضٌ مِنْ آبَائِهِمْ وَبِحَضْرَتِهِمْ وَبِأَزْوَاجِهِمْ عَلَى
بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبَنَّ بِخُمْرِهِنَّ عَلَى
جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ
أَبَائِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ
بَنَاتِ أَبَائِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَبَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَاعِيْنَ غَيْرَ أُولَى إِلَافَةٍ مِنَ الرِّجَالِ
أَوْ أَطْفَالِ الدِّينِ لَمْ يَضْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ
وَلَا يُضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا
إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ التَّوَّابُونَ الْعَمَلُونَ ﴿٤١﴾

ذلك. نزلت في رجل مسرف في طريق من طرقات المدينة، فتبادل النظر مع امرأة، واستمر على ذلك حتى اصطدم بحائط فشق أنفه، فأخبر النبي ﷺ بذلك، فقال له: هذا عقوبة ذنبك، وأنزل الله هذه الآية.

٣١- وقل أيها النبي أيضاً للمؤمنات: كُفُوا أَبْصَارَكُمْ واحفظن فروجهن عن الحرام، والآيات تدلان على تحريم النظر، ولا يبدنن مواضع الزينة من الحليّة وغيرها، كالثياب والأصباغ، إلا ما ظهر منها عادة وهو الثياب الظاهرة والوجه والكفان، وهو ما في إخفائه مشقة وجرت العادة بظهوره كالحاتم والكحل والخضاب، أما السوار والخلخال والقلادة والإكليل: وهو ما يوضع على شعر الرأس، فيحرم إظهاره. وليسترن الرؤوس والأعناق وأعالي الصدور بالخمير: وهو ما تغطي به المرأة رأسها، والجيب: فتحة في أعلى الثوب يبدو منه بعض الصدر، وهذا يدل على وجوب تغطية الرأس والصدر، ولا يظهرن زيتشهن الباطنة كالتي في الشعر أو على الصدر إلا لأزواجهن، أو آبائهن، أو أبناء أزواجهن، أو أبنائهن. ويدخل في ذلك أولاد الأبناء وأولاد البنات مهما نزلوا. أو أبناء الأزواج وأبناء الآباء وأبناء الأمهات مهما علوا، وكذلك أبناء الأزواج وإن نزلوا، وأبناء الإخوة والأخوات، والعَم والحال من المحارم، والرضاع كالنسب، أو النساء التابعات لهن بالخدمة أو الصحبة، المسلمات، وأما الكافرات فهن كالأجانب عند أكثر العلماء، وأجاز الحنابلة نظر الكافرة للمسلمة فيما عدا ما بين السرة والركبة، أو الإمام، أو الخدم الذين لا حاجة لهن في النساء كالشيخ الهرم والخصي والمخنث والمعنوه، أو الأطفال الصغار غير المراهقين الذين لم يميزوا بين عورات النساء وبين غيرها لصغرهم. والطفل: يطلق على الواحد والمتعدد. ولا تضرب النساء بأرجلهن إذا مشين ليسمع صوت الخلخال في أرجلهن. وفرض عليكم أن تنبوا جميعاً أيها المؤمنون بما وقع لكم من النظر المنوع، لتفوزوا بسعادة الدارين. نزلت في أسماء بنت مَرْثَد التي استقبلت دخول النساء عليها غير متأزات، وتبدو صدورهن وذوائهن.

٣٢- وزوجوا من لا زوج له من أحرار الرجال والنساء، ما داموا قادرين على المهر والنفقة، وزوجوا أيضاً العبيد والإماء أهل التقوى والصلاح، أي الإيمان والقدرة على أداء الحقوق، إن يكن الرجال والنساء فقراء، يغنم الله من كرمه وفضله، فمن تزوج يغنه الله بغنى النفس والمال، والله غني ذو سعة وجود، لا ينقص ملكه مهما أغنى عباده، عليم بمصالح خلقه، يرزقهم حسبما تقتضي حكمته.

٣٣- وليجتهد في العفة عن الزنى والحرام من لا يتمكن من تكاليف الزواج كالمهر والنفقة، حتى يرزقهم الله من فضله ويوسع عليهم من عطائه، فيجدون ما يتزوجون به، والأرقاء الذين يرغبون في المكاتب: وهي أن يتفق السيد مع رفيقه على مال يؤديه مقسطاً، فإذا آده فهو حر، فكاتبوهم إن علمتم فيهم قدرة على الأداء، وأعطوهم من زكاة أموالكم للإعانة على التحرر من الرق، وحطوا عنهم بعض ما كتبوا عليه عند الأداء، ولا تحيروا الإمام على الزنى بأجر، إن أردن تعففاً، وكذا إن لم يردن، فهذا قيد لبيان واقع كان في الجاهلية، لتطلبوا ولتحصلوا على مكسب حرام، والعرض: المتاع الزائل، ومن يجبرهن على الزنى، فإن الله غفور لتلك المكروهات، رحيم بهن، والإثم على المكروه. نزلت آية

وَأَحْزَنَ الْأُولَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ بَيْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ٣٢
وَلَيْسَ بَعِيفَ الَّذِينَ لَا يُجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ بِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تَجْرُوا بِأَعْيُنِكُمْ عَلَىٰ الْبِعَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ نَحْصًا فَلْيَنْعُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يَكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ كُرْهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣٣
وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ٣٤
اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْلٍ فَتَاهُ مِصْبَاحُ الْمَصْبُوحِ فِي رُجَاةِ الرُّجَاةِ كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَنَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٣٥
فِي سُورَةِ آدْنِ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمَاءُ يُسَمَّى لَهُ فِيهَا الْأَعْدَاؤُ وَالْأَصْصَالُ ٣٦

﴿والذين يبتغون﴾ في شأن غلام لحويطب بن عبد العزى، سأله عبده أن يكتبه، فأبى عليه. ونزلت آية ﴿ولا تكرهوا﴾ في شأن جاريتين لعبد الله بن أبي كان يكرههما على الزنى.

٣٤- ولقد أنزلنا إليكم أيها المؤمنون آيات في القرآن مفصّلات توضح الأحكام والحدود والآداب، وقصة عجيبة قاتل غيرها، وهي هنا قصة السيدة عائشة التي تشبه قصة مريم ويوسف اللذين برأهما الله تعالى، قصة أو مثلاً كأمثال الذين مضوا من قبلكم في الكتب السابقة، وموعظة للذين يخافون عذاب الله، وخصوصاً بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بالعظة.

٣٥- الله منور السموات والأرض، وأهلها وهم العالم كله يهتدون بنوره، صفة نوره العجيبة لتنوير قلوب المؤمنين، يهتدوا إلى الحق والرشاد كمثّل كوة في جدار غير نافذة (وهي الطاقة) تجمع النور وتعكسه، فيها سراج مضئ، والسراج في رُجاجة صافية (كريستال) الزجاجة والنور فيها كأنها نجم مضئ في صفاته وإشراقه، والدُّرِّيُّ منسوب إلى الدرّ: نوع من الأحجار الكريمة، يُوقَدُ السراج (القنديل) من زيت شجرة مباركة هي الزيتون التي تتعرض للشمس طوال النهار؛ لأنها في موقع متوسط بين الشرق والغرب، مما يجعل زيتها من أطيب الزيوت، يكاد زيتها يضيء بنفسه من غير نار لصفاته ولعانه، نور فوق نور، المصباح نور، والزجاجة نور، وصفاء الزيت نور، فاكتمل الإشعاع، يوقد الله لاتباع قرآنه، وبين الله الأمثال للناس، تقريباً لأفهامهم، ليعتبروا فيؤمنوا، والله عليم بكل شيء لا تخفى عليه خافية، وفيه وعد ووعد، وعد لمن تأمل ذلك، ووعد لمن أهمل ذلك.

٣٦- في مساجد أمر الله وقضى أن تُبنى وتعظم بتعظيم الله، وتطهر عن الأدناس، ويُردّد فيها اسمه بالأذان والتسبيح والأذكار والصلوات وتلاوة القرآن، يصلي الله فيها وينزهه ويقدهه أناس في أول النهار وآخره.

٣٧- يَسْبُحُ الله في المساجد رجال لا تشغلهم تجارة ولا عقد بيع، ولا شاغل آخر عن ذكر الله في القلب واللسان، وإقامة الصلاة في أوقاتها، وإيتاء الزكاة لمستحقيها، يخافون يوم القيامة الذي تضطرب فيه القلوب بين الخوف والرجاء، وكذا الأبصار لشدة الخوف من المصير المجهول.

٣٨- والتسبيح والتتزيه ليجزي الله المؤمنين أحسن جزاء على عملهم الصالح، ويزيدهم من جوده وكرمه فوق الجزاء الموعود به، والله يرزق من يشاء من عباده رزقاً واسعاً، بغير عد ولا إحصاء.

٣٩- وأعمال الذين كفروا على عكس حال المؤمنين، هي كسراب: وهو ما يرى في القلاة من لمعان الشمس وقت الظهيرة على الظن أنه ماء، في قبة (قلاة): وهي ما انبسط من الأرض، يظنه العطشان ماء، حتى إذا جاء موضعه في الصحراء، لم يجد ماء كما ظن، ومثل ذلك الكافر يظن أن عمله ينفعه يوم القيامة، فإذا مات، لم يجد نفعاً لعمله، كما أن السراب لا ينفع العطشان، ووجد الله عند عمله ينتظره، أي وجد جزاء عمله، فجازاه عليه في الدنيا، والله سريع المجازاة. نزلت في عتبة بن ربيعة أو في شعبة بن ربيعة، كلاهما مات كافراً.

يَجَالُ لَأَنَّهُمْ فِي خَيْرٍ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَغَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوا كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ سَيْبًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمٍ فِي تَخْرِجِي يَفْسُهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلُمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْتَدِرْهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْأَشْيَاءُ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِمَنْ يَشَاءُ وَنُصْرَهُ عَنْ مَنْ يُبَايِعُ كَادَ سَنَاءُ يَرْفَعُ يَدَهُ بِالْأَنْصُرِ ﴿٤٣﴾

٤٠- أو أعمال الكفار تشبه الظلمات التراكمية في بحر عميق، يغطيه موج، وفوقه موج آخر، وفوق الموج الأعلى غيم كثيف، ظلمات ثلاث أو أربع: ظلمة البحر، وظلمة الموج الأول وظلمة الثاني، وظلمة السحاب، وظلمة الليل، وهي تشبه ظلمة الجهل، والخيرة، والرین، والختم والطبع على قلب الكافر، إذا أخرج الناظر يده في هذه الظلمات، لم يكد يراها، وهي أقرب شيء إليه، ومن لم يجعل الله له هداية في قلبه، لم يهتد، أي من لم يوفقه لأسباب الهداية، لم يكن مهتدياً. وهذه الظلمات على قلب الكافر ضد الأنوار في قلب المؤمن في الآية السابقة: ﴿مثل نوره﴾ [٣٥].

٤١- ألم تعلم أيها النبي علم اليقين والمشاهدة- والرؤية هنا علمية- أن الله ينزهه عن كل ما لا يليق به من صفات النقص: كل من في السموات والأرض من العقلاء بالنطق المعروف، وغير العقلاء بما يسمع من أصواتها، ومشاهدة أثر الصنعة البديعة فيها، وكذا الطيور حالة كونها باسطات أجنحتها، مستقرة في الهواء، تسبح الله أيضاً، وتدل على وجود الخالق وقدرته بما يسر الله لها من قدرة التحليق في السماء، كل مخلوق من هذه المخلوقات، قد علم الله صلاته (دعاءه) وتسبيحه (تنزيهه ربه) بالطريقة التي ألهمه الله إياها، والله عليم بما يفعلون ومجازيهم على أفعالهم. وخص الطير، لما في تكوينها وأحوال بسطها وقبضها أجنحتها من عجيب الصنع والإتقان.

٤٢- والله وحده لا لغيره ملك السموات والأرض، لأنه مبدعها ومتصرف فيها، وإلى الله المرجع بعد الموت.

٤٣- ألم تنظر أن الله يسوق السحاب على مهل أو برفق إلى حيث يريد، ثم يضم بعضه إلى بعض، ثم يجعله مترامكاً بعضه فوق بعض، فترى المطر يخرج من بين فجوات السحاب التي تكون بين أجزائه، وينزل من السحب من جهة السماء التي تكون كالجبال في حجمها وامتدادها برداً متكاثفاً، أو مطراً إن لم تشتد البرودة، فيصيب بالبرد من يشاء من عباده، وينعنه عمن يشاء منهم، يكاد البرق الذي في السحاب يخطف الأبصار، من شدة لماعه وبريقه.

٤٤- يغيّر الله أحوال الليل والنهار الطول والقصر، والبرودة والحرارة، والزيادة والنقص، إن في هذا التغير والتصرف للدلالة واضحة على وجود المخلّاق، وكمال قدرته، وإحاطة علمه، لأصحاب البصيرة والعقل الذي يفكر.

٤٥- والله خلق كل ما دب على الأرض من إنسان وحيوان، من ماء مخصوص هو النطفة، فمنهم من يمشي (يزحف) على بطنه وهي الحيات والدود والحوت ونحو ذلك. أشار إليهم بـ «هم» و ﴿من﴾ اللذين للعقلاء للتشريف، وسمي الزحف مشياً بطريق الاستعارة- ومنهم من يمشي على رجلين وهو الإنسان والطير، ومنهم من يمشي على أربع وهو سائر الحيوانات، يخلق الله ما يريد مما ذكر هنا وما لم يذكر مما يمشي على أكثر من أربع كالسرطان والعنكب، إن الله قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء.

٤٦- لقد أنزلنا عليك أيها النبي في هذا القرآن آيات
موضحات للحلال والحرام والشرائع والأحكام،
والله يوفق من يشاء للنظر الصحيح والتأمل السديد
إلى طريق قويم لا عوج فيه، مؤدًى إلى الجنة وهو دين
الإسلام.

٤٧- ويقول المنافقون: صدقنا بالله وبالرسول

محمد، ثم يعرض فريق منهم ويمتنع عن قبول حكم الرسول، من بعد إظهار الإيمان، وليس أولئك المعرضون بالمؤمنين، لإعراضهم عن حكم الرسول.

٤٨- وإذا دُعِيَ المنافقون إلى حكم الله ورسوله ليحكم النبي بينهم إذا- تدل على حصول ما بعدها فجأة- فربما منهم معرضون عن المحاكمة إلى الرسول إذا كان الحق عليهم، فإن كان الحق لهم سارعوا إلى التحاكم إلى الرسول. نزلت هذه الآية والآيتان بعدها في شأن منافق تخاصم مع يهودي، فحاول المنافق الاحتكام إلى كعب بن الأشرف، وطلب اليهودي التحاكم إلى الرسول، لعلمه بأن الرسول لا يحكم إلا بالحق.

٤٩- وإن يكن للمنافقين الحق، يأتوا إلى الرسول طائعين خاضعين، لعلمهم بأنه يحكم لهم.

٥٠- أني قلوبهم كفر ونفاق- والاستفهام هنا إنكاري- أم شكوا في نبوتك وقدرتك على الصواب، أم يخافون أن يجور الله ورسوله في الحكم عليهم ويظلمهم؟ لا، بل أولئك المنافقون هم الظالمون لأنفسهم. و﴿بل﴾ حرف لإبطال ما قبله وإثبات ما بعده.

٥١- إنما كان قولُ: «سمِعنا حُكْمه، وأطعنا أَمْره»، ورضينا بحُكْمه هو قولُ المؤمنين إذا دُعوا إلى حُكْم الله ورسوله ليُحكم بينهم، وأولئك المعلنون للطاعة هم الفائزون بخير الدنيا والآخرة.

٥٢- ومن يطع الله ورسوله فيما أمر وحكم، ويعف الله، ويتق عذابه، فأولئك هم الفائزون بنعيم الجنة.

٥٣- وأقسم المنافقون بالله أمام الرسول باذلين أقصى جهدهم في تأكيد أيمانهم: لئن أمرتهم بالجهاد ليخرجن معك، ولكن كانت أيمانهم كاذبة، فرد الله عليهم: قل أيها النبي، لا تحلفوا كذباً، طاعتكم معروفة بأنها بمجرد اللسان، لا بالفعل، أو المطلوب منكم طاعة معروفة أولى من الأيمان، إن الله خبير بعملكم، فلا يخفى عليه سرائركم.

٥٤. قل أيها النبي لهؤلاء المنافقين وغيرهم: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول في كل أمر ونهي، طاعة صادقة، في الظاهر والباطن، فإن تولى المأمورون، فما على النبي إلا ما كلف به من تبليغ الرسالة، وعليكم ما أمركم به من الطاعة والتكاليف، وإن تطيعوا الرسول في حكمه وأمره ونهيه، تهتدوا إلى الحق والخير والرشد، وتفوزوا بالرضوان الإلهي، وليس على الرسول إلا التبليغ الواضح لرسالة ربه، المتضمنة ما كلفتم به.

٥٥. وعد الله الذين آمنوا بالله ورسوله منكم وعداً جازماً ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الأرض تصرف الملوك في ممالكهم، كما استخلف الذين من قبلهم من بني إسرائيل مثلاً بدلاً عن فرعون وقومه، ويثبت لهم قواعد دينهم بنحو مستقر، الدين الذي ارتضاه لهم وهو الإسلام، ويبدلهم أمناً واطمئناناً من بعد خوفهم من الأعداء، يعبدوني وحدي لا يشركون بي أحداً من المخلوقات، ومن كفر بعد ذلك بهذه النعم، فأولئك الكافرون هم المتصفون بالفسق: وهو الخروج عن الطاعة. نزلت في حق المؤمنين المهاجرين من مكة إلى المدينة، حينما تالبت عليهم العرب قاطبة، وعاشوا قلقين لا يبيتون

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوا تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ٥٤ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٥٥ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٥٦ لَاحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ مَعْجِرِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ٥٧ تَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَصُومُونَ ثِيَابُكُم مِّنَ الظَّهْرِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدُ مِنْ ذَلِكَ فَمَنْ تَطَوَّلَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٨

إلا بالسلاح، فقالوا: ترون أننا نعيش حتى نبیت آمنين مطمئنين، لا نخاف إلا الله؟ فنزلت هذه الآية.

٥٦. أطيعوا الله ورسوله، وأقيموا الصلاة في أوقاتها، وأدوا الزكاة للمستحقين، وأطيعوا الرسول فيما أمر به ونهى عنه، لكي تُرحموا وتفوزوا بالجنة والرضوان.

٥٧. لا تظن أيها الرسول أن الكفار يعجزون الله تعالى، فلا يقدر على عقابهم، بأن يفلتوا في الأرض إذا أراد تعذيبهم، ومرجعهم أو مكان إيوائهم النار في الآخرة، وقُبِحَ هذا المرجع الذي هو النار.

٥٨. يا أيها المؤمنون ليستأذنكم في الدخول الأرقاء والخدم، والأطفال غير البالغين سن الرشد من أتباعكم وأقاربكم، ثلاث مرات في اليوم والليله بسبب احتمال ظهور العورات والتجرد من الثياب: من قبل صلاة الفجر وقت الاستيقاظ، وفي الظهيرة وقت القيلولة، وبعد صلاة العشاء، ثلاثة أوقات يحتمل فيها ظهور العورات، وسميت هذه الساعات عورات؛ لأن الإنسان يتجرد فيها من الثياب، فظهر عورته، ليس عليكم ولا عليهم إثم في الدخول بغير استئذان بعد هذه الأوقات أو العورات الثلاث، هم كثيرو التطواف أو التردد عليكم للخدمة، بعضهم يطوف على بعض، ولا يستغني عن المخاطلة له، مثل ذلك التبيين لما ذكر، بين الله (يوضح) لكم الآيات التشريعية، والله واسع العلم، بالغ الحكمة. نزلت في شأن عمر رضي الله عنه الذي دخل عليه غلام أنصاري، فرأى عمر بحالة كره رؤيته ذلك، فودع عمر لو أن الله تعالى أمر ونهى في حال الاستئذان. أو أنها نزلت في شأن أسماء بنت أبي مرثد التي دخل عليها غلام كبير في وقت كرهته، فشكت الأمر لرسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية.

٥٩- وإذا بلغ الأطفال الأحرار الحلم بالاحتلام أو سن البلوغ وهي الخامسة عشرة، فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم وهم الذين بلغوا الحلم قبلهم وصاروا كباراً، وأمروا بالاستئذان في أوقات العورات الثلاث وغيرها، أي على كل حال، مثل ذلك التبيان لما ذكر، بين الله لكم الآيات التشريعية، والله عليم بأمور خلقه وأحوالهم، حكيم بما دبره لهم وشرع. وكرر ذلك للتأكيد.

٦٠- والعجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل والولد لكبرهن، اللاتي لا يطمعن في الزواج لكبرهن، فليس عليهن إثم أن يتخففن بإلقاء الثياب الظاهرة كالجلابيب والرداء والقناع فوق الخمار، لاثياب العورة، غير مظهرات زينة خفية كسوار وقلادة وخلخال، وأن يطلبن العفة ويرتدين أكمل الثياب خير لهن من تركها، والله واسع السمع لأقوالكم، والعلم بمقاصدكم. والتبرج: تكلف إظهار ما يجب إخفاؤه.

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ حَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مَعَ مَا فَتَرَ اللَّهُ لَهُمْ تِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبَ لَكُمْ أَنْ تُدْرِكُوا آيَاتِ اللَّهِ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّذْهِبِينَ ﴿٦١﴾ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾

٦١- لا إثم ولا معصية على أصحاب الأعدار: الأعمى والأعرج والمريض، ولا على الأنفس الشخصية أن تأكلوا من بيوتكم التي فيها متاعكم وأهلكم، أو بيوت أولادكم لأن كسب الولد من كسب أبيه، أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت الأعمام والعلمات والأخوال والخالات، أو البيوت التي تنصرفون فيها بإذن أربابها، كالوكلاء والخدم والحراس والخزّان، أو بيوت الأصدقاء الذين علمتم رضاهم، والصدّيق يطلق على الواحد والأكثر كالعدو والطفل، وهو يطلق على من يصدّق في مودته، لا إثم ولا معصية عليكم أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين. فإذا دخلتم أحد هذه البيوت المذكورة، فسلموا على أهلها، بأن تسلموا على أهل الدار المسكونة، وكذا غير المسكونة بالتسليم على النفس بأن تقولوا: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» فترد الملائكة عليكم، وسلموا سلاماً هو تحية من عند الله، كثيرة الخير، طيب بها نفس المستمع لها، مثل ذلك البيان بين الله لكم آيات التشريع، لتعقلوا آيات الله وتفهموا معانيها وتعملوا بما فيها. قال سعيد بن المسيب: أنزلت هذه الآية في أناس كانوا إذا خرجوا مع النبي ﷺ وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والأعرج والمريض، وعند أقاربهم، وكانوا يأمرهم أن يأكلوا مما في بيوتهم إذا احتاجوا إلى ذلك، وكانوا يتقون أن يأكلوا منها، ويقولون: نخشى ألا تكون أنفسهم بذلك طيبة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ورجع ذلك الطبري. وقيل: لا حرج على هؤلاء في التخلف عن الجهاد، وهو قول الحسن البصري.

٦٢- إنما المؤمنون حقاً الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ، وإذا كانوا معه في أمر عام مهم يحتاج إلى الاجتماع والتشاور، لم يخرجوا من مجلسه لعذر، حتى يستأذنه، فإذا نهم أو لا يأذن، على ما يرى، إن الذين يستأذنونك هم المصدقون بالله ورسوله حقاً، فإذا استأذنتك لبعض أمورهم المهمة، فأذن لمن شئت منهم بالانصراف، ولك ألا تأذن، حسبما ترى من المصلحة، واطلب لهم المغفرة من الله على انصرافهم؛ لأنه لا يخلو الاستئذان من إظهار المصلحة الذاتية على المصلحة العامة، إن الله كثير المغفرة لمن استغفرت له، واسع الرحمة لمن استرحمت. نزلت في أثناء حفر الخندق عام الأحزاب، فكان المنافقون يتسللون إلى أهلهم بغير إذن من الرسول ﷺ، وكان المسلم يستأذن النبي إذا طرأت له حاجة، فإذا قضى حاجته رجع، فنزلت الآية.

٦٣- لا تجمعوا أيها المسلمون نداء الرسول لكم كنداء بعضكم لبعض في جواز الإعراض، والمساهلة في الجواب، ورفع الصوت، ولا تقولوا: يا محمد، بل قولوا: يا نبي الله، يا رسول الله، في لين وتواضع، فإن المبادرة إلى إجابته واجبة، والخروج بغير إذنه حرام،

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ عَامٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا إِنْ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٦٣ لَتَجْعَلُوهُنَّ أَرْسُولَ النَّبِيِّ لَكُنَّ كَعَاءٍ بِضُكِّمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُ مِنْكُمْ لَوْ أَدَّاهُمْ وَلَهُ الَّذِينَ يَخْلُقُونَ عَنْ أَمْرِهِمْ أَمْ تُصِيبُهُمْ ذُنُوبُهُمْ أَمْ تُصِيبُهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ٦٤ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَبِئْسَ رَجُوعُونَ إِلَيْهِ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ كَيْفَ يَشَاءُ وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا عَلَيْهِ ٦٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ١
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ يَتَّخِذُ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ يَنْقَذُ ٢

ويعلم الله الذي ينسلون أو ينصرفون تدريجياً وخفية من مجلس الرسول ﷺ أثناء تشاغله عنهم، واللواذ: تستر بعضهم ببعض، وقد للتحقيق، فليحذر الذين يخالفون أمر الرسول ويعرضون عنه بغير إذنه أن يتعرضوا لبلاء ومحنة في الدنيا، كالقتل والزلازل، أو يتعرضوا لعذاب مؤلم في الآخرة. قال ابن عباس: كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فأنزل الله: ﴿ لا تجمعوا دعاء الرسول .. ﴾ فقالوا: يا نبي الله، يا رسول الله.

٦٤- ألا إن الله جميع ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً، قد يعلم ما أنتم عليه معشر الناس من الأحوال بالإيمان أو العصيان، ويجازيكم عليه، ويعلم يوم يرجعون إليه، فيجازيهم فيه، والله محيط علمه بكل شيء، وسيكون الجزاء على وفق العمل. وكلمة: ألا لتنبه المخاطب لما يذكر.

سورة الفرقان

١- تعظم قدر الله أو تقدس، وتكثر خيره، وتزايد تنزيهه عن كل نقص، الذي نزل القرآن تدريجياً فارقاً بين الحق والباطل، على عبده محمد ﷺ ليكون منذراً مخوفاً للإنس والجن من عذاب الله إن لم يؤمنوا بوحداية الله تعالى. وتبارك وتقدس بمعنى واحد، ووصف النبي بالعبودية لله تكريم له وتشريف بكونه في أعلى مراتب العبودية.

٢- الله الذي له ملك السموات والأرض، له السلطان الكامل والقدرة التامة على التصرف فيهما، ولم يتخذ ولداً لعدم الحاجة إليه، ولا شريكاً له في الملك لاستغناؤه، وخلق كل شيء من موجودات الكون، فقدره تقدير أبدق وحكمة.

٣- واتخذ المشركون من غير الله آلهة: أصناماً يعبدونها، لا يقدرّون على خلق شيء، ويخلقهم الله، ولا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضرراً ولا نفعاً، ولا قدرة لهم على إماتة أحد ولا إحيائه ولا بعثه من قبره في عالم الآخرة. والنشور: الإحياء بعد الموت للحساب.

٤- وقال الكافرون: ما هذا القرآن إلا كذب واختلاق، اختلقه محمد بنفسه، وأعانه على جمعه قوم آخرون ممن أسلم من اليهود والنصارى، فقد قالوا ظلماً عظيماً، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه، وقالوا كذباً محضاً بعيداً عن الحق. نزلت في النضر بن الحارث الذي قال هذا القول بعد أن أسلم ثلاثة غلمان من أهل الكتاب.

٥- وقالوا: هذا القرآن أكاذيب المتقدمين التي سطروها، طلب أن تكتب له، فهي تقرأ عليه ليحفظها؛ لأنه أُمي لا يتمكن من قراءتها، تقرأ عليه صباحاً ومساءً، أي دائماً.

٦- قل أيها النبي: ليس هذا القرآن مما يفترى، وإنما أنزله عالم الأسرار والخفايا في السموات والأرض، فهو أمر سماوي؛ إنه كثير المغفرة

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَوةً وَلَا نَشْراً ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا آفَاكُ أَفْرَئِيلَ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءَ وَظُلُمًا وُزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَطُيْبِرُ الْأَوَّلِينَ أَكُنْتُمْ فِيهِمْ تُمَلِّ عَلَيْهِمْ بَكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴿٦﴾ وَقَالُوا مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُهُ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ ذِكْراً ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ يُكُونَ لَهُ رُجُءٌ يُأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مُتَصَوِّراً ﴿٨﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي أَنْشَأَ جَلَلَك خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَبِّ تَجَرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُوراً ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

والرحمة، لا يعاجلكم بالعقوبة.

٧- وقال المشركون استهانة وتهكماً: ما لهذا الرسول؟ يأكل الطعام كما نأكل، ويتردد على الأسواق لطلب معيشته كما نتردد، فهلاً كان ملكاً، وهلاً صاحبه ملك، فيكون معه مخوفاً من عذاب الله ويصدق؟ فنعلم صدقه.

٨- أو يلقى عليه كثر من السماء، فيستغني به عن طلب الرزق، أو يكون له بستان يأكل من ثماره، وقال الكافرون: ما تتبعون إلا رجلاً مغلوباً على عقله بالسحر، أي مجنوناً.

٩- انظر أيها النبي لهؤلاء المشركين: كيف افتروا عليك الأكاذيب ليكذبوك، فوصفوك بأنك ساحر أو شاعر أو مجنون. والأمثال: الأحوال النادرة والأقوال المستغربة. فضلوا بذلك عن الهدى والصواب، وتحيروا في ضلالهم، فلا يجدون طريقاً معقولاً للطعن في نبوتك.

١٠- تعاضم وتقدس الله عن كل شيء، الذي لو شاء جعل خيراً لك مما اقترحوه: وهو بساتين تجري من تحت غرفها الأنهار، ويجعل لك قصوراً مشيدة بالحجارة أو الطين. نزلت حينما عرض زعماء قريش كأبي سفيان والنضر بن الحارث على النبي ﷺ المال والملك والجاه والشرف، ليكف عن دعوته، فأبى ذلك، وقال: ما بعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً، فأنزل الله هذه الآية.

١١- لم يكذبك المشركون؛ لأنك بشر، بل لأنكارهم القيامة والبعث والحساب، وأعدنا لمن أنكر البعث نارا شديدة الاشتعال، يعذب بها.

١٢- إذا كانت النار مجراى منهم، من مكان بعيد، سمعوا لها صوتاً يدل على شدة التغيظ: وهو شدة الغضب، وزفيراً يسمع من الجوف عند شدة الانفعال. والمراد: سمعوا لها صوت غليان وفوران، وكالزفير من شدة الاشتعال. والزفير: النفس الخارج بشدة.

١٣- وإذا القوا من النار في مكان ضيق، ووصف بذلك لزيادة العذاب، مقيدتين بالأغلال، نادوا في ذلك المكان الضيق: هلاكاً هلاكاً، أي يتمنون الهلاك لأنفسهم، للتخلص من شدة العذاب.

١٤- لا تطلبوا بدعائكم هلاكاً واحداً، واطلبوا أنواعاً من الهلاك، وادعوا على أنفسكم بالعديد من الويلات، لأن عذابكم أنواع كثيرة، كل نوع منها ثبور، لشدة، وتجدده. والمراد: التئس من تحقيق ما يتمنون من الهلاك.

١٥- قل أيها النبي للمشركين للتأمل والمقارنة: أذلك المذكور من أنواع العذاب وأوصاف النار الدائمة الاستمرار خير، أم جنة الخلد الدائمة النعيم، التي وعدها الله المتقين، كانت لهم في حكم الله جزاء، ومرجعاً طيباً.

وَإِذَا رَأَوْهُم مِّنْ مَّكَانٍ يَبْعِدُ سَمِعُوا لَهَا نَافِثَاتٍ وَزَفِيرًا ۚ وَإِذَا أَلْقَاوُهَا مَكَانًا صَافِيًا مَّعْرَيْنٍ دَعَوُا هَٰذَا كِبِيرًا ۚ لَّأَنَّهُ دَعَوُ الْيَوْمِ بُورًا ۚ وَهَٰذَا كِبِيرًا ۚ قُلْ أَذَلَّكَ خَبِيرًا جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَرَائِرُ وَمَصِيرًا ۚ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ۚ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ يَقُولُ أَأُنْشِئُوا ضَلَالًا عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۚ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن شَتَّعْتَهُمْ وَآلَاءَهُمْ حَتَّىٰ سَوَّاهُمُ الْفَسَادَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ۚ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ۚ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَبَاءُ كُفْرًا أَلْطَعَامَ وَيَمْسُوكَ فِي الْأَسْوَاقِ ۚ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۚ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۚ

١٦- لهم في الجنة ما يشاؤون من النعيم المقيم وأنواع اللذات، كان ذلك موعوداً به، جديراً بالسؤال وطلب الوفاء به. وهذا دليل على أن تحقيق جميع المشتبهات في الجنة، وأن الوعد بها منجز.

١٧- واذكر يوم يجمع الله المشركين يوم القيامة وألهتهم المعبودة من غير الله من الأصنام والملائكة والجن والمسيح وعزير، فيقول الله للمعبودين: أنتم أضللتم عبادي هؤلاء بدعوتهم إلى عبادتكم، أم هم ضلوا أو انحرفوا عن طريق الحق بأنفسهم؟! وهو استفهام تقييد وتبكيث للعابدين.

١٨- قال المعبودون تعجباً من السؤال: تنزهت عما لا يليق بك من اتخاذ الولد أو الشريك، ما كان يحق ولا يصح لنا أن نتخذ من غيرك نصراء، والمراد: لا يتصور منا دعوة أحد إلى عبادتنا للعصمة عن ذلك والعجز عن هذا المقام، ولكن يارب، متعتهم مع آبائهم بأنواع النعم، ووسعت لهم الرزق، وأطلت لهم العمر، حتى غفلوا عن ذكرك وتذكر نعمك، وصاروا قوماً بنسيانهم لذكرك هالكين. والذكر هنا: القرآن والشرائع.

١٩- فقال الله للمشركين بعد تبيري المعبودين: لقد كذبكم هؤلاء المعبودون في زعمكم أنهم آلهة، فما تستطيعون اليوم صرفاً ودفعاً للعذاب عنكم، ولا تعبدون أحداً ينصركم ويمنعكم من عذاب الله، ومن يظلم منكم نفسه بالإصرار على الشرك دون توبة، نذقه في الآخرة عذاباً شديداً هائلاً، وهو النار.

٢٠- ثم رد الله على شبهة البشرية، فقال: وما أرسلنا قبلك أيها الرسول أحداً من المرسلين إلا إنهم بشر، يأكلون الطعام كما تأكل، ويترددون في الأسواق لكسب المعيشة كما تفعل، وجعلنا بعضهم لبعض اختباراً وابتلاء، فامتنحنا الغني بالفقير، والصحيح بالمريض، والشريف بالوضيع، لمعرفة مدى ثباته على الإيمان، أتصبرون على الحق والابتلاء؟ وكان ربك مطلعاً على الصابر وغير الصابر.



وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ نَاوِلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلِيكَهٗ
أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا
كَبِيرًا ۝ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلِيكَهٗ لَا يُشْرِي يَوْمَئِذٍ لِلْجَبْرِ مِيزَ
وَيَقُولُونَ حُمْرٌ مُّجُورًا ۝ وَقَدْ مَنَا إِلَى مَاءٍ لَوْ أَنَّ مِنْ عَمَلٍ
فَجَعَلْنَاهُ حَبَآءَ مَسْنُورًا ۝ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا
وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ۝ وَيَوْمَ نَسْفِقُ السَّمَآءَ بِالْغَمِيمِ وَنَزَّلَ الْمَلِيكَهٗ
تَرِيلاً ۝ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِّقَى الرَّحْمٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ
عَسِيرًا ۝ وَيَوْمَ نَعُضُّ أَفْئَادَهُمْ عَلَى يَدَيْهِمْ يَقُولُ بَلْ لَغَوَيْنَا
مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يُؤْمِنُ الْإِنْسَانُ لَمْ أَخُذْ فَلَانَا خَلِيلًا
۝ لَقَدْ أَصْلَحْتُ مِنَ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ
الشَّيْطٰنُ لِلْإِنْسَانِ خَدُوْلًا ۝ وَقَالَ الرَّسُولُ يُذَبِّبُ إِنَّ
قَوْمِي أَخَذُوا هَٰذَا الْفُرْءَ أَنْ مَهْجُرًا ۝ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا
لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْجَبْرِ مِنْ كَفَرٍ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا
۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْفُرْءُ أَنْ
جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۝

أعمال العباد، وذلك يوم القيامة.

٢٦- الملك الشابت يوم القيامة لله تعالى وحده، وكان ذلك اليوم يوماً صعباً شاقاً على الكافرين، بخلاف المؤمنين.

٢٧- ويوم بعض كل ظالم على يديه ندماً وتحسراً يوم القيامة، ويشمل ذلك عقبة بن أبي معيط الذي أسلم ثم ارتد إرضاء لأبي بن خلف، يقول: يا ليتني اتخذت مع الرسول محمد طريقاً إلى الهدى والنجاة. نزلت حينما نطق عقبة بن أبي معيط بالشهادتين، فعاتبه أبي بن خلف صديقه، وقال: صبات؟ فقال: لا.

٢٨- يا ويلتا، أي يا هلكتي. ويراد به التحسر على مصاحبة الأشرار- ليتني لم اتخذ فلاناً صاحباً وصديقاً.

٢٩- لقد أبعدني هذا الصاحب عن الإيمان بالله وذكره والقرآن، بعد مجيء من هداني إليه وكان الشيطان (المفسد من الإنس والجن) كثير الخذلان لمن يطيعه، خاذلاً كل من يواليه، حتى يؤديه إلى الهلاك.

٣٠- وقال الرسول محمد ﷺ مشتكياً إلى ربه في الدنيا: يا ربي إن قومي جعلوا القرآن مهملًا متروكاً.

٣١- وكما جعلنا لك أيها النبي عدواً من مشركي قومك، جعلنا لكل نبي قبلك عدواً من الكافرين من قومه، وكفى بربك هادياً لك إلى الحق والمصلحة، وناصراً لك على أعدائك. والمجرمون: هم الذين اشتد إفسادهم.

٣٢- وقال الكفار: هلا أنزل القرآن على محمد دفعة واحدة، كما أنزلت التوراة على موسى؟! فرد الله عليهم: أنزلناه عليك مفرقاً، على هذا الوجه، لنقوي به قلبك، ونيسر لك حفظه وفهمه، ورتلناه عليك بلسان جبريل ترتيلاً بديعاً، بتمهل وتؤدة. عن ابن عباس: قال المشركون: إن كان محمد كما يزعم نبياً، فلم يعذبه ربه، ألا ينزل عليه القرآن جملة واحدة، فينزل عليه الآية والآيتين، فأنزل الله هذه الآية.

٢١- وقال منكرو البعث الذين لا ينتظرون لقاء الله في الآخرة: هلا أنزل الله علينا ملائكة لإخبارنا بصدق محمد، أو نرى ربنا عياناً، فيخبرنا بأن محمداً رسول أرسله هو، لقد تكبروا تكبراً في شأن أنفسهم، فأرادوا الخضوع لعظيم، وتجاوزوا الحد في الظلم والظغيان بطلب إرسال الملائكة أو رؤية الله في الدنيا.

٢٢- يوم يرون الملائكة عند الموت أو يوم القيامة، قد منعوا من البشري فيه، ويقولون لهم: منعاً ممنوعاً أو حراماً محرماً عليكم البشري بالمغفرة أو الجنة كما يشربه المتقون. وكان العرب يقولون هاتين الكلمتين إذا راوا ما يخيفهم كلقاء عدو، أو طروء نازلة، طالبين منع الشر عنهم. والكلمة الثانية للتأكيد.

٢٣- وتوجهت إرادتنا أو عمدنا إلى ما عملوا في الدنيا من عمل صالح كصلة الرحم، فجعلناه باطلاً مبدئاً لا نفع فيه؛ لأنه كان في حال الكفر، ويراد به غير وجه الله تعالى.

٢٤- أهل الجنة يوم القيامة أفضل منزلاً مستقراً فيها، وأحسن ماوى للراحة والقبولة.

٢٥- ويوم تنتفتح السماء بغمام يخرج منها، وتنزل الملائكة جماعة بعد جماعة من كل سماء، استعداداً لتنفيذ أوامر الله في يوم الفصل، ومعهم صحائف

٣٣- ولا يأتيك المشركون يا محمد بمنزل غريب
لإبطال دعوتك إلا أتيناك بالجواب الثابت الذي يبطل
ما أتوا به من المثل، وأحسن بياناً وإيضاحاً لهم.
والمثل: هو الكلام الخارج عن المعقول الذي يجري
مجري الأمثال في غرابته، والمراد به: الاقتراح
الباطل.

٣٤- الذين يجمعون ويساقون على وجوههم إلى جهنم، أي مقلوبين، أولئك شرٌ متزلاً وهو جهنم، وأبعد طريقاً من غيرهم، وهو كفرهم.

٣٥- ولقد آتينا موسى التوراة، وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً معيناً ونبياً، لمؤازرته في تبليغ الرسالة.

٣٦- فقلنا لهما: اذهبا إلى فرعون وقوميه الذين كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا (المعجزات) التسع، المتقدم ذكرها في الأعراف وغيرها، والمراد: آل حالهم إلى التكذيب، فأهلكناهم إهلاكاً عظيماً.

٣٧- وقوم نوح لما كذبوا نوحاً رسولهم أغرقناهم
بالطوفان، وعبر عن الرسول الواحد بالرسول؛ لأن
من كذب رسولاً فقد كذب جميع الرسل، وجعلنا
إغراقهم عبرة وعظة لكل الناس، وأعدنا في الآخرة
للكافرين عذاباً مؤلماً.

٣٨- وأهلكنا أيضاً قوم عاد الذين كذبوا رسلهم
هوداً، بريح صرصر عاتية، وقوم ثمود الذين كذبوا رسل
البشر غير المطوية قعوداً، وهم في رأي بعضهم: أصنام
بالخسف، أي انهارت بهم منازلهم، وأهلكنا أقواماً كثيراً
رسلهم.

٣٩- وكل قوم من هؤلاء الأقوام المهلكين خوفناهم وأنذرناهم بأخبار المكذبين، وكل قوم منهم أهلكتناهم إهلاكاً شديداً.

٤٠- ولقد مرّ كفار مكة أثناء تجارنتهم إلى الشام على قرى قوم لوط وهي سدوم وتوابعا التي أهلكت بالحجارة التي أمطروا بها، أفلم يكونوا يرونها عند سفرهم إلى الشام للتجارة، فيعتبروا بأثار العذاب الإلهي؟! بل كانوا كفرة لا يتوقعون بعثاً من القبور.

٤١- وإذا رآك المشركون أيها النبي ما يتخذونك إلا موضع هزء وسخرية، أي لا ينظرون إليك إلا هكذا، قائلين: أهذا الذي بعث الله رسولاً في دعواه؟! نزلت في أبي جهل، فإنه إذا مر رسول الله ﷺ مع صحبه قال مستهزئاً: ﴿أهذا الذي...﴾.

٤٢- إنه قد قارب أن يصرفنا عن عبادة ألهتنا، بمهارته في إثبات التوحيد، لولا ثباتنا وصدودنا على تلك العبادة، وسوف يعلمون علم اليقين حين يشاهدون العذاب الواقع بهم من هو أبعد طريقاً عن الحق، هم أم المؤمنون ؟!

٤٣- أخبرني عن جعل إلهه هواه، بأن أطاع هواه كطاعة الإله، أفأنت تكون موكلًا به تمنعه من اتباع هواه؟! وهذا استفهام إنكاري، والاستفهام الأول للتقريب والتعجب.



أَوْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا
كَأَلْتَعْلَمُ بَلْ هُمْ أَصْلُ سَيْلٍ ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ
كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً
جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلاً ﴿٤٥﴾ وَقَضَّيْنَاهُ إِنَّا قَابِضَا
يَسْبِرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالتَّوَارِثَ
مَسَاوًا وَجَعَلَ النَّهَارَ رَشْوًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ
بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾
لَنَعْلَمَنَّ بِبِلَدِهِ مَبِيتًا وَسُقْيَاهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسٍ
كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى
أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شَاءْنَا لَجَعَلْنَا
فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطْعَمُ الْكَافِرِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ
بِيَعْنَادٍ كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَّ الْبَحْرَيْنِ
هَذَا عَذْبٌ فَرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا
بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ
بَشَرًا جَعَلَهُمْ سِبْأً وَصِغْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾

٤٤- بل أنظن أيها النبي أن أكثرهم يسمعون سماع تفهم أو يعقلون ما تقول لهم، فتجديهم الآيات والبراهين؟ ما هم إلا كالبهائم المعدومة الفهم والوعي، بل هم أضل من الأنعام طريقاً.

٤٥- ألم تنظر إلى صنع ربك وفعله كيف بسط الظل من وقت طلوع الفجر إلى شروق الشمس، وهو ظل لا شمس فيه، وبعد الشروق يمتد الظل إلى جهة الغرب، ولو شاء الله لجعل الظل على حال واحدة بسكون الشمس، ثم جعلنا الشمس علامة تدل على أحوال الظل طولاً وقصراً.

٤٦- ثم قلصنا الظل الممدود إلى النحو الذي نريد، تدريجياً، بقدر ارتفاع الشمس، أي محوناه على مهل قليلاً قليلاً بحسب دوران الأرض حول نفسها مقابل الشمس. وكلمة ﴿إِلَيْنَا﴾ تعليق لمحو الظل بإرادة الله، لا سلطان لأحد فيه سواء؛ لأنه تابع لحركة الأرض.

٤٧- والله الذي جعل لكم الليل سائرًا للأشياء بظلامه، وجعل النوم قطعاً لأعمالكم وراحة لأبدانكم، وجعل النهار وقت نشور، ليتشعر الناس فيه للعمل وابتغاء الرزق. والتعبير بالسبب لتشبيه النوم بالممات، والتعبير بالنشور لتشبيه اليقظة بالحياة.

٤٨- والله الذي أرسل لكم الرياح مبشرات بنزول

المطر الذي هو رحمة بالعباد، وأنزل من السحاب جهة السماء ماءً طاهراً مطهراً، يطهر كل شيء ينزل عليه.

٤٩- لنحيي بالمطر بلدة لا نبات فيها- والإحياء: الإنبات، والميت يستوي فيه المذكر والمؤنث. ونسقي الماء بعض ما خلقنا من الأنعام (الإبل والبقر والغنم) وأناس أو بشر كثيرين، والأناسي جمع أنسي مثل كراسي وكراسي.

٥٠- ولقد وزعنا المطر في أماكن وأزمان ومقادير مختلفة بين المخلوقات الأرضية ليتذكروا نعمة الله به، فيشكروا ويعتبروا، فأبى أكثر الناس إلا جحود النعم وقلة الاكتراث بها، وكان العرب يضيفون نزول الأمطار إلى سقوط نجم في الغرب مع الفجر وطلوع رقيه في الشرق كل ١٣ يوماً.

٥١- ولو شاء الله لبعث في كل بلدة رسولاً ينذرهم، كقسمة المطر بينهم، ولكن بعثناك أيها النبي نذيراً عاماً.

٥٢- واجتهد في دعوتك ولا تطع الكافرين في أهوائهم وأباطيلهم، وجاهدكم بالقرآن جهاداً كبيراً، لأن الجهاد بالحجة والبرهان أكبر من المجاهدة بالسيف.

٥٣- والله الذي أجرى البحرين وجعلهما متجاورين بحيث لا يتمازجان، هذا عذب (غير مالح) شديد العذوبة، وهذا شديد الملوحة، وجعل بينهما حاجزاً حائلاً، ومانعاً ممنوعاً يمنع اختلاط أحدهما بالآخر، ويظل كل منهما متميزاً عن الآخر في تيار خاص بتقدير الله.

٥٤- والله الذي أوجد من ماء التطفة إنساناً، فجعله ذانسب ومصاهرة، والنسب: الولادة وما نشأ عنها من علاقة البنوة والأبوة والأخوة والعمومة. والمصاهرة: العلاقة الناشئة بين الزوج وأهل زوجته، وبين المرأة وأهل زوجها، وكان ربك تام القدرة على كل شيء.

٥٥- ويعبد الكفار من غير الله كالأصنام والأوثان ما لا ينفعهم إن عبدوه، ولا يضرهم إن تركوه، وكان الكافر معيناً للشيطان على معصية الله تعالى بالشرك والعداوة.

٥٦- وما أرسلناك أيها النبي إلا مبشراً من أطاعك بالجنة، ومخوفاً من عصاك بالنار.

٥٧- قل لهم أيها النبي: ما أطلب منكم على تبليغ القرآن ورسالة الله أجراً، لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه طريقاً ابتغاء مرضاته تعالى، فليفعل.

٥٨- وتوكل أيها النبي واعتمد على ربك الدائم الحياة الذي لا يموت، والذي يوثق به في تحقيق المطالب والمصالح، ونزّهه عن كل صفات النقصان، مع شكره على ما أنعم، وكفى بالله تعالى مطلعاً على ذنوب عباده، لا يخفى عليه شيء منها.

٥٩- وهو خالق السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات، بقدر ستة أيام من أيام الدنيا، ولو شاء لحلقهن دفعة واحدة، ثم اعتلى على العرش اعتلاء يليق بعظمته وجلاله، وهو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، فاسأل عنه وعما يليق به خبيراً من علماء الكتاب الإلهي.

٦٠- وإذا قيل لكفار مكة والقائل هو الرسول ﷺ- اسجدوا للرحمن دون غيره من الأصنام والأوثان،

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَتَنَّبَهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَرَأَ مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ سُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبُسُّونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَوْ يَقَرُّوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

قالوا: وما الرحمن؟ لا نعرف إلا رحمن اليمامة وهو مسيلمة، أئامرنا بالسجود لمن لا نعرفه، وزادهم الأمر بالسجود إعراضاً عن الإيمان.

٦١- تعظم وتقدس وتزده الرحمن الذي جعل في السماء منازل عالية ومدارات للكواكب السيارة وهي كما روي عن ابن عباس اثنا عشر منزلاً: وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجذلي والدلو والحوت، وقيل: البروج هي الكواكب العظيمة وجعل في السماء شمساً ساطعة بالنهار، وقمرأ مضيئاً بالليل، غير متقد.

٦٢- وهو سبحانه الذي جعل الليل والنهار صاحبي خلفة، يخلف كل منهما الآخر، ويأتي بعده، ويتعاقبان في الإضاءة والظلام، والزيادة والنقصان، لمن أراد أن يتذكر، فمن تذكر علم أنه لا بد في تعاقبهما من ناقل ومحو، ولمن أراد شكر نعمة ربه على ما أنعم في الليل والنهار من نعم عظيمة.

٦٣- وعباد الرحمن هم الذين يمشون على الأرض بسكينة ووقار دون تكبر، وإذا خاطبهم الجاهلون (السفهاء) بما يسيء لهم، قالوا: سلاماً، أي سلام متاركة، بلا خير ولا شر، لا سلام تحية.

٦٤- والذين يبيتون في الليل ساجدين لله، قائمين يصلون صلاة التهجد؛ لأن ذلك أبعد عن الرياء وأكثر خشوعاً.

٦٥- والذين يدعون ربهم قائلين: ربنا اصرف عنا عذاب جهنم، إن عذابها كان لازماً دائماً.

٦٦- إن جهنم تست وقبحت موضع استقرار وإقامة. والجملة تعليل للدعاء السابق.

٦٧- والذين إذا أنفقوا شيئاً من أموالهم لم يسرفوا- والإسراف: الخروج عن حد الاعتدال بكثرة الإنفاق- ولم يفتروا- والإفتار: البخل والتضييق في الإنفاق- وكان إنفاقهم وسطاً معتدلاً، لا زيادة فيه ولا نقص.



٦٨- والذين لا يعبدون مع الله إلهاً آخر ولا يتخذون رباً سواه، ولا يقتلون عمداً النفس التي حرم الله قتلها إلا بحق: وهو الكفر بعد الإيمان، والزنى بعد الإحصان (الزواج) وقتل نفس بغير نفس، ولا يقتربون الزنى بوطء الفرج الحرام بغير زواج ولا ملك بين، ومن يفعل أحد هذه الثلاثة المذكورة يلقى في الآخرة عقاباً: وهو جزاء الإثم الذي هو الذنب. أخرج الشيخان عن ابن عباس: أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثشروا، وزنوا فأكثشروا، ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزلت هذه الآية.

٦٩- يضاعف له العقاب بسبب انضمام المعصية إلى الشرك، يوم القيامة، ويبقى دائماً في المضاعف ذليلاً حقيراً.

٧٠- لكن من تاب من ذنوبه في الدنيا، وأمن بالله ورسوله، وعمل بما أمر الله به وانتهى عما نهى عنه، فأولئك يجعل في الآخرة مكان أعمالهم السيئة أعمالاً صالحة، بأن يحو عنهم المعاصي، ويثبت مكانها الطاعات، وكان الله كثير المغفرة والرحمة لعباده التائبين المحسنين. أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال: لما أنزلت في الفرقان ﴿والذين لا يدعون﴾

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقُولُونَ النِّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۖ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۖ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَوْ يُخَوِّرُ أَعْلَاهُمْ مَأْمُورًا وَعِبَادُ اللَّهِ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُبَدِّلْ لَنَا مِنْ دَرَسَاتِنَا قَوْمٌ غَائِبٌ وَأَجَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ ۖ إِمَّا مَا ۖ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا مَنَاجِبَ وَسَلَامًا ۖ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۖ فَلَمَّا يَبْغِثُوا كَيْدَ رَبِّ لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۖ

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

[٩٨] قال مشركو أهل مكة: قد قتلنا النفس بغير حق، ودعونا مع الله إلهاً آخر، وأتيننا الفواحش، فنزلت: ﴿إلا من تاب﴾ الآية.

٧١- ومن تاب عن المعاصي، وعمل صالح الأعمال أمراً ونهياً، فإنه يتوب توبة مقبولة عند الله، ويرجع إلى الله رجوعاً صحيحاً قوياً مرضياً عند الله تعالى.

٧٢- والذين لا يشهدون الشهادة الكاذبة عمداً، ولا يحضرون مجالس الباطل؛ لأن المشاهد كالمشارك، وإذا مروا باللغو: وهو كل ساقط من قول أو فعل، مروا معرضين عنه، أي إنهم يترفعون عن حديث اللغو ومشاركة أهله.

٧٣- والذين إذا أوعظوا بالقرآن، أقبلوا عليه سامعين مبصرين متفهمين، لم يعرضوا عنه.

٧٤- والذين يذعنون قائلين: ربنا أعطنا من أزواجنا وأولادنا ما تقر به عيوننا أي أسباب سرور، أي تسر به نفوسنا بتوفيقهم للطاعة والصلاح والفضيلة، واجعلنا قدوة في الخير، وهذا دليل على مشروعية طلب الرئاسة الدينية للقيام بوجوبها، لا للفتخربها.

٧٥- أولئك عباد الرحمن المتصنفون بهذه الصفات يجزون أعلى منازل الجنة وأفضلها، بسبب صبرهم على مشاق الطاعة وتجنب المعاصي، ويلقون في الدرجة الرفيعة في الجنة تحية من الملائكة وسلاماً، والسلام: تفسير التحية.

٧٦- ماكين فيها على الدوام، طابت الجنة موضع استقرار وإقامة، أي أن النعيم دائم لا ينقص مهما طالبت المدة.

٧٧- قل أيها الرسول لجميع الناس: لا ييالي بكم ربي لولا عبادتكم إياه ودعاؤكم له، والمراد: أنه ما خلقهم إلا ليعبدوه، وكيف يعبدوا أو ييالي بكم وقد كذبتم الرسول والقرآن؟ فسوف يكون العذاب وجزاء التكذيب ملازماً لكم في الآخرة لا ينقطع.

سورة الشعراء

فضلها: عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال: «إن الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة، وأعطاني السمين مكان الإنجيل، وأعطاني الطواسين مكان الزبور، وفضلني بالحواميم والمفصل، ما قرأهن نبي قبلي».

١- طاء، سين، ميم، هذه الأحرف للتببيه، والإشارة إلى إعجاز القرآن، وتحدي العرب بالإتيان بمثله، ما دام مكوناً من الأحرف الهجائية التي ترتكب منها اللغة العربية.

٢- تلك آيات هذه السورة آيات القرآن البين الواضح، الظاهر المعاني.

٣- لعلك أيها النبي مهلك نفسك من الحزن والتأسف لعدم إيمان قومك بما جئت به، والاستفهام إنكاري بفيد النهي عما بعده، وهذا تسرية عن الرسول ﷺ لغمة الشديد بسبب إعراض قومه عن الإيمان برسالته.

٤- لو نشاء أن نزل على كفار قومك معجزة من السماء تلجهم إلى الإيمان، فتصير أعناق أصحابهم، أي جماعاتهم منقادين لها حتماً.

٥- وما يأتيهم تذكير وموعظة بطائفة من آيات القرآن، مجدداً إزاله، إلا كانوا عنه معرضين عن سماعه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ ١ نَآءَ ٢ اِثَّ ٣ اَلِكِبَّ ٤ اَلْمِثِينَ ٥ لَعَلَّكَ ٦ بَخَّ ٧ نَفْسَكَ ٨
اَلَّا ٩ تَكُونُوا ١٠ مُؤْمِنِينَ ١١ اِنْ ١٢ نَشَاءُ ١٣ نَزَّلْ ١٤ عَلَيْهِمْ ١٥ مِنَ ١٦ السَّمَاءِ ١٧ آيَةً ١٨
فَقُلْتُ ١٩ اَعْمَهُمْ ٢٠ لَهَا ٢١ خُصْعِينَ ٢٢ وَمَا ٢٣ يَأْتِيهِمْ ٢٤ مِنْ ٢٥ ذِكْرٍ ٢٦ مِنْ ٢٧
الرَّحْمَنِ ٢٨ مُخْبِتٍ ٢٩ اِلَّا ٣٠ كَانُوا ٣١ عَنْهُ ٣٢ مُعْرِضِينَ ٣٣ فَقَدْ ٣٤ كَذَّبُوا ٣٥
فَتَبَّ ٣٦ اُنْهَاهُمْ ٣٧ اُنْتَبُوا ٣٨ مَا ٣٩ كَانُوا ٤٠ بِهِ ٤١ يَسْتَهْزِءُونَ ٤٢ اَوَلَمْ ٤٣ يَسِرُوا ٤٤ اِلَى ٤٥
الْاَرْضِ ٤٦ كَمَا ٤٧ اُنْبِئْنَا ٤٨ فِيهَا ٤٩ مِنْ ٥٠ كُلِّ ٥١ دَرَجٍ ٥٢ كَرِيمٍ ٥٣ اِنْ ٥٤ فِي ٥٥ ذَٰلِكَ ٥٦ لَآيَةٌ ٥٧ وَمَا ٥٨
اَكْثَرُ ٥٩ مُؤْمِنِينَ ٦٠ وَاِنْ ٦١ رَبُّكَ ٦٢ لَمَّا ٦٣ لَعَزَّ ٦٤ لِرَبِّكَ ٦٥ الرَّحِيمِ ٦٦ وَاِذَا ٦٧ نَادَىٰ ٦٨
رَبُّكَ ٦٩ مُوسَىٰ ٧٠ اِنَّا ٧١ اَنْتَ ٧٢ لَقَوْمٌ ٧٣ ظَالِمِينَ ٧٤ فَرَعُونَ ٧٥ اَلَا ٧٦ يَتَّبِعُونَ ٧٧
٧٨ اَلَمْ ٧٩ يَرَوْا ٨٠ اَنَّا ٨١ اَخَافُ ٨٢ اَنْ ٨٣ يَكْذِبُوْنَ ٨٤ وَضِيقٌ ٨٥ صَدْرِي ٨٦ وَلَا ٨٧
يُطْلِقُ ٨٨ لِسَانِي ٨٩ فَاَرْسِلْ ٩٠ اِلَى ٩١ هَارُونَ ٩٢ وَلَمْ ٩٣ عَلَيَّ ٩٤ ذَنْبٌ ٩٥ فَاَخَافُ ٩٦ اَنْ
يَقُولُوْنَ ٩٧ اَلَمْ ٩٨ نَكْفُرْ ٩٩ بِمَا ١٠٠ نَدَّيْنَا ١٠١ اِيْلَآ ١٠٢ اَنَّا ١٠٣ مَعَكُمْ ١٠٤ مُسْتَمِعُونَ ١٠٥ فَاَتَيْنَا ١٠٦
فَرَعُونَ ١٠٧ فَقَوْلًا ١٠٨ اِنَّا ١٠٩ اَرْسَلْنَا ١١٠ رَبَّ ١١١ الْعَالَمِينَ ١١٢ اَنْ ١١٣ اَرْسِلْ ١١٤ مَعَنَا ١١٥ بِي ١١٦
١١٧ اَمْرٍ ١١٨ اَلَمْ ١١٩ نَزِّنْكَ ١٢٠ فِيْنَا ١٢١ وَاَوْلَدْنَا ١٢٢ وَلَكِنَّ ١٢٣ فِيْنَا ١٢٤ مِنْ ١٢٥ عَمْرٍ ١٢٦
وَفَعَلْتَ ١٢٧ فَعَلْنَاكَ ١٢٨ اَلَّذِي ١٢٩ فَعَلْتَ ١٣٠ وَاَنْتَ ١٣١ مِنْ ١٣٢ اَلْكَافِرِينَ ١٣٣

٦- فقد كذب هؤلاء المشركون بالقرآن بعد إعراضهم، فسيحل بهم العذاب، عاجلاً أو آجلاً. والأنباء: أخبار ما يستحقونه من العقوبة.

٧- أولم ينظروا إلى عجائب الأرض، كثير ما أنبتنا فيها من كل صنف من الأشجار والنباتات.

٨- إن في ذلك الإنبات في الأرض لدلالة واضحة على تمام قدرة الله وحكمته، ولم يكن أكثر الناس مؤمنين بالله وحده.

٩- وإن ربك لهو القوي القادر على الانتقام من الكفرة، مع كونه كثير الرحمة، حيث أمهلهم ولم يعاقبهم.

١٠- واذكر أيها النبي حين نادى ربك موسى أن اذهب إلى القوم الظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي.

١١- وهم فرعون وقومه، ألا يخافون عقاب الله على كفرهم وظلمهم؟! قل لهم: اتقوا الله.

١٢- قال موسى: يا رب، إني أخاف أن يكذبوني في رسالتي.

١٣- ويتضابق صدري غماً بسبب تكذيبهم إياي، ولا يتطابق لساني بأداء الرسالة، فأرسل جبريل بالوحي إلى أخي هارون.

١٤- ولقوم فرعون علي تبعة ذنب هو قتل القبطي قبل النبوة حال الشباب، فأخاف أن يقتلوني به.

١٥- قال الله: كلا لا تخف من القتل، اذهب أنت وأخوك - بتخليب الحاضر على الغائب - يأيأتنا التسع المذكورة في [الأعراف

١٧/ ١٣٣] و [طه ١٧/ ٢٠] وما بعدها كالطوفان والجراد، إننا معكم مستمعون ما يجري بينكما وبين فرعون من حوار.

١٦- فأتينا فرعون، فقولا له: كل منا رسول من رب العالمين، أرسلنا الله إليك. وفي اللغة العربية: الواحد فأكثر رسول.

١٧- ومضمون الرسالة: أن ترسل معنا الإسرائيليين، وتطلق سراحيهم من أسرك واستعبادك.

١٨- قال فرعون لموسى: لقد ريتك في قصورنا صغيراً، ولم تقتلك بكيفية الأطفال، وأمتت عندنا عدداً من السنين نرعاك.

١٩- فجازيتنا على تربيتك أن كفرت نعمتنا، وقتلت منا نفساً - أي قتل القبطي - وأنت من الجاحدين لإنعامنا.

٢٠- قال موسى: فعلتها إذن وأنا من المخطئين الجاهلين بالعواقب قبل إتيان العلم والرسالة.

٢١- ففررت منكم إلى مدين لما خفت منكم أن تقتلوني، فمنحني ربي نبوة وحكمة وعلماً بالتوراة، وجعلني أحد الأنبياء المرسلين.

٢٢- وهل تلك نعمة تمن علي بأن ربي تني وليدأ، واستعبدت قومي بني إسرائيل وذبحت أبناءهم؟! وكلمة ﴿أن﴾ تفسيرية، يفسر ما بعدها ما قبلها.

٢٣- قال له فرعون: وما حقيقة رب العالمين الذي قلت: إنك رسوله؟

٢٤- قال موسى: هو خالق السموات والأرض وما بينهما من إنسان وحيوان وجماد ونبات، إن كنتم مصدقين بآله، فهذا أولى بالإيمان به. عين له ما أراد بالعالمين، وترك الجواب عن حقيقة الله، مكتفياً بما يدل على كمال قدرته الإلهية.

٢٥- قال فرعون لمن حوله من الحاشية والأشراف: ألا تستمعون ما قاله موسى؟ فإن جوابه لم يطابق السؤال، سألته عن حقيقة رب العالمين، فذكر أفعاله، متعجباً من ضعف المقال.

٢٦- قال موسى: الله ربكم الذي خلقكم، ورب آبائكم السابقين الذين خلقهم، والمراد أن فرعون أحد البشر المخلوقين.

٢٧- قال فرعون لحاشيته: إن رسولكم هذا المرسل إليكم لمجنون، حيث أسأله عن شيء ويجيبني عن غيره، ويزعم أن هناك رباً غيري. وسماء رسولاً استهزاء وسخرية.

٢٨- قال موسى: إنه الرب الذي تشاهدون آثاره كل يوم، فهو رب المشرق يأتي بالشمس، ورب المغرب يجعل الشمس تغرب، وما بينهما من مخلوقات، إن كنتم من أهل العقول التي تفكر برب العوالم.

٢٩- قال فرعون مهتداً: لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك سجيناً حتى الموت.

٣٠- قال له موسى: أتجعلني سجيناً ولو أتيتك بشيء بين صدقي وتأييد دعواي؟

٣١- قال فرعون: فأت بهذا الدليل الواضح إن كنت صادقاً في دعواك.

٣٢- فالتقى موسى عصاه على الأرض، فإذا هي ثعبان ظاهر حاله، بلا تمويه ولا تخيل.

٣٣- وأخرج يده من جيبه، فإذا هي ذات شعاع كالشمس، لكل من رآها، خلافاً لما كانت عليه من جلد ولحم وعظم.

٣٤- قال فرعون لمن حوله من الوجهاء والأشراف والسادة: إن هذا الساحر فائق في علم السحر.

٣٥- إن موسى يريد أن يخترجكم من أرض مصر بسحره، فما رأيكم ومشورتكم فيه وفي أمثاله المتسلطين؟

٣٦- قال الزعماء والرؤساء: آخره وأخاه هارون لفرصة أخرى، وأرسل في أنحاء البلاد جنداً يجمعون السحرة.

٣٧- يأتوك بكل ماهر حاذق خبير بفن السحر وصنعتة، ليتغلب على موسى.

٣٨- فجُمع السحرة في ميقات يوم محدد هو يوم الزينة وهو يوم عيد عندهم، في وقت الضحى. والميقات: هو الزمن المحدد لعمل معين.

٣٩- وقيل لأهل مصر: هل أنتم مجتمعون في هذا الميقات؟ وهو حث لهم على الاجتماع، كأنه قال: اجتمعوا، لنشاهدوا البارزة بين موسى والسحرة، ولمن تكون الغلبة؟

قَالَ فَعَلَهَا إِنَّا وَأَنَّا مِنَ الْفَاعِلِينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبْدْتُ بِحَبْلِ إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ ذَرَبُ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لِمَنِ اتَّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمُسْتَجِيرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوْلَوْجُنَاكَ بَنِي وَهْمِينَ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَاذْهَبْ بِعِزِّكَ مِنْ الصَّدِيقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنُّظَرِ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَاذْهَبُوا مُتَرَاوِعِينَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَتَجِدُ أَخَاهُ وَابْتِغَاءَ الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا تُوَكُّلُ كُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٌ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُخْجَعُونَ ﴿٣٩﴾

٦١- فلما رأى كل من الجمع الآخر وتقاربا، قال أصحاب موسى: سيلحقنا جمع فرعون.

٦٢- قال موسى: كلا، لن يدركونا، إن الله سيرشدني إلى طريق النجاة منهم. وكلمة «كلا» للنهي عن قول سابق، أي لا تقولوا.

٦٣- فأوحينا إلى موسى: أن اضرب بعصاك البحر، أي بحر السويس، ففعل، فانشق البحر اثني عشر فرقا بينها مسالك، فدخلوا في شعابها، فكان كل قطعة من البحر أو جانب من الماء المنحسر كالجبل العظيم الضخم الثابت.

٦٤- ثم قربنا هناك فرعون وجنوده، حتى دخلوا وراء موسى وقومه في البحر لإغراقهم فيه.

٦٥- وأنجينا موسى وقومه أجمعين من الغرق، بحفظ البحر على تلك الحال إلى أن عبروا.

٦٦- ثم أغرقنا فرعون وجنوده بإطباق البحر عليهم، بعد أن دخلوا في شعابه.

٦٧- إن في ذلك الإغراق لعظة وعبرة، وآية عظيمة على قدرة الله المخارقة، وما كان أكثر الناس عن كانوا في مصر مع فرعون مؤمنين، فلم يؤمن غير آسية امرأة فرعون وأيسما حزقيل مؤمن آل فرعون ومريم بنت داموس التي دلت على تابوت يوسف عليه السلام.

٦٨- وإن ربك لهو القاهر المنتقم من أعدائه، الرحيم بأوليائه المؤمنين به.

فَلَمَّا رَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعَ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنَاضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالطُّورِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا نَوْمَ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ وَأَجْعَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَرَاغَرَفْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَأَنَّا لَعَلَيْهِمْ نَبَأٌ بَرِّهِيمٍ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَيُّيِهِمْ مَتَّعِدُونَ ﴿٧٠﴾ فَأَلَوْا نَعْبِدُ أَصْنَامًا فَظَلَّهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُوكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ فَأَلَوْا نَبْلُ وَجَدْنَا آيَةً تَاكِدُكَ يَقُولُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَوَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ مَتَّعُوا نَعْبِدُونَ ﴿٧٥﴾ أَتُنَادُونَآوَاءَكُمْ أَفَلَا تَقْدَرُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِيَ الْآرَبِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْخِفْ لِي الْغَلْظَ بِالْصَّلَاتِ ﴿٨٣﴾

٦٩- واقرأ على مشركي قومك في مكة وغيرها خبر إبراهيم الخليل عليه السلام.

٧٠- حين قال لأبيه آزر وقومه الوثنيين في بابل: أي شيء تعبدونه؟ وسؤالهم لفت نظرهم أن ما يعبدونه من الأصنام لا يستحق العبادة.

٧١- قالوا له: نعبد أصناماً فنبقى ملازمين مداومين على عبادتها.

٧٢- قال إبراهيم لهم: هل يسمعون دعاءكم حين تدعونهم؟!

٧٣- أو ينفعونكم حين تعبدونهم، أو يضررونكم إن لم تعبدوهم. وإذا كانت لا تسمع ولا تضر فلا داعي لعبادتها.

٧٤- قالوا له حينما عجزوا عن الجواب: بل وجدنا آباءنا يفعلون مثل فعلنا، وهو مجرد تمسك بالتقليد.

٧٥- قال إبراهيم: أفرأيتم ما تعبدونه من هذه الأصنام؟!

٧٦- أنتم ومن سبقكم من الآباء والأجداد القدماء.

٧٧- فإنهم أعداء لي لا أعبدهم، لكن أعبد الله رب العوالم كلها من الإنس والجن. وعدو: يطلق على الواحد والآخر.

٧٨- الله الذي خلقتني فهو يرشدني إلى صلاح الدين والدنيا. وهاتان صفتا الخلق والهداية.

٧٩- والصفة الثالثة: الرزق، فالله هو يرزقني ويمدني بالطعام والشراب.

٨٠- والصفة الرابعة: تحقيق الشفاء، فالله يشفيني من المرض إن مرضت بعد تعاطي الأسباب كالدواء.

٨١- والصفة الخامسة: الإماتة والإحياء، فالله هو الذي يميتني عند انتهاء الأجل، ثم يحييني في الآخرة.

٨٢- والصفة السادسة: المغفرة، والله الذي أرجو أن يغفر لي تقصيري وذنبي يوم الجزاء والحساب. وإنما قال ذلك إشعاراً بأنه

لم يعمل شيئاً أمام نعم الله تعالى.

٨٣- رب امنحني حكمة وفهماً وعلماً بما هو خير، وألخفني بالكاملين في الصلوات وهم الأنبياء.

٨٤- واجعل لي ثناء حسناً في الأجيال الآخرين الذين يأتون من بعدي إلى يوم القيامة، وذلك يكون بالتوفيق للأعمال الصالحة.

٨٥- واجعلني ممن يتمتعون بنعيم الجنة.

٨٦- واغفر لأبي بتوفيقه للإيمان والهداية، إنه كان من المخطئين المنحرفين عن طريق الاستقامة.

٨٧- ولا تعرضني للذل والإهانة يوم القيامة.

٨٨- ذلك اليوم الذي لا نفع فيه بمال ولا بأولاد.

٨٩- لا ينفع أحداً ماله ولا ولده عند الله إلا من جاء بقلب مؤمن مخلص، سليم من الكفر والنفاق.

٩٠- وقررت الجنة للذين اتقوا العذاب بالطاعة.

٩١- وأظهرت النار للكفار قبل أن يدخلوها.

٩٢- وقيل للمشركين: أين المعبودات التي كنتم تعبدونها من الأصنام والأوثان وغيرها؟

٩٣- تعبدونها من غير الله، هل ينصرونكم بإجائكم من العذاب، أو يتصورون لأنفسهم؟

٩٤- فآلقوا في جهنم على وجوههم: الآلهة المعبودة وعبدتها الضالون الذين اغواهم غيرهم.

٩٥- وألقي فيها أتباع إبليس ومطيعوه أجمعون من عصاة الإنس والجن.

٩٦- قال الغواة وهم في جهنم يتخاصمون مع معبوديهم، بإنطاق الله الأصنام:

٩٧- والله إنا كنا في ضلال واضح.

٩٨- حين نساويكم في الطاعة والحب والعبادة والخوف بالله رب العالمين.

٩٩- وما أضلنا عن الحق والهدى إلا شياطين الإنس والجن من السادة وغيرهم، ممن عادوا الله تعالى.

١٠٠- فليس لنا الآن في هذه المحنة من شفعاء عند الله تعالى ينقذونا من العذاب. و «من» يفيد عموم نفي ما بعده.

١٠١- وليس لنا أيضاً صديق صادق الود، مخلص الإخاء ينقذنا من العذاب.

١٠٢- فليت لنا رجعة إلى الدنيا، فتصير من جملة المؤمنين. و «لو» هنا استعملت في معنى التمني.

١٠٣- إن فيما ذكر من قصة إبراهيم مع قومه لعبرة وعظة، وما كان أكثر الناس في مكة وغيرها مؤمنين.

١٠٤- وإن ربك أيها الإنسان لهو القادر على الانتقام من أعدائه، الرحيم بالإمهال ليؤمنوا، وبأوليائه المؤمنين.

١٠٥- كذبت قوم نوح رسولهم، وعبر عن نوح بالمسلمين، لأن من كذب رسولاً فقد كذب الرسل جميعاً.

١٠٦- إذ قال لهم نوح أخوهم في النسب أو الجنس لا أخوة دين: ألا تتقون عذاب الله بترك عبادة الأصنام، وتؤمنون بالله ورسوله؟! و «ألا» حرف يفيد الحث على الفعل.

١٠٧- إني لكم رسول من الله، أمين فيما أبلغكم عنه.

١٠٨- فخافوا عذاب الله، وأطيعوني فيما أمركم به من توحيد الله وطاعته، وأداء فرائضه وشرائعه.

١٠٩- وما أطلب منكم أجراً أعلى تبليغ الرسالة، ما أجري إلا على الله، أرجو منه الثواب. و «من» للعموم النفي.

١١٠- فخافوا عذاب الله وأطيعوني في الأوامر والنواهي الإلهية. كرر ذلك للتأكيد.

١١١- قال قوم نوح: كيف تنبئك ونصدقك، والحال أن قد اتبعت السفلة من الفقراء والضعفاء وأهل

الصنائع؟!



١١٢- قال نوح: وما علمي بعملهم؟ إنني لم أكلف بالبحث عن أعمالهم، وسرايرهم.
 ١١٣- ما حسابهم على ضمايرهم أو بواطنهم، وأعمالهم إلا على الله تعالى، لو تعلمون ذلك.
 ١١٤- ولست بطارد المؤمنين من مجلسي.
 ١١٥- ما أنا إلا منذر مخوف، واضح الإنذار لكل الناس، لا فرق بين شريف ووضيع.
 ١١٦- قالوا: لئن لم تنته عن دعوتك وسب آلهتنا، لتكونن من المقتولين رميا بالحجارة.
 ١١٧- قال نوح: يارب، إن قومي أصروا على تكذبي ورفض دعوتي.
 ١١٨- فاحكم بيني وبينهم حكماً يظهر الحق من المبطّل، ويهلك من كذب رسولك.
 ١١٩- فأجبنا دعاءه وأنجيّناه ومن آمن وركب معه في السفينة المملوءة بالناس والمتاع.
 ١٢٠- ثم أغرقنا بعد إنجائهم الباقين من قومه.
 ١٢١- إن في ذلك المذكور من قصة نوح لعبرة وعظة للمعتبر المتأمل، وما كان أكثر الناس مؤمنين.
 ١٢٢- وإن ربك أيها الإنسان هو القاهر المنتقم من أعدائه الكفرة، الرحيم بالمؤمنين التائبين.
 ١٢٣- كذبت قوم عاد رسولهم هوداً، وعبر عنه بصيغة الجمع؛ لأن من كذب رسولا فقد كذب جميع الرسل.

١٢٤- حين قال لهم هود أخوهم في القبيلة والنسب لا في الدين: ألا تخافون عذاب الله بترك عبادة الأصنام، وتؤمنون بالله ورسوله؟

١٢٥- إنني لكم رسول مرسل من الله، أمين على تبليغ رسالة ربي.
 ١٢٦- فاتقوا عذاب الله بال التزام أوامره واجتناب نواهيه، وأطيعوني فيما أبلغكم به من التكاليف الدينية.
 ١٢٧- وما أطلب أجراً على تبليغ الرسالة، وما ثوابي وأجري إلا على الله رب العالمين.
 ١٢٨- أتبنون بكل مكان مرتفع قصراً شامخاً كأنه جبل، لا للحاجة وإنما للعبث والتفاخر واللمهو؟ والاستفهام إنكاري يدل على عدم الرضا عما بعده.

١٢٩- وتتخذون حصوناً منيعاً، كأنكم تظنون الخلود في الدنيا.
 ١٣٠- وإذا ضربتم بشدة وغف تعدياً، ضربتم عتاة متسلطين بلا رافة ولا شفقة.
 ١٣١- فاتقوا عذاب الله وأطيعوني فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه.
 ١٣٢- واتقوا الله بإخلاص العبادة له، فهو الذي أنعم عليكم أو أعطاكم بما تعلمون من نعم ومواهب.
 ١٣٣، ١٣٤- أعطاكم الأنعام (الماشية) للكل والنفع، والبنين للمعاونة، والبساتين والأنهار الجارية.
 ١٣٥- إنني أخاف عليكم بعصيان عذاب يوم عظيم في الدنيا والآخرة.
 ١٣٦- قالوا: استوى عندنا وعظك وعدمه، لا نبالي في الحالين، ولن نؤمن بك، والمراد: التثبيس والتعجيز.
 ١٣٧- ما هذا الذي نحن عليه إلا عادة الأقسام السابقين ودينهم، ونحن تابعون لهم ومقلدوهم.
 ١٣٨- ولستنا نحن بمعتدين بعد موتنا، إذ لا بعث ولا جزاء ولا حساب.

١٣٩- فكذبوا هوداً، فأهلكناهم بريح صرصر جزاء على تكذيبهم، إن في ذلك لعبرة وعظة، وما كان أكثر الناس مؤمنين.

١٤٠- وإن ربك لهو القادر القاهر المنتقم من أعدائه، الرحيم بأوليائه المؤمنين.

١٤١- كذبت قبيلة ثمود رسولهم صالحاً، وعبر عنه بصيغة الجمع؛ لأن من كذب رسولاً فقد كذب جميع الرسل.

١٤٢- حين قال لهم صالح أخوهم في القبيلة والنسب لا في الدين: ألا تتقون عذاب الله بترك عبادة الأصنام؟

١٤٣- إني لكم رسول مرسل من ربكم، أمين في تبليغ رسالة الله تعالى.

١٤٤- فأخلصوا لله العبادة والطاعة، وأطيعوني فيما أمرتكم به ونهيكم عنه.

١٤٥- وما أطلب منكم أجراً على تبليغ الرسالة، ما أجري أو ثوابي إلا على رب العالمين من إنس وجن.

١٤٦- اتحسبون أنكم تتركون ما هنا في هذه النعم الدنيوية والخيرات آمنين من العذاب والموت؟ والاستفهام إنكاري يفيد النفي.

١٤٧، ١٤٨- آمنين في بساتين وأنهار جارية، وزروع مختلفة الأنواع، وتخل ثمرها يانع سهل الهضم، لين لطيف.

١٤٩- وتنتحون من الجبال بيوتاً فخمة، بطرين أو ماهرين حاذقين.

١٥٠- فاتقوا عذاب الله وأطيعوني فيما أمرتكم به ونهيكم عنه.

١٥١- ولا تطيعوا أمر العصاة المتجاوزين الحدود المعتادة.

١٥٢- الذين يفسدون في الأرض بالمعاصي، ولا يصلحون ما أفسدوه بالتوبة وبطاعة الله تعالى.

١٥٣- قالوا له: إنما أنت من الذين فقدوا عقولهم، وغلب عليهم السحر، فصاروا مجانين.

١٥٤- ما أنت يا صالح إلا بشر مثلاً نأكل ويشرب، فلا مزية لك علينا، فأت بمعجزة مادية محسوسة تدل على أنك رسول من عند الله، إن كنت صادقاً في ادعاء الرسالة إلينا.

١٥٥- قال لهم صالح: هذه ناقة خلقها الله لكم، لها نصيب من الماء، ولكم نصيب مثله في اليوم التالي.

١٥٦- ولا تصيبوها بسوء، أي شيء مؤذ، فيحل عليكم عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة.

١٥٧- فرموها بسهم ثم قتلوها، فعل ذلك أحدهم برضا وتحريض الآخرين، فأصبحوا نادمين على قتلها حينما رأوا أمارات العذاب، وخوفهم من صدق صالح.

١٥٨- فأحاط بهم المذاب وهو الرجفة أو الزلزال الشديد، فأهلكهم، إن في ذلك لعبرة، ولم يكن أكثرهم مؤمنين.

١٥٩- وإن ربك لهو القادر على الانتقام من أعدائه الكفرة، الرحيم بأوليائه الثائنين.

١٦٠- كذبت قوم لوط رسولهم لوطاً، وعبر عنه بصيغة الجمع؛ لأن من كذب رسولاً، فقد كذب جميع الرسل.

١٦١- حين قال لهم نبيهم لوط وأخوهم في السكن والبلد لا في الدين والنسب: ألا تتقون عذاب الله بترك عبادة الأصنام، وتوحيد الله وطاعته؟! ولوط هو ابن أخي إبراهيم من بابل.

فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَتَاتِقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٤﴾ أَتَذْكُرُونَ مَا هُمْ بِأَمِينٍ ﴿١٤٥﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٦﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضْبٌ ﴿١٤٧﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِفِينَ ﴿١٤٩﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلِحُونَ ﴿١٥٠﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥١﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٢﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٤﴾ فَعَمَرُوهَا فَاصْبِرُوا لِنَذِيرٍ ﴿١٥٥﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٦﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٧﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥٨﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٥٩﴾

١٦٢- إني لكم رسول مرسل من الله، أمين على تبليغ الرسالة الإلهية دون زيادة ولا نقص .
 ١٦٣- فاتقوا عذاب الله بالعبادة والإخلاص والطاعة، وأطيعوني فيما أمركم به وأنهاكم عنه .
 ١٦٤- وما أطلب منكم أجراً على تبليغ الرسالة، ما أجري وثوابي إلا على الله رب العوالم كلها .
 ١٦٥- أتستعاطون الفاحشة مع الذكور من الناس؟ وكانوا يفعلون ذلك مع الغرباء .
 ١٦٦- وتتركون ما خلق الله من أجل استمتاعكم من جنس النساء في أقبالهن، بل أنتم قوم مجاوزون الحدود في المعاصي .
 ١٦٧- قالوا: لئن لم تنته يا لوط عن إنكارك علينا ما فعل، لتكونن من المطرودين المبعدين من بلدنا .
 ١٦٨- قال لوط: إني لعملكم وهو إتيان الذكور من المبغضين أشد البغض .
 ١٦٩- ربي احفظني وأهلي من سيئات أعمالهم وعقابهم .
 ١٧٠- فنجيناها وأهل بيته ومن آمن به أجمعين .
 ١٧١- إلا امرأة عجوزاً هي امرأة لوط كانت في الباقيين في العذاب من الهالكين .

إني لكم رسول أمين ﴿١٦٢﴾ فاتقوا الله وأطيعون ﴿١٦٣﴾ وما أسألكم عليه من أجر إن أجرينى إلا على رب العالمين ﴿١٦٤﴾ أنا أنزل الذكران من العالمين ﴿١٦٥﴾ ونذرت ما خلق لكم من أنفسكم بل الله قوّم عادون ﴿١٦٦﴾ قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين ﴿١٦٧﴾ قال إني لعملكم من القالين ﴿١٦٨﴾ رب نجني وأهلي مما يعملون ﴿١٦٩﴾ فنجيناها وأهلها وأجمعين ﴿١٧٠﴾ إلا عجوزاً في الغدير ﴿١٧١﴾ نودمنا الآخرين ﴿١٧٢﴾ وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المذنبين ﴿١٧٣﴾ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴿١٧٤﴾ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴿١٧٥﴾ كذب أصحاب فتية المرسلين ﴿١٧٦﴾ إذ قال لهم شعيب ألا تنفون ﴿١٧٧﴾ إني لكم رسول أمين ﴿١٧٨﴾ فاتقوا الله وأطيعون ﴿١٧٩﴾ وما أسألكم عليه من أجر إن أجرينى إلا على رب العالمين ﴿١٨٠﴾ أو فوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين ﴿١٨١﴾ وزنوا بالقسط ما أمروا ﴿١٨٢﴾ ولا تحسوا الناس أشياءهم ولا تغفروا في الأرض مفسدين ﴿١٨٣﴾ فاتقوا الذي خلقكم والجيل الأولين ﴿١٨٤﴾

١٧٢- ثم أهلكنا الآخرين بالخسف والحصى .

١٧٣- وأمطرنا عليهم حجارة من السماء، فبئس مطر المخوفين مطرهم، أنذرهم ربهم بالعذاب إذا عصوا الله .

١٧٤، ١٧٥- إن في تلك القصة لعبرة وعظة لكل متأمل، حيث أهلك الله العصاة ونجى المؤمنين، ولم يكن أكثرهم مؤمنين بالله ورسوله، وإن ربك لهو القاهر الذي لا يغلب، الرحيم بأوليائه التائبين .

١٧٦- كذب أصحاب الأيكة: وهي غيضة شجر كثيف قرب مدين رسولهم شعيباً، وعبر عنه بصيغة الجمع؛ لأن من كذب رسولاً فقد كذب جميع الرسل كما تقدم .

١٧٧- حين قال شعيب: ألا تنفون عذاب الله بفعل الأوامر وترك النواهي؟

١٧٨- إني لكم رسول مرسل من الله، أمين في تبليغ الرسالة دون تبديل ولا تحريف .

١٧٩- فأخلصوا العبادة لله واتقوا ما يسخطه، وأطيعوني فيما أمركم به وأنهاكم عنه .

١٨٠- وما أطلب منكم أجراً على النصيح والإرشاد، ما أجري وثوابي إلا على الله رب الإنس والجن .

١٨١- أموا الكيل، ولا تكونوا من ناقصي الحقوق بالتطفيف في الكيل والوزن .

١٨٢- وزنوا وزناً عدلاً بالميزان السوي المعتدل .

١٨٣- ولا تنقصوا الناس حقوقهم شيئاً، ولا تفسدوا في الأرض أشد الإفساد بالقتل والنهب وقطع الطريق وغير ذلك من ألوان الاعتداء .

١٨٤- وخافوا الله الذي خلقكم وخلق الخلائق أو الجماعات السابقين .

١٨٥ - قالوا: إنا أنت من الذين سحروا.

١٨٦ - وما أنت إلا مثلنا من البشر، فكيف تأتينا النبوة، فجمعوا بين الوصفين لتكذيب الرسالة: البشر المسحور، وإنا نعتقد أنك كاذب.

١٨٧ - فإن كنت صادقاً في دعواك فأسقط علينا قطعاً من عذاب السماء.

١٨٨ - قال شعيب: ربي أعلم بما تعملون من المنكرات، ومجازيكم عليها، لا يخفى عليه شيء، ولست قادراً على إزلال شيء من العذاب بكم.

١٨٩ - فأصروا على تكذيبه، فأخذهم عذاب يوم الظلة: وهو السحاب الذي أظلمهم بعد حر شديد أصابهم، فاجتمعوا تحته، فأمطرتهم ناراً وأحرقتهم جميعاً، إنه كان عذاب يوم عظيم.

١٩٠ - إن في قصة أصحاب الأيكة لعلظة وعبرة للمعتبر، ولم يكن أكثر قوم شعيب مؤمنين بالله.

١٩١ - وإن ربك لهم القادر على الانتقام من أعدائه، الرحيم بأوليائه المؤمنين.

١٩٢ - وإن هذا القرآن لتنزِيل رب العالمين.

١٩٣ - نزل به جبريل الأمين بوحى من الله.

١٩٤ - نزل به على قلبك أيها النبي؛ لأنه مركز الوحي والإدراك، لتحفظه ولا تنساه، لتكون من المنفذين من عصى الله بالعذاب.

١٩٥ - أنزله باللغة العربية الواضحة، لغة الرسول

العربي، لتلا يقول العرب: لا تفهم ما يقول بلسان آخر.

١٩٦ - وإن هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ مبشر به في كتب الأنبياء السابقين كالطهارة والإنجيل.

١٩٧ - أو لم يكن مشركي مكة علامة دالة على صحة القرآن ونبوة محمد ﷺ: أن يعلم بيعة محمد علماء بني إسرائيل الذين آمنوا بحمد الله بن سلام وأمثاله.

١٩٨ - ولو نزلنا القرآن على بعض الأعاجم غير العرب. والأعجمي: كل من لا يفهم العرب كلامه.

١٩٩ - فقرأه على مشركي مكة قراءة عربية صحيحة بنحو معجز خارق للعادة، لم يؤمنوا به، لفرط عنادهم واستكبارهم. وبذلك تتوافر معجزتان: إعجاز القرآن في حذاته وإعجاز قراءته من أعجمي.

٢٠٠ - مثل إدخالنا التكذيب به والكفر، أدخلناه في قلوب المجرمين كفار مكة بقراءة النبي ﷺ، أي أن الكفر بخلق الله تعالى، والعبد مكتسب مختار له.

٢٠١ - لا يؤمنون بالقرآن حتى يروا العذاب المؤلم في الدنيا.

٢٠٢ - فيأتيهم العذاب فجأة، والحال أنهم لا يشعرون بإتيانه.

٢٠٣ - فيقولوا عند مشاهدة العذاب: هل نحن مبهلون لنؤمن ونعمل صالحاً؟ والمراد بالاستفهام هنا طلب ما بعده.

٢٠٤ - أيسمعجلون عذابنا بقولهم: أسقط علينا حجارة من السماء أو قطعاً من السماء كما زعمت؟

٢٠٥، ٢٠٦ - أخبرني إن تركناهم يتمتعون بنعيم الدنيا سنين عديدة؟ ثم جاءهم من العذاب ما كانوا يوعدون به. وفي النبي ﷺ كأنه متحير، فسأله عن ذلك، فقال: ولم، ورأيت عدوي يكون من أمتي بعد؟ فنزلت هذه الآية وما بعدها، فطابت نفسه.

٢٠٧ - أي شيء أفادهم لدفع العذاب ما كانوا يتمتعون به في الدنيا؟ أو لم يقدمهم تمتعهم الطويل في دفع العذاب.

قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا
وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ
السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ
﴿١٨٨﴾ فَخَذَّاهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِن تَوَلَّيْتَ بَنِي الْعَالَمِينَ
﴿١٩٢﴾ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ
﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّ لِي لَنُذِيرَ الْأُولِينَ ﴿١٩٦﴾
بِكُنْهُمُ آيَةً أَنْ يَعْلَمُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ تَرَكْنَا عَلَى
بَعْضِ الْأَعْمَىٰ عَيْنًا ﴿١٩٨﴾ فَرَأَوْهُمْ مَا كَانُوا مِن مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾
كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ
يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْةً وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾
فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَعَذَابُ النَّاسِ يُعْجِلُونَ
﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ
مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٢٠٧﴾

٢٠٨- وما أهلكنا من أهل قرية إلا بعد إرسال الرسل
للمنبرين، وإنزال الكتب.

٢٠٩- هذا الخبر تذكرة وعظة للناس في دار الدنيا، وما كنا
ظالمين في تعليمهم بعد إنذارهم.

٢١٠- وما تنزلت الشياطين بهذا القرآن، خلافاً لما زعم
المشركون أنه إلقاء الشياطين على الكهنة.

٢١١- وما يصح وما يتسنى لهم أن يتنزلوا به، وما يقدر
على ذلك.

٢١٢- إنهم عن السمع لكلام الملائكة لمعنون بالشهب
النارية، مرجومون بها.

٢١٣- فلا تدع أيها النبي مع الله إلهاً آخر، فتكون من
المعذبين. هذا الترجيح في الواقع للأمة، بدئاً به النبي ﷺ لأنه
القدرة، وللتهيج والإلهاب، أي لو فعلت ذلك لمعذبك، فكيف
بغيرك؟

٢١٤- وخوف من عذاب الله عشيرتك الأقربين، الأقرب
منهم فالأقرب، وهم بنو هاشم وبنو المطلب، وخصوصاً بالإنذار
أولاً اهتماماً بشأنهم. لما نزلت دعا النبي ﷺ قريشاً،
فاجتمعوا، فبدأ بالأقارب ثم عم، فحذرهم وأنذرهم. بدأ بأهل
بيته وفصيلته، فشق ذلك على المسلمين، فأنزل الله:
﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ [٢١٥].

٢١٥- وأرفق وتواضع، وأظهر الحب والتكريم لمن اتبعك من
المؤمنين حقاً.

٢١٦- فإن عصاك قومك، فقل لهم: إني بريء مما تعملون
من الشرك بالله تعالى.

٢١٧- وفوض أيها النبي أمرك إلى الله القوي القادر على الانتقام من الكفار، الرحيم بالمؤمنين.

٢١٨- الذي يرك حين تقوم إلى الصلاة تدعوه وتضرع إليه.

٢١٩- ويرى تنقلك من حال إلى حال في مراحل الصلاة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً مع المصلين جماعة.

٢٢٠- إنه تعالى هو السميع لداعك، العليم بنيةك، فلا تجزع لشيء، فانت في رعاية الله تعالى.

٢٢١- هل أخبركم يا أهل مكة وأمثالكم على من تنزل الشياطين؟

٢٢٢- إنها تنزل على كل أفك (كذاب) كثير الإثم أو الذنب والفجور، والمراد: كل من كان كاهناً.

٢٢٣- الشياطين يصفون أشد الإصغاء إلى الملأ الأعلى لاستراق شيء منهم، ثم يلقونه إلى الكهنة، ويكذبون في الأكثر، فأكثرهم
الكاذبون فيما يقولون. ويحتمل أن يكون الضمير في «يلقون» عائداً إلى الكهنة، أي يكذبون؛ لأنهم يثقلون من الشياطين ما أكثره كذب
وزور من الظنون والأمارات.

٢٢٤- والشعراء الهجاءون يتبعهم الضالون غواة الناس؛ لأن أغلب ما يقوله الشعراء تخيلات لا حقيقة لها. قال ابن عباس: تهاجى
رجلان على عهد رسول الله ﷺ، أحدهما من الأنصار، والآخر من قوم آخرين، وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه، وهم
السفهاء، فأنزل الله هذه الآية.

٢٢٥- ألم تر أن الشعراء في كل فن من فنون الكذب يخوضون ويتكلمون، فتارة يمدحون وتارة يهجون وتارة يأتون الخلاعة والمجون
كملاح الزنى واللواط والخمر. والهائم: هو الذي يسير بلا منهج ولا قصد إلى غرض معين.

٢٢٦- وأنهم يزعمون الفعل وهم كذبة في ذلك، ويكذبون في شعرهم كثيراً.

٢٢٧- إلا من اتصف بأربع صفات: وهي الإيمان بالله ورسوله، والعمل الصالح بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، وذكر الله كثيراً في
أشعارهم، والانتصار لدينهم من بعد ظلم أعدائهم بهجو الكفار، كما كان يفعل شعراء النبي ﷺ مثل حسان بن ثابت بهجاء المشركين
والدفاع عن النبي والإسلام، وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم من كذبة الشعراء والذين هجوا النبي ﷺ وأصحابه، أي مرجع سيء سيكون
مصيرهم إليه. والمقلب: المرجع والمصير، ويتقلبون: يرجعون.



سورة النمل

فضلها: هذه السورة من الطواصين التي أعطيها النبي ﷺ مكان الزبور، كما تقدم في سورة الشعراء.

١- طاء، سين، للتنبية والتحدي كما تقدم، هذه الآيات المذكورة في هذه السورة هي آيات القرآن العظيم، والكتاب الذي يوضح للناس ما فيه سعادتهم من أمور الدين والشرعية، ويظهر الحق من الباطل.

٢- وتلك آيات هادية إلى الحق والاستقامة، ومبشرة للمؤمنين بالجنة عند الطاعة.

٣- المؤمنون هم الذين يؤدون الصلاة في أوقاتها بأوصافها الشرعية التامة، ويؤتون الزكاة المفروضة للمستحقين، وهم يصدقون تصديقاً تاماً بالآخرة.

٤- إن الذين لا يصدقون بالبعث والحساب وهم الكفار، زيناً لهم أعمالهم السيئة حتى رأوها حسنة، وعاقبتهم على جرهم، فهم في ضلالهم يترددون.

٥- أولئك المنكرون للبعث لهم أشد العذاب في الدنيا كالقتل والأسر، وهم في الآخرة أشد الناس خسارة.

٦- وإنك أيها النبي لتتلقى وتعطى القرآن وحياً من لدن كثير الحكمة والعلم.

٧- اذكر أيها النبي حين قال موسى لأمرائه في مسيره من

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين ﴿ هُدًى وَبُشْرَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الَّذِينَ يَقُومُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتُهُمْ أَعْمَاهُمْ فَمَهُم بِعَمَاهُمْ ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَفِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَائِبِغٌ فِيهَا بِرَّاءُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَخِطُونَ ﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمِنْ حَوْلِهَا وَسُئِلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿ يَمْوِئُ إِلَيْهِ وَرَأَاهُ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ وَالْقِنْ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُدْرِكُهُ الْكَافَّةُ جَأً وَلَّى مُدْبِرًا وَلَّى وَبِغَيْبٍ يَمُوسَى لَأَخْشَى إِيَّايَ لِخَيْفِ لَدُنِّي الْمُرْسَلُونَ ﴿ الْإِنَّمِ ظَمُّ بَدَلٍ حَسْبًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي عَفُودٌ رَحِيمٌ ﴾ وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ فَخَرَجَ مِنْهَا بَصُفَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى رُفُوعٍ وَقَوْمِهِ إِتْمَهُمْ كَانُوا أَقْوَمًا فَسَبِّحْ ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ أَيْدِيًا مَبْصُرَةً فَاذْهَبُوا صَرَخِينَ ﴾

مدین إلى مصر: إني أبصرت ناراً من بعيد، سأتيكم منها بخبر يدلني على الطريق؛ لأنه قد أخطأه، أو أتاكم بشعلة من نار منها، لعلكم تستدلون من البرد.

٨- فلما وصل موسى إلى موضع النار كما ظن، وهي في الواقع نور، نودي أو خوطب: أن بورك من في مكان النار أي بجوارها، ومن حولها، أي بارك الله موسى والبقعة المباركة من أرض الشام، وتنزه الله رب العالمين (الإنس والجن) عما لا يليق بأسمائه وصفاته، من كل سوء.

٩- يا موسى، إنه أنا الله ربك الذي يناديك، القوي القادر القاهر، الحكيم في صنعه قولاً وفعلًا.

١٠- وألق عصاك من يدك، فلما ألغها ورأها تتحرك مضطربة كما يتحرك الجآن، وهي حية خفيفة سريعة الحركة، ولّى (فر) موسى هارباً منها من شدة الخوف، ولم يرجع على عقبه، فقال الله تعالى: يا موسى، لا تخف من الحية، لا يخاف عندى المرسلون برسائلي من حية ونحوها، فلا تخف أنت.

١١- لكن الذي يخاف هو من ظلم نفسه أو غيره بالمعصية، ثم تاب من ذنبه وجعل العمل الحسن بدل السيء، فأقبل توبته، لأنني كثير المغفرة واسع الرحمة لمن تاب وأناب.

١٢- وأدخل يدك في جيبك القميص من جهة الرأس، تخرج ذات شعاع وإشراق خلاف لوننا الجلدي، من غير مرض أصابها كبرص ونحوه، وأيدتك بتسع معجزات: هي الطمس على الأموال، والطبع على القلوب، والجذب، والجرد، والقمل (حشرة تصيب الزرع)، والدم (تحول الماء دماً)، والصفادع، والطوفان (الأمطار الكثيرة) ونقص الثمرات، مرسل بها إلى فرعون وقومه لدعوتهم إلى الإيمان بالله رباً واحداً لا شريك له، وإطاعة أوامره، إنهم كانوا قوماً خارجين عن الطاعة.

١٣- فلما جاءت فرعون وقومه آياتنا التسع بيّنة تدل على صحة نبوة موسى، قالوا: هذا الذي جاء به موسى سحر واضح.



١٤ - وكذبوا بالآيات ولم يقرؤا بها حال كون أنفسهم متيقنة بها أنها من عند الله، ظمناً لأنفسهم وشركاء، وتكبراً وترفعاً عن الإيمان بها وبما جاء به موسى، فانظر أيها النبي وتأمل كيف كان عاقبة ومصير الفاسقين في الأرض الجاحدين لرسالة موسى: وهو الإغراق في الدنيا، والإحراق في الآخرة.

١٥ - ولقد أعطينا داود وسليمان علماً كثيراً هو علم الشريعة والقضاء بين الناس ومنطق الطير وغيره، فشكرا الله على فضله، وقالوا: الحمد لله الذي فضلنا وميزنا على كثير من عباده المؤمنين.

١٦ - وورث سليمان من داود آية النبوة والعلم والمُلْك، وقال تحديداً بنعمة الله: يا أيها الناس، علّمنا كلام الطير أي ما يقول الطير من خلال الأصوات المختلفة التي تختلف باختلاف أغراض الحيوان من خوف وطلب طعام ونحو ذلك، وأعطينا كل شيء نحتاج إليه في الدين والدنيا، كالنبوة والعلم والمال والطير والرياح والدواب، إن هذا المَعطى لهُو الفضل البين الظاهر.

١٧ - وجمع لسليمان جنوده من أجناس الجن والإنس والطير، فهم يجمعون بإيقاف أولهم

ليلحق به آخرهم، ثم يساقون. والوازع في الحرب: الموكل بالصفوف يرد من تقدم منهم، من الوزع: المنع.

١٨ - حتى إذا أتى موكب سليمان على وادي النمل، قالت ملكة النمل حين رأت سليمان وجنوده: يا أيها النمل، ادخلوا مساكنكم - جعل خطاب النمل كخطاب العقلاء لفهمها الخطاب - لئلا يطأكم سليمان وجنوده بالأرجل وحوافر الدواب، فيقتلوكم، وهم لا يشعرون بحطمتكم، ولا يعلمون بكم، علّرتهم قبل أن يفعلوا.

١٩ - فتبسم سليمان - والتبسم: أول الضحك - ضاحكاً من قولها وتعجباً من فهمها، وقال: ربّ ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمت بها علي وعلى والدي بأن أكون ملازماً لشركك، ووفقي أن أعمل صالحاً ترضاه تماماً للشكر، وأدخلني الجنة برحمتك مع جملة عبادك الصالحين من الأنبياء والمرسلين والأولياء.

٢٠ - وتفقد سليمان الطير باحثاً، فلم يجد الهدهد بينها، فقال: مالي لا أرى الهدهد؟ ظنّاً منه أنه حاضر محجوب عنه لسائر أو غيره، أم كان من الغائين. وأم: للانصراف عما قبله، والانتقال لما بعده.

٢١ - لأعذبه عذاباً شديداً على غيابه من غير إذني، كتشف ريشه أو حبسه في قفص، أو لأذبحه ليكون عبرة لغيره، أو ليأتييني بحجة واضحة تسوغ عذره في الغياب.

٢٢ - فبقي الهدهد غائباً زمناً يسيراً ثم عاد، فقال: اطلعتُ على ما لم تطلع عليه، والإحاطة بالشيء: العلم به من جميع جهاته، وجئتك من مدينة سبأ في اليمن بخبر مهم موثوق.

وَجَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْخَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَبْنَئُهَا النَّاسُ عَلَيْنَا مَطِيقٌ ﴿١٧﴾ الْطَيْرُ وَابْتِئْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ وَهَشَرَ سُلَيْمَانُ جُنُودَهُ مِنْ تَحْتِ الْأَيْسِ وَالْأُظْطَرِ فَهُمْ يَوْرَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ مَلَكَةٌ يَبْنَئُهَا الْقَمَلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠﴾ فَتَبَسَّ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ ارْزُقْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِينَ ﴿٢١﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْدَ هَذَا أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٢﴾ لِأَعَذِّبَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذِخُّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ فَكَتَفَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٤﴾

٢٣- إني وجدت امرأة تحكمهم بصفة ملكة عليهم، هي بلقيس بنت شراحيل، وأعطيت من أسباب الدنيا كل ما يحتاج إليه الملوك، من الألة والعلة والجيش، ولها عرش (سرير الملك) عظيم بالنسبة لعروش أمثالها من الملوك.

٢٤- وجدتها وقومها يعبدون الشمس من دون الله، وزين لهم الشيطان عبادة الشمس وغيرها من الأعمال القبيحة، فرأوها حسنة، فصدهم عن طريق الحق والصواب، فهم لا يهتدون إليه.

٢٥- زين لهم الشيطان أعمالهم لثلاث يسجدوا لله، الذي يخرج أو يظهر المخبوء في السموات والأرض كإشراق الكواكب، وإنزال المطر، وإنبات النبات، وإظهار المعادن وغيرها من الأرزاق، ويعلم ما تسرون في قلوبكم، وما تظهرون بالستكم.

٢٦- الله الذي لا معبود بحق سواه، وهو رب العرش (الكرسي) العظيم؛ وخصه بالذكر لأنه أعظم المخلوقات، كما ثبت في الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ. ونحن نؤمن به من غير تشبيه ولا تمثيل. ويطلب سجود التلاوة عند الفراغ من تلاوة العرش العظيم للقارئ والسامع المتطهرين.

إني وجدت امرأة تحكمهم وأوتيت من كل شيء وولعا عرش عظيم ﴿٢٣﴾ وجدتها وقومها يعبدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ﴿٢٤﴾ ألا تعبدوا الله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون ﴿٢٥﴾ الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم ﴿٢٦﴾ قال استنظروا صدقت أم كنت من الكاذبين ﴿٢٧﴾ أذهب نيكلي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ﴿٢٨﴾ يأتيا الملكا إني إليك كريم ﴿٢٩﴾ إله من سألني وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿٣٠﴾ ألا تعبدوا علي وأتوني مسلمين ﴿٣١﴾ قالت يأتيا الملكا إني أمري ما كنت فاطمة أمرأحتي تشهدون ﴿٣٢﴾ قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأممر إليك فانظري ماذا تأمرين ﴿٣٣﴾ قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ﴿٣٤﴾ وإني مرسله إليهم بهدية فاستنظروا ثم يرجع الرسولون ﴿٣٥﴾

٢٧- قال سليمان للهدد: ستنظر في خبرك، لتبين أصدقت فيما قلت أم كنت من الكاذبين؟ وفيه إرشاد إلى التوثق من الأخبار وكشف الحقائق.

٢٨- ثم كتب سليمان كتاباً وختمه بخاتمه، وقال للهدد: اذهب بكتابي هذا، فألقه إلى ملكتهم أهل سبا، ثم انصرف عنهم إلى مكان قريب، فانظر ماذا يردون من الجواب؟

٢٩- قالت بلقيس لأشرف قومها: يا أيها الخاصة والزعماء والأشراف: ألقى إلي كتاب مكرم محترم؛ لأنه مختوم بختم مرسله، وهو ملك عظيم.

٣٠- إن هذا الكتاب مرسل من سليمان بن داود، وإنه مبدوء ب: بسم الله الرحمن الرحيم.

٣١- مضمون الكتاب: ألا تعبدوا ولا تتكبروا علي، وأتوني مسلمين، أي خاضعين متقادين لدين الله، مؤمنين بما جئت به.

٣٢- قالت بلقيس: يا أيها القادة والأشراف، أشيروا علي بال رأي في هذا الأمر، ما كنت مبرمة أمراً حتى تحضروا وتشيروا علي.

٣٣- قالوا في الجواب: نحن أصحاب قوة في السلاح والرجال، وأصحاب شدة وشجاعة في الحرب، والتدبير متروك لك فيما ترين، فانظري ماذا تأمرين به فنطيعك.

٣٤- قالت بلقيس: إن الملوك إذا دخلوا بلدة من البلاد أفسدوها بالتخريب، وأهانوا الأشراف وجعلوهم أذلاء بالقتل والتشريد، ومثل ذلك يفعلون بنا إن تغلبوا علينا.

٣٥- وإني مرسله إلى سليمان وجنوده بهدية، أختبرهم بها، فمتظرة بم يرجع به رسلي الرسولون من قبول الهدية أو ردها، فإن كان ملكاً قبلها، وإن كان نبياً ردها، ولم يرض منا إلا اتباع دينه.



فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أَعِدُّوْنِي بِمَا لِي فَأَمَّا أَنَا فَمَا لَئِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا
 أَنْتُمْ بَلَّ أَنْتُمْ هَدَيْتُمْ تَقْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَمَّا أُنْصِفَهُمْ
 بِحُجُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَخَرَجَهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾
 قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِلَيْكُمْ بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾
 قَالَ عِفْرَتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَاءَ إِلَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي
 عَلَيْهِ لَقَوِيْ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا
 آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ
 قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ مِنْ شُكْرِ فَإِنَّمَا
 يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ عَذَابِيْ لَشَدِيدٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ كَبُرَ الْهَذَا
 عَرِشُهَا نَظَرْتُ أَنْتُمْ بَدَى أَمْ كُنْ مِنْ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا
 جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوَيْتُنَا أَلَعَلَّ مِنْ قَبْلُهَا
 وَكَأْسَلِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا
 كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ
 لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّرْدٌّ مِنْ فَوَارِرٍ قَالَتْ رَبِّ
 إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

٣٦- فلما جاء رسول بلقيس بالهدية إلى سليمان، قال: أترفدوني بالمال استرضاء لأترككم وشركم؟ فما أعطاني الله من النبوة والملك والمال الوفير خير وأفضل مما آتاكم وأعطاكم من الدنيا وزينتها، بل أنتم تفرحون بالهدية؛ لأنكم أهل دنیا. و (أترفدوني) استفهام توبيخي، أي هل يصح أن تعطوني مالا؟ و ﴿بل﴾ للانتقال من موضوع لآخر.

٣٧- ارجع أيها الرسول لقومك بهديتهم، فلنأتينهم بجنود لا طاقة لهم بها، ولنخرجهم من بلدهم سبأ أذلة بتجريدهم من عزتهم وملكهم، وهم خاضعون أسرى مهانون.

٣٨- قال سليمان حينما علم بقدوم بلقيس وقومها إليه: يا أيها القادة، أيكم يأتيني بعرش بلقيس، قبل أن يأتي القوم خاضعين طائعين. أراد بذلك أن يريها بعض العجائب الدالة على النبوة.

٣٩- قال مارد قوي من الجن: أنا أتيك بعرشها قبل أن تقوم من مجلسك في القضاء بين الناس في ضحوة الغد إلى نصف النهار، وإني لقوي على حمله، أمين على ما فيه.

٤٠- قال أحد علماء الكتاب الإلهي وهو من الصلحاء واسمه آصف بن برخيا، من بني إسرائيل: أنا

أتيك بالعرش قبل أن يرجع إليك بصرك في لمحة بصر، أي قبل أن تطبق جفن العين الأعلى على الأسفل، وهو كناية عن السرعة الفائقة، فلما رأى سليمان العرش قائماً أمامه، قال: هذا من فضل ربي علي، ليختبرني أشكره بالإقرار بإحسانه، أم أجدد الفضل بنسبته إلي وترك الشكر على النعمة، ومن شكر نعمة الله عليه، فلما ثواب شكره لنفسه، ومن جحد النعمة ولم يشكرها، فإن ربي غني عن شكره، متفضل عليه بالإنتعام. ولعل هذا الموقف من أعظم الاختبارات، وأنه أبلغ درس في الشكر لله المتعم.

٤١- قال سليمان لأتباعه: غيروا لها بعض أجزاء عرشها ومظاهره بزيادة أو نقص وغير ذلك ليصبح غريباً غير معروف لديها، لنتخبر عقلها، أنتهذي إلى معرفته، أم تكون من الذين لا يهتدون إلى معرفته، وما طرأ عليه من تعديلات.

٤٢- فلما جاءت بلقيس قبل لها: أمثل هذا عرشك؟ قالت: كأنه هو بذاته، فعرفته، فقال سليمان بعد إصابتها في الجواب وإظهار رجحان عقلها وعلمها: وأوتينا العلم بقدرة الله تعالى من قبل علم بلقيس، وكنا متقادين لحكم الله.

٤٣- ومنعها عن إظهار الإيمان وعبادة الله: عبادتها الشمس من غير الله، فهي من قوم كافرين لا يؤمنون بوجود الله.

٤٤- قيل لها: ادخلي القصر أو كل بناء مرتفع، سواء أكان قصراً أم غيره، فلما رأت ساحته وطرقه، فظنته ماء كثيراً كالبحر، وكشفت عن ساقها لتخوض فيه، قال سليمان: إنه بناء أملس مصنوع من زجاج، وليس بحراً، ثم دعاها إلى الإسلام، فقالت: رب إني ظلمت نفسي بعبادة غيرك، وأسلمت لك متقادة موحدة، أي خضعت، كائنة في هذا التوحيد مع سليمان، في انتياده لله رب العالمين. أخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم عن ابن عباس أن سليمان تزوجها بعد ذلك. قال الشوكاني: والأرجح أن زواجه من أخبار أهل الكتاب التي لا تصدق ولا تكذب.

٤٥- ولقد أرسلنا إلى قومٍ آخاهم صلى أنا عبدُ والله فإنا هم فرفقان بخصمهم ﴿٤٥﴾ قال لقوم لو تستعملون بالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوَلَّاسْتُمْ عَنْ آلِهَتِكُمْ إِفْكًا كُفْرًا، ففاجأه تفرقهم، وصاروا فريقين: مؤمنين وكفاراً، يتنازعون في شأن نبوة صالح.

٤٦- قال صالح لمن كذبه: لِمَ تَتَعَجَّلُونَ بِالْعَذَابِ قَبْلَ الرَّحْمَةِ، هلا تتوبون إلى الله من الشرك وتطلبون المغفرة من الكفر، كي يرحمكم الله فلا يعذبكم.

٤٧- قالوا له: تشاء منا بك وبمن معك عن دخل في دينك وأمن بك، قال لهم صالح: شؤمكم يأتيكم من عند الله، فالخير والشر بيده، لا من عند الطير الذي تشاءمون به، بل أنتم قوم تمسحون وتختبرون بالخير والشر.

٤٨- وكان في مدينة صالح وهي الحِجْر تسعة رجال من أبناء الترف والشرف، يفسدون في الأرض ولا يصلحون شأنهم، وقد اتفقوا على قتل صالح وعقر الناقة.

٤٩- قال بعضهم لبعض: احلفوا بالله، لنأتين صالحاً وأهل بيته المؤمنين به بغتة في الليل، فنقتلهم ثم لنقولن لقريبه العصبية المطالب بدمه: ما حضرنا مكان هلاك أهله ولا ندري من قتلهم، فلا نعلم هلاكه هو نفسه، وإنا لصادقون في قولنا هذا.

٥٠- ودبروا أمراً في الخفاء بهذه الطريقة والتواطؤ على الاغتتيال، وجازيناهم بتعجيل عقوبتهم وإهلاكهم، وهم لا يشعرون بذلك.

٥١- فانظر أيها النبي كيف كان عاقبة تأمرهم أو مكرهم: أنا دمرنا الرهط التسعة المذكورين، وقومهم أجمعين، فأهلكناهم جميعاً بالصيحة: صيحة جبريل، وإلقاء الملائكة حجارة عليهم.

٥٢- فتلك بيوتهم التي بقيت آثارها خالية عن أهلها، خراباً متهدمة، بسبب ظلمهم وكفرهم، إن في ذلك التدمير لعبرة وعظة لقوم يعلمون قدرتنا، فيتعظون.

٥٣- وأنجيناً صالحاً والمؤمنين به الذين كانوا يخافون عذاب الله، ويتقون الشرك والمعاصي.

٥٤- واذكر أيها النبي لوطاً حين قال لقومه: أتأتون فاحشة اللواط، وأنتم تعلمون فحشها، ولا تستترون حال تعاطيها استهتاراً بالفضيضة وقلة حياء.

٥٥- أنتم معشر القوم لتأتون الرجال شهوة عارمة غير مفيدة؛ لأن القصد المعتاد هو طلب النسل، لا قضاء الشهوة، من غير النساء اللاتي خلقهن الله لذلك من طريق الزواج، بل أنتم قوم تجهلون شناعة هذه الفاحشة، والعقوبة الشديدة عليها.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ آخَاهُمْ صَلَّى أَنَا عَبْدُ اللَّهِ فَإِنَّا هُمْ فَرَفِقَانٌ بِخَصْمِهِمْ ﴿٤٥﴾ قَالَ لِقَوْمِ لَوْ تَسْتَعْمِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوَلَّاسْتُمْ عَنْ آلِهَتِكُمْ إِفْكًا كُفْرًا، ففاجأه تفرقهم، وصاروا فريقين: مؤمنين وكفاراً، يتنازعون في شأن نبوة صالح.

٤٦- قَالَ صَالِحٌ لِمَنْ كَذَبَهُ: لِمَ تَتَعَجَّلُونَ بِالْعَذَابِ قَبْلَ الرَّحْمَةِ، هلا تتوبون إلى الله من الشرك وتطلبون المغفرة من الكفر، كي يرحمكم الله فلا يعذبكم.

٤٧- قَالُوا لَهُ: تَشَاءُ مِنَّا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ عَنْ دَخَلٍ فِي دِينِكَ وَأَمْنٍ بِكَ، قَالَ لَهُمْ صَالِحٌ: شُؤْمُكُمْ يَأْتِيكُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِيَدِهِ، لَا مِنْ عِنْدِ الطَّيْرِ الَّذِي تَتَشَاءُمُونَ بِهِ، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَمَسَحُونَ وَتَخْتَبِرُونَ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

٤٨- وَكَانَ فِي مَدِينَةِ صَالِحٍ هِيَ الْحِجْرُ تِسْعَةُ رِجَالٍ مِنْ أَبْنَاءِ التَّرَفِّ وَالشَّرَفِ، يَفْسُدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلَحُونَ شَأْنَهُمْ، وَقَدْ اتَّفَقُوا عَلَى قَتْلِ صَالِحٍ وَعَقْرِ النَّاقَةِ.

٤٩- قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: احْلِفُوا بِاللَّهِ، لَنَأْتِيَنَّ صَالِحًا وَأَهْلَ بَيْتِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ بَغْتَةً فِي اللَّيْلِ، فَنَقْتُلَهُمْ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِقَرِيبِهِ الْعَصْبِيَّةَ الْمَطَالِبَ بِدَمِهِ: مَا حَضَرْنَا مَكَانَ هَلَاكِ أَهْلِهِ وَلَا نَدْرِي مَنْ قَتَلَهُمْ، فَلَا نَعْلَمُ هَلَاكَهُ هُوَ نَفْسُهُ، وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فِي قَوْلِنَا هَذَا.

٥٠- وَدَبَرُوا أَمْرًا فِي الْخَفَاءِ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَالتَّوَاطُّؤِ عَلَى الْاِغْتِيَالِ، وَجَازَيْنَاهُمْ بِتَعْجِيلِ عِقَابِهِمْ وَإِهْلَاكِهِمْ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ.

٥١- فَانْظُرْ أَيُّهَا النَّبِيُّ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ تَأْمُرِهِمْ أَوْ مَكْرِهِمْ: أَنَا دَمَرْنَا الرِّهْطَ التَّسْعَةَ الْمَذْكُورِينَ، وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ، فَأَهْلَكْنَاهُمْ جَمِيعًا بِالصَّيْحَةِ: صَيْحَةُ جِبْرِيلَ، وَإِلْقَاءِ الْمَلَائِكَةِ حِجَارَةً عَلَيْهِمْ.

٥٢- فَتِلْكَ بُيُوتُهُمُ الَّتِي بَقِيََتْ أَثَارُهَا خَالِيَةً عَنْ أَهْلِهَا، خَرَابًا مُتَهْدِمَةً، بِسَبَبِ ظَلْمِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، إِنَّ فِي ذَلِكَ التَّدْمِيرِ لَعِبْرَةً وَعِظَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ قُدْرَتَنَا، فَيَتَعَذَّبُونَ.

٥٣- وَأَنْجَيْنَا صَالِحًا وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَخَافُونَ عَذَابَ اللَّهِ، وَيَتَّقُونَ الشَّرْكَ وَالْمَعَاصِيَ.

٥٤- وَاذْكُرْ أَيُّهَا النَّبِيُّ لُوطًا حِينَ قَالَ لِقَوْمِهِ: أَتَأْتُونَ فَاحِشَةَ اللَّوَاطِ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ فَحْشَهَا، وَلَا تَسْتَتِرُونَ حَالَ تَعَاطِيهَا اسْتِهْتَارًا بِالْفُضْيِضَةِ وَقِلَّةِ حَيَاءٍ.

٥٥- أَنْتُمْ مَعْشَرُ الْقَوْمِ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً عَارِمَةً غَيْرَ مُفِيدَةٍ؛ لِأَنَّ الْقَصْدَ الْمَعْتَادَ هُوَ طَلَبُ النَّسْلِ، لَا قِضَاءَ الشَّهْوَةِ، مِنْ غَيْرِ النِّسَاءِ اللَّاتِي خَلَقَهُنَّ اللَّهُ لِذَلِكَ مِنْ طَرِيقِ الزَّوَاجِ، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ شَنْعَةَ هَذِهِ الْفَاحِشَةِ، وَالْعُقُوبَةَ الشَّدِيدَةَ عَلَيْهَا.

٥٦- فما كان جواب قوم لوط إلا أن قال بعضهم لبعض: أخرجوا أهل لوط من بلدكم، إنهم أناس يئزّهون أنفسهم عن أفعالنا، ولا يقروننا على صنعنا. قالوا ذلك استهزاء وتهكماً.

٥٧. فأنجينا لوطاً وأهله المؤمنين من العذاب إلا امرأته حكمت أنها من الباقين في العذاب.

٥٨- وأمطرنا عليهم حجارة من السماء،
فأهلكناهم به، فبئس مطر القوم الذين أنذرهم
رسولهم بعقاب الله على معاصيهم، فرفضوا.

٥٩. قل أيها النبي: الحمد لله الذي وفقنا
للهداية، وأهلك الكفار الفجار من الأمم الخالية،
وسلام على عباده الذين اختارهم للنبوّة وهم
الأنبياء صفوة البشرية وأتباعهم، هل توحيد الله
وطاعته وثوابه خير، أم شرك المشركين مع الله
الأصنام والأوثان التي لا تقصر ولا تنفع؟ وكلمة
﴿الله﴾ بالمد أصلها ألله، أي هل الله خير؟ أو الذين
يشركونه معه؟

٦٠. وهل آلهتكم خير أو خالق السموات

والأرض، ومثل المطر من السحاب جهة السماء، فأثبتنا لكم بالمطر بساتين-والحديقة: بستان لها حائط- ذات حسن ورواق، ما كان للبشر ولا يتهياً لهم ولا يقدرّون على إنبات الشجر في الحدائق لعجزهم عن ذلك، أصبح أن يجعل إله يقرب مع الله ويتخذ شريكاً، وهو الخالق المكون؟ بل هؤلاء المشركون قوم يبعدون عن الصواب وينحرفون عن الحق وهو التوحيد، فيشركون بالله غيره.

٦١- هل ألّهتكم خير أو الذي جعل الأرض مكاناً يستقر عليه الناس، وجعل وسطها أنهاراً جارية، وجعل لها جباً لا ثابتة، وجعل بين البحرين: العذب والمِلح حاجزاً فاصلاً بينهما حتى لا يختلط أحدهما بالآخر، إله آخر معبود مع الله؟ بل أكثر الناس لا يعلمون الحق وهو التوحيد، يشركون به إلهاً آخر.

٦٢- هل ألهمتكم خير أو الله الذي يجيب المكروب المجهود الواقع في شدة، الذي لا قدرة له، فيلجأ إلى التضرع، ويرفع السوء (الضرر) عنه، ويجعلكم سكان الأرض يخلف بعضكم بعضاً؟ أإله آخر معبود مع الله الذي يفعل ذلك؟ كلا، بل قليلاً ما يتعظون ويرجعون إلى الحق: وهو الإقرار بنعم الله وتخصيصه بالعبادة.

٦٣ - هل ألهتكم خير أو الذي يرشدكم إلى مقاصدكم في ظلمات الليل برأ وبحرراً بالنجوم ليلاً إذا أخطأتم الطريق، والذي يرسل الرياح بمبشرات بالخير أمام المطر، أإله معبود مع الله يفعل ذلك؟ كلا، تعاضم وتنزه الله عما ينسبون له من الشركاء.

٦٤- هل ألهمتم خير أو الذي خلق الخلق ثم يميتهم ثم يحييهم بالبعث يوم القيامة، ومن يرزقكم رزقاً طيباً من السماء بالمطر، والأرض بأنبات النبات وإخراج الثمار وإيجاد الأنعام، إله معبود مع الله يخلق ويرزق؟ قل أيها النبي لهؤلاء المشركين: قدموا حججتكم على أن غير الله يقدر على شيء من ذلك إن كنتم صادقين في إشرائكم.

٦٥- قل أيها النبي: لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب الذي غاب علمه عن الخلق إلا الله وحده، فهو الذي يعلم، ولا يشعر البشر متى ينشرون أو يبعثون من قبورهم للحساب والجزاء.

٦٦- بل أتتابع وتلاحق وتكامل علم هؤلاء في الآخرة، بل هم في الحقيقة في شك وحيرة عظيمة من حصول القيامة، بل هم قوم غمي القلوب عنها، فلا يدركون دلالتها لاختلال بصائرهم التي يدركون بها الأشياء. و ﴿بل﴾ حرف للانتقال من حال إلى حال. والمراد: لم يتكامل لديهم أسباب علمهم من الحجج والبيئات على أن القيامة كائنة لا محالة.

٦٧- وقال الذين كفروا بالله واليوم الآخر: أنذا صرنا وآبأؤنا تراباً، أنخرج من قبورنا أحياء للحساب والجزاء؟

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
أَوَّلَهُ قُلْ اللَّهُ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾
قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا
يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلْ أَذْرَكَ عِلْمَهُ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ
فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ عَنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
أَوَآدَاكَرْبَآءُ آبَاؤُنَا إِنَّا لِلْأَحْزَنِ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا
هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْأَجْرَمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
وَقَالُوا مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ
عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنْ
رَبُّكَ أَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾
وَإِنْ رَبُّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمِمَّنْ
عَابَىٰ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ الْأِي كَيْفَ مَبِينٌ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ
يَقُصُّ عَلَى نَبِيِّ إِسْرَآءِيلَ كَرَّ الَّذِي هُوَ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

٦٨- لقد وعدنا بالبعث نحن وآبأؤنا من قبل وعد محمد به، فلم يتحقق شيء، ما هذا الذي تخوفنا به من البعث إلا أكاذيب وآباطيل الأقدمين فيما سطره في الكتب.

٦٩- قل أيها النبي لنكري البعث: امشوا في الأرض وشاهدوا آثار السابقين، فانظروا نظرة تأمل وتفكر، كيف كان مصير الذين أجمروا، وكذبوا بالبعث، وبما جاءت به الأنبياء.

٧٠- ولا تحزن أيها النبي على تكذيبهم لك، وإنكارهم البعث والرسالة، ولا تكن في ضيق أو انقباض صدر عما ترى من مكرمهم بك وكيدهم لك، فالله عاصمك وحافظك وناصرك عليهم.

٧١- ويقول الكفرة المكذبون: متى وعد العذاب إن كنتم صادقين في هذا الوعد؟

٧٢- قل لهم أيها الرسول: عسى أن يكون قرب بكم بعض العذاب الذي تتعجلون وقوعه في الدنيا، وعذاب الآخرة الأشد أت أيضاً لا شك فيه. وعسى ولعل وسوف من الله تفيد القطع بحصول ما بعدها.

٧٣- وإن ربك لصاحب فضل كبير على الناس بالإنعام المستمر عليهم وتأخير العذاب عنهم، ولكن أكثرهم لا يشكرون فضله وإنعامه.

٧٤- وإن ربك أيها الرسول ليعلم ما تخفيه صدورهم من أسرار، وما يظهرون بالسهم من أقوال.

٧٥- وما من شيء خفي في غاية الخفاء في السماء والأرض إلا مدون في كتاب بين وهو اللوح المحفوظ، فكيف يخفي عليه شيء من ذلك؟ والغائبة: كل ما أخفى الله وغيبه عن خلقه. و ﴿من﴾ حرف تفيد عموم ما بعدها.

٧٦- إن هذا القرآن المنزل عليك أيها الرسول يبين لبني إسرائيل المعاصرين للنبي أكثر الأشياء التي يختلفون فيها من الحق كالتشبيه والتنزيه وأحوال الجنة والنار وعزير والمسيح.



وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ يَقْبَضُونَ ۖ إِنَّ رَبَّكَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۚ
يَحْكُمُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝ فَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ
الْكِينُ ۝ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا
وَلَوْ أَذْهَبَ ۝ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ صَلَاتِهِمْ
إِنَّ تَسْمَعُ إِلَّا مَنُومٌ ۖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قِيلُوا لَهُمْ قِيلُوا لَهُمْ
وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ
أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ۝ وَيَوْمَ نَخْسِفُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
فَوْجًا مِّنْ يَّكَذِّبُ ۖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هُمْ يُدْعَوْنَ ۝ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ
قَالَ أَكْذَبْتُمْ بَيِّنَاتِي وَلَمْ تُخِطُوا بِهَا عُلَمَاءُكُمْ أَنَا أَكْذَبُ ۖ تَعْمَلُونَ
۝ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ۝
أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آيَاتٍ لِّسُكُونِهِمْ ۖ وَالنَّهَارُ مُبْصِرٌ ۖ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي السُّورِ فَتَنَزَّلُ
مِنَ السَّمَاءِ وَمَن فِي الْأَرْضِ الْأَمْنُ شَاءَ اللَّهُ ۖ وَكُلُّ أَتَوَةٍ
ذُكِّرِينَ ۝ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا وَهِيَ غَرَّارٌ مِّمَّا تَحَابَّ
صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَىٰ كُلَّ شَيْءٍ ۖ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ۝

٧٧- وإن هذا القرآن لهداية للناس من الضلالة،
ورحمة للمؤمنين من العذاب .

٧٨- إن ربك يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل
وغيرهم بحكمه الحق والعدل ، فيعاقب الميطل ،
ويكافئ المحسن ، وهو سبحانه القوي القادر الذي لا
يغلب ، والعليم بأحوال خلقه .

٧٩- ففروض أمرك إلى الله وثق به ولا تبال
بمعاتدهم ، إنك على الدين الظاهر كونه حقاً .

٨٠- إنك أيها الرسول لا تسمع دعوتك الكفار
الذين هم كالموتى الذين لا حِسَّ لهم ، وكالصم الذين
لا يسمعون شيئاً إذا أعرضوا عن دعوة الحق والإيمان
فارين منهزمين مباغين في الإعراض .

٨١- ولست بوسعك بمشرد عمي القلوب والبصائر
ومخرجهم من ضلالتهم إلى نور الحق والإيمان ، فما
تسمع إلا من يصدّق بالقرآن ، فهم متقادون لأمر
ربهم ، مخلصون لله بتوحيده وطاعته .

٨٢- وإذا قرب حصول مضمون القول أي الكلام
الإلهي الدال على وعيد الكفار ، وحق العذاب
الموعود به يوم القيامة ، أخرجنا لهم دابة حية تدب
على الأرض وهي الجساسة ، الله أعلم بأوصافها ،
تخبرهم أن أكثر الناس كانوا بآيات الله الدالة على

مجى الساعة لا يؤمنون بها . والمراد بالآيات : الآيات المنزلة في الكتب السماوية ، والآيات الكونية الدالة على
وجود الله ووحدانيته وصدق رسله .

٨٣- واذكر أيها النبي يوم تجتمع يوم القيامة من كل أمة جماعة ممن يكذب بآياتنا من الكتب والرسول ، وهم
الرؤساء المتبعون ، فهم يجمعون ، يجمع أولهم ليلحق بهم آخرهم ، ثم يساقون إلى موقف الحشر .

٨٤- حتى إذا حضروا إلى موقف الحساب قال الله : أكذبتم بآياتي المنزلة على رسلي ، ولم تتعلموها وتعرفوا
معانيها ودلالاتها ، بل كذبتم بها ، أم أي شيء كنتم تعملون بعد ذلك ، فلم تفكروا وتعملوا بها ؟ !

٨٥- وحق بهم العذاب بسبب ظلمهم وهو الشرك والتكذيب بآيات الله تعالى ، فهم لا يتكلمون باعتذار عند
العذاب .

٨٦- ألم يعلم هؤلاء المكذبون بآياتنا أننا جعلنا الليل المظلم للسكون والاستقرار والنوم ، والنهار المضيق للعمل
والمعاش وكسب الرزق ، إن في ذلك لدلالات واضحات على قدرة الله وتوحيده لقوم يصدقون بالله ورسله .

٨٧- واذكر أيها النبي يوم ينفخ في البوق النفخة الأولى من إسرائيل ، فخاف أشد الخوف المضي إلى الموت
جميع من في السموات والأرض إلا من شاء الله ألا يفزع وهم الشهداء الأحياء عند ربهم يرزقون ، وكل الخلائق
ممن فزع أو لم يفزع حضروا موقف الحساب بعد النفخة الثانية صاغرين خاضعين ، فالنفخة الأولى للإماتة ، والثانية
للبعث والإحياء .

٨٨- وترى الجبال تظنها ثابتة في مواضعها وقت النفخة يوم القيامة ، وهي تسير بسرعة كبير السحاب ، صنع الله
ذلك صنعاً ، وهو الذي أحكم خلق كل شيء ، على ما ينبغي من تمام الإتيان ، إنه خبير بما تفعلون من خير أو شر ،
فمجازيكم عليه ، والخير : المطلع على الظواهر والضمائر .

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ مِثْرُ مِثْمَا وَهَمَزٍ فَرَجَ يَوْمَئِذٍ آيَاتُونَ
 وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَيْتٌ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُخْزَوْنَ
 إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أُعَدَّ رَبُّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ
 الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
 ﴿١١﴾ وَأَنْ أَسْأَلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْدِي لِنَفْسِهِ
 وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
 سَيَرْجِعُكُمْ إِلَيْهِ فَمَعْرُوفُهَا وَأَمَّا رَبُّكَ بِغَيْفٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾



طَسَدَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ آيَةُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٦﴾ نَسُوا عَٰلَمَكُم مِّنْ تَبَاوَسْتُمْ
وَقَرَعُونَ بِالْحُجْرِ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ قَرْعُونَ عَٰلَمًا لِّلْأَرْضِ وَجَعَلْ
هَٰلِكُمَا سِجًّا مُّضْطَبًّا طَافَةً مِنْهُ يَدُوحُ إِنَّا نَآئِدُهُمْ وَيَسْمَعِي
سِئَانُهُمْ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨﴾ وَتَرَىٰ أَعْيُنُ عَلَى الَّذِينَ
اسْتَضَاعُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ أَعْيَةً لِّلَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ

٨٩- من جاء بالخصلة الحسنة وهي الإيمان والعمل الصالح، فله ثواب أفضل منها أضعافاً مضاعفة، وهم آمنون يوم القيامة من الفزع الأكبر، لرعاية الله لهم.

٩٠- ومن جاء بالخصلة السيئة وهي الإشراك بالله، والمعاصي، فألقوا بعنف على وجوههم في النار، والمراد جميع أجسامهم، واقتصر على ذكر الوجه لأنه أشرف الأعضاء، لا تجزؤون إلا جزء ما كنتم تعملون من الشرك والمعاصي. والاستفهام للتوبيخ.

٩١- قل أيها النبي: إنما أمرت أن أخص بعبادتي رب هذه البلدة: مكة التي جعلها الله حراماً آمناً، لا يسفك فيها دم، ولا يظلم فيها أحد، ولا يعصده شجرها، ولا ينقَر صيدها، وأمرت أن أكون من المتقادين لأمر الله، المخلصين له العبادة.

٩٢- وأمرت أن أتلو القرآن داعي إلى الإيمان بالله وطاعته، فمن امتدى للإيمان والعمل بالقرآن، فإنا نفع الهداية لنفسه، ومن ضل بالكفر، وأعرض عن الهدى وأخطأ الطريق إليه، فقل أيها الرسول: إنا أنا من المخوفين من عذاب الله من عصائه.

٩٣- وقل أيها الرسول: الحمد لله على ما أنعم علي من نعمة النبوة والعلم والعمل بما يرضي الله، سيريكم

أبها الكفار آياته القاهرة في الدنيا كوقعة بدر، أو في الآخرة التي تفجعكم، وما ريك بغافل عن أعمالكم، بل هو مطلع عليها، ولكنه يهمل ولا يهتم.

سورة القصص

فضلها: هي من الطواسين التي حلت محل الزبور، كما جاء في أوائل سورة الشعراء.

١- ط، سين، ميم، للتنبيه والتحدي وبيان إعجاز القرآن الكريم باللغة العربية كما بينا فيما سبق ذلك في السورة المقدمة.

٢- تلك الآيات المذكورة في هذه السورة هي آيات القرآن الواضح، المبين الحق من الباطل، والشرائع والأحكام.

٣- نقص عليك أيها النبي من خبر موسى وفرعون قصصاً بالحق، ليكون ما فيها من الصدق والأصالة هداية للمؤمنين، وخصوا بالذكر؛ لأنهم المستفدون به.

٤- إن فرعون تكبر وتحجر في أرض مصر، وادعى الربوبية، واستعبد أهلها، يجعل طائفة هم بنو إسرائيل ضعفاء مقهورين، يذبح أبناءهم، ويترك البنات أحياء للخدمة والمتعة، إن فرعون كان من عتاة المفسدين بالقتل والتكبر والاستعبد.

٥- ونريد أن ننعم على المستضعفين في أرض مصر، ونجعلهم قادة في الخير ودعاة إليه، ونجعلهم واثين للأرض المقدسة في زمانهم وهي أرض مصر وبيت المقدس، وراثة الملك والقوة والسلطة.

وَمَنْ لَّمْ يَفِرْ فِي الْأَرْضِ فَغُرِبَ لَهُمْ وَمَنْ لَمْ يَفِرْ فِي الْأَرْضِ فَغُرِبَ لَهُمْ
مِنْهُمْ مَا كَانُوا يُجَادِلُونَ ١ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ
أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِنْ خِفْتِ عَلَيْهِ فَاَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي
وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ٢
فَالْقِصَّةُ فِي الْفُرْعَانِ ٣ لَوْ كُنَّ لَكُمْ أَعْيُنٌ عَلَىٰ
غُورِ الْعُلُكِ فَذَرَوْهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٤
وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لَهَا وَلَكِ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ
يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهِيَ لَا يَشْعُرُ ٥ وَأَصْبَحَ
فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ
رَظَنَّا عَلَىٰ آلِهَا لِلنَّكُورِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٦ وَقَالَتْ
لَأَخْبِيهِنَّ فَصِيحَةٌ بِهِ عَنْ جُوبِ وَهِيَ لَا يَشْعُرُ ٧
وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الرِّضَاعَ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ هَلْ
أَدْلَكُم عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُونَ ٨
فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ آبَائِهِ لِيَنْتَفِعَ بِهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ
أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٩



٦- ونجعل لهم في تلك الأرض مكنة أو مكاناً يستقرون فيه، وسلطة، ونري فرعون ووزيره هامان وجنودهما من أولئك المستضعفين ما كانوا يخشون من بني إسرائيل، من زوال ملكهم، وهلاكهم، على يد رجل منهم.

٧- وألهنا أم موسى برويا صادقة حين ولدته أن ترضعه، فإذا خفت عليه من فرعون بأن يُحس به أحد، فيبلغه، فألقيه في البحر وهو هنا نهر النيل، ولا تخافي عليه من الهلاك، ولا تحزني لفراقه، إنا رادوه إليك عن قريب، وجاعلوه من الأنبياء المرسلين. اشتملت الآية على أمرين ونهيين، وخبرين بشارتين في إيجاز محكم يدل على قمة البلاغة والفصاحة والإعجاز.

٨- فالتقط تابوت الطفل موسى آل فرعون من البحر صبيحة ليل، ليصير لهم عدواً ومحزناً أو مصدر حزن. واللام لام العاقبة (أو الصيرورة) أي لتكون عاقبة التقاطهم له أنه يصير عدواً لهم، والمحزن: المحزن أي سبب حزن، والمحزن: الغم. إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا آثمين.

٩- وقالت امرأة فرعون المؤمنة وهي آسية، التي هي من نسل ملك مصر أيام يوسف عليه السلام حين هم فرعون يقتله: إن هذا الطفل مصدر سرور وسعادة لي ولك، لا تقتلوه، عسى أن ينفعنا في كبره، فإن فيه أمارات النجاة والخير، أو نتخذه ولداً بالتبني. وكانت لا تلد. والحال أنهم لا يشعرون بعاقبة أمرهم معه وهلاكهم على يديه.

١٠- وأصبح فؤاد أم موسى خالياً من كل المشاغل إلا الاهتمام بولدها موسى حين سمعت بالتقاط آل فرعون له، وكادت تُصرخ بأنه ابنها من شدة وجدها وحزنها وخوفها عليه، لولا أن قوتنا قلبها بالصبر، وثبتناها، لتكون من المصدقين بوعد الله برده إليها.

١١- وقالت أم موسى لأخته: اقضي أثره وتتبعي خبره حتى تعلمي مصيره، فأبصرته عن بُعد اختلاصاً، وهم لا يشعرون أنها أخته.

١٢- ومنعناه من قبول الرضاع من أي مرضعة، من قبل رده إلى أمه، فقالت عندئذ: هل أدلكم على أهل بيت يتعهدون إرضاعه والقيام بشؤونه لأجلكم، وهم مخلصون في خدمته وإرضاعه وتربيته.

١٣- فأعزناه إلى أمه كي تسعد بولدها، ولا تحزن على فراقه، ولتعلم علم مشاهدة أن وعد الله برد ولدها إليها حق ثابت وصدق مؤكد، ولكن أكثر الناس لا يعلمون بأن وعد الله حق منجز.

١٤- ولما بلغ غاية قوته ونموه- وبلغ الأشد عادة من ثلاثين إلى أربعين سنة، لا اكتمال العقل حيثئذ، واكتمل خلقه الجسدي ونضجه العقلي في الأربعين، آتينا حكمة، وفهماً ومعرفة بالدين، ومثل ذلك الجزء الذي جزيناه به مع أمه، نجزي المحسنين لأنفسهم. والحكمة: معرفة أسرار الشريعة ووضع كل شيء في محله.

١٥- ودخل موسى مدينة مصر عاصمة الفراعنة وهي منف مستخفياً في وقت لا يتوقع دخوله فيه، وكان ذلك قبل النبوة، فوجد فيها رجلين يقتتلان، هذا من شيعته وحزبه وتابعيه في الدين: إسرائيلي، وهذا من عدوه من القبط قوم فرعون، فطلب منه الغوث والنصرة والإعانة الذي من جماعته على الذي من أعدائه، فأغاثه موسى، فضرب القبطي بقبضة يده- وكان شديد القوة والبطش- ففضى عليه وقتله خطأ، ثم قال: هذا القتل من تزيين الشيطان الذي أغضبني؛ لأنه لم يكن مشروعاً قتله، إن الشيطان عدو للإنسان بإضلاله، ظاهر العداوة له. وكان القتل في عهد الشباب؛ لأن موسى عليه السلام أوحى إليه في سن الأربعين بعد زواجه بابنة شعيب في مدين، ورعيه الماشية عشر سنوات.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْحَسَنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَنَكَبُوهُ فَوَاسِيَ مَنَافِعُهَا عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَتَمَمْتُ عَلَىٰ قَلْنٍ أَكُونَ ظَهيرًا لِّلْمَجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِبًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرُوهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَنفَوٍّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَن أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَمْلِكُنِي كَمَا تَمْلِكُ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلُوحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْأَمْرَ لَبِئْسَ مَا لَكُم مِّنَ الْبَنَاتِ وَكَيْفَ تُحْكُمُوهُنَّ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِبًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾

١٦- قال: إني ظلمت نفسي بقتل النفس، فاعف عني ولا تؤاخذني بخطئي، فغفر الله له، إنه واسع المغفرة والرحمة لعباده.

١٧- قال موسى: رب بسبب إنعامك علي بالمغفرة والعلم والحكمة، فلن أكون معيناً لمجرم على إجرامه.

١٨- فأصبح موسى في المدينة بعد قتل القبطي خائفاً على نفسه ينتظر ما يحدث من فرج أو كرب ومكروه، فإذا بالإسرائيلي الذي استنصر به بالأمس يستغيث به من قبطي آخر، قال له موسى: إنك ضال ظاهر الضلال أو الغواية.

١٩- فلما أراد موسى أن يبطش بالقبطي المصري الذي هو عدو لموسى وللإسرائيلي المستغيث به، قال القبطي بعد علمه بالحوار الذي جرى بين موسى والإسرائيلي: أتريد أن تقتلني اليوم كما قتلت نفساً بالأمس (البارحة) ما تريد إلا أن تكون جباراً تتطاول على الناس ولا تنتظر العواقب، وما تريد أن تكون ممن يصلح بين الناس. فانتشر هذا الحديث بين الناس، وبلغ الخبر إلى فرعون وملكه.

٢٠- وقدم رجل هو مؤمن آل فرعون من آخر أطراف المدينة يسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم، قال له: يا موسى، إن الوجهاء والقادة الكبار يتشاورون في شأنك، ليقتلوك، فاخرج من المدينة، إني لك من الناصحين في الأمر بالخروج.

٢١- فخرج من المدينة حذراً من الناس، خشية القبض عليه يتلفت مترقباً لحوقهم به، وقال متضرعاً لربه: رب نجني من القوم الظالمين أنفسهم بالكفر وهم قوم فرعون.

٢٢- ولما اتجه نحو ديار مدين بلدة شعيب عليه السلام، قال: لعل ربي، أي أرجو أن يرشدني إلى الطريق القويم، فلا أخطئ الطريق الأقرب للوصول إلى مدين. وسواء السبيل في الأصل: وسط الطريق.

٢٣- ولما وصل ماء مدين: وهو بئر فيها كانوا يستقون منها، وجد على الماء جماعة كثيرة من الناس يسقون مواشيهم، ووجد بعيداً عنهم امرأتين تمنعان أغنامهما عن ورود الماء والزحام، خوفاً من التصادم مع السقاة الرجال الأقوياء، قال: ما شأنكما لا تسقيان أغنامكما مع الناس؟ قالتا: لا نسقي أغنامنا حتى ينصرف الرعاة عن الماء، حذراً من مخالطتهم، وعجزاً عن السقي معهم، وأبونا شيخ كبير السن، لا يقدر على سقاية ماشيته من الكبر. والرعاة: جمع راع.

٢٤- فسقى موسى للمراتين أغنامهما من بئر أخرى بقربهما، ثم انصرف إلى ظل شجرة ليستريح فيه، وهو جائع، فقال: رب إني بحاجة إلى أي طعام كان.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ لِقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سُبُلَ السَّيْلِ
وَلَمَّْا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ
وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا امْرَأَتَيْنِ يَذَّوْبَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا
لَا سَقَىٰ حَتَّىٰ يَصْهَرَا الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ
فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَتَيْتُكَ
إِلَىٰ مَن حَبَرٍ فَصَيْدُكُمْ فَجَاءَهُمَا أَحَدُهُمَا نَمْسًا عَلَىٰ أَسْجَادٍ
قَالَتْ إِنْ أَرِيدَ أَنْ يَدْعُوكَ لَيُعْجِزَنَا بِمَا كُنَّا
جَاءَهُمْ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَتْ لَا تَخَفْ لَنَجْعَلَ
مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
أَسْتَشِيرُكَ إِنَّ خَيْرَ مَن اسْتَشَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ
قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ وَنُؤَيِّدَ بِنِسْفَةِ النَّاسِ عَلَىٰ أَنْ نَأْجُرَ نِي
نَمُنَّ بِكَ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ
أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ
قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَبَتُمَا لِلظَّالِمِينَ
فَصَبَّحْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ

٢٥- فلما عادت المراتن إلى أبيهما سريعيتين في زمن أقل من المعتاد، سألهما عن السبب، فأخبرتهما بمن سقى لهما، فقال لإحداهما: ادع لي، فجاءته إحداهما تمشي مستحبة محتشمة، قالت: إن أبي يدعوك ليكا فتك جزاء سقيك لنا، فأجابها موسى حياءً برؤية الشيخ والتعرف عليه، لا طمعاً في الأجر، فلما وصل إليه، وأخبره بقصته من قتله القبطي، وخوفه من فرعون، واغتياه، قال الأب: لا تخف، فقد نجوت من القوم الظالمين: فرعون وقومه، إذ لا سلطان له على مدين.

٢٦- قالت إحدى البنتين الكبرى أو الصغرى: اتخذ هذا جبيراً ليرعى أغنامنا، إن خير من استأجرت من تميز بالقوة والأمانة، علمت بقوته من نزعه الدلو الكبير من البئر، وعرفت أمانته حين طلب منها أن تمشي خلفه، حتى لا يرى منها شيئاً، ومن غض بصره.

٢٧- قال شعيب لموسى: إني أريد أن أزوجه إحدى هاتين البنتين على أن تكون أجيراً لي ثماني سنين، ترعى غنمي، وهو مهر الزواج، فإن أتممت مدة عشر سنين فمك تفضلاً وتطوعاً لإلزاماً مني لك، وما أريد إيقاعك في المشقة والحرَج بِإتمام العشر، ستجدني بمشيئة الله من الصالحين في الصحبة والوفاء. وفيه مشروعية عرض ولي المرأة الزواج بالرجل الكفء.

٢٨- قال موسى: ذلك الذي عاقدتني عليه قائم بيننا لا نخرج عنه، أي مدة من الثماني والعشر وقيتك إياه، فلا ظلم ولا اعتداء علي بالمطالبة بأكثر منه، سواء الأقل أو الأكثر، والله على ما نقول شاهد وورقيب، فتم العقد بذلك.

٢٩- فلما أتم موسى الأجل المتفق عليه مع شعيب، وهو عشر سنين، غادر مدين وسار مع زوجته بإذن أبيها نحو مصر. فالرجل يذهب بأهله حيث شاء- أبصر من بعيد من جهة جبل الطور في سيناء ناراً، قال لأهله: ابقوا وانتظروا هنا، إني أبصرت ناراً لعلني آتيكم منها بخبر عن الطريق، أو شعلة قطعة من الجمر الملتهب، لعلكم تستدفئون بالنار.

٣٠- فلما وصل إلى النار نودي من الشاطئ الأيمن للوادي، على يمين موسى المتجه إلى مصر، في المكان الذي بارك الله فيه لموسى، وهو المسمى بالوادي المقدس، لسماعه كلام ربه واختياره رسولاً، عند الشجرة النابتة على شاطئ الوادي، وهي شجرة عتاب أو علق: أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين. أخرج عبد ابن حميد وابن جرير عن ابن مسعود أنه سار إلى تلك الشجرة، فإذا هي سمراء خضراء ترف، فأكل منها بغيره ملء فمه، ولاكه ولم يستطع أن يسبغه.

٣١- وقال الله له في هذا الموقف: وألق عصاك، فألقاها فصارت ثعباناً، فلما رآها تتحرك كأنها حية سريعة الحركة مع عظم الجسم والخلقة أدير هارباً منها، ولم يرجع، فنودي يا موسى، ارجع إلى مكانك، ولا تخف من هذا الثعبان، إنك من الأمنين من المخاوف.

٣٢- أدخل يدك في فتحة قميصك إلى ما تحت إبطك، ثم أخرجها منه، تخرج مشعة بيضاء من غير مرض أو عيب. وكان موسى كما ذكر البخاري آدم، أي أسمر اللون. واضمم إليك. أي إلى صدرك. يدك المبسوطتين لاتقاء الحية وإذهاب الخوف، أي لتطمئن، فهذان العصا واليد حجتان واضحتان إلى فرعون ووجهاء قومه وأعوانه، إنهم كانوا خارجين عن طاعة الله تعالى وحدوده.

٣٣- قال موسى: رب، إني قتلت منهم نفساً، وهو القبطي من قوم فرعون، فأخاف أن يقتلوني بها ناراً أو قصاصاً.

٣٤- وأخي هارون هو أين مني لساناً، فأرسله معي معيناً على تبليغ الرسالة، يؤيدني في توضيح ما قلته، وتقرير الحجة وإقامة الدليل؛ إني أخشى أن يكذبوني في رسالتي.

٣٥- قال الله تعالى مجيباً دعاءه: سنؤيدك ونفريك بجعل أخيك رسولاً، ونجعل لكما حجة وبرهاناً متفوقاً على فرعون وقومه، فلا يصلون إليكما بالأذى، فاذهما بسبب قوة معجزاتنا، أنتما وأتباعكما المنتصرون على قوم فرعون. والعصا: ما بين المرفق والكتف.

فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله أس من جانب الطور ناراً قال لأهله أمكوا إني استت ناراً لعلني آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون ﴿٢٩﴾ فلما أنها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يتوسل إني أنا الله رب العالمين ﴿٣٠﴾ وأن ألق عصاك فلما رآها صاعقة كأنها جاذ ولي مذبذباً ولم يثبت يتوسل أقبل ولا تخف إنك من الأمنين ﴿٣١﴾ أسالك بذلك في جنبك فخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذلك برهتان من ذلك إلى فرعون وملأه به إنهم كانوا قوماً فسقيين ﴿٣٢﴾ قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلوني وأخي هارون هو أفضع مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدني إني أخاف إن يكذبوني ﴿٣٣﴾ قال سنؤيدك ونفريك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الفالسون ﴿٣٤﴾



٣٦- فلما جاء موسى إلى فرعون وقومه بأدلتنا القاطعة الدالة على صدق نبوته قالوا: ما هذا الذي جئت به إلا سحر مختلق مكذوب، أي افتراه موسى على الله، وما سمعنا بهذا الذي دعوتنا إليه في سيرة آبائنا الأقدمين الذين سبقونا.

٣٧- وقال موسى رداً على فرعون وملته: ربي يعلم أنني محق وأنتم مبطلون، وجئت بهذه الآيات الدالة على الهدى من عنده، ويعلم من تكون له العاقبة المحموده في الآخرة وهي الجنة، والنصر في الدنيا، إنه لا يفوز الظالمون (الكافرون) بشيء من الخير.

٣٨- وقال فرعون مغالطة لقومه وإيهاماً لهم باقتداره: يا سادة القوم، ما علمت لكم إلهاً غيري، وهذا إصرار منه على تكبره وتجبّره، ثم قال: يا هامان (وزير فرعون) اصنع لي الآجر (الطوب) بطبخ الطين على النار، فاجعل لي قصراً عالياً، لعلني أصعد إلى إله موسى، ثم أنظر إليه، وإني لأظن موسى من الكاذبين في ادعائه إلهاً آخر، وأنه

هَذَا جَاءَهُ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُقَرَّرٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا لَمْ يَأْتِ بِآيَاتِهِ مِنْ عِنْدِي وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الَّذِينَ إِتَمَّ لَا يُطِيعُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتْلُو آيَاتِنَا الْمَلَأَ مَعَانِكَ لَكُمْ مِنَ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي فَتِيلَةً عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُدْعَوْنَ إِلَى التَّوْبَةِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَنْصُرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَبْنَيْنَاهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

رسول من الله. وهذا إيهام لقومه أنه باحث ينشد الحق.

٣٩- واستكبر فرعون هو وجنوده في أرض مصر تعدياً بغير استحقاق، والاستكبار: التعظم بغير حق، بل بالعدوان؛ لأنه عجز عن دفع حجة موسى، وتوهموا أنهم لا يعودون إلينا بالبعث.

٤٠- فأخذناه وجنوده، أي أهلكناهم، فطرحناهم في البحر حتى غرقوا، فتأمل أيها النبي، وانظر، كيف كان مصير الكافرين وآخر أمرهم.

٤١- وجعلناهم قدوة في الضلال والتكبر لكل متكبر طاغية، وصيرناهم قادة بطيعهم غيرهم في الكفر، يدعون أتباعهم إلى النار لتقليدهم إياهم، ويوم القيامة لا ينصرهم أحد بدفع العذاب عنهم.

٤٢- وأنزلنا عليهم لعنة في الدنيا، أي طرداً من رحمتنا، ويوم القيامة هم من المطرودين من الجنة المبعدين الممقوتين.

٤٣- ولقد آتينا موسى التوراة من بعد إهلاك أهل القرون الماضية الأولى (الأمم) وهم قوم نوح وعاد وثمود ولوط وغيرهم، تبصر بني إسرائيل أمور دينهم وتنور القلوب، وتهدي إلى الشرائع الإلهية والأحكام، وهي رحمة لمن آمن به، ليتعظوا بما في ذلك الكتاب من المواعظ.

٤٤. وما كنت حاضراً أيها الرسول بجانب الجبل الغربي من موسى عليه السلام وقت المناجاة، حيث عهدنا أو أوحينا إلى موسى التوراة وأمر الرسالة إلى فرعون وقومه، وما كنت من الحاضرين لما حدث في ذلك الزمان، فتعلم ذلك وأخبر به.

٤٥. ولكننا أوجدنا أمماً مختلفة من بعد موسى، فامتد الزمان، وطالت المهلة، بين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، فنسوا عهد موسى في الإيمان بمحمد ﷺ، وحرقت الأخبار، وتغيرت الشرائع، وما كنت أيها الرسول مقيماً في أهل مدين، كما أقام موسى، تذكر وتقرأ على أهل مكة آياتنا وأخبارنا، ولكننا أرسلناك إلى أهل مكة، وأوحينا إليك كتاباً فيه هذه الأخبار السابقة، ولولا ذلك لما عرفتھا.

٤٦. وما كنت أيها الرسول حاضراً بناحية جبل الطور حين نادينا موسى، ولكن علمناك وقصصنا عليك هذه الأخبار، رحمة من ربك، لتتذر أهل مكة وغيرهم، ما أتى المكين من رسول منذ قبلك ينذرهم، لعلهم يتعظون.

٤٧. لولا احتمال تعرض قومك لمصيبة: عذاب في الدنيا والآخرة، وافترض اعتذارهم بالجهل عند حلول العذاب قائلين: هلا أرسلت إلينا رسولاً من عندك، فتتبع آياتك المتزلة على رسلك، ونكون من المصدقين بها، لولا ذلك لما أرسلناك أيها النبي لإقامة الحجّة عليهم. والمراد أن إرسال النبي ﷺ وكل رسول قبله كان لإبطال احتجاجهم بعدم الإعلام والتبليغ. ولولا في الموضعين حرف يدل على الرغبة في حصول ما بعده.

٤٨. فلما جاء أهل مكة الحق من عند الله وهو محمد ﷺ والقرآن المنزل عليه، قالوا: هلا أوتي هذا الرسول مثل ما أوتي موسى من الآيات ومنها التوراة جملة واحدة، فأجابهم الله: أولم يكفر اليهود وكفار قريش بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد؟ حين سئل اليهود عن أمر محمد، فقالوا: إننا نجد في التوراة بنعته وصفته، وقالوا عن التوراة والقرآن: سحران تعاونا على الكذب، وصدق كل منهما الآخر، وقالوا: إننا بكل من الكتابين والرسولين موسى ومحمد كافرون.

٤٩. قل أيها الرسول جواباً لهم بعد كفرهم بالكتابين: فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى من التوراة والقرآن وأصلح لهداية البشر، لأتبعه معكم، إن كنتم صادقين في قولكم.

٥٠. فإن لم يفعلوا ما كلّفهم به من الإتيان بكتاب إلهي أهدى من التوراة والقرآن، ولم يؤمنوا بما جئت به، فاعلم أيها الرسول أنما يتبعون في كفرهم أهواءهم: ما تميل إليهم نفوسهم من غير حجة ولا برهان، ومن أشد ضللاً ممن اتبع هوى نفسه بغير هدى من الله؟ أي لا أحد أضل منه، إن الله لا يهدي للقوم الظالمين أنفسهم بالإصرار على الكفر والتماذي فيه.

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ آلِ فِرْعَوْنَ إِذْ قُضِيَٰنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝ وَلَكِنَّا أَشْنَأُ فِرْعَوْنَ فَطَاوَلَك عَلَيْهِمُ الْعَمْرُ وَمَا كُنْتَ تَأْوِي فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتَلَوًا عَلَيْهِمُ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا هُمْ سِلِيلُ ۝ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنَّا لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمُ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوْتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَكُمُ الْكِتَابُ إِنَّمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلِ قَالُوا سِحْرَانِ تَتَاهَوَا ۝ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيَرٍ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝



٥١- ولقد أنزلنا القرآن متتابعاً، في الإنزال ليتصل التذكير، وأرسلنا للناس رسولاً بعد رسول، لعلمهم يتعظون، فيؤمنوا ويطيعوا.

٥٢- الذين أعطيناهم الكتاب الإلهي من قبل القرآن، هم بالقرآن والنبي محمد ﷺ يصدقون، لمطابقة أوصافه لما جاء في كتبهم. وهؤلاء كعبد الله بن سلام ومن أسلم من الكتائين. نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على الحق، حتى بعث الله محمداً ﷺ فآمنوا به، منهم سلمان الفارسي وعبد الله بن سلام.

٥٣- وإذا يتلى عليهم القرآن قالوا: آمنا به وصدقنا بأنه كلام الله تعالى، إنه الحق الثابت الذي نعرفه، المنزل من ربنا على محمد ﷺ، إنا كنا من قبل إنزاله مخلصين لله بالتوحيد والعبادة.

٥٤- أولئك يؤتون أجرهم مرتين، لإيمانهم بالكتائين: كتابهم والقرآن، والرسولين: رسولهم ومحمد عليهما السلام، بسبب صبرهم على أذى قومهم، والعمل بالكتائين والإيمان بالنبيين، ويدفعون بالكلام الحسن ما يتعرضون له من الأذى، أو بالطاعة المعصية، وينفقون أموالهم في مرضاة الله تعالى.

٥٥- وإذا سمعوا الساقط من القول، وهو الشتم والأذى

والاستهزاء من الكفار، أعرضوا عنه تكراً وترفعاً، وقالوا: لنا أعمالنا من الإيمان والدين، ولكم أعمالكم من دينكم، لا يلحقنا من ضرر كضرمك شيء، ولا يضيركم إيماننا، سلام عليكم سلام متاركة وأمان منا، لا نجيبكم بالسوء، لا نطلب صحبة الجاهلين ولا نريدعها.

٥٦- إنك أيها النبي لا تهدي بإرادتك من أردت هدايته للإيمان، ولكن الله بقدرته وإرادته يهدي من يشاء هدايته، فيوفقه للإيمان، وهو أعلم بالمستعدين للهداية. نزلت كما جاء في صحيح مسلم والترمذي وغيرهما في أبي طالب لما امتنع عن الإسلام، مع شدة حرص النبي ﷺ على إيمانه، فمات على دين عبد المطلب.

٥٧- وقال مشركو قريش: إن ندخل في دينك يا محمد يتخطفنا العرب من أرضنا، أي مكة، بأن يخرجونا من بلادنا، فرد الله عليهم: أو لم نجعل لهم حرماً آمناً، تحمل إليه الثمرات والأرزاق من كل مكان، رزقاً لهم من عندنا، ولكن أكثرهم لا يعلمون أن ما نقوله حق، فهم جهلة لا يتفكرون في حقائق الأمور، والمراد: إذا كان هذا حالهم، وهم عبدة الأصنام، فكيف نعرضهم للخوف والإخراج من الديار إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة التوحيد؟! قال ابن عباس: إن أناساً من قريش قالوا للنبي ﷺ: إن تتبعك تخطفنا الناس، فنزلت.

٥٨- وكـم- أي كثيراً ما- أهلكتنا من أهل قرية ذات رخاء في العيش وأمن، فبطروا النعمة وطفخوا وتكبروا، وبطر النعمة: البغي والتجبر والتقصير في حق الله، فأصبحت مساكنهم خالية لا يسكنها أحد بعدهم إلا زمناً قليلاً، كإقامة المسافر فيها يوماً أو بضع يوم، لشؤم معاصيهم، وكنا نحن الوارثين لديارهم؛ إذ لم يخلفهم فيها أحد.

٥٩- وما كان من عادة ربك إهلاك أهل القرى الكفرة، حتى يرسل في عاصمة البلاد رسولاً يتلو عليهم آياتنا المنزل عليه الداعية إلى الإيمان والعمل الصالح، وما كان من شأننا إهلاك القرى إلا وأهلها مصرؤون على الكفر وتكذيب الرسل.

وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمُ يَتُومِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا بَيَّنَّا عَلَيْهِمْ فَأَلَّوْا أَمْنًا بِهِ إِنَّهُمْ مِنَ الْتِبَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَوَدَّعُونَ بِالْحُسْنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَتَّبِعِ الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَآتِهِدِي مَنْ حَبِطَ وَلَكِنْ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِنْ تَسِيعَ الْهُدَى مَعَكَ تَخْطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ تُنْكِرْ لَهَا حُرْمًا أَمِنَا يُجِبِي الْيَوْمَ نَرُكَ كُلَّ شَيْءٍ وَرِزْقًا لَنَا وَلَكِنْ أَكْرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ بَطَرَتْ مَعِيشَتُهَا فَنَالَتْ مَسْكَنَهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾

٦٠- وما أعطيتكم من شيء من نعم الدنيا، فهو مجرد متاع قليل وزينة ظاهرة تتمتعون به في حياتكم الدنيوية ثم يزول عنكم، وما عند الله من الثواب والجزاء الأخروي في الجنة خير من المتاع الزائل، لأنه يدوم أبداً، أفلا تتفكرون أن الباقي أفضل من الفاني الزائل؟!

٦١- أقمّن وعدناه بالجنة ونعيمها وعداً خالصاً مُحقّقاً، جزاء حسن عمله، فهو واصل إليه ومدركه لا محالة، لأن الله لا يخلف الميعاد، كمن متعناه متاع الحياة الدنيا الذي يزول عن قريب، ويختلط بالآلام والمتاعب، ثم هو يوم القيامة من الذين أحضروا للحساب والعذاب بالنار، فهل يستريان؟! نزلت في النبي ﷺ وفي أبي جهل بن هشام، أو في الحمزة وأبي جهل.

٦٢- واذكر أيها النبي يوم ينادي الله هؤلاء المشركين يوم القيامة نداء توبيخ، فيقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم شركائي؟

٦٣- قال الذين وجب لهم العذاب يوم الحشر، وهم رؤساء الكفر: ربنا هؤلاء الذين دعوناهم إلى الفجوة والشرك وهم الأتباع، أضللناهم كما ضللنا، تبرأنا إليك منهم ومن كفرهم، ما كانوا يعبدوننا، بل كانوا يعبدون أهواءهم.

٦٤- وقيل للكفار: نادوا أصنامكم الذين تزعمون

وَمَا أَوْفَوْا مِنْ شَيْءٍ وَفُتِحَ الْحَبْوَةُ الدُّنْيَا وَزِيْنَتْهَا وَمَا عَسَدَ
 اللَّهُ خَيْرَ وَأَتَقَى أَفْلا تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَن وَعَدْنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا
 هُوَ لَيْسَ بِهِ كَيْفَ مَنَعْتَهُ مِنَ الْحَبْوَةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
 مِنَ الْخَاضِرِينَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءُ
 الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٩﴾ قَالَ الَّذِينَ سَمِعُوا نَجْوَى عَلَيْهِمُ الْقَوْلَ رَبَّنَا
 هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَأَغْوَيْنَا نَبْرَأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا
 إِلَّا بَاعِدُونَ ﴿٢٠﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ
 فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَدْرُونَ ﴿٢١﴾
 وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٢﴾ فَعَمِيَتْ
 عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَأَمَّا نِسَابُ
 وَءَامِن وَعَلَى صُلْبِهِ أُفٍّ مَنُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْفَٰعِلِينَ ﴿٢٤﴾ وَرَبُّكَ
 يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ
 اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٥﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكَفِّرُ
 صُدُورُهُمْ وَمَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْخَلْدُ
 فِي الْأَوَّلِ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَالْيَوْمَ تَرْجَعُونَ ﴿٢٧﴾

أنهم شركاء الله، ليصروكم ويتذوكم، فنادوهم، فلم يجيبوهم لعجزهم عن الجواب، ورأى الفريقان التابع والمتبوع العذاب الواقع بهم، فتمنوا أن لو كانوا مهتدين في الدنيا إلى الحق والصواب، لتنجوا من هذا العذاب، ولما رأوه في الآخرة. وجواب ﴿لو﴾ مفهوم من سياق الكلام، وهو ﴿ورأوا العذاب﴾.

٦٥- ويوم ينادي الله الكفار نداء توبيخ، فيقول لهم: ماذا كان جوابكم للأنبياء المرسلين؟!

٦٦- فخفيت عليهم من شدة الخيرة الأخبار والحجج التي تنجيهم يوم القيامة، فهم لا يسأل بعضهم بعضاً عن شيء ولا عن الجواب، ولا يدرّون بما يجيبون، لفرط الدهشة. والمراد لم يجدوا خبراً لهم فيه نجاة، فصارت الأنباء كالعمى عليهم لا تهتدي إليهم، ولا يجدون جواباً من غيرهم يسعفهم.

٦٧- فأما من تاب من الشرك والمعاصي، وآمن بالله ورسله، وعمل صالحاً بالتزام المأمورات، فهو عند الله من الفائزين بمطلوبهم من الجنة والرضوان. و (عسى) تحقيق على عادة الكرام.

٦٨- وربك يخلق ما يشاء أن يخلقه، ويختار ما يشاء أن يختاره- وفي هذا إثبات حرية الخلق والاختيار لله تعالى- ليس الاختيار باصطفاء بعض الأشياء وترك بعض لأحد من الخلق، بل الاختيار هو إلى الله تعالى، تنزه الله عن منازعة أحد في اختياره، وتعاضم وتقدس عن إشرافهم. والمراد: لم يكن اختيار الرسول موكولاً لهم حتى يختاروا الأغنياء.

٦٩- وربك وحده أيها النبي يعلم ما تخفي صدور خلقه، وما يظهرونه بالستهم من الطعن بالنبي وغير ذلك.

٧٠- وهو الله الذي لا معبود سواه، له الحمد على ما أنعم، وله القضاء النافذ في كل شيء، وإليه ترجعون بعد الموت.

٧١- قل: أخبروني، إن جعل الله عليكم الليل دائماً متصلاً متتابعاً إلى يوم القيامة، لا نهار فيه، من إله غير الله يأتيكم بنهار فيه ضياء، أفلا تسمعون ذلك سماع تفهم وتفكر؟!

٧٢- قل أيضاً: أخبروني، إن جعل الله عليكم النهار دائماً مستمراً إلى يوم القيامة، من إله غير الله يأتيكم بليل تستقرون فيه وتستريحون من التعب والعناء وطلب الرزق؟ أفلا تبصرون هذه المنفعة وما أنتم عليه من الخطأ في الإشراك، فترجعوا عنه؟!

٧٣- ومن رحمته تعالى بالناس أنه جعل الليل والنهار يتعاقبان، لتستقروا وتستريحوا من التعب ليلًا، ولتطلبوا الرزق من فضل الله نهاراً بأنواع المكاسب، ولتشكروا الله على ما أنعم.

٧٤- واذكر أيها النبي يوم ينادي الله المشركين يوم القيامة نداء توبيخ، فيقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم أنصار لكم وشفعاء؟!

٧٥- وأخرجنا من كل أمة شاهداً عليهم هو

نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه، فقلنا لهم: أحضروا برهانكم على صحة ما قلتم من الإشراك وما كنتم تدعون به، فعلموا وقتئذ أن الحق في الألوهية لله، لا يشاركه فيها أحد، وغاب عنهم غيبة الضائع ما كانوا يختلفون في الدنيا من الباطل: وهو أن مع الله شريكاً آخر.

٧٦- إن قارون كان ابن عم موسى، من بني إسرائيل، فتكبر عليهم بكثرة المال وطلب أن يتزعمهم، وأعطيناه من الأموال الوفيرة المدخرة، ما إن مفاتيح خزائنه ليثقل حملها على الجماعة الكثيرة الأقوياء، حين قال له قومه: لا تفرح فرح بطر بكثرة المال، إن الله لا يرضى عن البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم، ويسخط عليهم ويعاقبهم.

٧٧- واطلب فيما أعطاك الله من المال ثواب الدار الآخرة، بإتفاقه في مرضاة الله وطاعته، لا في التجبر والبغي، ولا تنس الإنفاق فيما أحل الله لك، وأحسن إلى عباد الله بالصدقة، كما أحسن وأنعم الله عليك بالمال والجاه، ولا تعمل بالمال في معاصي الله، إن الله لا يرضى عن المفسدين بالعصيان في الأرض ويجازيهم على عملهم.

قُلْ أَزِيدُكُمْ أَنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لَيْلًا سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ بِأَيْتِكُمْ بَضِيَاءٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَزِيدُكُمْ أَنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ بِأَيْتِكُمْ لَيْلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تَبْصُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمَنْ رَحِمَهُ جَعَلَ لَكُمْ لَيْلًا وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ نَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَعَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٥﴾ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَاتَّبَعَ قَارُونَ آلَ اللَّهِ الْأَبْرَارَ وَالْأَجْرَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَسْجُ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْهِدِينَ ﴿٧٧﴾



قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ
مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مَقْرَةً وَادَّجَمًا وَلَا يَسْأَلُ
عَنْ ذُنُوبِهِمْ أَتَجْرَمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي
زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلِّغْ لَنَا مِثْلَ
مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ وَلَيْسَ كَقُرُونِ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
وَلَا يَلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهٖ وَبِأَرَادِهِ الْأَرْضَ
فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ
الْمُنْصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ
وَمَا كَانَ اللَّهُ بِسَطِّ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ يَتَّقِدِرَ لَوْ لَا
أَنْ مِّنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَتُكَاثِرُ لَا يُفْعِلُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾
لَيْلِكَ الدَّارِ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ
وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مِّنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ
فَلَهُ خَيْرُ مُّثْنَيْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى
الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

٧٨- قال قارون في الجواب على قومه: إنما أوتيت هذا المال بمعرفة مني ومهارة في الاكتساب والتجارة، أو لم يعلم أن الله قد أهلك بالعذاب من قبل قارون من الأمم الخالية من هو أشد منه قوة، وأكثر جمعاً للمال - مما يدل على أن القوة والمال ليسا فضيلة - ولا يسأل المجرمون العصاة عن ذنوبهم يوم القيامة سؤال عتاب واستعلام؛ لأن الله تعالى مطلع عليها، وإنما يسألون سؤال توبيخ.

٧٩- فخرج قارون على قومه ذات يوم في موكب مهيب متميز بمظاهر الزينة من المتاع وملابس الذهب والحرير والخيل والأثباع، فلما رآه الناس، قال أهل الدنيا المخدوعون بزيتها: يا ليت لنا من المال والمتاع مثلما أوتي قارون من الثراء والجاه، إن قارون لصاحب نصيب وافٍ في الدنيا.

٨٠- وقال أهل العلم بأحوال الآخرة وما وعد الله فيها وهم أجبار بني إسرائيل: وليكم - المراد بها هنا الزجر والتأنيب، أي لا تقولوا هذا الخطأ، والأصل فيها أنها كلمة تدل على الهلاك - ثواب الله ونعيمه في الجنة خير مما تتمنونه، لمن آمن بالله ورسله والتزم المأمورات وعمل صالحاً فيما آتاه الله من المال، ولا يتلقى الجنة المثاب بها إلا الصابرون على الطاعات وعن المعاصي.

٨١- ولما اغتر قارون بكثرة المال، خسف الله به ويكنوزه وبيداره ومنطقته التي كان فيها الأرض، أي غورها وغييها وجعل عاليها سافلها، فما كان له جماعة أعوان ينصرونه من غير الله، بأن يدفعوا أو يمنعوا عنه العذاب والهلاك، وما كان من الممتنعين مما نزل به من الخسف.

٨٢- وأصبح الذين تمنوا منزلته وثورته منذ زمان قريب يقولون: يا أسفاً ألم تر أن الله، والمراد: بل إن الله يوسع ويعطي الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيّق ويقتّر الرزق على من يشاء، اختباراً وابتلاء، بمقتضى مشيئته وحكمته، لولا أن من الله علينا باللطف والرحمة والإحسان، ولم يؤاخذنا بما وقع منا، لخسف بنا الأرض كما خسف بقارون، بل إنه لا يفوز الكفار بمطلب لهم، مثل قارون.

٨٣- تلك الجنة ونعيمها - والإشارة إليها لقصد التعظيم والتفخيم لها، في مقابل تحقير ما أوتي قارون وأمثاله من متاع الدنيا - نجعلها للذين لا يريدون رفعة بغير حق وتكبراً في الأرض وتطاولاً على الناس، ولا ظملاً للناس وعملاً بالمعاصي، والمصير المحمود لمن خاف عذاب الله، بفعل الطاعات وترك المنكرات.

٨٤- من جاء يوم القيامة بالفعل الطيبة: وهي الإيمان والعمل الصالح، فله أفضل منها بمجازاته بعشر أمثاله إلى سبعمئة ضعف، ومن جاء بالفعل المنكرة الخبيثة وهي الكفر والمعصية، فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا بمثل ما كانوا يعملون في الدنيا دون مضاعفة أو زيادة.

٨٥- إن الذي أنزل عليك القرآن، وأوجب عليك العمل به، لرائك إلى بلدك مكة- وهذا إشارة إلى الهجرة من مكة، ثم الإعادة إليها غالباً متصراً، علماً بأن السورة مكية- قل أيها الرسول للمشركين: ربي أعلم مني ومنكم من جاء بالهدى- وهو النبي ﷺ- ومن هو في ضلال واضح- وهم المشركون- قال الضحاك: لما خرج النبي ﷺ من مكة، فبلغ الجحفة، اشتاق إلى مكة، فأنزل الله: ﴿إِنْ الَّذِي فَرَضَ...﴾.

٨٦- وما كنت أيها الرسول تتأمل قبل النبوة أن يُوحى إليك القرآن، لكن أوحى إليك رحمة من ربك، أي لأجل الترحم، فلا تكونن معينا للكافرين على دينهم الذي دعوك إليه، بمداراتهم وإجابة طلبهم.

٨٧- ولا يصرفك الكافرون بأذاهم عن تلاوة آيات الله والعمل بها وتبلغها بعد أن أنزلها الله إليك وفرضت عليك، وادع الناس إلى توحيد ربك وعبادته والعمل بشريعته، ولا تكونن من المشركين بالله بإعتانتهم، فإنك إن جاملتهم في شيء تكن منهم. وفي ذلك تعريض بغیره، ومثله الآية التالية:

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَصَادِقَ قُلُوبِ رَبِّ
أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ
تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ فَلَا
تَكُونَنَّ ظَهْرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ
اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رِبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الْمُنْصَرِفِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْعَرَبُ ١ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ ٢ وَلَقَدْ نَفَخْنَا بِالْقَوْلِ فَغُبَسَ النَّاسُ
الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَعَلَّ كُذِّبِينَ ٣ أَمْ حَسِبَ
الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ٤ مَنْ
كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٥

٨٨- ولا تعبد مع الله إلهاً آخر، لا إله معبود بحق إلا الله وحده لا شريك له، كل شيء في هذا الوجود هالك إلا ذاته تعالى، فهو الدائم الباقي، له القضاء النافذ، وإليه ترجعون عند البعث بالتشور من قبوركم، فيجازيكم بعملكم.

سورة العنكبوت

١- ألف، لام، ميم، هذه الأحرف للتنبيه لما يتلى بعدها، وللدلالة على إعجاز القرآن وتحدي العرب بالإتيان بمثله مع أنهم أساطين البيان، والعربية لغتهم مكونة من هذه الحروف.

٢- أظن الناس أن يتركوا بغير اختبار بالتكاليف، لمجرد قولهم بأفواههم: آمنا بالله ورسوله، وهم لا يُبْتَلَوْنَ في أنفسهم وأموالهم، ولا يُمْتَحَنُونَ بالتكاليف والمشاق. نزلت في عمار بن ياسر، إذ كان يعذب في الله: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ...﴾ [٢].

٣- ولقد اختبرنا الذين من قبلهم من الأمم بأنواع البلايا والمحن، فليظهروا أن الله صدق الصادقين وكذب الكاذبين، ويجازي كل فريق بعمله. وهذا علم مشاهدة لا ينافي علم الله القديم بكل شيء قبل الخلق.

٤- بل هل ظن الذين يعملون السيئات وهم العصاة والكفار أن يفوتونا ويعجزونا، أو يفلتوا من عقابنا، فلا يتمكن من عقابهم؟ إن ظنوا ذلك قبح أو بش الحكم الذي يحكمونه.

٥- من كان يأمل ويطمع بلقاء الله يوم القيامة، أي يؤمن به، فإن الوقت المحدد للبعث والخروج من القبور والحساب أت في حينه لا محالة، والله هو السميع لأقوال العباد، العليم بأفعالهم وبالمستعدين للقاء الله تعالى.

٦- ومن جاهد لإعلاء كلمة الله، فإن ثواب جهاده لنفسه، إن الله لغني عن عباده من الإنس والجن والملائكة، غير محتاج لطاعتهم.

٧- والذين آمنوا بالله ورسله وعملوا صالح الأعمال التي أمروا بها، لنمحو عنهم ذنوبهم التي تورطوا بها، بإسقاط العقاب عنهم، ما داموا غير مصرين عليها، ولنجزينهم بأحسن جزاء لأعمالهم الصالحة، الحسنة بعشر أمثالها وزيادة.

٨- وأمرنا كل إنسان أن يحسن لوالديه بإطاعتهما وبرهما والعطف عليهما، وإن حاولا حمله على الشرك، وطلبيا ذلك منه، مما ليس عليه دليل علمي على كونه إلهاً، فلا تطعهما في ذلك، لأنه لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق، وتلحق سائر المعاصي بالشرك فلا طاعة فيها، إلي مصيركم جميعاً يوم القيامة، فأخبركم بما كنتم تعملون وأجازيكم على عملكم. وعبر بكلمة ﴿حَسَنًا﴾ للدلالة على الإحسان العظيم جداً، حتى كأنه هو الحسن نفسه. نزلت حينما علمت أم سعد بن أبي وقاص بإيمانه، فحلفت ألا تاكل ولا تشرب حتى تموت أو يكفر، فنزلت.

٩- والذين صدقوا بالله ورسوله، وعملوا صالح الأعمال التي أمروا بها لنجعلنهم ونحشرنهم في زمرة العباد الصالحين في الجنة، وهم الأنبياء والأولياء.

وَمَنْ جَاهِدْ فَإِنَّا نَجْعِدُ لِنَفْسِهِ إِذَا لَّهِ لَغْنِي عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ شَيْئًا إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنَّا لَا نَمُوتُ أَنَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَقُولُونَ ﴿١٣﴾

١٠- ومن الناس وهم المنافقون من يقول بلسانه. صدقنا بالله، وقلبه فارغ من الإيمان، فإذا أُوذِيَ في الله أي من أجل إيمانه بالله، من قبل المشركين، جعل أذى الناس في الدنيا، كعذاب الله الحاصل له في نار جهنم في الآخرة، والمعنى: جزع من اليسير كما يجزع من العذاب الشديد، فيتزعزع إيمانه لأدنى ابتلاء، وينافق، ولئن تحقق نصر من الله للمؤمنين، قال المنافقون: إنا كنا معكم في الإيمان والدين، فأشركونا في الغنيمة، فرد الله عليهم بقوله: أو ليس الله بعالم بما في قلوب عباده من الإخلاص والنفاق؟ بلى. نزلت في أناس من المنافقين كانوا يؤمنون بالسنتهم، فإذا أصابهم بلاء من الله ومصيبة في أنفسهم افتتنوا.

١١- وليظهرن الله كلاً من المؤمنين والمنافقين، ويميز بين الفريقين، فالؤمن المخلص صابر على الطاعة والأذى، والمنافق متذبذب في موقفه، إن أصابه أذى الكافرين وافقهم وكفر بالله تعالى، وإن انتصر المسلمون أعلن الإسلام وزعم أنه مسلم.

١٢- وقال الكفار للمؤمنين: اتبعوا ديننا، ونحمل عنكم أثم خطاياكم، فتأخذ به دونكم، وليسوا بحاملين شيئاً من خطاياهم، إنهم لكاذبون في وعدهم. قال مجاهد: إن الآية نزلت في كفار قريش قالوا لمن آمن منهم: لا نبعث نحن ولا أنتم، فاتبعونا، فإن كان عليكم إثم فعلينا.

١٣- وليحملن هؤلاء الكفار يوم القيامة أوزارهم أو ذنوبهم التي اقترفوها، وأوزاراً وذنوباً أخرى مع أوزارهم: وهي أوزار من أضلواهم، وليسألن يوم القيامة سؤال توبيخ وتقريع عما كانوا يخلقونه من الأكاذيب والأباطيل التي أضلوا بها غيرهم.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا
 خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾
 فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾
 وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَانْتَهُوا دُونَكُمْ
 خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 لَأَبْلَكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ
 وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَقَدْ كَذَّبْتُمْ
 أُمُومًا قِيلَ لَهُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾
 أُولَئِكَ يَرْوُونَ كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَإِنْ ذَلِكَ
 عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ
 الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ
 تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ
 وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾

١٤ - ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه، فمكث معهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعوهم إلى توحيد الله، فكذبوه، وفيه تثبيت للنبي ﷺ وتصبير له على متابعة دعوته، فقد سبقه إلى الصبر على الدعوة نوح عليه السلام طوال هذه المدة، فهو أولى بالصبر، فكان جزاء المكذبين أن غمرهم طوفان الماء النازل بغزارة من السماء، ونزع من الأرض، وهم ظالمون أنفسهم بالكفر.

١٥ - فأنجيناه نوحاً ومن ركب معه في السفينة من أولاده وأتباعه المؤمنين، وكانوا ثمانين أو أقل، وجعلنا السفينة عبرة وعظة بالغة للعالم أجمع الذين أتوا بعدهم.

١٦ - واذكر أيها النبي أيضاً حين قال إبراهيم الخليل عليه السلام لقومه: اعبدوا الله وحده لا شريك له، وخافوا عقابه بامتنال أوامره واجتناب الشر، تلك العبادة والتقوى خير وأصح لكم من الشرك. وبما أنه لا خير في الشرك فإنه خاطبهم بحسب اعتقادهم - إن كنتم تعلمون الخير وتميزون بينه وبين الشر.

١٧ - إنما تعبدون أيها القوم من غير الله أوثاناً لا تضر ولا تنفع، - والوثن: ما اتخذ من جص أو حجر، والصنم: ما كان من معدن كنجاس وغيره، والتمثال: ما هو مثال لكائن حي - وتصنعون أصناماً تسمونها آلهة كذباً وزوراً، إن الذين تعبدون من غير الله لا يقدر

على أن يرزقكم شيئاً، فاطلبوا عند الله الرزق، فهو الرزاق وحده، وهو المالك للرزق، واعبدوه وحده بإخلاص، واشكروا له النعم التي أنعم بها عليكم، إليه ترجعون يوم القيامة للجزاء والحساب.

١٨ - وإن تكذبوا برسالتي، فقد كذب أم كثيرة من قبلي وقبلكم رسلكم، وليس على الرسول إلا التبليغ الواضح لدعوته، يبلغها قومه، وليس في وسعه هدايتهم.

١٩ - أو لم ينظروا ويعلموا كيف يبدأ الله خلق الإنسان والحيوان والنبات، ثم يعيد الإنسان إلى الحياة بعد الموت والفناء، إن ذلك سهل يسير على الله، فمن قدر على الإيجاد أول مرة، فهو قادر على الإعادة، والأمران سواء عليه. و «يروا» بمعنى يعلموا هنا، وهمزة الاستفهام للإنكار والنفي، فإذا انضم إليه النفي المفهوم من «لم» أفاد التقرير، أي إثبات أنهم رأوا، ومثل ذلك «الم نشرح» [الشرح ١/٩٤].

٢٠ - قل أيها النبي لمكذبي رسالتك: سافروا في الأرض، فانظروا كيف بدأ خلق من كان قبلكم بأشكال مختلفة وطبائع وأخلاق متغايرة، لتعلموا عظام قدرة الله، وآثارهم تدل عليهم، ثم الله يعيد الخلق أحياء مرة أخرى، بعد النشأة الأولى التي هي الإبداء، فإنه والإعادة نشأتان، إن الله قادر على كل شيء، لا يعجزه أمر، ومنه البدء والإعادة. وبدأ أبداً بمعنى واحد هو الإيجاد ابتداءً، أي إيجاد شيء لم يكن. والنشأة الآخرة: إحياء الخلق يوم القيامة.

٢١ - يعذب من يشاء تعذيبه، ويرحم من يشاء رحمته، وإليه تردون بعد موتكم.

٢٢ - ولستم أيها المكذبون الجاحدون بمعجزتي الله عن إدراككم، في الأرض ولا في السماء، وليس لكم من غير الله ولي يتولى أموركم ويمنعكم منه، ولا معين ينصركم من عذابه.

٢٣- والذين كفروا بآيات الله المنزلة في الكتب السماوية، والآيات التكوينية الدالة على وحدانية الخالق، وجحدوا ببقاء الله أي بالبعث بعد الموت، أولئك يأسون من رحمتي يوم القيامة، وأولئك لهم عذاب مؤلم في نار جهنم بسبب كفرهم.

٢٤- فما كان جواب قوم إبراهيم بعد دعوتهم لتوحيد الله إلا أن قال بعضهم لبعض: اقتلوه أو حرّقوه تحريقاً بالنار، فأجابه الله من نارهم، وجعلها عليه برداً وسلاماً، إن في إنجاء الله إبراهيم للدلالات قاطعة على وجود الله وتوحيده لقوم يُصدّقون بالله وقدرته، وخصّ المؤمنون بالذكر؛ لأنهم المتصفون بذلك.

٢٥- وقال إبراهيم: يا قوم إنما اتخذتم من غير الله آوثاناً آلهة، للتوابعينكم، والالتقاء على عبادتها في الحياة الدنيا، ثم يوم القيامة يتبرأ بعضكم من بعض، فيتبرأ العابدون من الأوثان، وتبرأ الأوثان من العابدين لها، ويلعن الأتباع القادة، والقادة الأتباع، ومقرّمكم النار، وليس لكم من أنصار ينقذونكم من النار.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَاسُونَ
رَحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢٣
جَوَابُ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ
اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٢٤
وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمُ
مِنْ نَّاصِرِينَ ٢٥
إِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّكِ هُوَ أَحْكَمُ الْحُكَمَاءِ ٢٦ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَأَعْزَلْنَاهُ أَجْرَهُ
فِي الدُّنْيَا وَأَتَيْنَاهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنْ أَصْلَحِينَ ٢٧ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ
إِنَّكُمْ تَأْتُونَ الْفَلَاخَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ
الْعَالَمِينَ ٢٨ إِنَّكُمْ تَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ
وَتَأْتُونَ فِي بَادِيِكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا
أَنْ قَالُوا أَتَأْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٢٩

٢٦- فصدّق لوط برسالة إبراهيم عليهما السلام، وقال إبراهيم: إني مهاجر من بلدي (كوثرى - قرية من سواد الكوفة بالعراق) إلى حرّان، ثم إلى الشام، أي مهاجر من ديارى إلى حيث أمرني ربي لأعبده، إن ربي هو القوي الغالب الذي يمتعني من أعدائي، الحكيم في صنعه وتدييره. وكان مع إبراهيم امرأته سارة ولوط ابن أخيه، فنزل فلسطين، ونزل لوط سدوم.

٢٧- ووهبنا لإبراهيم إسحاق بعد بركه إسماعيل، ويعقوب من إسحاق، وجعلنا في ذرية إبراهيم النبوة، فكل الأنبياء بعده من ذريته، والكتاب: التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، وأعطيناه أجره في الدنيا: وهو الرزق الواسع والأولاد والثناء الجميل بين أهل الأديان جميعاً، وإنه في الآخرة في زمرة الكاملين في الصلاح.

٢٨- واذكر أيضاً أيها النبي لوطاً عليه السلام حين قال لقومه: إنكم تتعاطون الفعلة القبيحة التي تنفر منها النفوس الكريمة وهي اللواط: إتيان أديار الرجال، لم يسبقكم إلى فعلها أحد من الناس.

٢٩- أنتمكم - والاستفهام للتوبيخ - لتلوطون بالرجال، وتقطعون الطريق على المارة بالقتل وأخذ المال والفاحشة، وتأتون في مجالسكم التي تجتمعون فيها ما يستنكره الشرع والعقل والطبع السليم، كاللواط وأنواع الفحش قولاً وفعلًا، فما كان جواب قومه إلا أن قالوا مستهزئين: اتنا بعذاب الله إن كنت صادقاً فيما تهددنا به، فعداوا بهذا القول إلى التكذيب والعناد.



٣٠- قال لوط: رب انصرني بإنزال عذابك على القوم المفسدين العاصين بإتيان الرجال وتعاطي المنكر، فأجاب الله دعاءه، وأرسل ملائكته لعذابه.

٣١- ولما جاءت رسلنا الملائكة إبراهيم بالبشرى بولادة إسحاق ومن بعده يعقوب، قالوا لإبراهيم: إنا مهلكو أهل قرية لوط وهي سئوم، إن أهلها كانوا ظالمين أنفسهم بالمعاصي، كافرين مكذبين رسولهم.

٣٢- قال إبراهيم لهم: إن في القرية لوطاً، فكيف تهلكونها؟ قالوا: نحن أعلم منك بمن فيها، لننجينه وأهله المؤمنين من الهلاك إلا أمرته كانت من الباقين في العذاب.

٣٣- ولما جاءت رسلنا الملائكة لوطاً في صورة شباب حسان الوجوه مُرَد، استاء بهم واغتم مخافة من قومه، وتضايق وحزن من وضعهم، وعجزه عن حمايتهم من أذى قومه، فقالوا له: إنا رسل ربك، لا تخف علينا من قومك ولا تحزن، فإنهم لا يقدرُونَ علينا، إنا منجوك وأهلك من الهلاك، إلا أمرتك كانت من الباقين في العذاب.

٣٤- إنا متزلون على أهل هذه القرية عذاباً شديداً من السماء بسبب فسقهم، وهو الخسف والحصب، أي الزلزلة والرمي بالحجارة.

٣٥- ولقد أبقينا من القرية بعد تدميرها علامة واضحة وعبرة وعظة هي آثار الحجارة التي رُجموا بها والديار الخربة لقوم يستعملون عقولهم في الاستبصار.

٣٦- وأرسلنا إلى مدين أخاهم في القبيلة والنسب شعيباً، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له، وافعلوا ما ترجون به ثواب اليوم الآخر، ولا تركبوا أشد الفساد، مفسدين في الأرض. و «مفسدين» حال مؤكدة لعاملها، مفيدة معنى الثبات على الفساد. وتعتوا: من عني مثل تعب يتعب، والعنو والعني: أشد الفساد.

٣٧- فكذبوا شعيباً، فأخذتهم الرجفة، أي الزلزلة الشديدة بصيحة جبريل: سبب الرجفة، فأصبحوا في دارهم باركين على الركب ميتين.

٣٨- وأهلكنا عاداً وثمود، وقد ظهر لكم من آثار مساكنهم بالأحقاف والحجر إذا نظرتُم إليها عند مروركم بها مدى الدمار والهلاك، مما يصلح عبرة وعظة للمتفكرين، وزين لهم الشيطان أعمالهم السيئة فرأوها حسنة، فمنعهم بهذا التزيين عن سلوك الطريق الواضح الموصل للإيمان والحق والعمل الصالح، وكانوا عقلاء ذوي بصائر، متمكنين من النظر والتأمل، وتمييز الحق من الباطل، ولكنهم أهملوها تكبراً وعناداً.

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمَفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَأْتِيَ بَنِيَّ مِنْ خَلْفِي أَغْلَمَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ فَخَرَّبْتُهُمْ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا قَلِيلًا كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَنَّ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا نِكَ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مَتَرْنَاهُ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُمْ آيَةً يَوْمَ يُقَوْمُ يُعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجِعُوا الْيَوْمَ الْأَخْرَ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ نَبَّأْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ زِينَهُمْ وَزَيْنَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَوَسَّوهُمْ عَلَى السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

وَقَرُّونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى
بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ
﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ
حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا
بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ
الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ
اتَّخَذَتْ بُيُوتًا وَإِنْ أَوْهَرَسَ الْبُيُوتُ لَبِثَتْ الْعَنْكَبُوتُ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ
دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَنَلَكَ
الْأَمَثَلُ نُضِرُّهُمْ لِلنَّاسِ وَمَا يَعْمَلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ
﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْحَيَّ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ أَتَى مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ لَدُنْكَ
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفُسَادِ وَالْمُنْكَرِ
وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

٣٩- وأهلكنا قارون الشري المتكبر، وفرعون الطاغية الجبار المتأله، وهامان وزيره الذي كان عوناً له على الظلم، ولقد جاءهم موسى بالحجج الواضحات الدالة على صدق رسالته، فتجبروا في الأرض وتعالوا عن الحق وعبادة الله، وما كانوا فاقين مقلتين من عذابنا.

٤٠- فكل واحد أو جماعة من المذكورين عاقبنا بذنبه: كفره وتكذيبه، فمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ رِيحاً عاصفاً فيها حصباء: حجارة صغيرة، وهم قوم لوط وعاد قوم هود، ومنهم من أخذته الصيحة: الصرخة الشديدة كمدين وثمود، ومنهم من خسفنا به الأرض كقارون، وقوم لوط، وهؤلاء عذبوا بالخسف والحصب، ومنهم من أغرقنا كقوم نوح وفرعون وجنوده، وما كان الله ليظلمهم بما فعل بهم، أي يعذبهم بغير ذنب، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالكفر وتكذيب الرسل وارتكاب المعاصي.

٤١- مثل (صفة) الذين اتخذوا من غير الله أنصاراً لتحقيق منافعهم وحاجاتهم، سواء كانوا من الجمادات كالأوثان والأصنام، أو من الحيوان أو من الملائكة أو من الناس الأحياء أو الأموات، مثلهم كمثل العنكبوت (حشرة صغيرة) اتخذت بيتاً لنفسها تأوي إليه، لا يبغي عنها شيئاً من حر أو برد أو مطر، ولا يحفظها من عدو، وإن أضعف البيوت لبثت العنكبوت، كذلك الأصنام ونحوها لا تنفع عابديها، لو كانوا يعلمون ذلك ما عبدوها.

٤٢- إن الله يعلم الذي يعبدون من الأصنام والأوثان من غير الله، ليس بشيء يُعبد لينفع أو يضر، وهو القوي المنتقم ممن كفر به، الحكيم في صنعه وتدييره وجميع أقواله وأفعاله.

٤٣- وهذا المثل ونظائره في القرآن نبيها للناس للتنبيه والتقريب للأفهام، وما يفهمها إلا العالون المتدبرون الذين يتفكرون فيما يتلى عليهم وفيما يشاهدونه من الأشياء.

٤٤- خلق الله السموات والأرض بالعدل والقسط ومراعاة مصالح العباد محققاً غير مبطل، ولم يعاونه في الخلق أحد، إن في ذلك الخلق لدلالة على وحدانية الله وقدرته للمؤمنين؛ لأنهم المتفجعون بها في الإيمان، بخلاف الكفار. فقوله ﴿بِالْحَقِّ﴾: يراد به لحكم عالية كما ذكرت.

٤٥- اقرأ أيها الرسول مع التدبر ما أوحى إليك من القرآن، متفكراً في معانيه، وأقم الصلاة المفروضة في أوقاتها وداوم عليها، إن الصلاة تنهى المؤمنين عن كل ما كان قبيحاً من العمل، مستنكراً في الشريعة، ولذكر الله وهو الصلاة أكبر من سائر الطاعات، وأفضل من كل عبادة لا ذكر فيها؛ لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكر الله، مراقب له، والله يعلم ما تصنعون في حياتكم من خير أو شر، ويجازيكم عليه. والفحشاء: الفعلة القبيحة المتناهية في الفحش كالزنى، والمنكر: كل ما تنكره الشريعة والعقل السليم كالقتل والإفساد.



٤٦- ولا تجادلوا أيها المؤمنون اليهود والنصارى إلا جدالاً معقولاً لبيان الحق، بالخصلة التي هي أحسن، يراعى فيه جمال القول، ولين الكلام، وضبط النفس، لكن الذين ظلموا منهم بالإفراط في العناد، لا بأس بمقابلتهم بالمثل، وقولوا لهم في جدالكم: آمنا بما أنزل إلينا من القرآن، وبما أنزل إليكم من التوراة والإنجيل، دون تحريف ولا تبديل، وإلهنا وإلهكم واحد لا شريك له، ونحن له مطيعون خاضعون. أخرج البيهقي في الشعب عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، إما أن تصدقوا بباطل، أو تكذبوا بحق، والله لو كان موسى حياً بين أظهركم، ما حل له إلا أن يتبعني».

٤٧- ومثل ذلك الإنزال للتوراة وغيرها أنزلنا إليك القرآن مصدقاً لما تقدمه من الكتب الإلهية، فالذين آتيناهم الكتاب وهم اليهود والنصارى ويتبعون ما جاء في كتبهم يؤمنون بهذا القرآن كعبد الله بن سلام وجماعته، ومن أهل مكة من يؤمن بهذا القرآن أيضاً، وما ينكر صحة آيات القرآن إلا المصرون على الكفر من المشركين وأهل الكتاب. والجحود: إنكار باللسان لما هو ثابت في القلب.

٤٨- وما كنت أيها الرسول تقرأ قبل القرآن كتاباً، ولا تكتب بيمينك، أي إنك أمة لا تقرأ ولا تكتب، ولو كنت تقرأ وتكتب لشك أهل الباطل بأمرك، وادعوا أن ما تتلوه مأخوذ من الكتب السابقة. والمبطلون: الذين يجعلون الحق باطلاً، ويتوغلون في الباطل. و«من كتاب» تدل على عموم النفي لما بعدها.

٤٩- بل القرآن الذي جئت به آيات واضحات الدلالة على الحق، في قلوب أهل العلم وهم المؤمنون حفظه القرآن، وما ينكر آيات الله إلا الذين ظلموا أنفسهم، وجحدوا الحق بعد وضوح أدلة إعجاز تلك الآيات، وأصرروا على الكفر.

٥٠- وقال كفار مكة: هلا أنزل على محمد معجزات حسية من ربه، مثل ناقة صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى، قل أيها الرسول جواباً لهم: إنما أمر المعجزات عند الله وحده، وليس يوسعي، وليس من شأني إلا إنذار العصاة بالنار، وأنا مجرد محذر المخالفين من عذاب الله، موضح الحق من الباطل.

٥١- أو لم يكف المشركين آية لما طلبوا أننا أنزلنا عليك القرآن، تدوم تلاوته عليهم، يتحداهم بالإتيان بمثله، إن في ذلك الكتاب لنعمة عظيمة، وعظة وتذكرة، لقوم يصدقون بما جئت به من عند الله دون تعنت. نزلت لما جاء ناس من المسلمين يكتب كتبها، فيها بعض ما سمعوه من اليهود.

٥٢- قل أيها النبي: كفى بالله شاهداً بصدقني وبينكم، لا يخفى عليه شيء في السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل: وهو كل ما يعبد من دون الله كالأصنام، وكفروا بالله: بأن أنكروا وجوده أو وحدانيته، أولئك هم الذين خسروا أنفسهم في صفتهم، حيث اشتروا الكفر بالإيمان.

وَلَا تَجِدُوا أُمَّلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالْحَقِّ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٥٠﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٥١﴾ وَمَا كُنْتَ تَسْلُمُ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُرُ بِمِثْلِكَ إِنَّا لَا نَرَاهُ إِلَّا بَاطِلُونَ ﴿٥٢﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْقُرْآنَ وَمَا يُجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٥٣﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٤﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرِجْهَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٦﴾

وَيَسْتَجْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ
وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْضَةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٥٣ وَيَسْتَجْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَأَنْ يَحْضَوْا حَيْطَةً بِالْكَافِرِينَ ٥٤ وَيَوْمَ تَمُوتُ أَعْدَابُ
مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُو الْقَرَىٰ أَكَمَّ تَعْمَلُونَ ٥٥
يَعْبُدُونَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ ٥٦
كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ٥٧ وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرًّا فَتَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ٥٨ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ
رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٥٩ وَكَأَيِّنْ مِنْ ذَايَةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا
وَإِنَّا كَافِرُونَ ٦٠ وَهِيَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٦١ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَصَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَإِنِّي
يُؤْتِكُونُ ٦٢ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَيَقْدِرُ لَهُ ٦٣ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٦٤ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ
زَلَّ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاتَّخِذَ بِهِ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ مَوْنِهَا لَيَقُولُنَّ
اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ٦٥ أَكْذَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ٦٦

٥٣ - ويستعجلك أيها النبي المشركون بالعذاب استهزاء، ولولا وجود أجل معلوم وموعده محدد في علم الله، لكل عذاب أو قوم في الدنيا أو يوم القيامة، لجاءهم العذاب المستحق عاجلاً بسبب ذنوبهم، وليأتينهم فجأة، في الدنيا عند حدوث معركة مثلاً كوقعة بدر، وفي الآخرة عند نزول الموت بهم، وهم لا يشعرون بوقت إتيانه.

٥٤ - يستعجلونك بالعذاب الدنيوي، قل لهم أيها النبي: إن العذاب الآخروي أت لا بد منه، وإن جهنم لمحيطه بالكافرين يوم القيامة.

٥٥ - يوم يصيبهم ويغطيهم العذاب من جميع جوانبهم، من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ويقال لهم: ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون، فلا تفوتونا.

٥٦ - يا عبادي الذين آمنوا إن كنتم عاجزين في مكة أو غيرها عن إظهار شعائر الإسلام والعمل بها، خوفاً من أذى المشركين، فهاجروا إلى بلد آخر تيسر لكم العبادة فيه، إن أَرْضِي متسعة، فأخلصوا إلى العبادة في أي مكان آخر ليس فيه مضايقة لكم. نزلت في تمريض المؤمنين الذين كانوا بمكة على الهجرة، وقالوا: نخشى إن هاجرنا من الحرم وضيق المعيشة.

٥٧ - كل نفس مخلوقة ذائقة الموت حتماً، في

الوطن والمقام أو في الغربة والمهجر، ثم ترجعون إلينا بعد الموت للحساب والجزاء.

٥٨ - والذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا الأعمال الصالحة المأمور بها شرعاً، لننزلهم من الجنة غرّاً (أمكنة عالية) تجري من تحت أشجارها ومساكنها الأنهار، ماكين فيها على الدوام، نعم هذا الأجر أجراً للعاملين بأوامر الله تعالى.

٥٩ - الذين صبروا على أذى المشركين، والهجرة لإظهار الدين، وغير ذلك من المحن والبلايا، ويفوضون الأمر لربهم ويشقون به.

٦٠ - وكم أي كثير من ذاية. و«من» لبيان جنس الشيء الكثير قبله، أي وكثير من الدواب. لا تطيق حمل رزقها لضعفها، ولا ادخاره، والله يرزقها وإياكم بتيسير أسباب الرزق والحياة، وهو السميع لأقوالكم، العليم بأحوالكم وضمايركم. نزلت حينما طلب النبي ﷺ من أصحابه بمكة الهجرة إلى المدينة، فقالوا: ليس لنا بها دار ولا عمار، ولا من يطعمنا، ولا من يسقينا، فنزلت الآية.

٦١ - ولئن سألت أيها النبي المشركين: من خلق السموات والأرض وأبدعها، وذلك الشمس والقمر يجريان لما فيه نفع المخلوقات؟ ليقولن: الله وحده هو الخالق والمسخر، فكيف يصرفون عن توحيد بعد إقرارهم بذلك؟!

٦٢ - الله يوسع الرزق لمن يشاء من عباده امتحاناً، ويضيقه على من يشاء ابتلاء، إن الله بكل شيء عالم واسع العلم، يعطي ويمنع بمقتضى الحكمة والمصلحة.

٦٣ - ولئن سألتهم أيها النبي: من الذي نزل من السماء مطراً، فأحيا به الأرض بالإنبات، من بعد قحطها وجذبها؟ ليقولن: الله وحده الفاعل لكل ذلك، قل: الحمد لله على ظهور الحجة والتوفيق للصواب، بل أكثر المشركين لا يدركون تناقضهم في ذلك.

٦٤- وما هذه الحياة الدنيا إلا كلهم صبيان ولعبهم، يلتقون ساعة ثم يتفرون، وإن حياة الدار الآخرة لهي الحياة الحقيقية الدائمة التي لا تزول؛ لأنه لا موت بعدها، لو كانوا يعلمون ذلك، لما آثروا الدنيا على الآخرة.

٦٥- فإذا ركب الكفار في السفن -والفلك: يطلق على السفينة الواحدة والأكثر- دعوا الله مخلصين له الدعاء والتضرع، وتركوا الأصنام والأوثان؛ لعلمهم أنه لا يكشف الشدة وللمنة إلا الله تعالى، فلما نجّاهم إلى البر إذا هم يعودون إلى الشرك ودعاء غير الله سبحانه. و ﴿إذا﴾ حرف يدل على حصول ما بعده عقب ما قبله مباشرة.

٦٦- إنهم يشركون، لكي يكفروا بما أعطيتهم وأمددناهم من النعم، وليتمتعوا بعبادة الأصنام -فاللام في الفعلين لام التعليل في تقدير الله، ولام العاقبة أو الصيرورة بالنسبة إليهم- فسوف يعلمون عاقبة ذلك.

٦٧- أو لم يعلم كفار قريش أننا جعلنا حرمهم هذا مكة حرماً آمناً على النفس والمال، ويختلس الناس من حولهم قتلاً وسبياً ونهباً، أقبال باطل (وهو الصنم أو الشيطان) يؤمنون، بعد ظهور الحجة عليهم، ويكفرون بنعمة الله، فلا يشكرون ربهم المنعم، ويشركون به غيره؟! قال ابن عباس: قال المشركون: يا محمد، ما يمنعنا أن ندخل في دينك إلا مخافة أن يخطفنا الناس لقلتنا، والأعراب أكثر منا.

٦٨- ولا أحد أظلم من اختلق على الله كذباً، فزعم أن له شريكاً، أو كذب بالقرآن والرسول، حينما آتاه وسمعه دون

أن يفهمه، أليس في جهنم ماوى ومستقر للكفار جزاء كفرهم؟! والاستفهام تقرير لإقامتهم في جهنم.

٦٩- والذين جاهدوا في حقنا ومن أجل نشر دعوتنا، لنهديهم إلى طرق الخير ورضوان الله، وإن الله لمع المحسنين أعمالهم بالنصر في الدنيا، والثواب في الآخرة.

وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ لَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَاتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكَ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٢﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَنَّوْا فُسُوفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبِطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعِمَّةٍ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ اقْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ عَلِيَّا رُومٌ ﴿٢﴾ فِي أَنْتِ الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ فِي ضَمِيمِ سِينِينَ ﴿٤﴾ اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَ يُنْفَخُ أَلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ بَصِيرَ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾

سورة الروم

١- ألف، لام، ميم، هذه الحروف لتنبية السامع وحثه على الإقبال على القرآن، ولتحدّي العرب بمعارضة القرآن الذي تتألف كلماته وجمله من هذه الحروف وغيرها.

٢- غلبت دولة فارس الوثنية دولة الروم النصرانية بقيادة هرقل في العصر النبوي، في معركة جرت بينهما. وكانت دولتهم تشمل الشام والعراق، ففرح كفار مكة بذلك، وتفاءلوا بنصرهم على المسلمين. عن أبي سعيد الخدري قال: لما كان يوم بدر، ظهرت الروم على فارس، فاعجب ذلك المؤمنين، فنزلت: ﴿الم، غلبت الروم﴾.

٣- في أقرب أرض الروم إلى أرض فارس بالجزيرة، وإلى أرض العرب شمالاً، والروم من بعد هزيمتهم سيغلبون القرس.

٤- في مدة تتراوح بين ثلاث إلى تسع سنوات، لله الأمر -أي القدرة وإنفاذ الأحكام- من قبل انغلاب الروم ومن بعد ذلك، ويوم ينتصر الروم على الفرس يفرح المؤمنون؛ لأنه انتصار لأهل الكتاب على المشركين.

٥- يفرحون بنصر الله الذي نصر الروم الكتائبين على الفرس الوثنيين، ينصر من يشاء الله من عباده أن ينصره، وهو القوي الغالب المنتقم من أعدائه، الرحيم بعباده التائبين المؤمنين. والآيات من دلائل النبوة؛ لأنها إخبار عن الغيب.

٦- وعد الله المؤمنين وعداً جازماً بالنصر- نصر الروم على الفرس الوثنيين، لا يخلف الله وعده في أي أمر، ولكن أكثر الناس ومنهم كفار مكة لا يعلمون وعده تعالى بنصرهم لجهلهم بالله تعالى وعدم تفكيرهم.

٧- يعلمون الأمور الظاهرة التي يشاهدونها من زخارف الدنيا ومكاسب الحياة، وتمتعهم بها، وهم غافلون عن نعيم الآخرة الدائم، لا يستعدون له، ولا يخطر ببالهم نهاية الدنيا.

٨- أو لم يتفكر الغافلون عن الآخرة في خلق الله أنفسهم، فيرجعوا عن غفلتهم؟ ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات إلا بالعدل ومن أجل العدل والحكم عالية لا عبثاً ولعباً، ولوقت معلوم محدد نهايته يوم القيامة، وإن كثيراً من الناس مثل كفار مكة لكافرون بالبعث بعد الموت.

٩- أو لم يسيروا في الأرض سير تأمل واعتبار؟ فيشاهدوا كيف كان مصير الأقوام الذين كانوا من قبلهم، أهلهم الله بسبب كفرهم بالله وتكذيبهم

وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ كُنْزُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظُهُورَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ فَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٨﴾ وَإِنْ كَثُرَ بَازِرَ النَّاسِ بِلِقَائِي بِهِمْ لَكَفَرُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ سَبُّوا فِي الْأَرْضِ فَبُظِرُوا بِكَفَرِ الْغَافِلِينَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا أَسْوَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٢﴾ وَقَوْمُ النَّسَاجَةِ يُسْلِمُونَ الْخَمِيرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ كُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا يُشْرِكُونَ بِهِمْ لَكُفَرِينَ ﴿١٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِقُونَ شَقِيرًا ﴿١٥﴾

لرسل، كانوا أشد قوة كعاد وثمود من أهل مكة، وحرثوا الأرض وقلبوها للزراعة، وعمروها بالمباني والغراس والمزارع أكثر مما عمرها هؤلاء المكيون، بسبب طول أعمارهم، وقوة أجسامهم، وجاءتهم رسلهم بالمعجزات الدالة على صدقهم، فلم يؤمنوا، فأهلكهم الله، فما كان الله ليزلمهم بتعذيبهم من غير ذنب، ولكن كانوا يظلمون أنفسهم بالكفر بالله وتكذيب رسله. وهذا يدل على أن الله تعالى عذبهم بسبب مظالمهم ومعاصيهم.

١٠- ثم كان عاقبة المسيئين الذين كفروا بالله وعصوا أوامره أقبح عاقبة في الآخرة؛ لأنهم كذبوا بآيات الله التي أنزلها على رسله، وكانوا يسخرون بها. والسواى: مؤنث الأسوأ.

١١- الله تعالى وحده هو الذي يبدأ خلق المخلوقات، ثم يعيد الخلق مرة أخرى، ثم إليه ترجعون إلى الحساب والجزاء، ليكافأ المحسن، ويعذب المسيء.

١٢- ويوم تقوم القيامة ييأس المشركون من النجاة، ويسكتون متحيرين لانقطاع حجتهم.

١٣- ولم يكن للمشركين من شركائهم الذين عبدوهم من دون الله وأشركوهم بالله شفعاء ينقذونهم من العذاب، وكانوا حيثئذ كافرين بالهتهم الذين جعلوهم شركاء لله، متبرئين منهم.

١٤- ويوم تقوم القيامة ويتم الحساب يتفرق المؤمنون والكافرون، فيذهب الأولون إلى الجنة، والآخرين إلى النار.

١٥- فأسألو المؤمنين بالله ورسوله، وعملوا الأعمال الصالحة التي أمروا بها، فهم في روضة (بستان) من رياض الجنة يُسررون ويُكرمون.

١٦- وأما الذين كفروا بالله ورسوله، وكذبوا بآياتنا المنزل في القرآن، وكذبوا بالبعث وتوابعه من جنة ونار، فأولئك مقيمون في العذاب، تحضر الملائكة عذابهم.

١٧- فتنتزه الله عن كل نقص، فتزوهه وصلوا له في وقت الصبح والمساء، ففي الصباح صلاة الفجر، وفي المساء صلاة المغرب والعشاء، وخص هذان الوقتان بالذكر، لوضوح آثار القدرة والعظمة الإلهية فيهما.

١٨- والله الشكر والثناء الجميل في أنحاء السموات والأرض وفي العشي (صلاة العصر) ووقت الظهيرة (صلاة الظهر). والعشي: الوقت الممتد من بعد العصر إلى الغروب.

١٩- يخرج الله الحي من الميت، كالإنسان من النطفة، والطير من البيضة، ويخرج الميت من الحي كالنطفة والبيضة من الإنسان، ويحيي

الأرض بالنبات بعد موتها باليس، ومثل ذلك الإخراج تخرجون من القبور. والمراد أن البدء والإعادة سواء في قدرة الله تعالى.

٢٠- ومن آيات الله تعالى الدالة على قدرته وعلى البعث: أن خلق أصلكم آدم من تراب، ثم بعد التناسل من آدم والصيرورة بشراً من دم ولحم تتوزعون في الأرض، تبتغون من فضل الله تعالى.

٢١- ومن آياته تعالى أيضاً الدالة على البعث: أن خلق لكم أزواجاً من جنسكم في البشرية والإنسانية لتحققوا السكن والطمأنينة والأنس، وجعل بين الزوجين محبة وشفقة، إن في ذلك المذكور آيات دالة على قدرة الله تعالى، لقوم يفكرون في صنع الله تعالى وتدييره، وقدرته وحكمته.

٢٢- ومن دلائل قدرته إيجاد السموات والأرض، واختلاف لغاتكم ولهجاتكم، وتباين ألوانكم كالسواد والبياض، إن في ذلك لعلامات على قدرة الله لأولي العلم والبصيرة.

٢٣- ومن آياته تعالى، أي دلائل قدرته: نومكم بالليل للراحة، وابتغواكم (طلبكم) الرزق أو المعاش في النهار، إن في ذلك لدلائل واضحة على البعث، لقوم يسمعون المواعظ سماع تأمل وتفكر.

٢٤- ومن دلائل قدرته: أنه تعالى يريكم البرق (وهو شرارة كهربائية بسبب احتكاك السحب) خوفاً من الصواعق، وطمعاً في الغيث، وينزل من جهة السماء من السحاب مطراً، فيحيي الأرض من بعد جفافها، إن في ذلك لدلالات على قدرته تعالى، لقوم يفكرون في دلالاتها على القدرة الباهرة.

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسَجُنَ الَّذِينَ أُسُوا مِنْكُمْ وَهُمْ ضِعُوفُ مَا يَأْتِيهِمْ أَنِ يَمُوتُوا ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ فِي الْعَذَابِ عَظِيمٌ ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٨﴾ وَتُجْزَىٰ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْأَرْضِ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٢٤﴾

٢٥- ومن دلائل قدرته : قيام السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض فلا تتركوا، ثم إذا دعاكم الله تعالى دعوة من الأرض بالبعث والنفيخ في الصور، إذا أنتم تخرجون سراعاً أحياء، من غير تباطؤ. وقيامهما بقاءهما قائمتين على حالهما.

٢٦- والله جميع من في السموات والأرض ملكاً وخلقاً وتعبداً، كل له مطيعون متقادون لفعله فيهما من إحياء وإماتة، وصحة ومرض، وبعث وحساب وغير ذلك.

٢٧- والله سبحانه هو الذي يبتدئ الخلق من العدم، ثم يعيده حياً بعد الموت للحساب والجزاء، والإعادة عليه أهون من الابتداء بحسب تصور الناس العقلاء، وأما بالنسبة لله تعالى فهما سواء، وله الصفة العليا البديعة التي لا يضارعه أحد فيها، كالقدرة العجيبة والحكمة النافذة، في السموات والأرض، وهو القوي الغالب القاهر، الحكيم في أقواله وأفعاله، وتدبير خلقه. قال عكرمة: تعجب الكفار من إحياء الله الموتى، فنزلت هذه الآية.

٢٨- جعل الله لكم أيها المشركون مثلاً متزجاً من أحوال أنفسكم، تعتبرون به، لبطلان الشرك، وهو هل

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كُلِّ لَفٍ فَنُتَوْنَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَةِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَ مُهْمٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ مِّنْ يَّهْدِي مَنَاصِلَ اللَّهِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْرِبُوا لَكُمْ الَّذِينَ خِيفَ فِطْرَتَ اللَّهِ إِلَىٰ فِكْرِ النَّاسِ عَلَيْهِمْ لَا تَبْدِيلَ لِحُكْمِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الَّذِينَ أُقْبِرُوا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِبَعًا كُلِّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ رُجُوكَ ﴿٣٢﴾

لکم شرکاء فیما تملکون من الرقیق والأموال وغیرها، فتکونون أنتم وشرکاءکم سواء فی إمكان التصرف فیہ، تخافون من الاستقلال بالتصرف فی المملوک، کخوفکم من الأحرار مثلاً؟ والمعنی: إذا کتم ترفضون إشراک غیرکم فی مملکاتکم، فکیف تقبلون الإشراک لله الخالق؟ مثل ذلك التفصیل نین الآیات والبراهین بأمثله واضحة لقوم یتدبرون یتعظون و﴿هل﴾ حرف استفهام للتوبيخ. قال ابن عباس: کان یبلی أهل الشریک: لئیک اللهم لئیک، لئیک لا شریک لك إلا شریکاً هو لك مملکة وما ملک، فأنزل الله هذه الآية.

٢٩- بل (حرف للانتقال من کلام لآخر) اتبع الظالمون أنفسهم بالإشراک أهواءهم بتقلید آبائهم، جهلاً منهم بأنهم علی ضلالة، فلا أحد یقدر علی هداية من أضله الله بسبب تمادیه فی الکفر والعناد، ولیس لهم من أنصار یخلصونهم من الضلالة، ولا منقذ لهم من الله تعالى.

٣٠- فاقبب أيها النبی ومن تبعک علی دین الإسلام، وأخلص التوجه والقصد إلیه وحده، مائلاً عن کل دین آخر إلی منهج الاستقامة، واتبع الفطرة: الحالة التي خلق الله الناس علیها وهي الخضوع لإله قادر حکیم واحد لا شریک له، لا قدرة لأحد علی تغییر الفطرة الإلهية من التوحید إلی الشریک، ذلك أي لزوم الفطرة هو الدین القوم الذي لا عوج فیہ، ولكن أغلب الناس ککفار مکة لا یعلمون الحق والتوحید لعدم تدبرهم.

٣١- فأقیموا وجوهکم راجعین إلیه تعالى بالتوبة وإخلاص العمل، والتزموا الأوامر واجتنبوا النواهی، وأقیموا الصلاة التامة الأركان فی أوقاتها، واحذروا أن تكونوا من المشرکین بالله إلهاً آخر.

٣٢- من المشرکین الذين اختلفوا فی عبادتهم بحسب أهوائهم، وكانوا فرقة وأحزاباً، یشایع بعضهم بعضاً، کل فریق بما لديهم من الدین المخرع مسرورون بما لديهم یظنون أنهم علی الحق.



٣٣. وإذا أصاب الناس مثل كفار مكة ما يضرهم بسبب شدة ويلاء، دعوا ربهم لرفع الضر عنهم، راجعين إليه دون غيره، متضرعين بقلوب خاشعة، ثم إذا رحمهم وخلصهم من ذلك الضر والشدة إذا جماعة منهم مشركون بربههم، يعودون لما كانوا عليه من الشرك.

٣٤- ليصيروا كفاراً جاحدين بما أعطيناهم من النعم، فتمتعوا أيها الكفار بكفركم قليلاً، فسوف تعلمون مصير كفركم في الآخرة، وهذا تهديد ووعيد.

٣٥- بل هل أنزلنا عليهم برهاناً ساطعاً وكتاباً قاطعاً يكون حجة لهم، فهو يتنطق بإشراكهم بالله تعالى وجواز ما يعملون؟ وهذا على سبيل الإنكار، والمعنى: لا حجة لهم على ما هم عليه من الشرك والضلال.

٣٦- وإذا أذقنا الناس منا نعمة كرخاء وعافية،
فرحوا فرح يطر بسببها، وإن يصبهم بلاء وشدة
بسبب ما جنت أنفسهم واقترفوا من السيئات، إذا
هم يأسون من الرحمة الإلهية.

٣٧- أولم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيقه على من يشاء بمقتضى حكمته امتحاناً واختباراً، إن في ذلك البسط والتقثير لدلائل على قدرة الله وحكمته لقوم يؤمنون بربهم، فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة.

٣٨- فأعط أيها المؤمن القريب حقه من صلة الرحم والبرّ، وأعط المسكين المحتاج، والمسافر المنقطع عن بلده المحتاج إلى المال، من الزكاة والصدقات، ذلك الإتياء أفضل من الإمساك لمن يريد الثواب بعمله وإخلاص النية لربه، والتقرب إلى الله تعالى، وأولئك هم الفائزون بالجنة والرضوان.

٣٩- وما أعطيتم قرضاً من مال بقصد المراجعة وطلب زيادة خالية من العوض المقابل، ليزيد وينمو على حساب أموال الناس، فلا يزيد عند الله، بل يمحقه الله، وما أعطيتم من زكاة للمستحقين ابتغاء مرضاة الله، فالولئك هم الذين يُضَاعَف لهم الثواب بما أرادوه، أي هم أصحاب الأجر المضاعف.

٤٠- الله الذي خلقكم أيها الناس المؤمنون والمشركون، ثم رزقكم من الميلاد إلى الوفاة، ثم يمتكم في آخر العمر، ثم يعثكم أحياء في الآخرة للحساب والجزاء، هل (حرف استفهام يراد به التوبيخ) من شركائكم من يفعل هذه الأفعال، تنزه الله، وتقدس، وتعظم عن أن يكون له شريك.

٤١- ظهر الخلل في الأشياء كالجذب والقشط والحرق والغرق والمرض والقلق وتسلط الأعداء بسبب معاصي الناس وذنوبهم، ليذيقهم جزاء بعض ما عملوا في الدنيا قبل عقاب الآخرة، ليرجعوا عما هم عليه من المعاصي ويتوبوا من الذنوب.

٤٢- قل أيها الرسول للمكذبين برسالتك: انتقلوا في أنحاء الأرض، وتأملوا فيما حدث فيها، لتتحققوا صدق وعيدنا، وتظفروا في مصير الأمم الماضية الذين أهلكتناهم، بسبب كون أكثرهم مشركين بالله إلهاً آخر.

٤٣- فاجعل أيها النبي اتجاهك نحو الدين القويم واتباعه، وهو الإسلام، من قبل مجيء يوم القيامة الذي لا سبيل إلى رده، فلا راد له ولا مانع منه من أمر الله، يومئذ يتصدعون، أي يتفارقون بعد الحساب: فريق في الجنة، وفريق في السعير.

٤٤- من كفر بالله فعليه وبال كفره: وهو النار المؤبدة، ومن آمن وعمل صالحاً ملتزماً بما أمر الله به، فلا أنفسهم يوطئون أو يهيشون منزلتهم في الجنة.

٤٥- ليجزى الله الذين آمنوا وعملوا بما أمر الله ثواباً من فضله وإحسانه، فالإثابة محض تفضل، إن الله يعاقب الكافرين ويسخط عليهم، فالغضب يستتبع العقوبة.

٤٦- ومن دلائل قدرته ووحدانيته تعالى: أن يرسل الرياح: رياح الخير والرحمة مبشرات

فليسروا في الأرض فانظروا كيف كان عقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين ﴿١﴾ فألم وجهك للذين ألقب من قبل أن يأتى بهم نورا من الله يومئذ يصدعون ﴿٢﴾ من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسه يمهّدون ﴿٣﴾ ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين ﴿٤﴾ ومن الله نبي أن يرسل الرياح مبشرات وليذكركم من رحمته وليجزى الفلك بأمره وليتبعوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴿٥﴾ ولقد أرسلنا من قبلك إلى قومهم نوحاً وإبراهيم وآدم فقال لهم ربنا ما آتيناكم من ربهم في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فذرى لودى يخرج من خلله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون ﴿٦﴾ وإن كانوا من قبل أن يترك عليهم من قبله ليلسين ﴿٧﴾ فانظر إلى آية الرحمت الله كيف ينجي الأرض بعد موتها إن ذلك لحى الموتى وهو على كل شئ وقدير ﴿٨﴾

يهطل الأمطار، وليذكركم من رحمته الغيث والخصب والخيرات، ولتسير السفن في البحر بإذنه وإرادته، ولتطلبوا الرزق من بعض فضل الله بالتجارة في البحر والبر، ولتشكروا نعمة الله فيها، فتوحده.

٤٧- ولقد أرسلنا من قبلك أيها الرسول رسلاً إلى قومهم يدعونهم للتوحيد، فجاءوهم بالمعجزات أو بالحجج الواضحات على صدقهم في رسالتهم إليهم، فانتقمنا من الذين اقترفوا السيئات وتكذيب الرسل بالإهلاك والتدمير، وكان حقاً ثابتاً لازماً نصر المؤمنين على الكافرين بإهلاكهم وإنجاء المؤمنين.

٤٨- الله الذي يحرك الرياح ويوجهها نحو هدف، فتحرك وتهبّ سحاباً، فينشره متصلاً بعضها ببعض في السماء، كيف يشاء من قلة وكثرة، ويجعله أحياناً قطعاً متفرقة، فتري المطر يخرج من وسطه، فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يبشرون بعضهم بعضاً بالخير والخصب بالمطر الذي هو أمانة ذلك. و ﴿إذا﴾ حرف يدل على حصول ما بعده عقب ما قبله فجأة.

٤٩- وإنهم كانوا من قبل إنزال المطر لآيسين أو ياقسين من نزوله. وقوله: ﴿من قبله﴾ لبيان سرعة قلبهم من اليأس إلى الفرح، وهذا من شأن أهل الخفة والطيش، أما المؤمن فصبور لا يتعجل.

٥٠- فانظر أيها المخاطب إلى آثار الغيث من النبات والزرع والشجر والثمر، كيف يحيي الله الأرض بالنبات من بعد ييسها وجديها، إن الذي أحيا الأرض بقدرته هو محيي الموتى يوم القيامة للحساب والجزاء، والله على كل شئ قادر متمكن كثير القدرة، لا يعجزه شيء.



وَلَيْنَا أَرْسُلْنَا رِجَالًا أَوْ هُمْ مُصَفَّرًا لَطَّلُوا مِنْ بَعْدِهِمْ كَفَرُوا
 ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الْقَبْرَ إِذَا وَلَّوْا
 مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْقَوْمَ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ
 الْآمِنِينَ يَوْمَئِذٍ بِمَا لَيْسَ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ اللَّهُ الَّذِي
 خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ
 بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ
 ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُؤْتُوا عَذْرَ
 سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
 وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كَيْبِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ
 الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ
 لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
 ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَيْنَ
 جُنُودُهُمْ ثِيَابٌ يَلْبَسُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ اللَّهَ الْأَمِيطُونَ ﴿٥٨﴾
 كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ
 وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْخِفَنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

٥١- ولئن أرسلنا رجالاً يزرعوناً أو نباتاً مصفراً تألفاً من شدة الريح، لظفروا أو مكثوا من بعد ذلك يكفرون بالله ويجحدون نعمته. والمراد أنه لا ينفعهم التخويف لقسوة قلوبهم.
 ٥٢- فإنك أيها النبي لا تسمع موتى القلوب سماع تدبر وانعاط، ولا تسمع الصم دعوتك إلى الحق إذا انصرفوا معرضين بسرعة عن السماع والتفهم. والمراد: الكفار الذين أصبحوا كالموتى والصم.

٥٣- وما أنت بهادي العمي ومانعهم من ضلالتهم، وسما غمياً لفقدهم المقصود الحقيقي من الإبصار، ما تسمع سماع إفهام وقبول إلا المؤمنين بآياتنا القرآنية، فهم متقادون خاضعون لأمرنا.

٥٤- الله الذي خلقكم ضعفاء. وقال: من ضعف حتى كان الضعف أساس تكوينكم. وسبب الضعف بدء التكوين من نقطة، ثم جعل من بعد ضعف الطفولة قوة الشباب، ثم جعل من بعد قوة ضعف الكبر وشيب الهرم، يخلق الله ما يشاء من الضعف والقوة والشباب والشيبة، وهو العليم بخلقه، القادر على ما يشاء.

٥٥- ويوم تقوم القيامة يحلف المجرمون ما مكثوا في الدنيا غير مدة زمنية قليلة، أو لحظة، مثل ذلك

الصرف عن معرفة مدة المكث، كانوا يصرفون في الدنيا عن الحق الذي هو البعث وغيره من التكلم بالحق والصدق، تصرفهم الشياطين عن الصواب.

٥٦- وقال أهل العلم والإيمان، وهم الملائكة أو الأنبياء: لقد مكثتم فيما كتبه الله في سابق علمه المدون في اللوح المحفوظ إلى يوم البعث من القبور، فهذا يوم البعث، ولكنكم كنتم لا تعلمون أنه حق واقع، للتفريط في النظر.

٥٧- في يوم القيامة لا ينفع الظالمين أنفسهم بالكفر عندهم في إنكارهم له، ولا يطلب منهم الرجوع إلى ما يرضي الله تعالى، من الإيمان والتوبة.

٥٨- ولقد بينا للناس في هذا القرآن الأمثلة الكثيرة التي ترشد إلى التوحيد والإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، ولئن جثت الكفار أيها النبي بمعجزة، ليقولن الكفار لفرط عنادهم وقسوة قلوبهم: ما أنتم أيها المؤمنون إلا أهل أباطيل، تتبعون السحر ونحوه.

٥٩- مثل ذلك الطبع على قلوب هؤلاء الجهلة بسبب معارضة الحق ومعادنته، يطبع الله على قلوب الجهال الذين فقدوا العلم النافع الذي يرشد إلى الحق وتجنب الباطل. والمراد: أن الله يختم على قلوب المصرين على الجهل والكفر والتكذيب بآيات الله تعالى.

٦٠- فاصبر أيها النبي على أذى قومك وفي سبيل دعوتك، فقد وعدك الله بالنصر، إن وعد الله بنصرك عليهم وإظهار دينك حق ثابت، ولا يحملنك على الخفة والطيش الذين لا يوقنون بالله ولا يصدقون أنبياءه، فهم قوم ضالون.

سورة لقمان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ١- إِلَهَ إِلَهٍ الْحَكِيمُ ٥ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْحَسَنِينَ
 ٦ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ
 يُوقِنُونَ ٧ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٨
 وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ
 وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ٩ وَإِنَّا لَنُؤْتِيهِمُ الْيُسْرَى
 وَلَئِنْ مُسْتَكْبِرًا كَانُوا لَمُتَّعَمَّرِينَ ١٠ أَذْنَبَتْهُ وَفَرَّقَتْهُ بِعَذَابٍ
 أَلِيمٍ ١١ إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَمْ نُجِزْ لَكُمْ ١٢
 خَلْقِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ١٣ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ١٤ وَالْأَرْضَ زَوْجَيْنِ ١٥ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ١٦ وَبَيْنَ
 فِيهَا مِنْ كُلِّ ثَأْنٍ ١٧ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا
 مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ١٨ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ
 الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ١٩ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٢٠

١- ألف، لام، ميم، كاففتحاح سورة البقرة،
 للتنبيه إلى خطورة ما يتلى ما بعدها، ولإثبات
 إعجاز القرآن وكونه من عند الله، بتحدي العرب
 للإتيان بمثله، مع أنه مكون من أحرف لغتهم التي
 يتفخرون بأنهم فرسان البيان فيها.

٢- هذه الآيات المذكورة في هذه السورة هي
 آيات القرآن المتصف بالحكمة: وهي وضع الشيء
 في موضعه المناسب، فهو صاحب الحكمة.

٣- الآيات هادية راحمة للذين يحسنون
 أعمالهم مع الله ومع الناس ومع أنفسهم.

٤- المحسنون الذين يؤدون الصلاة كاملة في
 أوقاتها، ويدفعون الزكاة المفروضة للمستحقين
 وهم على يقين بوجود الآخرة وما فيها من بعث
 وحساب جزاء وغير ذلك.

٥- أولئك الموصوفون بما ذكرهم المهتدون
 المُسَدَّدُونَ على نور من منهج ربهم، وأولئك هم
 وحدهم الفاتزون في الدنيا والآخرة برضوان الله.

٦- وبعض الناس يشتري بماله لهو الحديث:
 وهو كل ما يلهو به الناس من الغناء والملاهي

والقصص، ليصد الناس ويضلهم عن دين الله وهو الإسلام، جهلاً بالإثم، ويتخذ سبيل الله وهو كتاب الله
 سخرية مهزوءاً به، أولئك لهم عذاب مذل في جهنم. والمراد: التنبيه على فساد قصد القصاصين وصرْفهم
 الناس عن القرآن. نزلت في رجل من قريش اشترى جارية مغنية، وهو النضر بن الحارث الذي كان
 يرسل الجارية لتغني لكل من يريد الإسلام لصرفه عن ذلك. وقوله: ﴿ليضل﴾ مراعاة للفظ ﴿من﴾
 وقوله: ﴿أولئك﴾ مراعاة للمعنى أي فريق من الناس.

٧- وإذا قرأ على هذا القصص المفترى آيات من القرآن أعرض وأدبر متكبراً لا يعابها، كان لم يسمعها،
 كأن في أذنيه ثقلاً أو صمماً، فأخبره بعذاب بالغ الألم لا محالة يوم القيامة.

٨- إن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا صالح الأعمال التي أمروا بها لهم نعيم الجنات.

٩- ماكثين في الجنة على الدوام، وعد الله ذلك وعداً حقاً لا خلف فيه، وهو القوي الغالب، الحكيم في
 تدبيره.

١٠- أوجد السموات من غير أعمدة تبصرونها، وألقى في الأرض جبلاً ثوابت لثلاث تضطرب وتتحرك
 بكم، وفرق في الأرض مختلف أنواع الدواب، وأنزلنا من جهة السماء من السحاب مطراً، فأنبطنا في
 الأرض من كل صنف حسن.

١١- هذا الشيء المشاهد هو خلق الله تعالى، فأروني أيها المشركون ماذا خلق الذين من غير الله من الآلهة
 المعبودة؟ بل الظالمون أنفسهم بالشرك بالله في متاهة وبُعد واضح عن جادة الحق والاستقامة، و﴿بل﴾
 للانتقال من حال إلى حال.

١٢- ولقد أعطينا لقمان الحكمة، أي العلم وفقه الدين، فهي مجموعة فضائل تجعل صاحبها يضع كل شيء في محله، فهو عند الأكثرين ليس نبياً، وإنما كان حكيماً، ومن الحكمة: أن اشكر الله، أي ألهمناه بأن اشكر؛ لأن الشكر مطلوب، ومن يشكر - والشكر: الثناء على الله تعالى وطاعته فيما أمر به، واستعمال الأعضاء فيما خلقت له من الخير - فإن نفع الشكر راجع إليه؛ لأن به دوام النعمة واستحقاق المزيد منها، ومن جحد النعمة وأنكر فضل الله عليه ولم يشكره، فإن الله غني عن شكره، مستحق للحمد من خلقه.

١٣- واذكر أيها النبي حين قال لقمان لابنه، وهو ينصحه: يا بني، لا تشرك بالله أحداً من خلقه، إن الشرك ظلم كبير؛ لأن الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، والشرك: تسوية في العبادة بين الخالق المنعم والمخلوق غير المنعم.

١٤- وأمرنا الإنسان والزمناه أن يبر والدیه ويحسن إليهما، واقتران الشكر لهما بشكر الله دليل على أن حقوقهما عظيمة جداً، حملته أمه في بطنها بضعف فوق ضعف، وفطامه عن الرضاع في فترة عامين، مما يدل على أن أقصى مدة الرضاع

ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني عن عباده ١٢
وهو يعظم ربك لا تشرك بالله إن الشirk لظلم عظيم ١٣
ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى الأبد ١٤
وإن جهنم على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعمهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من آتاك إلى ثم إلى مرجعكم فأتيتكم بما كنتم تعلمون ١٥
يأتينا إنا إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير ١٦
يأتينا أتم الصلاة وأمر بالمعروف ونه عن المنكر وأصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ١٧
ولا تضعِرْ حَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَأَجِبُ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ ١٨
وأقصد في مشيك وأغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ١٩

حولان، ووصيناه أن اشكر لي؛ لأنني مصدر النعم، ولو لديك لكونهما سبباً في إيجاد الولد ومعاناتهما في سبيل تربيته، إلي المرجع يوم القيامة.

١٥- وإن بذلاً الجهد، وحاولا حمل الولد على الشرك في العبادة، ما لم يقدّم دليل على وجود شريك لله، فلا تطعمهما في تلك المحاولة؛ لأن الشرك ظلم، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وصاحب الوالدين بما هو معروف من الإحسان إليهما، واتبع سبيل من رجع إلي بالتوبة والطاعة والإخلاص، ثم يكون مرجعكم جميعاً أيها الناس إلي، لا إلى غيري، فأخبركم بما عملتم من خير أو شر، فأجازي كل عامل بعمله.

١٦- يا بني إن كانت الخطيئة أو الحسنة بوزن حبة خردل أصغر الحبوب، سواء وجدت في صخرة أو في أخفى مكان وأحرزه، أو في السموات أو في الأرض وأي مكان، يحضرها الله يوم القيامة، إن الله لطيف باستخراجها، خير بمكانها.

١٧- يا بني أتم الصلاة في وقتها على الوجه الأكمل، وأمر الناس بالمعروف: وهو كل أمر حسن، وإنه عن المنكر: وهو كل أمر قبيح، وأصبر على المصائب والشدائد، إن امتثال هذه الوصايا من معزومات الأمور الواجبة على الناس.

١٨- ولا تعرض بوجهك عن الناس تكبراً عليهم، ولا تمش في الأرض في حال اختيال وتبخر، والمراد: النهي عن التكبر، إن الله يعاقب كل متبخر في مشيه. والاختيال: هو التكبر، والفخر: المباهاة بالمال أو الشرف أو القوة. والمرح: الفرح الشديد مع البطر.

١٩- واعتدل في مشيك، فلا تسرع كثيراً ولا تبطي كثيراً، واخفض من صوتك إذا تكلمت مع غيرك ولا تتكلف رفعه، إن أقبح الأصوات صوت الحمير: أوله زفير وآخره شهيق.

٢٠- ألم تنظروا أيها الناس أن الله ذلّل لكم جميع ما في السموات من الشمس والقمر والنجوم والسحب وغير ذلك مما فيه المنفعة، وما في الأرض من الثمار والزروع والأنهار والدواب والمعادن وغير ذلك، بأن مكّنكم من الانتفاع به، وأنتم أوّسع عليكم نعمه، الظاهرة: وهي ما يعلم بالمشاهدة كالصحة والمال والولد والجمال والخلق والطاعة، والباطنة: ما لا يعلم إلا بدليل كالعرفة والعقل وحسن التدبير والرضا وتحصيل العلوم وحسن الاعتقاد واليقين، وبعض الناس كاهل مكة قديماً يجادل في وحدانية الله وصفاته مكابرة وعناداً، بغير دليل علمي: عقلي أو نقلي، ولا هداية من رسول، ولا كتاب ينير الطريق منزل من عند الله، بل بالتقليد.

٢١- وإذا قيل للوثنيين: اتبعوا ما أنزل الله على رسوله من القرآن، قالوا رافضين ذلك متمسكين بالتقليد في العقائد: بل إننا نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الأصنام، فردّ الله عليهم: أتبعونهم ولو دعاهم الشيطان إلى موجبات عذاب جهنم المستعز؟ والاستفهام للإنكار والتعجب، وجواب ﴿لو﴾ محذوف، أي لا تبعوه.

٢٢- ومن يفرض أمره إلى الله، ويخلص عبادته له، وهو محسن في أعماله، متقن لها، فقد تعلق بأوثق

أوثق ما يتوثق به من مستمسكات الحبل وعراه، أي بالعهد الأوثق الموصل إلى رضوان الله، وإلى الله وحده مصير الأمور، لا لأحد سواه.

٢٣- ومن كفر فلا يضرك كفره في الدنيا والآخرة، إلى الله مصيرهم يوم القيامة، فنخبرهم بما عملوا، ونجازهم بأعمالهم بالإهلاك والتعذيب، إن الله عليم بما تضره القلوب، لا تخفى عليه خافية.

٢٤- تتركهم في الدنيا مدة قليلة يتمتعون بها؛ لأن الزائل قليل جداً بالنسبة لل دائم، ثم نلجئهم إلى عذاب النار الشديد الثقيل.

٢٥- ولئن سألتهم أيها الرسول عن خالق السموات والأرض ليقولن معترفين: إن الله هو خالقهما، قل أيها النبي: الحمد لله على اعترافكم وظهور الحقيقة، فكيف تعبدون غيره؟ بل أكثر الناس يجهلون إلزامهم بتلك الحجة.

٢٦- لله جميع ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً وعبداً، فلا عبادة لغيره، إن الله هو الغني عن غيره، المستحق للحمد في الأمور كلها.

٢٧- ولو صارت جميع الأشجار أفلاماً للكتابة، والبحر المحيط ومعه سبعة أبحر أخرى، كلها حبر أو مداد، فكنت بها كلمات الله المشتمة على أمره وعلمه، لنفذ ماء البحر، ولم تنفذ معلومات الله، إن الله قوي غالب لا يعجزه شيء، حكيم لا يخرج شيء عن علمه وحكمته. نزلت حينما قال اليهود للرسول ﷺ: في التوراة تبيان كل شيء، فقال الرسول: هي في علم الله قليل، فأنزل الله هذه الآية.

٢٨- ما خلقكم جميعاً أيها الناس ولا بعثكم من القبور يوم القيامة إلا كخلق نفس واحدة وبعثها، إن الله يسمع كل مسموع، ويبصر كل مبصر. نزلت في جماعة من قريش أنكروا البعث.

وأمتن ما يتوثق به من مستمسكات الحبل وعراه، أي بالعهد الأوثق الموصل إلى رضوان الله، وإلى الله وحده مصير

الأمور، لا لأحد سواه.

٢٣- ومن كفر فلا يضرك كفره في الدنيا والآخرة، إلى الله مصيرهم يوم القيامة، فنخبرهم بما عملوا، ونجازهم بأعمالهم بالإهلاك والتعذيب، إن الله عليم بما تضره القلوب، لا تخفى عليه خافية.

٢٤- تتركهم في الدنيا مدة قليلة يتمتعون بها؛ لأن الزائل قليل جداً بالنسبة لل دائم، ثم نلجئهم إلى عذاب النار الشديد الثقيل.

٢٥- ولئن سألتهم أيها الرسول عن خالق السموات والأرض ليقولن معترفين: إن الله هو خالقهما، قل أيها النبي: الحمد لله على اعترافكم وظهور الحقيقة، فكيف تعبدون غيره؟ بل أكثر الناس يجهلون إلزامهم بتلك الحجة.

٢٦- لله جميع ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً وعبداً، فلا عبادة لغيره، إن الله هو الغني عن غيره، المستحق للحمد في الأمور كلها.

٢٧- ولو صارت جميع الأشجار أفلاماً للكتابة، والبحر المحيط ومعه سبعة أبحر أخرى، كلها حبر أو مداد، فكنت بها كلمات الله المشتمة على أمره وعلمه، لنفذ ماء البحر، ولم تنفذ معلومات الله، إن الله قوي غالب لا يعجزه شيء، حكيم لا يخرج شيء عن علمه وحكمته. نزلت حينما قال اليهود للرسول ﷺ: في التوراة تبيان كل شيء، فقال الرسول: هي في علم الله قليل، فأنزل الله هذه الآية.

٢٨- ما خلقكم جميعاً أيها الناس ولا بعثكم من القبور يوم القيامة إلا كخلق نفس واحدة وبعثها، إن الله يسمع كل مسموع، ويبصر كل مبصر. نزلت في جماعة من قريش أنكروا البعث.

٢٩- ألم تنظر أن الله يدخل كلاً من الليل والنهار في الآخر، فيزيد في أحدهما وينقص من الآخر، وذلل أو طوع الشمس والقمر بالطلوع والغروب، لتحديد الأجال وتحقيق المنافع، كل منهما يجري في فلكه إلى أجل محدد مقدر لنهاية السنة أو الشهر أو العمر كله، وأن الله مطلع على كل الأعمال، لا يخفى عليه شيء منها، ويجازي كل امرئ بما عمل.

٣٠- ذلك المذكور من سعة العلم وتمام القدرة وإتقان الصنع ليعلموا أن الله هو الحق الثابت في ذاته، الجدير بالعبادة، وأن ما يعبد المشركون من الأصنام والأوثان هو المعدوم في حد ذاته الزائل الباطل الألوهية، وأن الله هو العلي: المترفع على خلقه وكل شيء بالقهر، العظيم صاحب السلطان المطلق.

٣١- ألم تنظر أن السفن تسير بسرعة في البحر بلطف الله ورحمته وإحسانه ليظهر لكم ما يشاهد من آثار قدرته وعجائب صنعه، إن في المذكور من نعم الله، لعلامات وعبر لكل كثير الصبر على المشاق وعن معاصي الله، كثير الشكر لنعم الله عليه.

٣٢- وإذا غلاهم وغطاهم موج كالظلال التي تظل من تحتها، من جبال وسحاب وغيرها، تضرعوا إلى الله ودعوا الله خاشعين متضرعين، فلما نجّاهم إلى البر، صاروا قسمين: قسم يوفي ما عاهد الله عليه في البحر، من إخلاص الدين، وقسم خائف لا يوفي بالعهد، وما يكفر بآياتنا إلا كل غدار ناقض للعهد، جحود لنعم الله عليه.

٣٣- يا أيها الناس اتقوا ربكم بامثال أوامره واجتناب نواهيه، واحذروا يوماً هو يوم القيامة، لا يجزي أو لا يغني كل من الولد والوالد الآخر، إن وعد الله بالبعث والحساب والجزاء حق لا شك فيه، فلا تتخذ عنكم الحياة الدنيا بزييتها وزخارفها، فتبعدكم عن الآخرة، ولا يخذ عنكم الشيطان بوسواسه، فيصرفكم عن الإيمان.

٣٤- إن الله عنده علم وقت القيامة، فلا يعلمها أحد غيره، ويزل المطر في زمان ومكان معينين، ويعلم أوصاف الأجنة في الأرحام من صلاح وفساد وذكورة وأنوثة ونحو ذلك من غير واسطة ولا تجربة، وما تعلم نفس ما تكسب غداً (أي في المستقبل) من خير أو شر، وما تدري نفس في أي مكان من الأرض تموت، إن الله واسع العلم بكل الأمور، مطلع على كل الأشياء ظاهرها وباطنها. والكسب هنا: كل ما يحصل للإنسان مما له أو عليه، من خير أو شر. نزلت في بدوي هو الحارث بن عمرو، حينما طلب من النبي إخباره عما تلد امرأته الحامل، وعن وقت نزول الغيث، وعن وقت موته، فأنزل الله هذه الآية في مفاتيح الغيب الخمسة.

أَوَلَمْ يَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ أَلْبَاطٌ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَوَلَمْ يَرَ أَنَّ الْفُلْكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ مَعَتَّةَ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْهُ آيَاتٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ لِإِنَّا آلُكُمْ خَتَّارٌ كَذُورٌ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدٍ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُرِيدُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾



سورة السجدة

فضلها: جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة: ﴿الم تنزيل﴾ [السجدة ١/٣٢]، و﴿هل أتى على الإنسان﴾ [الإنسان ١/٧٦].

١- ألف، لام، ميم، أحرف هجائية يقال فيها ما قيل في السورة السابقة.

٢- تنزيل القرآن لا شك في تنزيهه عند الله.

٣- بل أيقول المشركون: اختلقه محمدٌ من عند نفسه، لا من عند الله، بل إن القرآن هو الحق الثابت المنزل من عند الله، لتحذّر به قومًا ما جاءهم رسول منذر سابق قبلك يحذّره من عذاب الله إن أشركوا أو عصوا، وهم أمة العرب، وغير العرب أيضاً مدعوون للإسلام العالمي كما جاء في آيات أخرى، لأجل أن يهتدوا بإنذارك إلى الحق والإيمان فيسعدوا. و﴿أم﴾ للانتقال من الكلام السابق إلى إنكار زعمهم أن القرآن مفترى. و﴿بل﴾ إضراب عن قولهم، وإثبات أن القرآن حق.

٤- الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أوقات، الله أعلم بقلوها، ثم استوى على العرش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْعَزِيزُ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١
أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَنَّهُمْ
مِنْ تَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ٢ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى
عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا سَمِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٣
يَذَكِّرُ الْأَنْفُسَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ
فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ٤ ذَلِكَ
عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٥ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ
شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ٦ ثُمَّ جَعَلَ
نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ٧ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ
رُوحِ رَبِّهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا
مَّا تَشْكُرُونَ ٨ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَتَأْتِنَا
بِحُلُومٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ٩ قُلْ يَتَوَكَّلْ
مَنْ لَّدُنِيَ الْإِنْسَانُ الَّذِي يَدْعُو رَبَّهُ عَلَى الْغَيْبِ ١٠ قُلْ يَتَوَكَّلْ
مَنْ لَّدُنِيَ الْإِنْسَانُ الَّذِي يَدْعُو رَبَّهُ عَلَى الْغَيْبِ ١١ قُلْ يَتَوَكَّلْ

أعظم المخلوقات استواء يليق بجلاله، دون حصر ولا كيف ولا تحديد بجهة معينة، ليس لكم من غير الله من ناصر ينصركم، وشافع يشفع لكم للنجاة من العذاب، أفلا تتذكرون بمواعظ الله فتؤمنوا؟! ١٢

٥- يدبّر أمور خلقه من السماء إلى الأرض، وينظم الشؤون والأحوال الواقعة، ثم يصعد ويرجع إليه يوم القيامة ذلك الأمر والتدبير وشيئ في علمه، في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون في الدنيا. واليوم هنا: مدة من الزمان الله أعلم بها، واليوم عند الله في الدنيا كألف سنة بحساب أهلها، أما يوم الآخرة فمقداره خمسون ألف سنة.

٦- ذلك الخالق المدبر هو عالم كل ما غاب عن الخلق، وما حضر وشوهد من المحسوسات، القوي القاهر الذي لا يغلب ولا يعجزه شيء، الواسع الرحمة بعباده.

٧- الذي أحكم وأتقن خلق كل شيء من مخلوقاته، وبدأ خلق آدم أبي البشر من طين، أي تراب.

٨- ثم جعل ذريته من المادة التي تكونت منها النطفة التي تنسل من الإنسان، من ماء ممتن ضعيف.

٩- ثم أمّ تسويته وتقويمه حتى صار بشراً سوياً، ونفخ فيه من روحه. أضاف ذلك إلى نفسه تكريماً وتشريفاً. وأوجد لكم السمع (الإسماع) والأبصار والقلوب لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا، ولكن تشكرون الله شكراً قليلاً على نعمه.

١٠- وقال منكمو البعث: أنذا ذهبنا وضِعْنَا في الأرض واختلطنا بين ذرات التراب، أنبعث ونصير أحياء مرة أخرى، خلقاً جديداً، بل هم في الواقع منكرون للآخرة والحساب بين يدي الله تعالى.

١١- قل أيها النبي: سوف يتوفاكم ملك الموت: عزرائيل الذي وكل بقبض أرواحكم عند انتهاء الأجل، ثم تردون إلى خالقكم.



١٢- ولو ترى أيها الرسول حين يقوم المشركون منكرو البعث بين يدي ربهم خافضي رؤوسهم ومطأطينها حياء وندما عند حساب الله لهم، لرأيت عجباً، يقولون: ربنا أبصرنا ما كذبنا به وما وعدتنا من البعث، وسمعنا ما أنكرناه وهو الوعيد وتصديق الرسل، فارجعنا إلى الدنيا، نعمل عملاً صالحاً كما أمرتنا، إنا مصدقون بما جاء به الرسول محمد ﷺ.

١٣- ولو شئنا هداية الناس جميعاً لهدينا كل نفس، ولكن ثبت قضائي وسبق لأملان جهنم من الجن والإنس أجمعين بسبب اختيارهم الضلال.

١٤- فذوقوا العذاب بسبب إهمالكم وترككم ما أمرتكم به، والاستعداد للأخرة والإيمان باليوم الآخر، وذوقوا العذاب الدائم في جهنم بسبب ما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر أو تكذيب الرسل، والمعاصي. وكرر التهديد بالعذاب للتأكيد، وعلل العذاب بأمرين (التكذيب والمعاصي) للدلالة على أن كلا منهما يقتضي ذلك.

١٥- إنما يصدق بآياتنا القرآنية وينتفع بها الذين إذا عظوا بها سجّدوا لله خاشعين، ونزهوا الله عما لا يليق به، وحمده على نعمه وأجلّها للإيمان، وهم لا يتكبرون عن الطاعة، خاضعين لله تعالى.

١٦- تترك وتبتعد جنوبهم عن القُرش ومواضع النوم، يذعنون ربهم خوفاً من سخطه وعقابه، وطمعاً في رحمته وجنته، وينفقون من رزق الله بما يجب عليهم وهو الزكاة، أو تجود نفوسهم به وهو الصدقات. نزلت في جماعة من الصحابة كانوا يصلّون من المغرب إلى العشاء. وقال معاذ: هي قيام العبد أول الليل.

١٧- فلا تعلم نفس ما خبي لهم من الأجر والثواب الذي تقرّ به أعينهم وتسرّ، جوزوا جزاءً بما عملوا من الصالحات في الدنيا.

١٨- أفمن كان مؤمناً بالله ورسله كمن كان خارجاً عن الإيمان والطاعة، لا يستنون عند الله يوم القيامة، والمراد: ليس المؤمن كالفاسق، فهما متفاوتان. روي أن الوليد ابن عقبة فاخر علياً يوم بدر، فنزلت هذه الآيات.

١٩- أما الذين صدقوا بالله ورسله، وعملوا صالح الأعمال التي أمروا بها، فلهم عند ربهم جنات المأوى (المسكن) التي يأوون إليها لحفظهم مما يكرهون، فهي المأوى الحقيقي لدوامها، نزلاً معدة لهم عند نزولهم، كإزالة الضيوف المكرمين بسبب ما عملوا في الدنيا من عمل الخير والطاعة.

٢٠- وأما الذين كفروا بالله وكذبوا رسله، فمستقرهم ومنزلهم النار، ويقال لهم توبيخاً: ذوقوا عذاب النار الذي كذبتم به في الدنيا. وسميت النار مأوى استهزاء بهم، كما وصف الكافر في جهنم بالعزير الكريم.

وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُخْرِمُونَ تَأْكُشُوا رُءُوسَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخِيتُ لَهُمْ مِنْ رَزْقِهِ عَنِ جَزَاءِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَأْوَىٰ تَزُولُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِكَذِبِكُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٠﴾



٢١- ولتنزلن بهم شيئاً من العذاب الأقل شدة: وهو عذاب الدنيا من أسر وخوف وذل وبلاء ومرض ومصيبة وغيرها، قبل عذاب جهنم في الآخرة، ليرجعوا إلى الطاعة والإيمان، ويتوبوا من الشرك والعصيان.

٢٢- لا أحد أشد ظمناً لنفسه من وعظ بآيات ربه القرآنية والكونية، ثم أعرض عنها، فلم يتفكر فيها ولم يتعظ بها، إنا من المشركين متقمنون بالعذاب الأليم.

٢٣- ولقد أعطينا موسى التوراة، فلا تكن أيها الرسول في شك من لقاءك الكتاب، أو من لقاء موسى الكتاب، وجعلنا كتاب التوراة هادياً ومرشداً لبني إسرائيل إلى طريق الحق والاستقامة.

٢٤- وجعلنا من بني إسرائيل قادة في الدين وهم الأنبياء يرشدون الناس ويدعونهم إلى التوحيد وعبادة الله والشرائع والأحكام، بأمرنا لهم بذلك، لما صبروا على مشاق التكليف وبلاء الدنيا، وكانوا بآياتنا التنزيلية يصدقون بيقين، لإمعانهم النظر فيها.

٢٥- إن ربك أيها النبي هو يقضي بين المؤمنين

والكفار يوم القيامة فيما اختلفوا فيه من أمر الدين، ويجازي كل فريق بما يستحق.

٢٦- أو لم يتبين لكفار مكة كثرة من أهلكتهم من الأم الماضية الظالمة بكفرهم، كعاد وتماد ونحوهم، يسير المكيون في أسفارهم في ديارهم، فيشاهدوا آثار العذاب، إن في ذلك المذكور لدلائل على قدرتنا، أفلا يسمعون سماع تدبر واتعاظ فيؤمنوا؟! و﴿كم﴾ معناها كثيراً. والقرن من الناس: القوم المقترنون في زمن واحد.

٢٧- أو لم يعلم منكرو البعث أننا بقدرتنا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الجرداء التي لا نبات فيها، فنخرج به زرعاً مختلفاً، تأكل منه أنعامهم كالتين والحب والورق، وأنفسهم كالحب والتمر، أفلا يبصرون هذا، فيعلمون قدرة الله على إحيائهم بعد موتهم؟!

٢٨- ويقول المشركون للمؤمنين: متى يوم البعث الذي تهددوننا وتعدوننا به إن كنتم صادقين في الوعيد به؟!

٢٩- قل لهم أيها الرسول: يوم نزول العذاب بهم يوم القيامة، لا ينفع إيمان الكفار، إن آمنوا، ولا هم يمهلون لتوبة أو اعتذار. قال قتادة: قال الصحابة: إن لنا يوماً يوشك أن نستريح فيه وننعم، فقال المشركون: متى هذا الفتح إن كنتم صادقين، فنزلت.

٣٠- فأعرض أيها الرسول عن هؤلاء المشركين، ولا تبال بتكذيبهم، وانتظر يوم الفتح وتحقيق الوعيد بهلاكهم وهو يوم القيامة، إنهم منتظرون بك ما يريحهم منك من موت أو قتل أو غلبة عليك. وهذا قبل الأمر بقتالهم.



سورة الأحزاب

سميت بذلك لاشتغالها على وقائع غزوة الخندق أو الأحزاب الذين تجمعوا حول المدينة، من مشركي قريش وغطفان، بالتواطؤ مع المنافقين ويهود بني قريظة، لحرب المسلمين.

١- يا أيها النبي واطب على تقوى الله، وليتق الله المؤمنون الذين أنت قدوتهم، ولا تطع الكفار وأهل النفاق فيما يدعونك إليه من اللين والتساهل، وترك التعرض لأهتهم بسوء، إن الله كان وما يزال عليمًا بكل شيء قبل وجوده، حكيمًا فيما يخلق ويدير، ويأمر وينهى. قال المفسرون: دعا المشركون رسول الله ﷺ أن يرفض ذكر آلهتهم بسوء، وأن يقول: إن لها شفاععة، فكره ذلك، ونزلت الآية.

٢- واتبع الوحي في كل أمورك وهو القرآن، إن الله مطلع على كل ما تعملون، لا يخفى عليه شيء.

٣- واعتمد على الله وفوض جميع أمورك إليه، وكفى بالله حافظًا لك ولكل متوكلاً عليه.

٤- ما خلق الله لإنسان قلين في صدره، وما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن كالأمهات محرمات عليكم بقول الرجل لأمراته: أنت علي كظهر أمي، وكان هذا في

الجاهلية طلاقاً، فبين الله تعالى أن الزوجة ليست أمًا، وما جعل الأديعاء الذين تدعونهم أو تتبنونهم أبناء لكم - والأديعاء: الأبناء بالتبني - ذلكم الظهار والتبني ليس إلا مجرد قول بالأفواه لا حقيقة له، فلا تحرم الزوجة بالظهار، ولا يثبت نسب بالتبني، والله يقول الحق الذي يجب اتباعه. نزلت الآية في رجل من بني فهر قال: إن في جوفي لقلين أعقل بكل واحد منهم أفضل من عقل محمد. أو في الوليد بن المغيرة الذي كان يقول: لي قلبان أعقل في أحدهما ما لا أعقل في الآخر. ونزلت آية الظهار في خولة بنت ثعلبة زوجة أوس بن الصامت كما سيأتي في سورة المجادلة. ونزلت آية إبطال التبني في زيد ابن حارثة الذي كان عند الرسول ﷺ ثم اعتقه وتبناه قبل الوحي.

٥- انسبوا الأبناء لأبائهم الحقيقيين الذين هم من أصلاهم، لا للذين تبنوهم، فنسب الابن لأبيه الأصل هو أعدل حكماً، فإن لم تعلموا آباءهم فهم إخوانكم في الدين، وليس عليكم إثم فيما وقعتم فيه من خطأ سابق، ولكن يؤاخذكم فيما تعمدتم نسبتهم لغير آبائهم مع علمكم بذلك، وكان الله غفوراً لمن أخطأ، رحيماً به وبمن تاب.

٦- النبي أحق بالمؤمنين في كل أمور الدنيا والدين، وأولى بهم من أنفسهم، أخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، أقرؤوا إن شئتم: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» فأما مؤمن ترك مالا فليتره عصبته من كانوا، فإن ترك ديناً أو ضياعاً - عيالاً - فليأتني فانا مولاه» وأزواج النبي كأمهات المؤمنين في التحريم والتعظيم، وذوو القربات بعضهم أحق بيمرات بعض - وهي ناسخة لما كان في صدر الإسلام من التوارث بالهجرة والمالاة، أي بالمواخاة أو الخلف - فهم أولى في شريعة الله بالإلث من المؤمنين الأبعد، إلا أن توصوا إلى أصدقائكم الذين تولونهم وتودونهم من المؤمنين والمهاجرين وصية - والمعروف هنا الوصية - كان ذلك الحكم وهو توارث ذوي الأرحام مكتوباً في اللوح المحفوظ، فيجب عليكم العمل به.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ وَكُنِ لِلَّهِ وَكِيلًا ۝ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ
قُلُوبٍ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَرْوَاحَكُمْ الَّتِي تَظْهَرُونَ مِنْهُمْ
أَمْهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ثُمَّ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ
بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ
۝ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا
أَبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ
عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِنْ مَاتَعَدَّتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ
اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَالَّذِينَ
أَمْهَنَهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ
اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَ الْأَرْحَامِ
مِمَّا تَعَرَّفُوا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۝

١٦- قل لهم أيها النبي: لن ينفعكم الفرار حين هربتم من التعرض للموت أو القتل، وإذا فررتم لا تتمتعون في الدنيا بعد فراركم إلا زمناً قليلاً هو مقدار الأجل أو العمر.

١٧- قل لهم أيها الرسول: من الذي يمنعكم أو يجبركم من الله إن أراد بكم هلاكاً وهزيمة، أو أراد بكم خيراً من نصر أو خصب أو سلامة وعافية، ولا يجدون من غير الله موالياً ينفعهم، وناصرأ ينصرهم ويدفع الضر عنهم.

١٨- قد: للتحقيق، يعلم الله المشبطين همم غيرهم عن القتال في سبيل الله، وهم المنافقون، والقائلين لإخوانهم المجاهدين من سكان المدينة: تعالوا وأقبلوا إلينا لما نحن فيه من الحياة الوادعة الهائلة، واركعوا الجهاد، فلما نخاف عليكم من الموت، وإن أبا سفيان والأحزاب سيغلبون محمداً وأصحابه، ولا يأتون الحرب إلا إتياناً أو زماناً قليلاً، رياء وسمعة، بسبب الخوف من الموت.

١٩- بخلاء عليكم بالمساعدة في حفر الخندق والإنفاق في سبيل الله، فإذا جاء الخوف بسبب هجوم العدو، رأيتهم أيها النبي ينظرون إليك نظرة ارتباك وجبن، تدور أعينهم يميناً وشمالاً، كالجبان

قُلْ لَّن يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ فَإِذَا لَا تُعْمَلُونَ إِلَّا قَلِيلًا ١٦ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَصِفُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهْمَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَيَّا وَلَا نَصِيرًا ١٧ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ١٨ أَشْجَعُ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ نُظُورًا إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذُكِرَ الْمَوْتُ سَلَفُوا ١٩ أَلَيْسَ جَدَارٌ أَشْجَعُ عَلَى الْخَيْرِ أَوْ أَلْيَقُ لَوْ تَوَيْمَنُوا فَأَجَبْتُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ٢٠ تَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَوْ يَدُ هَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَدُودًا لَوْ أَنَّهُمْ بَاذُونَ فِي الْأَحْزَابِ يَسْتَلُونَ عَنْ أَنْبِيَائِهِمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا تَنَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ٢١ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا ٢٢ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ٢٣

عند المخاوف، وكنظر المحتضر الذي نزل به الموت يرفع جفنه ثم يطبقه، فإذا زالت حالة الخوف أدركم بالكلام بالسنة سليطة قاطعة كالحديد، يطلبون الغنيمة، يشاؤون المسلمين عند قسمة الغنيمة، أولئك لم يؤمنوا أصلاً، بل هم منافقون، فأبطل الله ثمره أعمالهم كالجهاد، لأنه لم يكن بعد إيمان، وكان ذلك الإحباط أو الإبطال يسيراً على الله وإرادته.

٢٠- يظن هؤلاء المنافقون لشدة خوفهم وجبنهم أن أحزاب الكفار الذين حاصروا المدينة باقون في معسكرهم لم يغادروا مواقعهم إلى مكة ولم ينهزموا لخوفهم منهم، وإن يأت الأحزاب كرة أخرى، يتمنوا أن يكونوا في بادية الأعراب غير المدينة، والبادي: ساكن البادية، و﴿لو﴾ حرف يدل على أن ما بعده مؤول بمصدر، أي يتمنوا إقامتهم في البادية، والأعراب: سكان البادية. يسألون عن أخباركم انتظاراً لهلاككم، لكرهيتهم لكم، وخوفهم من الأعداء، ولو كانوا هذه الكرة معكم في المدينة، ما قاتلوا معكم إلا قتالاً ظاهرياً قليلاً، رياء وخوفاً من التعيير.

٢١- لقد كان لكم في مواقف رسول الله البطولية وتضحياته وصبره في القتال قدوة صالحة، يتأسى به، لمن كان يطمع في رضوان الله وجته ورحمته يوم القيامة، وذكر الله ذكراً كثيراً في حال الخوف والأمن، والحرب والسلام.

٢٢- ولما شاهد المؤمنون كثرة جموع الأحزاب التي تحاصر المدينة قالوا مستبشرين: هذا ما وعدنا الله ورسوله من تحقق النصر أو الشهادة، والابتلاء والصبر على الشدائد حتى النصر، وصدق الله ورسوله في الوعد والابتلاء، وظهر صدق الخبر، وما زادهم حصار المدينة إلهاباً على الإيمان، وتسليماً لأمر الله وقضائه.



٢٣- هناك رجال من المؤمنين وقوا ما عاهدوا الله ورسوله عليه ليلة العقبة من الثبات في قتال الأعداء، فمنهم من استشهد في سبيل الله، ومنهم من ينتظر الشهادة، كعشمان وطلحة، وما بدكوا العهد ولا غيره تبديلاً، كما بدك المنافقون. نزلت في أنس بن النضر الذي غاب عن بدر، فعاهد الله على القتال في مشهد آخر، فشهد يوم أحد، فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية.

٢٤- ليثيب الله صادقي الإيمان بسبب صدقهم، ويعذب المنافقين (الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر) إن شاء تعذيبهم إن استمروا على النفاق، أو يتوب (يقبل توبتهم) عليهم إن شاء وتابوا، إن الله كان واسع المغفرة لمن تاب منهم بتوفيق الله وترك النفاق، رحيماً بعباده المؤمنين.

٢٥- ورد الله الكفار الأحزاب عن المدينة بعد حصار قرابة شهر، متغيظين خائنين، لم يحققوا نصراً، وكفى الله المؤمنين مؤنة القتال، بما سلط على الأعداء من ريح عاصفة وملائكة أشداء، وكان الله قوياً على إيجاد ما يريد، غالباً على كل شيء، قاهراً أعداءه.

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْوَاهُمْ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٣٣﴾ لَيَحْزِيَنَّهُ اللَّهُ الصَّادِقِينَ صِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٣٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَظِيمَةٍ لَّو تَبَاوَأُوا خَيْرًا وَلَكِنْ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَفْقَتَالٌ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿٣٥﴾ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُواهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاحِبَيْهِمْ وَقَدْ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبُ فَرَبَّاقُوا فَتَقَاتَلُوا وَيَاسِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَأُورِثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَيَدَيْرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّزُطًوَاهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٣٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَلَا يَنْفَعُكُنَّ وَأَسْرُسُكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٣٨﴾ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْحَسَنَاتِ مَنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٩﴾ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مَكُنَّ بِفَحْشَةٍ مُّبِينَةٍ يُصْغَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ عَلَيْكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٤٠﴾

٢٦- وأنزل الله الذين أعانوا المشركين الأحزاب على المؤمنين، وهم بنو قريظة، من حصونهم لنقضهم العهد مع رسول الله ﷺ، وألقى الخوف الشديد في قلوبهم، تقتلون فريقاً وهم الرجال المقاتلة، وتأسرون فريقاً وهم الذراري، أي النساء والأطفال.

٢٧- وأورثكم أرضهم وديارهم (العقارات) وأموالهم المنقولة كالحلي والأثاث والمواشي والسلاح والنقود، وأرضاً لم تطأها أقدامكم وهي خير بعد قريظة، وكان الله وما يزال تام القدرة على كل شيء.

٢٨- يا أيها النبي قل لزوجاتك التسع اللاتي طلن منك رفاهية العيش بزيادة النفقة: إن كنتم تردن سعة العيش في الحياة الدنيا وزخارفها ونضارتها، فتعالين أعطين المتعة: وهي متعة الطلاق، وهي مال يعطى للمطلقة، وأطلقكن من غير ضرار أو خصام. نزلت حينما سألت زوجات النبي ﷺ ثياب الزينة وزيادة، فبدأ بعائشة، فخيرها، فاخترت الله ورسوله، ثم اختارت الباقيات اختارها، فشكر الله لهن ذلك، وأنزل: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ﴾ [الأحزاب ٣٣/٥٢]. قالت عائشة: «خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه، فلم يعدة طلاقاً».

٢٩- وإن كنتم تؤثرون ما عند الله ورسوله من فضل وإحسان، وثواب الآخرة، فإن الله أعد للمحسنات منكم ثواباً عظيماً على الصبر والقناعة.

٣٠- يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة أو معصية ظاهرة كالنشوز، يضاعف لها العذاب في الآخرة مثلي عذاب غيرهن؛ لأن الذنب منهن أقبح لعلو مكانتهن وتشجيع الغير على العصيان، كما أن ثوابهن مرتان، وكان ذلك التضعيف يسيراً سهلاً على الله تعالى.

٣١- ومن يداوم منكن على الطاعة الكاملة لله
ورسوله، نؤتها أجرها ضعفي ما يستحقه غيرها من
النساء، وهيئاً لها رزقاً طيباً في الجنة زيادة على
أجرها.

٣٢- يا نساء النبي لستن كأحد من النساء في الفضل والمنزلة - وكلمة (أحد) في حال النفي تطلق على الذكر والأنثى، والواحد والجمع - إن لازمتم التقوى باتباع الأوامر واجتناب النواهي، فلا تُلْنِ القول للرجال بإظهار الطراوة والميوعة الأنثوية، وقلن قولاً حسناً متعارفاً عليه من غير لين، بعيداً عن الريبة والشك. والقول المعروف: القول المعتدل الذي لا تكسر فيه.

٣٣- واثبتن في البيوت ولا تكثرن الخروج لغير حاجة مشروعة، ولا تظهرن الزينة والمحاسن التي يجب سترها وتستدعي شهوة الرجل وهو التبرج، وأقمن الصلاة في أوقاتها، وآتين الزكاة المفروضة، وأطعن الله ورسوله في كل ما شرع، إنما يريد الله ليذهب عنكم الذنب أوالإثم يا أهل البيت،

ويطهركم تطهيراً من الدنس والرجس. وأهل البيت كما هو واضح في مطلع الآية: هن زوجات النبي ص، قال الشوكاني: وهو الحق؛ لأن الآية نازلة فيهن، وما قبلها وما بعدها هو فيهن أيضاً، وليس في شيء من ذلك ذكر لعلي وزوجته وأولاده رضي الله عنهم. ومثله ﴿أهل البيت﴾ في زوجة إبراهيم عليه السلام [هود ٧٣/١١].

٣٤- وتذكرون دائماً ما يتلى في بيوتكن من آيات الله في القرآن، والسنة النبوية، إن الله كان عظيم اللطف بأوليائه وأهل طاعته، خبيراً بجميع خلقه، يعلم ويدبر ما يصلحهم.

٣٥- إن المتقادين لحكم الله وأوامره، من الرجال والنساء، وأهل التصديق بأركان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأهل الدوام على الطاعات، والصدق في القول والعمل، والصبر على الطاعة وعن المعصية، والتواضع لله بالقلوب والأعضاء، والتصدق من المال بما يجب وبما يندب، والصوم المفروض في رمضان وغيره من النذور والكفارات عن اليمين والقتل الخطأ، وحفظ الفروج عن الحرام، وذكر الله بالقلب واللسان سرّاً وعلانية، وبخاصة القرآن، هياً الله لهم مغفرة لذنوبهم، وثواباً عظيماً على طاعتهم، وهو نعيم الآخرة: والقانت: العابد المطيع، والخاشع: المتواضع لله الخائف منه. أخرج الترمذي عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء، فنزلت: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾.

٣٦- ما يصح لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً - وذكر الله لتعظيم أمر النبي والإشعار بأن قضاء قضاء الله - أن يكون لهم حق الاختيار في القبول والرفض، وإنما يلزمهم تنفيذ الأمر، ومن يعص الله ورسوله فيما أمر به، فقد انحرف وحاد عن طريق الحق والصواب والهداية انحرفاً واضحاً - خطب النبي ﷺ زينب بنت جحش لزيد بن حارثة الذي تبناه بعد أن اعتقه، فابت ذلك، وقالت: أنا خير منه حسباً، فأنزل الله هذه الآية، فاستجابت لأمر النبي ﷺ وقبلت الزواج بزيد. فالحكم وإن كان عاماً إلا أن المراد به زينب وزيد.

٣٧- وأذكر أيها النبي حين تقول لزيد بن حارثة الذي أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعمت عليه بالإعتاق من الرق وحسن التربية: أمسك زوجتك زينب عندك، وابق الله في أمر طلاقها، وتخفي في نفسك ما الله مظهره وهو أمر الله بزواجك منها بعد طلاقها من زيد، وانقضاء عدتها، وتخاف من تعيير الناس أن يقولوا: تزوج محمد مطلقاً متبناه، والله وحده أحق أن تخشاه في كل حال وتستحي منه، فلما قضى زيد بن حارثة من زوجته زينب حاجته منها بعد زواجها والدخول بها، وأصبح لا يريد، لشدها في معاملته، جعلناها لك زوجة، حتى لا يكون إثم على المؤمنين في التزوج بزوجات آبائهم بالتبني قبل تحريم التبني، إذا انتهت حاجتهم منهم بعد الطلاق وانقضاء العدة، وكان مقضي الله نافذاً حاصلاً لا محالة، قال أنس: نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش وزيد بن حارثة.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ وَصَلَ صَلَاحُ مُبْدِيًا ❶ وَإِذْ يَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تُخْفِيَهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَ الْكِى لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَعْلُومًا ❷ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فَمَا أَقْرَبَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ فَدَرًا مَقْدُورًا ❸ الَّذِينَ يَسْلِفُونَ رَسُولَ اللَّهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَانَ بِاللَّهِ حَسِيبًا ❹ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَحَاشَ لِلَّذِينَ كَانُوا يَكْفُلُونَ شَيْءًا عِلْمًا ❺ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ❻ وَسَخِّوْهُ بَكْرَةً وَأَصْلًا ❼ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ يَخْرُجُونَ مِنَ الْمَلَكُوتِ إِلَى الثُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ❽

نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش وزيد بن حارثة.

٣٨- ليس على النبي من إثم فيما أحل الله له من نكاح مطلقاً متبناه، سن الله ذلك سنة كالسنة أو الطريقة في معاملة الأم الماضية والأنبياء الذين مضوا قبله في رفع الحرج عنهم فيما أحل لهم من أمر الزواج وغيره، وكان مقضي الله حكماً مقطوعاً به. ويطلق القدر على الإرادة الأزلية، وذكر كلمة «مقدوراً» بعده للتأكيد.

٣٩- الأنبياء الذين مضوا الذين يبلغون رسالات الله إلى الناس، ويخافونه ولا يخافون أحداً إلا الله، فكذلك أنت يا محمد لا تبال في تبليغ أحكام الله وشرائعه، وكفى بالله محاسباً لهم حافظاً لأعمالهم، فيلزم الأيخشي إلا منه.

٤٠- ليس محمد بآب حقيقي لأحد من رجالكم، وليس هو بآب فعلي لزيد بن حارثة، حتى تحرم عليه زوجته، وأما أولاده المذكور الأربعة (إبراهيم والقاسم والطيب والمطهر) فلم يعيشوا حتى عهد الرجولة، ولكن كان رسول الله وأخيراً الأنبياء، وكان الله واسع العلم بمن يليق ختم النبوة به، فلا نبي بعده. قالت عائشة: لما تزوج النبي ﷺ زينب قالوا: تزوج حليلة ابنه، فأنزل الله الآية.

٤١، ٤٢- يا أيها المؤمنون اذكروا الله بالقلب واللسان ذكراً في أغلب الأوقات، ونزهوا الله عما لا يليق به أول النهار وآخره.

٤٣- هو الذي يصلي عليكم بالرحمة، وملائكته بالاستغفار ليخرجكم من ظلمات الكفر والعصيان إلى نور الطاعة والإيمان، وكان سبحانه رحيماً بالمؤمنين، يقبل القليل ويعفو عن الكثير. قال أبو بكر لما نزلت آية الصلاة على النبي: ما أعطاك الله تعالى من خير إلا أشر كنا فيه، فنزلت الآية.

٤٤- تحية الله للمؤمنين يوم لقائه في الآخرة عند دخول الجنة بلسان الملائكة هي السلام من كل مكروه، وهيا لهم ثواباً عظيماً وهو الجنة.

٤٥- يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً على من أرسلت لهم بالتصديق والتكذيب، ومبشراً من صدقك وأطاعك بالجنة، ومنذراً ومحلراً من كذبك وعصاك بالنار.

٤٦- وداعياً إلى عبادة الله وحده وإخلاص الطاعة له بأمره وتيسيره، وكالسراج الوضاء الذي يستضاء به وهو الشمس، لإزالة ظلمة الكفر والضلال.

٤٧- وبشر أيها النبي المؤمنين الصادقين بأن لهم من الله ثواباً عظيماً على أعمالهم في الجنة. نزلت لما أنزل الله ﴿ليغفر لك الله...﴾ [الفتح ٤٨ / ٢] وأنزل ﴿ليدخل المؤمنين...﴾ [الفتح ٤٨ / ٥].

٤٨- ولا تطع أيها النبي الكافرين والمنافقين فيما يخالف شريعتك، وأعرض عن أذاهم والإضرار بهم، ولا تبال بهم، وفوض أمرك إلى الله، وكفى بالله مفوضاً إليه الأمر كله. أكد الله تعالى بهذه الآية ما جاء في مطلع هذه السورة لصرف النبي ﷺ عن المبالاة بأقوال المرجفين، ولصون الشريعة من الاختلاط.

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَإِذْعَابًا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَذَعِ أَدْنَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْسُوهُنَّ فَإِلَيْكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدَّةٍ تَعَدُّوْنَهَا فَمِنْهُنَّ مَن سَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ الْجُرُومَ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَتِكَ وَبَنَاتِ حَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأَسْرَاءَ مُؤْمِنَةٍ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَنْتَحِبَهَا فَخَاصِمَةٌ لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْتُمْ عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾

٤٩- يا أيها المؤمنون إذا عقدتم الزواج على المؤنات، ثم طلقتموهن من قبل الدخول بهن (الجماع) أو الخلوة الصحيحة في رأي جماعة من الفقهاء (الحنفية والمالكية) فليس لكم عدة على المرأة تحصون عددها. والعدة: الشيء المعلوم. ولهن الزواج بعد الطلاق مباشرة، فأعطوهن متعة الطلاق جبراً للخاطر، وهي سنة للمفروض لها المهر، وواجب لمن لم يفرض لها المهر، وخلقوا سبيلهن من غير إضرار بهن ولا إيذاء. فالسراح الجميل: هو الذي لا إيذاء معه.

٥٠- عدد الله أنواع النساء اللاتي يجوز للنبي ﷺ الزواج بهن، إنا أبينا لك زوجاتك اللاتي أعطيت مهورهن، والإماء المملوكات المأخوذات من الغنائم التي أعطاك الله من سبي الكفار، وبناات العم، وبناات العمات، وبناات الخال، وبناات الخالات اللاتي هاجرن معك من مكة إلى المدينة، دون من لم يهاجرن، وأحللنا لك المرأة الواهبة نفسها للنبي بلا مهر إن رغب النبي في زواجها، خصوصية لك لشرف النبوة وللتكريم دون غيرك من المؤمنين، فلا يجوز لهم الزواج من غير مهر، قد علمنا ما فرضنا من الأحكام على المؤمنين في زوجاتهم بالأل يزدوا على أربع نسوة، ووجوب المهر والقسم بين الزوجات، والزواج بولي وشاهدين، وفي الزواج أو التسري بالإماء المملوكات بأن تكون الأمة مسلمة أو كتابية، لا وثنية ولا مجوسية، وأن تستبرأ بحيضه قبل الوطء، والعجز عن صداق الحرة، وخوف الوقوع في الزنى في حال الزواج، وسعنا عليك في التحليل، لكيلا يكون عليك أيها النبي ضيق ومشقة في الإبقاء على الزوجات التسع دون ما عداهن، وفي رفع الحرج عن نكاح بعض النساء، وكان الله غفوراً فيما يعسر التحرز عنه، رحيماً بالتوسعة في مظان الحرج. قالت أم هانئ بنت أبي طالب: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه، فعذرني، فأنزل الله: ﴿إنا أحللنا لك...﴾.



﴿ تَرْجِي مِنْ نِسَاءِ مَنْهُنَّ وَتُفَوِّضُ إِلَيْكَ مِنْ نِسَاءِ مَنْ أَنْبِئَتْ مِنْ عَزْرِكَ فَلَا حِجَابَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا حِجَابَ لِمَنْ يَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كَلِمَةً وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴾ ﴿ بَنَاتُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بَيْوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبِذٍ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْسِرُوا وَلَا مَسْتَنَسِينَ خَلْفَهُمْ إِنْ دَخَلْتُمْ بُيُوتَهُمْ فَاسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذِنُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ مِنْ الْبُحْرِ وَأَسْأَلُ الْمُؤْمِنِينَ مُتَعَايِنًا سَلُّوا حُجَابَهُمْ إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى طَعَامِهِمْ وَأُولَئِكَ السُّؤَالُ الْمُنْتَبِهُ ﴾ ﴿ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ ﴿ إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خَفَوْهُ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا قَدْ خَلَّى الْأَرْضَ لَنْ يُبَدِّلَ مَا قَدَرْنَا مِنْ شَيْءٍ وَاللَّهُ عَالِمُ السُّعُودِ ﴾

٥١- كان القسم بين الزوجات واجبا على النبي ﷺ، ثم رخص الله له، فرفع عنه الإيجاب، وخيره في هذه الآية، فلك أن تؤخر من تشاء أيها الرسول من أزواجك من ليلة محددة إلى أخرى، وتضم إليك من تشاء بتدبيرها على غيرها، فكان يسوي في القسم بين من أواهن، ويقسم لمن أرجأها ما شاء، ومن طلبت وقربت عن تجنبت وأبعدتها عن ليلتها، فأردت أن تضمها إليك، فلا إثم عليك في ذلك، وهذا التخيير في صحبتتهن أقرب إلى سرورهن واطمئنانهن وارتياحهن، وعدم حزن من ترجتها بإيثارك بعضهن دون بعض، ويرضين بما أعطيتهن كلهن من تقرب وإرجاء، وعزل وإيواء، والله يعلم ما في قلوبكم من الميل لبعض النساء دون بعض، من غير اختيار، فاجتهدوا في الإحسان، وكان الله عليما بخلقهم وبأسرارهم، حلما لا يعاجل بالعقوبة. قالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها!! فانزل الله: ﴿ تَرْجِي مِنْ نِسَاءِ ﴾ فقالت: أرى ربك يسارع لك في هواك.

٥٢- لا يحل لك أيها النبي التزوج بالنساء من بعد التسع التي اخترتك، وهو في حقه كالأربع في حقنا، ولا أن تبدل بهن من زوجات، بطلاق بعضهن أو

كلهن، ثم تزوج بأخريات، ولو أعجبك حسن الزوجات الأخريات، وهذا تضيق عليه ﷺ ما هو واسع على أمته. إلا ما ملكت يمينك من الإماء مما تشاء، فتحل لك دون تحديد ولا تقييد، وقد ملك النبي بعدهن مارية القبطية التي أهداها له المقوقس، ففسر بها، وولدت له إبراهيم، ثم مات رضيعا، وكان الله على كل شيء رقيبا مطلعاً. و ﴿ مِنْ أَزْوَاجٍ ﴾ حرف ﴿ مِنْ ﴾ يدل على عموم نفي ما بعده. قال عكرمة: لما خير رسول الله ﷺ أزواجه اخترن الله ورسوله، فانزل الله: ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ .. ﴾.

٥٣- يا أيها المؤمنون لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم بأن تدعوا إلى طعام غير منتظرين نضجه وإدراكه، ولكن إذا دُعِيتُمْ وأُذِّنَ لَكُمْ فادخلوا، فإذا طعمتم فانسرفوا وتفرقوا، ولا تجلسوا بعد تناول الطعام مدة طويلة للاستئناس بالحديث، إن ذلك المذكور من أحوال الدخول من غير إذن والاستئناس للحديث، كان يؤذي النبي ويضايقه لتضييق المَئْزَل عليه وعلى أهله، فيستحي من إخراجكم، والله لا يترك بيان ما هو الحق، وإذا طلبتم من إحدى زوجات النبي عارية أو شيئا محتاجا إليه، فاسألوهن المتاع من وراء ساتر، ذلكم السؤال من وراء حجاب أظهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر ووساوس الشيطان، وما صح وما جاز لكم أن تؤذوا رسول الله بقل أو عمل، ولا يحل لكم أن تتزوجوا زوجاته من بعد وفاته، إن ذلكم الإيذاء كان عند الله ذنبا عظيما. نزلت بسبب دعوة النبي ﷺ صحابته إلى طعام عند زواجه بزينب بنت جحش، ثم طعموا، وجلسوا يتحدثون، وقام النبي والصحابة وبقي ثلاثة، ثم أخبره أنس بخروجهم، فعاد، وألقى الحجاب بين أنس وبين نسائه.

٥٤- إن تظهروا شيئا مما يؤذي النبي أو تخفوه في أنفسكم، فإن الله واسع العلم بكل شيء، وسيجازيكم عليه. نزلت كما قيل لما قال بعض الصحابة: إن مات رسول الله ﷺ تزوجت فلانة من زوجاته.

لَأَجْنَحَ عَلَيْهِمْ فِيءًا بَابَهُمْ وَلَا أَنْبَاءَهُمْ وَلَا إِخْوَانَهُمْ
وَلَا أَنْبَاءَ إِخْوَانِهِمْ وَلَا أَنْبَاءَ أُخْوَانِهِمْ وَلَا نِسَاءَهُمْ وَلَا
مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ وَأَتَقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدًا ٥٥ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٥٦ إِنَّا الَّذِينَ
يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ
لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٥٧ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
بِعَمِّيٍّ مَا أَكْسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ٥٨
يَتَّخِذُ النَّبِيُّ قُلُوبَ الْأَزْوَاجِ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ
يَدْنِينَ عَلَيْهِمْ مِنْ جَلْبِيبِهِمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفَ فَلَا
يُؤْذِنُ وَلَا يَكْرَهُ اللَّهُ عَفْوَ رَحِيمًا ٥٩ لَيْسَ لَكَ
بَيْتٌ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْضُونَ فِي
الْمَدِينَةِ لَعْنَةُ اللَّهِ لَعْنَتُكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُخَالِفُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا
مَلْعُونِينَ إِنَّمَا يَقُولُ أَخْذُوا وَقُولُوا اتَّقُوا اللَّهَ ٦٠ سَنَّةَ
اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ٦١



٥٥ - لا إثم على نساء النبي وغيرهن في ترك الحجاب
أمام آبائهن وأبنائهن وإخوانهن وأبناء الإخوة، وأبناء
الأخوات، وأمام النساء المؤمنات دون الكافرات، وأمام
الرقيق ذكورا وإناثا لدوام وجودهم في البيت للخدمة،
واتقين الله يا نساء النبي بالتزام حدوده، إن الله شاهد
على كل شيء، فلا تخفى عليه خافية. ورد في
الصحيحين عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب: يا
رسول الله، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر،
فلو حجبتن، فأنزل الله آية الحجاب.

٥٦ - إن الله وملائكته يصلون على النبي محمد
تعظيماً لشأنه، يا أيها المؤمنون صلوا وسلموا على النبي.
والصلاة من الله: الرحمة والرضوان، ومن الملائكة:
الدعاء والاستغفار، ومن المؤمنين دعاء وتعظيم،
فاجتمع الثناء على النبي من أهل الأرض والسماء. أكد
التسليم دون الصلاة لاستغنائها عن التأكيد بكونها يفعلها
الله وملائكته.

٥٧ - إن الذين يؤذون الله بنسبة الولد والشريك له،
ويؤذون رسوله بتكذيبه والظن فيه أو في رسالته، كأن
يقال: تزوج امرأة ابنه أو يحل لنفسه ما يحرم على أمته،
وهم المشركون واليهود والنصارى، أبعدهم الله وطردهم
من رحمته، في الدنيا والآخرة، وأعد لهم عذاباً شديداً
ذا إهانة وإذلال. نزلت في الذين طعنوا بالنبي ﷺ

حين اتخذ صفية بنت حُصَيٍّ زوجة له، أو بسبب قذف عائشة رضي الله عنها.

٥٨ - والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بقل أو فعل بغير حق كأن يشتم المؤمن أحداً، أو يضربه أو يقتله، فقد حملوا
بمشقة كذباً شنيعاً. قال ابن عباس: أنزلت في عبد الله بن أبي بن مسعود قذفوا عائشة رضي الله عنها، فقال
النبي ﷺ: «من يعذرنني من رجل يؤذيني، ويجمع في بيته من يؤذيني». وقال مقاتل: نزلت في علي، كان
بعض المنافقين يؤذونه.

٥٩ - هذه آية الحجاب، يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن: يرخين ويسدلن
عليهن بعض ثيابهن التي تستر جميع البدن - والجلاب: ثوب ظاهري يستر جميع البدن - والمراد: يرخين بعض الثوب على
الوجوه إلا شيئاً قليلاً كعين واحدة، ذلك إثناء الجلابيب أقرب إلى أن يميز بأنهن حرائر، لا إماء ولا بغايا، فلا يتعرض
لهن فاسق بأذى، وكان الله غفوراً لما سلف منهن لترك الستر، رحيماً بعباده. قال أبو مالك: كانت نساء المؤمنين
يخرجن بالليل إلى حاجاتهن، وكان المنافقون يتعرضون لهن ويؤذونهن، فنزلت هذه الآية.

٦٠ - لئن لم ينته عن إيذاء أهل الإيمان: المنافقون (الذين يظهرون الإسلام ويطنون الكفر) والذين في قلوبهم ضعف
إيمان وشك في الدين وانحراف خلقي، واليهود وغيرهم المشيعون للأكاذيب ويزعزون عقائد الناس لتوهين جانب
المسلمين، وكان الصفات كلها واحدة وهي للمنافقين، لنسلطنك عليهم بالقتل والتشريد، ثم لا يساكنوك في المدينة، إلا
وقتاً قليلاً بعد نزول هذه الآية.

٦١ - مطرودين من الرحمة، أينما وجدوا أخذوا، أي أسروا وقتلوا أشد قتل، لغضب الله عليهم. وإنهاء خطرهم.

٦٢ - سن الله ذلك العقاب في الأم الماضية، ولا تغيير لسنة الله، بل هي ثابتة دائمة في أمثالهم.

٦٣- يسألك أيها النبي المشركون عن وقت قيام القيامة وحصوله استهزاء، قل لهم: إنما علمها عند الله وحده، لم يطلع عليها ملكاً ولا نبياً، وما يعلمك بها يا محمد؟ أي أنت لا تعلمها، وربما توجد القيامة في وقت قريب. وفيه تهديد للمستعجلين وإسكات للمتعنتين.

٦٤- إن الله طرد الكافرين وأبعدهم من رحمته، وأعد لهم في الآخرة مع اللعن ناراً شديدة التسعر والانتقاد.

٦٥- ما كثر فيها على الدوام أبداً بلا انقطاع، لا يجدون لهم ولياً يواليهم ويحفظهم عنها، ولا ناصرأ ينصرهم ويخلصهم منها.

٦٦- يوم تتقلب وجوههم وأجسامهم في النار من جهة إلى جهة، يقولون: يا ليتنا أطعنا الله والرسول فيما أمرنا به ونهانا عنه.

٦٧- وقال الأتباع الكفرة: ربنا إننا أطعنا الرؤساء والقادة والعلماء فيما أمرونا به من الكفر والتكذيب، فأضلونا طريق الهدى والحق بما زينا لنا من الكفر بالله ورسوله.

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۝٦٣ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝٦٤ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٦٥ يَوْمَ تَقْلُبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ۝٦٦ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَصْلَحْنَا السَّبِيلَ ۝٦٧ رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَهُمْ ضَعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْأَلَمِ لَعَنَّا كَبِيرًا ۝٦٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ قُرْبًا ۝٦٩ اللَّهُ يَمَاقِلُوْا ۝٧٠ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ۝٧١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٢ صُحِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَبَيِّنْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۝٧٣ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧٤ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۝٧٥ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٦ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَالْكُفْرَانَ وَالْكُفْرَاتِ كُلِّ مَنْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۝٧٧ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٧٨

٦٨- ربنا أنهم مثل عذابنا مرتين: عذاب الكفر وعذاب الإضلال، واطردهم طرداً شديداً من رحمتك، هو أشد اللعن وأعظمه.

٦٩- يا أيها المؤمنون لا تكونوا مع نبيكم كاليهود الذين آذوا موسى نبيهم، كقولهم: إنه آذر، أو ارتكب فاحشة، فبرأه الله من التهم الباطلة، بإظهار البراهين الدالة على كذبهم، وكان موسى عند الله عظيماً ذا وجاهة وقدر رفيع.

٧٠- يا أيها المؤمنون: احذروا عقاب الله بالعمل بأوامره واجتناب معاصيه، وقولوا قولاً صواباً وحقاً.

٧١- يوفقكم للأعمال الصالحة ويؤجركم عليها، ويستر لكم ذنوبكم ويكفرها عند الاستقامة، ومن يطع أوامر الله والرسول، فقد نال غاية مطلوبه، وحظي برضوان الله تعالى.

٧٢- إننا عرضنا أمانة التكليف والطاعة وحرية الاختيار والإرادة على السموات والأرض والجبال، وطلبنا إليها تحملها والحفاظ عليها، فامتنعن عن حملها، وأشفقن منه وخافت، وحملها الإنسان آدم أبو البشر مع ضعفه، وكذلك الجن، إنه كان ظلوماً لنفسه بما حملة، جهولاً به، حينما التزم بحقوق الأمانة.

٧٣- حملها الإنسان ليصير ماله ونتيجته أن يعذب الله أهل النفاق على نفاقهم وخيانتهم الأمانة، وأهل الشرك على إشراكهم بالله، ويقبل توبة أهل الإيمان الذين أطاعوا الله ورسوله، وأدوا الأمانة، وكان الله كثير المغفرة للذنوب التائبين، رحيماً بهم لأدائهم الأمانات من العبادة وغيرها.

سورة سبأ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْجُودُ الْأَخْرَفُ
 وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَكِيمُ ۝ يَعْلَمُ مَا يَلْقَى الْأَرْضُ وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا وَمَا
 يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجِعُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ۝ وَقَالَ
 الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ
 لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ
 مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝ لِيُخْزِيَ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلِيُنْذِرَ قَوْمًا مِّنْهُمْ مَّا يَلْمِزُونَ ۝ وَالَّذِينَ سَعَوْا
 ءَالِيَاءَ مِغْرِبِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ ۝ وَبَرَى الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَأَوْفُوا الْعَهْلَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ ۝ مِّنْ رَبِّكَ هُوَ الْوَحْدُ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّبِينٍ الْحَكِيمُ ۝
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ
 إِذَا مَرُّكُمْ كَلِّ مَرَّوٍ إِنَّكُمْ لَنُفِي حُلُوفٍ جَدِيدٍ ۝

١- الشاء الكامل التام على الله والشكر له، الذي له جميع ما في السموات وما في الأرض خلقاً وملكاً وتصرفاً، يفعل ما يشاء، وحمده على النعم التي أنعم بها في الكون عما خلقه لعباده، وله الحمد أيضاً في الدار الآخرة بإدخال عباده المؤمنين الجنة، فهو المحمود في الآخرة والدنيا، وهو صاحب الحكمة العالية بتدبير أمور خلقه، الخبير بمصالحهم وما يصلحهم.

٢- يعلم الله كل ما يدخل في الأرض كالماء والكنوز والأموات، وما يخرج منها كالزروع والنباتات وأنواع الحيوان والمعادن المستخرجة السائلة والجامدة وماء الينابيع، وما ينزل من السماء من مطر وثلج وبرد ورزق وملائكة وكتب ومقادير، وما يصعد فيها من أعمال العباد وغيرها من الملائكة والأبخرة والأدخنة، وهو الرحيم بعباده، الغفور لذنوبهم بالتوبة.

٣- وقال الكفار منكرو البعث: لا تأتينا القيامة

والبعث، قل لهم أيها النبي للرد على كلامهم: بلى قسماً بربي لتأتينكم القيامة وتجازون بأعمالكم، ربي عالم الغيب: وهو كل ما غاب عن الناس علمه، لا يغيب عنه مثقال أي مقدار وزن ذرة في السموات والأرضين، ولا أصغر من ذلك المثقال ولا أكبر منه إلا وهو مثبت محفوظ في كتاب بين واضح وهو اللوح المحفوظ.

٤- علة إتيان الساعة ليجزي بالثواب الحسن الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا الأعمال الصالحة التي أمروا بها، أولئك لهم مغفرة من ربهم لذنوبهم بحوها، ورزق طيب حسن لا عناء فيه في الجنة.

٥- والذين سعوا في إبطال آياتنا القرآنية، مغالين لنا، ظانين أننا لا نقدر عليهم لإحضارهم للحساب والجزاء، أولئك لهم عذاب من أشد أنواع العذاب، مؤلم أشد الإيلام.

٦- ويعلم أهل العلم بالدين السماوي وهم علماء أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وأصحابه أن ما أنزل إليك من ربك وهو القرآن هو الحق الثابت الصحيح، وأنه يرشد الناس إلى دين الله وهو التوحيد، وطريق رضوان الله ذي العزة والغلبة، المحمود في جميع شؤونه.

٧- وقال بعض الكفار على جهة التعجب والسخرية: هل ندلكم على رجل، وهو محمد ﷺ، تجاهلوه كأنهم لا يعرفونه، يخبركم بأمر عجيب أنكم إذا قطعتم قطعاً صغيرة، وبليت أجسامكم، وصرت تراباً متفرق الأجزاء، تعودون مرة أخرى وتخلقون خلقاً جديداً وتبعثون من القبور أحياء، للحساب والجزاء بعد التمزيق والتفريق!؟ وممزق: مصدر ميمي جاء على وزن اسم المفعول، والمراد كل تمزيق.

٨- قال المشركون: هل كذب على الله متعمداً بادعاء النبوة، أم به جنون؟ بل الذين يكذبون بالآخرة وينكرون البعث هم في عذاب النار، والانحراف البعيد عن الحق والصواب. والمراد: الرد عليهم من الله لإثبات ما هو أعظم من الأمرين وهو الضلال والعذاب. و ﴿بل﴾ حرف يدل على إبطال ما قبله وإثبات ما بعده.

٩- أفلم ينظروا إلى ما يحيط بهم من آيات الله في السماء والأرض، ليستدلوا بذلك على قدرتنا: إن نشأ نغيب بهم الأرض، فتبتلعهم كقارون، أو نسقط عليهم قطعاً من السماء، فهل لهم بها، إن في ذلك المزمي لدلالة على قدرتنا على البعث لكل عبد راجع إلى ربه بالتوبة، مطيع له. والمعنى: إن فيما رأوا لدلالة على قدرة الله على البعث وغيره.

١٠- ولقد أعطينا داود منا نبوة وملكاً وكتاباً هو الزبور، وصوتاً حسناً، وقلنا: يا جبال رجعي وردددي معه التسبيح إذا تسبح، أي نزهي الله، وسحرنا الطير أيضاً أن تسبح (تنزه الله) معه، وجعلنا الحديد في يده ليتأكل العجيين، وعلمناه كيفية إلاتته من غير نار، يصنع به ما يشاء.

أَفَرَأَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْعَبِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن شَاءَ نُخِفِّفْ بِهِمَا الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنبِيٍّ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا لِيَجْالِيَ أَوْبَى مَعَهُ وَطَرَئِ الْوَكَاةِ الْحَدِيدِ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ شَاءَ سَقِطَتْ وَقَدَّرَ فِي السَّيِّدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ نَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلَسَلِمْنَا لِرِيحٍ عَذُوبَةٍ شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَرِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرٍ أُنْذِرْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرَبٍ وَمَنْ يَسْتَلِمْ وَجْهَانِ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسٍ أَتَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا أَفْضَيْنَا عَلَيْهِ الْوَلُوتَ مَا دَلَّمْهُ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةً الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِن شَأْنِهِ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِثَّةُ أَن لُّوكَاؤُهُ يَعْلَمُونَ الْقَبِيبَ مَا لِكُلِّ شَيْءٍ إِلَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤﴾

١١- ووجهناه أن تعمل دروعاً كوامل واقيات واسعات تغطي البدن كله، وهو أول من اتخذها، وقدر في النسخ بجعل الشيء على قدر الحاجة مع التناسب في الخلق، وقلنا له ولآله: اعملوا عملاً صالحاً شكراً لله، إنني مطلع على كل أعمالكم، فأجازيكم عليها.

١٢- وسخرنا لسليمان الريح، جريها بسرعة في فترة الصباح إلى الزوال مسيرة شهر، وجريها في فترة ما بعد الزوال إلى الغروب مسيرة شهر، وأذننا له عين النحاس المذاب، وسخرنا له من الجن من يعمل بين يديه بأمره، ومن يعدل من الجن عن طاعته وأمرنا له بالطاعة، نذقه من عذاب النار في الآخرة، أو النار الملتهبة في الدنيا.

١٣- يعملون له ما يشاء من أبنية عالية وقصور مرتفعة. والمحراب في الأصل: مكان العبادة. وتماثيل مجسمة بصورة ما فيه روح، من نحاس أو رخام أو زجاج وغير ذلك. وكان هذا جائزاً في شريعته، وحرمة الإسلام، وصحاف تشبه حياض الإبل أو الماء الكبار، وقدور ثابتات لا تتحرك لعظمتها لطبخ الطعام، وقلنا لهم: اعملوا يا آل داود بطاعة الله، شكراً لله على ما آتاكم، وقليل من عبادي هو الشكور: العامل بطاعة الله، المؤدي شكر النعمة بقلبه ولسانه وأعضائه.

١٤- فلما حكمنا على سليمان بالموت، ما دل الجن على موته إلا الأرض: وهي التي تأكل الأخشاب ونحوها، تأكل عصاه التي كان يتكى عليها، فلما سقط على الأرض ميتاً، علمت الجن أنهم لو كانوا يعلمون الغيب، ما مكثوا وقتاً طويلاً يعملون في الأعمال الشاقة التي كلّفوا بها، لظنهم حياته.



١٥- لقد كان لقبيلة سبأ المشهورة في بلاد اليمن في مأرب على بعد ثلاثة أيام من صنعاء علامة دالة على وجود الله وقدرته ووحدانيته: يستانان عن يمين واديهن وشماله، وقيل لهم: كلوا من رزق ربكم: وهو ثمار الجنتين، واشكروا الله على ما رزقكم من هذه النعم في أرض سبأ، هذه بلدة كثيرة الخيرات، وربكم رب غفور لذنوب من شكره.

١٦- فأعرضوا عن شكر هذه النعم وكفروا بالله، فأرسلنا عليهم سيل العرم الذي دمر الله به سد مأرب الذي أقيم بين جبلين للتحكم في ماء المطر، فأغرق الأراضي والبساتين، وأهلك الحرث والناس، وسيل العرم: هو السيل الذي لا يطاق لقوته وشدته، وبدلتهم ببساتينهم المشرمين ببساتين صاحبي ثمر مريض الطعم، ونوع من شجر البادية هو شجر الطرفاء الكبير الحجم، وشيء قليل من شجر التبق له ثمر يؤكل، أتلف أشجارهم الثمرة وجعل بدلها الأراك والطرفاء والسدر.

١٧- ذلك التبديل والجزاء جزاؤهم بسبب كفرانهم النعمة، وتكذيبهم الرسل، ولا يجازي بمثل ذلك إلا المبالغ في كفران النعم والرسل.

١٨- وجعلنا بين بلد سبأ وبين قرى الشام المباركة

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلٌّ مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ الْبَلَدَ طَيِّبَةَ وَرَبُّكُمْ غَفُورٌ ۝
فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ كُلٍّ خِطٍ وَأَثَلٍ يَشْعُرُ مِنْ سُودٍ لَقِيلِ ۝
ذَٰلِكَ جَزَاءُكُمْ بِمَا كَفَرُوا وَعَلَىٰ نُجْرَىٰ إِلَّا الْكَفُورُ ۝
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمُ الْوَادِيَّ الْفَرَىٰ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا فَرْقًى ظَهَرَ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَبَرُوا فِيهَا لِسَالَىٰ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ۝
فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَعَلَّمَهُمُ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَرْقِئٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝
وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝
وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَهُمْ مِنْ بَيْنِ الْأَخِرَةِ مَنْ هُوَ مِنْهَا فِي سَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيطٌ ۝
قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْفَالِ ذِرَّةٍ وَلَا فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ فِيهِمْ مِنْ شَرِّكَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ۝

بالماء والشجر التي يسиров إليها للتجارة قرى مرتفعة متواصلة متقاربة من اليمن إلى الشام للمبيت فيها والراحة، ونظمنا السير فيها بحيث يقولون في بلدة ويبيتون في أخرى، فلا يحتاجون لحمل ماء وزاد، وقلنا لهم: سبروا فيها ليالي وأياماً متى شئتم من ليل أو نهار، آمنين لا تخافون على أنفسكم وأموالكم.

١٩- فقالوا: ربنا باعدين منازل أسفارنا: وهي القرى التي كانوا يتزلون فيها ظهراً ومساءً، من اليمن إلى الشام، وظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي، فجعلناهم أحاديث لمن بعدهم، يتحدث الناس بأخبارهم، فإن الله أجابهم بتخريب القرى المتوسطة، فلا يستطيع قطع المسافة الطويلة إلا الغني صاحب الإبل القوية التي تحمل الماء، وعجز الفقير، فأنحصرت التجارة في الأغنياء، وفرقناهم في البلاد غاية التفريق، حتى ضرب بهم المثل: «تفرقوا أيدي سبأ» إن في ذلك العقاب لعبيراً ودلالات ووضحات لكل عبد كثير الصبر عن المعاصي وعلى الطاعات، كثير الشكر على النعم.

٢٠- ولقد صدق ظن إبليس بهم حين أغواهم، فاتبعوه، إلا فريقاً من المؤمنين لم يتبعوه، لصدق إيمانهم.

٢١- وما كان لإبليس على هؤلاء الجاحدين من تسلط وقهر على الكفر، وإنما مجرد وسوسة وتزيين، ولكن ابتليانهم بوسوسته لنظهر من يؤمن بالآخرة ومن هو شك مرتاب فيها، وربك على كل شيء رقيب.

٢٢- قل أيها الرسول للمشركين في مكة وغيرها: نادوا الأصنام التي زعمتم أنهم آلهة من غير الله لكشف الضر عنكم أو جلب الخير لكم، والواقع أنهم لا يملكون وزن ذرة من خير أو شر في السموات والأرض، وليس لتلك الآلهة من مشاركة في الخلق والملك والتصرف، وليس لله تعالى منهم من معين يعينه على تدبير شيء من أمور المخلوقات.

٢٣- ولا تنفع الشفاعة عند الله في أي حال إلا لمن أذن الله له أن يشفع، كالملائكة والنبیین والعلماء، إذا كان أهلاً للشفاعة، لا للكافرين، حتى إذا كشف الفزع وهو الخوف عن قلوب الشفعاء بسبب التعرف على المستحقين، قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم في الإذن بالشفاعة؟ قالوا: قال القول الحق: وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى، وهم المؤمنون، وهو تعالى صاحب العلو المطلق بالقهر، والكبرياء، لا يشاركه فيهما أحد.

٢٤- قل أيها النبي للمشركين: من الذي يرزقكم من السماء بالمطر، ومن الأرض بالنبات والثمر والمعدن ونحو ذلك؟ قل: الله هو الرازق، وأنا أو إياكم أيها المشركون أي أحد الفريقين إما في حال هدى أو في ضلال واضح. و﴿أو﴾ للعطف مع الإبهام، وهذا خطاب رقيق مع الكفار لعلهم يرجعون عن عنادهم. وهذا بعد بيان المهتدي والضال.

٢٥- قل أيها النبي لهم: لا تسألون يوم القيامة عما أذننا، ولا تسأل عما تعملون من كفر ومعصية. وهذا تقرير مبدأ المسؤولية الشخصية بخطاب لين لتخفيف عناد المشركين.

٢٦- قل لهم: يجمع بيننا ربنا يوم القيامة، ثم يحكم بيننا بالحق والعدل، وهو سبحانه الحاكم العدل، العالم بكل شيء وأحوال الحكم والقضاء.

٢٧- قل لهم: أروني الذين جعلتموهم شركاء لله في العبادة، هل يقدر على شيء؟ كلا، أي ارتدعوا أو انزعجوا عن ادعاء المشاركة، فالله هو المنفرد بالالوهية، القوي القاهر الغالب، ذو الحكمة الباهرة في تدبير خلقه.

٢٨- وما أرسلناك أيها النبي إلا للناس جميعاً، العرب والعجم، مبشراً من أطاعك بالجنة، ومنذراً مخوفاً من عصاك بالنار، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك، أي ما عند الله من النفع وما لدى الرسل من خير.

٢٩- ويقول المشركون تهكمأ: متى وقت هذا الوعد الذي تعدوننا به أيها المؤمنون وهو قيام الساعة، إن كنتم صادقين فيه؟

٣٠- قل لهم أيها النبي: لكم ميعاد يوم محدد، وهو يوم القيامة، لا تتأخرون عنه ولا تتقدمون عليه.

٣١- وقال الكفار من أهل مكة: لن نصدق بهذا القرآن الذي أتيت به يا محمد، ولا بالذي تقدمه من الكتب الإلهية كالأنجيل والتوراة والإنجيل، ولو ترى أيها النبي حين يكون الكافرون محبوسين ممنوعين في موقف الحساب، يتحاورون ويلوم بعضهم بعضاً، يقول المستضعفون الأتباع للقادة المتكبرين: لولا أنكم صددتمونا عن الإيمان، وأوقعتمونا في الكفر، لكننا مؤمنين: مصدقين بالله ورسوله.



٣٢- قال القادة المتكبرون للمستضعفين: أنحن منعناكم عن الإيمان بعد إذ جاءكم الهدى؟ لا، بل كنتم قوماً مجرمين: مصرين على الكفر.

٣٣- وقال المستضعفون للمتكبرين: لم يكن إجرامنا باختيارنا، بل مكرهم بنا في الليل والنهار، ودعوتكم المستمرة لنا إلى الكفر هو الذي حملنا على هذا. والمكر: الخديعة والاحتيال. حين كنتم تأمروننا أن نكفر بالله، ونجعل له شركاء أمثاله، وأخفوا الندامة على ما فعلوا من الكفر، حينما شاهدوا العذاب المعد لهم، وجعلنا الأغلال (أي الأطواق أو سلاسل الحديد) في أعناق هؤلاء الكفار في النار، هل يجزون (استفهام فيه معنى النفي) أي لا يجزون إلا بما كانوا يعملون في الدنيا من الشرك بالله، والأعمال المنكرة؟! ٣٤- وما أرسلنا في أهل قرية من رسول ينذرهم ويحذرهم عقاب الله، إلا قال أثرياؤها وقادة الشرف فيها للرسول: إنا بما أرسلتم به مكذبون، نكذب بما أرسلتم به من التوحيد والإيمان. نزلت في رجل سأل شريكه عن أتباع محمد، فقال له: إنه لم يتبعه أحد من قريش إلا رذالة الناس ومساكينهم، فعرف بذلك أنه نبي حق، فأمن به، فنزلت هذه الآية، فقال له النبي ﷺ: وإن الله قد أنزل

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لَنَحْنُ صَدَدٌ نَكُومُ عَنْ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ شَجِرِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكَرَ الْبَلِيلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ لِمَا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يجْزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَاذِبُونَ ۝ وَقَالُوا لَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَا أَهْلًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝ قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَدِّرْ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا أَتَوَلَّكُمْ وَلَا أَوْلَاكُمْ بِأَلَيْسَ بِكُمْ عِنْدَنَا رِزْقٌ إِلَّا آمَنَ ۚ وَاعْمَلْ صَالِحًا قَدْ وَلَّيْتَ لَدُنْكَ لَهْجَةً أَلْضَعِفَ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْفُرْقَتِ ءَامِنُونَ ۝ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَالِيَتِنَا مُعْجِرِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ۝ قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيُعَدِّرْهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ وَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝

تصديق ما قلت.

٣٥- وقال المترفون للرسول: نحن أكثر أموالاً وأولاداً ممن اتبعوكم من الضعفاء، وما نحن بمعذبين في الآخرة بعد إحسانه إلينا في الدنيا، أي إنهم قاسوا أمر الآخرة على الدنيا.

٣٦- قل لهم أيها النبي: إن ربي يوسع الرزق امتحاناً، ويضيق على من يشاء ابتلاء، ولكن أكثر الناس لا يعلمون الحقائق، فيظنون أن كثرة الأموال والأولاد للشرف والكرامة، مع أنها قد تكون للاستدراج.

٣٧- وليست كثرة أموالكم وأولادكم أيها الكفرة التي هي سبب تكبركم وتسلبكم بالتي تقرّبكم إلى رحمتنا وفضلنا تقريباً، وإنما هي للاختبار ومعرفة أوجه استعمالها في الطاعة أو المعصية، لكن من آمن بالله ورسوله وعمل عملاً صالحاً أمرناه به، فأولئك لهم الجزاء المضاعف للحسنات، الحسنة بعشر أمثالها، وهم في غرفات الجنة آمنون من جميع ما يكرهون من الموت وغيره. والزلفى: القريب، جاءت لتأكيد الفعل قبله.

٣٨- والذين يجتهدون في محاربة آياتنا القرآنية والطعن بها وتكذيبها، مسابقين مغالين لنا، زاعمين أنهم يفلتوا منا، أولئك في العذاب الآخروي تحضرهم الملائكة الزبانية إلى النار.

٣٩- قل أيها النبي: إن ربي يوسع الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيقه على من يشاء، وما أنفقتم من شيء من أموالكم في مرضاة الله وطاعته، فهو يخلفه (يعوضه) عليكم في الدنيا بالتعويض، وفي الآخرة بالثواب الجزيل، والله خير الرازقين، أي إنه الرازق الحقيقي، والعباد وسطاء. والفرق بين هذه الآية والآية السابقة [٣٦]: أن الآية هنا لبيان أن الرزق بيد الله وحده، وهناك للرد على من زعم أن الرزق علامة رضا الله، وأن البسط والتضييق هنا لشخص واحد في وقتين أو حالين، وهناك لتعدد الأشخاص.

٤٠- ويوم يجمع الله الكفار جميعاً للحساب: العابد والمعبود، والمتكبر والضعيف، ثم يقول للملائكة تقريراً وتوبيخاً للمشركين: أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون؟ هل أنتم أمرتموهم بعبادتكم؟ والخطاب للملائكة؛ لأنهم أشرف شركائهم.

٤١- قالت الملائكة: تنزهت يارب عن الشريك، أنت الذي نتولاه ونعبده ونطيعه من دونهم، ولا مسوالة بيننا وبينهم، ولم تكن معبودين لهم حقيقة، ونبرأ إليك عما فعلوا، بل كانوا يعبدون الشياطين الذين زينوا لهم عبادتنا، أكثر المشركين مصدقون بالجن، مطيعون لهم.

٤٢- قال الله تعالى: فالיום يوم القيامة لا يملك بعضكم وهم المعبودون لبعض وهم العابدون نفعاً من شفاععة ونجاة، ولا يدفع ضرراً من عذاب وهلاك؛ لأن الأمر كله لله، ونقول للذين ظلموا أنفسهم وكفروا بعبادة غير الله: ذوقوا عذاب النار التي كنتم تكذبون بها في الدنيا.

٤٣- وإذا تتلى على المشركين آيات القرآن الواضحات الدلالة، قالوا لبعضهم: ما محمد هذا إلا رجل يريد أن يمنعكم عن عبادة آبائكم الأصنام والأوثان، وقالوا: ما هذا القرآن إلا كذب مختلق

لا أساس له، وقالوا ثالثاً عن أمر النبوة والدين الشامل للقرآن ومعجزات النبي: ما هذا إلا سحر ظاهر.

٤٤- وما أنزلنا على أهل مكة من كتب يقرؤونها ويفهمونها تدل على صحة عقيدة الشرك- و﴿من كُتِبَ﴾ من هنا تفيد عموم ما ذكر بعدها- وما أرسلنا إلى العرب قبلك أيها النبي من نبي منذر مخوف عقابنا. والمراد: من أين كذبوك، ولا دليل لهم من كتاب ولا رسول؟

٤٥- وكذب الذين من قبلهم من الأمم السابقة كما كذبك قومك، وما بلغ مشركو العرب عشر ما أعطينا الأمم الماضية من القوة وطول العمر والمال والسلطة، مثل عاد وثمود ونحوهم، فكذبوا رسلي فأهلكناهم، فكيف كان إنكاري عليهم بالعذاب؟ أي أنه واقع موقعه.

٤٦- قل أيها النبي لقومك: إنما أنصحكم برفق ببخلة واحدة وهي أن تجتهدوا بإخلاص في طلب الحق، اثنين اثنين مجتمعين، وواحدًا واحدًا منفردين؛ لأن ذلك ادعى لصحة التفكير، ثم تفكروا في صاحبكم محمد الذي عرفتموه أميناً عاقلاً مدة طويلة، ليس به جنون حين دعاكم إلى توحيد الله، أي إذا فكرتم تعلمون أنه ليس به جنون، ما هو إلا منذر محذّر لكم من عاقبة العصيان قبل أو أمام مجيء عذاب شديد في الآخرة.

٤٧- قل أيها النبي للمشركين: ما طلبتكم من أجر مقابل دعوتي لتوحيد الله وعبادته، فإن طلبت فهو لكم وليس لي، ما أجري أو ثوابي إلا على الله، لا على غيره، وهو على كل شيء مطلع رقيب، يعلم صدقي.

٤٨- قل لهم أيها الرسول: إن ربي يلقي الحق إلى أنبيائه، ويبين أدلة قاطعة عليه، يعلم كل ما غاب عن خلقه في السموات والأرض.

وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّائِي كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ مُمَوَّنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا كَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تَنَسَّلْنَا عَلَيْهِمْ ءَابِنَا يَنْسِفُ قُلُوبَهُمْ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ رَجُلًا يَرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ أَبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا أَفْكٌ مَقْرُورٌ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا جَاءُوا بِمَثَلٍ هَذَا إِلَّا لِسَحَرٍ مُبِينٍ ﴿٤٣﴾ وَمَا إِلَهُهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مَعَارَ مَا إِلَهُهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتَى وُفِّرْدَى ثُمَّ تَنْتَكِرُوا مَا يَصَاحِبُكُمْ مِنْ حِينٍ إِنَّ هَؤُلَاءِ يَذِيرُوكُمْ رَبِّينَ يَذْنِي عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلُوكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهَوَ لَكُمْ أَنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَماً الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾



٤- وإن يكذبك أيها النبي المشركون في دعوتك إلى التوحيد والإيمان باليوم الآخر، فقد كذبت رسول من قبلك في ذلك، فاصبر كما صبروا، وإلى الله تصير الأمور، فيجازي كل بما يستحقه.

٥- يا أيها الناس إن وعد الله بالبعث والجزاء حق ثابت لا بد منه، فلا تلهيكم الدنيا بزخارفها ولذاتها عن عمل الآخرة، ولا يغرنكم الشيطان الكثير التغيرير بحلم الله وإمهاله.

٦- إن الشيطان لكم عدو من القدم، فعادوه بطاعة الله، ولا تطيعوه في المعاصي ولا تتبعوه، إنما يدعو أتباعه المطيعين له، ليكونوا من أصحاب النار المستعرة الملتهمية، لعداوته لبني آدم.

٧- الذين كفروا بالله ورسوله لهم عذاب شديد يوم القيامة، وهذا وعيد لمن اتبع الشيطان، والذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات المأمور بها، لهم مغفرة لذنوبهم، وأجر كبير وهو الجنة.

٨- أقمن حسن له الشيطان سوء عمله أي عمله القبيح، فأره حسناً أي رأى القبيح حسناً، كالذي آمن ولم يزين له؟ لا، فلإنهما لا يتساويان. الهمزة للاستفهام الإنكاري المفيد للنفي، فإن الله يضل من يشاء إضلاله لسبق علمه بقبحه وسوء فعله، ويهدي

وإن يكذبوك فقد كذبت رسول من قبلك وإلى الله ترجع الأمور ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْهَوَا الدُّنْيَا وَلَا تَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَ لُكُوتٍ﴾ ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ أَتَى النَّاسَ عَذَابَ اللَّهِ وَكَانَ صِدْقًا وَهُوَ كَتَبَ الْفُتُورَ﴾ ﴿أَفَنُورِ زَيْنٍ لَمْ يَسُوءْ عَلَيْهِمْ وَهُوَ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ مَتَابِ اسْفُتْهُ إِلَى بَلَدٍ قَبِيلَةٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْغُرَةَ فَلِلَّهِ الْغُرَةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُسَوِّرُ﴾ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعْتَمِرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا بِأَنْ يَكْتُبَ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾

من يشاء هدايته لسبق علمه بهدايته، بالتوفيق إلى سلوك طريق الهداية والإيمان، فلا تهلك نفسك حزناً على كفرهم وضلالهم، إن الله عالم بما يصنعون لا تخفى عليه خافية، ويعاقب كل امرئ بما يستحق. قال ابن عباس: أنزلت هذه الآية ﴿أَقْمِن زَيْن...﴾ حيث قال النبي ﷺ: «اللهم أعز دينك بعمر بن الخطاب، أو بابي جهل بن هشام، فهدى الله عمر، وأضل أبا جهل، ففيهما أنزلت».

٩- والله الذي أرسل الرياح مبشرات بهطول الأمطار، فتتحرك سحباً وتدفعه إلى جهة ما، فسقنا هذا السحاب المحمل بالغيث إلى بلد مجذب قاحل غير منبت، فأحيينا بالمطر الأرض بإنبات النبات، بعد يسها وجذبها، مثل ذلك الإحياء يحيي الله العباد بعد الموت.

١٠- من كان يريد الشرف والجاه والمِنَّة، فليطلبها من عند الله، فله كل العزة في الدنيا والآخرة، ولا تنال العزة إلا بطاعة الله، إليه تعالى يصعد الكلم الطيب، أي يقبل التوحيد وكل كلام طيب من ذكر الله ودعاء وتلاوة قرآن، والعمل الصالح يرفعه الله إليه ويقبله من المؤمن، والذين يعملون السيئات في الدنيا على وجه المكر والخديعة، ويكيدون للمسلمين، لهم عذاب شديد عند الله في الآخرة، ومكر أولئك المتأمرين يطل ويفسد.

١١- والله تعالى خلق أباكم آدم من تراب، ثم خلقكم من نطفة (مني) ثم جعلكم صنفين ذكوراً وإناثاً، وما تحمل من أنثى ولا تضع حملها إلا يعلمه وإذنه، ولا يمد في عمر إنسان، ولا ينقص من عمر آخر، إلا في اللوح المحفوظ، وذلك بحسب العرف والغالب: أن الذي يطول عمره يقال عنه: أخذ عمره، والذي يموت صغيراً يقال عنه بالنسبة لغيره: لم يكمل عمره، مع أن عمر كل منهما محدود مقدر لا يزيد ولا ينقص، إن تحديد الأعمار أمر يسير على الله، لا صعوبة فيه.



وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُؤَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُمْ وَهَذَا
مِلْحٌ أجاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيبًا وَتَسْتَخْرِجُونَ
حُلِيَةً لِّلنِّسَاءِ وَتَرَى الْفُلَّكَ فِيهِ مَوَاجِرٌ يَلْبَغُونَ مِنْ
فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُوبِخُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ
وَيُوبِخُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَخَصَّ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ فِي لَاحِلِ
نَعْمَتِي ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ
مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ
وَلَوْ سَمِعُوا مَا سَجَدُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ
بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ
أَنْفَرًا فَرَأَى إِلَهُهُ وَاللَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ
يُدْخِلْكُمْ فِي بُرَىٰ وَأَيُّ بُرَىٰ يَخْلُقْ جَدِيدًا ﴿١٦﴾ وَمَا ذَاكَ عَلَى اللَّهِ
بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ
خِفْطِهَا لِأَتِجِلَ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ
الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَفَامُوا أَصْلُوهُ وَمَنْ
تَرَكَ فَإِنَّ رَيْبَكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ وَلِإِلَهِ الْآخِصِرِ ﴿١٨﴾

النواة - بذرة التمر - الرقيقة البيضاء.

١٢ - وما يتساوى البحرين: العذب والملح - وهذا مثل للإيمان والكفر - هذا عذب شديد العذوبة مذهب للعطش، سائغ (سهل المرور في الحلق) شرابه، وهذا ملح شديد الملوحة غير مستساغ، وذلك مثل للمؤمن والكافر، ومن كل منهما تاكلون لحماً طرياً هو السمك، وتستخرجون من البحر الملح حلية يتزين بها النساء وهي اللؤلؤ والمرجان، وترى السفن في كل من البحرين عابرات شاقات الماء بجريها فيه، لتطلبوا من فضل الله تعالى بالتجارة والركوب فيها، ولتشكروا الله على ما أنعم به عليكم من ذلك.

١٣ - يدخل الليل في النهار، ويدخل النهار في الليل، فيزيد في أحدهما وينقص من الآخر، وذلك الشمس والقمر لما فيه من مصالح الناس، كل منهما يجري في مدار معلوم لوقت محدد، في علم الله، ذللك الخالق والفاعل لما ذكر هو الله ربكم القادر، الذي له ملك العالم يتصرف فيه كيفما يشاء، والذين تعبدون من غيره من الأصنام أيها المشركون ما يملكون من شيء صغير، مثل قشرة

١٤ - إن دعوتهم هذه الأصنام لا يسمعون دعاءكم، لأنها جمادات، ولو سمعوا الدعاء على سبيل الفرض ما أجابوكم، ويوم القيامة يجحدون بإشراككم إياهم مع الله، وعبادتكم لها، ويتبرؤون منكم، ولا يخبرك بحقيقة الأمر وأحوال القيامة أيها الرسول مثل خبير بها عالم مطلع على ما يحصل، وهو الله تعالى.

١٥ - يا أيها الناس أنتم المحتاجون إلى الله في جميع أمور الدين والدنيا، والله هو الغني عنكم على الإطلاق، المستحق للمحمد من عباده على جميع أفعاله، المحمود على كل حال.

١٦ - إن يشأ يهلككم، ويأت بقوم آخرين بدلكم، هم أطوع منكم.

١٧ - وما ذلك الإذهاب والإفناء لكم، والإتيان بآخرين بشيء صعب ولا تمتنع على الله تعالى.

١٨ - ويوم القيامة لا تحمل نفس أئمة إثم نفس أخرى غير ذنبها الذي اقترفته في الدنيا، وإن تطلب نفس محملة بالذنوب نفساً أخرى، لتحمل عنها بعض ذنوبها، لم تحمل عنها شيئاً من الذنوب، ولو كان المدعو قريباً لها في النسب كالأب والابن، فكيف بغير القريب؟ إنما يفيد إنذارك أو تحذيرك الذين يخافون ربهم حال كونهم في خلوة أو سر عن الناس، فهم بعيدون عن الرياء، أو: وهو غائب عنهم، وأقاموا الصلاة في أوقاتها وداوموا عليها، ومن تطهر من الشرك والمعاصي، وعمل صالحاً، فإنما يتطهر لنفسه؛ لأن نفع ذلك مختص به، وإلى الله المرجع والمآل، فيجازي كل إنسان بعمله.

١٩- وما يتساوى الأعمى والبصير، أي الكافر والمؤمن، والجاهل والعالم.

٢٠- ولا تتساوى ظلمات الكفر ولا نور الإيمان.

٢١- ولا يتساوى ظل الجنة وحر النار.

٢٢- ولا يتساوى أحياء القلوب وهم المؤمنون، وأموات النفوس وهم الكافرون، إن الله يسمع من يشاء إسماعه وهدايته من أوليائه الطائعين، ولست أنت أيها النبي بمسمع الكفار أصحاب القلوب الميتة.

٢٣- ما أنت أيها النبي إلا رسول منذر مخوف من عصاك بالنار، أما الهدى والضلال فبيد الله تعالى.

٢٤- إنا أرسلناك أيها النبي إرسالاً مصحوباً بالحق وهو الهدى والدين الحق، مبشراً بالجنة من أطاعك، ومنذراً محذراً بالنار من عصاك، وما من جماعة إلا جاءها رسول منذر أو عالم محذر من المعاصي، أي ومبشراً لأن الإنذار قرين البشارة.

٢٥- وإن يكذبك المشركون في مكة أيها النبي،

فقد كذبت الأمم الماضية أنبياءهم، فليس هذا جديداً، فلا تحزن، جاءتهم رسلك بالمعجزات والدلائل الواضحة، وبالكتب الإلهية المكتوبة، كصحف إبراهيم وموسى، وبالكتاب النير الواضح: وهو ما فيه شرائع وأحكام، كالنور والإنجيل.

٢٦- ثم أخذت الكفار بذنوبهم فعاقتهم، فكيف كان إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك؟!

٢٧- ألم تعلم أن الله بقدرته وحكمته وحده أنزل من السحاب مطراً، فأخرجنا- التفات من الغيبة إلى التكلم- بالمطر ثمرات مختلفة الأجناس والألوان، وخلق الجبال أيضاً مختلفة الألوان، ففيها الطرق وخطوط الألوان التي تكون كالعروق، من بيضاء وحمراء وسوداء، شديدة السواد تشبه لون الغراب.

٢٨- وخلق أيضاً خلقاً آخر من الناس والدواب والأنعام خلقاً مختلفاً ألوانه كاختلاف الثمار والجبال، في الحجم واللون، إنما يخشى الله بالغيب من العباد العلماء بالله بصفاته وأفعاله؛ لأنهم يدركون دقة صنع الله تعالى، فيعظمونه حق التعظيم، إن الله قوي غالب قاهر، غفور للذنوب عباده التائبين المؤمنين.

٢٩- إن الذين يداومون على تلاوة القرآن الكريم، وأدوا الصلاة في أوقاتها، تامة الأركان والشروط، وأنفقوا مما رزقهم الله سرّاً وعلانية، من زكاة وصدقات، يرجون بما عملوا تجارة لن تكسد ولن تخسر.

٣٠- يطمعون في تجارة غير كاسدة لأجل أن يوفيههم الله أجور أعمالهم الصالحة، ويزيدهم على ذلك من فضله وإحسانه، إن الله واسع المغفرة للذنوب، شكور لطاعتهم بتقبلها بقبول حسن، ويحسن جزاءهم.

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا
 بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا
 الْكِتَابَ الَّذِينَ أَحْطَفَقْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ
 وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ
 هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَاءَتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَ كَمَا
 يَخْلُونَ فِيهَا مِنْ آسَافٍ وَذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا
 حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ
 إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ
 مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ
 عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَاذِبٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ
 يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا
 نَعْمَلُ أَوْ رُدُّوهُمْ إِلَىٰ مَا بَدَأْتُمْ بِهِمْ أَوْ نَبِّئُوهُمْ بِمَا هُمْ
 فَعْدُوهُمَا فَإِنَّ الظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَنِيبٌ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلَىٰ بَدَائِعِ الْأَشْيَاءِ
 صَدُورٌ ﴿٣٨﴾

٣١- والذي أوحينا إليك أيها الرسول من القرآن
 - من: بيانية. هو الحق الثابت الذي لا شك فيه،
 مصداقاً ومؤيداً لما تقدمه من الكتب، إن الله بعباده
 لعالم بأحوالهم مطلع عليها، بصير بشؤونهم
 محيط بجميع أمورهم الظاهرة والباطنة.

٣٢- ثم أورثنا وأعطينا القرآن العلماء الذين
 اخترناهم من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه بالمعصية
 المسرف فيها حتى غلبت سيئاته على حسناته،
 ومنهم مقتصد متوسط العمل يعمل بالقرآن غالباً
 وخطط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ومنهم سباق إلى
 الأعمال الصالحة بإرادة الله وتوفيقه، وهو خير
 الثلاثة، ذلك التورث للقرآن والاصطفاء هو
 الفضل الكبير من الله تعالى عليهم.

٣٣- جنات إقامة دائمة يدخلها هؤلاء
 المصطفون، يحلون فيها من أساور الذهب
 واللؤلؤ، ولباسهم الحرير في الجنة.

٣٤- وقالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن
 من مخاطر المستقبل، إن ربنا لواسع المغفرة للذنوب

المؤمنين، كثير الشكر لطاعتهم، أي يحسن جزاءهم.

٣٥- الذي أنزلنا الجنة دار الإقامة الأبدية، من عطائه وفضله، لا يمسنها فيها تعب وعناء، ولا يمسنها فيها إعياء
 من التعب أو كلال. نزلت حينما سئل النبي ﷺ عن النوم في الجنة والراحة، فقال: ليس فيها
 لغوب، كل أمرهم راحة.

٣٦- والذين كفروا بالله ورسوله وبالقرآن، لهم نار جهنم خالدون فيها أبداً، لا يحكم عليهم بموت ثان،
 فيستريحوا من العذاب، ولا يخفف عنهم من عذاب جهنم، مثل ذلك الجزاء يجزي كل كثير الكفر، مصرّ
 على الجحود، مبالغ فيه.

٣٧- وهم يستغيثون في النار بشدة وصوت عالٍ قائلين: ربنا أخرجنا من جهنم نعمل العمل الصالح الذي
 أمرت به، غير الذي كنا نعمل في الدنيا من المخالفات والمعاصي، أو لم تجعلكم تعمرون وقتاً تتمكنون فيه من
 التذكر، لمن أراد أن يتذكر، وجاءكم الرسول المنذر المخوف من عذاب الله، فذوقوا عذاب النار، فليس
 للكافرين من معين يدفع عنهم العذاب.

٣٨- إن الله عالم غيب السموات والأرض، لا تخفى عليه خافية، إنه عليم بما تضرعه النفوس وما في
 القلوب من العقائد والظنون، ويجازي كل امرئ بما يستحق.

٣٩. هو الله تعالى الذي جعلكم أجيالاً وأما تخلف كل أمة من قبلها، أي خلفاء لمن قبلكم في المعيشة والانتفاع بخيرات الأرض، فمن كفر بوحداية الله ولم يشكر نعمه، فعليه ضرر وويل كفره، ولا يزيد الكافرين كفرهم عند الله ربهم إلا غضباً وبغضاً شديداً، ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا هلاكاً وخسارة للأخرة.

٤٠. قل أيها النبي للمشركين: أخبروني عن شركائكم الذين تعبدهم من دون الله، وهم الأصنام والأوثان الذين زعمتم أنهم شركاء لله تعالى، أخبروني ماذا خلقوا من الأرض حتى عبدتموه؟ أم لهم مشاركة في خلق السموات، حتى يكونوا أهلاً للالوهية، أم أنزلنا عليهم كتاباً يجيز لهم الشرك بالله، فيكون لهم حجة واضحة، بل لإبطال ما قبله والانتقال لكلام آخر. ما يعد الظالمون الكافرون بعضهم بعضاً من الشفاعة وغيرها إلا باطلاً مزخرفاً لا حقيقة له.

٤١. إن الله يحفظ السموات (وهي كل ما ارتفع فوق الرؤوس من الأجرام والكواكب والنجوم) والأرض بقدرته أن تزول عن أماكنها، ولئن زالت السماء والأرض ما أمسكها أحد سواه عن الزوال، إنه تعالى كان حليماً لا يعاجل بالعقوبة، غفوراً للذنوب التائين، وذلك سبب إمساكه السموات والأرض.

٤٢. وحلف المشركون من قريش أيماناً مؤكدة قبل بعثة محمد ﷺ لئن أتاهم رسول منذر ليكونن أهدي من اليهود أو النصارى، لما رأوا من تكذيب بعضهم بعضاً، كل فريق يقول: ليس الفريق الآخر على شيء، فلما أتاهم ما تمنوه وهو رسول الله ﷺ أشرف وأكرم المنذرين والمرسلين، ما زادهم مجيئه إلا تباعداً عن الحق والهدى والإيمان. نزلت بعد أن كانت قريش تقول: لو أن الله بعث منا نبياً، ما كانت أمة من الأمم أطوع لخالقها، ولا أسمع لنبينا، ولا أشد تمسكاً بكتابتها منا، فأنزل الله هذه الآية.

٤٣. لم يؤمنوا برسالة النبي محمد ﷺ تحجباً وتكبراً ومضياً في الفساد، ومكر العمل السيئ بالرسول والمؤمنين. والمكر: الحيلة والخداع والعمل القبيح. ولا يحيط وينزل وبال المكر السيئ إلا بأهله المسيئين، فهل ينتظر هؤلاء المشركون إلا سنة الله وطريقته في الأمم الماضية بإزالة العذاب بهم، فلن تجد لسنة الله تبديلاً للعذاب، ولا تحويلاً له إلى غير المستحق له. وسنة الله: هي عادة الله في عقاب مكذبي الرسل والعصاة.

٤٤. أو لم ينتقل هؤلاء المشركون في الأرض، فينظروا كيف كان مصير الذين من قبلهم كعاد وثمود وأهل مدين ونحوهم بتعذيبهم لما كذبوا الرسل، والحال أنهم كانوا أشد قوة بدنية من القرشيين، وأطول أعماراً، وأكثر أموالاً، وما كان الله ليسبقه ويفوته أي شيء، في السموات والأرض، إنه كان عالماً بالآشياء كلها، لا تخفى عليه خافية، قادراً على كل شيء، لا يصعب عليه أمر.

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلْفًا فِي الْأَرْضِ فَمنْ يَعْصِيهِ كُفْرٌ وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا آسَاسًا ﴿٣٩﴾ فَلَمَّا يَبْشُرُ شُرَكَاءُ كُفْرِهِ الَّذِينَ يُدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرْبَا أَوْ بَنِي مِثْلَهُمْ بِشَرِكٍ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ مَا يَشْتَرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْ يَبْشُرَ مِنْهُ بَلْ يَنْفَعُهُمْ أَلْطَلُوتُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ بِمَا تُكْسِرُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أَنْ تُزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنَّا آمِسُكُمَا مِنْ آخِرِينَ ﴿٤١﴾ بَعْدَ ذَلِكَ أُنْزِلَ أَنْ جَاءَ عَمُورًا ﴿٤٢﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَمْدًا لِيُبْهِمُوا لَيْنَ جَاءَهُمْ يَذِيرٌ لِيَكُونَ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ يَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٣﴾ أَسْبَغَ كُفْرًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيطُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّيِّئَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ يَجْدِيَ لِسْتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ يَجْدِيَ لِسْتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٤﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُجْزِمَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٥﴾

عن الزوال، إنه تعالى كان حليماً لا يعاجل بالعقوبة، غفوراً للذنوب التائين، وذلك سبب إمساكه السموات والأرض.

٤٥- ولو يعجل الله العقاب للناس على ذنوبهم، ما ترك على ظهر الأرض من أي شيء يدب على الأرض، والمراد بذلك الناس؛ لأنهم أهل التكليف، ولكن يؤخر عقابهم إلى أجل محدد عنده هو يوم القيامة، فإن الله كان عالماً بأحوال عباده، فيجازيهم على أعمالهم.

سورة يس

فضلها: أخرج أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن معقل بن يسار- وهو حديث حسن- عن النبي ﷺ قال: «افروا يس على موتاكم». لأن فيها إثبات البعث والقدرة الإلهية والوحدانية بإحياء الأرض الميتة وإيراد الآيات الكونية.

١- «يس»: يا، سين، مثل غيرها من الحروف الهجائية المقطعة في أوائل السور، للتنبيه على ما بعدها، والإشارة إلى إعجاز القرآن وتحدي العرب به؛ لأنه مؤلف من حروف بناء الكلام عليها، وهم أساطين البيان، فيكون عجزهم أبطل حجة عليهم.

٢- أقسم أنا الله بالقرآن الحكيم بعجيب النظم وبيد المعاني علي أن محمداً رسول من عند الله. نزلت حينما هم ناس من قريش أن يأخذوا الرسول ﷺ الذي تأذوا من قراءته سورة السجدة، فجمعت أيديهم إلى أعناقهم، فقالوا: نشدك الله والرحم يا محمد، فدعا حتى ذهب ذلك عنهم، فنزلت هذه

٣- إنك يا محمد رسول من جملة المرسلين لهداية الناس إلى الإيمان الحق وعبادة الله وطاعته.

٤- على طريق قوم لا عوج فيه، طريق الأنبياء السابقين المؤدي إلى الجنة والنجاة.

٥ - إن هذا القرآن تنزل منزل من الله القوى الغالب القاهر ، الرحيم يخلقه أجمعين .

٦- أرسلناك وأزلناه عليك لتتذر وتخوف من العذاب قوماً هم كفار مكة لم يُنذَر مباشرة أبائهم الأقربون في زمن الفترة ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام، فهم غافلون عن الإيمان والرشد والشرائع والأحكام.

٧- لقد استحق أكثر المكيين والعرب الوثنيين العذاب لإصرارهم على الشرك، فهم لا يصدقون بما جاء به الرسول ﷺ.

٨- إنا جعلنا في أعناق المشركين قيوداً مشدودة إلى أذقانهم، فهم رافعو الرؤوس لا يستطيعون خفضها بسبب الأغلال (جمع عُل)، غاضوا الأبصار لا يلتفتون إلى الحق. قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً لأفعلن، فأنزل الله هذه الآية وما بعدها، فكانوا يقولون: هذا محمد، فيقول: أين هو، أين هو، لا يبصر.

٩. حمّزنا بينهم وبين الإيمان بموانع من الأمام والخلف بسبب عتوهم، فغطينا أبصارهم بغشاوة، فهم بسبب ذلك لا يقدرون على إِبْصَار سبيل الهدى.

١٠. وسواء على هؤلاء الكفار تخويفك من عذاب الآخرة، أم عدم تخويفك، فلا ينفعهم الإنذار، ولا يصدقون برسالتك.

١١- إنما يتنعم بإنذارك من اتبع القرآن، وخاف عقاب الله، فبشره بمغفرة من الله لذنوبه، وثواب حسن هو في الجنة.

١٢- إننا نحن نبعث الموتى من قبورهم أحياء، ونكتب في اللوح المحفوظ ما قدموا في الدنيا من خير أو شر، وما أبقوه بعدهم من آثار الأعمال النافعة والضارة، وكل شيء ضبطناه في اللوح المحفوظ. نزلت في بني سلمة في ناحية المدينة الذين أودوا النقلة إلى قرب المسجد.



وَمَا أُنزِلْنَا عَلَى قَوْمِهِمْ مِنْ أُعْدٍ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خُلُودٌ ﴿٣٧﴾ يَحْزَنُونَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَهُهُمْ لَا يُغِيبُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جُمِعَ لَدُنَّا مُحْضَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمِيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٤١﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا غَابِغَاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَعُنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٤٢﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِمْ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٤٣﴾ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْوَاحَ كُلَّهَا مِنْ أَمْرٍ أُنْثِيَ الْأَرْضِ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٤٦﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٤٧﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٨﴾

٢٨- وما أنزلنا على قوم هذا المؤمن - حبيب النجار - من بعد قتله - من جنود ملائكة من السماء - لإهلاكهم والانتقام منهم، وما كنا منزلين ملائكة لهم، لسبق قضائنا بأن إهلاكهم يكون بالصيحة المدمرة، أي ليسوا بحاجة لملائكة، وإنما يكفيهم الإهلاك بصيحة واحدة.

٢٩- ما كانت عقوبتهم إلا صيحة (وهي صوت شديد مزعج) صاح بها جبريل، فأهلكهم، فإذا هم ميتون هامدون لا حسّ لهم. و (إذا) تدل على سرعة حصول ما بعدها.

٣٠- هذا أوان الحسرة على العباد الذين كذبوا الرسل وهو يوم القيامة، ما يأتيهم من رسول يدعوهم إلى الإيمان والخير والسعادة إلا استهزؤوا به، وكذبوا برسالته.

٣١- ألم يعلم مشركو مكة - والاستفهام هنا تقرير، أي أقروا أنكم علمتم - أننا كثيراً ما أهلكنا قبلهم من الأمم الماضية المكذبن برسلم، وقد حكمنا أو قضينا أنهم لا يعودون إلى الدنيا بعد هلاكهم.

٣٢- ما كل واحد من الناس إلا ويحضر بين يدي الله للحساب، أي فكل الناس مجموعون في موقف الحشر يوم القيامة بعد بعثهم، للحساب والجزاء. وكلمة

﴿جميع﴾ هنا بمعنى مجموع، و﴿محضرون﴾ تحضرهم الملائكة للعذاب.

٣٣- آية: علامة دالة لهم على قدرتنا على البعث (أي دليل): الأرض الميتة، أي المجذبة التي لا نبات فيها، أحييناها بالماء والنبات، وأخرجنا منها الحب المأكول كالخطة والشعير وغيرهما، فمن هذا الحب يعيشون ويتغذون.

٣٤- وجعلنا في الأرض بساتين من نخيل وأعناب، وفجّرنا وشققنا فيها عيون الماء المتدفقة.

٣٥- فعلنا ذلك ليأكل الناس من ثمر النبات والشجر في البساتين، ويأكلوا مما صنعتهم أيديهم كالعصير والحبس ونحوهما، أفلا يشكرون الله على هذه النعم؟

٣٦- تنزه الله عما لا يليق، الذي خلق الأنواع والأصناف المختلفة، مما تنبت الأرض من النبات والشجر، وخلق الأزواج المزدوجة من أنفسهم وهم الذكور والإناث من بني آدم، ومن كل شيء لا يعلمون به من أصناف المخلوقات العجيبة والمصنوعات في البر والبحر، والسماء والأرض.

٣٧- ودليل آخر على قدرة الله ووحدانيته: أننا نفصل ضوء النهار عن الليل، والسخ: إذهاب الضوء ومجيء الظلمة، فإذا هم داخلون في الظلام فجأة.

٣٨- والشمس تسير بسرعة في فلكها لنهاية تستقر عندها في الصيف وفي الشتاء، ذلك الجري تقدير القوي القاهر، المحيط علمه بكل شيء.

٣٩- وقدرنا مسير القمر في منازل ينزل بها كل يوم وليلة في كل شهر، وهي ثمانية وعشرون منزلاً، حتى صار في آخر منزلة كمود عنقود التمر إذا جف وتقوس واصفر.

٤٠- لا يصح للشمس أن تلحق القمر في مسيره، فتجتمع معه في الليل، وليس لليل أن يسبق النهار قبل انقضاءه، وكل من الشمس والقمر والنجوم في مدار خاص يسيرون فيه بسهولة في رأي العين.

٤١- ودليل آخر على قدرتنا أننا حملنا آباءهم الأقدمين الذين في أصلابهم هم وذرياتهم في السفينة المملوءة، وهي سفينة نوح عليه السلام. وأصل الذرية: صغار الأولاد، ثم استعملت في الصغار والكبار، وأمن الله عليهم بذكر الذرية دونهم؛ لأنه أبلغ في الامتنان.

٤٢- وخلقنا لهم مثل تلك السفينة ما يركبون عليه وهو الإبل وسفن النقل البحري والمركبات والقطارات والطائرات الحديثة.

٤٣- وإن نشأ نفرقهم في البحر، أو في البر، فلا مغيث لهم، ولا هم ينجون من الغرق، أي يموتون سريعاً.

٤٤- إلا أن تتركهم رحمة منا تنجيهم وتقلعهم، وتغمهم في الحياة بلذاتهم إلى أجل معلوم.

٤٥- وإذا قيل لهؤلاء المشركين أو الكفار: احذروا ما هو أمامكم من النكبات أو ما حل بالأمم السابقة، وما وراءكم منها في الآخرة، أي اتقوا أسباب الهلاك، ليرحمكم، أعرضوا، فجواب ﴿إذا﴾ محذوف مفهوم من الكلام بعده.

٤٦- وما تأتيهم من حجة أو دليل على توحيد الله وصدق رسوله أو آية قرآنية - و﴿من﴾ لعموم ما بعدها - إلا أعرضوا عنها، عناداً وتعتاً.

٤٧- وإذا قال الفقراء للكفار: تصدقوا على

وَأَيُّ لُحْمٍ أَتَّخَذْتُمُوهُ فِي الْفُلِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَتَأْخُذُكُمْ نَارُ الْجَهَنَّمَ وَتُنَادِي رَبُّهَا يُمَرِّضِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَتَأْخُذُكُمْ نَارُ الْجَهَنَّمَ وَتُنَادِي رَبُّهَا يُمَرِّضِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَتَأْخُذُكُمْ نَارُ الْجَهَنَّمَ وَتُنَادِي رَبُّهَا يُمَرِّضِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَتَأْخُذُكُمْ نَارُ الْجَهَنَّمَ وَتُنَادِي رَبُّهَا يُمَرِّضِينَ ﴿٤٥﴾

الاحتاجين بما رزقكم الله، قال الكفار للمؤمنين استهزاء وتهكماً: أنطمع من لو يشاء الله أطعمه - في زعمكم واعتقادكم - ما أنتم يا مؤمنون في قولكم: إن الله هو الرزاق إلا في انحراف واضح. و﴿إن أنتم﴾ إن: حرف نفى أي ما أنتم. ٤٨- ويقول الكفار للمؤمنين استهزاء أيضاً: متى هذا الشيء الموعود به وهو البعث من القبور إن كنتم صادقين في ادعائكم؟

٤٩- ما ينتظرون إلا صيحة واحدة (صوتاً شديداً للإرهاب مهلكاً) هي نفخة إسرافيل الأولى في الصور: وهي التي يموت بها الخلاق جميعاً، وتقضي عليهم بسرعة، وهم يختصمون في البيع والشراء وأمور الدنيا. ٥٠- فلا يستطيع بعضهم الإيضاء لبعض فيما له وما عليه، ولا يعمدون إلى أهلهم ومنازلهم من مشاغلهم، لموتهم فيها.

٥١- ونفخ في الصور النفخة الثانية للبعث - وبين النفختين أربعون سنة - فإذا المخلوقون يخرجون بسرعة من قبورهم، للحساب بين يدي ربهم.

٥٢- قال منكرو البعث: يا هلاكنا!! من الذي أخرجنا من مرقد نومنا؟ قالوا ذلك لشدة الهول، فيرد عليهم من الملائكة: هذا هو البعث الذي وعد به الرحمن عباده، وصدق الأنبياء المرسلون فيما أخبروا به، من مجيء البعث.

٥٣- ما كانت تلك النفخة إلا صيحة واحدة لإسرافيل في الصور، فلذا هم جميع مجموعون عندنا بسرعة للحساب والجزاء.

٥٤- فيوم القيامة لا تظلم نفس شيئاً بنقص ثوابها أو زيادة عقابها، ولا تجازون إلا على أعمالكم التي عملتم بها في الدنيا.





إِنَّا أَصْحَابُ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ مُكْشُوفٍ ۝ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلٍّ عَلَى الْأَرَايِكِ مُشْكُونَ ۝ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ۝ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ۝ وَأَمْسُرُوا الْيَوْمَ أَبْهَاتُ الْخَيْرِ مُونَ ۝ أَلَمْ نَأْخِذْ بِالنَّفْسِ الْيَوْمَ لَكُمْ عَذُوبَيْنِ ۝ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝ وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ جِيلًا كَثِيرًا أَفَرْتُمْ أَنْ يَتَعَلَّقُوا ۝ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۝ أَصَلُّوا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُصِرُّونَ ۝ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ۝ وَمَنْ تَعْبُدْ تَنْكُسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ۝ وَمَا عَلَّمَهُنَّ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُنَّ أَنْ يُذَكِّرْنَ أَنَّ مِثْلَ ۝ لَيَنْذِرُ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحْيِ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝

٥٥- إن أهل الجنة يوم القيامة في شأن يشغل الإنسان عن غيره، متنعمون متلذذون.
٥٦- هم وزوجاتهم الحلائل في الجنة في ظلال الأشجار الوارفة، متكثون على الأسرة والفرش الناعمة.
٥٧- تقدم لهم الفاكهة المتنوعة، ولهم غير ذلك كل ما يتمنون ويشتهون، مما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين.
٥٨- ويقال لهم: سلام تحية لكم، قولاً مقولاً من الله الرب الرحيم بعباده المؤمنين.
٥٩- أي تميزوا أيها الكفرة الذين أجرمتم عن عبادي المؤمنين. يقال هذا لهم عند الوقوف للسؤال، وحين يؤمر بأهل الجنة إلى الجنة، كما ذكر القرطبي.
٦٠- ألم أمركم وأوصيكم يا بني آدم عن طريق الرسل ألا تطيعوا الشيطان في عبادة الآلهة المزعومة، إن الشيطان لكم عدو ظاهر العداوة.
٦١- وأمرتكم أن تعبدوني، أي توحّدوني وتطيعوني، هذا طريق قوم لا اعوجاج فيه، وهو دين الإسلام.
٦٢- ولقد أغوى الشيطان خلقاً كثيراً منكم،

أفلم تعقلوا وتذكروا عداوة الشيطان وإضلاله لكم.

٦٣- هذه جهنم التي وعدتم بها في الدنيا على السنة الرسل.

٦٤- ادخلوها واحترقوا بها يوم القيامة، جزاء لكم على كفركم بالله وطاعتكم الشيطان، وتكذيبكم الرسل الكرام.

٦٥- اليوم في الآخرة تمنع أفواه الكفار من الكلام، فيكونوا كالخرس، وتكلمنا أيديهم، وتشهد أرجلهم بما فعلوا من المعاصي، بأن يخلق الله فيها القدرة على الكلام، فكل عضو ينطق بما صدر منه.

٦٦- ولو نشاء لأعميّاهم، فإذا تسابقوا في الطريق إلى النجاة، فكيف يرونه، وقد عموا؟ أي لا يبصرون.

٦٧- ولو نشاء لحوّلنا صورهم إلى صور قبiche في المكان الذي أقاموا فيه وظنوا أنهم أقوىاء فيه، واقتروا المعاصي، فما استطاعوا ذهاباً ولا رجوعاً، والمراد: هلكوا وذلوا.

٦٨- ومن تُطَلَّ عمره كثيراً، نغير خلقته ونبدل حالته من قوة إلى ضعف، وعقل إلى خرف، أفلا يعقلون أن من قدر على ذلك، قدر على ما تقدم من الطمس والمسخ والبعث، فيؤمنوا؟

٦٩- وما علمنا رسولنا محمداً الشعر، وما يصح له أن يكون شاعراً، ما هذا القرآن إلا عظة وتذكير، وكتاب واضح مظهر للأحكام والشرائع وغيرها من الله رب العالمين، وليس شعراً كما تفترون.

٧٠- ليخوف بالقرآن من كان عاقلاً يفظ الفهم، يدرك ما يخاطب به، ويجب العذاب ويثبت على من اختار الكفر، وهم كالمرتضى لا يعقلون ما يخاطبون به.

٧١- أو لم يعلم المشركون- والاستفهام تقريرى- أنا خلقنا لأجلهم أنعاماً (وهي الإبل والبقر والغنم) فهم لها مملكون ضابطون يتصرفون بها كيف شاؤوا؟!

٧٢- وجعلناها مذللة متفاداة غير متوحشة ولا ممتنة مما يريدون منها حتى الذبح، فمنها مركوبهم ومنها يأكلون من لحومها.

٧٣- ولهم في هذه الأنعام منافع كأصوافها وأوبارها وأشعارها والحمل عليها وغير ذلك، ومشارب من ألبانها، أفلا يشكرون الله على ما أنعم به من نعمها، فيؤمنوا؟!

٧٤- واتخذوا من غير الله آلهة من الأصنام ونحوها يعبدونها، رجاء أن ينصروهم ويمنعوا عنهم العذاب.

٧٥- ولا تستطيع آلهتهم مناصرهم في شيء ما، والحال أن المشركين هم الجنود المدافعون عن أصنامهم، بإعداد أنفسهم للاتصار لهم، وتحضرهم الشياطين للدفاع عنهم، أما الأصنام فلا تفيدهم شيئاً.

٧٦- فلا يوقعك في الحزن والهم قولهم: إنهم آلهتنا، وإنهم شركاء لله في العبادة، إننا نعلم سرهم وما في ضمائرهم، وعلنهم وما يقولون بالستهم، ونجازيهم على ذلك.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ فَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُنْحَضُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَخْرُجُ قَوْمُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُبْسِرُونَ ﴿٧٦﴾ وَأَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْقَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ مُجِي الْعِظَمِ وَهِيَ رَيْسٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الشَّجَرَةَ الْأَخْضَرَ نَارًا فَإِذَا أَنَّهُ مِنْهُ لَوْدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾



٧٧- أو لم يعلم أي إنسان وبخاصة منكر البعث أننا خلقناه من ذرة من ذرات المني مادة الحياة، فإذا هو شديد الخصومة لنا، يجادل بالباطل وينكر البعث بنحو واضح. قال ابن عباس: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل، ففتنه، فقال: يا محمد، أيبعث هذا بعدما أرم؟ قال: نعم، يبعث الله هذا، ثم يميتك، ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم، فنزلت الآيات.

٧٨- وضرب لنا مثلاً بغيراد شيء غريب يعد كالمثل، وهو إنكاره إحياءنا العظام النخرة، ونسي خلقنا إياه من أضعف الأشياء، فقال: من الذي يحيي العظام البالية؟

٧٩- قل له أيها الرسول: يحييها الذي خلقها في المرة الأولى من غير شيء، وهو عليم بكل مخلوق، لا يخفى عليه شيء.

٨٠- ومن أدلة قدرته تعالى: أنه أوجد ناراً من الشجر الأخضر وهو المَرْخ والعَفَار، بأن يضرب منهما عودان على بعضهما، فتندح منهما النار، وهما أخضران، فإذا أنتم توقدون النار من ذلك الشجر الأخضر.

٨١- أو ليس الذي خلق السموات والأرض، وهما في غاية العظم، بقادر على إعادة خلق البشر الذي هو صغير ضعيف، بل هو قادر على ذلك، وهو الكثير الخلق، الواسع العلم بكل شيء.

٨٢- إنما أمر الله إذا أراد إيجاد شيء أن يقول له: كن فيكون موجوداً كائنًا، أي إذا قضى أمره أن نفذه بسرعة فائقة.

٨٣- فتزده الله عما لا يليق به، وعما ضربه له من المثل، الذي بيده ملك كل شيء ملكاً تاماً، عظيماً، وإليه تعودون في الآخرة.

سورة الصافات

فضلها : أخرج النسائي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : «كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالتخفيف ، ويؤمنا بالصافات» .

١ ، ٢ - أقسم بالملائكة التي تصف في السماء صفوفاً للعبادة وانتظار أوامرها ، فالملائكة التي تزجر السحاب ، أي تسوقه .

٣ ، ٤ - فالملائكة التي تتلو القرآن وغيره وتبلغه الرسل ، إن إلهم واحد لا شريك له .

٥ - خالق السموات والأرض ومالكهما ومدبرهما ، ورب مشارق النجوم ، أي ومغار بها .

٦ - إننا زينا السماء الدنيا أي القربى من الأرض بزيئة بديعة هي الكواكب أو النجوم المضيئة .

٧ - وحفظناها حفظاً من كل شيطان عات متمرّد خارج عن الطاعة ، بقذفه بالشهب .

٨ - لا يسمعون خلصة إلى الملا الأعلى : وهم كبار الملائكة في السماء ، ويُرجمون بالشهب المحرقة من كل ناحية في السماء إذا حاولوا استراق السمع .

٩ - يطردون طرداً وإبعاداً قوياً ، ولهم في الآخرة عذاب دائم لا يقطع ، أو شديد مؤلم .

١٠ - إلا من اختطف من الشياطين خلطة أثناء تفاوض الملائكة ، أي استرق السمع خلصة ، فأتبعه نجم مضئ فيحرقه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ١ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ٢ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ٣ إِنَّ إِلَهُكُمْ لَعِنْدَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ٤ إِنَّا نَزَّلْنَا السَّمَاءَ الذُّبَابَ رِيحَ الْكَوَاكِبِ ٥ وَحِطَّائِنِ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ٦ لَاسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيَقْدِفُونَ فِي الْجَانِبِ ٧ دُحُورًا وَمِنْ عَذَابٍ رَاصِبٍ ٨ إِنْ مِنْ خَلْقٍ خَطَفَهُ فَأَتْبَعُ شُبَّانُ تَائِبٍ ٩ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْ أَسَدٌ خَلَقْنَا مِنْ عَلَقَانَا ١٠ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ١١ لَنْ نَجْعَلَ لِمَنْ يَشْكُرُنَّ ١٢ وَنَجْعَلَ لِمَنْ لَا يَشْكُرُنَّ ١٣ وَإِنَّا رَأَوْنَا إِلَهُكَ تَسْتَفْتُونَ ١٤ وَقَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ١٥ أَوَدَامِنَا وَكَانَ رَأْيُكُمْ أَنَّا نَأْتِيكُمْ بِالْبَاطِلِ ١٦ وَأَوَدَامِنَا الْأَوَّلُونَ ١٧ قُلْ تَرَوْهُ وَرَأَيْتُمْ دَخِرُونَ ١٨ فَاِصْغَاهِي نَجْرَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ نَظُرُونَ ١٩ وَقَالُوا لَوْلَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ ٢٠ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ٢١ أَخْشَرُوا ٢٢ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ٢٣ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ٢٤ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ٢٥



١١ - فاسأل أيها النبي المشركين منكري البعث : أهم أقوى أجساماً وأحكم خلْقاً ، أم من خلقنا من الملائكة وأهل السماء والأرض ، إنا خلقنا أباهم آدم من طين لزج يلصق باليد ، والسؤال للتقرير أو للتوبيخ ، والأول أولى في مجال الدعوة إلى الله .

١٢ - بل عجبت أيها النبي من تكذيبهم إياك وإنكارهم البعث وقدره الله تعالى ، وهم يستهزئون من دعوتك . و ﴿بل﴾ للانتقال من غرض إلى آخر ، والمراد : لا تسألهم أيها النبي فإنهم معاندون ، وانظر الفرق بينك وبينهم .

١٣ - وإذا وعظوا بموعظة قرآنية لا يتعظون بها ولا يتفكرون .

١٤ - وإذا رأوا معجزة دالة على صدق رسول الله ﷺ يبالغون في السخرية والهزاء .

١٥ - وقالوا : ما هذا الذي تأتينا به وهو القرآن إلا سحر ظاهر واضح .

١٦ - أفئذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً بالية ، أنبعث أحياء مرة أخرى ؟ !

١٧ ، ١٨ - أو يُبعث أيضاً معنا آبائنا الأقدمون ؟ ! قل أيها الرسول لهم : نعم تبعثون جميعاً ، وأنتم صاغرون ذليلون .

١٩ - فإنما البعث صيحة واحدة هي النفخة الثانية لإسراfil في الصور ، فإذا هم يبصرون الساعة والعذاب .

٢٠ - وقال المشركون المكذبون بالبعث حيثئذ : يا هلاكنا ، هذا يوم الدين : الحساب والجزاء الذي يجازى فيه بأعمالنا .

٢١ - قالت الملائكة : هذا يوم الحكم والقضاء بين الخلائق وتمييز المحسن من المسيء ، الذي كنتم تكذبون به في الدنيا .

٢٢ - ويقال للملائكة : اجمعوا الذين ظلموا أنفسهم بالشرك وهم المشركون وأمثالهم وقرناء السوء وأتباعهم في الكفر والتكذيب ، وما كانوا يعبدونه من الأصنام والأوثان والشياطين زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم .

٢٣ - ما كانوا يعبدون من غير الله ، فدلّوهم وعرفوهم إلى طريق النار وسوقوهم إليها .

٢٤ - واجسؤهم في الموقف حتى يُسألوا عن معاصيهم وأثامهم .

٢٥- ما لكم لا ينصر بعضكم بعضاً بالتخليص من العذاب، كما كنتم في الدنيا؟

٢٦- بل هم اليوم مفادون لأمر الله .

٢٧- وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ويتخاصمون، ويسأل بعضهم بعضاً للتوبيخ والتقريع .

٢٨- قال الأتباع للقادة: إنكم كنتم تأتوننا عن أقوى الوجوه، فحملتمونا على الكفر، وإنكم أنتم أضللتمونا .

٢٩- قال القادة المتبوعون لهم: بل إنكم كنتم في الأصل غير مؤمنين، فكيف تدعون أننا أضللناكم؟

٣٠- ولم يكن لنا عليكم تسلط وقهر، بل كنتم قوماً مختارين الكفر، متجاوزين الحد في الطغيان .

٣١- فوجب علينا جميعاً حكم ربنا بالعذاب، وهو ﴿لأسفل جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [السجدة ٣٢/ ١٣] إننا لذائقو العذاب جميعاً بسبب كفرنا وعصياننا .

٣٢- فدعوناكم إلى الضلال فأجبتم، إننا كنا جميعاً ضالين، وهو إقرار بتسببهم في الإغواء .

٣٣- فإن الفريقين التابعين والمتبوعين يوم القيامة مشتركون في العذاب، كاشتراكهم في الضلال . وهذا من قول الله تعالى .

٣٤، ٣٥- مثل ذلك الفعل ففعل بالمشاركين الذين اختاروا الكفر غير هؤلاء . إنهم كانوا إذا قيل لهم قولوا: لا إله إلا الله، يتكبرون عن قولها .

مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُتَسَلِّطُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سَاءَ لَوْنٌ ﴿٢٧﴾ فَأَلْوَا إِلَيْكُمْ كَيْتُمُ النَّاسُ مِنَ الْإِيمَانِ ﴿٢٨﴾ فَأَلْوَا أَيْلُوكُمْ كَوْنُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِمَا كُنْتُمْ قَوْمًا طَغَيْنَ ﴿٣٠﴾ فَخَوَّعْنَا قَوْلَ رَبِّنَا إِنَّا لَأَنذِرُونُ ﴿٣١﴾ فَأَعْرَضْتُمْ إِنَّا كَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنْ أَكْذَبْكَ فَقُلِ بِالْجَحِيمِ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا نَرَأَى الْقُرْآنَ إِلَّا هِنَاءً لِّشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصْدَقَ الرَّسُولُ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْكُلُونَ لَذَائِقُ الْعَذَابِ الْأَلْوِي ﴿٣٨﴾ وَمَا تَخْرُجُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ الْإِعْبَادَ لِلَّهِ الْخَاصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ قَوْلُهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّةٍ الْغَيْرِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ كَأْسٌ مِنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بِيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَدَيْهَا عُورٌ وَلَآهِنَّ عَصَائِرُ الْغُرُورِ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قُصُورٌ لِّظَرْفِ عَيْنٍ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُمْ بِيضٌ مَكُونٌ ﴿٤٩﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾

٣٦- ويقول المشركون الوثنيون: كيف ترك عبادة آلهتنا لقول شاعر مجنون؟ يريدون بذلك النبي ﷺ أحزاهم الله تعالى .

٣٧- بل جاء هذا النبي بالحق الثابت بالبرهان وهو القرآن والتوحيد، وأيد الأنبياء، ولم يخالفهم في شيء من الأصول .

٣٨- إنكم لذائقو العذاب المؤلم جداً في الآخرة على الكفر وتكذيب الرسل .

٣٩- وما تحزبون في الآخرة إلا جزاء العمل الحادث منكم في الدنيا من المعاصي والذنوب .

٤٠- لكن عباد الله المخلصون الذين أخلصوا العبادة لله تعالى .

٤١- أولئك لهم في الجنة رزق معروف الخصائص من الدوام والانتظام والمتعة النافعة مطلقاً .

٤٢- ذلكم الرزق فواكه متنوعة، وهم مكرمون إكراماً عظيماً عند الله يرفع درجاتهم .

٤٣، ٤٤- ويقعدون على أسرة يتكئون عليها، ينظر بعضهم إلى وجوه بعض، مسرورين .

٤٥- يطاف عليهم بكأس من خمر جارية على وجه الأرض كالعيون والأنهار، والمراد: شرب الخمر .

٤٦- تلك الخمر أشد بياضاً من اللبن، ولذيلة جداً لمن شربها، بخلاف خمر الدنيا، فإنها كريهة عند الشرب . و ﴿لذة﴾ مصدر يراد بها اللذيلة، حتى كأنها اللذة نفسها .

٤٧- ليس في هذه الخمر مادة كحولية مسكرة تذهب بالعقول، ولا يسكرون منها .

٤٨- وعندهم في الجنة نساء مملوءات بالحياة قصرن طرفهن على أزواجهن لا ينتظرن لغيرهم، حسان الأعين، كبارها .

٤٩- كأنهن في صفاء اللون بيض النعام المستور بالريش من الريح والغبار، الصبور المحفوظ عن لس الأيدي .

٥٠- فأقبل بعض أهل الجنة يسأل عن أحوال بعض الناس التي كانوا عليها في الدنيا .

٥١- قال قائل من أهل الجنة: كان لي رفيق في الدنيا .

يَقُولُ أَتَيْتُكَ بِلِنِّ الْمَصْدِرِينَ ﴿٥٢﴾ أَمْ دَأَيْنَاكَ تِرَابًا وَعِظْمًا أَمْ نَسَا
لْمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أُنَمِّطُ لَكُمْ أَنْتُمْ مَطْلُوعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأُطْلِعْ فَرَّاهُ فِي سَوَاءٍ
الْحَجِيرِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأَتْرَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي
لَكُنْتُ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَأَنْتُمْ نَبِيَّتَيْنِ ﴿٥٨﴾ إِلَّا أَمُومَتَنَا
الْأُولَى وَمَنْحَرِ مَعْدَيْنِ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَمَوْءُودُ الْعَظِيمِ ﴿٦٠﴾
لَمِثْلُ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ أَمْ شَجَرَةٌ
الزَّقُومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ
تَخْرُجُ فِي أَصْلِ النَّجْمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾
فَأَنَّهُ لَا كُفُوفٌ مِنْهَا فَاكُونَ مِنْهَا الطُّوفُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّمَا
عَلِمَهَا لُتُورًا بَيْنَ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّمَا رَمَّجَهُمْ لِأَنْتِ الْجَبِيمِ ﴿٦٨﴾
إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَى آثَرِهِمْ يَعْرُونَ ﴿٧٠﴾
وَلَقَدْ ضَلَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ أَسْكَرُ الْأُولِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ
مُنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَذَكِّرِينَ ﴿٧٣﴾
إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْنِعْمَ
الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

٥٢ - ذلك القرين كافر بالبعث منكرو له يقول ساحراً:
أتيتك لمن المصدقين يوم القيامة؟
٥٣ - أفلما متنا وصرنا تراباً وعظاماً بالية، أفنا لمجزيون
بأعمالنا، محاسبون عليها؟
٥٤ - قال المؤمن لأهل الجنة: هل أنتم مطلعون معي إلى
النار لتنظر حال ذلك القرين قاتل المقالة؟
٥٥ - فاطلع ذلك المؤمن على النار، فرأى قرينه في وسط
الجحيم (النار).
٥٦ - قال المؤمن موبخاً لقرينه لما رآه: والله لقد قاربت أن
تهلكني بأغواك وتوقعني في النار.
٥٧ - ولولا رحمة ربي وإنعامه علي بالإيمان والهداية إلى
الصواب، لكنت من للحضرين معك في النار، الذين
تحضرهم ملائكة العذاب.
٥٨ - أنحن مخلدون ممنوعون غير ميتين؟
٥٩ - إلا الموتة الأولى التي كانت في الدنيا، وما نحن
بمعدين في الآخرة؟ هذا استفهام تلذذ وتحدث بنعمة الله
تعالى.
٦٠ - إن ما يحصل عليه أهل الجنة من النعيم والخلود
والأمن من العذاب، لهم الفوز النهائي الذي لا يقدر قدره،
ولا يحاط بوصفه.
٦١ - لمثل هذا الهدف العظيم الأمل فليعمل العاملون، لا
العمل للدنيا الفانية.
٦٢ - أذلك المذكور لأهل الجنة خير كرامة وضيافة أم
الشجرة المعدة لأهل النار ذات الثمر المر الكريه الرائحة الذي

هو مؤثر لهم وضيافتهم؟ ومثلها بنيت في أرض تهامة العربية.

٦٣ - إنا جعلنا تلك الشجرة بإبانتها في قعر جهنم موضع مجنة للكافرين، بإرغامهم على أكلها في الآخرة، ومحل إنكار في
الدنيا حيث قالوا: كيف يكون في النار شجر؟ أيضاً عذابهم بسبب هذا الإنكار، علماً بأن هناك أشياء غير قابلة للاحتراق،
وأن من قدر على خلق ما يعيش في النار من الناس الملعدين، فهو قادر على خلق الشجر في النار.

٦٤ - إنها شجرة تنبت في قعر أو قاع جهنم، وأغصانها ترتفع إلى دركاتنا.

٦٥ - ثمرها الذي يشبه طلع النخل كأنه في قبحه وبشاعته رؤوس الشياطين، وهذا على عادة العرب في تشبيه كل قبيح
الصورة بالشيطان، وكل حسن الصورة بالملائكة. والطلع: أول ما يظهر من ثمر النخل.

٦٦ - فإن الكفار لا يكونون من تلك الشجرة مع قبحها لشدة جوعهم، فمائلون منها بطونهم بالإكراه.

٦٧ - ثم إن لهم بعد الأكل من الشجرة خلطاً مشوباً به الطعام وهو الماء الشديد الحرارة الذي يخلط بالفساق (البارد المتن) في
آية: ﴿وَلَا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ (النبا ٧٨/٢٥).

٦٨، ٦٩ - ثم إن مصيرهم بعد الأكل وشرب الحميم إلى دركات النار. إنهم وجدوا آباءهم ضالين، فاقتدوا بهم.

٧٠ - فهم في طريقهم يتبعونهم، بسرعة شديدة، كأنهم يزعمون إلى اتباعهم.

٧١ - ولقد ضل قبل قومك أكثر الأمم الماضية.

٧٢ - ولقد أرسلنا في الأولين رسلاً ينذرونهم العذاب إذا بقوا كفاراً.

٧٣ - فانظر كيف كان مصير الكافرين المنذرين، أهلكناهم أجمعين، وصاروا إلى النار.

٧٤ - إلا الذين أخلصهم الله للعبادة والطاعة.

٧٥ - ولقد دعانا نوح حين آيس من قومه، واستغاث بنا، فأجبنا دعاءه، وأهلكنا قومه بالطوفان.

٧٦ - ونجيناه وأهله المؤمنين، وكانوا ثمانين، من الغرق، والكر: الغم الشديد.

٧٧- وأيقنا ذرية نوح متناسلين إلى يوم القيامة، من أولاده الثلاثة: سام وحام ويافث، والمعنى: أن المؤمنين الذين ركبوا مع نوح في السفينة ماتوا وانقرض نسلهم.

٧٨- وتركنا على نوح عليه السلام ثناء حسناً بين الأنبياء والأمم الآتية بعده إلى يوم القيامة.

٧٩- يُسلمون عليه تسليماً، أي يثنون عليه ثناء حسناً ويدعون له من العوالم المختلفة.

٨٠- مثل ذلك الجزاء الحسن الذي جازيناه، نجزي المحسنين.

٨١- لأنه من عبادنا المؤمنين المخلصين.

٨٢- ثم أغرقنا كفار قومه الآخرين ودمرناهم.

٨٣- وإن ممن تابعه على منهجه وأصل الدين والإيمان والتوحيد: إبراهيم الخليل عليه السلام.

٨٤- اذكر أيها النبي حين أقبل إبراهيم على ربه بالعبادة والطاعة بقلب مخلص سليم من الشرك.

٨٥- حين قال لأبيه وقومه موبخاً بسبب عبادتهم الأصنام: ما الذي تعبدون؟

٨٦- أتريدون إفكاً: وهو أسوأ الكذب، والهمزة للاستفهام التوبيخي، أي أتريدون آلهة من دون الله لأجل الإفك؟ والمعنى: هل يصح لكم اتخاذ آلهة غير الله، لا لسبب إلا للكذب؟

٨٧- فما ظنكم برب العالمين إذا لقيتموه، وقدمتكم غيره، وما تظنون أنه صانع بكم؟

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَرَكَعًا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَّاكَ تَجْمِراً الْحَسِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ

مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْعَةٍ لَّيَبْرِهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ

لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تُعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفْعَبَاكُمْ إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ يَرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَاظْنُكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَظَرَّ نَظْرَهُ فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾

فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَّغَ إِلَى اللَّهِ إِلَهُهُمْ ﴿٩١﴾ فَقَالَ إِنَّا نَكُونُ مَالِكًا لِّمَا تُطِيعُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَّغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا يَأْتِينَ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ تَعْبُدُونَ مَا تَحْمِلُونَ

﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ فَأَلَّوْا أَيْدِيَهُمْ وَأَنفُسَهُمْ فِي تَجْمِيرٍ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَمَّيْدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِحِلْمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ

يَبْنِي لَكَ إِنشَاءً فِي الْمَنَامِ إِنِّي أَذْهَبُ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ كَيْتَابٌ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَجَدْنَا لِلَّهِ إِذْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٠٢﴾

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَمَّيْدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِحِلْمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ

يَبْنِي لَكَ إِنشَاءً فِي الْمَنَامِ إِنِّي أَذْهَبُ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ كَيْتَابٌ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَجَدْنَا لِلَّهِ إِذْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٠٢﴾

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَمَّيْدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِحِلْمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ

يَبْنِي لَكَ إِنشَاءً فِي الْمَنَامِ إِنِّي أَذْهَبُ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ كَيْتَابٌ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَجَدْنَا لِلَّهِ إِذْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٠٢﴾

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَمَّيْدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِحِلْمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ

يَبْنِي لَكَ إِنشَاءً فِي الْمَنَامِ إِنِّي أَذْهَبُ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ كَيْتَابٌ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَجَدْنَا لِلَّهِ إِذْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٠٢﴾

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَمَّيْدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِحِلْمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ

يَبْنِي لَكَ إِنشَاءً فِي الْمَنَامِ إِنِّي أَذْهَبُ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ كَيْتَابٌ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَجَدْنَا لِلَّهِ إِذْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٠٢﴾

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَمَّيْدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِحِلْمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ

يَبْنِي لَكَ إِنشَاءً فِي الْمَنَامِ إِنِّي أَذْهَبُ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ كَيْتَابٌ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَجَدْنَا لِلَّهِ إِذْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٠٢﴾

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَمَّيْدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِحِلْمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ

يَبْنِي لَكَ إِنشَاءً فِي الْمَنَامِ إِنِّي أَذْهَبُ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ كَيْتَابٌ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَجَدْنَا لِلَّهِ إِذْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٠٢﴾

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَمَّيْدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِحِلْمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ

يَبْنِي لَكَ إِنشَاءً فِي الْمَنَامِ إِنِّي أَذْهَبُ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ كَيْتَابٌ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَجَدْنَا لِلَّهِ إِذْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٠٢﴾

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَمَّيْدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِحِلْمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ

يَبْنِي لَكَ إِنشَاءً فِي الْمَنَامِ إِنِّي أَذْهَبُ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ كَيْتَابٌ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَجَدْنَا لِلَّهِ إِذْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٠٢﴾



فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَلَهُ لُجَبَيْنِ ﴿١٠٣﴾ وَلَدَيْنَهُ أَنْ يَبْتَازَ بَعْضُهُمْ ﴿١٠٤﴾ فَدَّ
صَدَقَتْ لَوْ أَنَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَانُوا كَذَلِكَ لَخَرَجُوا مَخْرَجَيْنِ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ
الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَهُ بِذَنبِ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي
الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾
إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِمَّنْ
الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمَنْ ذُرِّيَّتُهُمَا مُحْسِنٌ
وَطَائِلُ لَوْ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ
﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾
وَنَصَّرْنَاهُمَا فَاكْتَوَاهُمَا الْقُلُوبَيْنِ ﴿١١٦﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٧﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٨﴾ سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١١٩﴾
إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنْ إِلَاسَ مِنْ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٢﴾ إِذْ قَالَ
لِقَوْمِهِ الْآتِفُونَ ﴿١٢٣﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَلَدُّوْنَ أَحْسَنَ
الْخَالِقِينَ ﴿١٢٤﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٥﴾

١٠٣- فلما استسلم الأب والابن وانقادا لأمر الله
وطاعته، وأضعجه أو طرحه على جانبه أو شقه، حتى صار
أحد جبينيه على الأرض، مؤثراً ألا يرى وجهه حتى لا تأخذه
الشفقة عليه، وذلك في المنحرب من عند الجمار.
١٠٤- ونادينا من جهة الجبل يا إبراهيم، ﴿وَأَن﴾
تفسيرية، تدل على أن ما بعدها تفسير.
١٠٥- قد حَقَّقَتْ ما طلب منك في الرؤيا بالعزم القوي
على التنفيذ، وجعله مصداقاً بمجرد العزم، وإن لم يذبحه،
إنا كما جزيناك تجزي المحسنين لأنفسهم بامتثال الأمر،
والتخلص من الشدائد.
١٠٦- إن هذا الذبح المأمور به لهو الامتحان الظاهر الذي
يُجْعَل فيه إبراهيم، والذي يتميز فيه المخلص من غيره.
١٠٧- وقدينا بحيوان يصير مذبحاً فيما بعد، عظيم
الجثة، سمين. والذبح بوزن الحبل أي المحمول.
١٠٨- وأبقينا على إبراهيم ثناء حسناً في الأجيال
اللاحقة.
١٠٩- سلام منا على إبراهيم، وثناء حسن جميل من
الناس عليه.
١١٠- كما جزينا بهذا الجزاء تجزي المحسنين لأنفسهم
بطاعة الله تعالى.
١١١- لأنه من عبادنا المخلصين.
١١٢- وبشرنا إبراهيم بشارة بولد آخر هو إسحاق يكون

نبياً، مقدراً كونه من الصالحين. وهذا دليل على أن الذبح هو الابن البكر الوحيد وهو إسما عيل.
١١٣- وباركنا على إبراهيم وعلى إسحاق بإرداف النعم، وجعل أكثر الأنبياء من نسله، مثل أيوب وشعيب عليهما السلام،
وكان من ذريتهما مؤمن وكافر عاصر، ظالم لنفسه، ظاهر الظلم، وبين الكفر. وهذا دليل على أن النسب لا أثر له في الهدى
والضلال.

١١٤- ولقد أنعمنا بالنبوة على موسى وهارون، وبغيرها من المنافع الدينية والدنيوية.
١١٥- ونجيناها مع قومهما من الفرق وتغلب فرعون واستعباده بني إسرائيل، وهو غم شديد.
١١٦- ونصرنا موسى وهارون وقومهما على القبط، فكانوا هم المتغلبة على فرعون وقومه.
١١٧- وآتيناهما الكتاب البين الظاهر وهو التوراة.
١١٨- وأرشدناهما إلى الطريق القويم المتميز بأنه حق وصواب، وهو الإسلام وشرع الله تعالى.
١١٩، ١٢٠- وتركنا على موسى وهارون ثناء حسناً في الأمم المتلاحقة. سلام منا على موسى وهارون، ومن المؤمنين.
١٢١، ١٢٢- مثل ذلك الجزاء الحسن تجزي المحسنين المطيعين لله تعالى. إنهما من عبادنا المؤمنين المخلصين.
١٢٣- وإن إلياس أحد أنبياء بني إسرائيل من نسل هارون عليهما السلام، من الرسل الكرام المرسلين إلى قومهم.
١٢٤- حين قال لقومه: ألا تتقون الله، فتعبدونه دون غيره، وتركوا الشرك والعصيان؟
١٢٥- أتعبدون بَعْلًا، وهو بلفة اليمن الرب، وهو اسم صنم من ذهب؟ أي أتعبدون رباً من الأرباب الباطلة، وتركوا عبادة
أحسن الخالقين المصورين؟
١٢٦- وهو الله الإله الحق الذي رباكم بنعمه، وأوجدكم أنتم وأجدادكم الأقدمين.

١٢٧- فَكَذَّبُوا بِآيَاتِهِمْ لِحَضْرَتِهِمْ فِي الْعَذَابِ .
١٢٨- إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمْ لِلطَّاعَةِ ، فَهُمْ نَاجُونَ مِنَ الْعَذَابِ .

١٢٩- وَأَقْبَيْنَا عَلَى الْيَاسِ ثَنَاءً حَسَنًا فِي الْأَمِّ .
١٣٠- سَلَامٌ مِنَّا عَلَى الْيَاسِ وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ . وَإِلَ يَاسِينَ : الْمُرَادُ بِهِ الْيَاسِ ، أَصِيفَتْ إِلَيْهِ يَاءٌ وَنُونٌ ؛ لِأَنَّهُ أَعْجَمِي ، مِثْلُ طُورِ سَيْنَاءَ ، وَطُورِ سَيْنِينَ .

١٣١ ، ١٣٢- مِثْلُ ذَلِكَ الْجِزَاءُ الْحَسَنُ يَجْزِي كُلَّ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلُهُ لِلَّهِ تَعَالَى . لِأَنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ .

١٣٣- وَإِنْ لَوْطَا بْنُ هَارَانَ أَخِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنْ فَتْنَةِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلِينَ إِلَى أَهْلِ سُدُومَ الَّذِينَ يَتَعَاطَوْنَ التُّكْرَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالْفَوَاحِشَ .

١٣٤- حِينَ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِرِسَالَتِهِ أَجْمَعِينَ مِنَ الدَّمَارِ وَالْهَلَاكِ .

١٣٥ ، ١٣٦- إِلَّا عَجُوزًا هِيَ زَوْجَةُ لُوطَ كَانَتْ مَعَ الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ . ثُمَّ أَهْلَكْنَا بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ كَقَارِ الْقَوْمِ الْأَخْرَيْنَ .

١٣٧- وَإِنَّكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ أَهْلَ مَكَّةَ لَتَمُرُّوْنَ عَلَى مَنَازِلِهِمْ وَأَتَارِهِمْ فِي أَسْفَارِكُمْ وَمَتَاجِرِكُمْ إِلَى الشَّامِ ، فِي وَقْتِ الصَّبَاحِ أَوَّلِ النَّهَارِ .

١٣٨- وَتَمُرُّوْنَ عَلَيْهِمْ أَيْضًا فِي اللَّيْلِ ، أَيَّ فِي الْمَسَاءِ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ مَا حَلَّ بِهِمْ ، فَتَخَافُوا وَتَتَعَطَّوْا ؟ !

١٣٩- وَإِنْ يُوسُفُ بْنُ مَتَّى ، مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَهُوَ ذُو النَّوْنِ ، مِنْ فَتْنَةِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلِينَ إِلَى قَوْمِهِ : أَهْلِ نَيْنَوَى ، يَدْعُوهُمْ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ ، وَتَرَكَ الْوُثْنِيَّةَ .

١٤٠- حِينَ هَرَبَ مِنْ قَوْمِهِ بِغَيْرِ إِذْنٍ ربه غَاضِبًا مِنْ قَوْمِهِ ، مُلْتَجئًا إِلَى السَّفِينَةِ الْمَمْلُوءَةِ رِكَابًا وَامْتِعَةً .

١٤١- فَاقْتَرَعَ يُوسُفُ مَعَ أَهْلِ السَّفِينَةِ حِينَمَا أَشْرَفَتْ عَلَى الْفُرْقِ ، لِيَلْقُوا بَعْضُهُمْ فِي الْبَحْرِ ، خَوْفًا مِنَ الْفُرْقِ ، فَكَانَ مِنَ الْمَغْلُوبِينَ فِي الْفُرْقَةِ ، فَالْقَى فِي الْبَحْرِ .

١٤٢- فَابْتَلَعَهُ الْحَوْتُ ، وَهُوَ أَتَى بِمَا يَلَامُ عَلَيْهِ مِنْ ذَهَابِهِ إِلَى الْبَحْرِ .

١٤٣- فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا بِالتَّسْبِيحِ مَدَّةَ عَمَرِهِ ، وَفِي بَطْنِ الْحَوْتِ .

١٤٤- لَمَكَّتْ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ مَقْبُورًا فِيهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

١٤٥- فَالْقَيْنَاهُ مِنْ بَطْنِ الْحَوْتِ فِي الْمَكَانِ الْبَرِّي الْخَالِي مِنَ الشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ عَلَى السَّاحِلِ ، وَهُوَ ضَعِيفُ الْبَدَنِ ، عَلِيلٌ عَمَّا نَالَهُ .

١٤٦- وَأَنْبَتْنَا فَوْقَهُ شَجَرَةً تَقْلُظُهُ ، هِيَ شَجَرَةُ الذُّبَابِ ، أَيُّ الْقَرْعِ ، حَتَّى أَشْتَدَّ وَصْلَبَ .

١٤٧- وَأَرْسَلْنَاهُ بَعْدَ مَعَاذَتِهِ إِلَى أَهْلِ نَيْنَوَى مِنْ أَرْضِ الْمَوْصِلِ ، إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ ، بَلْ هُمْ أَكْثَرُ ، فَكَانَ رَسُولًا قَبْلَ ذَهَابِهِ إِلَى الْبَحْرِ وَبَعْدَهُ .

١٤٨- فَأَمَّنُوا بِاللَّهِ إِلَهًا وَاحِدًا ، وَأَجَابُوا دَعْوَتَهُ ، فَجَعَلْنَاهُمْ يَتَمَتَّعُونَ بِالنَّعْمِ الدُّنْيَوِيَّةِ إِلَى وَقْتِ انْقِضَاءِ أَجَالِهِمْ .

١٤٩- فَاسْأَلَهُمْ أَوْ اسْتَخْبِرْهُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّ : أَلَرَّبُّكَ الْبَنَاتُ أَمْ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ ، وَهُمْ أَذْنَى الْجَنْسَيْنِ ، وَلَهُمُ الْبَنُونَ أَمْ أَعْلَى الْجَنْسَيْنِ وَأَرْفَعُهُمَا ؟ !

١٥٠- بَلْ ، كَيْفَ جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ إِنثَاءً ، وَهُمْ لَمْ يَحْضُرُوا عِنْدَ خَلْقِنَا لَهُمْ ؟ شَاهِدُونَ : حَاضِرُونَ ، أَيُّ مِثْلِ ذَلِكَ لَا يَعْلَمُ إِلَّا بِالْمُشَاهَدَةِ .

١٥١- أَلَا : لَتَنْبِيهِ السَّمَاعِ لِمَا يَأْتِي بَعْدَهُذْ لِأَهْمِيَّةِ ، إِنَّهُمْ مِنْ كَذِبِهِمْ لَيَقُولُونَ :

١٥٢- وَكَذَلِكَ اللَّهُ . حِينَ زَعَمُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ . وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فِي قَوْلِهِمْ .

١٥٣- هَلْ اخْتَارَ الْبَنَاتُ وَفَضَّلَهُنَّ عَلَى الْبَنِينَ ، مَعَ أَنَّ الْبَنِينَ عَرَفُوا أَفْضَلَ الْجَنْسَيْنِ ، وَالْأَصْلُ : أَصْطَفَى ؟ !

١٥٤ ، ١٥٥- مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ هَذَا الْحُكْمَ الْبَاطِلَ ؟ ! أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ فَتَعْرِفُوا بِلَطَانِ قَوْلِكُمْ ؟ !

١٥٦ ، ١٥٧- أَمْ لَكُمْ حِجَّةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى مَا تَقُولُونَ . فَأَنَّا بِالْكِتَابِ الَّذِي يُؤَيِّدُ قَوْلَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيهِ .



١٥٨- وجعل المشركون بين الله وبين الملائكة مصاهرة وصلة، فزعموا أن الملائكة بنات الله، وسموا بالجن لاجتماعهم، أي استتارهم عن الأعين، ولقد علمت الملائكة أن هؤلاء الكفار يحضرون عذاب النار، قال ابن عباس: أنزلت هذه الآيات في ثلاثة أحياء من قريش: سليم، وخزاعة، وجُهينة.

١٥٩- تنزه الله عما يصفه هؤلاء بأن الله ولدًا ونسبًا، أي عما يكذبون.

١٦٠- لكن عباد الله الذين اصطفاهم ربهم ينزهون الله تعالى عما يصفه هؤلاء.

١٦١- ١٦٣. فإنكم أيها المشركون وما تعبدون من الأصنام، ما أنتم بمضلين أحدًا، أو مفسدين أحدًا يا غواثكم، إلا من قدر الله وسبق في علمه أنه من أهل النار يصلها، وهم المنصورون على الكفر، ويصلى: يحترق بالنار. والمعنى: لن تستطيعوا أيها الكفار وشياطينكم أن تفسدوا على الله عباده الصالحين.

١٦٤- تقول الملائكة: ما منا معشر الملائكة أحد إلا له مقام معلوم في السموات لعبادة الله.

١٦٥، ١٦٦- وإنا نحن المصطفون صفوفًا في أداء الطاعة، ونحن المزهون الله عما لا يليق به. كان الناس يصلون متسدين، فأنزل الله: ﴿وإنا نحن الصافون﴾ فأمرهم النبي أن يصفوا.

١٦٧- وإن حال كفار قريش كانوا قبل البعثة النبوية إذا عجزوا بالجهل يقولون:

وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعِزَّةِ لَبًّا وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ لِحْمَتَهُ إِنَّهُمْ لَخُصْرُونَ
سُجِّلَ لَآلِهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٨﴾ الْإِعْبَادَ لِلَّهِ الْخَالِصِينَ
﴿١٥٩﴾ وَإِلَيْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦٠﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِمُتَّبِعِينَ ﴿١٦١﴾ إِلَّا مَن
هُوَ صَالٍ تَجِيْدٌ ﴿١٦٢﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٣﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ
الصَّافُّونَ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسْتَوُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ
﴿١٦٦﴾ لَوْ أَن عِدْنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٧﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْخَالِصِينَ
﴿١٦٨﴾ فَكُفِّرُوا بِنِعْمِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كُرْسِيْنَا
لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٠﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِن جُنْدَاهُمْ
لَآغْلَبُونَ ﴿١٧٢﴾ قَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٣﴾ وَأَبْصِرْ
يَبْصُرُونَ ﴿١٧٤﴾ أَفَعِدْنَا يَأْتِي سَجْدُونَ ﴿١٧٥﴾ فَإِن نَزَّلْنَا سَاحِقَتَهُمْ
فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٦﴾ وَقَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٧﴾ وَأَبْصِرْ
فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٧٨﴾ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٧٩﴾
وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٠﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨١﴾



١٦٨- لو أن لدينا كتابًا منزلاً من الله تعالى، مثل كتب السابقين، كالتوراة والإنجيل.
١٦٩- لكننا عباد الله الذين نخلص العبادة له، ولم نخالف شرع الله مثلهم.
١٧٠- فكفروا بالقرآن لما جاءهم، فسوف يعلمون عاقبة كفرهم.
١٧١- ولقد سبق ما وعدنا به عبادنا الأنبياء المرسلين وأتباعهم في اللوح المحفوظ من النصر والغلبة.
١٧٢، ١٧٣- إن رسلنا هم المنصورون على أعدائهم، وإن جندنا المؤمنين أتباع الرسل المخلصين هم غالبو الكفار في الدنيا بالحجة والنصرة عليهم، فإن لم ينتصروا في الدنيا انتصروا في الآخرة.
١٧٤- فأعرض عنهم واصبر إلى أن يحين موعد نصرتك عليهم وهو وقت إذنتا بقتالهم، وتلك مدة معلومة عند الله تعالى.

١٧٥- انظر إليهم حين يتعرضون للقتل والأسر، فسوف يرون عاقبة كفرهم ويعايتون ما يسوءهم.
١٧٦- أبستعجلون عذابنا بقولهم: متى هذا العذاب أي الأخروي؟ وهو تهديد لهم. قالوا: يا محمد، أرونا العذاب الذي نخوفنا به، فعجله لنا، فنزلت الآية.

١٧٧- فإذا وقع العذاب بفنائهم (المكان الواسع) وديارهم، فبئس صباحاً صباح المنذرين بالعذاب، وهم الكفار.
١٧٨، ١٧٩- وأعرض عنهم إلى وقت آخر، وارقب ما يحدث بهم، فسوف يرون عاقبة كفرهم، كرر ذلك للتأكيد والآية السابقة [١٧٤] إلى حين وقوع عذاب الدنيا، وهذه الآية إلى حين وقوع عذاب الآخرة.

١٨٠- تنزه الله صاحب العزة الحقيقية، وهي كونه صاحب العظمة والغلبة التي يغلب بها غيره، ولا يغلبه أحد، وغيرها عزة كاذبة، تنزيهاً له تعالى عما ينسبه إليه المشركون من الولد والشريك.

١٨١- وسلام من الله على الأنبياء المرسلين المبلغين عن الله التوحيد والشرائع.

١٨٢- والشكر على الله رب الخلاق جميعهم على نصر الرسل وهلاك الكفرة.

سورة ص

١- صاد، أحد الحروف الهجائية للتنبية والتحدي كما قيل في أمثاله السابقة، أقسم بالقرآن المشتمل على الذكر، أي الشرف الرفيع، لما فيه من تبيان كل شيء. والحلف بالقرآن تنويه برفعة قدره.

٢- بل: للانتقال من كلام إلى آخر، الكفار في عزة كاذبة، وهي الأنفة الجاهلية والشقاق: الخلاف والعداوة.

٣- كم أي كثيراً، أي قد أهلكنا قبل قومك كثيراً من الأمم الماضية، فاستغاثوا، وليس الوقت وقت خلاص وفرار ونجاة. وهذا وعيد على كفرهم بالقرآن تكبراً. و «لات» مركبة من «لا» النافية، بمعنى (ليس) ومن التاء التي تتصل بالحروف، مثل: ربة رجل، أي رب، وثمت أي ثم.

٤- وعجب مشركو مكة أن أتاهم رسول من جنسهم البشري والعربي، يحذرهم من عذاب الله بالنار إن بقوا على الكفر، وقال الكفار: هذا الرجل ساحر بيبانه، كذاب يزعمه أنه رسول الله.

٥- كيف صير الألهة إلهاً واحداً، إن هذا لعجيب جداً؟ وإنما تعجبوا؛ لأنه كان لكل قبيلة إله. فزلت حينما تعجبت قريش من دعوة محمد، وقالوا: إلهاً واحداً، إن هذا لشيء عجيب.

٦- وانطلق الأشراف منهم وهم كباراء قريش وقادتهم قاتلين لبعضهم: أمضوا على ما أنتم عليه، وانصرفوا عنه إلى آلهتكم، وأثبتوا على عبادتها، إن هذا الذي يريد محمد بنا وبآلهتنا، ودعوته إلى توحيد الإله، شيء مطلوب منا أن نكون أتباعه.

٧- ما سمعنا بهذا التوحيد في ملة النصارى القائلين: إن الله ثالث ثلاثة، ما هذا الذي يقوله محمد إلا كذب وإقرار.

٨- أنزل عليه القرآن من بين صفوفا، ونحن الرؤساء والأشراف والكبراء سنأ وشرقاء، ولكنهم في الواقع لا يشكون في صدق محمد، بل هم في شك من أن القرآن منزل من عند الله، بل لم يذوقوا عذابي بعد.

٩- أم عندهم مفاتيح نعم ربك، حتى يمنحوا النبوة لمن يشاؤون.

١٠- أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات ليعطوا ويمنعوا من يريدون، فليصعدوا إلى السماء، لأنزال الوحي على من يريدون.

١١- هؤلاء كفار مكة المقاومون للدعوة الإسلامية هم جند مهزوم قطعاً عن تحزبوا على الرسول من أحزاب إبليس.

١٢- كذبت قبلهم قوم نوح، وعاد قوم هود، وفرعون صاحب الأبنية للحكمة والملك الثابت.

١٣- وثمود قوم صالح، وقوم لوط، وأصحاب الغيضة الكثيفة الشجر، وهم قوم شعيب، أولئك الأحزاب الذين تحزبوا على رسولهم.

١٤- ما كل أحد من الأحزاب إلا وقع منه تكذيب الرسل، ومن كذب رسولاً فقد كذب جميع الرسل، فوجب عقابي عليهم بتكذيبهم، وإن تأخر.

١٥- وما ينتظر كفار مكة إلا نفخة واحدة يوم القيامة هي النفخة الثانية، تأتيهم بالعذاب، ليس لها تأخر، بمقدار من الزمن، وهو ما بين حلبي النافخة، أي إذا جاءت الصيحة لا تتوقف مقدار فواق النافخة.

١٦- وقالوا: يا ربنا عجل لنا قسطنا من العذاب الذي توعدنا به قبل يوم الحساب: يوم الآخرة، ولا تؤخره إلى يوم القيامة، كما يزعم محمد من أننا سنعذب فيه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص وَالْقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ ١ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ شِقَاقِي

٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَأَذَا وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ٣

وَعَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرُهُمْ وَقَالُوا الْكُفْرُ هَذَا سِحْرٌ كَذِبٌ

٤ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ٥ وَأَنطَاقُ

الْمَلَأْنَهُمْ أَنْ أَسْمُوا وَاصْبِرْ وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مِرَادٌ

٦ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ٧

أَهْ نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا

عَذَابٌ ٨ أَمْ عَنْهُمْ عَصَافٌ خَيْرٌ مِنْ نَحْمَةٍ يَكُ الْغَيْرُ الْقَوَابِ ٩ أَمْ

هُمْ مَلَائِكَةُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلَيْ يُقَالُوا لِأَسْبَبِ ١٠

جُئِدَ مَا هَذَا مِنْ هَزْؤٍ مِنْ الْأَحْزَابِ ١١ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ

نُوحٍ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْدَادِ ١٢ وَثُودُ وَفِرْعَوْنُ لُوطُ وَأَصْحَابُ

لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ١٣ إِنْ كُلِّ الْأَكْذَابِ لَرُسُلٌ

لَحِقَ عِقَابٌ ١٤ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ

مِنْ قَوَائِي ١٥ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِسْطًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ١٦

١٧- اصبر أيها النبي على قول هؤلاء المشركين من كفر وتكذيب، فإننا ناصروك، واذكر لهم قصة داود ذي القوة، أي الصلابة في الدين، إنه مع قوته كثير الرجوع والإنابة إلى ما يرضي الله ويحبه، وذلك تعظيماً للمعصية في أعينهم، فإنه مع علو شأنه، بادر إلى الاستغفار والإنابة لما توهم أنه أخطأ وعصى.

١٨- إنا ذلّلنا الجبال مع داود يسبحن (يتزهن) الله مع تسبيحه عند طلوع الشمس وعند غروبها، أي دائماً يسبحن، وكان يفهم تسبيحها.

١٩- وذلّلنا الطير مجموعة إليه تسبح الله تعالى، كل من الجبال والطير لأجل تسبيحه رجاء إلى طاعة الله، خاضع لمشيئته سبحانه.

٢٠- وقويتنا ملك داود وثبتناه بالهيبة والنصر على الأعداء، وآتيناه النبوة وكمال العلم وإصابة الصواب في القول والعمل، ومنه كل ما يقضي به، والفصل في القضاء وبيان الحق من الباطل.

٢١- وهل أتاك أيها النبي خبر وقصة جماعة الخصوم، أي المتخاصمين، حين نزلوا عليه من فوق سور محراب عبادته التي كان يتعبد بها، والخصم يطلق على المفرد والجمع.

أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عِندَ دَاوُدَ وَالْأَيُّهَا أَتَاكَ
إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَمِيِّ وَالْأَشْرَاقِ ١٧
مُخَشِّرَةً كُلَّ لَيْلٍ ١٨ وَسَدَدْنَا مَغْفِرَةَ آيَاتِهِ الْحَكِيمَةِ
وَفَصَّلَ الْخُطَابَ ١٩ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسُوَّرُوا
الْمُحْرَابَ ٢٠ إِذْ دَخَلُوا عَلَيَّ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا نَخَفُ
خَصْمَانِ بَعْضُهُمَا عَلَى بَعْضٍ فَأَخَذَهُمُ بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَلَا تَشْطِطُ
وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الْفَصْرِ ٢١ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً
وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكَلْتُنَّهَا وَأَعَزَّنِي فِي الْخُطَابِ ٢٢ قَالَ
لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجَّتِكَ إِلَى نَجَاتِهِ وَإِنْ كُنَّا مِنْ الْخَطَاءِ لَنَبْنَئُ
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ
وَلَقَدْ دَاوُدُ أَمَّا فَتَنَةٌ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ٢٣
فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رَبِّكَ وَحُسْنُ مَنَاقِبَ ٢٤
يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ
بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ٢٥

٢٢- حين دخلوا على داود، فخاف منهم، لدخولهم عليه بغير إذن، من غير الباب المعتاد للدخول، فقالوا له مطمئن: لا تخف، نحن خصمان متنازعان جار وظلم بعضنا على بعض، فاحكم بيننا بالحق والصواب، ولا تنحرف في الحكم ولا تبعد عن الحق، وأرشدنا إلى سلوك طريق الحق والسداد. والمشهور أنهما ملكان، والأقرب أنهما بشران عاديان.

٢٣- إن هذا أخي على ديني، له تسع وتسعون نجعة (أنثى الضأن) ولي نجعة واحدة، فقال: اجعلني كافلاًها وملكيتها حتى أضمرها إلى نعاجي، وغلبني في بيان حجته وفي المجادلة.

٢٤- قال داود: لقد ظلمك أخوك، بطلبه تملك نعتك وضمها إلى نعاجه، وإن كثيراً من الشركاء في المال، ليعتدي بعضهم على بعض، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالح الأعمال، فإنهم لا يظلمون أحداً، وقليل هؤلاء، و﴿ما﴾ حرف لتأكيد القلة، وعلم داود أنما ابتليناه واختبرناه بهذه الحادثة بالتسرع في الحكم. والأصح بالخوف من الناس وهو قائم بين يدي ربه في المحراب خلافاً لما كان عليه جده إبراهيم الذي لم يبال بالناس- فاستغفر ربه لذنبه وظنه السيئ بالرجلين أنهما أتياه لاغتياله، وهو منفرد في محرابه، وسقط ساجداً، وتاب إلى الله ورجع إلى طاعته.

٢٥- فعفونا عنه ذلك الظن السيئ بالرجلين، وإن له عندنا لقراباً من الله وكرامة وحسن مرجع في الآخرة وهو الجنة.

٢٦- يا داود إنا استخلفناك على الملك في الأرض لتدبير أمور الناس، فاحكم بين الناس بالعدل، ولا تتبع هوى النفس، فيصرفك عن دلائل الحق، إن الذين ينحرفون عن العمل بأمر الله وهديته، لهم عذاب شديد بسبب إهمالهم وتركهم العمل من أجل يوم الحساب في الآخرة، وهو الحكم بالعدل.

٢٧- وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما عبثاً ولعباً، بل خلقناهما للدلالة على قدرتنا، ذلك ظن الكفار أن هذه الأشياء خلقت عبثاً لا لغرض، وأنه لا قيامة، فهلاك وعذاب للذين كفروا، من نار جهنم لكفرهم وظنهم.

٢٨- بل انجعل المؤمنين بالله ورسوله، وعملوا بما أمروا كالمشركين والعصاة في الأرض بل انجعل أتقياء المؤمنين كأشقياء الكافرين والمنافقين والعاصين، فليس التساوي بين الفريقين عدلاً. و﴿وَأَم﴾ تفيد معنى حرفين: (بل) للانتقال من كلام لآخر، وهمزة الاستفهام الإنكاري التي تفيد نفي ما بعدها، وهو هنا التسوية بين الأتقياء والأشرار. والفجاء: الفساق الذين يشقون ستر الشريعة.

٢٩- هذا كتاب أنزلناه إليك أيها النبي كثير الخير والنفع، ليتفكروا في معاني آياته، وليتعتظوا أولو العقول السليمة، فيعملوا بما فيه.

٣٠- ووهبنا لداود سليمان، نعم العبد سليمان، إنه ثواب كثير الرجوع إلى الله بالإتابة.

٣١- واذكر أيها النبي حين عرض على سليمان بالعشي: فترة ما بعد الظهر إلى الغروب: الخيول الأصائل القاصمات على ثلاث قوائم وطرف الحافر الرابع، وهي علامة الفراهة، التي تسرع في الجري.

٣٢- فقال سليمان: إني أثرت حب الخير، وهو هنا الخيل، حباً ناشأ عن أمر ربي بالعناية بها؛ لأنها عدة الدفاع، لا عن شهوة الفخر وحب الدنيا، حتى غابت عن الأنظار بما وراءه من أفق أو غبار لسرعة جريها في الاستعراض.

٣٣- أعيدوها علي تارة أخرى، فشرع يسحبا بينه على السيقان والأعناق، تكريماً لها للاعتماد عليها في الجهاد.

٣٤- ولقد اخترنا سليمان بالمرض، وألقينا على عرش الملك الذي كان يجلس عليه جسماً ضعيفاً كأنه جسد بلا روح، ثم رجع إلى الله متضرعاً مستغيثاً لكشف البلاء عنه، وعاد إلى الصحة.

٣٥- قال سليمان: رب اغفر لي ما صدر عني من الذنب الذي كان سبب ابتلائي، وامنحني ملكاً لا يكون لأحد من بعدي أن يملك مثله؛ إنك أنت الكثير العطاء والهيأت.

٣٦- فجعلنا الريح متقدة لأمره، ليئة قوية شديدة الهبوب والجري، تسيّر بأمره حيث قصد وأراد.

٣٧- وسخرنا له أيضاً الشياطين، يبنون له ما يشاء من الأبنية الرفيعة، ويغوصون في البحر لاستخراج الدر واللؤلؤ.

٣٨- وسخرنا له من مردة الشياطين آخرين منهم مقيدون في القيود والسلاسل، دُلُّوا له حتى قرنهم في السلاسل. ومقرَّنين: مربوطاً بعضهم ببعض.

٣٩- هذا العطاء من الملك الذي طلبته: عطاؤنا لك، فأعط من شئت، وامنع من شئت، لا حساب عليك في الحالين.

٤٠- وإن لسليمان عندنا لقربة وكرامة، وحسن مرجع في الآخرة: وهو الجنة.

٤١- واذكر أيها النبي عبدنا الصابر أيوب بن أروم حين دعا ربه متضرعاً بأني أصابني الشيطان بضر ومشقة وألم، أي مرضت، وقد نسب ما يؤلم إلى الشيطان تأدياً مع الله، أما الخير فينسب إلى الله تعالى.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكُمْ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ النَّارِ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٣٨﴾ كَيْبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَذَّبَ وَأُتِيَ بِهِ وَلْيَضْحَكُوا زُكُورًا أُولَئِكَ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يَخْلَعُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّا لَنَجْزِي الْمُتَّقِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِنَّا لَنَجْزِي الْمُتَّقِينَ ﴿٤١﴾ وَإِنَّا لَنَجْزِي الْمُتَّقِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّا لَنَجْزِي الْمُتَّقِينَ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّا لَنَجْزِي الْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ وَإِنَّا لَنَجْزِي الْمُتَّقِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِنَّا لَنَجْزِي الْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّا لَنَجْزِي الْمُتَّقِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّا لَنَجْزِي الْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَجْزِي الْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّا لَنَجْزِي الْمُتَّقِينَ ﴿٥٠﴾

٤٢- قلنا له: اضرب برجلك الأرض، يخرج ينبوع من الماء البارد، كما أمر موسى بضرب الحجر، فضرب، فنبعت عين جارية، قيل له: هذا ماء بارد مغتسل تغتسل به، وشراب تشرب منه، ففعل، فبرئ مما أصابه. والمغتسل: ما يغتسل به.

٤٣- وجمعنا عليه أهله بعد تفرقهم، وزيدنا بكثرة النسل، حتى صاروا ضعف ما كانوا عليه قبل ابتلائه، لرحمتنا عليه، وعظة وتذكير أنهم ليتظروا الفرج بعد الصبر، لأصحاب العقول الراجعة.

٤٤- وخذ بيدك حزمة من عيدان الحشائش، فاضرب امرأتك بتلك الحزمة، ولا تحنث في يمينك. والحنث: الوقوع في الذنب بسبب عدم فعل المحلوف عليه. وكان أيوب قد حلف في مرضه إن شفاه الله أن يضرب امرأته مئة جلدة، للذنوب ارتكبتها، وهو بطؤها في قضاء حاجة، وإنا وجدناه رجلاً صابراً على البلاء، نعم العبد أيوب، إنه كثير الرجوع إلى الله بالتوبة والطاعة.

٤٥- واذكر أيها النبي عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أصحاب القوة في الطاعة، وأصحاب البصيرة: وهي معرفة أسرار الدين وغيره.

٤٦- إنا جعلناهم خالصين لنا، بخصلة خالصة أي خصصناهم بمزية عن غيرهم: هي تذكر الآخرة.

أَرْكَضَ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۚ وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمَتَّاهُمْ مَعَهُ رَحْمَةً مِّنَّا وَذَكَرَىٰ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ۚ وَخَذَ بِيَدِكَ صَغُفًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ ۚ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۚ وَأَذْكُرْ عَبْدًا مِّنْ أٰبْرٰهٖمَ لَمَّا سَخًى وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرِ ۚ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ لِخَالِصَةِ ذِكْرَى الْتَارِ ۚ وَإِنَّهُمْ عِندَ الْمَلِكِ الْمُصْطَفَى الْآخِيَارِ ۚ وَأَذْكُرْ إِسْمٰعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْآخِيَارِ ۚ هَذَا ذِكْرُنَا لِلْمُتَّقِينَ ۚ لِحَسَنِ تَابٍ ۚ حَبَّتْ عَلَيْهِ مُغْفَةٌ هَٰذَا الْآيَاتُ ۚ مُتَكِّينَ فِيهَا يَتَذَكَّرُونَ فِيهَا يَفْكَرُ كَثِيرَةٌ وَشَرَابٌ ۚ وَعِندَهُمْ قَصِيرَاتُ الْأَرْوَاحِ ۚ هَٰذَا مَا تُوَعَّدُونَ ۚ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ۚ إِنَّ هَٰذَا لَرْزَاقُ مَا لَهُ مِنْ نَّعَادٍ ۚ هَٰذَا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَشَرُّ مَّثَابٍ ۚ حَتَّمْ يَصَلُّونَهَا فَيَسْأَلُ الْمَاهِدُ ۚ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوْهُ حَيْدُ وَعَسِيقٌ ۚ وَآخِرُ مَنْ شَكَّلَهُ أَذْوَاجٌ ۚ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَصِرٌ مَّعَكُمْ لَا يَرْجَا بَعْثُهُمْ إِيَّاهُمْ فَالْوَالَتَارِ ۚ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَمُرْجَأُونَ كَمَا أَنْتُمْ قَدْ مُّجِّمُونَ لَنَا فَيَسْأَلُ الْقَرَارُ ۚ

٤٧- وإنهم عندنا لمن المختارين للنبوة المفضلين على أبناء جنسهم، الكثيرون الخير.

٤٨- واذكر أيضاً أيها الرسول إسماعيل بن إبراهيم جد العرب، واليسع بن أخطوب وذا الكفل ابن عم اليسع، من أنبياء بني إسرائيل، وكلهم آخيار، اختارهم الله على غيرهم لتحملهم الشدائد في سبيل الدعوة إلى الله.

٤٩- هذا ذكر جميل لهم في الدنيا، وثناء حسن عليهم، وإن للمتقين عذاب الله بطاعته لحسن مرجع في الآخرة، يرجعون فيه إلى مغفرة الله ورضوانه وجنته.

٥٠- إن حسن المرجع هو جنات استقرار وثبات وخلود، تفتح الملائكة لهم أبواب الجنة ليدخلوها.

٥١- متكتين في الجنة على الأرائك، يطلبون فيها أنواعاً كثيرة من الفاكهة والأشربة المتنوعة.

٥٢- وعندهم في الجنة نساء لا ينظرون إلى غير أزواجهن، لدات متساويات في السن والجمال.

٥٣- يقال لهم: هذا الجزء هو الذي توعدون به في يوم الحساب في الآخرة.

٥٤- إن هذا العطاؤنا الذي أنعمنا به عليكم، ما له من انقطاع ولا فناء أبداً، أي دائم.

٥٥- هذا جزاء المتقين، وللذين طغوا وتمردوا عن طاعة الله وأسرفوا في المعاصي والكفر، لأسوأ مرجع ومصير.

٥٦- مرجعهم جهنم يدخلونها ويحترقون بنارها، وبئس القراش الذي يقرشونه تحتهم من نار جهنم.

٥٧- هذا العذاب فليذوقوه: ماء شديد الحرارة، وصديد يسيل من أجساد أهل النار.

٥٨، ٥٩- وعذاب آخر من مثله في بشاعة الطعم، أصناف مختلفة من العذاب. يقال لهم: هذا جمع داخل معكم في النار كرهاً، لا ترحيب بهم ولا تكريم، إنهم داخلوا النار بأعمالهم السيئة، وعدم الترحيب هو قول القادة.

٦٠- قال الأتباع للقادة: بل أنتم لا ترحيب ولا كرامة لكم، أنتم قدمتم الكفر لنا، فبئس المقر جهنم، وهي لنا ولكم.



٦١- قال الاتباع أيضاً: ربنا من أوردنا هذا العذاب، فزده عذاباً مضاعفاً في النار.

٦٢- وقال الرؤساء الطغاة وهم في النار: ما لنا لا نرى رجلاً كنا نعدهم في الدنيا من الأراذل المحتقرين السفلة الذين لا خير فيهم، أي فقراء المؤمنين المستضعفين الذين كانوا يسخرون منهم.

٦٣- هل كنا نهزأ منهم في الدنيا خطأ، وكانوا أهل كرامة، أم هم معنا في النار، ولكن لم نرهم، ومالت عنهم الأبصار فلم تقع عليهم؟

٦٤- إن ذلك المذكور من تخاصم أهل النار فيها هو حق ثابت واقع لا بد منه.

٦٥- قل أيها النبي للمشركين: إنما أنا مخوف لكم من عذاب الله إن بقيتم على الشرك، وليس هناك من إله يستحق العبادة إلا الله الواحد الذي لا شريك له، القهار لكل من عده.

٦٦- إنه رب السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات، القوي الذي لا يغلبه شيء، الفقار للذنوب عباده التائبين، أو الطائعين.

٦٧، ٦٨- قل أيها النبي: هو- أي التوحيد والإنذار بالعقاب- خير مهم جداً. أنتم عنه غافلون غير ملتفتين، وهو توبيخ لهم.

قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَّ عَلَيْنَا خِطَابًا فِي النَّارِ ۖ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رَجُلًا كَانُوهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَرَاذِلِ ۖ الْحَقَّاقِينَ ۖ السُّفَلَاءَ الَّذِينَ لَا خَيْرَ فِيهِمْ ۖ أَيُّ فَقَرَاءَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَضْعَفِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُسَخَّرُونَ مِنْهُمْ ۖ ٦٣ ۖ هَلْ كُنَّا نَهْزَأُ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا خَطَاً ۖ وَكَانُوا أَهْلَ كِرَامَةٍ ۖ أَمْ هُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ ۖ وَلَكِنْ لَمْ نَرِهِمْ ۖ وَمَالَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ فَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِمْ ۖ ٦٤ ۖ إِنَّ ذَلِكَ الْمَذْكُورَ مِنْ تَخَاصُمِ أَهْلِ النَّارِ فِيهَا هُوَ حَقٌّ ثَابِتٌ وَاقِعٌ لَا بَدَّ لَهُ ۖ ٦٥ ۖ قُلْ أَيُّهَا النَّبِيُّ لِلْمُشْرِكِينَ ۖ إِنَّمَا أَنَا مُخَوِّفٌ لَكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِنْ بَقِيتُمْ عَلَى الشِّرْكِ ۖ وَلَيْسَ هُنَاكَ مِنْ إِلَهٍ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ الْقَهَّارُ لِكُلِّ مَنْ عَدَاهُ ۖ ٦٦ ۖ إِنَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ ۖ الْقَوِيُّ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ ۖ الْفَقِيرُ لِلذُّنُوبِ عِبَادَهُ التَّائِبِينَ ۖ أَوْ الطَّائِعِينَ ۖ ٦٧ ۖ ٦٨ ۖ قُلْ أَيُّهَا النَّبِيُّ ۖ هُوَ- أَيُّ التَّوْحِيدِ وَالْإِنْذَارِ بِالْعِقَابِ- خَيْرٌ مِمَّ هُمْ جَدًّا ۖ أَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ غَيْرَ مُلْتَفِتِينَ ۖ وَهُوَ تَوْبِيخٌ لَهُمْ ۖ

٦٩- ما كان لي من علم بكلام الملائكة في السموات حين اختصموا في شأن آدم عليه السلام، الذي أخبرهم الله بأنه سيكون خليفة في الأرض. و- من- حرف يدل على عموم نفي ما بعده.

٧٠- ما يوحى إليّ إلا أنني رسول منذر بالعذاب، بين الإنذار.

٧١- حين قال ربك للملائكة: إني خالق بشر: هم آدم وذريته، من طين. وهو بيان المحاورة في الملا الأعلى.

٧٢- فإذا أتممت خلقه وسوَّيت أجزائه، فاسجدوا له سجود تحية وتكريم، لا سجود عبادة.

٧٣- فسجد الملائكة كلهم مجتمعين، ما بقي منهم ملك إلا سجد له.

٧٤- إلا إبليس تكبر وتعظم عن السجود، وكان باستكباره ومخالفته أمر الله من الكافرين.

٧٥- قال الله لإبليس: يا إبليس، ما صرفك وصدك أن تسجد لما خلقته بيدي من غير واسطة، هل تكبرت الآن عن السجود بغير حق، أم كنت من المتطاولين التكبرين المستحقين للترفع عن طاعة الله؟

٧٦- قال إبليس: أنا خير من آدم، خلقتني من نار، وخلقته من طين، وعنصر النار المستعلي أشرف في زعمه من عنصر الطين الراكد.

٧٧- قال الله: فأخرج من الجنة، فإنك مرجوم بالكواكب، مطرود من الخير ومن جميع المخلوقات.

٧٨- وإن عليك لعنتي، أي طردتي من الرحمة إلى يوم الحساب والجزاء.

٧٩- قال إبليس: رب فامهلني ولا تعجل بإماتتي إلى يوم البعث، يوم بيعت بنو آدم من موتهم.

٨٠- قال الله: فإنك من الموجلين.

٨١- إلى وقت النفخة الأولى، يوم قُدر الله فناء المخلوقات.

٨٢- قال إيليس: أقسم بمزتك لأصلن بني آدم أجمعين بتزين المعاصي والشهوات لهم.

٨٣- إلا عبادك منهم الذين أخذتهم لطاعتك وعصمتهم من الضلالة.

٨٤- قال الله تعالى: فالحق مني أو أقسم بالحق- ولا أقول إلا الحق..

٨٥- لأملأن جهنم منك يا إيليس ومن تبعك من بني آدم أجمعين.

٨٦- قل أيها النبي لقومك: ما أطلبكم على تبليغ المنزل علي من القرآن وغيره من أجر تعطونه، ولست من المتقولين القرآن من تلقاء نفسي، أو المتصنعين المدعين النبوة والقول على الله وما لا علم لي به.

٨٧- ما هذا القرآن إلا تذكير وعظة للمخلوقات أجمعين.

٨٨- ولتعرفن يا أهل مكة وغيركم خبر صدقه وعاقبة وعده ووعيده بعد زمان.

سورة الزمر

فضلها: أخرج النسائي عن عائشة رضي الله عنها

قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: ما يريد أن

يفطر، ويفطر حتى نقول: ما يريد أن يصوم، وكان ﷺ يقرأ في كل ليلة: بني إسرائيل (أي الإسراء) والزمر. وسبب تسميتها المذكور في الآيتين [٧١، ٧٣].

١- هذا تنزيل القرآن من الله القوي في ملكه لا يغلبه أحد، الحكيم في صنعه، وهو الذي لا يفعل شيئاً عبثاً.

٢- إنا أنزلنا إليك أيها النبي القرآن ملازماً للحق بكل ما فيه من التوحيد والنبوة والمعاد وأنواع التكليف، لم ننزله باطلاً لغير هدف، فاعبد الله وحده، مخلصاً له العبادة والطاعة، خالياً من الشرك والرياء.

٣- ألا الله وحده التعبد الخالص من الشرك والرياء، والذين اتخلوا من غير الله معبودات وأنصاراً، وهي الأصنام المعبودة وكل طاغوت معبود من غير الله، يقولون: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله، ويشفعوا لنا عنده، إن الله لا يوفق للاعتناء إلى الحق، من هو كاذب في نسبة الولد إليه، شديد الكفر بعبادته غير الله تعالى.

٤- لو أراد الله أن يتخذ ولداً. كما يزعم المشركون. لا يختار عما يخلق ما يشاء، غير ما قالوا: الملائكة بنات الله، وعزير ابن الله، والمسيح ابن الله، تنزيهاً له عن اتخاذ الولد، هو الله الإله الواحد القاهر كل شيء من خلقه. والمراد: لو أراد اتخاذ ولد لكان قديماً من جنس أبيه، ويستحيل أن يكون للمخلوق قديماً من جنس الخالق.

٥- خلق السموات والأرض بالحق، أي عبثاً، لا باطلاً، وخالف كهذا يستحيل أن يكون له شريك أو ولد، يلف الليل على النهار حتى يذهب ضوؤه، ولف النهار على الليل حتى تزول ظلمته، والكلام كناية عن طول أحدهما وقصر الآخر، وجعل الشمس والقمر متقادين لأمره في الطلوع والغروب بما ينفع الناس، وكل منهما يسير في مداره الذي حدده الله له لوقت معلوم: وهو يوم القيامة، ألا إن الله هو القوي الغالب، الكثير الغفران لمن تاب من خلقه عن ذنوبه. والآية تدل على وجود الله ووحدانيته وقدرته. وكلمة «ألا» لتنبية السامع للعناية بما بعدها.

قَالَ فِرْعَوْنُ لَأَعُوذَنَّهُمْ أَحْمِرِينَ ﴿٧١﴾ الْإِعْبَادُ لَهُ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٧٢﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٧٣﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَحْمِرِينَ ﴿٧٤﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٧٥﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٧٦﴾ وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأَ الْمُتَدَجِّينَ ﴿٧٧﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٧١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ فَاغْبِغْ بِهِ أَهْلَ الْاَلَمِينَ ﴿٧٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوا إِلَى اللَّهِ رُلْفَى إِنْ أَفَاءَ اللَّهُ بِنِعْمَتِهِ فِي مَآخِرِهِ يَخَافُونَ إِنْ أَفَاءَ اللَّهُ لَكَ أَجْرًا فَذِكْرٌ فَكَا رَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ أَنْ يَخْتَلِفَ أَلَا يَخْتَلِفُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٧٣﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالِ يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ وَمَنْ حَسَبَ الشَّيْءَ وَالْقَمَرُ كُلُّ يَوْمٍ يَأْتِي فِي لَاحِلٍ سُمِّيَ الْأَهْوَاءُ الْعَزِيزِ الْعَفْصُ ﴿٧٤﴾

٦- خلقكم أيها البشر جميعاً من نفس واحدة هي آدم عليه السلام، ثم خلق حواء من جنس آدم، ثم شعب الخلق منهما، وخلق وأوجد من الأنعام ثمانية أصناف: من الإبل والبقر والغنم والمعز، ذكراً وأنثى، يخلقكم في الأرحام في بطون أمهاتكم خلقاً متدرجاً من نقطة إلى علقة، إلى مضغة إلى عظام مكسوة لحماً، في ظلمات ثلاث: ظلمة المشيمة، وظلمة الرحم، وظلمة البطن، وعند الأطباء: أن الجنين محاط بثلاثة أغشية في داخل الرحم، فلم تمنع الظلمات من إحسان خلقه، ذلكم خالق هذه الأشياء هو الله ربكم، له الملك المطلق في الدنيا والآخرة، لا إله يعبد بحق سواه تعالى وحده، فكيف يصرفكم الشيطان وتعدلون عن عبادة الخالق إلى عبادة غيره؟

٧- إن تكفروا بالله أيها الناس، فلن الله غني عن إيمانكم، ولا يرضى الله بالكفر ولا يأمر به أحداً من عباده، رحمة بهم، بل يعاقب عليه، وإن تشكروا الله، فتؤمنوا به، يرض الشكر لكم، ويحب، ويشبكم عليه؛ لأنه سبب فلا تكليف، ولا يؤخذ أحد بذنب غيره، ثم إلى ربكم يوم القيامة مصيركم، فيخبركم بما عملتم من خير أو شر، إنه سبحانه عليم بما تضرعوه النفوس، لا يخفي عليه شيء.

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةً أَنْتُمْ تَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثَ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِنْ كَفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ عُنُوكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ شَكَرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ وَإِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ عَبْدٍ فَإِنَّمَا يُمِيطُ إِلَيْهِ ثُمَّ يَدْعُوهُ بِنِعْمَةٍ مِنْهُ يَتَّبِعُ مَا كَانَ يَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ أَفْوَاجٍ سَبِيلَهُ قُلْ تَمَنَّعَ بِكَرْهٍ لِّقَلِيلٍ أُنْكَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمْزِجُوا فِي هَٰؤُلَاءِ الْأَنْبِلِ سَاجِدًا وَقَاسِمًا تَحْدُرُ الْأَعْرَةُ وَرِجَازَ رَحْمَةِ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰؤُلَاءِ الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰٓعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

٨- وإذا أصاب الإنسان الكافر ضرر من بلاء وشدة كمرض أو فقر أو خوف، دعا الله ربه وتضرع إليه، راجعاً إليه، مستغيثاً به، للدفع ما نزل به، ثم إذا أعطاه نعمة تفضلاً منه، فكشف عنه ضرره، نسي الضر الذي كان يدعو الله لكشفه عنه من قبل ذلك، وجعل لله شركاء وأمثالاً من الأصنام وغيرها، ليضل الناس عن سبيل الحق: وهو الإسلام وعبادة الله وحده، قل أيها النبي لهذا الكافر: استمتع بكفرك استمتاعاً قليلاً ببقية أجلك، إنك في الآخرة في زمرة أهل النار. وهو تهديد شديد، وإقناط للكافر من نعيم الآخرة، وتعليل لذلك بالكفر.

٩- أذلك الكافر أحسن حالاً ومالاً، أم المؤمن بالله المطيع له الخاشع لربه، في ساعات الليل، ساجداً على الأرض وقائماً يناجي الحق في صلاته، يخاف عذاب الآخرة، ويطمع في جته، قل أيها النبي: هل يتساوى العلماء والجهلاء؟ لا يتساويان، إنما يتعظ أصحاب العقول الرشيدة. وكلمة «أمن» مركبة من (أم) و(من). و(أم) هنا تفيد معنى الاستفهام الإنكاري المفيد للنفي، ومعنى (بل) للانتقال من كلام إلى آخر. والقائت: المداوم على الطاعة. قال ابن عمر: نزلت في عثمان بن عفان. وقال ابن عباس: نزلت في ابن مسعود وعمار بن ياسر، وسالم مولى أبي حنيفة.

١٠- قل أيها الرسول قل لي هذا: يا عبادي المؤمنين، اتقوا عذاب ربكم بلزوم طاعته، للذين أحسنوا بالطاعات في هذه الدنيا مثوبة حسنة في الآخرة وهي الجنة، وثناء حسن وسعادة في الدنيا، وأرض الله واسعة، فمن تعسر عليه الطاعة في بلد، فليهاجر إلى بلد آخر يتمكن فيه من العبادة وإقامة الشعائر، وترك المنكرات، إنما يوفي الله الصابرين أجرهم في مقابل صبرهم بغير تحديد ولا تقدير مسبق، فعطاء الله واسع من غير حصر ولا حساب محاسب.



١١- قل أيها الرسول: إني أمرت أن أعبد الله وحده، مخلصاً له العباد والطاعة.

١٢- وأمرت بأن أكون أول المسلمين من الأمة.

١٣- قل: إني أخاف إن عصيت ربي بترك عبادته ودعوته إلى التوحيد ونبذ الشرك عذاب يوم عظيم الهول وهو يوم القيامة.

١٤- قل: أعبد الله وحده، مخلصاً له، غير مشوب بشرك ولا رياء، فلا أعبد غيره.

١٥- فاعبدوا ما شئتم أن تعبدوا من غير الله، وهذا للتهديد والتفريع، قل أيها النبي: إن الخاسرين خسارة كاملة هم الذين خسروا أنفسهم بالضلال وأهليهم بالاضلال، بدخول النار، ألا ذلك هو الخسران الواضح الذي بلغ حد الإفلاس.

١٦- لهؤلاء الخاسرين طبقات من النار فوقهم وتحته، تلتهم بهم، وسمي ما تحته ظلاً، لأنها تظل من تحته من الملعين في النار، ذلك العذاب هو الذي يخوف الله به عباده المؤمنين ليتقوه، للأمر بالتقوى في قوله: (يا عبادي فاتقوني).

١٧- والذين اجتنبوا الطاغوت: كل ما عُبِد من دون الله من الأوثان وغيرها، ورجعوا إلى الله وأقبلوا على

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ۚ وَأُنْزِلَ لِأَكُونَ
أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ۚ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ۚ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصاً لِدِينِي ۚ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ
مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۚ لَكُمْ مِنْ فَوْقِهِ ظُلَلٌ
مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهَا ظُلَلٌ ذَلِكَ يَخُوفُ اللَّهِ بِهِ عِبَادَهُ عِبَادٌ فَاتَّقُوا
ۚ وَالَّذِينَ أَتَوْا آلَ الْفُتُورِ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَتَوُا إِلَى اللَّهِ مُسْجِداً
الْبَشَرِ فَيُسْرِعْ عَذَابٌ ۚ وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ۚ أَفَرَأَى
حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةَ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُشْعِدُنَا مِنَ النَّارِ ۚ لَكِنْ
الَّذِينَ أَنْقَرْنَا عَنْهُمْ كُفْرَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ عَرْفٌ مُبِينَةٌ تُجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ ۚ أَلَمْ تَرَ
أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَ مِنْ الْأَرْضِ نَجْمًا ثُمَّ يُخْرِجُ
بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرْهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ
حُطّاً ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ أَتَى الْأَلْبَابَ ۚ

عبادته، لهم البشرى بالجنة والثواب، إما على السنة الرسل أو عند حضور الموت.. نزلت في ثلاثة نفر، كانوا في الجاهلية يقولون: (لا إله إلا الله): زيد بن عمرو بن نفيل، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي. فبشر أيها النبي عبادي بذلك.

١٨- وهم الذين يستمعون القول الموحي به في الكتاب والسنة، فيتبعون أحسن ما يؤمرون به، ويعملون بأكثره ثواباً، أولئك الذين وفقهم الله لدينه، وأولئك هم أصحاب العقول الرشيدة. قال جابر: لما نزلت آية ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ [الحجر ١٥/٤٤] أتى وجل من الأنصار النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني لي سبعة مماليك، وإني قد اعتقت لكل باب منها مملوكاً، فنزلت فيه الآية: ﴿فبشر عباد الذين﴾ [١٧-١٨].

١٩- أفمن ثبت ووجب عليه كلمة العذاب، لإصراره على الكفر، وهي قوله تعالى: ﴿... لا ملأن جهنم منكم أجمعين﴾ [الأعراف ١٨/٧] أفأنت تنقذه من النار؟! أي لا تستطيع إنقاذه. ومعنى ﴿أفمن﴾ الاستفهام الإنكاري المفيد للنفي، أي هل أنت تملك التصرف في الناس؟ وقوله: ﴿أفأنت﴾ لتأكيد معنى الإنكار والنفي. والآية تسري الهموم عن الرسول ﷺ الذي كان حريصاً على إيمان قومه.

٢٠- لكن الذين أطاعوا ربهم، لهم غرف فوق غرف؛ لأن الجنة درجات، مبنية بناء محكمًا، تجري من تحت تلك الغرف الأنهار العذبة، إكمالاً لبهجتها ورونقها، وعد الله ذلك وعداً مؤكداً، والله لا يخلف وعده.

٢١- ألم تعلم وتشاهد أيها الرسول وكل مخاطب أن الله أنزل من السحاب مطراً، فأدخله عيوناً وينابيع، والينابيع عين الماء، ثم يخرج أو ينبت بذلك المطر من الأرض زرعاً مختلفاً ألوانه، صفرة وخضرة وبياضاً واحمراراً، ثم يبس ويحذف، فتراه مصفراً بعد خضرته، ثم يجعله مفتتاً متكسراً، إن في ذلك التقلب لموعظة وتذكرة لأصحاب العقول.

أَمِنْ شَرِّهِ اللَّهُ صَدَّقَهُ الْإِسْلَامُ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ قَوْلٌ
لِلْقَلْبِ سَبِيحَةٌ فَلَوْ بُهِمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْكَ فِي صَلَاتِ مُبِينٍ ٢٢
نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كَلِمًا مَثْبُتًا مَثَانِي تَشْفَعُ مِنْهُ
جُلُودُ الَّذِينَ يَحْسَبُونَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى
ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلَّ
اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ٢٣ أَمِنْ يَتَّبِعِ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ٢٤ كَذَبَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ فَاثْنَمُ الْعَذَابِ مَنْ حَبِثَ لَا يَشْعُرُونَ ٢٥ فَأَذَانُهُمْ
اللَّهُ الْخَرَجِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ ٢٦ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٢٧ وَرَأَوْنَاهُمْ يَرْتَابُونَ ٢٨ عَوِجَ أَعْلَانُهُمْ يَقُولُونَ
٢٩ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ فَتُكْسَرُونَ
وَرَجُلًا سَلَمًا أَرْجُلُهُ يَحْكُمُ مَثَلًا لِحَمْدِ اللَّهِ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٣٠ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ
٣١ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ٣٢

٢٢- هل فقدتم التمييز والبصيرة، فجعلتم من فتح الله قلبه للإسلام، فهو على هدى من ربه، كمن قسا قلبه وضاق صدره، فلا يدخله الإيمان، لسوء اختياره؟ أي لا يستويان، فهلاك وعذاب للمعرضة قلوبهم عن قبول القرآن، أولئك أي قساة القلوب في متاعة وتبذير واضح عن الحق. و ﴿أمن﴾ استفهام إنكاري مفيد للنفي، ومقابل الاستفهام مقدر في الكلام مفهوم من السياق، الاتي بعده.

٢٣- الله نزل القرآن، وسماه حديثاً؛ لأن النبي ﷺ كان يحدث به قومه، ويخبرهم بما أنزل الله عليه، كتاباً يشبه بعضه بعضاً في الحسن والإحكام، والنظم والمعنى والإتيان والإرشاد إلى كل نافع، مردد ومكرر فيه القصص والمواعظ والأحكام، وتكرر تلاوته وقراءته من غير ملل ولا سام، ترتعد خوفاً قلوب الذين يخافون الله عند ذكر وعيده، ثم تلين جلود هؤلاء الخائفين وقلوبهم عند ذكر آيات رحمة الله، ذلك الكتاب هداية الله يهدي به من يشاء هدايته، ومن يخذله الله عن الإيمان بهذا القرآن، فما له من مرشد، ولا موقف لسلوك طريق الحق. قال سعد بن أبي وقاص: نزل على النبي ﷺ القرآن، فتلاه عليهم زمناً، فقالوا: يا رسول الله، لو حدثتنا؟ فنزل: ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾.

٢٤- هل من يجعل وجهه الذي هو أشرف أعضائه

وقاية له من العذاب السيئ حينما يلتقي في النار مغلولة يده إلى عنقه، كمن هو آمن من كل مكروه، سالم من كل سوء؛ لدخوله الجنة، وقيل للظالمين أنفسهم وهم الكفار والمشركون في مكة وغيرها: ذوقوا جزاء ما كسبتم وعلمتم في دنياكم من الكفر والمصيان.

٢٥- كذب الرسل في إتيان العذاب الذين كانوا قبل أهل مكة، فأناهم العذاب من الجهة التي لا تخطر ببالهم.

٢٦- فأذاقهم الله الذل والهوان في الحياة الدنيا كالقتل والسبي والخسف والمسخ وغير ذلك، وللعذاب الآخرة أشد وأعظم لدوامه، لو كان هؤلاء المكذبون يعلمون عذاب الآخرة ما كتبوا.

٢٧- ولقد ضربنا وجعلنا أمثالا وأخباراً من الأمم السابقة، ونوعاً أسباباً على وجوه شتى للظة في هذا القرآن ليتعظوا.

٢٨- قرأتاً بلسان عربي فصيح، مستقيماً لا تناقض فيه، ولا اختلاف، ليتقوا الكفر والمعاصي.

٢٩- ضرب الله مثلاً للمشرك والموحد. وضرب المثل: تشبيه حال غريبة بحال أخرى مثلاً. رجلاً عبداً مملوكاً يملكه عدد من الشركاء التنازع دائماً للمختلفين فيما بينهم لسوء أخلاقهم وطباعهم، كل واحد يريد استخدامه لمصافته ومصالحته، ورجلاً عبداً مملوكاً ملكية خاصة لرجل، لا شريك له فيه، هل يتساوى هذان العبدان، الذي يخدم جماعة شركاء، والذي يخدم واحداً لا يتنازع فيه أحد؟ إن هناك تفاوتاً واضحاً بينهما، الأول الذي يختار في خدمة أسياده مثل للمشرك، والثاني الذي يستقل بخدمة سيد واحد مثل للموحد، لا يستويان مثلاً، الحمد لله وحده الذي لا يشاركه فيه سواه، بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون الحق، يشركون بالله غيره، لفرط جهلهم.

٣٠- إنك أيها النبي ميت، وإنهم سيموتون، فالكل سواء في الموت، نزلت لما استبطوا موته ﷺ.

٣١- ثم إنكم يوم القيامة تحتكمون للقضاء وتتخاصمون فيما بينكم من المظالم وأمر الدنيا والدين، ويفصل الله بينكم.



فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ
إِذْ جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَنُورَى الْكَافِرِينَ ٣٢ وَالَّذِي
جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ٣٣ لَهُمْ
مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جِزَاءُ الْحَسِينِ ٣٤ لِيَكْفُرَ
اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَا الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ
الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ٣٥ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ
بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ٣٦
وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَرِيمٍ ذِي نِقَامٍ
٣٧ وَلَيْسَ سَأَلُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ
أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ مِنْكَ مَكْشِفٌ ضَرِّهِ أَوْ
أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ مِنْكَ مُمْسِكٌ رَحْمَتِهِ ٣٨
اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ٣٩ قُلْ يَقُولُوا أَعْمَلُوا
عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ٤٠ مَنْ
يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ٤١

٣٢- لا أحد أكثر ظلماً ممن كذب على الله،
فزعم أن له شريكاً أو ولداً أو صاحبة، وكذب
بالصدق وهو القرآن الذي جاء به محمد ﷺ لما
سمع به، أليس في جهنم مأوى أو مكان إقامة
للكافرين؟! بلى، إنها مكان احتوائهم.

٣٣- والذي جاء بالقرآن وهو الرسول ﷺ،
وصدق به وهم المؤمنون، أولئك هم المتقون
الشرك والعذاب.

٣٤- لهم ما يريدون عند ربهم في الجنة من نعيم
ودرجات رفيعة، ذلك جزاء الذين أحسنوا في
أعمالهم الدنيوية.

٣٥- ليستر ويغفر لهم سيئ أعمالهم وذنوبهم،
ويجزئهم ثوابهم على الطاعات ويحسن عملهم
الذي عملوه في الدنيا، فضلاً منه سبحانه،
لإيمانهم وإخلاصهم.

٣٦- أليس الله بحافظ عبده النبي ﷺ من وعيد
المشركين وكيدهم؟ بلى، ويخوفك المشركون أيها
النبي بالأصنام والأوثان أن تصيبك بسوء، فلا
تخف، فإن الله يحميك عما يضررك، وليس عند
آلهتهم نفع ولا ضرر، ومن يتركه في الضلال،
للسوء اختياره، فليس له من هاد يرشده إلى الخير. نزلت آية ﴿ويخوفونك﴾ حينما قال المشركون
للنبي ﷺ: لتكفرن عن شتم آلهتنا أو لنامرتها فلتخيلنك. وهمزة ﴿أليس﴾ للاستفهام الإنكاري المقيد
للفني، وبما أن ﴿ليس﴾ تفيد النفي أيضاً، فنفي النفي إثبات، والمعنى: الله يكفي عبده.

٣٧- ومن يوفقه الله للهداية والإيمان والعمل الصالح، فليس له من مضل يوقعه في الضلال، أليس الله
بغالب كل شيء، ذي انتقام ينتقم من أعدائه وعصاته؟!

٣٨- ولئن سألت أيها النبي المشركين: من الذي أبدع وأوجد السموات والأرض؟ ليقولن: الله خلقهما،
قل لهم بعد إقرارهم: أخبروني عما تعبّدون من غير الله وهي الأصنام، إن أردني الله بشدة وبلاء هل
يكشفنه؟ أو أردني الله بنعمة ورخاء ونفع هل يمسخه عني؟ لا، قل: الله كافيني في تحقيق النفع ودفع الضرر،
عليه لا على غيره يعتمد المعتمدون، ويتق الواثقون، لعلمهم بأن الكل منه تعالى. قال مقاتل: سألهم النبي
ﷺ، فسكتوا، فنزل ذلك.

٣٩- قل أيها النبي: يا قوم اعملوا على طريقتكم أو حالتم التي أتم عليها، إني عامل على طريقتي
وحالتي التي أنا عليها، فسوف تعلمون سوء مصيركم، وخير عاقبتى.

٤٠- سوف تعلمون من الذي يأتيه عذاب يهينه ويذله في الدنيا، وينزل عليه عذاب دائم في الآخرة، وهو
عذاب النار.

٤١- إنا أنزلنا عليك القرآن لأجل الناس وبين ما
كُتِبُوا به، ليحقق مصالحهم الدنيوية والأخروية،
أنزلناه مقترباً بالحق، ملازماً له، فمن اعتدى به،
فاهتداه لنفسه، ومن ضل أو انحرف عنه، فإن وبال
ضلاله على نفسه، وما أنت أيها النبي على الناس
بموكل عليهم، لتجبرهم على الهدى.

٤٢- الله يقبض الأرواح عند انتهاء أجلها، ويتوفى الأنفس التي لم تمت حين تمام، فيمسك الروح التي قضى على صاحبها الموت، فلا يردها إلى جسدها، وتنقل إما إلى نعيم أو إلى شقاء، ويرسل روح النفس الأخرى وهي النائمة إلى بدن صاحبها، بأن يعيد لها إحساسها. والنفس والروح شيء واحد في رأي جماعة، وشيخان مختلفان في رأي آخرين، والمراد من التوفي في النوم إبعاد الروح عن البدن ظاهراً فقط، فيمتنع التصرف الاختياري فقط. وإعادة الإحساس بعد اليقظة مرهون بوقت معين هو العمر المحدد والموت المحقق، إن في ذلك المذكور من التوفي والإمسك والإرسال دلالات على كمال قدرة الله وحكمته، لقوم يتفكرون في الحياة والموت.

٤٣- بل هل اتخذ المشركون من غير الله آلهة شفعاء تشفع لهم عند الله؟ قل أيها النبي: اتخذونهم شفعاء

وسطاء، ولو كانوا لا يملكون شفاعاة ولا غيرها، ولا يعقلون شيئاً من الأشياء، ومن ذلك أنكم تعبدونهم؟ و﴿أَمْ﴾ لها معنى حرفين: همزة الاستفهام الإنكاري المقصود به هنا التوبيخ، و (بل) للانتقال من كلام إلى آخر، كما تقدم قريباً.

٤٤- قل أيها النبي: الله الشفاعة جميعاً، ليس لأحد منها شيء إلا برضا الله للشافع والإذن للمشفوع له، له ملك السموات والأرض، أي مالك الملك والتصرف كله، لا يتكلم أحد إلا بإذنه ورضاه، ثم إلى الله تصيرون، فيكون له الملك أيضاً حيثنذ.

٤٥ - وإذا ذكر الله وحده دون آلهتهم، نفرت وانتقبضت قلوب الذين لا يصدقون بالآخرة، وإذا ذكر الذين من دون الله وهم الأصنام، إذا هم يظهرون البشر والسرور. و﴿إذا﴾ تدل على سرعة حصول ما بعدها. قال مجاهد: نزلت في قراءة النبي ﷺ النجم عند الكعبة وفرحهم عند ذكره الآلهة، أي قوله تعالى: ﴿أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى﴾ [النجم ٥٣/ ١٩ - ٢٠].

٤٦- قل أيها النبي ؛ يا الله أنت مبدع السموات والأرض ، عالم ما غاب وما شوهه ، أنت وحدك تحكم بين عبادك فيما اختلفوا فيه من أمر الدين ، فظهر المحق من المبطل ، اهدي لما اختلفوا فيه من الحق .

٤٧- ولو أن للذين ظلموا أنفُسهم بالكفر والعصيان جميع ما في الدنيا من الأموال والأمتعة، وضعفه زيادة عليه، لجعلوه فدية لهم من سوء العذاب الذي يلاقونه يوم القيامة، وظهر لهم حيث شد من أنواع العقاب ما لم يكونوا يتوقعون.

٤٨- وظهر لهم سيئات ما عملوا باختيارهم، وأحاط بهم من العذاب جزاء ما استهزؤا به في دار الدنيا.



فَإِن سَأَلَ الْإِنْسَانُ ضَرْدَعَانِ ثُمَّ إِذَا خَرَ لَّهُ نِعْمَةٌ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا
أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلَىٰ فَتَنَةٌ وَلَكِن لَّئِيْلَ كَاذِبِينَ ﴿١١﴾ فَذَرُّهُ
وَلَا تَلِدْ مِنَ الَّذِينَ مَنَافِقَهُ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢﴾
فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَؤُلَاءِ
سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِعَاجِزِينَ ﴿١٣﴾ أَوَلَمْ
يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ فَلْيَعْبَادُوا الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ
أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا
إِنَّهُمْ هُمُ الْمُغْفَرُونَ الرَّجِيمُ ﴿١٦﴾ وَأُنَبِّئُكُم بِرَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ
مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿١٧﴾ وَأَنبِئُوا
أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ
بَغْتَةً وَتَأْتَسْخَرُونَ ﴿١٨﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَحْزَرُنِي عَلَىٰ
مَا قَرَأْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿١٩﴾ أَوْ قُولَ
لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَفِينِينَ ﴿٢٠﴾ أَوْ قُولَ حِينَ
رَبَّى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢١﴾

يبد الله تعالى، وجميع الحوادث من الله تعالى.

٥٣- قل أيها النبي: يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم بالإفراط في المعاصي والإكثار منها، لا تيأسوا من مغفرة الله تعالى ما دام باب التوبة مفتوحاً، إن الله يغفر الذنوب جميعاً عفواً منه إلا الشرك الذي لم يتب منه صاحبه، إنه سبحانه الكثير المغفرة، الواسع الرحمة. قال ابن عباس: إن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، أو تخبرنا أن لنا توبة، فنزلت هذه الآية.

٥٤- وارجعوا إلى ربكم بفعل الطاعات وترك المعاصي، وأخلصوا العمل له، من قبل أن يأتيكم العذاب، ثم لا تجدلوا ناصراً ينصركم وينقذكم من ذلك العذاب.

٥٥- وافعلوا ما أمركم الله به، واتهوا عما نهاكم عنه، وهو ما جاء في القرآن الذي هو أحسن المتزل إليكم من ربكم، من قبل أن يأتيكم العذاب فجأة، وأنتم غافلون عنه.

٥٦- ارجعوا خوف أن تقول نفس: يا حسرتي وندامتني على ما قصرت في جانب الله، أي طاعته وعبادته، وإني كنت لمن المستهزئين بدين الله في الدنيا. و﴿على﴾ يفيد أن ما بعدها علة وسبب لما قبلها.

٥٧- أو تقول نفس: لو أن الله وفقني وأرشدني إلى دينه، لكنت ممن يتقي الشرك والمعاصي.

٥٨- أو تقول نفس حين تشاهد العذاب: لو أن لي رجعة إلى الدنيا، فأكون من الذين أحسنوا القول والعمل، والإيمان والتكاليف.

٤٩- فإذا أصاب الإنسان ضر من شدة وبلاء، كمرض أو فقر أو غيرهما، استغاث بنا لكشف الضر عنه، ثم إذا أعطيناه نعمة منا، بأن فرجنا كربه، قال: إنما أعطيتني على خبرة ومعرفة وذكاء مني بوجوه كسبه، بل (للانتقال عما بعد الكلام السابق) النعمة اختبار وامتحان، أيشكر أم يكفر؟ ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الإمداد بالنعم مع المقام على المعصية استدراج لهم من الله، واختبار.

٥٠- قد قال هذه المقالة الذين من قبل كفار قريش، كقارون وغيره، فما أفادهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا الزائل.

٥١- فأصابهم جزاء سيئات فعلهم أو كسبهم، والذين ظلموا أنفسهم من كفار قومك، سيصيبهم جزاء أعمالهم، كالحقح والقتل والأسر، وليسوا هم بفاتنين أو مفلتين من عذاب الله، ولن يوقعوا الله في العجز، بل مرجعهم حتماً إلى الله تعالى.

٥٢- أو لم يعلم المشركون أن الله يوسع الرزق لمن يشاء من خلقه، ويضيق الرزق على من يشاء من عباده، إن في ذلك البسط والتضييق لدلالات وعلامات لقوم يؤمنون بالله ورسوله، وبأن الرزق

٥٩- بلى قد جاءتك آياتي القرآنية، فأنكرت كونها من الله، وتكبرت عن الإيمان بها، وكنت من الكافرين بالله ورسوله. و﴿بلى﴾ حرف يدل على رد الكلام السابق وهو زعمهم أن الله لم يهدمهم ولم يرشدهم.

٦٠- ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله بادهاء الشريك أو الصاحبة أو الولد، وجوهمهم مسودة لغضب الله وسخطه، أليس في جهنم مأوى للمتكبرين على الله، المستعين عن طاعته وتوحيده؟ و﴿أليس﴾ أي إن في جهنم مشى أو مكان.

٦١- وينجي الله من عذاب جهنم الذين اتقوا ربهم، فادوا الواجبات، وتركوا الشرك والمعاصي، بفوزهم أو جعلهم في الجنة، لا يصيبهم مكروه، ولا هم يحزنون على ما فاتهم في الدنيا.

٦٢- الله وحده خالق كل شيء موجود في الدنيا والآخرة، وهو قائم بحفظ كل شيء ورعايته.

٦٣- له مفاتيح خزائن السموات والأرض من المطر والنبات والرزق، والذين كفروا بآيات الله في القرآن ودلائل قدرة الله، أولئك هم الخاسرون أنفسهم، بالزج بهم في عذاب النار.

٦٤- قل أيها النبي للمشركين: أفغير الله تأمرونني أن أعبد بعد هذه الأدلة القاطعة على وحدانية الله، أيها الجاهلون بوحدانية الله؟ قال المشركون للنبي ﷺ:

إِنَّا قَدْ جَاءَكَ إِنَّا نَكْذِبُ مَا وَأَنْتَ كَبَرْتَ وَكَتَبْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ نَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَةٌ أَلْسِنُهُمْ فِيهِمْ مَثْوًى مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٠﴾ وَنَحْنُ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا عَذَابَ رَبِّهِمْ لَا يَسْمَعُونَ السَّوْءَ وَلَا يَسْمَعُونَ نَحْنُ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَمْ يَخْلُقْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أَزْلَىٰ مِنْ أَزْلَىٰ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَغْفِرُ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَنْ أُعْبِدَ أَتَمَّا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيُخْطِنَ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلَىٰ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَعَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنَحْنُ فِي الصُّورِ فَصِّقْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ الْأَمَنُ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَحْنُ فِيهِ آخِرَىٰ فَإِذَا هُمْ بِظُرُونِ ﴿٦٨﴾

أَنْضَلُّ أَبَاءَكَ وَأَجْدَادَكَ يَا مُحَمَّد؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ. وكانوا أيضاً طلبوا من النبي أن يزور آلهتهم، فيتبعونه ويؤمنون به بعدئذ.

٦٥- ولقد أوحى إليك أيها الرسول وإلى الرسل من قبلك: لئن أشركت بالله أحداً غيره. على سبيل الفرض والتهيج وإقنات الكفار - ليظنن عملك السابق ويذهب هباء منثوراً، ولتكونن في الآخرة من الخاسرين خسارة كبرى. وغير الأنبياء في ذلك أولى.

٦٦- بلى عباد الله وحده، وإياك من عبادة غيره. وهذا رد لما أمروه به. وكن من الشاكرين نعمه عليك. و﴿بلى﴾ تفيد رفض ما حاولوه.

٦٧- وما عظم المشركون الله حق تعظيمه، حين جعلوا له شريكاً ووصفوه بما لا يليق به، والأراضي كلها في قبضته وملكه وتصرفه، والسموات مجموعات بقدرته، تنزه الله وتقديسه، وتعظيم عما يشركون معه من الولد أو الشريك أو الصاحبة. قال ابن مسعود: أتى النبي ﷺ رجل من أهل الكتاب، فقال: يا أبا القاسم، بلغك أن الله يحمل الخلاق على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والثرى على إصبع؟ فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، والمعنى: أن الله يقدر على حمل السموات والأرض كقدرة أحدنا ما يحمله بأصبعه.

٦٨- ونُفِخ في البوق النفخة الأولى، فمات كل من في السموات ومن في الأرض، إلا من شاء الله إبقاءه حياً، قيل: هم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فلأنهم يموتون بعد، والأصح أنه لا دليل على تعيينهم، ثم نفخ في البوق النفخة الثانية للبعث من القبور، فإذا جميع الخلاق الموتى قائمون على أرجلهم من قبورهم، ينتظرون ما يفعل بهم.

٦٩- وأضاءت الأرض: أرض المحشر بعد

النسخة الثانية بنور ربها حين يتجلى تعالى لحساب الخلائق وفصل القضاء بينهم، ووضع كتاب الأعمال، وجيء بالأنبياء والشهداء إلى الموقف، فيشهدون على من بلغوه من الأمم، فكذب بالحق، والشهداء: هم الشهود من الملائكة والمؤمنين والذين استشهدوا في سبيل الله، ومنهم المؤمنون من أمة النبي ﷺ وقضي بين الخلق بالعدل والحق، وهم لا يظلمون شيئا من أعمالهم، فلا ينقص ثوابهم، ولا يزداد عقابهم.

٧٠- ووصلت كل نفس إلى حقها، وما قامت به من عمل الخير والشر، والله أعلم بما يفعلون في الدنيا من طاعة ومعصية، دون حاجة إلى كاتب وشاهد وحاسب.

٧١- وسبق الكفار بعنف وإهانة إلى النار جماعات أو أقواجا متفرقة مرتبة، بعضها إثر بعض بحسب ترتيب درجات كفرهم وجرائمهم، حتى إذا وصلوا إليها، فتحت أبوابها ليدخلوها، وهي سبعة أبواب، وقال لهم خزنتها الملائكة الزبانية تقيعاً وتوييحاً: ألم يأتكم رسل من أنفسكم، يتلون عليكم آيات ربيكم التي أنزلها عليكم، ويخوفونكم أو يحذرونكم لقاء هذا اليوم الرهيب، قالوا: بلى (نعم) جاؤوا، أي أتتنا الرسل، ولكن وجبت كلمة العذاب على الكافرين، وهي قوله سبحانه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة ١٣/٣٢].

٧٢- قيل لهم: ادخلوا أبواب جهنم التي فتحت لكم، ماكثين فيها على الدوام، فبئس المأوى أو المكان الدائم جهنم.

٧٣- وسبق المتقون عذاب ربهم بسرعة ولطف إلى دار الكرامة لإدخال السرور عليهم، جماعات بحسب درجاتهم في الإيمان وأعمال الطاعة، حتى إذا وصلوها وفتحت أبوابها تشريفاً وتكريماً لاستقبالهم الحافل، وقال لهم خزنتها الملائكة الكرام: سلامة لكم من كل آفة ومكره، طابت حالكم وحسنت طهركم من دنس المعاصي، فادخلوا الجنة، خالدين فيها إلى الأبد.

٧٤- وقال هؤلاء المتقون: الشكر لله والثناء الجميل على الله الذي أنجز لنا وعده بالبعث والثواب والجنة، وأورثنا أرض الجنة، ننزل فيها حيث نشاء، في أي مقام أردنا، فنعم أجر العاملين: الجنة.

٧٥- وترى أيها التقى السعيد الملائكة في الجنة محيطين بالعرش، محققين به من كل جانب، يمجدون ربهم ويقدمونه شاكرين، قائلين: سبحان الله وبحمده، وقضي بين العباد بالحق والعدل، فأهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، وقال المؤمنون المقضي بينهم: الحمد لله رب العوالم أو الخلائق أجمعين على فضله وإحسانه.

وَأَشْرَفَتِ الْأَرْضُ بَنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالشَّاهِدِينَ
وَالشَّهَادَةِ وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾
وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسَبَقَ
الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ
أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلْأَنْتُمْ رُسُلُكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ
آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ
حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا
أَبْوَابَ جَهَنَّمَ ۖ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَوْقِعُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٧٢﴾
وَسَبَقَ الَّذِينَ آمَنُوا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ إِذَا جَاءُوهَا
وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ
طِبْتَ لَهُمْ فَأَدْخَلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ
حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ
حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَفُضِيَ
بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

سورة غافر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 حَمْ ١ نَزَّلَ الْكِتَابَ مِنَ اللَّهِ الْقُرْآنَ الْعَلِيمَ ٢
 غَافِرَ الذَّنْبِ وَقَابِلَ التَّوْبِ شَدِيدَ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ٣ مَا يَجِدُلُ فِي عَايَةِ اللَّهِ
 إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْزُرُكَ تَقْلِبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ٤
 كَذَبَتْ قَبْلَهُ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْرَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ
 وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَيَجِدَلُوا بِالْبَاطِلِ
 لِيُدْخِلُوهُ مِنَ الْخُلُقِ فَأَخَذْنَاهُمْ فَكَبَبُوا عَنَّا ٥
 وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا
 أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ٦ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ
 حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ
 لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا
 فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ٧

وتسمى أيضاً سورة المؤمن، لذكرها قصة مؤمن
 آل فرعون. ونزلت الحواميم عقب الزمر، قال ابن
 مسعود: آل حم ديباج القرآن.

١- ﴿حم﴾: البدء بالحروف المقطعة في بعض
 السور للتنبيه لما يأتي بعدها، ولتحمدي العرب
 بمعارضة القرآن.

٢- هذا القرآن تنزيل صادق غير مكذوب من الله
 القوي القاهر الذي لا يُغلب، الواسع العلم
 بأحوال خلقه.

٣- غافر الذنب للمؤمنين التائبين، قابل التوبة
 فضلاً منه ورحمة، شديد العقاب للكافرين،
 صاحب الفضل والإنعام على عباده، لا إله يستحق
 العبادة إلا هو، إليه المرجع للحساب والجزاء.

٤- ما يجادل في آيات القرآن لدفعها وتكذيبها
 إلا الكفار والمشركون، فلا تغتر بآمالهم، وتقلبهم
 في البلاد بالتجارة الرابعة، وجمع الأموال، ومظاهر الحياة الكريمة، فإن عقابهم آت عما قريب. قال أبو
 مالك: نزلت في الحارث بن قيس السهمي.

٥- كذب بالرسول قبل قومك قريش قوم نوح، والجماعات الذين تحزبوا على الرسل من بعدهم كعاد وثمود
 وغيرهما، وعزمت كل أمة من هؤلاء على إيذاء رسولهم والتمكن منه بالحبس والأسر والتعذيب والقتل،
 وجادلوا رسلهم بالباطل (ما لا حقيقة له) من القول، ليزيلوا به الحق ويضلوا الإيمان، فأخذتهم بالعذاب
 والهلاك، فكيف كان عقابي لهم!؟

٦- وكما وجبت كلمة ربك، أي حكمه بالهلاك ووعيده بالنار على كفار الأم السابقة، وجبت أيضاً على
 كفار قومك لكفرهم، وتلك الكلمة: أنهم مستحقو النار.

٧- الذين يحملون العرش (وهو حقيقة الله أعلم به) وهم أعلى فئات الملائكة وأولهم وجوداً، يتزهدون الله
 حامدين له نعمة، قائلين: سبحان الله وبحمده، ويؤمنون بالله وحده لا شريك له، ويطلبون المغفرة للمؤمنين
 بالله، يقولون: ربنا وسعت رحمتك كل شيء، ووسع علمك كل شيء، فاغفر للذين تابوا من الشرك
 والذنوب، واتبعوا سبيلك دين الإسلام، واحفظهم وأبعدهم من عذاب نار الجحيم.



٨- ربنا وأدخلهم جنات إقامدة دائمة التي وعدتهم إياها عن طريق رسلك، ومعهم أدخل كل من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، بأن كان مؤمناً موحداً، قد عمل الأعمال الصالحة التي أمروا بها، إنك أنت القوي القاهر الذي لا يغلب، الحكيم في صنعه وتدبيره، تضع الشيء في موضعه المناسب.

٩- واصرف عنهم عقوبات الدنيا والآخرة، وهو من قبيل ذكر العام بعد الخاص الذي هو ﴿عذاب الجحيم﴾ [٧] بأن تغفر لهم ولا تؤاخذهم بشيء منها، ومن تق السيئات، أي تصرف عنه جزاء السيئات، يوم القيامة، فقد رحمته ونجته من عذابك، وذلك هو الفوز العظيم الذي لا شيء أعظم منه، وهو رضوان الله والجنة.

١٠- إن الكفار يُنادون من قبل الملائكة يوم القيامة: لبغض الله تعالى إياكم وكرهيته لكم في الدنيا أكبر من كراهيتكم أنفسكم اليوم إذ عايتم النار، وحين دعيتم إلى الإيمان بالله في الدنيا، فكفرت.

١١- قال الكفار: ربنا أمتنا إمامتين: بأن خلقنا أمواتاً أولاً من تراب لا حياة فيه، وحين كنا في

رَبَّنَا وَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْنَاهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفِيرُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَفِيهِ السَّيِّئَاتُ وَمَنْ تَبَى السَّيِّئَاتُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَجِعَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا يَبْتَدُونَ لَقَدْ لَعَنَّ اللَّهُ أَكْثَرَ مِنْ مِائَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١١﴾ فَأَلَوْ رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْبَيْنَا أَثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكُمْ بِاللَّهِ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُسْأَلُ يَرْثُ بِعِزِّهِ يُؤْتِمُنَا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٣﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُزِيلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٤﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٥﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٦﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُودٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٧﴾

أصلاب الآباء، ثم صيرتنا أمواتاً عند انقضاء آجالنا، وأحييتنا إحياءين: الحياة الأولى في الدنيا، والحياة الثانية عند البعث، فاعترفنا الآن بذنوبنا التي ارتكبتها، من الشرك وتكذيب الرسل وترك التوحيد، ولكنه اعتراف في وقت لا ينفعهم الاعتراف فيه، فهل إلى خروج من جهنم، أي نوع من الخروج ولو بطيئاً، من طريق يسره لنا؟

١٢- ذلكم العذاب الذي أنتم فيه، بسبب أنه إذا دُعي وعُبد الله في الدنيا وحده دون غيره، كفرتم بالتوحيد، وإن يجعل له شريك في العبادة، تُصدّقوا بالإشراك به، فالقضاء المبرم في شأنكم اليوم لله وحده لا شريك له، المتعالي عن الشرك ومماثلته في ذاته وصفاته، الذي كُبر على كل شيء من المخلوقات.

١٣- هو الله الذي يريكم دلائل قدرته وتوحيده، وينزل لكم من السحاب مطراً، يكون سبب الرزق، فجمع تعالى بين قوام الأرواح وقوام الأبدان، وما يتعظ بتلك الآيات الباهرة إلا من يرجع عن الشرك والعناد، إلى طاعة الله والتفكير في هذه الآيات.

١٤- فاعبدوا الله مخلصين له العبادة من الشرك، ولو كره الكافرون ذلك، وشق عليهم.

١٥- الله رفيع الصفات، المنزّه عن مشابهة المخلوقات، صاحب العرش ومالكة وخالقه، والمتصرف فيه، يلقي الوحي على من يشاء من عباده، وسمي الوحي روحاً؛ لأنه كالروح للجسد، يلقيه من قوله، ليحترق ويخوف من يوم تلاقي الخلق مع الخالق، للحساب والجزاء.

١٦- يوم هم ظاهرون خارجون من قبورهم، لا يخفى على الله منهم شيء من أعمالهم في الدنيا، ويقول الله حينئذ: لِمَنِ الْمُلْكُ الْمَطْلُوقُ يوم القيامة؟ فلا يجيبه أحد، فيجيب الله سبحانه نفسه قائلاً: لله الواحد الأحد، القهار لخالقه.

١٧- اليوم تجزى كل نفس بما كسبت من خير أو شر، لا ظلم لأحد اليوم بنقص ثواب أو زيادة عقاب، إن الله يحاسب جميع الناس سريعاً، في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا، لأن علمه محيط بكل شيء.

١٨- وخوفهم وحذرهم أيها النبي يوم القيامة، وسمي بالأزفة لقربه، حين تصير القلوب خوفاً عند الحناجر، أي الحلق، كناية عن شدة الخوف والضيق، ممتلئة قلوبهم غمّاً وكرهاً، ما للكافرين من قريب أو صديق ينفعهم، ولا شافع يطاع في شفاعته لهم.

١٩- يعلم الله تعالى خيانة الأعين: وهي استراق النظر إلى ما لا يحل النظر إليه، ويعلم ما نكتمه الضمائر، وتسره القلوب.

٢٠- والله يقضي بالعدل التام؛ لأنه المالك المطلق المطلع على جميع الأمور، والذين يعبدون الأصنام والأوثان من دون الله، لا يحكمون بشيء؛ لأنهم جمادات لا يعلمون شيئاً، ولا يقدر على شيء، إن الله هو السميع لأقوالهم، البصير بأفعالهم.

الْيَوْمَ نُجْزِي كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ١٧ وَأَنْذَرْنَاهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمٍ مِّنَ الْأَعْيُنِ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ١٨ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ١٩ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ٢٠ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ٢١ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ سَدِيدٌ لِّلْعِقَابِ ٢٢ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ٢٣ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَلُمِّنْ وَقُرُونِ فَتَوَلَّوْا سِطْرًا كَذَٰلِكَ ٢٤ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكُمْ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ٢٥

٢١- أو لم ينتقل هؤلاء المشركون في الأرض الواسعة، فينظروا كيف كان مصير الذين سبقوهم من الأمم المكذبين رسلهم، كانوا هم أشد منهم قدرة وتمكناً، وأعظم أثاراً في الأرض بما بنوا من قصور وحصون، فلم تنفعهم شيئاً، فعاقبهم الله بذنوبهم، ويسبب كفرهم، وما كان لهم من الله من دافع أو واقٍ يدفع عنهم السوء أو العذاب.

٢٢- ذلك العذاب بسبب أنهم كانت تأتيهم رسلهم بالحجج الواضحة، والمعجزات الباهرة، الدالة على صدقهم، فكفروا بما جاؤوهم به، فأهلكهم الله بذنوبهم، إن الله قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء، شديد العقاب لمن عصاه.

٢٣- ولقد أرسلنا موسى بآياتنا التسع وهي المعجزات المعروفة: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنين والجذب، ونقص الثمرات، والطمس على الأموال، والطبع على القلوب، وأرسلناه بالحجة الواضحة. وجعل بعضهم اليد والعصا بدل الآيتين الأخيرتين.

٢٤- أرسلناه إلى فرعون حاكم مصر، وهامان: كبير وزراء فرعون، وقارون: الثري من قوم موسى، فقالوا عن موسى: إنه ساحر كذاب فيما جاء به.

٢٥- فلما جاءهم بالحق والصدق من عندنا: وهي معجزاته الظاهرة، قال فرعون وقومه: استمروا في قتل أبناء المؤمنين معه، واستبقوا إناثهم أحياء، كما ذكر في الآية [٤] من القصص [٢٨]. أي إنه لما بعث الله موسى، جدد فرعون قتل أبناء بني إسرائيل، وما تدير فرعون الخفي إلا في ضياع، أي لا يضر رسل الله تعالى.



وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ. إِنِّي أَخَافُ
أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ
﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ
لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ
جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكْذِبْكُمْ فَعَلَيْهِ كَذِبُهُمْ وَإِنْ يَكُ
صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ
مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَقَوْمُ لَكُمْ الْمَلَكُ الْيَوْمَ ظَاهِرٌ فِي الْأَرْضِ
فَمَنْ يَبْصُرْ نَافِلًا مِنْ بَاسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَ فَأَقَالَ فِرْعَوْنُ مَا أَرَى بَعْضُكُمْ
إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي
آمَنَ يَوْمَئِذٍ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾
مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ
وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَقَوْمُ إِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْنَّكَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ
مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

٢٦- وقال فرعون: اتركوني أقتل موسى بيدي،
وليدع ربه لتخليصه مني. وفي هذا غاية الكيد
والحق والتجبر. إني أخاف إن لم أقتله أن يغير ما
أنتم عليه من العبادة: عبادتي وعبادة الأصنام، أو
أن يفسد أرض مصر بإثارة الفتن والخلافات.

٢٧- وقال موسى: إني استعنت وتحصنت بربي
وربكم أيها الناس من شر كل متعظم لا يؤمن بالله
ولا بيوم البعث والنشور والحساب، ويدخل في
ذلك فرعون وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعانة
والتعريض الذي هو أبلغ من التصريح.

٢٨- وقال رجل مؤمن من أقارب فرعون، كان
ابن عمه وصاحب شرطته كان يخفي إيمانه بالله
خوفاً من فرعون: أتقصدون قتل رجل لا ذنب له
إلا أن يقول: ربي الله وحده، والحال أنه قد جاءكم
بالمعجزات الواضحات الدالة على صدق نبوته،
وإن يك كاذباً فعليه إثم أو يال كذبه وضرره
وحده، وإن يك صادقاً في رسالته، يُصِيبْكُمْ بعض
ما يعدكم به من العذاب، إن الله لا يوفق للحق من
هو عاص متجاوز للحد، مفتر، والمراد: لو كان

موسى كاذباً لما وُفق للبينات ولا ظهرت على يديه المعجزات.

٢٩- يا قوم انفرادكم في هذا العصر بملك مصر، غاليين عالين على بني إسرائيل، متحكمين في شعبها، فمن
يمنعنا من عذاب الله الشديد إن جاءنا بعد قتل موسى؟ قال فرعون مراوفاً موهماً أنه ناصح مؤتمن يقصد جلب
النفع ودفع الضرر: ما أشير عليكم إلا بما أشير على نفسي، وهو قتل موسى، وما أدلكم إلا على الطريق
الصواب.

٣٠- وقال المؤمن: يا قوم، إني أخاف عليكم في تكذيبه والتعرض لقتله مثل أيام ووقائع الأم الماضية
الذين تمزبوا على أنبيائهم وكذبوهم، أي أن يحل بكم من الهلاك مثلما حل بهم.

٣١- مثل العادة المتبعة في استئصال الكفرة الذين آذوا الرسل وكذبوهم، من قوم نوح، وعاد، وثمود،
والذين من بعدهم كقوم لوط، وليس الله بظالم عباده، فلا يعاقبهم بغير ذنب.

٣٢- ويا قوم، إني أخاف عليكم يوم القيامة، حيث ينادي الكفار بعضهم بعضاً للاستغاثة والنجدة من
أحوال ذلك اليوم.

٣٣- يوم تهربون مسرعين خوفاً من العذاب، ليس لكم من عذاب الله من مانع يعصمكم منه، ومن يُبعد
الله عن الحق لسوء اختياره، فما له من مرشد ينقذه.

٣٤- ولقد جاء آباءكم أيها المصريون نبي الله يوسف بن يعقوب عليه السلام، من قبل موسى عليه السلام، فما زلتُم في شك مما جاءكم به يوسف من الأدلة الدالة على صدقه، ولم تؤمنوا به حقيقة، حتى إذا مات، قلتم: لن يبعث الله من بعده رسولاً، وفيه تكذيب برسالة يوسف وموسى معاً، مثل إضلالكم يضل الله في العصيان من هو مسرف في المعاصي مستكثر منها، شك في وحدانية الله تعالى ووعدده ووعيده.

٣٥- الذين يجادلون في آيات الله الموحى بها ليطلوها، بغير برهان أو حجة واضحة، كبر أو عظم جدالهم بغضاً، أي ما أكبر ما يمقت الله والمؤمنون، والمقت: أشد البغض؛ لأنه جدال بالباطل وتعنّت ومكابرة، وكما طبع (ختم) الله على قلوب هؤلاء المجادلين، فكذاك يختم الله على قلوب جميع المتكبرين الجبارين عقاباً لهم، ومتى تكبر القلب تكبر صاحبه.

٣٦- وقال فرعون (ملك القطيف في مصر): يا

هامان (وزير فرعون) ابن لي قصرأ مشيداً (بناً عالياً) لعلي أصل إلى الطرق الموصلة إلى المطلوب.

٣٧- الطرق المؤدية إلى السموات، فأنظر إلى إله موسى - وهذا تأثر بدين المشبهة الذين يعتقدون أن الله في السماء - وإني لأظن موسى كاذباً في ادعائه بأن له إلهاً غيري، ومثل ذلك التزيين الشيطاني، زين الشيطان لفرعون عمله السيئ، من الشرك والتكذيب، ومنع بهذا عن سلوك طريق الهداية والاستقامة والرشاد، وما تدبير فرعون الذي دبره لإبطال رسالة موسى إلا في خسارة وضباع.

٣٨- وقال مؤمن آل فرعون أيضاً: يا قوم، اقتدوا بي واعملوا بنصحي، أهدكم طريق الرشيد (ضد الغي والضلال) والفوز والنجاة.

٣٩- يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متعة زائلة، وإن الآخرة هي دار الخلود والبقاء.

٤٠- من عمل في الدنيا معصية، فلا يجزى إلا بقدرها، عدلاً من الله، ومن عمل عملاً صالحاً من ذكر أو أنثى، والحال أنه مؤمن بالله ورسله، فأولئك لا غيرهم يدخلون الجنة، يرزقون فيها رزقاً حسناً وافراً، من غير تقدير ولا تحديد.

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ
مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ
بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
مُزْتَابٍ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ
أَتَتْهُمْ كَذِبًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ
يُطِيعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَرٍ جَارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ
فِرْعَوْنُ يَهْمُنُ ابْنُ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَنبَغُ الْأَسْبَابِ ﴿٣٦﴾
أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلِعْ إِلَيَّ يَا مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ كَذِبًا
وَكَذَلِكَ زَيْنُ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ
وَمَا كَبُرُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ
يَقُومُ الْيَوْمَ أُهْدِيكُمْ سَبِيلَ ارْتِسَادٍ ﴿٣٨﴾ يَقُومُ
إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ
الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا
وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرُوا أَنِّي وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِرِزْقٍ فِيهَا بَغِيرُ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾



٤١- ويا قوم، مالي أدعوكم إلى طريق النجاة وهو الإيمان بالله وحده، كرر ذلك للتأكيد والتصريح بإيمانه، وتدعوني إلى ولوج النار، بالشرك، والمراد: أخبروني كيف أدعوكم لدخول الجنة بالإيمان، وتدعوني إلى دخول النار بالكفر؟

٤٢- ثم أوضح هذا المؤمن الدعوتين بقوله: تدعوني لأكفر بالله وأشرك به، ما لا وجود له ولا علم لي بكونه شريكاً لله، وأنا أدعوكم إلى الله تعالى القوي القاهر الذي لا يغلب، الغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً.

٤٣- حقاً، أن الذي تدعوني إليه لأعبده، ليس في مقدوره إجابة دعاء من يدعوه، في الدنيا والآخرة، وأن مرجعنا بعد الموت إلى لقاء الله، وأن المستكثرين من المعاصي كالإشراك والطفيان وسفك الدماء هم أهل النار.

٤٤- وستذكرون عند معاينة العذاب ما أقول لكم من النصيحة، وأسلم أمري إلى الله وأنوكل عليه، إن الله مطلع على أحوال العباد وأفعالهم من

وَيَقَوْمَ مَا لِي ادْعُوكُمْ إِلَى الْغُيُوتِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ۖ
تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَآشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ
وَأَنَا ادْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ۖ لَأَجْمَ أَمَّا تَدْعُونَنِي
إِلَيْهِ لَيْسَ لَكَ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا
إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ
فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوتُ أَمْرِي
إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۖ قَوْلَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ
مَا مَكُرْتُمْ وَأَوْحَايَ إِلَى فِرْعَوْنَ سُوءَ الْعَذَابِ ۖ
النَّارُ بُعِثَ رُضُونٌ عَلَيْهَا عَذَابٌ وَأَوْعِشْتُ وَأَيُّكُمْ يَقُومُ السَّاعَةَ
أَدْخَلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۖ وَإِذِ يَخَاجُونَ فِي
النَّارِ يَقُولُ لَصَافِقُوا الَّذِينَ اسْتَغْبَرُوا مِنَّا كُنَّا لَكُمْ
بِعَاقِلٍ لَنْ نُنْفِقُ عَنْهُمَا صِيبًا مِنَ النَّارِ
ۖ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ
قَدَحَكُمْ بَيْنَ الْعِبَادِ ۖ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لَخِزْنَةٌ
جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ۖ

طاعة أو عصيان.

٤٥- فحماء الله وحفظه من شذائد مكرهم وشر ما أرادوا به، ونزل أو أحاط بفرعون وقومه العذاب السيئ، بالغرق في الدنيا، والنار في الآخرة.

٤٦- تُعرض أرواحهم على النار في البرزخ (أي بعد موتهم وقبل القيامة) صباحاً ومساءً، لإزعاجهم، وينعكس أثر العذاب على أجسادهم ولو تبددت، ويوم تقوم القيامة يقال للملائكة: أدخلوا آل فرعون في أشد أنواع العذاب في جهنم. والظاهر أن عذاب القبر دائم لهؤلاء.

٤٧- واذكر أيها النبي حين يتخاصم أهل النار فيها، فيقول الضعفاء: الأتباع للقادة الذين تكبروا عن الإيمان، وهم رؤساء الكفر: إنا كنا في الدنيا أتباعاً لكم نأتمر بأمركم، فهل تنفعونا دافعين عنا جزءاً من عذاب النار؟ فكلمة «مغنون» متضمن معنى (مدافعين).

٤٨- قال الرؤساء والزعماء الذين تكبروا: إنا وأنتم معاً في جهنم، فكيف نغني عنكم؟ إن الله قضى بالعدل بين العباد، ولا معقب لحكمه، وآل كل فريق إلى مصيره.

٤٩- وقال أهل النار لخزنة جهنم (وهم الملائكة القائمون بتعذيب أهل النار): ادعوا الله ربكم يخفف عنا شيئاً يسيراً من العذاب بمقدار يوم، أي إنهم طلبوا من الملائكة الشفاعة عند الله تعالى.

٥٠- قال الخزنة تهكماً: أليست كانت الرسل والأنبياء تأتيكم بالحنجج على توحيد الله؟ قالوا: بلى أتونا بها، فكذبناهم، قال خزنة جهنم: فادعوا إذن أنتم، فإننا لا ندعو لمن كفر بالله وكذب رسله، وليس دعاء الكفار إلا في ضياع وخسران، فلا يستجاب.

٥١- إننا لننصر رسلنا والمؤمنين، فنجعلهم متغلبين على أعدائهم، في الدنيا، بالقتل والأسر والسلب، وإظهار الحجة، ويوم القيامة حين تشهد الملائكة للأنبياء والرسل بالبلاغ، وعلى الكفار بالكذب، فيدخل الله أهل الإيمان الجنة، ويدخل الكفار النار.

٥٢- يوم القيامة حيث لا يفيد الكفار اعتذارهم ولا يقبل منهم؛ لأن أعدارهم وأهية باطلة، ولهم الطرد والبعد من رحمة الله، ولهم النار حيث يقيمون فيها.

٥٣- ولقد أتينا موسى ما يهتدى به من الضلالة إلى الحق، من التوراة المشتعلة على الشرائع والمعجزات المثبتة للصدق، وأورثنا بني إسرائيل كتاب التوراة من بعد موسى.

٥٤- هداية وإرشاداً، وتذكرة وموعظة لأصحاب العقول الرشيدة.

٥٥- فاصبر أيها النبي على أذى المشركين، إن وعد الله بالنصر وإعلاء كلمة الله حق ثابت لا يخلقه أبداً، واستغفر لذنبك لزيادة الثواب، وكونك قائد الأمة ليتأسوا بك، ونزه الله مع حمده وشكره وداوم على ذلك، في المساء والصباح.

٥٦- إن الذين يجادلون في آيات القرآن، بغير حجة وبرهان جاءهم من عند الله، ما في صدورهم إلا تكبر عن اتباع الحق، ما هم ببالغني مرادهم وهو الزعامة والتغلب على النبي، فالتجئ إلى الله من شرهم وكيدهم، إن الله هو السميع لأقوالهم، البصير بأحوالهم وأفعالهم. نزلت في منكري البعث مشركي مكة وغيرهم من الكفار عامة.

٥٧- ثم رد الله على هؤلاء الكفار منكري البعث بأن خلق السموات والأرض في ابتداء الكون أعظم من بعث الناس بعد الموت، ولكن أكثر الناس لا يعلمون بما عليه قدرة الله، ولا يتأملون لغفلتهم واتباع أهوائهم.

٥٨- ولا يستوي الكافر والمؤمن، والجاهل والعالم، والغافل والمتبصر، ولا يستوي المحسن الذي آمن وعمل الصالحات، والسيء المقصر بالكفر والمعاصي، قليلاً ما تتعظون أيها الناس، والمراد أن تذكروهم قليل جداً في حكم المعدم.

قَالُوا أَوَلَمْ نَكُنْ بِكُمْ رَسُولًا مِّنْ قَبْلُ أَفَلَا تُفْقَهُونَ ۖ قَالُوا بَلَىٰ أَتَوْنَاهَا فَانفِخْ بِنفْسِكَ إِنَّا تَصْرِفُونَ ۝ إِنَّا نُنصِرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ۝ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ۝ هُدًى وَبَيِّنَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَسَجِّدْ بِحُجُرِكَ يَا عِشْقَى الْإِنكِارِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَعْرِضُونَ ۝ اللَّهُمَّ إِنِّي فِي صُدُورِهِمْ الْأَكْبَرِ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاصْبِرْ يَا اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَالْحِكْمَ أَكْبَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا النَّاسُ ۚ قَلِيلٌ مَّا تَذَكَّرُونَ ۝

٥٩- إن القيامة آية لا شك في حصولها، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون بذلك، ولا يصدقونه، لضعف تفكيرهم ومحاكماتهم العقلية.

٦٠- وقال ربكم: اعبدوني أنبكم، واسألوني أعطكم، والمراد بالدعاء: السؤال بطلب النفع ودفع الضر، وهو في ذاته عبادة؛ لأن «الدعاء مخ العبادة» كما جاء في الحديث الصحيح، إن الذين يتكبرون عن عبادتي ودعائي سيدخلون جهنم صاغرين أذلاء. وهذا وعيد لكل من تكبر عن عبادة الله ودعائه.

٦١- الله الذي أوجد لكم الليل مظلماً لتستريحوا فيه من عناء العمل والكسب في النهار، وجعل لكم النهار مضيئاً لتبصروا فيه أعمالكم وحوادثكم، إن الله لصاحب فضل عظيم على الناس بما أنعم عليهم من نعم كثيرة لا تحصى، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على هذه النعم، فلا يؤمنون ولا يطيعون ربهم فيما شرع لهم.

إِنَّا نَسْأَعُ لِآيَةٍ لَا تَرِيبُ فِيهَا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ عَنِّ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاجِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْبَيْتَ لِتَشْكُرُوا فِيهِ وَآلِهَةً مَّبْصُورَةً إِنْ اللَّهُ لَدُوْضِلٌ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا شَاكِرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنْ تَوَفَّكُمُ ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ يُؤَفِّكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَحْمَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَبَارِكْ لَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْخَاشِعُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ احْمَدُوهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾

٦٢- ذلكم الخالق المنعم هو الله ربكم خالق كل شيء في السماء والأرض، لا إله معبود بحق إلا الله، فكيف تصرفون عن عبادة الله إلى عبادة غيره؟

٦٣- مثل ضلال هؤلاء وانصرافهم عن عبادة الله إلى عبادة الأصنام، يصرف كل من جحد بآيات الله ومعجزاته، وينكر توحيده عن اتباع الطريق القويم.

٦٤- الله وحده الذي جعل لكم الأرض مستقراً، والسماء مبنية بإحكام، وخلقكم في أحسن صورة، ورزقكم من طيبات الرزق ولذائذه، ذلكم المبدع الرازق هو الله ربكم، فتقدس الله وتزده رب الخلاق كلها.

٦٥- هو سبحانه الحي الدائم الحياة، الباقي الذي لا يموت، لا معبود بحق في الوجود سواه، فادعوه واعبدوه مخلصين له الطاعة والعبادة، وقولوا: الشكر والثناء التام لله رب الخلاق أجمعين.

٦٦- قل أيها النبي للمشركين: إني نهيت ومنعت أن أعبد الذين تعبدون من غير الله من الأصنام والأوثان، لما جاءتني الأدلة القاطعة الواضحة الدالة على وحدانية الله، من ربي الذي رباني بنعمه، وأمرت أن أخضع وأنقاد لله رب الخلاق كلها. أخرج جويبر عن ابن عباس: أن الوليد بن المغيرة، وشيبة بن ربيعة قالوا: يا محمد، ارجع عما تقول بدين آبائك، فأنزل الله هذه الآية.

٦٧- الله وحده هو الذي خلقكم أيها الناس في الأصل من تراب يخلق أيبكم آدم عليه السلام، ثم خلقكم من نطفة (مادة المني) ثم من علقه (دم متجمد) ثم يخرجكم أطفالاً (الطفل يطلق على الواحد والأكثر) أي يخرج كل واحد منكم طفلاً، ثم تصلوا مرحلة بلوغ الأشد: وهي مرحلة اكتمال القوة والعقل من ثلاثين إلى أربعين، ثم لتصبروا كبار السن في مرحلة الشيخوخة (بعد الستين) ومنكم من يموت قبل هاتين المرحلتين أو إحداهما، ويفعل الله ذلك لتبلغوا وقتاً محدداً، هو وقت الموت، ولكي تتأملوا وتفكروا بما في ذلك من دلائل التوحيد والقدرة الإلهية.

٦٨- الله وحده هو القادر على الإحياء والإماتة، فإذا أراد إيجاد شيء، فإذا يقول: كن فيكون موجوداً كما أراد الله تعالى.

٦٩- ألم تنظر أيها النبي تعجباً إلى الذين يجادلون بالباطل في آيات الله القرآنية، كيف يصرفون أو يبعدون عن الإيمان بالله والإقرار بالحق؟!

٧٠- الذين كذبوا بالقرآن وغيره من الكتب السماوية، وبما أرسلنا به رسلنا من الدعوة إلى

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكَوُنُوا شُيُوعاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِلَّهِ أَجَلٌ مُّسَمًّى وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِنَّا فَضْئِلٌ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَجْعَلُونَ فِيءَ آيَاتِ اللَّهِ أَنْ يُصِرُّوْنَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلًا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذَا الْأَغْصَانُ فِي أَغْتَابِهِمُ وَالسَّالْسِلُ يُحْبَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ إِنَّمَا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلَّ لَكُمْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنَّمَا كُنْتُمْ تَمُرُّوْنَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِنَّمَا تِرْيَاقُ بَعْضِ الَّذِي يُعَذِّبُهُمْ وَأَتَوَفَّيْتُمْ فَأَلْبَسْنَا بِرُجُوعِهِمْ ﴿٧٧﴾

توحيد الله والبعث والأخلاق والشرائع والأحكام، فسوف يعلمون عاقبة أمرهم وتكذيبهم.

٧٢، ٧٣- سوف يعلمون حين توضع الأغصان في أعتاقهم، ويسحبون بالسلاسل (وهو الحديد في الأيدي والأرجل) بعنف في جهنم والحميم: الماء الشديد الحرارة، ثم يحرقون ويوقدون في النار. وإذ للماضي، استعملت هنا مثل «إذا» للمستقبل.

٧٣- ثم يقال لهم توبيحاً وتقريعاً: أين الأصنام والأوثان التي كنتم تعبدونها وتشركونها مع الله في الدنيا؟!

٧٤- تشركونها في العبادة من غير الله، ما لهم لا ينقدونكم من العذاب؟ قالوا: ذهبوا عنا وغابوا، فلم ينفعونا، بل لم تكن نعبد شيئاً يستحق العبادة في الدنيا، أي إنهم أنكروا عبادتها، وأقروا بأنها مجرد أوهام، مثل إضلال هؤلاء المكذبين، يضل الله الكافرين، فلا يهتدوا إلى خير، بسبب كذبهم وضلالهم.

٧٥- ذللكم العذاب بسبب ما كنتم تبطلون وتكبرون ومظهري السرور بالمعصية في الدنيا بغير الحق وهو الشرك والعصيان وإنكار البعث، وبما كنتم تختالون بطراً وخيلاء، فرحين بالمعاصي، ومخالفة الرسل والكتب. والفرح المذموم: هو التجرد على المنكرات مع الظن أن ذلك من علامات القوة.

٧٦- ويقال لهم بعد دخول النار تبكيتاً وتقريعاً: ادخلوا أبواب جهنم ماكنين فيها على الدوام، فبئس (قبح) مأوى المتكبرين عن عبادة الله والإيمان بالآخرة.

٧٧- فاصبر أيها النبي على أذى المشركين، إن وعد الله بنصركم والانتقام من أعدائكم كائن حتماً، فإن أريناك بعض ما نعدهم به من العذاب الدنيوي كالقتل والأسر، أو تنويفتك قبل رؤية تعذيبهم، فإلينا يصيرون ويردون يوم القيامة، لنجازيهم بأعمالهم.

٧٨- ولقد أرسلنا رسلاً كثيرين إلى أممهم من قبلك أيها الرسول، منهم من أخبرناك بأخبارهم، ومنهم من نذكر لك أخبارهم، وما كان لرسول أن يأتي بمعجزة دالة على نبوته، إلا بأمر الله وإرادته، فلما جاء أمر الله بتزول العذاب على الكفار في الدنيا أو في الآخرة، حكم بين الرسل ومكذبيهم بالحق، بإنهاء المحق، وتعذيب المبطل، وظهرت في ذلك الوقت خسارة الذين يتبعون الباطل ويعملون به.

٧٩- الله تعالى الذي خلق لأجلكم الأنعام (والمراد بها هنا الإبل) لتركبوا بعضها، وتأكلوا بعضها الآخر.

٨٠- ولكم فيها منافع كثيرة أخرى كالإبلان والجلود والأصواف والأربار، ولتحققوا حاجاتكم بالسفر عليها وحمل الأثقال إلى البلاد، والحاجة: الأمر المهم، وعليها وعلى السفن في البحر تحملون.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَوْ نَقُصُّ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرُّسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَاتٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِنَّا جَاءَ أَمْرًا لِلَّهِ فَضَى بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَكُونُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلَبِغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِهِمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَإِنَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَ نَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالنَّبِيِّ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَخَافَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمَّا يَكُنْفَعُهُمْ أَمْرُهُمْ تَارُوا بِأَسْنَانَا سُنَّتِ اللَّهُ إِلَيْنَا قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

٨١- ويريك الله دلائله الدالة على كمال قدرته ووحديته وسعة رحمته، فأي تلك الدلائل تنكرون؟ فإنها لوضوحها لا تقبل الإنكار.

٨٢- أفلم يسافر في الأرض هؤلاء المشركون المجادلون بالباطل، فينظروا ويتأملوا في أسفارهم فيما حلّ بالأمم السابقة من العذاب بسبب كفرهم وتكذيبهم رسلهم؟ كانوا أكثر منهم عدداً، وأشد قوة وأبقى أثراً في الأرض بالعمائر والمصانع والمزارع، فما أفادهم ومنع عنهم العذاب ما عملوا به في الدنيا من شرك ومكر، وما كسبه من ثروات وأموال.

٨٣- فلما جاءتهم رسلهم بالمعجزات وأدلة توحيد الله، فرحوا بما لديهم من عقائد زائفة وشبه داحضة، ونزل بهم ما هزقوا به من العذاب، وأحرق بهم جزاء استهزائهم.

٨٤- فلما رأوا أشدة عذابنا قالوا: آمنا بالله وحده، وكفرنا بما أشركنا به من عبادة الأصنام والأوثان، أي إنهم تبرؤوا من شركهم.

٨٥- فلم يكن ينفعهم إيمانهم عند معاينة عذابنا، لقوات وقت قبول التوبة، فإنه ينفع الإيمان الاختياري، لا الإيمان الاضطراري، والحكم بعدم نفع الإيمان عند مشاهدة العذاب: هو سنة الله المقررة في الأم كلها، وخسر حيثئذ الكافرون خسارة لا تعوض إذا رأوا العذاب.

سورة فصلت

فضلها: أخرج عبد بن حميد وأبو يعلى والبغوي: أن النبي ﷺ قرأها على عتبة بن ربيعة إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ [١٣] وكانت قريش قد أرسلته مندوباً عنها، ليفاوض النبي في ترك دعوته، ويقدموا له المال والنساء وغيرهما، فعاد عتبة قائلاً عن القرآن: والله ما هو بشعر ولا كهانة، وقرأ ما سمع.

١- حا، ميم: للتنبيه إلى خطورة ما وراء ذلك، ولتحلدي العرب بالإتيان بمثل القرآن الذي هو من لغتهم.

٢- هذا القرآن تنزيل من الله تعالى ذي الرحمة الواسعة، المنعم بعظائم النعم ودقائقها.

٣- وهذا القرآن كتاب بُيئت أحكامه من حلال وحرام، ووضحت معانيه لفهم ييسر وسهولة، حال كونه قرآناً عربياً في لفظه وأسلوبه، تذكيراً لهم، وحجة عليهم، لقوم يعلمون قدره.

٤- يبشّر المؤمنين بالجنة إن عملوا به، وينذر العصاة المخالفين بالنار، فأعرض أكثر الكفار عن قبوله، فهم لا يسمعون سماع تأمل وقبول وانتفاع.

٥- وقال كفار قريش: قلوبنا مغطاة بأغشية، فلا تفهم شيئاً، وفي آذاننا صمم، ومن بيننا وبينك أيها النبي ستار وحاجز، وهو شدة كرهنا لك، يحول دون اتباع رسالتك، فاعمل على دينك، إننا عاملون على ديننا دون مفارقة.

٦- قل أيها النبي للمشركين: إنما أنا بشر كأمثالكم، لستُ ملكاً أو جنياً لا ألتقي بكم، إلا أنه يوحى إلي من ربي أنه الإله الواحد المستحق للعبادة، فاستقيموا إليه بالطاعة، واطلبوا المغفرة، وهلاك للمشركين لفرط جهلهم بالله تعالى.

٧- وهم الذين لا يؤدون الزكاة للمحتاجين، وهم جاحدون بالآخرة لا يصدقون بها.

٨- إن الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا الصالحات لهم ثواب غير مقطوع عنهم، ولا يمتن به.

٩- قل أيها النبي للمشركين توبيخاً وتقريعاً: كيف تكفرون بالله الذي خلق الأرض في مقدار يومين، وتجعلون له شركاء مماثلين له في القدرة والقدر، ذلك المتصف بما ذكر هو رب المخلوقين كلهم.

١٠- وجعل هذا الرب في الأرض جبلاً لا ثواب مرفوعة فوقها، وجعل الأرض كثيرة الخير، وقدر فيها أرزاق أهلها في مقدار أربعة أيام، مستوية لا تفاوت بينها لمن سأل عن مدة خلق الأرض، وجعلها متساوية لطالبي الرزق بالسعي فيها.

١١- ثم توجهت إرادته أو عمد إلى خلق السماء، وهي كتلة غازية (وهي السديم) تشبه الدخان (ما ارتفع من لهب النار) فقال للسماء والأرض بعد خلقهما: اتبيا في الوجود طائعتين أو مكبرتين، قالتا: أتينا متقادين لأمرك دون تلكؤ. والمراد تصوير تأثير قدرته تعالى في تهيتها للانتفاع بهما، وتأثرهما بسرعة لأمر الخالق.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ح ١ نَزَّلَ مِنَ الرِّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١ كُتِبَ فَضْلَتْ ءَايَاتُ قُرْآنِنا
 عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٢ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ
 ٣ وَقَالُوا أَأُفْلِحُ إِنَّا بِكُمْ أَعْيُنًا وَإِنَّا فَرِحْنَا بِكُمْ إِنَّا نَبْتِكُمْ مِنْ أَرْضٍ وَإِنَّا لَنَعْمَلُوكُمْ وَإِنَّا لَنَعْمَلُوكُمْ
 يُوحَىٰ إِلَىٰ أَعْيُنِنَا لَعَلَّهُمْ يَحْكُمُونَ ٤ وَنَحْنُ أَكْبَرُ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا ٥ وَأَنذَرْنَا
 لَكُمْ عَذَابًا ٦ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَافِكُونَ ٧ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ
 ٨ إِنَّا لَنَذِيرٌ لَّكُمْ وَلَئِنْ لَّمْ يَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ وَأَطَاعُوا لَأَعْلَبُ عَلَيْهِمْ يَوْمَئِذٍ الْغَلِيظُ ٩
 ١٠ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ١١ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الصَّالِحِينَ ١٢
 ١٣ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ نَارٍ حَمِيمٍ ١٤ ثُمَّ عَلَّمْنَاهُ رُحُوسَ الْإِنسَانِ ١٥ أَفَلَا يَتَذَكَّرُ ١٦
 ١٧ أَلَمْ نَكُنْ بِمُوسَىٰ إِذْ دَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَكْرُومٌ ١٨ وَلَقَدْ جَاءَهُ ذِكْرُنَا بِرُحْمَةٍ وَأَنَّا كَاتِبُونَ
 ١٩ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ إِنَّا لَنَسْمَعُ أَصْوَاتَهُمْ ٢٠ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ هُمُومٌ ٢١ فَخَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ٢٢
 ٢٣ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٢٤ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٢٥ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٢٦ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٢٧ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٢٨ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٢٩
 ٣٠ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٣١ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٣٢ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٣٣ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٣٤ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٣٥
 ٣٦ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٣٧ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٣٨ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٣٩ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٤٠ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٤١
 ٤٢ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٤٣ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٤٤ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٤٥ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٤٦ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٤٧
 ٤٨ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٤٩ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٥٠ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٥١ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٥٢ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٥٣
 ٥٤ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٥٥ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٥٦ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٥٧ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٥٨ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٥٩
 ٦٠ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٦١ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٦٢ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٦٣ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٦٤ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٦٥
 ٦٦ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٦٧ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٦٨ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٦٩ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٧٠ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٧١
 ٧٢ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٧٣ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٧٤ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٧٥ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٧٦ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٧٧
 ٧٨ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٧٩ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٨٠ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٨١ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٨٢ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٨٣
 ٨٤ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٨٥ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٨٦ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٨٧ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٨٨ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٨٩
 ٩٠ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٩١ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٩٢ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٩٣ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٩٤ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٩٥
 ٩٦ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٩٧ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٩٨ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ٩٩ وَتَسَبَّحُوا لَهُمْ ١٠٠



فَقَصَّ لَهُمْ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبُوحٍ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صِغْفَةً مِّثْلَ صِغْفَةٍ
عَادَ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا يَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً
فَاتَانَا أَرْسِلْهُمْ بِرُسُلِهِمْ قَالُوا مَا تَأْتِيهِمْ فَاذْكُرُوا
فِي الْأَرْضِ بَعْدَ الرِّجْزِ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً أَمْ لَرَّبُّوْنَا أَلَا اللَّهُ
الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿١٤﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ مَحْسُوبَاتٍ لِنَذِيرَهُمْ
عَذَابَ الْآخِرَةِ فِي الْأَيَّامِ الَّتِي لَا تَعُدُّونَ وَهُمْ
لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَصَىٰ عَلَى
الْعُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صِغْفَةٌ الْأَعْدَابُ لَهْوَنَ بَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿١٦﴾ وَفِيْنَا الْإِسْرَاءَ أَمْرًا وَكَانُوا يُشْفِقُونَ ﴿١٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ
أَعْدَاءَ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ هَاشِدٌ
عَلَيْهِمْ سَمِعَهُمْ وَاصِّرُهُمْ جُلُودُهُمْ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

١٢- فأتهم خلقهن سبع سموات في مدة يومين،
فيكون تمام خلق السموات والأرض في ستة أيام،
وأوحى (أي أوجد، وهو الأمر التكويني) في كل
سماء ما هي مهية له من وجوه الارتفاع بها كالشمس
والقمر والنجوم وغيرها، وزين السماء الدنيا بكواكب
متألثة، كالمصابيح. وقد حوّل الكلام من الغيبة إلى
التكلم لفتاً لنظر السامع لبديع ما يذكر بعده. وحفظها
حفظاً من الاختلال والسقوط واستراق الشياطين
السمع بالشبه، ذلك الخلق تقدير القوي التام القدرة
في ملكه، العليم بمصالح خلقه. وكان خلق
السموات قبل خلق الأرض كما اختار أبو حيان،
والترتيب في قوله: ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ [١١]
في الذكر فحسب لا في الواقع، واختار الرازي
والشوكاني وغيرهما أن الأرض متقدمة خلقاً، متأخرة
دحواً، أي بسطاً وهو الأصح.

١٣- فإن أعرضوا. أي كفار مكة. عن الإيمان بهذه
الآيات التنزيلية، فقل لهم أيها النبي: خوفتكم
صاعقة كصاعقة عاد وثمود، والصاعقة، هي التي
تقتل في الحال، وهي صوت شديد مزعج، من نار
محرقة أو ريح مدمرة أو غيرهما، والمراد حذرتكم
مثل العذاب الذي أهلك أولئك الأقوام.

١٤- حين جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم، المتقدمون والمتأخرون تصافرون جميعهم على إقناعهم بأساليب
شتى، وطلبوا منهم ألا يعبدوا إلا الله إلهاً واحداً، قالوا: لو شاء الله لأرسل إلينا ملائكة، ولم يرسل إلينا بشراً من
جنسنا، فإننا كافرون بما تزعمون أنكم أرسلتم به إلينا.

١٥- فأما قوم عاد جماعة هود فتكبروا عن الإيمان بالله ورسله بغير حجة ولا حق، وقالوا: لا أحد أقوى منا، أو
لم يعلموا أن الله خالقهم هو أقوى منهم وأقدر عليهم وكانوا ينكرون آياتنا ومعجزات الرسل عتاداً. وقولهم: ﴿من
أشد..﴾ استفهام إنكاري يفيد النفي، أي لا أحد.

١٦- فأرسلنا عليهم ريحاً شديدة البرد والصوت في أيام ثمانية مشؤمات عليهم، لنذيقهم عذاب الذل والهوان
في الدنيا بسبب تكبرهم، وعذاب الآخرة أشد خزيًا وذلاً، وهم لا ينصرون بمنع العذاب عنهم.

١٧- وأما قوم ثمود جماعة صالح فبينما لهم طريق الهدى والخير والنجاة وعرفتهم طريق الشر، بإرسال الرسل
وبيان الحجج والأدلة، فاختاروا الكفر على الإيمان، فأخذتهم النار التي أهلكتهم فوراً، بسبب كفرهم وتكذيبهم.

١٨- ونجين المؤمنين المتقين وهم صالح ومن آمن برسالته.

١٩- ويوم يجمع ويساق أعداء الله بعنف إلى نار جهنم، وهم كل من كذب الرسل وكفار الأمم جميعاً، فهم
يُحسبون، ليتلاحقوا ويجمعوا، ثم يساقون إلى الجحيم.

٢٠- حتى إذا حضروا النار شهدت عليهم أسماعهم وأبصارهم وجلودهم بأن ينطقها الله، والمراد بالجلود هنا
جميع أعضائهم، من عطف العام على الخاص، بسبب ما عملوا في الدنيا من المعاصي، وارتكبوا من الكفر
والآثام.

٢١- وقال أعداء الله لجوارحهم (أعضائهم): لماذا شهدتم علينا؟ فأجابوا: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء من المخلوقات، فشهدنا بما علمتم من القبائح، ومن قدر على خلقكم في ابتداء الأمر، قادر على إعادتكم ورجوعكم إليه، فكلكم راجعون إليه بعد الموت للحساب والجزاء.

٢٢- وما كنتم تستترون وتستخفون عند ارتكاب الفواحش من شهادة جميع الجوارح عليكم يوم القيامة، ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً من أعمالكم من المعاصي، فاجترأتم على فعلها. وهذا إما من كلام الجلود أو من كلام الله أو من كلام الملائكة. نزلت في ثلاثة من القرشيين تساءلوا عن سماع الله كلامهم، فقال أحدهم: إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه، وإذا لم نرفعه لم يسمعه، وقال آخر: إن سمع منا شيئاً سمعه كله.

٢٣- وذلکم ظنکم بأن الله لا يعلم كثيراً عما تعملون أو وقعكم في الردى والهلاك في النار، فأصبحتم من الخاسرين أنفسهم، الهالكين.

٢٤- فإن يصبروا على العذاب، فالنار محل

وَقَالُوا الْجُلُودُ زُرْهِدْتُمْ عَلَيْنَا فَأَنُاطْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَالْبَاقِي تَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا فَمَاهَرٌ مِنَ الْمُغَیْثِينَ ﴿٢٤﴾ وَقَضَيْنَا لَهُمْ قُرْآنَهُمْ فَرِيقًا تَلَاهُ قَائِمًا يَدُورُ وَمَا حَلَفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْحَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالنَّوْافِلِ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْآخِرَةِ أَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرَبْنَا صِلَانًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لِنَجْعَلَهُمُ آتِثًا فَأَقْدَمْنَا لِكُونِهِمْ لَأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

إقامة واستقرار لهم، وإن يطلبوا العتبي، أي الرضى، أي زوال سبب العتبي وهو غضب الله عليهم، بأن يرضى الله عنهم، فليسوا من المرضيين، أي المجابين إلى ما يطلبون، لفوات الوقت.

٢٥- وهياناً وسلطاناً عليهم قرءاء من شياطين الإنس والجن كالأصحاب، لانحرافهم عن الصواب، فزيتوا لهم شهوات الدنيا المحرمة والكفر والضلال، وزينوا لهم من أمور الآخرة الألبث ولا حساب، وثبت أو وقع عليهم العذاب، كما ثبت على الأمم الخالية (الماضية) من قبلهم، من الجن والإنس، الذين أصروا على الكفر حتى الموت، إنهم كانوا خاسرين بسبب تكذيبهم ومعاصيهم، أي لأنهم، فهو تعليل لاستحقاقهم العذاب.

٢٦- وقال الكفار عند سماع القرآن من النبي ﷺ لبعضهم بعضاً: لا تنتصتوا لقراءة هذا القرآن، وعارضوه بالكلام اللغو الذي لا معنى له، من لفظ وتشويش وصياح، حتى لا يؤثر فيهم يسمعه، ولكي تغلبوا محمداً وصحبه، فيسكتوا.

٢٧- فلنذيقن العذاب الأليم الشديد جميع الكفار ومنهم هؤلاء القائلون المعارضو القرآن، ولنجزينهم في الآخرة جزاء أقبح أعمالهم في الدنيا، وهو الشرك. وهذا وعيد لجميع الكفار.

٢٨- ذلك الجزاء جزء أعداء الله وهم الكفار والعصاة وهو النار، لهم في جهنم دار الإقامة الدائمة، يجزون جزءاً بسبب تكذيبهم بآيات القرآن.

٢٩- وقال الكفار بعد دخول النار: ربنا أرنا من أضلنا من فريقي الجن والإنس، اللذين أوردانا موارد الهلاك، لكي ندوسهما بأقدامنا، ليكونا من الأذلين المهانين.



إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَرَىٰ
عَلَيْهِمُ الْمَلِئِكَةَ الْأَخْفَاءُ وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْبِئُوا
الْحَسَنَةَ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ تَحَىٰ وَأَيُّكُمْ فِي
الْخَلْقِ الدُّنْيَا فِي الْأَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُنَ أَنْفُسُكُمْ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا لَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ تَرَىٰ لَهُمْ فِيهَا عِزًّا رَاجِحًا ﴿٣١﴾
وَمَنْ أَحْسَنُ فَلَاحِزٌ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعِلَىٰ صِلَىٰ وَقَالَ إِنِّي
مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ
ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ
وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا
إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّمَا زَعَمْتَ أَنَّكَ مُنْزَلٌ
مِّن رَّبِّكَ فَأَسْمِعْ بَأْتَهُ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ وَمِن
آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ
وَلَا لِلْقَمَرِ وَاتَّخِذُوا اللَّهَ الَّذِي هُوَ خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ
يَسْتَحْسِنُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْخَمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٨﴾

٤٧- إليه تعالى لا إلى غيره مرد العلم بقيام القيامة، فذلك من مفاتيح الغيب التي اختص الله بها، وكل شيء غير ذلك بعلمه تعالى، فما تخرجه الأشجار من الثمار من أوعيتها أو أعطيتها التي تكون على الثمرة قبل ظهورها، وما تحمله الإنث في بطونها، وما تضعه من أولادها إلا بعلم الله، فإليه تعالى علم الساعة، وعلم هذه الأشياء، ويوم ينادي الله تعالى المشركين يوم القيامة بقوله: أين شركائي من الأصنام وغيرها الذين أشركتموهم معي في العبادة؟ قال المشركون: أعلمناك وأخبرناك: ما من أحد يشهد لهم بأنهم شركاؤك. فيكون السؤال عنهم للتوبيخ.

٤٨- وغاب وزال عنهم ما كانوا يعبدون في الدنيا من الأصنام ونحوها، فلا تنفعهم شيئاً، وأيقنوا أنه لا مهرب لهم من العذاب.

٤٩- لا يمل الإنسان الكافر من طلب الخير لنفسه، والخير: المال والصحة والحياة والسلطة والجاه، وإن أصابه الضيق من فقر وشدة ومرض ونحوها، كان يائساً أشد اليأس من فضل الله ورحمته، ظاهراً عليه آثار اليأس والحزن والكآبة والاستكانة.

إِلَيْهِ رُدُّ عِلْمِ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ تَرْبٍ مِنْ أَكْثَمِهَا وَمَا نَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا نَضَعُ الْأَبْعِلَةَ وَلَيْسَ بِمَنْ أُنْشِرَكَاهِمْ قَالُوا أَأَنْتَ أَتَىكَ مَا مِمَّا مَنِ شَهِيدٌ ۝ وَصَلَّيْنَاهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ ۝ لَا نَسْمُ الْإِنْسَانَ مِنْ دُعَاءِ الْفَقْرِ وَإِنْ نَسَهُ الشَّرُّ فَوَاطٍ ۝ وَلَئِنْ أَنْقَضَ رَحْمَةً وَنَسَا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّةً لَيُفْلِتَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّكَ إِنْ لَيْعَنْدَ النَّاسُ أَتُنَبِّئُ الَّذِينَ هُمْ بِأَسْمَاعِلُوا وَلَنْدِيْقَهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝ وَإِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا حُبَابَهُ وَإِنَّا مَسَّهُ الشَّرُّ فَوَاطٍ دُعَاءِ عَرِيضٍ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كُنْزُهَا مِنْ أَصْلٍ مِمَّنْ هُوَ فِي شَقَايَ بَعِيدٌ ۝ سَمِيعُهُ أَيْتَانِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ فِي رَبِّهِمْ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ۝

سُورَةُ الضُّحَى (١٧)

٥٠- ولئن آتينا هذا اليأس الكافر سعة وفرجاً وخيراً من بعد شدة وكرب، ليقولن: هذا حق لازم لي استحققه على الله بمجهودي، لا فضل لأحد فيه، ولست متيقناً أن القيامة ستكون كما يخبرنا به الأنبياء، ولئن عُدْتُ إلى ربي بالبعث بعد الموت، على سبيل الافتراض، سيكون له عنده نعيم الجنة والتكريم، فلنخبرن الذين كفروا يوم القيامة بما عملوا في الدنيا من المعاصي، ولنذيقنهم شيئاً من عذاب شديد.

٥١- وإذا أنعمنا على الإنسان-جنس الإنسان-انصرف عن شكر المنعم، وتباعد عن قبول الحق تكبراً وتجبراً، وإذا أصابه البلاء من فقر أو مرض، فهو صاحب دعاء كثير مستمر. نزلت هذه الآيات في كفار كالوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة.

٥٢- قل أيها النبي للمشركين: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله، ثم كذبتهم به وجحدتم ما فيه، لا أحد أشد ضللاً منكم، وفي خلاف بعيد عن الحق، لا يمكن تلافيه.

٥٣- سنري هؤلاء الكفار دلائل صدق آياتنا في القرآن وأنه من عند الله، ودلائل قدرتنا و وحدانيتنا في أقطار السموات والأرض ونواحيها من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار، والرياح والأمطار، والأشجار والجبـال والبحار، وغيرها، وفي خلق أنفسهم وما فيها من عظمة الصنع ودقة الحكمة، ليتبين لهم بوضوح أن القرآن هو الحق الثابت المتزل من الله، أو لم يكفهم أن ربك شاهد على كل شيء من أعمال الكفار، وأن القرآن منزل من عنده؟!

٥٤- ألا إن هؤلاء المشركين في شك من البعث بعد الموت، ألا إنه تعالى محيط علمه بكل شيء، ويجازي الكفار بكفرهم.

سورة الشورى

١، ٢- حاء، ميم، عين، سين، قاف: هذه الحروف المقطعة للتنبيه لما بعدها، ولتحدي العرب للإتيان بمثل القرآن، ما دام مكوناً من هذه الحروف العربية التي هي أحرف لغتهم.

٣- مثل ذلك الإحياء لسائر الأنبياء من الكتب الإلهية المنزلة، يوحي إليك أيها النبي وإلى من قبلك من الأنبياء: الله القوي القاهر في ملكه، الحكيم في تدبيره وصنعه.

٤- الله ما في السموات وما في الأرض ملكاً وخلقاً وعبداً، وهو المتعالي الرفيع الشأن، العظيم السلطان والقدر، والمراد: إقامة الدليل على كمال قدرة الله ونفوذ تصرفه في مخلوقاته.

٥- تكاد السموات يتشققن من فظاعة جرم المشركين، أو من عظمة الله وجلاله، الذي هو فوقهن بالالوهية والقدر، والملائكة ينزّهون الله عما لا يليق به، مع حمده وشكره، ويطلبون المغفرة للمؤمنين في الأرض- وقوله: ﴿لَنْ فِي الْأَرْضِ عَموم أريد به الخصوص- ألا إن الله كثير المغفرة والرحمة للمؤمنين المنيبين إليه. والمراد بيان الفرق بين المخلصين من العباد والفاجرين.

٦- والذين اتخذوا من غير الله نصراء من الأصنام وغيرها يعبدونها، الله رقيب على أحوالهم وأعمالهم، يحفظها ليجازيهم عليها، وما أنت أيها النبي بموكل إليك هدايتهم وجبرهم على ذلك، وإنما عليك البلاغ فقط.

٧- ومثل ذلك الإحياء للأنبياء السابقين أوحينا إليك قرآناً عربياً بلغه قومك، لتخوف به أهل مكة ومن حولها من الناس جميعاً، وتحذّر من العقاب يوم القيامة الذي تجمع به الخلائق للحساب والجزاء، والذي لا شك فيه، ثم يتفرق فيه الناس فريقين: فريق في الجنة وفريق في النار المستعرة.

٨- ولو شاء الله لجعل الناس جميعاً على دين واحد من هدى أو ضلال، ولكنهم افترقوا ملاماً شتى، فالؤمنون يدخلهم في رحمته بالهداية والتوفيق إلى الطاعة، والكافرون لا يجدون معيناً وولياً يتولى أمورهم، ولا نصيراً يدفع عنهم العذاب.

٩- بل اتخذ المشركون من غير الله أعواناً من أصنام وغيرها، والله هو المعين الناصر للمؤمنين، وهو يحيي الموتى بالبعث يوم القيامة، وهو سبحانه تام القدرة على كل شيء، فهو الجدير بالعبادة والنصرة والالوهية. و ﴿أَمْ﴾ بمعنى (بل) للانتقال من كلام سابق إلى الإنكار عليهم باتخاذ أولياء غير الله تعالى.

١٠- وما اختلفتم في شيء من أمور الدين، فحكمه مردود إلى الله، يحكم فيه يوم القيامة بالحق والعدل، ذلكم الحاكم في كل شيء هو الله ربي، عليه اعتمدت في جميع أموري لا على غيره، وإليه وحده أرجع تائباً ومستعيناً في كل أمر، والوقاية من كل شر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حَرْحَ عَسَق ١ كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ
اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٢ لَمْ يَأْفِكِ السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ
الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ٣ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ
وَالْمَلَائِكَةُ يَسْجُدُونَ تَحْمِيدَ رَبِّهِمْ وَسَيَقْفِرُونَ لِمَنْ فِي
الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٤ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا
مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظَ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ
٥ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى
وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ
وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ٦ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً
وَلَكِنْ يَدْعُونَ مِنْ بَيْنِهِمْ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَاهُمْ
عِنْدَ رَبِّي وَلَا نَصِيرٌ ٧ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ
فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
٨ وَمَا أَخَذْنَا مِنْهُ مِنَ مِيثَاقِهِ إِلَّا أَنْ يَقُولَ
أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ٩

١١- خالق السموات والأرض على غير مثال سابق، خلق لكم من جنسكم نساء، وخلق من جنس الأنعام (الإبل والبقر والغنم) أزواجاً أيضاً، يُكثركم في هذا التدبير ويثبتكم بسبب هذا التزاوج بين الجنسين الذي يكون سبباً في كثرة النسل، ليس مثل الله شيء في ذاته وصفاته، وهو السميع لكل الأصوات، البصير بكل شيء صغير أو كبير.

١٢- له سبحانه وحده مفاتيح خزائن السموات والأرض، يوسع الرزق لمن يشاء من خلقه، ويضيقه على من يشاء، إنه تعالى تام العلم بكل شيء، لا يخفى عليه خافية، ولا تغيب عنه مصلحة المخلوق.

١٣- أوضح الله، وبين في شريعته ودينه لكم أيها المؤمنون برسالة محمد ﷺ ما أمر به نوحاً أول الرسل بشريعة إلى البشر، وأوضح لكم الذي أوحينا إليك أيها النبي في القرآن، وما أمرنا به إبراهيم الخليل وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام: أن حافظوا على الدين: وهو توحيد الله وطاعة رسله وقبول شرائعه، ولا تختلفوا في هذا

الأصل العام، فتأتوا ببعض وتتركوا بعضاً، أما الخلاف في الجزئيات والفروع وتفصيل الأحكام فلا مانع منه، لاختلاف كل شريعة عن الأخرى؛ لقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعاً وَمِنْهَا جَاءَ﴾ [المائدة ٤٨/٥] عظم على المشركين وشق عليهم ما تدعوهم إليه أيها الرسول من توحيد الإله، ونبذ الأصنام والأوثان، الله يختار لرسالته من يشاء من عباده، ويرشد ويوفق لدينه من يقبل على طاعته وعبادته بإخلاص.

١٤- وما اختلف أهل الأديان في الدين، بأن وحد وأمن بعض وكفر بعض، إلا من يعد علمهم بالدين الحق الذي أرسل به الرسل، ولولا حكم سابق من الله بالإمهال وتأخير الجزاء إلى وقت محدد، لقضي بينهم بإهلاك الكافرين وإنجاء المؤمنين، وإن الذين أوتوا الكتاب (أي أهل الكتاب من اليهود والنصارى) المعاصرين للنبي ﷺ لفي حيرة من أمرهم وكتابهم حيث لم يؤمنوا به، ولم يؤمنوا أيضاً بالقرآن، وشكهم موقع في الريبة والحيرة.

١٥- فلاجل ما ذكر من الاتفاق والاختلاف على الملة الحنيفية، ادع أيها الرسول الناس إلى توحيد الله، واستقم على دعوتك، وتبليغ رسالتك، كما أمرك الله، ولا تتبع أهواء المشركين الباطلة، وقل: أمنت (صدقت) بجميع الكتب التي أنزلها الله على رسله، وأمرت بأن أعدل بينكم في أحكام الله، الله ربنا وربكم، ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم، فيجازي كلأ بعمله، لا محاجة ولا مجادلة بيننا وبينكم، الله يجمعنا جميعاً في المحشر يوم القيامة، وإليه المرجع، فيجازي كلأ بعمله.

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
وَمَنْ لَا تَعْلَمُ أَزْوَاجَهُمْ فِيكُمْ فَبَيْنَكُمْ يُنْفَخُ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَوْ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
بَسْطَ الرِّزْقَ مِنْ شِئَاءٍ وَبَقَدَّرَ إِلَهُ كُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِ ﴿١٢﴾
سَرَّعَ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ مَآوَصَ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقْبُوا الَّذِينَ
وَلَا تَقْرَأُوا فِيهِ كَرَّ عَلَى الشُّرَى كَيْفَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ
يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا
تَقْرَأُوا إِلَّا مِنْ بَدْعٍ مِنْ جَانِبِ الْعِلْمِ نَبَأَ بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفَقَضْنَا بِهِمْ إِنَّ الَّذِينَ
أُورُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَنْ شَكَّ مِنْهُ رَبُّهُمْ ﴿١٤﴾
فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ
ءَاَمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ
اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَاحِظَةً بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

١٦- والذين يجادلون في دين الله من بعد ما استجاب الناس له، حجتهم باطلة عند ربهم، لا ثبات لها، وعليهم غضب عظيم من الله لمجادلتهم بالباطل وإصرارهم على الكفر، ولهم عذاب شديد مؤلم في الآخرة على كفرهم.

١٧- الله الذي أنزل القرآن وسائر الكتب المنزلة إنزالاً مقترناً بالحق، وأنزل قواعد العدل ليحكم به بين الناس - وسمي العدل ميزاناً لأنه آلة الإنصاف - وما يدريك أيها الإنسان لعل ساعة القيامة قريب حدوثها. والمراد بإنزال الميزان: إيجاده والإرشاد للعمل به.

١٨- يستعجل بساعة القيامة استهزاء المنكرون لها، والذين صلّوا بوجودها خاضعون من مجيئها، ويعلمون أنها واقعة آتية لا ريب فيها، ألا - وهي لتنبيه السامع لما بعدها - إن الذين يجادلون في وقوع القيامة وينكرون ذلك لفي ضلال (زيغ) وانحراف) عن الحق والهدى، بعيد عن الصواب.

١٩- الله متلطف رفيق بعباده حيث لم يعجل بعذابهم، وكثير الإحسان إليهم، يرزق من يشاء منهم بحسب حكمته توسيعاً أو تضيقاً، وهو الباهر القدرة، المنيع الذي لا يُغلب.

٢٠- من كان يريد بأعماله ثواب الآخرة، يُضاعف له حسناته إلى سبعمائة ضعف، ومن كان يريد بعمله لذات الدنيا وشهواتها دون العمل للآخرة، نعطه منها، وليس له في الآخرة من حظ، لإهماله الاستعداد لها.

٢١- بل لهؤلاء المشركين شركاء في الكفر وهم الشياطين، فلا يتبعون ما شرع الله لهم من الدين، وإنما يتبعون ما ابتدعوا لهم من الشرك وإنكار البعث والمعاصي، ما لم يأذن الله به، ولولا كلمة الفصل: وهي وعده سبحانه بإمهال العذاب عنهم، لقصي بينهم بالإهلاك وعُجلت العقوبة لهم، وإن الظالمين (الكافرين) لهم عذاب مؤلم. و «أم» بمعنى (بل) للانتقال من كلام إلى آخر، وبمعنى همزة الاستفهام الإنكاري المفيد للنفي. أي ليس الأمر كما يفعلون.

٢٢- ترى أيها النبي الكافرين يوم القيامة خائفين مما كسبوا في الدنيا من السيئات، وجزاء ما كسبوا واقع بهم لا محالة، وترى الذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا الصالحات التي أمروا بها من ربهم: في رياض الجنان، أي أطيب مساكنها، لهم ما يتمنون عند ربهم من أنواع النعم، ذلك النعيم والتكريم هو الفضل الإلهي الكبير الذي لا يوصف قدره ويفوق كل نعيم في الدنيا.

وَالَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آلِهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجَبَ لَهُمْ جَحِشْتُمْ وَاجْهَضْتُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾
اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْجُلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا
وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ الْأَوَّلُ
الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي السَّاعَةِ لَعَلَّيْ صَلَّيْ بِعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ أَطِيفٌ
بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾
مَنْ كَانَ يَرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ
كَانَ يَرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ
مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ أَشْرَعُوا لَهُمْ مِنَ
الَّذِينَ مَا لَهُمْ بِأَذْنٍ بِهِ اللَّهُ وَلَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ
بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ
مُشْفِقِينَ فَمَا كَسَبُوا وَهُوَ أَقْرَبُ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الْصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ
مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَعْرِفْ
حَسَنَةً نَّذَلْهُ فِيهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣١﴾ أَمْ
يَقُولُونَ أَفَرَأَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ
اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُخَوِّضُ لِقَوْمِكَ إِلَىٰ عَذَابٍ لَّهُمْ بَاطِلٌ ﴿٣٢﴾
وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ
وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَكَسِبَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٣٤﴾
﴿٣٥﴾ وَلَوْ سَـَّطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن نَّذَلْ
بِعَدْوٍ قَاتِلَةً إِنَّ اللَّهَ لَعَبِيدٌ بِصِيرٌ ﴿٣٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ
الْغَيْثَ مِنْ عَدْمَا قَطْرًا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٣٧﴾
وَمِنَ الْآيَاتِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ ثَمَرَةٍ
وَمَوْعِلٍ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٣٨﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ
فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٩﴾ وَمَا أَنْشَأَ
مُجْرِمِينَ فِي الْأَرْضِ مِمَّنْ قَدْ دُونََ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يَصِيرُ ﴿٤٠﴾



٢٣- ذلك الثواب العظيم هو الذي يبشر الله به عباده المؤمنين الذين يعملون الأعمال التي أمر الله بها، وترك ما نهى عنه، قل أيها النبي: لا أطلب منكم أجراً أو جُعلاً على تبليغ الرسالة، «إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة» كما في البخاري عن ابن عباس. فإن له في كل بطن من قريش قرابة، ومن يعمل عملاً حسناً، ويكتب طاعة، نضاعف له ثوابه أو نزيد له في الثواب أجراً حسناً، إن الله كثير المغفرة للذنوب عباده التائبين، كثير الشكر للقليل من الطاعات والحسنات. قال قتادة: قال المشركون: لعل محمداً فيما يتعاطاه يطلب أجراً، فنزلت هذه الآية ليحشهم على مودته ورعاية قرابته.

٢٤- بل يقول المشركون: اختلق محمد الكذب على الله، فادعى القرآن من عند الله، وادعى النبوة، ولكن الافتراء بعيد جداً عن مثله، فإنما الذي يجترئ على الله من كان مطبوعاً الكفر على قلبه، جاهلاً بربه، فلو فرض وجود الافتراء منك على الله كذباً، لطبع على قلبك إن شاء، فلم تقدر عليه، ويزيل الله الباطل، ويبين الله الإسلام ويثبت به ما أنزله من القرآن، إنه عالم بما في قلوب الناس جميعاً.

٢٥- والله هو الذي يتقبل التوبة من عباده إذا تابوا،

ويعفو عن السيئات التي ارتكبوها، ويعلم ما تفعلون من خير أو شر. و «عن عباده» بمعنى (من) لأن القبول يتعدى بمن. ويجيب الله دعاء الذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال التي أمر الله بها، وتركوا ما نهى عنه، ويزيدهم من إحسانه وتفضله أكثر مما يستحقون من الثواب، وللكافرن عذاب شديد مؤلم يوم القيامة.

٢٧- ولو وسع الله الرزق لعباده جميعاً، لوقعوا في البغي (مجاوزة الحد المشروع) والطغيان والفساد، ولكن ينزل الرزق بتقدير معين بمقتضى حكمته وبما يتفق مع طبائع الناس وما يلائمهم غنى أو فقراً، إنه سبحانه يعلم خفايا أمور عباده وجلایا أحوالهم، بصير بما يصلحهم ويضرهم. قال علي رضي الله عنه: نزلت هذه الآية في أصحاب الصفة، وذلك أنهم قالوا: لو أن لنا، فقمنا الدنيا والغنى.

٢٨- والله هو الذي أنزل المطر لإغاثة الناس بعد يأسهم من نزوله، ويعم رحمته كل شيء، وينشر منافع الغيث في كل مكان، وهو الذي يتولى الصالحين من عباده بالإحسان، المحمود على كل حال، المستحق للحمد والشكر على نعمه الكثيرة.

٢٩- ومن دلائل قدرة الله إيجاد السموات والأرض بهذه الصنعة العجيبة، وإيجاد ما نشر وقرئ فيهما من الكائنات الحية، وهو على حشرهم يوم القيامة إذا شاء قادر تام القدرة.

٣٠- وما أصابكم أيها الناس من بلية وشدة أو غيرهما فبسبب ما جتته أيديكم أي معاصيكم، ويعفو عن كثير من الذنوب، فلا يعاقب عليه. وما يصيب غير المذنبين فلرفع درجاتهم.

٣١- ولستم أيها الناس بجاعلين ريبكم عاجزاً عن عقابكم، فتفتلون منه في الأرض، وإنما أنتم في قبضته، وليس لكم من غير الله من متولٍ أموركم وحارس لكم، وناصر يدفع العذاب عنكم إذا وقع بكم.

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِنَّ يَسْأَلُ يُسْكَنُ الرِّيحَ
فَيُظَلِّلْنَ زَوَاكِدَ عَلَى ظَهَرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوقِفَهُنَّ بِمَا كَسَبْنَ أَوْ يُعْصِبُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمُ
الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ حِجْبٍ ﴿٣٥﴾ فَأَوْتِسْهُمْ
مِنْ شَيْءٍ فَهَاجَرُوا الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَنْتُمْ لِلَّذِينَ
آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يُجَادِلُونَ
كَثِيرَ آيَاتِنَا وَالْفَوَاحِشَ وَإِنَّا مَا عَصَبُوا هُمْ يَعْرِفُونَ ﴿٣٧﴾
وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ
شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ
إِذَا أَصَابَهُمُ امْتِحْنٌ هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ وَحِزًّا سَنَوْنَاهُ سِنَةً
مِثْلَهَا فَمِنْ عَفَا وَأَصْلَحْ فَأَعْرِضْ عَنْهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾
وَلَكِنْ انصُرْ بِدُخَانِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ
مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظَاهُونَ النَّاسَ
وَيَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾
وَلَكِنْ صَبِرْ وَعَفِ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو عَرْشٍ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾

٣٢- ومن دلائل قدرته تعالى: السفن الجواري في البحر كالجبال.

٣٣- إن يشأ الله يجعل الريح المحركة للسفن الشراعية ساكنة، فتصير ثوابت على ظهر البحر، إن في جريها فوق الماء وتوقفها لدلالات باهرة على القدرة الإلهية لكل كثير الصبر، كثير الشكر للنعمة، وهو المؤمن.

٣٤- وإن يشأ الله يهلك الركاب بالغرق بما كسبوا من الذنوب، ولكنه تعالى يتجاوز عن ذنوب الكثير من أهل تلك السفن.

٣٥- ويعلم الله الذين يجادلون بالباطل في آياتنا المنزلة في القرآن، وهم الكفار، ما لهم من فرار ولا مهرب من العذاب. وهذا لبيان قدرة الله وتحذير الكافرين في كل زمان.

٣٦- فما أعطيتهم من شيء من نعم كالغنى والقوة، فما هو إلا متاع قليل مؤقت يتمتع به ثم يزول، وما عند الله من ثواب الطاعات خير من متاع الدنيا وأبقى أثراً لنوامه وعدم انقطاعه، للذين صدقوا بالله ورسوله، وفوضوا أمورهم لربهم. قال علي رضي الله عنه: تصدق أبو بكر رضي الله عنه بماله كله، فلامه جمع، فنزلت.

٣٧- ما عند الله خير للذين آمنوا والمتوكلين والذين يجتنبون كبار الذنوب (وهي التي توعد الله عليها أو قرر لها حداً عقابياً معيناً) والمعاصي القبيحة الفاحشة كالزنى

والقتل، وهو من عطف الخاص على العام، وإذا غضبوا تجاوزوا عن الذنب وكظموا الغيظ. نزلت في عمر حين شتم بمكة.

٣٨- والذين أجابوا ربهم إلى ما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة وإطاعة الرسل، وأدوا الصلاة على وجهها الأكمل، وخصها بالذكر لأنها أرفع العبادات، وتشاوروا في أمورهم العامة والخاصة دون تفرد أو استبداد بالرأي، كأمر الخلافة والولاية والقضاء، والشؤون الخاصة، وأنفقوا مما رزقهم الله في سبيل الخير. والمراد أن المشاورة لازمة في أمورهم. نزلت في الأنصار دعاهم الرسول ﷺ إلى الإيمان فاستجابوا وأقاموا الصلاة.

٣٩- والذين إذا تعرضوا للظلم وتجاوزوا الحدود انتصروا أو انتقموا لأنفسهم عن ظلمهم، بمقابلة السيئة بمثلها.

٤٠- وجزاء الفعل السيئة أو القبيحة عقوبة ماثلة لها، وسمي الجزاء سيئة للمشاكلة أو مشابهة الجريمة في الصورة أو الظاهر، فمن عفا عن ظالمه، وأصلح ما بينه وبينه من عداوة، فثوابه على الله عز وجل، إنه سبحانه لا يحب المعتدين في القصاص وتجاوز الحد، وإنما يعاقبهم؛ لأن التجاوز ظلم.

٤١- والذي يقابل الظلم بمثل فعل الظالم لا مواخذة ولا عقاب عليه، ومن سبيل أي طريق للمواخذة. نزلت مع ما بعدها في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد شتمه بعض الأنصار، فرد عليه، ثم أمسك.

٤٢- إنما المواخذة والعقاب على الذين يجورون ويتعدون على الناس، ويفسدون في الأرض ظلماً بغير حق، ويتكبرون ويتجبرون بالاعتداء على النفوس والأموال، أولئك لهم عذاب مؤلم في الآخرة.

٤٣- والذي صبر على الأذى وغفر للمسيء ذنبه، وعفا عن ظلمه، فذلك الصبر والمغفرة من معزومات الأمور، أي المطلوبات شرعاً التي يجب العزم والثبات عليها.

وَمَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ يُتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا
الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مَرْتَبَةٌ مِنْ سَبِيلِ ﴿٤٤﴾ وَرَبُّهُمْ يَقْبِضُونَ
عَلَيْهَا خَاسِعِينَ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ ظُهُبٍ خِيفٍ وَقَالَ الَّذِينَ
آمَنُوا لِلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَاهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَلَا الْإِنَّمَاءُ لِلظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ
يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾
أَسْجِبُوا رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدُّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ قَبْلِي
يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ كَيِّفٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَإِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
حَافِظًا أَنْ عَلَيْكَ إِلَّا التَّبْلُغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً
فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ مِمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ
﴿٤٨﴾ اللَّهُ مَالِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ
يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذَكَرًا
وَأُنثَىٰ وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَشَاءُ عَاقِبَةً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾
﴿٥١﴾ وَمَا كَانَ لِلنَّاسِ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ نَزِيلًا حِجَابٍ
أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ



٤٤- ومن لم يوفقه الله إلى الإيمان بسبب إصراره
على الكفر، فليس له ناصر يتولى هدايته، وترى
الظالمين (الكافرين) المكذِّين بالبعث، حين رأوا النار
وعذابها يقولون: هل إلى الرجعة إلى الدنيا من
طريق، لتتوب ولتعمل عملاً صالحاً؟ و﴿من ولي﴾
يفيد عموم ما بعدها، و﴿هل﴾ حرف استفهام للتنبي
هنا مثل (ليت).

٤٥- وترى أيها الرسول الظالمين يعرضون على النار
خاضعين خائفين بما لحقهم من الذل والهوان، ينظرون
إليها نظرة يسترقونها بحدقة، خفي معظمها تحت
الجفن من شدة الخوف، وقال المؤمنون: إن الخاسرين
حقاً هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم بالتعريض
لعذاب الخلد في النار يوم القيامة، ألا إن الظالمين في
عذاب دائم مؤلم. و﴿ألا﴾ لتنبية السامع للتأمل فيما
بعده.

٤٦- وما كان لهؤلاء الكافرين من أعوان ينقذونهم
من العذاب، ومن يضلل الله بأن يخذله ولا يوفقه
للهداية، فليس له من طريق للنجاة من العذاب.

٤٧- أجبوا دعوة ربكم بسرعة وإخلاص إلى
الإيمان بالله وكتبه ورسله وعبادته وطاعته، من قبل
مجيء يوم هو يوم القيامة لا يرد الله بعد حكمه

بإثباته، ليس لكم أيها الناس من حصن تحصنون فيه حيثئذ من العذاب، ولا تجدون فيه إنكاراً لتزول العذاب بسبب
ذنوبكم، بعد شهادة الأعضاء والكتب والملائكة.

٤٨- فإن أعرضوا عن الإجابة، فلم تُرسلك أيها الرسول موكلاً بهم ومحاسباً لأعمالهم ترغمهم على الإيمان،
ليس عليك إلا تبليغ الرسالة، وقد بلغت، وإننا إذا أذقنا الإنسان منارحة كصحة وثروة، بطر بها وتكبر بسببها، وإن
تصيب الإنسان سيئة، كبلاء من مرض أو فقر أو خوف أو موت حبيب مثلاً، بسبب ما قدمت أيديهم وغيرها من
الذنوب والآثام، فإن الإنسان جحود للنعمة، ينسى النعم، ويذكر البلياء، ولا يتأمل بسببها. و﴿إن عليك﴾ إن:
حرف نفى بمعنى (ما) وعبر بالأيدي، لأن أكثر الأفعال تراول بها.

٤٩- لله ملك السموات والأرض يتصرف فيهما بما يريد، يخلق ما يشاء خلقه، ويهب لمن يريد إنثاً من الأولاد أو
ذكوراً، حسبما يرى من الحكمة.

٥٠- أو يجمع لهم بين الجنسين: الذكور والإناث، ويجعل من يشاء عقيماً، فلا يولد له أحد، إنه سبحانه عليم
بخلقهم، قدير على ما يشاء، يفعل ما يره المصلحة والحكمة.

٥١- وما صح لبشر أن يكلمه الله إلا بوحي ينزله عليه. والوحي: كلام خفي يدرك بسرعة. أو يكلمه من وراء
ستار، كما كلم موسى عليه السلام، أو يرسل إليه رسولاً من الملائكة كجبريل عليه السلام، فيوحي أو يلقي إلى
المرسل إليه، بأمر الله ما يشاء، إنه سبحانه متعال منزّه عن صفات المخلوقين، يفعل ما تقتضيه حكمته، واضعاً كل
شيء موضعه الصحيح. نزلت هذه الآية حينما قال اليهود للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتنتظر إليه إن كنت
نبياً كما كلمه موسى؟ فنزلت وقال: لم ينظر موسى إلى الله تعالى.

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحَانًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا
وَإِنَّكَ لَمَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ صَبِرُوا لِأُمُورِ ﴿٥٣﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حَمْدٌ ﴿٥١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُنِينِ ﴿٥٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِنَّا فِي الْكِتَابِ لَذِينَ عَلَى حَكِيمٍ ﴿٥٤﴾
أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنْتُمْ قَوْمًا تُسْرِفُونَ ﴿٥٥﴾ وَكَمْ
أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٥٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا
يُؤْتَسِرُونَ ﴿٥٧﴾ فَأَمَّا لَكُمَا أَشَدُّ مِنْهُمُ بَطْشًا وَاغْضَى
مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقْنَاهُنَّ ثَمَرَاتٍ مُّزْجًا ﴿٥٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٦٠﴾

٥٢. مثل إيهائنا إلى غيرك من الرسل أوحينا إليك يا محمد هذا القرآن، وهو من أمر الله، وسمي القرآن روحاً؛ لأن القلوب تحيا به، وُهيئت به، ففيه حياة تقابل موت الكفر، ما كنت تعرف قبل الوحي إليك أي شيء هو القرآن؛ لأنك أمي، وما كنت تعرف حقيقة الإيمان المتضمن مختلف الشرائع والأحكام، ولكن جعلنا هذا القرآن نوراً مضيئاً ودليلاً على التوحيد والإيمان، نرشد به من نشاء من عبادنا إلى الدين الحق، وإنك أيها النبي لترشد الناس إلى طريق مستقيم.

٥٣. دين الله الذي له ملك جميع الموجودات في السموات والأرضين، ألا إلى الله ترجع الأمور، من غير وسائط، فيثيب المحسن، ويعاقب المسيء.

سورة الزخرف

١. حاء، ميم، حرفان عربيان للتبنيه على ما يأتي بعدهما، وليبيان إعجاز القرآن ما دام مكوناً من حروف اللغة التي ينطق العرب بها.

٢. أقسم بالقرآن الواضح الجلي على أن القرآن هداية بلسان عربي.

٣. إنا أوجدنا القرآن بلغة العرب لتفهموا معانيه، وتعملوا بما جاء فيه.

٤. وإن هذا القرآن المُنِين في اللوح المحفوظ عندنا لرفيع القدر أو الشأن، لكونه معجزاً مهيمناً على كل ما سبقه من الكتب، ولا اختلاف ولا تناقض فيه، وهو ذو حكمة بالغة.

٥. هل يصح أن نترككم هملأ أيها الناس، فلا نذكركم بالقرآن ونعظكم ونأمركم وننهاكم؟ كلا، لأجل أنكم قوم متجاوزون الحد في الإسراف والضلال، مشركون بالله. وهمزة «أفَضْرِبُ» للاستفهام الإنكاري، و«الذكر» القرآن، و«صفحة» : إعراضاً، والمراد هنا : معرضين. والمراد : إنكار أن يكون الأمر على خلاف المطلوب من إنزال القرآن بلغتهم، ليفهموه، بل لا بد من تذكيركم لإقامة الحجة عليكم في الآخرة.

٦. وكثيراً ما أرسلنا رسلاً وأنبياء من قبلك أيها الرسول في الأمم الماضية.

٧. وما يأتي الناس من نبي لدعوتهم إلى الإيمان وطاعة الله إلا استهزؤوا به، وكذبوا برسالته. وهذا ليسرِّي الله (يكشف عنه الهم) عن النبي ﷺ بسبب استهزاء قومه. و«من نبي» تدل على عموم ما بعد «من».

٨. فأهلكنا أشد من قومك قوة، وسبق في القرآن أكثر من مرة ذكر قصص السابقين وحالهم العجيبة، وإهلاكهم بسبب بغيتهم وكفرهم، فاحذروا مثل مصيرهم.

٩. ولئن سألت هؤلاء الكفار من قومك : من أبدع وأنشأ السموات والأرض؟ لاعترفوا بأن الخالق هو الله وحده، القوي الذي لا يقهر، العليم بكل شيء، وهم مع هذا يعبدون مع الله غيره.

١٠. الذي جعل لكم الأرض مهدة للعيش عليها كالغراش أو البساط، وجعل لكم فيها طرقاً، لكي تهتدوا بها لنافعكم. وهذه الآية إلى الآية [١٤] لتوبيخهم على الشرك، بعد اعترافهم بأن الله هو الخالق المنعم بالنعم الكثيرة.

١١- والذي نزل من السحاب مطراً بقلدر الحاجة ومقتضى المصلحة، فأحيينا به بلدة مجدبة لانيات فيها، مثل ذلك الإحياء تُخرجون من قبوركم أحياء للحساب والجزاء.

١٢- والذي خلق الأصناف كلها من المخلوقات التي بينها تزاوج وارتباط، وجعل لكم ما تركبون عليه في البر والبحر، على السفن، والأنعام، والمراد بها هنا الإبل.

١٣- لتستقروا على ظهور المركوبات المذكورة، ثم تذكروا نعمة الله عليكم إذا استقربكم الركوب، فتحمده وتعتظموه، وتقولوا بعد الركوب: تنزه الذي ذلّل لنا هذا المركوب عن كل نقص وعيب، وما كنا لتسخيره وركوبه مطيقين، لولا تسخير الله لنا وترويضه هذه الأشياء.

١٤- وإنا إلى ربنا لراجعون بعد الموت، نُتجزى كل نفس بما كسبت.

١٥- وجعل المشركون لله بعد الاعتراف بأن الله هو الخالق من عباده ولداً، وهم الملائكة، حيث قالوا: الملائكة بنات الله؛ لأن الولد جزء من الوالد، إن الإنسان القاتل بذلك لجحود مبالغ في الكفر، مظهر كفره، لأن جحود هذه النعم بعد وضوحها كذب ظاهر.

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِبَلَدَةٍ بَارِئَةٍ
كَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ ١١ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا
وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ١٢ لِّتَسْتَقِرُّوْا
عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ذِكْرًا وَنِعْمَةً لِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا
سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُّقْرِنِينَ ١٣ وَإِنَّا
إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ١٤ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا لِّئَلَّا
الْإِنْسَانُ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ١٥ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ
بِالْبَنِينَ ١٦ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ
وَجْهُهُ سَوْدًا ۖ وَهُوَ كَاطٍ ١٧ أَوْسَنُ سُنُقًا فِي الْجَنَّةِ
وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ١٨ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ
عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ
وَيُسْأَلُونَ ١٩ وَقَالُوا لَوِ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ
مَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ٢٠ أَمْ أَلَّفْتُمُ
كَتَبًا مِّن قَبْلِهِ فَمُفِيهِمْ يُسْمِكُونَ ٢١ بَلْ قَالُوا
إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَ عَلَيْنَا وَآبَاءَ عَلَيْنَا نَزَرِهُم مُّهْتَدُونَ ٢٢

١٦- بل اتّخذ الله مما يخلق من مخلوقاته بنات لنفسه، وخصكم بالبنيان؟ أي ليس المراد كما يظنون، حيث تزعمون أنه جعل المفضول لنفسه ولكم الفاضل منهما.

١٧- وإذا بُشِّرَ أحد المشركين بولادة بنت له، صار وجهه أسود حزناً متغيراً بسبب الكآبة، وهو غملي غمّاً وغيظاً.

١٨- أو يجعلون لله من يترى في الزينة؟ وهم البنات، والهمزة همزة الإنكار، يترى في وسط الزينة، وهو عاجز عن إظهار حجة في الخصام، أي الجدال لضعفه وعجزه عن الجدال، بسبب الأنوثة.

١٩- وجعل المشركون الملائكة عباد الرحمن إنثاً حيث قالوا: إنهم بنات الله، هل حضروا إيجادهم حتى حكموا بأنهم إناث؟ ستكتب شهادتهم أي قولهم في سجل أعمالهم للجزاء عليها، ويسألون عنها يوم القيامة. قال قتادة: قال ناس من المنافقين: إن الله صاهر الجن، فخرجت من بينهم الملائكة، فنزل فيهم هذه الآية.

٢٠- وقال المشركون: لو شاء الرحمن - كما تزعمون أيها المؤمنون - ما عبدنا الملائكة، والمراد: ادعائهم أن تلك العبادة بإرادة الله ورضاه عنها، ليس لهم بما يدعون من دليل علمي مقبول، وما هم إلا يكلبون. و﴿من﴾ في قوله: ﴿من علم﴾ تفيد عموم ما بعدها، و﴿إنهم﴾ إن: حرف يفيد النفي مثل (ما) النافية.

٢١- بل هل أعطيناهم كتاباً من قبل القرآن يؤيد ما قالوه ويجيز لهم عبادة الأصنام، فهم بذلك الكتاب متمسكون بقوة، عاملون بما فيه، ويحتجون به. والمراد: أنه لم يقع ذلك.

٢٢- بل قال المشركون حين أفلست حججهم: إنا وجدنا آبائنا على دين وملة وعادة، وإنا على آثارهم مهتدون في سيرنا، أي نتبع طريقة آبائنا، ونسلك منهاجهم.

٢٣- وكما قال هؤلاء المشركون في تسويق شركهم، قال المترفون النعمون، وهم الزعماء والكبراء من الأمم السابقة الذين أرسل إليهم الرسل: إنا وجدنا آباءنا على طريقة ودين موروث، وإنا على طريقتهم سائرنا متبعون. نزلت هذه الآية في الوليد بن المغيرة وأبي سفيان وأبي جهل وعتبة وشيبة ابني ربيعة من قريش، فكما قال هؤلاء قال من قبلهم أيضاً.

٢٤- قال لهم رسولهم: أتتبعون آباءكم، ولو جثتم
بدين أهدى إلى طريق الحق من دين آبائكم؟ قال القوم
للرسل: إنا بما أرسلتم به جاحدون، لا نؤمن ولا نعمل
به.

٢٥- فانتقمنا من مكذبي الرسل قبلك بمعاقبتهم وإهلاكهم ، فانظر أيها الرسول كيف كان مصير المكذبين ، فهو عبرة للمعتبر .

٢٦- واذكر أيها النبي حين قال إبراهيم لأبيه وقومه
عبدة الأوثان والأصنام: إني بريء من هذه الأصنام التي
تعبدونها، لا أعبدوها ولا أقربها أصلاً. و «براءة»
يستوي فيها الواحد والجمع والمذكر والمؤنث.

٢٧- لكن الذي خلقني وهو الله هو الذي أعبدته وأدعوه دون غيره، وهو سيرشدني إلى الدين الحق، ويثبتني عليه.

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَوْمٍ مِنْ تَلْذِيهِ إِلَّا أَلَمَ مِنْهُمْ فَوْقًا
إِنَّا وَجَدْنَاهُمْ مُتَكَبِّرِينَ ۝ وَأَنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٣٧﴾
﴿٣٨﴾ قَالُوا لَوْ جَاءَ كُرْهُ بَأْهَدَىٰ مِنَّا وَجَدْتُهُ عَلَيْهِ ۚ إِنَّا بِمَا
أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٩﴾ ۖ فَانْتَسَبْنَاهُمْ فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ
عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٤٠﴾ ۖ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّ هِيَ رَبْلَةٌ
يَمَّا تُبْعَدُونَ ﴿٤١﴾ ۖ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٤٢﴾
وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ۖ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٣﴾ ۖ بَلْ تَمَنَّتَ
هَؤُلَاءِ ۖ إِنَّا بِمَا هُمْ خَائِفُونَ ۖ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٤٤﴾ ۖ وَلَا
جَاءَ هُمْ الْحَقَّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَاذِبُونَ ﴿٤٥﴾ ۖ وَقَالُوا لَوْلَا
نَزَّلَ هَذَا الْفُورُ ۖ إِنَّ عَلَىٰ رِجَالٍ مِنَ الْقَوْمِ نَصِيرٌ ﴿٤٦﴾ ۖ أَهْمُ
يَقْسِمُونَ بِرَحْمَتِكَ ۖ إِنَّهُمْ يُنصِتُونَ ۖ يَحْسَبُونَ فِي الْحَيَاةِ
الْأَدْنَىٰ ۖ وَهُمَا بَصَرُهُمْ فَوْقَ بَصَرِ دَرَجَتٍ لِيُخَذَّ بَعْضُهُمْ
بِبَعْضٍ ۖ سَخِرَ بِنَا وَرَحْمَتِكَ ۖ خَيْرٌ مِمَّا يَحْمَدُونَ ﴿٤٧﴾ ۖ وَلَوْلَا
أَنَاسُ النَّاسِ أَفْهَةٌ وَجِدَةٌ لَخَوَلَتْ الْمُنَىٰ كَفُورُ الْكَافِرِينَ
لِيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا ۖ إِنَّهُمْ فَضُوءٌ مَعَارِجُ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٤٨﴾

٢٨- وجعل إبراهيم كلمة التوحيد: (لا إله إلا الله) باقية في ذريته ووصاهم بها، فلا يزال فيهم من يوحد الله، رجاء أن يرجع إليها من يشرك، فيصبح موحداً بدعوة الموحدين.

٢٩- بل تمتعت هؤلاء المشركين في مكة، وامتعت آباءهم من قبلهم بالدنيا ليزدادوا إيماناً، فلم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم، فاغثروا بذلك، حتى أتاهم القرآن ورسول موضح لهم طريق الهداية، ظاهر الرسالة بالمعجزات، وهو محمد ﷺ

٣٠- ولما جاءهم القرآن من عند الله، قالوا: هذا الذي جاء به محمد سحر لا وحى، ولنا بالقرآن جاحدون.

٣١- وقال كفار مكة: هلا نزل هذا القرآن على رجل عظيم سيد في قوم من عظماء وسادات مكة أو الطائف، وهو الوليد بن المغيرة من مكة، وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف، والمراد: لو كان قرآنًا لنزل على عظيم من عظماء القريتين. و«لولا» للنقض على طلب ما بعده. ذكر ابن عباس أن العرب قالوا: وإذا كان النبي بشراً، فغير محمد كان أحق بالرسالة.

٣٢- أهؤلاء القوم يقسمون رحمة ربك يا محمد، فيختارون للنبوة من أرادوا؟ لا، نحن جعلنا معيشتهم مقسومة فيما بينهم، فجعلنا بعضهم غنياً، وبعضهم فقيراً، فكيف لا يقتعون بقسمته في أمر النبوة ورفعتنا بعضهم فوق بعض درجات في الرزق والمواهب وغيرها، ﴿ورحمة ربك﴾: وهي النبوة أو الجنة خير مما يجمعون من ثروات الدنيا ومتاعها. نزلت هذه الآية رداً على المشركين الذين طلبوا جعل النبوة في أحد عظيمين.

٣٣- وخشية أن يكون جميع الناس على ملة واحدة وهي الكفر، لجعلنا لبيوت الكفار سقفاً من فضة، ومصادر وسلالم فضية يصعدون عليها.

٣٤- وجعلنا لبيوتهم أيضاً أبواباً فضية، وأسرة فضية

يستندون عليها.

٣٥- وجعلنا لهم كذلك زينة ونقوشاً في السقف

والأبواب والسرور- والزخرف: الذهب أو الزينة- وما كل

ذلك إلا شيئاً يتمتع به في الدنيا، ثم يزول بالموت، والجنة

عند ربك في الآخرة لمن اتقى الشرك والمعاصي و﴿إن﴾

حرف نفي بمعنى (ما). و﴿لما﴾ بمعنى (إلا). والمراد بالآيات

الثلاث: لولا كراهة صيرورة الناس أمة واحدة في الكفر،

لجعلنا للكافرين أنواع الترف بالقضّة والوان الزخارف

والزينة، لحقارة نعيم الدنيا إذا قيس بنعيم الآخرة.

٣٦- ومن يعرض عن القرآن نهى له ونسلط عليه

شيطانه، فهو له صاحب ملازم، لا يفارقه، ويتبعه في جميع

أموره. نزلت هذه الآيات في كفار قريش الوثنيين.

٣٧- وإن هؤلاء الشياطين من الإنس والجن الذين

يقضهم الله لكل من يتعاضى ويعرض عن القرآن، ليصدون

أصحابهم ويصرفونهم عن طريق الهداية، ويظنون أنهم

بسبب وسوسة الشياطين واتباعهم لهم مهتدون إلى الحق

والصواب.

٣٨- حتى إذا جاءنا المعرض عن القرآن في الآخرة، قال

لشيطانه المقارن له: يا ليت بيني وبينك بعد ما بين المشرق

والمغرب، فيسّ صاحب القرين لي أنت، حيث أصلتني

عن الإيمان. والمشرقان: من باب التغليب، هما المشرق

والمغرب.

٣٩- ولن ينفعكم أيها المعرضون عن القرآن ندمكم يوم القيامة؛ لأنكم ظلمتم أنفسكم في الدنيا بالكفر، ولأنكم مع قرنائكم

مشاركون في العذاب المستحق، ولا ينفع الندم. و﴿إذ﴾ بمعنى لام التعليل. والمراد: أن المشاركة في العذاب الأخروي لا تهون

الامر، فلذلك واحد نصيبه منه، على خلاف حال المصائب في الدنيا تكون المشاركة فيها مخففة أثرها.

٤٠- أفأنت أيها الرسول تسمع الصم عن سماع الحق، أو تهدي العمي عن إيصار الصواب والهدى، وتهدي كل من كان في

بعد واضح عن الحق وخطأ بين؟ والمراد أن هؤلاء الكفار بمنزلة الصمّ والعُمي وأهل الضلالة لإفراطهم في الجهل والكفر.

وقوله: ﴿أفأنت﴾ الهزمة للاستفهام المراد به حمل السامع على التعجب. نزلت الآية لأن رسول الله ﷺ كان يعجب نفسه في

دعاء قومه، وهم لا يزيدون إلا غيا.

٤١- فإما تنوفيك قبل إنزال العذاب بهم، فإنا متممون منهم، متى شئنا عذبناهم بعذبك.

٤٢- أو تُبصّرناك الذي وعدناهم من العذاب قبل موتك، فنحن قادرون على عقابهم، وحمّ ذلك يوم بدر.

٤٣- فتمسك بقوة أيها الرسول بالقرآن الذي أوحى به إليك، وإن كذب به المكذوبون، إنك على طريق قويم ودين حق.

٤٤- وإن القرآن لشرف عظيم لك ولقومك العرب لتزوله بلغتهم، وسوف تسألون يوم القيامة عن العمل به.

٤٥- وأسأل أيها الرسول أم الرسل الذين بعثناهم قبلك: هل أذن الله بعبادة الأوثان من دون الله في ملة من الملل؟ والمراد:

الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد، وأن الأمر به قديم.

٤٦- ولقد أرسلنا من قبلك موسى بالآيات الدالة على وحدانيتنا وبالمعجزات التسع الدالة على صدق رسالته، المذكورة في

الآية [١٣٣] من الأعراف [٧] وغيرها، أرسلناه إلى فرعون وأشراف رعيته وقومه، فقال لهم: إني رسول مبعوث إليكم من رب

العالمين لدعوتكم إلى توحيد الله.

٤٧- فلما جاءهم موسى بآياتنا الدالة على رسالته، قابلوه فجأة بالهزم والسخرية.

وَلْيُبَيِّنْ لَهُمْ أَنُوْا مُسْرَرًا عَلَيْهِمْ يُكْفُوْنَ ۖ وَزُخْرًا ۖ وَإِنْ
كُلَّ ذَلِكَ لَمَّا نَسِغَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ
لِلْمُتَّقِيْنَ ۖ وَنَبِّشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نَقِيْضٌ لِّهٖ سَيِّطٰنًا
فَهُوْلَ وَرِيْنَ ۖ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ رَبِّهِمْ أَنَّهُمْ
يُهْتَدُوْنَ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَآءَ نَاوَالَ بَلَيْتُ بَنِي وَدَّيْنِكَ
بَعْدَ الشَّرَافِيْنَ فَبِئْسَ الْقَرِيْنُ ۖ وَلَنْ يَنْفَعَكَ الْيَوْمَ
إِذْ ظَلَمْتُمْ أَتُحِبُّوْنَ الْعَذَابَ مُشْرِكُوْنَ ۖ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ
أَلْحَمَّ أَوْ تَهْدِي أَلْعَمَىٰ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ
ۖ فَإِنَّمَا تَذَكَّرُ بِكَ فَإِنَّمَا يَنْفَعُهُمْ تَسْتَقِيْمُوْنَ ۖ أَوْ تُرِيْنٰكَ
الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُوْنَ ۖ فَاسْتَسِيْكَ بِالَّذِي
أَوْحَىٰ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ۖ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ
وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُوْنَ ۖ وَسَلِّمْ عَلٰٓى أَزْوَاجِكَ
مِنْ رَّسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُوْنِ الرَّحْمٰنِ إِلَٰهَةً يَّعْبُدُوْنَ ۖ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيٰتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ
رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ بِآيٰتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَحْصُرُوْنَ ۖ

٤٨- وما نرى هؤلاء الجاحدين من آية من آيات المعجزات إلا هي أكبر مما قبلها وأعظم في الإعجاز، وأخذناهم أخذ قهر بعدذاب، كالسنين (الجدب) والطوفان والجراد ونقص الأموال والثمرات، ليرجعوا عن الكفر والضلال.

٤٩- وقال فرعون وقومه لموسى لما رأوا العذاب: يا أيها الساحر أي العالم، حيث كانوا يُسمَّون السحرة علماء، ادع الله لنا بما أخبرتنا به من عهده إليك أنا إذا آمنّا كشف عنا العذاب، أي إن الله يجيب دعائك، لأنك رسول الله، إننا لمؤمنون مصدقون بما جئت به.

٥٠- فدعا موسى ربه، فكشف عنهم العذاب، فلما رفع عنهم العذاب إذا هم يتقصضون عهدهم، ويلزمون كفرهم.

٥١- أعلن فرعون بين قومه قائلاً: يا قوم اليس لي ملك بلاد مصر، دون منازعة من أحد، وهذه الأنهار تجري من تحتي قصري، أي أنهار النيل، بتصرفي، أفلا تُبصرون قوة ملكي وعظمة سلطاني؟

٥٢- بل أنا خير من موسى الذي هو ضعيف حقير لا عزة له، ولا يكاد يوضح الكلام، لأنه التلع في لسانه.

٥٣- فهلا ألقى على موسى أساور ذهب إن كان عظيماً، أو جاء معه ملائكة متتابعون متقارنون

وما نرى من آية إلا هي أكبر مما قبلها وأعظم في الإعجاز، وأخذناهم أخذ قهر بعدذاب، كالسنين (الجدب) والطوفان والجراد ونقص الأموال والثمرات، ليرجعوا عن الكفر والضلال.

٤٩- وقال فرعون وقومه لموسى لما رأوا العذاب: يا أيها الساحر أي العالم، حيث كانوا يُسمَّون السحرة علماء، ادع الله لنا بما أخبرتنا به من عهده إليك أنا إذا آمنّا كشف عنا العذاب، أي إن الله يجيب دعائك، لأنك رسول الله، إننا لمؤمنون مصدقون بما جئت به.

٥٠- فدعا موسى ربه، فكشف عنهم العذاب، فلما رفع عنهم العذاب إذا هم يتقصضون عهدهم، ويلزمون كفرهم.

٥١- أعلن فرعون بين قومه قائلاً: يا قوم اليس لي ملك بلاد مصر، دون منازعة من أحد، وهذه الأنهار تجري من تحتي قصري، أي أنهار النيل، بتصرفي، أفلا تُبصرون قوة ملكي وعظمة سلطاني؟

٥٢- بل أنا خير من موسى الذي هو ضعيف حقير لا عزة له، ولا يكاد يوضح الكلام، لأنه التلع في لسانه.

٥٣- فهلا ألقى على موسى أساور ذهب إن كان عظيماً، أو جاء معه ملائكة متتابعون متقارنون

مصاحبون له، يعاونونه على تأديب مخالفيه، ويشهدون له بالنبوة؟

٥٤- فحمل قومه على خفة الجهل والسفه بكيد، فأطاعوا أمره، إنهم كانوا خارجين عن طاعة الله تعالى.

٥٥- فلما أغضبونا بالإفراط في العصيان والفساد، انتقمنا منهم، فأغرقناهم أجمعين في البحر.

٥٦- فجعلناهم متقدمين غيرهم من الكفار في العذاب في القبر والآخرة، وقدة لمن بعدهم، وعظة وعبرة للآخرين.

٥٧- ولما جعل عيسى ابن مريم مثلاً، أي حجة وبرهاناً، إذا قومك كفار قريش يضجون ويصبجون بالضحك فرحين بذلك المثل، زاعمين أنهم أفحموا النبي ﷺ بما سمعوا. نزلت في مجادلة ابن الزبغري مع النبي ﷺ حين نزل قوله تعالى: ﴿إني أنزل القرآن﴾ [الأنبياء ٩٨/٢١] فقال ابن الزبغري: خصمتك وزب الكعبة، أليست النصراني يعبدون المسيح، واليهود عزيزاً، وبنو ملحق الملائكة؟ ففرح بذلك من قوله، فنزلت هذه الآية، وآية ﴿إني أنزل القرآن﴾ أولئك عنها مبعدون [الأنبياء ١٠١/٢١].

٥٨- وقالوا: أآلهتنا خير أم عيسى خير منها، فإن كان في النار فلتكن آلهتنا معه في النار أيضاً، فرد الله عليهم بأن المشركين ما ضربوا لك هذا المثل إلا لأجل الجدل والخصومة بالباطل، لا طلباً للحق والحقيقة، بل هم قوم مجادلون بالباطل، شديدو الخصومة.

٥٩- ما عيسى ابن مريم إلا عابد من عباد الله أنعمنا عليه بالنبوة والرسالة، وجعلنا ولادته من غير أب مثلاً، أي آية ودليلاً على قدرتنا، لبني إسرائيل وغيرهم من الناس. و ﴿مثلاً﴾ أي كالمثل السائر في غرابته، يستدل به على قدرة الله تعالى.

٦٠- ولو نشاء لجعلنا بدلاً منكم ملائكة في الأرض يخلفونكم فيها ويقومون بعمارتها.



٦١- وإن خروج المسيح لعلامة على قيام الساعة، لكونه من أشراتها وأماراتها، كخروج الدجال، فلا تشكروني وقوعها، فهي واقعة كائنة لا محالة، واتبعوني وأطيعوني فيما أمركم به من توحيد الله وإبطال الشرك، وهذا الذي أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ طَرِيقٌ قَوْمٌ لَا عِوَجَ فِيهِ، مُؤَدٍّ إِلَى الْجَنَّةِ وَرِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى.

٦٢- ولا يصرفكم الشيطان بوساوسه عن اتباع الحق، إنه لكم عدو ظاهر العداوة، يدعوكم للضلال والهلاك.

٦٣- ولما جاء عيسى بالمعجزات وآيات الإنجيل لبني إسرائيل قال: قد جئتكم بالنبوة والإنجيل، ولأوضح لكم بعض ما تختلفون فيه من أحكام التوراة، فخافوا عقاب الله، باجتناب معاصيه، وأطيعوني فيما أمركم به من التوحيد والشرائع.

٦٤- إن الله هوري وريكم فاعبدوه وحده وأطيعوا أمره وشرعه، وهذا الذي أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ هُوَ الطَّرِيقُ الْقَوِيمُ الْمَوْصِلُ إِلَى الْجَنَّةِ وَرِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى.

٦٥- فاختلفت الفرق المتحيزة من اليهود والنصارى في شأن عيسى، أهو إله، أم ابن الله، أم ثالث ثلاثة، فهلاك وعذاب للذين كفروا وأشركوا بالله ولم يعملوا بشرائعه، من عذاب مؤلم يوم القيامة.

وَأَنَّهُ لَمِيزَةٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَعْزُزُ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٦١ وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ٦٢ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَئِنْ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٦٣ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٦٤ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلَهِمْ ٦٥ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٦٦ الْأَخْلَاءُ يُومِمُونَ بِبَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ٦٧ يَبْكَدُ لَاخَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ٦٨ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ٦٩ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ٧٠ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَفَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا تَخْلَدُونَ ٧١ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورَثُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٧٢ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ٧٣

٦٦- هل ينتظرون إلا مجيء الساعة فجأة، وهم لا يشعرون بوقت مجيئها، لغفلتهم عنها. و «هل» حرف استفهام إنكاري يفيد النفي، أي لا ينتظرون إلا قيام الساعة.

٦٧- الأصحاب أو الأصدقاء المتحابون في الدنيا من أجل متاعها ومنافعها فقط، يعادي بعضهم بعضاً يوم القيامة، إلا أهل التقوى الذين التزموا الأوامر واجتنبوا النواهي وتحابوا في الله، فإنهم أصدقاء أوفياء. نزلت في أمية بن خلف الجمحي وعقبة بن أبي معيط اللذين كانا خليلين، واتفقا على إيذاء النبي ﷺ، فقتلا يوم بدر.

٦٨- ويقال للمتقين المتحابين في الله يوم القيامة: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم من مكروه، ولا أنتم تحزنون على شيء فاتكم في الدنيا.

٦٩- أنتم يا عبادي الذين صدقوا بآياتنا القرآنية، وكانوا خاضعين متقادين لله، مخلصين، طائعين.

٧٠- يقال لهم: ادخلوا الجنة، أنتم وزوجاتكم المؤمنات، تسرون وتكرمون وتعمون.

٧١- يطاف عليهم في الجنة بطعام في صحاف (قصاع وطباق) وآية شراب من ذهب، وفي الجنة ما تشتهي الأنفس تحصيله، وتلذذ الأعين النظر إليه، من فنون الأطعمة والأشربة، وأنتم في الجنة ماكثون على الدوام، لا تموتون ولا تخرجون منها.

٧٢- ويقال لهم: هذه الجنة التي صارت إليكم كصيرورة الميراث، تشبيهاً لجزء العمل بالميراث، بسبب ما علمتم في الدنيا من صالح الأعمال.

٧٣- لكم في الجنة أيضاً فاكهة كثيرة الأنواع، تأكلون منها ما لذ وطاب، دون نفاذ لدوامها.

٧٤- إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ مَا كُنْتُمْ عَلَى الدَّوَامِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا.

٧٥- لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ فَتْرَةً، وَهُمْ فِيهِ آيِسُونَ مِنَ النِّجَاةِ.

٧٦- وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ شَيْئًا، فَلَا نَعَذِبُهُمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ، وَلَا نَزِيدُ عَلَيْهِمْ مَا يَسْتَحِقُّونَ، وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي.

٧٧- وَنَادَى هَؤُلَاءِ الْمَجْرُمُونَ الْكَافِرُونَ بَعْدَ يَأْسِهِمْ مِنْ تَخْفِيفِ الْعَذَابِ: يَا مَالِكُ خَازِنُ النَّارِ، لِيَقْضَ عَلَيْنَا رَبِّكَ بِالْمَوْتِ، أَسْأَلُهُ أَنْ يَمِيتَنَا فَيُرِحَنَا مِنَ الْعَذَابِ، نَرْجُو اللَّهَ ذَلِكَ، فَأُجَابُهُمْ: إِنَّكُمْ مَقِيمُونَ فِي الْعَذَابِ أَبَدًا.

٧٨- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَقَدْ جِئْتَكُمْ أَيُّهَا الْمَكِيدُونَ وَغَيْرُكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ بِالْحَقِّ الشَّابِتِ مِنَ الْبُعْثِ وَالْحِسَابِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِنَا، وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْقُرْآنَ وَالْكِتَابَ السَّابِقَ، وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ كَارِهُونَ لِلْحَقِّ.

٧٩- بَلِ أَحْكُمُوا تَدْبِيرَ أَمْرِ، فِي كَيْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَتْلِهِ وَإِطْلَالِ دَعْوَتِهِ؟ فَإِنَّا مُحْكَمُونَ لَهُمْ كَيْدًا بِأَهْلَاكِهِمْ وَمَجَازَاتِهِمْ. قَالَ مُقَاتِلٌ: نَزَلَتْ فِي تَدْبِيرِهِمْ فِي الْمَكْرِ بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي دَارِ النَّدْوَةِ. أَمْ لِلانْتِقَالِ مِنْ كَلَامٍ سَابِقٍ إِلَى الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ فِي تَأْمُرِهِمْ.

٨٠- بَلِ إِنَّهُمْ يظُنُّونَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْمَعُ حَدِيثَ الْخَفِيَّةِ مَعَ النَّفْسِ أَوْ الْغَيْرِ فِي مَكَانٍ، وَتَنَاجِيهِمْ فِيمَا يَتَهَامِسُونَ بِهِ بَيْنَهُمْ، بَلَى، نَسْمَعُ ذَلِكَ وَنَعْلَمُ بِهِ، وَتَكْتُبُ رُسُلُنَا حِفْظَةَ الْمَلَائِكَةِ

إِنَّ الْحَاجِرِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ٧٤ لَا يُقَرَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ

فِيهِ مُبْلِسُونَ ٧٥ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ٧٦

وَنَادَى بِمَالِكٍ لِيَقْضَ عَلَيْنَا رَبِّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ٧٧ لَقَدْ

جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُكُمْ لَئِقٌ كَرِهُونَ ٧٨ أَمْ أَمْرًا أَتَرَا

فَأَنَّا مُبْرَمُونَ ٧٩ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ

بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتَئِبُونَ ٨٠ قُلْ إِنْ كَانَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا فَمَا

أَوَّلُ الْعَالِدِينَ ٨١ سُبْحَانَ رَبِّكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ

عَمَّا يَصِفُونَ ٨٢ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ

الَّذِي يُوعَدُونَ ٨٣ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ

إِلَهُهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ٨٤ وَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٨٥

وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ

شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ٨٦ وَلَيْسَ سَأَلْتُهُمْ مِنْ خَلْقِهِمْ

لِيَقُولَ اللَّهُ فَا لِي يُوَفِّقُونَ ٨٧ وَقِيلَ لَهُ رَبِّ إِنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ

لَا يُؤْمِنُونَ ٨٨ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٨٩

٨٠- بَلِ إِنَّهُمْ يظُنُّونَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْمَعُ حَدِيثَ الْخَفِيَّةِ مَعَ

النَّفْسِ أَوْ الْغَيْرِ فِي مَكَانٍ، وَتَنَاجِيهِمْ فِيمَا يَتَهَامِسُونَ بِهِ بَيْنَهُمْ،

بَلَى، نَسْمَعُ ذَلِكَ وَنَعْلَمُ بِهِ، وَتَكْتُبُ رُسُلُنَا حِفْظَةَ الْمَلَائِكَةِ

الْمُتَلَمِّضِينَ عِنْدَهُمْ جَمِيعَ مَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ وَ«بَلَى» لِإِبْطَالِ النَّفْيِ قَبْلَهُ، وَتَقْرِيرِ مَا بَعْدَهُ. نَزَلَتْ فِي ثَلَاثَةِ بَيْنِ

الْكُتُبَةِ وَأَسْتَطَرَّهَا، وَهُمْ قُرْشِيَانِ وَتُقَيْفِي، قَالَ وَاحِدُهُمْ: تَرَوْنَ اللَّهَ يَسْمَعُ كَلَامَنَا؟ وَقَالَ آخَرُ: إِذَا جَهَرْتُمْ سَمِعَ، وَإِذَا أَسْرَرْتُمْ

لَمْ يَسْمَعْ. ٨١- قُلْ أَيُّهَا الرُّسُلُ: إِنْ ثَبِتَ أَوْ وَجَدَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ كَمَا تَزْعُمُونَ، فَأَنَا أَوَّلُ الْمُعْظَمِينَ لَهُ، وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ مُسْتَحِيلٌ، وَثَبِتَ

بِالدَّلِيلِ الْقَاطِعِ أَلَا وَلَدَ لَهُ تَعَالَى، فَمُسْتَحِيلٌ أَنْ أَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى.

٨٢- تَنَزَّهَ اللَّهُ مَالِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَنْ كَوْنِهِ ذَا وَلَدٍ وَعَنْ كُلِّ نَقْصٍ، خَالِقُ الْعَرْشِ وَمَالِكُهُ، تَنْزِيهًا عَمَّا يَصِفُونَ.

٨٣- فَدَعَاهُمْ أَوْ أَتَرَكَهُمْ يَخُوضُوا فِي بَاطِلِهِمْ، وَيَلْعَبُوا فِي دُنْيَاهُمْ، حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي يُوعَدُونَ بِهِ.

٨٤- وَاللَّهُ هُوَ الْإِلَهُ فِي السَّمَاءِ وَفِي الْأَرْضِ، لَا يَعْبُدُ بِحَقِّ سِوَاهُ، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي تَدْبِيرِ خَلْقِهِ، الْعَلِيمُ بِمَصَالِحِهِمْ.

٨٥- وَتَعَاطَفَ وَتَمَجَّدَ اللَّهُ مَالِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا كَالْهَوَاءِ وَجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَعِنْدَهُ عِلْمُ وَقْتِ الْقِيَامَةِ، وَإِلَيْهِ

تُرْجَعُونَ فِي الْآخِرَةِ، فَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ بِمَا يَسْتَحِقُّ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

٨٦- وَلَا يَمْلِكُ الْعَبِيدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَالْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ. وَيَدْعُونَ: يَعْبُدُونَ. الشَّفَاعَةُ عِنْدَ اللَّهِ، لَكِنْ مَنْ شَهِدَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ

الْحَقُّ، وَهُوَ الْإِلَهُ الْوَاحِدُ، وَهُمْ عَلَى عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ وَيَقِينٍ بِمَا شَهِدُوا بِهِ، فَهُمْ الشَّافِعُونَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى.

٨٧- وَلَمَّا سَأَلَتْ أَيُّهَا النَّبِيُّ الْمُشْرِكِينَ: مَنْ الَّذِي خَلَقَهُمْ؟ لَقَالُوا وَأَفَرَأْنَا أَنَّ اللَّهَ هُوَ خَالِقُهُمْ وَخَالَقُ كُلِّ شَيْءٍ، فَكَيْفَ يَصْرَفُونَ

عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِهِ بَعْدَ هَذَا الْإِقْرَارِ؟!

٨٨- «وَقِيلَ»: الْوَاوُ لِلتَّقْسِمِ، وَالْقَالَ وَالْقِيلَ وَالْقَوْلُ وَاحِدٌ، أَيُّ وَحَقِّ قَوْلِ الرُّسُولِ شَاكِيًا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ لِأَعْدِبَتِهِمْ بِمَا

يَسْتَحِقُّونَ، وَقَوْلُهُ: «يَا رَبِّ»، إِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعْتَنِي إِلَيْهِمْ قَوْمٌ لَا يُصَدِّقُونَ بِرِسَالَتِي وَدَعْوَتِي.

٨٩- فَأُجَابَ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: فَاعْفُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَعْرِضْ عَنْهُمْ إِعْرَاضَ الْعَاقِلِ عَنِ الْجَاهِلِ، وَقُلْ لَهُمْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ سَلَامٌ

تَرْكٌ وَإِهْمَالٌ، لَا سَلَامَ تَحِيَّةٍ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ تَكْذِيبِهِمْ وَكَفَرِهِمْ. فِيهِ تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ شَدِيدٌ.

سورة الدخان

- ١- حاميم: للدلالة على إعجاز القرآن المركب من هذه الحروف العربية، والعرب لا يتمكنون من معارضتها، وللتنبية إلى خطورة ما يلقى بعدها من أحكام.
- ٢- أقسم بهذا القرآن الموضح للناس ما يحتاجون إليه من الأحكام والشرائع.
- ٣- ابتدأنا إنزال القرآن في ليلة القدر المباركة، إنا كنا مخوفين من المعاصي ومحذرين منها.
- ٤- في ليلة القدر يفصل وبين كل أمر محكم لا كسب فيه، من التشريعات والأزاق والأجال ونحوها. والتعبير بـ «يفرق» للمستقبل عن الماضي، لأجل استحضار الصورة.
- ٥- أعني بهذا الأمر أمراً حاصلًا من عندنا على مقتضى حكمتنا، إنا أنزلنا لأجل أننا كنا مرسلين للأنبياء.
- ٦- إنا كنا مرسلين الرحمة إلى البشر، وهي رسالة الرسل راقية بالمرسل إليهم، إنه سبحانه السميع لأقوال عباده، العليم بأحوالهم وأفعالهم.
- ٧- خالق ومدير السموات والأرض وما بينهما، إن كنتم تطلبون اليقين وتريدونه، فإن اعترفتم بأنه تعالى الخالق، فعليكم الاعتراف بوحانيته.
- ٨- لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يحيي ويميت كما تشاهدون، خالقكم وخالق آبائكم السابقين.
- ٩- يل المشركون في شك من البعث وهذا القرآن،

يهزؤون بالنبي ﷺ ويقرارهم بأن الله خالقهم وخالق سائر الناس والمخلوقات، فهم يفعلون ذلك لعباً وهزواً. وهو رد لكونهم موقنين.

١٠- فانتظر أيها النبي ما يحل بهؤلاء المشركين المستهزين يوم تأتي السماء بظلمة في الجو، يراها المكروب كأنها دخان واضح. وهذا من أشرط الساعة، أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود: أن قريشاً لما استعصت على رسول الله ﷺ وأبطؤوا عن الإسلام، قال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف، فأصابهم قحط وجهد، حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء، فيرى ما بينه وبينها كهيفة الدخان من الجوع. فانزل الله ﴿فارتقب يوم تأتي السماء﴾.. ﴿فأتى النبي ﷺ فقيل: يا رسول الله، استمع الله لضر، فاستمعى لهم فسقوا.

١١- يحيط الدخان بالناس من كل جانب، فيقولون: هذا عذاب مولد.

١٢- ويقولون: ربنا اكشف العذاب عنا، إنا مصدقون بك وبنبيك. وهذا وعد بالإيمان إن كشف العذاب عنهم.

١٣- كيف ومن أين لهم التذكر عند كشف العذاب؟ والحال أنه جاءهم رسول يبين لهم الحق، وكل ما يحتاجون إليه من أمر الدين.

١٤- ثم أعرضوا عنه وقالوا عنه تارة: يعلمه بشر وليس رسولاً، وتارة: إنه مجنون.

١٥- أخبر الله عن نفسه بأننا كاشفو العذاب بدعاء النبي ﷺ كشفاً أَوْ زَمَانًا قَلِيلًا، إنكم عائدون إلى الكفر، فعادوا إليه بحسب طبعهم.

١٦- يوم نأخذ بقوة وشدة بالضربة الكبرى إما يوم القيامة أو يوم بدر، وذلك عند عودتكم إلى الضلال، إنا نمتقون منكم كالانتقام من السابقين، حتى لا يبقى أثر للشرك فيهم.

١٧- ولقد اختبرنا قبل مشركي مكة قوم فرعون وهم الأقباط، أرسل الله إليهم رسولاً جامعاً لحصال الخير، وهو موسى عليه السلام.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُنِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ ﴿٣﴾ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٤﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٥﴾ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كَامِرٌ مُسْلِينَ ﴿٦﴾ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴿٧﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٨﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴿٩﴾ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿١٠﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿١١﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ ﴿١٣﴾ يَتَّبِعَى النَّاسُ هَذَا عَذَابَ آلِ إِمٍ ﴿١٤﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٥﴾ أَتَى لَهُمُ الدَّكْرَى ﴿١٦﴾ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٧﴾ فَرَقَوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٨﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٩﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَاطِلَةَ أَكْثَرُ إِنَّا مُنْقِفُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿٢١﴾



٣٩- ما خلقتهما وما بينهما إلا خلقاً ملازماً للحق، وإقامة الحق، ولكن أكثرهم وهم المشركون المكيون لا يعلمون أن الأمر كذلك لقلة نظرهم.

٤٠- إن يوم القضاء الفصل بين الخلائق، وهو يوم القيامة لتمييز الحسن من السيء هو وقت مواعدهم للعذاب الدائم.

٤١- يوم لا ينفخ قريب عن قريب، ولا يدفع عنه شيئاً، ولا هم يمنعون من العذاب.

٤٢- لكن من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه، وهو المؤمن، فهو الذي ينجو بإذن الله، إنه تعالى القوي الغالب، فلا ينصر من أراد تعذيبه، الرحيم بمن أراد أن يرحمه، وهم المؤمنون.

٤٣، ٤٤- إن شجرة الزقوم ذات الشمر الثمر التي تثبت في أصل الجحيم هي طعام الأثم كثير الإثم. قال أبو مالك: إن أبا جهل كان يأتي بالتتمر والزبد، فيقول: تزقموا فهذا الزقوم الذي يعدكم به محمد، فنزلت هذه الآية.

٤٥، ٤٦- وهو طعام كعكر الزيت والقطران أو كسائل المعادن من الذهب والفضة والنحاس ونحوها، يغلي في بطون الكفار، كغلي الماء الساخن.

٤٧- يقال للزبانية: خذوا الأثيم، فجزّوه بعنف وقسوة إلى وسط النار.

٤٨- ثم صبوا فوق رأسه من الماء الشديد الحرارة الذي يصهر الرأس.

٤٩- ويقال له تهكمًا وتوبيخًا: ذق العذاب أيها المتعزز المكرم في زعمك حين تقول: ما بين جليها أعز وأكرم مني. قال عكرمة: ولقي رسول الله ﷺ أبا جهل، فقال: إن الله أمرني أن أقول لك: أولى لك فأولى، ثم أولى لك فأولى، فنزع يده من يده، وقال: ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء، لقد علمت أنني أمنع أهل البطحاء، وأنا العزيز الكريم، فقتله الله يوم بدر، وأذله وغيره بكلمته، ونزل فيه قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾.

٥٠- إن هذا العذاب ما كنتم به تشكّون في الدنيا.

٥١، ٥٢- إن المتقين في مجلس أو مكان آمن من جميع المخاوف في الآخرة، في بساتين خضراء، ويتابع جارية.

٥٣- يلبسون في الجنة ثياباً من رقيق الديباج وغلظه أو سمكه، متقابلين في مجالسهم ينظر بعضهم إلى بعض.

٥٤- الأمر كذلك وهو حال أهل الجنة، وقرّناهم بنساء بيض حسان، واسعات الأعين، مع شدة بياضها وشدة سوادها.

٥٥- يطلبون في الجنة ما أرادوا ويأمرون بإحضار ما يشتهون من الفواكه وغيرها آمنين من نفاذها ومن الآلام.

٥٦- لا يذوقون في الجنة الموت أبداً، لكن الموتة التي ذاقوها في الدنيا وانتهى أمرها، وحماهم من عذاب الجحيم.

٥٧- أعطاهم ربهم ذلك تفضلاً وإحساناً، ذلك الفوز الذي لا فوز بعده، لخلاصه من المكارة.

٥٨- فإمّا أنزلنا القرآن بلغتك، وجعلناه ميسراً للفهم، ليتذكروا ويتعظروا بما فيه، فيؤمنوا بك.

٥٩- فانتظر ما وعدناك به من النصر عليهم وإهلاكهم إن لم يؤمنوا، إنهم منتظرون موتك، أو غيره من المصائب.



سورة الجاثية

فضلها ونزولها: عن ابن عباس: أنها نزلت في عمر رضي الله عنه، شتمه رجل من المشركين بمكة قبل الهجرة، فأراد أن يبطش به، فأنزل الله عز وجل الآية [١٤].

- ١- حاء، ميم، كما تقدم في السورة السابقة.
- ٢- هذا القرآن منزل عليك أيها الرسول من عند الله القوي الغالب في ملكه، الحكيم في صنعه.
- ٣- إن في خلق السموات والأرض لأدلة على حكمته تعالى وقدرته ووحدانيته للمصدقين به.
- ٤- وفي خلق الله لكم أيها الناس في أطوار وأحوال مختلفة، وما ينشر ويوزع في الأرض، من أي دابة تدب على الأرض، دلالات واضحة على قدرة الله، لقوم يُصدقون بقدرة الله على البعث وغيره.
- ٥- وفي اختلاف الليل والنهار طولاً وقصرًا، وتعاقبهما أثر بعضهما، وفي إنزال المطر الذي هو سبب الرزق، فأحيا به الأرض بالإنبات بعد جديدها، وفي تغيير اتجاهات الرياح من جهة إلى جهة، جنوباً وشمالاً، حارة وباردة، عاصفة وليئة، دلالات واضحة على وحدانية الله وقدرته، لقوم ذوي عقول.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ح- نَزَّلَ الْكِتَابَ مِنَ اللَّهِ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ١ وَإِن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٢ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَبَابٍ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٣ وَأَخْلَفَ لَيْلٍ وَالنَّهَارِ وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَنجَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٤ ذَٰلِكَ آيَاتُ اللَّهِ تُنَزَّلُ عَلَيْكَ فِي حَدِيثٍ ٥ بَعْدَ آيَةِ الْيَوْمِ يُؤْمِنُونَ ٦ وَلِلَّهِ كُلُّ قَادِرٍ عَظِيمٍ ٧ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنْزَلُ عَلَيْهِ فَ يُصِرُّ مُسَكِّرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فليَئْسَرَهُ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنَ الْبَنَاتِ أَخَذَ هَاهُنَا أُولَٰئِكَ فَهُوَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٩ مَن ذَكَرَ لَّهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا أُخْذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠ هَٰذِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزِ اللَّهِ ١١ اللَّهُ الَّذِي يَحْرُكُكُمْ الْأَمْرَ لِحَرْجِي لَفَٰكٍ فِيهِ بَأْسٌ مَّرُومٌ وَلِلْبَنَاتِ قَضَايُهُ وَلَهُنَّ تَسْكَرُونَ ١٢ وَحَرَّكُكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا إِنَّهُ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْنُونَ ١٣

- ٦- تلك الأدلة والآيات القرآنية نقصها عليك، متصفة بالحق والصدق الذي لا باطل فيه ولا كذب، فبأي كلام بعد كلام الله وأدلته وآياته يصدقون؟
- ٧- هذا عذاب وهلاك لكل كذاب مفتر على الله، كثير الإثم.
- ٨- يسمع آيات الله تقرأ عليه، ثم يبقى مصراً على كفره وجعوده، متكبراً متعاضداً في نفسه عن الانقياد للحق الذي هو كلام الله، كأنه لم يسمع ما فيها من وعد ووعيد، فأخبره بأن له عند الله عذاباً شديداً الأليم يوم القيامة. والبشارة هنا تهكم به، والمراد: الإنذار والتخويف. نزلت في النضر بن الحارث الذي كان يشتري أحاديث الأعاجم، ويشغل بها الناس عن استماع القرآن.
- ٩- وإذا لم يسمع الآيات، ولكنه علم بها من غيره، اتخذ الآيات القرآنية موضوعاً للسخرية والهزاء، أولئك الأفاكون الساخرون لهم عذاب مذل مفضوح يوم القيامة.
- ١٠- تنتظرهم جهنم، ولا يدفع عنهم شيئاً من العذاب ما كسبوا من الأموال والأولاد في الدنيا، ولا تنفعهم ألهتهم الأصنام ونحوها التي عبدوها واتخذوها نصراء من دون الله، ولهم عذاب عظيم شديد في جهنم.
- ١١- هذا القرآن هداية وإرشاد إلى الحق والصواب، والذين جحدوا وكذبوا بآيات القرآن لهم عذاب من أشد أنواع العذاب.
- ١٢- الله الذي هياً وذلل لكم البحر بجعله على صفة قابلة للركوب عليه في السفن، لتسير فيه السفن بإذنه، وتسخير، ولتطلبوا فيه من فضل الله بالتجارة والصيد والغوص، ولتشكروا الله على هذه النعم بسبب التسخير في البحر.
- ١٣- وذلل لعباده جميع ما في السموات من شمس وقمر وأمطار ورياح، وجميع ما في الأرض من خيرات وكنوز ومنافع، إن في ذلك التذليل للدلائل واضحة على قدرة الله وتوحيده، لقوم يتفكرون فيها.



١٤- قل أيها الرسول للمؤمنين بالله ورسالتك: أن يصفحوا عن الذين لا يتوقعون عذاب الله، كعذاب الأمم السابقة، ليجزي قوماً وهم المؤمنون في الآخرة بما كسبوا في الدنيا من الأعمال الصالحة. والمراد بأيام الله: أنواع العذاب والمصائب التي أنزلها الله بالأمم الماضية. نزلت هذه الآية كما تقدم في عمر (رض) وفي الذي أساء إليه وشتم المؤمنين وهو عبد الله بن أبي، فاشتمل عمر بسيفه يريد التوجه إليه، فأنزل الله هذه الآية في بدء الإسلام قبل إنزال آيات الجهاد.

١٥- من عمل عملاً صالحاً فلنفسه الأجر والثواب، ومن أساء بالمعصية فعلى نفسه وزر عمله، ثم ترجعون إلى ربكم جميعاً أيها الناس، فيحاسبكم على أعمالكم.

١٦- ولقد أعطينا بني إسرائيل التوراة، ووسائل فصل الخصومات من الفهم وفقه الدين، وجعلنا منهم الأنبياء والرسل، ورزقناهم من المباحات اللذات كالمن والسلوى، وفضلناهم على عالمي زمانهم البشر بمزايا كفلق البحر، والتوراة، وقوة الإيمان واليقين.

١٧- وأعطيناهم دلائل واضحات من أمور الدين ومنها المعجزات، أو شواهد إثبات نبوة خاتم النبيين فلم يقع الاختلاف بينهم في الدين إلا بعد مجيء العلم إليهم ببيان مبادئ الدين وشرائع الحلال والحرام، عداوة

وحسدًا بين بعضهم، وطلباً للرياسة، إن ربك أيها النبي يحكم بينهم يوم القيامة في اختلافات الدين، فيجازي كل إنسان بما يستحق، حسناً أو سوءاً. و «يقضي» أي بالمواخاة والمجازاة.

١٨- ثم جعلناك أيها الرسول على طريقة ومنهاج واضح من أمر الدين، يوصلك إلى الحق «فاعمل بشريعتك المنزلة إليك، ولا تتبع أهواء كفار قريش ونحوهم الذين لا يعلمون توحيد الله وشرائعه فيما دعوك إليه من اتباع ملتهم.

١٩- إن هؤلاء المشركين الجاهلين الذين لا يعلمون، لن يدفعوا عنك شيئاً من عذاب الله إن اتبعت أهواءهم، وإن الكافرين بعضهم أنصار بعض على الباطل، والله ناصر المتقين الذين تجنبوا الشرك والمعاصي.

٢٠- هذا القرآن وآياته مبصّرات ومنيرات للقلوب وبراهين على أحكام الدين، وهدى من الضلال، ومرشد لطريق الفوز بالجنة وبرضوان الله، ونعمة من الله، لقوم يطلبون اليقين ويؤمنون حقاً بالبعث.

٢١- أبطل ظن الذين اقترفوا أو اكتسبوا الكفر والمعاصي أن يجعلهم في الآخرة كالذين آمنوا بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر، وعملوا الأعمال التي أمر الله بها، بأن نسوي بين المسيئين والحسينين، أو نجعلهم مستوين في الحساب في حياتهم وبعد موتهم، بشس هذا الحكم الذي يحكمون به بالتسوية بين الفريقين. و «أم» تفيد الإنكار وقطع الكلام عما قبله، والمراد: إنكار الحسبان أو الظن، أي: أبطل، نزلت في ثلاثة من المشركين: عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، قالوا لثلاثة من المؤمنين: حالنا في الآخرة أفضل من حالكم، كما أننا أفضل حالاً منكم في الدنيا.

٢٢- وأوجد الله السموات والأرض بالحق، والخلق بالحق يستدعي العدل وتفاوت المحسن والمسيء، والمراد: أن الله فعل ذلك لتسام العدل، ولتجزى كل نفس بما كسبت من الطاعات والمعاصي.

قُلْ الَّذِينَ آمَنُوا بَعَثْنَا الَّذِينَ لَا بِرُحُونِ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا كَانَ نُواكِبُهَا فِي السَّيْنِ ﴿١١﴾ مَنْ يَعْلَمْ جُلُوسَ فَلَانِ لِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلِمَ أَنَّ نَارًا إِلَى رَبِّكَ تُرجعون ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا نوحًا إِسْرَاءَ بِالسَّيِّئَاتِ وَالتَّوْبَةِ وَرَفَعْنَاهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ وَفَضَّلْنَاهُ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآدَمُ بَيْنَهُمْ بَيْنَ الْأُمَمِ مَا اخْتَلَفُوا إِلَّا فِي بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيثُهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنَبَغُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ أَكْثَرَ الْأَصْلَافِ لَفِي الضَّلَالَةِ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرُ حُرًّا أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

٢٣- أخبرني عن جواب الاستفهام الآتي: من الكافر الذي يعبد ما يهواه، ولم يعبد الإله الحق؟ وخذله الله ولم يوفقه على علم منه بالحق واختيار الضلال، وطبع على سمعه وقلبه، حتى لا يسمع ما ينفعه من الإرشاد، ولا يعقل ولا يفقه الهدى، وجعل على بصره غطاء حتى لا يبصر الرشd، فمن يهديه ويرشده من بعد إضلال الله له؟ أفلا تعقلون؟ (من) اسم استفهام يفيد النفي، أي لا أحد يهديه، فعلى التذكر حتى نعلم حقيقة الحال. قال مقاتل: نزلت في الحارث بن قيس السهمي أحد المستهزئين؛ لأنه كان يعبد ما تهواه نفسه. وقال سعيد بن جببر: نزلت في قريش الذين كانوا يعبدون الحجر أحياناً، فإذا وجدوا أحسن منه، طرحوا الأول وعبدوا الآخر. والذي ختم على سمعه وقلبه: هو أبو جهل.

٢٤- وقال المشركون منكرو البعث: لا حياة إلا هذه الحياة الدنيوية الحالية، يصيبنا الموت والحياة فيها يموت البعض وولادة آخرين، وليس هناك حياة أخرى، وما يفينا إلا مرور الزمان. لأن بعض العرب كانوا ينسبون كل حادث إلى الدهر، فرد الله عليهم: بأنهم لم يقولوا ذلك عن علم بالحقيقة، وإنما عن مجرد شك، أو ظن وتخمين. قال أبو هريرة: كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار، فأنزل الله هذه الآية.

٢٥- وإذا تليت عليهم آيات القرآن الظاهرة المعنى، الواضحة الدلالة على قدرتنا على البعث، لم تكن لهم حجة إلا قولهم: اتوا بآياتنا الأموات، وأعيدوهم إلى الحياة كدليل على البعث، إن كنتم صادقين في ادعائكم بوجود البعث، ليشهدوا لنا بذلك.

٢٦- قل أيها الرسول لشكري البعث: الله يحييكم في الدنيا، ثم يميتكم عند انتهاء آجالكم، ثم يجمعكم إلى يوم القيامة أحياء للحساب والجزاء، الذي لا شك فيه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله قادر على إحيائهم مرة أخرى كما بدأ خلقهم أول مرة، لقلة تفكيرهم. والمراد: أن من قدر على خلقكم أول مرة، قادر على إعادتكم ثانياً.

٢٧- والله ملك السموات والأرض وما فيهما من مخلوقات، فهو صاحب الحق في التصرف بهما كما يشاء، ويوم تقوم القيامة يومئذ يخسر الكافرون المكثبون، وتظهر خسارتهم؛ لأنهم يصيرون إلى النار.

٢٨- وترى أصحاب كل ملة أو دين باركة على الركب، كهية الخائف الدليل، كل أمة تدعى إلى صحيفة أعمالها فرداً فرداً، ويقال لهم: اليوم تجزون مقابل ما كنتم تعملون في الدنيا.

٢٩- هذا ديوان الحفظ الذي كتبناه عليكم، يشهد عليكم شهادة بالحق من غير زيادة ولا نقصان، إنا كنا نستكتب الملائكة بتدوين أعمالكم وتبتيها وحفظها في صحيفة أعمالكم.

٣٠- فاما الذين صدقوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال التي أمرهم الله بها، فيدخلهم ربه في جنته، ذلك هو الظفر البين الظاهر الذي لا يعادله فوز آخر.

٣١- وأما الذين كفروا بالله ورسله، فيقال لهم توبيخاً: أفلم تكن آياتي القرآنية ونحوها تقرأ عليكم، فتكبر عن الإيمان بها، وكنتم قوماً كافرين آثمين عصاة.

٣٢- وإذا قيل للكفار: إن وعد الله بالبعث والحساب واقع لا محالة، والقيامة لا ريب في وقوعها، قلتم: ما نعلم أي شيء هي الساعة (القيامة)؟ ما نظن وقوعها إلا ظناً، أي نتوهم توهماً، وما نحن بمحققين أن الساعة آتية.

أَوْعَيْتَ مِنَ اتِّخَاذِ الْهَوَى هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَفَرَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْدِيكُمُ إِلَّا آلُ الدَّهْرِ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّا نَسْتَدْرِكُ عَلَيْهِنَّ آيَاتِنَا بِسُيُوفٍ فَأَنَّى يُبَيِّنُ لَنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمْسِكُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِخُ بِالسُّبْحَةِ الْبَاطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَرَبِّ كُلِّ أُمَّةٍ جَانِبٌ كُلُّ أُمَّةٍ لِدَعْوَانَا إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَطُوعٌ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ أَتَيْنِي تَتْلُوا عَالِيكُمْ فَأَنصَحْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنَّا لَنَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ وَأَنَّا لَنَبْلُغَنَّ أَفْعَالَكُمْ لَازِبًا فَتُسْجَنُونَ ﴿٣٢﴾

٣٣. وظهر لهم في الآخرة عقوبات ما عملوا في الدنيا، ونزل وأحاط بهم جزاء أعمالهم بدخولهم النار التي استهزؤا بها في الدنيا.

٣٤. وقيل للكفار: اليوم تترككم في النار، كما تركتم العمل للقاء هذا اليوم، ومكان إيوائكم أو مستقركم النار، وليس لكم أنصار ينعون عنكم العذاب. و﴿من﴾ حرف يدل على عموم نفي ما بعده.

٣٥. ذلكم العذاب الواقع بكم بسبب اتخاذكم آيات القرآن مهزوءاً بها، أي استهزأتم بها، وخدعتم الحياة الدنيا بزخارفها وأباطيلها، حتى قلتم: لا بعث ولا حساب، فاليوم لا يخرجون من النار، ولا يطلب منهم الرجوع عن موجب العتب بإرضاء ربهم بالتوبة والطاعة. وقوله: ﴿لا يستعبدون﴾ لا يسترضون.

٣٦. فله الشكر والثناء بالجميل على وفاء وعده، فهو خالق السموات والأرض وكل ما سوى الله ومدير شؤون الكون، وكل ذلك نعمة ودليل على كمال قدرة الله. و﴿رب العالمين﴾ تأكيد وتعميم.

٣٧. والله تعالى العظمة والسلطان، وهو القوي

وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ لِلْيَوْمِ نَسْأَلُكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّصِيرٍ ﴿٣٤﴾ ذَلِكَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ أَتَأْتِدُّكُمْ أَيَّتَُّهُمُ اللَّهُ هَهُنَا وَهَهُنَا وَالْحَيَاةُ الدُّنْيَا قَالِ الْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْبَدُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَّةُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿١﴾ نَزَّلَ الْكِتَابَ مِنْ أَفْقِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَلَخَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّشَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ اقْنُونِي يَكُيِّبُ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَشْرَفُ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾

الذي لا يُغلب، الحكيم في أحكامه وقدره وقضائه.

سورة الأحقاف

١- حا، ميم، معناهما كما قيل في سورة الدخان.
٢- هذا القرآن منزل عليك أيها الرسول من الله القوي في ملكه وسلطانه، الحكيم في تدبيره وفعله، يضع كل أمر في موضعه.

٣- ما أوجدنا السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات إلا إيجاباً ملازماً للحق والعدل، ومقتضى الحكمة، للدلالة على قدرة الله ووحدانيته، لا باطلاً ولا عبثاً، وتقدير أجل معين ينتهي إليه كل شيء، وهو يوم القيامة، والذين كفروا مولون مدبرون عن التفكير بما أنذروا أو خوفوا به من البعث والحساب والجزاء، غير مستعدين له.

٤- قل أيها النبي للمشركين: أخبروني عن حال آلهتكم من الأصنام والأوثان وغيرها التي تعبدونها من دون الله، أروني أي شيء خلقوه مما في الأرض، أم لهم مشاركة في السموات، تقتضي تملك جزء منها، أحضروا لي كتاباً منزلاً من قبل هذا القرآن، أو بقية من علم يؤثر ويرى عن الأولين بصحة دعوكم في عبادة الأصنام أنها تقر بكم إلى الله، إن كنتم صادقين في دعوكم. والمراد: ليس عندكم أي حجة أو أقل علم بما تدعون. و﴿أم﴾ همزة الاستفهام للإنكار.

٥- لا أحد أشد ضللاً من المشرك الذي يعبد من لا يستجيب له دعاءه وسؤاله أبداً إلى يوم القيامة، وهم أي الأصنام والأوثان غافلون عن دعائهم وعبادتهم؛ لأنهم جمادات لا يعقلون ولا يسمعون. والجملة الأخيرة كالتعليل لما قبلها.

٦- وإذا جمع يوم القيامة عبدة الأصنام، كانت الأصنام أعداء لهم، تبترياً منهم، وكان المعبودون كافرين بعبادة المشركين العابدين، أي متبرين.

٧- وإذا تتلى على المشركين آيات القرآن واضحات ظاهرات، قال كفار مكة الذين كذبوا بالله ورسوله للحق وهو آيات القرآن لما جاءهم من عند الله، من غير نظر ولا تأمل: هذا سحر ظاهر. ولام ﴿للحق﴾ بمعنى (عن).

٨- بل يقولون: اختلق محمد هذا القرآن من عند نفسه، قل لهم أيها الرسول: إن اخترعته وكذبت على الله. على سبيل الافتراض. فلا تتمكنون أن تردوا عني شيئاً من عذاب الله، إن عاجلني بالعقوبة، الله أعلم بما تقولون في القرآن من القدرح والطعن، كفى بالله شاهداً يشهد لي بالصدق والبلاغ، ويشهد عليكم بالكذب والإنكار، وهو الكثير المغفرة لمن تاب، الرحيم بمن آمن به وصدق بالقرآن. و ﴿أم﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري،

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا نَسْتَلِ الْغَائِبَاتِ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُ بِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُ بِهِمْ يُحْكَمُ بِهِمْ أَنْ لَدُنَّا حُجَّتُهُمْ فَلَئِمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سَحَرٌ مِمَّنْ نَعْلَمُ أَنَّ لَهُمْ آيَاتٍ أَفْرَافًا ﴿٧﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَاتَّبِعْهُ وَذُرْ مَا تَمْنَى الْوَعْدَ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدُعَائِهِمْ أَوْ أَمْرًا أَوْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا يَكُنْ مِنْ الْإِنْفِاقِ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ إِنْ يَكُنْ لَكُمْ بِلَهِي شَكٌّ فَأَتُوا بِهَدْيٍ مِثْلِهِ فَأَمَّنْ تَلْبَسُونَ بِهِ ﴿١٠﴾ وَإِنَّمَا أَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا أَفَّاكٌ قَدِيمٌ ﴿١٢﴾ وَمَنْ قَبْلَهُ كُتِبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِمَا نَآخُرُ بِهِ لِلنَّبِيِّ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُشْرَى لِلْحَسَنِينَ ﴿١٣﴾

والمراد: الإضراب عن تسميتهم القرآن سحراً إلى ذكر ما هو أشنع منه وأعجب. والافتراء: أتبع أنواع الكذب.

٩- قل أيها الرسول: لست مبتدعاً لا مثال له، ولست بأول رسول لا سابقة له، ولست أدري ما يفعل الله بي في الدنيا، من الإبقاء في مكة أو التهجير أو القتل، ولا ما يفعل بكم من العقوبة أو الإمهال، ما أتبع إلا ما يوحى إلي من القرآن، ولا أبتدع شيئاً من عندي، ولست أنا إلا مخوف لكم من عذاب الله، واضح التحذير أو الإنذار، إن بقيتم على الكفر. و ﴿إن﴾ في قوله: ﴿إن أتبع﴾ حرف نفى، أي لا أتبع.

١٠- قل أيها النبي: أخبروني أيها المشركون عن حالكم إن كان هذا القرآن من عند الله، وجحدتم وكذبتم به، وشهد شاهد من علماء بني إسرائيل على وجود مثل معاني القرآن المصدقة له في التوراة من الدعوة إلى التوحيد وأصول الفضائل، فصدق به، وتكبرتم عن الإيمان به، إن الله لا يهدي إلى الإيمان القوم الكافرين. أخرج البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص: أن هذه الآية نزلت في عبد الله بن سلام، وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله.

١١- وقال الذين كفروا بالله ورسوله عن الذين آمنوا: اللام بمعنى عن- أي تحدثوا عن الذين آمنوا، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه، لو كان هذا القرآن خيراً مما وجدنا عليه آباءنا، ما سبقونا إلى الإيمان به، أي هؤلاء الأديناء، قالوا ذلك استهزاء بهم لفقرهم، ولأنهم لم يهتدوا سيقولون: هذا القرآن كذب قديم من جنس أساطير الأولين. و ﴿إذ لم يهتدوا﴾ بمعنى لام التعليل. نزلت في ناس من المشركين قالوا: نحن أعز، ونحن ونحن، فلو كان خيراً ما سبقنا إليه فلان وفلان.

١٢- ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة جعلناه للإسرائيليين قنوة وسبب رحمة، وهذا القرآن مصدق لما قبله من الكتب الإلهية، حال كونه بلسان العرب الفصيح، ليحذر بهذا القرآن الذين ظلموا أنفسهم بالكفر وهم مشركو مكة، ومبشر للمؤمنين المحسنين بالجنة.

١٣- إن الذين قالوا: ربنا الله وحده لا شريك له، ثم استقاموا على أحكام الشريعة، فجمعوا بين التوحيد وطاعة الشريعة، فلا خوف عليهم من مكروه يوم القيامة، ولا هم يحزنون على فوات محبوب في الدنيا.

١٤- أولئك هم أهل الجنة، ماكثين فيها على الدوام، جوزوا جزاء حسناً بما عملوا من صالح الأعمال في الدنيا.

١٥- وأمرنا الإنسان أمراً مقترباً بالعناية والاهتمام بإحسان صحبتة لوالديه، حملته أمه بمشقة، وولده بمشقة، ومدة حملته وفطامه ثلاثون شهراً، أقصى الفطام عن الرضاع سنتان، وأقل الحمل ستة أشهر، حتى إذا بلغ متتهى القوة الجسدية والعقلية، فبلوغ الأشد: كمال العقل والرأي والقوة، وبلغ تمام أربعين سنة، وهو أكثر الأشد، قال: رب ألهمني ووفقي أن أشكر نعمتك التي أنعمت بها علي، وعلى والدي في الدين والدنيا، ووفقي أن أعمل عملاً صالحاً تتقبله مني، واجعل الصلاح سارياً في ذريتي، راسخاً فيهم، وهو تقوى الله، إني تبت إليك من ذنوبي، وإني من المنقادين لأمرك، الطائعين. نزلت في أبي

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبْلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَّجِئُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَلَدَىٰ قَالَ لَوْلَا دِيهَ أَفْ لَكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرِجَ قَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَبَلَكَ آمِنْ أَنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطُورُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُنْجُمِهِمْ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنَ الْجِبِّ وَالْأَنْبَاسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ عَمَلًا وَلِيُؤْتِيَهُمْ أَجْرَهُم بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿١٩﴾

بكر الصديق رضي الله عنه الذي أسلم وصدق رسول الله، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، حيث بعث النبي ﷺ وهو ابن أربعين سنة، فلما بلغ أبو بكر أربعين سنة، قال: ﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك...﴾.

١٦- أولئك الشاكرون القائلون هذا القول: الذين تتقبل منهم - عن بمعنى من - أعمالهم الصالحة في الدنيا، بأن تعطيتهم ثواب أعمالهم على قدر أحسنها تفضلاً ورحمة، ونصفح عن ذنوبهم ونغفر لهم، فلا نعاقيهم عليها، كائنين في عداد أهل الجنة، وعُدوا ذلك على ألسنة الرسل في الدنيا وعداً صادقاً كانوا يوعدون به.

١٧- وفيما يتلى عليكم: خبر الذي قال لوالديه حينما طلبا منه الإيمان بالله واليوم الآخر: أف لَكُمَا، بمعنى أنضجر منكما، أتعدانني أن أبعث حياً من قبري بعد موتي، وقد مضت الأمم الكثيرة من قبلي؟ وهما يسألان الله أن يوفق ولدهما إلى الإيمان، يقولان لولدتهما: ويحك هلكت، آمن بالبعث وبالله وحده، إن وعد الله بالبعث والحساب حق ثابت لا شك فيه، فيقول: ما هذا القول بالبعث إلا أكاذيب الأولين وأباطيلهم التي سطورها في الكتب؟ نزلت هذه الآية في عبد كافر عاق لوالديه، وليست في عبد الرحمن بن أبي بكر، كما في بعض الروايات؛ لأن عبد الرحمن أسلم بعد ذلك، وحسن إسلامه.

١٨- أولئك المنكرون للبعث هم الذين وجب عليهم العذاب، ونزل ما هددناهم به، في جملة أم كثيرة قد مضت من قبلهم من الجن والإنس، إنهم كانوا خاسرين لأنفسهم في الآخرة.

١٩- ولكل من الفريقين: المؤمن والكافر مراتب متفاوتة من الثواب والعقاب، وليوفيتهم الله جزاء أعمالهم، وهم لا يظلمون شيئاً بنقص ثواب، أو زيادة عقاب.

٢٠. واذكر أيها النبي يوم يعرض الدين كفروا بالله ورسله على النار، حيث يعذبون فيها أو تكشف لهم، يقال لهم: أذهبتم لذائذكم وقوتكم في حياتكم الدنيا، بأن صرفتم طاقاتكم في المعاصي، واتبعتم الشهوات واللذات في معاصي الله، وتمتعتم في الملذات، فما بقي لكم منها شيء، فالיום تجزون عذاب الذل والهوان والخزي، بسبب تكبركم في الأرض عن الإيمان بالله وتوحيده ظلماً بغير وجه حق، وبسبب خروجكم عن طاعة الله، واقتراف معاصيه.

٢١. واذكر أيها النبي لقومك للاتعاظ والاعتبار أخا عاد في النسب لا في الدين، وهو هود عليه السلام، حين حذر قومه بالأحقاف: واد باليمن فيه منازل عاديين عِمان ومُهرة، وهي رمال بلاد الشحر باليمن في حضرموت، وقد مضت الرسل الذين يحذرون أمهم من عذاب الله، أي كثرت قبله وحوله في أم عديدة، بأن قال: ألا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له، إني أخشى إن عبدتم غير الله عذاب يوم عظيم هائل هو يوم القيامة. وحين يديه قبل إرساله، وحين خلفه بعد إرساله في زمانه.

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَمْ تَكُنْ مِنَ الَّذِينَ
وَأَسْتَعْتَمَ بِمَا فَأَيُّ يَوْمَ يُعْرَضُونَ عَذَابُ لَهْوٍ بِمَا كُنْتُمْ تَسْكُرُونَ
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَسْقُونَ ﴿٢٠﴾ وَادُّرْأَا
عَادِ إِذْ أَنْذَرْنَاهُمْ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ الْبُحُورُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْنَا بِتِلْكَ آيَاتِنَا وَمَا نَعْبُدُ إِلَّا مَا كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ
بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا يَعْبَهُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ
قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مِمَّنْ يَمُطُّ أَمْ لَئِنْ قَوْمًا اسْتَعْجَلُوا بِرُوحٍ فِيهَا عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ نَذِيرٌ لِّكُلِّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْحَوْا لَأُبْرِئَ الْأَمْسَلَكُنَّهِنَّ
كَذَلِكَ يُخَذِّرُ الْقَوْمَ الْخَافِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ كَذَّبْنَاهُمْ لِفِتْنَةٍ فِيهِ
وَجَعَلْنَا لَمْ تَسْمَعُوا وَأَبْصَرُوا أَفْنَدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا
أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْنَدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يُخَادُّونَ بَأْتٍ
اللَّهُ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
مَاحُولِكُمْ مِنْ الْفَرَىٰ وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾

٢٢. قالوا: يا هود أجئتنا لتصرفنا عن عبادة آلهتنا؟ فأتينا بما تعدنا به من العذاب إن كنت من الصادقين في تهديك وإنذارك.

٢٣. قال لهم هود: لا يعلم أحد متى يأتيكم العذاب، وإنما علمه عند الله، وأبلغكم ما أرسلت به إليكم، ولكني أراكم قوماً تجهلون وظيفة الرسل وأنهم مجرد مبلغين، وتجهلون المستقبل المظلم باستعمالكم العذاب ما هو، وبإصراركم على الكفر.

٢٤. فلما رأوا أمارات العذاب وسحاباً معترضاً في أفق السماء، متجهاً أو مقبلاً نحو أوديتهم، قالوا: هذا سحب عارض يأتينا بالمطر والخير، فأجابهم هود بقوله: بل هو العذاب الذي استعجلتم به، ويصح أن يكون هذا من قول الله، إنه ريح مشتملة على عذاب مؤلم.

٢٥. تهلك كل شيء من النفوس والأموال بإذن الله وإرادته، فأصبحوا هلكى لا يرى من آثارهم شيء سوى مساكنهم الخالية، وكما جزيناهم نجزي القوم الكافرين.

٢٦. ولقد أمددناهم ومكناهم في المال وقوة الأبدان وطول العمر ما لم تمكّنكم فيه يا أهل مكة، وبمقدار لم تبلغوا مثله، وجعلنا أسماعاً وأبصاراً وقلوباً للفهم وإدراك الأدلة، فلم تنفعهم تلك الحواس والطاقات شيئاً لتعطيلهم إياها، فلم يتوصلوا إلى توحيد الله وإنجائهم من العذاب؛ لأنهم كانوا ينكرون ويكذبون بآيات الله، ونزل بهم من العذاب ما استهزؤوا به وتمجلوه سخرية وعناداً. ﴿إن مكناكم﴾ حرف نفى، ﴿فما أغنى﴾ لم ينفعهم ﴿من شيء﴾، من: يفيد عموم نفى ما بعده و﴿إذ كانوا﴾ حرف تعليل، أي لأنهم كانوا.

٢٧. ولقد أهلكنا يا أهل مكة من كان جواركم من أهل القرى، كشمود وعاد وقوم لوط ونحوهم، ونوعنا الأدلة وبيننا البراهين، لكي يرجعوا عن كفرهم، فلم يفعلوا.

فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَآتَى اللَّهُ قُرْآنَهُ إِلَهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ أَفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَنْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْمَعُونَ الْفَرْقَ إِنَّا فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصُرُوا فَلَمَّا أَخَذُوهَا رَوَّاهُمُ إِلَى قَوْمِهِمْ مُّذَرِّينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا لَقَوْمُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كَيْدَ الْأَزَلِّ مِنْ عِندِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَقَوْمُنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَاعْمُوا بِهِمْ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَجْعَلْ كُرْسِيَّ عَذَابِ الْبَرِّ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَّيْجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءٌ أُولَئِكَ فِي صُلْحٍ مِّمِينَ ﴿٣٢﴾ أَوْ لَرَبِّ وَأَنَّ اللَّهَ الَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَرَبِّ عَرْشِ عَالَمِينَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْفِخَ الْوُتَّى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالُوا فَذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَاصْبِرَ أُولُو الْفُرْجِ مِنَ الْأَرْسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَوْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَعَ قَهْلٌ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾

٢٨- فهلا نصرتهم آلهتهم التي عبدوها من غير الله لتشفع لهم، وتمنع عنهم العذاب. والمراد بهذا التهمك- بل غابوا عنهم حين إيقاع العذاب بهم، وذلك أي عدم نفع آلهتهم لهم سببه كذبهم أنها تقربهم إلى الله، وصرفهم أنفسهم عن الحق إلى الباطل، وسببه أيضاً افتراؤهم بأن الله شركاء. و ﴿قربانا﴾ مفعول لأجله، أي للتقرب بهم إلى الله. و ﴿بل﴾ لإبطال ما قبله، وإثبات ما بعده، و ﴿يفترون﴾ يكذبون.

٢٩- واذكر أيها النبي حين وجهنا إليك نفراً من الجن- والنفر: عدد قد يصل إلى أربعين، وأقله ثلاثة- لاستماع القرآن الكريم، فلما حضروا تلاوته، قال بعضهم لبعض: أنصتوا أي اسكوا لسماع القرآن، فلما فرغ من قراءته، رجعوا مسرعين، مخوفين قومهم العذاب إن لم يؤمنوا. وهذا دليل واضح أن الرسول ﷺ كان مرسلًا إلى الجن والإنس. نزلت في تسعة من الجن هبطوا على النبي ﷺ، وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة، فلما سمعوه ﴿قالوا: أنصتوا﴾.

٣٠- قالوا: يا قومنا: إنا سمعنا قرآنًا عجيبًا أنزل من بعد موسى- وقالوا ذلك لأنهم كانوا يهوداً فأسلموا كما قال عطاء- مصدقاً لما تقدمه من الكتب المنزلة

كالتوراة، يهدي إلى الدين الحق، وإلى طريق قويم مؤد إلى الجنة والرضوان الإلهي.

٣١- يا قومنا أجيبوا داعي الله، وهو محمد ﷺ الذي يدعو إلى الإيمان بالله، وصدقوا به وبرسالته، يغفر لكم بعض ذنوبكم وهي المتعلقة بحقوق الله تعالى، وأما حقوق العباد فلا تغفر بالإيمان، وإنما تسقط برضا أصحابها، ويخلصكم من عذاب مؤلم، وهو عذاب النار.

٣٢- ومن لا يستجب لدعوة النبي إلى الله والإسلام، فلا يمكن أن يفلت من الله بالهرب من عقابه، وليس له من غير الله أنصار يمنعونه من عذاب الله، أولئك الذين لا يستجيبون في خطأ بين واضح وتعد عن الحق.

٣٣- أولم يعلم منكرو البعث أن الله الذي أبدع السموات والأرض، ولم يتعب ولم يضعف بخلقهن بقادر على إحياء الموتى وبعثهم يوم القيامة؟ بلى هو قادر على ذلك، لا يعجزه ما أراد. و ﴿بلى﴾ لإبطال النفي، وإثبات المنفي.

٣٤- ويوم يُعرض الذين كفروا على النار، بأن يعذبوا فيها، يقال لهم توبيخاً: أليس هذا العذاب بالحق والعدل؟ قالوا: بلى والله ربنا إنه لحق، قال الله: فلو قوا العذاب بسبب كفركم بالله تعالى وبهذا العذاب في الدنيا.

٣٥- فاصبر أيها الرسول على أذى قومك كما صبر أهل الشات والحزم من الرسل، وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، فإنهم أصحاب الشرائع الكبرى، الذين صبروا على تبليغها وتحمل مشاقها، ولا تتعجل العذاب يا محمد للكفار بالدعاء عليهم، فإنه واقع بهم حتماً، كأنهم يوم يرون ما يوعدون من العذاب، لم يكتفوا في الدنيا في ظنهم إلا مقدار ساعة، لشدة ما يرون من أهوال، هذا الذي وعظتهم به تبليغ من الله يقطع حجة الكافرين، فهل (حرف استفهام يفيد النفي) أي لا يهلك إلا القوم الكافرون الخارجون عن طاعة الله تعالى.

سورة محمد

(أو سورة القتال)

فضلها: أخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كان يقرأها في صلاة المغرب.

١- الذين كفروا بالله ورسوله، وصدوا أنفسهم وغيرهم عن الإسلام أي منعوها، وهم كفار قريش وأهل الكتاب وغيرهم، أبطل أعمالهم وضيع فائدتها، فلا تنفعهم من الخلود في النار، ولا ثواب لهم في الآخرة، بسبب كفرهم. قال ابن عباس: هم أهل مكة نزلت فيهم.

٢- والذين صدقوا بالله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله به، وصدقوا بالقرآن الذي أنزله الله على نبيه محمد ﷺ. وهذا من عطف الخاص على العام. والقرآن هو الحق الثابت الذي لا شك فيه من الله، كفر عنهم ذنوبهم، وأصلح شأنهم وحالهم، في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد، والبال: الحال. قال ابن عباس: هم الأنصار.

٣- ذلك الجزاء العادل بسبب اتباع الكافر للباطل وهو عبادة غير الله، والشرك بالله، وبسبب اتباع المؤمن للقرآن المنزل من الله على رسوله محمد ﷺ، كهذا البيان لأحوال الكافرين والمؤمنين، يبين الله للناس أحوال المؤمنين والكافرين في كل زمان.

٤- فإذا لقيتم في القتال أيها المؤمنون أعداءكم المشركين المقاتلين وغيرهم من الكافرين الذين نقضوا العهد، فاقتلوهم بضرب الرقاب ضرباً - وهو مجاز عن القتل - لأن الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة - حتى إذا أوهتموهم بالقتل والجرح، أو أكثرتم فيهم القتل وقهرتموهم، فأسروهم وأحكموا وثاقهم (رباطهم) بالحبال أو القيود وغيرها لتلا يهربوا، فإذا انتهى القتال فإما تمتن عليهم متاً (بإطلاق سراحهم بغير مقابل) أو تفادونهم فداء (بمبادلة الأسرى بالنفس أو المال) حتى تنتهي الحرب ولم يبق إلا مسلم أو مسالم - والأوزار: الأثقال من السلاح والخيول (الكرع) وغيرها من أدوات القتال الثقيلة والخفيفة - ذلك هو حكم قتال الكفار المعتدين، والله قادر على الانتصار (الانتقام) منهم بغير قتال كالخسف والفرق والرجفة، ولكن أمركم بالقتال ليختبر المؤمنين بالكافرين، في الجهاد والصبر على البلاء، فيثيب المؤمنين، ويعذب الكفار، والذين استشهدوا من أجل إعلاء كلمة الله والظفر برضوانه، فلن يضيع الله أجر أعمالهم، وإما يسيهم عليها ثواباً تاماً كريماً. قال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ذكر لنا أن هذه الآية نزلت يوم أحد.

٥- سيهدي ويرشد من بقي حياً إلى طريق الجنة، ويصلح أحوالهم في الآخرة بالتجاوز عن سيئاتهم.

٦- ويدخلهم جنات الخلد، عرقهم منازلهم بإلهام من الله تعالى.

٧- يا أيها المؤمنون بالله ورسوله إن تصبروا دين الله ورسوله بالدفاع عنه واتباع أحكامه، ينصركم على عدوكم، ويثبت أقدامكم أثناء القتال ومجاهدة الأعداء.

٨- والذين كفروا فهلاكاً لهم وخيبة وخزي، وأبطل أعمالهم الحسنة، بسبب كفرهم وكونها لغير الله تعالى.

٩- ذلك الإهلاك وإبطال الأعمال بسبب كراحتهم ما أنزل الله من القرآن، فأبطل ثواب أعمالهم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَصْلَ أَعْمَالِهِمْ ۖ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَمَّا نِمَّا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ لَقِيَ مِنْ
رَبِّهِمْ فَكَرَعْنَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً وَأَصْلَحَ بِالنَّهْمِ ۖ ذَلِكَ يَأْتِي الَّذِينَ كَفَرُوا
اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ
اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ۖ فَإِذَا لَقِيتَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَقَضَىٰ الرِّقَابَ
حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْهُمْ مُشِيرًا لَوَاقٍ فَمَا مَاتَ أَبَدًا وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ
الْحَرْبُ وَأَمَّا ذَلِكَ وَلَوْ يَسَاءَ اللَّهُ لَا تَصْرِمْتُمْ وَلَكِنْ لَيْسَ لَكُمْ
بَعْضُكُمْ يَبْغِضُ وَالَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ
أَعْمَالَهُمْ ۖ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۖ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ
عَرَفًا لَهُمْ ۖ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَصْرِمُوا اللَّهُ يَصْرِمُكُمْ
وَيُثَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَفْعَسَا لَهُمْ وَأَصْلَ أَعْمَالَهُمْ
ۖ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۖ



١٠- أفلم يتنقل هؤلاء الكافرون المكذبون برسالة الرسول في الأرض، فيروا كيف كان مصير الأمم السابقة كعاد وثمود وقوم لوط ليعتبروا، فإن آثار العذاب ما تزال ظاهرة في ديارهم، أهلك الله أنفسهم وأولادهم وأموالهم مطلقاً واستأصلهم، وللكافرن المكذبن بالله ورسوله أمثال تلك العاقبة.

١١- ذلك بسبب أن الله ناصر المؤمنين المجاهدين بحق، وأن الكافرين المعادين لا ناصر لهم. قال قتادة: نزلت يوم أحد، والنبى ﷺ في الشعب إذ صاح المشركون: يوم بيوم، لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبى ﷺ: قولوا: الله مولانا، ولا مولى لكم.

١٢- إن الله يدخل المؤمنين بالله ورسوله، العاملين بما أمر الله جنات تجري من تحت غرفها وبساتينها الأنهار، والذين كفروا بالله ورسوله يتنعمون بمتاع الدنيا، ويأكلون كأنهم أنعام إذ لا هم لهم إلا بطونهم، ونار جهنم مقام لهم.

١٣- وكمن من أهل قرية كان أهلها أشد بأساً من أهل فريتك: مكة، الذين أخرجوك منها، أهلكناهم بأنواع مختلفة من العذاب، فلا ناصر يمنع العذاب عنهم. قال ابن عباس: لما خرج رسول الله ﷺ تلقاء الغار، نظر

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ۖ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَحُدُودَهُمْ فَتَصِلُ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۚ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا وَعَمَّغُوا وَأَكَلُوا لَأَنُكَلُوا بِمَا كَانُوا يَأْكُلُونَ وَالنَّارُ مَسْجُودٌ لَهُمْ ۚ وَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَا أَهْلَكُهَا فَلَا تَصِرُ لَهُمْ ۚ أَفَن كَانَ عَلَى بَيْتِهِمْ زَيْنٌ لَوْ سَاءَ عَلَيْهِمْ أَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَسَعٍ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ۚ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَفَضَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَعِبَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَأَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۚ﴾

إلى مكة، فقال: أنت أحب بلاد الله إلي، ولولا أن أهلك أخرجوني منك، لم أخرج منك، فأنزل الله هذه الآية.

١٤- أصبح أن تكون تسوية بين من كان على حجة ويقين من ربه، فهو يعبد على نور وبصيرة، وبين من حسن الشيطان له قبيح عمله كعبادة الأوثان والشرك بالله وعصيان الله، فرأى ذلك حسناً، وأتبع هواه الباطل، في عبادة الأصنام ونحوها، بلا أي دليل أو شبهة دليل ١٩؟ وهمة ﴿أفمن﴾ للاستفهام الإنكاري المفيد لنفي التسوية.

١٥- لا يستوي أهل الجنة والخالدون في النار، ومعنى الآية: صفة الجنة العجيبة الشأن التي وعد الله بها المتقين، فيها أنهار جارية من ماء غير متغير الرائحة والطعم، وأنهار من حليب لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر للذيذة للشاربين، غير مؤذية ولا كريهة الطعم كخمر الدنيا، وأنهار من عسل مصفى من الشوائب، ولهم فيها من أصناف الثمرات المشتهة، وعفو لهم عن سيئاتهم ومغفرة لهم لذنوبهم، ليس كالفريق الخالد في النار، وسُقوا ماء حاراً شديداً الغليان، فقطع أمعاءهم، لشدة حرارته، وتقدير المعنى: أمثل أهل الجنة على هذه الصفات كمثل جزاء من هو خالد في النار أو كمن هو خالد في النار؟ والجواب واضح: لا مماثلة بين الفريقين.

١٦- ومن الكفار فئة المنافقين من يستمع إلى كلامك أيها الرسول، حتى إذا خرجوا من مجالسك في مواقف الوعظ ومواطن الخطبة، قالوا لأهل العلم من صحابتك سائلين لهم: ماذا قال النبي الساعة قبل قليل؟ بطريق الاستهزاء والاستعلاء، يريدون كأنه قال كلاماً لا قيمة له، أولئك الذين ختم الله على قلوبهم بالكفر، فلم يؤمنوا ولم يهتدوا إلى الحق، وأتبعوا أهواءهم في النفاق من غير حجة. و﴿أنفا﴾ في الزمان الماضي القريب. نزلت في شأن المنافقين الذين كانوا يسمعون كلام النبي فلا يعون، فإذا خرجوا سألو المؤمنين: ماذا قال أنفاً؟

١٧- والذين اعتدوا وهم المؤمنون، زادهم الله هدى بالتوفيق، وألهمهم ما يتقون به ربهم بالتوفيق للعمل المرضي.

١٨ - فهل ينتظر أهل مكة غير مجيء القيامة؟ أي ما ينتظرون إلا أن تأتيهم القيامة فجأة، وهم على حالهم من النفاق والكفر، فقد جاءت علامات الساعة، فكيف ومن أين لهم التذكر والاعتاظ إذا جاءتهم الساعة بغتة؟
١٩ - فاعلم أيها النبي أنه لا إله إلا الله وحده يستحق العبادة، ودم واثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحداية، واطلب المغفرة لذنوبك. وهذا للتعليم وامتنان أمته به. ولذنوب المؤمنين والمؤمنات، فانت الرووف الرحيم بأمك، والله يعلم تصرفكم وتنقلكم في البلاد للكسب، وسكونكم واستقراركم في الليل والنهار.

٢٠ - ويقول المؤمنون للنبي: هلا نزلت سورة في أمر الجهاد لنجاهد؟ فإذا أنزلت سورة واضحة الدلالة على المراد، وفرض فيها القتال، رأيت المنافقين الذين في قلوبهم شك في الدين وضعف في الإيمان، ينتظرون إليك أيها النبي نظر المغشي عليه خوفاً من الموت في القتال، فهلاك قريب الحصول لهم. وهذا معنى ﴿فأولى لهم﴾ في لغة العرب عند التهديد. و﴿ولولا﴾ للترغيب في حصول ما بعده.

٢١ - طاعة واستجابة لأوامر الله والرسول وقول كريم طيب يدل على الإيمان خير لهم، أي أحسن وأمثل.

فَهَلْ يُظِرُّونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمُ نَجْمٌ مِّنْهُمْ ۖ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۖ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَكَأَنَّا نُنَزِّلُهَا ۖ وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُظِرُّونَ إِلَيْكَ نَظْرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنْ مَوْتٍ فَأُولَئِكَ لَهُم طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْصِدْقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطَعُوا أَرْحَامُكُمْ ۖ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ۚ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ۚ الْقُرْآنُ أَوْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْعَالُهَا ۖ إِنَّ الَّذِينَ آذَنُوا عَلَى آذُنٍ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ لَهْدَى الشَّيْطَانِ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ۖ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنَطِعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۖ فَكَفَبَ إِذَا تَوَلَّيْتُمْ لِمَلِكِكُمْ يُضْرَبُونَ وَجُوهُهُمْ وَأَذُنُهُمْ ۖ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبُوا اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَحَبِطَ أَعْمَالُهُمْ ۖ

وجاز الابتداء بقوله: ﴿طاعة﴾ لأنها موصوفة تقديرًا، أي طاعة مخلصة. فإذا جد الأمر وفرض القتال، فلو صدقوا الله في إيمانهم، لكان خير لهم.

٢٢ - فلعلكم إن أعرضتم عن القتال والإيمان، يتوقع ويتنظر منكم: أن تفسدوا في الأرض، بالظلم والفتن والافتتال وسفك الدماء، وتقطع الأرحام وقتل الأقارب.

٢٣ - أولئك المفسدون الظالمون المتخلفون عن الجهاد طردهم الله من رحمته، فأصمهم عن استماع الحق والكلام النافع، وجعلهم كالعُمي عن طريق الهدى.

٢٤ - أفلا يتفهمون القرآن ليدركوا مواضعه؟ بل على قلوبهم مغاليق لا تنفتح، فلا يفهمونه ولا يؤمنون به.

٢٥ - إن الذين رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر، وتراجعوا عما كانوا يظهرونه من الإيمان، وهم المنافقون، من بعد ما وضح لهم طريق الهدى، الشيطان زين خطاياهم وسهل لهم، وخدعهم بالأمل، ومد لهم في الأماني الباطلة.

٢٦ - ذلك الضلال والارتداد بسبب أن المنافقين قالوا للمشركين واليهود الذين كرهوا ما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ: سنطيعكم في بعض أموركم، كالقعود عن الجهاد ضدكم، ومعاداة محمد، مما يعطل دعوة الإسلام، والله يعلم أسرارهم بهذا القول، أي إخفاء كيدهم، فأظهره الله الذي يعلم السر وأخفى.

٢٧ - فكيف تكون حالهم إذا توقفتهم الملائكة، وهم يضربون وجوههم وظهورهم بمقامع من حديد، فاستخرجت أرواحهم بالعنف والشدة.

٢٨ - ذلك التنويف على هذه الصورة بسبب أنهم اتبعوا ما أغضب الله من الكفر وعصيان الأمر، وكرهوا العمل بما يرضيه من الإيمان والجهاد وسائر الطاعات، فأبطل أعمالهم.



٢٩- أم ظن الذين في قلوبهم نفاق أن لن يظهر الله أحقادهم على النبي ﷺ والمؤمنين.

٣٠- ولو نريد لأعلمناك بأعيان المنافقين، فعرفتهم بعلامات خاصة يتميزون بها، ولتعرفتهم في فحوى القول ولهجة الحديث بالخداع، والتعريض بك وبالمسلمين، والله يعلم أعمالكم، لا تخفى عليه منها خافية.

٣١- ولنتخيرتكم أو لنعاملتكم معاملة للتخير معشر المسلمين بالجهد والتكاليف الشرعية، حتى نعلم للجاهدين منكم، والصابرين في أمور الدين ومشاق التكليف، ونختبر أعمالكم ونظورها.

٣٢- إن الذين كفروا بالله ورسوله، ومنعوا الناس عن الإسلام واتباع الرسول ﷺ وهم على الراجح يهود بني قريظة وبني النضير، وعادوا الرسول، من بعد علمهم أنه نبي من عند الله، لن يضروا الله شيئاً بكفرهم وصلحهم عن الإسلام، وسيبطل الله أعمالهم الخيرية لكفرهم، ومكائدهم ضد الإسلام. قال ابن عباس: هم المطعمون يوم بدر. وقال غيره: في أهل الكتاب.

٣٣- يا أيها المؤمنون بالله ورسوله: أطيعوا أوامر الله، وأوامر الرسول فيما بلغكم من الشرائع في القرآن

أمر حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغاثهم ٣١ ولو شاء لأزيتكمهم فلفقهم بينهم ولتفرقهم في حق القول والله يعلم أعمالكم ٣٢ ولتبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ٣٣ فبلغوا أخباركم ٣٤ إن الذين كفروا وأصدوا عن سبيل الله وشاءوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئاً وسيحط الله أعمالهم ٣٥ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تجادلوا عنه ٣٦ إن الذين كفروا وأصدوا عن سبيل الله ثم ما تواروا هم كافرين فلن يغير الله لهم ٣٧ فلا تنهوا وتدعوا إلى السلم والله الأعلمون والله معكم ولن يتركم أعمالكم ٣٨ إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يستأكم أموالكم ٣٩ إن يستأكموها فيغفركم بئس ما يكسبكم الله مما ينزل الله فلا تقوى ٤٠ فإنيكما يبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ٤١

والسنة، ولا تضيعوا ثواب أعمالكم بما أبطل به هؤلاء أعمالهم بالرياء والسمة والنفاق، ولا تبطلوا حسناتكم بالمعاصي ومخالفة أوامر الله ورسوله. نزلت في بعض الصحابة، لتنبههم، فخافوا أن يبطل الذنب العمل.

٣٤- إن الذين كفروا بالله ورسوله، ومنعوا الناس عن الدخول في الإسلام، ثم ماتوا على الكفر، فلا يغفر الله لهم ذنوبهم، وإنما يعذبهم لشركهم. نزلت في أصحاب القليب، أي بثر بدر، حيث ألقى قتلة المشركين فيها.

٣٥- فلا تضعفوا عن القتال، وتدعوا الكفار إلى الصلح والمسالمة ابتداء منكم، وخوراً وتذلاً مع الكفار إذا لقيتموهم، وأنتم الغالبون بالسيف والحجة. والمراد أن الغلبة في النهاية لكم، وإن تغلبوا عليكم أحياناً، فإله يؤيدكم بنصره، ولن يضيع ثواب أعمالكم ولن ينقصها شيئاً من الأجر.

٣٦- إنما شأن الحياة الدنيا والاشتغال فيها لعب: وهو كل ما لا منفعة فيه في المستقبل ولا يشغل عن مهام الأمور، ولهو: وهو ما ليس فيه منفعة ويشغل عن النافع، وإن تؤمنوا بالله ورسوله، وتتقوا الله بالزمام أوامره واجتنب نواهيه، يعطكم الثواب على الطاعة، ولا يطلب إخراج جميع أموالكم من ملكيتكم، بل يقتصر على الزكاة المفروضة.

٣٧- إن يطلب الله منكم إنفاق جميع أموالكم في سبيله، فيجهدكم ويلح عليكم، تبخلوا بها وتمتنعوا عن أدائها، ويخرج أحقادكم وما في قلوبكم من البخل والعداوة وكرهه الإنفاق.

٣٨- ها أنتم معشر المؤمنين تدعون لتنفقوا في سبيل الله بالزكاة ونفقات الجهاد ونحوها، فمنكم من يبخل في هذا السبيل ويسير المال، ومن يبخل بالزكاة والصدقات، فلما يبخل على نفسه بمنع الخير عنها، وتفتيت الثواب، والله الغني عن نفقتكم، وأنتم الفقراء إلى الله، وإن تعرضوا عن طاعته، يجعل بدلکم قوماً آخرين، ثم لا يكونوا أمثالكم في الإعراض عن الإيمان والطاعة والبخل بالإنفاق في سبيل الله تعالى.

سورة الفتح

فضلها: نزلت هذه السورة على النبي ﷺ بعد عودته من الحديبية، روى أحمد والبخاري وغيرهما عن عمر أن النبي ﷺ قال: «نزل علي البارحة سورة هي أحب إلي من الدنيا وما فيها: ﴿إنا فتحنا لك...﴾».

١- إنا فتحنا لك أيها الرسول فتحاً مؤزراً واضحاً، بالنصر على المشركين في صلح الحديبية. نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها.

٢- كي يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك قبل الفتح وبعده. والمراد بالذنب هنا: فعل ما هو خلاف الأولى والأفضل بالنسبة لمقام الأنبياء. ويثم نعمته عليك بإظهار الدين وإعلائه، ويرشدك الطريق القويم لتبليغ رسالتك، والمراد: لكي يجتمع لك هذه الأمور الثلاثة: النصر الموزر، وتمام النعمة في الفتح وإعلاء الدين، وهداية الصراط.

٣- ولكي ينصرك الله نصراً فيه عز ومنعة، وقوة وغلبة، أي نصراً يصعب حصول مثله لغيرك.

٤- هو الله الذي أنزل وأوجد الطمأنينة والثبات في



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۚ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ
 وَيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ
 وَبُصِّرَكَ اللَّهُ
 نَصْرًا عَزِيزًا ۚ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ لَكَ الْكِتَابَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ
 لِيُزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۚ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ
 اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۚ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتُ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُغْفِرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ
 عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۚ وَبَعِثْنَا لَمْيِقِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ
 وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ ظُلُمَاتٍ لَّيْلَةٍ ظُلُومٍ ۚ وَالسَّوْءُ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۚ وَغَضِبَ
 اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۚ
 وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
 ۚ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۚ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
 وَرُسُولِهِ ۚ يُعَزِّزُ رُوحَهُ وَقُوَّةَهُ ۚ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْيَمَّةَ الْأَصْبَحَ ۚ

قلوب المؤمنين وهم الصحابة يوم الحديبية الذين يابعون بيعة الرضوان على الثبات في القتال حتى النصر، ليزدادوا يقيناً إلى يقينهم السابق بالنصر وعزة الإسلام وانتشاره، ولله جنود السموات والأرض لتنفيذ أوامره، من الملائكة والإنس والجن والحجارة والزلازل ونحوها، يدير أمرهم ويوجههم كيفما يشاء، وكان الله عليماً بأحوال خلقه، حكيماً في تدبيره وصنعه. والمراد: جنود الله تعالى التي ثبت بها المؤمنين.

٥- يتلي الله بجنوده من شاء ليدخل أهل الإيمان جنات تجري من تحت غرفها ويساتينها الأنهار، ويستتر ذنوبهم ولا يظهرها ولا يعذبهم بها، وكان ذلك الوعد بالجنة والمغفرة عند الله وفي حكمه فوزاً لا يعادله فوز آخر. قال جابر: قال النبي ﷺ: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة».

٦- ويعذب أهل النفاق والشرك في الدنيا بالغم والفقر والأسر والقتل، وفي الآخرة بنار جهنم، أهل الظن السيء بأن الله لن ينصر نبيه، وأن كلمة الكفر تعلو، عليهم دائرة ما يظنون ويتصورونه بالمؤمنين، وسخط الله عليهم، وطردهم من رحمته، وهماً لهم جهنم، ويشتت مرجعاً ومكاناً ينتظرونهم في الآخرة. و«دائرة السوء» الداهية التي تحيط بهم.

٧- ولله جنود السموات والأرض كالملائكة والصواعق والزلازل والغرق وكان الله وما يزال قوياً لا يغلب، حكيماً في صنعه فلا يسوي بين المؤمن والكافر. والمقام هنا مقام تهديد المشركين، وفيما سبق مقام تدبير شؤون الخلق.

٨- إنا أرسلناك أيها الرسول شاهداً على أمتك بتبليغ الرسالة، ومبشراً بالجنة من أطاعك، ومحذراً بالنار من عصاك.

٩- أرسلناك بهذه الرسالة لتؤمنوا بالله وحده لا شريك له، ويرسوله خاتم الأنبياء، وتنصروه وتعظموه، وتتنزهوا الله عما لا يليق به، صباحاً ومساءً، أي كل وقت.

١٠- إن الذين يبايعونك أيها النبي ببيعة الرضوان يوم الحديبية على الثبات في الجهاد وقتال قريش، إنما يبايعون الله، فالعقد مع النبي كالعقد مع الله، يد الله فوق أيديهم، أي أنه تعالى مطلع على مبايعتهم، وهذا تأكيد البيعة، فمن نقض العهد أو البيعة، فإنما ينقض على نفسه، أي يرجع وبال نقضه عليه وضرره به، ومن وفى في مبايعته بالصبر عند القتال، والثبات في مواجهة الأعداء، فسيعطيه الله ثواباً عظيماً، وهو الجنة.

١١- سيقول لك أيها الرسول المتخلفون من الأعراب حول المدينة، الذين لم يخرجوا معك إلى الحديبية أو إلى مكة للعمرة، وهم أسلم وجهينة وغفار وأشجع والدليل، معتمرين بالانشغال في شؤون أموالهم وأهليهم من النساء والأطفال عن الخروج معك، يقولون: لا يوجد من يقوم بهم، فاطلب لنا المغفرة من الله على التخلف عن الخروج معك، فكذبهم الله، في الاعتذار والاستغفار، فإنهم يقولون ذلك بمجرد النطق بالسنتهم من غير تعبير حقيقي عما في قلوبهم من النفاق، قل أيها النبي: فمن يمنعكم مما أراد الله بكم من خير أو شر؟ أي لا أحد يمنعكم من مشيئته، إن أراد إضرامكم اللاحق

إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ١٠ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْنَا يَقُولُونَ ١١ بِالسَّيْنَةِ مَا لَكَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ مَنْ عَلَيْكَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ سَيِّئًا إِنَّا زَادَكُمْ ضَرًّا وَأَزَادَكُمْ تَبَعًا بَلْ كَانُوا اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ١٢ بَلْ نَحْنُ نَعْتَصِدُ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرُّسُلُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوِيًّا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ١٣ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ١٤ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ١٥ سَيَقُولُ الْمُخَلْفُونَ إِنَّا أَنْطَلَقْنَا إِلَى مَعَانِمَ لِنَأْخُذَ بِهَا ذُرُوعًا نَتَّبِعُكُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَيَقُولُونَ بَلْ نَحْنُ حَسَدُوتُنَا بَلْ كَانُوا لَا يَتَّقُونَ إِلَّا قَلِيلًا ١٦

بالأهل والمال والنفس، من قتل وهزيمة وسوء حال وضيع، أو أراد نفعكم بما يفيد حفظ النفس والمال والأهل وتيسير الحصول على المال بالغنيمة أو تحقيق العزة بالنصر، بل كان الله خبيراً بأعمالكم، لا تخفى عليه خافية منها، وقوله: «فمن يملك؟» استفهام بمعنى النفي، أي لا أحد يمنعكم، و«بل» للانتقال من غرض إلى آخر.

١٢- بل ظننتم أيها المنافقون أن لن يرجع الرسول والمؤمنون إلى بلدكم وأهليهم من العشيرة والقرابة أبداً، وإنما يستأصلهم المشركون، وزين لكم من الشيطان في قلوبكم امتناعكم من الخروج، وظننتم ظناً سيئاً ما ذكر وهو تخلي الله عن نصرته رسوله، وكنتم قوماً هلكى عند الله بهذا الظن وفساد العقيدة وسوء النية.

١٣- ومن لم يصدق بالله ورسوله، فأضمر النفاق وتشكك في إمداد الله عباده المؤمنين، فإننا أعددنا للكافرين ناراً ملتهبة شديدة الاستعار.

١٤- والله وحده ملك السموات والأرض، يديره كيف يشاء، ويتصرف به كيف يريد، يغفر (يستر) الذنوب لمن يشاء من عباده، ويعذب بعدله من يشاء أيضاً، وكان الله واسع المغفرة والرحمة ولم يزل متصفاً بهما لكل من تاب وأناب.

١٥- سيقول المتخلفون المذكورون عن الحديبية، إذا ذهبتم إلى معانم خبير لتأخذوها وتحوزوها: اتركوا تتبعكم لتأخذ منها، يريدون أن يغيروا كلام الله: وهو وعده لأهل الحديبية خاصة أن يعوضهم عن غنائم مكة بغنائم خبير، قل لهم أيها الرسول: لن تتبعونا إلى خبير، يمثل ذلك أخبرنا الله أن غنيمة خبير لن شهد الحديبية خاصة، فسيقول المنافقون عند سماع هذا الخبر: إنكم تمنعوننا من اتباعكم والخروج معكم حسداً منكم، لئلا تشاركونا في الغنيمة، بل كانوا في الواقع لا يعلمون من أحكام الدين إلا شيئاً قليلاً: وهو ما يتعلق بالغنائم فقط.

١٦. قل أيها النبي للمتخلفين عن الحديبية من الأعراب سكان البادية. كرر ذلك مبالغة في الذم وشناعة التخلف: استدعون إلى قتال قوم أصحاب قوة ضاربة وعزيمة صارمة في الحروب، بأحد الأمرين فقط: إما المقاتلة أو الإسلام، فإن طيعوا الله ورسوله فيما أمر، وتصبروا عند لقاء الأعداء، يؤتكم الله ثواباً جزيلاً: هو الغنيمة في الدنيا، والجنة في الآخرة، وإن تعرضوا وتتخلفوا كما تخلفتم عن الحديبية، يعذبكم الله عذاباً مؤلماً.

١٧. ليس على أصحاب الأعذار إثم ومواخذة في ترك الجهاد لعجزهم وعدم استطاعتهم وهم الأعمى والأعرج والمريض، ومن يطع الله ورسوله في كل ما أمر به ونهى عنه، يدخله جنات تجري من تحت غرفها وبساتينها الأنهار، ومن يعرض عن الطاعة، يعذبه الله عذاباً مؤلماً في نار جهنم. قال ابن عباس: لما نزلت: ﴿وإن تتولوا كما توليتم من قبل﴾ [الفتح ٤٨/ ١٦] قال أهل الزمالة: كيف بنا يا رسول الله؟ فأنزل الله: ﴿ليس على الأعمى حرج...﴾. ١٨. لقد رضي الله عن المؤمنين من الصحابة حين يابعوك بيعة الرضوان تحت الشجرة في الحديبية على

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمِ أُولَىٰ بِأَسْوَءِ يَدٍ يُفْعَلُونَ هُمْ أَوْ يُسْلَمُونَ فَإِنْ طَبِعُوا يَتُوبُكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ١٦ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا ١٧ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتَاهُ قَرِيبًا ١٨ وَمَعَافٍ وَكَرِيمٌ فَآخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٩ وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَعَافَاكُمْ كَثِيرَةً فَأَخَذُونَهَا فَجَعَلَ لَكُمْ هَذِهِمُكَ وَيَدَى النَّاسِ عَنْكُمْ وَلَيْتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ٢٠ وَآخَرَى لَوْ تَقَدَّرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ٢١ وَلَوْ قَاتَلَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا تَوَلَّوْا أَلَا ذِكْرُكُمْ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ٢٢ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْعَلَ لَسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ٢٣

الثبات في القتال ضد قريش، فعلم ما في قلوبهم من الصدق والوفاء وإخلاص البيعة، فأنزل الطمأنينة والأمن عليهم، وسكن نفوسهم، وجازاهم بفتح خيبر وانتشار الدعوة الإسلامية بعد صلح الحديبية مباشرة. نزلت بعد أن بايع الصحابة تحت شجرة (سمرة) رسول الله ﷺ.

١٩. وأثابهم ومنحهم أيضاً مغام كثيرة يأخذونها هي مغام خيبر بعد فتحها سنة ٧ هـ ومصالحة أهلها على نصف ما يخرج من أرضها من ثمر أو زرع، وكان الله قوياً لا يُغلب، حكيماً في تدبير أمور خلقه.

٢٠. وعدكم الله أيها المؤمنون مغام كثيرة تأخذونها من أعدائكم إثر الفتوحات إلى يوم القيامة، فعجل لكم غنائم خيبر، ومنع عنكم أيدي قريش بالصلح واليهود وحلفائهم حول المدينة بإلقاء الرعب في قلوبهم، ولتكون هذه الغنائم المعجلة وكف اليهود دليلاً على صدق وعد الله تعالى ووعد رسوله في جميع ما يعدهم به، ويهديكم طريقاً قوياً بتلك الآية (الدليل) لطاعته ومرضاته.

٢١. ووعدكم أيضاً فتوحات ومغام أخرى هي مغام فارس والروم وهوازن وثقيف يوم حنين، لم تقلدوا عليها الآن، لحاجتها إلى إعداد أقوى، علم الله أنها ستكون لكم، وكان الله وما يزال تام القدرة على كل شيء، لا يعجزه شيء.

٢٢. ولو قاتلكم الكفار القرشيون بالحديبية، لهربوا وانهزموا، ثم لا يجلدون صديقاً حامياً يحرسهم، ولا مُعيناً يدفع عنهم الهزيمة والعار، وينصرهم عليكم.

٢٣. هذا حكم الله وقانونه العام القديم في الماضي من نصر المؤمنين وهزيمة الكافرين المعادين، ولن تجد أيها النبي لهذه السنة الدائمة العامة تغييراً، وإنما هي دائمة مستمرة ثابتة.



وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَلْحِ مَكَّةَ
مِنْ بَعْدِ أَنْ أَنْظَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرًا ٢٤ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ
مَعَكُمْ وَأَنْ يَبْلُغَ حِلُّكُمْ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ
مُؤْمِنَاتٌ لَفُتَّكُم مِّنَ الشَّجَرِ أَنْ تَطَّغَوْهُمْ فَمَا أَصْبَحْتُمْ مَعْرُوفِينَ
بَغِيرِ عِلْمِ اللَّهِ الَّذِي فِي دَحْرِهِ مِنْ شَيْءٍ لَّوْ تَرْتَلَوُا لَعَدَدْنَا
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٢٥ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا
فِي قُلُوبِهِمْ آخِزَةً حَبِطَتِ الْجُنُودُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا
أَخْقَ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ٢٦ لَقَدْ
صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرَّءْيَا بِالْحَقِّ لَنَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
إِنْ سَاءَ اللَّهُ أَمْرٌ مِنْ مُخْلِطِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ
لَا تَخَافُونَ ٢٧ فَهَلْ مِمَّا لَمْ تَعْمَلُوا لَعَلَّ مِنْ دُونِ ذَلِكَ
فَمَا قَرِيبًا ٢٨ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا ٢٩

٢٤ - والله هو الذي كفف أيدي المشركين عنكم، وكفف أيديكم معشر المؤمنين عنهم، بوادي الحديبية القريب من مكة، لما جاؤوا يصدون رسول الله ﷺ وصحبه عن البيت الحرام، عام الحديبية، من بعد أن أظهركم عليهم وجعلكم متغلبين عليهم، حيث طاف ثمانون رجلاً من المكين بعسكر المسلمين ليصيبوا منكم، فأخذهم المسلمون ثم تركوهم، وكان الله بما تعملون بصيراً مطلقاً على جميع الأمور. أخرج مسلم وغيره عن أنس قال: لما كان يوم الحديبية، هبط على رسول الله ﷺ ثمانون رجلاً من جبل التنعيم، يريدون غرة النبي ﷺ، فأخذوا، فاعتقهم، فنزلت الآية.

٢٥ - هم كفار مكة الذين كفروا بالله ورسوله، ومنعوا المسلمين أن يطوفوا بالبيت الحرام، ومنعوا الهدي (الإبل ونحوها) عن بلوغ محله، أي منحره، حيث يحل نحره من الحرم، وكان الهدي سبعين بدنة، فرخص الله تعالى لهم ذبحه في الحديبية خارج الحرم، ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات مستضعفون أبرياء موجودون بمكة مع الكفار لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم بالمشركين، لئلا تهلكوهم، لأمرناكم بقتالهم، فتصيبكم من جهة أولئك الأبرياء مشقة، بغير علم منكم، فيقول المشركون: إن المسلمين قتلوا أهل دينهم، لو تميز المؤمنون عن الكافرين، لعذبنا الذين كفروا من أهل مكة بالقتل عذاباً مؤلماً موجعاً. قال أبو جعفر حبيب بن سبع: قاتلت النبي ﷺ أول النهار كافراً، وقاتلت معه آخر النهار مسلماً، وكنا ثلاثة رجال وسبع نساء، وفيها نزلت: ﴿ولولا رجال مؤمنون...﴾.

٢٦ - وقت العذاب حين جعل هؤلاء الكفار المشركون في قلوبهم الأنفة - أنفة الجاهلية - الناشئة عن غرور بالعظمة الكاذبة، حين منعوا المسلمين من دخول المسجد الحرام عام الحديبية، فأنزل الله الطمأنينة والرضا والشبات على رسوله وعلى المؤمنين، حيث لم يغتروا ولم تأخذهم الحمية، وأمرهم بكلمة التقوى ووقفهم إليها، وهي: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) لأنها سبب التقوى وأساسها، وهي الباعثة على الوفاء بالعهد، وكانوا أجدر وأولى بها، وأهلاً لها، ولما يترتب عليها من الوفاء بالعهد، وكان الله واسع العلم بكل شيء، لا تخفى عليه خافية.

٢٧ - لقد أنفذ وحقق الله رؤيا رسوله، ولم يكذبه، لتدخلن أيها النبي مع صاحبك المسجد الحرام بمشيئة الله في العام القادم، مُحَلِّقاً بعضكم جميع شعورهم، ومقصرراً آخرون بعض شعورهم، لا تخافون أبداً، فعلم ما لم تعلموا من الحكمة في تأخير ذلك، فجعل من دون دخول المسجد، وفتح مكة فتحاً قريباً حصوله: وهو فتح خيبر وصلاح الحديبية الذي كان أعظم فتح لانتشار الإسلام. قال مجاهد: أرى النبي ﷺ وهو بالحديبية أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين، محلِّقين رؤوسهم ومقصرين، فنزلت الآية.

٢٨ - الله هو الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ بالقرآن، ودين الإسلام الحق، ليعليه على جميع الأديان، وكفى بالله شاهداً على تحقيق وعده وصحة نبوة رسوله.

تَحْمَدُ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَيْدَاءُ عَلَى الْكَفَّارِ رَحْمَةً
بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
سِيمًا خُفِرَ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَفْطًا فَأَنزَلَهُ فَاسْتَغْلَظَ
فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾



يَسْمَعُ اللَّهُ الرُّعُوبَ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْذِفُوا بِدِينِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَاتَّقُوا
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا
أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ
الَّذِينَ يَخْفَضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ
اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾

٢٩- محمد هو رسول الله، وأصحابه المؤمنون به غلاظ شدداء على الكفار، متراحمون متعاطفون فيما بينهم، تبصرهم حال كونهم راكعين ساجدين، لاشتغالهم بالصلاة في أكثر أوقاتهم، يطلبون الثواب والرضا والجنة من الله تعالى، علامتهم المميزة لهم من وجوههم من كثرة السجود في الصلاة، ذلك وصفهم في التوراة، ووصفهم في الإنجيل، كزرع أخرج فراخه أو فروعه، فقواه، فغلظ، وقوي واشتد واستقام على أصوله، يعجب هذا الزرع الزراع لحسنه وغمائه وكثرتة، شبهوا بالزرع ليغيب الله بكثرتهم وقوتهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا ما أمرهم الله به ونهاهم عنه، صفحاً وعفواً عن ذنوبهم، وثواباً جزيلاً وهو الجنة على أعمالهم.

سورة الحجرات

١- يا أيها المؤمنون بالله ورسوله لا تقرروا في مسألة حكماً قبل أن يحكم الله ورسوله فيها، وخافوا الله في جميع أموركم بفعل ما أمر وترك ما منع، إن الله سميع لأقوالكم، عليم بأفعالكم.

أخرج البخاري وغيره عن عبد الله بن الزبير قال: «قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فأنزل الله هذه السورة».

٢- يا أيها المؤمنون لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي إذا تكلم، صوناً لاحترامه وتقديره، وتركاً لما يتنافى مع توقيره والاحتشام منه، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض فلا تنادوه باسمه وإنما بصفته من النبوة أو الرسالة، ولا تخاطبوه كما يخاطب بعضكم بعضاً، إجلالاً له، خوف أن يبطل ثواب أعمالكم، وأنتم لا تشعرون بضياها وأنهما محبطة. قال قتادة: كانوا يجهرون له بالكلام، ويرفعون أصواتهم، فأنزل الله: ﴿لا ترفعوا أصواتكم...﴾.

٣- إن الذين يخفضون أصواتهم عند رسول الله تأدباً معه، مرّن الله قلوبهم على احتمال المشاق والتكاليف، حتى صارت خالصة للتقوى، أي الطاعة وتجنب المعصية، لهم مغفرة لذنوبهم، وثواب عظيم على طاعتهم. يقال: امتحن الصائغ الذهب: إذا أذابه ليخلصه من شوائبه، والمراد: أخلص قلوبهم للتقوى. نزلت في ثابت ابن قيس الذي جلس يكي في الطريق خشية أن يرفع صوته فوق صوت النبي، لأنه كان صيماً رفيع الصوت، فدعاه رسول الله ﷺ وقال له: أما ترضى أن تعيش حميداً، وتقتل شهيداً، وتدخل الجنة؟ قال: رضيت، ولا أرفع صوتي أبداً على صوت رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿إن الذين يخفضون...﴾.

٤- إن الذين ينادونك من خلف أو خارج غرفات سكنك في زمن الراحة، أكثرهم جاهلون لا يتعمقون ما ينبغي مراعاته من الأدب والاحترام لك. قال زيد بن أرقم: جاء ناس من العرب إلى حُجْر النبي ﷺ، فجعلوا ينادون: يا محمد، يا محمد، فأنزل الله هذه الآية.

٥- ولو أنهم انتظروا خروجك، لكان صبرهم خيراً لهم من الاستعجال، لما فيه من الأدب وتعظيم مقامك، والله واسع المغفرة للمستغفرين، والرحمة للثائنين، حيث اقتصر على النصح وتقرير المسئين للأدب.

٦- يا أيها المؤمنون إن جاءكم بخبر مهم فاجر خارج عن حدود الدين لا يالي بالكذب، فاطلبوا بيان الحقيقة وتثبتوا من صحة النبأ قبل ترتيب الآثار عليه، خشية أن تصيبوا قوماً أبرياء بسوء أو مكروه، فتصيروا على ما فعلتم من الخطأ نادمين مغتمين، متمنين أنه لم يقع. نزلت في الوليد بن عتبة بن أبي معيط، بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق مُصَدِّقاً (ياخذ الزكوات الغنم) فلما سمعوا به ركبوا إليه، فخالفهم ورجع، وقال: إن القوم هموا بقسلي، ومنعوا صدقاتهم، فهم النبي ﷺ يَغْزَوْهم، فجاء وفدهم، وقالوا: يا رسول الله، سمعنا برسولك، فخرجنا نكرمه، ونؤدي إليه ما قبلنا من الصدقة.

٧- واعلموا معشر المؤمنين أن فيكم رسول الله، فلا تقولوا قولاً باطلاً، فإن الله يخبره بالخال، لو يطعمكم في كثير من الأمور التي تخبرونه بها على خلاف الواقع، لوقعت في العنت وهو الجهد والمشقة، والهلاك والعناء، ولكن الله

حسن وحب إليكم الإيمان، وغرسه في قلوبكم، وبغض إليكم الكفر (تغطية نعم الله تعالى بجهودها) والفسوق (الخروج عن الحد الديني وهو هنا الكذب) والعصيان (المخالفة والمعاصي) والذنوب، وهو من عطف العام على الخاص) أولئك البعض المتبينون هم الثابتون على دينهم، المهتدون إلى الفضائل والآداب.

٨- فعل الله ذلك بكم بتحبيب ما حب، وتكريه ما كره، فضلاً من الله ونعمة، والله عليهم بأمور عبادته وأحوالهم من التفاضل، حكيم في صنعه وتديبه بهم من الإنعام والتوفيق.

٩- وإن تقالت فتتان من المؤمنين، فأصلحوا بينهم أيها المسلمون بالنصح والإرشاد للعمل بكتاب الله والرضا بحكمه، فإن تعدت وتحاززت الحد في الطغيان إحدى الفتن على الأخرى، ورفضت المصالحة، فقاتلوا الفئة المعتدية، حتى ترجع إلى كتاب الله، فإن عادت، فأصلحوا بينهم بالعدل بتضمين المعتدي جزاء عدوانه، واعدلوا، إن الله يحب العادلين، أي يحمد فعلهم بحسن الجزاء. نزلت في رجلين من الأنصار، تنازعا في حق بينهما، واستعان كل منهما بعشيرته، فتدافعا، وتناول بعضهم بعضاً بالأيدي والنعال، لا بالسوف.

١٠- إنما المؤمنون إخوة في الدين والعقيدة، فأصلحوا بين أخويكم عند الاقتتال أو المنازعة، واتقوا الله في مخالفة حكمه والوساطة، لكي ترحموا وتوفقوا في الإصلاح بسبب التقوى.

١١- يا أيها المؤمنون لا يهزأ قوم رجال من قوم آخرين، عسى أن يكون المهزوء بهم عند الله خيراً من الهازئين، ولا يسخر نساء من نساء ربما كان المسخور منهن خيراً من الساخرات بهن، ولا يطنعن بعضكم ببعض بقول أو إشارة، ولا تلتقبوا باللقاب قبيحة مكروهة، ساء تسمية أحد فاسقاً أو كافراً بعد اتصافه بالإيمان، ومن لم يتب عما نهى الله عنه، فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بالتهيز للعباب. نزلت في وفد بني قميم الذين نزلت السورة بشأنهم، استهزؤوا بفقر الصحابة، لما رأوا وقائة حالهم، فنزلت في الذين آمنوا منهم.

إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ كَثُرُوا لَا يَعْلَمُونَ ١ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٢ بَنَاتُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَاتٍ فَمَبْنُوتٌ أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا تَلَذُّبِينَ ٣ وَاعْلَمُوا أَن زَيْنُكُمُ رَسُولُ اللَّهِ يُؤْطِعُكُمْ وَيُكَذِّبُ مِنَ الْأَمْرِ مَا يَشَاءُ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبُكُمْ الْإِيمَانِ وَذُنُوبُهُمْ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَذَلِكَ الْكُفْرُ وَالْفُسُوقُ وَالْبِغْيَانُ ٤ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاكِبُونَ ٥ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٦ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بِهِمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَتَلَاوَا الْخِيَابِ حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى اللَّهِ فَإِنْ فَاتَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدَلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ٧ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٨ بَنَاتُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَهْزَأُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ يَفْعَلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ٩

١٢- يا أيها المؤمنون ابتعدوا وتجنبوا عن كثير من الظنون، وذلك بأن يظن بأهل الخير سوءاً، إن بعض الظن ذنب موقع في الإثم يوجب العقاب، وهو ظن سوء بأهل الخير، أما أهل سوء والفسق فيجوز ظن سوء بهم بآمارات، مثلما ظهر منهم، ولا تبحثوا عن عورات الناس وعيوبهم المستورة، ولا يغتب أحد غيره، والغيبة: ذكرك أخاك بما يكره في غيبته، أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً، أي إن الغيبة تشبه أكل ميتة الإنسان. وهذا تصوير فعل الغتاب بأشنع صورة طبعاً وعقلاً. وأكل لحوم البشر حرام مستقذر، ومثله الغيبة، كلاهما قبيح، واتقوا الله باتباع أمره واجتناب نهيه، إن الله قابل التوبة، رحيم بعباده التائبين. قال ابن جرير: زعموا أنها نزلت في سلمان الفارسي أكل ثم رقد، فذكر رجل أكله ورقاده، فنزلت.

١٣- يا أيها الناس، إنا خلقناكم من أصل واحد، آدم وحواء، فلا تفاخر بينكم في الأنساب، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتتعرفوا، أي خلقناكم لأجل التعارف، لا للتفاخر بالأنساب، والشعوب: الأمم الكبيرة كربيعة ومضر وخزاعة التي تضم قبائل، والقبائل: ما دون الشعوب، كبنو بكر من ربيعة، وبني تميم من مضر، إن أفضلكم وأرفعكم منزلة عند الله أتقاكم له، إن الله عليم بكل شيء، خبير ببواطن

الأمر والأسرار. نزلت بشأن التهكم من بلال، حينما رقي على ظهر الكعبة، يوم فتح مكة للأذان، فدعاهم النبي ﷺ وزجرهم على التفاخر بالأنساب.

١٤- قالت الأعراب (سكان البادية): صدقنا بما جئت به أيها الرسول، وامتنلنا الأوامر، قل لهم: قولوا أعلننا إسلامنا في الظاهر، وانقذنا ظاهراً فقط، ولم يدخل الإيمان الصحيح إلى الآن في قلوبكم، وإن تطيعوا الله ورسوله بالإخلاص وترك النفاق، لا ينقصكم الله شيئاً من ثواب أعمالكم، إن الله غفور لما فرط منكم، وإذا تبتم، رحيم بالفضل عليكم بقبول التوبة، وبالمستغفرين. نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمه، قدموا المدينة في سنة جدية، وأظهروا الشهادتين، ولم يكونوا مؤمنين في السر.

١٥- إنما المؤمنون يحق: الذين آمنوا بالله ورسوله، ثم لم يشكوا في شيء من الإيمان، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في طاعة الله ورضوانه، أولئك هم الصادقون في إيمانهم، لا من قالوا: آمنا ولم تؤمن قلوبهم، ولم يوجد منهم غير الإسلام الظاهري.

١٦- قل أيها الرسول لهؤلاء: أنخبرون الله بقولكم: آمنا، والله يعلم بذلك وبكل شيء في السموات والأرض، والله بكل شيء واسع العلم، لا يخفى عليه شيء.

١٧- يمتنون عليك أي أولئك الأعراب بإسلامهم، ويعدون ذلك منه ونعمة مقدمة منهم، ويتفضلون بقولهم: قاتلك بنو فلان، ولم نقاتلك، قل لهم: لا تمتنوا علي بإسلامكم، بل الله يمتن عليكم أن أرشدكم ووفقكم للإيمان، إن كنتم صادقين في ادعاء الإيمان. والمن: تعداد النعم.

١٨- إن الله يعلم ما غاب في السموات والأرض، والله بصير بما تعملون في السر والعلانية، ومجازيكم بما تستحقون خيراً أو شراً.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَجِدُوا كَيْفَ رَأَى الظَّنُّ إِنْ بَصُرَ الظَّنُّ لَمْ يَلْجَسْهُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَتُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يٰ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَوْ تَوَضَّعُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِفَكُمْ مِنْ أَعْيُنِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَأَعْمُوا عَلَىٰ إِسْلَامِكُمْ يَا اللَّهُ عَمَّنْ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُمُ الْإِيمَانَ إِنْ فَتَنُوكُمْ صَدِيقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾



سورة ق

فضلها: أخرج مسلم وأبو داود والبيهقي وابن ماجه عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت: ما أخذت ﴿ق﴾، والقرآن المجيد ﴿إلا عن لسان رسول الله ﷺ﴾، يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر، إذا خطب الناس.

١- قاف: حرف هجاء للتنبيه على إعجاز القرآن بتحدي العرب الإتيان بمثله ما دام مكوناً من حروف لغتهم، وللدلالة على خطورة ما يتلى بعده، أقسم بالقرآن الرفيع القدر والشرف على سائر الكتب.

٢- بل عجب المشركون من مجيء رسول محذّر من عقاب الله لن عصاه، وهو محمد ﷺ فلم يقتصروا على الشك، بل قالوا: هذا الإنذار، والدعوة لتوحيد الله، والإيمان بالبعث شيء يدعو للعجب. و ﴿بل﴾ للانتقال من كلام إلى آخر.

٣- أنبئ من بعد الموت والصيرورة تراباً مشوراً للحساب والجزاء؟ ذلك البعث بعث أو رجوع بعد الموت بعيد الحصول، لا يصدق العقل.

٤- ردّ الله عليهم بأننا نعلم ما تأكل الأرض من أجسادهم بعد الموت، فلا يغيب عنا شيء منه، وعندنا سجل دقيق شامل حافظ لجميع الأشياء والأعمال، وهو اللوح المحفوظ.

٥- بل إنهم في الواقع كذبوا بالقرآن والنبوة الثابتة بالمعجزات، بمجرد تبليغهم إياه وسماعهم له، فهم في أمر مضطرب في شأن القرآن، أمو سحر أم كهانة أم شعر؟

٦- أفلم ييسروا حين كفروا بالبعث آثار قدرة الله بخلق السماء فوقهم على هذه الصفة العجيبة، كيف بنيناها ورفعناها بلا عمد، وزيناها بالكواكب، واللون الأزرق البديع، وليس لها من شقوق أو صدوع تعيبها.

٧- والأرض بسطناها بحسب نظر الإنسان لما حوله، وألقينا فيها جبالاً ثوابت، وأنبتنا فيها من كل صنف حسن من النبات.

٨- خلقنا ذلك للتبصير، والتذكير بقدرتنا لكل عبد راجع إلى الله تعالى بالطاعة، فمن قدر على هذا قادر على البعث.

٩- ونزلنا من السحاب المطر كثيراً كثير الخير والبركة والمنفعة، فأنبتنا به بساتين مشجرة كثيرة، وزروعاً مختلفة ذات جوب كالبر والشعير مما يحصد ويدخر.

١٠- وأنبتنا أيضاً نخيلاً متميزاً بأشجار طوال عالية، لها ثمر منضد: متراكب بعضها فوق بعض.

١١- جعلنا ذلك قوتاً للعباد، وأحيينا بالماء (المطر) أرضاً جديداً، والخروج من القبور بالبعث كمثل إحياء هذه الأرض.

١٢- كذبت قبل قريش بالبعث والنبوة قوم نوح، وأصحاب الأخدود، وثمود قوم صالح. والرّس: بئر لم تبن أقاموا عندها.

١٣- وكذبت بالبعث قبيلة عاد قوم هود وفرعون ملك مصر وقومه، وقوم لوط.

١٤- وكذبت بالبعث والنبوة أصحاب الغيضة الكثيفة الشجر، وهم قوم شعيب، وقوم تُبّع الحميري ملك اليمن، كل هؤلاء كذبوا الرسل، فوجب عليهم نزول العذاب.

١٥- أي أفمعجزنا في ابتداء الخلق، حتى نعجز عن إعادتهم بعد الموت؟ وهو توبيخ لمنكري البعث، وجواب لاستبعادهم الإعادة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ق وَالْقُرْآنِ الْحَمِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَيَدَّاسِنَا وَكَاتَرْنَا بِمَا ذَٰلِكَ رَجِعْ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَ نَاكِسٍ حَيْطٍ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهُا مِنْ فُرُوجٍ ۝٦ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِيسًا وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ نَجِيعٍ ۝٧ وَذَكَرْنَا لِكُلِّ عِبْدٍ مُّسْتَبِيعٍ ۝٨ وَزَرَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا فِيهِ جَبْنَ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝٩ وَالْخَلَّ بِاسْقَابٍ لَهَا طَلْعٌ مُّضِيدٌ ۝١٠ زُرَّةً أَلْيَمًا وَأَحْيَيْنَا فِي بِلْدَانِهِمْ نَخْلًا مَكْرُومًا ۝١١ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ ۝١٢ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَذُكُودُ ۝١٣ وَعَادُ وَفُرْعُونُ وَأُنْحَارُ لُوطُ ۝١٤ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَبَّ عَذَابُ ۝١٥ أَفَعَيَّنَا الْخَلْقَ الْأَوَّلَ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ حَدِيدٍ ۝١٦

١٦- وثالله لقد خلقنا (أوجدنا) الإنسان، ونعلم ما تتحدث به نفسه سرّاً، ونحن أقرب إليه من العرق الذي في صفحة العنق، وهو الذي يجري فيه الدم ويعود إلى القلب.

١٧- اذكر حين يأخذ الملكان الموكلان بالإنسان ما يتحدث به ويثبتانه، أحدهما قعيد عن يمينه لكتابة حسناته، والآخر قعيد عن شماله لكتابة سيئاته.

١٨- ما يتكلم الإنسان من كلمة أو كلام إلا لديه ملك يرقب قوله وعمله، ويكتبه ويحفظه، حاضر عنده مهياً لا يفارقه، لكتابة الخير والشر.

١٩- وجاءت شدة الموت وغمرته المذلة للمعقول بحقيقة الأمر ويكل ما ينكره الكافر من أمور الآخرة، ذلك الموت الذي كنت تهرب وتفرغ منه. ففي لحظة الموت يظهر للكافر صدق ما جاءت به الرسل من الإخبار بالبعث.

٢٠- ونفخ في القرن نفخة البعث، وهي النفخة الثانية، ذلك اليوم هو الذي توعد الله الكفار به، وهو يوم إنجاز الوعيد وتحققه بالعذاب.

٢١- وجاءت في ذلك اليوم إلى المحشر كل نفس معها سائق يسوقها إلى المحشر، وشهيد من الملائكة يشهد لها أو عليها من الخير أو الشر.

٢٢- ويقال للكافر: لقد كنت في الدنيا في غفلة من هذا الذي تشاهده من الشدائد، وسوء المصير، فكشفنا

عنك حجابك الذي كان في الدنيا يحجبك عن أمور الآخرة، فبصرك اليوم حاد نافذ، تبصر به ما أنكرته في الدنيا.

٢٣- وقال الملك الموكل به والمراقب له: هذا ما عندي من كتاب أعمالك حاضر مهياً.

٢٤- ويقال للملك السائق والشهيد: ألقيا في جهنم كل كثير الكفر، معاند للحق.

٢٥- كثير المنع للخير من وصوله إلى أهله كالزكاة، معتد على الناس، ظالم ينكر توحيد الله، شك في الله.

٢٦- الذي أشرك، فجعل مع الله إلهاً آخر، فألقياه (للتأكيد) في العذاب الشديد بنار جهنم. نزلت الآيات [٢٤ -

٢٦] في الوليد بن المغيرة الذي منع بني أخيه عن الخير، وهو الإسلام.

٢٧- قال شيطان المقارن له الذي أضله: ربنا ما أطغيته، ولكن كان في انحراف بعيد عن الحق، فاستجاب لي باختياريه.

٢٨- قال الله لهما: لا تتجادلوا عندي في موقف الحساب، فلا ينفع الجدل هنا، وقد تقدمت إليكم في الكتب مع الرسل بوعيدتي بالعذاب.

٢٩- لا يغير القول عندي، ولا يبدل عيدي، ولست بظالم أحداً، فلا أعذب بغير ذنب.

٣٠- اذكر حين تقول للجهنم: هل امتلأت بالمعتدين وأنجزْتُ وعدي لك، وتقول، هل هناك مزيد من هؤلاء؟

٣١- وقرئت الجنة تقريباً كثيراً غير بعيدة عنهم، بل يشاهدونها بأعينهم.

٣٢- يقال لهم: هذا هو الثواب الذي وعدتم به على السنة الرسل، لكل ثواب إلى الله وطاعته، حافظ الشرائع.

٣٣- من خاف عقاب الله في وقت ومكان لا يراه فيه أحد، وجاء بقلب سليم مقبل على طاعة الله، مخلص في عبادته.

٣٤- يقال لهم: ادخلوا الجنة سالمين من كل خوف وعذاب، وسلامنا عليكم، ذلك اليوم يوم الخلود في الجنة.



٣٥- لهؤلاء الأقياء ما يمتنون وما يشتهون من ألوان النعيم، ولدينا زيادة نعيم مما لا يخطر لهم ببال.

٣٦- وكثيراً ما أهلكنا قبل هؤلاء المشركين كفار قريش من أمة أو قرن (وهم الجماعة المقترنون في زمن واحد) هم أشد من قريش قوة، كعاد وثمود وغيرهما، فتنقلوا وساروا في البلاد يطلبون الرزق والأمن، هل من مفر للتخلص من العذاب؟

٣٧- إن في ذلك المذكور في هذه السورة ومن قصة هؤلاء لتذكرة وموعظة لمن كان له عقل وإع يدرك به الحق، أو أصغى بسمعه للوعظ، وهو حاضر الذهن والفهم، متيقظ القلب.

٣٨- ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات، وما أصابنا من تعب وإعياء. نزلت للرد على اليهود الذين زعموا أن الله استراح في اليوم السابع بعد خلق السموات والأرض، وهو يوم السبت، فكذبهم الله تعالى.

٣٩- فاصبر أيها النبي على ما يقول المشركون من إنكارهم البعث ورسالتك، فالله قادر عليهم متقم منهم، واصبر على قول اليهود بتشبيه الخالق بالبشر والتكذيب لك، ونزهة الله عما لا يليق بجنابه قبل طلوع الشمس، أي في صلاة الفجر، وقبل غروب الشمس، أي في صلاة الظهر والمصر.

لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ٣٥ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحْصٍ ٣٦ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ وَأُذُنٌ وَسَمِعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ٣٧ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا سَأَلَنا مِنْ نُعُوبٍ ٣٨ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ٣٩ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ النُّجُودِ ٤٠ وَاسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ رَئِيسٍ ٤١ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ٤٢ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ٤٣ يَوْمَ نَشْفُقُ الْأَرْضَ ٤٤ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرُ ٤٥ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْنَا بِالْقُرْآنِ أَنْ مِنَ تَخَافُ وَعِيدِ ٤٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالذَّارِبِ ذَرَأَهُ ١ وَالْمَلِكِ وَرُوحَهُ ٢ وَالْجَبْرِ يُسْرَهُ ٣ وَالْمَقْصَرِ ٤
أَمْرًا ٥ إِنَّا نُوْعِدُونَ لَصَادِقٌ ٦ وَإِنَّ الدِّينَ لَوُفْعٌ ٧

٤٠- ونزهة الله في الليل بصلاة المغرب والعشاء، وفي أعقاب الصلوات. وأدبار: أواخر الشيء.

٤١- واستمع أيها النبي لما أخبرك به من أحوال القيامة، يوم ينادي المنادي وهو إسرأفيل بالنفخة الثانية، طالباً إحياء الأنفس، أو هو جبريل ينادي أهل المحشر: هلموا للحساب، من مكان قريب للناس، يسمعه جميع الخلائق.

٤٢- يوم يسمع الخلق كلهم صيحة البعث وهي النفخة الثانية من إسرأفيل، مقترنة بالحق الذي ينكرونه، ذلك يوم الخروج من القبور للحساب والجزاء.

٤٣- إنا نحن نحْيِي الموتى، ونُمِيت الأحياء، وإلينا المرجع، لنجازي جميع الخلق بما عملوا.

٤٤- يوم تتصدع وتتشفق الأرض عنهم، مسرعين في الخروج إلى المنادي والمحشر، ذلك بعث وجمع هين علينا.

٤٥- نحن أعلم بما يقول كفار قريش، وما أنت عليهم بمسلط تجبرهم على الإيمان، فذكر بالقرآن من يخاف وعيدي.

سورة الذاريات

- ١- أقسم بالرياح التي تفرز ذرواً التراب وغيره، أي تنقله من مكان إلى آخر، حتى يطاير، وتنتشر الأبخرة في الجو حتى تنعقد سحباً. يقال: ذروث الشيء، أذروه: طيرته.
- ٢- فبالسحب التي تحمل الأمطار حملاً ثقيلاً. والوقر: حمل البعير، والمراد به السحاب الثقيل.
- ٣- فبالسفن التي تجري على سطح الماء، جرياً هيناً سهلاً.
- ٤- فبالملائكة التي تقسم أمور العباد والأمطار والأرزاق وغيرها.
- ٥- إن الذي توعدون به من البعث والحشر والثواب والعقاب لوعد محقق الوقوع.
- ٦- وإن الجزاء والحساب لكائن حتماً، لا محالة.

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُرُوكِ ۝ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝
يُوَفِّكُ عَنْهُ مَنَافِكُ ۝ قِيلَ الْخَاصُّونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي
عَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝ يَسْأَلُونَ أَن يَوْمَ الدِّينِ ۝ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ
يُقْسَمُونَ ۝ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهَا تَسْتَعْجِلُونَ ۝
إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي جَبِّ وَعُيُونٍ ۝ مَا حِزْبُ مَا أَنَّهُمْ رِبُّهُمْ أَنَّهُمْ
كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۝ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا جَمْعُونَ
۝ وَمَا لَأَسْتَأْذِنَ هُمْ تَسْتَغْفِرُونَ ۝ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ
لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِي
أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝
فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْ أَنكُم لَاطِقُونَ ۝ هَلْ أَتَاكَ
حَدِيثٌ صَبِيفٍ إِزْهَمَ الْكُرْمِينَ ۝ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا
قَالَ سَلَامٌ قَوْمٍ مُّشْكِرِينَ ۝ فَأَعَادَ إِلَى أَهْلِهِ بِهَؤُلَاءِ بَشِيرًا ۝
قَرِيبَةً إِلَيْهِمْ قَالَ لَا تَأْكُلُونَ ۝ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَوْ لَمْ نَكُنْ
وَسُرُّوهُ بِعِلْمٍ عِلْمٍ ۝ فَأَلْقَى مِرْيَاتِهِ فِي صَرَةٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا
وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۝ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْمُكْرِمُ الْعَلِيمُ ۝

٧- أقسم والسما ذات الطرق، لسير الكواكب.
٨- إنكم معشر الناس لفي قول متناقض مضطرب،
فتقولون تارة: سحر وساحر، وتارة شعر وشاعر، وأحياناً
كهانة وكاهن، ومرة: الله خالق السموات والأرض، ثم
تعبدون الأوثان.
٩- يُصَرِّفُ عن هذا القرآن والرسول والإيمان بهما من
صرفه الشيطان عن الهداية.
١٠- لَمَنَ الكذابون أصحاب القول المختلف، المرتابون
في مواعيد الله تعالى.
١١- الذين هم في جهل يغمرهم، لاهون عما هم أمروا
به وعما قادمون عليه في الآخرة.
١٢- يسألون النبي سؤال استهزاء وتكذيب: متى يوم
القيامة؟ و﴿إيان﴾ اسم استفهام عن زمان.
١٣- يوم هم يُحَرِّقُونَ ويُعَذِّبُونَ بعرضهم على جهنم.
وأصل معنى الفتنة: إذابة المعدن لاختباره.
١٤- يقال لهم: ذوقوا تعذيبكم أو عذابكم، هذا الذي
كنتم تتعجلون وقوعه في الدنيا استهزاء.
١٥- إن المطيعين أوامر الله المجتنبين معاصيه في بساتين
فيها عيون جارية.
١٦- متلقين بالقبول والرضا ما أعطاهم ربهم من الثواب
والخير والتكريم؛ لأنهم كانوا في الدنيا محسنين أعمالهم. و
﴿إنهم﴾ أي لأنهم، تعليل لاستحقاقهم ذلك.

١٧، ١٨- كانوا ينامون سيرا، ويصلون أكثر الليل. وكانوا أواخر الليل قبل الفجر يطلبون من الله المغفرة.
١٩- وفي أموالهم نصيب للمستعطي الفقير الذي لا يجد شيئاً، والعاجز عن الكسب، أو الفقير المتعفف.
٢٠- وفي الأرض دلائل واضحة على وحدانية الله وقدرته للموحدين الذين أيقنوا بالله واستعدوا للإيقان.
٢١- وفي تركيب أنفسكم وخلقكم آيات دالة على توحيد الله وقدرته، أفلا تنظرون نظرة تأمل واعتبار؟
٢٢- وفي جهة السماء أسباب الرزق وهو المطر، والذي توعدون به من الثواب والعقاب، فهو مَدُونٌ في اللوح المحفوظ.
٢٣- فوالله رب السماء والأرض إن ما توعدون به من البعث والجزاء وضمان الرزق لحق ثابت لا شك فيه، مثل نطقكم، أي
عائل لنطقكم، أي إنه لحق مثلما تشعرون من القدرة على النطق، فما يعدكم الله به لا شك فيه.
٢٤- هل علمت أيها النبي بقصة ضيوف إبراهيم من الملائكة، المكرمين عند الله تعالى؟ والضيف يطلق على الواحد والجمع.
٢٥- حين دخلوا على إبراهيم، فقالوا له: نسلم عليك سلاماً، فأجابهم: سلام عليكم، أنتم قوم غير معروفين.
٢٦- فذهب خفية إلى أهله، فجاء بعجل مشوي، دسم. وفي سورة [هود ٦٩/١١]: ﴿بعجل حنيز﴾ أي مشوي.
٢٧- فوضعه بين أيديهم وقال لهم: ألا تأكلون منه؟ فلم يجيبوا. و﴿ال﴾ حرف للترغيب فيما يحصل بعده.
٢٨- فلما امتنعوا من الأكل، أحس في نفسه الخوف منهم، مضمراً ذلك، ثم صرح به، فقالوا: لا تخف منا، إننا رسل الله،
وبشروه بولد ذي علم كثير، هو إسحاق عليه السلام، كما ذكر في سورة هود.
٢٩- فأقبلت امرأته (سارة) في صيحة وضجة، فلطمت وجهها بأطراف أصابعها عجباً وحياء، وقالت: كيف ألد، وأنا
عجوز كبيرة السن، عاقر لم ألد قط؟
٣٠- قالوا لها: هكذا قال ربك، فلا تشكي فيما أخبرناك، إن الله هو الحكيم في صنعه، الواسع العلم بأحوال خلقه.

كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا أُولُوا سَاحِرًا وَجَحْنُونَ ﴿٥٢﴾ أَوَأَصْوَابُكَ يُرْقَمُ طَاعُونَ ﴿٥٣﴾ قَوْلَ عَنْهُمْ مَا أَنْتَ بِعَلِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَذِكْرُ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَخَلَقْتَ الْجِبْنَ وَالْإِنْسَ لِأَلْبَسَهُمْ مِنْ رَدَقٍ وَمَا أَرِيدُ مِنْهُمْ رَدَفٍ وَمَا أَرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَحْسِبُونَ ﴿٥٨﴾ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٥٩﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَنشُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَوْحٍ مُنْشُورٍ ﴿٣﴾ وَالتَّابِثِ
الْمُتَمَرِّدِ ﴿٤﴾ وَالشَّفْعِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمِ الْمُسْتَوْدَعِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ
رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَمْ يَنْصَرِفْ دَافِعٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَوَدُّ السَّمَاءُ مَوَدَّةً وَتَسِيرُ
الْجِبَالُ سِيرًا ﴿٩﴾ قَوْلَ يَوْمَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي حُجُوبٍ يُلْبَسُونَ
يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ حَتَّى تَحْمَمَ دَعَاؤُهُمْ ﴿١١﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٢﴾

٥٢. الأمر مثل ذلك، فهذا شأن الأمم المتقدمة، فلم يأت رسول لقومهم قبل أهل مكة، إلا كذبوه، وقالوا عنه: ساحر أو مجنون. والأصل في «كذلك» الأمر كذلك، أي أمر امتك أيها الرسول كأمر السابقين.

٥٣. هل أوصى أول الناس آخرهم بتكذيب الأنبياء؟ لا، بل في الواقع لم يتواصوا، بل هما جميعاً قوم طغاة، تجاوزوا الحد في الكفر. «أواصوا» الهمة للاستفهام التعجبي، أي تعجبوا كأنهم وصى بعضهم بعضاً بالتكذيب. «بل» للانتقال من كلام إلى آخر.

٥٤. فأعرض عنهم أيها النبي ولا تجادلهم ولا تقاتلهم، فلست ملوماً على الإعراض عنهم.

٥٥. ودأبهم على التذكير والموعظة بالقرآن، فإن التذكير يفيد أهل الإيمان، فهم المستفهمون به. لما نزلت الآية «فقول عنهم...» [٥٤] لم يبق منا أحد إلا أيقن بالهلكة، إذ أمر النبي ﷺ أن يتولى عنهم، فنزلت: «وذكرهم فإن الذكرى...» فطابت أنفسنا.

٥٦. وما خلقت الجن والإنس إلا لاسمهم بالعبادة: وهي التذلل والخضوع والالتقاء لله تعالى.

٥٧. ما أريد من العباد تحقيق منفعة لي، وما أريد منهم إطعامي، فإني الغني المطلق الغنى، الرازق المظم ولا يطعمهم. ٥٨. إن الله وحده هو الذي يرزق كل محتاج، الشديد القوة، و«الذين» تأكيد لما قبله.

٥٩. فإن للذين ظلموا أنفسهم بالكفر والعصيان من أهل مكة وغيرهم نصيباً من العذاب، مثل نصيب نظائرهم من الأمم السابقة الهالكين قبلهم، فلا يستعجلون بالعذاب استهزاء إن أخرته عنهم، فإنه آت لا محالة.

٦٠. فهلاك للذين كفروا، وشدة عذاب من يومهم الذي يعدهم الله بالعذاب فيه، وهو يوم القيامة.

سورة الطور

فضلها: أخرج البخاري وغيره عن أم سلمة: «أنها سمعت رسول الله ﷺ يصلي إلى جنب البيت بالطور، وكتاب منطور».

١. أقسم بجبل الطور طور سيناء الذي كلم الله تعالى موسى عليه، تشريفاً له وتكريماً.

٢. وكتاب مكتوب منضد منظم في اللوح المحفوظ من الكتب السماوية كالنوراة والروح موسى والزبور والإنجيل والقرآن.

٣. مكتوب في جلد رقيق يكتب فيه، أو في ورق وغيره، مبسوط مفتوح.

٤. والكعبة المعصورة بالحجاج والزوار والعباد، لعبادة الله فيه.

٥، ٦. والسماء المرفوعة بلا عمد، والبحر المملوء ماء الذي يوقد ناراً يوم القيامة.

٧، ٨. إن عذاب ربك أيها النبي لكائن لا محالة يوم القيامة لمن يستحقه. ليس له من يدفعه أو يمنعه عن المستحقين.

٩. يوم تتحرك السماء وتضطرب تحركاً شديداً، وهو يوم القيامة.

١٠. وتسير الجبال سيراً سريعاً قبل نسفها عن وجه الأرض، وتصبح هباء منبثاً.

١١. فهلاك شديد يومئذ للمكذِّبين بالله ورسوله واليوم الآخر.

١٢. الذين هم في تردد بالباطل يخوضون ويلهون، فلا يذكرون حساب الآخرة.

١٣، ١٤. يوم تدفعهم الملائكة دفعاً شديداً بعنف إلى نار جهنم. ويقال لهم: هذه هي النار التي كذبتكم بها في الدنيا.

١٥- تقول الملائكة لهم توبيحاً: أفسح هذا العذاب الذي تشاهدونه؟ بل أنتم عني لا تبصرون العذاب أيضاً، كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه.

١٦- ادخلوا النار وتعرضوا لشدة حرارتها، لا يفيدكم في دفع العذاب صبر ولا فجر أو جزع، فلا محيص لكم عنها، والصبر والجزع سواء، إنما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا، من كفر بالله وتكذيب لرسوله، فإن الجزاء بالعمل.

١٧- إن الملتزمين بأوامر الله، المجتنبين نواهيه هم في جنات ونعيم مستمر في الآخرة.

١٨- مستنعمين بما أعطاهم ربهم من النعم في الجنة، وصرف عمن ربهم وحماهم عذاب النار.

١٩- يقال لهم: كلوا من الطيبات، واشربوا شرباً هنيئاً: وهو ما لا تنقص فيه ولا كدر.

٢٠- متكئين على أسرة متصلة ببعضها حتى تصير صفاً واحداً، وقرنائهم بنساء من الحور البيض، الجميلات الأعين. والحور مفردا حوراء، والحوراء: المرأة شديدة بياض العين، شديدة سوادها، والعين: مفردا عينا: وهي واسعة العينين.

٢١- والذين صدقوا بالله ورسوله، وتبعتهم ذريتهم بالإيمان، الحقنا بهم ذريتهم في دخول الجنة والدرجة، وإن لم يعملوا بعملهم، تكريماً للأباء باجتماع أولادهم معهم، ولتقر أعينهم وتطيب نفوسهم، وما نقصنا الآيات من ثواب

عملهم شيئاً، فيزداد في عمل الأولاد بالتفضل عليهم، كل امرئ مرتبط أو مرتين بعمله يوم القيامة، خيراً أو شراً، لا يؤاخذ أحد بلنبي غيره.

٢٢- وأعطيناهم زيادة على النعيم فاكهة متنوعة، ولحوماً كثيرة، من كل ما تشبهه أنفسهم.

٢٣- يتجاذبون في الجنة كؤوس بعضهم بعضاً من أيدي أصحابها تلذذاً وسروراً، لا يتكلمون في الجنة بكلام باطل لا خير فيه، ولا يفعلون ما يوجب التأنيب، أي يقع في الإثم من فحش الكلام وغيره مما يغضب الله؛ لأن خمر الجنة لا تذهب بعقولهم، بعكس خمر الدنيا.

٢٤- ويطوف على أهل الجنة وهم المتقون خدام مخصصون بهم، كأنهم في الحسن واللفظ لؤلؤ مصون في الصدف.

٢٥- وأقبل بعضهم على بعض في الجنة يسأل كل منهم الآخر عما كان عليه في الدنيا من أحوال وأعمال.

٢٦- قالوا: إنا كنا في الدنيا خائفين من عذاب الله في الآخرة.

٢٧- فامتّن الله علينا بالمغفرة والرحمة، ووقانا (حمانا) عذاب النار وحرّها. والسّوم: ما يوجد من حرّ جهنم.

٢٨- إنا كنا في الدنيا نعبّد الله ونوحده، إنه هو الكثير الإحسان، الواسع الرحمة بعباده.

٢٩- فداوم أيها الرسول على تبليغ رسالتك، ووعظك وتذكيرك، فلست بإنعام ربك عليك بالنبوة بكاهن: وهو الذي يدعي علم الغيب من دون وحي إلهي، ولا مختل العقل كما يزعم المشركون الأفاكون.

٣٠- بل أيقول المشركون: إنك شاعر، تنتظر به حوادث الدهر، فيموت كما مات غيره؟ نزلت حينما قامرت قريش في دار الندوة، على أن يقيدوا النبي ﷺ في وفاق، ويتركوه حتى يموت.

٣١- قل: انتظروا موتي أو هلاكي، فإني أنتظر هلاككم وتبين عاقبة أمركم، وأنا واثق من نصر الله تعالى.

٣٢- بل أتأمرهم عقولهم بهذا الكلام المتناقض، وهو ادعاء كون القرآن سحراً أو كهانة أو شعراً؟ بل أطغوا وتجاوزوا الحد في العناد والمكابرة، فتكلموا بما قالوا.



٣٣- بل يقول المشركون: اختلق محمد القرآن من تلقاء نفسه ونسبه إلى الله؟ لا، ليس كما قالوا، بل هم قوم لا يصدقون بالقرآن وبالرسول، ويطعنون بهذه الطاعن لكفرهم وعنادهم.

٣٤- فليأتوا بقرآن مثله في نظمه ومعانيه إن كانوا صادقين في زعمهم أن محمداً اختلقه، مع أن فيهم كثيراً من الفصحاح.

٣٥- أم خلقوا من غير خالق قديم، فهم لا يعبدونه، أم إنهم هم الخالقون أنفسهم؟!

٣٦- أم خلقوا السموات والأرض، وهم عاجزون عن ذلك، فلم لا يعبدون الخالق؟ لا، بل إنهم لا يوفنون حقيقة بالله، وإلا لآمنوا به، وبنسبه، وانصرفوا لعبادة ربهم.

٣٧- أم عندهم خزائن رزق الله، حتى يرزقوا النبوة والثروة وغيرهما، فيخصوا من شاؤوا، أم هم المسلطون على الأشياء، يديرونها كيف شاؤوا.

٣٨- أم لهم مرتقى أو مصعد إلى السماء، فيصعدون عليه، فيستمعون فيه كلام الملائكة وما يوحى عليهم، فليأت مستمعهم إن ادعى ذلك بحجة واضحة ظاهرة على ما يدعي.

٣٩- أم لله النبات يزعمكم، ولكم الذكور، وتلك قسمة جائرة؟!

أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ بَلْ لَأُؤْتُونَ ١٣ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ تَشْلَحِين ١٤
كَأُتُوا صَادِقِينَ ١٥ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ١٦
أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ بَلْ لَأُؤْتُونَ ١٧ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رِزْقِكُمْ أَمْ هُمُ الْمُضْطَرُونَ ١٨ أَمْ لَهُمْ سُلُبُورٌ يُسْمَعُونَ فِيهَا فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ١٩ أَمْ لَهُ الْآلِبَتُ وَلَكُمُ الْآبُتُونَ ٢٠
أَمْ تَسْتَأْذِنُ أَجْرًا فَمَنْ مِّنْكُمْ مَّنْعَةٌ تُسْأَلُونَ ٢١ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ٢٢ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا الَّذِينَ هُمْ وَأَمْ هُمُ الْكَافِرُونَ ٢٣
هَمْ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢٤ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ٢٥ فَتَذَكَّرُ حَتَّى يَقُولُوا يَوْمَئِذٍ أَلَّذِي فِيهِ يَضَعُونَ ٢٦ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ٢٧ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٢٨ وَأَصْدِرْ لِّكُمْ رَيْكَ وَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٢٩ وَمِنْ آيَاتِنَا مَسْحُ الْإِبْرَةِ ٣٠



٤٠- أم تطلب منهم أجراً مقابلاً لتبليغ الرسالة، فهم من التزام غرمة ومسؤوليته محملون ما يشغلهم، فيصعب عليهم أداؤه، فلا يقبلون على الإسلام بسببه؟!

٤١- أم عندهم علم الغيب، فهم يكتبون ما فيه، ويحكمون بناء عليه؟!

٤٢- أم يريدون تدبير مكيدة وشر بالتأمر على قتلك أيها الرسول في دار الندوة؟ فالكافرون بالله ورسوله هم المغلوبون المهلكون، الذين يعود عليهم وبال كيدهم وتأمرهم.

٤٣- أم لهم إله غير الله يحميهم من العذاب في الآخرة، تنزيهاً لله عن إشراكهم وما يشركون به.

٤٤- وإن يشاهدوا جزءاً أساقطاً من السماء عليهم لتعذيبهم، وهو مقدمات العذاب الذي يطالبون به استهزاء، يكابروا، ويقولوا الفرط عنادهم وكفرهم: هذا سحاب تراكم بعضه على بعض، نرتوي به، ثم لا يؤمنون أبداً، وهذا طبع العنيد. «كسفاً» قطعاً جمع كسفة وهي القطعة.

٤٥- فأتركهم أيها الرسول حتى يموتوا أو يقتلوا بالحرب. والصق: الموت قتلاً أو الهلاك السريع.

٤٦- يوم لا ينفعهم شيء في رد العذاب، مثل مكربهم في الدنيا بالنبي ﷺ، ولا هم يمنعون من عذاب الله تعالى في الآخرة، بل هو واقع بهم حتماً.

٤٧- وإن للذين ظلموا أنفسهم بالكفر عذاباً في الدنيا قبل عذاب الآخرة، وهو القتل في بدر وغيره من الجوع والقحط سبع سنين، ولكن أكثرهم أغرار جهلة لا يعلمون ذلك العذاب.

٤٨- واصبر أيها النبي لقضاء ربك بإمهالهم وتبليغ الرسالة، ولا تنضايق من إعراضهم، فإنك مرعي برعايتنا وحفظنا، وداوم على تنزيه ربك عما لا يليق به، قارنا التسبيح بالتحميد والشكر، فقل: سبحان الله وبحمده.

٤٩- وسبح الله ونزهه بقولك: سبحان الله في بعض الليل؛ وصل فيه صلاة الليل؛ لأن العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء، وسبحه عقب غروب النجوم آخر الليل، وصل فيه صلاة الفجر.

سورة النجم

فضلها: أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال: «أول سورة أنزلت فيها سجدة: ﴿والنجم﴾ فسجد رسول الله ﷺ، وسجد الناس كلهم إلا رجلاً رأيتُه أخذ كفاً من تراب، فسجد عليه، فرأيتُه بعد ذلك قتل كافراً وهو أمية بن خلف.

١- أقسم بالنجم (جنس النجم) إذا سقط وذهب ضوؤه يوم القيامة.

٢- ما عدل محمد عن الحق وطريق الهدى، وما صار غاوياً، أي ما اعتقد باطلاً.

٣- وما يتكلم بالقرآن عن هواء وميله الشخصي.

٤- ما هذا القرآن إلا وحي يوحى الله إليه.

٥- علمه إياه جبريل صاحب القوى الشديدة.

٦- ذو قوة وشدة في الخلق، أو ذو حصافة في عقله ومثانة في رأيه، فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله تعالى عليها، حينما جاء إلى النبي ﷺ بالوحي.

٧- وجبريل بأجواء السماء العليا، والمراد الجهة العليا للنظر إلى جهة السماء.

٨- ثم قرب من النبي ﷺ فزاد في القرب، ونزل وتعلق به، وهو تمثيل لمروجه بالرسول ﷺ.

٩- فكان اقتراب جبريل من النبي مثل مقدار مسافة قدر قوسين أي ذراعين أو أقل من قوسين. والقاب: المقدار.

١٠- فأوحى الله تعالى إلى عبده جبريل ما أوحى جبريل إلى النبي ﷺ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَاضٍ صَاحِبُكُمْ وَمَا عَوَى ٢ وَمَا يُنطِنُ ٣ عَنِ الْهَوَىٰ ٤ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ٥ عَلَيْهِ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ٦ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ٧ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ٨ ثُمَّ دَنَا ٩ فَتَدَلَّى ١٠ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ١١ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ ١٢ مَا أَوْحَىٰ ١٣ مَا كَذَّبَ الْقُودُ مَا رَأَىٰ ١٤ أَفْقَرُونَهُ عَلَىٰ مَابَرَىٰ ١٥ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ١٦ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ١٧ عِنْدَ حَاجَةِ الْمَآوَىٰ ١٨ إِذْ يَخْفَىٰ السِّدْرَةَ مَا يَشْفَىٰ ١٩ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ٢٠ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ٢١ أَوَّاهٌ ٢٢ أَلَّكَ وَالْعُزَّىٰ ٢٣ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ٢٤ أَلَمْ أَذْكُرْ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ ٢٥ تِلْكَ إِذْ أَوَّصَيْتَنِي ٢٦ أَنِ إِنِّي أَخْتِمْ بِهَا الْكَلِمَاتِ ٢٧ أَفْعَوْا ٢٨ أَفْعَوْا ٢٩ أَفْعَوْا ٣٠ أَفْعَوْا ٣١ أَفْعَوْا ٣٢ أَفْعَوْا ٣٣ أَفْعَوْا ٣٤ أَفْعَوْا ٣٥ أَفْعَوْا ٣٦ أَفْعَوْا ٣٧ أَفْعَوْا ٣٨ أَفْعَوْا ٣٩ أَفْعَوْا ٤٠ أَفْعَوْا ٤١ أَفْعَوْا ٤٢ أَفْعَوْا ٤٣ أَفْعَوْا ٤٤ أَفْعَوْا ٤٥ أَفْعَوْا ٤٦ أَفْعَوْا ٤٧ أَفْعَوْا ٤٨ أَفْعَوْا ٤٩ أَفْعَوْا ٥٠ أَفْعَوْا ٥١ أَفْعَوْا ٥٢ أَفْعَوْا ٥٣ أَفْعَوْا ٥٤ أَفْعَوْا ٥٥ أَفْعَوْا ٥٦ أَفْعَوْا ٥٧ أَفْعَوْا ٥٨ أَفْعَوْا ٥٩ أَفْعَوْا ٦٠ أَفْعَوْا ٦١ أَفْعَوْا ٦٢ أَفْعَوْا ٦٣ أَفْعَوْا ٦٤ أَفْعَوْا ٦٥ أَفْعَوْا ٦٦ أَفْعَوْا ٦٧ أَفْعَوْا ٦٨ أَفْعَوْا ٦٩ أَفْعَوْا ٧٠ أَفْعَوْا ٧١ أَفْعَوْا ٧٢ أَفْعَوْا ٧٣ أَفْعَوْا ٧٤ أَفْعَوْا ٧٥ أَفْعَوْا ٧٦ أَفْعَوْا ٧٧ أَفْعَوْا ٧٨ أَفْعَوْا ٧٩ أَفْعَوْا ٨٠ أَفْعَوْا ٨١ أَفْعَوْا ٨٢ أَفْعَوْا ٨٣ أَفْعَوْا ٨٤ أَفْعَوْا ٨٥ أَفْعَوْا ٨٦ أَفْعَوْا ٨٧ أَفْعَوْا ٨٨ أَفْعَوْا ٨٩ أَفْعَوْا ٩٠ أَفْعَوْا ٩١ أَفْعَوْا ٩٢ أَفْعَوْا ٩٣ أَفْعَوْا ٩٤ أَفْعَوْا ٩٥ أَفْعَوْا ٩٦ أَفْعَوْا ٩٧ أَفْعَوْا ٩٨ أَفْعَوْا ٩٩ أَفْعَوْا ١٠٠

١١- ما أنكر قواد النبي ﷺ ما رآه يصبره من صورة جبريل عليه السلام.

١٢- اقتجادلون أيها المشركون محمداً وتكذبونه على ما يراه معانية من آيات الله؟ تخارونوه: من المراء: وهو الجدال بالباطل.

١٣- ولقد رأى محمد جبريل على صورته الحقيقية مرة أخرى.

١٤، ١٥- عند شجرة من السدر، الله أعلم بحقيقتها، في أعلى مكان في السماء، وهي في السماء السادسة كما في الصحيح. والمتهى: مكان الانتهاء، قيل: إليها ينتهي علم الخلاق. عندها الجنة التي تأوي أرواح المؤمنين الأتقياء.

١٦، ١٧- إذ يغطي شجرة السدرة ما يغطيها من مخلوقات، لا يعلمها غير الله. ما مال بصر الرسول عما رآه، وما تجاوز ما رآه.

١٨- لقد رأى النبي ﷺ في ليلة المعراج بعض آيات ربه العظام ما لا يوصف.

١٩، ٢٠- أفرايتم أيها المشركون اللات: صنم ثقيف بالطائف، والعزى: صنم غطفان وهو شجرة يبطن نخلة، ومناة: صخرة لهليل وخزاعة. و «الثالثة الأخرى» صفتان لتأكيد الذم، والأخرى: المتأخرة الوضعية القدر.

٢١- كيف تحكمون أيها المشركون بأن لكم الولد الذكر، والله تعالى الأنثى التي لا ترضونها لأنفسكم؟

٢٢- تلك إذن قسمة جائرة ظالمة، يجعل الأنثى لله، والذكر لكم.

٢٣- ما هذه الأصنام إلا مجرد أسماء سميتوها آلهة أنتم وأباؤكم، ما أنزل الله بعبادتها من حجة وبرهان، ما يتبعون في عبادتها إلا مجرد الظن غير القائم على الدليل، وما تشبهه الأنفس، ولقد جاءهم من ربهم البرهان القاطع وهو الرسول والقرآن على أن مستحق العبادة هو الله وحده، فلم يقلعوا عن شركهم.

٢٤- بل أكل إنسان منهم ما عتق من أن الأصنام تشفع لهم؟ ليس الأمر كما يمتنون.

٢٥- فإله الآخرة والدنيا، والحاكم فيهما على الإطلاق، فليس للأصنام وغيرها سلطان في أمر الدنيا والآخرة.

٢٦- وكثير من الملائكة في السموات (لبيان علو منزلتهم) لا تفيد شفاعتهم لأحد شيئاً إلا من بعد الإذن لهم في الشفاعة لن شاء الله أن يشفعوا له، ورضي عنهم من أخلصوا له القول والعمل.

٢٧- إن المشركين الذين لا يصدقون بالآخرة ليسمون كل واحد من الملائكة تسمية الأنثى، أي يصفونهم بأنهم بنات الله.

٢٨- وليس لهم بهذا القول من دليل صحيح، ما يتبعون في هذا الوصف بالأنوثة إلا توهماً وتخبيلاً، وإن الظن الباطل أو التوهم لا يقع بدل الحق شيئاً ولا يقوم مقامه أبداً. والحق هنا: العلم القطعي، وهو الذي تثبت به الاعتقادات، ولا يفيد غيره.

٢٩- فأعرض أيها النبي عمن أعرض عن القرآن أو عن ذكر الله، وارك مجادلته، فقد بلغت رسالة ربه، وهو في الواقع يقصر همه على الدنيا.

٣٠- ذلك وهو طلب الدنيا وزينتها هو غاية ما وصلوا إليه من العلم، إن ريك أيها النبي هو أعلم بمن انحرف عن دينه الحق، وهو سبحانه أعلم بمن امتدى إلى الصواب.

٣١- والله جميع ما في السموات والأرض، فهو الخالق والمالك والمتصرف فيهما، وعاقبة أمر الخلق أن يجزي الله كلاً من السوء والمحسن بعمله، فللمسيء المذنب النار، وللمحسن الطائع الجنة، وهي المثوبة الحسنة.

٣٢- والمحسنون: هم الذين يتجنبون كبائر الذنوب: وهي كل ذنب توعد الله عليه بالنار، كالشرك، ويتجنبون الفواحش: وهي كل ذنب عاقب الله عليه بالحد الشرعي كالقتل العمد والزنى والقتل والسرقة وشرب المسكرات، إلا اللطم: وهي صفات الذنوب كالقُبلة والخمرة والنظرة

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَهُ الْمَلَكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ ۚ وَمَا لَهُمْ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَسْمُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۚ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَقِينُ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ كَرِهَ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۚ ذَٰلِكَ مَتْلَفُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَظْمَرُ مِنْ صَلَٰفِ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا تَهْدَىٰ ۚ وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ لَيَجْعَلَنَّ الَّذِينَ اسْتَفْتَا عَمَلُوا وَيَجْعَلَنَّ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ ۚ الَّذِينَ يَخْتَبُونَ كِبَرَ الْإِيمَانِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّسَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ ۚ إِذَا أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذَا أَنْشَأَ أُمَّتَكُمْ فِي ظُلُونِ أُمَّتِكُمْ فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تَتَّقُونَ ۚ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ۚ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ۚ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يُرَىٰ ۚ أَمْ لَوَيْتَ أَمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۚ وَإِذْ هَمَّ بِالَّذِي وُقِيَ ۚ الْأَنْزَارُ وَالزُّلَّةُ ۚ وَذُرْ أُخْرَىٰ ۚ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَأَلَ ۚ وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۚ ثُمَّ يُجْزَىٰ الْجَزَاءُ الْآدَوَىٰ ۚ وَأَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ۚ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَنكِ ۚ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْسَا ۚ

الحرام، أي لكن اللطم يغفرها الله، إن ريك كثير الغفران للذنوب، هو أعلم بكم وبأحوالكم، حين خلقكم من تراب الأرض في ضمن خلق أبيكم آدم، وحين كنتم أجنة في بطون الأمهات، والجنين: هو الولد ما دام في بطن أمه، فلا تمدحوا أنفسكم ولا تبرئوها من الذنوب، هو أعلم بمن ائتمر بأوامر الله واجتنب المعاصي. أخرج الواحدي والطبراني وغيرهما عن ثابت بن الحارث قال: كانت اليهود تقول إذا هلك لهم صبي صغير: هو صديق، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «كذبت اليهود، ما من نسمة يخلقها الله في بطن أمه، إلا وهو يعلم أنه شقي أو سعيد، فأنزل الله عند ذلك هذه الآية: ﴿هو أعلم...﴾».

٣٣- أخبرني أيها النبي عن الذي أعرض عن اتباع الحق والإسلام، بعد أن هم باتباعه.

٣٤- وأعطى قليلاً من المال، وقطع العطاء ولم يتمه، فالكلام كناية عن التوقف عن العطاء.

٣٥- أعنده علم من الغيب، فهو يرى أن غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة؟ وهو الوليد بن المغيرة أو غيره.

٣٦- بل لم يُخبر بما جاء في أسفار التوراة، واختيرت لقربها وشهرتها.

٣٧، ٣٨- وبما في صحف إبراهيم الذي أتم جميع ما أمر به. وبما في تلك الصحف ألا تتحمل نفس ذنب نفس أخرى.

٣٩- وأنه ليس للإنسان إلا سعيه الخير، أي إلا جزء عمله في الدنيا.

٤٠- وأن سعيه سوف يرى في صحيفة أعماله، ويراه الله تعالى ورسوله والمؤمنون وصاحبه أيضاً.

٤١- ثم يُجزى على عمله كله الجزء الأكمل الأتم. هذه الآيات [٣٣- ٤١] نزلت في الوليد بن المغيرة الذي أعطى بعض

المشركين شيئاً من المال على أن يتحمل عنه عذاب الله تعالى، فأعطى بعض ما وعد، وبخل بالباقي.

٤٢- وأن إلى ربك المرجع والمصير بعد الموت يوم القيامة.

٤٣- وأنه تعالى أوجد أسباب الضحك وأسباب البكاء، نزلت في قوم يضحكون في الدنيا.

٤٤- وأنه سبحانه هو الذي خلق الموت والحياة.

٤٥ - وأنه عز وجل خلق الزوجين: الذكر والأنثى، سواء من الإنسان والحيوان.

٤٦ - خلقهما من نقطة من ماء يصب في الرحم.

٤٧ - وأن عليه تعالى إعادة الحياة مرة أخرى عند البعث. والنشأة الأخرى: البعث من القبور.

٤٨ - وأنه هو تعالى أغنى بعض عباده، وأفقر بعضهم الآخر.

٤٩ - وأنه سبحانه هورب الشعري: كوكب مضيء خلف الجوزاء، كانت خزاعة تعيدها.

٥٠ - وأنه تعالى أهلك قوم عاد الأولى قوم هود، وهي أول أمة أهلك بعد نوح.

٥١ - وأهلك قوم ثمود قوم صالح، فما أبقي أحداً منهم.

٥٢ - وأهلك قوم نوح من قبل إهلاك عاد وثمود، إنهم كانوا أشد ظلماً وطغياناً من عاد وثمود.

٥٣ - وأهلك الموثقة: وهي قرى قوم لوط، سميت بذلك لأنها انقلبت بهم وصار عاليها سافلها.

٥٤ - فغطاها ما غطاها من الحجارة وأنواع العذاب، وذلك تهويل وتعميم لما أصابهم.

٥٥ - فبأي نعم ربك أيها الإنسان المكذب ترتاب؟

٥٦ - هذا القرآن والرسول محذّر من عذاب الله،

وَاللَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ۚ مِنْ نُفْطَةٍ إِذَا تُمْنَى ۚ
وَأَنْ عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْآخِرَى ۚ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى
وَأَفْنَى ۚ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ۚ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى
ۚ وَثَمُودًا ۚ فَمَا أَتَى ۚ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْمَ
أَظْلَمَ وَأَطَى ۚ وَالنُّفُوسُ كَذَّابَةٌ أَهْوَى ۚ فَفَسَّهَا
مَا عَشَى ۚ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى ۚ هَذَا نَذِيرٌ مِنْ
النُّذُرِ الْأُولَى ۚ أَرَأَيْتِ الْآزِفَةَ ۚ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ
كَاشِفَةٌ ۚ أَفَرَأَيْتَ هَذَا الْخَلْقَ يُعْجَبُونَ ۚ وَنَضْحُكُونَ
وَلَا يَتَذَكَّرُونَ ۚ وَأَنْتَ سَدُودٌ ۚ فَاسْجُدْ لِلَّهِ وَاعْبُدْ ۚ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۚ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا
سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ۚ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّهُمْ مُسْتَمِرٌّ ۚ
وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ ۚ

كالرسل السابقين، فإنه أنذركم كما أنذروا قومهم.

٥٧ - اقتربت الساعة أو القيامة، أو تحقق وقوعها، وكان ذلك قريباً بالنسبة إلى ما مضى من الدنيا.

٥٨، ٥٩ - ليس لها نفس أخرى تمتع قيامها. أفمن هذا القرآن تتعجبون إنكاراً له وتكذيباً به.

٦٠، ٦١ - وتضحكون استهزاء، ولا تكون حزنًا على ما فرطتم. وأنتم لاهون مُعرضون عما يطلب منكم.

٦٢ - فاسجدوا لله وحده الذي خلقكم، وخصوه بالعبادة دون غيره من الآلهة المزعومة كالأصنام.

سورة القمر

فضلها: روى أحمد ومسلم وأصحاب السنن الأربعة عن أبي واقد الليثي: «أن رسول الله ص كان يقرأ بفاف ﴿اقتربت الساعة﴾ في الأضحي والفطر». وتقدم إيراده في سورة ﴿ق﴾.

١ - دنا وقت القيامة، وانشق القمر معجزة لرسول الله ﷺ. أخرج البخاري ومسلم والترمذي عن أنس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شققتين، حتى رأوا حمراء بينهما، فنزلت ﴿اقتربت الساعة﴾. إلى قوله: ﴿سحر مستمر﴾.

٢ - وإن ير المشركون معجزة دالة على صدق النبي ﷺ يعرضوا عن التصديق والإيمان، ويقولوا: هذا سحر محكم.

٣، ٤ - وكذبوا النبي ﷺ واتبعوا أهواءهم الباطلة: وهي ما زين لهم الشيطان من الوسوس، وكل أمر مُنْتَه إلى غاية، يستقر بعدها، سواء من الخير أو الشر. ولقد جاء مشركي قريش من أخبار الأمم الماضية المكذبة ما يزرهم من الشرك.

٢٥- ألقني عليه الوحي، وكيف خص بالنبوة من بيننا، وفيما الأجل منه بذلك؟ بل هو كذوب فيما يوحي إليه، بطر متكبر.

٢٦- سيعلمون عند نزول العذاب بهم في الدنيا، أو يوم القيامة من الكلوب المتكبر أنتم ثمود، أم النبي صالح؟

٢٧- إنا باعشو ومخرجو الناقة كما طلبوا، اختباراً لهم، فانتظرهم، واصبر على أذاهم.

٢٨- وأخبرهم أن ماء البئر أو النهر الذي كانوا يشربون منه مقسوم بينهم وبين الناقة، كل نصيب من الماء، يحضره صاحبه في نوبته.

٢٩- فتادت ثمود صاحبهم الذي كان رجلاً طائشاً، هو قدار بن سالف أحيمر ثمود، وحرّضوه على قتل الناقة، فتناول السيف من غيره غير مبال بالنتيجة، فقتل الناقة، بضرب قواتها بالسيف، ثم قتلها.

٣٠- فكيف كان عذابي لقوم ثمود، وإنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله؟ أي إن العذاب في محله.

٣١- إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة هي صيحة جبريل عليه السلام، فكانوا كبقايا ورق الشجر اليابس، وهو التهشم أي المتكسر من الأوراق والعيدان والأعشاب.

٣٢- ولقد يسرنا القرآن للحفظ والتذكر والانتعاض،

فهل من متعظ معتبر؟!

٣٣- كذبت قوم لوط بإنذارات نبيهم لوط عليه السلام من عذاب الله على الفحش والكفر.

٣٤- إنا أرسلنا عليهم ريحاً رمتهم بالحجارة - والحاصب في الأصل: الذي يرمي غيره بالحصباء - وهي الحجارة الصغيرة، لكن أهل لوط إلا امرأته نجيناهم بسحر من الليل: وهو السدس الأخير من الليل.

٣٥- نجيناهم إنعاماً منا عليهم، ومثل ذلك الجزاء الجزئي من شكر نعمتنا بالإيمان والطاعة.

٣٦- ولقد خرقهم لوط عليه السلام أخذتنا بعذابهم بشدة، فشكوا في الإنذارات وكذبوا بها.

٣٧- ولقد طلبوا منه تسليمهم أضيافه بقصد الفجور بهم، فحجبت إدراكهم وصيرناهم غمياً عما أرادوا، فلم يروا أحداً، وقلنا لهم على السنة الملائكة: ذوقوا إنذاري وتخوفي من طريق لوط عليه السلام، أي نالوا نتيجته.

٣٨- ولقد جاءهم وقت الصباح عذاب مطبق دائم النزول مستقر بهم حتى أهلكهم.

٣٩- فذوقوا شدة عذابي وثمرة تحذيري. وهذا التكرار للتأكيد والترسيخ.

٤٠- ولقد يسرنا القرآن للحفظ والانتعاض، فهل من متذكر؟!

٤١- ولقد جاء قوم فرعون الإنذارات والتحذيرات على لسان موسى عليه السلام.

٤٢- بل كذبوا بالمعجزات والآيات التسع التي أوتيتها موسى كلها، فأخذناهم بالعذاب أخذ قوي قادر على كل شيء.

٤٣- أكفاركم يا قريش خير وأشد من الأقوام السابقين المهلكين، أم لكم براءة من عذاب الله في الكتب المنزلة سابقاً.

٤٤- أم يقولون قائلين: نحن جمع متوحدون، منتصرون على أعدائنا، لكثرة عددنا وقوتنا.

٤٥- سيهزم جمع قريش القوي، ويفرون منهزمين. وقد هزمهم الله يوم بدر. قال المشركون يوم بدر: ﴿نحن

جميع منتصر﴾ فنزلت: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾.

أه لقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب مبسر ١٠ سيعلمون عذاباً من الكذاب لا مبسر ١١ أناس يسلوا الناقة فنته لمرة فأنقصهم وأصطبر ١٢ وينته أن الماء فنته بينهم كل شرب مختصر ١٣ فنادوا أصحابهم فعاطى فعر ١٤ فكيف كان عذابي ونذ ١٥ إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم الخضر ١٦ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من متذكر ١٧ كذبت قوم لوط بالنذر ١٨ إنا أرسلنا عليهم حاصباً إلا آل لوط نجيناهم بسحر ١٩ فتمت عندك الذك تجزي من شكر ٢٠ ولقد أنذهم بطسنا أنهاراً بالنذر ٢١ ولقد رددوه عن صفته فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر ٢٢ ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر ٢٣ فذوقوا عذابي ونذر ٢٤ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من متذكر ٢٥ ولقد جاء آل فرعون النذر ٢٦ كذبوا بأنبيائنا كلها فأخذهم أخذ عزيز مقتدر ٢٧ أكفاركم خير من أولئك أم لكم براءة في الزبر ٢٨ أم يقولون نحن جميع منتصر ٢٩ سيهزم الجمع ويولون الدبر ٣٠

٤٦- بل القيامة موعدهم بالعذاب والحساب، وعذاب الساعة أشد إيلاماً، وأشد مرارة من عذاب الدنيا.
 ٤٧- إن الكفار والمشرّكين المعاندين في خطأ وبعد شديد عن الحق، ويران مستعمرة في جهنم. أخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فانزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [٤٩].

٤٨- يوم يخرجون في النار على وجوههم، ويقال لهم: ذوقوا حر النار والمها. و﴿سقر﴾ اسم جهنم.
 ٤٩- إننا خلقنا كل شيء مقدراً بمقدار معلوم مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه.

٥٠- وما أمرنا بإيجاد شيء نريده إلا كلمة واحدة هي ﴿كن فيكون﴾ [البقرة ١١٧/٢ ومواقع أخرى] موجوداً، كسرعة لمح البصر، أو طرفة عين.
 ٥١- ولقد أهلكنا أشباهكم في الكفر من الأمم الماضية، فهل من متذكر منعطف؟ والاستفهام بمعنى الأمر، أي اذكروا واتعظوا بالمواعظ.

٥٢- وكل شيء فعله السابقون مكتوب عند الحفظة.
 ٥٣- وكل شيء صغير أو كبير من أعمال الخلق وأقوالهم مسجلٌ أو مدونٌ في اللوح المحفوظ.
 ٥٤- إن الذين يخافون عذاب الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه في بساين مختلفة، وأنهار متنوعة.

٥٥- في مكان مرضي كريم، لا لغو فيه ولا تأثيم، عند ملك قادر لا يعجزه شيء، أي إنهم مقربون عند الله تعالى، فالعندية عندية مكانة وتشريف. والمليك: صيغة مبالغة، أي ملك عظيم ملكه.

بِالسَّاعَةِ مُوعَدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ۖ إِنَّ الْخُرُوجَ مِنْ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۖ يَوْمَ يُخَوِّنُ فِي النَّارِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۖ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۖ وَمَا أَفَرُّ الْآرِثِينَ ۖ كَلِمٌ بِالْبَصَرِ ۖ وَلَقَدْ هَمَمْنَا أَنْشِيعَكُمْ قُلُوبًا ۖ فَمِنْ تَذَكُّرٍ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَ رَبِّكَ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ صَافٍ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ مُسْتَقَرٌّ ۖ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَنَارٍ ۖ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ۖ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝
 ۝ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُسَبِّحَانِ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝
 ۝ وَالسَّمَاءُ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقْبُوا
 ۝ الْوِزْنَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۖ وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا
 ۝ لِلْأَنَامِ ۖ فِيهَا فَاكِهِةٌ وَالْخَلْدَاتُ الْأَكَامِ ۖ وَالْحَبُّ ذُو
 ۝ الْقَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۖ

سورة الرحمن

- ١، ٢- الله تعالى هو الرحمن النعم بجلال النعم الدنيوية والأخرية، علم رسوله القرآن بإيحاها إليه لتبليغه للناس.
- ٣، ٤- خلق الإنسان، أي الجنس الإنساني، علمه التعبير عن النفس وأفهام غيره بنطق واضح.
- ٥- الشمس والقمر يجريان بحساب دقيق منظم، فيدلان على حساب الشهور والأعوام.
- ٦- والنجم، أي النبات الذي لا ساق له، والشجر، أي النبات الذي له ساق وأغصان. والنجم أيضاً: الكوكب المرئي في السماء، يقادان الله تعالى فيما أمر، ولما أراد الله سبحانه منهما.
- ٧- وخلق السماء مرفوعة بغير عمد، وأنزل في الأرض نظام العدل، وأثبته وشرعه.
- ٨- لتلا تجوزوا في الأحكام والأفضية، ولا تتجاوزوا مبدأ العدل.
- ٩- وقوموا الوزن للأشياء بالعدل في الأخذ والعطاء، ولا تقصوا الموزون، ولا تبخسوا حقوق الناس.
- ١٠- والأرض بسطها ومهدتها للمخلوقات للعيش والاستقرار.
- ١١- فيها أنواع الفاكهة الكثيرة، وفيها النخل ذات أوعية الطلع، وأغطية الثمر.
- ١٢- وفيها الحب كالخنطة والشعير وكل ما يقتات، ذو الورق الجاف، وهو التين، وفيها كل نبات طيب الرائحة.
- ١٣- قبأي نَمَ ربكما معشر الإنس والجن تكذبان؟ والاستفهام للتقرير، أي لا يمكنكما التكذيب. والسنة أن يقول عقبا: «لا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد». وتكرار هذه الآية أمر حسن في مجال تعداد النعم، للتنبيه على النعم.

١٤ - خلق الإنسان من صلصال، أي طين يابس له صلصلة، أي صوت، كالفخار: وهو ما طبخ من الطين.

١٥ - وخلق الجن، أي أصل الجن من لهب خالص لا دخان فيه، من نار.

١٦ - فبأي نعم ربكما أيها الجن والإنس تكذبان؟!

١٧ - رب مشرقى الشمس في الشتاء والصيف، ورب مغربيهما أيضاً.

١٨ - فبأي نعم ربكما أيها الجن والإنس تكذبان؟!

١٩ - أرسل وأجرى البحرين: العذب والملح، يلتقيان، أي يتجاوران دون فاصل بينهما.

٢٠ - بينهما حاجز من قدرة الله تعالى، لا يتعدى أحدهما على الآخر، حتى يذهبه، فلا يختلط به.

٢١ - فبأي نعم ربكما أيها الجن والإنس تكذبان؟!

٢٢ - يخرج من أحدهما وهو الملح اللؤلؤ: صغار الدر للمخلوق في الأصداف، والمرجان: كبار الدر، أو الخرز الأحمر المعروف.

٢٣ - فبأي نعم ربكما أيها الجن والإنس تكذبان؟!

٢٤ - وله سبحانه السفن الجارية في البحر المرفوعات الشراع كالجبال العالية عظماً وارتفاعاً.

٢٥ - فبأي نعم ربكما أيها الجن والإنس تكذبان؟!

حَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ مَرَجَ الْفُجَرَيْنِ بِلَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يُخْرِجُ مِنْهَا اللَّوْلُوكَ وَالْمَرْجَانِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ وَلَهُ الْخَوَارِجُ الْمُنَشَّاتُ فِي السَّحَابِ لَا أَعْلَمُ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَسْقِي رَبُّكَ دُونَ الْجَمَلِ وَالْأَكْرَامِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ سَنَفَعُ لَكُمْ إِيَّاهُ الثَّقَلَانِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يَغْمِشُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَطْوَافِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَأَنْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئَ نَارٍ وَخَاسِفَاتٍ فَلَا تُنْصِرُونَ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝

٢٦ - كل من على الأرض من الناس والحيوانات هالك زائل.

٢٧، ٢٨ - ويبقى ذات الله ووجوده، فهو الحي الدائم الذي لا يموت، وذو العظمة والكبرياء، وصاحب الفضل والإنعام الذي يُحرم عباده المؤمنين. فبأي نعم الله ربكما معشر الجن والإنس مما ذكرنا قبل تكذبان؟!

٢٩، ٣٠ - يسأله جميع من في السموات والأرض كل ما يحتاجون إليه من إسعاد ورزق وحال، كل وقت هو في أمر من الأمور، يُحدث أشخاصاً، ويجدد أحوالاً بحسب قضائه الأزلي، من إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وإغناء وإفقار، وإجابة سؤال وحرمان وغير ذلك. فبأي نعم ربكما أيها الجن والإنس من اختلاف شؤونه في تدبير عباده تكذبان؟!

٣١، ٣٢ - ستقصد حسابكم معشر الجن والإنس يوم القيامة، ونجازي كل واحد بما يستحق. والثقلان: الإنس والجن، لثقلهما على الأرض، بالوجود فيها. فبأي نعم الله تكذبان أيها الإنس والجن؟!

٣٣، ٣٤ - يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض، هرباً من قضاء الله وقدره، فاخرجوا منها، لا تقدرون على النفوذ إلا بقوة وقهر مختصين بالله تعالى. فبأي نعم الله تكذبان أيها الجن والإنس؟!

٣٥ - يُرسل عليكم إن حاولتم الخروج أو النفوذ لهب من نار خالص لا دخان فيه، ومن نحاس مُذاب تشوى به جلودهم ويطونهم، فلا تقدرون على الامتناع من عذاب الله، ولا تجدان من ينصركما.

٣٦ - فبأي نعم الله تكذبان أيها الجن والإنس؟!

٣٧ - فإذا تصدعت السماء يوم القيامة، فكانت كوردة حمراء، ومثل الزيت المغلي.

٣٨ - فبأي نعم الله تكذبان أيها الجن والإنس؟!

٣٩- فيوم انشقاق السماء حين الخروج من القبور لا يسأل أحد من الناس والجن عن ذنبه، وسيكون الحساب بعدئذ في موقف الحشر.

٤٠- فبأي نعم الله أيها الإنس والجن تكذبان؟

٤١- يعرف المجرمون الآثمون بعلامتهم على وجوههم، حيث يكونون سود الوجوه، زرق العيون، فتأخذهم الملائكة بمقدم شعر الرؤوس، وتضم الأقدام إلى النواصي- جمع ناصية: وهي مقدم الرأس- ويقذفون إلى النار.

٤٢- فبأي نعم الله أيها الإنس والجن تكذبان؟

٤٣- يقال لهم: هذه جهنم التي تشاهدونها هي التي كذب بها الكافرون المنكرون للبعث.

٤٤- يترددون بين جهنم التي يحرقون فيها، وبين ماء حار بلغ منتهى الشدة في الحرارة.

٤٥- فبأي نعم ربكما تكذبان؟

٤٦- ولئن خاف حساب ربه في موقف الحساب بين يدي الله تعالى جتان، بأن أطاع الأوامر واجتنب المعاصي.

٤٧- فبأي نعم ربكما تكذبان؟

٤٨، ٤٩- جتان ذواتا أغصان كثيرة، فبأي نعم ربكما تكذبان؟

٥٠، ٥١- فيهما عيتان تجريان حيث شاؤوا، فبأي نعم ربكما تكذبان؟

٥٢، ٥٣- فيهما من كل أنواع الفاكهة صنفان: رطب ويابس، فبأي نعم ربكما تكذبان؟

٥٤، ٥٥- مستندين جالسين على فرش بطائنها من ديباج ثخين، وثمر الجنتين قريب التناول. فبأي نعم ربكما تكذبان؟

٥٦، ٥٧- في مشتملات الجنتين المذكورتين من النعم والفرش والغرف نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن المتكئين على الفرش، لم يمسهن أحد من الإنس والجن، فبأي نعم ربكما تكذبان؟

٥٨، ٥٩- كأن هؤلاء النساء في صفاء اللون وحمرة الياقوت المعروف: الحجر الأملس الصافي، وكأنهن المرجان: هو الخرز الأحمر الذي يؤخذ من البحر. فبأي نعم ربكما تكذبان؟

٦٠، ٦١- ما جزاء الإحسان في العمل الدنيوي إلا الإحسان في الثواب الأخروي، وهو الجنة، فبأي نعم ربكما تكذبان؟

٦٢، ٦٣- ومن دون تلك الجنتين المذكورتين للمقربين وأقل منهما منزلة جتان أخريان لأصحاب الميمنة، فبأي نعم ربكما تكذبان؟

٦٤، ٦٥- جنتان شديدتا الخضرة من كثرة الري والعناية، كأنهما سوداوان أو مسودتان، فبأي نعم ربكما تكذبان؟

٦٦، ٦٧- في هاتين الجنتين عيتان فوارتان بالماء، فبأي نعم ربكما تكذبان؟

فَيَوْمَذِي لَا تُنْشَأُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يَعْرِفُوا الْخِرْمُونَ بِسَجْمِهِمْ فَيُؤْخَذُ النَّوَاصِي وَالْأَفْئَادُ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ يَطُوفُونَ بِنَهَاوَيْنِ حَرِيمٍ إِنْ ﴿٤٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٤﴾ وَلَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتُنِ ﴿٤٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٦﴾ ذَوَا أَفْنَانٍ ﴿٤٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٨﴾ فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٠﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٢﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴿٥٣﴾ وَحَى الْجَنَّتَيْنِ دَانِ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِمَا قَصْرَتِ الْأَفْئِدَةُ يُطِغْمُنَّ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَلَا جَانٌ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مَدَامَتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾

٦٨، ٦٩- في الجنتين المذكورتين فاكهة مختلفة الأنواع، ونخل ورمان، وهما من عطف الخاص على العام، فبأي نعم ربكما تكذبان؟! ٧٠، ٧١- في مشتملات هاتين الجنتين نساء فاضلات الأخلاق، جميلات الوجوه، فبأي نعم ربكما تكذبان! ٧٢، ٧٣- إن هذه النساء فائقة الجمال، شديداً بياض العيون وسوادها، مخدرات مستورات ملازمات البيوت، فبأي نعم ربكما تكذبان؟! والحيام جاء على استعمال العرب، وهي أماكن النعيم.

٧٤، ٧٥- لم يجامعن أحد قبلهم من الإنس والجن فبأي نعم ربكما تكذبان! ٧٦، ٧٧- مستنديين على وسائل مرتفعة، وبسط وطفاس منقوشة مزخرفة الألوان، جميلة رائعة، فبأي نعم ربكما تكذبان؟! والعسكري: كل شيء عجب الجودة، وهو لفظ يطلق على الواحد والأكثر، كالطفل والفلك.

٧٨- تعظم وتنزه اسم الله أي ذاته، صاحب العظمة، والإنعام على عباده.

سورة الواقعة

فضلها: أخرج الإمام أحمد عن جابر بن سمرة يقول: كان رسول الله ﷺ يصلي الصلوات كنحو من

صلواتكم التي تصلون اليوم، ولكنه كان يخفف، كانت صلاته أخف من صلاتكم، وكان يقرأ في الفجر: الواقعة ونحوها من السور.

- ١- إذا قامت القيامة - عبر بالفعل الماضي لأنها واقعة قطعاً. والواقعة والأزفة والحاقة بمعنى القيامة..
- ٢- لا يكون عند وقوعها تكذيب. والكاذبة هنا لفظ يراد به المصدر، أي الكذب، كخائنة بمعنى الحيانة.
- ٣- تخفض قوماً وترفع آخرين، القوم الأول: الكفار والفساق، والثاني: أهل الإيمان.
- ٤، ٥- إذا زلزلت وحركت الأرض تحريكاً شديداً يؤدي إلى سقوط البناء والجبال. وفُتَّت الجبال فتاً شديداً دقيقاً.
- ٦، ٧- فصارت غباراً منتشراً متفرقاً. وصرتم أصنافاً ثلاثة.
- ٨- فأهل اليمين الذين يُعطون كتبهم بأيمانهم هم أهل المنزلة العالية لفوزهم بالجنة والرضوان الإلهي. و ﴿ما﴾ اسم استفهام لتحويل الأمر المتحدث عنه، إما في حسن الحال كما هنا أو في قبحه.
- ٩- وأهل الشمال الذين يأخذون كتبهم بشمالهم هم أهل المنزلة الدنيا.
- ١٠- والسابقون في الدنيا إلى الإيمان والخير والطاعة واجتناب المعصية هم السابقون إلى رحمة الله وفضله.
- ١١، ١٢- أولئك الذين قُرِبت درجاتهم وأعليت مراتبهم في الجنة والنعيم، فهم أهل الحظوة والتكريم عند ربهم.
- ١٣- جماعة من الأم السابقة من عهد آدم إلى نبينا عليهما السلام.
- ١٤، ١٥- وقليل من أمة النبي ﷺ، ووصفوا بالقلة بالنسبة لمجموع من كان قبلهم وهم كثيرون. أخرج أحمد وغيره عن أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿ثلة من الأولين وقليل..﴾ شق ذلك على المسلمين، فنزلت ﴿ثلة من الأولين، وثلة من الآخرين﴾ [٤٠]. على سرر منسوجة بإحكام، ومطعمة بخيوط الذهب.
- ١٦- جالسين أو مضطجعين على السرر، يقابل بعضهم بعضاً، لا ينظر أحدهم إلى قفا الآخر.

فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخَمَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ مِنِّي قَبْلَهُمْ وَلَا بَآنٌ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُكْرِمِينَ عَلَى رُفُوفٍ خَضْرَاءَ وَعُتْرَىٰ حَسَنَاتٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَنَسْفَقُهَا كَآذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْجًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الشَّئْمَةِ مَا أَصْحَابُ الشَّئْمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونٍ ﴿١٥﴾ مُّكْرِمِينَ عَلَيْهِمْ مِّنْ مَّوْضِلِينَ ﴿١٦﴾



يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿٣٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَنْبَارٍ وَكَأْسٍ مِنْ
مَعِينٍ ﴿٣٨﴾ لَا يَصُدُّونَ عَنْهَا وَلَا يَنْفُونَ ﴿٣٩﴾ وَفِيهَا مِمَّا يَحْتَرُونَ
﴿٤٠﴾ وَلَوْ طَرِفَ نِهَا شَهْوَنَ ﴿٤١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٤٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُ
الْكُنُوزِ ﴿٤٣﴾ جَرَاءٌ مَّا كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا
تَأْثِيمًا ﴿٤٥﴾ إِلَّا ذِكْرًا سَلَامًا ﴿٤٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَأْصَحِبُ الْيَمِينِ
﴿٤٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٤٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٤٩﴾ وَظِلِّ مُدْودٍ ﴿٥٠﴾
وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٥١﴾ وَكُفٍّ كَافٍ ﴿٥٢﴾ لَأَمْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ ﴿٥٣﴾
وَفُورٌ مُّزْفُوعٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنَاسًا ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَزْوَاجًا
عَرَّازَاتًا ﴿٥٦﴾ لَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٥٧﴾ ثَلَاثَةٌ الْأَوَّلِينَ ﴿٥٨﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ
الْآخِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَأْصَحِبُ الشِّمَالِ ﴿٦٠﴾ فِي مَعْمُورٍ وَحَمِيمٍ
﴿٦١﴾ وَظِلِّ تَنْجُمٍ ﴿٦٢﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٦٣﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ
ذَلِكَ مُتَفَرِّقِينَ ﴿٦٤﴾ وَكَانُوا يَصْرُونَ عَلَى الْخَيْسِ الْعَظِيمِ ﴿٦٥﴾ وَكَانُوا
يَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ آيَاتُ رَبِّنَا وَأَعْظَمَ آيَةً لَّنَجُوعُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَّاهٌ أَبَاؤُنَا
الْأَوَّلُونَ ﴿٦٧﴾ قُلْ إِنَّا الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٦٨﴾ لَنَجُوعُونَ إِلَى
مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٦٩﴾ فَرَأَيْتُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمَكِيدُونَ ﴿٧٠﴾

١٧- يدور حولهم للخدمة صبيان باقون على صفتهم أبداً، لا يهرمون.

١٨- معهم أفداح لا عرى لها ولا خراطيم، وأفداح لها عرى وخراطيم، وإناء من خمر جارية من منيع لا يقطع.

١٩- لا تصدع رؤوسهم من شرها، ولا تذهب عقولهم بالسكر منها، بخلاف خمر الدنيا.

٢٠- وبفاكهة مما يختارون ويرضون.

٢١- ويلحم طير مما يتمنون ويرغبون وتشتهيهم أنفسهم.

٢٢- ولهم نساء حوريات شديديات سواد العيون وبياضها، واسمات الأعين حسان.

٢٣- هن في الصفاء والحسن والبياض كأمثال اللؤلؤ المصون في صدفه، ولم تفسد الأيدي.

٢٤- يفعل ذلك كله بهم جزاء على أعمالهم.

٢٥- لا يسمعون في الجنة كلاماً ساقطاً أو باطلاً، ولا ما يوقع في الإثم.

٢٦- لكن قولاً: سلاماً سلاماً، أي يقولون: سلمك الله سلاماً مباركاً.

٢٧- وأهل اليمين الذين يُعطون كتبهم بأيانهم هم أهل المنزل العالية المعدة لهم.

٢٨- يتمتعون في شجر يمتاز بكثرة أوراقه وأغصانه، وله فاكهة تليق بالجنة، ولا شوك فيه.

٢٩- وشجر الموز المترابك الثمر، بعضه فوق بعض.

٣٠- ٣١- ٣٢: وظل دائم ممتد، وماء جبار دائم لا يقطع، وفاكهة متنوعة وفيرة الكميات.

٣٣- لا تنقطع في وقت ما، ولا تمتنع عن تناولها بحال من الأحوال، بل هي معدة لمن أرادها.

٣٤- وفُورٌ عالية متضدة فوق الأسرة.

٣٥- ٣٦- ٣٧: إنا خلقنا نساء الجنة الحوريات خلقاً جديداً من غير ولادة، فجعلناهن فتيات عذارى، شديديات الحب لأزواجهن، متساويات في السن، وهو سن الشباب.

٣٨- خلقناهن لأهل اليمين الذين يُعطون صحفهم بأيانهم، أي أنشأنا الزوجات لأصحاب اليمين.

٣٩، ٤٠- جماعة كثيرة من السابقين قبل نبينا، وجماعة كثيرة من أمة النبي محمد ﷺ.

٤١- وأهل الشمال الذين يأخذون صحفهم بشمالهم في منزلة دنية حقيرة.

٤٢- في لهب النار أو في ريح شديدة الحرارة تنفذ في المسام، وماء شديد الحرارة.

٤٣، ٤٤، ٤٥- وظل من دخان جهنم شديد السواد والحرارة، لا هو بارد كبقية الظلال، ولا هو نافع يدفع أذى الحر لمن يأوي إليه، ولا حسن المنظر. إن أصحاب الشمال كانوا في الدنيا متعمين منهمكين في الشهوات.

٤٦- وكانوا يقيمون ويدامون على الذنب الكبير، وهو الشرك وبقية الكاثر.

٤٧- وكانوا ينكرون البعث، ويقولون: كيف إذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً بآلة نعود أحياء من قبورنا؟

٤٨- وهل يبعث أباًؤنا الأقدمون؟ أي إنهم أشد إنكاراً لبعث أبائهم وأجدادهم لتقدم الزمن.

٤٩- قل لهم أيها الرسول: إن الأولين من الأمم والآخرين منهم وأنتم من جملتهم.

٥٠- لمجموعون محشورون إلى وقت يوم معلوم هو يوم القيامة.

٥١- ثم إنكم معشر الضالين عن الحق، الذين أنكرتم وجود الله وتوحيده.

لَا كُؤُنَ مِنْ سَاحِرٍ رَافِعٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِ الْفُؤُنِ مِنْهَا الْبُؤُونُ ﴿٥٣﴾ فَسَرُبُونِ
عَلَيْهِمْ مِنَ الْفُؤُونِ ﴿٥٤﴾ فَسَرُبُونِ سَرَبَ الْفُؤُونِ ﴿٥٥﴾ هَذَا زُكْرُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ
﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا نَصِيحُونَ ﴿٥٧﴾ أَوْفَوْا بِمَا عَمِلْتُمْ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ
تَخْلُقُونَهُ ءَأَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ
بِمُسَبِّحِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَى أَنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ وَنَسْكَرُ فَمَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾
وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْفَوْا بِمَا عَمِلْتُمْ
﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَرْعَوْنَهُ ءَأَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجْعَلْنَاهُ
حُطْبًا فَظُلُمْتَ تَعْمَهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمَعْرِضُونَ ﴿٦٦﴾ لَئِنْ عَمِلْتُمْ
﴿٦٧﴾ أَوْفَوْا بِمَا عَمِلْتُمْ الَّذِي تَسْرُبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَرْعَوْنَهُ مِنَ الْمَرْزُومِ
نَحْنُ لَذَرَيْنَا ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجْعَلْنَاهُ أُنْجَابًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
أَوْفَوْا بِمَا عَمِلْتُمْ إِنَّا لَوَدُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ تَسْرُبُونَهَا أَمْ نَحْنُ
الْمَسْرُوبُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَعَا لِقَائِهِمْ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ
بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْفِقِ الْفُؤُونِ ﴿٧٥﴾ وَإِلَّا
لَقَسْرُ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقَسْرٌ أِنْ كَرِهَ
﴿٧٧﴾ وَرَكِبَ فُؤُونٌ لَأَيُّسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٨﴾

والحرث: إثارة الأرض أو فلاتها.

- ٦٤- ألستم تبتغونه- وتزرعونه مشتق من الزرع: وهو الإنبات- أم نحن المنبتون؟
٦٥، ٦٦- لو نشاء لجعلنا ذلك الزرع هشيمًا متحطمًا متكسرًا، لا نفع فيه، فبقيتم نهارًا تمتعجون من سوء حاله، ملازمين حال
الفرح، تقولون: إنا الذين ذهب مالهم وضاع سدى.
٦٧- بل نحن في الواقع محرومون من الخير، ممنوعون من الرزق. و ﴿بل﴾ للانتقال من كلام إلى آخر.
٦٨- أخبروني عن الماء الذي تشربون منه لإرواء العطش.
٦٩- ألستم أنزلتموه من السحب أم نحن المنزلون له بإرادتنا وقدرتنا دون غيرنا؟ والمَرْزُوم جمع مزنة.
٧٠- لو نشاء جعلنا ذلك الماء المنزل العذب ملكًا لا يمكن شربه، فهذا تشكرون أمثال هذه النعم الضرورية؟
٧١، ٧٢- أخبروني عن النار التي تقدحون أعواد شجرها بضرب عود منها بأخر مع احتكاك شديد، فيخرج منها شرر النار،
مثل ضرب الحجر بقطعة حديد وهو الزناد، أم نحن المنشئون لها بقدرتنا دونكم؟ ومن هذه الأشجار: شجر معروف عند العرب
يقال المَرْخ والعفار والكليخ التي تقدح نارًا بالتماس الشديد.
٧٣- نحن جعلنا نار الدنيا بالزناد وغيره تذكيرًا لكم بنار جهنم، وشيئًا يتمتع به، أي يتنفع به للمسافرين.
٧٤- فتره الله تعالى أي ذاته وصفاته العظمى عن كل ما لا يليق به.
٧٥- فلا أقسم- لا: مزيد للتأكيد. أي أقسم بمساقط الكواكب أي مغاريها.
٧٦، ٧٧- وإنه لقسم عظيم جدًا لو تعلمون قدره وعظمته، وكنتم من أهل العلم بذلك، فزلت حينما مطر الناس، فقال
بعضهم: إنما مطرنا بنوء كذا وكذا، أي بسبب سقوط نجم كذا. إن هذا المرحى به إليك أيها النبي لقرآن كثير الخير والنفع.
٧٨- أي في كتاب مصون عند الله تعالى، محفوظ عن التبديل والتغيير، وهو اللوح المحفوظ، أو المصحف الذي بين أيدينا
وهو الأظهر.
٧٩- أي لا يمس ذلك الكتاب إلا المطهرون من الذنوب وهم الملائكة، أو لا يمس إلا المتوحيين الطاهرين.



٨٠- القرآن منزل من عند الله تعالى رب العالم كلها على قلب نبيه محمد ﷺ.

٨١- أفسهذ القرآن أيها المشركون أنتم متهاونون، وتظهرون بمظهر من لا يهमे أمره!؟

٨٢- وتجعلون شكر رزقكم وهو المطر، وحظكم من هذا القرآن أنكم تكذبون بنعمة الله، وتقولون: مطرنا بنوء كذا أي بسقوطه في المغرب مع الفجر، وطلوع رقبه في المشرق!؟

٨٣- فهلا إذا بلغت الروح وقت التزع الخلقوم: أعلى مجرى الطعام.

٨٤- وأنتم أيها الجالسون بجوار المحتضر ترونه يكابد سكرات الموت، لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً ينفعه أو يخفف عنه.

٨٥- ونحن أقرب إلى المحتضر وأعلم بحاله منكم، ولكن لا ترون ولا تدركون حقيقة ما يجري حوله.

٨٦- فهلا إن كنتم غير محاسبين على أعمالكم يوم القيامة ومنكرين البعث كما زعمتم؟

٨٧- ترجعون الروح إلى مقرها في الجسد إن كنتم صادقين في نفي البعث.

٨٨- فأما إن كان المتوفى من السابقين المقربين، أحد الأصناف الثلاثة المتقدمة.

٨٩- فله راحة ورحمة، ورزق حسن طيب، وجنة ذات نعيم.

٩٠، ٩١- وأما إن كان المتوفى من أصحاب اليمين، فتسفل الملائكة له عند الموت: سلام لك من إخوانك أصحاب اليمين، الذين سبقوك وأنت منهم.

٩٢- وأما إن كان المتوفى من المكذبين بالله ورسوله وبالبعث، الفضالين المنحرفين عن الهدى، وهم أصحاب الشمال.

٩٣- فالنزل المعد له شيء من ماء متناه في حرارته. ٩٤- وجعله في جهنم، وإذاقه حرها.

٩٥- إن هذا الموحى إليك به في هذه السورة لهو الخبر الحق المتيقن الثابت الذي لا شك فيه.

٩٦- فتره الله بذكر اسمه عن كل ما لا يليق بعظمة شأنه، وتقوى قدرته وعلمه.

نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٦﴾ أَفَبِعَدَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٥٧﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٥٨﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٥٩﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُرْهَانَ لَكُمْ فَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٦١﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عَمْرَ مَدِينِينَ ﴿٦٢﴾ تَرْجِعُونَ ﴿٦٣﴾ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٦٥﴾ فَنَسُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٦٦﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٦٧﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٦٨﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَنَزْلٌ مِنْ جَهَنَّمَ وَنَصْلَةٌ مِّنْ جَهَنَّمَ إِنْ هَذَا لَحَوْحٌ أَلْبَنٌ ﴿٧٠﴾ فَنَسُوحٌ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧١﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَحْيِي وَيُتِيهِ الْخَبْرُ كُلُّ شَيْءٍ فَدَرُّهُ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

سورة الحديد

فضلها: أخرج الإمام أحمد وغيره عن عرياض بن سارية: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد، وقال: إن فيها آية أفضل من ألف آية وهي قوله تعالى: ﴿هو الأول والآخر...﴾ الآية [٣].

١- نزه الله تعالى عن كل ما لا يليق به كل شيء في السموات والأرض، وهو القوي في ملكه، الغالب القاهر، الحكيم في صنعته وتبنيه.

٢- مالك السموات والأرض لأنه الخالق لهما، فلا يتفقد تصرف غيره فيهما، يحيي الأموات، ويميت الأحياء، وهو قادر على كل شيء لا يعجزه أي شيء كان.

٣- الله هو الذي ليس قبله شيء (لم يسبق في الوجود) والآخر الذي ليس بعده شيء (يبقى بعد فناء الموجودات) والظاهر الذي ليس فوقه شيء (وظاهر بأثاره الدالة على وجوده) والباطن الذي ليس دونه شيء (ولا تحيط به الحواس والعقول) وهو واسع العلم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء.

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ
عَلَى الْفَرْشِ بِعِلْمِهِ أَمَّا فِي الْأَرْضِ فَمَن يَخْرِجُ مِنْهَا وَمَا يَزِيدُ مِنَ السَّمَاءِ
وَمَا يَخْرِجُ مِنْهَا وَمَوْتُهُمْ عَمَّا نُمَكِّتُهُ وَاللَّهُ يَخْتَارُ بَصِيرٌ
﴿٦﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧﴾ يُوجِبُ
الْأَيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُوجِبُ اللَّيْلَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٨﴾
عَاشُوا لِلَّهِ وَارْضُوا بِمَا جَعَلَ لَكُمُ سَخْلًا فِيهِ فَاذْكُرُوا
عَاشُوا لَكُمْ وَارْضُوا بِمَا جَعَلَ لَكُمُ سَخْلًا فِيهِ فَاذْكُرُوا
وَالرُّسُولَ يَدْعُوكُمُ لِلْإِيمَانِ بِكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
مُتَّقِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ يَبْتَغِي لِيُخْرِجَكَ
مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ وَمَا لَكُمْ
أَلَّا تُسَبِّحُوا فِي سُبُوحِ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ يَسْبُحُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ
لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن أَسْفَلَ مِن قَبْلِ النَّفْخِ وَقَدْ لُكِّتِ الْأَعْظُمُ
دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَعُوا مِنْ آيَاتِهِ وَقَدْ لُكِّتِ الْأَعْظُمُ
اللَّهُ الْمُخْسِرُ وَاللَّهُ يَخْتَارُ بِصِيرٌ ﴿١١﴾ مَن ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ
فَوْضًا حَسَنًا فَيُضِلُّهُ لَوْلَا أَمْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٢﴾

٤- الله هو خالق أو مبدع السموات والأرض في
 أيام ستة، ثم استوى على العرش (عرش الملك)
 استواء يليق بجلاله، يعلم ما يدخل في الأرض من
 مطر وهوام وغيرها، ويعلم ما يخرج من الأرض من
 نباتات ومياه ومعادن وغيرها، ويعلم ما ينزل من
 السماء من مطر ورحمة وملائكة وعذاب وغير ذلك،
 ويعلم ما يصعد في السماء من أبخرة وملائكة وأعمال
 العباد ودعواتهم، وهو بقدرته وعلمه مع
 الموجودات، لا يفارقكم بحال، فليس المراد المعية
 بالذات، والله بصير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء،
 فيجازيكم عليه.

٥- له ملك السموات والأرض، والمتصرف فيهما،
والنفاذ الأمر في كل شيء- وكرر ذلك للتأكيد-، وإلى
الله لا إلى غيره تسمير أمور الموجودات والخللاق يوم
القيامة، فيحكم فيها بالحق والعدل .

٦- يُدخل الليل في النهار، ويُدخل النهار في الليل بالزيادة والنقص، وهو عليم بالنيات الخافية في الصدور، أو الضمائر والعقائد والأسرار والخواطر، جلّ جلال الله.

٧- صدقوا أيها البشر بوجود الله وتوحيده،
وبصحة رسالة رسوله، وأنفقوا أو تصدقوا في سبيل

الله بشيء من الأموال التي جعلكم خلفاء في التصرف فيها، فإن المال في الحقيقة هو لله، وهو ودیعة في أيديكم، فالذين صح إيمانهم بالله ورسوله، وأنفقوا في سبيل الله، لهم ثواب كبير، وهو الجنة. نزلت في غزوة العسرة وهي غزوة تبوك.

٨- وما لكم أيها الكفار لا تؤمنون بالله؟ أي لا مانع لكم من الإيمان، والرسول يطلبكم بالتصديق بوجود الله ووحدانيته، وقد أخذ العهد عليكم حين أخرجكم من ظهر أبيكم آدم، وهو الإشهاد على وجود الله، إن كنتم تريدون الإيمان به، فبادروا إليه.

٩- الله وحده الذي ينزل على عبده محمد ﷺ آيات واضحات ظاهرات ليخرجكم ايها الناس من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الحق والإيمان، وإن الله في ذلك الإخراج لرؤوف رحيم بكم، حين بعث فيكم الرسل وأنزل الآيات والكتب لهدايتكم.

١٠. وأي غرض لكم في عدم الإنفاق في الخير؟ أي أطلب منكم الإنفاق في سبيل إعلاء كلمة الله بالجهاد وغيره، والله يرث كل شيء في السموات والأرض، ومصير الأشياء كلها إليه، لا يتساوى من أنفق وقَاتل قبل فتح مكة، وفعل ذلك بعد الفتح، أولئك المنفقون قبل فتح مكة أرفع درجة من الذين أنفقوا بعد هذا الفتح، وكلا من الفريقين وَعَدَ الله الجنة، مع تفاوت درجاتهم فيها، والله خبير بما تعملون من أعمال ظاهرة وباطنة، فيجازيكم عليها. نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

١١- من ذا الذي ينفق ماله في سبيل الله طيبة به نفسه، بلا من ولا أذى، فيضاعف له الأجرضاعافاً مضاعفة، وله ثواب عظيم في الآخرة، وهو الجنة.

١٢- يوم القيامة تنظر أيها النبي المؤمنين والمؤمنات بضئى الطريق لهم نور إيمانهم وأعمالهم الصالحة التي تكون سبباً لنجاتهم وهدايتهم إلى الجنة، ويقال لهم من الملائكة: لكم البشارة بجنات تجري الأنهار من تحت منازلها، ماكثين فيها أبداً، ذلك النور والبشرى هو النجاح العظيم الذي لا مثيل له.

١٣- يوم القيامة يقول أهل النفاق مبطنو الكفر لأهل الإيمان حينما رأوهم يسارعون إلى الجنة: انتظرونا نستضيئ بنوركهم، قيل لهم استهزاء بهم: ارجعوا إلى الدنيا، فاطلبوا نوراً آخر، فضرب بين المؤمنين والمنافقين بحاجز له باب، باطنه فيه من جهة المؤمنين الرحمة وهي نعم الجنة، وظاهره من جهته - جهة المنافقين - عذاب جهنم.

١٤- ينادي المنافقون المؤمنين قائلين لهم: ألم تكن معكم في الدنيا على الإسلام والطاعة، أي في الظاهر، قالوا: بلى كنتم معنا ظاهرياً، ولكنكم أوقعتم أنفسكم في البلاء وأهلكتموها بالمعاصي، وانتظرت الدوائر أو الذواهي بالمؤمنين، وشككنتم

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ تُسْرِكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْظِرْنَا نُدْخِلَ فِيهِمْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنٌ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٨﴾ ينادونهم أَوَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتِنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبَسْتُمْ مِنْكُمْ الْإِيمَانُ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَزَّ بِاللَّهِ الْقُرُونُ ﴿١٩﴾ قَالِيَوْمَ لَا يُخَذُّ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمْ النَّارُ فِيهَا تَكُونُونَ ﴿٢٠﴾ الْقَصِيدُ ﴿٢١﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٢﴾ اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ يَتْلَاكُمْ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّا الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعُ لَهُمْ وَفْدَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٢٤﴾

في أمر الدين - الإسلام والبعث وتصديق النبي ﷺ - وخدعتكم الآمال الباطلة بزوال الإسلام، والأطماع الزائفة، حتى جاء أمر الله بالموت، وخدعكم بالله الشيطان، فزيف لكم النجاة من العذاب.

١٥- فاليوم لا يقبل منكم أيها المنافقون فدية تفتدون بها أنفسكم من النار، ولا من الكفار ظاهراً وباطناً، مكانكم النار، هي أولى بكم، أو مأمولكم على سبيل التهكم، ويشس المرجع النار.

١٦- ألم يأت أويحيى الوقت للمؤمنين بالله ورسوله أن تخشع (تخاف) قلوبهم عند تذكر الحساب، والوعظ والإرشاد، وما نزل من القرآن، ولا يكونوا كاهل الكتاب (اليهود والنصارى) من قبلهم، فطال عليهم الزمان بينهم وبين أنبيائهم، فصارت قلوبهم صلبة، ولم تلتن لذكر الله، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله تعالى وحدود دينه. نزلت حين ظهر في الصحابة المزح والضحك.

١٧- اعلّموا أيها المؤمنون أن الله يحيي الأرض بالماء والنبات بعد جديدها، فكذاك يفعل بقلوبكم، يلينها ويردها إلى الخشوع بالذكر وتلاوة القرآن، قد أوضحنا لكم الآيات والبراهين الدالة على قدرتنا، كي تعقلوا وتتدبروا هذه المواعظ، وتعملوا بموجبها.

١٨- إن المتصدقين بأموالهم على المحتاجين والمتصدقات، وأنفقوا شيئاً منها في سبيل الله بإخلاص، يضاعف لهم الثواب على أعمالهم، ولهم ثواب سخي عند الله تعالى وهو الجنة.



١٩- والذين صدّقوا بالله ورسله تصديقاً تاماً، أولئك هم المبالغون في التصديق وهم الذين كثر صدقهم وصار سحجة لهم، والذين استشهدوا أي قتلوا في سبيل الله لهم: ثوابهم الموعود به في كتاب الله، ونورهم الذي يضيئ لهم الطريق إلى الجنة، والذين جمعوا بين الكفر بالله ورسله، وتكذيب الآيات، أولئك أهل جهنم التي يعذبون فيها.

٢٠- اعلّموا معشر الناس أنما الحياة الدنيا مجرد لعب لا فائدة منه في الآخرة، وهو يتلهى به ثم يذهب، وزينة يتزين بها في الدنيا، ومفخرة يفتخر بها بعضهم على بعض وتسابق في تكثير ما يشغل عن الآخرة في جمع الأموال وإنجاب الأولاد، كمثّل مطر أعجب الزّراع نباته ونضرتّه، ثم يبس بعد خضرته، ثم يكون هشيمًا متكسراً، وفي الآخرة عذاب شديد لمن آثر الدنيا على الآخرة من الكفار والفجار، وغفران من الله ورضوان تام لمن آثر الآخرة وأطاع وهو مؤمن، وما الحياة الدنيا إلا شيء يتمتع به لمن اغتر بها وانخدع، ولم يعمل لأخبرته. وسمى الزّراع كفاراً؛ لأنهم يسترون

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَمْ تَأْخُذْهُمُ وَفُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ١٩ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَكَثَافٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَٰئِكَ كَمِثْلِ غَيْثٍ أَجْبَ الْكَفَّارِ بَنَاتُهُمْ يَبْتَغِينَ فَتَرْتُهُنَّ مَضْمَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطْمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ٢٠ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْعٌ أَفْرِودٍ ٢١ سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّنَ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ٢٢ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلُ أَنْ تُبْرَأَهَا إِنْ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ٢٣ لَكِبَلًا تَأْسُوا عَلَىٰ مَا فَاَنكُمْ وَلَا تُفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ٢٤ الَّذِينَ يَخْلَوْنَ رَبًّا مُّرُونَ النَّاسَ بِالْخُلُقِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ٢٥

الحب في التراب كما يستر الكفار نور الإيمان.

٢١- أسرعوا أيها الناس إلى أسباب المغفرة من الله بالتوبة والعمل الصالح، وسارعوا إلى جنة عرضها كعرض السماء والأرض، أُعِدَّتْ وخلقت للمؤمنين بالله ورسله لا لغيرهم، ذلك الموعود به من الجنة والمغفرة تفضل من الله على أهل طاعته، والله ذو الفضل الواسع الذي لا حدود له. وإعداد الجنة دليل على خلقها القائم الموجود.

٢٢- ما أصابكم أيها الناس من مصيبة في الأرض كالجذب ونقص الثمار، والآفة الزراعية، وغلاء السعر وغير ذلك، وفي أنفسكم كالمرض والفقر وفقد الولد إلا وهو مكتوب في اللوح المحفوظ من قبل أن نخلق الأنفس، إن إثبات ذلك في كتاب الله أمر سهل يسير على الله تعالى.

٢٣- أطلعناكم على ذلك كيلا تحزنوا على ما فاتكم من نعيم الدنيا، ولا تفرحوا بما آتاكم فرح بطر وتكبر، والله لا يحب أي يعاقب كل متكبر بما أوتي، متباهٍ على الناس بماله أو جاهه.

٢٤- وهؤلاء هم الذين ييخلون بما يجب عليهم، ويأمرون الناس باليخل به، ويرغبونهم في ترك حقوق الله، ومن يعرض عن الإنفاق المطلوب منه، فإن الله هو الغني عنه وعن نفقته، المحمود عند خلقه في ذاته وصفاته وأفعاله، لا يضره ذلك.

٢٥- تالله لقد أرسلنا رسلنا الأنبياء إلى الأمم بالحجج والمعجزات الواضحة وأنزلنا معهم الكتب السماوية المشتملة على الشرائع، وأنزلنا الميزان، أي ضوابط العدل في الأحكام ليتعامل الناس بالعدل في معاملاتهم، وخلقنا أو أوجدنا الحديد فيه قوة وشدة وصلابة، وفيه منافع كثيرة للبناء والزراعة والصناعة في السلم والحرب، وليعلم الله من ينصر دينه وينصر رسله في حال غيبته عنهم في الدنيا، إن الله قادر على كل شيء، قاهر لا يغلب ولا حاجة له إلى نصره عباده.

٢٦- ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم رسولين إلى قومهما، وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتب المنزلة لتبليغها للناس، فمن الذرية مهتد إلى الإيمان، وكثير منهم خارجون عن الطريق المستقيم.

٢٧- ثم أتبعنا على أعقابهم وهي الطرق التي سلكوها يرسلنا المرسلين بالأدلة الواضحة على صدقهم، وأتبعناهم بعيسى ابن مريم، وهو من ذرية إبراهيم من جهة أمه، وأعطيناه الإنجيل، وجعلنا في قلوب الذين آمنوا برسالته واتبعوا دينه

وهم الخواريون وأتباعهم رقة وشفقة، أي في اتباع الأحكام الدينية والعقوبات والمعاملات، وأحدثوا رهبانية هي البالغة في العبادة مع العزلة، ما أوجبناها عليهم، لكن فعلوها واخترعوها من أنفسهم بقصد إرضاء الله، فما رعاها جميعهم رعاية صحيحة، بل أهملوها وتجاوزوها، فأتينا المؤمنين منهم وهم الذين أخلصوا في إيمانهم ثوابهم المستحق، وكثير من هؤلاء الرهبان خارجون عن اتباع أوامر الله تعالى. والرافة: دفع الشر باللطف واللين، والرحمة: جلب الخير والمودة بالحسن.

٢٨- يا أيها المؤمنون بالله ورسله، اتقوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، وآمنوا برسوله محمد ﷺ، يعطكم على إيمانكم بالرسول نصيبين من رحمته وفضله، ويجعل لكم نوراً تمشون به على الصراط، ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور للمستغفرين التائبين، رحيم بهم. نزلت لبيان الأجرين للمؤمنين مثل أجور مؤمني أهل الكتاب، وزادهم النور.

٢٩- ليعلم أهل الكتاب وهم اليهود الذين لم يؤمنوا بالنبي محمد ﷺ أنه لا يحصلون على شيء مما ذكر من فضل الله ورحمته، وأن الفضل بيد الله من نبوة وعلم وتقوى، يؤتيه من يشاء من عباده، والله صاحب الفضل العظيم. قال قتادة: بلغنا أنه لما نزلت ﴿يؤتكم كفلين من رحمته﴾ [٢٨] حسد أهل الكتاب المسلمين عليها، فأنزل الله ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ ولا في ﴿لئلا﴾ زائدة أي لكي يعلم. و﴿لا يقدر﴾ أن مخففة من الثقيلة، أي أنه لا ينالون شيئاً مما ذكر من فضله.

لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتب والميزان ليقوم الناس بالعدل وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز ﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتب فمنهم متهتدون وكثير منهم فاسقون﴾ ﴿ثم قمنا على آثرهم برسلنا وقمنا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين آتبعوه رافة ورحمة وذريئهم آتبعوهما ما كتبنا عليهم إلا أتقاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فاتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم﴾ ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾

سورة الحجادة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا مِنْهُنَّ أَغْلُظٌ ۝ إِلَّا الَّتِي وَلَدْتَهُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ مُكْرَأً مِنْ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ غُورٌ ۝ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۝ قِيلَ لَهُمْ لَوْلَا ذِكْرُ اللَّهِ فَوْقَ عُنُقِهِمْ لَيَسَّوُنَّ أُولَئِكَ فَمِمَّا تَبَغَضُوا ۝ قِيلَ لَهُمْ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ خَيْرٌ ۝ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَإِسْءَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَابَعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمَاسَ قَدْ نَبَّحَ طَعْفُهَا ۝ فَطَلَعَا سَتْرَيْنِ ۝ فَمَسْكَبًا ۝ ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۝ وَبِذَلِكَ حُدُّوا اللَّهَ ۝ وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۝ يَكُونُوا كَمَا كُنْتُمْ ۝ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۝ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ ۝ وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝ يَوْمَ يُعَذِّبُ اللَّهُ جَمِيعًا ۝ فَبَشِّرْهُمْ بِمَا عَمَلُوا ۝ أَخَصَّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۝ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝

١- قد استجاب الله تضرع أو دعاء المرأة في أن يفرج الله كربتها، وتراجعك أيها النبي الكلام في شأن زوجها الذي ظاهر منها، وهي خولة بنت ثعلبة زوجة أوس بن الصامت، والله يسمع حواركما وتراجعكما الكلام، إن الله سميع للأقوال، بصير بالأحوال والأعمال. أخرج الحاكم وصححه عن عائشة قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفي علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وتقول: يا رسول الله، أكل شبابي، ونشرت له بطني، حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات: ﴿قد سمع...﴾ وهو أوس بن الصامت.

٢- الذين يقولون لزوجاتهم بأن يقول الواحد: أنت علي كظهر أمي، فكانت تحرم عليه حرمة مؤبدة، فهو أشد طلاق في عرب الجاهلية، يقول بعضهم أيها العرب، نافرين من نسائهم، وفيه

توبيخ على هذه العادة القبيحة، ما نساؤهم في الحقيقة بأمهاتهم، فذلك كذب منهم، وما أمهاتهم في الواقع إلا اللاتي ولدنهم، وإنهم بهذا القول أي بالظهار، ليقولوا قولاً منكراً في الشرع، وكذباً محضاً، وإن الله لصاحب العفو والمغفرة لمن تاب وأدى الكفارة.

٣- والذين يظاهرون من نسائهم، ثم يعدلون عن قصد التحريم بإمسك الزوجة، فعليهم تحرير رقبة، أمة أو عبد، من قبل استمتاع أحدهما بالآخر، فيحرم الوطء قبل الكفارة، ذلكم الحكم المذكور تؤمرون به، والله خير بأعمالكم لا يخفى عليه منها شيء.

٤- فمن لم يجد الرقبة في ملكه أو ثمنها، فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل استمتاع أحدهما بالآخر، فمن لم يستطع الصوم لهزم أو مرض مزمن مثلاً، فعليه إطعام ستين مسكيناً، لكل مسكين في رأي الحنفية نصف صاع من بر أو تمر أو شعير أو أرز ونحو ذلك. وفي رأي الشافعية: مد من غالب قوت البلد (٦٧٥ غم، والصاع ٢٧٥١ غم) ذلك الحكم المخفف بالكفارة لتصدقوا بالله ورسوله في قبول شرائعه، وتلك الأحكام حدود الله، أي أحكامه التي لا يجوز تعديها، وللکافرين (الجاحدين) بتلك الأحكام عذاب مؤلم يوم القيامة.

٥- إن الذين يعادون الله ورسوله بمخالفة الأوامر، خذلوا وأذلوا، كما أذل الذين من قبلهم من الأقوام الكاذبة السابقة، وقد أنزلنا آيات وأصحات، وللکافرين عذاب ذواهانة وإذلال.

٦- يوم يبعث الله الناس جميعاً من قبورهم، فيخبرهم بما عملوا في الدنيا، أحاط الله بأعمالهم عدداً، وهم نسوه لكثرة ما صدر عنهم، والله مطلع على كل شيء لا يغيب عنه شيء.

٧- ألم تعلم أيها النبي أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض، لا يخفى عليه شيء، ما يوجد من تناجي ومسارة ثلاثة إلا هو رابعهم، ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أقل من ذلك كالواحد والاثني ولا أكثر إلا هو معهم، يعلم كل ما يقولون وما يجري بينهم، يعلم بهم في أي مكان كانوا، فعلمه تعالى شامل لكل شيء، لا يتحدد بمكان، ثم يخبرهم بما عملوا يوم القيامة كشفاً وتوبيخاً لهم، وإلزاماً بالحجة، وتقريراً لجزائهم، إن الله عالم بكل شيء على حد سواء.

٨- ألم تنظر أيها النبي وتتعجب من حال اليهود والمنافقين الذين نهاهم رسول الله ﷺ عن التحدث سراً فيما بينهم للتأمر على المؤمنين، ثم يعودون لمثل فعلهم من التناجي سراً، ويتناجون بما حرم الله عليهم بما هو معصية وذنب، واعتداء على غيرهم من المؤمنين، ومخالفة الرسول، وإذا جاء اليهود أيها النبي حيوك بغير تحية الله من (السلام عليكم) قائلين: (السلام عليك) أي الموت أو الهلاك، ويقولون استهزاء فيما بينهم: هلا يعذبنا الله بسبب التحية لو كان محمد نبياً؟! كافيههم عذاب جهنم، يدخلونها ويقاسون حرها، فبئس المرجع وهو جهنم مرجعهم.

أَوَلَمْ يَلَمْ اللَّهُ بِمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا كُنْ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٥٨﴾ أَوَلَمْ إِلَى الَّذِينَ هُوَ أَعْنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُوَ عَنْهُ وَيَنْجُوْنَ بِالْإِيمِ وَالْعُدْدَانِ وَمَحْصَبَاتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَكَ جُنُودُكَ مِمَّا لَمْ يَجِيءَكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ بَصُولُوهَا فَبِئْسَ الْبَصِيرُ ﴿٥٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجُّوْا بِالْإِيمِ وَالْعُدْدَانِ وَمَحْصَبَاتِ الرَّسُولِ وَتَنَجُّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٦٠﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَرَرٍ تَسْبِيحًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٦١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقَسَّوْا فِي الْأَجْلَاسِ فَاثْبُتُوا فَبَسَّحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ اسْكُرُوا فَاثْبُتُوا وَارْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٦٢﴾

قال مقاتل بن حيان: كان بين النبي ﷺ وبين اليهود مودعة، فكانوا إذا مر بهم رجل من الصحابة، جلسوا يتناجون بينهم، حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله، أو بما يكرهه، فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى، فلم ينتهوا، فأنزل الله: ﴿ ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ﴾ الآية. وقالت عائشة: جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: السلام عليك يا أبا القاسم، فقلت: السلام عليكم، وفعل الله بكم، ونزلت آية: ﴿ وإذا جاؤوك ﴾.

٩- يا أيها المؤمنون في الظاهر إذا تحدثتم سراً، فلا تحدثوا بما يوقع في الذنب والمعصية، ولا بما فيه ظلم واعتداء، وعصيان أوامر الرسول، كما يفعل المنافقون، ولكن تناجوا بما يتفق مع الطاعة والخير وترك المعصية، واتقوا الله بامثال أمره واجتناب نهيه، الذي تجمعون إليه يوم القيامة، فيجازيكم بأعمالكم. والبر: كل ما فيه خير.

١٠- إنما النجوى بالإثم والعدوان من وسواس الشيطان لا من الرحمن، لإيقاع المؤمنين في الحزن، وليس الشيطان بضار المؤمنين، إلا بمشيئته وإرادته، وعلى الله فليعتمد المؤمنون، ويفوضوا الأمر إليه في جميع شؤونهم. قال قتادة: كان المنافقون يتناجون بينهم، وكان ذلك يغيظ المؤمنين، ويكبر عليهم، فأنزل الله هذه الآية.

١١- يا أيها المؤمنون إذا قيل لكم: توسعوا في المجالس لغيركم من القادمين، يوسع الله لكم في رحمته من المكان والصدر والرزق والجنة وغيرها، وإذا قيل لكم: انهضوا للتوسعة على القادمين، فانهضوا دون تباطؤ، ويرفع الله المؤمنين منكم منزلتهم في الدنيا وفي الجنة، ويرفع العلماء منهم خاصة درجات في الكرامة وعلو المنزلة في الدنيا والآخرة، لجمعهم بين العلم والعمل، والله خير بأعمالكم كلها. وهو تهديد لمن لم يمتثل الأمر. قال قتادة: كانوا إذا أوا من جاءهم مقبلاً، ضنوا بمجلسهم عند رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية.



يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَجَمَّعَ الرَّسُولُ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُحُكُمُ
صَدَقَهُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿١٢﴾ وَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُحُكُمُ صَدَقَتْ فَأَذَلُّوا لَكُمْ
وَأَبَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَتِمُّوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ عَالِمُ السُّهُلِ ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمُ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمُ يُحْلِفُونَ عَلَى
الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ
مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
فَأُولَئِكَ عَذَابُ مُبِينٍ ﴿١٦﴾ لَنْ يَغْنَى عَنْهُمْ مَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَسْمَعُهُمُ اللَّهُ
جَمِيعًا يَحْلِفُونَ لَهُ لَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ
هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَخَفَّوْا عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَلْسَنَهُمْ وَكَّرَ
اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَسِرُونَ
﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَسْلُمُونَ عَلَيْهِمْ لُحُفٌ مِنْ أُولَئِكَ
وَأُولَئِكَ يَرْجُونَ كِتَابَ اللَّهِ لِأَخْلَاقٍ أَنَا أُورِثُهَا إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٠﴾

الله هذه الآية.

١٥- أعد الله لهؤلاء المنافقين عذاباً شديداً في الآخرة بسبب أفعالهم المذكورة في الآية السابقة، إنهم قبح ما كانوا يعملون من المعاصي، وموالاة الأعداء.

١٦- اتخذ المنافقون أيمانهم التي يحلفون بها أنهم مسلمون وقاية وسترأ على أنفسهم من المواجهة، فصعدوا (منعوا) الناس عن الإسلام بالتحريش والتشيط، فلمهم عذاب يهينهم ويلتهم. وهو وعيد ثان وتهديد بالعذاب.

١٧- لن تفيدهم أموالهم وأولادهم في درء العذاب عنهم، أولئك الموصوفون بهذه الصفات أهل النار، هم ما تكون فيها على الدوام، لا يموتون ولا يخرجون منها.

١٨- اذكر لهم يوم يبعثهم الله جميعاً من قبورهم للحساب والجزاء، فيحلفون لله كذباً، كما يحلفون لكم في الدنيا أنهم مؤمنون، ويظنون بأيمانهم الكاذبة أنهم على شيء من نفع حلفهم في الآخرة كالدنيا، ألا إنهم هم الكاذبون في أيمانهم وأقوالهم. قال ابن عباس: نزلت في شأن ابن نبتل المذكور الذي دعا أصحابه الذين سمعوا شتمه لرسول الله ﷺ، فحلفوا له ما قالوا وما فعلوا، فأنزل الله هذه الآية.

١٩- استولى عليهم الشيطان بوسوسته وإغرائه، فأنساهم تذكر الله والعمل بطاعته، أولئك أتباع الشيطان، ألا إن أتباعه وأعدائه هم الخاسرون خسارة كبرى لتركه الطاعة والإيمان.

٢٠- إن الذين يعادون الله ورسوله يترك أوامره، أولئك في عداد المغلوبين الأذلاء.

٢١- قضى الله وحكم في علمه السابق واللوح المحفوظ: لأغلبن بالحجة والقوة أنا ورسلي كل من عاداني، إن الله قوي على نصر عباده المؤمنين، غالب قاهر أعداء الجاحدين. نزلت حينما ترجى المسلمون فتح بلاد فارس والروم، فقال عبد الله بن أبي: أتظنون الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها، والله إنهم لأكثر عدداً وأشد بطشاً من أن تظنوا فيهم ذلك، فنزلت.

١٢- يا أيها المؤمنون إذا أجمعتم مناجاة الرسول سرراً والتحدث معه في أمر ما، فقدموا قبل المناجاة صدقة للفقراء، تعظيماً للرسول ﷺ، ذلك التصديق خير لكم عند الله تعالى، وأطهر للنفوس، فإن لم تجدوا صدقة، فلا بأس عليكم، والله غفور لمناجاتكم، رحيم بكم.

١٣- أخفتم الفقر في تقديم الصدقات للمحتاجين قبل مناجاة الرسول ﷺ؟ فحين لم تفعلوا الصدقة لمشقة عليكم، وتاب الله عليكم بترخيص الترك ورفع هذه المشقة، فأدوا الصلاة المفروضة بأوقاتها، والزكاة المفروضة بمواعيدها، وداوموا على ذلك، وأطيعوا الله ورسوله في سائر الأوامر، والله خبير بما تعملون ظاهراً وباطناً، فمجازيكم بأعمالكم. قال ابن عباس: إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه، فأنزل ﴿إِذَا جِئْتُمُ الرُّسُولَ...﴾ فلما نزلت، صبر كثير من الناس، وكفوا عن المسألة، فأنزل الله بعد ذلك: ﴿أَشْفَقْتُمْ...﴾.

١٤- ألم تنظر أيها النبي وتتعجب من المنافقين الذين والوا وادّوا قوما هم اليهود، سخط الله عليهم، ما هم منكم أيها المؤمنون ولا من اليهود بل هم مذنبون بين الفريقين، ويحلفون على الكذب وهو ادعاء الإسلام وكونهم من المؤمنين، وهم يعلمون أنهم كاذبون في المحلوف عليه. قال مقاتل والسدي: بلغنا أن هذه الآية نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق، كان يجالس النبي ﷺ، ثم يرفع حديثه إلى اليهود، فعاتبه الرسول، فحلف بالله ما فعل ذلك، فأنزل

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ
كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ وَأُكِدَتْ لَهُمْ رُوحُ صَلَاتِهِمْ وَبَدَّ لَهُمْ حَسْبُ
نَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُوَ الْمُطِيقُونَ ﴿٣١﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ
الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ
الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ
مِنَ اللَّهِ فَأَنَّ اللَّهَ مِنْ حَيْثُ أَرَجْتَ لَيَحْبِسُنَّاهُ وَقَدْ فِ قُلُوبِهِمْ
أَرْعَبٌ يَخْرِبُونَ يَبُوتُهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا
يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ
لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٢﴾

٢٢- لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يحبون ويوالون من عادي الله ورسوله وخالف أحكامه، أي لا ينبغي لهم ذلك، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو أقرباءهم، أي ولو كان للحادون لله ورسوله آباء الموالدين. إلخ فالإيمان يمنع ذلك، أولئك المؤمنون الذين لا يوادون المحادين، أثبت الله الإيمان في قلوبهم، وقواهم بنور يقذفه في قلوبهم، ويدخلهم جنات تجري من تحت بساتينها الأنهار، ماكثين فيها إلى الأبد، رضي الله عنهم بطاعته، وقبل منهم، ورضوا عنه بشوابه الذي وعدهم به، أولئك جند الله وأنصار دينه، ألا إن هؤلاء الأنصار هم الفائزون بخيري الدارين. قال عبد الله بن شوذب: نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر: ﴿لا تجد قوماً...﴾.

سورة الحشر

فضلها: أخرج أحمد والترمذي عن معقل ابن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وكُلَّ الله به

سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يُمسي، وإن مات في يومه، مات شهيداً، ومن قرأها حين يُمسي فكذلك» قال الترمذي: حديث حسن غريب.

١- نزه الله تعالى عن كل ما لا يليق به -ولام ﴿الله﴾ مزيدة- كل ما في السموات والأرض، وهو القوي الغالب في ملكه، الحكيم في صنعه وتدييره. أخرج البخاري عن ابن عباس قال: سورة الأنفال نزلت في بدر، وسورة الحشر نزلت في بني النضير.

٢- الله سبحانه هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب وهم يهود بني النضير الذين كانوا مع طوائف اليهود الثلاثة يقيمون في المدينة، من مساكنهم حول المدينة في الحشر أو الجمع الأول للإخراج من المدينة إلى خيبر، وآخر الحشر: إخراج اليهود من خيبر وإجلاؤهم في زمن عمر رضي الله عنه من جزيرة العرب إلى الشام؛ لأنهم غدروا بالنبي ﷺ بعد أن عاهدوه، وتآمروا عليه مع المشركين، فحاصروهم رسول الله ﷺ حتى رضوا بالجللاء، ما ظننتم أيها المؤمنون أن يخرجوا من ديارهم، لشدة بأسهم ومنعتهم، واعتقلوا أن حصونهم تمنعهم من بأس الله وعذابه -والحصون: القلاع المشيدة- فجاءهم عذاب الله وأمره بالجللاء، من حيث لم يخطر لهم ببال، لثقتهم بأنفسهم، وألقى بقوة في قلوبهم الخوف، وملاها رعباً، يخربون بيوتهم من الداخل بأيديهم لئلا يسكنها المسلمون، وبأيدي المؤمنين من الخارج لتصفية آثارهم، فاتعظوا أيها المؤمنون بحالهم يا أولي العقول البصيرة. والحشر: إخراج جمع من مكان إلى آخر، وأضيف (أول) إليه كإضافة (جميل) للصبر، أي الصبر الجميل، والحشر الأول. والبصيرة: نور القلب.

٣- ولولا أن قضى الله على يهود بني النضير بالجللاء: الطرد من الديار، لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي، كما فعل ببني قريظة، ولهم في الآخرة عذاب جهنم.

٤ - ذلك الإجماع بسبب معاداتهم الله ورسوله بمخالفة الأوامر، ومحاولة قتل النبي ﷺ ومن كان يعادي الله ويعصيه، فإن الله شديد العقاب لمن عاداه.

٥ - ما قطعتم أيها المؤمنون في المعارك لضرورات حربية من شجر نخيل، أو تركتموها قائمة على جذوعها، فبإرادة الله ومشيتته، وليذل الخارجين عن طاعته، المنحرفين عن شريعته. أخرج الشيخان عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ حرق بني النضير - أي أشجارهم - وقطع ودي - صغار النخل - البويرة، فأنزل الله: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ... ﴾.

٦ - ما جعله الله فينا للرسول ﷺ كأموال النضير - والفيء: ما أخذ من أموال الكفار الأعداء من غير قتال - فما أسرعت فيه لقتال عدوكم بركوب خيل ولا ركائب إيل، ولم تتعرضوا فيه للمشاق والشدائد، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء من عباده، بإلقاء الرعب والاستسلام بلا قتال، والله تام القدرة على كل شيء.

٧ - ما أعاد ورد - أي صير - الله على رسوله من غنائم أهل البلاد الكافرة، فله الأمر فيه كما يشاء، ولرسوله يتفق منه على أهله ونفسه، ولأقربائه من بني هاشم وبني المطلب الذين لا تحل لهم الصدقة، حفظاً لرفعتهم ورقبيتهم، ولليتامى الذين فقدوا آباءهم، ولذوي الحاجة من الفقراء والمساكين، ولابن السبيل: النقط أثناء سفره عن الوصول لبلده، لئلا يكون مال الفيء متداولاً بين الأغنياء فقط، وما أعطاكم الرسول فخذوه، وما منعكم عنه فانتهاوا عنه، واتقوا الله بالتزام أوامره واجتناب نواهيه، إن الله شديد العقاب لمن عصاه وخالفه.

٨ - يعطى الفيء لذوي الحاجة المهاجرين الذين طردوا من ديارهم في مكة، وأخرجوا من أموالهم يطلبون أن يوسع الله عليهم من فضله وإحسانه، ويتمسكون رضا الله عنهم، ويناصرون دين الله ورسوله بالجهاد بالنفس والمال، أولئك هم الصادقون في إيمانهم وجهادهم.

٩ - ويعطى من الفيء الذين سكنوا المدينة وهم الأنصار، ولزموا الإيمان ورضوه وأخلصوا العمل لله، من قبل هجرة المهاجرين، يحبون المؤمنين الذين هاجروا إليهم، ولا يجدون في صدورهم مرضاً نفسياً كالخسد والغيظ، فلا يحسدون المهاجرين على ما خصوا به من أموال الفيء، ويُقدِّمون ويفضلون إخوانهم المؤمنين على أنفسهم، ولو كان بهم فقر وحاجة، ومن كان يمنع ويحرم من بخل نفسه، وهو حب المال وبغض الإنفاق، فأولئك هم الفائزون بالثواب العاجل والأجل وبالسعادة الحقيقية. أخرج ابن المنذر عن زيد الأصم: أن الأنصار قالوا: يا رسول الله، أقسم بيننا وبين إخواننا المهاجرين الأرض نصفين، قال: لا، ولكن تكفونهم المؤنة، وتقاسمونهم الثمرة، والأرض أرضكم، قالوا: رضينا، فأنزل الله: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ... ﴾.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَكَانَ اللَّهُ شَدِيدَ الْعِقَابِ ﴿٥﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أَصُولِهَا فَإِذَا فِي اللَّهِ وَنَحَرْتُمْ لِنَفْسِكُمْ ﴿٦﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمَا مَا أَوتِيتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَرَكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٨﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا آلَ الْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾

١٠- ويعطى من الفيء الذين جاؤوا من بعد المهاجرين إلى المدينة والأنصار، وهم التابعون لهم بإحسان إلى يوم القيامة، يقولون: ربنا اغفر لنا ولإخواننا السابقين بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا حكماً وحسداً لجميع المؤمنين، ربنا إنك الرؤوف بخلقك، تنزل أسباب البلاء والشقاء، واسع الرحمة بهم تجزول الإحسان والعطاء لهم.

١١- ألم تنظر أيها النبي إلى المنافقين الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، كعبد الله بن أبي وصحبه يقولون لإخوانهم الكفرة من اليهود كني النضير وغيرهم: والله لئن أخرجتم من دياركم لنخرجن معكم، ولا نطيع أبداً أحداً من المسلمين في قتالكم وخذلانكم، وإن قاتلكم المسلمون لنعاوننكم على عدوكم، والله يشهد إنهم لكاذبون فيما يقولون، لعلمه بأنهم لا يفعلون ذلك. قال السُّدِّي: أسلم ناس من أهل قريظة، وكان فيهم منافقون، وكانوا يقولون لأهل النضير: ﴿لئن أخرجتم...﴾ فنزلت هذه الآية: ﴿ألم تر...﴾.

١٢- والله لئن أخرجوا من الديار لا يخرجون

معهم، وإن قوتلوا لا يساعدونهم ولا يؤازرونهم، وإن جاؤوا لنصرتهم على سبيل الفرض مضطرين، ليفرن هارين منهزمين، ثم لا يجدون نصراً من الله بعدئذ، بل نخذلهم، ولا ينفعهم نصرة المنافقين.

١٣- لأنتم أيها المؤمنون أشد خوفاً ومرهوبة في صدور المنافقين واليهود من الخوف من الله، ذلك بسبب أنهم قوم لا يعلمون عظمة الله حتى يخشوه.

١٤- لا يقاتلونكم أي اليهود مجتمعين إلا ضمن قرى محصنة بالحصون والخنادق أو من خلف الحيطان، لفرط رهبتهم، عداوة بعض اليهود والمنافقين لبعض شديدة؛ لأن اليهود لهم دين، والمنافقون مشركون، تظنهم مجتمعين متفقين، وقلوبهم متفرقة لافتراق عقائدهم، وتغاير مقاصدهم، بسبب أنهم لا يدركون الحق وما فيه صلاحهم.

١٥- مثل اليهود والمنافقين كمن تقدمهم من المشركين الذين قتلوا وعذبوا في زمان قريب في معركة بدر قبل إجلائهم بستة أشهر، ذاقوا سوء عاقبة كفرهم في الدنيا من القتل وغيره، ولهم عذاب مؤلم في الآخرة. والوبال: الثقل والشدة، ومنه مطر وبيل، أي ثقیل القطر، والمراد هنا: أنه مؤذ.

١٦- مثل المنافقين في إغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان حين أغرى الإنسان فقال له: اكفر، وزينه له، فلما كفر بربه، قال الشيطان: إني بريء منك، إني أخشى الله رب العالمين.

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَيَنَّ الْأَدْبَارُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يَتَّبِعُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فَرَى مُخِصَّةً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حُجُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ كَذَلِكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَرَقَوْا وَقَالُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا قُلُوبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَذَلِكَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾



١٧- فكان عاقبة الشيطان الغاوي والإنسان المغوي أنهما في النار، حال كونهما ماكثين أبداً فيها، وذلك الخلود في النار جزاء الكافرين الذين ظلموا أنفسهم.

١٨- يا أيها المؤمنون اتقوا الله بفعل أوامره وترك نواهيه، ولتنظر كل نفس أي عمل صالح قدّمته ليوم القيامة، واتقوا الله: للتأكيد، إن الله خبير بأعمالكم لا يخفى عليه شيء، وهو مجازيكم عليها.

١٩- ولا تكونوا معشر المؤمنين كالذين تركوا أوامر الله وحقوقه، فلم يطيعوه وشغلّتهم الدنيا، فعاقبهم الله بأن أنساهم حق أنفسهم، فلم يقدموا لها خيراً ينفعها في الآخرة، أولئك هم الخارجون تماماً عن طاعة الله تعالى.

٢٠- لا يتساوى عند الله يوم القيامة أهل النار الذين قصروا في العمل وأهل الجنة الذين أدّوا ما يجب عليهم، أهل الجنة هم الفائزون بالنعيم المقيم وراضوان الله، الناجون من عذابه.

٢١- لو أنزلنا هذا القرآن على جبل، وجعلناه

يدرك ما فيه من عظمة ووعظ وشان، لرأيتُه خاضعاً متشققاً من خوف الله، تعظيماً وخوفاً من عقابه، وتلك الأمثال المذكورة في القرآن نضربها للناس ليتفكروا ويتعظوا ويتوبوا. والمراد بالكلام: التمثيل لقساوة قلب الإنسان، وترك الخشوع عند سماع القرآن الكريم.

٢٢- هو الله الذي لا إله يستحق العبادة سواه، ولا رب بحق غيره، العالم بكل ما غاب عن الحس والمشاهدة، وبالماديات والمريثات المحسوسة، أي يستوي في علمه ما غاب وما حضر، الواسع الرحمة بجميع العباد، والدائم الرحمة.

٢٣- هو الله الذي لا إله معبود بحق غيره، المالك كل شيء والمتصرف فيه، المنزه عن كل نقص، الطاهر من كل عيب، السالم من كل نقص وعيب، المسلّم من جميع المخاطر، مانح الأمان لعباده من الظلم أو المصدق رسله فيما بلغوه عنه، صاحب السلطان الرقيب على عباده، القوي الغالب، صاحب العظمة أو الجبروت، الذي يخضع له كل شيء، البليغ الكبرياء والاستعلاء المترفع عن كل نقص، تنزه الله عما يصفه به المشركون من الصاحبة والولد والشريك.

٢٤- هو الله المقدرّ للأشياء على مقتضى حكمته وإرادته، وهذا هو المراد هنا، ويطلق الخالق أيضاً على المنشئ الموجد للشيء من العدم، الباري، أي المنشئ من العدم وهو معنى الخالق بالمعنى الثاني، الموجد للأشياء بالصورة التي قدرها له، له الأسماء الدالة على معانٍ في منتهى الحسن، ينزه الله جميع المخلوقات في السموات والأرض، وهو القوي الغالب الذي لا يُغلب، الذي يقضي بالحكمة في جميع أموره.

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ مِنْكُمْ نَفْسٌ مَّقْدَمَتٌ لِّقَوْمٍ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشَعًا مُّتَصِّدِعًا مِّمَّنْ خَشِيَ اللَّهَ وَنَبْذُلُكَ الْآمِثَلِ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْقِيَامُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَلَمْ يَكُنْ لَكَ قُدْرَةٌ أَلَمْ يَكُنْ الْمَوْجِدُ الْمُعِينُ أَلَمْ يَكُنْ لَكَ جَبَارٌ مِّنْكَ كَرِهُنَّ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلَّاقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾



سورة المتحنة

١- يا أيها المؤمنون لا تتخذوا عدوي وعدوكم : وهو الكافر أو المشرك الذي لم يؤمن بما أنزل الله في كتبه أصدقاء وأنصاراً - والعدو يطلق على الواحد والجمع - توادونهم بإطلاعهم على أخبار النبي والمؤمنين ، أي تلقون إليهم بأسرار المؤمنين بسبب المودة بينكم وبينهم ، وهم قد كفروا بما جاءكم من الحق ، أي دين الإسلام والقرآن ، يخرجون الرسول وإياكم من مكة ، لأجل إيمانكم بالله ورسوله ، فلا تتخذوا عدوي أنصاراً إن كنتم خرجتم من دياركم للجهاد في سبيلي ، ومن أجل طلب رضائي ، تبلغونهم بالأخبار سرّاً سبب المودة ، وأنا أعلم من كل أحد بما أضمرتم وما أظهرتم ، وهذا تخويف بأنه تعالى يعلم كل شيء ، ومن يتخذهم أولياء أو أنصاراً ، فقد أخطأ طريق الحق الذي هو الطريق المستوي . نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى مشركي قريش يخبرهم بمسير النبي ﷺ إليهم في غزوة الفتح سنة ثمان هجرية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ
إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ
وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي
وَأُتِيََاءَ مَرْضِيَائِي فَسُرُونِ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ
وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ إِنْ
يَقْفُوكُمْ يَكُونُوا الْكُفْرَاءَ وَيَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَسْنَانُهُمْ
بِالشُّوِّ وَوَدُّوا لَوْ كَفَرُوا ۝ لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أُولَادَكُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ قَدْ
كَانَتْ لَكُمْ أَسْوَءُ حَسَنَةٍ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا
لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كُفَرًا بَدَلًا
يَبْنَاءُ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ الْهَذَا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ
رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْخَيْرُ الْمَحْضُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآخِرُ رُسُلْنَا إِنَّكَ أَنْتَ أَعَزُّ رَبٍّ أَكْبَرُ ۝

٢- إن يظفروا بكم وهم المشركون ، يظهروا لكم العداوة المتمكنة في قلوبهم ، ويمدوا إليكم أيديهم بالقتل والأسر ، وأستهتّم بالسب والشتم ، وتمنوا كفركم ورجوعكم عن دينكم .

٣- لن تنفعكم أيها المؤمنون قرباتكم ولا أولادكم الذين توالون المشركين لأجلهم ، في يوم القيامة ، يُفَرِّقُ الله بينكم وبينهم ، فيدخل الطائعين الجنة والعصاة النار ، والله مطلع على أعمالكم يرى كل شيء ، ولا يخفى عليه شيء .

٤- قد كانت لكم قدوة حميدة في إبراهيم الخليل قولاً وفعلًا ، وفي الذين آمنوا معه من المؤمنين ، حين قالوا لقومهم المشركين : إنا بريئون منكم ، ومن آلهتكم المعبودة من غير الله وهي الأصنام ، كفرنا بما آمنتكم به من الأوثان ، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغض والكرهية إلى أن تركوا ما أنتم عليه من الشرك ، لكن استثناء من القدوة الحسنة قول إبراهيم لأبيه آزر : لأستغفرن لك الله ، فلا تتأسوا به ، فتستغفروا للمشركين ، ولست أملك لك من الله شيئاً ، ولا أدفع عنك عذاباً ، ربنا فوضنا أمرنا إليك ، ورجعنا وتبنا ، وإليك المرجع والمآب .

٥- ربنا لا تجعلنا مفتونين في ديننا بأن تسلط الأعداء الكفار علينا ، فيعذبونا بعذاب لا نتحمله ، واغفر لنا خطايانا وذنوبنا ، إنك أنت القوي الغالب الذي لا يقهر ، الحكيم في تدبيرك وصنعك ، حكمة بالغة .



لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَمَن تَوَلَّى اللَّهَ هُوَ الْعَقْلُ الْحَيُّ ١ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمُوهُمْ مَّوَدَّةً وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
٢ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم
مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
٣ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُم فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن
دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْنَاكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ٤ بَاتِلُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ
مُهَاجِرَاتٍ فَاصْنَعُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ
فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَمِّنَ جُلُوسُهُنَّ عَلَى الْكُفَرَاءِ وَلَوْ كُنَّ
تَمَآ أَنفُسًا وَلَا جَنَاحَ عَلَيْهِنَّ أَن يَتَكَبَّرَهُنَّ إِذْنَآ يَتَّبِعُهُنَّ الْجُورُ
وَلَا تَعْسَكُنَّ بِعَصَمِ الْكُفَّارِ وَتَسْلَوْنَ أَمَّا أَنْفُسُهُنَّ فَهُنَّ مُؤْمِنَاتٌ
وَلَا يَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَكُمْ بَيْنَهُنَّ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥ وَإِن فَاتَكُمْ
شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَمَا يَقْتُمْ فَتَاوُا الَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَزْوَاجُهُمْ قَاتِلُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَتَوْا اللَّهَ الَّذِي أَنزَلَ بِهِ مَوَدَّةَ

٦ - لقد كان لكم أيها المؤمنون في إبراهيم والذين آمنوا معه قدوة حسنة لمن كان منكم يرجو أو يطمع في ثواب الله وفي فضل الآخرة والنجاة من العذاب، ومن يعرض عن ذلك، فإن الله هو الغني عن خلقه، المستحق الحمد في جميع أفعاله.

٧ - لعل الله يجعل بينكم أيها المؤمنون وبين أعدائكم المشركين محبة ومودة، بأن يسلموا، فيصبحوا إخواناً لكم في الإيمان، والله قادر على تأليف القلوب والهداية إلى الإيمان، والله واسع الغفرة لمن تاب، رحيم بمن أناب من المؤمنين. لما نزلت الآية المتقدمة عادى المؤمنون أقرباءهم المشركين في الله، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿عسى الله...﴾ ثم فعل ذلك بأن أسلم كثير منهم، وصاروا لهم أولياء وإخواناً، وخالطوهم.

٨ - لا ينهاكم الله عن بر وإكرام الذين لم يقاتلوكم من أجل دينكم ولم يطردوكم من دياركم، كصلة الرحم، ومودة الجار، والضيافة، ولا ينهاكم أن تعاملوهم بالعدل، إن الله يحب العادلين المنصفين. والمراد لا ينهى الله عن مودة المعاهدين وعن معاملتهم بالعدل.

٩ - إنما ينهاكم الله معشر المؤمنين عن بر المقاتلين لكم في الدين والذين أبعدوكم عن دياركم، وهم زعماء

الكفر من قريش، وعاونوا الذين قاتلوكم على إخراجكم من دياركم، وهم سائر المكين ومعاهدتهم، ينهاكم عن اتخاذهم أنصاراً وحلفاء، ومن يتخذهم أنصاراً، فأولئك هم الظالمون لأنفسهم، لعداوتهم الله ورسوله وقرآنه.

١٠ - يا أيها المؤمنون إذا جاءكم اللواتي آمن حديثاً مهاجرات من مكة إلى المدينة بعد صلح الحديبية الذي يتضمن شرط رد الرجال المسلمين لا النساء، فاختبروهن، للتأكد من صدق رغبتهن في الإسلام، الله أعلم بإيمان هؤلاء النساء المهاجرات، فإن علمتموهن بعد الامتحان مؤمنات، فلا تردوهن إلى أزواجهن الكفار، لأنه لا تحل المؤمنات للكفار، ولا يحل للكفار التزوج من المسلمات، وأعطوا أزواج هؤلاء المهاجرات ما أنفقوا عليهن من المهور، ولا إثم عليكم أن تتزوجوهن بعد إسلامهن إذا دفعتم إليهن مهورهن، ولا تمسكوا بعقود الزواج من المشركات، لاختلاف الدين، واطلبوا ما أنفقتم من مهور أزواجكم اللاتي ارتددن ولحقن بالكفار، وليطلب الأزواج الكفار ما أنفقوا من مهور نسائهم المهاجرات إليكم، ذلك إرجاع المهر من الجانبين هو حكم الله مع المشركين بعد صلح الحديبية، بخلاف من لا عهد لهم، يحكم الله بينكم بالعدل، والله واسع العلم بأمور عباده، لا يشرع لهم إلا ما فيه الحكمة قولاً وفعلًا. أخرج البخاري ومسلم عن المسور ومروان بن الحكم أن رسول الله ﷺ لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية، جاءه نساء من المؤمنات، فأنزل الله هذه الآية.

١١ - وإن انفلت منكم امرأة ولحقت بالكفار مرتدة، فكانت لكم مغنم القتال بعد الحرب، فأعطوا الذين ذهب أزواجهن من الغنيمة مهور أزواجهن، بدل الفاتت عليهن من جهة الكفار حيث لم يردوا المهور، وخافوا الله الذي أمتهم به، فلا تخالفوا أوامره. قال الحسن: نزلت في أم الحكم بنت أبي سفيان ارتدت، فتزوجها رجل ثقيفي، ولم ترد امرأة من قريش غيرها. وعاقبتهم: أصبتم الكفار بعقوبة، أي هزيمة في حرب وغنيمة.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَاعِنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ
بِاللهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ
بِهِنَّ بِزِينَةٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَأَنْجُلِيهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي
مَعْرُوفٍ قَبَائِعُهُنَّ وَأَسْتَغْفِرُ لهنَّ اللهُ إِنَّ اللهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَدْ
يَسْأَلُونَ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ مِنَ أَهْلِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَمِعَ اللهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُكْسِرُونَ ﴿١٤﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١٥﴾ كَذِبٌ مِمَّا عِنْدَ
اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ
فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ ثِيَابٌ مَرْصُومٌ ﴿١٧﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى
لِقَوْمِهِ يَتَقَوُّوا لِتُؤْذَنُوا وَقَدْ خَلَقْنَا أَنْزِلَ رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا
زَاغُوا زَاغَ اللهُ قُلُوبُهُمْ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٨﴾

١٢ - يا أيها النبي إذا جاءك النساء المؤمنات يباعنك على أن لا يشركن
أو المعاهدة على الإسلام، على ترك الشرك بالله، والسرقة،
والزنى، وقتل أولادهن خوف الفقر أو العار، والإتيان بشيء
كذب بأن يلحقن بأزواجهن أولاداً لقطعه ليسوا منهم.
والمعروف: هو كل أمر وافق طاعة الله أو أمر عرف حسنه
شرعاً وعقلاً، كترك النواح وعزيق الثياب وجز الشعر وشق
الجيب وغير ذلك من تقاليد الجاهلية، فبايعهن على الإسلام
والطاعة، واطلب المغفرة لهن على سالف ذنوبهن، إن الله
واسع المغفرة والرحمة. نزلت يوم الفتح، فإنه ﷺ لما فرغ
منبيعة الرجال، أخذ فيبيعة النساء.

١٣ - يا أيها المؤمنون بالله ورسوله لا تتخذوا أنصاراً قوماً
سخط الله عليهم، قد يسئوا من نعيم الآخرة وخيرها لكفرهم
بها، كما يشك الكفار من بعث موتاهم من القبور، أي
رجوعهم أحياء إلى الدنيا. والكفار هم المغضوب عليهم،
ولما عبر عنهم بالوصف بدل الضمير لبيان سبب الغضب.
قال ابن عباس: كان عبد الله بن عمر وزيد بن الحارث
يوافقان رجلاً من يهود، فأنزل الله هذه الآية: ﴿يا أيها
الذين آمنوا لا تتولوا...﴾.

سورة الصف

فضلها: أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن سلام قال: تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله ﷺ، فيسأله: أي الأعمال أحب إلى الله؟
فلم يبق أحد منا، فأرسل رسول الله ﷺ إلينا رجلاً رجلاً، فقرأ علينا هذه السورة، يعني سورة الصف كلها.

١ - نزه الله عما لا يليق به جميع ما في السموات وما في الأرض من المخلوقات، مما يدل على مشروعية التسبيح في كل
وقت، وهو القوي الذي لا يغلب، الحكيم في أقواله وأفعاله.

٢ - يا أيها المؤمنون لماذا تقولون: قد فعلنا شيئاً، مع أنكم لم تفعلوا. والمقصود التائب على الكذب في طلب الجهاد وغيره،
أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: وددنا لو أن الله دلنا على أحب
الأعمال إليه، ففعلنا به، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إليه إيمان بالله لا شك فيه، وجهاد لأهل معصيته الذين جعدوا
الإيمان به، وإقرار برسالة نبيه ﷺ، فلما نزل الجهاد، كره ذلك ناس من المؤمنين، وشق عليهم أمره، فأنزل الله هذه الآية.

٣ - ثم ذم الله هؤلاء المتقولين بأن الله يمقت. والمقت أشد البغض. ذلك مقتاً عظيماً. و ﴿كبر﴾ عظم ويشع، و ﴿مقتاً﴾ عظم
كرهاً لكم عند الله قولكم ما لا تفعلون.

٤ - إن الله يرضى عن الذين يقاتلون في سبيله ولإعلاء كلمته، صافين صفّاً واحداً، كأنهم ببيان متراس متماسك بعضه
ببعض، والمراد كأنه قطعة واحدة.

٥ - واذكر أيها النبي حين قال موسى لقومه: أيها القوم، لماذا تؤذونني بالعصيان ومخالفة أوامري بالشرائع المفروضة من الله
عليكم، وأنتم تعلمون يقيناً أنني رسول الله إليكم، والرسول يطاع ويحترم، فلما مالوا عن الحق وانحرفوا عن الهدى والصواب،
أمال الله قلوبهم عن الحق وزادها بعداً عن الصواب، جزاء بما فعلوا، والله لا يوفق لمرقة الحق القوم الخارجين عن الطاعة.

٦- واذكر أيها الرسول حين قال عيسى ابن مريم: يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم موبداً ومصداً لما تقدمني من الكتب كالطوراة والزبور، ومبشراً بجمي رسول يأتي بعدي اسمه أحمد، أي كثير الحمد له، فلما جاءهم عيسى بالمعجزات والأدلة الدالة على صدقه، قالوا: هذا سحر واضح.

٧- ولا أحد أشد ظلاماً من افترى على الله الكذب بأن أشرك به، وهو يدعى إلى توحيد الله وطاعته واتباع شرعه، والله لا يوفق للحق والخير القوم الذين ظلموا أنفسهم بالكفر.

٨- يريد الكفار بتكذيبهم الرسل أن يطلوا شرع الله بأقوالهم المقترة عن القرآن: إنه سحر أو شعر أو كهانة، والله مظهر دينه وناشره في الآفاق، ولو كره الكفار الجاحدون ذلك. قال ابن عباس: إن النبي ﷺ أبطأ عليه الوحي أربعين يوماً، فقال كعب ابن الأشرف: يا معشر اليهود، أبشروا، فقد أطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه، وما كان ليتم أمره، فحزن رسول الله ﷺ فانزل الله تعالى هذه الآية، واتصل الوحي بعدها.

٩- الله هو الذي أرسل بالقرآن البالغ النهاية في الهداية، كانه الهدى نفسه، ليعليه على جميع الأديان، ولو كره المشركون ذلك، لما فيه من التوحيد.

١٠- يا أيها المؤمنون المصدقون بالله ورسوله، هل أدلكم على عمل رابح بمنزلة التجارة، يؤدي إلى دخول الجنة

والنجاة من النار، ويخلصكم من عذاب مؤلم موجه يوم القيامة؟ وهو الإيمان والجهاد المذكوران في الآية التالية. أخرج ابن جرير عن أبي صالح قال: قالوا: لو كنا نعلم أي الأعمال أحب إلى الله وأفضل؟ فنزلت هذه الآية، فكروها الجهاد، فنزلت آية: ﴿لم تقولون ما لا تفعلون﴾ السابقة.

١١- تصدقون تصديقاً تاماً بالله ورسوله، من غير أي شك ولا شرك، وتجاهدون في سبيل الله بالأموال والأنفس، ذلكم الإيمان والجهاد خير لكم من الدنيا، إن كنتم تعلمون لا تجهلون ذلك، فافعلوا. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبیر قال: لما نزلت آية ﴿هل أدلكم على تجارة﴾ [١٠] قال المسلمون: لو علمنا ما هذه التجارة، لأعطينا فيها الأموال والأهلين، فنزلت: ﴿تؤمنون بالله...﴾

١٢- وهذا ثمن البضاعة المتاجر بها، إن تؤمنوا يغفر لكم ذنوبكم التي بدرت منكم، ويدخلكم في مساكن طاهرة خالصة ذات بهجة في بساتين إقامة دائمة، وذلك الجزء المذكور من المغفرة والجنة هو الفوز أو الظفر العظيم الذي لا فوز مثله.

١٣- ولكم عند ربكم ثوبة أخرى تعجبكم: هي نصر من الله لكم، وفتح قريب الحصول يفتح عليكم، وهو فتح مكة، وبشر أيها النبي معشر المؤمنين بالنصر والفتح في الدنيا، وبالجنة في الآخرة.

١٤- يا أيها المؤمنون، كونوا أنصار دين الله بأن تداوموا على اتباع الأوامر واجتناب النواهي، كما قال عيسى ابن مريم لأصفيائه وخواصه: من جنودي المتجهون إلى نصرة دين الله ودعوته؟ قال الأصفياء الخالص: نحن الذين ينصرون دين الله معك، فأمّنت طائفة من بني إسرائيل بدعوة عيسى عليه السلام، وجعلت طائفة أخرى يرسلته، فقوينا الذين آمنوا بالحجة أو بالحرب على أعدائهم المبطلين، بعد رفع عيسى، فصاروا غاليين لهم بالحجة والبينة. أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة في قوله: ﴿كونوا أنصار الله﴾ قال: قد كان ذلك بحمد الله، جاءه سبعون رجلاً، فبايعوه عند العقبة، وآووه ونصروه حتى أظهر الله دينه.

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُعْطِي إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَنُورِهِمْ وَاللَّهُ مَعَهُمْ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُجَنِّبُكُمْ عَنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَأْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَسُكُنَ مَطْنَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى يُجْزِيهَا أَنْصَرُ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِقَوْمِهِمْ إِنِّي بُرِّئُ مِنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ آخَرُؤُنَ مِنْ أَنْصَارِ اللَّهِ فَاَمْنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَرِهَ طَائِفَةٌ فَأَبْدَأُ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَاصْحَوْا أَظْهِرِينَ ﴿١٤﴾

سورة الجمعة

فضلها: روى مسلم عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين.

١- ينزه الله ويمجده جميع ما في السموات وما في الأرض من المخلوقات، صاحب الملك والسلطان، المنزه عما لا يليق به، المتصف بصفات الكمال، القوي الغالب الذي لا يقهر، الحكيم في صنعه وتبدير شؤون خلقه، يضع الأمور في موضعها الصحيح.

٢- هو سبحانه وحده الذي أرسل محمداً رسولاً في العرب الأميين: الذين لا يقرؤون ولا يكتبون، والمراد أكثرهم أمي، رسولاً من جملتهم، عربياً أمياً، يتلو عليهم آيات الله التي أنزلها في القرآن، مع كونه أمياً مثلهم، ويظهرهم من الشرك وخبث العقيدة والعمل، وسوء الأخلاق، ويعلمهم القرآن والسنة وفقه مقاصد الشريعة وأسرارها، وإن كانوا من قبل بعثته لفي خطأ بين واضح بعيد عن الصواب، وهو الشرك وخباثت الجاهلية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَسْجُدُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ
① هُوَ الَّذِي يَشْفَعُ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ رَسُولُهُ يَنْصَلِحُ الْأُمَمَ
وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
② وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْفُتْوْا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
③ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ
مَثَلُ الَّذِينَ خُلُوا فِي التَّوْرَةِ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ الْإِيمَانُ كَمَثَلِ الْخَمَارِ يَحْمِلُ أُنْفُسًا
يَسْتَسْقُونَ مِثْلَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ
④ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادَوْا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ
أُولِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَمَنْ مَلَائِكَةُ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
وَلَا تَحْمِلُونَهُ أَثْقَالًا بِمَا قَدَّمْتُمْ إِلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ
⑤ قُلْ إِنْ أَمُوتَ أَوْ قُتِلْتُ لَمَّا تَبْلُغُوا أَجَلَ اللَّهِ فَإِنَّ إِلَهَكُمْ يَوْمَ
إِلَهِكُمْ إِلَهُكُمْ إِلَهُكُمْ وَاللَّهُ يَوْمَ يَكُونُ لَكُمْ حَقُّ الْمَوْتِ لَا يَسْأَلُكُمْ
عَمَلَكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ فَلَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ

٣- ويزكي أقواماً آخرين منهم وبعثه إليهم، وهم من جاء بعد الصحابة من العرب إلى يوم القيامة، وهو الغالب الذي لا يغلبه أحد، في ملكه وتمكينه من النبوة، الحكيم في صنعه واختياره.

٤- ذلك الفضل المتميز بإرسال هذا النبي عن أقرانه هو فضل الله الذي يؤتیه من يشاء من عباده الذين اصطفاهم، والله صاحب الفضل العظيم الذي لا يساويه فضل على عباده.

٥- صفة اليهود الذين كلفوا العمل بالتوراة، ثم لم يعملوا بموجبها كمثل الخمار يحمل كتباً علمية نافعة، قبح هذا المثل مثل القوم المكذبين بالأدلة والمعجزات وآيات التنزيل الدالة على نبوة محمد ﷺ، والله لا يوفق للحق والخير القوم الظالمين أنفسهم بالكفر والتكذيب.

٦- قل أيها النبي: يا أيها اليهود إن زعمتُمْ أنكم أحباء الله وأصفياءه من دون الناس، فتمنوا من الله أن يمتحنكم لتحصلوا على أمنيته بقاء الله، إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم أولياء الله، فالولي يؤثر الآخرة، ومبدؤها الموت، فتمنوه.

٧- ولا يقع منهم تمنى الموت بسبب ما قدموا من الأعمال السيئة من الكفر والعصيان، والتحريف، والله عالم بالظالمين أنفسهم الكافرين، ويجازيهم على أعمالهم.

٨- قل أيها النبي لهم: إن الموت الذي تكرهونه، فإنه آت لاحق بكم لا محالة، ثم تردون إلى عالم الغيبات والحسيات المشاهدات، فيخبركم بأعمالكم، ويجازيكم عليها. وهذا تهديد ووعد.



٩- يا أيها المؤمنون إذا أذن للصلاة الأذان الثاني بين يدي الخطيب إذا جلس على المنبر يوم الجمعة، فامشوا إلى الصلاة والخطبة؛ لأنهما يذكر فيهما اسم الله، واتركوا البيع والشراء وكل ما يشغل عن أداء الصلاة، ذلكم السعي إلى ذكر الله وترك البيع خير لكم من مشاغل الدنيا ومعاملاتها؛ لما فيها من الثواب العظيم إن كنتم من أهل العلم بالخير والشر الحقيقيين، وإذا علمتم أنه خير فافعلوه.

١٠- فإذا أديت الصلاة وفرغ منها، فتوزعوا في الأرض، واطلبوا الرزق من فضل الله بالسعي، واذكروا الله كثيراً بقلوبكم وأستكم في مجالسكم المختلفة، بالحمد والتسبيح والتكبير والاستغفار ونحو ذلك كي تفوزوا بخير الدارين.

١١- وإذا رأى المصلون صلاة الجمعة تجارة وهي كل أنواع الكسب، أو لهواً كالطبول والمزامير ونحوها، انصرفوا مسرعين إلى التجارة واللهاو، وتركوا أيها النبي قائماً على المنبر وأنت تخطب، قل: ما عند الله من الجزاء العظيم وهو الجنة خير من اللهاو والتجارة اللذين ذهبتم إليهما، والله خير رازق ومعط، فتوكلوا عليه، واطلبوا الرزق منه. أخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي عن جابر

بأنها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿٩﴾ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴿١٠﴾ وإذا رأوا تجارة أو لهواً انطأوا إليها وتركوا ذكراً ما عند الله خير من التجارة والله خير الرازقين ﴿١١﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَدَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَاحِبَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُوَّ وَالْعُدُوَّ قُلْ لَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾



قال: كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ أقبلت عير (إبل محملة طعاماً) قد قدمت، فخرجوا إليها حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

سورة المنافقون

١- إذا جاءك أيها النبي المنافقون قالوا: نحلف بالله إنك رسول الله، لحماية أنفسهم وأموالهم، والله يعلم إنك لرسوله حقاً، وهذه جملة معترضة لإظهار العناية بحفظ مقام الرسول ﷺ، والله يعلم ويحلف، إن المنافقين كاذبون فيما ادعوه من الإيمان. والمنافق: من يظهر الإسلام ويبطن الكفر.

٢- اتخذوا أيمانهم الكاذبة وقاية ومستراً لهم من القتل والأسر وأخذ المال، فمنعوا الناس عن الدخول في الإسلام، إنهم قبيح ما كانوا يعملون من الكفر والفساد، والنفاق والصد.

٣- ذلك أي سوء أعمالهم بسبب أنهم آمنوا نفاقاً باللسان، ثم كفروا بالقلب وعادوا لكفرهم في الباطن، فحتم على قلوبهم بسبب كفرهم. والختم: كناية عن عدم استعدادهم لقبول الإيمان. فهم لا يفقهون حقيقة الإيمان.

٤- وإذا رأيت أولئك المنافقين تعجبك أجسامهم لضخامتها، وهيئاتهم لجمالها، وإن يتكلموا تنصت لقولهم وطلاوة أساليبهم لفصاحتهم وذلاتهم، كأنهم في مقام ومجالس الرسول ﷺ أخشاب منصوبة مستندة إلى الجدار، لخلوهم من الفهم والعلم النافع، يظنون أن كل صوت واقع بهم لجسنتهم وعلعهم، هم الأعداء لك أيها النبي وللمؤمنين. والعدو يطلق على الجمع والمفرد. لعنهم الله وطردهم من رحمته، كيف يصرفون عن الحق والإيمان بعد قيام البرهان؟!

٥- وإذا قيل للمنافقين: تعالوا يستغفر لكم رسول الله عما أصبتم من ذنوب، صرفوا وجوههم عن التكلم استكباراً، ورايتهم يعرضون عن القائل وعما دعوا إليه من الاستغفار، وهم مستكبرون عن التوبة. أخرج ابن جرير عن قتادة قال: قيل لعبد الله بن أبي: لو أتيت النبي ﷺ فاستغفر لك، فجعل يلوي رأسه، فنزلت فيه هذه الآية.

٦- سواء على هؤلاء المنافقين الاستغفار لهم أم عدم الاستغفار، فلا يتفهم ذلك، لإصرارهم على الكفر والنفاق، إن الله لا يوفق للحق والإيمان القوم الخارجين عن طاعة الله ورسوله. أخرج ابن جرير عن عروة قال: لما نزلت: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم..﴾ [التوبة ٨٠/٩] قال النبي ﷺ: لا يزيدن على السبعين، فأنزل الله هذه الآية.

٧- هم أي زعماء المنافقين الذين يقولون لأصحابهم الأنصار في المدينة: لا تنفقوا على من عند رسول الله من فقراء المهاجرين، حتى يتفرقوا عنه حين لا يجدون قوتهم، ويبد الله مفاتيح الرزق، فهو الرزاق لهؤلاء المهاجرين، ولكن المنافقين لا يعلمون أن خزائن الأرزاق بيد الله، لجهلهم بالله تعالى.

٨- يقول المنافقون: لئن عُدنا إلى المدينة من غزوة بني المصطلق ليخرجن الأعز- يعنون أنفسهم وهم المنافقون-

من المدينة الأذل وهم في زعمهم المؤمنون، وله العزة ولرسوله وللمؤمنين لا لغيرهم، أي القوة والغلبة لله وحده ولمن منحها من المؤمنين، ولكن المنافقين لا يعلمون أن العزة لله ولأصفيائه، لفرط جهلهم وغرورهم. أخرج الترمذي عن زيد بن أرقم: أن أعرابياً نازع أنصارياً في بعض الغزوات على ماء، فضرب الأعرابي رأسه بخشبة فشجته، فشكا إلى ابن أبي، فقال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، وإذا رجعنا إلى المدينة، فليخرج الأعز الأذل، عني بالأعز نفسه، وبالأذل: رسول الله ﷺ.

٩- يا أيها المؤمنون بالله ورسوله، لا تلهكم الأموال وفتنتها والأولاد ومحبتهم عن تذكر الله وهو أداء الفرائض أو العبادات الإسلامية، ومن يفعل ذلك وهو اللهو والانشغال بملاهي الدنيا، فأولئك هم الخاسرون في تجارتهم يوم القيامة، لأنهم باعوا الشيء العظيم الباقي بالخير القاني.

١٠- وأنفقوا أيها المؤمنون بعض أموالكم التي رزقناكم إياها في سبيل الخير، من قبل إثبات علامات الموت ودلائله، فيقول: يا رب هلاً أخرت موتي إلى مدة قريبة غير بعيدة، فأتصدق بمالي بالزكاة وغيرها، وأكن من العاملين الصالحين الذين يعملون بما يرضيك كالحج وغيره.

١١- ولن يؤخر الله نفساً عن الموت إذا حضر أجلها المكتوب وآخر العمر، والله مطلع على ما تعملون، لا يخفى عليه شيء، فيجازيكم بأعمالكم. أخرج الترمذي وابن جرير عن ابن عباس قال: «قال رسول الله ﷺ: من كان له مال يبلغه حج بيت الله، أو تحب عليه فيه الزكاة، فلم يفعل، سأل الرجعة عند الموت، فقال له رجل: يا ابن عباس اتق الله، فإنما يسأل الرجعة الكافر، فقال: سأتلو عليكم بذلك قرأنا: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم..﴾ [٩] إلى آخر السورة».



سورة التغابن

١- ينزه الله تعالى عن كل نقص ويمجده جميع المخلوقات في السموات والأرض، بطريقة لا ندرِكها، له الملك والتصرف المطلق، وله الشكر الجزيل على نعمه الكثيرة، وهو القادر على كل شيء إيجادا وإعداماً لا يعجزه شيء.

٢- هو الله وحده الذي أوجدكم أيها الناس، فمنكم كافر جاحد بالله، ومنكم مصدق بالله، والله بصير عالم بأعمالكم كلها، لا يخفى عليه شيء، ومجازيكم عليها.

٣- أوجد السموات والأرض بما يتفق مع الغرض الصحيح والحكمة البالغة، أي خلقاً مقترناً بالحق والحكمة، لا لهو ولا لعباً، وجعل أشكالكم الأدمية بأحسن صورة، أي أنقنها وأحكمها، بنحو لا مثيل له في الهيئته والمنظر والعقل، وإليه المرجع يوم القيامة.

٤- يعلم الله تعالى جميع ما في السموات والأرض، فلا تخفى عليه خافية، ويعلم ما تخفونه وما تظهرونه من أقوال وأفعال، والله عليم بما تخفيه الضمائر من أسرار وخطرات.

٥- ألم يأتكم أيها الكفار - والاستفهام للتعجب من أمرهم - خبر الكفار السابقين، كقوم نوح وعاد وثمود، فذاقوا في الدنيا عقوبة كفرهم - والويل: الثقل والشدة الناتجة من أمر - وأمرهم: كفرهم، ولهم عذاب مؤلم في الآخرة، وهو عذاب النار.

٦- ذلك المذكور وهو عذاب الدنيا بسبب أنه كانت تأتيهم الرسل بالمعجزات والدلائل الظاهرة على الإيمان، فقالوا: كيف يهدينا البشر؟ أنكروا كون الرسل بشراً، فكفروا بالرسل، وأعرضوا عن الإيمان، واستغنى الله عن إيمانهم وطاعتهم، والله محمود من كل مخلوق على أفعاله.

٧- زعم الكافرون بالله - والزعم: ادعاء العلم وأكثر ما يكون في الباطل - أن لا بعث بعد الموت يوم القيامة، قل لهم أيها النبي: بلى تبعثون والله ربي - وبلى: كلمة جواب تقع بعد النفي للإثبات - ثم لتخبرن بأعمالكم، وذلك البعث والجزاء يسير على الله لقدرته التامة.

٨- فصدقوا بالله ورسوله النبي محمد ﷺ والقرآن الذي أنزلناه عليه، فهو نور يهتدي به في الظلمات، والله خبير بأعمالكم لا يخفى عليه شيء، فهو مجازيكم عليها.

٩- اذكر أيها النبي وكل مخاطب يوم يجمعكم الله ليوم القيامة الذي تجمع فيه الخلائق كلها من ملائكة وإنس وجن للحساب والجزاء، ذلك يوم التناسي والذهول من شدة الهول، ويوم الندم والغبن حيث يظهر فيه غبن الكافر بتركه الإيمان، وغبن المؤمن بتقصيره في الإحسان، ومن يؤمن بالله واليوم الآخر، ويعمل عملاً صالحاً وهو ما أمر الله به، يمح الله عنه ذنوبه، ويدخله جنات تجري الأنهار من تحت غرفها ويساتينها، ماكثين فيها إلى الأبد، ذلك الظفر بالجنان هو الظفر الذي لا يساويه شيء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُسَبِّحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُفِئَكُمْ
كَافِرًا وَمِنكُمُ الْمُؤْمِنُ وَاللَّهُ يَمَا تَعْلُونَ نَصِيرٌ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَالْحَيَّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَوَلَيْسَ لَكُمْ بُرَاءٌ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ
مَذَاقُوا ذَلِّ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ
تَأْيِيهِمْ رُسُلَهُمْ فَيَاقُتِبُ فَتَأَلَّوْا أَسْرَئِهِمْ دُونَ فَكْهَرٍ وَأَنُتَوَلَّوْا
وَاسْتَفْتَى اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَى خَيْرٍ ۝ زَعَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يَتَّعُوا قُلُوبَ
وَرَفِئُ الْمُتَّقِينَ ثُمَّ لَتَنُتَوَلَّوْا بِمَا عَاشَرْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ فَتَأْمُرُوا اللَّهَ
وَرُسُلَهُمُ الَّذِينَ أَنزَلْنَا وَاللَّهُ يَمَا تَعْلُونَ خَبِيرٌ ۝ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ
لِيُؤْتِيَهُمُ لِقَاءَ ذَٰلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يُوْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا
يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ أَفْئُورُ الْعَظِيمِ ۝

١٠- والذين جحدوا وأنكروا وجود الله وتوحيده، وكذبوا بآياتنا وهي القرآن، أولئك أصحاب النار ماكنين فيها إلى الأبد، وبئس المرجع مرجعهم في الآخرة.

١١- ما أصاب أحداً من مصيبة: وهي كل ما يتعرض له من خير أو شر في نفس أو مال إلا بعلم الله ومشيتته وقضائه وقدره، ومن يصدق بالله حقاً، يهد قلبه للخير والصبر والرضا عند المصيبة، فيعلم أنها من الله، والله عالم بكل شيء، لا يخفى عليه خافية، حتى بالضمائر وأحوال القلوب.

١٢- وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول أيها المؤمنون وغيركم، فلإن أصرضتم عن الطاعة، فلإنما على رسولنا التبليغ الواضح، وليس عليه شيء آخر سواه، وعلينا الحساب والجزاء في الآخرة.

١٣- الله لا إله في الوجود سواه، ولا معبود غيره، فوحدوه، وعلى الله فليتوكل أهل الإيمان، وليفوضوا الأمر كله إليه.

١٤- يا أيها المؤمنون إن بعض أزواجكم أعداء لكم يشغلونكم عن طاعة الله وعمل الخير، بسبب حبيكم لهم، فاحذروا موافقتكم لهم في ذلك،

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هَلْ يَخْلُدْنَ فِيهَا مِن مِّنْ الْمُصِطَرِّينَ ١٠ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ١١ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ١٢ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا أَنذَرُكُمُ الْمَلِكُ ١٣ وَاللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ قَلْبُكُمْ أَتُوبُ ١٤ بَنَاتُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ مِنْكُمْ أَزْوَاجٌ وَأُولَدٌ كُنْتُمْ عِدَاكُمْ فَأَحْذَرُوا هَمَّهُمْ ١٥ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَنفُسُكُمْ وَلَدُنْكُمْ فَأَلْفُوا اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ١٦ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَعْنَهُ فَإِنَّهُ يَأْتِيكُم مِّن لَّدُنْهُ أَن تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعْفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ عَلِيمٌ ١٧ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ الْغَيْرُ الْخَلِيمُ ١٨



وإن تعفوا عن ذنوبهم يترك العقاب، وتصفحوا عنهم بالإعراض وترك اللوم وستر الذنب، فإن الله واسع المغفرة والرحمة، يعالكم بمثل ما عملتم.

١٥- إنما أموالكم وأولادكم بلاء واختبار لكم، قد يشغلكم حبهم عن الطاعة وقد يحملونكم على كسب الحرام، ومنع حقوق الله كالزكاة، والله عنده ثواب عظيم لمن أثر محبة الله وطاعته على محبة الأولاد والأموال.

١٦- فاتقوا الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه بقدر جهدكم وطاقتكم، واسمعوا ما تؤمرون به، وأطيعوا الأوامر، وأنفقوا من أموالكم في سبيل الخير، يكن ذلك خيراً لأنفسكم، ومن يحفظ من البخل مع الحرص، فأولئك هم الفائزون بخيري الدنيا والآخرة. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبیر قال: لما نزلت ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [آل عمران ١٠٢/٣] اشتد على القوم العمل، فقاموا حتى ورمت عراقيبهم، وتقرحت جباههم، فأنزل الله تخفيفاً على المسلمين: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

١٧- إن تنفقوا في وجوه الخير التي يرضى الله عنها، طيبة بذلك الإنفاق نفوسكم، يضاعف لكم الثواب أضعافاً كثيرة، ويستر لكم ذنوبكم، والله شكور يعطي على الطاعة أجراً عظيماً، يمنح الكثير لفاعل القليل، لا يعاجل بالعقوبة على العصية.

١٨- يعلم سبحانه كل ما غاب عن الخلق والمشاهد لهم، أو ما غاب وما حضر، القوي الغالب القاهر، ذو الحكمة في صنعه وتدبيره.

سورة الطلاق

١- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ والمراد به أمته؛ لأنه إمام الأمة. إذا أردتم تطليق النساء، فطلقوهن مستقبلات لعدتهن، أي في طهر لا جماع فيه، واضبطوا العدة واحفظوا وقتها، بأن تكملوها ثلاثة قروء، أي حيضات أو أطهار. والخطاب للأزواج. وأطيعوا الله ربكم في أمره ونهيه، لا تخرجوهن من البيوت التي كن فيها وقت الفراق حتى تنقضي عدتهن، ولا يخرجن من تلك البيوت ما دمن في العدة إلا لأمر ضروري، إلا إذا ارتكبن فاحشة الزنى، أو السرقة مثلاً، فلكم إخراجهن لإقامة الحد عليهن، أو للتخلص من بذاتهن وتطاولهن على الزوج أو أسرته، وتلك الأحكام المذكورة هي أحكام الله وشرائعه لعباده، ومن يتجاوز أحكام الله، فقد ظلم نفسه، بأن أضربها إذ عرّضها للعقاب، لا تدري أيها المطلق لعل الله يحدث بعد الطلاق أمراً جديداً، وهو الندم والرغبة في مراجعتها بعد الطلاق ما دامت في العدة، أو استئناف عقد جديد بعد انتهاء العدة أو الطلاق البائن. وفي هذا تحريض على إيقاع طلاق واحدة. أخرج ابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر عن أنس قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة، فأتت أهلها، فانزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ فقبل له: راجعها

بِأَيْهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلُّوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا تَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِغُتَّةٍ مُبَيَّنَةٍ وَبِكَلِّ حَدِّدٍ اللَّهُ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهُ يَجْعِلُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ۝ فَإِذَا بَلَغَ أَحَدُهُنَّ أَتْسُكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارُقُوهُنَّ بِغَيْرِ مَعْرُوفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ لَكُمْ يُؤْخَذُ بِهِنَّ مِنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَيَّأَنَّ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَبَرِّزْهُ مِنْ حَبْثٍ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرٍ فَلْيَجْعَلْ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝ وَالَّتِي يَتَسَّرُ مِنَ الْحَيْضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ رَأَيْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ ۝ وَالَّتِي تَحْضُ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَنْ يَتَيَّأَنَّ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَيَّأَنَّ اللَّهُ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ۝

فإنها صوامة قوامة، وهي من أزواجك ونسائك في الجنة.

٢- فإذا قاربن انقضاء عدتهن، فراجعوهن بحسن معاشرة من غير إضرار، أو فارقوهن حتى تنقضي عدتهن، أو فارقوهن حقوقهن، واتقوا الإضرار بهن بالمراجعة، كأن يراجعها ثم يطلقها، تطويلاً لعدتها، وأشهدوا. وهو للندب. شاهدين عدلين على الطلاق أو الرجعة، بعداً عن الشك، وإنهاء للنزاع، وأدوا أيها الشهود الشهادة خالصة لوجه الله دون تحيز ولا تمجوز للحق، ذلكم المأمور به من الطلاق أو الرجعة والإشهاد يؤمر به المؤمن بالله واليوم الآخر، لأنه المنتفع بالموعظة، ومن يتق الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، يسهل له أموره. أخرج ابن مردويه والخطيب عن ابن عباس: أن الآية نزلت في ابن لعوف بن مالك أسره العدو، فاستكثر والداه من الحوقلة، فتغفل عنه العدو، فاستاق غنمه، وجاء بها إلى أبيه.

٣- ويرزقه بتهيشة أسباب الرزق من وجه لا يخطر بباله، ومن يفرض أمره لله، فهو كافيه، إن الله منفذ حكمه ومراده وقضاه في خلقه، قد جعل الله لكل شيء من رخاء وشدة تقدير لا يتعداه في مقداره وزمانه.

٤- والنساء اللاتي بلغن سن اليأس لكبر ونحوه، فانقطع حيضهن إن شككن في عدتهن أي جهلتن، والنساء الصغيرات أو المريضات اللاتي انقطع الدم عنهن: عدتهن ثلاثة أشهر في حال الطلاق لا الوفاة، وعدة الحوامل مطلقاً بوضع الحمل، ومن يطع الله يسر له أمره في الدنيا والآخرة، ويوفقه لكل خير. نزلت في الصغار والكبار اللاتي قد انقطع عنهن الحيض، وأولات الأحمال، أي صاحبات الحمل.

٥- ذلك المذكور من الأحكام، ومنها حكم العدة حكم الله أنزله في القرآن إليكم أيها الناس للعمل به، ومن يعمل بطاعة الله، يمح عنه ذنوبه ويستر عيوبه، ويضاعف ثوابه، ويمنحه الجنة.

٦- أسكنوا المطلقات المعتدات بعض مساكنكم بقدر وسعكم وطاقتكم، ولا تؤذوهن في النفقة أو السكنى بالإخراج كرهاً من مساكنهن، وإن كانت المطلقات حوامل، فأنفقوا عليهن في عدتهن حتى يضعن حملهن، ولا خلاف بين العلماء في إيجاب النفقة والسكنى للحامل المطلقة، فإن أرضعن لكم أولادكم بعد الفراق، فأعطوهن أجورهن على الإرضاع، وتأمروا وتشاوروا بينكم بما هو معروف غير منكز بإحسان المعاملة بإعطاء الأب أجر الرضاعة وعناية الأم بالطفل، وإن ضيق بعضكم على بعض في تقدير أجر الأم بأن طلبت فوق المعتاد، أو امتنع الأب من الأجرة، فيحق للأب استئجار مرضعة أخرى غير أمه المطلقة.

٧- لينفق الموسر بقدر يسره على المطلقات والمرضعات، ومن ضيق عليه رزقه، فصار فقيراً، فلينفق بما أعطاه الله على قدر طاقته، لا يكلف الله نفساً إلا بقدر ما أعطاه من الرزق قليلاً أو كثيراً، سيبدل الله بالعسر يسراً، عاجلاً أو آجلاً.

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارِزُوهُنَّ لِيُضْمِنَ عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَئِكَ حَمَلَ فَاَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضْمِنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَتَأْتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَعْرُوا لِنَفْسِكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُم فَاسْرُضِعْ لَهُنَّ أُخْرَى ١ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْفِلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَنَّهُا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ٢ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرِيبَةٍ عَنَّ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَاسْتَبْهَأَ حَسْبًا بِأَسَدِيدًا وَعَذَابُهَا عَذَابًا يُنْكِرُ ٣ فَذَاقَتْ وَآلُ أَهْلِهَا وَكَانَ عَقَبَةُ أَمْرُهَا خُسْرًا ٤ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا أَسَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ٥ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِيتٍ يُخْرِجُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ حَبْطَ نُجْحٍ مِنْ تَحْتِهَا ٦ أَلَا تُنْهَرُ خُلَافِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ٧ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لَعَلَّكُمْ أَنْ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ٨

٨- وكثير من أهل القرى عصوا أوامر ربهم ورسولهم، فعاسب الله أهل تلك القرى حساباً شديداً في الدنيا بالاستئصال، وفي الآخرة بالعذاب، وعذبهم عذاباً منكرًا عظيمًا وهو عذاب النار.

٩- فلاقت جزاء كفرها وطغيانها، وكان عاقبة أمرها هلاكاً وخسراناً، هلاكاً في الدنيا، وعذاباً في الآخرة.

١٠- أعد الله لهم عذاباً مشدداً في الآخرة، وهو عذاب النار، فاتقوا الله بامتنال أمره واجتناب نهيه يا أصحاب العقول الراجحة. الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ قد أنزل الله إليكم قرآناً عظيماً.

١١- وأرسل لكم رسولاً هو محمد ﷺ يقرأ عليكم آيات الله، موضحات لكم كل ما تحتاجون من شرائع وأحكام، ليخرج المؤمنين العاملين الصالحات المأمور بها من ظلمات الضلالة إلى نور الهداية، ومن الكفر إلى نور الإيمان، ومن يصدق بالله ويعمل صالحاً باتباع أوامر الله، وترك معاصيه، أي يجمع بين الأمرين، يدخله جنات تجري من تحت غرفها وبساتينها الأنهار، ماكين فيها إلى الأبد، قد وسع الله له الرزق في الجنة.

١٢- الله وحده الذي أوجد سبع سماوات وخلق من الأرض مثلهن في التكوين، أي سبعاً من الأرضين، يجري أمر الله وقضاؤه بينهن، وينفذ حكمه فيهن، كي تعلموا أيها العباد أن الله قادر على كل شيء، وأن الله قد أحاط علمه بكل شيء، فلا يخفى عليه خافية.

سورة التحريم

١- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، لَمْ تَحْرَمْ عَلَى نَفْسِكَ أَوْ تَمْنَعَهَا مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ مِنَ الْحَلَالِ مِنْ طَعَامٍ وَغَيْرِهِ، تَطْلُبُ بِالْحَرَمِ رِضَا زَوْجَاتِكَ: عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ فَقَطْ، وَاللَّهُ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ بِعِبَادِهِ الثَّانِيينَ وَبِكَ حَيْثُ لَمْ يُوَاحِذْكَ عَلَى تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ، وَعَاتَبَكَ حِفَافًا عَلَى عَصَمَتِكَ. فَالِاسْتِفْهَامُ لِلْعِتَابِ. الصَّحِيحُ كَمَا ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ وَمَا بَعْدَهَا نَزَلَتْ فِي تَحْرِيمِ النَّبِيِّ ﷺ الْعَمَلِ عَلَى نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَشْرَبُ الْعَمَلِ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، فَتَوَاطَتِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ أَنْ يَقُولَا لَهُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِمَا: إِنَّا نَجِدُ مِنْكَ رِيحًا، فَحَرَّمَ الْعَمَلِ عَلَى نَفْسِهِ.

٢- قَدْ شَرَعَ اللَّهُ لَكُمْ تَحْلِيلَ الْإِيمَانِ بِكَفَارَةِ الْيَمِينِ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ [٥] فِي الْآيَةِ [٨٩] وَاللَّهُ مَتَوَلِي أُمُورِكُمْ وَنَاصِرِكُمْ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا يَصْلَحُكُمْ، الْمُتَّقِنُ فِي أَعْمَالِهِ وَأَحْكَامِهِ وَتَنْبِيهِ أُمُورِكُمْ.

٣- وَاذْكُرْ أَيُّهَا النَّبِيُّ حِينَ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ وَهِيَ حَفْصَةُ حَدِيثًا، هُوَ تَحْرِيمُ الْعَمَلِ الَّذِي كَانَ يَتَنَاوَلُهُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، فَلَمَّا أُخْبِرَتْ حَفْصَةُ بِهِ عَائِشَةُ وَأَنْ حِيلَتْهُمَا نَجَحَتْ، وَأُطْلِعَهُ اللَّهُ عَلَى إِقْشَاءِ حَفْصَةَ لِلْسَّرِّ، عُرِفَ حَفْصَةُ بَعْضُ مَا دَارَ مِنَ الْحَدِيثِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ

عَائِشَةَ، وَمَا أَفْشَتْهُ مِنَ السَّرِّ، وَهُوَ قَوْلُهُ: لَنْ أَعُودَ إِلَى شَرْبِ الْعَمَلِ، وَكُتِمَ بَعْضُ الْحَدِيثِ تَكْرَمًا مِنْهُ، وَامْتِنَاعًا مِنْ زِيَادَةِ تَحْجِيلِهَا، قَالَتْ: مَنْ أَخْبَرَكَ هَذَا الْخَبْرَ؟ قَالَ لَهَا: أَخْبَرَنِي بِهِ اللَّهُ الْعَلِيمُ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ السَّرَائِرِ، الْخَبِيرُ بِخَفَايَا الْأُمُورِ.

٤- إِنْ تَوَبَّأَ إِلَى اللَّهِ، أَيُّ يَا حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ، تُثْقِلَا، فَقَدْ مَالَتْ الْقُلُوبُ عَمَّا يَجِبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَيْهِمَا مِنَ الْإِحْتِرَامِ وَالتَّوْقِيرِ إِلَى مَا يَكْرَهُ، وَاتَّجَهَتْ إِلَى التَّوْبَةِ مِنَ الظَّاهِرِ عَلَى النَّبِيِّ، وَإِنْ تَتَعَاوَنَا عَلَيْهِ بِمَا يَكْرَهُ بِسَبَبِ الْغَيْبَةِ عَلَيْهِ مِنْكُمَا، فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ، وَكُنَّا جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَخِيَارَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ أَعْوَانُ لَهُ، وَهُوَ عَظِيمٌ عَلَى خَاصِّ. وَالْأَصْلُ (قَلْبَاكُمَا) لَكِنْ الْعَرَبُ تَكْرَهُ اجْتِمَاعَ تَثْنِيَيْنِ فِيمَا يَشْبِهُ الْكَلِمَةَ الْوَاحِدَةَ مَتَى كَانَ الْمُرَادُ وَاضِحًا.

٥- لَعَلَّ رَبَّهُ إِنْ طَلَّقَ أَزْوَاجَهُ، أَوْ بَعْضَهُنَّ وَذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ التَّغْلِبِ، أَنْ يُبَدِّلَهُ زَوْجَاتٍ خَيْرًا مِنْهُنَّ مُتَقَادَاتٍ لِلْإِسْلَامِ وَاللَّهُ تَمَامًا، مُصَدِّقَاتُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ مُخْلِصَاتُ، مُطِيعَاتُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، تَائِبَاتُ مِنْ ذُنُوبِهِنَّ، مُتَذَلَّلَاتُ لِلَّهِ عَابِدَاتُ، صَائِمَاتُ مُتَأَمِّلَاتُ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ، مُتَزَوِّجَاتُ أَرَامِلَ، وَعَذَارَى غَيْرِ مُتَزَوِّجَاتٍ سَابِقًا. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ: اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَيْبَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: عَمَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكَ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

٦- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا بِاللَّهِ وَرَسُولَهُ، جَنَّبُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ النَّارَ بِتَرْكِ الْمَعَاصِي وَفِعْلِ الطَّاعَاتِ، تِلْكَ النَّارُ الَّتِي يَكُونُ مَا تَوَقَّدُ بِهِ: النَّاسُ (الْكُفَّارُ) وَالْحِجَارَةُ (الْأَصْنَامُ الْمَعْبُودَةُ) عَلَيْهَا خِزْنَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَدَتْهُمْ تِسْعَةُ عَشَرَ، غِلَظُ الْحَقِّقِ وَالطَّبَاعِ، قَسَاةُ أَقْوِيَاءِ الْبَدَنِ عَلَى الشَّدَائِدِ، لَا يَعِصُونَ أَمْرَ اللَّهِ فِي الْمَاضِي، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ بِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

٧- يَقَالُ لِلْكَافِرِينَ عِنْدَ دُخُولِ النَّارِ: يَا أَيُّهَا الْكُفَّارُ، لَا تَعْتَذِرُوا فِي هَذَا الْيَوْمِ-يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ الْإِعْتِذَارُ، إِنَّمَا تَنَالُونَ جَزَاءَ أَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لَوْ كُنْتُمْ تَحِبُّونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ تَبْلُغِي زَوَاجِكُمْ وَاللَّهُ عَفُوفٌ
ذِكْرٌ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أُنْفُسِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ
الْمُبْدِي وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ
بِهِ وَأُظْهِرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا
بِهِ قَالَتْ مَنْ نَبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ إِنْ تَوَبَّأَ إِلَى
اللَّهِ فَذَاصَتْ فَلَوْ كُنَّا وَإِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ
وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِرٌ عَسَى رَبُّهُ تَانٍ
طَلَّقَكَ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ سُبُلَ مُؤْمِنِينَ قَلْبٌ تَبْلُغِي
عِدَّتِ سَبَّحَتْ تَبْلُغِي وَأَجَاكَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ
وَأَعْلَمِيكُمْ تَارًا وَقُودًا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظُ شِدَادٍ
لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ



٨- يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله توبوا إلى الله توبة صادقة خالصة: وهي الندم في القلب على الذنب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالبدن، والعزم على عدم العودة لمثله في المستقبل، ورد الحقوق لأصحابها، لعل ربكم أن يمحو عنكم خطاياكم، ويدخلكم جنات تجري من تحت غرفها ويساتينها الأنهار العذبة، يوم لا يفضح الله النبي في رد شفاعته بمن يشفع بهم، ولا المؤمنين برسالته، نور الإيمان بعد انتهاء الحساب يسعى بهم على الصراط، ويضئ لهم الطريق، يقولون: يا ربنا آدم وأتمم لنا نورا إلى الجنة، واسترنا واغفر لنا خطايانا، إنك قادر على كل شيء. أما المنافقون فيطفى الله نورهم.

٩- يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين بمختلف الوسائل، بالسيف والحجة أو اللسان، واشتدّ عليهم في الدعوة والقتال؛ لأنهم مصممون على الفساد، ومكان إيوائهم جهنم، وقبح المرجع مرجعهم.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً صُوحَا عَسَىٰ رَبُّكُمْ
أَن يَتُوبَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ
آمَنُوا مَعَهُ
لَوْمَةً يَسْعَىٰ بَيْنَ الْأَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا
أَتِمِّمْ لَنَا أَمْرَنَا وَافْعَلْ لَنَا الْخَيْرَ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ
وَمَا لَهُمْ حِصَّةٌ وَبِئْسَ الْفَصِيدُ ﴿٥١﴾ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتٌ فُوجٌ وَأَمْرَأَتٌ لُّوطٍ كَانَتُنَّ
عَبْدَتَيْنِ مِنْ بَنِيَادٍ نَّاصِلَتَيْنِ لِّفِتْنَةٍ فَمَنْ بَقِيَتَا عَنْهُمَا مِنْ
اللَّهِ سَيِّئَاتٍ وَقِيلَ لَهُمَا قَاتِلَا بَعْضُكُمَا لَاحِلٌ ﴿٥٢﴾
وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا أَمْرَأَتٌ فِرْعَوْنُ إِذْ قَالَتْ
رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ
وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٥٣﴾ وَزَوْجَةُ ابْنِ
عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا بِهِ مِنْ رُوحِنَا
وَعَصَاكَ بِكَلِمَاتٍ رَبَّنَا وَكُنْهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴿٥٤﴾

١٠- جعل الله مثلاً لحال الكفار في أنه لا يغني أحد عن أحد: امرأة نوح وامرأة لوط كانتا زوجتي نبيين صالحين، فخانتاهما بالنفاق في أمر الدين، فكانت امرأة نوح تقول لقومها: إنه مجنون، وامرأة لوط تدل قومها على أضيافه، فلم يفيداها شيئاً نوح ولوط، ولم ينفعهما كونهما زوجتي نبيين لإنقاذهما من عذاب الله، وقيل لهما عند موتهما: ادخلا النار مع الداخلين فيها من الكافرين، مثل قوم نوح وقوم لوط.

١١- وجعل الله مثلاً لحال المؤمنين في أن بيئة الكفر وصوله الكفار لا تضرهم، وفي ضرورة الثبات على الدين : امرأة فرعون التي آمنت بالله وبرسوله موسى، ولم تخش بأس فرعون، حين قالت : يا رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة، قريباً من رحمتك، وخلصني من طغيان فرعون وتعذيبه وعمله الشنيع، وخلصني من القوم الكافرين الظالمين أنفسهم وهم القبط الوثنيون أتباع فرعون.

١٢- وجعل الله مثلاً آخر لحال المؤمنين في الجمع بين كرامة الدنيا والآخرة مع كونها في بيئة عصاة: مريم ابنة عمران التي حفظت فرجها وصانته عن الفواحش، فنحنها في فرجها أو في جيب درعها من روح خلقناه بلا توسط أب، فحملت بعبسى عليه السلام، وصدقت بشرائع الله وكتبته التي أنزلها على رسله، والتزمت أوامره واجتنبت نواهيه، وكانت من عداد الطائعين لله تعالى.

سورة الملوك

فضلها: أخرج أحمد وأصحاب السنن الأربعة عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: إن سورة في القرآن ثلاثين آية، شفعت لصاحبها، غفر له: ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾.

١- تعالى قدره، وتعظم خيره الذي بيده ملك السموات والأرض، وهو تام القدرة على كل شيء، لا يعجزه أمر من الأمور.

٢- الذي أوجد الموت وقدره أزلاً، وأوجد الحياة وقدرها، ليعاملكم معاملة المختبر لأعمالكم، أيكم أخلص عملاً وأطوعه، القوي الغالب الذي لا يغلبه شيء، الكثير المغفرة والستر للثانين.

٣- الذي أوجد سبع سموات متطابقة بعضها فوق بعض، ما تجد في خلق الرحمن من تناقض ولا تباین وتنافر وعدم تناسب، فردد البصر أو الطرف إلى السماء، وتأمل: هل تجد فيها من خلل أو تشقق وتصدع. و ﴿من﴾ تفيد عموم نفي ما بعده، و ﴿هل﴾ استفهام يراد به الإنكار، أي النفي، أي لا ترى.

٤- ثم أعد النظر إليهما مرة بعد مرة، يرجع إليك

البصر ذليلاً صاغراً عن رؤية عيب أو خلل، والبصر كليلاً منقطع، لم يدرك المطلوب بعد كثرة المراجعة.

٥- وثأله لقد زيننا السماء الدنيا: القربة من الأرض بكواكب مضيئة، وجعلناها راجمات للشياطين من الجن والإنس، أي مرجوماً بها كالحجارة، وأعدنا وهبانا لهم عذاب النار المستعرة.

٦- وأعدنا للكافرين الجاحدين ربوبية الله عذاب جهنم، وبئس المرجع الذي ينتظرون وهو جهنم.

٧- إذا طرخوا في جهنم، سمعوا لها صوتاً منكراً شديداً كصوت الحمير عند بدء النهيق، وهي تغلي بهم كغليان الرجل. وقال بعضهم: المراد بالشهيق هنا: الحسيس (الصوت الخفي) المذكور في الآية (١٠٢) من سورة الأنبياء.

٨- تكاد تنقطع من شدة غيظها منهم- وهذا تمثيل لشدة غليانها-، كلما ألقى فيها جماعة من الكفرة، سألهم الملائكة الخزنة، أي الأعوان مالك وجماعته: ألم يأتكم رسول يحذركم من عذاب الله؟ والاستفهام توبيخي.

٩- قالوا في الجواب: بلى لقد آتانا رسول محذّر مخوف من عذاب الله، فكذبناه، وقلنا: ما أنزل الله عليك شيئاً، ما أنتم أيها الرسل إلا في بُعد شديد عن الحق والصواب. و ﴿من﴾ حرف يفيد عموم نفي ما بعده.

١٠- وقالوا أيضاً: لو كنا نسمع سماع تفهم من الرسل، أو ندرک منهم ما دعونا إليه ونفكر في آيات الكون، ما صرنا الآن في عداد أهل النار ومن جملتهم.

١١- فأقروا بذنوبهم حيث لا فائدة من الإقرار، فبعداً لأهل النار من رحمة الله تعالى.

١٢- إن الذين يخافون عذاب ربهم في خلواتهم لهم مغفرة لذنوبهم وثواب عظيم وهو الجنة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَإِنْ رَاجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۝ ثُمَّ رَاجِعِ الْبَصَرَ كَرَيْنٍ يَنْقُلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِغٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْدَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وبئسَ البَصِيرُ ۝ إِنَّا أَنفَقْنَا فِيهَا سَمْعًا لَمْ نَسْمَعْ فِيهَا شَيْئًا وَهِيَ تَكُونُ ۝ كَنَادَ الْمُذَمِّرِينَ اللَّعِطُ كُلُّ الْيَوْمِ إِذَا فَجَّحَ سَاطِعُ أَمْرِنَا بِأَكْمَارٍ يُذَبِّرُ ۝ فَأُولَئِكَ قَدْ جَاءَ تَذْوِيرُكَ دَنَا وَقُلْنَا مَآزِلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَإِنَّا أَنْتَرُ الْإِنْفِ صَلَّيْ كَبِيرٌ ۝ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَتَمَّا لَا أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ إِنَّا الَّذِينَ نَحْنُ رَبُّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ تَعْفُوهٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝



وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ١٣
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ١٤ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ ذُلُولًا فَاسْجُدُوا فِي مَوَاقِعِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ الشُّورُ
١٥ أَمْ أَمْنُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُجَسِّفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَكَأَنَّمَا
غُورُ ١٦ أَمْ أَمْنُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا
فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ١٧ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ١٨ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفْتٌ وَيُقْبَضُ
مَا يُسْكُنُ الْإِنْسَانُ مِنْهُ لَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ يَصْدُرُ ١٩ أَتَنْ هَذَا الَّذِي
هُوَ جُنْدُكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنْ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ
٢٠ أَتَنْ هَذَا الَّذِي يُرْسِلُكُمْ أَنْ تَمْسُكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ
وَقُورٍ ٢١ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًا عَلَى وَجْهِهِ يَهْدِي أَمْ يَمْشِي سَوِيًّا
عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٢٢ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ٢٣ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ
فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ٢٤ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ٢٥ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ٢٦

١٣- ويا أيها الناس أخفوا كلامكم أو أعلنوه، إنه تعالى واسع العلم بضمائر وخفايا القلوب. قال ابن عباس: نزلت في المشركين كانوا يبالغون من رسول الله ﷺ، فيخبره جبريل عليه السلام بما قالوا فيه وقالوا منه، فيقول بعضهم لبعض: أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد.

١٤- ألا يعلم السر والجهر من أوجد الأشياء وخلقها، وهو العالم بدقائق الأمور، الخبير المطلع على ظواهر الأشياء وبواطنها؟ و﴿ألا﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري المفيد للنفي، و﴿لا﴾ للنفي، ونفي النفي إثبات، والمراد أنه يعلم قطعاً.

١٥- الله تعالى هو الذي جعل لكم الأرض مذللة سهلة العيش عليها والانتفاع بها، فامشوا في جوانبها وطرقاتها وسافروا في أنحائها، وكلوا مما رزقكم الله في الأرض، وإليه البعث من القبور للحساب والجزاء.

١٦- أأنتم الله الذي له السلطان في السماء. أي يجب ألا تأمنوا. أن يغور بكم الأرض ويفيكم فيها، كما فعل بقارون، فإذا هي تتحرك؟!

١٧- أأنتم الله الذي في السماء والمتصرف فيها أن يرسل عليكم ريحاً شديدة فيها حصباء ترميكم بها وتهلككم، فستعلمون عند معاينة العذاب كيف كان إنذاري بالعذاب أنه حق.

١٨- ولقد كذب كفار سابقون قبل مشركي مكة، فكيف كان إنكاري وغضبي لهم؟!

١٩- أول لم ينظر الكفار إلى الطير تطير فوقهم في الهواء باسطات أجنحتها في الجو عند طيرانها تارة، وقابضات بضمها تارة أخرى، ما يسكنهن عن الوقوع في الحالتين إلا الرحمن بقدرته، إنه تعالى مبصر كل شيء، يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب.

٢٠- من هذا الذي هو جند لكم أعوان، ينصركم ويدفع العذاب عنكم من غير الرحمن، أي لا ناصر لكم، ما الكافرون الجاحدون إلا في حال غرور وخداع غرهم الشيطان بأن العذاب لا ينزل بهم. و﴿أمن﴾ أصلها (أم، من) و(أم) هنا بمعنى (بل) الدالة على الانتقال من توبيخ وتهديد على عدم التأمل إلى توبيخ وتهديد آخر.

٢١- من هذا الذي يرزقكم غير الله؟ إن حبس رزقه عنكم، بل تمادوا في تكبر عن قبول الحق، وإعراض عنه.

٢٢- ومثل الكافر والمؤمن مثل من يمشي ووجهه إلى أسفل، غارقاً في الضلالة والمعاصي وهو الكافر، أمو أرشد سيلاً، أم من يمشي معتدلاً منتصب القائمة على طريق قويم، وهو المؤمن؟

٢٣- قل أيها النبي لكل من جحد بالله: الله الذي خلقكم، وأوجد لكم السمع الذي تسمعون به، والأبصار التي تبصرون بها، والقلوب التي تفكرون وتعقلون بها، ولا تشكرون بكم على هذه النعم إلا شكراً قليلاً.

٢٤- قل أيها الرسول: الله هو الذي خلقكم وكرّمكم في الأرض، وإليه تجمعون بالبعث من القبور للحساب.

٢٥- ويقول المشركون على سبيل الاستهزاء والتهكم: متى هذا الحشر أو إيقاع العذاب الذي تهددوننا به إن كنتم صادقين في قولكم أيها المؤمنون، فأخبرونا به؟!

٢٦- قل أيها الرسول: إنما العلم بوقت حدوث الساعة عند الله، وإنما أنا محذّر موضع غاية الإيضاح.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ زُبُونُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِرُؤُوسِكُمْ تُوَدُّونَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ سُورَانِ الْكَلْبِ عَلَى اللَّهِ وَمَنْ مَعِيَ أَوْجَعُوا فِي أَنْفُسِهِمُ الْكَيْدَ مِنَ عَذَابِ الْيَمِّ ﴿٢٨﴾ فَلَهُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فَصَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ تَوَكَّلْنَا فَأَنْصَبُ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمِنْ بَيْنِكُمْ مَاءٌ مَعِينٌ ﴿٣٠﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِمُحَذِّرِكُمُ الْمُجْتُونِ ﴿٢﴾ وَإِنَّكَ لَأَنْفِرُ الْمُجْتُونِ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَتَنْصَرُّوهُمْ وَيُسَجِّدُونَ لَكُمْ لِكُلِّ فِتْنَةٍ سُّجُودًا ﴿٥﴾ وَإِنْ رَأَوْهُ سُورَانِ الْكَلْبِ مِنْ سُورَةِ الْقَلَمِ ﴿٦﴾ فَسَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ الْكَبِيرِ ﴿٧﴾ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَفِعِينَ ﴿٨﴾ فَلَا تُطِيعُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٩﴾ وَدُّوا لَوْ تَدْرُهُنَّ أَيْدِيهِمْ وَأَفْئِدَتُهُنَّ الْمُنْفِرِينَ ﴿١٠﴾ هَؤُلَاءِ شَرَّ النَّاسِ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١١﴾ فَتَنْصَرُّوهُمْ وَيُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ اللَّهِ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ وَإِنْ رَأَوْهُ سُورَانِ الْكَلْبِ مِنْ سُورَةِ الْقَلَمِ ﴿١٣﴾ فَسَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ الْكَبِيرِ ﴿١٤﴾ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَفِعِينَ ﴿١٥﴾



٢٧- فلما رأوا العذاب الموعود به قريباً، غشيت وجوه الكفار ما يسوؤها واسودت وعلتها الكآبة، وقيل لهم توبيخاً من الخزنة: هذا هو العذاب الذي كنتم تطلبون استهزاء واستكثاراً. وعبر بفعل (رأى) الماضي عن المستقبل لإفادة تحقيقه كأنه حصل فعلاً. وزلقة: مصدر، ومعناه قريباً.

٢٨- قل أيها الرسول: أخبروني إن أمانتي الله ومن معي من المؤمنين، أو رحمتنا بتأخير أجالنا، فمن ينجي الكافرين من عذاب مؤلم؟ أي لا ينجيهم أحد. روي أن كفار مكة كانوا يدعون على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين بالهلاك، فنزلت الآية.

٢٩- قل: هو الله الرحمن صدقنا به إلهاً واحداً، لا نشرك به شيئاً، وعليه لا غيره اعتمدنا وفوضنا إليه أمورنا، فستعلمون أيها المشركون من هو في بُعد واضح عن الصواب منا ومنكم.

٣٠- قل: أخبروني إن أصبح ماؤكم غائراً ذاهباً في جوف الأرض، فمن الذي يأتيكم بماء ظاهر جبار كثير؟ الله رب العالمين. و«غوراً»: مصدر، أي غائراً.

سورة القلم

فضلها: هذه السورة من أوائل ما نزل من القرآن بمكة، فقد نزلت كما قال ابن عباس: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ ثم هذه، ثم الزمل، ثم المشر.

١- نون: للتحدي بالاثبات يمثل القرآن أو بعضه مادام مركباً من أمثال هذا الحرف، وهو مادة لغتهم التي يتفخرون بأنهم أفصح الناس فيها. أقسم بالقلم الذي يكتبون، يكتب به الناس، والملائكة التي تكتب أعمال الخلق. وهو تعظيم لشأن الكتابة أداة العلم.

٢، ٣- ما أنت أيها الرسول بسبب نعمة ربك عليك بالرسالة والنبوة بمجنون، أي كما زعم المشركون. والمراد: انتفى عنك الجنون. أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: كانوا يقولون للنبي ﷺ: إنه مجنون، ثم شيطان، فنزلت: ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾. وإن لك لثواباً غير منقطع.

٤- وإنك أيها الرسول لعلى خلق عظيم أدبك به ربك في القرآن. سئلت عائشة رضي الله عنها- كما ثبت في الصحيح عن خلقه، فقالت: كان خلقه القرآن، ألسنته القرآن: ﴿قد أفصح المؤمنين﴾ [المؤمنون ٢٣/١] إلى عشر آيات.

٥، ٦- فستبصر أيها الرسول ويصير الكفار عند تبيين الحق يوم القيامة، بأي منكم الجنون، أهلك أم بهم؟ ٧، ٨- إن ربك أيها الرسول هو أعلم بمن هو الخائف عن دينه، وهو أعلم بالمهتدين إلى طريقه المؤدي إلى السعادة، الفائزين، والمعنى: بل هم الضالون التائهون الزائفون. فلا تطع أيها النبي المكذبين بآيات الله وبرسالتك.

٩- غمخوا أن تدين لهم في تعظيم آلهتهم، فيلبنون لك بترك الطعن برسالتك والموافقة. و«لو» حرف يجعل الفعل بعده في حكم المصدر.

١٠- ولا تطع كل كثير الحلف في الحق والباطل، وهو الوليد بن المغيرة، حقيير الرأي.

١١، ١٢- كثير العيب للناس، وكثير المشي بالنميمة للإفساد بين الناس. بخيل بالمال، ظالم، كثير الإثم والذنب.

١٣، ١٤- جاف غليظ، دعي في قريش. ألكونه ذا مال وبنين؟

١٥- إذا تتلى عليه آيات القرآن، قال: خرافات وأباطيل الأقدمين.

١٦- سنجعل له سمة، أي علامة على أنه يميز بها ما عاش، فحطم أنف الوليد بن المغيرة بالسيف يوم بدر.
١٧- إنا امتحننا أهل مكة بالقيظ والجوع وغيرهما من ألوان البلاء والأفات، كما امتحننا أصحاب البستان حين حلقوا ليقطعن ثمرة بستانهم وقت الصباح، كيلا يشعروهم المساكين، فلا يعطونهم شيئا، كما كان يفعل أبوه.
١٨- ولا ينوون استثناء شيء من حق المساكين، أو لا يقولون في بينهم: إن شاء الله.
١٩- فأحاط أو أصاب البستان بلاء محيط بها من عذاب ربك، وهو نار أحرقتها، وهم نيام ليلا.
٢٠، ٢١- فأصبح البستان (الجنة) محترقا أسود كالليل، وتلف ثمرة. فنادى بعضهم بعضا في الصباح.
٢٢- أن اخرجوا مبكرين في الصباح إلى الثمار والزروع، إن كنتم تريدون الصرم، أي الحصاد وقطع الثمار واغدوا: اذهبوا وقت الغدوة وهو وقت الصباح الباكر. والحراث: ما تنتجه الأرض من ثمار الأشجار والزروع.
٢٣- فانطلقوا إلى بستانهم، وهم يتسارون فيما بينهم ويتناجون حتى لا يسمعه أحد.
٢٤- أن لا يدخلن الجنة (البستان) اليوم عليكم مسكين أو فقير. و (أن) مفسرة لما به التخافت.
٢٥- وساروا غدوة (ما بين صلاة الغداة إلى طلوع الشمس) على تصميم، قادرين على الصرم في ظنهم.
٢٦- فلما رأوا الجنة سوداء محترقة، قالوا: إنا لناتهمون، فليست هذه جنتنا.

سَلِّمْ عَلَى الرُّطُومِ ١٦ إِنَّا بَلَوْتُهُمْ كَبَلًا وَأَصْحَابَ أَشْجَةٍ إِذَا أَقْبَمُوا
لَيَصْرُنَّهَا تُصِيبُ ١٧ وَلَا يَسْتَوُونَ ١٨ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّنْ
رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ١٩ فَأَصْبَحَ كَاغْتَبَرًا ٢٠ فَنَادَىٰ تَصِيبُ ٢١ فَنَادَىٰ تَصِيبُ ٢٢
أَنَّا نَعْلَمُ عَلَىٰ حَرْبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ٢٣ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخِفُّونَ ٢٤
أَن لَّا يَدْخُلْنَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِنًا ٢٥ وَقَدْ وَاعِلٌ لِّقَدِيرٍ ٢٦
فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَأَصْحَابُ ٢٧ لَيْلَىٰ عَمْرُومَ ٢٨ فَلَا أَسْطِيقُهَا
أَلَّا أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ٢٩ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ٣٠ فَأَقْبَلَ
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوْنَ ٣١ قَالُوا يٰوَيْلَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ٣٢ عَسَىٰ
رَبَّنَا أَن يُبَدِّلَ هَٰذِهِ لَنَا إِنَّا إِنَّمَا كُنَّا نَعْبُدُ ٣٣ لَعْنَابًا وَلَعْنَابًا
الْآخِرَةُ أَكْذَرُ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُونَ ٣٤ إِنَّا لَنَجْعَلُ عَذَابَ ٣٥ جَهَنَّمَ
أَفْضَلَ لِلْمُسْلِمِينَ كَأَفْضَرٍ ٣٦ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ٣٧ أَمْ
لَكُمْ كَيْفَ تَقْرَأُونَ ٣٨ إِن لَّكُمْ فِيهِ مَا تَخْفُونَ ٣٩ أَمْ لَكُمْ أَعْمَلُ
عَلَيْنَا بِالْعَمَلِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِن لَّكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ٤٠ سَلَّمْنَا بِهِمْ
بِذَلِكَ زَعِيمٌ ٤١ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا صَادِقِينَ ٤٢
يَوْمَ كُفِّتْ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ٤٣

٢٧- ثم قالوا: لسنّا بتاتهمين، بل نحن ممنوعون ثمرتها لعزنا على منع المساكين حقهم. و ﴿بل﴾ للرجوع عما قبله، والاعتراف بما بعده.
٢٨- قال أعدلهم وخيرهم عقلاً وديناً: ألم أقل لكم: هلا تذكرون الله وتستغفرونه من فعلكم، فلا تفعلوا ما يفضبه.
٢٩- قالوا: تنزه ربنا عن أن يكون ظالماً لنا، فذلك بسبب ذنوبنا، إنا كنا ظالمين أنفسنا بمنع الفقراء حقهم.
٣٠- فأقبل بعضهم على بعض، يلوم كل واحد منهم الآخر على قصدهم السيئ.
٣١- قالوا: يا هلاكنا، إنا كنا متجاوزين حدود الله في منعا حقوق المساكين.
٣٢- لعل ربنا أن يبدلنا خيراً من جنتنا ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة، إنا إلى ربنا طالبن منه العفو والخير.
٣٣- مثل ذلك العذاب لهؤلاء أصحاب الجنة عذاب الدنيا، ولعذاب الآخرة أعظم من عذاب الدنيا، لو كانوا يعلمون نوع العذاب الآخري، لاحتزوا عن موجب العذاب.
٣٤، ٣٥- إن للمتقين عند ربهم في الآخرة جنات يتعمون فيها على الدوام. أفجعل المسلمين مثل الكافرين في المنزلة والجزاء؟
٣٦، ٣٧- أي خيل أصابكم، كيف تحكمون هذا الحكم الفاسد: وهو التسوية بين الطائعين والمعصاة؟ كيف اسم استفهام يراد به التعجب. أم لكم كتاب منزل من عند الله فيه تقرأون وتجدون المطيع كالعاصي؟ و ﴿أم﴾ أي بل أنكم؟
٣٨- إن لكم في ذلك الكتاب ما تختارونه وتشتهونه من الأحكام وخيري الدنيا والآخرة.
٣٩- أم لكم علينا عهد مؤكدة فيها التوثق من دخول الجنة، تحكمون به لأنفسكم؟
٤٠- سلمهم أيها الرسول توبيخاً وتقريعاً أيهم كفيل لهم بذلك الحكم وهو تحصيل ثواب الآخرة كالمسلمين.
٤١- بل ألهم شركاءه ليعزهم قادرين على تسويتهم بالمسلمين، فليأتوا بشركائهم الكافرين إن كانوا صادقين في دعواهم.
٤٢- يوم شدة الهول وهو يوم القيامة، فالكشف عن الساق كناية عن يوم الشدة، ويطلب منهم السجود توبيخاً على تركهم السجود في الدنيا، فلا يستطيعون ذلك لذهاب الوقت وزوال القدرة عليه.

٤٣- ذليلة أبصارهم منكسرة لا يرفعون طرفهم،
تغشاهم وتلحقهم ذلة شديدة وحسرة، وقد كانوا
يُدعون في الدنيا إلى أداء السجود، وهم أصحاب
ممكنون.

٤٤- فدعني أيها النبي وارك لي أمر عقاب هؤلاء
المكذبين بهذا القرآن، ستأخذهم بالعذاب تدريجياً، وهم
في غفلة من حيث لا يعلمون أن ذلك استدراج؛ لأنهم
يظنونهم إنعاماً.

٤٥- وأسهلهم وأطيل لهم المدة، فلا أعاجلهم
بالعقوبة، إن تدبيري وعذابي شديد لا يطاق.

٤٦- بل أنسالهم أيها الرسول على تبليغ الرسالة أجرة
أو مقابلاً لدعوتهم إلى الإيمان، فهم من عُرم وتقل ذلك
الأجر محمولون أنقلاً، فيعرضون عنك، ولا يؤمنون
برسالتك؟!

٤٧- بل أعندهم علم الغيب أو اللوح المحفوظ الذي
فيه الغيب، فهم يكتبون منه ما يقولون، ويحكمون بما
يريدون؟!

٤٨- فاصبر أيها النبي لقضاء ربك، ولا تكن كيونس
عليه السلام الذي ابتلعه الحوت في الضجر والعجلة،
حين دعا ربه، وهو مملوء غيظاً وغماً.

٤٩- لولا أن أدركت يونس عليه السلام رحمة من
الله: وهي توفيقه للتوبة وقبولها، ل طرح من بطن الحوت

خَمْسَةَ أَصْحَرُوهُمْ ذَلَّةً وَقَدْ كَانُوا بِدْعُونَ إِلَى الْيُسُودِ وَهُمْ سَلَمُونَ
١٣ فَلَنَرِي وَمَنْ يَكُذِّبُ هَذَا الْحَدِيثَ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ
لَا يَحْتَسِبُونَ ١٤ وَأَمَّا لِمَ لَمْ يَكُذِّبُوا ١٥ أَمْ سَأَلْتَهُمْ أَجْرًا فَهُمْ
مِنْ مَعْرُوفٍ مُنْقَلُونَ ١٦ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكِيدُونَ ١٧ فَاصْبِرْ
لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ١٨ لَوْلَا
أَنْ نَذْكُرَكَ نَفْسُ رَبِّكَ لَئِنْ دُاعَاكَ بِالْقَوْلِ وَهُوَ مُذْمُومٌ ١٩ فَاجْبِبْهُ نَجْجَلُهُ
مِنَ الصَّالِحِينَ ٢٠ وَإِنْ كَادَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَفْزُقُواكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا
سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ٢١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٢٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَاقَّةُ ١ مَا الْخَاقَةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخَاقَةُ ٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِعَادٍ
بِالْقَارِعَةِ ٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلَكَوْا بِطَاغِيَةِ ٥ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلَكَوْا بِرِيحٍ
صَرْصَرٍ عَالِيَةٍ ٦ سَمِعَ عَالِيَهُمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَفَجَاءَتْهُمُ خُسُوفٌ أَفَرَأَى الْقَوْمُ
فِيهَا مَرْعًى ٧ كَانَتْ أَعْجَارٌ نَحْلٌ حَاطِيَةً ٨ فَمَلَّ زَيْ لِحَدِيثٍ ٩ بَاقِيَةٌ ١٠



في الأرض الخالية من الشجر والزرع، وهو ملوم غير مكرم.

٥٠- فاختاره ربه للنبوة مرة ثانية، فجعله من الأنبياء الكاملين في الصلاح حين رده إلى قومه الذين آمنوا.

٥١- ويقرب الكفار بنظراتهم إليك حين قراءة القرآن أن ينظروا إليك نظرة مليئة بالعداوة والبغضاء والغيظ حين سمعوا
القرآن يتلى، ويقولون حسداً وعداوة: إن محمداً لمجنون في ادعائه نزول قرآن عليه من السماء.

٥٢- وما هذا القرآن إلا تذكير نافع وموعظة شافية لجميع العالمين من الإنس والجن، فلا يحدث بسببه جنون.

سورة الحاقة

١، ٢- الحاقة: هي القيامة الثابتة المحيية، مثل الواقعة والطامة، والغاشية، والصاخة، والقارعة، من حق الشيء:

وجب وثبت، فهي واجبة الحصول. أي شيء هي الحاقة في أوصافها؟ المراد تهويل الشيء المتحدث عنه.

٣- وأي شيء أعلمك ما هي القيامة؟ أي لا سبيل لك إلى معرفة وقتها وإدراك كنهها.

٤- كذبت قبيلة ثمود قوم صالح، وقبيلة عاد قوم هود بالقيامة التي تقرع الناس بأموالها.

٥- فأما قبيلة ثمود فأهلكوا بالواقعة التي جاوزت الحد في الشدة والقوة، وهي الصيحة أو الرجفة (الصاعقة).

٦- وأما قبيلة عاد فأهلكوا بريح شديدة الصوت والبرد والسرعة، شديدة القوة في التدبير.

٧، ٨- سلطها الله عليهم بقدرته طوال مدة سبع ليالٍ وثمانية أيام متتابعة، تحمسهم أي تفنيمهم، فترى القوم فيها هلكى
موتى مطروحين، كأنهم أصول نخل ساقطة فارغة. فهل تجد لهم من نفس باقية؟! لقد ماتوا جميعاً.

٩- وجاء فرعون طاغية مصر ومن تقلعه من الأمم الكافرة، والموتفكات: أهل قرى قوم لوط بالفعللة الخاطئة وهي الشرك والفاحشة وغيرها من المعاصي.
١٠- فمعصى كل قوم رسول ربهم، فلم يؤمنوا بدعوته، فأخذهم الله أخلة زائدة في الشدة.
١١- إننا لما ارتفع الماء وعلا كل شيء من الجبال وغيرها زمن الطوفان في عهد نوح عليه السلام، حملنا أصولكم في السفينة التي تجري فوق الماء، وهي سفينة نوح.
١٢- لنجعل لكم تلك الفعللة بإنحاء المؤمنين وإهلاك الكافرين عظة، ونحفظها أذن حافظة.
١٣- فلماذا نفخ إسماعيل في الصور (البوق) النفخة الأولى لخراب العالم، وبداية القيامة.
١٤- وورفت الأرض والجبال من أماكنها، فدفقتا أو كسرتا كسرة واحدة، فصارت أرضاً مستوية.
١٥، ١٦- فيومئذ قامت القيامة. وتشقق السماء وتفرقت أجزاؤها، فهي يومئذ ضعيفة.
١٧- والملائكة على جوانب السماء وأطرافها، ويحمل عرش ربك فوق رؤوسهم يوم القيامة ثمانية أملاك.

١٨- يومئذ تعرضون على الله للحساب، لا يخفى شيء من سرائركم وأعمالكم على الله تعالى.

١٩- فاما من أعطي كتابه (صحيفة أعماله) بيمينه، فيقول سروراً: خلوا أقرؤوا كتابي، فقد نجوت. وهاء «كتابه» و «ماليه» و «سلطانيه» هاء السكت، وهي حروف يلحقها العرب بالكلمة إذا أرادوا السكوت بعدها.
٢٠- إني علمت وتيقنت في الدنيا أنني أحاسب في الآخرة، ومعالي حسابي.
٢١- فهو في عيشة مرضية، يرضى بها أصحابها.
٢٢، ٢٣- في جنة مرتفعة المكان والدرجات. ثمارها قريبة، يتناولها القائم والقاعد والمضطجع.
٢٤- يقال لهم: كلوا واشربوا أكلاً وشرباً هنيئاً لا تنغيص فيه بسبب ما قدمتم في الدنيا من الأعمال الصالحة.
٢٥- وأما من أعطي كتابه (صحيفة أعماله) بشماله، فيقول حزناً وأسفاً: يا ليتني لم أعط كتابي.
٢٦- ولم أعلم أي شيء من حسابي.
٢٧- يا ليت الموتة التي متها في الدنيا كانت القاطعة لأمري وحياتي، فلم أبعث بعدها.
٢٨- ما أفادني مالي شيئاً في دفع عذاب الله تعالى.
٢٩- هلكت عني حجتني، وضلت عني، أوزال عني ملكي وسلطاني على الناس.
٣٠- يقال لخزنة جهنم: خذوه فأدخلوه النار مشدوداً في الأغلال، بجمع يده إلى عنقه.
٣١- ثم أدخلوه المحميم ليقاسي حرها ويحترق بها.
٣٢- ثم أربطوه وأدخلوه جهنم في سلسلة طولها سبعون ذراعاً بذراع الملك، والمراد أنها سلسلة طويلة.
٣٣- إنه كان لا يصدق بوجود الله العظيم وبوحدانيته.
٣٤- ولا يحث الناس على إطعام المحتاج من فقير أو مسكين.



٣٥، ٣٦ - فليس له اليوم ما هنا قريب مشفق يحميه أو صديق يتفجع به. وليس له طعام إلا من صديد أهل النار وما يسيل منهم من فيح أو دم.

٣٧ - لا يأكله إلا الكافرون أصحاب الخطايا.

٣٨، ٣٩ - أقسم بكل شيء تشاهدونه، وما لا تشاهدونه من الموجودات.

٤٠ - إن هذا القرآن لقول وتلاوة رسول كريم عند الله مبلغاً عن ربه، وهو جبريل أو محمد عليهما السلام. قال مقاتل في سبب نزول الآيات [٣٨ - ٤٠]: إن الوليد بن المغيرة قال: إن محمداً ساحر، وقال أبو جهل: شاعر، وقال عقبة: كاهن، فقال الله عز وجل: ﴿فلا أقسم..﴾ أي أقسم.

٤١ - وليس هو بقول شاعر؛ لأن الرسول ﷺ ليس بشاعر، تؤمنون أيها المشركون إيماناً قليلاً.

٤٢ - وليس هو بقول كاهن: وهو الذي يدعي علم الغيب، قليلاً ما تتعظون وتأملون بهذا القرآن.

٤٣ - إنه - أي القرآن - تنزيل من الله رب العالمين.

٤٤ - ولو تقول أي افترى محمد بعض الأقوال المكذوبة أو الباطلة من عند نفسه ونسبها إلينا.

٤٥، ٤٦ - لمأقنباه وانتقمنا منه بقوة، أو لأخذنا بيده اليمنى يباهة بالغة. ثم لقطعنا منه العرق المتصل بقلبه أي أمنتاه، وهذا تصوير لإهلاكه بأشنع صورة.

٤٧ - فليس أحد منكم عنه مانعين أو دافعين، يمنعنا من عقابه، أو ينقذه منا، فكيف يكذب على الله؟

٤٨ - وإن هذا القرآن لعظة لمن يلتزمون أوامره الله ويخافون عقابه ويجتنبون معاصيه، وخص أهل التقوى؛

فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ مَهْجِيمٌ ۝ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَشِيلٍ ۝ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِلُونَ ۝ فَلَا أَقْسَمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ۝ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَكْذِبُونَ ۝ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَفْنَا مِنْهُ الْآوِينَ ۝ فَإِن كُنتُمْ مِنْ أَهْلِ عَنَتِ هَجْرَيْنِ ۝ وَاللَّهُ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ۝ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ وَإِنَّهُ لَكَيْفٌ الْيَقِينِ ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْقَبِيضِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دِفْعٌ ۝ مِنَ اللَّهِ هَٰذَا عَذَابٌ مُّجْتَمِعٌ ۝ تُرْجَى الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فَيَوْمَ كَانَ مَقْدَرُهُ جَحِيمٍ ۝ أَلَمْ يَسْأَلْ سَائِلٌ مِّنْهُمْ بَرْئِيَّةً ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَرْئِيَّةٌ ۝ يَوْمَ كَانُوا أَتَىٰهُمُ الْكَافُورُ ۝ وَكَانُوا يُجَادِلُنَهُ ۝ وَلَا يَسْتَلْعِمُونَ جِثَامًا

لأنهم المتضمنون بالذكر.

٤٩ - وإننا لنعلم أن منكم أو بعضهم أيها الناس يكذب بهذا القرآن، فنحن مجازيه.

٥٠ - وإن هذا القرآن يكون سبب حسرة وندامة لهم يوم القيامة إذا رأوا ثواب المؤمنين.

٥١ - وإن هذا القرآن لهو اليقين الحق الثابت الذي لا ريب فيه، وهو ما يدرك بالحواس أو الوجدان.

٥٢ - فتره الله تعالى عن كل ما لا يليق به أيها النبي وكل من آمن بك، والعظيم: الذي يتضاءل أمام عظيمته كل شيء، و

باسم أي ذات الله، والباء زائدة.

سورة المعارج

١ - طلب استهزاء طالب من صناديد الكفر بمكة إنزال عذاب واقع مما حذر منه محمد بن عبد الله ﷺ.

٢ - واقع كائن للكافرين لا يدفعه ولا يمنه أحد. أخرج النسائي وابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قال: هو النضر بن الحارث، قال: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ [الأنفال ٣٢ / ٨].

٣ - واقع من الله صاحب المصاعد، أي الدرجات التي تصعد فيها الملائكة.

٤ - تصعد إلى الله الملائكة وجبريل عليه السلام في يوم القيامة، مقداره لغير الملائكة خمسون ألف سنة من سنوات الدنيا، لو صعد فيها غير الملك، إشعاراً بشدة أهواله.

٥ - فأصبر أيها النبي على تكذيبهم لك صبراً لا يخالطه ضجر ولا شكوى لمخلوق.

٦، ٧ - إن هؤلاء المشركين يظنون ذلك اليوم بعيد الحصول، محالاً. ونراه قريباً من الوقوع؛ لأن كل ما هو آت قريب.

٨ - يوم تكون السماء كاللعدن الأحمر المذاب من النحاس والرصاص والفضة ونحوها.

٩، ١٠ - وتكون الجبال كالصوف المنفوش. ولا يسأل قريب قريبه عن شأنه، لاشتغال كل واحد بحاله.

١١- يُعْرِفُ كُلَّ حَمِيمٍ بِحَمِيمِهِ، أَيُّ مَنْ اللَّهُ سَبْحَانَهُ، فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ لِشِدَّةِ الْهَوْلِ، يُحِبُّ الْكَافِرَ وَيَتَمَنَّى اقْتِدَاءَ نَفْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْقِيَامَةِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ وَأَبْأَلَا لَهُ. وَ (لَوْ) حَرْفٌ يَجْعَلُ الْفِعْلَ بَعْدَهُ فِي قُوَّةِ الْمَصْدَرِ أَيْ اقْتِدَاءَ نَفْسِهِ.
١٢، ١٣- يَشْتَدِيهِ أَيْضاً بِزَوْجَتِهِ وَأَخِيهِ. وَهَؤُلَاءِ أَعَزُّ النَّاسِ لَدَيْهِ. وَعَشِيرَتُهُ الَّتِي تَضُمُّهُ وَيَأْوِي إِلَيْهَا عِنْدَ الشَّدَادَةِ.
١٤- وَيُودِى لَوْ يَشْتَدِي نَفْسَهُ بِجَمِيعٍ مِنْ فِي الْأَرْضِ مِنَ الثَّقَلَيْنِ: الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، ثُمَّ لَوْ يَنْجِيهِ الْاِقْتِدَاءَ مِنَ الْعَذَابِ. وَ (ثُمَّ) لِلْاِسْتِعَادَةِ.

١٥، ١٦- ﴿كَلَّا﴾: رَدْعٌ لِلْمَجْرُمِ وَزَجْرٌ عَمَّا قَبْلَهُ، أَيْ لَا يَنْجِيهِ مِنَ الْعَذَابِ شَيْءٌ، إِنْ جَهَنَّمَ تَلْتَهَبُ عَلَى الْكَفَّارِ. تَنْتَرِعُ جِلْدَةُ الرَّأْسِ بِشِدَّةٍ، ثُمَّ تَعُودُ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ.
١٧- تَجْذِبُ جَهَنَّمَ وَتَحْضُرُ مِنْ أَدْبَرٍ (أَعْرَضَ ظَهْرُهُ لِلْحَقِّ) عَنِ الْإِيمَانِ وَالْحَقِّ، وَأَعْرَضَ عَنِ الطَّاعَةِ.

١٨- وَجَمَعَ الْمَالَ، فَجَعَلَهُ فِي وَعَاءٍ، وَكَتَبَهُ وَلَمْ يُودِ حَقَّ اللَّهِ فِيهِ. وَالْمُرَادُ: حَبْسَ الْمَالَ عَنْ وَجْهِ الْخَيْرِ، لِشِدَّةِ حِرْصِهِ عَلَى الدُّنْيَا.

١٩- إِنْ الْإِنْسَانُ خَلَقَ شَدِيدَ الْجَزَعِ عِنْدَ الْمَكْرُوهِ، وَشَدِيدَ الْمَنَعِ عِنْدَ الْخَيْرِ، وَالْهَلْعُ: أَشَدُّ الْحَرَصِ.
٢٠- إِذَا أَصَابَهُ الْفَقْرُ أَوْ الْمَرَضُ وَنَحْوَهُ مِنَ الْآفَاتِ لَمْ يَصْبِرْ وَلَمْ يَحْتَسِبْ أَجْرَهُ عِنْدَ رَبِّهِ.

٢١- وَإِذَا أَصَابَهُ الْغِنَى مِنْ خَصْبٍ وَسَعَةٍ أَوْ مِنْ زَرَاةٍ وَغَيْرِهَا، كَانَ كَثِيرَ الْمَنَعِ وَالشَّحِّ. وَهَذِهِ الْخُصَالُ الثَّلَاثُ (الْهَلْعُ وَالْجَزَعُ وَالْمَنَعُ) طِبَائِعُ إِنْسَانِيَّةٍ.

٢٢- إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ الْقَائِمِينَ بِالصَّلَاةِ، لِيَسُوا عَلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ الثَّلَاثِ، تَأَثُّراً بِإِيمَانِهِمْ وَدِينِ الْحَقِّ.

٢٣- الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ مُوَظَّوْنَ، لَا يَفْرُطُونَ بِشَيْءٍ مِنْهَا.

٢٤- وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَصِيبٌ مَعِينٌ وَاجِبٌ وَهِيَ الزَّكَاةُ الْمَقْرُوضَةُ.

٢٥- لِلْسَّائِلِ الْفَقِيرِ الَّذِي يَسْتَجِدِّي، وَالْفَقِيرِ الْمُتَعَفِّفِ عَنِ السُّؤَالِ، قِيْظُنْ أَنَّهُ غَنِيٌّ، فَيَحْرَمُ.

٢٦- وَالَّذِينَ يَصْدُقُونَ يَوْمَ الْجَزَاءِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ تَصْدِيقاً قَلْبِيّاً وَعَمَلِيّاً.

٢٧- وَالَّذِينَ هُمْ خَائِفُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ، مَعَ قِيَامِهِمْ بِالطَّاعَاتِ.

٢٨، ٢٩- إِنْ عَذَابَ رَبِّهِمْ لَا يَأْمَنُهُ أَحَدٌ، فَهُوَ وَاقِعٌ لَا مُحَالَةَ. وَالَّذِينَ هُمْ حَافِظُونَ لِفُرُوجِهِمْ مِنَ الْحَرَامِ كَالزَّوْنِ وَنَحْوِهِ.

٣٠- إِلَّا قِيَمًا هُوَ حَلَالٌ مِنَ التَّمَتُّعِ بِزَوْجَاتِهِمْ أَوْ بِأَيَّامَتِهِمُ الْمَمْلُوكَاتِ، فَهُمْ غَيْرُ مُوَاخِذِينَ فِي مَارَسَةِ الْمُبَاحِ.

٣١- فَمَنْ طَلَبَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَجَاوِزُونَ حُدُودَ اللَّهِ تَعَالَى.

٣٢- وَالَّذِينَ هُمْ لِمَا تَتَمَنَّوْنَ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَلَمَّا عَاهَدُوا عَلَيْهِ غَيْرِهِمْ: حَافِظُونَ لَا يَخُونُونَ، وَلَا يَغْدُرُونَ.

٣٣- وَالَّذِينَ هُمْ بِتَحْمَلِ شَهَادَتِهِمْ وَأَدَائَتِهَا قَائِمُونَ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ، مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ وَلَا زِيَادَةٍ.

٣٤، ٣٥- وَالَّذِينَ هُمْ يَحْفَظُونَ عَلَى صَلَاتِهِمْ بِأَوْقَاتِهَا وَأَرْكَانِهَا وَشُرَاطِهَا، مِنْ غَيْرِ مَشْغَلَةٍ عَنْهَا. وَتَكَرُّارَ ذِكْرِهَا لِلتَّأْكِيدِ وَالِدَّلَالَةِ عَلَى فَضْلِهَا. وَأُولَئِكَ الْمَذْكُورُونَ فِي جَنَاتٍ مُكْرَمُونَ بِثَوَابِ اللَّهِ وَمُسْتَقْرُونَ فِيهَا.

٣٦- فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَنَحَوُكَ وَحَوْلَكَ مُسْرِعِينَ إِلَى التَّكْذِيبِ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِكَ وَمَا يَسْمَعُونَهُ مِنْكَ.

٣٧، ٣٨- عَنْ عَيْنِكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ وَعَنْ شِمَالِكَ جَمَاعَاتُ جَمَاعَاتٍ مُتَفَرِّقَةٌ. أَيْطَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْكَفَّارِ دُخُولَ جَنَّةٍ نَعِيمٍ كَالْمُسْلِمِينَ؟ كَانَ الْمَشْرُوكُونَ يَقُولُونَ: لَنْ يَدْخُلَ هَؤُلَاءِ الْجَنَّةَ، لَنَدْخُلْنَاهَا قَبْلَهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ.

٣٩- ﴿كَلَّا﴾: لِلرَّدْعِ وَالزَّجْرِ عَنِ الطَّمَعِ فِي الْجَنَّةِ، لَا يَدْخُلُونَهَا، إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ وَغَيْرَهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ مِنْ نَظْفِ مَهِينَةٍ، فَلَا يَنْبَغِي لَهُمْ هَذَا التَّكْبِيرُ.

يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ يَشَدِّي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ يُصِذُّ بَيْنَهُ ١١
وَصَلَاتِهِ وَأَجْرِهِ ١٢ وَصَلَاتِهِ الَّتِي تُقْبَلُ ١٣ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ نَحْيِهِ ١٤ كَلَّا إِنَّمَا لَطَفُ ١٥ تَرَاةٍ لِلشَّيْءِ ١٦ لَعَنُوا
مَنْ أَذْبَرُوا تَوَلَّى ١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ١٨ إِنْ الْإِنْسَانُ حَقَلْهُ مَلُوكًا
إِذَا سَأَلَ الشَّرْحُ رُوحًا ١٩ وَإِذَا سَأَلَ الْمَلِكُ مَوْعَا ٢٠ إِلَّا
الْمُصَلِّينَ ٢١ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ٢٢ وَالَّذِينَ فِي
أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ٢٣ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ٢٤ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ
بِيَوْمِ الدِّينِ ٢٥ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ يُشْفِقُونَ ٢٦ إِنْ عَذَابَ
رَبِّهِمْ غَيْرَ مَأْمُونٍ ٢٧ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ فُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٢٨ إِلَّا عَلَى
أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ غَيْرَ مُلَمِّينَ ٢٩ فَمَنْ لَبَّى وَرَأَى
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٣٠ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ أَسْمِهِمْ وَعَنْهُمْ مُعْرِعُونَ
٣١ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ٣٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ
٣٣ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ٣٤ قَالَ الَّذِينَ هُمْ أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ
عَنْ يَمِينٍ وَعَنْ شِمَالٍ مَحْزِينٌ ٣٥ أَيْطَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ
أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ نَعِيمًا ٣٦ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ٣٧



٤٠- فاقسم برب المشارق والمغارب للشمس والقمر والنجوم إننا لقادرون على كل شيء .
 ٤١- قادرون على أن نهلكهم ونأتي بخلق أمثل منهم أو بدلهم أطوع لله ، وما نحن بمغلوبين أو عاجزين عن ذلك .
 ٤٢- فاترك المشركين يتحدثوا في باطلهم ، ويلعبوا في دنياهم ، حتى يلاقوا اليوم الذي يوعدون فيه العذاب ، وهو يوم القيامة .
 ٤٣- يوم يخرجون من القبور مسرعين إلى المحشر ، كأنهم يسرعون أو يتسابقون إلى شيء منصوب : علم أو راية ، كإسراع من ضل الطريق إذا رأى علامة تهديه .
 ٤٤- ذليلة منكسرة أبصارهم لما يتوقعونه من العذاب ، تغشاهم ذلة شديدة ، ذلك يوم القيامة الذي كانوا يوعدون به في الدنيا .

سورة نوح

١- إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن حذر قومك من العذاب إذا خالفوا أمر الله ، من قبل مجيء عذاب شديد الألم ، وهو عذاب النار ، إن لم يؤمنوا .

٢- قال نوح : يا قوم ، إني لكم محذّر مخوف من عقاب الله ، واضح الإنذار ، ببيان رسالة الله تعالى .
 ٣- بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له ، وامثلوا أوامره ، وخافوا ما يوقعكم في العذاب ، وأطيعوني فيما أمر به ، وأنهى عنه .

٤- يغفر لكم بعض ذنوبكم وهي المتعلقة بحقوق الله لا بحقوق العباد ، ويؤخر أعماركم إلى أمد معين عند الله ، لا يتجاوزها ؛ لأن الأمة المطيعة المستقيمة تطول أعمارها ، إن الأجل الذي قدره الله لكم إذا بقيتم على الكفر لا يؤخر عن ميعاده ، بل يقع لا محالة ، لو كنتم تعلمون ذلك لبادرتكم إلى الإيمان . والمراد كأنهم لا تشغلهم في حب الحياة الدنيوية شاكون في الموت .

٥- قال نوح : رب إني دعوت قومي إلى الإيمان دائماً متصلاً بغير تقصير في الليل والنهار .

٦- فلم تزد هم دعوتي لهم للإيمان والتوحيد إلا فراراً وبعداً من الإيمان والطاعة .

٧- وإني كلما دعوتهم إلى الإيمان والطاعة لتغفر لهم خطاياهم ، سلّوا مسامعهم عن استماع الدعوة ، وغطّوا بشياهم وجوههم لئلا يروني ويسمعوا قلبي ، وأصرّوا على الكفر ، وتكبّروا عن اتباعي وقبول دعوة الحق والإيمان ، تكبراً شديداً . وفي هذا التصرف منتهى الكراهة والإباء عن الإيمان .

٨- ثم إني دعوتهم للإيمان بك يا الله مجاهرة بأعلى صوتي .

٩- ثم إني أعلنت لهم دعوتي بصوتي ، وأسررت الكلام لهم إسراً بيني وبينهم ، مرة بعد أخرى .

١٠- فقلت لهم : اطلبوا المغفرة من الله على الكفر أو الشرك ، إن الله كثير المغفرة للذنوب التائبين .

فَلَا أَقْسَمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَعَالِدُونَ ﴿١﴾ عَلَّانٌ يُدْعِيهِمْ إِلَيْهِمْ
وَمُخْتَصِرٌ يُسَوِّفُ ﴿٢﴾ فَذَرَهُمْ حَيُّوْهُمْ وَلَعَبُوا حَتَّىٰ لَمَّا يَوْمُهُمُ الَّذِي
يُوعَدُونَ ﴿٣﴾ يَوْمَ يُخْرِجُنَّ مِنَ الْأَعْدَابِ بِرَأْسِهِمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِصُونَ
﴿٤﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ ثُمَّ دَلَّٰهُمُ ذُلَّهُمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٥﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذْ أَنْذَرَهُمْ عَذَابَ آيَةٍ
 ﴿١﴾ قَالَ يَتَّبِعُونَ إِنِّي كُنتُ مِنْكُمْ قَبْلُ ﴿٢﴾ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا
 ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّا بِأَعْيُنِنَا
 إِذْ جَاءَهُمْ لَا يُخْرِجُوهُمْ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا
 وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ
 لَهُمْ جَعَلُوا أَصْصِفُهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَفْسَدُوا بِآيَاتِهِمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا
 أَتَسْكَبُ أَكْرًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهْرًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ
 وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

سورة الجن



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ①
 يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا أَحَدًا ② وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ
 رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ③ وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِينًا عَلَى اللَّهِ
 شَطَطًا ④ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
 ⑤ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ
 رَهَقًا ⑥ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَنْبَغَ أَنَّهُ أَحَدًا ⑦ وَأَنَّا
 لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مِثْلَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ⑧ وَأَنَّا كُنَّا
 نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ الْطَّيْرِ فَزَيْتُهَا لَمْ يَكُنْ لَنَا حَبْلٌ يُدْرِكُهَا فَسَبَّاهَا فَأَسْأَلُهَا
 ⑨ وَأَنَا لَا تَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُكَ فِي الْأَرْضِ أَمْ آَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ⑩
 وَأَنَّا مِمَّا الْفَاصِلُونَ وَمَتَادُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرِيقَ قَدَا ⑪
 وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَنْفِرَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نَحْزُرَهُ وَهَبًا ⑫ وَأَنَّا لَمَّا
 سَمِعْنَا الْحَمْدَ أَتَيْنَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَلَا يُخَافُ مِنْكُمْ وَهَبًا ⑬

١- قل أيها النبي لأمتك: استمع لقراءتي القرآن
 عدد من الجن-والنفر: ما بين الثلاثة إلى العشر- فقالوا
 لقومهم: إنا سمعنا قرآنًا عجيبًا في فصاحته وبلاغته
 ومعانيه، لم نسمع له نظيرًا من قبل. والجن: عنصر
 من المخلوقات، خلقوا من نار، والملائكة من نور.
 قال ابن عباس في رواية البخاري ومسلم
 والترمذي: استمع نفر من الجن القرآن حينما
 كان النبي ﷺ بنخلة يصلي بأصحابه صلاة
 الفجر.

٢- يدل ويرشد هذا القرآن إلى الحق ومعرفة الله،
 فصدقنا بالقرآن أنه من عند الله، ولن نشرك بعبادة ربنا
 أحدًا من خلقه.

٣- وأنه تعظم وارتفع جلال وعظمة ربنا عن اتخاذ
 صاحبة: زوجة، أو ولد، كما يقول الكفار المقترون.
 والجدة: العظمة.

٤- وأنه كان يقول جاهلنا والطائش منا على الله
 غلوا في الكفر والكذب وتجاوز الحد بنسبة صاحبة
 والولد إليه. والسفه هنا: القول البعيد عن الصواب.

٥- وأنا اعتقدنا أو حسبنا أن لن نقول الإنس والجن

قولاً مكذوباً على الله بنسبة الشريك والصاحبة والولد إليه.

٦- وأنه كان رجال من الإنس يستجيرون برجال من الجن في السفر، فزاد رجال الجن المستعيز بهم طغياناً وكبراً
 وطيشاً وإثمًا. كان العرب إذا نزل الرجل بواد قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فبييت
 في جواره حتى يصبح. نزلت في راعي غنم استجار بعامر الوادي حينما أخذ الذهب حملاً من الغنم.

٧- وأن الإنس ظنوا كما ظننتم أيها الجن أنه لن يبعث الله أحدًا، فلا بعث وجزاء.
 ٨- وأنا توجهنا إلى السماء لاستماع أخبارها، فوجدناها ملئت حرساً قوياً وهم ملائكة يحرسونها من استراق
 السمع، ونجوماً محرقة.

٩- وأنا كنا نقعد من بعض نواحي السماء قبل ذلك مقاعد لاستماع أخبارها، أي نحاول الاستماع والترصد،
 فمن يرد الاستماع الآن بعد بعثة خاتم الرسل، يجد له شهاب نار أرصده ليُرْمى به، أي مرصوداً معداً لطرده
 المستمع.

١٠- وأنا لا ندري أشراً أريد بأهل الأرض بسبب حراسة السماء، أم أراد بهم ربهم خيراً وصلاحاً؟
 ١١- وأنا منا الكاملون في الصلاح، ومنا الأقل درجة في الصلاح، كنا أصحاب طرق مختلفة، مسلمين
 وكفاراً.

١٢- وأنا علمنا أن لن نفلت من الله تعالى بالدخول في الأرض أو الهرب في السماء، فإله يدركنا أينما ذهنا.
 ١٣- وأنا لما سمعنا القرآن صدقنا بأنه من عند الله، فمن يصدق بالله ربه إلهاً واحداً، فلا يخاف نقصاً من
 حسناته، ولا ظلماً بالزيادة في حسناته. والبخس: التقصان، والرهق: الطغيان والتجاوز.



١٤- وأنا منا المسلمون المقادون لأمر الله، ومنا الجاثرون الظالمون الذين حادوا عن طريق الحق وهو الإيمان والطاعة، فمن أسلم وانقاد لله فأولئك قصدوا طريق الحق والهداية.

١٥- وأما الكافرون الجاثرون فكانوا وقوداً لنار جهنم في الآخرة.

١٦- وأن لو استقاموا على طريق الإسلام وآمنوا لأسقيناهم ماء كثيراً، أي وسعنا عليهم في الرزق؛ لأن الماء سبب كل خير. قال مقاتل: نزلت في كفار قريش حين منعوا المطر سبع سنين.

١٧- لنعامهم معاملة المختبر، ومن يعرض عن القرآن يدخله عذاباً شاقاً يعلوه.

١٨- وأن المساجد (أماكن الصلاة) مختصة بعبادة الله، فلا تعبدوا فيها غيره. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: قالت الجن: يا رسول الله، ائذن لنا، فنشهد معك الصلوات في مسجدك، فأنزل الله هذه الآية.

١٩- وأنه لما قام محمد ﷺ بعبادته بطن نخلة، كاد الجن يكونون على الرسول جماعات متراكمين، حرصاً على سماع القرآن.

٢٠- قل أيها الرسول: إنما أعبد ربّي، ولا أشرك به أحداً من خلقه، نزلت حينما قال كفار قريش للنبي ﷺ:

إفك جفت بامر عظيم، وقد عادت الناس كلهم، فارجع عن هذا، فنحن نجبرك.

٢١- قل أيها النبي لقومك: لا أستطيع أن أدفع عنكم ضرراً، ولا أجلب لكم خيراً، أي ضللاً وهداية.

٢٢- قل: إني لن ينفعني ويدفع عني شيئاً من عذاب الله إن عصيته، فنزل بي، ولن أجد من غيره ملجأ. أخرج ابن جرير عن حزمي أنه ذكر أن جنياً من الجن من أشرفهم ذا تبع قال: إنما يريد محمد أن يجيره الله، وأنا أجيره، فأنزل الله هذه الآية.

٢٣- لا أملك لكم إلا تبليغاً من الله لرسالاته التي كلمني بها، وأوحى بها إلي على لسان جبريل، لبيان مجمل القرآن من صلاة وزكاة وحج، ومن يخالف أوامر الله ورسوله في توحيد الله وشرائعه، فله نار جهنم، ما كثر فيها إلى الأبد.

٢٤- حتى إذا رأى الكفار ما يوعدون من العذاب، فسيعلمون وقتلهم من أضعاف أعواناً وأقل أعداداً، المؤمنون أم هم؟ قال مقاتل: لما سمع المشركون هذه الآية، قال النضر بن الحارث: متى يكون هذا اليوم الذي توعدنا به؟ فأنزل الله الآية التالية.

٢٥، ٢٦- قل أيها الرسول للمشركين: ما أدري أقرب العذاب الذي توعدون به أم يجعل له ربي غاية وأجلاً لا يعلمه إلا هو. والأمد: الزمن البعيد. الله تعالى هو عالم ما غاب عن العباد، فلا يُطلع على غيبه أحداً من خلقه.

٢٧- لا يُطلع أحداً على بعض الغيب إلا من اختاره للرسالة، فإنه يجعل ويرسل من أمامه ومن خلفه حراساً من الملائكة يحفظونه من تعرض الشياطين، حتى يبلغ الرسالة ويؤدي الوحي للناس.

٢٨- ليظهر معلوم الله بالمشاهدة أن رسله بلغوا الرسالات، وأحاط تعالى علمه بما عند الرسل من أحوال، وأحصى عدد كل شيء.

وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ الْقَاسِطِينَ مَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ
نَحْنُ رِزْقًا ١٤ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ١٥
وَالْوَالِئَ اسْقِمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقِينَهُمْ مَاءً عَذْبًا ١٦ لِنُعْطِيَهُمْ
فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْ عَذَابًا صَعَدًا ١٧
الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ١٨ وَأَلْبَسْنَا قَامَ عَبْدَ اللَّهِ
بِدَعْوِهِ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ١٩ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ
بِهِ أَحَدًا ٢٠ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رِزْقًا ٢١ قُلْ إِنِّي
لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ٢٢ إِلَّا بَلَاغًا
مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتٍ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نُجْرَةً رَّجَاهُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ٢٣ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْأَلُونَ مَنْ
أُضْعِفَ نَاصِرًا وَأَقْلَ عَدَدًا ٢٤ قُلْ إِن أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ
أَمْ يَجْعَلُ لِرَبِّي أَمَدًا ٢٥ عَذَابُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ
أَحَدًا ٢٦ الْإِنَّمَنَ أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ فَكَلَّمَهُ بِسُلْكِ
مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رِزْقًا ٢٧ لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ بَلَغُوا
رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ٢٨

سورة المزمل

- ١- يا أيها النبي المتزمل المتلفف بشيابه، والمراد هنا: المتكفف حزناً عما يقول المشركون.
- ٢- قم الليل للصلاة إلا قليلاً منه للراحة والنوم.
- أخرج الحاكم عن عائشة قالت: لما أنزلت ﴿يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً﴾ قاموا سنة حتى ورمت أقداسهم، فأنزلت: ﴿فاقرؤوا ما تيسر منه﴾ [٢٠].
- ٣- وبيان القليل: هو نصف الليل أو انقص من النصف قليلاً إلى الثلث. وهذا للتخير.
- ٤- أوزد على هذا النصف حتى يكون أكثر من النصف دون الثلثين، وأقرأ القرآن بتؤدة وثبتت، ليسهل فهمه وإدراك معانيه. والترتيل: بيان جميع الحروف وإيقاف حقها من الإشباع.
- ٥- إنا سنلقي عليك أيها النبي قرآنًا مهيباً شاقاً، لما فيه من التكاليف الشاقة على النفوس.
- ٦- إن العبادة التي تنشأ بالليل أشد ثباتاً ورسوخاً في النفس من عبادة النهار، وأشدّ مقالاً لأن السكون يساعد على استحضار المعاني.
- ٧- إن لك أيها النبي في النهار تقلباً في مهامك، وتصرفاً في حوائجك لمدة طويلة، فصل قيام الليل.

سُورَةُ الْمَزْمَلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ١ ثُمَّ الْبَلِّ الْأَظْلَمُ ٢ نَصْفَهُ وَأَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ٣ أَوْ رَدَعْلَهُ وَرَبِّ الْقُرْبَى ٤ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ٥ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ٦ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ٧ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ٨ سَبَّحًا طَوِيلًا ٩ وَأَذْكُرَ اسْمَ رَبِّكَ رَسُولًا إِلَيْهِ يُبَيِّنُ ١٠ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ١١ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَهُجْرَهُمْ هَرَجًا ١٢ وَدَرْبِ الْمَكِيدِينَ ١٣ أُولَى النِّعْمَةِ وَهُمْ لَهَا قُلُوبًا ١٤ إِنْ لَدَيْنَا أَنْكَارٌ وَرَحِيمًا ١٥ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ١٦ يَوْمَ نَزَّجْنَا الْآرْضَ وَالْجِبَالَ وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَيْبًا مِهْلًا ١٧ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدَ عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ١٨ فَفِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا ١٩ فَكَيْفَ تَقُونُ ٢٠ إِنْ تَقَرُّرُ نَوْمًا يَجْعَلِ الْوِلْدَانَ شِيبًا ٢١ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ٢٢ إِنْ هَذِهِ بِلَدِّكَ فَتَنْ شَاءَ اتَّخِذْ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ٢٣

- ٨- وداوم على ذكر الله بالتسبيح والتحميد والتهليل والدعاء، وتفرغ لعبادة الله ومراقبته بقلبك.
- ٩- الله رب المشرق والمغرب وما بينهما، أي رب العالم كله، لا إله يستحق العبادة سواه، فاتخذوه وكيلًا عنك، أي قائماً بأمرك، مفوضاً إليه شأنك.
- ١٠- واصبر على ما يقول كفار مكة من الأذى والاستهزاء، ولا تتعرض لهم ودارهم، والهجر الجميل: هو ما لا عتاب معه.
- ١١- واتركني والمكذبين برسالتك، فإني قادر عليهم، وأكفيك أمرهم، أصحاب النعم بالأموال والأولاد، واتركهم زماناً قليلاً برفق وعدم ميالة. نزلت في صنابير قريش ورؤساء مكة من المستهزئين.
- ١٢- إن عندنا قيوداً ثقيلة، وناراً محرقة شديدة التوقد.
- ١٣- وطعاماً يغص به أكله وعذاباً مؤلماً يوم القيامة إذا استمروا في كفرهم.
- ١٤- يوم تضطرب وتنزل الأرض والجبال عند النفخة الأولى، وتصير الجبال ملاماً متجمعة، ورخواً تغوص به الأقدام.
- ١٥- إنا أرسلنا إليكم يا أهل مكة رسولاً هو محمد ﷺ يشهد عليكم يوم القيامة بأعمالكم، أنكم عصيتموه، كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً هو موسى عليه السلام.
- ١٦- فكذب فرعون الرسول موسى ولم يؤمن برسالته، فأخذناه أخذاً ثقيلاً شديداً.
- ١٧، ١٨- فكيف تقفون أنفسكم إن أصبرتم على الكفر عذاب يوم شيب الولدان لشدة هوله. السماء تصبح متشقة لهول ذلك اليوم. وإنما جاء «منفطر» مذكراً؛ لأن السماء تذكر باعتبارها سقفاً، كان وعده تعالى كائناً لا محالة.
- ١٩- إن آيات القرآن المخوفة المتقدمة هذه تذكير وموعظة، فمن شاء الاتعاظ والانتفاع بها اتخذ طريقاً إلى ربه بالإيمان.

١٨، ١٩- إنه تأمل في القرآن، وقدر في نفسه ما يمكن أن يكون طعناً فيه، فلنن كيف فكر وتوصل إلى ما تريده قريش.

٢٠، ٢١- ثم لنن كيف قدر، وكرر الدعاء عليه للمبالغة وتأکید الدم وتقييح ما فكر به، ثم نظر فيما يقدم به في القرآن ويرد الحق.

٢٢، ٢٣- ثم قطب جبهته بين الحاجبين، وكلح وجهه وتغير، ثم أعرض عن الإيمان وعن اتباع النبي.

٢٤، ٢٥- فقال: ما هذا القرآن إلا سحر يروى ويتعلم، ما هذا إلا قول البشر، وليس حياً وكلاماً من الله، كالتأكيد لما سبق.

٢٦، ٢٧- سأدخله جهنم، وما أعلمك أي ناري؟!

٢٨، ٢٩- لا تبقي على شيء حي يلقى فيها حتى تهلكه وتحرقه، ولا تتركه يخرج منها، ويتجدد جسمه ويعاد، تظهر للناس من مسافات بعيدة، أو مسودة للجسم.

٣٠- عليها تسعة عشر من الملائكة الأشداء هم خزنتها. نزلت بعد سؤال رهط من اليهود رجلاً من الصحابة عن خزنة جهنم.

٣١- وما جعلنا خزنة النار الذين يتولون التعذيب إلا ملائكة غلاظاً شداداً، فلا يمكن مقاومتهم، وما جعلنا عددهم تسعة عشر إلا اختصاراً للكافرين لتظهر به

بفكر وقدر ١٨، فَمَلَكَيْنِ قَدَرَا ١٩، ثُمَّ قُلَ لَكِنَّ قَدَرًا ٢٠، ثُمَّ نَظَرَ ٢١، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ٢٣، فَهَالَانِ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَى ٢٤، إِنْ هَذَا إِلَّا أَوَّلُ الْبَسْرِ ٢٥، سَأُصْلِبُ سَفَرًا ٢٦، وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَفَرٌ ٢٧، لَا بَقِيَّ وَلَا ذَرِيَّةٌ ٢٨، لَوْ أَنَّ لِلْبَشَرِ ٢٩، عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرِ ٣٠، مِائَةِ سَنَةٍ ٣١، وَأَجَلًا أَصْحَابَ النَّارِ ٣٢، إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَاهُمْ إِلَّا فَتَنَةً ٣٣، لِلَّذِينَ كَفَرُوا ٣٤، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٣٥، وَبَرَزُوا لِلَّهِ آيَةً ٣٦، وَلَا يُرَايَانِ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا الْوَكُوفُ ٣٧، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٣٨، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٣٩، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٤٠، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٤١، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٤٢، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٤٣، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٤٤، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٤٥، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٤٦، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٤٧، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٤٨، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٤٩، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٥٠، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٥١، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٥٢، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٥٣، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٥٤، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٥٥، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٥٦، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٥٧، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٥٨، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٥٩، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٦٠، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٦١، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٦٢، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٦٣، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٦٤، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٦٥، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٦٦، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٦٧، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٦٨، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٦٩، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٧٠، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٧١، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٧٢، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٧٣، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٧٤، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٧٥، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٧٦، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٧٧، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٧٨، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٧٩، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٨٠، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٨١، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٨٢، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٨٣، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٨٤، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٨٥، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٨٦، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٨٧، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٨٨، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٨٩، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٩٠، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٩١، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٩٢، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٩٣، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٩٤، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٩٥، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٩٦، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٩٧، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٩٨، وَالَّذِينَ آمَنُوا ٩٩، وَالَّذِينَ كَفَرُوا ١٠٠.

طبيعتهم، بأن يقولوا: لم كانوا تسعة عشر، ليشين أهل الكتاب (اليهود والنصارى) صدق القرآن، وصدق نبوة محمد ﷺ لموافقته لما في كتابهم، ويزداد المؤمنون إيماناً، ولا يشك بعد الإيمان الكتابيون والمؤمنون في الدين وعدد خزنة جهنم، وليقول الذين في قلوبهم فساد أو شك، وهم منافقو المدينة، والكفار مشركو قريش: ماذا أراد الله بهذا العدد حكمة وغرابة كائناً؟ مثل ذلك الإضلال للمنافقين والمشركين، يضل الله من يشاء بإبعاده عن الهدى لعناده، ويرشد من يشاء للحق لاستعداده الطيب، ولا يعلم قوة خزنة النار وأحوال هؤلاء التسعة عشر من الملائكة إلا الله تعالى، وما وصف سفر (النار) إلا تذكرة وموعظة للناس. قال ابن إسحاق وقتادة: قال أبو جهل يوماً: يا معشر قريش، يزعم محمد أن جنود الله الذين يعدونكم في النار تسعة عشر، وأنتم أكثر الناس عدداً، أفيعجز مئة رجل منكم عن رجل منهم، فأنزل الله: ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾.

٣٢، ٣٣- كلا، للردع والزجر لمن قال: يمكنه مقاومة خزنة النار، أقسم بالقمر المنير، والليل المظلم إذا مضى وولى.

٣٤، ٣٥- والصبح إذا أضاء وظهر، إن سفر (جهنم) لإحدى الدواهي أو البلايا العظام.

٣٦، ٣٧- النار إنذار للناس، لمن أراد أن يتقدم للخير والإيمان، أو يتأخر للشر والكفر.

٣٨، ٣٩- كل نفس مرتته محبوسة عند الله بعملها، إما نجاة وإما هلاكاً إلا أهل اليمين الذين أعطوا كتبهم بأيمانهم، وهم المؤمنون، فلا يترهون بلذونهم، فإنهم تجوا أنفسهم بما أحسنوا من أعمالهم.

٤٠، ٤١- هم في جنات يتساءلون بينهم، عن أحوال المجرمين.

٤٢، ٤٣- ما الذي أدخلكم جهنم؟ قالوا لهم: لم نكن في الدنيا من المصلين الصلاة المفروضة لله تعالى.

٤٤، ٤٥- ولم نكن نطعم المحتاج، وكنا ندخل مع أهل الباطل في باطلهم، ونقع في الغواية مثلهم.

٤٦، ٤٧- وكنا نكذب بيوم الجزاء يوم القيامة، حتى آتانا الموت.

٤٨، ٤٩ - فما تنفعهم شفاعة الشافعين من الملائكة والأنبياء والصالحين، فما لهم عن التذكر والاتعاظ بالقرآن معرضين؟
٥٠، ٥١ - مثل الحمير الوحشية، الشاردة الهاربة بقوة، هربت من أشد مدعورة خائفة.

٥٢ - بل يريد كل امرئ من المشركين أن يعطى كتاباً مفتوحاً خاصاً به من الله يثبت أنك رسول الله. قال السدي: قالوا لن كان محمد صادقاً، فليصبح تحت رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار فنزلت.

٥٣ - ﴿كَلَّا﴾: للزجر والردع عن اقتراح ما يريدون من الآيات أو المعجزات تعنتاً، بل (للتنتقال من تعنتهم إلى بيان سببه) وهو إنكار الآخرة.

٥٤ - ﴿كَلَّا﴾: زجر ألهم عن إنكار الآخرة، إن القرآن وعبره عظة كافية للناس.

٥٥ - فمن شاء الاتعاظ به انعط، وقرأه.

٥٦ - وما يتعظرون بالقرآن إلا بمشيئة الله الذي هو أهل لأن يتقى بطاعته وترك معصيته، والحقيق بأن يغفر للمؤمنين التائبين ذنوبهم.

سورة القيامة

١ - ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ﴾: لا زائدة، أي أقسم بيوم القيامة، والقسم به تعظيم وتضخيم له. والمراد تأكيد تحقق البعث.

٢ - وأقسم بالنفس التي تلوم صاحبها دائماً على تقصيره في الطاعة، فهي يقظة دائماً لنفسها.

٣ - أيظن الإنسان الكافر المنكر للبعث أن لن يجمع عظامه مرة أخرى بعد صيرورتها رفاتاً بالية.

٤ - بلى لجمعها حال كوننا قادرين على جمع ما دق منها، وإعادة أصابعه وبصماتها وعظامها كما كانت. قال عدي بن ربيعة لرسول الله ﷺ: يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون أمره، فأخبره الرسول، فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أؤمن به، أو يجمع الله هذه العظام بعد بلاها؟ فنزلت هذه الآية وما قبلها.

٥ - بل يريد الإنسان أن يدوم على فجره في مستقبل الزمان، ويكذب بالبعث في الآخرة.

٦ - يسأل استهزاء متى يكون يوم القيامة؟

٧، ٨ - فإذا أهش وتحير وزاغ البصر لما رأى ما كان يكذبه. وأظلم القمر وذهب ضوءه.

٩ - وذهب ضوء الشمس والقمر معاً يوم القيامة، فلا يتعاقب الليل والنهار.

١٠ - يقول الإنسان الكافر المكذب بالبعث: أين الفرار؟

١١، ١٢ - ﴿كَلَّا﴾: للردع عن طلب الفرار، لا ملجأ يتحصن به، إلى ريك يوم القيامة المرجع والمصير الدائم.

١٣ - يُخَبِّرُ الإنسان يوم القيامة بما قدَّم من عمل حسن أو سيء، وبما ترك من أثر يعمل به بعد موته.

١٤، ١٥ - بل الإنسان شاهد على نفسه، يعرف حقيقة ما هو عليه من إيمان وكفر، وطاعة ومعصية. وبصيرة: حجة واضحة ناطقة بعمله. ولو جاء بكل ما يعتز به؛ لأنه كاذب.

١٦ - لا تحرك أيها النبي بالقرآن لسانك قبل أن يتم وحيه، لتعجل بحفظه مخافة أن يذهب من ذاكرته. أخرج البخاري ومسلم وأحمد عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا أنزل الوحي، يحرك به لسانه، يريد أن يحفظه، فنزل الله هذه الآية.

١٧ - إن علينا حفظه في صدرك أيها النبي وإقذارك على قراءته متى شئت. والقرآن هنا بمعنى القراءة.

١٨ - فإذا قرأناه عليك بلسان جبريل، فاستمع قراءته على الوجه السليم غير المتسرع في ملاحظته.

١٩ - ثم إن علينا بيان ما أشكل فيه من المعاني والأحكام، والحلال والحرام.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَسْأَلُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ١ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ٢ أَيَحْسَبُ ٣
الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ ٤ بَلَىٰ فَرِينَ عَلَىٰ شَوَىٰ بَنَانِهِ ٥ بَلَىٰ ٦
يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ٧ يَسْأَلُ أَنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ٨ فَإِذَا بَرَأَ ٩
وَحُفَّتِ الْقُرَىٰ ١٠ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ١١ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ ١٢
أَيْنَ الْمَعْرُوفُ ١٣ كَلَّا لَا وَدَّ ١٤ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ١٥ يَبْتَغِي ١٦
الْإِنْسَانُ عِظَامَهُ ١٧ بَلَىٰ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ١٨ وَلَوْ أَلْقَىٰ ١٩
مَعَادِيرَهُ ٢٠ لَأَخْرَجَ بِهَ لِسَانِكَ لَنَعْلَمَ بِهِ ٢١ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ ٢٢
وَعَوْدَهُ ٢٣ فَإِذَا قَرَأْتَ فَاتَّبِعْ قَوْلَهُ ٢٤ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ٢٥





٢٠- ﴿كَلَّا﴾ : لردع الإنسان عن الاغترار بالدنيا، بل تحبون أيها الكفار وتختارون الدنيا ومتاعها الفاني.
 ٢١- وتتركون العمل للأخرة والاستعداد لها.
 ٢٢- وجوه المؤمنين يوم القيامة مضطربة مشرقة سروراً، متهللة بشراً بالنعيم.
 ٢٣- ناظرة رائية عياناً إلى ربها بلا حجاب ولا حصر وإحاطة، تواترت بذلك الأحاديث الصحيحة.
 ٢٤، ٢٥- ووجوه يوم القيامة قبيحة المنظر، شديدة العبوس، كشيبة. توقن أن يفعل بها داهية عظيمة تكسر الفقرات.
 ٢٦، ٢٧- ﴿كَلَّا﴾ : لزرع الكافر عن تفضيل الدنيا على الآخرة، إذا بلغت الروح العظام المحيطة بالبحر في العنق. وقيل لمن حضر حوله : من يرقيه وينجي ليشفى؟
 ٢٨- ويتقن المحتضر أنها ساعة الفراق من الدنيا.
 ٢٩- والتوت إحدى ساقيه على الأخرى عند الموت، فيعجز عن تحريكها، والمراد عند وضعه في كفته.
 ٣٠- إلى حكم ربك يوم القيامة المرجع.
 ٣١، ٣٢- فلا صدق الإنسان بما يجب عليه التصديق به، ولم يؤد صلاته المفروضة. ولكن كذب بالقرآن والرسول وأعرض عنهما.
 ٣٣- ثم ذهب إلى أهله يتبختر ويختال في مشيته إعجاباً وافخاراً بذلك.
 ٣٤، ٣٥- الويل والهلاك لك، ثم الويل والهلاك، وهذا تأكيد للجملة الأولى، وهو دعاء عليه للتحذير من فعله،

كَلَّا يَحْمِلُونَ أَسْفَالَهُ ۚ وَيَذَرُونَ الْآخِرَةَ ۚ وَجْهٌ يُؤْمِدُ نَاصِرُهُ ۚ إِلَى رَبِّهَا نَاطِقَةٌ ۚ وَجْهٌ يُؤْمِدُ بَاسِرُهُ ۚ نَظَرٌ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَارَةً ۚ كَلَّا إِنَّ الْقَبْضَ الْأَمْرِي ۚ وَقِيلَ لَهُ لَاقِي ۚ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَفِرَاقٌ ۚ وَالْقَبْضُ السَّاقِ وَالسَّاقِ ۚ إِلَى رَبِّكَ يُؤْمِدُ السَّاقِ ۚ فَلَا سَدَقٌ وَلَا صَلَى ۚ وَلَكِنْ كَذَبَ وَكُذِّبَ ۚ وَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ نَاطِقٌ ۚ أَوَّلُكَ فَأَوَّلُ ۚ وَأَوَّلُكَ فَأَوَّلُ ۚ انْتَسَبَ الْإِنْسَانُ بِرَبِّكَ سَعًى ۚ أَلَمْ يَكُنْ طَلْعَةً مِنْ مَنَى ۚ وَكَانَ عَاقِبَةُ فَلَقٍ مُسَوًى ۚ فَبَلَ سِنَةُ الْوَعْدِ الذِّكْرُ الْأَمْرِي ۚ الْبَرُّ لَكَ بِقَدْرِ عَلَّانٍ يُحْيِي أَلْوَنَ ۚ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ الْقَدَرِ ۚ شَيْئاً أَقْدَرُ ۚ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَسْفَلِ سَائِلِ ۚ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۚ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ۚ إِنَّمَا شَكَرَ وَإِنَّمَا كَفَرَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَلَ وَسِيمًا ۚ إِنَّا لَنَأْمُرُكَ بِشَيْءٍ مِّنْ أَمْسٍ ۚ كَان مَرَاجِعُهَا كَأَفْرًا ۚ

والجملة الثانية تفيد تكرار ذلك عليك مرة بعد مرة. قال أبو جهل: بأي شيء تهددني؟ لا تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلوا بي شيئاً، وإني لأعز أهل هذا الوادي. فلما كان يوم بدر قتل.
 ٣٦، ٣٧- أيقن الإنسان أن يترك مهملًا لا يكلف بالشرائع ولا يحاسب! ألم يكن نقطة من منى يراق في الرحم؟
 ٣٨- ثم صار قطعة دم جامد، فأوجد الله منه بشراً كامل التركيب، فعدله الله وأكمل نشأته وتسوية أعضائه.
 ٣٩، ٤٠- فجعل من الإنسان المكتمل المذكور الصنفين: الرجل والمرأة. أليس ذلك الفعل لهذه الأشياء، المنشئ لها بقادر على إحياء الموتى من بعد مماتهم؟ فإن الإعادة أعم من الابتداء (بلى إنه على كل شيء قدير) وهذا القول مطلوب في السنة النبوية.

سورة الإنسان

- ١- قد أتى على الإنسان (جنس الآدمي) وقت من الزمن لم يكن شيئاً مذكوراً، حيث كان نقطة، فعلقه، فمضغه، ثم نفخ فيه الروح، فصار إنساناً سوياً. و ﴿هل﴾ حرف بمعنى (قد) لتحقيق ثبوت ما بعدها.
- ٢- إنا خلقنا الإنسان (ابن آدم) من نقطة وهي المنى، أخلاط، يختلط فيها مني الرجل ومنى المرأة، نخبره بالتكليف، أي خلقناه مريدين ابتلاءه بالتكليف والخير والشر، فجعلناه سمياً مبصراً ليسأل عن أعماله يوم القيامة بعد مشاهدة الأدلة واستماع الآيات.
- ٣- إنا بينا له طريق الخير وطريق الشر وعرقناه المنافع والمضار، إما مؤمناً بالله شاكراً نعمه، وإما كافراً جاحداً بالله تعالى.
- ٤- إنا أعدنا للكافرين قيوداً في الأرجل، يسحبون بها إلى النار، وأطواقاً في الأيدي التي تجمعهم إلى أعناقهم، وجهنم تتقد بهم.
- ٥- إن أهل الطاعة والإخلاص وهم المؤمنون الصادقون الإيمان يشربون في الجنة من كأس (إناء فيه شراب) كان ما تخرج به كافوراً: وهو طيب معروف، له رائحة جميلة.

٢٦- ومن بعض الليل فصل أيها النبي وأمتك صلاة المغرب والعشاء، وتهجد له طائفة طويلة (جزءاً كبيراً) من الليل وهي صلاة التهجد.

٢٧- إن هؤلاء الكفار يحبون الدنيا، ويتركون أمامهم يوماً شديداً لما فيه من الأحوال، وهو يوم القيامة، فلا يستعدون له بالإيمان والعمل الصالح.

٢٨. نحن خلقنا هؤلاء الكفار والمشركين وقسونا
أعضاءهم ومفاصلهم وشددنا بعضها إلى بعض بالعروق
والأعصاب، وإذا شئنا أهلكناهم وبدلنا أمثالهم في الخلقة
وجئنا بأخرين غيرهم.

٢٩- إن هذه السورة والآيات القرآنية المتقدمة موعظة وتذكير، فمن شاء النجاة في الآخرة من العذاب اتخذ طريقاً يتقرب به إلى ربه بالصلاح.

٣٠. وما تشاءون أيها البشر اتخاذ سبيل بالطاعة إلا وقت مشيئة الله، فالأمر لله لا لكم، إن الله كان وما يزال واسع العلم بأحوال خلقه وما يستحقه كل واحد، حكيماً في فعله وتدبيره.

٣١- يُدخل من يريد من عباده المؤمنين في جنته، بعد الهداية والتوفيق للطاعة، وهياً للكافرين في الآخرة عذاباً مؤلماً.

وَمَنْ آتَا فَسَجِدَ لَهُ وَاسْمِعْ لَكَ آيَاتُهُ ۖ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَجُنُودَ الْعَاجِلَةِ
وَيَذَرُونَ ذُرًّا وَزَعَةً مِمَّا نُفِثْنَا ۖ فَمَنْ خَلَفَهُمْ وَوَدَّ دُنَا أَسْرَهُمْ وَإِنَّا
لَشَاقِقُونَ ۖ إِنَّمَا نَسْتَأْذِنُكَ ۖ مَنْ خَلَفَ مِنْ بَنِي آدَمَ إِلَىٰ رَبِّهِ
سَبِيلًا ۖ وَمَا نَشَاءُ وَمَا أَزِيدُ ۖ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۖ
يَدْخُلُ مِنْ نِبَاءَةٍ فِي رَحْمَةٍ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابَ الْآلِيمَا ۖ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا ۝١ وَالْمُصَاطَّاتُ عُصَصًا ۝٢ وَالشَّارِبُ شَرًّا ۝٣
وَالْعُرُوقُ وَقَا ۝٤ وَالْمَلْبِيتُ ذِكْرًا ۝٥ عُدَا أَوْ ذَا ۝٦ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَع ۝٧ وَإِنَّا لَنُحْيِيهِمْ طِلْسَت ۝٨ وَإِنَّا لَنَنصِفُوهُ حِث ۝٩
وَإِنَّا لَنَجْأِلُهَا نِسْفَت ۝١٠ وَإِنَّا لَنُرْسِلُ أَفْنَت ۝١١ لَأَيَّ يَوْمٍ
أَجَلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ الْفَضْلِ ۝١٣ وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الْفَضْلِ ۝١٤ وَبَلْ
يُؤْمِدُ لِّلْمُكْدِينَ ۝١٥ أَلَمْ يَكُنْ لِّلْأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ يُنصِفُهُمُ الْآخِرِينَ
كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْآخِرِينَ ۝١٧ وَلَنْ يُؤْمِدَ لِّلْمُكْدِينَ ۝١٨

سورة المرسلات

فضلها: أخرج أحمد عن ابن عباس عن أمه (أم الفضل): أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمسلمات عرفاً. وفي رواية مالك والشيخين: إنها آخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب.

- ١، ٢- أقسم بالرياح متتابعات يتبع بعضها بعضاً. فالرياح القوية الشديدة الهبوب التي لها صوت شديد.
٣- والرياح التي تنشر (توزع) المطر أو السحاب في آفاق السماء، أو الملائكة الموكلين بالسحب ينشرونها.
٤، ٥- فالملائكة التي تنزل بالوحي لتفريق بين الحق والباطل، والحلال والحرام. فالملائكة التي تنزل بالوحي.
٦- للإعذار من الله للعباد حتى لا يحتجوا بشيء عند الله، وللتخويف من الله تعالى بالعذاب إن لم يؤمن الناس.
٧، ٨- إن الذي توعدون به أيها الناس من مجيء القيامة والبعث والجزاء لكائن لا محالة. فإذا النجوم محقت وذهب نورها.
٩، ١٠- وإذا السماء فتحت وانشقت. وإذا الجبال قلعت من أماكنها، وصارت هباءً متناثراً.
١١- وإذا الرسل عُيِّنَ لها وقت تحضر فيه للشهادة على الأمم بالتبليغ.
١٢- لأي يوم عظيم أخرت الرسل للشهادة على الأمم، وفي هذا تخويف وتهديد.
١٣- ليوم الفصل الذي يفصل فيه بين الخلائق بأعمالهم، إما إلى الجنة، وإما إلى النار.
١٤- وما أعلمكم ما يوم الفصل لهوله وشدته؟ وفي هذا تهويل لشأنه.
١٥- ألا هلاك وعذاب يوم القيامة. والويل: تهديد بالهلاك، للمكذبين بيوم القيامة وغيره.
١٦- ألم نهلك كفار الأمم الماضية حين كذبوا الرسل؟ كقوم نوح وعاد وثمود.
١٧- ثم نلحق بهم الكفار الآخرين أمثالهم، مثل مشركي مكة وقوم لوط وشعيب وموسى.
١٨- مثل ذلك الفعل نفعل بكل من أجرم، أي كفر أو أشرك، في الدنيا أو الآخرة.
١٩- هلاك وعذاب يوم القيامة للمكذبين بآيات الله وأنبيائه وبالبعث.

٢٠- ألم نخلقكم أيها الناس من نقطة مستقرة في نظر الناس، ضعيفة ذليلة.
 ٢١، ٢٢- فجعلنا ماء المني في مقر حصين، وهو الرحم. إلى زمان معلوم هو وقت الولادة.
 ٢٣- فقدروا على تصويره وخلقه، فنعم القادرون نحن. وقدّر وقدّر التقدير المحكم بمعنى واحد.
 ٢٤- هلاك وعذاب للمكذّبين بقدرتنا على الخلق أو على البعث والإعادة.
 ٢٥- ألم نجعل الأرض وعاء وكافتة جامعة لهم، وكفات: مصدر أريد به اسم الفاعل.
 ٢٦- تضم الأحياء على ظهرها، والأموات في بطنها.
 ٢٧- وجعلنا في الأرض جبلاً مرتفعة، وأسقيناكم ماء عذباً. وهذا كله أعجب من البعث.
 ٢٨- هلاك وعذاب يوم القيامة للمكذّبين بالنعم.
 ٢٩- تقول خزنة جهنم لهم: سيروا أيها الناس إلى ما كذبتم به في الدنيا من العذاب.
 ٣٠- سيروا إلى ظل دخان جهنم ذي ثلاث فِرَق أو فروع، فإنه تشعب لعظمته.
 ٣١- لا وقاية فيه من حرّ ذلك اليوم، ولا يدفع شيئاً من لهب جهنم. وهو تهكم بهم.
 ٣٢- إن النار التي يخرج منها الدخان يطاير منها شرر عظيم كالبناء العظيم في ارتفاعه وعظمته.

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ جَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ يُدْرِكُهُ الْيَوْمَ الدَّيْلُ ﴿٢٢﴾ فَجَعَلْنَا مَاءَ الْمَنِيِّ فِي مَقَرٍّ حَصِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى زَمَانٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٤﴾ فَتَوَصَّوهُ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ فَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ جِبَالًا مَرْتَعَةً وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً عَذْبًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِجًّا وَشُجْرًا طَرِيًّا ﴿٢٧﴾ وَنَسْفَعُ الْمُبْلِغِينَ إِلَى جَمْعِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ إِنَّهُمْ أَجْرٌ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴿٢٩﴾ وَإِن تَرَوْهُ كُدُومًا ﴿٣٠﴾ سِوَا نَارٍ كَاظِمَةٍ ﴿٣١﴾ وَالْأَرْضُ فِيهَا خِزْيٌ مُّذْ ذَرَأْتُمُ الْتُّبَأِ ﴿٣٢﴾

٣٣، ٣٤- كان الشرر المطاير كالجمال الصفراء في الهيئة واللون. ويطلق العرب الصُّرَّ على ما يخالط صفاره سواد. هلاك وعذاب للمكذّبين بهذا اليوم وأمواله ووعيد الله تعالى.
 ٣٥- هذا يوم القيامة الذي لا ينطق فيه الكفار المكذبون بحجة نافعة بعد الحساب.
 ٣٦- ولا يسمح لهم بالاعتذار، فيعتذرون عن جرائمهم في الدنيا من كفر وعصيان.
 ٣٧- هلاك وعذاب للمكذّبين بأحداث هذا اليوم.
 ٣٨، ٣٩- هذا يوم الفصل الحاسم في القضاء بين الحق والمبطل، جمعناكم فيه أيها المكذبون من هذه الأمة، مع المكذّبين السابقين قبلكم. فإن كان لكم حيلة في دفع العذاب والخلاص منه، فافعلوا وانقذوا أنفسكم منه.
 ٤٠- هلاك وعذاب يوم القيامة لمن كذب بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر، إذ لا حيلة لهم في الخلاص من العذاب.
 ٤١- إن المؤمنين المتقين الشرك والمعاصي هم يعيشون في ظلال الأشجار، ويتمتعون بعيون الماء الجارية في الجنة.
 ٤٢- ويتمتعون بفواكه متنوعة من كل ما تشتهي أنفسهم.
 ٤٣- ويقال لهم: كلوا واشربوا ممتثتين بسبب ما كنتم تعملون في الدنيا من الأعمال الصالحة.
 ٤٤- إننا كما جزينا المتقين نجزي المحسنين أعمالهم.
 ٤٥- هلاك وعذاب يوم القيامة لهؤلاء المكذّبين بهذا النعيم للمؤمنين، وبالبعث والحساب.
 ٤٦- ويقال للكفار المكذّبين في الدنيا تهديداً لهم: كلوا وتمتعوا قليلاً بمنع الدنيا، إنكم مشركون بالله تعالى.
 ٤٧، ٤٨- هلاك وعذاب لهؤلاء المكذّبين، كرر ذلك عشر مرات لزيادة التوبيخ والتقريع. وإذا قيل للكفار: صلوا واخضعوا لأوامر الله، لا يصلون استكباراً وعناداً. قال مجاهد: نزلت في ثقيف، امتنعوا من الصلاة، فنزل ذلك فيهم.
 ٤٩- هلاك وعذاب يوم القيامة لمن كذب بالقرآن وأحكامه من أوامر ونواه.
 ٥٠- أي في أي كتاب بعد القرآن المعجز الواضح يصدقون إن لم يؤمنوا بهذا القرآن؟

سورة النبأ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 عَرِيسَاءُ لَوْنٍ ۝ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ۝ الَّذِي مَرُّهُ فِيهِ مُخَلِّفُونَ ۝
 ۝ كَلَّا سَمِعْتُمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَمِعْتُمُونَ ۝ الرَّجُلُ الْأَرْضَ ۝
 هَذَا ۝ وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا ۝ وَطَائِفُكُمْ أَرْوَاحًا ۝ وَجَعَلْنَا ۝
 نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا الْيَلَّيلَ بِلَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا أَنْهَارَ مَعَاشًا ۝
 ۝ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَفَاجًا ۝
 وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَأَنْبَاتًا ۝ وَجَبَّ ۝
 أَلْفَاقًا ۝ إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ يَمَقًّا ۝ يَوْمَ نَخَفُ فِي الْأَشْوَاقِ ۝
 أَفْرَاقًا ۝ وَطُفِيَ الْبُكْرَةُ فَكَانَتْ قُبُورًا ۝ وَتَبَيَّنَ الْيَمَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝
 ۝ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِلظَّالِمِينَ نَذَارًا ۝ لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا ۝
 ۝ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝ إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا ۝ جَرَاءً وَفَاقًا ۝
 ۝ إِنَّهُمْ كَانُوا لِارْجُونِ حِسَابًا ۝ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَابًا ۝ وَكُلُّ ۝
 شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۝ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝

- ١- عن أي شيء يسأل بعض المشركين بعضاً؟ والاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن البصري قال: لما بعث النبي ﷺ جعلوا يتساءلون بينهم، فنزلت: ﴿عم يتساءلون...﴾.
- ٢- والجواب: إنهم يتساءلون عن الخبر الهائل المهم، وهو يوم البعث والنشور.
- ٣- الذي هم يترددون فيه بين الإقرار والإنكار، بين مصدق ومكذب به.
- ٤- ﴿كلا﴾: للردع لهم والزجر عن التساؤل، إنهم سيعلمون ما يحل بهم من البعث والحساب، فهو حق.
- ٥- ثم كلا، سيعلمون بعد الموت صدق ذلك، كرر ذلك للتأكيد والمبالغة في الوعيد، فلا ينبغي أن يختلفوا في شأن البعث والقرآن الذي أخبر به، فهو حق.
- ٦- ثم أورد الله تعالى أدلة من خلقه تسعة أشياء في غاية الإقناع على قدرته على البعث، أولها: ألم نجعل الأرض بساطاً مهاداً كالقراش أو مهد الصبي.
- ٧، ٨- وجعلنا الجبال كالآوتاد في حفظ توازنها، ولتلا تتحرك. وخلقناكم زوجين ذكراً وأنثى.
- ٩- وجعلنا نومكم قطعاً لأعمالكم وراحة لأبدانكم.
- ١٠- وجعلنا الليل كاللباس في الستر والتغطية.
- ١١- وجعلنا النهار سبباً للحياة والمعاش، ووقت عمل

وجدة، أي تحصيل ما به الحياة.

- ١٢، ١٣- وبنا فوكم سبع سموات قوية محكمة البنيان. وجعلنا الشمس في السماء كالسراج (المصباح).
- ١٤، ١٥- وأنزلنا من السحب والغيوم إذا حان وقت عصرها أي نزول مائها ماءً غزيراً كثير الهطول. فالمعصرات: السحب الملتصقة ماء. لنخرج بالماء حباً مقتاتاً للإنسان كالخططة والشعير ونحوهما، ونباتاً تأكله الدواب من حشيش ونحوه.
- ١٦- وبساتين ملتفة أغصانها على بعض، لجودتها.
- ١٧- إن يوم الفصل وهو يوم القيامة الذي يفصل فيه بحكم الله بين الخلائق، كان في حكم الله وقتاً محدداً للثواب والعقاب.
- ١٨- يوم ينفخ في البوق النفخة الثانية للبعث من القبور، فتأتون من قبوركم جماعات مختلفة أو طوائف.
- ١٩- وشققت وضدعت السماء، فصارت ذات أبواب كثيرة.
- ٢٠- وأزيلت الجبال عن أماكنها، قبل النفخة الثانية، فصارت هباء منبثاً، مثل السراب ترى بصورة الجبال وليست جبالاً.
- ٢١، ٢٢- إن جهنم كانت موضعاً للرصد والترقب، يرصد فيه خزنة النار الكفار. للطغاة الكافرين، بمخالفة أوامر الله، مرجعاً.
- ٢٣- ماكين في جهنم دهوراً لا نهاية لها. والأحقاب: جمع حقب، وهي جمع حبة: مدة من الزمن غير محددة.
- ٢٤- لا يذوقون في جهنم برداً لطفاء الحر، ولا شرباً لإرواء العطش. والبرد: هواء رطب يخفف الحر.
- ٢٥، ٢٦- إلا ماء حاراً شديد الغليان، وسائلاً متناً من جلود المعذنين. جوزوا بذلك جزاء موافقاً لأعمالهم وكفرهم.
- ٢٧- إن هؤلاء الكفار أهل جهنم كانوا لا يتوقعون حساباً على أعمالهم، ولا يخافون محاسبة.
- ٢٨- وكذبوا بآيات الله في القرآن تكذيباً شديداً معانداً.
- ٢٩- وكل شيء من الأعمال سجلناه في كتاب هو صحيفة أعمالهم، أو هو اللوح المحفوظ.
- ٣٠- يقال لهم في الآخرة عند التعذيب: فذوقوا جزاءكم، فلن نزيدكم إلا عذاباً فوق عذابكم.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ مَعَآ ۝ حَذَائِقَ وَأَعْنَابَ ۝ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝ وَكَأْسًا
دِهَاقًا ۝ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ۝ خَرَاءَ مِنْ ذِكِّ عَذَابٍ
حِسَابًا ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ
مِنْهُ خُطَابًا ۝ يَوْمَ يُنْفَخُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا بِأَمْرٍ أَوْ يَوْمَ يُنْفَخُ الرُّوحُ ۝ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ ۝ شَاءَ أَنْتَ
أَتَّخِذَ إِلَىٰ نَفْسِكَ مَثَآ ۝ إِنَّا أَنْذَرْنَاكَ عَذَابًا قَرِيبًا يُورَثُكَ
أَتْرَفُكَ مَا قَدْ مَتَّ بَدَا ۝ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ زُرَابًا ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرَابًا ۝ وَالنَّشِيطَاتِ شَطَابًا ۝ وَالسَّجَّاتِ سَجَابًا ۝
فَالسَّيِّفَاتِ سَبَابًا ۝ فَالْمَذْبُوحَاتِ أَثَرًا ۝ يَوْمَ تُجَنَّبُ الرَّاحَةُ ۝
تَبَسُّمُهَا أَرَادَ اللَّهُ ۝ قُلُوبُ يَوْمَئِذٍ وَاجِدَةٌ ۝ أَبْصَارُهَا شَاجِدَةٌ ۝
يَقُولُونَ أَيْنَ الْمَرْدُونَ ۝ وَالْمَلَائِكَةُ ۝ أَوْدَاكَ عِظَاءُ الْحَرَّةِ ۝ قَالُوا لَكَ إِذَا
كَفَّ غَايِرَةٌ ۝ فَأَمَّا حَيُّ نَجْرَةٍ وَحَدَّةٍ ۝ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۝

٣١- إن للمتقين بالتزام الأوامر واجتناب النواهي فوزاً ونجاة من النار أو مكان فوز بالنعيم.

٣٢- بساتين ثمرة ومشجرة، وحقول العنب.

٣٣- ولهم فتيات عذارى في مستقبل العمر، متساويات في السن، والكواعب جمع كاعب: وهي الفتاة التي استدار ثديها ولم يتهدل.

٣٤- وإناء من الخمر التي لا تسكر مملوءاً، والمراد بالكأس: الخمر المائلة الأوعية.

٣٥- لا يسمعون في الجنة باطلاً من القول، ولا تكذيب بعضهم لبعض.

٣٦- جزاءهم الله جزاء (ثواباً) بمقتضى وعده على صلاحهم، وأعطاهم عطاء كافياً فضلاً منه.

٣٧- رب السموات والأرض وما بينهما، الشامل الرحمة لكل شيء، لا يقدر على سؤال الله شيئاً كالشفاعة إلا بإذنه.

٣٨- يوم يقوم جبريل عليه السلام والملائكة مصطفين صفوفاً، لا يتكلم واحد منهم بطلب زيادة ثواب أو إنقاص عقاب إلا من أذن له الرحمن بالشفاعة، ونطق بالصواب، أي بالحق والصدق، بأن يكون المشفوع له موحداً لله تعالى.

٣٩- ذلك اليوم الثابت وقوعه، وهو يوم القيامة، فمن شاء اتخذ إلى ربه مرجعاً بالإيمان.

٤٠- إنا حذرناكم أيها الناس عذاباً قريب الوقوع في

يوم القيامة، يوم يرى المرء كل ما قدمه من خير أو شر، ويقول الكافر: يا ليتني أعود تراباً، فلا أعذب بهذا العذاب.

سورة النازعات

١- أقسم بالملائكة التي تنزع أرواح الكفار نزاعاً شديداً مؤلماً، إغراقاً في النزاع من أجزاء الجسد.

٢- والملائكة التي تخرج أرواح المؤمنين برفق وسهولة.

٣- والملائكة التي تسبح (تنزل) من السماء مسرعة بأمر الله تعالى.

٤، ٥- والملائكة التي تسبق بالأرواح إلى مستقرها سبقاً فاتحاً. فالملائكة التي تنزل بتدبير ما أمرت به في الدنيا.

٦- يوم تضطرب الأرض والجبال وتتحرك، عند النفخة الأولى لموت جميع الخلق. والرافقة: الأرض عند زلزلتها.

٧- تلمح بها السماء والكواكب في الاضطراب والتشقق. وقيل: الرافقة: النفخة الأولى، والرافقة: النفخة الثانية.

٨- هناك قلوب يوم القيامة خائفة شديدة الاضطراب والانزعاج بسبب أهوال القيامة.

٩- أبصار أهلها ذليلة خاضعة عند معاناة الأهوال. وهم غير المؤمنين.

١٠، ١١- يقول الكفار منكرو البعث: أئرد بعد الموت إلى الحياة؟ أئذا صرنا عظاماً بالية سنرد ونبعث؟

١٢- قال منكرو البعث: تلك الرجعة إلى الدنيا تعد إذن رجعة خاسرة خائفة.

١٣- فلإنما هي صيحة واحدة تنفخ في القرن، وهي النفخة الثانية لبعث الناس من القبور.

١٤- فإذا كل الخلائق أحياء بأرض يبضاء، بعد أن كانوا أمواتاً فيها. وقيل: الساهرة أرض بالشام.

١٥- هل بلغك أيها النبي خبر أو قصة موسى؟ والمراد التسرية عنه بسبب تكذيب قومه.
 ١٦- حين ناداه ربه بالوادي المبارك المطهر، وهو واد بأسفل جبل طور سيناء.
 ١٧- وقال له: اذهب إلى فرعون مصر، إنه تجاوز الحد في الكفر بالله والتكبر والفساد.
 ١٨- فقل له بلطف: هل لك رغبة أو ميل إلى أن تتطهر من الكفر والمعاصي بتوحيد الله؟
 ١٩- وأرشدك إلى معرفة ربك والإيمان به، فتخاف عقابه بأداء الواجبات وترك المنكرات.
 ٢٠، ٢١- فذهب، فأرى موسى فرعون المعجزة الكبرى الدالة على صدق نبوته: وهي انقلاب العصا حية. فكذب فرعون موسى، وعصى أمر ربه.
 ٢٢- ثم أعرض عن موسى والإيمان به، يسعى في الأرض بالفساد، وفي إبطال أمر موسى ورسالته.
 ٢٣- فجمع الناس، فأعلن منادياً في الجمع.
 ٢٤- فقال لهم: أنا ربكم الأعلى في ولاية أسركم، لا رب فوقي.
 ٢٥- فعاقبه الله للتكبر به والتعذيب وجعله عبرة لغيره بالإغراق في الدنيا، والإحراق بالنار.
 ٢٦- إن في ذلك العقاب لعظة لمن يخاف الله.
 ٢٧- أأنتم في تقديركم أصعب إيجاداً وأشق، أم خلق السماء أشد، إنه بناها بإحكام؟ والاستفهام توبيخ لمنكري البعث.

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۖ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۚ
 ۝١٥ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَنَا تَرَكَی ۚ
 ۝١٦ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَخَشَىٰ ۚ فَأَمَرَ آلَ فَاطِمَةَ الْكُبْرَىٰ ۖ فَكَذَّبَ
 ۝١٧ وَعَصَىٰ ۚ ثُمَّ أَذْبَرَ نَبِيَّیْ ۚ ففِرْعَوْنَادَىٰ ۚ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ۚ
 ۝١٨ فَأَعَادَهُ اللَّهُ تَكْلَامَ الْأَوَّلِ ۚ وَإِنِّي فِي ذَلِكَ لَعَبْرَةٌ لِّمَن
 ۝١٩ يَخْشَىٰ ۚ اللَّهُ أَشَدَّ حَلَقًا ۚ أَلَمْ يَكُنْ لَهَا بَنَاتٌ ۚ فَتَوَلَّاهَا ۚ
 ۝٢٠ وَأَعْطَسَ لَهَا وَآخَرَ حُجَّتَهَا ۚ وَالْأَرْضُ مِمَّا دَخَلَهَا ۚ
 ۝٢١ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۚ وَالْجِبَالُ أَسْهُلَهَا ۚ مَعَاكُمْ
 ۝٢٢ وَلَا تَمْنَعُكُمْ ۚ فَإِذَا جَاءَ تِلْكَ طَائِفَةُ الْكُفْرَىٰ ۚ يَوْمَ تَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ
 ۝٢٣ مَا سَعَىٰ ۚ وَبُرْذِلَ الْجَحِيمُ لِمَن بَرَىٰ ۚ فَأَمَّا نَاطِقٌ ۚ وَهَٰ أَنزَ
 ۝٢٤ أَنْجُوهُ الدُّنْيَا ۚ فَإِنَّ الْحَيَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۚ وَأَمَّا نَاطِقٌ ۚ مَقَاءُ
 ۝٢٥ رَبِّهِ وَنَحَىٰ النَّفْسَ عَنِ الْفَوَىٰ ۚ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۚ
 ۝٢٦ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِلُهَا ۚ فَفِيمَ أَنْتَ مِن ذِكْرِهَا ۚ
 ۝٢٧ إِلَىٰ رَبِّكَ مُسْتَهْمًا ۚ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ جَسَدًا ۚ
 ۝٢٨ كَمَا أَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَا يُلَاقُوا إِلَّا عَرِيشَةً أَوْحَدَهَا ۚ

٢٨- جعلها عالية مرتفعة، أي مقدار ارتفاعها من الأرض وسماكتها باتجاه العلو رفيعاً، فجعلها مستوية الخلق معدلة.
 ٢٩- وجعل ليلها مظلماً، وأبرز نهارها بضوء الشمس. والضحى: النهار. وفي الأصل: أول النهار.
 ٣٠- والأرض بعد إحكام السماء بسطها ومهدا للإنسان، مع أنها كروية، ليصلح العيش عليها.
 ٣١- أخرج من الأرض مامها بتفجير العيون والأنهار، وأنبت نباتها الذي يروى.
 ٣٢- والجبال ثبته في الأرض كالأوتاد، لئلا تتحرك.
 ٣٣- خلق الله كل ذلك متعة ومنفعة لكم ولأنعامكم: جميع دوابكم ومواشيكم: وهي الإبل والبقر والغنم.
 ٣٤، ٣٥- فإذا جاءت الداهية العظمى وهي القيامة. يوم يتذكر الإنسان ما عمل في دنياه من خير أو شر.
 ٣٦- وأظهرت النار المحرقة لكل راه إظهاراً لا يخفى على أحد.
 ٣٧، ٣٨- فأما من تكبر وتجاوز الحد، حتى كفر، وفضل الدنيا على الآخرة، بترك الاستعداد لها.
 ٣٩- فإن نار جهنم هي المستقر له، والمكان الذي يأوي إليه.
 ٤٠، ٤١- وأما من خاف الذات الأقدس وهو الله، وشدة الموقف بين يديه يوم القيامة، وكف النفس عن هواها واتباع شهواتها. فإن الجنة هي مكان إيوائه، لا مأوى له سواها. والمراد أن المعاصي في النار، والطائع في الجنة.
 ٤٢، ٤٣- يسألونك، أي كفار مكة أيها النبي عن القيامة متى وقوعها وقيامها، ومتى يوجد الله؟ وسؤالهم استهزاء. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: أن مشركي مكة سألوا النبي ﷺ، فقالوا: متى تقوم الساعة؟ استهزاء منهم، فأنزل الله هذه الآية. في أي شيء أنت يا محمد من ذكرها لهم؟ أي ليس عندك علمها حتى تذكرها لهم.
 ٤٤- إلى ربك انتهى علمها، لا يعلم وقتها غيره.
 ٤٥- إنما ينفع تحذيرك من يخافها ويخشى أهوالها، أي إنما بعثت للإنذار بذلك.
 ٤٦- كان هؤلاء المنكرين للقيامة يوم يشاهدونها لم يكتفوا في الدنيا إلا بمقدار عشية يوم أوصحاه.

سورة عبس

١- قطب النبي ﷺ وجهه لانشغاله بهداية كبار قومه. أخرج الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت: أنزل الله ﷻ عبس وتولى ﷻ في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ، فجعل يقول: يا رسول الله أوشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه، ويقبل على الآخر، فيقول له: أتري بما أقول بأساً؟ فيقول: لا، فنزلت: ﷻ وتولى ﷻ.

٢- لأجل أن جاءه الأعمى: ابن أم مكتوم.

٣- وما يعلمك أيها النبي لعل الأعمى يتطهر من الذنوب بما يسمع منك، فيزداد إيماناً وعملاً صالحاً.

٤- أو تعظ بقولك، فتتفع الموعظة.

٥- أما من استغنى بثروته وماله وجاهه عن سماع القرآن وما جئت به من الخير.

٦، ٧- فانت له تعرض وتقبل عليه أملاً في إسلامه. وليس عليك بأس في ألا يتزكى بالإسلام، حتى تمحصر عليه، وتعرض عن أسلم.

٨- وأما من جاءك مسرعاً لطلب العلم والموعظة.

٩، ١٠- وهو يخاف عقاب الله، وهو الأعمى، فانت تلهي وتشاغل عنه وتعرض.

١١- كلا، لا تفعل مثل ذلك، أيها النبي، إن هذه الآيات عظة تستحق العمل بها.

١٢- فمن أراد ان يعظ بالقرآن.

١٣، ١٤- إن هذه التذكرة مثبتة في صحف مكرمة شريفة عند الله، رفيعة القدر عنده، متزهة لا يمسه إلا المطهرون.

١٥- منسوخة بأيدي كتبة من الملائكة ينسخونها من اللوح المحفوظ، ويسفرون بالوحي بين الله ورسوله.

١٦- ملائكة مكرمين أعزاء على الله تعالى، أتقياء مطيعين لله تعالى.

١٧- لئن الإنسان الكافر ما أشد كفره؟ دعاء عليه بأشنع الدعوات.

١٨- من أي شيء خلق الله هذا الكافر؟ بيان لما أنعم عليه، والاستهزام للتحقير.

١٩- خلقه من ماء مهين ضئيل، وأنشأه مقدراً وجوده في أطوار مختلفة، وقدر له أعضاء لمصلحة نفسه.

٢٠، ٢١- ثم سهل ولادته، ويسر له طريق الخير والشر ليختار أحدهما. ثم أماته بأجله، فجعله في قبر يستره تكريماً له.

٢٢- ثم إذا أراد، بعثه بعد الموت للحساب والجزاء. والإنتشار: الإحياء بعد الموت في الوقت المراد.

٢٣- كلا، لودع الإنسان عن الكفر، لم يفعل الإنسان ما أمر الله به من العبادة والشكر بنحو كامل إلا القليل.

٢٤- فلينظر الإنسان نظرة تأمل وتفكر كيف أوجد الله له مطعمه الذي هو سبب حياته؟

٢٥، ٢٦- أننا أنزلنا المطر إنزالاً سخياً كثيراً. ثم شققنا الأرض بالنبات شقاً محكماً لآفاقاً يخرج منه صغيراً أم كبيراً.

٢٧، ٢٨- فأنبثنا في الأرض حباً كالخطة والشعير، وأعنا بيا، وكل ما يقطع أخضر طرياً، ومنه يرسم الدواب.

٢٩، ٣٠- وأشجار زيتون ونخيل، وبساتين ضخمة كثيرة الأشجار.

٣١، ٣٢- وفاكهة مختلفة الألوان والأنواع، وعشباً للدواب، خلقها الله منفعة لكم ولجميع حيواناتكم.

٣٣- أي إذا جاءت القيامة أو صيحتها التي تصفح الأذن، أي تصمها فلا تسمع.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ زَكَّى ۚ
أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْقَعَهُ الْذِكْرَى ۚ أَتَمَّامِينَ أَنْتَعَى ۚ فَأَنْتَ
لَهُ تَصَدَّى ۚ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبَ ۚ وَآتَمَّامِينَ جَاءَهُ لِيَسْمَعِ ۚ
۝ ٨ ۚ وَهُوَ يَخْنِي ۚ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۚ كَلَّا إِنَّمَا تَذَكَّرُ ۚ فَزَيَّ
شَاءَ ذَكَرُ ۚ وَصُفِّ شُكْرُ ۚ مَرْفُوعُهُ مَطْهَرُ ۚ
بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۚ كَرَامِ بَرَّةٍ ۚ قُلْ لِلْإِنْسَانِ مَا أَكْثَرُ ۚ
مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۚ مِنْ طَعْقَةٍ خَلَقَهُ هَدْرُ ۚ ثُمَّ السَّيْلِ
يَسْرُ ۚ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۚ ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَشْرُهُ ۚ كَلَّا
لَمَّا بَيَضَ أَمْرُهُ ۚ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ أَلَمْ أَصْنِئَا
لِلْمَاءِ نَصِئًا ۚ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۚ فَأَنْبَثْنَا فِيهَا حَبًّا ۚ
وَعِشْبًا وَنَضًّا ۚ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۚ وَحَدَّاقِينَ عُثْبًا ۚ وَفَلَكَهٖ
وَأَبَّا ۚ مِمَّا لَكُمْ وَلَا تَعْلَمُونَ ۚ إِذَا جَاءَتْ لَصَاعَةُ ۚ



٣٤-٣٦: يوم يفر (يهرب) المرء من أخيه؛ لأنه يستنصر به عادة، وأمه وأبيه، وزوجته، وأولاده الذكور؛ وهم أقرب القرابة، وأولاهم بالشفقة، ولكن الفرار منهم لهول أشد وأعظم.

٣٧- لكل امرئ منهم حال يشغله ويصرفه عن الأقارب، فلا يفكر إلا في نفسه.

٣٨، ٣٩- وجوه المؤمنين يوم القيامة مضية متللة، ضاحكة مستبشرة بما تراه من النعيم.

٤٠، ٤١- وجوه الكافرين يومئذ عليها غبار وكدورة، تغشاها ظلمة وذلة، لما تراه من العذاب.

٤٢- أولئك هم المتصفون بالكفر والفسق؛ وهو العصيان والخروج عن حدود الله تعالى.

سورة التكويد

فضلها: أخرج الإمام أحمد والترمذي والحاكم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة، كأنه رأي عين، فليقرأ: ﴿إذا الشمس كورت﴾ [التكويد ١/٨١] و ﴿إذا السماء انشقت﴾ [الانشقاق ١/٨٢] و ﴿إذا النفاطار﴾ [١/٨٤].

١- إذا الشمس لفت وطويت وأزيل ضوءها

ونورها. هذه الأحداث الـ (١٢) هنا تحدث من أول زمن النفخة الأولى إلى انقضاء الحساب وإعلان الجزاء، ومنها يكون بعد النفخة الثانية.

٢، ٣- وإذا النجوم تساقطت وتهاوت على الأرض. وإذا الجبال قلعت من أماكنها بزلزلة الأرض.

٤- وإذا أهملت النوق الحوامل التي مضى على حملها عشرة أشهر، وبقي على وضعها شهران فقط، وهي من أنفس أموال العرب، والعشار: جمع عشار. وهذا كناية عن انشغال الإنسان بنفسه.

٥- وإذا الوحوش جمعت بعد البعث ليقبض من بعضها لبعض، ثم تصير تراباً.

٦، ٧- وإذا البحار أوقدت، فصارت ناراً تخرق بالبركان والزلازل. وإذا النفوس قرنت فيها الأرواح بالأجساد.

٨، ٩- وإذا البنت المدفونة حية خوف العار أو الحاجة سلت: بأي ذنب قتلت؟ وهذا سؤال توبيخ لقاتلها بغير ذنب.

١٠، ١١- وإذا صحف الأعمال فتحت وبسطت. وإذا السماء قلعت كما يقلع السقف.

١٢، ١٣- وإذا النار أجمت وأوقدت إيقاداً شديداً. وإذا الجنة قرئت وأدبت لأهلها المتقين لدخولها.

١٤، ١٥- علمت نفس ما قدمت من خير أو شر. أقسم- ولا زائدة لتأكيد الخبر- بالكواكب التي تظهر في الليل وتختفي في النهار تحت ضوء الشمس، وهي رُحل والمشتري والزهرة وعطارد.

١٦- الكواكب السيارة التي تجري مع الشمس في النهار، وتستتر في ضوء الشمس.

١٧، ١٨- وأقسم بالليل إذا أقبل بظلامه، أو أدبر، فهو من الفاظ الأضداد. والصبح إذا أقبل وأضاء بنوره.

١٩- إن هذا القرآن لقول أجراء الله على لسان رسول مكرم عند الله هو جبريل عليه السلام، لكونه نزل به من جهة الله تعالى على رسوله محمد ﷺ.

٢٠- على لسان رسول ذي قدرة كبيرة، وحافظة فائقة، وذو منزلة رفيعة عالية عند الله سبحانه.

يَوْمَ يُعْرَضُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ① وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ② وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ ③ لِكُلِّ فِرَاقٍ مُنْجِدٌ ④ يَوْمَ يُدْعَى الْأَنْبِيَاءُ ⑤ لِكُلِّ فِرَاقٍ مُنْجِدٌ ⑥ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ⑦ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْسِرَةٌ ⑧ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ⑨ تَرْهَقُهَا قَرَةٌ ⑩ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْفَجَرَةُ ⑪



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ② وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑦ وَإِذَا النُّفُوسُ سُيِّرَتْ ⑧ وَإِذَا الْعُشَّةُ انْتَبَهَتْ ⑨ وَإِذَا الْكُتُوبُ أُنْفِصَتْ ⑩ وَإِذَا الْأَشْجارُ نُفِصَتْ ⑪ وَإِذَا الْعُشَّةُ انْتَبَهَتْ ⑫ وَإِذَا الْكُتُوبُ أُنْفِصَتْ ⑬ وَإِذَا الْعُشَّةُ انْتَبَهَتْ ⑭ وَإِذَا الْكُتُوبُ أُنْفِصَتْ ⑮ وَإِذَا الْعُشَّةُ انْتَبَهَتْ ⑯ وَإِذَا الْكُتُوبُ أُنْفِصَتْ ⑰ وَإِذَا الْعُشَّةُ انْتَبَهَتْ ⑱ وَإِذَا الْكُتُوبُ أُنْفِصَتْ ⑲ وَإِذَا الْعُشَّةُ انْتَبَهَتْ ⑳

٢١- تطيعه الملائكة في السماء في الملا الأعلى، أمين على الوحي والرسالة.

٢٢- وما صاحبكم محمد ﷺ يا مشركي مكة بمجنون، كما زعمتم، فأنتم عاملون بأمره وعقله وحكمته فهو صاحبكم.

٢٣- ولقد رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية، وهو في مطلع الشمس الأعلى، له ست مئة جناح.

٢٤- وما محمد ﷺ على الوحي وخبر السماء الغيبي ببخيل مقصر بالتعليم والتبليغ.

٢٥- وما هذا القرآن بقول شيطان مسترق السمع، مرجوم مطرود من رحمة الله تعالى.

٢٦- فاي طريق تسلكون بعد إنكاركم القرآن؟

٢٧- ما هذا القرآن إلا تذكير وعظة للعالمين.

٢٨- لمن أراد منكم أن يستقيم على الطريق الواضح باتباع الحق والإيمان بالإسلام.

٢٩- وما تشاؤون الاستقامة على الحق إلا وقت أن يشاء الله لكم ذلك، هو مالك الخلق كلهم.

سورة الانفطار

فضلها: أخرج الإمام أحمد والترمذي - كما تقدم -

عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: «من سره أن ينظر إلى القيامة رأي العين، فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير ١/٨١] و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار ٨٢/١] و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق ٨٤/١].

١، ٢- إذا السماء تشققت، وإذا الكواكب تساقطت متفرقة.

٣، ٤- وإذا البحار شققت جوانبها وزالت الحواجز بينها، فصارت بحراً واحداً، وإذا القبور قلب ترابها على موتاها، وبعث من كان في جوفها من الأموات.

٥- علمت نفس يوم القيامة ما قدمت من أعمال، وأخرت منها فلم تعمل بها بسبب الكسل.

٦، ٧- يا أيها الإنسان (المراد جنس الإنسان) ما الذي خدعك وجراك على عصيان ربك. أخرج ابن أبي حاتم قال: نزلت في أبي بن خلف. الذي أوجلك، فجعل أعضائك سوية سالمة نافعة، وجعلك معتدل القامة متناسب الخلق.

٨- ربك وكوئك في أي صورة من أعجب الصور وأحكمها دون أن تختار صورة لنفسك.

٩- كلا: للردع عن الاعتزاز بكرم الله تعالى، بل: للانتقال من موضوع لآخر، تكلمون بالحساب والجزاء الأخروي على الأعمال.

١٠- وإن عليكم لملائكة حافظين أعمالكم، يسجلون كل شيء ويكتبونه في صحائفكم.

١١، ١٢- مكرمين عند الله، كاتبين لكل صغيرة وكبيرة. يعلمون جميع الأفعال.

١٣، ١٤- إن المؤمنين الصادقين في إيمانهم لفي نعيم الجنة. وإن الكفار التاركين لشرع الله لفي نار محرقة.

١٥، ١٦- يدخلونها ويقاسون حرها يوم الجزاء في الآخرة. وما هم عن النار بخارجين منها، لخلودهم فيها.

١٧، ١٨- وما أعلمكم ما حقيقة يوم الجزاء والحساب، ثم ما أدراك ما ذلك، وكرر الجملة للتضخيم وشدة الهول.

١٩- يوم لا تملك نفس شيئاً من المتعة لنفس أخرى، والأمر كله يوم القيامة لله وحده، لا أمر لغيره فيه.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ١ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ سُتِّرَتْ ٢ وَإِذَا الْبُحُورُ تُفْرِتْ ٣
 وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ٤ عِلَّتْ نَفْسٌ وَاقَدَّتْ ٥ وَأُخْرِتْ ٦
 يَتَّبِعُهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّبَ إِلَيْكَ الْكَرِيمِ ٧ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ٨
 فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ٩ مَا تَشَاءُ لَكَ كَيْفَ ١٠ لَآئِلُ الْكَذِبُونَ ١١ وَالَّذِينَ ١٢
 عَلَيْكَ لَحَافِظِينَ ١٣ كَرَامًا كَاتِبِينَ ١٤ يَكْتُبُونَ مَا تُفْعَلُونَ ١٥ إِنَّ الْإِنسَانَ ١٦
 لِرَبِّهِمْ ١٧ لَئِيمٌ ١٨ وَإِنَّا لَنَجْازِئُهُمْ ١٩ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ٢٠ وَمَا هُمْ ٢١
 عَنْهَا بِعَائِلِينَ ٢٢ وَمَا نُؤْتِيكَ مِنْهَا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ٢٣ ثُمَّ أَنتَ تَرْجُلُهَا يَوْمَئِذٍ ٢٤
 وَتَمُوتُ ٢٥ وَتُحْصَى ٢٦ وَتُحْصَى ٢٧ وَتُحْصَى ٢٨ وَتُحْصَى ٢٩ وَتُحْصَى ٣٠ وَتُحْصَى ٣١



سورة المطففين

١- هلاك وعذاب للأخذين بالكيل أو الوزن شيئاً طفيفاً، أي قليلاً، إما بالنقصان إن كالوا، أو بالزيادة إن اكالوا. أخرج النسائي وابن ماجه بسند صحيح عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة، كانوا من أبخس الناس كيلاً، فأنزل الله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك.

٢- الذين إذا أخذوا من غيرهم حقوقهم، أخذوا الكيل وافيّاً كاملاً.

٣- وإذا كالوا لغيرهم أو وزنوا نقصوا الوزن.

٤- ألا يخطر ببال هؤلاء المطففين أنهم مبعوثون، فيحاسبون على أعمالهم، فهلا تدبروا عاقبة أمرهم؟

٥، ٦- أنهم مبعوثون في يوم عظيم خطره وهوله وهو يوم القيامة، يوم يقوم الناس من قبورهم أمام ربهم للحساب والجزاء.

٧- كلا: حرف تنبيه السامع لأهمية ما بعده، إن كتاب (المكتوب) الكفار في سجل أهل النار.

٨- وما أعلمك ما كتاب مسجين؟ سجل أهل النار.

٩- كتاب مسطور بين، أو معكم، دوت فيه أسماء الفجار، يعلم من يراه أن ما فيه شر كله.

١٠- هلاك وعذاب يوم القيامة للمكذبين بالحق من القرآن والبعث.

سُورَةُ الْمَطْفِفِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ١ الَّذِينَ إِذَا كَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ٢
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ
مَبْعُوثُونَ ٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ رَبًّا مُّعْلِينَ ٦ كَلَّا
إِنَّ كِتَابَ الْغَبَارِ لَفِي نَجْدٍ ٧ وَآ أَدْرَاكَ مَا نَجْدٌ ٨ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِطِلْكَامِ الثَّغْدِينَ ٩ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِوَعْدِ رَبِّهِمْ ١٠ وَابْتَدَأَ بِهِ
إِلَّا عَلَىٰ مُقْدِرٍ ١١ إِذْ أَنْشَأَ عَلَيْهِ ابْنُ آدَمَ الْأَسْطِيرَ الْأَوَّلِينَ ١٢ كَذَلِكِ
رَأَىٰ عَلَىٰ ثُلُومٍ مَا كَانُوا يَعْبُونَ ١٣ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ مَّحْجُونُونَ
١٤ فَأَنذَرْتَهُمْ أَصْحَابُ الْأَنْجِيمِ ١٥ ثُمَّ بَدَأَ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ كَذِبُونَ
١٦ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَوَّلِينَ عَلِيمٌ ١٧ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِمُونَ ١٨
كِتَابٌ مُّرْقُومٌ ١٩ يَشْهَدُهُ الْمُرْسَلُونَ ٢٠ إِنْ أَدْرَاكَ لَفِي عِمْ ٢١ عَلَى
الْأَدْرَاكِ نَظَرُونَ ٢٢ تَرْفَعُ فِي رُجُومِهِمْ ذُرَّةُ النِّعَمِ ٢٣ يَسْقُونَ مِنْ
رُجُومٍ مَّحْمُورَةٍ ٢٤ خُتِمَتْ لَهُمْ فِي ذَٰلِكَ فَلْيَنَظُرُوا لِمَنْ لَّنُفْسُونَ ٢٥

١١- الذين يكذبون بوقوع يوم الحساب والجزاء.

١٢- وما يكذب بيوم القيامة إلا كل متجاوز الحدود في الكفر، كثير الآثام والمعاصي.

١٣- إذا تتلى على هذا المكذب آيات القرآن، قال عنها: حكايات وأكاذيب وأباطيل وخرافات القدماء.

١٤- كلا: للردع والزجر عن هذا القول، ليس القرآن أساطير الأولين، بل غطى على قلوبهم حجاب منع عنهم أسباب الهداية، وهو ما كسبه من الذنوب والسيئات.

١٥- كلا: حرف تنبيه لما بعده، إن الكفار محجوبون ممنوعون عن ربهم يوم القيامة، لا ينظرون إليه كالؤمنين.

١٦- ثم إن الكفار لدخلوا النار المحرقة وملأوها.

١٧- ثم تقول لهم خزنة جهنم: هذا هو العذاب الذي كنتم به تكذبون في الدنيا.

١٨- كلا: للتنبيه كما تقدم، إن مكتوب أو صحيفة المؤمنين الصادقين ثبت في ديوان الخير وسجل البررة.

١٩، ٢٠- وما أعلمك ما كتاب عليين؟ وهذا للتعظيم، إنه كتاب البررة، إنه كتاب مسطور بين الكتابة أو معكم بعلامة.

٢١- يشهد كتابة ذلك الكتاب ويحضره الملائكة المقربون، الذين لهم عند ربهم منزلة خاصة.

٢٢، ٢٣- إن أهل الإيمان والطاعة لفي نعيم الجنة الخالد. على الأسرة المفروشة ينظرون إلى ما أعطوا من النعيم والتكريم.

٢٤- تعرف في وجوه البررة بهجة النعم وحسنه ويريقه ورونقه.

٢٥- يسقون من شراب خالص لا غش فيه ولا فساد: وهو الخمر غير المسكرة، ختم إناؤه ومنع من مساس الأيدي.

٢٦- غطاؤه نفوح منه رائحة المسك، وفي ذلك فليترغب الراغبون، ويتسابق المتسابقون بالمبادرة إلى طاعة الله تعالى.

٢٧- وما يمزج به ويخلط الرحيق من ماء ينصب عليهم من مكان مرتفع.

٢٨- والتسليم: عين ماء يشرب منها الأبرار.

٢٩- إن الذين كفروا من كبراء مكة وأشرافها ونحوهم كانوا من المؤمنين يستهزئون في الدنيا. نزلت في أكابر المشركين كأبي جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي، كانوا يضحكون من عمار وصهيب وبلال وغيرهم من فقراء المسلمين ويستهزئون بهم.

٣٠- وإذا مر المؤمنون بالكفار، يغمز بعضهم بعضاً بأعينهم استهزاء. والغمز: إرخاء الجفن والحاجب استهزاء.

٣١- وإذا رجع المجرمون إلى منازل أهلهم، رجعوا ملتذذين باستهزائهم بالمؤمنين.

٣٢- وإذا رأى الكفار المؤمنين قالوا: إن هؤلاء لفي ضلال ويعد عن الصواب لإيمانهم بمحمد ﷺ.

٣٣- ولم يرسل الكفار على المؤمنين حافظين لأعمالهم، رقباء يهيئون على أعمالهم.

٣٤- ففي يوم القيامة، المؤمنون يضحكون من الكفار حين يرونهم أذلاء معذنين.

٣٥- على الأسرة المفروشة ينظرون من منازلهم إلى الكفار، وهم يعذبون في النار.

٣٦- هل كوفي أو جوزي الكفار على أعمالهم التي

وَمَرَّ الْجُؤْمُ مِنْ نَسِيمٍ ۝ عَيْنَا شَرِبَ بِهَا الْقُرُونُ ۝ إِنَّا الَّذِي
أَجْرُمُوا كَانُوا مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ۝ وَإِذَا مَرَّ بِهِمْ
يَتَفَامَرُونَ ۝ وَإِذَا تَوَلَّوْا إِلَىٰ آهْلِهَا تَقْبَلُوهُمْ فَكِهِتُ ۝ وَإِذَا
رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
حَفَظِينَ ۝ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝ عَلَى
الْأَرَاكِ يَنْظُرُونَ ۝ هَلْ يُؤْذِبُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُشَّتْ ۝ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝
وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُشَّتْ ۝ يَا أَيُّهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۝ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ
كَيْلَهُ بِئِمْنِهِ ۝ فَسَوْفَ نَحَسِبُ لَهُ جَسًا أَسِيرًا ۝ وَيَقْلُبُ إِلَىٰ
أَهْلِهِ مُسْرُورًا ۝ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْلَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝ فَسَوْفَ يَدْعُوا
بُؤْرًا ۝ وَيَصْلِي سَعِيرًا ۝ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مُسْرُورًا ۝

فعلوها في الدنيا من الاستهزاء والسخرية؟ والتثويب معناه المجازاة، واشتهر في المجازاة بالخير، فكان استعماله هنا تهكمًا بالكفار.

سورة الانشقاق

فضلها: تقدم في حديث سابق في مطلع سورتي التكويد والانفطار، وأخرج مسلم والنسائي: أن أبا هريرة قرأ بهم: ﴿إذا السماء انشقت﴾ فسجد فيها، فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله ﷺ سجد فيها.

- ١- إذا السماء تشققت وتصدعت.
- ٢- وانقادت لأمر ربها واستمعت، أي حصل ما أراد الله منها من الانشقاق، وحُق لها أن تسمع وتمثل.
- ٣- وإذا الأرض بسطت ومُدَّت كما يمد الجلد بزوال جبالها وقذف جميع ما فيها.
- ٤- وألقت ما فيها من الموتى والكنوز إلى ظاهرها، وخلت خلواً تاماً عما كان في جوفها.
- ٥- وانقادت لأمر ربها واستمعت، وحُق لها ذلك.
- ٦- يا أيها الإنسان إنك مجاهد وجاد في عملك إلى لقاء ربك، فملاق عملك من خير أو شر يوم القيامة.
- ٧، ٨- فأما من أعطي كتاب أعماله يمينه، وهو المؤمن. فسوف يحاسب في الآخرة حساباً سهلاً لا نقاش فيه.
- ٩- ويرجع إلى أهله الذين في الجنة من الزوجة والأولاد وعشيرته المؤمنين فرحاً بحسابه اليسير.
- ١٠- وأما من أعطي كتاب أعماله بشماله على كره منه من وراء ظهره، وهو الكافر.
- ١١- فسوف يدعو على نفسه بالهلاك قائلاً: يا تبوراه ليسترع. والتبور: الهلاك.
- ١٢، ١٣- ويدخل ناراً مستعرة. إنه كان بين أهله وعشيرته في الدنيا فرحاً بطراً باتباعه الهوى.



إِنَّمَا أَنْزَلَ النَّبِيُّ إِنْ كَانَ بِهِ بُصِيرٌ ۝ فَلَا أَقْسَمُ إِلَّا بِالْحَقِّ
وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۝ لَتَرْكُنَّ طَبَقًا عَنِ
طَبَقٍ ۝ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْمَعُونَ
بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكِيدُونَ ۝ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُؤْمِنُونَ ۝ فَسِرُّهُمْ
بِعَذَابِ أَلِيمٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَفْضَلٍ ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝ وَشَاهِدٍ مُنِيرٍ ۝
فَلِأَنصَبَ الْأَعْدُو ۝ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ۝ إِذْ تُعْرَضُونَ ۝
وَهُرَعَلَى مَابْصَلُونِ ۝ الْمُؤْمِنِينَ شُهُودًا ۝ وَمَا نَقُصُّهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا
بِاللهِ الْغَرِيِّ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ كَفَرُوا فَهُمْ أَعْدَاءُ
بِحُكْمِهِمْ ۝ وَاللَّهُ عَذَابُ الْخَرِيقِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
جَنَّاتُ نَجْوَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۝ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ۝

١٤- إنه اعتقد أن لن يرجع إلى ربه للحساب الأخروي .
١٥- بلى إنه يرجع إليه، إن ربه كان به وبأعماله عالماً
خبيراً، فلا يهمله ويعيده. وبلى: لإبطال ما قبله وإثبات ما
بعده، أي لا بد من رجوعه .

١٦-١٨: أقسم بالشفق، أي الحمرة التي ترى في الأفق
الغربي بعد غروب الشمس، وتمتد إلى وقت العشاء . وبالليل
وما ضمّ وجمع ما دخل عليه في ظلامه . وبالقمر إذا تمّ نوره
في ليل ثلاث من كل شهر وهي ١٣، ١٤، ١٥ .

١٩- لتلائم أيها الكفار أحوالاً من شدائد القيامة، بعضها
فوق بعض وهي الموت ثم البعث، ثم السوق إلى المحشر . ثم
الوقوف للحساب .

٢٠، ٢١- فما لهؤلاء الكفار أو المشركين لا يؤمنون بالله
واليوم الآخر؟ وقد أقيمت لهم البراهين على ذلك . وإذا تلي
عليهم القرآن لا يخضعون لأمر الله، بأن يؤمنوا بالقرآن
لإعجازه .

٢٢، ٢٣- بل الكفار يكذبون بالقرآن والبعث والحساب .
والله أعلم بما يضمرون في صدورهم من الشرك أو الكفر
وعداوة الإسلام .

٢٤- فأخبرهم محللاً لهم بعذاب مؤلم، والمراد بالبشارة
الإخبار تهكمًا واستهزاء بهم .

٢٥- لكن الذين آمنوا بالله ورسوله وبالقيامة، وعملوا بما
أمر الله واجتنبوا المعاصي، لهم ثواب غير مقصور ولا
مقطوع ولا ين به عليهم .

سورة البروج

فضلها: أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بـ ﴿ذات البروج﴾
﴿والسماء والطارق﴾ [الطارق / ٨٦ / ٢١] .

- ١- أقسم بالسماء ذات منازل الكواكب، وهي اثنا عشر برجاً لاثنى عشر كوكباً، منها الشمس .
- ٢- وأقسم باليوم الذي وعده الله به عباده للحساب والجزاء، وهو يوم القيامة .
- ٣- وبكل شاهد على غيره في ذلك اليوم، ومشهود عليه بالأفعال التي ارتكبها، ويشمل الرسل والأنبياء .
- ٤- لئن أصحاب الشق المستطيل المحفور في الأرض، وهم قوم كفار أحرقوا جماعة من المؤمنين في أخدود باليمن، وهم
نصارى بجران، الذين كانوا على دين التوحيد .
- ٥، ٦- النار ذات اللهب الشديد بما توقد به، حين كانوا قاعدين على حافة أخدود النار .
- ٧- وهم حضور على ما يفعلون بتعذيب المؤمنين بالله، بالإلقاء بالنار .
- ٨- وما أنكروا وعابوا عليهم إلا أنهم يؤمنون بالله وحده .
- ٩- مالئ السموات والأرض، فهو حقيق بالإيمان به وتوحيده، والله شاهد عالم مطلع على ما فعلوه ومجازيهم .
- ١٠- إن الذين ابتلوا واختبروا المؤمنين والمؤمنات بالأذى والإحراق لردهم عن دينهم، ثم لم يتوبوا من قبح فعلهم، لهم يوم
القيامة عذاب جهنم بكفرهم وإحراقهم المؤمنين، ولهم عذاب جهنم المحرق أو العذاب شديد الإحراق، وهذا بيان لما سبق .
- ١١- إن الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر، وعملوا صالح الأعمال التي أمر الله بها، لهم يوم القيامة جنات تجري من
تحتها أنهاراً وبساتينها الأنهار، ذلك هو النجاح الأكبر الذي لا يعادله نجاح آخر .

إِنْ بَطَسَ رَبِّكَ شَدِيدٌ ۝ إِنَّهُ هُوَ يَدْعُو وَيُعِيدُ ۝ وَهُوَ الْعَاقِبُ
الْوَدُودُ ۝ ذُو الْعَرْشِ الْأَعْلَى ۝ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ
الْجُنُودِ ۝ قَوْنٌ وَنُجُودٌ ۝ بَلْ لَدَيْنَكَ كُرْسِيُّ ۝ وَاللَّهُ مِنْ
وَرَاءِهِ عَرْشٌ ۝ بَلْ هُوَ قَوْنٌ مُجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَحْضُومٍ ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاللَّمَّ وَالطَّارِقَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝
إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِنْ
مَّاءٍ دَافِقٍ ۝ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ أَصْلَابٍ ۝ وَالرَّابِثُ ۝ اللَّهُ عَلَى رَجْعِهِ
لَقَادِرٌ ۝ يَوْمَ تَكُونُ الْأَنْفُسُ فِي أَصْلَابِ ۝ فَأَلْهَمَ فِئْوَهُ وَلَا تُسِرُّ ۝ وَالسَّوَادُ ذَاتُ
الْأَرَجِ ۝ وَالْأَرْضُ ذَاتُ الْأَصْنَعِ ۝ إِنَّ لِقَوْلَ فَصْلٍ ۝ وَمَا هُوَ إِلَّا نَزْلُ
أَنْفُسٍ يُكُونُ كَيْدٌ ۝ وَأَكْبَدُ كَيْدٌ ۝ فَعِلْ الْكُفْرَيْنِ أَهْمَهُمْ وَبِيدٌ ۝



١٢- إن أخذ ربك بشدة وعنف لبالغ الشدة، والمراد أنه تعالى مضاعف تعذيبه بالكفار.
١٣- إن الله ينشئ الخلق في البدء، ثم يعيدهم أحياء بعد الموت يوم القيامة.
١٤- وهو سبحانه الكثير المغفرة للثائنين، المحب لهم. إنه تعالى خالق العرش ومالكه وصاحبه، العظيم الجليل في ذاته وصفاته.
١٥- أي كثير الفعل، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه.
١٦- هل يبلغك أيها الرسول خبر الأقوام الذين حاربوا الرسل الكرام وقتلواهم؟
١٧- أولئك الجنود المجندة لمحاربة الرسل هم جنود فرعون وأتباعه في مصر، وقبيلة ثمود قوم صالح، والمراد: ما وقع منهم من الكفر والعناد، وتعذيبهم في النهاية.
١٨- بل هؤلاء الكفار العرب في تكذيب شديد لك أيها الرسول وللقرآن، ولم يتعظوا بمن قبلهم من الكفار. و
١٩- لإبطال أسباب تكذيبهم ولإثبات الحق، أي إن حال كفار قريش أعجب من السابقين.
٢٠- والله محيط بهم قادر عليهم لا يفوتونه، فهم في قبضته وسلطانه، سيعذبهم كما عذب من قبلهم.
٢١- بل إن هذا القرآن قرآن شريف عظيم معظم، وليس كما زعموا أنه شعر أو كهانة أو سحر.
٢٢- مكتوب في لوح مصون عن الشياطين من الزيادة والنقص، وهو أم الكتاب أو اللوح المحفوظ.

سورة الطارق

فضلها: أخرج النسائي عن جابر بن عبد الله قال: صلى معاذ المغرب، فقرأ البقرة والنساء، فقال النبي ﷺ: أفان يا معاذ! ما كان يكفيك أن تقرأ ب ﴿والسما والطارق﴾ و ﴿والشمس وضحاها﴾ [الشمس ٩١/١] ونحوها؟
١- أقسم بالسما والسماء والكوكب الطالع ليلا. وسمي بالطارق لأنه يأتي ليلاً ويخفى بالنهار.
٢- وما أعلمك أيها النبي ما الطارق؟ في التساؤل تعظيم لشأن الطارق. النجم المضيئ الثاقب بضوئه ظلمة الليل.
٣- ما كل نفس إلا عليها حافظ من ربه، موكل بحراستها، وإحصاء أعمالها، وهم الملائكة الحفظة.
٤- فلينظر الإنسان نظرة تأمل واعتبار من أي شيء خلقه ربه؟ أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله: ﴿فلينظر الإنسان مِمَّ خُلِقَ﴾ قال: نزلت في أبي الأشد بن كلدة الجمحي، كان يقوم على الأديم (الجلد) فيقول: يا معشر قريش، من أزالني عنه فله كذا، ويقول: إن محمداً يزعم أن خزنة جهنم تسعة عشر، فأنا أكفيكم وحدي عشرة، وأكفوني أنتم تسعة.
٥- خلق من ماء (مني) مصبوب في الرحم. وداق: بمعنى مدفوق، كالحافرة: المدفوق.
٦- يخرج هذا الماء من بين ظهر الرجل وعظام صدر المرأة. والترائب: مواضع القلادة من الصدر، جمع تريبة.
٧- إن الله على إعادة الإنسان بالبعث بعد الموت لقادر.
٨- يعيده يوم تختبر السرائر وتعرف، أي تظهر، والسرائر: مكنونات القلوب من العقائد والنيات وغيرها.
٩- فما لم تكن البعث وهو الكافر من قوة يتمتع بها عن عذاب الله، ولا ناصر يقيه عما نزل به.
١٠- وأقسم بالسما ذات المطر الذي يرجع إليها بالتبخر من الأرض، وبالأرض التي تصدع أو تشقق عند خروج النبات فيها.
١١- ١٢- إن القرآن لقول يفصل بين الحق والباطل، كأنه الفصل نفسه، وليس هو باللهو ولم ينزل باللعب.

١٣- إن الكفار يدبرون المكائد (التدابير الخفية) لمحاربة الإسلام والنبي ﷺ، ومحاولة إبطال ما جاء به.

١٤- وأقابل تدبيرهم بتدبير أقوى منه يبطله، ثم أجازيهم بما يستحقون.

١٥- فأخبر أيها النبي الكفار ولا تستعجل هلاكهم، وأنظرهم قليلاً.

سورة الأعلى

فضلها: ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمأذ: «هلا صليت بـ ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى ٨٧/ ١] والشمس وضحاها [الشمس ٩١/ ١] والليل إذا يغشى [الليل ٩٢/ ١].

- ١- نزه أيها النبي اسم ربك البالغ النهاية في العلو عن كل ما لا يليق به، بقولك: (سبحان ربي الأعلى).
- ٢- الذي خلق الإنسان وغيره، فجعله معتدل القامة، متناسب الأجزاء، مهياً لما خلق له.
- ٣- والذي قدر كل شيء ومنه الرزق بمقادير معينة، فعرّفه وجه الانقضاء بما خلق له.
- ٤- والذي أنبت العشب والنبات والشجر والزرع، ومراعي الأنعام والدواب.
- ٥- فجعله يابساً، مائلاً للسواد بعد اخضراره.

- ٦- سقرك أيها الرسول القرآن على لسان جبريل عليه السلام، فلا تنسى ما تقرؤه. قال مجاهد والكلبي: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالوحي، لم يفرغ جبريل من آخر الآية، حتى يتكلم النبي ﷺ بأولها، مخافة أن ينسأها، فنزلت ﴿سقرك فلا تنسى﴾ بعد ذلك شيئاً، فقد كفيتك.
- ٧- إلا ما شاء الله أن تنساه، ينسخ تلاوته وحكمه، إنه تعالى يعلم ما ظهر من الأحوال وما بطن.
- ٨- ونوفقك للشريعة السمحة التي لا عسر فيها في كل أمر من أمور الدين والدنيا.
- ٩، ١٠- فمظ أيها النبي الناس بالقرآن وأرشدهم لسبل الخير، حين ينفع التذكير، سيتذكر ويتعظ من ينهي الله ويخافه.
- ١١، ١٢- ويهمل الذكرى ويتركها جانباً المغرق في الشقاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي عَلَّمَ قُرْآنًا ۝ وَالَّذِي هَدَى ۝
وَالَّذِي أَرَادَ الْمَرَجَ ۝ لِنَجْلُوهُ غَمْلًا ۝ أَحْوَى ۝ سَعْرًا ۝ وَاللَّسَى ۝
إِنَّمَا شَاءَ اللَّهُ فَفَعَلَ مَا يَشَاءُ ۝ وَيَسِّرْكَ لِلْيُسْرَى ۝ فَذَكَرْ ۝
إِنْ نَعِمْتَ الذِّكْرَى ۝ سَدِّدْ كُنْ يَسْتَنْ ۝ وَيَجْعَلْكَ الْأَشَقَى ۝ الَّذِي ۝
يَصِلُ النَّارَ الْكُبْرَى ۝ وَلَا تَكُونُ فِيهَا الْيَسْرَى ۝ قَدْ أَلَمَ مِنْ رَبِّكَ ۝
وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ ۝
وَأَبْقَى ۝ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۝ صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝ وَجُوهٌ وَوَسْدٌ غَشِيَهُ ۝ عَامِلَةٌ نَاصِيَةٌ ۝
تَمَلُّوْنَ أَرْجَاسِيَةً ۝ تُسْقِطُ مِنْ عَيْنِهَا بُيُوتًا ۝ لَيْسَ لَهَا طَعَامٌ إِلَّا ۝
مِنْ سَرَجٍ ۝ لَا يَسْمَعُ إِلَّا نَجْمًا مِنْ جُجْ ۝ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِيَةٌ ۝
أَسْمِعْهَا رَاضِيَةً ۝ فِي حِجَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ۝

وهو الكافر، الذي يدخل نار جهنم العظمى وهي أسفل الدرجات.

- ١٣- ثم إنه لا يموت في النار فيستريح، ولا يحيا حياة طيبة، فيسعد.
- ١٤- قد فاز ولجا من تطهر من الكفر والمعصية، فأمن بالله ووحده وعمل بشريعته.
- ١٥- وتذكر اسم ربه بلسانه، ولا حظ صفاته العليا بقلبه، فصلى الصلوات المفروضة.
- ١٦- بل تفضلون أيها البشر الحياة الدنيا ولذاتها المعالجة الفانية على الآخرة الباقية.
- ١٧- وثواب الآخرة خير من الدنيا، وهي باشتغالها على الجنة أفضل وأدوم من الدنيا.
- ١٨- إن هذا المذكور من فلاح من تزكى وصلى وكون الآخرة خيراً من الدنيا موجود في الكتب الأولى المنزل قبل القرآن.
- ١٩- وهي عشر صحف إبراهيم، وعشر صحف موسى غير التوراة.

سورة الغاشية

فضلها: أخرج مسلم وأصحاب السنن عن النعمان بن بشير: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بـ ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى ٨٧/ ١] والغاشية في الجمعة والعيدين.

- ١- هل جاتك أيها النبي خير القيامة التي تغشى الناس بشدائدها وأهوالها؟ والغاشية: الداهية.
- ٢- وجوه يوم القيامة ذليلة خاضعة، لإدراكها بطلان عملها الدنيوي، وتعرضها للعذاب.
- ٣- عاملة في النار عملاً متعباً، تعباً، بجر السلاسل والأغلال وخوضها في النيران. والنصب: التعب.
- ٤، ٥- تدخل ناراً شديدة الحر، تسقى من عين ماء شديدة الحرارة. والماء الآني: المتناهي في الحر.
- ٦- لا طعام لهم إلا طعام رديء شديد المرارة. والضرع: نوع من الشوك اليابس المرتفع الإبل إذا لم تجد غيره، ولكنه لا يفيد. فإذا كان رطباً سمي الشبرق.
- ٧- لا يسمن أكله، ولا يفيد، ولا يحقق شيئاً من جوع.
- ٨، ٩- وجوه يوم القيامة متمتعة ذات بهجة وحسن، وراضية في الآخرة بعملها الصالح في الدنيا، وهو الطاعة.
- ١١، ١٠- يدخل أصحابها في جنة رفيعة المكان والقدرة لأن الجنة درجات، لا تسمع في الجنة لغواً من القول، ساقطاً باطلاً.

فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُورٌ رُفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَضُوعَةٌ ﴿١٤﴾
وَعَنَانٌ مَضُفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَبَنَاتٌ مُشَوَّهَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ
خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾
وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرُوا إِنَّا أَنْتُمْ مُذَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ لَئِنْ
عَلَيْكُمْ بَعْضُ عِلْمٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا أَمْنٌ نَوَلٌ وَكَفَرٌ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ
الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَبِالْأَسْحَرِ ﴿٢﴾ وَالشَّعْرِ ﴿٣﴾ وَالْوُجْرِ ﴿٤﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَنزَرُ ﴿٥﴾
هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَبْرِ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ جَعَلْنَا لَكَ بَعَادَ إِزْدَاكِ
الْعَادِ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ جَعَلْنَا فِي الْبَلَدِ ﴿٨﴾ وَمَعْدَ الَّذِينَ جَاءُوا
الْفَجْرَ ﴿٩﴾ لَوَادٍ ﴿١٠﴾ وَبِزَعُونَ ذِي الْأَوْدَادِ ﴿١١﴾ الَّذِينَ
طَفَّوْا فِي الْبَلَدِ ﴿١٢﴾ فَأَكْفَرُوا بِهَا النَّسَادَ ﴿١٣﴾ فَصَبَّ
عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ ﴿١٥﴾

١٢، ١٣ - في الجنة عين جارية متدفقة بشراب للذي،
وفيها أسرة رفيعة ذاتاً وقدرًا ومحلًا.

١٤، ١٥ - وفيها آتية لا عرى لها، موضوعة بين أيديهم،
لتسهيل تناولها، ووسائد صف بعضها بجانب بعض.
والتمارق جمع تمرقة.

١٦ - وفيها بسط فاخرة، وطنافس لها خمل، مبسوبة
مفرقة في المجالس، والزراعي جمع زريبة.

١٧ - أفلا ينظر كفار مكة وأمثالهم نظرة اعتبار وتأمل إلى
الجبال والنوق كيف خلقها الله تعالى خلقاً بديعاً. أخرج ابن
جرير وغيره عن قتادة قال: لما نعت الله ما في الجنة،
عجب من ذلك أهل الضلالة، فأنزل الله: «أفلا ينظرون
إلى الإبل...»

١٨ - وينظرون إلى السماء كيف رفعها الله فوق الأرض
بلا عمد، وأمسكها بكواكبها.

١٩ - وينظرون إلى الجبال كيف جعلت قائمة.

٢٠ - وينظرون إلى الأرض كيف بسطت، حتى صارت
مهددة صالحة للعيش عليها.

٢١ - فذكر أيها النبي وخوف بآياتي الكونية والقرآنية
وينبغي وأدلة توحدي، إنما أنت مذكر.

٢٢ - لست عليهم بمسلط لإجبارهم على ما تريد.

٢٣، ٢٤ - لكن من أعرض عن القرآن وكفر به، فيعذبه
الله يوم القيامة العذاب الأشد وهو عذاب جهنم.

٢٥، ٢٦ - إن إلينا رجوعهم بعد الموت، ثم إن علينا
حسابهم في للحشر، فنجازي كل إنسان بما قدم.

سورة الفجر

فضلها: روى النسائي - كما تقدم - عن جابر قال: صلى معاذ صلاة، فجاء رجل، فصلى معه، فطورك، فصلى في ناحية
المسجد، ثم انصرف، فبلغ ذلك معاذاً، فقال: متافق، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال الفتى، فقال: يا رسول الله، جئت
أصلي معه، فطورك علي، فانصرفت وصليت في ناحية المسجد، فعلقت ناقتي، فقال رسول الله ﷺ: «أفتان يا معاذ؟ أين أنت من
﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى ١/٨٧] و﴿والشمس وضحاها﴾ [الشمس ١/٩١] و﴿والفجر﴾ [الفجر ١/٨٩] و﴿والليل إذا
يغشى﴾ [الليل ١/٩٢].

١، ٢ - أقسم بالفجر: فجر كل يوم؛ لأنه وقت انفجار الظلام عن الليل، وبالليالي العشر من ذي الحجة.
٣، ٤ - والزوج والفرد، من كل الأشياء، والليل إذا يمضي أو يذهب، وجواب القسم محذوف مقدر: أي ليعذبني الكافر.
٥ - هل فيما أقسمت به من هذه الأشياء قسم كاف لذي عقل يعلم أن ما أقسم الله به حقيق أن يقسم به؟
٦ - ألم تعلم أيها النبي كيف فعل ربك بعد الأروى قوم هود الذين عذبوا بالصيحة؟ أي سأنقذهم من قومك كما فعلت بهؤلاء.
٧ - وعاد سبط إرم، وهو اسم آخر لعاد الأولى، ذات البناء الرفيع، سكان الخيام العالية. وهذا كناية عن الغنى وبسطة العيش.
كانت منازلهم بالرمال في الأحقاف بين عمان وحضرموت.

٨ - التي لم يوجد في البلاد مثلها في البطش والقوة والطول، فقالوا: من أشد منا قوة؟
٩، ١٠ - وتمدود قبيلة عربية بائدة قوم صالح، سكنوا بالحجر بين الشام والحجاز، الذين قطعوا الصخر ونحتوا منه بيوتاً،
بالحجر أو بوادي القرى، على طريق الشام من المدينة المنورة. وقرون صاحب المباني العظيمة التي تشبه الجبال في الثبات.

١١ - هؤلاء (عاد وتمدود وفراعون) الذين تمردوا وعتوا في بلادهم، وتجاوزوا الحد في الظلم.
١٢ - فأكثروا في البلاد الفساد بالكفر والمعاصي من قتل وتعذيب وظلم الناس.

١٣ - فأنزله بأولئك الأقوام نوعاً من العذاب المناسب لهم.
١٤ - إن ربك أيها الرسول يرصد ويرقب أعمال العباد، فيجازيهم عليها خيراً أو شراً.

١٥- فاما الإنسان إذا ما اختبره وامتنحه ربه بالغنى والبسر، فأكرمه ونعمه بالجاه والمال، فيقول: ربي فضلكي بما أعطاني، وصيرني مكرماً أهلاً لذلك، والمراد أنه يغتر فينسى شكر الله تعالى. والمقصود بالابتلاء: معاملتهم معاملة للمختبر بالخير والشر.

١٦- وأما إذا ما عامله معاملة المختبر بالفقر والتقتير، فضيق عليه رزقه، فيقول: ربي أذلني وبادرنني بالإهانة بالفقر.

١٧، ١٨- ﴿كَلَّا﴾: للزجر عن هذا الزعم المخطئ، بل: للانتقال من قبيح إلى أقبح، لا تحسون إلى اليتيم مع غناكم. ولا تحثون على إطعام المسكين.

١٩- وتأكلون الميراث أكلاً شديداً جامعاً كل شيء من حلال أو من حرام، كأخذ حق النساء والأطفال. واللمم في الأصل: الجمع بين الأشياء المتفرقة.

٢٠، ٢١- وتحبون المال حباً كثيراً. ﴿كَلَّا﴾: اوتدعوا عن هذا، إذا دعت الأرض دكاً متتابعاً، أي رُزِزْتُ حتى يتهدم كل بناء عليها، فتصير مستوية.

٢٢- وجاء أمر ربك وقضاؤه المبرم، ومعه الملائكة مصطفين صفوفاً أو ذوي صفوف يحسب منازلهم.

٢٣- وأحضرت وأظهرت جهنم، يومئذ يتذكر الإنسان تفریطه ومعاصيه في الدنيا، ومن أين له فائدة التذكر، وقد فات الأوان؟! وهو استفهام بمعنى النفي، أي لا ينفعه التذكر والتوبة حينئذ.

٢٤- يقول هذا المقصر: يا ليتني قدمت في الدنيا لحياتي هذه أي لأجلها الخير والإيمان. ويا: للتوبيخ.

٢٥- فيومئذ لا يتولى أحد عذاب الكافر إلا الله، ولا يفعل مثل عذابه في الشدة. ٢٦- ولا يوتق أحد مثل إيثاقه وتقييده أو يبطه بالسلاسل والأغلال. وضمير «عذابه» و«وإيثاقه» يعود للكافر. والوثاق: الرباط، أو الإيثاق بمعنى الربط، والثاني هو المراد هنا.

٢٧- ويقال للنفس عند الموت: يا أيها النفس المتينة بالله، المطمئنة بسبب ذكر الله، والرضا بقضائه.

٢٨- ارجعي إلى ثواب ربك وتكرمه، راضية بالثواب، مرضية عند الله بعملك الصالح.

٢٩- فادخلي في زمرة عبادي المقربين.

٣٠- وادخلي جنتي الواسعة معهم. أخرج ابن أبي حاتم عن بريدة في قوله: ﴿يا أيها النفس...﴾ [٢٧] قال: نزلت في حمزة. وقال ابن عباس: نزلت في عثمان حين اشترى بئر رومة لسقاية للمسلمين.

سورة البلد

١، ٢- أقسم بالبلد الحرام وهو مكة المكرمة. وأنت أيها النبي حلال بهذا البلد، استحل مشركو مكة إيفامك، ففي الكلام تفرع لهم، أو وحالك مقيم فيه، إظهاراً لأزيد فضله، وإشعاراً بأن شرف المكان بشرف أهله.

٣- وأقسم بكل والد وكل مولود من الموجودات المتوالدة؛ لأن بالتوالد بقاء النوع، والدلالة على قدرة الله وحكمته.

٤- لقد خلقنا جنس الإنسان مغموراً في مكابدة المشاق والشدائد، والتعب والمعاناة حتى يموت.

٥، ٦- أيظن أن لن يستطيع أحد الانتقام منه؟ بلى، فإله قادر عليه قاهر له. نزلت في أبي الأشهد بن كلدة الجمحي، الذي كان مغترباً بقرته البدينة. يقول: أنفقت مالا كثيراً، إظهاراً للتفاخر بكثرة المال والفاخرة بالغنى. قال ابن عباس: كان أبو الأشهد يقول: أنفقت في عدوة محمد مالا كثيراً، وهو في ذلك كاذب.

٧- أيظن أن لم يره أحد فيما أنفقه، فيعلم بقدرة، والله عالم بقدرة ومجازيه؟!



أَلَمْ يَجْعَلْ لِّلْإِنسَانِ عَيْنَيْنِ ۚ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝
 ٩- وَلَسْنَا نَمُنُّ بِهٖ ، وَشَفَقَيْنِ يَسْتُرْ بِهِمَا فَاہٗ ، وَيَسْتَعِينُ
 بِهِمَا عَلَى النَّطْقِ وَالْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَنَحْوِهَا .
 ١٠- وَبَيَّنَّا لَهُ طَرِيقِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَعَرَفْنَاهُ بِعَاقِبَةِ كُلِّ
 مَنَّمَا لِيُخْتَارَ أَحَدَهُمَا ؟
 ١١- فَهَلَّا اجْتَنَزَ أَوْ تَخْطِي الطَّرِيقَ الصَّعْبَ ، أَيْ التَّكَالِيفَ
 الشَّرْعِيَّةَ لِفَعْلِ الْخَيْرِ وَتَرْكِ الشَّرِّ .
 ١٢- وَمَا أَعْلَمَكَ مَا اقْتِحَامَ الْعُقْبَةِ ؟
 ١٣- إِنَّهَا عَتَقَ رَقَبَةً أَوْ تَحْرِيرَهَا مِنَ الرِّقِّ .
 ١٤- أَوْ إِطْعَامَ أَحَدٍ فِي يَوْمٍ ذِي مَجَاعَةٍ .
 ١٥- أَنْ أَطْعَمَ يَتِيمًا صَغِيرًا قَرِيبًا فَقَدْ أَبَاهُ . وَالتَّيِّمُ : الصَّغِيرُ
 الَّذِي لَا أَبَ لَهُ .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ۝ وَالْقَمَرُ إِذَا هَلَّهَا ۝ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّىٰ
 إِذَا يَتَشَفَّاهَا ۝ وَالسَّمَاءَ مَطْلِبَهَا ۝ وَالْأَرْضَ مَطْلِعَهَا ۝ وَشَرَّهَا
 سَوَّاهَا ۝ فَالْمُهَاجِرَ إِذَا تَوَلَّىٰهَا ۝ فَذَافِعًا مِّنْ رَّكْبَاهَا ۝ وَقَدَّحًا
 مِّنْ سَنَاهَا ۝ ذَكِّبْتُ مَوَدَّ يَطْعُونَهَا ۝ إِذَا أُنْبِئَتْ أَشْفَاهَا ۝ فَتَالُ
 لَّهِ رُسُلُ اللَّهِ نَاقَةً اللَّهِ وَسُفْهَاهَا ۝ فَكَذَّبُوهُ فَفَقَّ وَهَكَذَا قَدْ مَدَّمَ
 عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۝ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝

١٦- أَوْ أَطْعَمَ مَسْكِينًا مَّعْلَمًا لَا شَيْءَ لَهُ ، كَأَنَّهُ أَصَقَ يَدَهُ
 بِالتُّرَابِ ، كِتَابَةً عَنْ شِدَّةِ قَهْرِهِ .
 ١٧- ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَوْصَى
 بَعْضُهُمْ بِأُخْرَىٰ بِالصَّبْرِ عَلَى الطَّاعَةِ وَعَنِ الْمَعْصِيَةِ ، وَبِالرَّحْمَةِ
 عَلَى النَّاسِ أَوْ التَّرَاحُمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَ «ثُمَّ» لِلتَّرَفُّقِ فِي ذِكْرِ
 الرَّبِّ ، أَيْ ثُمَّ كَانَ قَبْلَ كُلِّ مَا ذَكَرَ مُؤَمَّنًا ، حَتَّى تَقْبَلَ أَعْمَالُهُ .
 ١٨- أُولَٰئِكَ الْمَوْصُوفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ أَصْحَابُ الْيَمِينِ
 الَّذِينَ يَأْخُذُونَ صَحَابَتَهُمْ بِأَيَّامِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيُظْفَرُونَ
 بِالْجَنَّةِ .
 ١٩ ، ٢٠- وَالَّذِينَ جَحَدُوا بِآيَاتِنَا الْقُرْآنِيَّةِ وَالْكُونِيَّةِ هُمُ
 أَصْحَابُ الشِّمَالِ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ كَتِبَهُمْ بِشِمَالِهِمْ ، وَيَدْخُلُونَ
 النَّارَ . عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّطْبَقَةٌ مَّغْلَقَةٌ عَلَيْهِمْ .

سورة الشمس

١ ، ٢- أَقْسَمَ بِالشَّمْسِ وَضُوءِهَا أَوَّلِ النَّهَارِ ، وَالْقَمَرِ إِذَا تَبَعَهَا مِبَاشَرَةً فِي الطَّلُوعِ عِنْدَ الْغُرُوبِ .
 ٣ ، ٤- وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّى الشَّمْسُ وَأَظْهَرَهَا سَاطِعَةً ، وَاللَّيْلِ إِذَا غَطَّى ضَوْءَ الشَّمْسِ بِظِلَامِهِ .
 ٥ ، ٦- وَالسَّمَاءَ وَمَنْ بَنَاهَا وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى وَجُودِهِ ، وَالْأَرْضَ وَمَنْ يَسْطُهَا وَجَعَلَهَا صَالِحَةً لِلْمَقَامِ عَلَيْهَا .
 ٧ ، ٨- وَبِالنَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَمَنْ أَحْكَمَ خَلْقَتَهَا وَتَعْدِيلَ أَعْضَائِهَا ، فَعَرَفَهَا طَرِيقَ الْفُجُورِ وَحَذَرَهَا مِنْهُ ، وَطَرِيقَ الْخَيْرِ وَالتَّقْوَى
 وَرَغَبَهَا فِيهِ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : بَيَّنَّ لَهَا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ، وَالطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ ، وَعَرَفَهَا مَا تَأْتِي وَمَا تَتَّقِي . قَالَ الْمَفْسُورُونَ : أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ
 بِسَبْعَةِ أَشْيَاءٍ أَظْهَرَهَا لِعَظَمَةِ قُدْرَتِهِ وَانْفِرَادِهِ بِالْأَلُوْهِةِ .
 ٩ ، ١٠- قَدْ فَازَ مَنْ طَهَّرَ نَفْسَهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَأَتَمَّهَا بِالطَّاعَةِ وَالتَّقْوَى ، وَقَدْ خَسِرَ مَنْ أَهْمَلَ تَهْذِيبَ نَفْسِهِ ، وَأَغْوَاهَا ، وَهَذَا
 جَوَابُ الْقِسْمِ . وَالتَّدْمِيَةُ : النَّقْصُ وَالْإِخْطَاءُ ، وَهِيَ ضِدُّ التَّرْتِيكِ .
 ١١- كَذَبَتْ قَبِيلَةُ ثَمُودَ قَوْمٍ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَبِّ طَغْيَانِهَا : وَهُوَ تَجَاوُزُ الْخُدِّ الْمَعْتَادِ . وَغَيْرَهَا كَعَادَ وَقَوْمَ لُوطَ وَفِرْعَوْنَ .
 ١٢ ، ١٣- حِينَ انْدَفَعَ وَذَهَبَ لِعَقْرِ النَّاقَةِ أَشَقَى ثَمُودَ ، وَهُوَ كُفَّارٌ بَيْنَ سَالِفٍ . فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ذُرُوا
 وَاحْذَرُوا عَقْرَ نَاقَةِ اللَّهِ وَالتَّعَرُّضَ لَهَا ، وَاتَّكُوا لَهَا شَرِبَهَا الْخَاصَّ بِهَا فِي يَوْمِهَا ، فَلَا تَذُودُوهَا عَنْهَا .
 ١٤ ، ١٥- فَكَذَّبُوا صَالِحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَخَالَفُوهُ فِيمَا حَذَرَهُمْ مِنْهُ ، فَتَقَلَّتْ النَّاقَةُ ، لِأَنَّ ذَلِكَ تَمَّ بِاتِّفَاقِهِمْ وَرِضَاهُمْ ، فَاطْبَقَ عَلَيْهِمُ
 الْعَذَابَ مِنْ رَبِّهِمْ بِسَبَبِ ذَنْبِهِمْ ، أَيْ فَعَمَّهُمُ الْعَذَابُ وَأَهْلَكَهُمْ جَمِيعًا ، أَوْ سَوَّى الْقَبِيلَةَ بِالْأَرْضِ ، فَاصْبَحُوا لَا وَجُودَ لَهُمْ عَلَى
 ظَهَرِهَا . وَلَا يَخْشَى اللَّهُ عَاقِبَةَ الْإِهْلَاكِ أَوْ تَبْعَةَ الدَّمْلَمَةِ ؛ لِأَنَّهُ الْمُهَيِّمُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ .

سورة الليل

فضلها: تقدم حديث جابر في الصحيحين: أن النبي ﷺ قال لمعاذ: «فهلا صليت بـ ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى ١/٨٧] والشمس وضحاها» [الشمس ١/٩١] والليل إذا يشي» [الليل ١/٩٢].

١، ٢- أقسم بالليل حين يغطي كل شيء بظلامه، والنهار متى ظهر وانكشف لزوال ظلمة الليل.

٣، ٤- والقادر الذي خلق الذكر والأنثى من كل شيء في الإنسان والحيوان والنبات. إن علمكم أو مسعاكم أيها الناس لمختلف متفرق، فتمت عمل صالح للجنة، ومنه عمل سيء للنار، وهذا جواب القسم.

٥- فإما من يذل المال وأدى فريضة الزكاة، والتزم الأوامر واجتنب النواهي وللحارم. نزلت في أبي بكر الذي كان يعتق العجائز والنساء إذا أسلمن، فقال له أبوه: أراك تعتق أناساً ضعفاء، فقال: إنما أريد ما عند الله، فنزلت هذه الآيات فيه.

٦- وصدق بالكلمة الحسن، وهي عقيدة توحيد الله وتصديق رسله ووعده الله بالثواب على الطاعة.

٧- فسهل له ونهيسه لسلوك الطريقة السهلة، ونزسه لأسباب الخير وطاعة الله تعالى.

٨- وأما من يخل بأنفاق ماله في طرق الخير، واستغنى عن ثواب الله بشهوات الدنيا وترك طاعة الله تعالى. قال ابن عباس: نزلت في أمية بن خلف.

٩- وكذب بعوده الله بإثابة المؤمنين في الآخرة.

١٠- فنهيه ونوجهه للطريقة العسرى السيئة، ونسلها له،



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَأْسَى ١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ٣
إِنْ سَأَلْتَهُمْ لَمْ تَكُنْ ٤ فَمَا تَكُنْ أُعْطِيَ ٥ وَصَدَّقُوا الْحَسَنَى ٦
فَتُسَيِّرُهُ لِلْعُسْرَى ٧ وَأَمَّا مَنْ يَخْلُ وَاسْتَغْنَى ٨ وَكَذَّبَ
بِالْحَسَنَى ٩ فَتُسَيِّرُهُ لِلْعُسْرَى ١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ١١
إِنْ عَلِمْنَا لَمَعَتَا ١٢ وَإِن لَنَا الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ١٣ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ١٤
لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ١٥ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ١٦ وَتَتَّبِعَهَا
الْأُنثَى ١٧ الَّتِي يُوَفَّى مَالُهَا بَرَكًا ١٨ وَمَا أُعْطِيَتْهُ مِنْ نِعْمَةٍ
تُجْزَى ١٩ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ٢١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ٣

فلا يعمل إلا شراً مودياً به إلى النار.

١١- ولا يفيد ماله وغناه إذا هلك وسقط في النار.

١٢- وإن واجبنا الذي أوجبه على نفسنا بعدلنا وحكمنا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال.

١٣- وإن لنا جميع ما في الدنيا والآخرة تنصرف به بمشيتنا، فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ.

١٤، ١٥- فعذرتمكم وخوفتمكم مخالفة أمري أيها الناس بنار جهنم التي تتوقد وتلتهب. لا يدخلها ولا يحترق بنارها إلى الأبد إلا الشقي الكافر كأي جهل وأمية بن خلف. أما الفاسق وإن دخلها فلا يستمر فيها.

١٦- الأشقى الذي كذب بالقرآن وأعرض عن الإيمان بربه ورسله، وطاعته.

١٧- وسبعد عن النار النقي الذي اتقى الكفر والمعاصي وخاف من الله تعالى. أخرج ابن أبي حاتم عن عروة: أن أبا بكر الصديق اعتق سبعة، كلهم يعذب في الله، وفيه نزلت هذه الآية وما بعدها.

١٨- الذي يعطي ماله في سبيل الله، يظهر بإخراجه لله تعالى، من غير رياء ولا سمعة، ويظهر نفسه من الشح.

١٩- وليس لأحد عنده معروف يكافئه ويجازيه عليه.

٢٠، ٢١- لكن فعل ذلك طلباً لرؤسا ربه قطع، والظفر بثوابه وفضله. ولسوف يرضى بما يعطاه من الثواب في الجنة.

سورة الضحى

فضلها: يسن التكبير عند الإمام الشافعي رحمه الله، بأن يقول: (الله أكبر) عقب سورة ﴿والضحى﴾ وخاتمة كل سورة بعدها.

١، ٢- أقسم بوقت ارتفاع الشمس أول النهار. أخرج سعيد بن منصور والفرهاني عن جندب قال: أبطأ جبريل على النبي ﷺ، فقال للمشركون: قد ودع محمد، فنزلت. وبالليل إذا سكن الناس فيه للراحة، وغطى بظلامه الأشياء.

٣- ما ترك ربك ولا قطعك ولا أهملك، وما أبغضك. وهو جواب القسم.

٤- والأخرة الباقية الخالدة وما فيها من الجنة والكرامات أفضل من الدنيا الفانية المشوبة بالمضار. أخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «عرض علي ما هو مفتوح لأمتي بعدي، فسرني، أنزل الله: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ واستاده حسن.

٥- وسوف يعطيك ربك في الآخرة من الخيرات عطاء جزيلاً، فترضى به تماماً كالثواب والشفاعة لأمته في الآخرة، والحووس. أخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل والطبراني وغيرهم عن ابن عباس قال: عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته كقراء أي قرية قرية - فسر به، فأنزل الله: ﴿وَلَسَوْفَ يَعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾.

٦- لقد وجدك ربك يتيماً لفقد أبيك، فأواك وضمك إلى من يكفلك وهو عمك أبو طالب. والاستفهام «ألم يجدك» تقرير يفيد طلب الإقرار بما بعده، أي وجدك بمعنى علمك.

٧- ووجدك مسخطاً في معرفة أحكام الشرائع والقرآن، فهذاك إلى مناهجها وكيفياتها.

٨- ووجدك فقيراً ذا عيال، فأعناك من فضله من الاتجار بمال خديجة، وغنائم الفتوحات.

٩، ١٠- وبما أن الله أنعم عليك بهذه النعم، فيوصيك بالوصايا التالية: فأما اليتيم فلا تستنذله وتستضعفه بأخذ ماله أو بتسخيره ونحو ذلك، بل أعطه حقه متذكراً يتمك. وأما السائل عن مال أو علم فأعطه أو علمه، ولا تجره لفقره، فقد كنت فقيراً، فأطعمه أو رده رداً جميلاً.

١١- وأما بنعمة ربك عليك بالنبوة وغيرها، فأخبر بها الناس، واشكر الله عليها، والتحدث بنعمة الله شكر.

سورة الشرح

- ١- ألم تُفسح ونوسع لك يا محمد قلبك لقبول النبوة والهدى والإيمان، وملأناه علماً وحكمة. وهو كناية عن السرور.
- ٢، ٣- وحططنا وأزلنا عنك حملك الثقيل الذي أثقلت وهو اهتمامك الشديد بهداية قومك وحمايتك من إيذائهم.
- ٤- ورفعنا لك سمعتك بالنبوة وغيرها في الدنيا والآخرة، ومنها اقتران اسمك باسم الله في التشهد والأذان والإقامة وغيرها.
- ٥، ٦- فلان مع كل شدة فرجاً بسرعة، مثل مقاساة النبي ﷺ مضايقات المشركين، ثم تحقيق اليسر والنصر عليهم. نزلت لما عثر للمشركون المسلمين بالفقر. ولما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ فيما أخرجه ابن جرير عن الحسن البصري: «أبشروا أتاكم اليسر، لن يغلب عسر يسرين». إن مع كل عسر وشدة يسراً آخر، ففي مواجهة كل عسر يسران.
- ٧- فإذا فرغت أيها الرسول من أداء الرسالة وتبليغ الناس بها، فاتعب في الدعاء والعبادة، وثابر عليها.
- ٨- وإلى ربك وحده توجه بالدعاء والتضرع، ولا توجه رغبتك إلى غير ربك، فهو القادر للمجيب.

سورة التين

فضلها: أخرج الجماعة (مالك وأصحاب الكتب الستة) عن البراء بن عازب: «كان النبي ﷺ يقرأ في سفره في إحدى الركعتين بالتين والزيتون، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه».

- ١- أقسم بشجر التين والزيتون، لأنهما مباركان، الأول يأكله الناس، والثاني يأكلونه ويعصرون منه الزيت.
- ٢- وبالجليل الذي كلم الله تعالى موسى عنده، ونأجى فيه ربه. وسيناء: اسمان للموضع الذي فيه هذا الجبل.
- ٣- وبمكة المكرمة التي كرمها الله بالكعبة وجعلها حراماً آمناً للناس.
- ٤، ٥- لقد خلقنا جنس الإنسان في أحسن تعديل لصورته وشكله. ثم رددنا بعض أفراد الإنسان وهو الكافر، وجعلناه في النار. أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: نزلت في نفر رذوا إلى أولاد العمر.



إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿١﴾
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ الْبَيِّنَاتِ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالْمُكَذِّبِينَ ﴿٢﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَوَلَمْ نَسْجُدْ لَكَ آدَمَ خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾
أَوَلَمْ نَرْبُكَ أَلا نَكْمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ
مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَطَغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّاهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾
إِنَّا إِلَىٰ رَبِّكَ الرَّجْمَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا
إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْمَذْخَا ﴿١١﴾ وَأَمْرًا بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾
أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَرَأَيْتَ بَأنَّ اللَّهَ بَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَّمْ
نَنَّهُ لَتَفْسَعُنَا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٌ خَاطِئَةٌ ﴿١٦﴾ فَلْيَعْنِ نَادِيَهُ
﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تَطْمَعُ ۖ وَاتَّجِدْ وَاقْرَبْ ﴿١٩﴾



- ٦- لكن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بما أمر الله به، فلهم ثواب أخروي دائم غير مقطوع عنهم.
- ٧- فاي شيء يجعلك أيها الإنسان بعد هذه الأدلة الواضحة على قدرة الله على البعث تكذب بيوم القيامة؟ والمراد: ما يجعلك مكذبا بالبعث من غير موجب لهذا التكذيب؟
- ٨- أليس الله بأحكم الحاكم قضاء وعدلاً وتنبيراً؟ أخرج الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً: «فإذا قرأ أحدكم: ﴿والتين والزيتون﴾ فأتى على آخرها: ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين».

سورة العلق

- فضلها: نزل صدر هذه السورة أول ما نزل من القرآن الكريم، أما بقية السورة فهو متأخر النزول، بعد انتشار دعوته ﷺ بين قريش، وتحرشهم به وإيذائهم له.
- ١، ٢- ابتدئ يا محمد قراءة القرآن مبتدئاً باسم ربك، أو مستعيناً به، الخالق كل شيء، والخلق أول النعم. خلق الإنسان من علقه: وهي الدم الجامد.
- ٣- اقرأ: تأكيد للأول، وأنت واثق معتقد أن ربك أكرم الكرماء، ومن كرمه: تمكينك من القراءة وأنت أمي.
- ٤، ٥- الذي علّم الإنسان الكتابة بالقلم، وهو نعمة عظيمة من الله تعالى. علّم الله الإنسان، أي جنس الإنسان بالقلم ما لم يكن يعلم به.

٦- كلا: هنا أي حقاً، إن الإنسان كثيراً ما يتجاوز الحد في العصيان. نزلت في أبي جهل الذي قال: لئن رأيت محمداً يفعل - أي يصلي - لأطعن على رقبته، ولأعفرن وجهه في التراب، فأنزل الله هذه الآية وما بعدها.

- ٧- لأجل أن رأى نفسه غنياً، اغتنى بالمال وغيره من أنواع القوى.
- ٨- إن إلى ربك الرجوع يوم القيامة للحساب والجزاء. والرجعي مصدر بمعنى الرجوع.
- ٩- أخبرني أيها السامع عن الذي ينهى وهو أبو جهل. أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يصلي، فجاءه أبو جهل، فنهأه، فأنزل الله: ﴿أرايت الذي ينهى...﴾ إلى قوله: ﴿كاذبة خاطئة﴾ [١٦].
- ١٠- ينهى عبداً إذا صلى، وهو النبي محمد ﷺ، والمراد: هل هو محق في هذا النهي، وهل أمن على نفسه العقوبة؟
- ١١- أخبرني أيها السامع عن حال هذا الرجل، أهو على طريق الهدى والرشاد؟
- ١٢- أو هو أمر بتقوى الله والخوف من عقابه، حينما أمر غيره بترك طاعة الله؟ والمراد أنه لا على هدى ولا على تقوى.
- ١٣- أخبرني أيها النبي عن حال هذا الرجل حين كذب برسالتك وأعرض عن الإيمان، أبظن أنه ناج من عقابنا؟ كلا.
- ١٤- ألم يعلم هذا المكذب المعرض بأن الله يعلم ما يفعله، أي يجب أن يعلم أن الله مطلع على أعماله وأحواله.
- ١٥، ١٦- ﴿كلا﴾: لردع الناهي، فعليه أن يتزجر، والله إن لم ينته عن إيذاء رسولنا محمد ﷺ لنقبضن بناصيته، ونرميه في النار.
- والناصية: مقدم شعر الرأس. ناصية شخص كاذب خاطئ أي أثم ملتبس.
- ١٧- فليطلب أبو جهل أهل ناديه ومجلسه. والنادي: مكان الاجتماع، أو القوم المجتمعون فيه، وهذا هو المراد هنا. والمقصود أن يجمعهم عنده ليحارب للمؤمنين. أخرج أحمد والترمذي وغيرهما عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يصلي، فجاءه أبو جهل، فقال: ألم أنهك عن هذا؟ فزجره النبي ﷺ فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني، فأنزل الله: ﴿فليدع ناديه...﴾.
- ١٨- سندع الملائكة الغلاظ الشداد. وحذفت الواو من ﴿سندع﴾ تخفيفاً.
- ١٩- ﴿كلا﴾: لردع الناهي أيضاً، لا تطعمه يا محمد في ترك الصلاة، بل داوم على سجودك، وصل لله، وتقرب إليه.

سورة القدر

١- إنا أنزلنا القرآن، أي ابتداء إنزاله في ليلة العظمة والشرف من ليالي شهر رمضان.

٢- وما أعلمك أيها النبي ما هذه الليلة وما فضلها؟ والاستفهام لتعظيم شأنها.

٣- ليلة القدر هذه، العمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر. أخرج ابن جرير عن مجاهد قال: كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح، ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي، فعمل ذلك ألف شهر، فأنزل الله: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ عملها ذلك الرجل.

٤- تنزل تبعاً للملائكة وجبريل الأمين إلى الأرض في هذه الليلة بأمر ربهم من كل أمر قضاء الله فيها للجنة التالية، ويكل خير للطائعين من التسليم عليهم والاستغفار والدعاء لهم.

٥- هي سلامة وخير كلها من أولها إلى طلوع فجر ليلتها.

سورة البينة

فضلها: أخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ

لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ [البينة ١/٩٨] قال: وسماني لك؟ قال: نعم، فيكي».

١- لم يكن كفار أهل الكتاب من اليهود والنصارى والصابئين، وعبداء الأوثان والأصنام متبهين عن كفرهم، متروكين بدون إرشاد للحق، حتى تأتيهم الحجة الواضحة التي تبين الحق، والمراد هنا القرآن أو الرسول محمد ﷺ. والمعنى: لا تركهم إلا بعد بيان الحجة لهم منعاً من الاعتذار يوم القيامة. و «من» في قوله: «من أهل» للبيان. وتلك البينة رسول مبعوث من الله وهو محمد ﷺ يقرأ عليهم قرآناً مكتوباً في صحف منزلة عن الباطل والتحريف.

٢- في الصحف آيات مكتوبات وأحكام تشريعية مستقيمة محكمة لا عوج فيها، بل فيها الصلاح والرشاد. ٣- وما اختلف الكتائبون وانقسموا فرقاً في شأن النبي محمد ﷺ إلا بعد مجيء الدليل الواضح الدال على الحق، فبعضهم آمن به، وبعضهم كفر. وما أمر أهل الكتاب في كتبهم كالنور والإنجيل إلا أن يعبدوا الله وحده لا شريك له، مخلصين له العبادة، مائلين عن الشرك، مبتعدين عن الباطل إلى الحق، ويؤدوا الصلاة المفروضة كاملة في أوقاتها، ويُعطوا الزكاة لمستحقها، وذلك دين الملة المستقيمة على طريق الحق.

٦- إن كفار أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وعبداء الأوثان والأصنام، مآلهم يوم القيامة في نار جهنم، ماكتين فيها على الدوام، أولئك هم شر الخليقة حالاً، لتركهم الحق حسداً وبغياً.

٧- إن الذين صدقوا بالله ورسوله، وعملوا بما أمر الله من صالح الأعمال أولئك أفضل الخلق حالاً ومآلاً.

٨- ثوابهم على الإيمان والعمل الصالح عند ربهم يوم القيامة جنات إقامة، ثم استعمل «عدن» اسماً من أسماء الجنة، لخلود الإقامة فيها، تجري من تحت غرفها وبساتينها الأنهار، ماكتين فيها إلى الأبد، رضي الله عنهم، فأحسن ثوابهم؛ لأنهم أطاعوا أمره، ورضوا عن جزائه لهم وسرّوا به، ذلك الجزاء الحسن المتقدم لمن خاف مقام ربه عند كل عمل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ بَعْدَ مِائَةِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَرْكِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُتَكِبِينَ حَتَّىٰ ثَابِتُهُمْ لَيْلَتُهُ ۝ رَسُولُ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ۝ فِيهَا كُتِبَ فِيهَا ۝ وَمَا تَرَوْا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حَقَّافًا وَيُحْمِلُوا أَوْثَارَهُمُ الرِّبَا وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝ إِنَّا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فَأَرْحَمُ خَلْقٍ فِيهَا ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ سَرَّالَهُ ۝ إِنَّا الَّذِينَ آسَأُوا وَعَمَلُوا الصَّلَاتِ أُولَٰئِكَ هُمُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝ جَزَاءُ مَنْ عَدَّتْ رِيْمَ جَنَّتْ عَدِي تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا ۝ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۝ ذَلِكَ لِمَنْ حَسِبَ رَبَّهُ ۝

سورة الزلزلة

فضلها: أخرج الترمذي وأبو داود والنسائي عن عبد الله بن عمرو في حديث فيه: أن رجلاً قال: أقرئني يا رسول الله سورة جامعة، فأقرأه ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ [الزلزلة ١/٩٩] حتى إذا فرغ منها، قال الرجل: والذي بئسك بالحق نبياً، لا أزيد عليها أبداً، فقال الرسول ﷺ: أفلح الرويحل، أفلح الرويحل. وأخرج الترمذي أيضاً عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إذا زلزلت الأرض﴾ ربع القرآن.

١، ٢. إذا اضطربت الأرض وتحركت يوم القيامة حركة عينة عند النسخة الأولى أو بعدها، بزلزال مخصوص بها. وأخرجت الأرض ما في جوفها من الأموات والدفائن والكنوز وغيرها.

٣، ٤. وقال الإنسان الكافر الذي يفاجأ بما كان ينكره: أي شيء حصل للأرض بهذه الزلزلة، وهو تعجب من الهول. في ذلك اليوم تخبر الأرض بأخبارها، وتنطق بلسان الحال أو المقال بإتفاق الله تعالى بكل ما عمل عليها من خير أو شر.

٥. نتحدث بذلك بسبب إحياء الله لها، أي أمره لها بإخراج أقالها والتحدث بأخبارها.

٦، ٧. يومئذ يخرج الناس من القبور إلى موقف الحساب متفرقين ليربهم الله جزاء أعمالهم من الجنة أو النار. فمن يحمل وزن ذرة من خير في الدنيا يجد ثوابه في الآخرة. أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ سمي هذه الآية الفأذة الجامعة.

٨. ومن يعمل وزن ذرة من شر في الدنيا يجد جزاءه في الآخرة. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت ﴿ويطعمون الطعام على حبه...﴾ [الإنسان ٨/٧٩]، كان للمسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه، وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير: الكلبة، والنظرة، والغيبة، وأشياء ذلك، ويقولون: وإنما وعد الله النار على الكبار، فأنزل الله الآيتين [٨، ٧].

سورة العاديات

١. أقسم بخيل المجاهدين التي تجري وتعدو (والخيل الجارية) المصدرة صوتاً هو أنفاس الخيل عند جريها. والعاديات: من العدو وهو الجري. والضح: صوت النفس. أخرج البزار والحاكم وغيرهما عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ خيلاً، ولبثت شهراً، لا يأتيه منها خبر، فنزلت ﴿والعاديات﴾.

٢، ٣. فالخيل الضاربة على حجارة الأرض، فتخرج شرر النار بحوافرها، كالقذح بالزناد. والموريات جمع موربة، من الإبراء: إخراج النار من الحجر بالزناد مثلاً. والقدح: هو الضرب على الحجر لإخراج النار. وضرباً وقدحاً: حال كونها ضابحات قاذحات. فالخيل المغيرات التي تغير أو تهجم على العدو وقت الصباح. وصباحاً: وقت الصباح، وهو ظرف.

٤، ٥. فاثارت الخيول أثناء جريها غباراً في وجه العدو. فتوسطن يعدون أو في وقت الصباح وسط الأعداء.

٦. إن الإنسان لكفور جحود نعمة الله عليه. والمراد جنس الإنسان للتحدث عنه.

٧، ٨. وإنه على كنوده (جحوده) لشاهد يشهد على نفسه بصنعه، لظهور أثر ذلك عليه، أي أن أعماله تشهد عليه بجحوده، فهي شهادة بلسان الحال. وإنه لحب المال الكثير لشديد الحب له، فيخبل به، أو لقوي مجذ في طلبه وتحصيله.

٩، ١١. أفلا يدري إذا نثر وأخرج ما في القبور من الموتى، أي يغشوا. وأبرز وجمع ما في الصدور مما تخفيه من خير أو شر، أو نية حسنة وسيئة. إن رب المبعوثين لعالم بهم، لا تخفى منهم خافية، ويجازيهم في ذلك اليوم على أعمالهم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا زَلَزَلْنَا الْأَرْضَ زَلْزَالًا ۝ وَاتْرَجْنَا الْأَرْضَ أَتْقَالًا ۝
وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُخْبِرُكَ عَنْ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ
أَخْبَرَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ يُصْعَدُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَآ أَعْمَالَهُمْ ۝ فَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝
فَأَثَرُنَّ بِحَنْفَاهُ ۝ فَتَوَسَّطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝ إِنَّا الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ
لَكَوَدُّ ۝ وَأَنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ أَلْهَيْدٌ ۝ وَتَهْلِكُ الْكُفَرُ
لَشَدِيدٌ ۝ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝ وَحُصِّلَ
مَا فِي الصُّدُورِ ۝ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ ۝



سورة القارعة

١- القارعة: القيامة، سميت بذلك لأنها تفرع القلوب والأسماع بأهوالها وأفزاعها الشديدة.

٢، ٣- أي شيء هي القارعة؟ والاستفهام لتفخيم شأنها وتعظيمه. وما أعلمك أيها الإنسان ما شأن القارعة؟ فانت لا تعرفها ولا يتصورها خيالك.

٤- يوم يخرج الناس من القبور يوم القيامة، هائمين على وجوههم كالفراش (الطير الصغير الذي يتجمع ليلاً على نور السراج أو الضوء) المنتشر المتفرق. يضرب بالفراش المثل في الحيرة وجهل العاقبة.

٥- وتصير الجبال كالصوف المنذوف في خفته وسرعة تطايره. وفي كل ذلك تخويف وتحذير.

٦، ٧- فأما من رجحت حسناته على سيئاته، فهو في الجنة في عيشة مرضية سارة.

٨، ٩- وأما من رجحت سيئاته على حسناته، فمسكرته أو مرجعه ومأواه جهنم. وسميت أمه؛ لأنه يأوي إليها كما يأوي الطفل إلى أمه، وهذا من قبيل التهمك.

١٠، ١١- وما أعلمك أيها الإنسان ما هذه الهاوية الهالكة؟ وسميت جهنم هاوية؛ لأنه يهوي فيها مع عمق قعرها. وأصل الهاوية: المكان المنخفض جداً.

والاستفهام للتهويل. وهاء «هيه» هاء السكت، تزداد في آخر الكلمة عادة للسكوت، ثم أثبتت مع الوصل. إن الهاوية هي نار جهنم الشديدة الحرارة.

سورة التكاثر

١- شغلكم أيها الناس التسابق في جمع المال، والتفاخر بكثرة الأموال والأولاد، أخرج أحمد ومسلم والترمذي والنسائي عن عبد الله بن الشَّخَر قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: «ألهاكم التكاثر» يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفئت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت.

٢، ٣- حتى متم ودفنتم في القبور، والمراد: شغلتمكم ملاذ الدنيا. كلا: للردع والزجر عما تقدم من التكاثر، ليس الأمر كما تريدون، سوف تعلمون بعد الموت ويوم القيامة سوء عاقبة تفاخركم، وأن السعادة ليست بذلك.

٤- ثم كلا سوف تعلمون، كرر الله تعالى ذلك للتأكيد والتحذير من الحرص على المال، وترك طاعة الله تعالى. ٥، ٦- «كلا»: ردع آخر، لو علمتم علماً يقينياً عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به. وجواب «لو» مقلد، أي لتركتم التفاخر وعملتكم بما يحقق السعادة الخالدة. والله لثرون بأبصاركم بعد الموت الجحيم بارزة ظاهرة غير بعيدة، وهي النار المستعرة.

٧- ثم لثرونها بأعينكم بعد ذلك عياناً وهي اليقين نفسه، بدخولكم فيها، وهو تأكيد لما سبق. ٨- ثم لتسألن يوم الحساب عن نعم الدنيا الذي شغلكم عن العمل للأخرة. و«ثم» للترتيب الإخباري، لأن السؤال في موقف الحساب قبل رؤية الجحيم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْقَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَوْدَكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ يَوْمَ
يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ وَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعُفُوفِ ٥
فَلْيَمَنْ يَأْتِكُمْ مَوَازِينُ ٦ هُوَ فِي عِصَةِ الْأُولَى ٧ فَلْيَمَنْ خُفَّتْ
مَوَازِينُ ٨ فَأَمَّا هَاوِيَةٌ ٩ وَمَا أَدْنَاكَ مَلَكُوتُ ١٠ نَارُ حَامِيَةٍ ١١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ ١ حَتَّى دُنِمَ الْمُنِيرُ ٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣ ثُمَّ
كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ٦
وَلَتَرَوُنَّ غَايَةَ الْيَقِينِ ٧ وَلَتَنَلَّنَّ يَوْمَئِذٍ نَعِيمَ ٨



سورة العصر

فضلها: أخرج الطبراني عن عبيد الله بن حفص قال: كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يفترقا، إلا أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر، إلى آخرها، ثم يسلم أحدهما على الآخر. وأخرجه البيهقي عن أبي حذيفة.

٢، ١. أقسم بالعصر، وهو الدهر، لما فيه من العبر والأعاجيب. إن الإنسان (جنس الإنسان المكلف) لفي خسران عظيم في تجارته مع الشيطان وإشراق الدنيا، ولو تاجر مع الله تعالى، لكان له الربح الخالد، إذا أطاع الله وأثر الآخرة. وهذا جواب القسم.

٣. الإنسان خاسر إلا الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا صالح الأعمال التي أمر الله بها، وأوصى بعضهم بعضاً بما هو حق: وهو العمل بشرع الله، من الإيمان به وتوحيده، وفعل أوامره، وترك نواهيه، وهذا يشمل كل خير وفضيلة، وأن يوصي الناس بعضهم بعضاً بالصبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الصائب. وهذا من قبيل عطف الخاص على العام، لأن الصبر من خصال الحق.

سورة الهمزة

١. هلاك وخزي وعذاب شديد لكل هَمَزَ (كثير الهمز) وهو المغتاب الطعان في أعراض الناس وكراماتهم، وكَمَازَ (كثير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ۝ إِلَّا الْذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝

سُورَةُ الْهُمَزَةِ ١٠٣
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلِكُلِّ هَمَزَةٍ لِكُلِّ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مَّا تَدْعُونَ ۝ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَ ۝ كَلَّا لَبِئْسَ بُدْلَةً خَلَّتْ ۝ وَآتَاكَ مَا خَطَرُ ۝ نَارَ اللَّهِ الْكَافَّةَ ۝ أَلَمْ يَخْلُقْ عَلَى الْآفَاقِ ۝ إِنَّا عَلِيمٌ غُفُوءٌ ۝ فِي عَمْدٍ مُدَّةٍ ۝

سُورَةُ الْفِيلِ ١٠٤
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَوَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَبُدَهُمْ فِي تَقْلِيلِ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَصَفٍ مَّا كُولٍ ۝

اللمز) وهو العيب الذي يطعن بالناس خفية باللسان أو العين أو اليد أو الرأس ونحوها تحقير ألهم وترفعاً عليهم.

٢. الذي يجمع الأموال، ويعددها مرة بعد أخرى تلذذاً بإحصائها. وهذا سبب الهزء بالناس وتحقيرهم.

٣. يظن أن ماله يجعله حياً خالداً لا يموت، والمراد: أنه يعمل عمل من لا يفكر بالموت.

٤. «كلا»: للزجر له عن هذا الفعل، والله ليطرحن ويرمين بإهانة وتحقير في نار جهنم كثيرة التحطيم والتكسير لكل ما يلقي فيها.

﴿لينذن﴾: جواب قسم محذوف كما قدرنا.

٥. وما أعلمك ما الخطئة: نار جهنم؟ وهذا للتزهيل، أي أي شيء هي؟ كأنها غريبة عن العقول.

٦. نار الله الملتهاة التهاباً شديداً، والتي لا تخمد أبداً.

٧. التي تلعو أوساط القلوب أو تصل إلى أعماقها، وتحيط بها، وخصت القلوب؛ لأنها محل العقائد الزائفة.

٨، ٩. إنها (النار) على أهلها مغلفة مطبقة. في أعمدة طويلة ممدودة، وهذا إشعار باليأس من التخلص أو الخروج منها.

سورة الفيل

١، ٢. ألم تعلم أيها النبي كيف فعل ربك بأصحاب الفيل العظيم: قوم من الجيش النصارى حكموا اليمن، جاؤوا بقيادة أبرهة لهدم

الكعبة المشرفة، بقصد تحويل العرب إلى تعظيم كنيسة بنوها في صنعاء، حدث ذلك قبل بعثة النبي ﷺ بأربعين عاماً. والاستفهام للتقرير.

ألم يجعل الله تدبيرهم السيئ بتخريب الكعبة وفكرهم الخبيث، في إبطال وتضييع. والضلال في الأصل: ضياع العمل عبثاً.

٣، ٤. وأرسل الله عليهم مجموعات كثيرة متفرقة من الطيور. والظير: كل ما طار في الهواء، صغيراً أو كبيراً، فيشمل الذباب والبعوض.

٥. ترميهم بحجارة من طين متحجر، فتهلكهم. وعبر بالمضارع «ترميهم» عن الماضي لاستحضار الصورة العجيبة.

٥. أي فجعلهم كورق الشجر الذي عصفت به الريح، وأكلته الدواب ثم راثته، فأهلكهم جميعاً.

سورة قريش

(وتسمى سورة الإيلاف)

فضلها: روى البيهقي في الخلافات عن أم هانئ بنت أبي طالب: أن رسول الله ﷺ قال: «فضل الله قريشاً بسبع خلال.. ذكر منها: أن الله أنزل فيهم سورة من القرآن، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه السورة».

١- اصحبوا الإيلاف قريش: وهي أعظم القبائل العربية المتفرعة من النضرين كنانة، وهي قبيلة النبي ﷺ والإيلاف: مصدر الف، أي عكف عليه مع الأنس به. أخرج الحاكم وغيره حديث أم هانئ للتقدم لبيان سبب النزول.

٢- إيلافهم بأمان وأطمئنان رحلة الشتاء إلى اليمن؛ لأنها بلاد حارة، ورحلة الصيف إلى الشام؛ لأنها بلاد باردة، من أجل التجارة التي جعلت لقريش نفوذاً وشهرة بين القبائل. وإيلافهم: بدل من «إيلاف» في الآية الأولى، وإنما جيء به أولاً مطلقاً لتشويق النفوس للقيء المذكور في الآية الأولى.

٣- ومن أجل نعمة الإيلاف هذه، فليعبد القرشيون رب الكعبة، التي تشرفوا بها على سائر العرب، وعاشوا بجوار البيت الحرام في أمان.

٤- الذي وسع عليهم في الرزق وأطعمهم بسبب هاتين الرحلتين، فتخلصوا من جوع شديد، كانوا فيه قبل الرحلتين، وجعلهم يعيشون في أمان لكان الحرم، فلا تغير العرب عليهم، كما أنهم من هجوم الحيشة مع القيل.

سورة الماعون

١- أعرفت وأبصرت أيها النبي المكذَّب بالحساب والجزاء في الآخرة، وبالمقائد والشرائع في هذا الدين؟ اليس مستحقاً عذاب الله؟ والاستفهام لحمل المخاطب على التعجب من فعل هذا المكذَّب.

٢، ٣- فذلك الكذِّب هو الذي يدفع اليتيم ويطرده عن حقه دفعاً شديداً، يعنف وخشونة. ومن المعلوم أن عرب الجاهلية كانوا لا يورثون النساء والصغار. ولا يحد نفسه وأهله وغيرهم من الناس على إطعام المحتاج، ليخله وحرصه.

٤- فهلاك وخزي وعذاب يوم القيامة للمصلين المتأقين. أخرج ابن المنذر عن ابن عباس في قوله: ﴿فويل للمصلين﴾ قال: نزلت في المنافقين كانوا يراؤون المؤمنين بصلاتهم إذا حضروا، ويتركونها إذا غابوا، ويمنعونهم العارية، أي الشيء للاستعار.

٥- الذين هم غافلون عن أداء الصلاة في أوقاتها بخشوع واعتقاد، فلا يرجون ثواباً منها، ولا يخشون عقاباً بتركها.

٦، ٧- الذين يراؤون في الصلاة وغيرها، طلباً للمدح والثناء فقط على أعمالهم. ويمنعون عن الناس كل وسائل العون والمساعدة والانتفاع، كالماء والملح والإناء والفأس والقِدْر ونحو ذلك، كما يمنعون الزكاة.

سورة الكوثر

فضلها: أخرجه الإمام أحمد عن أنس بن مالك: أن النبي ﷺ أغشى إغفاءة، ثم تبسم، لتزول هذه السورة عليه. وفسر الكوثر: بقوله: هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، أي هو الخوض المورود.

١، ٢- إنا أعطيناك أيها الرسول الكوثر: وهو الخير البالغ النهاية في الكثرة، ومنه نهر في الجنة، كما روى أحمد ومسلم وغيرهما. فداوم على الصلاة المفروضة الخاصة لوجه الله، وكذا صلاة العيد، شكراً للإنعام الله، واتحر ذبيحتك لله، وباسمه وحده، خلافاً لما كان عليه عرب الجاهلية من الصلاة لغير الله، والنحر لغير الله.

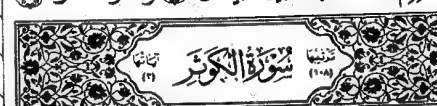
٣- إن مبغضك أيها الرسول هو المقطع عن الخير الدنيوي والأخروي، ومنه الذكر الحسن والثناء الجميل، بل يلازمهم الذكر السيئ، فهو خالد معهم حتى في جهنم. وأما أنت أيها النبي فيبقى ذكرك الحسن وصيتك الطيب إلى يوم القيامة، وفي الآخرة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِلَافٍ قُرَيْشٍ ۝ إلههم رحلة الشتاء والصيف ۝ فليعبدوا رب هذا البيت ۝ الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَوْبَتَ الَّذِي كَذَّبَ بِالَّذِينَ ۝ فَذَلِكَ الَّذِي دُعِيَ الْكُتَيْبَةُ ۝ وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ۝ قَوْلُ الْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَىكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝

سورة الكافرون

فضلها: أخرج مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة و: «قل: هو الله أحد» [الإخلاص ١/١٢] في ركعتي الطواف، وأخرج أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قرأ بها في ركعتي الفجر. وثبت أنه قرأ بها في ركعتي المغرب، وأوتر بها و: «سبح» [الأعلى ١/٨٧] و: «قل هو الله أحد» [الإخلاص ١/١٢].

١. قل أيها النبي للمشركين: يا أيها الكافرون بالله ورسوله. نزلت هذه السورة حينما طلب الكفار من رسول الله ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة، ويعبدوا إلهه سنة، فأمره الله بهذه السورة.
 ٢. لا أعبد ما تعبدون من الأصنام والأوثان، أي في المستقبل. و: «ما» بمعنى الذي، أي الإله الذي تعبدونه.
 ٣. ولا تعبدون أنتم في المستقبل ما أعبد في الحال، وهو الإله الحق، ويعبر عن الله سبحانه مرة بـ «من» مثل «أنتم من في السماء» [الملك ١٦/٦٧] أو بـ «ما» مثل المذكور هنا، ومثل «ما تعبدون من بعدي» [البقرة ١٣٣/٢] ومثل «ونفس وما سواها» [الشمس ٧/٩١].
 ٤. ولست أنا عابداً في الحال أو في الماضي شيئاً مما عبقوه فيما سلف، أو لا أعبد عبادتكم الباطلة، يجعل «ما» هنا مصدريه، تجعل ما بعدها في معنى الصلير.
 ٥. ولستم أنتم عابدين في وقت ما أنا عابده. أو لا أنتم عابدون عبادتي الصحيحة.
 ٦. لكم دينكم وهو الشرك الذي أنتم عليه، ولي ديني وهو التوحيد والإسلام الذي أنا عليه، لا أرفضه.
- والخلاصة: ليس محبوبنا واحداً، ولا عبادتنا واحدة، فلكم دينكم أنتم مسؤولون عنه، ولي ديني أسأل عنه.

سورة النصر

(وتسمى سورة التوديع)

فضلها: جاء في حديث الترمذي عن أنس بن مالك أنها تعدل ربع القرآن، و «إذا زلزلت» [الزلزلة ١/٩٩] تعدل ربع القرآن. وعند النسائي أنها آخر سورة من القرآن نزلت. وعند البزار والبيهقي أنها نزلت أوسط أيام التشريق، فعرف أنه الوداع. وعند أحمد وابن جرير عن ابن عباس: لما نزلت قال رسول الله ﷺ: «فصحت إلي نفسي».

١. إذا تحقق نصر الله لك أيها النبي مع المؤمنين على أعدائك من قريش، وفتح مكة. أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس أنه فسّر هذه السورة لعمر والصحابه بأنها أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له، قال: «إذا جاء نصر الله والفتح» فذلك علامة أجلك.
٢. وأبصرت الناس من العرب وغيرهم يدخلون في الإسلام جماعات كثيرة، كأهل مكة والطائف واليمن والهوازن وسائر قبائل العرب.
٣. ففزع الله وصلّ له، حامداً ريك على نعمه، وأسأله المغفرة لك تواضعاً لله، ولمن تبعك من المؤمنين، إنه سبحانه كان وما يزال كثير القبول لتوبة عباد.

سورة المسد

١. هلك وخسر أبو لهب (عبد العزى بن عبد المطلب، عم النبي ﷺ، ولكنه كان أشد الناس عداء له) وقد خسر، وهذا خبر عنه. وأبو لهب: كنية له لشدة احمرار وجهه، ذكر بذلك تهكمياً به. والجملة الأولى: دعاء دائم على أبي لهب إلى يوم القيامة. ثبت في الصحيحين وغيرهما: أن النبي ﷺ لما دعا قومه على جبل الصفا إلى الإسلام، قال أبو لهب: تبا لك، أما جمعنا إلا لهذا؟! فنزلت هذه السورة.
٢. ما أفاده ولا نفعه ولا دفع عنه عذاب الله ما جمعه من المال، وما كسبه من العمل السيئ في محاربة النبي ﷺ بل فشل.
٣. سوف يدخل نار جهنم ذات الاشتعال والتوقد وشدة الحرارة. والتعبير بذات لهب مناسب لكتيبته بأبي لهب.
- ٤، ٥. وكذلك امرأته أم جميل أخت أبي سفيان ستدخل معه جهنم، التي كانت تحمل الشوك والحسك، فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ لإيذائه. وحماله: منصوب بفعل مقدر، أي أريد أو أذم. في عتقها جبل مفتول من ليف قتلا شديداً، تعذب به في النار.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ إِنَّمَا الْكَافِرُونَ
لَا أَعْبُدُ مَا يَعْبُدُونَ وَلَا أُنْعِبُهُمْ مَا أَعْبُدُونَ
وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَابَعْدُونَ وَلَا أُنْعِبُهُمْ مَا أَعْبُدُونَ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ
وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ
أَقْرَاجًا سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّكَ تَوَّابٌ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بَتَّ بَطْنُ أَبِي لَهَبٍ وَبَتَّ
مَا آغَتْ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَبَّحَلْ
نَارُكَ لَهَبٍ وَأَنَّ لَهْجَهُ حَالَهُ لَهَبٌ وَجِيهَهُ حَالَهُ تَنَبُّسٌ

سورة الإخلاص

فضلها: أخرج أحمد والبخاري عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أيمجز أحدكم أن يقرأ آتلك القرآن في ليلة؟ فشق ذلك عليهم، وقالوا: آينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: الله الواحد الصمد آتلك القرآن».

١- قل أيها النبي: الله واحد في ذاته، لا هو مادة ولا غير مادة، هو واحد لا شريك له. فنزل حينما قال للمشركون: يا محمد انسب لنا ربك، أي اذكر لنا نسبه، فنزلت هذه السورة.
٢- الله السيد المقصود في جميع الخواص على الدوام.
٣، ٤- لم يلد أحداً ولم يولد من أحد؛ لأنه قديم أزلي غير محدث. ولم يكن له على الإطلاق مكافئ ومماثل في ذاته وصفاته وأفعاله، فلا يساويه أحد ولا يشاركه في شيء.

سورة الفلق

فضل للمعوذتين: أخرج مسلم وأحمد والترمذي والنسائي عن عتبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط: ﴿قل: أعوذ برب الفلق﴾ [الفلق ١/١١٣] و﴿قل: أعوذ برب الناس﴾ [الناس ١/١١٤].
وأخرج الترمذي وحسنه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري، قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من عين الجان ومن عين الإنس، فلما نزلت سورتا المعوذتين، أخذ بهما وترك ما سوى ذلك.
١- قل أيها النبي: أجا وأستجير برب الصبح الذي يفلق ضوءه ظلمة الليل، فينقلق الليل عن الصبح.
٢- أعوذ بالله من شر مخلوقات الله تعالى.
٣، ٤- وأعوذ بالله من شر الليل إذا أقبل بظلمته في الكون.

والغاسق: ليل اشتد ظلامه وكلمة «وقب» دخل ظلامه بتمعن. وأعوذ بالله من شر السواحر من النفوس للفساد بالسحريين الناس. والغاثات جمع غاثاة، والنفت: النفخ الخفيف. والعقد: جمع عقدة وهي ما يُعقد بالخيط أو الحبل ونحوهما. جاء في الصحيحين عن عائشة: أن لبيد بن الأعمس اليهودي سحر النبي ﷺ، فأنزلت عليه للمعوذتان، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، حتى انحلت العقدة الأخيرة، وجعل جبريل يرقى رسول الله ﷺ فيقول: «باسم الله أرقبك»، من كل شيء يؤذيك، من شر حاسد وعين، والله يشفيك». وابتصر تأثير هذا السحر بالنبي على مجرد كونه قد صار في بعض أمور الدنيا. لا فيما يتعلق بالوحي. في حالة صداع خفيف، وهو معنى التخييل في الحديث، وقد يحدث تخيل في اليقظة كالنمام.
٥- وأعوذ بالله من شر حاسد: وهو الذي يمتنى زوال نعمة المحسود، إذا نفذ حسده بالسعي في إزالة نعمة المحسود. ولا يضر السحر والعين والحسد ونحو ذلك بذلك، وإنما يفعل الله وتأثيره، وينسب الأثر إلى هذه الأشياء في الظاهر فقط.

سورة الناس

١- قل أيها النبي: أجا وأعتصم (أو أحتمي) بالله خالق الناس ومربيهم ومدير أمورهم.

٢- مالك الناس ملكاً تاماً وحاكمهم، والمتصرف في أمورهم

٣- معبود الناس بحق، واسم الإله خاص بالله تعالى لا يشاركه فيه أحد، فهذه صفات ثلاث لله: الربوبية، والملك، والألوهية.

٤، ٥- أعوذ بالله تعالى من شر الذي يوسوس كثيراً، بأن يلقي في النفوس خواطر الشر والسوء، والذي من عادته أن يخس، أي يخفي ويرجع كلما رأى مانعاً فذكر الله تعالى. الذي يلقي في قلوب الناس ما يضلهم ويضرهم.

٦- الوسوس من الجان: وهم خلق مستتر لا يعلم به أحد إلا الله تعالى، فشیطان الجن وهو الجان الشرير، يوسوس في صدور الناس. ومن الناس الذين يوسوسون بالسوء، فشیطان الإنس: أن يرى نفسه كالناصح، ثم يدس في كلامه السوء. و«من» بيانية يبيان للوسواس: وهو كل ما لا تراه العيون.

والحمد لله تعالى الذي بنعمته تتم الصالحات

ثم ذلك في أثناء أذان العشاء ليلة الجمعة مساء الخميس الواقع في ٢ من جمادى الآخرة سنة ١٤١٣ هـ الموافق ١١/٢٦/١٩٩٢ م



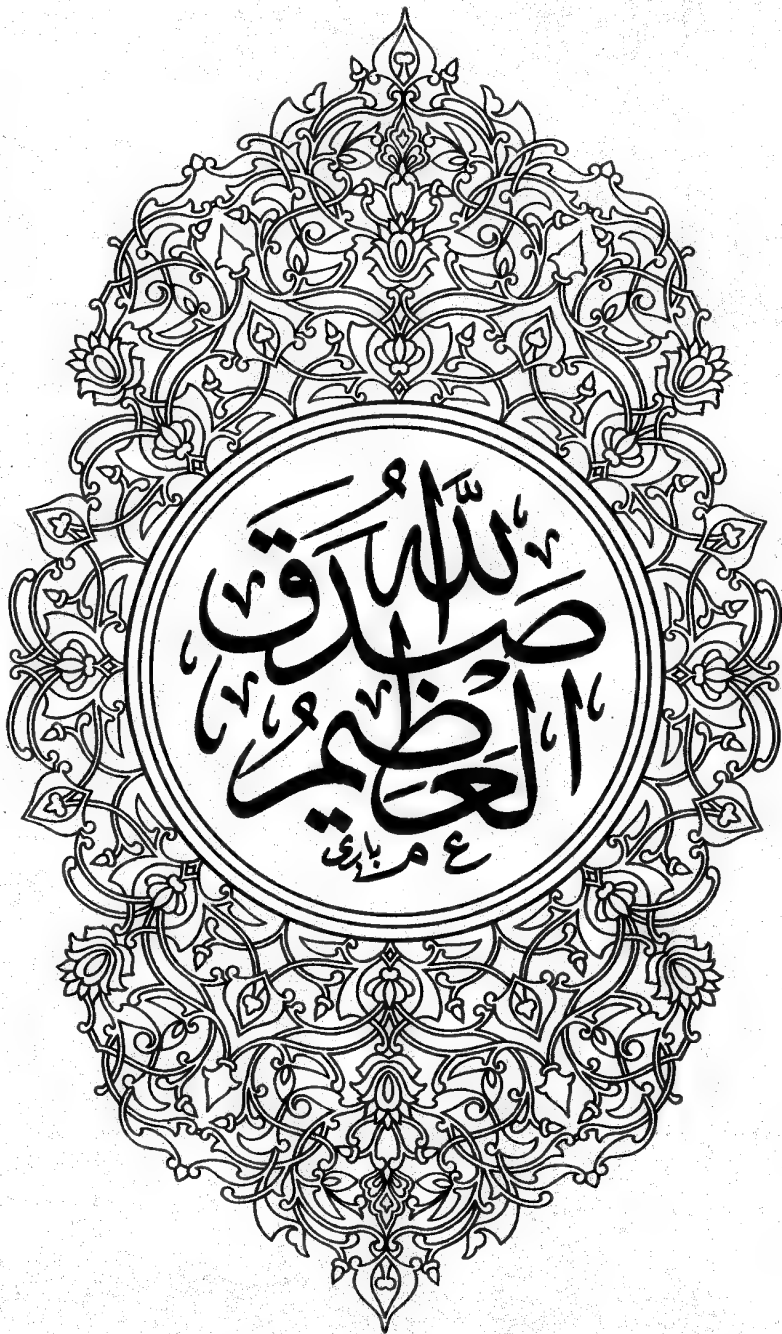
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ صَدِيدٌ ۝ أَلَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ مِنْ شَرِّ مَا حَقَّ ۝ مِنْ شَرِّ مَا عَسَىٰ إِذَا دُوبِ ۝
وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَهِ النَّاسِ ۝
مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِي يُوَسْوِسُ
فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝ مِنَ الْغَيْثِ وَالنَّاسِ ۝



دُعَاءُ خَيْرِ الْقُرَّانِ

الحمد لله وصلاة والسلام على رسول الله
 اللهم ارحمني بالقرآن ، واجعله لي إماماً ونوراً ، وهدي ورحمة ، اللهم ذكرني منه
 ما نسيت ، وعلمي منه ما جهلت ، وأرزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار ،
 واجعله لي حجة يارب العالمين ، اللهم اني أسألك رضاك والجنة ، وأعوذ
 بك من سخطك والنار ، وأرزقني شفاعته نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم
 وسعادة الدنيا والآخرة ، اللهم حبب إلي الإيمان ، وزينه في قلبي
 وكره إلي الكفر والفسق والعصيان ، واجعلني من الزاشرين ، اللهم اجعل لي من
 كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، وأرزقني من حيث لا أحسب ، اللهم نور بالقرآن عتلي
 وسمعي وبصري وحواشي كلهما ، وأرزقني الاخلاص في القول والعمل ، وأحسن عاقبتني في
 الأمور كلها ، واجبرني من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، واغفر لي ولذريتي ولغيري
 ومشائخي ولأهل الإيمان والتوحيد أجمعين ، ووحد بين قلوب عبادك المؤمنين لرفع راية
 الإسلام . اللهم اجعلني للحق داعياً ، وبالحق عزيزاً وقوياً وإقامة الحق والقرآن
 عاملاً ، ومن أجل الحق والإيمان وحب القرآن والنبي وآله مجاهداً ، وألهمني رشدي للعمل بكل
 ما أنزلت في كتابك ، واجعل هواي في هواك ، وقصدي رضاك ، وخلصني من أهواء
 النفس والدنيا ، واجعل آخري خيراً من دياي ، وأمنخي العون من ذاك العلية
 للقيام بكل ما تجبه وترضاه .

والحمد لله في البدر والنجوم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، الفاتحة

المصطلحات الجارية

بَعْلًا بِالنِّسَابِ الْوَقْفِيِّ

تُفِيدُ بِأَنَّ الْوَصْلَ أَوَّلَ مَعَ جَوَازِ الْوَقْفِ	ح
تُفِيدُ بِأَنَّ الْوَقْفَ أَوَّلَ مَعَ جَوَازِ الْوَصْلِ	ق
تُفِيدُ عَدَمَ جَوَازِ الْوَقْفِ عَلَيْهَا وَالسَّيِّءُ بِمَا بَعْدَهَا	لا
تُفِيدُ جَوَازَ الْوَقْفِ وَجَوَازَ الْوَصْلِ دُونَ تَدْرِيجِ	ج
تُفِيدُ لُزُومَ الْوَقْفِ	م
تُفِيدُ جَوَازَ الْوَقْفِ بِأَحَدِ الْمَوْضِعَيْنِ وَلَيْسَ فِي كُلِّهِمَا	••

أَصْطِلَاحَاتُ الْإِسْطِ

فَوْقَ الْأَلْفِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى زِيَادَتِهِ وَعَدَمُ التَّطْلُقِ بِهِ حِينَ الْوَصْلِ	•
فَوْقَ حَرْفِ الْعِلَّةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى زِيَادَتِهِ وَعَدَمُ التَّطْلُقِ بِهِ مُطْلَقًا	•
لِلدَّلَالَةِ عَلَى سُكُونِ الْحَرْفِ وَإِظْهَارِهِ	•
لِلدَّلَالَةِ عَلَى وُجُودِ الْإِفْصَالِ	م
لِلدَّلَالَةِ عَلَى إِظْهَارِ التَّنْوِينِ	••
لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْإِدْعَاءِ وَالْإِنْخَاءِ	••
لِلدَّلَالَةِ عَلَى وَجُوبِ التَّطْلُقِ بِالْأَحْرِفِ الْمَشْرُوكَةِ	ا و ع ن
لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ التَّطْلُقَ بِالنِّسَابِ أَشْهُرُ مِنَ الْعَصَادِ	س
وَإِذَا وَصِيَتْ بِالْأَسْفَلِ كَانَ التَّطْلُقُ بِالْعَصَادِ أَشْهُدَ	س
فَوْقَ آخِرِ الْآيَةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى سَكْنَةِ لُطْفَةِ يُشَارُ لَهَا بِزَخْرَفَةٍ	س
لِلدَّلَالَةِ عَلَى لُزُومِ الْمُنْذَرِ الرَّاشِدِ	~
لِلدَّلَالَةِ عَلَى مُوجِبِ التَّجَدُّدِ	—
لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَوْضِعِ التَّجُودِ	•
لِلدَّلَالَةِ عَلَى بَدَايَةِ الْأَجْزَاءِ وَالْأَحْزَابِ وَأَنْصَافِهَا وَأَرْبَاعِهَا	•
لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنْتِهَاءِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَرَفْعِهَا	•
عَلَامَتُهُ الْإِمَالَةُ وَالْإِسْمَاءُ	•
عَلَامَتُهُ الشَّهِيلُ	•

تعريف بهذا المصحف الشريف

كُتِبَ هذا المصحفُ وضُبطَ على ما يوافق رواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي لقراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي التابعي عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي عن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وأبي بن كعب عن النبي ﷺ .

وأخذ هجاؤه مما رواه علماء الرسم عن المصاحف التي بعث بها الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى البصرة والكوفة والشام ومكة، والمصحف الذي جعله لأهل المدينة، والمصحف الذي اختص به نفسه، وعن المصاحف المتسخة منها. وقد روعي في ذلك ما نقله الشيخان أبو عمرو الداني وأبو داود سليمان بن نجاح مع ترجيح الثاني عند الاختلاف.

هذا وكل حرف من حروف هذا المصحف موافق لنظيره في المصاحف العثمانية الستة السابق ذكرها.

وأخذت طريقة ضبطه مما قرره علماء الضبط على حسب ماورد في كتاب (الطراز على ضبط الخراز) للإمام التنسي مع الأخذ بعلامات الخليل بن أحمد واتباعه من المشاركة، بدلاً من علامات الأندلسيين والمغاربة.

وأتبعت في عد آياته طريقة الكوفيين عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه على حسب ماورد في كتاب (ناظمة الزهر) للإمام الشاطبي، وغيرها من الكتب المدونة في علم الفواصل، وآي القرآن على طريقتهم ٦٢٣٦ آية.

وأخذ بيان أوائل أجزائه الثلاثين وأحزابه الستين وأرباعها من كتاب (غيث النفع) للعلامة السفاسي. و(ناظمة الزهر) للإمام الشاطبي وشرحها. و(تحقيق البيان) للشيخ محمد المتولي، و(إرشاد القراء والكاتين) لأبي عيد رضوان المخللاتي.

وأخذ بيان مكيته ومدنيته وترتيب سوره حسب النزول في الجدول الملحق بآخر المصحف من كتاب أبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي وكتب القراءات والتفسير على خلاف يسير في بعضها.

وأخذ بيان وقوفه وعلاماتها مما قرره عدد من اللجان والقراء حسب أقوال أئمة التفسير وعلماء الوقف والابتداء.

وأخذ بيان مواضع السكتات عند حفص من (الشاطبية) وشرّاحها وتعرف كيفيتها بالتلقي من أفواه المشايخ.

وأخذ بيان السجّدات ومواضعها من كتب الفقه والحديث.

توضيحات ينبغي مراعاتها

للقارئ برواية حفص عن عاصم من الشاطبية

- ١- في قوله تعالى: ﴿مَجْرِيهَا﴾ في الآية ٤١ من سورة هود إمالة للألف الواقعة بعد الراء، وذلك بتقريب الألف نحو الياء، ويلزم منه ترقيق الراء.
 - ٢- في قوله تعالى: ﴿تَأْمَنَّا﴾ في الآية ١١ من سورة يوسف وجهان:
الاحتلاس: ويعبر عنه بالروم، وذلك بفك الإدغام والنطق بنونين مع إخفاء ضمة النون الأولى أي النطق بمعظمها.
والإشمام: وذلك بضم الشفتين على هيئة من ينطق بالواو دون صوت قبيل النطق بالنون المشددة. والوجه الأول مقدم أداء.
 - ٣- في قوله تعالى: ﴿عَاجِمِي﴾ في الآية ٤٤ من سورة فصلت تسهل الهزمة الثانية بين أي بين الهمزة والألف.
 - ٤- في قوله تعالى: ﴿يَرْضَهُ﴾ في الآية ٧ من سورة الزمر تضم الهاء دون صلة وفي لفظ ﴿أَرْجَهُ﴾ في الآية ١١١ من سورة الأعراف، وفي الآية ٣٦ من سورة الشعراء تسكن الهاء، وفي لفظ ﴿فَالْقَه﴾ في الآية ٢٨ من سورة النمل تسكن الهاء أيضاً، وفي لفظ ﴿فِيهِ﴾ في الآية ٦٩ من سورة الفرقان توصل الهاء وتمد بمقدار حركتين.
 - ٥- في لفظ ﴿ضَعْف﴾ و ﴿ضَعْف﴾ من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْئًا﴾ في الآية ٥٤ من سورة الروم يجوز فتح الضاد في المواضع الثلاثة، ويجوز ضمها، والفتح هو المقدم أداء.
 - ٦- في قوله تعالى: ﴿ءَاتَنَ﴾ في الآية ٣٦ من سورة النمل وجهان وقفاً: إثبات الياء ساكنة، وحذفها أي بالوقف على النون، والأول هو المقدم أداء، أما حال الوصل فتثبت الياء مفتوحة.
 - ٧- في قوله تعالى: ﴿سَلْسَلًا﴾ في الآية ٤ من سورة الإنسان وجهان وقفاً حذف الألف، وإثباتها والأول هو المقدم أداء، أما في حال الوصل فتحذف الألف.
 - ٨- في قوله تعالى: ﴿وَيَبْصُطُ﴾ في الآية ٢٤٥ من سورة البقرة، وقوله تعالى: ﴿بَصْطَةً﴾ في الآية ٦٩ من سورة الأعراف يقرآن بالسین، أما في قوله تعالى: ﴿الْمُصْطَبُونَ﴾ في الآية ٣٧ من سورة الطور فيقرأ بالصاد وبالسین، ووجه الصاد هو المقدم أداء.
 - ٩- في قوله تعالى: ﴿مَالِيَةَ هَلَكٍ﴾ في الآيتين ٢٨ و ٢٩ من سورة الحاقة يجوز حال الوصل وجهان: الإظهار مع السكت، والإدغام، والوجه الأول هو المقدم أداء. أما في قوله تعالى: ﴿عَوْجًا﴾ في الآية الأولى من سورة الكهف، و﴿مَرْقَدَنَا﴾ في الآية ٥٢ من سورة المطففين، فيتعين السكت وصلًا.
 - ١٠- في قوله تعالى: ﴿ءَالِلَ﴾ في الآية ٥٩ من سورة يونس، وفي الآية ٥٩ من سورة النمل، وقوله ﴿ءَاتَنَ﴾ في الآيتين ٥١ و ٩١ من سورة يونس، وقوله ﴿الذَّكْرَيْنِ﴾ في الآيتين ١٣٤ و ١٤٤ من سورة الأنعام وجهان إبدال الهمزة الثانية ألفاً ومذها مذكراً مشبهاً للساكن بعدها، وتسهيل الهمزة الثانية بين أي بين الهمزة والألف، والوجه الأول هو المقدم أداء.
- ولا يتم ضبط هذه الأوجه إلا بالتلقي والمشافهة.

كتبه

د. أحمد شكري

١٩٩٣ / ١٢ / ١٩

قواعد التجويد أو الترتيل

مقدمة

إن الهدف المقصود من إنزال القرآن الكريم هو العمل بأدابه وأخلاقه، وتشريعاته، وأحكامه، والانتعاض بمواعظه، وقصصه، بحيث يكون دستوراً أعلى للفرد في سلوكه وحياته، وللمجتمع في نظامه وتحديد غاياته ومقاصده. ويتطلب العمل بالقرآن المجيد فهمه وتدبر معانيه، وذلك عن طريق التفسير أو التأويل السابق، وهو ينحو موجه، يعد الحد الأدنى الواجب على كل مسلم ومسلمة معرفته وتعلمه، وهناك تفاسير مطولة مثل كتابي (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج) يحسن بالمسلم أن يترقى في درجة تعلمه، فينتقل من الحد الأدنى إلى الحد الأعلى في استيعاب أحكام القرآن وعلومه. قال الله تعالى: ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولو الألباب﴾ [الزمر ١٨/٣٩].

ومن أهم الواجبات المساعدة على فهم القرآن العظيم: ترتيله وتجويده على وفق ضوابط معينة قررها العلماء المتخصصون في فن التلاوة، يجب على كل مسلم ومسلمة وجوباً عينياً تعلمها، لقوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته﴾ [البقرة ١٢١/٢] وقوله سبحانه: ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾ [الزمل ٤/٧٣]. وقال رسول الله ﷺ فيما رواه أبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها: «من لم يتغن بالقرآن فليس منا» والمقصود بالتغني: الترتيل، لا التمثيط ومراعاة الأنغام فذلك مكروه كراهة شديدة. وأخرج البخاري والترمذي وأبو داود عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». وأخرج أبو داود عن سعد بن عباد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من امرئ يقرأ القرآن، ثم ينساه إلا لقي الله عز وجل يوم القيامة أجذم».

ولتلاوة القرآن ثواب عظيم، والنظر إلى القرآن عبادة، أخرج الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ﴿الم﴾ حرف، ولكن ألف: حرف، ولام: حرف، وميم: حرف». وأخرج البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السكينة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران».

ومن آداب التلاوة الواجبة شرعاً: إخلاص النية والطهارة من الحدين الأكبر والأصغر بأن يكون متوضئاً إذا لمس القرآن، وغير جنب إذا تلاه أو لمسه، والقراءة بتؤدة وترسل وترتيل، دون إسراع ولا تمطيط مخل بأصول التلاوة، والقراءة بوعي وتدبر وفهم لمعاني آيات القرآن الكريم حتى ينتقل من العبادة إلى العمل والفائدة والامثال الذي هو الهدف الجوهرى من إنزال القرآن. ويستحسن استقبال القبلة والاستياك والجلوس كجلسة التشهد في الصلاة.

الاستعاذة والبسملة :

يبتدئ قارئ القرآن في الصلاة وغيرها بالاستعاذة والبسملة لقوله تعالى : ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ [النحل ٩٨/١٦] . وقال الله سبحانه في بدء إنزال القرآن على النبي المصطفى محمد ﷺ : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم . اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ [العلق ١/٩٦] .

١- وتكون الاستعاذة مطلوبة وحدها إذا كان البدء بالقراءة من غير أول السورة ، أي عند تلاوة بعض الآيات من السورة القرآنية أو أثناء القراءة .

٢- وتقرأ الاستعاذة والبسملة معاً إذا كان البدء بالقراءة من أول السورة .

٣- وتكفي البسملة عند انتقال القارئ من سورة إلى سورة أخرى ، سواء أتم القارئ السورة الأولى أم لم يتمها .

٤- ولا حاجة إلى الاستعاذة والبسملة عند الانتقال من سورة إلى بعض آيات من سورة أخرى ليس من أولها .

٥- يأتي القارئ بالبسملة ويتبعها بما بعدها ولو بكلمة واحدة إذا وصل سورة بأخر سورة قبلها ، حتى لا يظن أن البسملة من السورة المتقدمة . ويعيد البسملة إذا وقف عليها لضرورة انقطاع النفس في هذه الحالة . فإن وصل سورة بما قبلها ، وقطع التسمية عما بعدها ، كانت البسملة غير جائزة ، لثلاثتهم أنها من السورة التي قبلها .

٦- لا تبدأ سورة التوبة (براءة) بالبسملة ؛ لأن البراءة من المشركين وغضب الله عليهم لا يتناسب مع ذكر صفات الرحمة لله عز وجل ، ولأن هذه السورة نزلت بمناسبة القتال في السنة التاسعة من الهجرة . روى ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن علي كرم الله وجهه : أن البسملة أمان ، وبراءة نزلت بالسيف .

ويسن في حق القارئ أن يكبر عند ختم كل سورة ، فيبتدئ بالتكبير من آخر سورة الضحى ، ويستحب إذا ختم القرآن أن يفتح بالفاتحة ويقرأ من البقرة [٢] إلى ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ [٥] ثم يدعو الله عز وجل دعاء ختم القرآن .

تعريف علم التجويد وحكمه :

التجويد لغة : التحسين والإجادة ، واصطلاحاً : إعطاء الحروف حقوقها من المخارج والصفات من الإدغام والإظهار والإخفاء ، والغن والمد ، والترقيق والتفخيم ، والقلقلة ، والهمس ، ومعرفة الوقف والابتداء ، وغير ذلك من الأحكام .

وحكمه : وجوب تعلمه لقوله تعالى : ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾ [المزمل ٧٣ / ٤] .

وفائده أو غايته : صون اللسان عن الخطأ في تلاوة كتاب الله تعالى . وله فائدة أخرى هي إجادته النطق في التكلم بغير القرآن الكريم . لكن لا بد في هذا العلم من التلقي والسماع في التطبيق من رجل عالم متقن القراءة وأحكامها ، وقد تلقاها بالمشافهة عن أهل القرآن ، ولا يكفي مجرد حفظ هذه الأحكام من الكتب .

وثمرته : الفوز برضاء الله تعالى .

والكلام في التجويد يتناول : المدود ، وأحكام النون والميم الساكنة والتنوين ، ومخارج الحروف وصفاتها . ومنها أحكام الهمزة ، والألف ، واللام ، والراء ، والقلقة ، والسكت ، والوقف والابتداء .

المدود

المد : إطالة الصوت بحرف من حروف المد .

حروف المد : هي ثلاثة : الواو الساكنة المضموم ما قبلها ، والياء الساكنة المكسور ما قبلها ، والألف الساكنة المفتوح ما قبلها ، المجموعة في قوله : ﴿نوحياً﴾ . مثل ﴿يوتاً تستخفونها﴾ وفيها واوان . ﴿سراييل تقيكم﴾ وفيها ياءان ﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها﴾ وفيها ستة ألفات .

عدد المدود : المدود عشرة : طبيعي ، وبدل ، وعوض ، وصلة ، وتمكين ، ومتصل ، ومنفصل ، ولازم ، وعارض لسكون ، ولين .

١ - المد الطبيعي وحرركته :

المد الطبيعي : هو الذي لا تقوم ذات الحرف إلا به ، ولا يتوقف على سبب من همز أو سكون ، وأحرفه : أحرف المد المتقدمة المجتمعة في قوله تعالى : ﴿نوحياً﴾ ويمد بمقدار حركتين ، مثل : قالوا ، سافروا . وسمي مداً طبيعياً ؛ لأن صاحب الطبع السليم لا ينقصه عن حده ، ولا يزيد عليه .

مقدار الحركة : هي بمقدار ما يقبض الإنسان أصبعه أو يبسطها بحالة وسطى . ويلحق بالمد الطبيعي أربعة مدود : مد البدل ، ومد العوض ، ومد الصلة الصغرى ، ومد التمكين .

٢ - مد البدل وحرركته :

مد البدل : هو أن يأتي همز وبعده همز ساكن في كلمة واحدة ، وقد يأتي في أول الكلمة ، مثاله : آمنوا ، أوتوا ، إيماناً . وقد يأتي في وسطها مثل : ﴿الموءودة﴾ ، ﴿فأوى﴾ .

ويمد بمقدار حركتين كالمد الطبيعي . وسمي بدلاً لإبدال الهمزة الثانية الساكنة مداً من جنس الحركة التي قبلها . فأصل ﴿آمنوا﴾ آمنوا ، وأصل ﴿أوتوا﴾ أوتوا ، وأصل ﴿إيماناً﴾ إيماناً ، فأبدلت

الهمزة الثانية الساكنة بحرف مناسب لحركة الهمزة الأولى، فصارت في المثال الأول ألفاً ساكنة، وفي الثاني واواً ساكنة، وفي الثالث ياء ساكنة.

٣ - مد العوض :

هو مد في حالة الوقف، عوض عن فتحتين في حالة الوصل، مثاله : ﴿غفوراً رحيماً﴾ ﴿عليماً حكيماً﴾ فتقرأ هكذا عند الوقف : ﴿غفوراً﴾ ، ﴿رحيماً﴾ ، ﴿عليماً﴾ ، ﴿حكيماً﴾ . فقد آل التنوين بالنصب إلى ألف ساكنة قبلها مفتوح .

ويمد بمقدار حركتين كالمد الطبيعي . وسمي عوضاً لأنه عوض عن التنوين .

٤ - مد الصلة الصغرى وحركته :

هو مد هاء الضمير المفرد المذكر الغائب إذا وقعت الهاء بين حرفين متحركين، أي يكون ما قبلها متحركاً، وما بعدها متحركاً . مثل ﴿إنه هو﴾ ، ﴿ماله يتزكى﴾ فإشباع الضمة على الهاء يجعلها واواً ساكنة، ومثل ﴿به بصيراً﴾ ، ﴿إلى أهله مسروراً﴾ فإشباع الكسرة على الهاء يجعلها ياء ساكنة . ويمد بمقدار حركتين كالمد الطبيعي .

أما إذا كان قبل هاء الضمير حرف ساكن فلا تمد مثل ﴿منه﴾ ، ﴿إليه﴾ إلا في قوله تعالى : ﴿فيه مهاناً﴾ فإنه يمد مد الصلة حركتين .

وأما لو كان بعد هاء الضمير حرف ساكن فلا تمد كذلك مثل ﴿كما علمه الله﴾ .

ويستثنى من مد الصلة قوله تعالى : ﴿وإن تشكروا يرضه لكم﴾ فلا تمد الهاء مع أنها واقعة بين متحركين، ويكتفى فيها بالقصر، فتقرأ كما تكتب : ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ .

وإن أتى بعد هاء الضمير همز تمد كمد المنفصل، ويسمى صلة كبرى مثاله : ﴿ماله أخلده﴾ ، ﴿ومن آياته أن﴾ . وتختلف الصلة الصغرى عن الكبرى من ناحيتين : مقدار المد، فالأولى تمد حركتين، والثانية خمس حركات . ثم إن الحرف المتحرك بعد هاء الضمير لا يشترط في الصغرى أن يكون همزاً، بينما يشترط ذلك في الصلة الكبرى .

٥ - مد التمكين وحركته :

هو المد الذي يكون عند اجتماع ياءين أولاهما ساكنة، والثانية مكسورة . مثل ﴿حييتم﴾ ﴿النبئين﴾ ﴿الأميين﴾ . ويمد بمقدار حركتين كالمد الطبيعي . وسمي كذلك لأن الشدة الحاصلة من اجتماع الياءين مكنته .

٦ - المد المتصل وحركته :

هو أن يجتمع حرف المد وبعده الهمز في كلمة واحدة، مثل : ﴿أولئك﴾ ﴿جاء﴾ ﴿النسيء﴾

﴿تبوأ﴾. ويمد باتفاق القراء بمقدار خمس حركات وجوباً في حال الوصل، ويجوز عند بعضهم أربع حركات. وفي حال الوقف تجوز الزيادة إلى ست حركات لعروض السكون بالوقف. وسمي مداً متصلاً لاتصال الهمزة مع المد في كلمة واحدة.

٧- المد المنفصل وحركته:

هو أن يأتي حرف المد في آخر كلمة، وبعده الهمز في أول كلمة أخرى، مثاله: ﴿بمّا أنزل﴾ ﴿إنّا أعطيناك﴾ ﴿يأ أيها﴾. ويمد بمقدار خمس حركات جوازاً، لجواز فصل الطبيعي عن الهمز، وإنما كان مده جوازاً لا واجباً، لعدم اتفاق القراء على وجوب مده، فبعضهم أجاز مده حركتين، وبعضهم أربعاً، وبعضهم خمساً.

٨- المد العارض للسكون وحركته:

هو أن يأتي بعد حرف المد حرف متحرك يوقف عليه بالسكون، مثاله: ﴿نستعين﴾ ﴿الدين﴾ ﴿نمون﴾ ﴿الحساب﴾. ويجوز في مده ثلاثة أوجه: الطول: ست حركات، والتوسط: أربع حركات، والقصر: حركتان.

٩- مد اللين وحركته:

هو إطالة الصوت بالواو والياء الساكتين، المفتوح ما قبلهما، الساكن ما بعدهما سكوناً عارضاً في حالة الوقف، ولا يمد في حالة الوصل أبداً، مثاله: ﴿خوف﴾ ﴿بيت﴾ ﴿يوم﴾ ﴿خير﴾. ويجوز في مده ثلاثة أوجه كالعارض للسكون المتقدمة: الطول، والتوسط، والقصر. وبناء عليه الحقه العلماء بالعارض للسكون.

١٠- المد اللازم وحركته وتقسيمه:

المد اللازم: هو أن يكون بعد حرف المد حرف ساكن سكوناً أصلياً، سواء في حالة الوصل أو الوقف، مثاله: ﴿أناجوني﴾ ﴿والصافات﴾ ﴿الحاقة﴾ ﴿الطامة﴾ ﴿ق﴾، ﴿ن﴾، ﴿الم﴾. فقد جاء بعد حرف المد سكون لازم في كل من ﴿الحاقة﴾ و﴿الطامة﴾ لأن الحرف المشدد اجتمع فيه حرفان من جنس واحد، أولهما ساكن، والثاني متحرك، فالحاقة هي (الحاققة) والطامة هي (الطائمة). وحروف أوائل السور تقرأ هكذا: «قاف، نون، لام ميم».

ويمد اللازم بمقدار ست حركات وجوباً، من غير زيادة ولا نقص باتفاق القراء.

أقسام المد اللازم: ينقسم المد اللازم إلى قسمين:

أولاً- مد لازم كلي: وهو المد الواقع في كلمة، مثل: ﴿الطامة﴾، ﴿الحاقة﴾، ﴿الصاخة﴾. وهو نوعان:

أ - مد لازم كلمي مثقل : وهو حين يأتي في الكلمة حرف مد، بعده حرف مشدد : مثل ﴿الطَّامَّةُ﴾، و ﴿الحَاقَّةُ﴾، و ﴿الصَّاخَّةُ﴾، و ﴿الضَّالِّينَ﴾.

ب - ومد لازم كلمي مخفف : وهو حين يأتي في الكلمة حرف مد، بعده حرف ساكن سكوناً لازماً غير مشدد . مثاله : ﴿الآن﴾ . ولا يوجد في القرآن على قراءة حفص إلا في آيتين من سورة يونس ، وهما : ﴿الآن وقد كنتم﴾ ﴿الآن وقد عصيت﴾ .

ثانياً - مد لازم حرفي : وهو الذي يقع في حرف من أوائل السورة ، وهو نوعان :

أ - مد لازم حرفي مثقل : وهو أن يأتي في حرف من أوائل السور حرف مدّ بعده مشدد ، مثل ﴿الم﴾ فالمد على اللام مد لازم حرفي مثقل ؛ لأنه أتى بعد حرف المد وهو الألف حرف مشدد ؛ لأن الألف تقرأ هكذا (ألف لا ميم) .

ب - ومد لازم حرفي مخفف : وهو أن يأتي في حرف من أوائل السور حرف مدّ ، بعده حرف ساكن سكوناً لازماً ، مثل : ﴿ق﴾ ﴿ن﴾ وحرف الميم من ﴿الم﴾ فالمد هنا مد لازم حرفي مخفف ، لمجيء حرف المد فيها وبعده حرف ساكن سكوناً لازماً ؛ لأنها تقرأ هكذا : (قاف ، نون ، ميم) .

وضابط المد اللازم الحرفي بنوعيه : أن يكون على ثلاثة أحرف أو سطها حرف مد ، ولا يوجد إلا في أوائل السور المجموعة بقولك : (نقص عسلكم) ويستثنى العين في قوله تعالى : ﴿كهيعص﴾ ، ﴿حمعسق﴾ فإنها تمد مدلاً لازماً طويلاً وهو ست حركات ، ويجوز أن يكون متوسطاً أربع حركات .

وهناك أحرف من فواتح السور تمد مدّاً طبيعياً هي أحرف (حي طهر) مثاله ﴿طه﴾ .

والخلاصة : المد اللازم إما واقع في كلمة ، وإما واقع في حرف ، وكل من الكلمتي والحرفي إما مثقل وإما مخفف .

أقسام المد من حيث الصفة :

ينقسم المد من حيث الصفة إلى قسمين : أصلي وفرعي .

المد الأصلي : هو المد الطبيعي المتقدم ، ويلحق به العوض والصلة الصغرى ومد البدل ومد التمكين .

والمد الفرعي : هو الذي يتوقف على سبب الهمز أو السكون ، فإن أتى بعد حرف المد همز أو سكون ، زيد المد فيه على مقدار حركتين بسبب ذلك ، مثل : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ ، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ .

والمد الذي يتوقف على سبب الهمز ثلاثة أنواع : متصل مثل ﴿جاء﴾ ، ومنفصل ، ويلحق به الصلة الكبرى ، والبدل مثل : ﴿آدم﴾ .

والمد الذي يتوقف على سبب السكون: هو ثلاثة أنواع أيضاً: لازم، وعارض للسكون، ولين.

أحكام النون الساكنة والتنوين

النون الساكنة: هي النون المجزومة التي لا حركة لها مثل: ﴿إِنْ﴾، ﴿مِنْ﴾، ﴿كُنْتُ﴾، ﴿بَيْنَهُمْ﴾.

والتنوين: هو نون ساكنة تتبع آخر الاسم لفظاً، وتنفقه خطأ ووقفاً، مثل: ﴿عليماً﴾، ﴿عليمٌ﴾، ﴿عليمٍ﴾. فهو الفتحان، أو الضمتان، أو الكسرتان اللتان نثبتهما في كتابة الأسماء. أما عند الوقف عليها بالنطق، ففي حالة النصب نقف عليها بألف ساكنة، فنقول ﴿عليماً﴾ وفي حالتي الرفع والجر نقف عليها بساكن، فنقول في حالتي الرفع والجر ﴿عليمٌ﴾.

وللنون الساكنة والتنوين بالنسبة لما يقع بعدهما من حروف الهجاء الثمانية والعشرين أربعة أحكام: هي الإظهار، والإدغام، والإقلاب، والإخفاء.

١ - الإظهار وحروفه:

الإظهار لغة: البيان، واصطلاحاً: النطق بكل حرف على حدة من مخرجه بغير غنة، عندما يقع بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف الحلق الستة، وهي حروف الإظهار: الهاء، والعين، والحاء، والغين والخاء.

وأمثلته: الهمزة: ﴿مِنْ آمَنَ﴾، ﴿عَذَابَ أَلِيمٍ﴾، ﴿يَنْشُورُونَ﴾.

والهاء: ﴿إِنْ هَذَا﴾، ﴿قَوْمَ هَادٍ﴾، ﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾.

والعين: ﴿مَنْ عَمِلَ﴾، ﴿أَجْرَ عَظِيمٍ﴾، ﴿الْأَنْعَامِ﴾.

والحاء: ﴿مَنْ حَكِيمٍ﴾، ﴿غُفُورٌ حَلِيمٍ﴾، ﴿وَتَنْحِتُونَ﴾.

والغين: ﴿مَنْ غَلٍّ﴾، ﴿لَعَفُوْهُ غُفُورٌ﴾، ﴿فَسَيَنْغْضُونُ﴾.

والخاء: ﴿مَنْ خَيْرٍ﴾، ﴿لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾، ﴿وَالْمُنْخَنَقَةُ﴾.

وسميت حروفه حروف الحلق؛ لأن مخرجها من الحلق، لهذا يسمى حكمها: إظهاراً حلقياً.

٢ - الإدغام وحروفه:

الإدغام لغة: إدخال الشيء في الشيء، واصطلاحاً: هو إدخال حرف ساكن بحرف متحرك، بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً، وذلك إذا وقع بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروفه، وحروفه ستة مجموعة في لفظ (يرملون).

فهذه الحروف الستة إذا وقع أحدها بعد النون الساكنة أو التنوين، تدغم النون أو التنوين بها،

أي بحرف الإدغام، بحيث يصيران حرفاً واحداً كالثاني مشدداً، مثل: ﴿فمن يعمل﴾ ﴿رحيم ودود﴾ ﴿من ماء مهين﴾ ﴿من نذير﴾ ﴿من لدنا﴾ ﴿غفوراً رحيماً﴾.

أقسام الإدغام: ينقسم الإدغام إلى قسمين: إدغام بغنة، وإدغام بلا غنة.

الأول - الإدغام بغنة: وهو أن يكون بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف (يومن) أو (ينمو) مثل ﴿من يعمل﴾ ﴿صراطاً مستقيماً﴾. والأمثلة المنفردة هي:

مثال الياء: ﴿من يشاء﴾ ﴿وجوه يومئذ﴾.

مثال الواو: ﴿من واق﴾ ﴿هدى ورحمة﴾.

مثال الميم: ﴿من محيص﴾ ﴿قول معروف﴾.

مثال النون: ﴿يومئذ ناعمة﴾ ﴿توبة نصوحاً﴾.

والغنة: صوت رخيم يخرج من الخيشوم، لا عمل للسان فيه، يمد بمقدار حركتين. وتكون كاملة، والإدغام كاملاً في الميم والنون المشددين، مثل: ﴿عم﴾، ﴿إن﴾. وفي الواو والياء يكون الإدغام ناقصاً، مثل: ﴿كنفس واحدة﴾ ﴿في كل واد يهيمون﴾.

ولا يقع الإدغام إلا في كلمتين، بحيث تكون النون الساكنة أو التنوين في آخر كلمة، ويكون حرف الإدغام في أول كلمة تليها.

أما إذا وقع الإدغام في كلمة واحدة فهو إظهار شاذ بدون غنة، مثاله: ﴿دنيا﴾ ﴿صنوان﴾ ﴿قنوان﴾ ويسمى هذا الحكم إظهاراً مطلقاً من كلمة. كما أن النون الساكنة التي قبل الواو في لفظ ﴿يس﴾، والقرآن الحكيم ﴿وفي﴾، والقلم ﴿لا تدغم﴾، بل يجب إظهارها بدون غنة، ويسمى هذا الحكم إظهاراً مطلقاً من كلمتين.

الثاني - الإدغام بلا غنة: وهو أن يكون بعد النون الساكنة أو التنوين (لام أو راء) وهما (لر) مثاله: ﴿من ربهم﴾ ﴿هدى للمتقين﴾. والأمثلة المنفردة هي:

مثال اللام: ﴿من لدنا﴾ ﴿لئن لم﴾ ﴿همزة لمزة﴾.

ومثال الراء: ﴿من ربكم﴾ ﴿رءوف رحيم﴾.

٣ - الإقلاب وحرفه:

الإقلاب: هو قلب النون الساكنة أو التنوين ميماً مع الغنة عند الباء، وحرفه هو الباء فقط، نحو: ﴿من بعد﴾ ﴿سميع بصير﴾. وبعبارة أخرى: الإقلاب: هو وجوب قلب النون الساكنة والتنوين ميماً خالصة بغنة عندما يتلوها (باء).

٤ - الإخفاء وحروفه:

الإخفاء لغة: الستر، واصطلاحاً: هو حالة بين الإظهار والإدغام من غير تشديد مع بقاء الغنة،

وذلك إذا أتى بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف الإخفاء الخمسة عشر، المجموعة في أوائل هذا البيت:

صف ذا ثنا، جود شخص، قد سما كريماً ضع ظالماً، زد تقى، دم طالباً، فترى

أمثله: ﴿ينفقون﴾، ﴿أنتم﴾، ﴿أنثى﴾، ﴿الإنسان﴾، ﴿ينصركم﴾، ﴿ينطق﴾، ﴿انظر﴾، ﴿أنزلناه﴾، ﴿منشوراً﴾، ﴿منقلباً﴾، ﴿منضود﴾، ﴿أنفسكم﴾. وهذا في كلمة واحدة.

﴿حلية تلبسونها﴾، ﴿يوماً ثقيلاً﴾، ﴿من جاء﴾، ﴿فصبر جميل﴾، ﴿من دابة﴾، ﴿وكأساً دهاقاً﴾، ﴿من ذا الذي﴾، ﴿باسطٌ ذراعيه﴾، ﴿نفساً زكية﴾، ﴿بقرات سمان﴾، ﴿بأس شديد﴾، ﴿ريحاً صرصراً﴾، ﴿قوماً ضالين﴾، ﴿حياة طيبة﴾، ﴿ظلاً ظليلاً﴾، ﴿ماء فراتاً﴾، ﴿سميع قريب﴾، ﴿أفمن كان﴾، ﴿قولاً كريماً﴾. وهذا في كلمتين.

ففي هذه الأمثلة يكون النطق بالنون الساكنة والتنوين بصفة ما بين الإظهار والإدغام بلا تشديد، بحيث يخفى ويذهب معظم لفظهما، ويكون مكانهما غنة كاملة، ولا يكون للسان عمل في حالة إخفائهما، ففي الإظهار والإدغام يخرجان من طرف اللسان عند التصاقه بسقف الفك العلوي. وفي حالة الإخفاء يبقى اللسان معلقاً بين الفكين، وتكون الغنة التي تخرج من الخيشوم عوضاً عن النون الساكنة أو التنوين.

فالإخفاء: هو وجوب تحقيق الغنة وإخفاء معظم لفظ النون الساكنة والتنوين، عندما يتلوها حرف من حروف الإخفاء الخمسة عشر المتقدمة.

أحكام الميم الساكنة

أحوال الميم الساكنة:

للميم الساكنة أحوال ثلاثة: تدغم في مثلها مع الغنة، ويسمى (إدغاماً متماثلاً) بغنة، نحو ﴿لكم ما كسبتم﴾ وتخفى عند الباء ويسمى (إخفاء شفوياً) نحو ﴿ترميهم بحجارة﴾ وتظهر عند باقي الحروف الهجائية ويسمى (إظهاراً شفوياً) نحو ﴿أم حسبتم﴾ غير أنها تكون أشد إظهاراً عند (الواو والفاء) مثل: ﴿عليهم ولا﴾ ﴿لكم فيها﴾ لتقارب مخرجيهما من الميم.

١ - الإخفاء الشفوي:

الإخفاء: هو أن تكون الميم الساكنة مخفأة بغنة عندما يقع بعدها حرف (ب) مثل ﴿ومن يعتصم بالله﴾، ﴿منامكم بالليل﴾.

ويكون هذا الإخفاء بنطق الميم الساكنة التي أتى بعدها باء، من الخيشوم، مع وجوب الغنة، ويسمى هذا إخفاء شفوياً، ويتحقق المطلوب بعدم إطباق الشفتين عند النطق بالميم.

٢ - الإظهار الشفوي :

الإظهار : هو أن يكون النطق بالميم الساكنة ظاهراً من غير غنة ، عندما يقع بعدها أحد حروف الهجاء ما عدا الميم المتحركة والباء ، مثل ﴿ألم تر﴾ ﴿أم لهم﴾ ﴿وهم فيها﴾ ﴿تمسون﴾ ﴿عمنون﴾ ﴿يمشي﴾ .

ويكون هذا الإظهار بأن تكون الميم الساكنة ظاهرة وواضحة بدون غنة ، عندما يأتي بعدها أحد حروف الهجاء ، غير الميم المتحركة والباء .

غير أن الميم الساكنة تكون - كما تقدم - أشد إظهاراً عند الواو والفاء ، لثلا يختفي لفظها بسبب قرب مخرجها من مخرجهما ، مثل ﴿عليهم ولا﴾ ﴿لكم فيها﴾ .

٣ - الإدغام بحسب الذات :

ينقسم الإدغام بحسب الذات بعد الميم الساكنة إلى ثلاثة أقسام : إدغام متمائل ، وإدغام متجانس ، وإدغام متقارب ، فإن اتفق الحرفان في المخرج دخل تحتها المتجانس والمتمائل ، وإن اختلفا فهو المتقارب .

النوع الأول - الإدغام المتمائل :

هو أن يتحد الحرفان في المخرج والصفة ، ويأتي أحدهما الآخر ، كما إذا وقع بعد الميم الساكنة ميم متحركة . فتدغم الميم الأولى بالميم الثانية بغنة ، وتصيران ميماً واحدة مشددة بغنة مثل ﴿ولكم ما﴾ ﴿كسبتم﴾ ﴿والله يعدكم مغفرة﴾ ﴿لهم موعد﴾ .

أو يقع بعد الحرف حرف آخر مثله ، نحو ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ ﴿أن اضرب بعصاك﴾ ﴿أووا ونصروا﴾ ﴿عصوا وكانوا﴾ .

النوع الثاني - الإدغام المتجانس :

هو أن يتحد الحرفان في المخرج ، ويختلفا في بعض الصفات ، ويأتي أحدهما الآخر كطاء وطاء ، نحو : ﴿لئن بسطت﴾ أو تاء وطاء ، نحو : ﴿قالت طائفة﴾ أو تاء ودال نحو : ﴿أثقلت دعوا الله﴾ أو دال وطاء ، نحو : ﴿وجدتم﴾ أو تاء وذال نحو : ﴿يلهث ذلك﴾ أو باء وميم ، نحو : ﴿اركب معنا﴾ .

النوع الثالث - الإدغام المتقارب :

هو أن يتقارب الحرفان في المخرج والصفة ، ويأتي أحدهما الآخر ، كاللام مع الراء ، نحو : ﴿بل﴾ رفعه ﴿وكالقام مع الكاف نحو : ﴿ألم نخلقكم﴾ .

حكم الميم والنون المشددتين

- الروم والإشمام -

إذا اجتمعت الميم والنون المشددتان ، كل واحدة مع مثيلتها ، كان حكمهما وجوب الغنة حركتين ، مثل ﴿لَمَّا﴾ ﴿الجنة﴾ .

أما نون ﴿تَأْمَنَّا﴾ [يوسف ١٢/١١] ففيها مع الغنة الإشمام: وهو ضم الشفتين عند سكون النون، كمن يريد أن ينطق بضمة، دون أن يظهر أثر ذلك في النطق. والإشمام لا يدركه الأعمى. ويجوز إخفاء ضمة النون، ويعبر عنه بالرَّوم: وهو الإتيان ببعض حركة النون المرفوعة، وتحكمه المشافهة بالسمع، أي أنه الإتيان ببعض الحركة على النون الأولى في ﴿تَأْمَنَّا﴾ ولا يسمعه إلا القريب المصغي.

ويلاحظ أن الإمام حفص انفرد في قراءته بضم الهاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْسَانِيهِ﴾ في سورة الكهف، وفي قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهِ اللَّهُ﴾ في سورة الفتح.

مخارج الحروف

أنواع المخارج: المخارج في الجملة خمسة: هي الجوف، والخلق، واللسان، والشفستان، والخيشوم، وتفصيلاً هي على القول المختار سبعة عشر مخرجاً. وإذا أردت معرفة مخرج فسكنه وأدخل عليه همزة الوصل، وأصغ إليه، فحيث انقطع الصوت في الفم، فذلك مخرجه.

المخرج الأول - الجوف: وهو خلاء الفم والخلق، ويخرج منه الألف الساكنة المفتوح ما قبلها، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها، وحروف الجوف هي حروف المد واللين.

المخرج الثاني - أقصى الخلق: ويخرج منه الهمزة والهاء.

المخرج الثالث - وسط الخلق: ويخرج منه العين والحاء.

المخرج الرابع - أدنى الخلق: أي أقربه إلى الفم، ويخرج منه الغين والحاء المعجمتان. وأحرف الخلق الستة من هذه المخارج الثلاثة في الخلق تسمى الحروف الحلقية، نسبة إلى الخلق. **المخرج الخامس - أقصى اللسان** مما يلي الخلق مع ما فوقه من الحنك الأعلى، ويخرج منه القاف.

المخرج السادس - أقصى اللسان مع ما يليه من الحنك من أسفل مخرج القاف قليلاً، ويخرج منه الكاف. ويقال لكل من القاف والكاف حرف لهوي: نسبة إلى اللهاة وهي اللحمية المشرفة على الخلق.

المخرج السابع - وسط اللسان مع ما يحاذيه من وسط الحنك، ويخرج منه الجيم والشين والياء غير المدية، وتسمى بالحروف الشجرية: نسبة إلى شجر الفم أي منفحة.

المخرج الثامن - من أول حافة اللسان مع ما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر عند الأكثر، ومن الأيمن عند الأقل، ويخرج منه الضاد.

المخرج التاسع - من أدنى حافة اللسان إلى منتهى طرفه وما بينهما وبين ما يليها من الحنك مما فوق الضاحك والأنياب والرابعة والثنايا، ويخرج منه اللام.

المخرج العاشر - من بين طرف اللسان وبين ما فوق الثنايا أسفل اللام قليلاً، ويخرج منه النون المتحركة والساکنة المظهرة.

المخرج الحادي عشر - من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا العليا تحت مخرج النون قليلاً، غير أنها أدخل في ظهر اللسان، ويخرج منه الراء، وتسمى النون واللام والراء ذَلْقِيَّة، لخروجها من طرف اللسان.

المخرج الثاني عشر - طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، مصعداً إلى جهة الحنك، ويخرج منه الطاء والذال والطاء، وتسمى هذه الحروف نَطْعِيَّة إلى نِطْع الغار الأعلى، وهو سقفه.

المخرج الثالث عشر - من بين طرف اللسان ومن بين الثنايا السفلى والعليا، ويخرج منه حروف الصفير الثلاثة: الصاد والسين والزاي، وهي الحروف الأَسْلِيَّة، نسبة إلى أسلة اللسان، أي طرفه.

المخرج الرابع عشر - من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، ويخرج منه الطاء والذال والطاء، وهذه هي الأحرف اللَّتَوِيَّة، نسبة إلى اللثة، وهو اللحم المركب فيه الأسنان.

المخرج الخامس عشر - من بطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، ويخرج منه الفاء.

المخرج السادس عشر - مما بين الشفتين، ويخرج منه الواو غير المدية، أي المتحركة، والباء والميم المظهرة مع انفتاح الشفتين في الواو، وانطباقهما في الباء والميم، وحروف هذا المخرج والذي قبله تسمى بالحروف الشفهية أو الشفوية، نسبة إلى الشفة.

المخرج السابع عشر - الخيشوم: وهو أقصى الأنف، ويخرج منه أحرف الغنة، وهي النون الساكنة والتنوين والميم الساكنة، حالة إدغامها بغنة، أو إخفائها، أو إقلابها، فتتحول من مخرجها الأصلي إلى الخيشوم، وكذلك غنة النون والميم المشدَّتين^(١).

والخلاصة:

مخرج القاف والكاف: من أقصى اللسان مع ما فوقه من الحنك الأعلى، لكن الكاف أسفل منه بقليل.

ومخرج الجيم والشين والباء: من وسط اللسان مع ما يحاذيه من وسط الحنك الأعلى.

ومخرج الضاد: من حافة اللسان الأيسر، وهو كثير، أو الأيمن وهو قليل، أو منهما، وهو أقل مستطيلة إلى ما يلي الأضراس.

ومخرج اللام والنون والراء: من أول حافة اللسان مع ما يليه من الحنك الأعلى، لكن المعتمد في اللام أن مخرجها أدنى من الضاد والنون تحت اللام بقليل، والراء تقارب النون.

ومخرج الطاء والذال والتاء: من طرف اللسان من فوق، ومن بين الثنايا العليا.

ومخرج الصاد والزاي والسين: من طرف اللسان ومن بين الثنايا السفلى والعليا.

ومخرج الظاء والذال والتاء: من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا.

ومخرج الفاء: من بطن الشفة مع أطراف الثنايا العليا.

ومخرج الواو والباء والميم: من بين الشفتين، لكن بانفتاحهما في الواو، وانطباقهما في الباء والميم، ومخرج الغنة تقدم في تعريف الغنة.

صفات الحروف

للحروف سبع عشرة صفة، عشر منها لها ضد، وسبع لا ضد لها^(٢).

الصفات التي لها ضد:

وهي عشر صفات:

١، ٢ - الجهر: وهو منع جريان النَّفَس مع الحرف، لقوة الاعتماد عليه في مخرجه، وضده الهمس: وهو جريان النَّفَس مع الحرف لضعف الاعتماد عليه في مخرجه، وحروف الهمس عشرة، مجموعة في جملة: (فحْتُهُ شَخْص، سَكَّت) وبقية الحروف هي المجهورة.

٣، ٤ - الشدة: وهي امتناع جريان الصوت مع الحرف، والحروف الشديدة مجموعة في (أجذ، قط، بكت) وضده الرخاوة والتوسط، والرخاوة: جريان الصوت مع الحرف لضعفه، والحروف المتوسطة بين الرخوة والشديدة مجموعة في (لنْ عُمَر) وباقي الحروف هي الرخوة.

٥، ٦ - الاستفال: وضده الاستعلاء، والاستعلاء: من صفات الحروف، وحروفه سبعة: (خُصَّ ضَغَطَ قَط) وفيما يرتفع أقصى اللسان إلى الحنك الأعلى، وهي حروف التفخيم، وباقي الحروف هي المستفلة، وترقق دائماً عدا الراء واللام والألف في بعض الأحوال.

٧، ٨ - الانفتاح: وضده الانطباق، والحروف المنطبقة هي الصاد والضاد والطاء والظاء، وفيها ينطبق اللسان على ما يقابله من الحنك الأعلى، وهي أقوى حروف الاستعلاء، وباقي الحروف هي المنفتحة.

٩، ١٠ - الإذلاق : وهو سرعة النطق بالحرف وحروفه : (فَرَّ من لُبٍّ) وسميت بذلك لاعتمادها على ذلق اللسان أو الشفة، أي طرفيهما، وضده الإصمات في باقي الحروف، ومعناه أن يمتنع تركيب كلمة، أصولها أربعة أو خمسة أحرف من الحروف المصمتة وحدها إلا إذا كانت أعجمية.

الصفات التي لا ضد لها :

وهي سبع صفات :

١ - الصفير : وهو صوت زائد يصاحب أحرفه الثلاثة التي هي الصاد والسين والزاي، سميت بذلك لخروج صوت عند النطق بها يشبه صفير الطائر.

٢ - القلقلة : وهي إظهار نبرة للصوت حال النطق بحرفها إذا سكن، أو هي شدة الصوت وتحريك مخرج الحرف الساكن حتى يسمع له نبرة أقرب إلى الفتح، وحروفها خمسة جمعت في لفظ (قطب جد).

وتنقسم القلقلة إلى قسمين : صغرى وكبرى، فالصغرى : هي التي تكون في أثناء الكلمة مثل ﴿يجعلون﴾. والكبرى : هي التي تكون في آخر الكلمة نحو : ﴿لقد﴾ ﴿قريب﴾.

٣ - اللين : وحروفه الواو والياء الساكتان بعد فتح، مثل ﴿خوف﴾ ﴿البيت﴾ ومعناه : إخراج الحرف في لين وعدم كلفة.

٤ - الانحراف : حروفه اللام والراء، لانحرافهما عن مخرجهما إلى مخرج غيرهما، فاللام : تميل إلى مخرج النون، والراء : تميل إلى ظهر اللسان.

٥ - التكرير : هو ارتداد طرف اللسان، وهو للراء لقبولها له، وهذه الصفة يجب اجتنابها في الراء.

٦ - التفشي : وهو انتشار الريح في الفم عند النطق بالشين.

٧ - الاستطالة : في الضاد؛ لأنه استطال في الفم عند النطق به، حتى اتصل بمخرج اللام.

والخلاصة :

حروف الاستعلاء : هي حروف (خصّ ضغط قط) وتسمى الحروف المفخمة.

حروف الصفير : هي ثلاثة : الصاد والزاي والسين، بشرط إسكانها، مثل : ﴿صبر﴾، ﴿مستقيم﴾.

حروف الهمس : هي عشرة يجمعها قولك : (فحّثه شخص سكت).

الحروف اللثوية : هي ثلاثة : الثاء، والذال، والظاء.

همزة الوصل وهمزة القطع

همزة الوصل: هي التي تثبت في الابتداء وتسقط في الدَّرَج أي الوصل.

وتكون في الأفعال نحو: ﴿ادعوا ربكم﴾ وفي الأسماء نحو ﴿بغلام اسمه يحيى﴾ وفي حرف (أل) فقط.

ويبدأ فيها بالضم إذا كان ثالث كلمة الفعل مضموماً بضمّة أصلية، أي ضمّاً لازماً، مثل: ﴿اعبدوا ربكم﴾، ﴿اسجدوا﴾، ﴿ادخلوا﴾. أما إذا كان ثالث الفعل مضموماً ضمّاً عارضاً، فيبدأ بكسرها نظراً لأصله، مثل فعل: (امشوا، واقضوا، وارموا، وابنوا) فإن الضم في ثالث حرف منها عارض غير أصلي، فأصل (امشوا) أمشيوا، و (اقضوا) اقضيوا، و (ارموا) ارميوا، و (ابنوا) ابنيوا. أي أن ثالث حرف منها مكسور، بدليل التشية فيها، فتقول: امشياً، واقضياً، وارمياً، وابنياً. وتفتح همزة الوصل في حرف (أل) فقط عند الابتداء في الاسم المعرف بالالف واللام، نحو: ﴿الرجل﴾، ﴿الحمد﴾، ﴿الرزق﴾، ﴿الرحيم﴾، ﴿العرش﴾، ﴿العقاب﴾.

ويبدأ بهمزة الوصل بالكسر في عشرة أسماء منكّرة سماعاً وهي: اسم، واست، وابن، وابنم، وابنة، وامرئ، وامرأة، واثنان، واثنتان، وإمين. وفي غير هذه الأسماء قياساً تعلم من كتب الصرف.

وتكسر إذا كان الحرف الثالث في كلمة الفعل مكسوراً أو مفتوحاً، نحو: اقرأ، اذهب، ارجع، اهبط، اضرب، استغفروا، ارجعوا.

همزة القطع: هي التي تثبت في الابتداء والدَّرَج، أي الوصل نحو: ﴿الهاكم﴾، ﴿استبرق﴾، ﴿أجيت﴾.

الألفات السبع

يجب إثبات الألف في حالة الوقف، وحذفها في حالة الوصل في سبعة مواضع هي:

- ١- ألف ضمير المتكلم (أنا) في كل موضع في القرآن الكريم.
- ٢- ألف ﴿لكنّا﴾ في قوله تعالى: ﴿لكنّا هو الله ربّي﴾ في سورة الكهف.
- ٣- ألف ﴿الظنون﴾ في قوله تعالى: ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ في سورة الأحزاب.
- ٤- ألف ﴿الرسولا﴾ في قوله تعالى: ﴿وأطعنا الرسولا﴾ في سورة الأحزاب.
- ٥- ألف ﴿السيّلا﴾ في قوله تعالى: ﴿فأضلونا السيّلا﴾ في سورة الأحزاب.
- ٦- ألف ﴿قواريرا﴾ في قوله تعالى: ﴿كانت قواريرا﴾ في سورة الدهر.
- ٧- ألف ﴿سلاسل﴾ في قوله تعالى: ﴿إنّا اعتدنا للكافرين سلاسل﴾ في سورة الإنسان.

ويجوز في هذه الكلمة وجهان في حالة الوقف عليها: إما بالالف بعد اللام، أو على اللام ساكنة من غير ألف ﴿سلاسل﴾.

أحكام لام المعرفة

للام المعرفة أربعة أحكام: التفخيم، والترقيق، والإدغام، والإظهار.

تفخيم اللام وترقيقها:

تفخم اللام من لفظ الجلالة (الله) إن ضمّ ما قبلها أو فتح، نحو: ﴿إني عبد الله﴾، ﴿سيؤتينا الله من فضله﴾. وترقق فيما عدا ذلك.

إدغام اللام وإظهارها:

تدغم اللام المعرفة إذا وليها حرف من أربعة عشر حرفاً مجموعة في أوائل هذا البيت:

طب ثم صل رحماً تفز صف ذا نعم دع سوء ظن، زر شريفاً للكرم

وتسمى لاماً شمسية، نحو (الطاعة) (الثواب) وسميت لاماً شمسية لأنها مثل لام (الشمس).

وتظهر اللام إذا وليها حرف من حروف (ابغ حجك وخف عقيمة) وتسمى لاماً قمرية، نحو

(الخالق) (البارئ) (الجال). وسميت لاماً قمرية لأنها مثل لام (القمر).

والحاصل أنه إذا أتى بعد اللام المعرفة مشدد، فهي الشمسية، كالشمس، وإلا فهي القمرية،

كالقمر. ونظم بعضهم الحروف القمرية في أوائل ما يأتي:

قمر جلا، بدر وفي هلا حسبت كماله

عذب اللّمي، فرد غلى خل، مسح، ياله

لام الفعل: لا توصف لام الفعل بكونها شمسية ولا قمرية؛ لأنها من بنية الكلمة، كما في قوله

تعالى: ﴿التقنا﴾، ﴿التقى﴾، ﴿أهاكم﴾. وكذلك لام الاسم الموصول لا يوصف بهذه الصفة.

التفخيم والترقيق

الحروف من حيث الترقيق والتفخيم ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يفخم في جميع أحواله، وهي حروف الاستعلاء: (خص ضغط قظ)

وأقوى هذه الحروف حروف الإطباق: وهي الصاد والضاد والطاء والظاء، مثل ﴿الضالّين﴾

﴿القلوب﴾.

القسم الثاني: وهي الحروف المستقلة: وترقق دائماً فيما عدا الألف واللام والراء.

القسم الثالث : حروف ترقق أو تفخم بحسب الأحوال وهي الألف واللام والراء .

أما الألف : فتفخم إن كان قبلها حرف مفخم مثل ﴿الصَّاحَّة﴾ وإلا فترقق نحو : ﴿الباطل﴾ .

وأما اللام : فتفخم من لفظ الجلالة إذا سبقها مفتوح أو مضموم كما تقدم ، نحو ﴿فالله﴾

﴿نسوا الله﴾ . وترقق إذا سبقها مكسور نحو ﴿بالله﴾ ﴿بسم الله﴾ أما غير لفظ الجلالة فترقق اللام دائماً نحو ﴿الضَّالُّون﴾ ﴿اللطيف﴾ .

وأما الراء : فترقق حال الوصل إذا كانت مكسورة ، نحو ﴿يريد﴾ أو ساكنة بعد كسر من أصل

الكلمة نحو : ﴿فرعون﴾ ﴿واستغفره﴾ . وذلك ما لم يكن بعدها حرف استعلاء متصل بها ، فتفخم نحو : ﴿فرقة﴾ ، ﴿قرطاس﴾ .

وفي كلمة ﴿فرق﴾ وجهان والتفخيم أرجح ، وفيما عدا هذه الأحوال فتفخم في الوصل نحو :

﴿ضرب﴾ ﴿يأترون﴾ ﴿من ارتضى﴾ .

أما في الوقف : فترقق الراء إن كان قبلها كسر نحو : ﴿قُدِّر﴾ أو كان قبلها ياء ساكنة عند

الوقف ، مثل ﴿قدير﴾ ﴿غير﴾ . وفيما عدا هذه الأحوال في الوقف ، فتفخم ، مثل الوقف على ﴿غفور﴾ ﴿النذر﴾ ﴿الكفر﴾ .

ويجوز التفخيم والترقيق إن سكنت الراء قبل ياء محذوفة تخفيفاً ، مثل ﴿ونذر﴾ ﴿يسر﴾ إذ

أصلها : نذري ، ويسري ، والترقيق أرجح لدلالته على الياء المحذوفة .

والتفخيم أرجح في راء ﴿مصر﴾ . والترقيق أرجح في راء ﴿عين القطر﴾ عند الوقف .

خلاصة أحكام الراء :

للراء ثلاثة أحكام : التفخيم ، والترقيق ، وجواز الوجهين .

وتفخم الراء في خمسة مواضع : إن ضمت أو فتحت نحو ﴿عرباً أثرباً﴾ أو سكنت وكان قبلها

ضم أو فتح ، مثل ﴿القرآن﴾ و ﴿العرش﴾ أو سكنت وكان قبلها كسر عارض نحو ﴿لمن ارتضى﴾ أو

سكنت وكان قبلها كسر أصلي وبعدها حرف استعلاء غير مكسور ، مثل ﴿قرطاس﴾ و ﴿مرصاد﴾ أو

سكنت وقفاً وكان قبلها ساكن ، وقبل الساكن ضم أو فتح نحو ﴿والعصر﴾ والشكر .

وترقق الراء في أربعة مواضع : إن كسرت نحو ﴿رجال﴾ أو سكنت وكان قبلها كسر أصلي ،

ولم يكن بعدها حرف استعلاء نحو ﴿فرعون﴾ ﴿مريّة﴾ أو سكنت وكان قبلها ياء ساكنة نحو

﴿قدير﴾ ﴿خير﴾ أو سكنت وكان قبلها ساكن ، وقبل الساكن كسر نحو : ﴿السكر﴾ .

ويجوز التفخيم والترقيق للراء في موضعين: فيما إذا سكنت وكان قبلها كسر أصلي، وبعدها حرف استعلاء مكسور نحو ﴿فَرَّقَ﴾ أو سكنت وكان قبلها حرف استعلاء ساكن، وقبل حرف الاستعلاء مكسور، نحو ﴿قَطَرَ﴾، و﴿مَصَرَ﴾، لكن في ﴿قَطَرَ﴾ جواز الوجهين والترقيق مقدم، وفي ﴿مَصَرَ﴾ جواز الوجهين والتفخيم مقدم.

وكان شيخنا المرحوم الشيخ أحمد السماق يقول لنا: الراء المتحركة أميرة نفسها، إن ضمت أو فتحت فحُتَّتْ، وإن كسرت رُقَّتْ.

السكتة اللطيفة

يجب أن يسكت القارئ على رواية حفص سكتة لطيفة في أربعة مواضع:

أحدها - في سورة الكهف، عند قوله تعالى: ﴿عِوَجًا﴾ فيسكت القارئ سكتة لطيفة مقدار حركتين بدون تنفس، ثم يقول: ﴿فِيمَا﴾.

والثاني - في سورة يس، عند قوله تعالى: ﴿مَنْ مَرَقَدْنَا﴾ ثم يقول: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾.

والثالث - في سورة القيامة، عند قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ: مَنْ﴾ ثم يقول القارئ بعد سكتة لطيفة ﴿رَاقٍ﴾.

والرابع - في سورة المطففين، عند قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ﴾ ثم يقول القارئ بعد سكتة لطيفة: ﴿رَانَ﴾ فيقف على ما قبل هذه الكلمات من غير أن يتنفس، ثم يقرأ الكلمة التي بعدها.

ويجوز السكت في موضعين:

الأول - في سورة الحاقة عند قوله تعالى: ﴿مَالِيهِ، هَلْكَ﴾.

والثاني - بين آخر سورة الأنفال وأول التوبة، إذا أحب القارئ أن يصل بين السورتين، فيقرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ويسكت عند كلمة ﴿عَلِيمٌ﴾ مع تسكين الميم، ثم يقول: ﴿بِرَاءَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾.

الوقف والابتداء

يسن الوقوف في آخر كل الآيات لقوله تعالى: ﴿وَرَتَّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ ولما روى أحمد وأبو داود والترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان إذا قرأ، قطع آية آية، يقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ

الرحمن الرحيم ﴿، ثم يقف، ثم يقول: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، ثم يقف، ثم يقول: ﴿الرحمن الرحيم﴾، ثم يقف، ثم يقول: ﴿مالك يوم الدين﴾، ثم يقف».

والمراد بالوقوف: السكوت على آخر الكلمة زمنًا يتنفس في أثناءه بحكم العادة، والوقوف أربعة أقسام: تام، وكافي، وحسن، وقبيح.

أما الوقف التام: فهو الوقف على آخر كلمة يتم بها المعنى مع ما قبلها، دون تعلق بما بعدها لفظاً أو معنى.

والتعلق اللفظي: التعلق من جهة الإعراب، كأن يكون صفة أو معطوفاً أو مضافاً إليه، فيكون الوقف على الموصوف والمعطوف عليه والمضاف وفقاً غير تام، مثل قوله تعالى: ﴿يتلو صحفاً مطهرة﴾ لا يوقف على كلمة ﴿صُحُفًا﴾ لأن ﴿مُطَهَّرَةً﴾ صفة لما قبلها.

والتعلق المعنوي: التعلق من جهة المعنى، كالإخبار عن حال المؤمنين أو الكافرين ونحو ذلك، مثل الوقوف على قوله تعالى: ﴿خالدين فيها﴾ في آية: ﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها، أولئك هم شر البرية﴾ والجملة الأخيرة من تمام الخبر عن حال الكافرين.

والوقف التام في الغالب يكون في أواخر الآيات، وأواخر السور، ونهاية القصة.

والابتداء التام في الغالب في بدء رؤوس الآيات، وأوائل السور، وعند الابتداء ببياء النداء، والاستفهام، ولام القسم، والشرط ونحو ذلك.

ويحسن الوقوف عند الوقف التام، والابتداء بما بعده.

والوقف الكافي: هو الوقف على كلمة لم يتعلق بها ما بعدها، ولا ما بما قبلها لفظاً، وتعلق ما بعدها بما قبلها معنى، كالوقف على كلمة ﴿يؤمنون﴾ في آية ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ لأن ما بعدها وهو ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ متعلق بحال الكافرين تعلقاً معنوياً.

ويحسن الوقوف عنده، والابتداء بما بعده.

والوقف الحسن: هو الوقف على كلمة تمّ بها المعنى، لكن تعلق ما بعدها بها لفظاً

وفي الوقف على ﴿آتاني﴾ في قوله تعالى: ﴿فَمَا آتَانِي اللَّهُ﴾ في سورة النمل في قراءة حفص وجهان: إثبات وحذف.

ويحسن التزام علامات الوقف على بعض الأحرف التي اصطلح عليها العلماء في رسم المصحف، من واجب مثل ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ [آل عمران ٧/٣] وجائز مثل ﴿وينشر رحمته﴾ [الشورى ٢٨/٤٢] وممنوع مثل ﴿طيبين لا﴾ [النحل ٣٢/١٦] وكون الوصل أولى مثل: ﴿فاصبر إن وعد الله حق صلى﴾ [الروم ٦٠/٣٠] وكون الوقف أولى مثل ﴿له مقاليد السموات والأرض قلمي﴾ [الزمر ٦٣/٣٩] وأنه إذا وقف على موضع لا يقف على الآخر، مثل ﴿لا ريب﴾ و ﴿فيه﴾ [البقرة ٢/٢].

ثمانى كلمات لها قراءة خاصة

١- ﴿بسم الله مجريها﴾ سورة هود آية ٤١ - وضعت هذه العلامة (◊) تحت الراء لإمالة فتحة الراء إلى الكسرة وإمالة الألف التالية إلى الياء.

٢- ﴿مالك لا تأمنا﴾ سورة يوسف آية ١١ - وضعت هذه العلامة (◊) للدلالة على إشمام الميم وهو ضم الشفتين كمن يريد النطق بضمه من غير أن يظهر لذلك أثر في النطق.

٣- ﴿أأعجمي وعربي﴾ سورة فصلت آية ٤٤ - وضعت هذه النقطة السوداء (•) فوق الألف الثانية للدلالة على تسهيلها بين الهمزة والألف.

٤، ٥- ﴿بيصط﴾ سورة البقرة آية ٢٤٥ و ﴿ببصطة﴾ سورة الأعراف آية ٦٩ - وضعت (س) صغيرة فوق الصاد للدلالة على أن الأشهر قراءتها (ببسط) و (بسطة) وإن كان من الجائز قراءتهما (بيصط وبصطة).

٦، ٧- ﴿المبصيطرون﴾ سورة الطور آية ٣٧ و ﴿بمبصيطر﴾ سورة الغاشية آية ٢٢ - وضعت (س) صغيرة تحت الصاد للدلالة على أن الأشهر قراءتهما (المبصيطرون و بمبصيطر) وإن كان الجائز قراءتهما (المبصيطرون و بمبصيطر).

٨- ﴿ننجي﴾ سورة الأنبياء آية ٨٨ - وضعت (ن) صغيرة بجوار الأخرى للدلالة على أنها تقرأ (ننجي).

اَسْمَاءُ السُّورِ وَفَوْقَ تَبَيَّنَتْ لَهَا بِأَمْضَحِ الشَّرَفِ

الجزء	رقم السورة	اسم السورة	الجزء	رقم السورة	اسم السورة	الجزء	رقم السورة
١	١	سُورَةُ الْفَاتِحَةِ	٢	٢٠	سُورَةُ طه	٣١٣	
٢	٢	سُورَةُ الْبَقَرَةِ	١٧	٢١	سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ	٣٢٣	
٤	٣	سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ		٢٢	سُورَةُ الْحَجَّجِ	٣٢٣	
٥	٤	سُورَةُ النَّسَاءِ	١٨	٢٣	سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ	٢٤٣	
٧	٥	سُورَةُ الْمَائِدَةِ		٢٤	سُورَةُ الْيُونُسَ	٢٥١	
٨	٦	سُورَةُ الْأَنْعَامِ		٢٥	سُورَةُ الْفِرْقَانِ	٣٦٠	
٩	٧	سُورَةُ الْأَعْرَافِ	١٩	٢٦	سُورَةُ الشُّعَرَاءِ	٣٦٨	
١٠	٨	سُورَةُ الْأَنْفَالِ		٢٧	سُورَةُ التَّوْحِيدِ	٣٧٨	
١١	٩	سُورَةُ التَّوْبَةِ	٢٠	٢٨	سُورَةُ الْقَصَصِ	٣٨٦	
	١٠	سُورَةُ يُوسُفَ	٢٠	٢٩	سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ	٣٩٧	
١٢	١١	سُورَةُ هُودٍ	٢١	٣٠	سُورَةُ الرُّومِ	٤٠٥	
١٣	١٢	سُورَةُ يُوسُفَ		٣١	سُورَةُ الْقَصَصِ	٤١٢	
	١٣	سُورَةُ الرَّعْدِ		٣٢	سُورَةُ السَّجْدَةِ	٤١٦	
	١٤	سُورَةُ الْاٰهِنِ		٣٣	سُورَةُ الْاٰهِنِ	٤١٩	
١٤	١٥	سُورَةُ الْحَجَّجِ	٢٢	٣٤	سُورَةُ سَبِّحَا	٤٢٩	
	١٦	سُورَةُ الْبَحَلِّ		٣٥	سُورَةُ فَاطِي	٤٣٥	
١٥	١٧	سُورَةُ الْاِسْمَاءِ		٣٦	سُورَةُ يُوسُفَ	٤٤١	
١٦	١٨	سُورَةُ الْكَهْفِ	٢٣	٣٧	سُورَةُ الصَّافَاتِ	٤٤٧	
	١٩	سُورَةُ مَرْيَمَ		٣٨	سُورَةُ ص	٤٥٤	

أَسْمَاءُ السُّورِ وَفَوْقَ تَبْيِئَاتِهَا بِأَصْحَافِ الشِّفَاءِ

الجزء	نوم سورة	أسم السورة	نوم الصفحة	الجزء	نوم سورة	أسم السورة	نوم الصفحة
	٣٩	سُورَةُ الرَّحْمَنِ	٤٥٩	٢٨	٥٨	سُورَةُ الْحَجَّاتِ	٥٤٣
٢٤	٤٠	سُورَةُ غَاثِ	٤٦٨		٥٩	سُورَةُ الْحَشْرِ	٥٤٦
	٤١	سُورَةُ فَصْلَتِ	٤٧٨		٦٠	سُورَةُ الْمُتَجَنِّدِ	٥٥٠
٢٥	٤٢	سُورَةُ الشُّورَى	٤٨٤		٦١	سُورَةُ الصَّفِ	٥٥٢
	٤٣	سُورَةُ الزُّحُوفِ	٤٩٠		٦٢	سُورَةُ الْجُمُعَةِ	٥٥٤
	٤٤	سُورَةُ الدُّخَانِ	٤٩٧		٦٣	سُورَةُ الْبَنَاقِ	٥٥٥
	٤٥	سُورَةُ الْجَاثِيَةِ	٥٠٠		٦٤	سُورَةُ الْبَغَاثِ	٥٥٧
٢٦	٤٦	سُورَةُ الْأَنْفَاقِ	٥٠٣		٦٥	سُورَةُ الطَّلَاقِ	٥٥٩
	٤٧	سُورَةُ مُحَمَّدٍ	٥٠٨		٦٦	سُورَةُ الْبَجَرَةِ	٥٦١
	٤٨	سُورَةُ الْفَتْحِ	٥١٢	٢٩	٦٧	سُورَةُ الْمَلِكِ	٥٦٣
	٤٩	سُورَةُ الْحَجَرَاتِ	٥١٦		٦٨	سُورَةُ الْقَبَلَةِ	٥٦٥
	٥٠	سُورَةُ قَافٍ	٥١٩		٦٩	سُورَةُ الْحَاقَّةِ	٥٦٧
٢٧	٥١	سُورَةُ الذَّارِيَاتِ	٥٢١		٧٠	سُورَةُ الْمَعَارِجِ	٥٦٩
	٥٢	سُورَةُ الطُّورِ	٥٢٤		٧١	سُورَةُ نوحٍ	٥٧١
	٥٣	سُورَةُ الْبَجَرَةِ	٥٢٧		٧٢	سُورَةُ الْحَجِّ	٥٧٣
	٥٤	سُورَةُ الْقَمَرِ	٥٢٩		٧٣	سُورَةُ الْمُرَقَّاتِ	٥٧٥
	٥٥	سُورَةُ الرَّحْمَنِ	٥٣٢		٧٤	سُورَةُ الْمَدَّثِ	٥٧٦
	٥٦	سُورَةُ الْوَاقِعَةِ	٥٣٥		٧٥	سُورَةُ الْقِيَامَةِ	٥٧٨
	٥٧	سُورَةُ الْحَزَنِ	٥٣٨		٧٦	سُورَةُ الْإِنشِكَارِ	٥٧٩

اسْمَاءُ السُّورِ وَفَوْقَ كُلِّ سِتٍّ مِنْهَا بِأَرْبَعِ أَصْحَافٍ الشَّيْخُ

الجزء	رقم سورة	اسم السورة	رقم صفحة	الجزء	رقم سورة	اسم السورة	رقم صفحة
	٧٧	سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ	٥٨١		٩٦	سُورَةُ الْجُلُودِ	٥٩٩
٣.	٧٨	سُورَةُ النَّازِعَاتِ	٥٨٣		٩٧	سُورَةُ الْقَلَذِ	٦٠٠
	٧٩	سُورَةُ النَّازِعَاتِ	٥٨٤		٩٨	سُورَةُ الْبَنَاتِ	٦٠٠
	٨٠	سُورَةُ عَبَسَ	٥٨٦		٩٩	سُورَةُ الْبُرُجِ	٦٠١
	٨١	سُورَةُ الْتَّوْحِيدِ	٥٨٧		١٠٠	سُورَةُ الْغَافِرِ	٦٠١
	٨٢	سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ	٥٨٨		١٠١	سُورَةُ الْفَاحِشَةِ	٦٠٢
	٨٣	سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ	٥٨٩		١٠٢	سُورَةُ النَّكَارِ	٦٠٢
	٨٤	سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ	٥٩٠		١٠٣	سُورَةُ الْخُضُرِ	٦٠٣
	٨٥	سُورَةُ الْيُزْجِ	٥٩١		١٠٤	سُورَةُ الْاٰهِنَةِ	٦٠٣
	٨٦	سُورَةُ الْطَّارِقِ	٥٩٢		١٠٥	سُورَةُ الْفَيْلِ	٦٠٣
	٨٧	سُورَةُ الْاَعْلٰى	٥٩٣		١٠٦	سُورَةُ قُرَيْشٍ	٦٠٤
	٨٨	سُورَةُ الْغَاشِيَةِ	٥٩٣		١٠٧	سُورَةُ الْمَلِكِ	٦٠٤
	٨٩	سُورَةُ الْفَجْرِ	٥٩٤		١٠٨	سُورَةُ الْبُكَرَةِ	٦٠٤
	٩٠	سُورَةُ الْبَنَاتِ	٥٩٥		١٠٩	سُورَةُ الْكَافِرِينَ	٦٠٥
	٩١	سُورَةُ الشَّمْسِ	٥٩٦		١١٠	سُورَةُ النَّازِعَاتِ	٦٠٥
	٩٢	سُورَةُ الْاَلْفِ	٥٩٧		١١١	سُورَةُ الْمُنَادِ	٦٠٥
	٩٣	سُورَةُ الْاَصْحٰى	٥٩٧		١١٢	سُورَةُ الْاٰخِرَةِ	٦٠٦
	٩٤	سُورَةُ الْبَنَاتِ	٥٩٨		١١٣	سُورَةُ الْفَاحِشَةِ	٦٠٦
	٩٥	سُورَةُ الْبَنَاتِ	٥٩٨		١١٤	سُورَةُ الْفَاحِشَةِ	٦٠٦

سُورَةُ التَّوْحِيدِ وَفِيهَا الْاَوَّلِي

ترتيب	اسم السورة	آيات	ترتيب	اسم السورة	آيات	ترتيب	اسم السورة	آيات
٣	سورة آل عمران	٥١	٤٣	سورة الرزق	٤٩٠	٣	سورة آل عمران	٥١
١٤	سورة إبراهيم	٢٥	٩٩	سورة الزلزلة	٦٠	١٤	سورة إبراهيم	٢٥
٢٢	سورة الأحزاب	٤١	٣٩	سورة الزمر	٤٥٩	٢٢	سورة الأحزاب	٤١
٤٦	سورة الأحقاف	٥٠	٣٤	سورة سبأ	٤٢٩	٤٦	سورة الأحقاف	٥٠
١١٢	سورة الإخلاص	٦٠	٣٢	سورة السجدة	٤١٦	١١٢	سورة الإخلاص	٦٠
١٧	سورة الإسراء	٢٨	٩٤	سورة الشرح	٥٩٨	١٧	سورة الإسراء	٢٨
٧	سورة الأنفال	١٥٢	٢٦	سورة الشعراء	٣٦٨	٧	سورة الأنفال	١٥٢
٨٧	سورة الأعراس	٥٩٣	٩١	سورة الشمس	٥٩٦	٨٧	سورة الأعراس	٥٩٣
٢١	سورة الأنبياء	٢٢٢	٤٢	سورة الشورى	٤٨٤	٢١	سورة الأنبياء	٢٢٢
٧٦	سورة الإنسان	٥٧٩	٢٨	سورة ص	٤٥٤	٧٦	سورة الإنسان	٥٧٩
٨٤	سورة الانشقاق	٥٩٠	٣٧	سورة الصافات	٤٤٧	٨٤	سورة الانشقاق	٥٩٠
٦	سورة الأنعام	١٢٩	٦١	سورة الصف	٥٥٢	٦	سورة الأنعام	١٢٩
٨	سورة الأنفال	١٧٨	٩٣	سورة الضحى	٥٩٧	٨	سورة الأنفال	١٧٨
٨٢	سورة الانتظار	٥٨٨	٨٦	سورة الطارق	٥٩٢	٨٢	سورة الانتظار	٥٨٨
٨٥	سورة البورج	٥٩١	٦٥	سورة الطلاق	٥٩٩	٨٥	سورة البورج	٥٩١
٢	سورة البقرة	٢٨٥	٢٠	سورة طه	٢١٢	٢	سورة البقرة	٢٨٥
٩٠	سورة البكة	٥٩٥	٥٢	سورة الطور	٥٩٤	٩٠	سورة البكة	٥٩٥
٩٨	سورة البينة	٦٠٠	١٠٠	سورة العاديات	٦٠	٩٨	سورة البينة	٦٠٠
٦٦	سورة التخيير	٥٦١	٨٠	سورة عبس	٥٨٦	٦٦	سورة التخيير	٥٦١
٦٤	سورة التين	٥٥٧	١٠٣	سورة الضحى	٦٠٣	٦٤	سورة التين	٥٥٧
١٠٢	سورة التكاثر	٦٠٢	٩٦	سورة العلق	٥٩٩	١٠٢	سورة التكاثر	٦٠٢
٨١	سورة التکویر	٥٨٧	٢٩	سورة العنكبوت	٢٩٧	٨١	سورة التکویر	٥٨٧
٩	سورة التوبة	١٨٨	٨٨	سورة الفاتحة	٥٩٣	٩	سورة التوبة	١٨٨
٩٥	سورة التين	٥٩٨	٤٠	سورة خافز	٤٦٨	٩٥	سورة التين	٥٩٨
٤٥	سورة الجاثية	٥٠٠	١	سورة الفاتحة	٢	٤٥	سورة الجاثية	٥٠٠
٦٢	سورة الجمعة	٥٥٤	٣٥	سورة فاطر	٤٣٥	٦٢	سورة الجمعة	٥٥٤
٧٢	سورة الجث	٥٧٢	٤٨	سورة الفتح	٥١٢	٧٢	سورة الجث	٥٧٢
٦٩	سورة الحاقة	٥٦٧	٨٩	سورة الفجر	٥٩٤	٦٩	سورة الحاقة	٥٦٧
٢٢	سورة الحج	٢٢٢	٢٥	سورة الفرقان	٢٦٠	٢٢	سورة الحج	٢٢٢
١٥	سورة الحجر	٢٦٢	٤١	سورة فصلت	٤٧٨	١٥	سورة الحجر	٢٦٢
٤٩	سورة المحجرات	٥١٦	١٣	سورة الضحى	٦٠٦	٤٩	سورة المحجرات	٥١٦
٥٧	سورة الحديد	٥٢٨	١٠٥	سورة الضحى	٦٠٣	٥٧	سورة الحديد	٥٢٨
٥٩	سورة الحشر	٥٤٦	٥٠	سورة ق	٥١٩	٥٩	سورة الحشر	٥٤٦
٤٤	سورة الحديد	٤٩٧	١١	سورة القارعة	٦٠٢	٤٤	سورة الحديد	٤٩٧
٥١	سورة الذاريات	٥٢١	٩٧	سورة القدر	٦٠٠	٥١	سورة الذاريات	٥٢١
٥٥	سورة الزمر	٥٢٢	١٠٦	سورة قريش	٦٠٤	٥٥	سورة الزمر	٥٢٢
١٣	سورة الزمر	٢٥٠	٢٨	سورة القصص	٢٨٦	١٣	سورة الزمر	٢٥٠
٢٠	سورة الروم	٤٠	٦٨	سورة القدر	٥٦٥	٢٠	سورة الروم	٤٠

الفهرس العام للمحتويات

٦٠٦ - ١	القرآن العظيم مع تفسيره الوجيز
٦٠٨	دعاء ختم القرآن
٦٠٩	المصطلحات
٦١٠	تعريف بهذا المصحف الشريف
٦١١	توضيحات ينبغي مراعاتها
٦١٢	قواعد التجويد أو الترتيل
٦٢٢	فهرس أسماء السور وفق تسلسلها في المصحف الشريف
٦٣٥	فهرس أسماء السور وفق حروفها الأولى
٦٣٦	الفهرس العام

النفسير الوجيز

على هامش

القرآن العظيم

ومعه أسباب النزول وقواعد الترتيل

تأليف

الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي

رئيس قسم اللغة الإسلامية ومذاهبها في جامعة دمشق

دار الفكر

دمشق - سورية

الرقم الاصطلاحي : 1001, 011

الرقم الموضوعي : 220

الرقم الدولي : 4 - 238 - 1-54547 - ISBN

الموضوع : القرآن وعلومه

المصنوع : التفسير الوجيز على هامش القرآن العظيم

ومعه أسباب النزول وقواعد الترتيل

التأليف : الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي

خطوط المصحف : أحمد الباري

زخارف المصحف : هيثم قسومة

التنفيذ الطباعي : مطابع دار المستقبل - بيروت

التجليد الفني : علي الحصي - بيروت

عدد الصفحات : ٦٤٠

قياس الصفحة : ١٧ × ٢٥ سم

عدد النسخ : ٣٠٠٠

وقد وافق على نسخة المصحف وإصداره كل من :

١ - إدارة الإفتاء العام والتدريس الديني في سورية برقم ٦٦١ وتاريخ ١٤٠٣/٩/٤ هـ الموافق ١٩٨٣/٧/١٤ م

٢ - دار الفتوى في لبنان برقم ٣٦/٤٦٦ وتاريخ ١٤١٤/١٠/١٤ هـ الموافق ١٩٩٤/٣/٢٦ م .

٣ - المجلس الإسلامي الأعلى تونس بموجب الكتاب رقم ٥٠٧ الصادر بتاريخ ١٩٩٠/٢/٢٩ م .

الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ م ط ١٤١٥ هـ = ١٩٩٤ م

جميع الحقوق لكافة الطباعات محفوظة

لدار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق

التي تتشرف بإصدار ونشر هذا القرآن العظيم وتحتفظ لديها بجميع أصوله الخطية والزخرفية ملكاً تجارياً
وفنياً مسلحاً مع التنويه بأن جميع حقوق الطبع والنشر والنقل والاقتباس في كافة البلاد العربية وأقطار
العالم محصورة بـ :

دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر

سورية - دمشق - برامكة مقابل مركز الانطلاق للوحدة - ص . ب (٩٦٢)

برقياً : فكر - هاتف ٢٢٣٩٧١٧ - ٢٢١١١٦٦ فاكس : ٢٢٣٩٧١٦ (٠٠٩٦٣١١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على النبي محمد الذي أرسله ربه رحمة للعالمين.

وبعد : فإن الهدف الأول من إنزال القرآن الكريم هو العمل بآياته والتأدب بأدابه، والالتزام بأحكامه وشرائعه، ليكون العاملون به خير أمة أخرجت للناس . - وتحقيق هذه الغاية إنما يكون بتلاوة القرآن، وتدبر آياته، وفهمها فهماً دقيقاً، وسليماً، وواعياً، ولا يتم ذلك إلا ببيان واضح، وقلب واع، وإدراك شامل لمقاصد القرآن وأحكامه.

- والسبيل الأمثل في البيان : تلاوة الآية، وفهمها فهماً إجمالياً، ثم العمل على توسيع المدارك تدريجياً بتفسير أشمل، مثل كتابي (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج) ١٦ مجلداً، من منشورات دار الفكر العامرة، والذي منحت عليه جائزة أفضل كتاب في العالم الإسلامي لعام ١٩٩٤م من جمهورية إيران الإسلامية.

- و (التفسير الوجيز) هذا يقتصر على بيان الآية إجمالاً، وعلى سبب نزولها الصحيح إن وجد، مع تجنب الإسرائيليات، والتزام أدق ما توصلت إليه كتب التفسير، القديمة منها والحديثة، وما أحاطت به من التفسير بالمأثور والمعقول المنسجم مع أصول البيان في اللغة العربية، ومقاصد الشريعة، واتباع منهج السلف الصالح في الاعتقاد.

- ومن المعلوم أن ترتيب القرآن العظيم واجب، فيحتاج إلى تعلم علم التجويد ومعرفة قواعده على يد أستاذ متقن، إذ لا بد من معرفة أصول التجويد نظرياً وعملياً، كما جاء في ختام هذا المصنف.

- أسأل الله سبحانه أن يلهم المسلمين قاطبة حكماً ومحكمين العمل التام لتحقيق السعادة في الدارين، فإنه الكتاب الإلهي الحكم، كما قال الله تعالى : ﴿...وإنه لكتاب عزيز. لا يأتيه الباطل، من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد﴾ [فصلت : ٤١/٤٢].

